

الموسوعة القرآنية الكبرى

المعجم
في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته

تأليف وتحقيق

قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

بإشراف

مدير القسم

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني






مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعجم

في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته

المجلد التاسع

تأليف وتحقيق

قسم القرآن بمجمع البحوث الاسلامية

بإرشاد وإشراف

مدير القسم

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته / تأليف و تحقيق قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة؛ بإرشاد و إشراف محمّد واعظزاده الخراساني. - مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٢٥ ق. = ١٣٨٣ ش.

ISBN 964-444-795-6 (شابک ج ٩)

ISBN 964-444-179-6 (شابک دوره)

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

عربی.

١. قرآن -- واژه‌نامه‌ها. ٢. قرآن -- دایرة‌المعارفها. الف. واعظ‌زاده خراسانی، محمد، ١٣٠٤ - . ب. بنیاد پژوهشهای اسلامی.

٥٧ م / ٤ / BP ٦٦ ٢٩٧/١٣

کتابخانه ملّی ایران ٧٨ـ٨٦٩٧م



المعجم

في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته / ج ٩

تأليف و تحقيق: قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة

إشراف: الأُستاذ محمّد واعظزاده الخراسانيّ

الطّبعة الأُولى: ١٤٢٥ق. / ١٣٨٣ش

١٠٠٠ نسخة

الثّمن ٥٠٠٠٠ ريال

الطّباعة: مؤسّسة الطّبع و النّشر التّابعة للآستانة الرّضويّة المقدّسة

مراكز التوزيع

مجمع البحوث الإسلاميّة، الهاتف والفاكس (مشهد) ٢٢٣٠٨٠٣، ص. ب ٣٦٦ ـ ٩١٧٣٥

شركة به‌نشر، (مشهد) الهاتف ٧ ـ ٨٥١١١٣٦، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠

Web Site: www.islamic-rf.org E-mail: info@islamic-rf.org

المؤلفون

الأُستاذ محمّد واعظ زاده الخراسانيّ

ناصر النّجفيّ

قاسم النّوريّ

محمّد حسن مؤمن زاده

حسين خاكشور

السيّد عبدالحميد عظيمي

السيّد جواد سيّدي

السيّد حسين رضويان

علي رضا غفراني

محمّدرضا نوري

السيّد علي صبّاغ دارابي

أبوالقاسم حسن‌پور

خضر فيض الله

محمّد ملكوتي نسب

وقد فُوّض عرض الآيات وضبطها إلى أبي‌الحسن الملكيّ و مقابلة النصوص إلى محمّد جواد الحويزيّ و عبدالكريم الرّحيميّ و تنضيد الحروف إلى حسين الطّائيّ في قسم الكمبيوتر.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المحتويات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المُقدّمة

نحمد الله تعالى على نعمائه كلّها، ونصلّي و نسلّم على رسوله المصطفى نبيّنا محمّد وعلى آله الطّيّبين الطّاهرين و صحبه المنتجبين.

نشكره تعالى على أن وفّقنا لتأليف المجلّد التّاسع من موسوعتنا القرآنيّة: «**المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته**»، و تقديمه إلى روّاد العلوم القرآنيّة، والمختصّين بمعرفة لغاته، و أسرار بلاغته، و رموز إعجازه، وطرائف تفسيره.

وقد اشتمل هذا الجزء على شرح (٤٢) مفردة قرآنيّة من حرف الجيم، ابتداء من (ج ب ن) و انتهاء بـ(ج م ل)، و أوسع المواد فيه بحثًا و تنقيبًا هي (ج ز ي).

ثمّ نسأله تعالى، و نبتهل إليه أن يتمّ علينا نعمته ويكمل لنا رحمته و يساعدنا و يأخذ بأيدينا، و يسدّد خطانا بما يضارع الأمل في استمرار العمل، إنّه خير ظهير، وبالإجابة جديرٌ.

محمّد واعظ زاده الخراسانيّ

مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ب ن

الْجَبِين

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: الجُبُنّ، مثقّل، الّذي يُؤكل، وتجبّن اللّبن: صار كالجُبُنّ.

ورجل جَبان وامرأة جَبانة، ورجال جُبَناء ونساءٌ جبانات.

وأجبَنْته: حسبته جَبانًا.

والجبين: حَرْف الجَبْهَة مابين الصُّدْغَيْن، منفصلًا عن النّاحية، كلّ ذلك جبين واحد، وبعضهم يقول: هما جبينان.

والجَبّانة: واحدة، والجَبابين كثيرة. (٦: ١٥٣)

المفضّل الضَّبّيّ: العرب تقول: فلان جَبان الكلب، إذا كان نهايةً في السّخاء. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ١٢٣)

ابن شُمَيْل: الجَبّانة: ماستوى من الأرض ومَلُس ولاشجر فيه، وفيه آكامٌ وجِلاهٌ، وقد تكون مستوية لا آكام فيها ولاجِلاه، ولاتكون «الجَبّانة» في الرّمل ولافي الجبل، وقد تكون في القِفاف والشّقائق. وكلّ صحراء: جَبّانة. (الأزهَريّ ١١: ١٢٤)

أبوعمروالشّيبانيّ: قاتلته فما أجبَنْته، وسألته فما أبخَلْته. (١: ١٢٦)

أبوزَيْد: امرأة جَبان وجَبانة. (الأزهَريّ ١١: ١٢٤)

اللّحيانيّ: والجبين مذكّر لاغير، والجمع: أجبُن وأجْبِنَة وجُبُن. (ابن سيده ٧: ٤٦٥)

ابن السّكّيت: رجل جَبان وقوم جُبَناء وجُبُن، وقد جَبُنَ الرّجل؛ ويقال: جبَن بالفتح. (١٧٦)

ويقال: جُبْنٌ وجُبْنَةٌ، بضمّ الجيم والباء وتسكينها أيضًا. وبعضهم يضمّ الجيم والباء ويُثقّل النّون، فيقول: جُبُنّ وجُبُنَّة، وبعضهم يضمّ أوّلها ويسكّن ثانيها. (إصلاح المنطق: ١١٨)

شَمِر: قال أبوخَيْرة: الجَبّان: ماستوى من الأرض

في ارتفاع، ويكون كريم المَنْبِت. (الأزهريّ ١١: ١٢٤)

الدّينوريّ: الجَبابين: كِرام المَنابت، وهي مستوية في ارتفاع، الواحدة: جَبّانة. (ابن سيده ٧: ٤٦٥)

الأزهَريّ: في الحديث: أنّ النّبيّ ﷺ احتضن أحد ابنَيْ بِنته، وهو يقول: «إنّكم لتُجبّنون وتُبخّلون، وتُجهّلون، وإنّكم لمن رَيحان الله».

يقال: جَبَّنتُ الرّجل، وبَخّلته، وجَهّلته، إذا نسَبته إلى الجُبْن، والبُخْل، والجهل. وأجبَنْته، وأبخَلْته، وأجهَلْته، إذا وجَدته جَبانًا بخيلًا جاهلًا.

يريد: أنّ الولد لمّا صار سببًا لجُبْن الأب عن الجهاد، وإنفاق المال، والافتتان به، كان كأنّه نسَبه إلى هذه الخلال، ورماه بها، وكانت العرب تقول: «الولد مَجْبَنَة[1] مَبْخَلَة». [ونقل كلام اللّيث ثمّ قال:]

قلت: وعلى هذا كلام العرب، والجَبْهة بين الجبينين.

ويقال: اجتَبَن فلان اللّبن، إذا اتّخذه جُبْنًا. (١١: ١٢٣)

الصّاحِب: الجُبُنّ مُثقّل: مايُؤكل، وتجبّن اللّبَن.

ورجلٌ جَبانٌ، وامرأةٌ جَبانةٌ وجَبانٌ. وأجْبَنْتُه: وجَدته جَبانًا. ورجال جُبَناء وأجبان، ونِسْوة جَبائن وجُبناء. ويقال للجَبان: جَبّان، بالتّشديد.

والجَبين: حرف الجَبْهة مابين الصُّدْغَين، متّصلًا بحِذاء النّاصية، وجمعه: جَبائن. (٧: ١٢٢)

الجَوهَريّ: الجُبْن: هذا الّذي يؤكل، والجُبْنة أخصّ منه. والجُبْن أيضًا: صفة الجَبان. والجُبُن، بضمّ الجيم والباء لغة فيهما وبعضهم يقول: جُبُنّ وجُبُنّة، بالضّمّ والتّشديد.

وقد جَبُن فهو جَبان، وجَبُنَ أيضًا بالضّمّ فهو جبين.

وقالوا: امرأة جَبان، كما قالوا: حَصان ورَزان، عن ابن السّرّاج.

وأجْبَنْتُه: وجدته جَبانًا. وجَبَّنْته تَجْبينًا: نسبته إلى الجُبْن.

ويقال: «الولد مَجْبَنَة مَبْخَلَة» لأنّه يُحَبّ البقاء والمال لأجله.

والجَبّان والجَبّانة بالتّشديد: الصّحراء.

وتجبّن الرّجل: غَلُظ.

والجَبين فوق الصُّدغ، وهما جَبينان عن يمين الجبهة وشمالها. (٥: ٢٠٩٠)

ابن فارِس: الجيم والباء والنّون ثلاث كلمات لايقاس بعضها ببعض. فالجُبْن: الّذي يُؤكل، وربّما ثُقّلت نونه مع ضمّ الباء. والجُبْن: صفة الجَبان. والجَبينان: ماعن يمين الجبهة وشمالها، كلّ واحد منهما جبين. (١: ٥٠٣)

أبوسهل الهَرَويّ: الجُبْن: للّذي يؤكل بضمّ الباء، وكذبتَ من الجُبْن، وهو الفزَع. (التّلويح: ٦١)

ابن سيده: الجَبان من الرّجال: الّذي يَهاب التّقدّم على كلّ شيء ليلًا كان أو نهارًا. سيبويه: والجمع: جُبَناء شبّهوه بـ«فعيل» لأنّه مثله في العِدّة والزّيادة. والأُنثى: جَبان وجَبانة.

وقد جَبُن يَجْبُن، وجبَن جُبْنًا، وجَبانة.

وأجبَنه: وجده جبانًا، أو حسبه إيّاه.

وحكى سيبويه: هو يُجبَّن، أي يُرْمى بذلك ويقال له.

---

(١) عند الجوهريّ وغيره: مجبنة.

والجَبِينان: حرفان مُكتنفا الجبهة من جانبيها فيما بين الحاجبين، مُصْعِدًا إلى قُصاص الشّعر.

وقيل: هما مابين القُصاص إلى الحاجبين.

وقيل: حروف الجبهة: مابين الصُّدْغين متّصلًا عَداء النّاصية، كلّ ذلك جَبين واحد.

والجُبْن والجُبُن: الّذي يؤكل، والواحدة من كلّ ذلك بالهاء.

وتجبّن اللّبن: صار كالجُبْن.

والجبّان، والجبّانة: المقبرة. وهو عند سيبويه اسم كالقَذّاف. (٧: ٤٦٥)

الرّاغِب: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ الصّافّات: ١٠٣، فالجبينان جانبا الجَبْهَة. والجُبْن: ضَعف القلب عمّا يحقّ أن يَقْوى عليه، ورجل جَبان وامرأة جَبان، وأجْبَنته: وجدته جَبانًا وحكمت بجُبْنه، والجُبْن: مايؤكل، وتجبّن اللّبن صار كالجُبْن. (٨٧)

الزّمَخْشَريّ: رجل جَبان، ورجال جُبَناء، وفي حديث خالد: «فلا نامت أعين الجُبَناء» وامرأة جَبان، ونساء جَبانات. [ثمّ استشهد بشعر]

كقولهم: امرأة جواد، ويقال: جَبانة. سُمع بعض العرب يقول: الضّبُع جَبانة لاتُقْبِل على الصّفير، إذا صُفِر بها فَرّت.

وأجْبَنتُ فلانًا وأبْخَلته: وجدته كذلك. وعن عمرو ابن معديكرب: «قاتلناكم فما أجْبَنّاكم». وجَبّنته: نسبته إلى الجُبْن. وخرجوا إلى الجَبّانة والجَبّان، وهي الصّحراء. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل صَلْتُ الجَبين. وتجبّن اللّبن وتكبّد: صار كالجُبْن والكبد.

ومن المجاز: فلان شجاع القلب، جبان الوجه أي حييّ. (أساس البلاغة: ٥١)

[ذكر حديث النّبيّ ﷺ المتقدّم عن الأزهريّ وقال:]

معناه: إنّ الولد يُوقع أباه في الجُبْن، خوفًا من أن يُقتل فيضيع ولدُه بعده، وفي البخل إبقاءً على ماله له، وفي الجهل شُغْلًا به عن طلب العلم. (الفائق ١: ١٨٥)

ابن الأثير: في حديث الشّفاعة: «فلمّا كنّا بظَهر الجَبّان» الجَبّان والجَبّانة: الصّحراء، وتسمّى بهما المقابر، لأنّها تكون في الصّحراء، تسمية للشّيء بموضعه. وقد تكرّر في الحديث ذكر الجُبْن والجَبان، هو ضدّ الشّجاعة والشُّجاع. (١: ٢٣٧)

الفَيُّوميّ: جَبُن جُبْنًا وِزان: قَرُب قُرْبًا، وجَبانة بالفتح، وفي لغة من باب «قتل» فهو جَبان، أي ضعيف القلب، وامرأة جَبان أيضًا، وربّما قيل: جَبانة. وجمع المذكّر: جُبَناء، وجمع المؤنّث: جَبانات.

وأجْبَنْتُه: وجدته جَبانًا.

والجُبْن: المأكول، فيه ثلاث لغات، رواها أبوعُبَيْدة عن يونس بن حبيب سماعًا عن العرب، أجودها سكون الباء، والثّانية ضمّها للإتباع، والثّالثة ـ وهي أقلّها ـ التّثقيل. ومنهم من يجعل التّثقيل من ضرورة الشّعر.

والجبين: ناحية الجَبْهَة من مُحاذاة النَّزَعة إلى الصُّدْغ، وهما جبينان عن يمين الجَبْهَة وشمالها، قاله الأزهَريّ وابن فارس وغيرهما، فتكون الجَبْهَة بين جبينين. وجمعه: جُبُن، بضمّتين مثل بَريدٍ وبُرُدٍ، وأجْبِنَة

مثل أسلحة.

والجَـبّانة مثقّل الباء وثبوت الهاء أكثر من حذفها، هي المُصلّى في الصّحراء، وربّما أُطْلقت على المقبرة، لأنّ المصلّى غالبًا تكون في المقبرة. (١: ٩١)

الفيروزاباديّ: الجُبْن: بالضّمّ وبضمّتين وكعُتُلٍّ: معروف، وقد تجبّن اللّبن: صار كالجُبْن.

ورجل جَبان كسحابٍ وشدّادٍ وأمير: هَيوبٌ للأشياء لايُقدم عليها، جمعها: جُبَناء، وهي جَبان وجَبانة وجبين، وقد جَبُنَ ككرُم جَبانةً وجُبْنًا بالضّمّ وبضمّتين.

وأجْبَنه وجَده أو حَسِبه جَبانًا كاجتبنه، وهو يُجَبَّن تجبينًا يُرْمى به.

والجَبينان: حرفان مُكْتنفا الجَبْهة من جانبَيْها، فيما بين الحاجبَيْن مُصعدًا إلى قُصاص الشَّعر، أو حروف الجَبْهة مابين الصُّدْغين متّصلًا بحِذاء النّاصية كلّه جبين، جمعه: أجْبُن و أجْبِنَة وجُبُن بضمّتين.

والجَبّان والجَبّانة مشدّدتين: المقبرة والصّحراء والمَنْبِت الكريم، أو الأرض المُسْتَوية في ارتفاع.

واجتَبَن اللّبَن: اتّخذه جُبْنًا.

وهو جَبان الكلب: نهاية في الكرَم. (٤: ٢١٠)

الطُّرَيحيّ: في الدّعاء: «نعوذ بالله من الجُبْن، لأنّه يمنع الإغلاظ على العُصاة». الجُبْن بالضّمّ فالسّكون: صفة الجَبان.

ومنه حديث عليّ عليه السلام: «لاتُجزي صلاةٌ لايصيب الأنف فيها مايصيب الجَبينَين».

قال بعض الشّارحين: يجوز نصب الأنف والجبينين معًا بالمفعوليّة، ورفعهما بالفاعليّة، ونصب الأوّل ورفع الثّاني، وعكسه. (٦: ٢٢٤)

محمود شيت: الجَبان: ضعيف القلب خَرِقًا، وهي صفة من أرذل صفات العسكريّ.

الجُبْن: اللّبن الجامد الّذي يقدّم طعامًا للعسكريّين. (١: ١٣٥)

العَدْنانيّ: الخُبْز والجُبْن والجُبُنّ والجُبُن.

ويقولون: يأكل الفقراء خُبْزًا وجِبنًا. والصّواب: جُبْنًا أوجُبُنًا أو جُبُنًّا. وتسمّى القطعة من الجُبْن: جُبْنَة.

والجُبُن: جمع الجَبين.

والجُبْن: ضعف القلب من شدّة الخوف، فالرّجل جَبان، أو جبّان، أو جَبين. والمرأة جَبان وجَبانة، والجمع: جَبانات، وهم: جُبَناء.

(معجم الأخطاء الشّائعة: ٥٤)

المُصْطَفَويّ: الأصل الواحد فيها هو مايقابل الشّجاعة، ويُعبّر عنه بالمَهابة في الإقدام والتّقدّم إلى أمر، ويلازم التّأخّر والحذر والاتّقاء.

وبمناسبة هذا المعنى يُطلق على «الجبين» فإنّه وراء الجبهة، والرّجل الشّجاع يقدّم جبهته، فكأنّ الجبين جَبان ومتأخّر عن جبهة البراز، مضافًا إلى أنّ الشّجاعة تتجلّى في الجبهة، كما أنّ الجُبْن يتجلّى في الجبين.

وأمّا الجُبْن: فإنّه مايتأخّر ويتجمّع ويتحصّل من اللّبن، فكأنّه في الجبهة المتأخّرة. ولايبعد أن نقول: إنّ هذه الكلمة بهذا المعنى مأخوذة من العبريّة، فإنّ الأصل فيها هو مايؤكل ويتحصّل من اللّبن.

قاموس عبريّ ـ عربيّ ـ (جِبنّ)= أحدب، أحنى

ظهره، صنع الجُبْن.

(جَبان) = صانع الجُبْن، بايع الجُبْن.

فيكون لفظ «الجُبْن» بمعنى مايؤكل، مأخوذاً من اللّغة العبريّة لامن مادّة «جُبْن» عربيّة، بمعنى مايقابل الشّجاعة. [ثمّ ذكر الآيات] (٢: ٥٠)

النّصوص التّفسيريّة

الجَبِين

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. الصّافّات: ١٠٣

الطّبَريّ: يقول: وصرعه للجبين، الجبينان، ماعن يمين الجبهة، وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما. (٢٣: ٨٠)

نحوه الماوَرْديّ (٥: ٦١)، والطُّوسيّ (٨: ٥١٧)، والواحديّ (٣: ٥٣٠).

الآلوسيّ: الجبين: أحد جانبي الجبهة، وشذّ جمعه على: أجبن، وقياسه في القلّة: أجبنة ككثيب وأكثبة، وفي الكثرة جُبنان وجُبُن ككُثبان وكُثُب، واللّام لبيان ماخرّ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ الإسراء: ١٠٩. وقوله:

وخرّ صريعًا لليدين وللفم

وليست للتّعدية. (٢٣: ١٣٠)

نحوه الطَّباطَبائيّ (١٧: ١٥٢)، وعبد المنعم الجمّال (٤: ٢٦٢٣).

مكارم الشّيرازيّ: قال البعض: إنّ المراد من عبارة ﴿تَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ هو أنّه وضع جبين ولده طبقًا لاقتراحه على الأرض حتّى لاتقع عيناه على وجه ابنه، فتهيّج عنده عاطفة الأبوّة، وتمنعه من تنفيذ الأمر الإلهيّ. (١٤: ٣٣٣)

راجع «ت ل ل».

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُبْن، ضدّ الشّجاعة، يقال: جَبَنَ الرّجل يَجبُنُ جُبْنًا وجُبُنًا، فهو جَبان وهم جُبَناء، وهي جَبان وجَبانة وهنّ جَبانات، وجَبُنَ يَجبُن جَبانةً فهو جَبين. وأجبنه: وجده جَبانًا، أو حسبه إيّاه، وجبّنه تجبينًا: نسبه إلى الجُبْن، وفلانٌ يُجبَّنُ: يُرمى بالجُبْن ويقال له. ويقال: الولد مَجبَنة مَبخَلة، لأنّه يُحبّ البقاء والمال لأجله.

والجَبين مابين القُصاص إلى الحاجبين، وقيل: فوق الصّدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها.

والقول الأوّل أقرب إلى الاستعمال، لأنّه يقال: عَرِق جَبينُه وانبسط، وقطّبَ جَبينَه، فبينه وبين «الجبهة» ترادف. كما أنّه أقرب إلى هذا الأصل أيضًا، لأنّه ينقبض وينكمش عند الخوف، وهي صفة الجبان.

والجُبْن والجُبُن والجُبُنّ: الّذي يؤكل، لأنّ اللّبن يتجمّع ويتضامّ عندما يصير جُبْنًا، يقال: تجبّن اللّبنُ، أي صار كالجُبْن، واجتبن فلانٌ اللّبن: اتّخذه جُبْنًا، ويقال مجازًا: تجبّن الرّجل، أي غَلُظَ.

ومنه الجَبّان والجَبّانة: الصّحراء، وتسمّى بها المقابر أيضًا، لأنّها تكون في الصّحراء، تسمية للشّيء بموضعه. وهو من هذا الباب، لأنّ الصّحراء مظنّة التّيه،

فيتتاب سالكها الخوف، فيهاب التّقدّم لاجتيازها وقطعها، وتنتاب هذه الحالة كذلك من يدخل المقابر ويزورها، فهي قفراء موحشة.

والجَبّان والجَبّانة أيضًا: ماستوى من الأرض في ارتفاع، ويكون كريم المنبت، وهذا المعنى مأخوذ من كرامة الجبين وعلوّه في وجه الإنسان والحيوان.

٢ـ ولانستبعد بتاتًا أن يكون «الجبين» أصلًا برأسه هنا، إذ هو ليس صفة على «فعيل» بمعنى «فاعل» أو «مفعول»، بل اسم صريح، ويدلّ على ذلك عدم اشتقاقه من فعل، أو اشتقاق لفظ منه، وكذا جمعه على: أجبُن وأجبِنَة وجُبُن، فهي صيغ تستعمل للأسماء دون الصّفات غالبًا.

كما ورد هذا المعنى في العبريّة بلفظ «جِبِن»، ومايقاربه في الآراميّة والسّريانيّة بلفظ «جِبينا»، أي الحاجب. وهذا ماحمل بعض المستشرقين على القول بأنّ «الجبين» دخيل في العربيّة، وأنّه دخل هذه اللّغة من الآراميّة والسّريانيّة[1]، وهو ليس بشيء. كما ذهب بعض المسلمين إلى أنّ الجُبُن: الّذي يؤكل، لفظ عبريّ، وهو قول ـ كسابقه ـ لايؤبه به.

الاستعمال القرآنيّ

﴿فَلَمَّا اَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ الصّافّات: ١٠٣

لاحظ «ت ل ل».

---

(١) لاحظ (جبين) من «المفردات الدّخيلة في القرآن الكريم» ـ «آرثر جفري».

ج ب ه

جِباهُهُم

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَبْهة: مُسْتوى مابين الحاجبَين إلى النّاصية.

والأجْبَه: العَريض الجَبْهة. والجَبَهُ: مصدره. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَبَهْتُه: استقبلته بكلام فيه غِلظ.

والجَبْهة: اسم يقع على الخيل لايُفرد.

والجَبْهة: النّجم الّذي يقال له: جَبْهة الأسد.

(٣: ٣٩٥)

الضَّبّيّ: جاءتنا جَبْهة من النّاس، يعنون جماعة.

(ابن السِّكّيت: ٤٠)

الكِسائيّ: جَبَهْنا الماء جَبْهًا، إذا وَرَدْته وليست عليه قامة ولاأداة. (الأزهَريّ ٦: ٦٦)

أبوعُبَيْدَة: في الحديث: «ليس في الجَبْهة ولافي النُّخّة صدقة» الجَبْهة: الخَيْل. (الأزهَريّ ٦: ٦٦)

الأصمَعيّ: الجَبْهة هي موضع السّجود.

(الفَيّوميّ ١: ٩١)

أبوعُبَيْد: «إنّ الله قد أراحكم من الجَبْهة والسَّجّة والبجّة» هذه آلهة كانوا يعبدونها في الجاهليّة.

(الأزهَريّ ٦: ٦٦)

ابن الأعرابيّ: قال بعض العرب: «لكلّ جابهٍ جَوْزة، ثمّ يُوَذَّن»، أي لكلّ من ورد علينا سَقْيه ثمّ مُنع من الماء. (الأزهَريّ ٦: ٦٧)

ابن السِّكّيت: جَبَهه يَجْبَهُه جَبْهًا. (٤٤٢)

وقد جَبَهْته، إذا صككت جَبْهته.

(إصلاح المنطق: ٣٧٠)

وَرَدْنا ماءً له جُبَيْهة، إمّا كان مِلْحًا فلم ينضح مالهم الشّرب، وإمّا كان آجِنًا، وإمّا كان بعيد القَعْر غليظًا سَقْيه، شديدًا أمره. (الأزهَريّ ٦: ٦٦)

ابن أبي اليَمان: الجَبْهة: جَبْهة الإنسان،

والجَبْهة: من منازل القمر، والجَبْهَة: القطعة من الخيل.
(٦٧٠)

ابن دُرَيْد: جَبْهَة الرّجل: معروفة، والجمع: جِباه.

وجَبْهَة القوم: سيّدهم.

ورجل أجْبَه: عريض الجَبْهَة، والأُنثى: جَبهاء.

والجابِه: الّذي يلقاك بوجهه من الطّير والوحش يُتشاءم به، وهو النّاطح أيضًا.

وفي الحديث: «ليس في الجبهة صدقة» يريد الخيل، والله أعلم.

وجَبَهت الرّجل بالكلام، إذا لقيته بما يكرهه، ولايكون إلّا بقبيح. (١: ٢١٥)

الأزهَريّ: أبوسعيد الضّرير: الجَبْهَة: الرّجال الّذين يَسعَون في حمالة أو مَغْرَم أو جَبْر فقير، فلايأتون أحدًا إلّا استحْيا من رَدّهم، فتقول العرب في الرّجل يُعطي في مثل هذه الحقوق: رحم الله فلانًا فقد كان يُعطي في الجَبْهَة.

وتفسير قوله: «ليس في الجَبْهَة صدقة» أنّ المصدِّق إن وجد في أيدي هذه الجَبْهَة إبلًا تجب فيها الصّدقة لم يأخذ منها الصّدقة، لأنّهم جمعوها لمَغْرَم أو حَمالة. سمعت أباعمرو الشّيبانيّ يحكيها عن العرب، وهي الجُمّة والبُرْكة.

قال أبوسعيد: وأمّا قوله: «إنّ الله أراحكم من الجَبْهَة والسَّجّة»، فالجَبْهَة هاهنا: المذلّة، قال: والسَّجّة: السّجاج، وهو المذيق من اللّبن...

وفي النّوادر: اجتبهتُ ماء كذا وكذا اجتباهًا، إذا أنكرته ولم تَستَمْرِئه. (٦: ٦٦)

الصّاحِب: [نحو الخليل والكِسائيّ وأضاف:]

وجَبَهنا الماء جَبْهًا: وَرَدْناه وليس عليه قامة ولاأداة.

والاجتباه: الاستجفاء، والخوف أيضًا.

والتّجبيه: أن يُحمَل الزّانيان على حمار يُقابَل بين أقفائهما.

وجاءنا جَبْهَة من النّاس، أي جماعة، وقيل: سيّدهم. وكذلك الجماعة من الخَيْل، ومنه الحديث: «ليس في الجَبْهَة صَدَقة». وهي المذلّة أيضًا.

والجابِه: ضدّ القعيد من الظِّباء.

واجتَبهتُ البلَد والإنسان: كَرِهته واستَوْهَلته.
(٣: ٣٨٤)

الجَوهَريّ: الجَبْهَة للإنسان وغيره. ورجلٌ أجْبَه بيِّن الجَبَه، أي عظيم الجَبْهَة، وامرأة جَبْهاء، وبتصغيره سُمّي جُبَيْهاء الأشجعيّ.

والجَبْهَة: جَبْهَة الأسد، وهي أربعة أنجم ينزلها القمر.

والجَبْهَة من النّاس: الجماعة.

وجَبَهْته: صَككت جَبْهَته.

وجَبَهْته بالمكروه، إذا استقبلته به.

وجَبَهنا الماء جَبْهًا: وَرَدْناه وليست عليه أداة الاستقاء. (٦: ٢٢٢٩)

ابن فارِس: الجيم والباء والهاء كلمة واحدة، ثمّ يُشبَّه بها، فالجَبْهَة: الخيل، والجَبْهَة من النّاس: الجماعة. والجَبْهَة: كوكبٌ، يقال: هو جَبْهَة الأسد.

ومن الباب قولهم: جَبَهنا الماء، إذا وَرَدْناه وليست عليه قامة ولاأداة. وهذا من الباب لأنّهم قابلوه وليس

بينهم وبينه مايستعينون به على السّقي.

والعرب تقول: «لكلّ جابهٍ جَوْزَة، ثمّ يؤذّن».

فالجابه ماذكرناه، والجَوْزَة: قدر مايَشْرب ثمّ، ويجوز.

(١: ٥٠٢)

ابن سيده: الجَبْهَة: موضع السّجود، وقيل: هي مُستوى مابين الحاجبَين إلى النّاصية. ووجدتُ بخطّ عليّ ابن حمزة في المُصنّف: «فإذا انحسر الشّعر عن حاجبيَ جَبْهَتَيه» ولاأدري كيف هذا إلّا أن يريد الجانبين.

وجَبْهَة الفرس: ماتحت أُذُنيه وفوق عينَيه، وجمعها: جباه.

ورجل أجْبَه: واسع الجَبْهَة حَسَنُها، والاسم: الجبَه. وقيل: الجبَه: شُخُوص الجَبْهَة.

وفرس أجبَه: شاخص الجَبْهَة، مرتفعها عن قصبَة الأنف.

وجَبَهَه جَبْهًا: صَكَّ جَبْهَتَه.

والجابه: الّذي يلقاك بوَجْهِه أو بجَبْهتِهِ من الطّير والوَحْش، وهو يُتشاءم به، واستعار بعض الأغفال الجَبْهَة للقمَر. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَبْهَة القوم: سيّدهم، على المثل.

وجاءتنا جَبْهَة من النّاس، أي جماعة.

وجَبَه الرّجل يَجْبَهُه جَبْهًا: ردّه عن حاجته، واستقبله بما يكره. والجَبْهَة: صنمٌ كان يُعبد من دون الله تعالى.

ورجل جُبَّأ، كجُبّأ: جبانٌ... (٤: ١٧٥)

والأجْبَه: الواسع الجبهة الحسنها، أو الضّخم الجبهة المتأخّر منابت الشّعر، والأُنثى: جَبْهاء، والجمع: جُبْه. وقد جَبِه كفرح، والجُباهيّ: العظيم الجَبْهَة.

(الإفصاح ١: ٢٢)

جَبَهه بالكلام يَجْبَهُه جَبْهًا: لقيه بما يكره، والتّجبيه: أن يُحمَّر وجوه الزّانيين ويُحملا على بعير أو حمار، ويخالف بين وجوههما. (الإفصاح ١: ١٩٢)

الرّاغِب: الجَبْهَة: موضع السّجود من الرّأس، قال الله تعالى: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾ التّوبة: ٣٥، والنّجم يقال له: جَبْهَةٌ تَصوّرًا أنّه كالجَبْهَة للمسمّى بالأسد، ويقال لأعيان النّاس: جَبْهَة، وتسميتهم بذلك كتسميتهم بالوجوه. (٨٧)

الزّمَخْشَريّ: جَبْهَة ذات بهجةٍ. ورجل أجْبَه: عريض الجَبْهَة. وجبهتُه: ضربتَ جَبْهَته.

ومن المجاز: هو جَبْهَة قومه، كما يقال: وجههم، وجاءني جَبْهَة بني فلان: لسَرَواتهم، وجاءت جَبْهَة الخيل: لخيارها. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَبَهه: لقيه بما يكره. ولقيت منه جبهة، أي مذلّة وأذى، وجبهنا الماء: وَرَدْناه ولاآلة سَقْيٍ، فلم يكن منّا إلّا النّظر إلى وجه الماء، ومنه جَبَهنا الشّتاء: جاءنا ولم نتهيّأ له. (أساس البلاغة: ٥١)

«أخرِجوا صدقاتكم، فإنّ الله تعالى قد أراحكم من الجَبْهَة والسّجّة والبَجّة» الجَبْهَة: المذلّة، من جَبَهه، إذا استقبله بالأذى. (الفائق ١: ١٨٤)

المَدينيّ: في الحديث: «أنّه سأل اليهود عن حدّ الزّاني عندهم، فقالوا: التّجْبِيَة. فقال: وماالتّجْبِيَة؟ قالوا: أن تُحَمَّم وجوه الزّانيَيْن، ويُحملا على بعير، ويُخالَف بين وجوههما».

أصل التَّجْبِيَة: أن يُحمَل اثنان على دابّة، ويُجعَل قَفَا أحدهما إلى قفا الآخر، كذا ذكروه.

والقياس: أن يُقابَل بين وجوههما، لأنّه مأخوذ من الجَبْهَة.

وذكر صاحب «التتمّة» أنّه يُشبِه أن يكون أصله الهَمز، وأنّه التَّجبئَة، وهي الرّدع والزّجر. يقال: جَبأتُه فجبأ، أي رَدَعْتُه فارتدع. والتّجْبِيَة أيضًا: أن يُنكّس رأسه، فيُحتَمل أنّ من فُعِل به ذلك نكّسَ رأسه استحياء، فسُمّي ذلك الفِعل تَجْبِيَة.

ويُحتمل أن يكون تجبيهًا من الجَبْه، وهو الاستقبال بالمكروه، وأصله: إصابة الجَبْهَة. يقال: جَبَهْتُهُ، إذا أصَبتَ جَبْهَتَه، كما يقال: رأستُه. (١: ٢٩٤)

ابن الأثير: في حديث الزّكاة: «ليس في الجَبْهَة صدَقَة» الجَبْهَة: الخَيْل. وقال أبوسعيد الضّرير قولاً فيه بُعْدٌ وتعسُّف. (١: ٢٣٧)

الفَيُّوميّ: الجَبْهَة من الإنسان، تُجمع على: جِباهٍ، مثل كَلْبَةٍ وكِلاب.

وجَبَهْته أجْبَهه بفتحتين: أصبتُ جَبْهَته، والجَبْهَة أيضًا: الجماعة من النّاس، والخَيْل. (١: ٩١)

الفيروزاباديّ: الجَبْهَة: موضع السّجود من الوجه، أو مُستوى مابين الحاجبين إلى النّاصية، وسيّد القوم، ومنزل للقمر، والخَيْل، ولا واحد لها، وسَرَوات القوم، أو الرّجال السّاعون في حَمالة ومَغرَم، فلايأتون أحدًا إلّا استحْيا من ردّهم، والمذلّة، واسمُ صَنَمٍ، والقَمَر.

والأَجْبَه: الأسد، والواسع الجَبْهَة الحَسَنها أو الشّاخصها، وهي جَبْهاء، والاسم: الجَبَه محرّكة.

وجَبَهَه كمَنَعه: ضرب جَبْهَته وردّه، أو لقيه بما يكره، والماء: ورده ولا آلة سَقْيٍ، فلم يكن منه إلّا النّظر إلى وجه الماء، والشّتاء القوم: جاءهم ولم يَتَهيّؤوا له.

والجابِه: الّذي يلقاك بوجهه أو جَبْهَته من طائرٍ أو وَحْشٍ ويُتَشاءم به.

والجُبَّه كسُكَّر: الجُبّاء.

واجْتَبَه الماء وغيره: أنكره ولم يَسْتَمْرِئه.

والتَّجْبِيَة: أن يُحَمّر وجوه الزّانيين ويُحمَلا على بعير أو حمار، ويخالَفَ بين وجوههما، وكان القياس أن يُقابَل بين وجوههما، لأنّه من الجَبْهَة.

والتّجْبِيَة أيضًا: أن يُنكّس رأسه. ويحتمل أن يكون من هذا، لأنّ من فُعِل به ذلك يُنكّس رأسه خَجَلًا، أو من جَبَهه: أصابه بمكروه. (٤: ٢٨٤)

الجزائريّ: الجَبْهَة: مسجد الرّجل الّذي يصيبه ندب السّجود. والجبينان: يكتنفانها من كلّ جانب جبين. (٧٨)

محمود شيت: الجَبْهَة: هي عدّة مناطق حركات داخلة في حدود جغرافيّة معيّنة. ومنطقة الحركات: هي قسم من ساحة الحركات.وساحة الحركات: هي السّاحة الّتي يتمكّن أحد الخصمين من القتال فيها، وهي قسم من ساحة الحرب. وساحة الحرب: هي جميع البلاد الّتي يحتمل أن يقاتل فيها الفريقان المتخاصمان في البرّ والبحر.

في الفتح الإسلاميّ مثلًا، كانت ساحة الحرب في أيّام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، هي البلاد الّتي يقاتل

فيها الجيش الإسلاميّ في العراق وفي أرض الشّام وفي بلاد فارس وفي مصر ...

وكانت ساحة الحرب، فيها عدّة ساحات حركات: ساحة حركات العراق، وساحة حركات أرض الشّام، وساحة حركات بلاد فارس، وساحة حركات مصر ...

وكان في ساحة حركات العراق مثلًا عدّة جبهات: جبهة حركات محور ديالى، وجبهة حركات محور دجلة، وجبهة حركات محور الفرات ...إلخ.

وكان في كلّ جبهة من هذه الجبهات مناطق حركات، فمثلًا ساحة حركات دجلة حتّى الموصل شمالًا، كان هناك منطقة حركات تكريت، ومنطقة حركات الموصل. (١: ١٣٦)

العَدْنانيّ: جَبْهَة وجَبين

ويُخطئون عندما يظنّون أنّ الجَبْهَة والجَبين اسمان لُمسمّى واحد. فـ«الجَبْهَة» هي: مُستوى مابين الحاجبين إلى مقدّم شعر الرّأس. بينما «الجَبين» هو ناحية فوق الصُّدْغ، وهما «جَبينان» عن يمين الجَبْهَة وشمالها.

ويُجمَع الجَبين على: أجْبُن وأجْبِنَة وجُبُن.

أمّا جمع جَبْهَة فهو جِباهٌ وجَبهاتٌ.

جاء في الآية (١٠٣) من سورة الصّافّات ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ تَلَّهُ: صَرَعَه على وجهه.

وجاء في الآية (٣٥) من سورة التّوبة ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾.

جَبَهْتُ عَدُوّي

ويقولون: جابَهْتُ عدوّي، أي: استقبلتُه بكلام فيه غِلْظَة ـ الغَيْن مُثلّثة ـ وأصبتُه بما يكره.

والصّواب: جَبَهْتُ عدوّي، أي لَقِيتُه بمكروه، وهو مجاز.

وقال ابن سيده في «المحكم»: جَبَهْتُه، إذا استقبلتُه بكلام فيه غِلْظَة. وجَبَهْتُه بالمكروه، إذا استقبلتُه به.

أُقابِل الخاطِر وَجْهًا لِوَجْه

(لا) أُجابِهُها

ويقولون: أُجابِه الخاطر وجهًا لِوَجْه. والصّواب: أُقابِل الخاطِر وجهًا لِوَجْهٍ. فيستعملون «جابَهَ» قياسًا على عايَنَ وواجَهَ وشافَهَ. وهذا لم يُسمَع عن العرب. فلو صحّ أنّ المعنى المقصود بالُجابهة هو المُقابَلَة جَبْهَةً لِجَبْهَة، لكان ذِكْرُنا وجهًا لِوَجْهٍ حَشْوًا سخيفًا. فكيف به، وهو لايصحّ؟! (معجم الأخطاء الشّائعة: ٥٤)

المُصْطَفَويّ: ظهر أنّ الأصل الواحد فيها: هو موضع السّجود من الرّأس، وقلنا في الجُبن: أنّ ظهور الشّجاعة وتجلّي التّشخّص يكون في الجبهة، وبهذا الاعتبار يُطلق على من كان موجّهًا ومقدّمًا من الأفراد أو من الجماعة، ويُطلق أيضًا على الخيل مطلقًا، أو إذا كان في مقدّم الجماعة. وأمّا قولهم: جَبَهت وأمثاله، فمن الاشتقاق الانتزاعيّ. (٢: ٥٢)

النُّصوص التّفسيريّة

جِباهُهُمْ

يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ. التّوبة: ٣٥

الطُّوسيّ : (جِباهُهُمْ) جمع جبهة ، وهي صفحة أعلى الوجه فوق الحاجبين. وجَبَهَه بالمكروه يَجْبَهُه جَبْهًا ، إذا استقبله به. (٥ : ٢٤٨)

المَيْبُديّ : خصّ المواضع الثّلاث من البدن ، وهي الجبهة والجنب والظّهر بالكيّ ، لأنّ البخيل إذا سأله السّائل زوى جبهته ثمّ أعرض عنه ثمّ ولّيه ظهره. (٤ : ١٣٣)

ابن عَطيّة : قرأ قوم (جِباهُّمْ) بالإدغام ، وأشمّوها الضّمّ. (٣ : ٢٩)

أبوحَيّان : خصّت هذه المواضع بالكيّ. قيل : لأنّه في الجبهة أشنع وفي الجنب والظّهر أوجع. وقيل : لأنّها مجوّفة فيصل إلى أجوافها الحرّ ، بخلاف اليد والرّجل. (٥ : ٣٧)

أبوالسُّعود: لأنّ جمعهم لها وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتّنعّم بالمطاعم الشّهيّة والملابس البهيّة ، أو لأنّهم ازورّوا عن السّائل وأعرضوا عنه وولّوه ظهورهم ، أو لأنّها أشرف الأعضاء الظّاهرة فإنّها المشتملة على الأعضاء الرّئيسة الّتي هي الدّماغ والقلب والكبد ، أو لأنّها أُصول الجهات الّتي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه. (٣ : ١٤٤)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣ : ٤١٨)

الكاشانيّ: إنّ الجباه كناية عن مقاديم البدن. (٢ : ٣٤٠)

الآلوسيّ : [نحو ماتقدّم عن أبي السُّعود وأضاف:]

ويبق عليه نكتة الاقتصار على هذه الأربع من بين الجهات السّتّ ، وتكلّف لها بعضهم بأنّ الكانز وقت الكنز لحذره من أن يطّلع عليه أحد يلتفت يمينًا وشمالًا وأمامًا ووَراءً ، ولايكاد ينظر إلى فوق أو يتخيّل أنّ أحدًا يطّلع عليه من تحت ، فلمّا كانت تلك الجهات الأربع مَطمَح نظره ومظنّة حذره دون الجهتين الأُخريين اقتصر عليها دونها ، وهو مع ابتنائه على اعتبار الدّفن في الكنز في حيّز المنع ، كما لايخفى.

وقيل : إنّما خُصّت هذه المواضع ، لأنّ داخلها جوف بخلاف اليد والرّجل ، وفيه أنّ البطن كذلك ، وفي جمعه مع الظّاهر لطافة أيضًا.

وقيل : لأنّ الجبهة محلّ الوسم لظهورها ، والجنب محلّ الألم ، والظّهر محلّ الحدود ، لأنّ الدّاعي للكانز على الكنز وعدم الإنفاق خوف الفقر الّذي هو الموت الأحمر ، حيث إنّه سبب للكدّ وعرق الجبين والاضطراب يمينًا وشمالًا ، وعدم استقرار الجنب لتحصيل المعاش مع خلوّ المتّصف به عمّا يستند إليه ويُعوّل في المهمّات عليه ، فلملاحظة الأمن من الكدّ وعرق الجبين تُكوى جبهتُه ، ولملاحظة الأمن من الاضطراب والطّمع في استقرار الجنب يكوى جنبه ، ولملاحظة استناد الظّهر والاتّكال على مايُزعَم أنّه الرّكن الأقوى والوزر الأوق يُكوى ظهره ، وقيل : غير ذلك ، وهي أقوال يُشبه بعضها بعضًا ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. (١٠ : ٨٨)

الطَّباطَبائيّ : ولعلّ تخصيص الجباه والجنوب والظّهور ، لأنّهم خضعوا لها ، وهو السّجدة الّتي تكون بالجباه ، ولاذوا إليها واللّواذ بالجنوب ، واتّكؤوا عليها والاتّكاء بالظّهور ، وقيل:غير ذلك ، والله أعلم. (٩ : ٢٥٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الجَبْهة ، وهي مستوى

مابين الحاجبين إلى النّاصية، والجمع جِباه، يقال: جَبَهَهُ يَجْبَهُهُ جَبْهًا، أي صكّ جَبْهَتَه. والجَبَه: شخوص الجبهة، والأجبه: العريض الجبهة، يقال: رجل أجبهُ بيّن الجَبَه، أي واسع الجبهة حسنها، وامرأة جَبهاء: عريضة الجبهة. وفرس أجبَه: شاخص الجبهة مرتفعها عن قصبة الأنف، وجبهة الفرس: ماتحت أُذنيه وفوق عينيه.

والجابه: الّذي يلقاك بوجهه أو بجبهته من الطّير والوحش، وهو يتشاءم منه.

والجبهة: سيّد القوم، والجماعة من أعيان النّاس، يقال: جاءتنا جبهة من النّاس. وهي أيضًا الرّجال الّذين يسعون في حَمالة أو مَغرم أو جَبْر فقير، لايكاد أحد يردّهم، وتقول العرب في الرّجل الّذي يُعطي في مثل هذه الحقوق: رحم الله فلانًا، فقد كان يُعطي في الجبهة.

والجبهة: النّجم الّذي يقال له: جبهة الأسد، وهي أربعة أنجم ينزلها القمر.

ومنه قولهم: جَبَهَ الرّجل يَجْبَهُهُ جَبْهًا، أي ردّه عن حاجته واستقبله بما يكره، وجَبَهَ فلانًا: استقبله بكلام فيه غلظة، وهو من: جَبَهَه جَبْهًا، أي صكّ جبهته.

ويقال أيضًا: اجتبهتُ ماءَ كذا اجتباهًا، أي أنكرتُه ولم استمرئه، وورد ماءً له جبيهة، أي بعيد القعر، غليظ سقيه، شديد أمره، وجَبَهَ الماءَ جَبْهًا، أي ورده وليست عليه قامة ولاأداة للاستسقاء.

٢ـ وليس منه: رجل جُبَّهٌ، أي جبان، لأنّه مبدل من الهمز، نظير أرقتُ الماءَ وهَرقتُه، وأصله جُبَّأ؛ يقال: جَبَأتُ عن الأمر، أي هِبتُه وارتدعتُ عنه.

وكذلك التّجبية، فأصله «التّجبئة»، وهو أن يحمل رجل على دابّة فينكّس رأسه، أو يحمل رجلان عليها، ويجعل قفا أحدهما إلى قفا الآخر، وهذا لاينقاس على الأصل، فاحتمل بعضهم له وجوهًا.

وقد تنبّه لذلك المدينيّ، فقال: «والقياس أن يُقابل بين وجوههما، لأنّه مأخوذ من الجبهة. وذكر صاحب (التّتمّة) أنّه يشبه أن يكون أصله الهمز، وأنّه (التّجبئة)، وهي الرّدع والزّجر، يقال: جَبَأتُه فجَبأ، أي رَدَعتُه فارتدع. والتّجبية أيضًا: أن ينكّس رأسه، فيحتمل أنّ من فُعِل به ذلك نكّس رأسه استحياء، فسمّي ذلك الفعل تجبئة».

الاستعمال القرآنيّ

جاءت الجبهة مرّة واحدة، في سورة مدنيّة: وقد مضت.

يلاحظ أوّلًا: قال الكاشانيّ: إنّ «الجباه» كناية عن مقاديم البدن، ولاشاهد له، بل إردافها بـ«الجنوب والظّهور» كالتّصريح بأنّ المراد بها معناها المشهور، وهو أعلى الوجه فوق الحاجبين إلى قصاص الشّعر، وهو أوفق بكونها علامة، كما سيأتي.

ثانيًا: ذكروا لاختصاص المواضع الثّلاثة بالكيّ وجوهًا:

١ـ أنّ البخيل إذا سأله السّائل توى عنه جبهته، ثمّ أعرض عنه بجنبه، ثمّ ولّاه ظهره، فتكوى بها هذه الأعضاء عقوبة لما صدر عنها.

٢ـ أنّ الكيّ في الجبهة شنيعٌ إذ يراه كلّ من نظر إليه، وفي الجنب والظّهر أوجع، لأنّهما مجوّفتان فيصل الحرّ إلى الجوف، بخلاف اليد والرّجل والجبهة.

٣ـ أنّ الّذي يكنز الذّهب والفضّة والأموال

ولاينفقها في سبيل الله إنّما يطلب بها الوجاهة والتّنعّم بالغنى، وبالمطاعم الشّهيّة والملابس البهيّة، فتكوى جباههم لإزالة الوجاهة، وجنوبهم وظهورهم لإزالة أثر تلك المطاعم والملابس.

٤ـ أنّها أشرف الأعضاء المشتملة على الأعضاء الرّئيسيّة الّتي هي الدّماغ والقلب والكبد، ولأنّها أُصول الجهات الأربع الّتي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه.

٥ ـ أنّ الّذي يكنزها لحذره من أن يطّلع عليه أحدٌ يلتفت يمينًا وشمالًا، وأمامًا ووراءً.

ولايكاد ينظر إلى فوق، أو يتخيّل أنّ أحدًا يطّلع عليه من تحت. فلمّا كانت تلك الجهات الأربع مطمح نظره ومظنّة حذره، دون الجهتين الآخرتين من الجهات السّتّ اقتصر عليها دونهما.

٦ـ إنّ الجبهة موضع الوسم لظهورها، والجنب موضع الألم، والظّهر موضع الحدود.

٧ـ إنّ إمساكه عن إنفاقها نشأ عن خوفه الفقر الّذي هو الموت الأحمر، لأنّه سبب الكدّ وعرق الجبين، والاضطراب يمينًا وشمالًا، وعدم استقرار الجنب لتحصيل المعاش، مع خلوّه عمّا يستند إليه ظهره، ويعوّل عليه في المُلمّات، فتكوى بها جزاء لما يخافه من الكدّ والاضطراب، وعدم الاعتماد في هذه الأعضاء.

٨ ـ لأنّهم خضعوا لتلك الأموال بالجباه، لاذوا إليها بالجنوب، واتّكؤوا عليها بالظّهور.

٩ـ وهذه الوجوه متقاربة لايخلو شيءٌ منها من لطف، كما لايخلو من ضعف. ويخطر بالبال وجه آخر: وهو أنّ الكيّ في هذه الأعضاء للّذين يكنزون الذّهب والفضّة كالعلامة لهؤلاء في جهنّم من بين أهلها، كما أنّ اللّون الأحمر على ظهر الماشية ورأسها وعقبها علامة لصاحبها، وقد جاء في الرّوايات علامات لكلّ طائفة من أهل النّار. فالكيّ عذابٌ وعلامةٌ لهم معًا، وبذلك جمع الله لهم بين العذاب الجسمانيّ والروحانيّ.

ثالثًا: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ في الآية عطف على صدر الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ...﴾ التّوبة: ٣٤.

ولعلّها بيان وعلّة لها بمنزلة الكُبرى للصُّغرى، أي إنّ هؤلاء الأحبار والرّهبان من أظهر مصاديق الّذين يكنزون الذّهب والفضّة، وهم باعتبار منصبهم الّذي يحاكي الزّهد والإعراض عن الدّنيا يُخفون الأموال الّتي اكتسبوها بالباطل، ويكنزونها ذهبًا وفضّةً لئلّا يطّلع عليها أتباعهم، فينكشف سرّهم، ويظهر خبث باطنهم، ويَعرف أهل ملّتهم دَغَلهم وحِيَلهم، فشخّصهم الله بهذه العلامات من بين أهل النّار، وقد وبّخهم تهكّمًا في ذيل الآيتين بـ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الانشقاق: ٢٤، و﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التّوبة: ٣٥، وبذلك جمع لهم بين الألم الجسمانيّ والألم الرّوحيّ مرّة أُخرى.

رابعًا: يبدو أنّ اختصاص هؤلاء بلفظ «الجباه» مرّة واحدة، في سورة مدنيّة ـ والمدينة موطن اليهود، وقد خصّ الله حوالي مئة من آيات سورة البقرة بهم ـ يكاد يكون إفشاءً لسرّهم للمؤمنين ولأهل ملّتهم معًا، ليجتنبوا دسائسهم، لاحظ «ح ب ر»، و«ر هـ ب».

ج ب ي

٩ ألفاظ، ١٢ مرّة: ٨ مكّيّة، ٤ مدنيّة

في ١٢ سورة: ١٠ مكّيّة، ٢ مدنيّة

يُجْبَى ١: ١
اجتباه ٣: ٢ ـ ١
اجتباكم ١: ـ ١
اجتبيتَها ١: ـ ١
الجواب ١: ١

اجتبينا ١: ـ ١
اجتبيناهم ١: ١
يجتبي ٢: ١ ـ ١
يجتبيك ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخـليل: جـبَيْتُ الخَـراج جِبايةً، أي جمعته وحصّلته. وجَبَى المستقي الماء في الحَوْض جَبْيًا وجَبًى.

[ثمّ استشهد بشعر]

والجَبَى: مُحْفَر البئر. والجَبَى: نثيلة البئر، وهي ترابها الّذي حولها، تراها من بعيد، تقول: أرى جَبَى بئر وجَبَى حَوْض.

والجابية: حَوْض ضَخْم واسعٌ، تشرب منه الإبل في مركُوٌ من الأرض.

والتَّجْبِيَة: ركوع كركوع المصلّي. والتَّجْبِيَة: أن يُجبّيَ الرّجل على وجهه باركًا.

واجتَبَى الرّجل الرّجلَ، إذا قرّبه. قال الله تـعالى: ﴿فَاجْتَبَيهُ رَبُّهُ﴾ القلم: ٥٠، أي: قرّبهُ. (٦: ١٩٢)

الأخفَش الأكبر: الإجباء: بيع الحرث قبل صلاحه. (الأزهَريّ ١١: ٢١٤)

الكِسائيّ: يقال منه: جبَيْتُ الماء في الحوض أجبيه جَبًى، مقصور. (الأزهَريّ ١١: ٢١٤)

جَبَيْتُ الماء في الحوض وجَبَوْته، أي جَمَعْتُه. (الجوهَريّ ٦: ٢٢٩٧)

أبوزَيْد: الجابية: الحوض. (٦٣)

الأصمَعيّ: الجبا، مقصور: ماحول البئر والجِبا بكسر الجيم: ماجَمَعت في الحوض من الماء، ويقال له أيضًا: جُبْوَة وجِباوة. (الأزهَريّ ١١: ٢١٤)

نحوه القاليّ. (٢: ٢٤٨)

ابن الأعرابيّ: العرب تقول: «إذا جاءت السّنة جاء معها الجابي والحابي» فالجابي: الجراد، والحابي: الذّئب، ولم يهمزهما. (الأزهَريّ ١١: ٢١٤)

الجَبَى: أن يتقدّم السّاقي للإبل قبل ورودها بيوم فيُجبيَ لها الماء في الحوض، ثمّ يوردها من الغد. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن سيده ٧: ٥١١)

أبوعُبَيْد: الإجباء: بَيْع الحرث قبل أن يَبْدُوَ صلاحه، وقيل: «مَنْ أجْبَى فقد أربى» أي من عيّن فقد أربى. (الأزهَريّ ١١: ٢١٥)

في حديث ابن مسعود في ذكر القيامة حين يُنفَخ في الصّور، قال: «فيقومون فيُجَبُّون تجبية رجلٍ واحدٍ قيامًا لربّ العالمين».

التّجبية تكون في حالين: أحدهما: أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، والآخر: أن ينكبّ على وجهه باركًا، وهو السّجود. (الجَوهَريّ ٦: ٢٢٩٨)

ابن السِّكّيت: المِقراة: الحوض العظيم يُقْرَى فيه الماء، أي يُجمَع، وهي الجابية. يقال: قَرَيتُ الماء، أي جمعته وجبيته أيضًا مثله، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ سبأ: ١٣. (الأضداد: ١٧٣)

شَمِر: جَبَيْتُ أجبي جَبْيًا، وجَبَوْتُ أجبُو جَبْوًا وجِبايةً وجِباوَة. والجابي: الجَراد. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ٢١٤)

الدّينوريّ: الجبايا: الرّكايا الّتي تُحفَر وتُنصَب فيها قضبان الكرم. (ابن سيده ٧: ٥١١)

ابن أبي اليمان: والاجتباء: الاختيار، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَاجْتَبَيهُ رَبُّهُ﴾ القلم: ٥٠. (٤٩)

المُبرِّد: سمعت أعرابيّة تُنشدُ:

نَفى الذّمّ عن رهط المحلّق جَفْنَةٌ

كجابية الشّيخ العراقيّ تفهَق

«جابية السَّيْح» تريد النّهر الّذي يجري على جابيته، فماؤها لاينقطع لأنّ النّهر يمدّه. (١: ٤)

ابن دُرَيْد: جَبَى الخَراج يجبيه ويجباه جَبْيًا وجِبايةً.

والجَبَى: الحوض الّذي يُجبَى فيه الماء، أي يجمع، والماء الّذي يُجبى فيه الجِبَى. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَبَى: ماحول البئر، لغة يمانيّة، ويجمع: أجباء، والجباء: الماء الّذي يجتمع بعينه. والجابية: الحوض العظيم. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ١٩٩)

نِفْطَوَيه: الجَوابي: جمع الجابية، وهي حفيرة كالحوض ونحوه. (الهَرَويّ ١: ٣١٦)

ابن الأنباريّ: [الجِبَى] هو جمع جُبْيَة. والجَبَى: ماحول الحوض يكتب بالياء. والجَبا: موضع. (الأزهَريّ ١١: ٢١٤)

القاليّ: الجابية: الحوض الّذي يُجْبَى فيه الماء، أي يُجمَع، وجمعها: جوابٍ، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ سبأ: ١٣. (٢: ٣٠٠)

الأزهَريّ: [بعد نقل كلام الأصمَعيّ قال:]

الجَبَى: ماجُمِع في الحوض من الماء الّذي يُستَقى من البئر.

جِباية الخَراج: جَمْعُه وتحصيله، مأخوذة منه. (١١: ٢١٤، ٢١٥)

الصّاحِب: جَبَى الخَراج يَجْبي جِباية وجِبْيَة، ويَجْبُو

جِباوَةً ويَجباه.

وجَبَى المُسْتَقِي يجبي جَبْيًا في الحوض، ويَجبُو جَبْوًا وجَبْيًا وجباوَةً وجِبْيَةً.

والجَبَى: مَحْفَر البئر تراه من بعيد، والجميع: الأجباء.

والجابية: حوض ضَخْم واسع، تشرب منه الإبل.

والجَباة ـ غير مهموز ـ من الأرض: ماتطامَن منها، والجميع: جَبًى. وجَبَّى يُجَبِّي، إذا ركع. والتَّجبية: أن تضع يدَيك على رُكبتيك وأنت قائم، وأن يُجَبِّيَ باركًا على وجهه.

والمُجَبِّي: المُلِحّ في الجَرْي المُسرِع.

ولُعْبَة للعرب تسمّى: جَبَى جُعَل. وجُعَل: اسم رجل. (٧: ١٩٨)

الجَوهَريّ: الجَبَا بالفتح، مقصور: نثيلة البئر، وهي ترابها الّذي حولها تراه من بعيد، ومنه: امرأة جَبأى على «فَعْلَى» مثال وَحْمَى، إذا كانت قائمة الثَّديين.

والجِبَى بالكسر، مقصورًا: الماء المجموع في الحوض للإبل، وكذلك الجِبْوَة والجِباوَة.

والجابية: الحوض الّذي يُجبَى فيه الماء للإبل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع: الجوابي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ سبأ: ١٣.

والجابية: مدينة بالشّام.

وجبَيْت الخَراج جباية وجَبَوْتُه جِباوَةً، ولايهمز، وأصله الهمز.

والإجباء: بيع الزّرع قبل أن يبدوَ صلاحه، وفي الحديث: «مَن أجبَى فقد أرْبَى» وأصله الهمز.

والتَّجبية: أن يقوم الإنسان قيام الرّاكع. (٦: ٢٢٩٧)

ابن فارِس: الجيم والباء ومابعده من المعتلّ أصل واحد، يدلّ على جمع الشّيء والتّجمّع، يقال: جبَيْتُ المال أجبيه جِبايةً، وجَبَيْتُ الماء في الحوض. والحوض نفسه: جابية. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَبا، مقصور: ماحول البئر. والجِبا بكسر الجيم: ماجُمع من الماء في الحوض أو غيره، ويقال له: جِبْوَة وَجِباوة. (١: ٥٠٣)

الهَرَويّ: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ أي اخترناهم، مأخوذ من: جبَيْتُ الماء في الحوض، إذا جمعته. ويقال: جبَيْتُ المال، إذا حصّلتَه لنفسك.

يقال: والجَبا: مفتوح الجيم: ماحول البئر، ومنه الحديث: «قعد رسول الله ﷺ على جَباها، فسقينا واستقينا».

والجِبا، بالكسر: ماجمعتَ فيه من الماء.

وفي حديث سعد: «نَبَطِيٌّ في جِبْوَته»

ويقال: جبَيْتُ الخَراج وجَبَوْته، وهو حَسَن الجِبْيَة والجِبْوَة. [ثمّ نقل قول أبي عُبَيْد في معنى التّجبية وأضاف:]

وقد حمله بعض النّاس على قوله: «فيخِرّون سجوداً لربّ العالمين» فجعل السّجود هو التَّجْبِيَة. (١: ٣١٦)

الشّريف المرتضى: الإجباء في اللّغة العربيّة: هو أن يُباع الزّرع قبل أن يَبْدُو صلاحه، يقال: أجبى الرّجل يجبي إجباءً، إذا فعل ذلك.

فمعنى ماروي عنه ﷺ «مَن أجبى فقد أرْبى» أنّ من باع الزّرع قبل أن يَبْدو صلاحه ـ وقد نهي عن ذلك

وحظر عليه ـ يجري مجرى من أرْبى، لأنّه فاعل لمعصية محظورة عليه، وإن لم يكن بيع مالم يَبْدُ صلاحه ربًا في الحقيقة ولامعناه، غير أنّه جار مجراه في الحظر والمعصية، وجار مجرى قول القائل: «مَن زنى فقد سرق» أي هو عاصٍ مخالف لله تعالى، كما أنّ ذاك بهذه الحال.

(٢: ٣٩٨)

ابن سيده: جبَيتُ الخَراج جِباية، وجِباوة، الأخير نادر.

وجبيته من القوم، وجبيته القومَ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجبَى الماء في الحوض جَبْيًا، وجَبًى، وجِبًى: جمَعه.

وحكى سيبويه: جَبَى يَجْبَى، وهي عنده ضعيفة.

والجَبَى: مَحفِر البئر.

والجَبَى: شفة البئر، عن أبي ليلى.

والجابية: الحوض الضّخم. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَبّى الرّجل: وضع يديه على ركبتيه في الصّلاة أو على الأرض، وهو أيضًا انكبابه على وجهه. [ثمّ استشهد بشعر]

واجتَبَى الشّيء: اختاره، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ الأعراف: ٢٠٣، معناه عند ثعلب: جئت بها من نفسك.

والإجباء: بيع الزّرع قبل أن يَبْدُو صلاحه.

والجابية: جماعة القوم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجابي: الجراد الّذي يَجْبي كلّ شيء. [ثمّ استشهد بشعر]

وباب الجابية: بدمشق.

وإنّما قضينا أنّ هذا كلّه من الياء لظهور الياء، ولأنّها لام، واللّام ياءً أكثر منها واوًا. (٧: ٥١١)

الرّاغِب: يقال: جَبيتُ الماء في الحوض: جمَعته، والحوض الجامع له: جابية، وجمعها: جوابٍ، قال الله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ سبأ: ١٣، ومنه استعير جَبيتُ الخَراج جِباية، ومنه قوله تعالى: ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ القصص: ٥٧.

والاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء، قال عزّوجلّ: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ القلم: ٥٠، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ الأعراف: ٢٠٣، أي يقولون: هلّا جمعتَها، تعريضًا منهم بأنّك تخترع هذه الآيات وليست من الله.

واجتباء الله العبد: تخصيصه إيّاه بفيض إلهيّ، يتحصّل له منه أنواع من النّعم، بلاسعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض مَن يُقاربهم من الصّدّيقين والشّهداء. [ثمّ ذكر الآيات] (٨٧)

الزّمَخْشَريّ: جبَى الخَراج جِباية: جمَعه ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ القصص: ٥٧، وجبى الماء في الحوض، واسقوني من جِبَى حوضكم.

ولفلان قِدْر كالخابية، وجَفْنَة كالجابية ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ سبأ: ١٣.

وجبّى تجبِيَة، إذا ركع، وفلان لايجبّي: لايصلّي.

ومن المجاز: فلان يجتبي جبي المجد، أي يقوم بالمجد، ويجمعه لنفسه. [ثمّ استشهد بشعر]

واجتباه: اختاره، مستعار منه، لأنّ من جمع شيئًا لنفسه فقد اختصّه واصطفاه، وهو من جِبْوَة الله

وصِفْوته. (أساس البلاغة: ٥١)

[ذكر حديث ابن مسعود المتقدّم عن أبي عبيد وأضاف:]

قيل لكلّ واحد من الرّاكع والسّاجد: مُجَبٍّ، لأنّه يجمع بانحنائه بين أسفل بطنه وأعالي فخذيه.

(الفائق ١: ١٨٧)

المَدينيّ: في حديث الحُديبيّة: «فقعد رسول الله ﷺ على جَباها» الجَبا مقصور: ماحول البئر، والجَبا: الماء، والحوض الّذي فيه الماء. والجِبى بالكسر: ماجمَعتَ فيه من الماء، والقياس الفتح أيضًا.

وفي حديث جابر: «كانت اليهود تقول: إذا نكح الرّجل امرأته مُجَبِّيَة جاء الولد أحول» التّجبية: أن يأتيها من خلفها، من قولهم: جبّى الرّجل، إذا أكبّ على وجهه، وجبّى يُجبّي إذا ركع، أو وضَعَ يدَيه على ركبتيه قائمًا أو باركًا.

أصل التّجبية: أن يقوم الإنسان قيام الرّاكع، وقيل: هو أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، وقيل: هو السّجود. والمراد بقولهم: «لايُجَبُّوا» أنّهم لايُصلّون. ولفظ الحديث يدلّ على الرّكوع، لقوله في جوابهم: ولاخير في دين ليس فيه ركوع، فسمّى الصّلاة ركوعًا، لأنّه بعضها.

ومنه حديث الرّؤيا: «فإذ أنا بتلّ أسود عليه قوم مُجَبُّون يُنفَخ في أدبارهم بالنّار». وفي حديث أبي هُرَيرة رضي الله عنه: «كيف أنتم إذا لم تجتبوا دينارًا ولادرهمًا».

الاجتباء: «افتعال» من الجِباية، وهو استخراج الأموال من مظانّها.

ومنه حديث سعد رضي الله عنه: «تبَطيّ في جِبْوَته» الجِبْوَة والجِبيَة: الحالة من جَبْي الخراج واستيفائه.

وفيه: «إنّه اجتباه لنفسه» أي اختاره واصطفاه.

(١: ٢٩٥) (١: ٢٣٨)

ابن برّيّ: جبَيتُ الخَراج وجَبَوْتُه، لاأصل له في الهمز سماعًا وقياسًا. أمّا السّماع فلكونه لم يُسمع فيه الهمز، وأمّا القياس فلأنّه من «جَبيتُ» أي جمَعتُ وحصّلتُ، ومنه: جبَيتُ الماء في الحوض وجَبَوْتُه.

والجابي: الّذي يجمع المال[1] للإبل، والجِباوَة: اسم الماء المجموع.

الجَبا بالفتح: الحوض، والجِبا بالكسر: الماء. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن منظور ١٤: ١٢٨، ١٢٩)

ابن الأثير: وفي حديث ثقيف: «أنّهم اشترطوا ألّا يُعشَروا ولايُحشَروا ولايُجبّوا، فقال: لكم ألّا تُعشَروا، ولاتُحشَروا، ولاخير في دين ليس فيه ركوع».

الفَيّوميّ: جبَيتُ المال والخَراج أجبيه جِبايَة: جمَعتُه، وجَبَوْتُه أجْبُوه جِباوَة مثله. (١: ٩١)

الفيروزاباديّ: جَبَى الخَراج كرمَى وسَعى جِبايَةً وجِباوةً بكسرهما، والقوم ومنهم، والماء في الحوض جَبًا مُثلّثةً وجَبْيًا: جمَعَه.

والجَبا كالعَصا: مَحفَر البئر وشَفَتُها، وأن يتقدّم ساقي الإبل بيوم قبل ورودها فيَجْبي لها ماءً في الحوض ثمّ يُوردها.

والجابية: حوض ضَخْمٌ، والجماعة، وقرية بدمَشق، وباب الجابية من أبوابها.

---

(١) الظّاهر: الماء.

والجابي: الجراد.

والجَبايا: الرَّكايا تُحفَر وتُنصَب فيها قُضبانُ الكَرْم.

واجتَباه: اختاره.

وجَبّى تَجْبِيَةً: وضَعَ يديه على رُكبَتيه أو على الأرض، وانكبّ على وجهه.

والإجْباء: أن يُغَيِّب الرّجل إبله عن المصدّق، وبيع الزّرع قبل بُدُوّ صلاحه.

والتَّجبِيَة: أن تقوم قيام الرّاكع.

وجَبا كسَعَى ورَمَى جِبْوَةً وجِبًا وجِباوةً وجِبايَةً بكسرهنّ، وجَبًا والجِباوَة والجِبْوَة والجِباة والجِبا بكسرهنّ والجَباوَة: ماجُمِع في الحوض من ماء.

والجَبا: الحوض، أو مقام من يَستَقي على الطَّيّ، وماحول البئر، الجمع: أجْباءٌ. (٤: ٣١٢)

مَجْمَعُ اللُّغة: جبَى الماء والخَراج يَجبيه جَبْيًا وجِبايةً: جمَعه.

واجتبى الشّيء: افتعله واخترعه.

واجتبى الشّخص: استخلصه واصطفاه.

ويقال: للحوض الّذي يُجمع فيه الماء: جابية، وجمعه: جوابٍ. (١: ١٨١)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ١٠١)

محمود شيت: الجابي: الموظّف الّذي يَجبي المال من العسكريّين، يقال: جابي دار الضّبّاط، جابي جمعيّة مساكن الضّبّاط.

الجابية: حوض سقي الدّوابّ، يقال: جابية المعسكر.

الجابية السّفريّة: الجابية الّتي تُستعمل في معسكرات العراء في التّدريب، أو في المراحل. (١: ١٣٨)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر من موارد الاستعمال أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الجمع بقيد الانتخاب والاستخراج وإطلاق هذه المادّة إذا أُريد منها هذا القيد، فيقال: جبَيتُ الخراج، إذا حصّلته وأخرجته من أموالهم. وجبَيتُ المال، إذا استخرجته وجمعته من الأموال وتراب حول البئر، باعتبار استخراجه من البئر. والجِبا هو الماء الّذي يُجمع ويُستحصل من المياه، وهكذا نظائرها.

وأمّا الاجتباء: فمعناه الجَبي بإضافة خصوصيّة الصّيغة، فإنّها تدلّ على الدّقّة والامتياز الخاصّ. [ثمّ ذكر الآيات] (٢: ٥٣)

النُّصوص التّفسيريّة

يُجْبٰى

...اَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا اٰمِنًا يُجْبٰى اِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا... القصص: ٥٧

ابن عبّاس: يُحمل إليه ألوان كلّ شيء من الثّمرات. (٣٢٨)

أي يُجمع إليه ثمرات كلّ أرض وبلد.

(القُرطُبيّ ١٣: ٣٠٠)

نحوه الماوَرْديّ (٤: ٢٦٠)، والطَّبْرِسيّ (٤: ٢٦٠)

الفَرّاء: ذُكّرت (يُجْبٰى) وإن كانت «الثّمرات» مؤنّثة لأنّك فرّقت بينهما بـ(اِلَيْهِ). [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٣٠٨)

أبوعُبَيْدة: مجازه يُجمَع كما يُجبَى الماء في الجـابية فيُجمَع للواردة. (٢: ١٠٨)

الطَّبَريّ: يُجمع إليه وهو من قولهم: جبَيتُ الماء في الحوض، إذا جمعته فيه، وإنّما أُريد بذلك: يحـمل إليـه ثمرات كلّ بلد. (٢٠: ٩٤)

أبوزُرْعَة: قرأ نافع: (تُجْبَى اِلَيْهِ) بالتّاء، لتأنيث الثّمرات. وقرأ الباقون بـالياء، لأنّ تأنيث الثّـمرات غير حقيقيّ، فإذا كان كذلك كان بمنزلة الوعظ والموعظة إذا ذُكّرت جاز، وكذلك إذا أُنّثت. (٥٤٨)

الطُّوسيّ: أي يُجلب إلى هذا الّذي جعلناه حرمًا ثمرات كلّ شيء. فمن قرأ بالتّاء فلتأنيث الثّمرات، ومن قرأ بالياء، فلأنّ التّأنيث غير حقيقيّ. (٨: ١٦٥)

البغَويّ: قرأ أهل المدينة (تُجْبَى) بـالتّاء لأجـل الثّمرات، والآخر بالياء للحائل بين الاسم المؤنّث والفعل، أي يُجلب ويُجمع. (٣: ٥٤٠)

الزّمَخْشَريّ: تُجلب وتجمع. قرئ بالياء والتّاء، وقرئ (تُجْنَى) بالنّون من الجَني، وتعديته بـ«إلى» كقوله: يُجنى إلى فيه ويُجنى إلى الخافة. (٣: ١٨٥)

نحوه ابن عَطيّة (٤: ٢٩٣)، والنّسَفيّ (٣: ٢٤١).

الفَخْرالرّازيّ: يُجمع، من قولهم: جبَيتُ المـاء في الحوض، إذا جمعته. قرأ أهل المدينة (تُجْبَى) بالتّاء، وأهل الكوفة وأبوعمرو بالياء، وذلك أنّ تأنيث «الثّمرات» تأنيث جمع وليس بتأنيث حقيقيّ، فيجوز تأنيثه عـلى اللّفظ وتذكيره على المعنى. (٢٥: ٣)

البَيْضاويّ: يُحمل إليه ويُجمع فيه... (٢: ١٩٧)

نحوه الشّربينيّ (٣: ١١٠)، وأبوالسُّعود (٥: ١٣٠)، والكاشانيّ (٤: ٩٨).

البُرُوسَويّ: يُحمل إلى ذلك الحرم ويُجمع فيه، من قولك: جَبَيتُ الماء في الحوض، أي جمعته، والحـوض الجامع له: جابية. (٦: ٤١٧)

نحوه الآلوسيّ. (٢٠: ٩٧)

عبد الكريم الخطيب: تُحمل إليهم ممّا في أيديها من ثمرات وخيرات، كما تُحمل إليهم ممّا في قلوبها من توقير وتكريم. (١٠: ٣٦٧)

مكارم الشّيرازيّ: الله الّذي جعل هذه الأرض المالحة والمليئة بالصّخور والخالية من الأشجار والأنهار، جعلها حرمًا تهفو إليه القلوب، ويؤتى إليه بالثّمرات من مختلف نقاط العالم، كلّ ذلك بيد قدرته القاهرة. (١٢: ٢٤٠)

اِجْتَبٰيهُ

١ـ شاكِرًا لِاَنْعُمِهِ اجْتَبٰيهُ وَهَدٰيهُ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. النّحل: ١٢١

ابن عبّاس: اصطفاه بالنّبوّة والإسلام. (٢٣٢)

أبوعُبَيْدَة: اختاره. (١: ٣٦٩)

نحـوه القُمّيّ (١: ٣٩١)، والواحـديّ (٣: ٩٠)، والبَغَويّ (٣: ١٠١)، والقُرطُبيّ (١٠: ١٩٨).

الطَّبَريّ: اصطفاه واختاره لخُلّته. (١٤: ١٩١)

نحوه الطُّوسيّ (٦: ٤٣٨)، وابن كـثير (٤: ٢٣٤)، والمَيْبُديّ (٥: ٤٦٨)، وطه الدُّرّة (٧: ٥٤٤).

الزّمَخْشَريّ: اختصّه واصطفاه للنّبوّة. (٢: ٤٣٤)

مثله النّسَفيّ (٢: ٣٠٤)، والنَّيسابوريّ (١٤: ١٢٩)،

ونحوه شبّر (٣: ٤٥٥)، والقاسميّ (١٠: ٣٨٧٥).

ابن عَطيّة : تخيّره. (٣: ٤٣١)

الفَخْرالرّازيّ : أي اصطفاه للنّبوّة. والاجتباء هو أن تأخذ الشّيء بالكلّيّة، وهو «افتعال» من جَبَيْتُ، وأصله: جمع الماء في الحوض، والجابية هي الحوض. (٢٠: ١٣٥)

العُكْبَريّ : يجوز أن يكون حالًا، و«قد» معه مرادة، وأن يكون خبرًا ثانيًا لـ(إنّ) وأن يكون مستأنفًا. (٢: ٨٠٩)

الشِّربينيّ : أي اصطفاه للنّبوّة، واختاره لخلقه. (٢: ٢٦٩)

نحوه شُبّر. (٣: ٤٥٥)

البُرُوسَويّ : اختاره للنّبوّة. (٥: ٩٤)

نحوه المَراغيّ. (١٤: ١٥٨)

الآلوسيّ : أصل الاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء، ويُطلق على تخصيص الله تعالى العبد بفيض إلهيّ، يتحصّل له منه أنواع من النّعم بلاسعي منه، ويكون للأنبياء عليهم السلام ومن يقاربهم. (١٤: ٢٥٠)

الطَّباطَبائيّ : الاجتباء من الجباية، وهو الجمع، واجتباء الله الإنسان هو إخلاصه لنفسه، وجمعه من التّفرّق في المذاهب المختلفة. (١٢: ٣٦٨)

عبد الكريم الخطيب : أي وكان شاكرًا لأنعم ربّه إذ اجتباه ربّه، أي اصطفاه لرسالته، وأخرجه من عالم الكفر المتكاثف حوله، وهداه إلى الحقّ والخير والإيمان. (٧: ٣٩٢)

٢ـ ﴿ثُمَّ اجْتَبٰيهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدٰى﴾. طٰه: ١٢٢

ابن عبّاس : اصطفاه. (٢٦٧)

الفَرّاء : اختاره. (٢: ١٩٤)

ابن قُتَيْبَة : ليس الاجتباء الاختيار، تقول العرب: اجتبت فلانًا إلى مودّتي، وفلان يجتبي فلانًا إلى نفسه، إذا قرّبه وأدناه، فمعنى اجتباه ربّه قرّبه إلى رحمته، والدّليل على ذلك قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدٰى﴾.

(ابن أبي اليمان: ٥٠)

الطَّبَريّ : اصطفاه ربّه من بعد معصيته إيّاه، فرزقه الرّجوع إلى مايرضى عنه، والعمل بطاعته. (١٦: ٢٢٤)

البغَويّ : اختاره واصطفاه. (٣: ٢٧٨)

مثله المَيْبُديّ (٦: ١٨٤)، وابن عَطيّة (٤: ٦٨)، والشِّربينيّ (٢: ٤٨٩)، وفضل الله (١٥: ١٦٧).

الزَّمَخْشَريّ: فإن قلت: مامعنى ﴿ثُمَّ اجْتَبٰيهُ رَبُّهُ﴾؟ قلت: ثمّ قبله بعد التّوبة وقرّبه إليه، من جبى إلى كذا فاجتَبَتُه. ونظيره: جليت على العروس فاجتليتُها، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿وَاِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِاٰيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ الأعراف: ٢٠٣، أي هلّا جبَيت إليك فاجتبيتها. وأصل الكلمة: الجمع، ويقولون: اجْتَبَتِ الفرسُ نفسها، إذا اجتَمَعتْ نفسها راجعة بعد النّفار. (٢: ٥٥٧)

الطَّبْرِسيّ: أي اصطفاه الله تعالى واختاره للرّسالة. (٤: ٣٤)

نحوه النَّيسابوريّ. (١٦: ١٦٦).

البَيْضاويّ: اصطفاه وقرّبه بالحمل على التّوبة والتّوفيق لها، من جبى إليّ كذا فاجْتَبَيْتُه، مثل جليت على

العروس فاجتَليتها. وأصل معنى الكلمة: الجمع. (٢: ٦٣)

نحوه النّسفيّ (٣: ٦٨)، وأبوحيّان (٦: ٢٨٦)، وأبوالسّعود (٤: ٣١٤)، والبُرُوسَويّ ٥: ٤٣٩).

الآلوسيّ: [نحو البَيْضاويّ وأضاف:]

فالمجتبى كأنّه في الأصل من جُمِعَتْ فيه المحاسن حتّى اختاره غيره وقرّبه. (١٦: ٢٧٥)

الطَّباطَبائيّ: بمعنى الجمع على طريق الاصطفاء، ففيه جمعه تعالى عبده لنفسه لايشاركه فيه أحد، وجعله من المخلَصين بفتح اللّام. وعلى هذا المعنى يتفرّع عليه قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ كأنّه كان ذا أجزاء متفرّقة متشتّتة، فجمعها من هنا وهناك إلى مكان واحد، ثمّ تاب عليه ورجع إليه وهداه، وسلك به إلى نفسه. (١٤: ٢٢٣)

٣ـ فَاجْتَبَيهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. القلم: ٥٠

ابن عبّاس: فاصطفاه ربّه بالتّوبة. (٤٨٢)

ردّ الله إليه الوحي وشفعه في قومه. (أبوحيّان ٨: ٣١٧)

الطَّبَريّ: فاجتبى صاحبَ الحوت ربُّه، يعني اصطفاه واختاره لنبوّته. (٢٩: ٤٥)

نحوه ابن عَطيّة (٥: ٣٥٤)، والقُرطُبيّ (١٨: ٢٥٤)

الطُّوسيّ: اختار الله يونسًا. (١٠: ٩١)

الواحديّ: استخلصه واصطفاه. (٤: ٣٤٢)

المَيْبُديّ: أي جدّدنا اجتباءه وأعدنا اصطفاءه بعد المحنة، كقوله في آدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَيهُ رَبُّهُ﴾ طه: ١٢١، ١٢٢.

وقيل: ﴿فَاجْتَبَيهُ رَبُّهُ﴾ أي اختاره لرسالته. (١٠: ١٩٨)

الزَّمَخْشَريّ: فجمعه إليه وقرّبه بالتّوبة عليه، كما قال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَيهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه: ١٢٢. (٤: ١٤٨)

الطَّبْرِسيّ: أي اختاره الله نبيًّا. (٥: ٣٤١)

نحوه الشّربينيّ. (٤: ٣٦٦)

البَيْضاويّ: بأن ردّ الوحي إليه، أو استنبأه، إن صحّ أنّه لم يكن نبيًّا قبل هذه الواقعة. (٢: ٤٩٨)

النّسَفيّ: اصطفاه لدعائه وعذره. (٤: ٢٨٤)

أبوالسّعود: عطف على مقدّر، أي فتداركته نعمة من ربّه. [ثمّ قال نحو البَيْضاويّ] (٦: ٢٩١)

الكاشانيّ: بأن ردّ إليه الولاية. (٥: ٢١٥)

البُرُوسَويّ: عطف على مقدّر، أي فتداركته نعمة ورحمة من ربّه، فجمعه إليه، وقرّبه بالتّوبة عليه بأن ردّ إليه الوحي، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون. يقال: جبيتُ الماء في الحوض: جمعته، الجامع له: جابية، والاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء.

وقيل: استنبأه، إن صحّ أنّه لم يكن نبيًّا قبل هذه الواقعة.

ومن أنكر الكرامات والإرهاص لابدّ أن يختار القول الأوّل، لأنّ احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هناك لمّا لم يكن إرهاصًا ولاكرامة لابدّ أن يكون معجزة؛ وذلك يقتضي أن يكون رسولًا قبل هذه الواقعة (١٠: ١٢٦)

نحوه الآلوسيّ (٢٩: ٣٧)، والمَراغيّ (٢٩: ٤٧).

مكارم الشّيرازيّ: فقد حمّله الله مسؤوليّة

قومه مرّة أُخرى، وعاد إليه يبلّغهم رسالة ربّه، ممّا كانت نتيجته أن آمن قومه جميعًا، وقد منّ الله تعالى عليهم بألطافه ونعمه وإفضاله لفترة طويلة. (١٨: ٥١١)

اجْتَبٰيكُمْ

وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبٰيكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ... الحجّ: ٧٨

ابن عبّاس: اختاركم لدينه. (٢٨٤)

نحوه ابن قُتَيْبَة (٢٩٥)، والزّجّاج (٣: ٤٣٩)، والماوَرْديّ (٤: ٤٢)، والواحديّ (٣: ٢٨١)، والبَغَويّ (٣: ٣٥٤)، والطّبْرِسيّ (٤: ٩٧).

ابن زَيْد: هو هداكم. (الطّبَريّ ١٧: ٢٠٥)

الطّبَريّ: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه، والجهاد في سبيله. (١٧: ٢٠٥)

الطّوسيّ: فالاجتباء هو اختيار الشّيء لما فيه من الصّلاح. وقيل: معناه اختاركم لدينه وجهاد أعدائه، والحقّ يُجتبى، والباطل يُتّقى. ولابدّ أن يكون ذلك خطابًا متوجّهًا إلى من اختاره الله بفعل الطّاعات، دون أن يكون ارتكب الكبائر الموبقات، وإن كان سبق منه جهاد في سبيل الله. (٧: ٣٤٤)

المَيْبُديّ: أي اختاركم لدينه ولجهاد عدوّه ونصرة نبيّه، واختاركم من سائر الأُمم. (٦: ٤٠٦)

نحوه الزّمَخْشَريّ. (٣: ٢٤)

الفخرالرّازيّ: معناه أنّ التّكليف تشريف من الله تعالى للعبد، فلمّا خصّكم بهذا التّشريف فقد خصّكم بأعظم التّشريفات، واختاركم لخدمته والاشتغال بطاعته، فأيّ رتبة أعلى من هذا، وأيّ سعادة فوق هذا، ويُحتمل في اجتباءكم: خصّكم بالهداية والمعونة والتّيسير. (٢٣: ٧٣)

القُرطُبيّ: أي اختاركم للذّبّ عن دينه، والتزام أمره، وهذا تأكيد للأمر بالمجاهدة، أي وجب عليكم أن تجاهدوا، لأنّ الله اختاركم له. (١٢: ١٠٠)

مثله طه الدُّرّة. (٩: ٢٦٩)

البَيْضاويّ: أي اختاركم لدينه ونصرته، وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والدّاعي إليه. (٢: ١٠١)

نحوه النّسَفيّ (٣: ١١٢)، وأبوالسُّعود (٤: ٣٩٩)، والبُرُوسَويّ (٦: ٦٤)، والنّيسابوريّ (١٧: ١٢٤)

أبوحَيّان: أي اختاركم لتحمّل تكليفاته، وفي قوله: (هُوَ) تفخيم واختصاص، أي هو لاغيره. (٦: ٣٩١)

الشّرْبينيّ: أي اختاركم لدينه ولنصرته، وجعل الرّسالة فيكم والرّسول منكم، وجعله أشرف الرّسل ودينه أشرف الأديان، وكتابه أعظم الكتب، وجعلكم ـ لكونكم أتباعه ـ خير الأُمم. (٢: ٥٦٨)

نحوه المَراغيّ. (١٧: ١٤٨)

فضل الله: واختاركم من بين خلقه لتكونوا الأُمّة المرحومة الدّاعية المجاهدة، الّتي تحمل من خلال الرّسول محمّد ﷺ رسالة الإسلام للنّاس كافّة، وحمّلكم مسؤوليّة ذلك، وتلك كرامة إلهيّة لاتفوقها كرامة، تفرض عليكم رعايتها وتحريكها في الاتّجاه الّذي يحبّه الله. (١٦: ١٢٦)

اجْتَبَيْتَهَا

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٣

ابن عبّاس: هلّا تكلّفتها من الله، ويقال: تخلّقتها من تلقاء نفسك. (١٤٤)

لولا تلقّيتها.

لولا أحدثتها فأنشأتها. (الطّبَريّ ٩: ١٦١)

نحوه السُّدّيّ (٢٧٧)، والبَغَويّ (٢: ٢٦٢).

لولا تقبّلتها من الله. (الطّبَريّ ٩: ١٦١)

معناه اختلقتها، وافتعلتها من قبل نفسك. (الطُّوسيّ ٥: ٧٨)

مُجاهِد: لولا اقتضبتها، قالوا: تُخرجها من نفسك. (الطّبَريّ ٩: ١٦١)

الضّحّاك: لولا أخذتها أنت، فجئت بها من السّماء. (الطّبَريّ ٩: ١٦١)

قَتادَة: أي لولا أتيتنا بها من قبل نفسك. هذا قول كفّار قريش.

لولا جئت بها من نفسك.

لولا تلقّيتها من ربّك. (الطّبَريّ ٩: ١٦١)

ابن زَيْد: لولا تقوّلتها، جئت بها من عندك. (الطّبَريّ ٩: ١٦١)

الفَرّاء: هلّا افتلعتها. وهو كلام العرب، جائز أن يقال: اختار الشّيء، وهذا اختياره. (١: ٤٠٢)

اجتَبيتُ الكلام واختلقته وارتجلته، إذا افتعلته من قِبَل نفسك. (الطّبَريّ ٩: ١٦١)

الطّبَريّ: هلّا اخترتها واصطفيتها، من قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ آل‌عمران: ١٧٩، يعني: يختار ويصطفي.

ثمّ اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه هلّا افتعلتها من قبل نفسك واختلقتها؟ بمعنى هلّا اجتبيتها اختلاقًا؟ كما تقول العرب: لقد اختار فلان هذا الأمر، وتخيّره اختلاقًا.

وقال آخرون: معنى ذلك: هلّا أخذتها من ربّك، وتقبّلتها منه.

وأولى التّأويلين بالصّواب في ذلك، تأويل من قال تأويله: هلّا أحدثتها من نفسك، لدلالة قول الله: ﴿...قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾، يبيّن ذلك أنّ الله إنّما أمر نبيّه ﷺ بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه، أنّه إنّما يتّبع ما يُنزل عليه ربّه، ويوحيه إليه، لا أنّه يُحدث من قِبَل نفسه قولًا، ويُنشئه، فيدعو النّاس إليه. (٩: ١٦٠)

الزّجّاج: أي هلّا اختلقتها، أي هلّا أتيت بها من نفسك، فأعلمهم ﷺ أنّ الآيات من قبل الله جلّ ثناؤه. (٢: ٣٩٧)

نحوه الخازن. (٢: ٢٧١)

الماوَرْديّ: هلّا اخترتها لنفسك. (٢: ٢٩٠)

المَيْبُديّ: أي هلّا تقوّلتها من نفسك، واخترعتها من عندك. تقول: اجتَبَيْتُ الشّيء واخترعته واختلقته، بمعنى. (٣: ٨٢٦)

الزَّمَخْشَريّ: هلّا اجتمعتها افتعالًا من عند نفسك، لأنّهم كانوا يقولون: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ سبأ:

٤٣. أو هلّا أخذتها مُنزلة عليك مقترحة. (٢: ١٣٩)

ابن عَطيّة: ومعنى اللّفظة في كلام العرب: تخيّرتها واصطفيتها. وقال ابن عبّاس وقَتادَة ومُجاهِد وابن زَيْد وغيرهم: المراد بهذه اللّفظة: هلّا اخترتها واختلقتها من قبلك ومن عند نفسك.

والمعنى أنّ كلامك كلّه كذلك على ماكانت قريش تزعمه. وقال ابن عبّاس أيضًا والضّحّاك: المراد: هلّا تلقّيتها من الله وتخيّرتها عليه؛ إذ تزعم أنّك نبيّ وأنّ منزلتك عنده منزلة الرّسالة. فأمره الله عزّوجلّ أن يجيب بالتّسليم لله تعالى، وأنّ الأمر في الوحي إليه يُنزله متى شاء، لامعقّب لحكمه في ذلك. (٢: ٤٩٣)

الفَخْرالرّازيّ: [نحو الفرّاء وابن زَيْد ثمّ قال:]

لأنّهم كانوا يقولون: إن هذا إلّا إفك مفترى، أو يقال: هلّا اقترحتها على إلهك ومعبودك إن كنت صادقًا في أنّ الله يقبل دعاءك ويجيب التماسك، وعند هذا أمر رسوله أن يذكر الجواب الشّافي، وهو قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَايُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾. (١٥: ١٠١)

نحوه النّيسابوريّ. (٩: ١١١)

البَيْضاويّ: هلّا جمعتها تقوّلًا من نفسك كسائر ماتقرؤه، أو هلّا طلبتها من الله. (١: ٣٨٢)

نحوه النّسفيّ (٢: ٩٢)، والشّربينيّ (١: ٥٤٩)، وأبوالسّعود (٣: ٧١) والكاشانيّ (٢: ٢٦١).

الآلوسيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ ثمّ أضاف:]

وممّا ذكرنا يُعلم أنّ لـ«اجتبى» معنيين: جمع وأخذ، ويختلف المراد حسب الاختلاف في تفسير الآية. [ثمّ ذكر اختلاف اللّغويّين في أصله وقال:]

ومن جعل الأصل شيئًا لاينكر الاستعمال في الآخر مجازًا، كما لايخفى. (٩: ١٤٩)

الطَّباطَبائيّ: كلام منهم جار مجرى التّهكّم والسّخرية، والمعنى على مايعطيه السّياق: أنّك إذا أتيتهم بآية كذّبوا بها، وإذا لم تأتهم بآية كما لو أبطأت فيها قالوا: لولا اجتبيت ماتسمّيه آية وجمعتها من هنا وهناك فأتيت بها. (٨: ٣٨٢)

اجْتَبَيْناهُمْ

...وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

الأنعام: ٨٧

مُجاهِد: أخلصناهم. (الطّبَريّ ٧: ٢٦٢)

أبوعُبَيْدَة: أي اخترناهم، يقال: اجْتَبَى فلان كذا لنفسه، أي اختار. (١: ٢٠٠)

نحوه الطُّوسيّ. (٤: ٢١٢)

الطّبَريّ: واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه، كالّذي اخترنا ممّن سمّينا. يقال منه: اجتبى فلان لنفسه كذا، إذا اختاره واصطفاه، يجتبيه اجتباءً. (٧: ٢٦٢)

الزّجّاج: مثل اخترناهم، وهو مأخوذ من جبيتُ الماء في الحوض، إذا جمعته. (٢: ٢٦٩)

القُمّيّ: أي اختبرناهم. (١: ٢٠٩)

البغَويّ: اخترناهم واصطفيناهم. (٢: ١٤٢)

مثله الخازن. (٢: ١٢٩)

المَيْبُديّ: أي استخلصناهم بالنّبوّة. (٣: ٤١٦)

ابن عَطيّة: معناه تخيّرناهم وأرشدناهم

وضممناهم إلى خاصّتنا، وأرشدناهم إلى الإيمان والفوز برضي الله تعالى. (٢: ٣١٨)

الفَخْرالرّازيّ: يفيد النّبوّة، لأنّ الاجتباء إذا ذكر في حقّ الأنبياء عليهم السلام لايليق به إلّا الحمل على النّبوّة والرّسالة. (١٣: ٦٧)

الطَّباطَبائيّ: [نقل قول الرّاغِب في اللُّغة ثمّ قال:]

والّذي ذكره من معنى الاجتباء، وإن كان كذلك على مايفيده موارد وقوعه في كلامه تعالى، لكنّه لازمُ المعنى الأصليّ بحسب انطباقه على صنعه فيهم. والّذي يعطيه سياق الآيات أنّ العناية تعلّقت بمعنى الكلمة الأصليّ، وهو الجمع من مواضع وأمكنة مختلفة متشتّتة، فيكون تمهيدًا لما يُذكر بعده من الهداية إلى صراط مستقيم، كأنّه يقول: وجمعناهم على تفرّقهم حتّى إذا اجتمعوا وانضمّ بعضهم إلى بعض، هديناهم جميعًا إلى صراط كذا وكذا. (٧: ٢٤٧)

وبهذا المعنى جاء قوله: ﴿اَللّهُ يَجْتَبي اِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ...﴾ الشّورى: ١٣، وقوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنا وَاجْتَبَيْنا...﴾ مريم: ٥٨.

يَجْتَبي

١ـ ...وَماكانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللّهَ يَجْتَبي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ... آل‌عمران: ١٧٩

مُجاهِد: يخلصهم لنفسه. (الطَّبَريّ ٤: ١٨٨)

أبوعُبَيْدَة: يختار. (١: ١٠٩)

الزّجّاج: سببه أنّ قومًا قالوا: هلّا جعلنا الله أنبياء؟ فأخبر الله تعالى أنّه ﴿يَجْتَبي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾، و(مِنْ) في الآية لتبيين الصّفة لاللتّبعيض، لأنّ الأنبياء كلّهم مجتبون. (الطُّوسيّ ٣: ٦٣)

الواحديّ: أي يختار لمعرفة ذلك. (١: ٥٢٦)

نحوه المَيْبُديّ. (٢: ٣٦٢)

الزّمَخْشَريّ: فيخبره ببعض المغيبات ﴿فَاٰمِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ﴾ آل‌عمران: ١٧٩، بأن تقدّروه حقّ قدره، وتعلموه وحده مُطّلِعًا على الغيوب، وأن تُنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادًا مجتبين لايعلمون إلّا ماعلّمهم الله، ولايخبرون إلّا بما أخبرهم الله به من الغيوب، وليسوا من علم الغيب في شيء. (١: ٤٨٣)

ابن عَطيّة: معناه: يختار ويصطفي، وهي من جَبَيْتُ الماء والمال. (١: ٥٤٦)

نحوه أبوحَيّان. (٣: ١٢٦)

الطَّبْرِسيّ: أي يختار من يشاء فيُطلعه على الغيب، أي يوقفه على علم الغيب ويعرّفه إيّاه. (١: ٥٤٥)

الفَخْرالرّازيّ: أي ولكنّ الله يصطفي من رسله من يشاء، فخصّهم بإعلامهم أنّ هذا مؤمن وهذا منافق. ويحتمل: ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء فيمتحن خلقه بالشّرائع على أيديهم حتّى يتميّز الفريقان بالامتحان، ويحتمل أيضًا أن يكون المعنى: وماكان الله ليجعلكم كلّكم عالمين بالغيب، من حيث يعلم الرّسول حتّى تصيروا مستغنين عن الرّسول، بل الله يخصّ من يشاء من عباده بالرّسالة، ثمّ يكلّف الباقين طاعة هؤلاء الرّسل. (٩: ١١١)

أبوالسُّعود: والتّعرّض للاجتباء للإيذان بأنّ الوقوف على أمثال تلك الأسرار الغيبيّة لايتأتّى إلّا ممّن

رشّحه الله تعالى لمنصب جليل، تقاصرت عنه هِمم الأُمم، واصطفاه على الجماهير لإرشادهم.

وتعميم الاجتباء لسائر الرّسل عليهم السلام، للدّلالة على أنّ شأنه عليه السلام في هذا الباب أمر متين، له أصل أصيل جارٍ على سنّة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرّسل الخالية عليهم السلام. (٢: ٧١)

نحوه الآلوسيّ (٤: ١٣٨)، والمراغيّ (٤: ١٤٣).

حسنين مخلوف: من الاجتباء بمعنى الاختيار.

واجتباء الله العبد: تخصيصه إيّاه بفيض إلهيّ، يحصل له منه أنواع من النّعم بلاكسب منه. (١: ١٣٤)

مكارم الشّيرازيّ: أي أنّه يختار في كلّ عصر من بين أنبيائه من يُطلعهم على شيء من تلك الغيوب، ويوقفهم على بعض الأسرار، بحكم احتياج القيادة الرّساليّة إلى ذلك. (٣: ٢٠)

نحوه فضل الله. (٦: ٤٠٨)

يَجْتَبِيكَ

وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْاَحَادِيثِ. يوسف: ٦

عِكْرِمَة: يصطفيك. (الطّبَريّ ١٢: ١٥٣)

نحوه الطّبَريّ. (١٢: ١٥٣)

الحسَن: بالنّبوّة. (الماوَرْديّ ٣: ٨)

مُقاتِل: بالسّجود لك. (القُرطُبيّ ٩: ١٣٨)

الفَرّاء: جواب لقوله: ﴿اِنّي رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يوسف: ٤، [إلى أن قال:] و(يَجْتَبِيكَ): يصطفيك. (٢: ٣٦)

أبوعُبَيْدَة: أي يختارك. (١: ٣٠٢)

نحوه ابن قُتَيْبَة. (٢١٢)

الزّجّاج: معناه يختارك ويصطفيك، وهو مشتقّ من جبَيتُ الشّيء، إذا حصّلته لنفسك، ومنه جبَيتُ الماء في الحوض. (٣: ٩١)

نحوه ابن عَطيّة (٣: ٢٢٠)، والشّربينيّ (٢: ٩٠).

عبد الجبّار: مسألة: قالوا: ثمّ ذكر تعالى بعدها مايدلّ على أنّه يختصّ بالطّاعة بعض عباده، فقال: ﴿وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْاَحَادِيثِ﴾.

والجواب عن ذلك قد سلف في نظائره، ولأنّ الاجتباء هو الاختصاص، ولم يقل تعالى: إنّه خصّه بخلق الطّاعة فيه. فالمراد إذًا أنّه اختاره واختصّه بأن حمّله الرّسالة، وكان يعقوب عليه السلام يعلم أنّه تعالى سيبعثه رسولًا ويختصّه بذلك، فقال ماقال، وبيّن أنّه يعلّمه من تأويل الأحاديث، ويعني بذلك كلام الله، لأنّها الأحاديث الّتي يعرف تأويلها الأنبياء عليهم السلام.

(متشابه القرآن ١: ٣٩٠)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بحسن الخَلق والخُلق.

الثّاني: بترك الانتقام.

الثّالث: [قول الحسن المتقدّم] (٣: ٨)

الطُّوسيّ: هذه حكاية ماقال يعقوب لابنه يوسف عليه السلام، وقوله له: إنّ الله يجتبيك ويختارك، ويصطفيك ويُكرمك بذلك، كما أكرمك بأن أراك في منامك هذه الرّؤية.

فوجه التّشبيه وهو إعطاء الرّؤيا بإعطاء الاجتباء، مع ماانضاف إليه من الصّفات الكريمة المحمودة الّتي ذكرها. والاجتباء: اختيار معالي الأُمور للمجتبى، مثل مااختاره الله تعالى ليوسف من الخصال الكريمة والأُمور السّنيّة. (٦: ٩٨)

نحوه البغويّ (٣: ٢١٥)، والزّمخشريّ (٢: ٣٠٣).

المَيْبُديّ: أي كما أراك ربّك هذه الرّؤيا، كذلك يخصّك ويصطفيك بالنّبوّة. (٥: ٨)

نحوه أبوحيّان. (٥: ٢٨١)

البَيْضاويّ: للنّبوّة والملك أو لأُمور عظام، والاجتباء: من جبيتُ الشّيء، إذا حصّلته لنفسك. (١: ٤٨٧)

نحوه النّسفيّ. (٢: ٢١٢)

البُرُوسَويّ: (وَكَذٰلِكَ) أي مثل اجتبائك واختيارك من بين إخوتك لمثل هذه الرّؤيا العظيمة، الدّالّة على شرف وعزّ وكبرياء شأنك. فالكاف في محلّ النّصب على أنّه صفة مصدر محذوف ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يختارك ويصطفيك لما هو أعظم منها كالنّبوّة، ويبرز مصداق تلك الرّؤيا في عالم الشّهادة؛ إذ لابدّ لكلّ صورة مرئيّة في عالم المثال حقيقة واقعة في عالم الشّهادة. (٤: ٢١٥)

الطَّباطَبائيّ: في معنى الاجتباء: جمع أجزاء الشّيء وحفظها من التّفرّق والتّشتّت، وفيه سلوك وحركة من الجابي نحو المُجبيّ، فاجتباء الله سبحانه عبداً من عباده، هو أن يقصده برحمته ويخصّه بمزيد كرامته، فيجمع شمله ويحفظه من التّفرّق في السُّبل المتفرّقة الشّيطانيّة المفرّقة للإنسان، ويُركبه صراطه المستقيم، وهو أن يتولّى أمره ويخصّه بنفسه، فلايكون لغيره فيه نصيب، كما أخبر تعالى بذلك في يوسف عليه السلام إذ قال: ﴿اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤. (١١: ٧٩)

عبد الكريم الخطيب: أي كما بدأ الله بلطفه بك وتكريمه إيّاك صغيرًا، فإنّه سيتولّاك برعايته، ويفيض عليك من نعمه كبيرًا، فيجتبيك، أي يختارك، ويصطفيك للرّسالة والنّبوّة. (٦: ١٢٣٦)

الجَوابِ

يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ... سبأ: ١٣

ابن عبّاس: قطاع كالجواب كحياض الإبل لاتحرّك. (٣٦٠)

مُجاهِد: حياض الإبل. (الطّبريّ ٢٢: ٧١)

نحوه الضّحّاك (الطّبريّ ٢٢: ٧١)، والحسن (الطّبريّ ٢٢: ٧٢)، والفرّاء (٢: ٣٥٦).

قَتادَة: جفان كجوبة الأرض من العِظَم، والجَوْبة من الأرض: يستنقع فيها الماء. (الطّبريّ ٢٢: ٧١)

السُّدّيّ: كالحائط. (الماورديّ ٤: ٤٣٩)

أبوعُبَيْدَة: واحدتها: جابية، وهي الحوض الّذي يُجبى فيه الماء. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٤٤)

نحوه الطّبريّ (٢٢: ٧١)، والطّوسيّ (٨: ٣٨٣)، والبغويّ (٥: ٢٣٤).

ابن قُتَيْبَة: (الْجَوَابِي)، الحياض، جمع جابية. [ثمّ

استشهد بشعر] (٣٥٤)

أبوعليّ: إثبات الياء مع الألف واللّام أجود، وحذفها يجوز. (الطُّوسيّ ٨: ٣٨٣)

الزّجّاج: أكثر القُرّاء على الوقف بغير ياء، وكان الأصل الوقف بالياء، إلّا أنّ الكسرة تنوب عنها، وكانت بغير ألف ولام الوقف عليها بغير ياء، تقول: هذه جواب، فأُدخلت الألف واللّام، وتُرك الكلام على ماكان عليه قبل دخولها. والجوابي: جمع جابية، والجابية: الحوض الكبير. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ٢٤٦)

أبوزُرْعَة: قرأ ابن كثير (كالجوّابي) بالياء في الوصل والوقف، على الأصل. والجوابي: جمع جابية وهي الحوض الكبير. [ثمّ استشهد بشعر]

وقرأ أبوعمرو ووَرْش (كالجوابي) بالياء في الوصل، وحذفًا في الوقف تبعًا الأصل في الدّرج، وتبعًا المصحف في الوقف.

وقرأ الباقون: بحذف الياء في الحالين: اجتزؤوا عن الكسر بالياء. (٥٨٤)

الواحديّ: جمع الجُبْيَة، وهي الحوض الكبير يجبي الماء، أي يجمعه. قال المفسّرون: يعني قِصاعًا في العِظَم كحياض الإبل، يجتمع على القَصْعَة الواحدة ألف رجل يأكلون منها. (٣: ٤٨٩)

نحوه المَيْبُديّ. (٨: ١٢٤)

الزّمَخْشَريّ: الجوابي: الحياض الكبار. [ثمّ استشهد بشعر]

لأنّ الماء يُجبَى فيها، أي يُجمع، جعل الفعل لها مجازًا، وهي من الصّفات الغالبة كالدّابّة. قيل: كان يقعد على الجَفْنَة ألف رجل. وقرئ بحذف الياء اكتفاءً بالكسرة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ القمر: ٦. (٣: ٢٨٢)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٢٥٧)، والنَّيسابوريّ (٢٢: ٤٤)، وأبوالسُّعود (٥: ٢٥١)، والبُرُوسَويّ (٧: ٢٧٥).

الطَّبْرِسيّ: أي صحاف كالحياض الّتي يُجبى فيها الماء، أي يُجمع، وكان سليمان عليه السلام يُصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان، فإنّه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قِصاع النّاس لكثرتهم. (٤: ٣٨٣)

الآلوسيّ: أي كالحياض العظام، جمع جابية، من الجباية، أي الجمع. فهي في الأصل مجاز في الطّرَف أو النّسبة، لأنّها يُجبى إليها لاجابية، ثمّ غلبت على الإناء الخصوص غلبة الدّابّة في ذوات الأربع، وجاء تشبيه الجَفْنَة بالجابية في كلامهم. [ثمّ استشهد بشعر] (٢٢: ١١٩)

بنت الشّاطئ: الجفان: جمع جَفْنَة، والجوابي: جمع جابية، وحيدتان في القرآن.

وتفسير الجفان بالحياض تقريب، مع ملاحظة أنّ الجفان تتّخذ للطّعام على وجه الاختصاص ـ ويشهد له بيت طرفة[1] ـ على حين يغلب أن تكون الحياض للماء.

وكذلك تفسير الجوابي بالواسعة، هو على وجه التّقريب، ويبقى للجوابي دلالة العُمق مع السّعة، حين يكون الاتّساع أحيانًا بغير عُمق. (٣١١)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَبَى، وهو الجمع، يقال:

(١) «كالجوابي لاتني مترعة لِقِرَى الأضياف أو للمُحتضِر»

جَبَى السّاقي الماء في الحوض يجبيه ويجباه جَبْيً وجِبيً وجُبيً وجَبْيًا وجِبايةً، أي جمعَه. واستُعمل هذا المعنى في جمع الخراج وتحصيله أيضًا يقال: جَبَى الخَراج والشّيء يجبيه ويجباه جِبايةً، وهو جاب.

والجابية: الحوض الضّخم، والجماعة أيضًا، والجمع: الجَوابي.

ومن المجاز: اجتبى الرّجل الرّجل: اختاره واصطفاه، من قولهم: جَبَى الشّيء، أي خلّصه لنفسه. وجبّى الرّجل تجبيةً: وضع يديه على ركبتيه، أو على الأرض، أو انكبّ على وجهه، فكأنّه يجمع بين أعضائه في هذه الأحوال.

٢ـ وبين «جَبَى» اليائيّ و«جَبا» الواويّ اشتقاق أكبر؛ إذ يقال من الثّاني: «جَبا الماء والحوض والخراج يجبوه جَبْوًا وجَبْوَةً وجِباوةً، أي جمعَه وحصّله، والجَباوة: اسم الماء المجموع، والجِبْوة والجُبْوة والجِباوة والجِبا والجَبا: ماجُمع في الحوض من الماء.

ولذا عدّها اللّغويّون قاطبة مادّة واحدة، تبعًا لسيبويه؛ حيث قال: «أدخلوا الواو على الياء لكثرة دخول الياء عليها، ولأنّ للواو خاصّة كما أنّ للياء خاصّة. إلّا الفيروزاباديّ، فقد فرّق بينهما، ولكنّه رغم ذلك خلط بعض مشتقّات الواويّ باليائيّ وبالعكس، وتبعه الزّبيديّ شارح القاموس، دون أن يستدرك عليه.

٣ـ كما خلط آخرون المهموز بهذين الأصلين، كالجابئ، أي الجراد، نقل صاحب اللّسان عن التّهذيب: «سمّي الجراد الجابئ لطلوعه؛ يقال: جَبأ علينا فلانٌ، أي طلَع، والجابئ: الجراد، يهمز ولايهمز». وحينما ترك الهمز لكثرة الاستعمال، حسبه بعضهم من «جَبَى»، قال ابن سيده: «الجابي: الجراد الّذي يجبي كلّ شيء».

والإجباء: بيع الزّرع قبل أن يبدو صلاحه أو يدرك، أو هو أن يغيّب الرّجل إبله عن المصدّق، من: أجبأتُه، أي واريتُه، وفي الحديث: «ومن أجبى فقد أربى». قال ابن الأثير: «والأصل في هذه اللّفظة الهمز، ولكنّه روي هكذا غير مهموز، فإمّا أن يكون تحريفًا من الرّاوي، أو يكون ترك الهمز للازدواج بأربى».

والجَبأ: التّراب، وعدّه الجوهريّ من «ج ب و»، فقال: «الجبا: نثيلة البئر، وهو ترابها الّذي حولها، تراها من بعيد»، وتعقّبه الزّبيديّ بقوله: «أصله الهمز».

الاستعمال القرآنيّ

جاءت (١٢) مرّة: مجرّدًا مرّتين: (١) و(١٢)، ومزيدًا من باب الافتعال عشر مرّات:

١ـ ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

القصص: ٥٧

٢ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم: ٥٨

٣ـ ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الأنعام: ٨٧

٤ـ ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ

حَتّٰى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَاكَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

آل عمران: ١٧٩

٥ـ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَاوَصّٰى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاوَصَّيْنَا بِهِ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَاتَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللّٰهُ يَجْتَبِي مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ الشّورى: ١٣

٦ـ ﴿...وَعَصٰى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوٰى * ثُمَّ اجْتَبٰيهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدٰى﴾ طٰهٰ: ١٢١، ١٢٢

٧ـ ﴿إِنَّ إِبْرٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّٰهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبٰيهُ وَهَدٰيهُ إِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النّحل: ١٢٠، ١٢١

٨ـ ﴿وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلٰى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلٰى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يوسف: ٦

٩ـ ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبٰيهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

القلم: ٤٩، ٥٠

١٠ـ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبٰيكُمْ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰهِيمَ...﴾ الحجّ: ٧٨

١١ـ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَايُوحٰى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٣

١٢ـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ: ١٣

يلاحظ أوّلًا: أنّه جاء مجرّدًا بالمعنى اللّغويّ الأصليّ مرّتين فعلًا واسمًا:

الأُولى في (١): ﴿يُجْبٰى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وفيها بحوث:

١ـ وهب الله أهل مكّة ـ وهي أرض قفر غير ذي زرع ـ جباية الثّمار إليهم من أطراف البلاد، كما وهبهم جوار البيت الحرام والتّوطّن في البلد الآمن قديمًا، وخصّهم بنعمة النّبوّة حديثًا. وقد اعتذروا لرفضهم هذه النّبوّة ـ وهي الهدى ـ بأنّهم لو اتّبعوا الهدى مع النّبيّ، وآمنوا بما جاء به من الكتاب يُتخطّفون من أرضهم، فأبان الله لهم بأنّه كما جبى إليهم الثّمرات من بلاد بعيدة ـ وهي نعم مادّيّة ـ ولم يُتخطّفوا من أرضهم، كذلك آتاهم ثمرات شجرة النّبوّة ـ وهي النّعم المعنويّة ـ الّتي وهبها الله الرّسل بصُورٍ شتّى، فجمعها لهم تمامًا ـ على فترة من الرّسل وشذوذ من الهُدى ـ في هذا الدّين الحنيف.

فيبدو أنّه مثّل هذه الموهبة المعنويّة العظمى بتلك النّعم المادّيّة الصُّغرى، فردّ اعتذارهم الباطل بأنّه تعالى خصّهم فضلًا عن هذه الثّمرات بجوار البيت الحرام، وبأنّهم من ذرّيّة إبراهيم عليه السلام، فاختصاصهم بالهدى أولى بهم وأليق من تلك الثّمرات، فأين ثمار الأشجار من ثمار الإيمان؟

٢ـ قولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، يُعلن خطورة مصاحبتهم للنّبيّ في دعوته، لأنّه يدعو إلى التّوحيد، والنّاس مشركون، فيقابلونهم بإخراجهم من أرضهم، كما أخرجوا جماعة ممّن آمن به من ذي قبل، وكادوا أن يخرجوا النّبيّ منها، وقد فرض الله الهجرة على المؤمنين لئلّا تمنعهم علاقتهم بأرضهم من الهدى.

٣ـ جاء (يُجْبَى) مجهولًا إيماء إلى كثرة تلك الثّمار، وأنّها تُجبى إليهم من كلّ مكان، وبأيادٍ كثيرة لاتُحصى.

٤ـ قد سبق أنّ أصل المادّة يدلّ على جمع الماء في الحوض، فهي تمثّل لنا أنّ آثار الإيمان والهداية كالأنهار الجارية، تُجمع في جابية الشّريعة.

٥ ـ الجمع بين الثّمرات والحرم الآمن يُمثّل لنا أنّ القلوب تهفوا إلى البيت من كلّ بلدٍ كما تُجبى إليه الثّمرات منها.

الثّانية في (١٢): ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ فـ(الجَوَاب) جمع الجابية، وأصلها: (الجَوَابي) ـ وقد قرئت بها ـ وهي ظرف يُجمع فيه الماء للإبل. وهذه جاءت وفق متن اللّغة بلاإيماء وكناية، والأُولى جاءت كنايةً وتمثيلًا.

ثانيًا: جاء الفعل من باب «الافتعال» في غيرهما من الآيات، وأُريد به اختيار الرّسل للرّسالة في ثمان منها: (٢ ـ ٩)، واختيار هذه الأُمّة لدعوتها إلى الإسلام مرّة في (١٠)، وأُريد به الاختلاق في (١١)، وفيها جهات من البحث:

١ـ باب «الافتعال» له معانٍ أقربها وألصقها بهذه الآيات المبالغة في الفعل، مثل اكتسب، أي بالغ في الكسب، فالاجتباء هو المبالغة في الجمع، واجتباء الرّسل، هو المبالغة في جمع القِيَم فيهم، واختصاصهم بالنّبوّة من بين النّاس، وقد عبّروا عنه بـ: اخترناهم، اصطفيناهم، أخلصناهم ونحوها.

قال الفَخْرالرّازيّ: «الاجتباء إذا ذُكر في حقّ الأنبياء عليهم السلام لايليق به إلّا الحمل على النّبوّة والرّسالة».

وقال الآلوسيّ: «المُجتبى كأنّه في الأصل مَن جُمعت فيه المحاسن حتّى اختاره غيره وقرّبه».

وقال الطّباطبائيّ: «في معنى الاجتباء جمع أجزاء الشّيء وحفظها من التّفرّق والتّشتّت، وفيه حركة من الجابي نحو المُجبَى، فاجتباء الله عبدًا من عباده، هو أن يقصده برحمته ويخصّه بمزيد كرامته فيجمع شمله، ويحفظه من التّفرّق في السّبل المتفرّقة الشّيطانيّة المُفرّقة للإنسان، ويُركبه الصّراط المستقيم، وهو أن يتولّى أمره ويخصّه بنفسه، فلايكون لغيره فيه نصيب».

فقد لاحظوا فيه «الجمع» إلّا أنّ الآلوسيّ اعتبر جمع المحاسن والقِيَم في النّبيّ، والطّباطبائيّ اعتبر جمع النّبيّ من التّفرّق واختصاصه بالله فيتولّى أمره، ومن ذلك ظهر أنّ الاختيار والاصطفاء والإخلاص ونحوها كلّها لازم للمعنى، وكناية عن المبالغة في جمع القِيَم في الرّسل.

ويظهر من بعضهم أنّ الاجتباء هو مطاوعة المَجْبَي. قال البَيْضاويّ: من «جبي إليّ كذا فاجتبيته، مثل جلبتَ عليّ العروس فاجتليتها» وأصل معنى الكلمة «الجمع» وتبعه غيره. والأوّل هو الأقرب.

٢ـ آيات اجتباء الرّسل صنفان: صنف منها يعمّ الأنبياء كافّة، فهم نُخبة من البشر، جمع الله فيهم القِيَم.

وهذا في (٢ ـ ٥)، وصنف منها يخصّ نبيًّا من الأنبياء، ابتداءً بآدم أبي البشر (٦)، ثمّ إبراهيم (٧) ثمّ يوسف (٨) ثمّ يونس (٩).

٣ـ وقد اجتبى الله آدم بعد أن عصى ربّه وتاب الله عليه وهداه (٦). وكذلك اجتبى يونس (٩) بعد أن صدر عنه ماشانه فتداركته رحمة من ربّه، أمّا غيرهما من الأنبياء فاجتباهم ابتداءً من غير سبق مايشينهم، نعمةً منه إليهم.

٤ـ قد جمع الله (الهُدى) وضمّها إلى الاجتباء في (٢) و(٣) و(٥) و(٦) و(٧)، وهذا نصّ في أنّ الأنبياء أُكرموا بالنّبوّة مع الهداية، والهداية مقدّمة النّبوّة، فالله يهدي الأنبياء ثمّ يجتبيهم لوحيه ورسالته.

٥ ـ ربط الله في (٤) بين الاطّلاع على الغيب وبين الرّسالة، رمزًا إلى أنّه لايعلم الغيب إلّا الله، والرّسل يعلمونه من الله ويوحي منه.

٦ـ خُصّت الآية (١٠) وهي خطاب إلى المؤمنين الأوائل بأنّ الله اجتباهم لهذه الدّعوة، وهي ملّة أبيهم إبراهيم عليه السلام، بعد أن وصفه في (٧) بأنّه كان أُمّةً، قانتًا لله، حنيفًا، ولم يكن من المشركين، شاكرًا لأنعمه، فاجتباه وجمع فيه هذه القيَم الكبرى، وهداه إلى صراط مستقيم.

والاجتباء فيها هو أنّه تعالى جمع فيهم من الصّفات والخصال مايعدّهم لتلقّي هذه الدّعوة بقلوبهم، ولنشرها بين الأُمم بجهادهم وجهودهم، ورفع عنهم الحرج في دينهم، فقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبٰيكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحجّ: ٧٨، وقد وصفهم بـ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣، فقد منّ عليهم وبالغ فيهم فاجتباهم لهذه الدّعوة، كما اجتبى رسله بالنّبوّة.

ومنه نستشعر بأنّ العرب الإبراهيميّة كانت مستعدّة لها أكثر من غيرها من الشّعوب، فالآية نظير الآية (٨) حيث قال تعالى ليوسف: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلٰى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلٰى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ﴾، ومثلها (٢) و(٣) و(٥) حيث أكّدت الوراثة في النّبوّة عن الآباء.

٧ـ جاء في (١١) خطاب الكفّار للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾، وقد فسّروها بـ: تكلّفتها، تخلّقتها، أحدثتها، اختلعتها، تقوّلتها، افتعلتها، اخترعتها، جئت بها من نفسك، اصطنعتها افتعالًا من نفسك ونحوها، ومآلها واحد، أي أنّهم كانوا يتّهمونه بأنّه يفتري على الله، ويتقوّل الآيات من عند نفسه، كما قالوا: ﴿مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ سبأ: ٤٣، فهذا تعريضٌ منهم له بأنّك لِمَ تقوّل على الله آية، كما كنت تتقوّل عليه الآيات قبلها؟

والحقّ أنّ اجتبى جاء هنا بمعناه الشّائع، وهو الاختيار. والاختلاق والتّكلّف ونحوها، لازم المعنى يستفاد من السّياق، أي إذا أنت تختار الآية وتسندها إلى الله فقد اختلقتها.

وفسّره آخرون بـ(لولا تلقّيتها من ربّك) أي إذا أنت تزعم أنّك نبيّ وأنّ منزلتك عنده منزلة الرّسالة، فهلّا اقترحتها على ربّك إن كنت صادقًا في أنّ الله يقبل دعاءك، ويجيب طلبك.

وحاصل الوجهين أنّ الأمر في ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يدور بين التقوّل من عند نفسه، وبين الأخذ من ربّه، أي بين الافتراء على الله والاقتراح عليه، وكلاهما تعريض للنبيّ عليه السلام، فالأوّل تعريض له بأنّه يفتري على الله، والثّاني تعريض له بأنّه يدّعي القرب من الله بالرّسالة فيجيبه متى دعاه ويقبل منه مااقترح عليه فلِمَ لايدعوه الآن ليجيبه فينزّل عليه الآية؟

وقد حكى الطّبَريّ القولين، وفضّل الأوّل استناداً إلى مابعده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وعندنا أنّه ليس صريحًا في نفي الافتراء، بل يحتمله كما يحتمل نفي الاقتراح، أي إنّي لااقترح على الله الآيات، بل اتّبع ماأُوحي إليّ من ربيّ الّذي ربّاني وعلّمني وهداني بالوحي، من دون أن أقترح عليه شيئًا. ويؤيّده ذيل الآية: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ...﴾

والآية بعدها: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا...﴾.

ثالثًا: توجد علاقة بين الاجتباء والبعث، بشأن الأنبياء، لاحظ «ب ع ث».

رابعًا: الآيات كلّها مكّيّة سوى آية آل‌عمران (٤) فهي خطاب للمؤمنين بأنّه سوف يختبرهم ويميّز بين الخبيث والطّيّب منهم لاختلاطهم بالمنافقين في المدينة، وفي نفس الوقت دفعٌ لشبهة علم النّبيّ بالغيب، ولعلّ اليهود هم الّذين طرحوها وألقوها بين المؤمنين. وأمّا آية سورة الحجّ (١٠) فردّدة بين المكّيّة والمدنيّة، كما سبقت منّا مرارًا.

وسرّ اختصاصها بمكّة هو إصرار أهلها على إنكار النّبوّات رأسًا فاحتاجوا إلى التّأكيد لها مرارًا.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ث ث

اجْتُثَّتْ

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: الجَثّ: قَطعُك الشّيء من أصله.

والاجتثاث أوحَى[1] منه، واللّازم: انجثّ واجتثّ أيضًا.

وشجرةٌ مُجتَثّةٌ: لاأصل لها في الأرض.

والمُجتَثّ من «العَروض» «مُستَفعِلُنْ فاعلات» مرّتين. ولايجيء من هذا النّحو أنقص منه ولاأطوَل إلّا بالزِّحاف. [إلى أن قال:]

والجُثّة: خَلْق البدن الجسيم.

وجُئِثت منه وجُثِثت، ورجل مجثوث ومجؤوث، أي قد جُثّ، يعني أُفزع. (٦: ١٢)

الأخفَش الأكبر: الجثيثة: ماتساقط من أُصول النّخل. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٢)

الكِسائيّ: جُئِث الرّجل جأثًا، وجُثّ جَثًّا، فهو مجؤوث،ومجثوث،إذا فزِع وخاف. (الأزهَريّ١٠:٤٧٢)

أبوعمرو الشّيبانيّ: الجثيثة: النّخلة الّتي كانت نواةً فحُفِر لها وحُمِلت بجرثومتها، وقد جُثّت جثًّا.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧٢)

الأصمَعيّ: في صغار النّخل أوّل مايُقلع منها شيءٌ من أُمّه: فهو الجثيث والوَديّ والهِراء والفَسيل.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧١)

أبوعُبَيْد: منه حديث النّبيّ ﷺ في المغاري، في أوّل يوم مارأى جبريل عليه السلام قال: «فجُئِثتُ منه فَرَقًا» وبعضهم يقول: «جُثِثتُ». قال الكِسائيّ: هما جميعًا من الرّعب، يقال: رجل مجؤوث ومجثوث. (١: ٢٤٦)

ابن الأعرابيّ: جَثّ المُشتار، إذا أخذ العسل بجِثّه ومحارينه، وهو ماماتَ من النّحل في العسل.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧١)

وجَثّ الجراد: ميّته. (ابن سيده ٧: ١٩٤)

---

(١) أسرع منه في القطع.

ابن السّكّيت: وجُثّ منّي فَرَقًا، امتلأ منّي رُعبًا.
(١٨٢)

ابن أبي اليَمان: الجَثّ: القَلْع. (٢٢٦)

الزّجّاج: ومعنى اجتُثّت في اللّغة: أُخذت جُثّته بكمالها. (٣: ١٦١)

ابن دُرَيْد: جَثَثتُ الشّجر وغيرها جَثًّا، إذا انتزعتها من أصلها، وفسّر قوله جلّ ثناؤه: ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ إبراهيم: ٢٦، من هذا، والله أعلم. والمِجَثّة والمِجثاث: حديدة يُقلع بها الفسيل، والفسيلة: جَثيثة. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٣)

والجُثّ: ما ارتفع من الأرض حتّى يكون له شخص، مثل الأُكيمة الصّغيرة ونحوها. [ثمّ استشهد بشعر]

وأحسِبُ أنّ جُثّة الرّجل من هذا اشتقاقها. وقال قوم من أهل اللّغة: لاتسمّى جُثّة إلّا أن يكون قاعدًا أو نائمًا. فأمّا القائم فلايقال: جُثّته إنّما يقال: قِمّته. وزعموا أنّ أباالخطّاب الأخفش كان يقول: لاأقول: جُثّة الرّجل إلّا لشخصه على سَرْج أو رَحْل، ويكون معتمًّا، ولم يُسمع عن غيره. (١: ٤٤)

الصّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والجثيث: الوديّ من النّخل، وقيل: هي الّتي جُثّتْ، أي نُقِلَتْ. والجَثيثة: النّقيلة من الفُسلان.

والجُثّة: خَلْقُ البدن، والجماعة من النّاس، والجميع: جُثَث.

والمُجتَثّ من «العَروض»: «مُستَفعِلُنْ فاعِلاتُنْ» مرّتَين.

والجَثّ: خِرْشاءُ العسل من شَمَعه وماقيه من ميّت النّحل. وقيل: جَثّ النّحل: دَوِيُّها.

وجَثّ فلانٌ بغائطه: رمى به.

وجثّه بالعصا: ضربه بها. [إلى أن قال:]

ويقولون: وقَعْتُ منه في جِثّة، أي في بلاء.

والجَثيث: ماتساقط في أُصول الشّجر. (٦: ٣٩٨)

الجَوهَريّ: الجُثّة: شخص الإنسان قاعدًا أو نائمًا.

وجَثّه: قلعَه، واجتثّه: اقتلعه.

والجَثيث من النّخل: الفَسيل، والجَثيثة: الفَسيلة. ولاتزال جَثيثةً حتّى تُطْعِمَ، ثمّ هي نخلة.

والمِجثّة والمِجْثاث: حديدة يُقطَع بها الفسيل.

والجَثّ بالفتح: الشّمَع، ويقال: هو كلّ قذًى خالَط العسل، من أجنحة النّحل وأبدانها. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٧٧)

ابن فارِس: الجيم والثّاء يدلّ على تجمّع الشّيء، وهو قياس صحيح. فالجُثّة: جُثّة الإنسان، إذا كان قاعدًا أو نائمًا. والجُثّ: مجتمع من الأرض مرتفع كالأُكمة. قال ابن دُرَيْد: «وأحسب أنّ جُثّة الرّجل من هذا».

ويقال: الجَثّ: قذًى يخالط العسل. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: الجَثّ: الشّمَع، والقياس واحد ويقال: نَبْتٌ جُثاجِث: كثيرٌ، ولعلّ «الجَثجاث» من هذا. وجُئِثْتُ من الرّجل، إذا فزِعْتَ، وذلك أنّ المذعور يتجمّع.

فإن قال قائل: فكيف تقيس على هذا جَثَثتُ الشّيء واجتثثته إذا قلعته، والجَثيث من النّخل: الفَسيل، والمِجَثّة: الحديدة الّتي تقتلع بها الشّيء؟

فالجواب: أنّ قياسه قياس الباب، لأنّه لا يكون

بجثوثًا إلّا وقد قُلع بجميع أُصوله وعُروقه، حتّى لايُترك منه شيء. فقد عاد إلى ماأصّلناه. (١: ٤٢٥)

أبوهِلال: الفرق بين الشّخص والجُثّة: أنّ الجُثّة أكثر ماتستعمل في النّاس، وهو شخص الإنسان إذاكان قاعدًا أو مضطجعًا، وأصله: الجَثّ، وهو القطع، ومنه قوله تعالى: ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾.

والمِجْثاث: الحديدة الّتي يُقلع بها الفسيل، ويقال للفسيل: الجثيث، فيسمّى شخص القاعد: جُثّة، لقصره كأنّه مقطوع[1]. (١٣١)

ابن سيده: الجَثّ: القطع، وقيل: انتزاع الشّجر من أُصوله. جثّه يَجُثّه جثًّا واجتثّه، فانجثّ، واجتثّ.

والمُجتثّ: ضرب من «العَروض»، على التّشبيه بذلك، كأنّه اجتثّ من الخفيف، أي قُطع.

وقال أبوإسحاق: سمّي مجتثًّا، لأنّك اجتثثت أصل الجزء الثّالث، وهو «مَف» فوقع ابتداء البيت من «عولات مس».

والجَثيث: أوّل مايُقلع من الفَسيل من أُمّه، واحدته: جَثيثة. [ثمّ استشهد بشعر]

والمِجثّة، والمِجثاث: ماجُثّ به الجثيث.

والجَثيث: مايسقط من العِنب في أُصول الكَرْم.

وجُثّة الإنسان: شخصه متّكئًا أو مضطجعًا، وجمعها: جُثَث، وأجثاث. الأخيرة على طَرْح الزّائد، كأنّه جمع: جُثّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد يجوز أن يكون «أجثاث» جمع: جُثَث الّذي هو جمع: جُثّة، فيكون على هذا جمع جمع.

والجُثّ: ماأشرف من الأرض فصار له شخص.

والجُثّ: خِرْشاءُ العسل، وهو ماكان عليها من فراخها أو أجنحتها.

والجُثّ: غِلاف الثّمرة.

وجُثّ الرّجل جثًّا: فَزِع. (٧: ١٩٣)

الجَثّ: كلّ قذًى يخالط العسل من أجنحة النّحل وأبدانها وفراخها وموتاها، وغير ذلك.

(الإفصاح ١: ٤٦٥)

الجَثّ: الرّمل اليابس الخشِن. (الإفصاح ٢: ١٠٥٣)

معنى اجتثّ الشّيء في اللّغة: أخذ جُثّته بكمالها، جَثَثْته أجُثّه جثًّا، واجتثثته: اقتلعته وقطعته، فانجثّ الشّيء واجتثّ. (الإفصاح ٢: ١٣٥٥)

الرّاغِب: يقال: جَثَثْتُه فانجثّ وجَسَسْتُه فاجتَسّ، قال الله عزّوجلّ: ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ أي اقتُلِعتْ جُثّته.

والمِجثّة: مايُجثّ به.

وجُثّة الشّيء: شخصه النّاتئ. والجُثّ: ماارتفع من الأرض كالأكَمة، والجُثّة سمّيت به، ولِما يأتي جُثّته بعد طَحْنه.

والجَثجاثُ: نَبتٌ. (٨٨)

الزّمَخْشَريّ: فلان صغير الجُثّة، وهي شخصته قاعدًا، ولهم هِمَمٌ دِقاقٌ إلى جُثَثٍ ضِخام. وجثّه واجتثّه: استأصله ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾.

وشجر مُجتثّ: لاأصل له في الأرض.

(أساس البلاغة: ٥١)

[وفي حديث المبعث «فجئِثتُ منه فرقًا»]

---

(١) والشّخص: ماارتفع من الأجسام.

جُثِت الرّجل: قُلِع من مكانه فزَعًا. والثّاء بدل من فاء جُثِف الشّيء بمعنى جُعِف، إذا قُلِع من أصله. [ثمّ استشهد بشعر]

وروي: «فَجُئِثْتُ» وهو أيضًا من جَثّ واجْتُثّ، إذا قُلِع. (الفائق ١: ١٨٣)

ابن الأثير: وفي حديث أبي هريرة: «قال رجل للنّبيّ ﷺ: «ماترى هذه الكَمْأة إلّا الشّجرة الّتي اجتُثّت من فوق الأرض، فقال: بل هي من المَنّ» اجتُثّتْ، أي قُطِعت، والجَثّ: القطع.

وفي حديث أنس: «اللّهمّ جافِ الأرض عن جُثّته» أي جسده. (١: ٢٣٨)

الصّغانيّ: الانجثاث: الانقلاع.

وجُثّ الرّجل، على مالم يسمّ فاعله: إذا فزع وخاف. والجُثّة: البَلاء.

والجَثّ: الدّويّ.

وجَثّت النّحل تَجُثّ: إذا سمعت لها دويًّا. (١: ٣٥٥)

الفيّوميّ: الجُثّة: للإنسان إذا كان قاعدًا أو نائمًا، فإن كان مُنتصبًا فهو طَلَل، والشّخص يعمّ الكلّ.

وجَثَثْتُ الشّيء أجُثّه من باب «قتل» واجتثثته: اقْتَلَعته. (١: ٩١)

الفيروزاباديّ: الجَثّ: القطع، أو انتزاع الشّجر من أصله، وبالضّمّ: ماأشرف من الأرض حتّى يكون كأكَمَة صغيرة، وخِرْشاءُ العسل، وميّت الجراد، وغِلاف الثّمرة، والشّمع، أو كلّ قَذًى خالط العسل من أجنحة النّحل.

والمِجَثّة والمِجْثات: ماجُثّ به الجَثيث، وهو ماغُرِس من فِراخ النّخل.

وجُثّة الإنسان بالضّمّ: شخصُه، وبالكسر: البلاء.

وجَثّ: فَزِع وضَرَب، والنّحل: رفعت دويّها.

وبحر المُجتثّ وزنه: مُسْتَفْعِ لُنْ فاعلاتن فاعلاتن. (١: ١٦٩)

المُصْطَفَويّ: «الجَثّ» يدلّ على الجمع بطريق القلع، كما أنّ «الجبْي» كان الجمع بطريق الانتخاب، و«الجبّ» بمعنى مُطلق التّجمّع.

والجُثّة وزان فُعْلَة: مايتجمّع بعنوان جسد الإنسان، بحيث يلاحظ فيه هذا العنوان فقط كالجُثّ.

والجَثيث: باعتبار تجمّعه وانقلاعه واستخراجه من الأرض على أطراف النّخل. وصدق هذا العنوان مشروط في الأوّل بالنّوم أو القعود، وفي الثّاني بعدم الاستقلال حتّى يقال: إنّه نخل. (٢: ٥٤)

النّصوص التّفسيريّة

اجْتُثَّتْ

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ. إبراهيم: ٢٦

ابن عبّاس: اقتُلعت. (٢١٣)

مثله الماوَرْدي (٣: ١٣٤)، والطُّوسيّ (٦: ٢٩٣).

قَتادَة: استؤصلت من فوق الأرض. (الطّبَريّ ١٣: ٢١٢)

مثله الزّجّاج (٣: ١٦١)، وابن القيّم (٣٣٢)، وفضل الله (١٣: ١٠٧)

مؤرّج السّدُوسيّ: أُخذت جثّتها وهي نفسها، والجُثّة: شخص الإنسان قاعدًا أو قائمًا. (القُرطُبيّ ٩: ٣٦٢)

ابن قُتَيْبَة: أي استُؤصِلت وقُطعت. (٢٣٢)

مثله الخازن. (٤: ٣٤)

الطَّبَريّ: استؤصلت، يقال منه: اجتثثت الشّيء أجتثّه اجتثاثًا، إذا استأصلته. (١٣: ٢١٢)

البغَويّ: انقلعت. (٣: ٣٨)

المَيْبُديّ: أي استؤصلت جثّته وقُلعت بتمامها، لأنّ عروقها قريبة من الظّاهر لاتثبت زمانًا، بخلاف النّخلة وكثير من سائر الأشجار، كذلك الكافر ليس لقوله ولالعمله أصل يستقرّ على الأرض، ولافرع يصعد إلى السّماء. (٥: ٢٥٣)

الزّمَخْشَريّ: في مقابلة قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ومعنى اجتُثّت استؤصلت، وحقيقة الاجتثاث: أخذ الجثّة كلّها. (٢: ٣٧٧)

مثله الفَخْرالرّازيّ (١٩: ١٢١)، والنّسَفيّ (٢: ٢٦١)، والنّيسابوريّ (١٣: ١٢٦)، والمَراغيّ (١٣: ١٤٧)، والحجازيّ (١٣: ٦٣)، ونحوه البَيْضاويّ (١: ٥٢٠)، والبُرُوسَويّ (٤: ٤١٥)، والآلوسيّ (١٣: ٢١٤).

الطَّبْرِسيّ: أي اقتُطعت واستؤصلت واقتُلعت جثّته من الأرض. (٣: ٣١٣)

القُرطُبيّ: جَثّه: قلَعه، واجتثّه: اقتلعه من فوق الأرض، أي ليس لها أصل راسخ يشرب بعروقه من الأرض. (٩: ٣٦٢)

ابن عَطيّة: [ذكر أقوال المتقدّمين وقال:]

والظّاهر عندي أنّ التّشبيه وقع بشجرة غير معيّنة إذا وُجدت فيها هذه الأوصاف. فالخبث، هو أن تكون العضاه، أو كشجر السّموم أو نحوها، إذا اجتُثّت ـ أي اقتُلعت، حيث جثّتها بنزع الأُصول وبقيت في غاية الوهاء والضّعف ـ لتقلبها أقلّ ريح. فالكافر يرى أنّ بيده شيئًا وهو لايستقرّ ولايُغني عنه، كهذه الشّجرة الّتي يظنّ بها على بعد أو للجهل بها أنّها شيء نافع وهي خبيثة الجَنى غير باقية. (٣: ٣٣٦)

أبوحَيّان: و﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ مقابل لقوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي لم يتمكّن لها أصل ولاعرق في الأرض، وإنّما هي نابتة على وجه الأرض. (٥: ٤٢٣)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَثّ، أي قطع أصل الشّجر، ثمّ عُمّم في كلّ قطع، يقال: جَثّهُ يَجُثُّه جَثًّا، وجَثّته واجتثّته فانجثّ، واجتثّ الشّيء: أخذت جُثّته بكمالها، وشجرة مُجتثّة: ليس لها أصل في الأرض.

والجَثيث: أوّل مايُقلع من الفسيل من أُمّه، واحدته: جَثيثة، أي الفسيلة، ولاتزال جَثيثة حتّى تُطعم، ثمّ هي نخلة.

والمِجَثّة والمِجْثاث: حديدة يقلع بها الفسيل.

والجَثّ: الشّمع، والجراد الميّت، ومامات من النّحل في العسل، يقال: جَثّ المشتار، أي أخذ العسل بجَثّه ومحاربنه، أي مامات فيه من النّحل.

٢ـ ولقد أبعد ابن فارس في هذا الأصل كثيرًا، إذ جعل الأصل لهذا الباب: تجمّع الشّيء، وزعم أنّه قياس صحيح، وقاس عليه جُثّة الإنسان، والجُثّ، أي مجتمع الأرض المرتفع، والجَثّ، وهو مايجتمع في العسل، والشّمع. ودعم هذا القياس بقوله: «نبت جثاجث: كثير، ولعلّ الجثجاث من هذا»، و«جُئِثْتُ من الرّجل،

إذا فَزِعت منه، وذلك أنّ المذعور يتجمّع»!

ونحن نكرّر عليه سؤاله: «فكيف تقيس على هذا جَثَثْتُ الشّيء واجتثثْتُه، إذا قلعتَه، والجَثيث من النّخل: الفسيل، والمِجَثّة: الحديدة الّتي يُقتلَع بها الشّيء»؟

ولانقتنع بقوله: «قياسه قياس الباب، لأنّه لايكون مجثوثًا إلّا وقد قُلع بجميع أُصوله وعُروقه، حتّى لايُترَك منه شيء، فقد عاد إلى ماأصّلناه» لأنّه تمحّل بيّن.

ثمّ إنّ أصل ماأصّل عليه ليس من هذا الباب، لأنّ «الجثاجث» و«الجثجاث» من مادّة «ج ث ج ث»، ومعنى الفزع من المهموز، قال ابن السّكّيت: «قد جُئِفَ الرّجل وجُئِثَ وزُئِدَ، إذا فَزِعَ»، وقال الحَرْبيّ في حديث النّبيّ ﷺ: «فجُئِثتُ منه» أراد «جُثِثتُ» فجعل مكان الهمزة ثاء. والجُثّة: شخص الشّيء، والجُثّ: الأرض المرتفعة، وغلاف الثّمرة، من «الجُفّة» و«الجُفّ». فالثّاء بدل عن الفاء، والفاء أكثر مايعتري الثّاء من سائر الحروف عند الإبدال، مثل: الجَدَف والجَدَث، والفِناء والثّناء، والفوم والثّوم، وغيرها كثير.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت مرّة واحدة، في سورة مكّيّة: وقد سبقت

يلاحظ أوّلًا: أنّ (اجتُثّتْ) جاءت وصفًا لشجرة خبيثة نبتت على سطح الأرض لاقرار لها، مثلًا لكلمة خبيثة لابقاء لها، ومقابلةً لكلمة «طيّبة» الّتي هي كشجرة طيّبة لها قرار ثابت في تخوم الأرض.

ثانيًا: تمثيل الكلمة طيّبها وخبيثها بالشّجرة بنوعيها، من أجل نموّها وسرايتها وأثرها الباقي والزّائل. لاحظ «ك ل م» و«ش ج ر».

ثالثًا: جاء في جانب الكلمة «الطّيّبة» أنّها شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء. أمّا الكلمة «الخبيثة» فاجتُثّت من فوق الأرض، فلافرع لها، كما لاأصل لها، فلهذا سكت عن أصلها وفرعها واكتفى بأنّها اجتُثّت من فوق الأرض.

رابعًا: جاءت (اجتُثّتْ) ماضيًا مؤنّثًا مجهولًا من باب «الافتعال» الدّالّ على الضّعف مرّة واحدة، تقليلًا وتحقيرًا لها، كأنّها انفلت وغابت عن الأذهان واختفت عن الآذان والأبصار، كأن لم تكن شيئًا مذكورًا، وهذا يحكي منتهى ضعفها، كما أنّ الكلمة الطّيّبة لها أصل في تخوم الأرض وفرعها في السّماء، ترتفع بلاحدود وإلى غير نهاية، وهذا يحكي منتهى قوّتها.

خامسًا: جاءت الكلمة بنوعيها في آيتين، ثمّ طبّقها الله في آية بعدها على فريقين: على المؤمنين الّذين وصفهم بأنّ الله يثبّتهم بإيمانهم الصّادق بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا والآخرة، وعلى الظّالمين الّذين يضلّهم الله بظلمهم البالغ ويفعل بهم مايشاء. فلم يذكر الحياتين بشأنهم اكتفاء بما سبق، وتعميمًا لحال الظّالمين بأنّ الله يفعل بهم مايشاء من الذّلّ والهوان والعذاب في جميع الأحوال، وهي تشمل الدّنيا والآخرة، إلّا أنّ إهمال حالهم أبلغ من اختصاصها بالدّنيا والآخرة.

سادسًا: وصف في هذه أهل «الكلمة الطّيّبة» بالمؤمنين الّذين يثبّتهم الله بالقول الثّابت، وأهل «الكلمة الخبيثة» بالظّالمين الّذين يضلّهم الله، والبحث في الهداية والإضلال المنسوبتين إلى الله، يأتي في «ض ل ل» و «هـ د ي»، فانتظر.

ج ث م

جَاثِمِينَ

لفظ واحد، ٥ مرّات مكّيّة، في ٣ سور مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

عِكْرِمَة: المُجَثَّمَة: الشّاة، تُرمى بالنَّبل حتّى تُقتل.

(الأزهَريّ ١١: ٢٦)

الخَليل: جَثَم يَجثِم جُثومًا، أي لَزِم مكانًا لايَبرَحُ.

وفي بعض الوصف: إذا شَرِب على العسَل، جَثَم على المَعِدة، ثمّ قذَف بالدّاء.

والجاثُوم: الكابُوس، أي الدَّيثان.

والجُثّامة: الرّجل البليد، والسّيّد الحليم.

والجُثْمان بمنزلة الجُسْمان، جامع لكلّ شيء، تريد جِسْمَه وألواحه.

والجُثوم للطّير كالرُّبوض للغنَم.

و«نُهي عن المُجَثَّمة» وهي المصبورة من الطّير والأرانب وأشباهها، ممّا يَجثِم بالأرض إذا لزِمَتْها ولَبَدَتْ عليها. فإن حبَسَها إنسان قيل: جثّمَها فهي مُجَثَّمة، أي محبوسة، فإن فعَلَتْ هي، قيل: جثَمَتْ فهي جاثمة.

(٦: ١٠٠)

اللّيث: والجُثْمة والجُثَمة: كلاهما الأكَمَة، وهي الجُثوم. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ٢٧)

أبوزَيْد: الجُثْمان: الجُسْمان، يقال: ماأحسَن جُثْمان الرّجل وجُسْمانه! أي جسَده. [ثمّ استشهد بشعر]

(الجَوهَريّ ٥: ١٨٨٢)

الأصمَعيّ: جثَمَتْ وجَثَوْتُ واحد.

(الأزهَريّ ١١: ٢٧)

الجُثْمان: الشّخص، والجُسْمان: الجسم. [ثمّ استشهد بشعر] (الجَوهَريّ ٥: ١٨٨٢)

أبوعُبَيْد: أمّا المُجَثَّمة الّتي نُهي عنها، فإنّها المصبورة أيضًا، ولكنّها لاتكون إلّا في الطّير والأرانب وأشباه ذلك ممّا يَجثِم، لأنّ الطّير يَجثِم في الأرض وغيرها

إذا لزمته ولَبَدتْ عليه، فإن حبسها إنسان قيل: قد جُثِمت، أي فُعل ذلك بها، وهي مُجَثَّمة، وهي المحبوسة، فإذا فعلت هي من غير فعل أحد قيل: قد جَثِمتْ تَجثِم جُثومًا فهي جاثمة. (١: ١٥٥)

ابن الأعرابيّ: الجاثوم: هو الكابوس، وهو الدَّيثان. (الأزهَريّ ١١: ٢٦)

شَمِر: المُجَثَّمة: هي الشّاة الّتي تُرمى بالحجارة حتّى تموت، ثمّ تؤكل.

والشّاة لاتَجثِم، إنّما الجُثوم للطّير، ولكنّه استُعير.

ويقال: جثَم فلان بالأرض يَجثِم جُثومًا، إذا لَصِق بها ولَزِمها، فهو جاثم. [ثمّ استشهد بشعر]

وجثَمت العُذُوق، إذا عَظُمت فلزمت مكانها. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: جُثْمانيّة الماء: وسطه ومجتمعه ومكانه. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال للّذي يقع على الإنسان وهو نائم: جاثوم وجُثَمٌ وجُثَمة، ورازمٌ، وركّاب، وجثّامة. وهو هذا النَّجْث الّذي يقع على النّائم. (الأزهَريّ ١١: ٢٦)

الدِّينوريّ: الجثَم: العِذق إذا عَظُم بُسره شيئًا، والجمع: جُثوم. (ابن سيده ٧: ٣٧٥)

المُبرِّد: [قال] الحُطَيئة:

أبوا غير ضرب يُجثِمُ الهامَ وَقْعُه
وطَعْن كأفواه المُزَفَّتة الحُمْر

«يُجثِم الهامَ وَقعُه» إنّما هو مثَل. يقال: جثَم الطّائر كما يقال: برَك الجمَل، وربَض البعير. (١: ٢٣٢)

ثَعْلَب: وجثَم اللّيل جُثومًا: انتصف. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن سيده ٧: ٣٧٤)

ابن دُرَيْد: وجثَم الطّائر يَجثُم ويَجثِم جُثْمًا وجُثُومًا، إذا ألصق صدره بالأرض، وموقعه: مَجثَمه، وكذلك السَّبُع، وربّما استعير لغير السَّبُع والطّير. [ثمّ استشهد بشعر]

وجثمان كلّ شيء: جسمه. يقال: أتانا بثَريد كجُثمان القطاة، أي كشخصها. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: جَثَمتُ الطّين أو التّراب، إذا جمعته، وهي الجُثْمة.

وفي الحديث: «نُهي عن المُجَثَّمة» قال بعضهم: هي الشّاة تُشدّ ثمّ تُرمَى حتّى تُقتَل، وجثَمتُ الطّائر، إذا رميته وهو جاثم.

والجاثوم: الّذي يسقط على النّاس في النّوم. (٢: ٣٣)

الجَوهَريّ: جثَم الطّائر، أي تلبّد بالأرض، يَجثِم ويَجثُم جُثومًا، وكذلك الإنسان. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: رجل جُثَمة وجَثّامة: للنَّؤوم الّذي لايسافر.

والمُجَثَّمة: المصبورة إلّا أنّها في الطّير خاصّة والأرانب وأشباه ذلك، تُجثَّم ثمّ تُرمى حتّى تُقتل؛ وقد نُهي عن ذلك.

ويقال: جاءنا بثَريد مثل جُثمان القطاة. (٥: ١٨٨٢)

ابن فارس: الجيم والثّاء والميم أصل صحيح، يدلّ على تجمّع الشّيء. فالجُثمان: شخص الإنسان، وجثَم، إذا لَطِيء بالأرض، وجثَم الطّائر يَجثِم. وفي الحديث: «نُهي عن المُجَثَّمة» وهي المصبورة على الموت. (١: ٥٠٥)

الهَرَويّ: والجُثوم للنّاس والطّيور بمنزلة البُروك

للإبل. (١: ٣١٩)

الأزهريّ: [وقيل:] الجثّامة: الرّجل الّذي لايبرح بيته، وهو اللُّبَد[1] أيضًا. (١١: ٢٧)

الصّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والجُثْمان: بمنزلة الجُسْمان، وهو معظم كلّ شيء.

والجاثوم: الكابوس، وكذلك الجُثَمة.

وتجثّم الطّائر تجثُّمًا، إذا سَفِد ونَزا.

ودارة الجثوم: لبني الأضبط بن كلاب، والجُثوم: ماءٌ لهم.

وإذا استقلّ الزّرع من الأرض شيئًا سمّي: جَثَمًا، يقال: جثَم الزّرع. (٧: ٧٩)

ابن سيده: جثَم الإنسان والطّائر والنّعامة والخِشْف والأرنب واليَرْبوع يجثِم، ويجثُم جَثْمًا وجُثُومًا، فهو جاثم: لزم مكانه فلم يبرح. وقيل: هو أن يقع على صدره.

وجمع الجاثم: جُثُوم.

والجُثام، والجاثوم: الدّيثان والكابوس، يجثم على الإنسان.

والجثّامة: السّيّد الحليم.

والمُجَثَّمة: المحبوسة، وفي الحديث: «أنّه نُهي عن المُجَثَّمة». قال بعضهم: لايكون إلّا في الطّائر والأرنب.

وجثَم الطّينَ والتّراب والرّماد: جمعها، وهي الجُثْمة.

والجَثْم والجثَم: الزّرع إذا ارتفع عن الأرض شيئًا، واستقلّ نباته. وقد جثَم يجثِم.

وجثَمت العُذُوق تجثُم، بضمّ التّاء، جُثُومًا: عظُم بُسْرها شيئًا.

والجُثْمان: الجسم. (٧: ٣٧٤)

والجثُّوم: جبَل. [ثمّ استشهد بشعر]

[ثمّ قال مقلوبه: «ث ج م»: سرعة الصّرف عن الشّيء، و«م ث ج»: مُثِج بالشّيء: غُذِي به]

(٧: ٣٧٤)

الطُّوسيّ: الجثوم: السّقوط على الوجوه، وقيل: هو القعود على الرُّكَب، يقال: جثَم على القلب، إذا ثقُل عليه. (٦: ٢٢)

الرّاغِب: والجُثْمان: شخص الإنسان قاعدًا.

ورجل جُثَمة وجثّامة: كناية عن النّؤوم والكسلان. (٨٨)

الزّمَخشَريّ: جثَم الطّائر، وهذا مجثِمة. «ونُهي عن المُجثَّمة» وهي المصبورة، وجاء بثريدةٍ كجُثْمان القطاة، ورأيتُ تمرًا مثل جُثْمان الجزور.

ومن المجاز: فلان جثّامة: لاينهض للمكارم. (أساس البلاغة: ٥١)

«نُهي عن المُجثَّمة» هي البهيمة تُجثَّم، ثمّ تُرمى حتّى تُقتَل. (الفائق ١: ١٩٠)

«ثمّ تجثّمها لينكحها» تجثّمها: من تجثّم الطّائر أُنثاه، إذا علاها للسّفاد. (الفائق ١: ٢٢٢)

ابن الأثير: فيه: «أنّه نُهي عن المُجثَّمة» هي كلّ حيوان يُنصب ويُرمى ليُقتَل، إلّا أنّها تكثر في الطّير والأرانب وأشباه ذلك ممّا يجثِم في الأرض، أي يلزمها ويلتصق بها. وجثَم الطّائر جُثُومًا، وهو بمنزلة البُروك للإبل. (١: ٢٣٩)

---

(١) من لايسافر ولايترك منزله.

الفَيُّوميّ : جثَم الطّائر والأرنب يَجثِم من باب «ضرَب» جُثومًا، وهو كالبُروك من البعير، وربّما أُطلق على الظّباء والإبل.

والفاعل: جاثم وجثّام مبالغة، ثمّ استعير الثّاني مؤكّدًا بالهاء للرّجل الّذي يلازم الحضَر ولايسافر، فقيل: فيه جثّامة، وزان: علّامة ونسّابة، ثمّ سمّي به. (١: ٩١)

الفيروزاباديّ: جثَم الإنسان والطّائر والنّعام والخِشْف واليَرْبُوع يَجثِم جَثْمًا وجُثومًا، فهو جاثم وجثُوم: لَزِم مكانه فلم يبرح، أو وقع على صدره، أو تلبّد بالأرض.

واللّيل جُثُومًا: انتصف، والزّرع: ارتفع عن الأرض واستقلّ نباته، وهو جثْمٌ ويُحرّك.

والعِذْق جُثُومًا: عظُم بُسْرُه وهو جثَمٌ.

والطّين والتّراب والرّماد: جمَعه، وهي الجُثْمَة بالضّمّ.

وكغُراب: الكابُوس كالجاثوم.

والجَثّامة: البليد، والسّيّد الحليم، ونوّام لايسافر كالجاثوم والجُثَمَة كهُمَزة وصُرَد.

والجُثمان: بالضّمّ: الجِسْم، والشّخص، وجُثمانيّة الماء في قول الفَرَجيّة:

وباتت بجثمانيّة الماء نيبُها

إلى ذاتِ زَجلٍ كالمآتم حُسّرا

أرادت الماء نفسه أو وسطه أو مجتمعه. والجُثُوم بالضّمّ: ماءٌ لهم، وجبَلٌ، والأكَمَة كالجثمة محرّكة، ودارةُ الجُثُوم: لبني الأضبط. (٤: ٨٨)

مَجْمَعُ اللُّغة : جَثِم يَجثَمُ جُثومًا: لَزِم مكانه لاصقًا بالأرض لايبرح، فهو جاثم وهم جاثمون. (١: ١٨٢)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جثَم الطّائر، وقع على صدره، أو لَزِم مكانه.

وجثَم الإنسان: لزم مكانه فلم يبرح، أو لصق بالأرض فهو جاثم، والجمع: جاثمون. (١: ١٠٢)

المُصْطَفَويّ : الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التّجمّع من جهة الاستقرار والسّكون، والتّثبّت على المكان، فهي قريبة من الجثّ والجَثْي والجَبّ. (٢: ٥٥)

النّصوص التّفسيريّة

جاثِمِينَ

١ـ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. الأعراف: ٧٨

ابن عبّاس : ميّتين لايتحرّكون. (١٣١)

نحوه ابن زَيْد (الطّبَريّ ٨: ٢٣٣)، والنّيسابوريّ (٨: ١٦٧).

خامدين ميّتين لايتحرّكون. (الواحديّ ٢: ٣٨٤)

نحوه البَيْضاويّ. (١: ٣٥٧)

الإمام الصّادق عليه السّلام **:** [في حديث طويل يقول في آخره:]

فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السّلام، فصرخ عليهم صرخة خَرقت تلك الصّرخة أسماعهم، وفلقت قلوبهم، وصدَعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثّلاثة الأيّام قد تحنّطوا وتكفّنوا، وعلموا أنّ العذاب نازل بهم،

فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم، فلم يبق لهم ثاغية ولاراغية ولاشيء إلّا أهلكه الله، فأصبحوا في ديارهم وكانت مضاجعهم موتى أجمعين، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصّيحة النّار من السّماء، فأحرقتهم أجمعين.

(العَرُوسيّ ٢: ٤٩)

أبوعُبَيْدَة: أي بعضهم على بعض جُثُوم، وله موضع آخر: جُثُوم على الرُّكَب. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢١٨)

الطَّبَريّ: يعني سقوطًا صَرْعى لايتحرّكون، لأنّهم لاأرواح فيهم قد هلكوا، والعرب تقول للبارك على الرّكبة: جاثم. [ثمّ استشهد بشعر] (٨: ٢٣٣)

ابن الأنباريّ: قال المفسّرون: معنى جاثمين بعضهم على بعض، أي عند نزول العذاب بهم: سقط بعضهم على بعض كما يجثِمُ الطّير. (الواحديّ ٢: ٣٨٤)

الماوَرْديّ: وفي الجاثم قولان:

أحدهما: أنّه البارك على ركبتيه، لأنّهم أصبحوا موتى على هذه الحال.

والثّاني: معناه أنّهم أصبحوا كالرّماد الجاثم، لأنّ الصّاعقة أحرقتهم.

وقيل: إنّه كان بعد العصر. (٢: ٢٣٦)

الطُّوسيّ: ومعنى (جَاثِمِينَ) باركين على رُكَبهم موتى. (٤: ٤٨٥)

نحوه الطَّباطَبائيّ. (٨: ١٨٣)

الرّاغِب: استعارة للمقيمين من قولهم: جثم الطّائر، إذا قعد ولطئ بالأرض. (٨٨)

الزّمَخْشَريّ: (جَاثِمِينَ) هامدين لايتحرّكون موتى، يقال: النّاس جَثْم، أي قعود لاحراك بهم ولاينبسون نبسة، ومنه المُجَثّمة الّتي جاء النّهي عنها، وهي البهيمة تُربط وتُجمع قوائمها لتُرمَى. (٢: ٩١)

نحوه النّسَفيّ. (٢: ٦٢)

الطَّبْرِسيّ: أي صَرعى ميّتين، ساقطين لاحركة بهم. (٢: ٤٤١)

الفَخْرالرّازيّ: [ذكر قول الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

فثبت أنّ الجُثُوم عبارة عن السّكون والخمود. ثمّ اختلفوا، فمنهم من قال: لمّا سمعوا الصّيحة العظيمة تقطّعت قلوبهم وماتوا جاثمين على الرّكب، وقيل: بل سقطوا على وجوههم، وقيل: وصلت الصّاعقة إليهم فاحترقوا وصاروا كالرّماد، وقيل: بل عند نزول العذاب عليهم سقط بعضهم على بعض، والكلّ متقارب. (١٤: ١٦٥)

القُرطُبيّ: أي لاصقين بالأرض على رُكَبهم ووجوههم، كما يَجثُمُ الطّائر، أي صاروا خامدين من شدّة العذاب، وأصل الجُثوم للأرنب وشبهها، والموضع مَجْثَم. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: احترقوا بالصّاعقة فأصبحوا ميّتين، إلّا رجلًا واحدًا كان في حرم الله، فلمّا خرج من الحرم أصابه ماأصاب قومه. (٧: ٢٤٢)

أبوحَيّان: وقيل: معناه حُمَمًا محترقين كالرّماد الجاثم. ذهب هذا القائل إلى أنّ الصّيحة اقترن بها صواعق محرقة. (٤: ٣٣١)

أبوالسُّعود: [نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولاحركة، كما يكون عند الموت

المعتاد، ولايخفى مافيه من شدّة الأخذ وسرعة البَطْش، اللّهمّ إنّا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك.

و(جَاثِمِينَ) خبر لـ(اَصْبَحُوا) والظّرف متعلّق به، ولامُساغ لكونه خبرًا وجاثمين حالًا، لإفضائه إلى كون الإخبار بكونهم في دارهم مقصودًا بالذّات، وكونهم جاثمين قيدًا تابعًا له غير مقصود بالذّات. (۲: ۵۱۲)

نحوه البُرُوسَويّ (۳: ۱۹۲)، والآلوسيّ (۸: ۱۶۵).

رشيد رضا: الجُثُوم للإنسان والطّير كالبُروك للإبل، فالأوّل: وقوع النّاس على رُكَبهم وخرورهم على وجوههم، والثّاني: وقوع الطّير لاطئة بالأرض في حال سكونها باللّيل، أو قتلها في الصّيد.

والمعنى أنّهم لم يلبثوا وقد وقعت الصّاعقة بهم أن سقطوا مصعوقين، وجثموا هامدين خامدين. (۸: ۵۰۷)

المَراغيّ: أي لم يلبثوا أن سقطوا مصعوقين جُثّمًا هامدة، حين نزلت بهم الصّيحة في أرضهم. (۸: ۲۰۲)

مكارم الشّيرازيّ: وجاثم في الأصل: مشتقّ من مادّة «جَثَم» بمعنى القعود على الرُّكَب، والتّوقّف في مكان واحد. ولايبعد أن يكون هذا التّعبير إشارة إلى أنّ الزّلزلة والرّجفة جاءتهم وهم في حالة نوم هنيئة، فجلسوا على أثرها فجأة، وبينا كانوا قاعدين على رُكَبهم لم تُهلهم الرّجفة بل ماتوا وهم على هذه الهيئة، إمّا خوفًا، وإمّا بسبب انهيار الجدران عليهم، وإمّا بفعل الصّاعقة الّتي رافقت الزّلزال. (۵: ۹۴)

وبهذا المعنى جاءت الآية (۹۱) من سورة الأعراف.

۲ـ وَاَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. هود: ۶۷

ابن زَيْد: ميّتين، لأنّ الصّيحة كانت بياتًا في اللّيل. (الماوَرْديّ ۲: ۴۸۰)

الطّبَريّ: قد جثمتهم المنايا، وتركتهم خمودًا بأفنيتهم. (۱۲: ۶۸)

الماوَرْديّ: في (جَاثِمِينَ) وجهان: أحدهما: [قول ابن زَيْد المتقدّم]. الثّاني: هَلكى بالجُثُوم.

وفي الجُثوم تأويلان: أحدهما: أنّه السّقوط على الوجه. الثّاني: أنّه القعود على الرُّكَب. (۲: ۴۸۱)

نحوه الطّوسيّ. (۶: ۲۲)

البغَويّ: صَرعَى هَلكى. (۲: ۴۵۵)

مثله الخازن. (۳: ۱۹۶)

المَيْبُديّ: ميّتين صَرعَى، والجُثوم: السّقوط على الوجه، فأماتهم الله إلّا رجلًا كان في حرم الله، فمنعه حرم الله من عذاب الله. وجاء في الخبر أنّه أبوثقيف. (۴: ۴۱۲)

ابن عَطيّة: أي باركين قد صعق بهم، وهو تشبيه بجثوم الطّير، وبذلك يُشبه جثوم الأثافي وجثوم الرّماد. (۳: ۱۸۷)

الطّبْرِسيّ: أي ميّتين واقعين على وجوههم، ويقال: (جَاثِمِينَ) أي قاعدين على رُكَبهم. (۳: ۱۷۵)

الفَخْرالرّازيّ: الجُثُوم هو السّكون، يقال للطّير إذا باتت في أوكارها: إنّها جثمت، ثمّ إنّ العرب أطلقوا هذا اللّفظ على مالايتحرّك من الموت، فوصف الله تعالى هؤلاء المُهْلَكين بأنّهم سكنوا عند الهلاك، حتّى كأنّهم ماكانوا أحياء. (۱۸: ۲۲)

القُرطُبيّ: أي ساقطين على وجوههم، قد لصقوا بالتّراب كالطّير إذا جثمت. (٩: ٦٢)

الشِّربينيّ: أي باركين على الرّكب ميّتين. (٢: ٦٨)

أبوالسُّعود: (جَاثِمِينَ) هامدين موتى لايتحرّكون، والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة، كما يكون ذلك عند الموت المعتاد، ولايخفى مافيه من الدّلالة على شدّة الأخذ وسرعته، اللّهمّ إنّا نعوذ بك من حلول غضبك. (٣: ٣٣٠)

نحوه الآلوسيّ (١٢: ٩١)، والقاسميّ (٩: ٣٤٦٣).

البُرُوسَويّ: [مثل أبي السُّعود وأضاف:]

وجُثُومهم: سقوطهم على وجوههم، أو الجُثوم: السّكون. [ثمّ قال نحو الفَخْرالرّازيّ وأضاف:]

قال في «بحر العلوم»: يقال: النّاس جَثَم، أي قعود لاحراك بهم ولايَنْبسون نَبْسة، ومنه المُجَثّمة الّتي نهى الشّرع عنها، وهي البهيمة تُربَط وتُجمع قوائمها لتُرمَى. (٤: ١٦٠)

رشيد رضا: أي ساقطين على وجوههم مصعوقين، لم يَنج منهم أحد، شُبّهوا بالطّير في لصوقها بالأرض. يقال: جثَم الطّائر والأرنب من باب «ضرَب» جُثُومًا، وهو كالبُروك من البعير. (١٢: ١٢٦)

مكارم الشّيرازيّ: الجاثم من مادّة جثم، على وزن «ردَم» ومعناه المصدريّ: الجلُوس على الفخذ، كما يأتي بمعنى السّقوط للوجه.

ويستفاد طبعًا من التّعبير بـ(جَاثِمِينَ) أنّ الصّيحة من السّماء كانت السّبب في موتهم، إلّا أنّ أجسادهم كانت مُلقاةً على الأرض. لكن يستفاد من بعض الرّوايات أنّ الصّاعقة أحرقتهم بنارها، ولامنافاة بين الأمرين، لأنّ أثر الصّوت الموحش للصّاعقة يتّضح فورًا. وأمّا آثار حرقها، وخاصّة لمن هم داخل العمارات، فيظهر بعدئذٍ. (٦: ٥٥٠)

وبهذا المعنى جاءت الآيتان هود (٩٤)، والعنكبوت (٣٧).

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجثوم، وهو التّجمّع، يقال: جثَم الطّائر يجثُمُ ويجثِمُ جَثْمًا وجُثُومًا فهو جاثِم، أي تلبّد بالأرض ولَزِقَ، وجُثّمت الطّير فهي مُجثّمة، أي حُبِسَت. ومن ثمّ استعير لسائر الحيوان والإنسان والأشياء، يقال: جَثَمَت الأرنَبُ تجثِمُ جُثُومًا، فهي جُثوم، ومكانها مَجثَم.

وجثَمَ فلانٌ بالأرض يجثُمُ جُثومًا: لَصِقَ بها ولَزِمَها، وهو جاثِم، والجمع جُثُوم. والجاثِم: البارك على رجليه كما يجثِمُ الطّير. والجاثِمَة: الّذي لايبرح بيته، ورجل جُثَمَة وجَثّامة: النّؤوم الّذي لايسافر.

وجثَمَ العسَل على المعدة يجْثِمُ جُثُومًا: لَصِقَ بها، يقال: إذا شَرِبتَ العسل جثَمَ على رأس المعدة، ثمّ قذفَ الدّاء.

وجثَم فلانٌ الطّين والتّراب والرّماد: جمعها، وهي الجُثمة، والجثمة والجُثوم: الأكَمَة.

والجَثْم: العذق إذا عَظُمَ بُسرُه، والجمع: جُثُوم؛ يقال:

جَثَمَت العَذوقُ تَجثِمُ جُثُومًا، أي عَظُمَت فلَزِمت مكانها.

والجُثمان: الجسم، يقال: ماأحسَن جثمانَ الرّجل وجسمانَه! والجُثمان أيضًا: الشّخص، يقال: جاءني بثريد مثل جثمان القطاة، أي كشخصها.

وجُثمانيّة الماء: وسطه ومجتمعه ومكانه.

والجاثوم والجُثام والجثّامة والجُثَم والجُثَمَة: الكابوس يَجثِمُ على الإنسان.

والجثّامة: البليد، والسّيّد الحليم، وهما من هذا الباب؛ فالأوّل فَدْمٌ ثقيل الفهم، والثّاني يقبض يده عند الغضب، ولايبطش بخصمه، رغم قدرته على ذلك.

وجَثَمَ اللّيل جُثومًا: انتصف، فكأنّه جمع بين نصفيه، أوّل اللّيل وآخره.

٢ـ وبين «ج ث م» و«ج ث و» اشتقاق أكبر؛ يقال للرّجل: إنّه لعظيم الجُثوة والجُثّة. وجُثوة الرّجل: جسده، والجُثوة: مثل الجُثمة، وهو التّراب المجتمع، وجثا يجثو: جلس على ركبتيه فهو جاثٍ، كالجاثم، وهو البارك على رجليه كما يجثِمُ الطّير.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد (٥) مرّات في ثلاث سور مكّيّة:

١ـ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ اَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ* فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ الأعراف: ٧٧، ٧٨

٢ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ* وَاَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هود: ٦٦، ٦٧

٣ـ ﴿وَقَالَ الْمَلَاُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا اِنَّكُمْ اِذًا لَخَاسِرُونَ* فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ الأعراف: ٩٠، ٩١

٤ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَاَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هود: ٩٤

٥ـ ﴿وَاِلَى مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْاٰخِرَ وَلَاتَعْثَوْا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ* فَكَذَّبُوهُ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ العنكبوت: ٣٦، ٣٧

يلاحظ أوّلًا: أنّه لم يأت منها إلّا (جاثمين) خمس مرّات وصفًا للعذاب الواقع على قومَي صالح وشعيب بسياق واحد ﴿فَاَصْبَحُوا...جَاثِمِينَ﴾.

ثانيًا: قالوا في معناه: ميّتين لايتحرّكون، صرعى لايتحرّكون، هامدين خامدين، لاصقين بالأرض على رُكَبهم، باركين على رُكَبهم موتى، مبيّتين، لأنّ الصّيحة كانت بياتًا باللّيل، أصبحوا كالرّماد الجاثم، لأنّ الصّاعقة أحرقتهم، صرعى هلكى، ساكتين، سقط بعضهم على بعض، ساقطين على الوجوه، قاعدين على الرُّكَب ونحوها، وأكثرها ـ أي غير الأخيرين ـ تفسيرٌ بلازم المعنى، لأنّ الجثوم لغةً كما حدّده الماوَرْديّ: «السّقوط على الوجه أو القعود على الرّكب، فهو كناية عن الهلاك بذلّة.

ثالثًا: (جاثمين) خبر (أصبحوا)، وليس حالًا كما قيل، والجارّ متعلّق به، قُدّم عليه رعايةً لرويّ الآيات،

ولأنّها أصبحت مثلًا قرآنيًّا لهؤلاء، فجاءت بلفظ واحد.

رابعًا: جاءت (١) و(٢) بشأن قوم صالح، وفي إحداها ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، وفي الأُخرى ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ ومعلوم أنّ الصّيحة تعقبها الرّجفة، فالصّيحة والرّجفة متلازمتان، فلم يخل ما نزل بشأن القومين عنها وهذا من لطائف القرآن.

خامسًا: كلّما ذُكرت الرّجفة، ذُكر معها (دَارِهِمْ) مفردًا، وكلّما ذُكرت الصّيحة ذُكر معها (دِيَارِهِمْ) جمعًا، تأكيدًا لمزيد أثر الصّيحة الّتي كانت سبب الرّجفة، فهي تُحطّم الدّيار والسّاكنين فيها جميعًا.

سادسًا: وأيضًا كلّما ذُكرت الصّيحة، جاء معها ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تعليقًا على الوصف وتعليلًا بظلمهم الّذي جلب عليهم الصّيحة بما لها من الأثر البالغ.

سابعًا: جاءت في الجميع (فَأَصْبَحُوا) تفريعًا بالفاء على ماقبلها، لكن جاءت ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ بالفاء ﴿وَأَخَذَتِ...الصَّيْحَةُ﴾ بالواو، والسّرّ فيهما أنّ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ جاءت عقيب ماصدر عنهم من التّكذيب والإعراض، مثل ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ في (٥) ونظيرها في (١) و(٣). أمّا ﴿وَأَخَذَتِ...الصَّيْحَةُ﴾ فهي عطف على صدر الآيتين (٣) و(٤): ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا﴾، وليست تفريعًا على ماقبلها فلاحظ.

ثامنًا: الآيات كلّها مكّيّة كأكثر ما نزلت بشأن القومين: عاد وثمود، وكانا من العرب البائدة، أسلاف العرب العرباء، لاحظ «ثمود وشعيب» فهي ككثير من القصص أنسب بأهل مكّة، وألصق بابتداء الدّعوة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ث و ـ ي

لفظان، ٣ مرّات مكّيّة، في سورتين مكّيّتين

جاثِيَة ١: ١ جِثِيًّا ٢: ٢

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: الجُثْوَة: تراب مجموع كهيئة القبر.

والجُثُوّ: مصدر الجاثي، والجُثُوّ أيضًا. (٦: ١٧٢)

ابن شُمَيْل: يقال للرّجل: إنّه لعظيم الجُثْوَة، والجُثّة. وجُثْوَة الرّجل: جسده، والجميع: الجُثى. [ثمّ استشهد بشعر]

والقبر: جُثْوَة، وماارتفع من الأرض، نحو ارتفاع القبر: جُثْوَة. (الأزهَريّ ١١: ١٧٢)

أبوعمروالشّيبانيّ: ناقة ضَخْمَة الجُثْوَة، إذا كانت ضَخْمَة البِرْكة. (١: ١١٩)

والجُثْوَة: التّراب المجتمع. (الأزهَريّ ١١: ١٧٢)

الفَرّاء: جِثْوَة من النّار، وجِذْوَة، وجُثْوَة وجُذْوَة.

والجُثَى: تُراب مجموعة، واحدتها: جُثْوَة.

(الأزهَريّ ١١: ١٧١)

ابن الأعرابيّ: الجاذي: على قدميه، والجاثي: على ركبتيه، وجثا على ركبتين، وهو الانتصاب.

(الحَرْبيّ ٣: ١١٧١)

والجِثْوة: البدن والوسط. (ابن سيده ٧: ٥٤٠)

ابن دُرَيْد: وجثا الرّجل يَجثُو جُثُوًّا وجُثِيًّا وجُثْوًا، إذا برَك على رُكبتَيه. والجِثْوَة والجُثْوَة والجَثْوَة: ثلاث لغات، من التّراب وغيره ماجمعته، والجمع: جُثًى، وبه سمّي القبر جُثْوَة. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٣٤)

الأزهَريّ: وفي الحديث: «فلان من جُثى جهنّم». وله معنيان فيما فسّر أبوعُبَيْد:

أحدهما: أنّه ممّن يَجثُو على الرُّكب فيها.

والآخر: أنّه من جماعات أهل جهنّم، على رواية من روى «جُثَى» بالتّخفيف.

ومن رواه «من جُثِيّ جهنّم» بتشديد الياء، فهو جمع الجاثي، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ مريم: ٦٨. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: جثا فلان على ركبتيه، يَجْثو جُثُوًّا وجِثِيًّا.

(١١: ١٧١)

الصّاحِب: الجُثُوّ: مصدر الجاثي، وهم جُثِيّ وجِثِيّ.

وجَثَوْتُ الإبل والغنم: جمعتها، وجَثَيْتُها: نحوه. ونَعَمٌ مُجثٌ.

وفي الحديث: «من دعا دُعاء الجاهليّة فهو من جُثَى جهنّم» أي من جماعتها، ويروى «من جُثِيّ جهنّم» وهو جمع: جاث.

والجُثْوَة: تُراب مجموع كهيئة القبر.

ويقال: جِثْوَة وجَثْوَة وجُثْوَة من النّار، أي قطعة منها، وكذلك من الشّجرة إذا قطعتها فأبقيت أصلها.

والجِثَى: الأنصاب الّتي تُذبح عليها الذّبائح.

والجُثَى: الجاثوم باللّيل.

والجُثاء: الشّخص كالجُماء، والجِثاء كذلك.

والجِثاء: الجزاء أيضًا والقَدْر، جِثاء القوم كذا، أي زُهاؤُهم.

(٧: ١٦٨)

الجَوهَريّ: الجُثْوَة والجَثْوَة والجِثْوَة، ثلاث لغات: الحجارة المجموعة.

وجُثَى الحرم بالضّمّ وجِثَى الحرم أيضًا بالكسر: ما اجتمع فيه من حجارة الجمار.

وجثا على رُكبتيه يَجْثو ويَجْثي جُثِيًّا وجُثُوًّا، على «فُعُول» فيهما، وأجثاه غيره.

وقوم جُثِيّ أيضًا، مثل جلس جُلُوسًا وقوم جلوس، ومنه قوله تعالى: (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُثِيًّا) مريم: ٧٢، و(جِثِيًّا) أيضًا بكسر الجيم لما بعدها من الكسرة.

وجاثَيْتُه رُكبَتي إلى ركبته، وتجاثَوا على الرُّكَب.

وسورة الجاثية: الّتي تلي الدّخان. (٦: ٢٢٩٨)

الهَرَويّ: قوله تعالى: (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جُثِيًّا)[١] مريم: ٦٨ جُثِيّ: جمع جاثٍ، وهو الّذي يَجْثو على الرُّكبة.

وفي الحديث: «من دعا دعاء الجاهليّة فهو من جُثَى جهنّم» واحدة الجُثا: جُثْوَة، بضمّ الجيم، أي من جماعات جهنّم، نعوذ بالله منها.

والجُثْوَة: الشّيء المجموع. (٣١٩)

ابن سيده: جثا يَجْثو جُثُوًّا وجُثِيًّا: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. [ثمّ استشهد بشعر]

وقوم جُثِيّ، وجِثِيّ.

وقد تجاثَوا في الخصومة مُجاثاة، وجِثاء، وهما من المصادر الآتية على غير أفعالها.

وجثا جَثْوًا وجُثُوًّا، كجذا جَذْوًا وجُذُوًّا، إذا قام على أطراف أصابعه، وعدّه أبوعُبَيْد في البدل. وأمّا ابن جنّيّ فقال: ليس أحد الحرفين بدلًا من صاحبه، بل هما لغتان.

والجِثْوَة، والجُثْوَة، والجَثْوَة: حجارة من تراب مجتمع كالقَبْر. والجُثْوَة: القَبْر، سمّي بذلك. وقيل: هي الرّبوة الصّغيرة، وقيل: هو الكَوْمَة من التّراب. [إلى أن قال:]

والجِثْوَة، والجَثْوَة، والجُثْوَة: لغة في الجِذْوَة، والجَذْوَة، والجُذْوَة. وزعم يعقوب: أنّ الثّاء هنا بدل من الذّال. (٧: ٥٣٩)

الرّاغِب: جَثَى على رُكبتَيه جُثُوًّا وجُثِيًّا فهو جاثٍ،

---

(١) هذه قراءة.

نحو عَتا يَعتو عُتُوًّا وعُتِيًّا. وجمعه: جُثِيّ، نحو باكٍ وبُكِيّ، وقوله عزّوجلّ: (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُثِيًّا) مريم: ٧٢، يصحّ أن يكون جمعًا نحو: بُكِيّ، وأن يكون مصدرًا موصوفًا به.

و«الجاثية» في قوله عزّوجلّ: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الجاثية: ٢٨، فوضوع موضع الجمع، كقولك: جماعة قائمة وقاعدة. (٨٨)

الطُّوسيّ: والجُثُوّ: البُروك على طرف الأصابع، فهو أبلغ من «الجثو». (٩: ٢٦١)

الزَّمَخْشَريّ: جَثا على رُكبتَيه جُثُوًّا، ورأيته جاثيًا بين يديه ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الجاثية: ٢٨، ورأيتهم جُثِيًّا عنده.

وفي الحديث: «أنا أوّل من يَجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة»

وتجاثَوا على الرُّكَب، وجاثَى خصمه مُجاثاةً.

وصار فلان جُثْوَة من تراب. [ثمّ استشهد بشعر]

(أساس البلاغة: ٥٢)

[نحو الهَرَويّ وأضاف:]

والجُثْوَة: ماجمع من تراب وغيره، فاستعيرت.

وروي جُثِيّ، وهو جمع جاثٍ، من قوله تعالى: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ مريم: ٦٨. (الفائق ١: ١٩٠)

الطَّبْرِسيّ: الجُثِيّ: جمع الجاثي، وهو الّذي برك على رُكبتَيه. وأصله: جُثُوّ «فُعُول» من جَثا يَجثو. (٣: ٥٢٢)

المَدينيّ: في حديث عامر: «رأيتُ قُبورَ الشّهداء جُثًا» الجُثا: جمع جُثْوَة، وهي الحجر أو التّراب المجموع.

وفي حديث آخر: «فإذا لم نجد حجرًا جمَعْنا جُثْوَةً من تُراب» أي قطعة تُجمَع فتكون كَوْمَة، ويقال: الجِثْوَة، بضمّ الجيم وكسرها وفتحها. فجمع الأُوليَين: جُثًا وجِثًا، بضمّ الجيم وكسرها، وجمع المفتوحة: جَثَوات.

ومنه الحديث: «من دعا دُعاءَ الجاهليّة فهو من جُثا جهنّم» أي جماعاتها، وجثوتُ الإبل والغنَم، وجثيتُها: جمَعتُها.

وقيل: «هو من جُثِيّ جهنّم» جمع جاثٍ، فعلى هذا يجوز بكسر الجيم وضمّها كالعِصيّ والعُصيّ، أي من الّذين يجثون في جهنّم.

وفي حديث إتيان المرأة في رواية: «مُجَنّاة» بدل مُجَبِّيَة»، لو صحّ نقله، كأنّه أراد مُجَثّاة للرُّكبة، يقال: جثَيتُه وأجثَيتُه فجَثا.

ومنه حديث ابن عمَر رضي الله عنهما: «إنّ النّاس يصيرون يوم القيامة جُثًا. كلّ أُمّةٍ تَتبَع نبيّها»، أي جماعة، وتُروَى هذه اللّفظة: «جُثِيّ» بتشديد الياء، جمع جاثٍ، وهو الّذي يجلس على رُكبتَيه. (١: ٢٩٦)

الفَيُّوميّ: جَثا على رُكبَته جُثِيًّا وجُثُوًّا، من بابي «عَلا ورَمى» فهو جاثٍ، وقوم جُثِيّ على «فُعُول». (٩١)

الفيروزاباديّ: الجُثْوة، مثلّثة: الحجارة المجموعة، والجسد، والجِذْوة، والوسط.

وجثا الحرم بالضّمّ والكسر: ماالجتمع فيه من الحجارة الّتي توضع على حدود الحرم، أو الأنصاب تُذبح عليها الذّبائح؛ ووَهِم الجَوهَريّ.

وجثا كدعا ورمَى، جُثُوًّا وجُثِيًّا بضمّهما: جلَس على

رُكبتَيه، أو قام على أطراف أصابعه، وأجثاه غيره، وهو جاثٍ: جمع جُثيّ بالضّمّ والكسر.

وجاثيت رُكْبتي إلى رُكبتِه، وتجاثَوْا على الرُّكَب.

والجِثَاء كسحاب: الشّخص، ويُضمّ، والجزاء، والقَدْر، والزُّهاء. وكسُمَيّ: جبَل.

وجَثَوتُ الإبل وجَثيتُها: جمعتُها. (٤: ٣١٢)

الطُّرَيحيّ: وفي حديث عليّ عليه السلام: «أنا أوّل من يَجثُو للخصومة» أي يجلس على الرُّكَب وأطراف الأصابع عند الحساب.

والجُثُوّ والجُثِيّ، بالضّمّ فيهما، بمعنى، والفعل «جثا» كدعا ورمَى. (١: ٨١)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ حقيقة «الجثَي[1]» قريبة من: الجذْو والجثْم والجثّ، بمعنى أنّ مفهومه مأخوذ من مفاهيم هذه الكلمات، فمعناه التّجمّع في مكان، على حالة بين القيام والقعود، ويعبّر عنها بالاستيفاز.

وهذه الهيئة تدلّ على الانتظار والتّرقّب وفقدان الاطمينان، وهذه حالة من لم يتعيّن له ثواب ولاعقاب، وهو ينتظر صدور الحكم في حقّه.

و«الجِثِيّ» بالكسر تبعًا للعين والياء، والأصل على وزان «جُلُوس» جمعًا، أي جاثمين مستوفزين، وصيغة جمع التّكسير تدلّ على التّحقير. (٢: ٥٦)

النُّصوص التّفسيريّة

جَاثِيَةً

وَتَرَى كُلَّ اُمَّةٍ جَاثِيَةً... الجاثية: ٢٨

سلمان الفارسيّ: إنّ في يوم القيامة ساعة هي عشر سنين، يخرّ النّاس فيها جُثاء على رُكَبهم، حتّى إنّ إبراهيم عليه السلام ينادي: نفسي، لاأسألك إلّا نفسي.

(الواحديّ ٤: ١٠٠)

ابن عبّاس: جامعة. (٤٢٢)

مجتمعة. (الماوَرْديّ ٥: ٢٦٧)

الجاثية: المجتمعة للحساب المترقّبة لما يُعمل بها.

(النّيسابوريّ ٢٥: ٧٩)

مُجاهِد: على الرُّكَب مستوفزين.

(الطّبَريّ ٢٥: ١٥٤)

نحوه مُجاهِد، والنّحّاس. (النّحّاس ٦: ٤٣١)

الضّحّاك: على الرُّكب عند الحساب.

(الطّبَريّ ٢٥: ١٥٤)

نحوه الحسن (الماوَرْديّ ٥: ٢٦٧)، وابن زَيْد (الطّبَريّ ٢٥: ١٥٤).

عِكْرِمَة: متميّزة. (الماوَرْديّ ٥: ٢٦٧)

مؤرّج السّدوسيّ: خاضعة، بلغة قريش.

(الماوَرْديّ ٥: ٢٦٧)

يحيى بن سلّام: أنّه للكفّار خاصّة.

(الماوَرْديّ ٥: ٢٦٧)

ابن عُيَيْنَة: مستوفزين، ولايكون المستوفز إلّا على رُكبتَيه، وأطراف أصابعه. (النّحّاس ٦: ٤٣١)

الفَرّاء: مجتمعة للحساب. (٣: ٤٨)

ابن قُتَيْبَة: باركة على الرُّكَب. يراد: أنّها غير مطمئنّة. (٤٠٥)

---

(١) الظّاهر: الجثو.

الطّبَريّ: مجتمعة مستوفزة على رُكَبِها من هول ذلك اليوم. (٢٥: ١٥٤)

السّجستانيّ: باركة على الرُّكَب، وتلك جلسة المخاصم والمجادل؛ ومنه قول عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: «أنا أوّل من يَجثُو للخصومة». (١٧١)

الماوَرْديّ: أنّه عامّ للمؤمن والكافر انتظارًا للحساب. (٥: ٢٦٧)

الواحديّ: جالسة على الرُّكَب عند الحساب كما يجثي بين يدي الحاكم، ينتظر القضاء. (٤: ١٠٠)

نحوه البغَويّ (٤: ١٨٨)، والمَيْبُديّ (٩: ١٣٥)، والنّسَفيّ (٤: ١٣٨).

الزّمَخْشَريّ: باركة مستوفزة على الرُّكَب. وقرئ (جاذِيَة)، والجَذْو أشدّ استيفازًا من الجَثْو، لأنّ الجاذي هو الّذي يجلس على أطراف أصابعه. (٣: ٥١٣)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٣٨٣)، وأبوالسُّعود (٦: ٦٣).

الشِّربينيّ: أي مجتمعة لايخالطها غيرها، وهي مع ذلك باركة على الرُّكَب، رُعبًا واستيفازًا لما لعلّها تؤمر به جلسة المخاصم بين يدي الحاكم، تنتظر القضاء الحاكم والأمر الجازم اللّازم، لشدّة مايظهر لها من هول ذلك اليوم. (٣: ٦٠٠)

نحوه البُرُوسَويّ. (٨: ٤٥٣)

الآلوسيّ: باركة على الرُّكَب مستوفزة، وهي هيئة المذنب الخائف المنتظر لما يكره. (٢٥: ١٥٥)

نحوه المَراغيّ. (٢٥: ١٦١)

القاسميّ: أي باركة، مستوفزة على الرُّكَب لاحراك بها، شأن الخائف المنتظر لما يكره؛ وذلك عند الحساب أو في الموقف الأوّل، وقت البعث قبل الجزاء. (١٤: ٥٣٢٨)

مَغْنِيَّة: يحشر سبحانه النّاس يوم القيامة باركين على الرّكب ينتظرون الحساب والجزاء. وغير بعيد أن يكون هذا كناية عن هول المطّلع، وروعة الفزع. (٧: ٣١)

عِزّة دَرْوَزَة: (جاثِيَةً) من الجُثُوّ، وهو الجلوس على الرُّكَب جلسة المتقاضي أمام قاضيه، أو الجلوس جلسة القرفصاء، جلسة الانتظار لقضاء الله.

وذكر بعض المفسّرين أنّ معناها مستجمّة إلى بعضها، منتظرة قضاء الله في أمرها. (٥: ٢٦٦)

عبد الكريم الخطيب: والجُثُوّ: الإناخة على الرُّكَب؛ حيث تنحلّ عزائم النّاس من الهول المحيط بهم في هذا اليوم، فلاتحملهم أرجلهم، فيجثون على رُكَبهم، أي في هذا اليوم ترى كلّ قد اجتمعت، وجَثَتْ على رُكَبها. (١٣: ٢٥٢)

مكارم الشّيرازيّ: يستفاد من بعض التّعابير الّتي وردت في كلمات المفسّرين الكبار أنّ أصحاب الدّعوى في الماضي كانوا يجلسون على هذه الهيئة في مجلس القضاء، ليُميَّزوا عن الآخرين، وسيجثو الجميع يوم القيامة في تلك المحكمة الكبرى لتتمّ محاكمتهم.

ويمكن أيضًا أن يكون هذا التّعبير علامة على استعدادهم، لتقبّل أيّ أمر أو حكم يصدر بحقّهم، لأنّ الّذين يكونون على أُهبة الاستعداد يجثون على الرُّكَب، أو أنّه إشارة إلى ضعف هؤلاء وعجزهم، وخوفهم واضطرابهم الّذي سيعانونه. وجَمْع كلّ هذه المعاني في مفهوم الآية ممكن أيضًا.

وللجاثية معان أُخرى، من جملتها: الجمع الكثير المتراكم، أو جماعة جماعة، ويمكن أن تكون إشارة إلى تراكم البشر وازدحامهم في محكمة العدل الإلهيّ، أو جلوس كلّ أُمّة وفئة على حِدَة، وبمعزل عن الأُمم الأُخرى، إلّا أنّ المعنى الأوّل هو الأنسب والأشهر.

(١٦: ٢١١)

جِثِيًّا

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ مريم: ٦٨

ابن عبّاس: جميعًا. (٢٥٨)

يعني القعود. (الطّبَريّ ١٦: ١٠٧)

جماعات، جمع جثوة. (البغويّ ٣: ٢٤٢)

نحوه الأخفش والكلبيّ. (الماوَرْديّ ٣: ٣٨٣)

مُجاهِد: أي على رُكَبهم. (النّحّاس ٤: ٣٤٦)

الضّحّاك: جمع جاثٍ، أي جاثين على الرُّكَب.

مثله الحسَن. (البغويّ ٣: ٢٤٢)

نحوه المَيْبُديّ (٦: ٧٣)

العَوْفيّ: بُروكًا على الرُّكَب. (الماوَرْديّ ٣: ٣٨٣)

ابن زَيْد: الجثيّ: شرّ الجلوس. (ابن عطيّة ٤: ٢٦)

السُّدّيّ: أي قيامًا. (٣٤٣)

قائمين على الرُّكَب لضيق المكان. (البغويّ ٣: ٢٤٢)

الطّبَريّ: والجثيّ: جمع الجاثي. (١٦: ١٠٦)

الزّجّاج: و(جُثِيًّا) بالضّمّ والكسر جميعًا، ومعنى جثيًّا على رُكَبهم، لايستطيعون القيام ممّا هم فيه. وجُثيّ: جمع جاثٍ وجُثيّ، مثل قاعد وقعود، وبارك وبروك.

والأصل ضمّ الجيم، وجائز كسرها، إتباعًا لكسرة الياء، و(جِثِيًّا) منصوب على الحال. (٣: ٣٣٨)

نحوه السّجستانيّ. (١١٨)

النّحّاس: إنّهم لشدّة ماهم فيه، لايقدرون على القيام. (٤: ٣٤٧)

الطّوسيّ: جمع الجاثي، وهو الّذي برك على رُكبتَيه. (٧: ١٤١)

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: مامعنى إحضارهم جِثِيًّا؟

قلت: أمّا إذا فسّر الإنسان بالخصوص، فالمعنى أنّهم يُقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنّم عَتْلًا على حالهم الّتي كانوا عليها في الموقف، جُثاة على رُكَبهم غير مشاة على أقدامهم؛ وذلك أنّ أهل الموقف وُصفوا بالجُثُوّ، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الجاثية: ٢٨، على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الرّاكب، لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا وخلاف الطّمأنينة، أو لما يدهمهم من شدّة الأمر الّتي لايطيقون معها القيام على أرجلهم فيَحبُون على رُكَبهم حَبْوًا.

وإن فسّر بالعموم، فالمعنى أنّهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنّم. على أنّ (جِثِيًّا) حال مقدّرة كما كانوا في الموقف متجاثين، لأنّه من توابع التّواقف للحساب، قبل التّوصّل إلى الثّواب والعقاب. (٢: ٥١٩)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٣٨)، وأبوالسُّعود (٤: ٢٥٢).

ابن عَطيّة: جمع جاث، كقاعد وقعود وجالس وجلوس. وأصله «جُثُوو» وليس في كلام العرب واو متطرّفة قبلها ضمّة، فوجب لذلك أن تُعلّ، ولم يُعتدّ

هاهنا بالسّاكن الّذي بينهما لخفّته وقلّة حوله، فـقلبت ياء، فجاء «جُثُويًا» فـاجتمع الواو واليـاء، وسُبقت إحداهما بالسّكون، فقُلبت ياء، ثمّ أُدغمت، ثمّ كُسرت التّاء للتّناسب بين الكسرة والياء.

وقرأ الجمهور (جُثِيًّا) و(صُلِيًّا) مريم: ٧٠، بضمّ الجيم والصّاد. وقرأ ابن وثّاب وطلحة والأعمش (جِثِيًّا) و(صِلِيًّا) ذاته بكسر الجيم والصّاد.

وأخبر الله تعالى أنّه يحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشّياطين، فيجثون حول جهنّم، وهي قعدة الخائف الذّليل على رُكبتَيه كالأسير. (٤: ٢٦)

الطَّبْرِسيّ: والمعنى يجثون حول جهنّم متخاصمين ويتبرّأ بعضهم من بعض، لأنّ المحاسبة تكون بقرب جهنّم. وقيل: جِثِيًّا أي جماعات جماعات عن ابن عبّاس، كأنّه قيل: زُمَرًا. وهو جمع جثوة، وجثوة هي المجموع من التّراب والحجارة. (٣: ٥٢٣)

الفَخْرالرّازيّ: وهذا الإحضار يكون قبل إدخالهم جهنّم، ثمّ إنّه تعالى يحضرهم على أذلّ صورة، لقوله تعالى: (جِثِيًّا) لأنّ البارك على رُكبتَيه صورته صورة الذّليل أو صورته صورة العاجز.

فإن قيل: هذا المعنى حاصل للكلّ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الجاثية: ٢٨، والسّبب فيه جريان العادة أنّ النّاس في مواقف المطالبات من الملوك يتجاثون على رُكَبهم، لما في ذلك من الاستئطار والقلق، أو لما يدهمهم من شدّة الأمر الّذي لايطيقون معه القيام على أرجلهم، وإذا كان هذا عامًّا للكلّ فكيف يدلّ على مزيد ذلّ الكفّار؟

قلنا: لعلّ المراد أنّهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة، وذلك يوجب مزيد الذّلّ في حقّهم. (٢١: ٢٤١)

نحوه النَّيسابوريّ. (١٦: ٧٥)

القُرطُبيّ: جمع جاث، يقال: جثا على رُكبتَيه يجثو ويجثي جُثُوًّا وجُثِيًّا على «فُعُول» فيهما، وأجثاه غيره. وقوم جُثِيّ أيضًا، مثل جلس جلوسًا وقوم جلوس، و«جِثِيّ» أيضًا بكسر الجيم لما بعدها من الكسر.

وقال ابن عبّاس: (جِثِيًّا) جماعات، وقال مُقاتِل: جمعًا جمعًا، وهو على هذا التّأويل: جمع جُثْوة وجَثْوة وجِثْوة، ثلاث لغات، وهي الحجارة المجموعة والتّراب المجموع. [إلى أن قال:]

وقال الحسَن والضّحّاك: جاثية على الرّكب، وهو على هذا التّأويل: جمع جاثٍ، على ماتقدّم؛ وذلك لضيق المكان، أي لايمكنهم أن يجلسوا جلوسًا تامًّا.

وقيل: جِثِيًّا على رُكَبهم للتّخاصم، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ الزّمر: ٣١. (١١: ١٣٣)

النَّسَفيّ: (جِثِيًّا) حال، جمع جاث، أي باركٌ على الرُّكَب، ووزنه «فُعُول» لأنّ أصله «جُثُوو» كسجود وساجد، أي يحتلون من الحشر إلى شاطئ جهنّم عَتْلًا على حالهم الّتي كانوا عليها في الموقف، جُثاة على رُكَبهم غير مُشاة على أقدامهم. (٣: ٤٢)

الشِّربينيّ: (جِثِيًّا) حال مقدّرة من مفعول ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ وهو جمع جاث، جُمع على «فُعُول» نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس، وأصله «جُثُوو» بواوين

أو «جُثوي» من: جثا يَجْثُو ويَجثي، لغتان. [ثمّ أدام نحو الفَخْرالرّازيّ] (٢: ٤٣٩)

البُرُوسَويّ: أي جالسين على الرُّكَب، لما يعرضهم من شدّة الأمر الّتي لايطيقون معها القيام على أرجلهم. (٥: ٣٤٩)

نحوه القاسميّ. (١١: ٤١٥٧)

الآلوسيّ: وقرأ غير واحد من السّبعة بضمّها، وهو جمع «جاث» في القراءتين. وجوّز الرّاغب كونه مصدرًا، نظير ماقيل في «بُكيّ» وقد مرّ. ولعلّ إحضار الكفرة بهذه الحال إهانة لهم، أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشّدّة.

وقال بعضهم: إنّ المحاسبة تكون حول جهنّم، فيجثون لمخاصمة بعضهم بعضًا، ثمّ يتبرّأ بعضهم من بعض، وقال السُّدّيّ: يجثون لضيق المكان بهم. فالحال على القولين مقدّرة، بخلافه على ماتقدّم. وقيل: إنّها عليه مقدّرة أيضًا، لأنّ المراد الجثيّ حول جهنّم.

ومن جعل الضّمير للكفرة وغيرهم قال: إنّه يحضر السّعداء والأشقياء حول جهنّم ليرى السّعداء مانجّاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطةً وسرورًا، وينال الأشقياء ماادّخروا لمعادهم، ويزدادوا غيظًا من رجوع السّعداء عنهم إلى دار الثّواب، وشماتتهم بهم ويجثون كلّهم، ثمّ لما يدهمهم من هول المطّلع، أو لضيق المكان، أو لأنّ ذلك من توابع التّواقف للحساب، والتّقاول قبل الوصول إلى الثّواب والعقاب.

وقيل: إنّهم يجثون على رُكَبهم إظهارًا للذّلّ في ذلك الموطن العظيم، ويدلّ على جثيّ جميع أهل الموقف ظاهر قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾. (١٦: ١١٨)

الطَّباطَبائيّ: الجثيّ في أصله على «فُعُول» جمع الجاثي، وهو البارك على رُكبتَيه. ونسب إلى ابن عبّاس أنّه جمع «جُثْوة» وهو المجتمع من التّراب والحجارة، والمراد أنّهم يحضرون زُمرًا وجماعات متراكمًا بعضهم على بعض، وهذا المعنى أنسب للسّياق. (١٤: ٨٨)

مَغْنيّة: بعد أن يخرجوا من قبورهم على أسوأ حال تُقعدهم الملائكة على الرُّكَب حول جهنّم لينظروا إليها، فيزدادوا حسرات وأنّات. (٥: ١٩٣)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ هذه الآية توحي بأنّ محكمة الأفراد الكافرين والمجرمين قريبة من جهنّم. والتّعبير بالجثيّ ـ مع العلم أنّ (جِثِيًّا) جمع: جاث، وهو الّذي يجثو على رُكبتَيه ـ ربّما كان إشارة إلى ضعف وعجز وذلّة هؤلاء، حتّى إنّهم لاقدرة لهم على الوقوف أحيانًا.

إنّ لهذه الكلمة معاني أُخرى أيضًا، فمن جملتها أنّهم فسّروا (جِثِيًّا) بمعنى جماعة جماعة، وبعضهم فسّرها بمعنى الكثرة وازدحام بعضهم على بعض كالحجارة والتّراب، إلّا أنّ التّفسير الأوّل هو الأنسب والأشهر. (٩: ٤٣١)

الوُجوه والنّظائر

الدّامغانيّ: جِثِيًّا على وجهين:

فوجه منها: جِثِيًّا يعني جميعًا، قوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ مريم: ٦٨ يعني جميعًا.

والوجه الثّاني: جِثِيًّا يعني جاثين على رُكَبهم، قوله:

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الجاثية: ٢٨، يعني جاثين على رُكَبهم. (٢٣٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُثْوَ، وهو تجمّع الشّيء، يقال: جثا فلانٌ يجثُو جُثُوًّا وجُثِيًّا، أي جلس على ركبتيه، وأجثاهُ غيرُه، وهو جاثٍ، والجمع: جُثِيّ وجِثِيّ وجُثًى، والجاثِيَة: مؤنّث الجاثي، يوضع موضع الجمع، يقال: جماعة جاثية. وتجاثَوا على الرُّكَب مجاثاةً وجِثاءً، وجاثَيتُ ركبتي إلى ركبته. وجَثا جَثْوًا وجُثُوًّا، أي قام على أطراف أصابعه، أو على قدمه، أو أقعى، وهو ـ كما يبدو ـ على التوسّع.

والجُثْوَة: الجسد، يقال للرّجل: إنّه لعظيم الجُثْوَة والجُثّة، والجمع جُثًى، وجُثَى الحرم: ماإجتمع فيه من الحجارة، وهو القبر، والتّراب المجتمع.

والجِثْوَة: القبر، والرّبوة الصّغيرة، وهو الجُثْوَة أيضًا.

٢ـ وأمّا قول الفرّاء: «جَذْوَة من النّار وجَثْوَة»، فهو على البدل كما قال ابن السّكّيت، والأصل فيه «الذّال» لأنّه مشتقّ من جِذْيَة الشّجرة، أي أصلها، كما سيأتي في «ج ذ و».

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظان: (جَاثِيَة) مرّة، و(جِثِيًّا) مرّتين:

١ـ ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: ٢٨

٢ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ مريم: ٦٨

٣ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم: ٧٢

ويلاحظ أوّلًا: أنّه «جثو» قريب من «جثم» في أحد معنييه، وهوالقعود على الرّكبة، وهذا يحكي نهاية الذّلّة والعجز وانتظار السّوء، والفرق بينهما أنّ «جثم» جاء في القرآن بشأن ماوقع من العذاب بقوم صالح وشعيب في الدّنيا، فليس فيه انتظار، و«جثو» جاء بشأن الآخرة حيث ينتظر النّاس أن يحيق بهم السّوء، فتشعر بشيء من الانتظار.

ثانيًا: جاءت (جاثِيَة) بشأن الأُمم كافّةً صالحها وطالحها، فقال: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وأمّا (جُثِيًّا) بضمّ الجيم وكسره ـ جمع جاثٍ ـ فجاء بشأن الكفّار والشّياطين.

ثالثًا: هذه المادّة اختصّت بسورتين مكّيّتين: مريم والجاثية، فلعلّها كانت لغة أهل مكّة، أمّا «جثم» وإن غلبت عليه المكّيّة إلّا أنّ واحدة من آياتها كانت مدنيّة، فلاحظ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ح د

٣ ألفاظ، ١٢ مرّة مكّيّة، في ١٠ سور مكّيّة

جحَدوا ٢: ٢ — يجْحَد ٢: ٣

يجْحَدون ٧: ٧

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجُحُود: ضدّ الإقرار كالإنكار والمعرفة.

والجَحَد: من الضّيق والشّحّ، ورجل جَحَدٌ: قليل الخير. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٧٢)

أبوعمروالشّيبانيّ: إنّه لجَحِد النّبت، إذا كان بخيلًا، وإنّه لجَحِد النّائل، وإنّه لمُجْحَد، إذا قلّ نائله.

(١: ١١٦)

الجَحاديّ والجُحاديّ: الضّخم. (الإبدال: ٩٩)

أجحَد الرّجل وجحَد، إذا أنفض وذهب ماله. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ٤: ١٢٥)

الفَرّاء: الجَحْد والجُحْد: الضّيق في المعيشة.

(الأزهَريّ ٤: ١٢٥)

أبوزَيْد: جَحْدَ له جَحْدَلَةً، إذا ضربه بالعصا فصرعه، وقذه أو لم يقذه. (٩٥)

أبوعُبَيْد: فرَس جَحْد: والأُنثى جَحْدَة، والجميع: جِحاد، وهو الغليظ القصير. (الأزهَريّ ٤: ١٢٥)

ابن السِّكّيت: يقال: جَحِد الرّجل جحَدًا، وهو القليل الخير. وأرض جَحِدة، وهي اليابسة الّتي ليس بها خير. (١٩)

رجل جَحِدٌ ومُجْحِدٌ، وهو الأنكد، القليل خيرًا، الضّيّق مَسْكًا، وقد جحَد الرّجل يَجحَد جحَدًا. وأجحَد، إذا قلّ خيره. [ثمّ استشهد بشعر] (٧٤)

الجَحْد: مصدر جَحَدْت والجَحَد: مصدر جَحِد النّبت، إذا قلّ ولم يَطُل. ويقال: كدًا النّبت. ويقال: رجل جَحِدٌ ومُجْحِد، إذا كان قليل الخير. ويقال: نكَدًا له وجحَدًا له. (إصلاح المنطق: ٥٠)

والجُحْد والجَحَد من قلّة الخير، يقال: رجل جَحِدٌ وجَحُدٌ. [ثمّ استشهد بشعر] (إصلاح المنطق: ٨٦)

ويقال: أجحَد الرّجل فهو مُجحِد، إذا كان ضيّقًا قليل

الخير. وحكى لنا أبوعمرو عن بعضهم: هو الأنكد، القليل الخير، الضّيّق مَسْكًا. ويقال أيضًا في هذا المعنى: قد جَحِد يَجحَد جحَدًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد جحَدتُ الشّيء أجحَدُه جَحْدًا.

(إصلاح المنطق: ٢٦٧)

شَمِر: الجُحاديّة: قِرْبة مُلِئت لبنًا، أو غرارة مُلِئت تمرًا أو حِنْطَةً. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ٤: ١٢٥)

الزّجّاج: جحَد الرّجل وأجحَد، إذا قلّ خيره.

(فعلت وأفعلت: ٨)

أجْحَدتُه: صادفتُه بخيلًا. (الصّغانيّ ٢: ٢٠٥)

ابن دُرَيْد: استُعمل منها: جحَد الرّجل يجحَد جُحودًا، إذا أنكر ماعليه من حقّ.

وعام جَحِد: قليل المطر، ورجل جَحِد: فقير.

والجَحَد: القلّة من كلّ شيء. وسمّت العرب: جُحادة. (٢: ٥٣)

الأزهَريّ: جَحِد عَيْشهم جحَدًا، إذا ضاق واشتدّ.

[ثمّ استشهد بشعر] (٤: ١٢٥)

الصّاحِب: الجُحُود: ضدّ الإقرار.

والجَحَد: الضّيق. والشُّحّ.

ورجل جَحِدٌ: قليل الخير، يقال منه: جَحِد وأجحَد، والجُحْد: لغةٌ فيه.

والجُحاديّ: الضّخم، والخاء لغة فيه.

والجُحاديّة: قِرْبةٌ أو سِقاءٌ مَلآن، أو غِرارةٌ مملوءة تمرًا.

والجحّاد: البطيء الإنزال. (٢: ٣٩٥)

الجَوهَريّ: الجُحُود: الإنكار مع العلم. يقال: جحَده حقّه وبحقّه، جَحْدًا وجُحُودًا.

والجَحْد أيضًا: قلّة الخير، وكذلك الجُحْد بالضّمّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجحَد بالتّحريك مثله، يقال: نَكَدًا له وجَحَدًا.

وجَحِد الرّجل بالكسر جحَدًا، فهو جَحِد، إذا كان ضيّقًا قليل الخير. وأجحَد، مثله. [ثمّ استشهد بشعر]

وعامٌ جَحِدٌ: قليل المطر.

وجَحِد النّبت، إذا قلّ ولم يَطُل.

وجُحادة: اسم رجل. (٢: ٤٥١)

ابن فارِس: الجيم والحاء والدّال أصل يدلّ على قلّة الخير، يقال: عام جَحِد: قليل المطر. ورجل جَحِدٌ: فقير، وقد جَحِد وأجحَد. [إلى أن قال:]

ومن هذا الباب: الجُحُود، وهو ضدّ الإقرار، ولايكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ النّمل: ١٤، وماجاء جاحد بخير قطّ. (١: ٤٢٥)

أبوهلال: الفرق بين الإنكار والجحد: أنّ الجحد أخصّ من الإنكار، وذلك أنّ الجحد إنكار الشّيء الظّاهر، والشّاهد قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصّلت: ٢٨، فجعل الجحد ممّا تدلّ عليه الآيات، ولايكون ذلك إلّا ظاهرًا. وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ النّحل: ٨٣، فجعل الإنكار للنّعمة، لأنّ النّعمة قد تكون خافية.

ويجوز أن يقال: الجحد هو إنكار الشّيء مع العلم به، والشّاهد قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ النّمل: ١٤، فجعل الجحد مع اليقين، والإنكار يكون مع

العلم وغير العلم.

الفرق بين قولك: جحَده وجحَد به: أنّ قولك: جحده يفيد أنّه: أنكره مع علمه به، وجحد به يفيد أنّه جحد مادلّ عليه، وعلى هذا فسّر قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي جحدوا مادلّت عليه من تصديق الرّسل.

ونظير هذا قولك، إذا تحدّث الرّجل بحديث: كذّبته وسمّيته كاذبًا، فالمقصود المحدّث. وإذا قلت: كذّبت به، فمعناه كذّبت بما جاء به، فالمقصود هاهنا الحديث.

وقال المُبرّد: لايكون الجحود إلّا بما يعلمه الجاحد، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام: ٣٣.

الفرق بين الجحد والكذب: أنّ الكذب هو الخبر الّذي لامُخبِر له على ماهو به، والجحد: إنكارك الشّيء الظّاهر، أو إنكارك الشّيء مع علمك به، فليس الجحد له إلّا الإنكار الواقع على هذا الوجه، والكذب يكون في إنكار وغير إنكار. (٣٣)

ابن سيده: الجَحْد: نقيض الإقرار، جحَده يجحَده جَحْدًا وجُحُودًا، وجحَده إيّاه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ النّمل: ١٤، عدّاه بالباء، لأنّه في معنى كفروا، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَاكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ الأعراف: ٥١، أي بكفرهم بآياتنا.

والجَحْد والجُحْد والجَحَد: قلّة الخير. وقد جحَد جَحْدًا، فهو جَحِدٌ وجَحْدٌ وأجْحَد.

وأرض جَحْدَةٌ: يابسة لاخير فيها، وقد جَحِدت.

وجَحِد النّبات: قلّ ونَكِد.

والجَحْد: القلّة من كلّ شيء، وقد جَحِد. ورجل جَحِدٌ وجَحْدٌ، كقولهم: نَكِدٌ ونَكْدٌ.

ونَكْدًا له وجَحْدًا، ونُكْدًا له وجُحْدًا، ونَكَدًا وجَحَدًا: دُعاءٌ عليه. (٣: ٦٣)

الجَحِد: جَحِد النّبت يَجحَد جَحَدًا: لم يَطُل، فهو جَحِدٌ. (الإفصاح ٢: ١٠٨٨)

الجَحْد والجُحْد: قلّة الخير، وقيل: قلّة المال، وقيل: القلّة من كلّ شيء.

جَحِد العيش يَجحَد جَحَدًا وجُحُودًا: ضاق واشتدّ، فهو جَحِد وأجحَد.

وأجحَد فلان: ذهب ماله، وقلّ خيره.

(الإفصاح ٢: ١٢٤٤)

الرّاغِب: الجُحُود: نفي مافي القلب إثباته، وإثبات مافي القلب نفيه، يقال: جَحَد جُحُودًا وجَحْدًا، قال عزّوجلّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ النّمل: ١٤، وقال عزّوجلّ: ﴿بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ المؤمن: ٦٣.

و«يَجحَد» يختصّ بفعل ذلك، يقال: رجل جَحْدٌ: شحيح قليل الخير يظهر الفقر، وأرض جَحْدَة: قليلة النّبت، يقال: جَحْدًاله ونَكْدًا، وأجحَد: صار ذا جَحْد. (٨٨)

الزّمَخْشَريّ: جَحَده حقّه وبحقّه، جَحْدًا وجُحُودًا. ومالأنت إلّا جاحد جَحِدٌ، أي قليل الخير، وفيك جُحْد وجَحَد كعُدْم وعَدَم، وقد جَحِد فلان وأجحَد. [ثمّ استشهد بشعر]

وقلّة الخير على معنيين: الشُّحّ والفقر. ويقال: قد جَحِد عامنا، وعامٌ جَحِد. (أساس البلاغة: ٥٢)

المَدينيّ: الجَحْد: ضدّ الإقرار، ولايكون جَحْدًا إلّا مع علم الجاحد به، بخلاف الإنكار، وكذلك الجُحُود.

والجَحْد: قلّة الشّيء. (١: ٢٩٨)

الصَّغانيّ: الجُحاديّ، بالضّمّ وتشديد الياء: الضّخم من كلّ شيء. [ثمّ ذكر مثل قول شمر وأبي عبيد وأضاف:]

الجَحّاد: البطيء الإنزال. (٢: ٢٠٥)

الفَيّوميّ: جَحَده حقّه وبحقّه جَحْدًا وجُحُودًا: أنكره، ولايكون إلّا على علم من الجاحد به. (١: ٩١)

الفيروزاباديّ: جَحَده حقّه وبحقّه كمنَعه جَحْدًا وجُحودًا: أنكره مع علمه، وفلانًا: صادفه بخيلًا وكفرح: قلّ ونَكِد، والنّبت: لم يَطُل.

والجَحْد بالفتح والضّمّ والتّحريك: قلّة الخير.

وجَحِد كفرح فهو جَحِدٌ وجَحْدٌ وأجحَد.

والجَحّاد: البطيء الإنزال.

والجُحاديّ بالضّمّ: الضّخم من كلّ شيء، وبهاء: القِرْبة المملوءة لبنًا، والغِرارة المملوءة تمرًا أو حِنطةً.

وفرَس جَحِدٌ ككَتِف: غليظ قصير، وهي بهاء، جمعه: ككتاب.

الجُحاديّ بالضّمّ وتشديد الياء: الصّحن يُحلَب فيه، والضّخم من الإبل، أو من كلّ شيء. (١: ٢٩٠)

الطُّرَيحيّ: والجُحُود، هو الإنكار مع العلم، يقال: جحَد حقّه جَحْدًا وجُحُودًا، أي أنكره مع علمه بثبوته. (٣: ٢٠)

مَجْمَعُ اللُّغة: جحَد الحقّ أو الدّين يَجحَد جُحُودًا: أنكرهما، وهو يعلم.

وجحَد بالنّعم أو بالآيات: كفر بها. (١: ١٨٢)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جحَد الأمر وبه: أنكره مع علمه به، وجحده حقّه وبحقّه: لم يعترف به، وجحد النّعمة: كفر بها، والجحد في اللّغة: إنكارك بلسانك ماتستيقنه نفسك. (١: ١٠٢)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو مايقابل الاعتراف وإظهار الوفاق، ويعبّر عنه بـ«الإنكار». وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات والموارد.

فإذا كان العام خلاف ماهو المتوقّع منه، وخلاف ماهو جارٍ في الأعوام الماضية، فيقال: عام جَحِدٌ. وكذلك إذا كان الرّجل بعيدًا عن الجريان الطّبيعيّ في أموره ومعيشته، فيقال: رجل جَحِدٌ، أي فقير في ضيق العيش، وهكذا النّبت إذا توقّف عن جريانه.

وأمّا قلّة الخير فهي من لوازم هذه المعاني.

وأمّا إطلاق «الجحد» على صيغة مستقبل دخلت عليها حرف «لم» أو «لمّا»؛ فباعتبار مطلق الإنكار، سواء كان مع علم الجاحد أم لا. [ثمّ ذكر الآيات وقال:]

فتحصّل أنّ الإنكار أعمّ من أن يكون باللّسان أو بالطّبيعة أو بالحال. (٢: ٥٧)

النُّصوص التّفسيريّة

جَحَدُوا

١ـ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِاٰيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

وَاتَّبَعُوا اَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. هود: ٥٩

ابن عبّاس: كذّبوا أنبياء الله. (الواحديّ ٢: ٥٧٩)

الطُّوسيّ: والجحد: الخبر بأنّ المعنى ليس بكائن على صحّة، فعلى هذا جحدوا هؤلاء الكفّار بآيات الله، أي أخبروا بأنّ المعنى لانعرف صحّته، والنّفي خبرٌ بعدمه. (٦: ١٤)

الفَخْرالرّازيّ: المراد: جَحدوا دلالة المعجزات على الصّدق، أو الجحد، ودلالة المُحدَثات على وجود الصّانع الحكيم، إن ثبت أنّهم كانوا زنادقة. (١٨: ١٥)

القُرطُبيّ: أي كذّبوا بالمعجزات وأنكروها. (٩: ٥٤)

البَيْضاويّ: كفروا بها. (١: ٤٧٢)

أبوحَيّان: أي أنكروها، وأصل «جحَد» أن يتعدّى بنفسه، لكنّه أُجري مجرى «كفَر» فعُدّي بالباء، كما عُدّي «كفَر» بنفسه في قوله: ﴿اَلَا اِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هود: ٦٠، إجراءً له مجرى جَحَد. (٥: ٢٣٥)

نحوه القاسميّ. (٩: ٣٤٥٩)

أبوالسُّعود: كفروا بها بعد مااستيقنوها. (٣: ٣٢٦)

البُرُوسَويّ: كفروا بآيات ربّهم بعد مااستيقنوها، يعني أنّهم كانوا يعرفون أنّها حقّ، لكنّهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة ويستمرّ على جحوده ولايرعوي. (٤: ١٥١)

رشيد رضا: أي كفروا بجنس الآيات الّتي يؤيّد بها رُسله بجحود ماجاءهم به رسولهم منها.

...والجحود بالآيات: تكذيب الدّلائل الواضحة عناداً في الظّاهر دون الباطن، كما قال في قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النّمل: ١٤. (١٢: ١١٩)

٢ـ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. النّمل: ١٤

الإمام الصّادق عليه السلام: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود على وجهين. [إلى قوله:] وأمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفة، وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنّه حقّ قد استقرّ عنده، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. (العَروسيّ ٤: ٧٥)

ابن جُرَيْج: الجحود: التّكذيب بها. (الطّبَريّ ١٩: ١٤٠)

الطّبَريّ: وكذّبوا بالآيات التّسع أن تكون من عند الله. (١٩: ١٤٠)

نحوه البَيضاويّ (٢: ١٧٢)، والآلوسيّ (١٩: ١٦٨)، والقاسميّ (١٣: ٤٦٦٢).

الطُّوسيّ: والمعنى أنّهم عرفوها وعلموها بقلوبهم، لكنّهم جحدوا بها بألسنتهم طلبًا للعلوّ والتّكبّر، في ذلك دلالة على أنّهم كانوا معاندين، إذ جحدوا ماعرفوا.

وقال الرُّمّانيّ: لاتدلّ على ذلك، لأنّ معرفتهم كانت بوقوعها على الحقيقة، فأمّا الاستدلال على أنّها من فعل الله ومن قِبَله ليدلّ بها على صدق من أعطاها إيّاه، فبعد العلم بوقوعها.

وقال أبوعُبَيْدَة: الباء زائدة، والمعنى وجحدوها. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: إنّهم جحدوا مادلّت عليه من تصديق الرّسول، كما تقول: كذّبت به، أي بما جاء به. (٨: ٨١)

البغويّ: أي أنكروا الآيات، ولم يقرّوا أنّها من عند الله. (٣: ٤٩٢)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٦: ١٥٨)

المَيْبُديّ: لايكون الجحود إلّا من علم من الجاحد، وقيل: لايكون الجحود إلّا بعد الإقرار بما عرف، وأصل الجحد: قلّة الخير.

وفي الباء قولان:

أحدهما: زيادة. [ثمّ استشهد بشعر]

والثّاني: باء السّبب، أي أزالوا الخير عنهم بسبب ردّهم آيات الله، وتكذيبهم حاملها. (٧: ١٨٣)

القُرطُبيّ: أي تيقّنوا أنّها من عند الله، وأنّها ليست سحرًا، ولكنّهم كفروا بها، وتكبّروا أن يؤمنوا بموسى. وهذا يدلّ على أنّهم كانوا معاندين. (١٣: ١٦٣)

النّسَفيّ: قيل: الجحود لايكون إلّا من علم من الجاحد. وهذا ليس بصحيح، لأنّ الجحود هو الإنكار، وقد يكون الإنكار للشّيء للجهل به، وقد يكون بعد المعرفة تعنّتًا، كذا ذُكر في «شرح التّأويلات» وذُكر في «الدّيوان» يقال: جحد حقّه وبحقّه بمعنى. (٣: ٢٠٤)

الشِّربينيّ: أي أنكروا كونها آياتٍ موجباتٍ لصدقه مع علمهم بإبطالهم، لأنّ الجحود: الإنكار مع العلم. (٣: ٤٥)

البُرُوسَويّ: كذبوا بألسنتهم كونها آيات إلٰهيّة. والجحود: إنكار الشّيء بعد المعرفة والإيقان تعنّتًا، وأُريد هنا التّكذيب لئلّا يلزم استدراك قوله: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾. (٦: ٣٢٤)

المَراغيّ: أي وكذّبوا بألسنتهم وأنكروا دلالتها على صدقه، وأنّه رسول من ربّه. لكنّهم علموا في قرارة نفوسهم أنّها حقّ من عنده، فخالفت ألسنتهم قلوبهم، ظلمًا للآيات؛ إذ حطّوها عن مرتبتها العالية وسمّوها سحرًا، ترفّعًا عن الإيمان بها، كما قال في آية أُخرى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ المؤمنون: ٤٧

والخلاصة: إنّهم تكبّروا عن أن يؤمنوا بها، وهم يعلمون أنّها من عند الله. (١٩: ١٢٥)

عبد الكريم الخطيب: الجَحْد والجُحُود: الإنكار القائم على المكابرة، والتّحدّي للحقّ والواقع. (١٠: ٢٢٣)

مكارم الشّيرازيّ: يستفاد من هذا التّعبير أنّ الإيمان له حقيقة وواقعيّة غير العلم واليقين، ويمكن أن يقع الكفر جحودًا وإنكارًا، بالرّغم من العلم بالشّيء.

وبعبارة أُخرى: إنّ حقيقة الإيمان هي الإذعان والتّسليم في الباطن والظّاهر للحقّ. فبناءً على ذلك إذا كان الإنسان مستيقنًا بشيءٍ مّا إلّا أنّه لايذعن له في الباطن أو الظّاهر فليس له إيمان، بل هو ذو كفر جحوديّ، وهذا هو ماتحدّث عنه ونمرّ عليه في هذا البحث.

لذلك فإنّنا نقرأ حديثًا عن الإمام الصّادق عليه السلام يذكر فيه ضمن عدّه أقسام الكفر الخمسة: كفر الجحود، ويبيّن بعض شعبه بالتّعبير التّاني: هو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنّه حقّ قد استقرّ عنده.

وممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ القرآن يعدّ الباعث على

إنكار فرعون وقومه أمرين: الأوّل: الظّلم، والثّاني: العلوّ ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. (١٢: ٢٣)

فضل الله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ فلم يكن جحودهم الّذي بدر منها منطلقًا من حالة فكريّة تبرّر لهم ذلك، ممّا يمكن أن يكونوا قد اكتشفوه في هذه الآيات من نقاط ضعف، وماعرضه موسى في رسالته من مواقع رفض، بل كان منطلقًا من مشاعر الظّلم العدوانيّ، الّذي يرفض أن يقف فيه الإنسان عند حدّه وحجمه الطّبيعيّ، ومن طبيعة الاستعلاء الذّاتيّ أن يمنع الإنسان من القبول بالحقيقة الّتي يتحدّث بها النّاس، الّذين هم أقلّ منه قدرًا وطبقةً، في ماهي الموازين المألوفة لدى المجتمع في تقدير الأفراد، تبعًا لقوّة المال والجاه والنّسب.

وهذا هو الّذي يفسّر جحود الكثيرين من النّاس لحقائق الحياة والإيمان، في طبيعة الموقف، في الوقت الّذي تلمح فيه الحقيقة في مواقع اليقين المشرق بالعمق الإيمانيّ، المتفجّر بينابيع النّور.

وماذا كانت النّتيجة؟ هل استطاعوا أن يطمئنّوا إلى كفرهم وجحودهم وكبريائهم في مواقع السّلطة؟ لم يبق لهم شيء من ذلك، فأغرقهم الله وأسقط كلّ دورهم الكافر والظّالم، وتمّت كلمة ربّك صدقًا وعدلًا.

(١٧: ١٩١)

يَجْحَدُ

وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ. العنكبوت: ٤٧

قَتادَة: إنّما يكون الجحود بعد المعرفة.

(الطّبَريّ ٢١: ٤)

الطّبَريّ: ومايجحد بأدلّتنا وحُججنا إلّا الّذي يجحد نِعَمنا عليه، ويُنكر توحيدنا وربوبيّتنا على علم منه، عنادًا لنا. (٢١: ٤)

الإسكافيّ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ... وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٧، ٤٩، للسّائل أن يسأل عن تسمية الجاحدين في الآية الأُولى بالكافرين وفي الثّانية بالظّالمين، وأُولئك ظالمون كما أنّ هؤلاء كافرون، فلماذا اختصاص الأُولى بتلك الصّفة والثّانية بهذه الصّفة؟

والجواب: أنّ من جحد آيات الله فقد كفر نعمته، وهذا أوّل مايفعله، لأنّ ذلك متعلّق بما قبله ممّن تولّى خلقه وأنعم عليه بما استوجب به شكره، فأوّل فعله: كفر نعم الله، ثمّ إنّه مسيء إلى نفسه، ظالم بأن أبدلها من النّعيم الّذي عرض له عذابًا لايطيقه؛ فكُفره أوّل في الذّكر وظُلمه ثان، لأنّه فوّت نفسه عظيم الأجر آخرًا في العمل، فقدّم الكافرين على الظّالمين لذلك. (٣٥٣)

الطُّوسيّ: لأنّ كلّ من جحد بآيات الله من المكلّفين فهو كافر، معاندًا كان أو غير معاند. (٨: ٢١٥)

البغَويّ: وذلك أنّ اليهود وأهل مكّة عرفوا أنّ محمّدًا نبيّ والقرآن حقّ فجحدوا. (٣: ٥٦٣)

المَيْبُديّ: [مثل البغَويّ وأضاف:]

والجُحود أكثر مايقال في إنكار اللّسان والقلب عارف. (٧: ٣٩٦)

الزَّمَخْشَريّ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع ظهورها وزوال الشّبهة عنها إلّا المتوغّلون في الكفر المصمّمون عليه. (٣: ٢٠٨)

الطَّبْرِسيّ: أي ومايُنكر دلالاتنا إلّا الكافرون ولايضرّك جحودهم. (٤: ٢٨٧)

الفَخْرالرّازيّ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ تنفيرًا لهم عمّا هم عليه، يعني أنّكم آمنتم بكلّ شيء، وامتزتم عن المشركين بكلّ فضيلة، إلّا هذه المسألة الواحدة، وبإنكارها تلتحقون بهم وتُبطلون مزاياكم، فإنّ الجاحد بآية يكون كافرًا. (٢٥: ٧٦)

البُرُوسَويّ: الجحد: نفي مافي القلب إثباته، أو إثبات مافي القلب نفيه. (٦: ٤٧٨)

الآلوسيّ: وفسّر [الجحد] هنا بالإنكار عن علم، فكأنّه قيل: ومايُنكر آياتنا مع العلم بها، ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾. (٢١: ٤)

المَراغيّ: أي ومايكذّب بآياتنا ويجحد حقّها إلّا من يستر الحقّ بالباطل، ويغطّي ضوء الشّمس بالوصائل، ويغمط حقّ النّعمة عليه، وينكر التّوحيد عنادًا واستكبارًا. (٢١: ٦)

مكارم الشّيرازيّ: ومع الالتفات إلى أنّ مفهوم الجحود، هو أن يعتقد الإنسان بشيء مّا وينكره بلسانه، فإنّ مفهوم الجملة المتقدّمة أنّ الكفّار يعترفون في قلوبهم بعظمة هذه الآيات، ويرون علامات الصّدق عليها، وخطّة النّبيّ طريقته وحياته النّقيّة، وأنّ أتباعه هم المخلصون، ويعدّون كلّ ذلك دليلًا على أصالته، إلّا أنّهم ينكرون ذلك عنادًا وتعصّبًا، وتقليدًا أعمى لأسلافهم ولآبائهم، ولحفظ منافعهم الشّخصيّة العابرة.

وعلى هذا فإنّ القرآن يحدّد مواقف الأُمم المختلفة إزاء هذا الكتاب، ويصنّفهم إلى قسمين:

فقسم هم أهل الإيمان، وهم أعمّ من أن يكونوا علماء اليهود والنّصارى، أو المؤمنين بصدق أو المشركين العطاشى إلى الحقّ، وعرفوا الحقّ فتعلّقت قلوبهم به.

وقسم آخر هم المنكرون المعاندون، الّذين رأوا الحقّ إلّا أنّهم أنكروه وأخفوا أنفسهم عنه كالخفّاش، لأنّ ظلمة الكفر كانت جزءً من نسيج وجودهم، فهم يستوحشون من نور الإيمان.

وممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ هذا القسم ـ أو هذه الطّائفة ـ كانوا كفرةً من قبل، ولكن التّأكيد على كفرهم ممكن أيضًا، وذلك لأنّهم لم تتمّ الحجّة عليهم من قبل، ولكنّهم بعد أن تمّت عليهم الحجّة، فقد أصبحوا كافرين كفرًا حقيقيًّا، وحادوا بعلمهم واطّلاعهم عن الصّراط المستقيم، وخطوا في دروب الضّلال. (١٢: ٣٨١)

وبهذا المعنى جاءت الآية (٤٩) من سورة العنكبوت، والآية (٣٢) من سورة لقمان. فلاحظ.

يَجْحَدُونَ

١ـ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ.

الأنعام: ٣٣

ابن عبّاس: كذّبهم قومهم كما كذّبك قومك. (١٠٨)

قَتادَة: يعلمون أنّك رسول الله

ويجحدون. (الطّبَريّ ٧: ١٨١)

السُّدّيّ: لمّا كان يوم بدر قال الأخنَس بن شرَيق لبني زُهرة: إنّ محمّدًا ابن أُختكم، فأنتم أحقّ من كَفّ عنه، فإنّه إن كان نبيًّا لِمَ تقاتلوه اليوم، وإن كان كاذبًا كنتم أحقّ من كَفّ عن ابن أُخته. قفوا هاهنا، حتّى ألق أباالحكَم، فإن غلَب محمّد ﷺ رجعتم سالمين، وإن غُلب محمّد فإنّ قومكم لايصنعون بكم شيئًا ـ فيومئذ سمّي الأخنَس، وكان اسمه أُبَيّ ـ فالتق الأخنَس وأبوجهل، فخلا الأخنَس بأبي جهل، فقال: ياأباالحكم، أخبرني عن محمّد؟ أصادقٌ أم كاذبٌ، فإنّه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبوجهل: ويحك، والله إنّ محمّدًا لصادق، وماكذب محمّد قطّ، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيّ باللّواء، والحجابة والسّقاية والنّبوّة، فماذا يكون لسائر قريش؟ وقوله تعالى: ﴿بِاٰيَاتِ اللهِ﴾: هي محمّد ﷺ. (٢٤١)

ابن قُتَيْبَة: يريد: أنّهم كانوا لاينسبوك إلى الكذب ولايعرفونك به، فلمّا جئتهم بآيات الله جحَدوها، وهم يعلمون أنّك صادق.

والجَحْد يكون ممّن علم الشّيء فأنكره، يقول الله عزّوجلّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النّمل: ١٤. (تأويل مشكل القرآن: ٣٢٢)

الزّمَخْشَريّ: المعنى: أنّ تكذيبك أمر راجع إلى الله، لأنّك رسوله المصدّق بالمعجزات، فهم لايكذّبونك في الحقيقة، وإنّما يكذّبون الله بجحود آياته، فَالْهَ عن حزنك لنفسك وإن هم كذّبوك وأنت صادق، وليُشغلك عن ذلك ماهو أهمّ وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه، ونحوه قول السّيّد لغلامه إذا أهانه بعض النّاس: إنّهم لم يُهينوك وإنّما أهانوني، وفي هذه الطّريقة قوله تعالى: ﴿اِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ اِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ الفتح: ١٠.

وقيل: فإنّهم لايكذّبونك بقلوبهم ولكنّهم يجحدون بألسنتهم، وقيل: فإنّهم لايكذّبونك لأنّك عندهم الصّادق الموسوم بالصّدق، ولكنّهم يجحدون بآيات الله.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يسمّى الأمين، فعرفوا أنّه لايكذب في شيء ولكنّهم كانوا يجحدون. وكان أبوجهل يقول: مانكذّبك، لأنّك عندنا صادق، وإنّما نكذّب ماجئتنا به. (٢: ١٥)

ابن عَطيّة: ﴿يَجْحَدُونَ﴾، حقيقته في كلام العرب: الإنكار بعد معرفة، وهو ضدّ الإقرار، ومعناه على تأويل من رأى الآية في «المعاندين» مترتّب على حقيقته، وهو قول قَتادَة والسُّدّيّ وغيرهما، وعلى قول من رأى أنّ الآية في «الكفّار» قاطبة دون تخصيص أهل العناد، يكون في اللّفظة تجوّز، وذلك أنّهم لمّا أنكروا نبوّته وراموا تكذيبه بالدّعوى الّتي لاتعضدها حجّة، عبّر عن إنكارهم بأقبح وجوه الإنكار، وهو الجحد، تغليظًا عليهم وتقبيحًا لفعلهم؛ إذ معجزاته وآياته نيّرة يلزم كلّ مفطور أن يعلمها ويُقرّ بها.

وجميع مافي هذه التّأويلات من نفي التّكذيب إنّما هو عن اعتقادهم، وأمّا أقوال جميعهم فكذّبة، إمّا له وإمّا للّذي جاء به.

وكفر العناد جائز الوقوع بمقتضى النّظر، وظواهر القرآن تعطيه، كقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

آنفُسُهُمْ﴾ النمل: ١٤، وغيرها. وذهب بعض المتكلّمين إلى المنع من جوازه، وذهبوا إلى أنّ المعرفة تقتضي الإيمان، والجحد يقتضي الكفر، ولاسبيل إلى اجتماعهما، وتأوّلوا ظواهر القرآن، فقالوا في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ إنّها في أحكام التّوراة الّتي بدّلوها كآية الرّجم وغيرها.

ودَفْع مايتصوّر العقل ويعقل من جواز كفر العناد على هذه الطّريقة صَعبٌ، أمّا أنّ كفر العناد من العارف بالله وبالنّبوّة، فبعيدٌ، لأنّه لاداعية إلى كفر العناد إلّا الحسد، ومن عرف الله والنّبوّة وأنّ محمّدًا يجيئه مَلَك من السّماء، فلاسبيل إلى بقاء الحسد مع ذلك. أمّا أنّه جائز فقد رأى أبوجهل على رأس النّبيّ ﷺ فحلًا عظيمًا من الإبل قد همّ بأبي جهل، ولكنّه كفر مع ذلك.

والّذي عندي في كفر حُيَيّ بن أخطب ومن جرى مجراه، أنّهم كانوا يرون صفات النّبيّ ﷺ ويعرفونها أو أكثرها، ثمّ يرون من آياته زائدًا على ماعندهم، فيتعلّقون في مغالطة أنفسهم بكلّ شبهة بأضعف سبب، وتتخالج ظنونهم فيقولون مرّة: هو ذلك، ومرّة: عساه ليسه، ثمّ ينضاف إلى هذا حسدهم وفقدهم الرّئاسة، فيتزايد ويتمكّن إعراضهم وكفرهم وهم على هذا، وإن عرفوا أشياء وعاندوا فيها، فقد قطعوا في ذلك بأنفسهم عن الوصول إلى غاية المعرفة وبقوا في ظلمة الجهل، فهم جاهلون بأشياء، معاندون في أشياء غيرها، وأنا أستبعد العناد مع المعرفة التّامّة. (٢: ٢٨٦)

الطّبْرِسيّ: أي بالقرآن والمعجزات، يجحدون بغير حجّة سفهًا وجهلًا وعنادًا. ودخلت الباء في ﴿بِـآيَاتِ اللهِ﴾ والجحد يتعدّى بغير الجارّ والمجرور، لأنّ معناه هنا التّكذيب، أي يكذّبون بآيات الله.

وقال أبوعليّ: الباء تتعلّق بـ(الظّالِمِينَ) والمعنى ولكنّ الظّالمين بردّ آيات الله أو إنكار آيات الله يجحدون ماعرفوه من صدقك وأمانتك، ومثله قوله سبحانه: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ الإسراء: ٥٩، أي ظلموا بردّها أو الكفر بها. (٢: ٢٩٥)

ابن شهر آشوب: وهل الجحد بآياته إلّا تكذيب نبيّه، نفى تكذيبهم بقلوبهم تديّنًا واعتقادًا وإن كانوا يظهرون بأفواههم التّكذيب، كما قال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٤٦.

قال أبوزَيْد المدنيّ: لقي أبوجهل النّبيّ ﷺ فصافحه أبوجهل، فقيل له في ذلك، فقال: والله أعلم أنّه نبيّ، ولكن متى كنّا تبعًا لبني عبد مناف، فأنزل الله الآية.

وقال الأخنس ـ وقد سُئِل عن النّبيّ بالسّرّ ـ: والله إنّ محمّدًا لصادقٌ وماكذب قطّ، ولكن إذا ذهب بنو قُصيّ باللّواء والحجابة والسّقاية والنّدوة والنّبوّة ماذا يكون لقريش. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: لايفعلون ذلك بحجّة، ولايتمكّنون من إبطال ماجئت به، يقال: فلان لايستطيع أن يكذّبني ولايدفع قولي. (لَايُكَذِّبُونَكَ): لايلقونك متقوّلًا، كما تقول: قاتلته فما أجبنته وحادثته فما أكذبته. قال الكِسائيّ: أي لاينسبونك إلى الكذب فيما أتيت به، لأنّه كان عندهم أمينًا. قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الأنعام: ٦٦، ولم يقل: وكذّبك قومك، المعنى في قوله: (لَايُكَذِّبُونَكَ) إنّ تكذيبك راجع إليّ وعائد عليّ، ولست المختصّ به، لأنّه رسول الله، فمن

كذّبه كذّب الله ﴿لَايُكَذِّبُونَكَ﴾ في الأمر الّذي توافق فيه كتبهم وإن كذّبوك في غيره.

وقال المرتضى: لايكذّبونك جميعهم وإن كذّبوك بعضهم، وهم الظّالمون الّذين ذكروا في الآية إنّهم يجحدون بآيات الله. وهذا تسلية للنّبيّ أنّه إن كذّبك بعضهم فإنّ فيهم من يصدّقك. (٢: ١١)

نحوه الشّربينيّ (١: ٤١٧)، ورشيد رضا (٧: ٣٧٢).

الفَخْرالرّازيّ: ظاهر هذه يقتضي أنّهم لايكذّبون محمّدًا ﷺ، ولكنّهم يجحدون بآيات الله.

واختلفوا في كيفيّة الجمع بين هذين الأمرين على وجوه:

الوجه الأوّل: أنّ القوم ماكانوا يكذّبونه في السّرّ ولكنّهم كانوا يكذّبونه في العلانيّة ويجحدون القرآن والنّبوّة. ثمّ ذكروا لتصحيح هذا الوجه روايات:

إحداها: أنّ الحرث بن عامر من قريش قال: يامحمّد، والله ماكذبتنا قطّ، ولكنّا إن اتّبعناك نتخطّف من أرضنا، فنحن لانؤمن بك لهذا السّبب.

وثانيها: [رواية الأخنس، وقد مرّ ذكرها]

إذا عرفت هذا فنقول: معنى الآية على هذا التّقدير: أنّ القوم لايكذّبونك بقلوبهم ولكنّهم يجحدون نبوّتك بألسنتهم وظاهر قولهم وهذا غير مستبعد، ونظيره قوله تعالى في قصّة موسى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

الوجه الثّاني أنت في تأويل الآية: أنّهم لايقولون: إنّك أنت كذّاب، لأنّهم جرّبوك الدّهر الطّويل والزّمان المديد، وماوجدوا منك كذبًا، ألبتّة، وسمّوك بالأمين فلايقولون فيك: إنّك كاذب ولكن جحدوا صحّة نبوّتك ورسالتك، إمّا لأنّهم اعتقدوا أنّ محمّدًا عرض له نوع خَبَل ونقصان، فلأجله تخيّل من نفسه كونه رسولًا من عند الله. وبهذا التّقدير: لاينسبونه إلى الكذب، أو لأنّهم قالوا: إنّه ماكذب في سائر الأُمور، بل هو أمين في كلّها إلّا في هذا الوجه الواحد.

الوجه الثّالث: في التّأويل: إنّه لمّا ظهرت المعجزات القاهرة على وفق دعواه، ثمّ إنّ القوم أصرّوا على التّكذيب، فالله تعالى قال له: إنّ القوم ماكذّبوك، وإنّما كذّبوني، ونظيره: أنّ رجلًا إذا أهان عبدًا لرجل آخر، فقال هذا الآخر: أيّها العبد إنّه ماأهانك، وإنّما أهانني، وليس المقصود منه نفي الإهانة عنه بل المقصود تعظيم الأمر وتفخيم الشّأن وتقريره: أنّ إهانة ذلك العبد جارية مجرى إهانته، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ الفتح: ١٠.

والوجه الرّابع في التّأويل، وهو كلام خطَر بالبال: هو أن يقال: المراد من قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ﴾ أي لايخصّونك بهذا التّكذيب بل ينكرون دلالة المعجزة على الصّدق مطلقًا، وهو المراد من قوله: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِأيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾، والمراد أنّهم يقولون في كلّ معجزة: إنّها سحر، وينكرون دلالة المعجزة على الصّدق على الإطلاق، فكان التّقدير: أنّهم لايكذّبونك على التّعيين بل القوم يكذّبون جميع الأنبياء والرّسل، والله أعلم. (١٢: ٢٠٤)

نحوه المَراغيّ. (٧: ١٠٩)

البَيْضاويّ: ولكنّهم يجحدون بآيات الله

ويكذّبونها، فوضع (الظّالِمِينَ) موضع الضّمير للدّلالة على أنّهم ظلموا بجحودهم، أو جحدوا لتمرّنهم على الظّلم، والباء لتضمين الجحود معنى التّكذيب.

(١: ٣٠٨)

الخازن: يعني في العلانية؛ وذلك أنّهم جحدوا القرآن بعد معرفة الصّدق الّذي أُنزل عليه، لعنادهم وكفرهم، كما قال الله تعالى في حقّ غيرهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النّمل: ١٤.

وقيل: ظاهر الآية يدلّ على أنّهم لم يكذّبوا محمّداًﷺ، وإنّما جحدوا آيات الله، وهي القرآن الدّالّ على صدقه. فعلى هذا يكون المعنى فإنّهم لايكذّبونك، لأنّهم قد عرفوا صدقك، وإنّما جحدوا صحّة نبوّتك ورسالتك. (٢: ١٠٧)

أبوالسّعود: أي ولكنّهم بآياته تعالى يكذّبون، فوضع المظهر موضع المضمر، تسجيلاً عليهم بالرّسوخ في الظّلم الّذي يعتبر جحودهم هذا فنًّا من فنونه، والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ماأقدموا عليه من جحود آياته تعالى، وإيراد الجحود في مورد التّكذيب للإيذان بأنّ آياته تعالى من الوضوح؛ بحيث يشاهد صدقها كلّ أحد، وأنّ من ينكرها فإنّما ينكرها بطريق الجحود الّذي هو عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ النّمل: ١٤، وهو المعنيّ بقول من قال: إنّ نفي مافي القلب إثباته، أو إثبات مافي القلب نفيه.

والباء متعلّقة بـ(يَجْحَدُونَ) ويقال: جحد حقّه وبحقّه، إذا أنكره وهو يعلمه. وقيل: هو لتضمين الجحود معنى التّكذيب، وأيًّا ماكان فتقديم الجارّ والمجرور للقصر. (٢: ٣٧٥)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٢٥)

الآلوسيّ: وإيراد الجحود في مورد التّكذيب للإيذان بأنّ آياته سبحانه من الوضوح؛ بحيث يشاهد صدقها كلّ أحدٍ، وأنّ من ينكرها فإنّما ينكرها بطريق الجحود، وهو كالجحد: نفي مافي القلب إثباته أو إثبات مافي القلب نفيه.

والباء متعلّق بـ﴿يَجْحَدُونَ﴾ والجحد يتعدّى بنفسه وبالباء، فيقال: جحده حقّه وبحقّه، وهو الّذي يقتضيه ظاهر كلام الجَوهَريّ والرّاغِب. وقيل: إنّما يتعدّى بنفسه، والباء هاهنا لتضمينه معنى التّكذيب.

وأيًّا ماكان فتقديم الجارّ والمجرور مراعاة لرؤوس الآي أو للقصر. ونقل الطَّبْرِسيّ عن أبي عليّ: أنّ الجارّ متعلّق بـ(الظّالِمِينَ) وفيه خفاء.

ويحتمل أن يكون المعنى أنّه يحزنك قولهم، لأنّه تكذيب لي، فأنت لم تحزن لنفسك بل لما هو أهمّ وأعظم، ولايخفى أنّ هذا خلاف المتبادر.

وقيل: معنى الآية فإنّهم لايكذّبونك بقلوبهم ولكنّهم يجحدون بألسنتهم.

وقيل: المعنى أنّهم ليس قصدهم تكذيبك، لأنّك عندهم موسوم بالصّدق، وإنّما يقصدون تكذيبي والجحود بآياتي، ونسب هذا إلى الكِسائيّ.

واعترض الرّضيّ هذا القول: بأنّه لايجوز أن يصدّقوهﷺ في نفسه ويكذّبوا ماأتى به، لأنّ من المعلوم

أنّه عليه الصّلاة والسّلام كان يشهد بصحّة ماأتى به وصدقه، وأنّه الدّين القيّم والحقّ الّذي لايجوز العدول عنه، فكيف يجوز أن يكون صادقًا في خبره ويكون الّذي أتى به فاسدًا، بل إن كان صادقًا فالّذي أتى به صحيح وإن كان الّذي أتى به فاسدًا فلابدّ أن يكون كاذبًا فيه.

وقال مولانا سنان: إنّ حاصل المعنى أنّهم لايكذّبونك في نفس الأمر، لأنّهم يقولون: إنّك صادق، ولكن يتوهّمون أنّه اعترى عقلك ـ وحاشاك ـ نوع خلل، فخُيّل إليك أنّك نبيّ وليس الأمر بذاك، وماجئت به ليس بحقّ.

وقال الطّيّبيّ: مرادهم أنّك لاتكذب لأنّك الصّادق الأمين، ولكن ماجئت به سحر، ويُعلم من هذا الجواب عن اعتراض الرّضيّ فتدبّر.

وقيل: معنى الآية أنّهم لايكذّبونك فيما وافق كتبهم وإن كذّبوك في غيره.

وقيل: المعنى لايكذّبك جميعهم وإن كذّبك بعضهم وهم الظّالمون المذكورون في هذه الآية. وعلى هذا لايكون ذكر (الظّالمين) من وضع المظهر موضع المضمر، وقيل: غير ذلك، ولايخفى ماهو الأليق بجزالة التّنزيل.

(٧: ١٣٥)

الطّباطبائيّ: كان ظاهر السّياق أن يقال: ولكنّهم، فالعدول إلى الظّاهر للدّلالة على أنّ الجحد منهم إنّما هو عن ظلم منهم لاعن قصور وجهل وغير ذلك، فليس إلّا عتوًّا وبغيًا وطغيانًا، وسيبعثهم الله ثمّ إليه يرجعون.

ولذلك وقع الالتفات في الكلام من التّكلّم إلى الغيبة، فقيل: ﴿بِاٰيَاتِ اللهِ﴾ ولم يقل: بآياتنا، للدّلالة على أنّ ذلك منهم معارضة مع مقام الأُلوهيّة واستعلاء عليه، وهو المقام الّذي لايقوم له شيء.

وقد قيل في تفسير معنى الآية وجوه أُخرى:

أحدها: ماعن الأكثر أنّ المعنى: لايكذّبونك بقلوبهم اعتقادًا، وإنّما يُظهرون التّكذيب بأفواههم عنادًا.

وثانيها: أنّهم لايكذّبونك وإنّما يكذّبونني، فإنّ تكذيبك راجع إليّ ولست مختصًّا به. وهذا الوجه غير ماقدّمناه من الوجه وإن كان قريبًا منه، والوجهان جميعًا على قراءة التّشديد.

وثالثها: أنّهم لايصادفونك كاذبًا، تقول العرب: قاتلناهم فاأجبناهم، أي ماصادفناهم جُبناء، والوجه ماتقدّم. (٧: ٦٢)

٢ـ ﴿اَلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسٰيهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَاكَانُوا بِاٰيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾. الأعراف: ٥١

ابن عبّاس: يكفرون. (١٢٨)

الطّبَريّ: يكذّبون، ولايصدّقون بشيء من ذلك.

(٨: ٢٠٢)

الطّوسيّ: الجحد: إنكار معنى الخبر، وأمّا إنكار المنكر، فبكلّ مايُصرَف عن فعله إلى تركه، و(ما) في الموضعين مع مابعدها بمنزلة المصدر، والتّقدير: كنسيانهم لقاء يومهم هذا، وكونهم جاحدين لآياتنا.

(٤: ٤٤٨)

الخازن: يعني ونتركهم في النّار كما كانوا بدلائل وحدانيّتنا يكذّبون. (٢: ١٩٤)

الشّربينيّ: أي وماكانوا منكرين أنّها من عند الله تعالى. (١: ٤٧٩)

أبو السّعود: ﴿وَمَا كَانُوا...﴾ عطف على (مَانَسُوا) أي وكما كانوا منكرين بأنّها من عند الله تعالى إنكارًا مستمرًّا. (٢: ٤٩٧)

الآلوسيّ: ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا﴾... ذهب غير واحد إلى أنّ الكاف للتّعليل متعلّق بما عنده لا للتّشبيه إذ يمنع منه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا بِاٰيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ لأنّه عطف على (مَانَسُوا) وهو يستدعي أن يكون مشبهًا به النّسيان مثله.

وتشبيه النّسيان بالجحود غير ظاهر، ومن ادّعاه قال: المراد نتركهم في النّار تركًا مستمرًّا كما كانوا منكرين أنّ الآيات من عند الله تعالى إنكارًا مستمرًّا.

وقال القطب: الجحود في معنى النّسيان، وظاهر كلام كثير من المفسّرين أنّ كلام أهل الجنّة إلى ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾ لأنّ الله حرّمها على الكافرين فقط.

وقال بعضهم: إنّه ذلك لاغير، وعليه فيجوز أن يكون (اَلَّذِينَ) مبتدأ، وجملة ﴿اَلْيَوْمَ نَنْسٰيهُمْ﴾ خبره، والفاء فيه مثلها في قولك: الّذي يأتيني فله درهم، كما قيل. (٨: ١٢٧)

الطّباطبائيّ: الجحد: النّفي والإنكار. (٨: ١٣٤)

فضل الله: ولم يكن لهم في جحودهم لها من حجّة أو برهان، بل كانت الحجّة لله عليهم في ما أرسله من رسله، وماأنزله من كتبه. (١٠: ١٣٥)

وبهذا المعنى جاءت هذه الآيات: النّحل: ٧١، والمؤمن: ٦٣، وفصّلت: ١٥ و ٢٨، والأحقاف: ١٢٦.

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُحود، أي قلّة الخير، يقال: جَحِدَ الرّجل يَجحَدُ جَحْدًا وجُحْدًا وجَحَدًا وجُحُودًا، أي شحّ وقلّ خيرُه، وأجحَدتُه: صادفتُه بخيلًا، فهو جَحِدٌ وجَحْدٌ وأجحَدُ ومُجحَد، وإنّه لجَحِد النّبت، أي بخيل، وإنّه لجَحِد النّائل، وإنّه لـمُجحَد، أي قلّ نائله،

وجَحِدَ عَيشُه جَحْدًا وجُحْدًا وجَحَدًا: ضاق واشتدّ، وجَحَدَ، وأجحَدَ: أنفضَ وذهب ماله، فهو جَحِد، أي فقير.

ورجل جَحِدٌ وجَحْدٌ: مثل نَكِدٌ ونَكْدٌ وزنًا ومعنًى، يقال: نَكَدًا له وجَحَدًا، وهو دعاء عليه.

وأرضٌ جَحْدَةٌ: يابسةٌ لاخير فيها، وقد جَحِدَت، وجَحِدَ النّبت: قلّ ولم يَطُل، وعامٌ جَحِدٌ: قليل المطر.

وجَحَدَه حقّه وبحقّه يَجحَدَه جَحْدًا وجُحُودًا: أنكره وهو يعلمه، وكأنّه يفعل ذلك لقلّة خيره وشحّة طبعه.

٢ـ وعدّ ابن السّكّيت[1]: الجُحاديّ والجُخاديّ: الضّخم، من البدل، ونظيره الجُحاديّة: القربة الّتي مُلئت لبنًا، أو الغرارة الّتي مُلئت تمرًا أو حنطة، وكذا فرسٌ جَحْدٌ: غليظ قصير، والجمع: جِحاد، والأُنثى جَحْدَة؛ إذ فيه معنى الغلظة والضّخامة.

---

(١) انظر اللّسان ٣: ١٠٧.

وذكر صاحب «القاموس»: جَحَدَ فلانًا، أي صادفه بخيلًا، وتبعه شارحه صاحب «التاج»، ولم يعزه إلى قائله، ولكنّ المشهور عند أرباب اللّغة: أجحده، كما ذكرناه.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت فعلًا ماضيًا في (١) و(٢) ومضارعًا في الباقي في (١٢) آية:

١ـ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هود: ٥٩

٢ـ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ النمل: ١٤

٣ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ العنكبوت: ٤٧

٤ـ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٩

٥ـ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان: ٣٢

٦ـ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

الأنعام: ٣٣

٧ـ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ الأعراف: ٥١

٨ـ ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

المؤمن: ٦٣

٩ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصّلت: ١٥

١٠ـ ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصّلت: ٢٨

١١ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

الأحقاف: ٢٦

١٢ـ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ النّحل: ٧١

يلاحظ أوّلًا: أنّ سياقها يعطي أنّ الجحود: هو الإنكار عن علم، وبه فسّره ابن فارس، فقال: «ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح واضح، واحتجّ بـ(٢): ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾.

ثانيًا: أنّه تعلّق بالآيات إلّا في (١٢) فتعلّق فيها بالنّعمة، وفيها إشعار بأنّ الآيات حسب مادّتها حقائق ساطعة وأعلام لامعة، لاسبيل إلى إنكارها إلّا بعد العلم بها، فلهذه المادّة ـ من وجهة نظر القرآن ـ علاقة بالآيات وبالنّعمة، والأُولى هي الغالبة عليها لما ذكر. وأمّا النّعمة فشكرها حسن بل واجب عقلًا، فجحدها كجحد الآيات البيّنات في القبح.

ثالثًا: الآيات كلّها مكّيّة، فهل معنى ذلك أنّ (جحد) كان لغة أهل مكّة، أو يدلّ على شدّة عناد أهلها للنّبيّ ﷺ، وكان ذلك معروفًا منهم فخصّهم القرآن به.

رابعًا: وصف الجاحدون الآياتِ بأوصاف، تعليلًا لجحودهم، وهي: اتّبعوا كلّ جبّار عنيد، مفسدين كافرين، ظالمين، ختّار كفور، اتّخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، يؤفكون، استكبروا بغير الحقّ، أعداء الله يستهزؤون بآيات الله.

خامسًا: أُشكل الجمع بين إنكار الحقّ والعلم بأنّه حقٌّ، وكذا الجمع بين تصديق النّبيّ، وتكذيب الآيات على كثيرٍ منهم، وأوّلوا مادلّ على ذلك بوجوه لانرى تكرارها، فلاحظ النّصوص.



ج ح م

٣ ألفاظ، ٢٦ مرّة: ٢٠ مكّيّة، ٦ مدنيّة

في ١٨ سورة: ١٣ مكّيّة، ٥ مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجحيم: النّار الشّديدة التّأجّج والالتهاب، جَحَمَت تَجْحَم جُحُومًا.

وجاحِم الحرب: شدّة القتل في معركتها. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَحْمَة: العين، بلغة حِمْيَر. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَحْمَتا الأسد: عيناه بكلّ لغة.

والأجحَم: الشّديد حُمْرَة العين مع سعتها، والمرأة جَحْماء، ونساء جُحْم وجَحْماوات. (٣: ٨٧)

اللّيث: كلّ نار توقد على نار: جحيم.

والجَمر بعضه على بعض: جحيم، وهي نار جاحمة. (الأزهَريّ ٤: ١٧٠)

أبوعمروالشّيبانيّ: أجحَمُ العينين: الجاحظ العينين. (١: ١١٩)

جحَمَتْ ناركم، تَجْحَم، إذا كثر جَمْرُها، وهي جحيم، وجاحمة. (١: ١٢٠)

ابن الأعرابيّ: الجُحام: داء معروف.

والجُحُم: القليلو الحياء. (الأزهَريّ ٤: ١٧٠)

الحَرْبيّ: جحيم: نار، لأنّ الجحيم من أسماء النّار، قال الله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ التّكاثر: ٦، وهو أيضًا شدّة القتل. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٩٠٧)

ابن دُرَيد: جَحِمَتْ النّار، إذا اضطرَمَت، تَجْحَم جَحْمًا وجَحَمًا.

وجَمْرٌ جاحم، إذا اشتدّ اشتعاله، ومنه اشتقاق «الجحيم» والله أعلم بكتابه.

وجَحَم الرّجل، إذا فتح عينه كالشّاخص، والعين جاحمة، وبه سمّي الرّجل أجحم.

والجُحام: داء يصيب الإنسان في عينه فترِم عيناه.

والجَحْمَة: العين، لغة يمانيّة. [ثمّ استشهد بشعر]

(٢: ٥٩)

الأزهَريّ: يقال: للنّار جاحمٌ، أي تَوَقُّدٌ والتهابٌ، ورأيت جُحْمَة النّار، أي تَوَقُّدها.

وأخبرني المُنذريّ عن أبي طالب في قولهم: فلان جَحّام، وهو يتجاحم علينا، أي يتضايق، وهو مأخوذ من «جاحم الحرب» وهو ضيقها وشدّتها.

وقال بعضهم: هو يتجاحم، أي يتحرّق حِرْصًا وبُخْلاً، وهو من «الجحيم». (٤: ١٧٠)

الصّاحِب: الجحيم: النّار الشّديدة التّأجُّج.

وجاحِم الحَرْب: شدّة القتل. ويقولون: ذاقَ فلانٌ جاحمًا من الحَرْب فبَرَدَ. يقال ذلك للمُحْتَمي في الحَرْب.

والجَحْمَة: العين، بلغة حِمْيَر.

والأجحَم: شديد حُمْرَة العين مع سعَتها، والمرأة: جَحْمَاء، ونساءٌ جُحْمٌ وجَحْمَاوَات.

والمُجَحِّم: الّذي يَنظُر نظرًا شديدًا يُجَحّظ فيه.

ورجل أجحَم العين: مُدوّرُها.

والجُحام: داءٌ يأخذ في رُؤُوس الكلاب.

ورجل جَحّام: ضيّقٌ بخيل، من «جاحِم الحَرْب».

وجَحُمَتْ النّار جُحُومًا: اضطرَمَتْ. (٢: ٤١٧)

الجَوهَريّ: الجحيم: اسم من أسماء النّار، وكلّ نار عظيمة في مَهْواة فهي جحيم، من قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٩٧.

والجاحم: المكان الشّديد الحرّ.

والجَحْمَة: العين، بلغة حِمْيَر. [ثمّ استشهد بشعر]

وجحَم الرّجل: فتح عينيه كالشّاخص، والعين جاحمة.

وجحّمني بعينيه تجحيمًا: أحَدّ إليّ النّظر.

والأجحَم: الشّديد حمرة العين مع سعَتها، والمرأة جَحْماء.

والجُحام: داءٌ يصيب الإنسان فترِم عيناه.

وأجحَم عن الشّيء: كفّ عنه، مثل أحجَم.

(٥: ١٨٨٣)

ابن فارِس: الجيم والحاء والميم عُظْمُها، به الحرارة وشدّتها. فالجاحم: المكان الشّديد الحرّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وبه سمّيت الجحيم جحيمًا. ومن هذا الباب ـ وليس ببعيد منه ـ الجَحْمَة: العين، ويقال: إنّها بلغة اليمن. وكيف كان فهي من هذا الأصل، لأنّ العينين سراجان متوقّدان. [ثمّ استشهد بشعر]

قالوا: جَحْمَتا الأسد: عيناه في اللّغات كلّها. وهذا صحيح، لأنّ عينيه أبدًا متوقّدتان.

[ثمّ ذكر مثل الجوهريّ إلى أن قال:]

فأمّا قولهم: أجحَم عن الشّيء، إذا كعّ عنه، فليس بأصل، لأنّ ذلك مقلوب عن «أحجَم»، وقد ذكر في بابه. (١: ٤٢٩)

الهَرَويّ: يقال: جَحّم فلان النّار، إذا عظّمها. ويقال لعين الأسد: جَحْمَة، لشدّة توقّدها. ورأيت جَحْمَة النّار، وهي شدّة توقّدها. (٣٢٢)

الثّعالبيّ: إذا اشتدّ تأجُّجها [النّار] فهي جاحمة.

(٣٠٨)

ابن سيده: أجحَم عنه: كفّ، كأحجَم.

وأجحمَ الرّجل: دنا أن يُهلكه.

والجحيم: النّار الشّديدة التّأجُّج.

وقال الزّجّاج: الجحيم: كلّ نار بعضها فوق بعض، وهي مؤنّثة كجميع أسماء النّار، وكذلك الجَحْمَة والجُحْمَة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجحَم النّار: أوقَدها، وجَحُمَت هي جُحُومًا: عظُمَت وتأجّجَتْ. وجَحِمَت جَحَمًا وجَحْمًا: اضطرَمتْ.

وجَمْرٌ جاحم: شديد الاشتعال.

وجاحِم الحرب: مُعظَمُها، وقيل: شدّة القَتْل في معركتها.

والجُحام: داء يصيب الإنسان في عينه فترِم، وقيل: هو داء يصيب الكلب يُكوَى منه بين عينيه.

وجَحْمَتا الأسد: عيناه.

وجَحْمَتا الإنسان: عيناه، بلغة أهل اليمن خاصّة. [ثمّ استشهد بشعر]

والتّجحيم: الاستثبات في النّظر لاتطرف عينه. [ثمّ استشهد بشعر]

وعين جاحمة: شاخصة.

والأجحَم: الشّديد حُمْرة العينين مع سعَتها، والأُنثى: جَحْماء، من نسوة جُحْم وجَحْمَى.

والجَوْحَم: الوَرْد الأحمر، والأعرف تقديم الحاء.

(٣: ٩٦)

الرّاغِب: الجَحْمَة: شدّة تأجّج النّار، ومنه «الجحيم».

وجحَم وجهه من شدّة الغضب: استعارة من جَحْمَة النّار، وذلك من ثوران حرارة القلب.

وجحْمَتِ الأسد: عيناه لتوقُّدهما. (٨٨)

الزّمَخْشَريّ: نار جاحمة: شديدة الحرّ مُضطَرِمة، ومكان جاحم، ومنه قيل لعيني الأسد: جَحْمَتاه تَزِرّان، لتوقّدهما.

ومن المجاز: اصطلى فلان بجاحِم الحرب.

وذاق جاحِم الحرب فبَرَد، أي فتَر وسكنَت حفيظته. [ثمّ استشهد بشعر] (٥٢)

المَدينيّ: في حديث بعض النّساء: «أنّه كان لها كلب يقال له: مسمار، فأخذه داء يقال له: الجُحام، فقالت: وارحمتاه لمسمار».

الجُحام: داء يأخذ الكلب في رأسه، يُكوَى منه مابين عينيه، وقد يُصيب الإنسان أيضًا في عينيه فيَرِمان، والكلب منه مجحوم. (١: ٢٩٩)

ابن الأثير: فيه ذكر «الجحيم» في غير موضع، هو اسم من أسماء جهنّم، وأصله: ماإشتدّ لهبه من النّيران. (١: ٢٤١)

الفيروزاباديّ: أجحَم عنه: كفّ، وفلانًا: دنا أن يُهلكه.

والجحيم: النّار الشّديدة التّأجّج.

وكلّ نار بعضها فوق بعض كالجَحْمَة ويضمّ، وكلّ نار عظيمة في مَهْواة.

والمكان الشّديد الحرّ كالجاحم.

وجحَمَها كمنعَها: أوقَدها فجَحُمَت ككَرُمَت جُحُومًا.

وجحِم كفرح جَحَمًا وجَحْمًا وجُحُومًا: اضطرَمَت.

والجاحم: الجمر الشّديد الاشتعال، ومن الحرب: مُعظَمُها، وشدّة القتل في معركتها.

وكغراب: داء في العين أو في رُؤوس الكلاب.

وكشدّاد: البخيل، وكصُرَد: طائر، وكعُنُق: القليلو الحياء. وجحّمني بعينه تجحيمًا: استثبتَ في نظره لاتطرف عينه، أو أحدّ النّظر.

وعين جاحمة: شاخصة.

والأجحَم: الشّديد حمرة العينين مع سعتهما، وهي جَحْماء، جمع: جُحُم ككتُب وسَكْرى. والجَوحَم: الحَوجَم.

وتجحّم: تحرّق حِرْصًا وبخلًا وتضايق.

والجَحْمَة: العين. وجحم كمنَع: فتحَها كالشّاخص، والعين جاحمة. (٤: ٨٨)

عِزّة دَرْوَزَة: إنّ الجحيم أو النّار أو جهنّم أو السّعير، كلّها مترادفة... (٦: ٨٠)

المُصْطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو شدّة الحرارة والتّوقّد، وبهذا الاعتبار يُطلق على النّار المتوقّدة، وعلى محلّ يتوقّد فيها النّار. ثمّ إنّ النّار إمّا محسوسة مادّيّة وإمّا متحصّلة من سوء الأعمال والنّيّات، فهي من سنخ مافوق الطّبيعة. [ثمّ ذكر بعض الآيات وأضاف:]

وليس في مابين المعنيين مانعة جمع، ونظرنا إلى تشقيق الشّقوق الممكنة، فإنّ معارف القرآن المجيد لايحصر في المادّيّات والعوالم المحسوسة.

مع أنّ النّار الرّوحانيّة متحصّلة في النّفس، ومتحقّقة في قلب الإنسان، معلومة مُدركة لمن كان له أدنى بصيرة، فوجودها مقطوعة. (٢: ٥٨)

النُّصوص التّفسيريّة

جَحيمٍ

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ.

الانفطار: ١٣، ١٤

ابن عبّاس: في نار. (٥٠٤)

الإمام الصّادق عليه السلام: النّعيم: المعرفة والمشاهدة، والجحيم: ظلمات الشّهوات. [وهذا تأويل لطيف]

(النّيسابوريّ ٣٠: ٤٤)

الماوَرْديّ: فيه قولان:

أحدهما: في الآخرة، فيكون نعيم الأبرار في الجنّة بالثّواب، وجحيم الفجّار في النّار بالعقاب.

والقول الثّاني: أنّه في الدّنيا، فعلى هذا فيه أربعة أوجه ذكرها أصحاب الخواطر.

أحدها: النّعيم: القناعة، والجحيم: الطّمع.

الثّاني: النّعيم: التّوكّل، والجحيم: الحرص.

الثّالث: النّعيم: الرّضا بالقضاء، والجحيم: السّخط فيما قدّر وقضى.

الرّابع: النّعيم: بالطّاعة، والجحيم: بالمعصية.

(٦: ٢٢٣)

القُشَيريّ: في ضيق قلوبهم وتسخّطهم على التّقدير، وفي ظلمات تدبيرهم، وضيق اختيارهم.

(٦: ٢٦٦)

الواحديّ: عظيم من النّار. (٤: ٤٣٨)

نحوه الميبُديّ (١٠: ٤٠٧)، والطَّبْرِسيّ (٥: ٤٥٠).

النَّيسابوريّ: وقال العارفون: النّعيم: الاشتغال بالله، والجحيم: الاشتغال بما سواه. [وهذا تأويل منهم] (٣٠: ٤٤)

الشِّربينيّ: أي نار محرقة تتوقّد غاية التّوقّد، فهم فيها أبد الآبدين. (٤: ٤٩٨)

أبوالسُّعود: استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثّواب والعقاب. وفي تنكير النّعيم والجحيم من التّفخيم والتّهويل ما لايخفى. (٦: ٣٩١)

نحوه الآلوسيّ. (٣٠: ٦٦)

البُرُوسَويّ: أي النّار وعذابها، والتّنوين للتّهويل. والجملتان بيان لما يكتبون لأجله، وهو أنّ الغاية إمّا النّعيم وإمّا الجحيم، وفيه إشارة إلى نعيم الذّكر والطّاعة والمعرفة والشّهود والحضور والوصال، وإلى جحيم الغفلة والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق. قال الخواصّ رحمه الله: طاب النّعيم إذا كان منه، وطاب الجحيم إذا كان به. (١٠: ٣٦٢)

مكارم الشّيرازيّ: (جَحيمٍ) من الجَحْمَة، وهي شدّة تأجّج النّار، وتُطلق الآيات القرآنيّة «الجحيم» على جهنّم عادة. (١٩: ٤٣٨)

الجَحيم

١ـ إِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَاتُسْئَلُ عَنْ اَصْحَابِ الْجَحِيمِ. البقرة: ١١٩

الطّبَريّ: (الْجَحيمِ) هي النّار بعينها إذا شبّت وقودها. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٥١٧)

الواحديّ: (الْجَحيم): النّار المتلظّية العظيمة، يقال: جَحَمَت النّار تجحُم جُحُومًا، فهي جاحمة وجحيم. (١: ٢٠٠)

البغويّ: (الجَحيم): معظم النّار. (١: ١٦٠)

ابن عَطيّة: (الجَحيم): إحدى طبقات النّار. (١: ٢٠٤)

البَيْضاويّ: (الْجَحيم): المتأجّج من النّار. (١: ٧٩)

نحوه أبوالسُّعود. (١: ١٨٩)

الخازن: أي عن أهل النّار، سمّيت النّار جحيمًا لشدّة تأجّجها. (١: ٨٧)

القاسميّ: [نحو أبي‌السُّعود وأضاف:]

و(الْجَحيم): من أسماء النّار، وتطلق على النّار الشّديدة التّأجّج، وعلى كلّ نار بعضها فوق بعض، وعلى كلّ نار عظيمة في مهواة، وعلى المكان الشّديد الحرّ. (٢: ٢٤٠)

وبهذا المعنى جاءت آيات: الصّافّات: ٥٥ و٦٨ و١٦٣، والطّور: ١٨، والحديد: ١٩، والنّازعات: ٣٦ و٣٩، والتّكوير: ١٢، والمطفّفين: ١٦، والتّكاثر: ٦.

٢ـ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيمِ. المائدة: ١٠

الطَّبَريّ: يعني أهل النّار، الّذين يخلدون فيها، ولايخرجون منها أبدًا. (٦: ١٤٣)

الطُّوسيّ: أنّهم يخلدون في النّار، لأنّ المصاحبة تقتضي الملازمة، كما يقال: أصحاب الصّحراء، بمعنى الملازمين لها. (٣: ٤٦٣)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٢: ١٦٩)

الفَخْرالرّازيّ: ﴿أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يفيد الحصر. [ثمّ ذكر نحو الطّوسيّ] (١١: ١٨٢)

نحوه الخازن. (٢: ٢٠)

الشّربينيّ: أي النّار الّتي اشتدّ توقّدها فاشتدّ احمرارها، فلايراها أحد إلّا أجحم عنها، فيلقون فيها ثمّ يلازمونها، فلاينفكّون عنها، كما هو شأن الصّاحب. (١: ٣٦٠)

أبوالسُّعود: ملابسوها ملابسة مؤبّدة، من السّنّة السّنيّة القرآنيّة شفع الوعد بالوعيد، والجمع بين التّرغيب والتّرهيب، إيفاءً لحقّ الدّعوة بالتّبشير والإنذار. (٢: ٢٤٤)

الآلوسيّ: أي ملابسو النّار الشّديدة التّأجّج ملابسة مؤبّدة. والموصول مبتدأ أوّل، واسم الإشارة مبتدأ ثان، ومابعده خبره، والجملة خبر الأوّل. (٦: ٨٤)

رشيد رضا: و(الْجَحِيم): النّار العظيمة، كما يؤخذ من قوله حكاية عن قوم إبراهيم ﷺ: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٩٧، ومعلوم عن الآيات الأُخرى أنّهم جعلوا في ذلك البنيان نارًا عظيمة. (٦: ٢٧٦)

طه الدُّرّة: وأضاف (أَصْحَابُ) إلى (الْجَحِيمِ) لملازمة الكفّار لنار جهنّم، فلايخرجون منها. (٣: ٢٣٠)

٣ـ...فَاهْدُوهُمْ إِلٰى صِرَاطِ الْجَحِيمِ. الصّافّات: ٢٣

ابن عبّاس: دلّوهم إلى طريق النّار. (البغويّ ٦: ١٧)

الطّبَريّ: قيل: إنّ (الْجَحِيم) الباب الرّابع من أبواب النّار. (٢٣: ٤٧)

الماوَرْديّ: أي طريق النّار. (٥: ٤٣)

ابن عَطيّة: (الْجَحِيم): طبقة من طبقات جهنّم، يقال: إنّها الرّابعة. (٤: ٤٦٩)

القُرطُبيّ: أي سوقوهم إلى النّار. (١٥: ٧٢)

أبوحَيّان: أي عرّفوهم وقودوهم إلى طريق النّار حتّى يصطلوها، و(الْجَحِيم): طبقة من طبقات جهنّم. (٧: ٣٥٦)

٤ـ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ. الصّافّات: ٩٧

ابن قُتَيْبَة: أي في النّار، و(الْجَحِيم): الجمر. (٣٧٢)

الطّبَريّ: و(الْجَحِيم) عند العرب: جمر النّار بعضه على بعض، والنّار على النّار. (٢٣: ٧٥)

الطّوسيّ: بمعنى اطرحوه في النّار الّتي أجّجوها له. (٨: ٥١٤)

الفَخْر الرّازيّ: والألف واللّام في (الْجَحِيم) يدلّ على النّهاية، والمعنى في جحيمه، أي في جحيم ذلك البنيان. (٢٦: ١٥٠)

البَيْضاويّ: في النّار الشّديد، من الجَحْمَة، وهي شدّة التّأجّج، واللّام بدل الإضافة، أي جحيم ذلك البنيان. (٢: ٢٩٦)

نحوه أبوالسّعود. (٥: ٣٣٣)

٥ـ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. الحاقّة: ٣١

الطُّوسيّ : فـ(الجَحيم) هي النّار الغليظة، لأنّ النّار قد تكون كنار السّراج ونار القدح، وقد تكون قويّة كنار الحريق، فلايقال لنار السّراج: جحيم. وهو اسم علم، على نار جهنّم الّتي أعدّها الله للكفّار والعُصاة.

(١٠: ١٠٥)

الزّمَخْشَريّ : ثمّ لاتصلّوه إلّا الجحيم، وهي النّار العظمى، لأنّه كان سلطانًا يتعظّم على النّاس. (٤: ١٥٣)

نحوه الفَخْرالرّازيّ (٣٠: ١١٤)، والبَيْضاويّ (٢: ٥٠١)، والخازن (٧: ١٢١).

أبوالسُّعود : أي لاتصلّوه إلّا الجحيم، وهي النّار العظيمة، ليكون الجزاء على وفق المعصية، حيث كان يتعاظم على النّاس. (٥: ٢٩٧)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ١٤٥)

الآلوسيّ : أي لاتصلّوه إلّا الجحيم، وهي النّار العظيمة الشّديدة التّأجّج، لعظم ماأُوتي به من المعصية، وهي الكفر بالله تعالى العظيم. (٢٩: ٤٩)

الوُجوه والنّظائر

الدّامغانيّ : الجحيم على وجهين:

فوجه منها: الأتُّون في الدّنيا بناه نمرود لإبراهيم، قوله: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٩٧، يعني في الأتُّون.

والوجه الثّاني: الجحيم: النّار الّتي وعدها الله للكافرين، قوله: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار: ١٤، ونظائرها كثيرة. (٢٢٣)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُحوم، وهو شدّة تأجّج النّار وتوقّدها، يقال: جَحَمَت النّارُ تَجحَم، وجَحِمَت تَجحَم، وجَحُمَت تَجحُمُ جُحُومًا وجَحَمًا وجَحْمًا، أي اضطرمت وكَثُرَ جمرُها وتوقّدُها. وجَحَمَ فلانٌ النّار: أوقدَها، وهي جحيم وجاحِمَة، والجُحْمَة: التّوقّد.

والجاحِم: المكان الشّديد الحرّ، وجمرٌ جاحِمٌ: شديد الاشتعال، وجاحِم الحرب: شدّة القتل في معركتها، ومنه أخذ: هو يتجاحم علينا، أي يتحرّق ويتضايق.

وعينٌ جاحِمة: شاخصة، يقال: جَحَمَ الرّجل عينيه، وهو أجحمُ، أي شاخص العينين، وفلانٌ جَحَمني بعينه تجحيمًا: أحدّ إليّ النّظر، والجُحُم: القليلو الحياء.

والأجحَم: الشّديد حمرة العين مع سعتها، أو الجاحظ العينين، والأُنثى جَحْماء من نسوة جُحْم وجَحْمَى.

والجَحْمَة: العين، يقال: جَحْمتا الإنسان، وجَحْمتا الأسد، أي عيناهما، لأنّهما متوقّدتان دائمًا.

والجُحام: داء يصيب الكلب، يُكوى منه بين عينيه.

ومنه أيضًا: الجَوْحَم، أي الورد الأحمر، وهو «فَوْعَل» منه، تشبيهًا بلون الجمر المتوقّد.

٢ـ والجَحيم «فَعيل» بمعنى «فاعل» كما تقدّم، يقال: نارٌ جحيمٌ، بدون هاء، أي جاحِمة، ثمّ استعمله القرآن اسمًا للنّار، إذ يبدو أنّه لم يكن كذلك قبل الإسلام، ولايعتدّ بما أنشده الأصمعيّ:

وضالَـةٌ مثلُ الجَحيمِ المُوقَدِ

لأنّه مجهول القائل.

ونظير الجحيم «السّعير» وزنًا ومعنًى، إلّا أنّ السّعير بمعنى «مفعول». يقال: نارٌ سعيرٌ، بدون هاء، أي مسعورة، وهو من الألفاظ الّتي استعملها القرآن اسمًا للنّار أيضًا. وكان الجاهليّون يستعملونه اسمًا لصنم كان لعنزة خاصّة كما ذكر ابن الكلبيّ، قال رُشَيد بن رُمَيض:

حلفتُ بمائراتٍ حولَ عَوضٍ
وأنصابٍ تُركنَ لدى السّعير

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد (جحيم) «٢٦» مرّة: واحدة في نار الدّنيا، والباقي في نار الآخرة:

١ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة: ١١٩

٢ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ المائدة: ١٠

٣ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ المائدة: ٨٦

٤ـ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ التّوبة: ١١٣

٥ ـ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الحجّ: ٥١

٦ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

الحديد: ١٩

٧ـ ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ الشّعراء: ٩١

٨ـ ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ النّازعات: ٣٦

٩ـ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾

الحاقّة: ٣٠، ٣١

١٠ـ ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾

الواقعة: ٩٣، ٩٤

١١ـ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٦٨

١٢ـ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ المطفّفين: ١٦

١٣ـ ﴿...فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ المؤمن: ٧

١٤ـ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الدّخان: ٥٦

١٥ـ ﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الطّور: ١٨

١٦ـ ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٢٢، ٢٣

١٧ـ ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾

الصّافّات: ٥٥

١٨ـ ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾

الدّخان: ٤٧

١٩ـ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾

الصّافّات: ٦٤

٢٠ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٦٨

٢١ـ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ التّكوير: ١٢

٢٢ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣، ١٤

٢٣ـ ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ التّكاثر: ٦

٢٤ـ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ المزّمّل: ١٢

٢٥ـ ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النّازعات: ٣٧، ٣٩

٢٦ـ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٩٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ (جَحِيم) فيها معرفة، إلّا في ثلاث (١٠) و(٢٢) و(٢٤) فنكرة رعاية للرّويّ.

ثانيًا: ومنه يعلم أنّه ليس علمًا لجهنّم، بل اللّام للعهد الذّهنيّ، أو للنّهاية على قول الفخرالرّازيّ، وإن شئت قلت: إنّه صار عَلَمًا لها بالغلبة.

ثالثًا: جاء في (١ ـ ٦) ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فصار تعبيرًا قرآنيًا شائعًا مثل ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ و﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾. لاحظ «ص ح ب: أصحاب».

رابعًا: وصفت الجحيم في (٧) و(٨) بـ(بُرِّزَتْ) وفي (٢١) بـ(سُعِّرَتْ)، وأُضيفت إليها (عَذَاب) ثلاث مرّات: (١٣) و(١٤) و(١٥)، و(صِرَاط) مرّة: (١٦) و(سَوَاء) مرّتين: (١٧) و(١٨)، و(أَصْل) مرّة: (١٩) في سياق التّشديد والتّهديد.

خامسًا: قُورنت كعلّة لاستحقاقها بالكفر والتّكذيب في (٢) و(٣) و(٦) وبنظائرها من السّعي في آيات الله معاجزين، والشّرك، والغواية، والفجور، والظّلم، والضّلال، ونحوها في الباقي، فلاحظ.

سادسًا: جاءت في (١٦) ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ في سياق يتداعى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تهكّمًا وسخريّة بأصحاب الجحيم.

سابعًا: جاءت مع «الصّلي والتّصلية» أربع مرّات: (٩) (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) و(١٠) (وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) و(١١) (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) و(١٢) (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ).

وأصل الصّلي مقاساة النّار، وملازمتها، وقد جاءت بصيغ مختلفة في القرآن: (٢٦) مرّة، كلّها مع النّار أو الجحيم أو السّعير، لاحظ «ص ل ي».

ثامنًا: جاءت مع (أَنْكَال) مرّة: (٢٤) ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾، والأنكال هي الأغلال والقيود، وهي تشدّد عذاب أصحاب الجحيم.

تاسعًا: وإذا لاحظنا أنّ الخليل ومن تبعه قالوا: الجحيم: النّار الشّديدة التّأجّج والالتهاب، نعرف أنّ القرآن قارنها بكلّ مايناسبها من المتعلّقات.

عاشرًا: ـ وتلك عشرة كاملة ـ: كلّ ماسبق إنّما هي ملازمات (الْجَحِيم) في الآخرة، وقد جاءت تعبيرًا عن نار الدّنيا مرّة في (٢٥) وتلك هي نارٌ سُعّرت للنّبيّ إبراهيم عليه السلام بأمر نمرود الطّاغية، وقد بالغ في وصفها القصّاصون.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج د ث

الاَجْدَاث

لفظ واحد، ٣ مرّات مكّيّة، في ثلاث سور مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الأجداث: القبور، واحدها: جدَث. (٦: ٧٣)

مثله ابن قُتَيْبة (٣٦٦)، والسّجستانيّ (١٥٥)، والزّجّاج (٤: ٢٩٠)، والماوَرْديّ (٥: ٢٣)، والطَّباطَبائيّ (١٧: ٩٨)، ونحوه مَجْمَعُ اللُّغة (١: ١٨٣)، ومحمّد إسماعيل إبراهيم (١: ١٠٣).

الفَرّاء: العرب تعقب بين الفاء والثّاء في اللّغة؛ فيقولون: جدَف وجدَث، وهي الأجداث والأجداف.

(الجَوهَريّ ٤: ١٣٣٥)

الأصمَعيّ: يقال: جدَفٌ وجدَثٌ: للقبر.

(الإبدال: ١٢٥)

نحوه ابن السِّكِّيت (الأزهَريّ ١٠: ٦٣٤)، والقاليّ (٢: ١٨٤).

اليزيديّ: الأجداث: واحدها: جدَثٌ، وبعضهم يقول: جدَفٌ، وهي القبور. (٣١٢)

نحوه الرّاغِب. (٨٩)

ابن دُرَيْد: الجدَث: القبر، وهو الجدَف أيضًا.

(٢: ٣٢)

نحوه الهَرَويّ. (١: ٣٢٥)

الصّاحِب: الجدَث: القبر، والجميع: الأجداث.

والمُجتَدِث: الّذي يَحفِر الجدَث، ويُكوِّم التّراب عليه.

والجدَثة: صوت الحافر والخُفّ، والمَضْغِ للَّحم.

(٧: ٣٦)

الجَوهَريّ: الجدَث: القبر، والجمع: أجدُث وأجداث. [ثمّ استشهد بشعر]

واجتَدثَ، أي اتّخذ جدَثًا. (١: ٢٧٧)

مثله ابن سيده (الإفصاح ١: ٦٥٧)، ونحوه الرّازيّ (١٠٩)، والطُّرَيحيّ (٢: ٢٤٣).

ابن فارِس: الجيم والدّال والثّاء كلمة واحدة،

الجدَث: القبر، وجمعه: أجداث. (١: ٤٣٦)

ابن سيده: الجدَث: القبر. والجمع: أجداث.

وقد قالوا: جدَف، فالفاء بدل من الثّاء لأنّهم قد أجمعوا في الجمع على: أجداث ولم يقولوا: أجداف.

وأجدُث: موضع. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد نفى سيبويه أن يكون «أفعُل» من أبنية الواحد، فيجب أن يُعدّ هذا فيما فاته من أبنية كلام العرب، إلّا أن يكون جَمع «الجدث» الّذي هو القبر على أجدُث، ثمّ سمّي به الموضع. ويروى: «أجدُف» بالفاء. (٧: ٣٠٧)

الزّمَخشَريّ: غيّبوه في الجدَث، أي في القبر.

وتقول: شرّ الأحداث، نزول الأجداث.

(أساس البلاغة: ٥٢)

ابن الأثير: في حديث عليّ رضي الله عنه: «في جدَث ينقطع في ظلمته آثارها».

الجدَث: القبر، ويُجمع على أجداث.

ومنه الحديث: «نُبوّؤهم أجداثهم»، أي نُنزِلهم قُبورهم. (١: ٢٤٣)

القُرطُبيّ: يقال: جدَث وجدَف، واللّغة الفصيحة: الجدَث بالثّاء. [ثمّ قال مثل الجوهَريّ] (١٥: ٤٠)

أبوحَيّان: الجدَث: القبر، وسُمع فيه «جدَف» بإبدال الثّاء فاءً، كما قالوا: فُمّ في ثُمّ، وكما أبدلوا من الفاء ثاءً، قالوا في مغفور: مغثور، وهو ضرب من الكمأة.

(٧: ٣٢٢)

نحوه الحلبيّ. (٥: ٤٨٨)

الفَيّوميّ: الجدَث: القبر، والجمع أجداث: مثل سبب وأسباب. وهذه لغة تِهامة. وأمّا أهل نجد فيقولون: جدَف، بالفاء. (١: ٩٢)

الفيروزاباديّ: الجدَث محرّكةً: القبر، جمعه: أجدُث وأجداث.

والجدَثة: صوت الحافر والخفّ، ومَضغُ اللّحم.

واجتدَثَ: اتّخذ جدَثًا. (١: ١٦٩)

المُصطَفَويّ: ظهر أنّ «الجدَث» معناه الحقيقيّ هو القبر، وأمّا القبر فهو حقيقة في السّتر والدّفن والإخفاء. وهذا جهة التّعبير في مختلف الموارد بأحد اللّفظين: [جدَث وجدَف] بمناسبة المقام، فيقال: ﴿ثُمَّ اَمَاتَهُ فَاَقْبَرَهُ﴾ عبس: ٢١، ﴿حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ التّكاثر: ١، ولا يصحّ أن يقال: مَجدَث ومَجادث. [ثمّ ذكر الآيات] (٢: ٥٩)

النُّصوص التّفسيريّة

الاَجْدَاثِ

١ـ فَاِذَا هُمْ مِنَ الْاَجْدَاثِ اِلٰى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ. يٰسٓ: ٥١

ابن عبّاس: من القبور. (٣٧٢)

مثله قَتادَة (الطّبَريّ ٢٣: ١٥)، والواحديّ (٣: ٥١٦)، وابن عطيّة (٤: ٤٥٧)، والنّسَفيّ (٤: ١٠)، وشُبّر (٥: ٢٣٢)، والمَراغيّ (٢٣: ٢٠)، والشّوكانيّ (٤: ٤٦٨)، والقاسميّ (٤: ١١-٥٠).

الطّبَريّ: يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، واحدها: جدَث، وفيها لغتان: فأمّا أهل العالية فتقوله بالثّاء: جدَث، وأمّا أهل السّافلة فتقوله بالفاء:

جدَف. (٢٣: ١٥)

نحوه الطُّوسيّ (٨: ٤٦٦)، والطَّبْرِسيّ (٤: ٤٢٨).

الزَّمَخْشَريّ: القبور، وقُرئ بالفاء. (٣: ٣٢٥)

نحـوه البَيْضاويّ (٢: ٢٨٣)، وأبوالسُّعود (٥: ٣٠٢)، والآلوسيّ (٢٣: ٣١).

الفَـخْرالرّازيّ: أيـن يكـون في ذلك الوقت «أجداث» وقد زلزلت الصّيحةُ الجبالَ؟

نقول: يجمع الله أجزاء كلّ واحد في الموضع الّذي قُبِر فيه، فيخرج من ذلك الموضع، وهو جدَثه. (٢٦: ٨٨)

نحـوه الشِّربينيّ (٣: ٣٥٥)، والبُرُوسَويّ (٧: ٤١١).

بنت الشّاطئ: وسأل نافع عن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾، فقال ابن عبّاس: القبور. [ثمّ استشهد بشعر]

الكلمة جاءت ثلاث مرّاتٍ. [ثمّ ذكرت الآيات وقالت:]

ويبدو تفسير (الْأَجْدَاثِ) بالقبور قريبًا، ومثله في «النّهاية» لابن الأثير، وفي المعاجم. واقتصر الرّاغِب في «المفردات» على الأجداث: جمع الجدَث، يقال: جدَث وجدَف.

ولايفوتنا، مع مايبدو من قرب تفسير (الْأَجْدَاثِ) بالقبور، أنّ القرآن قصر (الْأَجْدَاثِ) في آياتها الثّلاث، على المَخرَج إلى الحشر يوم القيامة، وكلّها كذلك، في سياق الوعيد والنّذير للمكذّبين باليوم الموعود.

وهذا الملْحَظ الدّلاليّ، يفرق بين (الْأَجْدَاثِ) في الاستعمال القرآنيّ، وبين (القُبورِ) الّتي تأتي بدلالة عامّة: في سياق البعث (الحجّ: ٧، الانفطار: ٤، العاديات: ٩)، للإنسان بعامّة.

كما تأتي في سياق مضجع الموتى، قبل البعث والنّشور، في مثل آيات: عبس: ١٩ ـ ٢٢، في الإنسان: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾. التّوبة: ٨٤، في المنافقين: ﴿وَلَاتُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَاتَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾. فاطر: ٢٢: ﴿وَمَاأَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾. الممتحنة: ١٣: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾. ومعها (المقابر) في آية التكاثر: ١، ٢: ﴿أَلْهَيكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

والعربيّة ـ كما لحظ الرّاغِب ـ تقول: جدَث وجدَف. ونصّ في «القاموس» في مادّة «جدَف» على أنّ الدّال المهملة لغة فيها. ومن معاني «الجذف» بالمعجمة: القَطع والحَسم والإسراع وتقصير الخطو، و«الدّال» لغةٌ في الكلّ. ومن معاني «الجدف» بالمهملة: مايُرمَى به عن الشّراب من زَبَد، والتّجديف: الكفر بالنّعم، والمُجدَّف عليه في الرّزق: المضيّق.

فهل تؤنس هذه المعاني، من ضيق وكفر ونبذ وقطع، إلى ملحظ اختصاص الأجداث، بدلالة قرآنيّة إسلاميّة، على مَخرَج الجاحدين المكذّبين الملعونين، إلى يومهم العَسِر الّذي كانوا يوعَدون؟ ماأراه بعيدًا، والله أعلم. (الإعجاز البيانيّ: ٤٥٣)

مكارم الشّيرازيّ: «أجداث»: جمع جدَث، وهو القبر، والتّعبير يشير بوضوح إلى أنّ للمعاد جنبة

جسمانيّة بالإضافة إلى الجنبة الرّوحيّة، وأنّ الجدث يعاد بناؤه جديدًا من نفس الموادّ السّابقة. (١٤: ١٩٠)

وبهذا المعنى جاء (الأجداث) في سورة القمر: ٧.

٢ـ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ سِرَاعًا كَاَنَّهُمْ اِلٰى نُصُبٍ يُوفِضُونَ. المعارج: ٤٣

الشّربينيّ: أي القبور الّتي صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع الحوافر والخفّ، فهم بحيث لايدفعون شيئًا يُفعَل بهم، بل هم كلحم في فم ماضغ. فإنّ الجدَث: القبر، والجدَثة: صوت الحافر والخُفّ، ومَضْغ اللّحم. (٤: ٣٨٨)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجدَث، وهو القبر، والجمع: أجداث وأجدُث، يقال: اجتدث الرّجل، أي اتّخذ جدثًا. وفي حديث عليّ عليه السلام: «وماأصنع بفدك وغير فدك، والنّفس مظانّها في غدٍ جدَث»، وفي حديث آخر له أيضًا: «وأصبحت مساكنهم أجداثًا».

٢ـ وتبدل «الفاء» من «الثّاء» هنا كما هو مطّرد في ألفاظ كثيرة، ولغة «الثّاء» هي المشهورة في قبائل العرب ـ ولاسيّما تميم ـ وفي القرآن أيضًا، وأطلق عليها الطّبَريّ لغة «أهل العالية». وتكاد تقتصر لغة «الفاء» على أهل نجد، وسمّاها الطّبَريّ لغة «أهل السّافلة».

وبها قرئ قوله تعالى: ﴿فَاِذَا هُمْ مِنَ الْاَجْدَاثِ اِلٰى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يس: ٥١، على القراءة غير المشهورة، وقوله: ﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ البقرة: ٦١، على القراءة المشهورة، كما قال الكِسائيّ وغيره.

ويشهد لأصالة «الثّاء» ورودها في بعض اللّغات السّاميّة كالعبريّة، فيطلق على «الجدث» فيها لفظ «جدِش» و«جاديش»؛ إذ تبدل «الثّاء» في هذه اللّغة «شينًا» دائمًا.

وأصرّ بعض على منع جمع «الجدَف» المبدل من الجدَث، معلّلًا رأيه بضعف البديل، فيمنعه ذلك من التّصرّف. وهذا أشبه القياس، وهو لايثبت بوجود السّماع، فقد روى الجَوهَريّ عن الفرّاء قوله: «جدَف وجدَث، وهي الأجداث والأجداف».

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد: «الأجداث» توصيفًا حال خروج الأموات من القبور:

١ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَاِذَا هُمْ مِنَ الْاَجْدَاثِ اِلٰى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يس: ٥١

٢ـ ﴿خُشَّعًا اَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ كَاَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ القمر: ٧

٣ـ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ سِرَاعًا كَاَنَّهُمْ اِلٰى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ المعارج: ٤٣

يلاحظ أوّلًا: قالوا: الأجداث في القبور، واحدتها: الجدَث، والفرق بينها وبين القبر من منظار القرآن، كما نبّهت عليه الدّكتورة بنت الشّاطئ: أنّها قصرت على مخرج الأموات من القبور يوم القيامة، وأنّه لم يأت منها سوى (الأجداث)، وقد جاءت القبر والقبور والمقابر إضافة إلى (أقبَر) من باب «الإفعال»، وهي تعمّ الحالات

جميعًا، من دون قصر على المخرج منها.

ثانيًا: انحصارها بسور مكيّة، وهي الغالبة على آيات القبور أيضًا، إلّا أنّه جاء في التّوبة: (٨٤) ﴿وَلَاتَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾، وفي الحجّ: (٧) ـ على اختلاف فيها ـ ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، فيبدو أنّ (الْأَجْدَاثِ) كانت لغة أهل مكّة، ويؤيّدها قول الفيّوميّ: «وهذه لغة تهامة، وأمّا أهل نجد فيقولون: جدَف بالفاء»، وقول الطّبَريّ: «وفيها لغتان: فأمّا أهل العالية فتقوله بالثّاء: جدَث، وأمّا أهل السّافلة فتقوله بالفاء: جدَف». لاحظ «ق ب ر».




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج د د

٤ ألفاظ، ١٠ مرّات: ٩ مكّيّة، ١ مدنيّة

في ٨ سور: ٧ مكّيّة، ١ مدنيّة

جديد ٦: ٥ ـ ١ جُدَدٌ ١: ١

جديدًا ٢: ٢ جَدُّ ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جَدُّ الرّجل: بَخْتُهُ، وجَدُّ رَبِّنا: عظَمتُه، ويقال: غناه.

والجِدُّ: نقيض الهَزْل.

وجَدَّ فلان في أمره وسيره، أي انكمَشَ عنه بالحقيقة.

والجِدَّة: مصدر الجديد، وفلانٌ أجَدَّ ثَوْبًا واستجَدَّه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجديد يستوي فيه الذّكر والأُنثى، لأنّه «مفعول» بمعنى مُجَدَّد، ويجيء «فعيل» بمعنى «المفعول» المخالف للّفظ، من تصريف المُفَعَّل والمُفْعَل.

والجُدَّة: جُدَّة النّهر، أي ماقَرُبَ من الأرض.

والجَدَدُ والجَديد: وجه الأرض. [ثمّ استشهد بشعر]

والجديدان: اللّيل والنّهار.

وجديدتا السَّرْج: اللِّبْد الّذي يلزَق بالسَّرج أو الرَّحْل من الباطن.

ويقال: الْزَمِ الطّريق الجَدَدَ.

والجَدُود: كلّ أُنثى يَبِسَ لبَنُها، والجمع: الجدائد والجِداد. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَدّاد: صاحب الحانوت الّذي يبيع الخمر. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُدَّة: ساحل البَحْر بمكّة.

وجَدُود: موضع بالبادية.

والجادّة: الحاقّة في الأمر.

ومن قال: أجِدَّكَ، بكسر الجيم، فإنّه يستحلفه بجِدِّه وحقيقته، وإذا فتح الجيم، استَحْلَفَه بجَدِّه، أي ببَخْتِه.

والجادَة: الطَّريق، بالتخفيف ويُثَقّل أيضًا. وأمّا التخفيف فاشتقاقه من الطّريق الجواد، أخرجه على «فَعْلَة» والطّريق مضاف إليه.

والتّشديد مخرجه من الطّريق الجَدَد، أي الواضح...

ورجل جُدٌّ، أي ذو جَدّ.

والجَدّاء: مفازة يابسة، وكذلك سَنَةٌ جَدّاء، ولا يقال: عامٌ أجَدُّ.

وشاةٌ جَدّاء: يابسةُ اللّبن، وناقة جَدّاء.

والجَدّاءُ: الشّاةُ المقطوعةُ الأُذُن.

وجِدادُ النّخل: صِرامُه، وقد جَدَّه يَجُدُّه.

والجُدُّ: البِئْرُ تكون في موضع الكلإ.

وكساء مُجَدَّد: فيه خطوط مختلفة، يقال له: الجُدُّ.

وجَدَّ ثَدْيُ أُمّك؛ إذ دُعِي عليه بالقطيعة. (٦: ٧)

سيبَوَيه: يقولون: رجل جُدٌّ: للعظيم الجَدّ، فلا يجمعونه إلّا بالواو والنّون، كما لم يجمعوا «صِتَمّ» إلّا كذلك؛ يقولون: جُدُّون. وصار «فُعْل» أقلّ من «فِعْل» في الصّفات إذا كان أقلّ منه في الأسماء. (٢: ٦٣٠)

أجِدَّك: مصدر، كأنّه قال: أجِدًّا منك، ولكنّه لا يستعمل إلّا مضافًا، وقالوا: هذا عربيّ جِدًّا، نصبه على المصدر، لأنّه ليس من اسم ماقبله، ولا هو هو.

(ابن سيده ٧: ١٨٨)

الكِسائيّ: هو الجِداد والجَداد، والحِصاد والحَصاد، والقَطاف والقِطاف، والصَّرام والصِّرام.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٥٧)

ابن شُمَيْل: الجَدَد: ما استوى من الأرض وأصحَر. والصّحراء: جَدَد، والفضاء: جَدَد، لا وعث فيه ولا جبل ولا أكمة، ويكون واسعًا، وقليل السّعة، وهي أجداد الأرض. (الأزهَريّ ١٠: ٤٦٣)

أبو عمرو الشّيبانيّ: الجَدُود: الحائل. (١: ١١٦)

رأى جُدّةً من الأمر، أي رأى رأيًا مثل جُدَد الثّوب، أي خُطط. (١: ١١٨)

الجُدّاد: الطَّلْع الصّغار أوّل ما ينبت، والواحدة: جُدّادة. (١: ١٢١)

وقال التّميميّ: إنّه لجديد، إذا كان ذا جَدّ في المال والسّلطان. (١: ١٢٦)

كنّا عند أمير، فقال جَبَلَة بن مَخْرَمة: كنّا عِند جِدّ النّهر، فقلت: جِدّ النّهر، فما زلت أعرفها فيه.

والجِدّ، بلا «هاء»: البئر الجيّدة الموضع من الكلإ.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٥٩)

أجِدَّك، وأجَدَّك، معناهما: مالَكَ.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٦٣)

يقال: صرَّحَتْ جِدّاءَ غيرَ منصرف، وصرَّحَتْ بجِدّى غير منصرف، وبجِدٍّ غير منصرف وبجِدّانَ وبجِذّانَ، وبقِدّانَ، وبقِذّانَ و... كلّ هذا في الشّيء، إذا وضح بعد التباسه. (الأزهَريّ ١٠: ٤٦٤)

أبوزَيْد: تقول: هو رجل جديد، إذا كان ذا جَدٍّ.

(٩٨)

قالوا: قد جَدَّ بالخير يَجَدُّ جَدًّا، إذا حظي بالخير أو بالشّرّ.

وجَدِدْتُ به أجَدّ به جَدًّا، إذا حَظيتَ به، وكذلك إن كان جَدُّه بالشّرّ، وإنّه لعظيم الجَدّ وشقيّ الجَدّ. (١٩٧)

يقال: رجل جديد، إذا كان ذا حظٍّ من الرّزق،

ورجل مجدود: مثله، وفلان أجدّ من فلان، وأحظّ منه.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٥٦)

نعجة جَدُود، إذا ذهب لبنها إلّا قليلًا، وجمعها: جدائد، فإذا يَبِس ضرعها فهي جَدّاء.

والجَدُود من الأُتُن[1]: الّتي قد انقطع لبنها.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٦٠)

والجديدان، والأجَدّان: اللّيل والنّهار.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٦٢)

الأصمَعيّ: يقال: لفلان أرض جادٌّ مئةٍ وَسْقٍ، أي تُخرج مئة وَسْقٍ إذا زُرِعَت، وهو كلام عربيّ فصيح.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٥٧)

يقال: كنّا عند جِدَة النّهر بالهاء، وأصله نَبَطيّ: كِدُّ، فأُعرب.

يقال للأرض المستوية الّتي ليس فيها رمل ولااختلاف: جَدَد.

أجَدَّ الرّجل في أمره يُجِدّ، إذا بلغ فيه جِدَّه، وجَدَّ: لغة، ومنه يقال: جادّ مُجِدّ، أي مجتهد، وقد أجدّ يُجِدّ، إذا صار ذا جِدّ واجتهاد. (الأزهَريّ ١٠: ٤٥٩)

يقال: جُدّت أخلاف النّاقة، إذا أصابها شيء يقطع أخلافها. وناقة جَدُود، وهي الّتي انقطع لبنها.

الجَدّاء: النّاقة الّتي قد انقطع لبنها.

والجَدَّدَة: المصرَّمة الأطْباء، وأصل الجَدّ: القطع.

يقال: جُدّ ثَدْي أُمّه؛ وذلك إذا دُعي عليه بالقطيعة.

[ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٤٦٠)

يقال للنّاقة: إنّها لَجِدَّة بالرّحل، إذا كانت جادّة في السّير.

أجَدَّ فلان أمره بذاك، أي أحكمه. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال للرّجل إذا لبس ثوبًا جديدًا، أبْلِ وأجِدّ، واحْمَدِ الكاسي.

ويقال: بَلِيَ بيت فلان ثمّ أجَدّ بيتًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجَدّ الطّريق، إذا صار جَدَدًا. (الأزهَريّ ١٠: ٤٦٢)

أجِدَّكَ؟ معناه: أبِجِدٍّ هذا منك؟ (الأزهَريّ ١٠: ٤٦٣)

أبوعُبَيْد: في حديث النّبيّ ﷺ: «اللّهمّ لامانع لما أعطيت ولامُعطيَ لما منعت ولاينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ».

الجَدّ: بفتح الجيم لاغير، وهو الغِنى والحظّ في الرّزق، ومنه قيل: لفلان في هذا الأمر جَدّ، إذا كان مرزوقًا منه. فتأويل قوله: «لاينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ» أي لاينفع ذا الغِنى منك غناه، إنّما ينفعه العمل بطاعتك، وهذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشّعراء: ٨٨، ٨٩، وكقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ سبأ: ٣٧، ومثله كثير.

وكذلك حديثه الآخر: «قمت على باب الجنّة فإذا عامّة من يدخلها الفقراء، وإذا أصحاب الجَدّ محبوسون» يعني ذوي الحظّ في الدّنيا والغِنى.

وقد رُوي عن الحسن وعِكْرِمَة في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجنّ: ٣، قال أحدهما: غِناه، وقال الآخر: عظمته.

عن ابن عبّاس قال: لو علمت الجنّ أنّ في الإنس جَدًّا ماقالت: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾. يذهب ابن عبّاس إلى

---

(١) جمع أتان وهي الحمارة ويقال: أتائن.

أنّ «الجَدّ» إنّما هو الغِنى، ولم يكن يرى أنّ أبا الأب جَدّ إنّما هو عنده أب، ويقال منه للرّجل إذا كان له جَدّ في الشّيء: رجل مجدود، ورجل محظوظ، من «الحظّ» قالها أبوعمرو.

وقد زعم بعض النّاس أنّه إنّما هو: «ولاينفع ذا الجِدّ منك الجِدّ» بكسر الجيم. والجِدّ: إنّما هو الاجتهاد بالعمل.

وهذا التّأويل خلاف مادعا الله عزّوجلّ إليه المؤمنين ووصفهم به، لأنّه قال في كتابه: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ المؤمنون: ٥١، فقد أمرهم بالجِدّ والعمل الصّالح، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَانُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف: ٣٠، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ المؤمنون: ١، ٢ إلى آخر الآيات، وقال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الواقعة: ٢٤، في آيات كثيرة، فكيف يحثّهم على العمل وينعتهم به ويحمدهم عليه، ثمّ يقول: إنّه لاينفعهم. (١: ١٥٦)

الجُدّ: البئر الّتي تكون في الكلاء. (٢: ١٤٦)

ونهى رسول الله ﷺ عن: جداد اللّيل، هو أن يَجُدّ النّخل ليْلًا، والجَداد: الصِّرام. (الأزهريّ ١٠: ٤٥٧)

ابن السّكّيت: الجَدّ: القطع، والجَدّ: أبو الأب وأبوالأمّ، والجَدّ: العظمة، من قوله تعالى: (جَدُّ رَبِّنَا) أي عظمة ربّنا، والجَدّ: الحظّ والبخت، ومنه قوله: «لاينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ».

والجِدّ، بكسر الجيم: الانكماش في الأمر، يقال: جَدَدتُ في الأمر فأنا أجِدّ فيه جِدًّا، وأجَدّ جِدًّا أيضًا. (إصلاح المنطق: ٢٢)

جِداد النّخل وجَداد، إذا رُفِع الزّرع. [بمعنى واحد] (إصلاح المنطق: ١٠٤)

تقول: هذه ثياب جُدُد، ولايقال: جُدَد، إنّما الجُدَد الطّرائق، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ فاطر: ٢٧، أي طرائق. (إصلاح المنطق: ١٦٧)

والجَدُود: النّعجة الّتي قلّ لبنها من غير بأس، ويقال للعنز: مَصُور، ولايقال: جَدُود.

والجَدّاء: الّتي ذهب لبنها من عيب. (إصلاح المنطق: ٣١٣)

وتقول: فلان مجدود في كذا وكذا، وفلان محظوظ، وفلان جَدٌّ حظٌّ، وفلان جَديٌّ حَظيّ، وفلان جديد حظيظ، إذا كان له جَدّ. (إصلاح المنطق: ٣٧٤)

شمِر: رجل جُدٌّ، بضمّ الجيم، أي مجدود، وقوم جُدُّون. (الأزهريّ ١٠: ٤٥٦)

الجدّاء: الشّاة الّتي انقطع أخلافها. (الأزهريّ ١٠: ٤٦٤)

ابن أبي اليمان: [نحو ابن السّكّيت في «إصلاح المنطق: ٢٢» وأضاف:]

والجِدّ: ضدّ الهزل، والجُدّ: البئر. (٣٠٠)

المُبرِّد: الجَدّ: الحظّ، والجَدّ والجَدّة مفتوحان، فإذا أردت المصدر من: جَدَدْتُ في الأمر، قلت: أجِدُّ جِدًّا، مكسور الجيم. ويقال: جَدَدْتُ النّخل أجُدُّه جَدًّا، إذا صَرمْته. (٢: ١٠٥)

الزّجّاج: كلّ طريقة: جُدّة وجادّة. (الأزهريّ ١٠: ٤٥٨)

يقال: جَدّ في الأمر وأجدّ فيه، إذا ترك الهُوينا ولزم

فيه القصد والاستواء، ومن هذا قيل: جادّ يُجادّ.

(فعلت وأفعلت: ٨)

ابن دُرَيْد: جَدَّ الشيء يَجُدُّه جَدًّا، إذا قطعه،

والجَدّ: أبو الأب.

والجَدّ لله تبارك وتعالى: العظمة، ومنه حديث أنس: «كان الرّجل منّا إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدّ فينا» أي عظُم في أعيننا.

والجَدّ للنّاس: الحظّ، فلان ذو جَدّ في كذا وكذا، أي ذو حظّ فيه.

والجِدّ: ضدّ الهزل.

والجُدّ: الرّكيّ الجيّدة الموضع من الكلاء.

والجُدّة: شاطئ النّهر. (١: ٥٠)

جَدَدْتُ في الأمر أجِدّ وأجدَدْت أُجِدّ، لغتان فصيحتان.

وجَدَدْتُ الحبل أجُدّه جَدًّا، إذا قطعته.

وأبْلِ وأجِدّ: يُدعى للرّجل إذا لبس الجديد.

وجَدِدْتُ يافلان: صرت ذا جِدّة. (٣: ٤٤٣)

السِّجِستانيّ: والجدائد، الواحدة: جَدُود: الأُتُن لاألبان لها. (ثلاثة كتب في الأضداد: ٩١)

القاليّ: والجَدّ والجُدّة والجِدّ: شاطئ النّهر.

(٢: ١٨٣)

الأزهَريّ: تقول العرب: سُعِي بجَدّ فلان، وعُدِيَ بجَدّه، وأُدْرِكَ بجَدّه، إذا كان جَدّه جيّدًا. (١٠: ٤٥٥)

وقول العرب: فلان صاعد الجَدّ، معناه: البخت والحظّ في الدّنيا.

والجَدّ: أب الأب معروف، وجمعه: جُدُود وجُدُودة وأجداد. (١٠: ٤٥٦)

وجادّة الطّريق: سمّيت جادّة، لأنّها خُطّة مستقيمة ملحوبة، وجمعها: الجوادّ بتشديد الدّال. [ثمّ قال:]

وقد غلط اللّيث في الوجهين معًا. [حيثما قال: «الجادَة» تخفّف وتثقّل]

أمّا التّخفيف في «الجادّة» فما علمت أحدًا من أئمّة اللّغة أجازه، ولايجوز أن يكون «فَعْلَة» من الجواد بمعنى السّخيّ.

وأمّا قوله: إنّه إذا شُدّد فهو من الأرض الجَدَد، فغير صحيح، إنّما سمّيت المحجّة المسلوكة جادّة، لأنّها ذات جُدّة[1] وجُدّة، وهي طرقاتها وشَرَكها المخطّطة في الأرض.

(١٠: ٤٥٨)

والجُدّة أيضًا: شاطئ النّهر، إذا حذفوا الهاء كسروا الجيم، فقالوا: جِدّ وجُدّة. ومنه الجُدّة: ساحل البحر بحذاء مكّة.

والعرب تقول: هذا طريق جَدَد، إذا كان مستويًا، لاحدب فيه ولاوُعوثة.

وهذا الطّريق أجدّ الطّريقين، أي أوطؤهما وأشدّهما استواءً، وأقلّهما عُدَواء. (١٠: ٤٥٩)

والجَدُود من الأُتُن: الّتي قد انقطع لبنها.

(١٠: ٤٦٠)

وقال الأصمعيّ: يقال للنّاقة: إنّها لَمِجَدّة بالرّحل، إذا كانت جادّة في السّير.

قلت: لاأدري، قال: مِجَدّة أو مُجِدّة؟ فمن قال: مِجَدّة،

(١) الصّحيح ذات جُدَدٍ وجُدّة.

فهي من جَدّ يَجِدّ. ومن قال: مُجِدّة، فهي من أجَدَّت.

وكساء مُجَدَّدٌ: فيه خيوط مختلفة، ويقال: كَبِر فلان ثمّ أصاب فرحة وسرورًا فجَدّ جِدّة، كأنّه صار جديدًا.

والعرب تقول: مُلاءة جديد بغير «هاء»، لأنّها بمعنى مجدودة، أي مقطوعة، وثوب جديد: جُدّ حديثًا، أي قُطع. (١٠: ٤٦١)

قال بعض النّحويّين: معنى أجِدَّك: أبجِدٍّ جِدّك؟ وهو ضدّ اللّعب، ولذلك نصبه. (١٠: ٤٦٣)

وفي كتاب اللّيث: الجَدّاد: صاحب الحانوت الّذي يبيع الخمرَ.

يقال: ركب فلان جُدّة من الأمر، أي طريقةً ورأيًا رآه.

والجُدّة: الطّريقة في السّماء والجبل. (١٠: ٤٦٤)

الصّدوق: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من جَدّد قبرًا أو مثّل مثالًا فقد خرج من الإسلام».

واختلف مشائخنا في معنى هذا الخبر، فقال محمّد بن الحسن الصّفّار رحمه الله: هو جَدَّد بالجيم لاغير، وكان شيخنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه يحكي عنه [عن الصّفّار] أنّه قال: لايجوز تجديد القبر ولاتطيين جميعه بعد مرور الأيّام عليه، وبعد ماطُيّن في الأوّل. ولكن إذا مات ميّت وطُيّن قبره فجائز أن يرمّ سائر القبور، من غير أن يُجدّد.

وذكر عن سعد بن عبد الله رحمه الله أنّه كان يقول: إنّما هو من حدّد قبرًا ـ بالحاء غير المعجمة ـ يعني به من سنّم قبرًا.

وذكر عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ أنّه قال: إنّما هو: مَن جَدَث قبرًا[1]، وتفسير الجَدَث: القبر، فلاندري ماعنى به. والّذي أذهب إليه أنّه «جَدّد» بالجيم، ومعناه نبش قبرًا، لأنّ من نبش قبرًا فقد جَدّده وأحوج إلى تجديده، وقد جعله جدثًا محفورًا.

وأقول: إنّ «التّجديد» على المعنى الّذي ذهب إليه محمّد بن الحسن الصّفّار، و«التّحديد» ـ بالحاء غير المعجمة ـ الّذي ذهب إليه سعد بن عبد الله، والّذي قاله البرقيّ من أنّه «جَدَث» كلّه داخل في معنى الحديث، وأنّ من خالف الإمام عليه السلام في التّجديد والتّسنيم والنّبش واستحلّ شيئًا من ذلك، فقد خرج من الإسلام.

والّذي أقوله في قوله عليه السلام: «من مثّل مثالًا» يعني به أنّه من أبدع بدعة ودعا إليها، أو وضع دينًا، فقد خرج من الإسلام، وقولي في ذلك قول أئمّتي عليهم السلام، فإن أصبت فمن الله على ألسنتهم، وإن أخطأت فمن عند نفسي.

(من لايحضره الفقيه ١: ١٩١)

الصّاحِب: الجَدُّ: أبو الأب، والبَخْت، والحظّ، من قولهم: «لايَنفَعُ ذا الجَدّ منك الجَدُّ»، والعَظَمَة في قوله تعالى: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجنّ: ٣، والغنى، والقطع، من قولهم: جَدَدْتُ الشّيء أجُدُّه جَدًّا.

ورجل جديدٌ وحظيظٌ، وقد جَدِدْتَ، وهو أجَدُّ منه. وفي المَثَل: «جَدُّ امْرِئٍ وِقايَتُه» و«إنّ مَن جَدِّك موضع حقّك».

وفي المثل: «صَرّحَتْ بجِدّانٍ» و«بجِدّاء»: وهو إذا

---

[1] هذا كلام ابن الوليد نفسه، وقبله ماحكاه عن غيره، ومن (أقول) يبدء كلام الصّدوق. [لاحظ في الهامش كلام المحشّي المحقّق]

أبدى الرّجل أقصى مايُريد.

والجادّةُ: الحاقّةُ في الأمر.

وقوله: أجِدَّكَ: يستَحْلِفُه بجِدّه وحقيقته، ويُفتح الجيم.

وقوله: وجَدَّكَ: يستَحْلِفُه بِبَخْتِه.

وقيل: معنى أجَدَّكَ: مالَكَ.

والجِدُّ: نقيض الهزل، جَدَّ في أمره، وأجَدَّ: بمعنًى.

وأجَدَّ في السّير: انكمَش فيه. وجَدَّ يَجِدُّ ويَجُدُّ، ومَصْدَرُهُ الجِداد.

وأجَدَّتْ قُرُوني من ذلك الأمر: إذا أنت تركْتَه ورفَضْتَه.

ولفلان جادُّ مئةِ وَسْقٍ، أي مِقداره.

والجِدّة: مصدر الجديد، وأجَدَّ ثوبًا واستجَدَّ، وأصبحَتْ خُلقانُهم جُدُودًا، أي جُدُدًا.

والجُدَّة: جُدَّة النّهر وحافَتُه، وهو ماقَرُبَ من الأرض.

وجُدَّة: ساحل البحر بمكّة.

وجانب كلّ شيءٍ جُدَّةٌ، نحو جُدَّةِ المَزادة.

والجُدَّة: الطُّرّة المُحْمَرّة عند طلوع الشّمس، والطّريق الواضح بين رملتين.

والجَدَد: وجه الأرض، وكذلك الجديد والجُداد.

ومثَل: «مَنْ سلَكَ الجَدَد أمِنَ العِثار». وأجدَدْنا: صرنا في الجَدَد، وأجَدَّ الطّريق: صار جَدَدًا.

وجَدَدُ الطّريق: مِلْكُه، وجُدَّتاه: ناحيتاه.

والجُدَّة: الخَلَق من الثّياب، أتانا وماعليه جُدَّة.

والجُدَّة: السّير الّذي يُعلّق من أطراف وترِ القوس، كي يُمسِك الوتَرَ أن لاينحطَّ، وجمعها: جُدَدٌ.

والجديدان: اللّيل والنّهار.

والجديدتان للسّرج: اللِّبْدُ الّذي يُلْزَقُ بالسّرج والرّحل من الباطن.

والجَدّاد: صاحِب الحانوت الّذي يبيع الخمر ويعالجها.

والجَدُود: كلّ أُنثى يَبِسَ لَبَنُها، والجميع: الجَدائد والجِداد. وشاةٌ جَدّاء، ونُوقٌ جِداد.

وناقةٌ جَدُود: مَقطُوعة الأُذُن. ومن الأوّل: جَدَّتْ تَجِدّ جِدادًا.

وجَدَّت النّاقة تَجِدّ جَدَدًا، إذا أصابها عَنَتٌ[1] فيبِسَتْ أخلافها، ونُوقٌ جُدٌّ.

والطّريق الجادّة: تُخفّف وتُثقّل. والتّشديد هو من الطّريق الجداد، وهي الواضح.

والجَدّاء: المفازة اليابسة، وكذلك السّنة الجَدّاء، وهي من النّساء: الصّغيرة الثّدي.

وجِداد النّخل: صِرامُه، وأجَدَّ النّخل: حان جِداده.

والجُدّ: البئر تكون في الكلإ، والجميع: الأجداد، وماكنت جُدًّا، ولقد أجدَدْتَ.

والجَدّ: المكان الّذي لانَبْتَ فيه.

والجُدّاد: هي الخيوط المُعَقَّدَة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُدّ أيضًا: ثَمَرٌ من ثمر الشّجر غير المُطْعِم، كثَمَر الطّلْح والسَّمُر. وكذلك العُود الّذي يُلَفّ عليه الغَزْل، وهو أيضًا: كلّ خال تر[illegible] الذّرّة.

وأجَدَّت السّماء: أصحَتْ.

---

(١) الظّاهر: عنت كما أوردها المديني.

وأجدَدْنا: أصْحَرْنا.

والجَدّ: البَدْن، والسِّمَن، والجَدُود من الأُتُن: السّمينة. (٦: ٣٩١)

الخطّابيّ: الجديدان: اللّيل والنّهار، وهما الفتيان أيضًا، ويقال لهما: الملَوان. (١: ٣٠٧)

[في حديث أبي بكر] «جادّ عشرين وَسْقًا»، أي نخلًا، يُجَدّ منه مايبلغ عشرين وَسْقًا. والجادّ هاهنا: بمعنى المجدود، فاعل بمعنى مفعول.

يقال: جَدَدتُ النّخل أجُدّه جَدًّا وجِدادًا، إذا صرمته. (٢: ٤٣)

الجَدَد: المستوي من الأرض، وفيه صلابة، ومنه قول أكثم بن صيفيّ: «من سلَك الجَدَد أمِن العِثار». [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٤٠٤)

أجَدّ، إذا صار إلى الجَدَد. (٣: ٧٧)

الجَوهَريّ: الجَدَد: الأرض الصّلبة، وفي المثل: «من سلَك الجَدَد أمِنَ العِثار».

وقد أجَدّ القوم، إذا صاروا إلى الجَدَد، وأجدّ الطّريق: صار جَدَدًا.

والجادّة: معظم الطّريق، والجمع: جوادّ.

والجِدّ: نقيض الهزْل، تقول منه: جَدّ في الأمر يَجِدّ بالكسر جِدًّا.

وجَدّ فلان في عيني يَجَدّ جَدًّا بالفتح: عظم.

والجِدّ: الاجتهاد في الأُمور، تقول منه: جَدّ في الأمر يَجِدّ جَدًّا بالفتح، ويَجُدّ. وأجَدّ في الأمر، مثله.

وقولهم: أجَدّ بها أمرًا، أي أجَدّ أمره بها، نصب «الأمر» على التّمييز، كقولك: قَرَرْتُ به عينًا، أي قرّت عيني به.

وجادّه في الأمر، أي حاقّه.

وفلان محسن جِدًّا، ولاتقل: جَدًّا.

وهو على جِدّ أمر، أي عجلة أمر.

وقولهم: في هذا خطر جِدّ عظيم، أي عظيم جِدًّا.

وقولهم: أجِدَّك وأجَدَّك، بمعنى، ولايُتكلّم به إلّا مضافًا.

والجُدّ بالضّمّ: البئر الّتي تكون في موضع كثير الكلإ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُدَّة: بلد على السّاحل.

والجُدَّة: الخُطّة الّتي في ظهر الحمار تخالف لونه.

والجُدّة: الطّريقة، والجمع: جُدَد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ فاطر: ٢٧، أي طرائق تخالف لون الجبل، ومنه قولهم: ركب فلان جُدّة من الأمر، إذا رأى فيه رأيًا.

وكساء مُجَدَّد: فيه خطوط مختلفة.

والجُدّاد: الخُلْقان من الثّياب، وهو معرّب «كُداد» بالفارسيّة. [ثمّ استشهد بشعر]

وكلّ شيء تعقّد بعضه في بعض من الخيوط وأغصان الشّجر فهو جُدّاد. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَدّ الشّيء يَجِدّ بالكسر جِدّةً: صار جديدًا، وهو نقيض الخَلَق.

وجَدَدْتُ الشّيء أجُدّه بالضّمّ جَدًّا: قطعته.

وثوبٌ جديد، وهو في معنى مَجْدُود، يراد به حين جَدّه الحائك، أي قطعه. [ثمّ استشهد بشعر]

ومنه قيل: مِلحَفَةٌ جديد، بلا«هاء»، لأنّها بمعنى

«مفعولة».

وثياب جُدُدٌ، مثل سريرٍ وسُرُرٍ.

وتجدّد الشّيء: صار جديدًا. وأجدّه، واستجدّه، وجدّده، أي صيّره جديدًا. وبَهي بيت فلان فأجدّ بيتًا من شعر.

ويقال لمن لبس الجديد: أبْلِ وأجِدَّ واحْمَدِ الكاسي.

والجديد: وجه الأرض.

وقولهم: لاأفعله مااختلف الجديدان، ومااختلف الأجدّان، يُعنى به اللّيل والنّهار.

وجديدة السّرج: ماتحت الدّفّتين من الرّفادة واللّبْدِ المُلْزَق. وهما جديدتان، وهو مُولّدٌ. والعرب تقول: جَدْيَة السّرج وجَدِيّة السّرج.

وجَدّ النّخل يَجُدُّه، أي صَرَمه. وأجدّ النّخل: حان له أن يُجَدّ. وهذا زمن الجِداد والجَداد، مثل الصِّرام والقِطاف، فكأنّ «الفِعال والفَعال» مُطّردان في كلّ ماكان فيه معنى وقت الفعل، مُشبَّهان في معاقبتها بالإوان والأوان. والمصدر من ذلك كلّه على «الفَعْل» مثل الجَدّ والصَّرْم والقَطْف.

وجُدّتْ أخلاف النّاقة، إذا أضرّ بها الصِّرار وقطعها، فهي ناقة مجدودة الأخلاف.

وامرأة جَدّاء: صغيرة الثّدي. وفلاةٌ جَدّاء: لاماء بها.

وتجدّد الضّرع: ذهب لبنه.

وجَدُودُ: موضع فيه ماء يسمّى الكُلاب، وكانت به وقعةٌ مرّتين. ويقال للكُلاب الأوّل: يومُ جَدُودَ، وهو لتَغْلِبَ على بكر بن وائل. (٢: ٤٥٢)

ابن فارس: الجيم والدّال أُصول ثلاثة: الأوّل العظمة، والثّاني الحظّ، والثّالث القطع.

فالأوّل: العظمة، قال الله جلّ ثناؤه إخبارًا عمّن قال: ﴿وَاَنَّهُ تَعالٰى جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجنّ: ٣، ويقال: جَدّ الرّجل في عيني، أي عظُم.

والثّاني: الغِنى والحظّ. [ثمّ ذكر حديث النّبيّ ﷺ]

وفلان أجدّ من فلان وأحظّ منه، بمعنًى.

والثّالث: يقال: جَدَدْتُ الشّيء جَدًّا، وهو مجدود وجديد، أي مقطوع. [ثمّ استشهد بشعر]

وليس ببعيد أن يكون الجِدّ في الأمر والمبالغة فيه من هذا، لأنّه يَصْرِمه صَريمةً ويَعْزِمه عزيمة، ومن هذا قولك: أجِدَّكَ تفعل كذا، أي أجِدًّا منك أصريمة منك أعزيمة منك؟ [ثمّ استشهد بشعر]

والجُدُّ: البئر، من هذا الباب، والقياس واحد، لكنّها بضمّ الجيم. [ثمّ استشهد بشعر]

والبئر: تُقطع لها الأرض قطْعًا.

ومن هذا الباب الجَدْجَد: الأرض المستوية. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَدَدُ مثل الجَدْجَد، والعرب تقول: «مَنْ سلَكَ الجَدَدَ أمِنَ العِثار». ويقولون: «رُوَيْدَ يَعلُون الجَدَد». ويقال: أجَدّ القوم، إذا صاروا في الجَدَد.

والجديد: وجه الأرض. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُدّة من هذا أيضًا، وكلّ جُدّة: طريقة.

والجُدّة: الخُطّة تكون على ظهر الحمار.

ومن هذا الباب الجدّاء: الأرض الّتي لاماء بها، كأنّ الماء جُدّ عنها، أي قُطِع. ومنه الجَدود والجَدّاء من

الضّأن، وهي الّتي جفّ لبنُها ويبس ضَرعُها.

ومن هذا الباب الجِداد والجَداد، وهو صِرام النّخل.

وجادّة الطّريق: سواؤه، كأنّه قُطِع عن غيره، ولأنّه أيضًا يُسلَك ويُجَدّ، ومنه الجُدّة. وجانب كلّ شيء: جُدّة، نحو جُدّة المَزادة. وذلك هو مكان القطع من أطرافها.

وقولهم: ثوب جديد، وهو من هذا، كأنّ ناسجَه قطعه الآن.

هذا هو الأصل، ثمّ سمّي كلّ شيء لم تأت عليه الأيّام: جديدًا، ولذلك يسمّى اللّيل والنّهار الجديدَين والأجَدّين، لأنّ كلّ واحد منهما إذا جاء فهو جديد.

والأصل في «الجُدّة» ماقلناه. (١: ٤٠٦)

أبوهلال العسكريّ: الفرق بين الجِدّ والانكماش: أنّ الانكماش: سرعة السّير، يقال: انكمش سيره، إذا أسرع فيه. ثمّ استُعمل في كلّ شيء تصحّ فيه السّرعة، فتقول: انكمش على النّسخ والكتابة ومايجري مع ذلك.

والجِدّ: صدق القيام في كلّ شيء، تقول: جَدّ في السّير وجَدّ في إغاثة زيد وفي نصرته، ولايقال: انكمش في إغاثة زيد ونصرته؛ إذ ليس ممّا تصحّ فيه السّرعة. (٢١٢)

الهَرَويّ: وفي حديث ابن سيرين: «كان يختار الصّلاة على الجُدّ إن قدر عليه». الجُدّ: شاطئ النّهر، والجُدّة أيضًا، وبه سمّيت جُدّة، لأنّها ساحل البحر.

وكلّ طريقة من سواد أو بياض فهي جُدّة.

وفي الحديث: «كان لايبالي أن يُصلّي في المكان الجَدَد» يريد المستوي من الأرضين. (٣٢٧)

أبو سهل الهَرَويّ: والجِدّ في الأمر، مكسور: ضدّ الهزل، وهو الانكماش وترك التّواني.

والجَدّ في النّسب: أبو الأب وأبوالأُمّ، والجَدّ: الحظّ وهو الّذي تسمّيه العامّة البخت، مفتوحان. [ثمّ استشهد بشعر]

وماأتاك في الشّعر من قوله: أجِدّك؟ فهو بالكسر يعني كسر الجيم وفتح الدّال، وهو ضدّ الهزل، ومعناه أجِدًّا منك؟ ونصبه على المصدر. وإذا أتاك وجَدِّك، فهو مفتوح، مفتوح الجيم مكسور الدّال، وهذه الواو للقسم فلذلك خفض الدّال، ومعناه الحلف بجَدّه الّذي هو أبوأبيه أو بحظّه. (٥٦)

وثياب جُدُد بضمّ الدّال: للّتي لم تبتذل باللّباس، واحدها: جديد. (٦٠)

ابن سيده: الجَدُّ: أبو الأب، وأبو الأُمّ. والجمع: أجداد، وجُدُود.

والجَدّ: البَخت والحُظوة.

والجَدّ: الحظّ والرّزق، يقال: فلان ذو جَدّ في كذا، أي ذو حظّ فيه، وفي الدّعاء: «ولاينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ» أي من كان له حظّ في الدّنيا لم ينفعه ذلك منك في الآخرة. والجمع: أجداد، وأجُدّ، وجدود عن سيبويه.

ورجل جُدّ: عظيم الجَدّ. قال سيبويه: «والجمع جُدّون» ولايكسّر.

وكذلك: جُدٌّ، وجُدّيّ، ومجدود، وجديد، وقد جُدّ، وهو أجَدّ منك، أي أحظّ. فإن كان هذا من «مجدود» فهو غريب، لأنّ التّعجّب في معتاد الأمر إنّما هو من «الفاعل» لامن «المفعول» وإن كان من «جديد»

ـ وهو حينئذ في معنى المفعول ـ فكذلك أيضًا.

وأمّا إن كان «جديد» في معنى «فاعل» فهذا هو الّذي يليق به التّعجّب، أعني أنّ التّعجّب إنّما هو من الفاعل في غالب الأمر، كما قلنا.

وجَدِدت بالأمر جَدًّا: حَظِيت به خيرًا كان أو شرًّا.

والجَدّ: العظمة، وفي التّنزيل: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجنّ: ٣، قيل: جَدّه: عظمته، وقيل: غناه. وفي حديث أنس: «إنّه كان الرّجل منّا إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدّ فينا» أي عَظُم في أعيننا.

وخصّ بعضهم بـ«الجَدّ» عظمة الله عزّوجلّ، وقول أنس هاهنا يردّ هذا، لأنّه قد أوقعه على الرّجل.

وجِدّة النّهر، وجُدّته: ماقَرُب منه من الأرض.

والجُدّ، والجُدّة: ساحل البحر بمكّة.

وجُدّة: اسم موضع قريب من مكّة، مشتقّ منه.

وجُدّة كلّ شيء: طريقته.

وجُدّ كلّ شيء: جانبه.

والجَدّ، والجِدّ، والجديد، والجَدَد، كلّه: وجه الأرض.

وقيل: الجَدَد: الأرض الغليظة، وقيل: المستوية، وفي المثَل: «من سلك الجَدَد أمِن العثار» يريد: من سلك طريق الإجماع، فكَنّى عنه بالجَدَد.

والجَدَد من الرّمل: مااسْتَرَقّ منه وانحدر.

وأجَدّ القوم: عَلَوا جديد الأرض أو ركبوا جَدَد الرّمل. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجَدّت لك الأرض، إذا انقطع عنك الخَبار ووضَحت.

وجادّة الطّريق: مَسْلَكه وماوضح منه.

والجُدّ: البئر الجيّدة الموضع من الكلإ، مذكّر، وقيل: هي البئر المُغْزِرة، وقيل: الجُدّ: البئر القليلة الماء. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: الجُدّ: الماء القليل، وقيل: هو الماء يكون في طرف الفَلاة. والجمع من ذلك كلّه: أجداد.

ومَفازة جَدّاء: يابسة. [ثمّ استشهد بشعر]

وسَنَة جَدّاء: مَحْلَة.

وشاة جَدّاء: قليلة اللّبن، يابسة الضّرع، وكذلك: النّاقة والأتان.

وقيل: الجَدّاء من كلّ حَلُوبة: الذّاهبة اللّبن عن عيب.

والجَدُود: القليلة اللّبن من غير عيب، والجمع: جدائد، وجِداد.

وامرأة جَدّاء: صغيرة الثّدي.

وجَدّ الشّيء يجُدّه جَدًّا: قطعه.

والجَدّاء من الغَنَم والإبل: المقطوعة الأُذُن.

وحَبْلٌ جديد: مقطوع. [ثمّ استشهد بشعر]

ومِلْحفة جديد، وجديدة: حين جَدّها الحائك، أي قطعها.

والجِدّة: نقيض البِلى، يقال: شيء جديد، والجمع: أجِدّة، وجُدُد، وجُدَد.

وقد قالوا: مِلْحفة جديدة، قال سيبويه: وهي قليلة.

وقال أبوعليّ: جَدّ الثّوب يجِدّ: صار جديدًا، وعليه وجّه قول سيبويه: مِلْحَفة جديدة، لاعلى ماذكرنا من

«المفعول».

وأجَدَّ ثوبًا، واستجدَّه: لبسه جديدًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأصل ذلك كلّه القَطْع. فأمّا ماجاء منه في غير مايقبل القطع فعلى المثَل بذلك، كقولهم: جَدَّد الوضوء والعهد.

والأجَدّان، والجديدان: اللّيل والنّهار؛ وذلك لأنّهما لايبليان أبدًا. ويقال: لاأفعل ذلك مااختلف الأجَدّان والجديدان، أي اللّيل والنّهار.

والجديد: مالا عهدَ لك به، ولذلك وُصِف الموتُ بالجديد. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجَدّ: حان أن يُجَدّ.

والجَداد، والجِداد: أوان الصِّرام.

وماعليه جُدّة، وجِدّة، أي خِرْقة.

وجَديدتا السَّرجِ والرَّحلِ: اللِّبْد الّذي يلزَق بهما من الباطن.

والجِدُّ: نقيض الهَزْل، جَدّ يجِدّ، ويجُدّ جَدًّا.

وأجَدّ: حَقّق. وعذاب جِدّ: مُحقّق مبالَغ فيه، وفي القُنُوت: «ونخشى عذابك الجِدّ».

وجَدّ في أمره يَجِدّ، ويَجُدّ جِدًّا، وأجَدّ: حَقّق. والمُجادّة: المُحاقّة.

وجَدّ به الأمر: اشتدّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجِدّك لاتفعل كذا، وأجَدّك، إذا كسَر استحلفه بحقيقته، وإذا فتح استحلفه ببَخْته. [ثمّ حكى قول سيبويه وقد سبق]

وقالوا: هذا العالم جِدُّ العالم، وهذا عالِمٌ جِدُّ عالم: يريد بذلك التّناهي، وأنّه قد بلغ الغاية فيما يصفه به من الخِلال.

وصَرَّحَتْ بجِدّ، وجِدّان، وجَدّاء: يُضْرب هذا مثَلًا للأمر إذا بان.

والجُدّاد: صغار العِضاه.

والجُدّاد: صاحب الحانوت الّذي يبيع الخمر ويعالجها.

والجُدّاد: الخُيُوط المعقّدة، يقال لها: كُداد، بالنّبطيّة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَدّاء: موضع. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ١٨٣)

الطُّوسيّ: والجَدّ: أب بواسطة، ولايُطلق عليه صفة أب، وإنّما يجوز ذلك بقرينة تدلّ على أنّه أب بواسطة الابن، وجَدّ الأب: أب بواسطتين. (٦: ١٤٠)

والجديد: المقطوع عنه العمل في ابتداء أمره، قبل حال خلوّ فيه، وأصله: القطع، يقال: جَدّه يجُدّه جَدًّا، إذا قطعه. والجَدّ: أب الأب، لانقطاعه عن الولادة بالأب.

والجِدّ ضدّ الهَزْل، والجَدّ: الحظّ. (٦: ٢٨٧)

الرّاغِب: الجَدّ: قطع الأرض المستوية، ومنه: جَدّ في سيره يجِدّ جَدًّا، وكذلك جَدّ في أمره وأجَدّ: صار ذا جَدّ.

وتُصُوِّر من: جَدَدت الأرض: القطع المجرّد، فقيل: جدَدت الثّوب، إذا قطعته على وجه الإصلاح، وثوب جديد: أصله المقطوع، ثمّ جُعل لكلّ ماأحدث إنشاؤه، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ق: ١٥، إشارة إلى النّشأة الثّانية؛ وذلك قولهم: ﴿ءَاِذَا مِتْنَا وَكُنَّا

تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ق: ٣.

وقوبل الجديد بـ«الخَلَق» لما كان المقصود بالجديد: القريب العهد بالقطع من الثّوب، ومنه قيل للّيل والنّهار: الجديدان والأجدّان، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ فاطر: ٢٧، جمع: جُدَّة، أي طريقة ظاهرة، من قولهم: طريق مجدود، أي مسلوكٌ مقطوع، ومنه جادّة الطّريق.

والجَدُود والجِدّاء من الضّأن: الّتي انقطع لبنها.

وجُدّ ثَدي أُمّه، على طريق الشّتم.

وسمّي الفيض الإلهيّ: جَدًّا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجنّ: ٣، أي فيضه، وقيل: عظمته، وهو يرجع إلى الأوّل، وإضافته إليه على سبيل اختصاصه بملكه.

وسمّي ماجعل الله تعالى للإنسان من الحظوظ الدّنيويّة: جَدًّا، وهو البَخت، فقيل: جُدِدْتُ وحُظِظْتُ، وقوله عليه السلام: «لاينفع ذا الجَدّ منك الجَدُّ» أي لايتوصّل إلى ثواب الله تعالى في الآخرة بالجَدّ، وإنّما ذلك بالجِدّ في الطّاعة، وهذا هو الّذي أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَانَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ...﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ الإسراء: ١٨، ١٩، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿يَوْمَ لَايَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ الشّعراء: ٨٨.

والجَدّ: أبو الأب وأبو الأمّ. وقيل: معنى «لاينفع ذا الجَدّ»: لاينفع أحدًا نسبُه وأُبوّتُه، فكما نفى نفع البنين في قوله: ﴿يَوْمَ لَايَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، كذلك نفى نفع الأُبوّة في هذا الحديث. (٨٨)

الزّمَخْشَريّ: رجل مجدود وجُدّ: ذو جَدّ، وهو أجدُّ من فلان، ويقال: أُعطي فلان جَدًّا، فلو بالَ لجَدّ بيَوْله، أي لكان الجَدّ في بوله أيضًا.

وجَدّ في عيني: عظُم. وسَلَك الجَدَد. وقد أجْدَدْتَ فَسِرْ، ومشى على الجادّة، وامشوا على الجوادّ.

وجَدّ في الأمر وأجَدّ، وأجَدّ المسير. وأجادٌّ أنت أم هازلٌ؟ وأجِدّك تفعل كذا.

وأرض جَدّاء: لاماء بها. وشاة جَدّاء وجدودٌ: لالبن لها.

وعلى ظهره جُدّة، وفي السّماء جُدّة، وهي الطّريقة.

ولاأفعل ماكرّ الجديدان والأجَدّان.

وهذا زمن الجَداد والجِداد، وأجِدّ النّخل.

ومِلْحَفَة جديد. وأجَدّ ثوبًا واستجدّه، بمعنى.

ومن المجاز: جَدّ به الأمر، وجَدّ جِدُّه، وهو على جِدّ أمر. وركب جُدّة من الأمر، أي طريقة، ورأى رأيًا.

وهذه نخل جادُّ مئةِ وَسْقٍ، أي تَجُدُّها، كما تقول: ناقة حالبة عُلْبَتَين، وتحلِب عُلْبَتَين.

(أساس البلاغة: ٥٣)

[في حديث النّبيّ ﷺ]

الجَدّ: الحظّ، والإقبال في الدّنيا.

والجُدّ بالضّمّ: الصّفقة، ومثله الحُلو والمُرّ، وناقة عُبْر أسفار.

ومنه قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «قمت على باب الجنّة فإذا عامّة مَنْ يدخلها الفقراء، وإذا أصحابُ الجَدّ محبوسون». [إلى أن قال:]

والمعنى: المجدود لاينفعه منك الجَدّ الّذي منحته، وإنّما

ينفعه أن تمنحه اللّطف والتّوفيق في الطّاعة، أو لاينفع مَن جَدّه منك جَدّه، وإنّما ينفعه التّوفيق منك.

(الفائق ١: ١٩٢)

«نهى ﷺ عن جِداد اللّيل وعن حصاد اللّيل». هو بالفتح والكسر: صِرام النّخل، وكانوا يَجُدّون باللّيل ويحصدون خشية حضور المساكين، وفرارًا من التّصدّق عليهم، فنُهوا عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الأنعام: ١٤١.

أوصى من خيبر بجادّ مئة وَسْق للأشعريّين، وبجادّ مئة وسْقٍ للشّنائيّين[1]. أي بنخل يُجَدّ منه مئة وَسْق من التّمر، وهو من باب قولهم: ليل نائم. ومنه حديثه: اربطوا الفَرَس فمن ربط فرَسًا فله جادّ مئة وخمسين وَسْقًا. (الفائق ١: ١٩٢)

والجديد: يوصف به المؤنث بغير علامة، فيقال: مَلْحَفَة جديد. وعند الكوفيّين «فعيل» بمعنى «مفعول» فهو في حكم قولهم: امرأة قتيل، ودابّة عقير. وعند البصريّين بمعنى «فاعل» كعزيز وذليل، لأنّك تقول: جَدّ الثّوب، فهو جديد، كعزّ وذلّ. ولكن قيل في المؤنّث: جديد. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦. (الفائق ٢: ٣١٠)

الطَّبْرِسيّ: الجديد: القريب العهد بانقطاع العمل عنه، وأصله من القطع. (٤: ٤٠٣)

واحد الجُدَد: جُدّة. وأمّا الجُدُد فجمع جديد.

(٤: ٤٠٦)

الجَدّ: أصله القطع، ومنه الجَدّ: العظمة، لانقطاع كلّ عظمة عنها لعلوّها عليه، ومنه الجَدّ: أبو الأب، لانقطاعه بعلوّ أُبوّته. وكلّ مَن فوقه لهذا الولد أجداد.

والجَدّ: الحظّ، لانقطاعه بعلوّ شأنه. والجِدّ: خلاف الهَزْل، لانقطاعه عن السُّخْف، ومنه الجديد، لأنّه حديث عهد بالقطع في غالب الأمر. (٥: ٣٦٧)

المَدينيّ: في حديث ابن عُمر: «كان رسول الله ﷺ إذا جَدّ به السّير جمع بين الصّلاة» أي انكمش وأسرع، يقال: جَدّ في السّير والأمر، يَجُدّ بضمّ الجيم وكسرها، وأجَدّ فيه أيضًا، وجَدّ به الأمر والسّير بمعناه، وهو على جِدّ أمر، أي على عَجلته.

في الحديث: «لايُضَحّى بجَدّاء». الجَدّاء: مالالبَن لها من كلّ حَلُوبة، من آفةٍ أيبست ضرعَها.

وجَدّت النّاقة تَجُدّ جَدَدًا، إذا يَبِست أخلافُها من عَنَتٍ أصابها، فهي جَدّاءُ، والجمع: الجُدُّ.

والجَدّاء أيضًا: الصّغيرة الثّديَيْن في النّساء، ومنه حديث عليّ رضي الله عنه في صفة المرأة: «إنّها جَدّاء» قال اليزيديّ: هي القصيرة الثّديَيْن.

والجَدّاء أيضًا: المَفازة اليابسة، وكذا السّنة الجَدّاء.

في حديث أبي سفيان: «جُدَّ ثَدْيَا أُمّك». أي قُطِعا، دُعاءٌ عليه. والجَدّ: القطع، والجديد: المقطوع.

في حديث رُؤيا عبد الله بن سَلام: «وإذا جَوادُّ مَنْهَج عن يميني». الجَوادّ: الطُّرُق، والمنهج: الواضح.

وجادّة الطّريق: سواؤه ووَسَطُه. وقيل: الجادّة: الطّريق الأعظم الّذي يجمع الطّرق، ولابدّ من المرور عليه.

---

(١) في الهامش: في اللّسان: للشّيبيّين. ولعلّ أصله الشّيبانيّين.

في الحـديث: «ما على جديد الأرض». أي ما على وجهها.

في الحديث: «لايأخذنّ أحدكم متاع أخيه لاعبًا جادًّا» لايأخذه على سبيل الهزل، ثمّ يحبسه فيصير ذلك جِدًّا.

في قصّة حُنَيْن: «كإمرار الحديد على الطَّسْت الجديد» الجديد يُوصَف به المؤنّث بلاعلامة...

(١: ٣٠١)

ابن الأثير: في حديث الدّعاء: «تبارك اسمك وتعالى جَدّك» أي علا جلالك وعظمتك.

والجَدّ: الحظّ والسّعادة والغِنى.

وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ إذا جَدّ في السّير جمع بين الصّلاتين» أي إذا اهتمّ به وأسرع فيه. يقال: جَدّ يَجُدّ ويَجِدّ بالضّمّ والكسر، وجدّ به الأمر وأجَدّ، وجدّ فيه وأجدّ، إذا اجتهد.

ومنه حديث أحد: «لئن أشهدني الله مع النّبيّ ﷺ قتال المشركين ليرينّ الله ما أُجِدّ» أي ما أجتهد.

(١: ٢٤٤)

الصّغانيّ: يقال: أجدّت قُروني من ذلك الأمر، إذا أنت تركته ورفضته.

والجُدّ: ثمر من ثمر الشّجر غير المطيم كثمر الطّلح والسّمر.

والجُدّ: البُدْن، والسِّمَن، والجَدود من الإبل: السّمينة.

(٢: ٢٠٧)

الفَيُّوميّ: جَدّ الشّيء يَجِدّ بالكسر جِدّةً فهو جديد، وهو خلاف القديم.

وجَدّد فلان الأمر وأجَدّه واستجَدّه، إذا أحدثه فتجدّد هو. وقد يستعمل «استجدّ» لازمًا.

وجَدّه جَدًّا من باب «قتل»: قَطَعَه، فهو جديد «فعيل» بمعنى «مفعول».

وهذا زمَنُ الجِداد والجَداد، وأجَدّ النّخل بالألف: حان جِداده، وهو قَطْعُه. [إلى أن قال:]

وجَدّ في كلامه جَدًّا من باب «ضرَب» ضدّ هزَل، والاسم منه: الجِدُّ بالكسر، ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام: «ثلاثٌ جِدُّهُنّ جِدٌّ وهزلُهنّ جِدٌّ» لأنّ الرّجل كان في الجاهليّة، يُطَلِّقُ أو يعتِق أو يُنكِح ثمّ يقول: كنت لاعبًا ويرجع، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ البقرة: ٢٣١، فقال النّبيّ ﷺ: «ثلاثٌ جِدُّهُنّ جِدٌّ» إبطالًا لأمْرِ الجاهليّةِ وتقريرًا للأحكامِ الشّرعيّة...

(٩٢)

الفيروزاباديّ: الجَدُّ: أبو الأب وأبو الأُمّ، الجمع: أجدادٌ وجُدُودٌ وجُدودةٌ، والبَخْتُ والحَظُّ، والحُظْوَةُ، والرِّزْقُ، والعَظَمَة، وشاطِئُ النَّهْرِ كالجِدِّ والجِدَّةِ بكسرهما، والجُدّة بالضّمّ، ووَجْهُ الأرضِ كالجِدّةِ بالكسر والجَديد والجَدَد.

والرَّجُلُ العظيمُ الحظّ كالجُدِّ والجُدّيّ بضمّها، والجديد والمَجْدود، ووكْفُ البَيْت وهذه عن المُطَرِّزِ ويُكْسَرُ، والقَطْعُ، وثوبٌ جَديدٌ كما جَدّه الحائِكُ، الجمع: جُدُدٌ كسُرر.

وصرامُ النَّخْلِ كالجِداد والجَداد، وأجَدَّ: حانَ أن يُجَدَّ.

وبالضّمّ: ساحِلُ البَحْرِ بمكّة كالجُدّةِ، وجُدّةُ لِمَوْضِع

بِعَيْنِهِ منه، وجانِب كُلِّ شيء، والسَّمْنُ والبَدْنُ، وتَمر كثير الطَّلْعِ، والبِئْرُ في موضع كثير الكَلاِ، والبئْرُ والمَزْرَةُ والقَليلَةُ الماء ضِدٌّ، والماء القليل، والماءُ في طَرَفِ فَلاة، والماءُ القديم.

وبالكسر: الاجتهاد في الأمر، وضِدُّ الهزل، وقد جَدَّ يَجِدُّ ويَجُدُّ وأجَدَّ، والعَجَلَةُ، والتَّحقيق، والمُحقّقُ المُبالَغُ فيه، ووكَفانُ البَيْتِ جَدَّ يَجِدُّ.

والجَدَّةُ: أُمّ الأُمِّ وأُمّ الأب، وبالضَّمّ: الطَّريقَةُ والعَلامَةُ، والخُطَّةُ في ظَهْر الحِمار تُخالِف لَوْنَه، وموضع.

ورَكِبَ جُدَّةَ الأمر، إذا رأى فيه رَأيًا. وبالكسر: قِلادَةٌ في عُنُقِ الكَلْبِ، وضِدُّ البِلَى جَدَّ يَجِدُّ فهو جَديدٌ، وأجَدَّهُ وجَدَّدَهُ واستَجَدَّهُ: صَيَّرَهُ جَديدًا، فتَجَدَّدَ وأجَدَّ بها أمرًا، أي أجَدَّ أمْرَهُ بها.

وكرُمّان: خُلْقانُ الثِّياب، وكُلُّ مُتَعَقِّدٍ بعضُه في بعضٍ من خَيْطٍ أو غُصْنٍ، والجِبالُ الصِّغارُ.

وككَتّانٍ: بائعُ الخَمْرِ ومُعالِجُها، وككِتاب: جَمْعُ جَديدٍ للأُتُن السَّمينة.

والجَديدان والأجَدّانِ: اللَّيلُ والنَّهارُ.

والجَدّاءُ: الصَّغيرةُ الثَّدْي، والمَقْطوعَةُ الأُذُنِ، والذّاهِبَةُ اللَّبَنِ، والفَلاةُ بلاماءٍ، وقرية بالحجاز.

وصَرَّحَتْ جِدّاءَ وبِجِدٍّ، وبِجِدٍّ مَمْنوعَةً، وبِجِدّانَ: يقالُ في شيءٍ وضَحَ بعد التَباسِهِ، وهو على الجُمْلَةِ اسمُ موضعٍ بالطّائف لَيِّنٍ مُسْتوٍ كالرّاحَةِ لاخَمَرَ فيه يُتَوارَى به، والتّاءُ عبارَةٌ عن القِصَّةِ أو الخُطَّة.

والجَدودُ: النَّعجَةُ قَلَّ لَبَنُها، وموضع.

وتَجَدَّدَ الضَّرعُ: ذَهَبَ لَبَنُهُ.

والجَدَد محرّكةً: مااسْتَرَقَّ من الرَّمل: وشِبْهُ السِّلْعَة بعُنُقِ البَعير، والأرضُ الغَليظَةُ المُستَوِيَةُ، وأجَدَّ: سلَكها، والطَّريقُ: صار جَدَدًا.

وعالِمٌ جِدُّ عالِمٍ بالكسر: مُتَناهٍ بالغُ الغاية، وجادَّهُ: حاقَقَهُ.

وماعليه جُدَّةٌ بالكسر والضّمّ: خِرْقَةٌ.

وأجَدَّتْ قَروني منه: تَرَكَتْهُ.

والجُدَيد: الموتُ، ونَهرٌ باليَمامَة.

وأجِدَّكَ لاتَفْعَلْ: لايقالُ إلّا مُضافًا، وإذا كُسِر استَحْلَفَهُ بِحَقيقَتِهِ، وإذا فُتِحَ استَحْلَفَهُ بِبَخْتِهِ، وإذا قُلْتَ بالواو فَتَحْتَ: وجَدِّك لاتفعل.

والجادّة: معظم الطّريق، الجمع: جوادّ. (١: ٢٩١)

الطُّريحيّ: وفي الحديث: «تبارك اسمك وتعالى جَدّك» أي جلالك وعظمتك، والمعنى تعاليت بجلالك وعظمتك أن توصف بما لايليق لك...

وقيل: المراد بالجدّ الحظّ، وهو الّذي يُسمّيه العامّة: البخت. ومنه: «أتعس الله جدودكم» أي أهلك حظوظكم، ومثله: «عيك مستوراًسعد جدّك» أي بختك.

ومنه الحديث: «إذا مات الميّت فجِدّ في جهازه، وعجّل في تجهيزه ولاتقصّر، ولاتؤخّره».

وفلان محسن جِدًّا، أي نهاية ومبالغة.

وفي دعاء الاستسقاء: «اسقنا مطرًا جِدًّا طبقًا» وفُسّر الجِدّ بالمطر العامّ.

والجادّة: وسط الطّريق، ومعظمه الّذي يجمع الطّرق، ولابدّ من المرور عليه، والجمع: جَوادّ، مثل دابّة

ودوابّ.

وطريق جَدَدٌ، أي سهل.

والجَدَد بالتّحريك: المستوي من الأرض، ومنه: «أسألك باسمك الّذي يُمشَى به على جَدَد الأرض».

وتجدّد الضّرع: يبس لبنه، ومنه الخبر: «لاتصحّ بجَدّا» وهي الّتي لالبن لها من كلّ حلوبةٍ، لأنّه أيبست ضرعها.

وجديد الأرض: وجهه، ومنه قولهم: «جَلاه عن جديد الأرض» أي نفاه عنها. (٢: ٢١)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جَدّ فلان في أعين النّاس: عظم شأنه، وجَدّ الثّوب جِدَّة: صار جديدًا، وجَدّ جَدًّا: اجتهد، وجدّ جَدًّا: صار ذا جِدّ، أي خطر، وتعالى جَدّ ربّنا: تنزّه سبحانه عن كلّ مالايليق بجلاله.

والجُدَّة: العلامة والطّريقة، والجمع: جُدَد، وهي اللّون المستطيل في الشّيء يخالف مايجانبه، ويقال: في الجبل جُدّة سوداء، أي لون أسود ممتدّ كالطّريق. (١٠٣)

العدنانيّ: هُوَ جادٌّ في أمرِهِ ويُجِدُّ فيه.

ويخطّئُ المنذرُ من يقولُ: فُلانٌ يُجِدُّ في الأمرِ، ويقول: إنّ الصّواب هو: فُلانٌ جادٌّ في الأمرِ، لأنّ الفعلَ ـ حسَبَ رأيِهِ ورأيِ المِصباحِ المنيرِ ـ هو: جَدَّ في الأمرِ. والحقيقةُ هي أنّ هنالك فعلين هما: جَدَّ في الأمرِ فَهُوَ جادٌّ فيه، وأجَدَّ في الأمرِ فهو مُجِدٌّ فيه: الأصمعيُّ، والتّهذيب، والصّحاحُ، ومفرداتُ الرّاغب الأصفهانيّ، ومختارُ الصّحاحِ، واللّسانُ، والمصباحُ، والقاموسُ، والتّاجُ، والمدُّ، والمتنُ، والوسيطُ.

وفعلُهُ الثّلاثيُّ هو:

جَدَّ في الأمرِ يَجِدُّ أو يَجُدُّ جِدًّا وجَدًّا.

لذا قُلْ:

أ ـ فُلانٌ جادٌّ في الأمْرِ.

ب ـ أوْ فلانٌ مُجِدٌّ فيهِ.

الجَديدُ: الحديثُ والمقطوعُ.

جاءَ في التّضادِّ: الجَديدُ: ضِدُّ الخَلَقِ، وَالجديدُ أيْضًا: الحَبْلُ الخَلَقُ المقَطَّعُ. والصّوابُ هو أنّ معنى جَدَّ الشّيءَ: قَطَعَهُ، وليس: أبْلاهُ.

وفي اللّغةِ العربيّةِ: جَدَّ الشّيءَ يَجُدُّهُ جَدًّا: قَطَعَهُ. والقَطْعُ لايَفْرِضُ علينا أنْ يكون مانقطعُه باليًا. فقد نَجُدُّ (نقطع) جزءًا من نسيجٍ حديثٍ، ونَصْنَعُ منهُ ثوبًا أو قميصًا. فهذا الجُزْءُ الحديثُ نسجُهُ هو مَجدودٌ (مقطوعٌ) مِن جزءٍ أكبرَ منه، حديثٍ نَسْجُهُ أيضًا. فالجُزْءُ المجدودُ هُوَ جديدٌ «فعيل» بمعنى «المفعول». وهذا الجديدُ (المقطوعُ) حديثٌ، لابالٍ. لذا لم يَقُلِ ابنُ الأنباريّ في كتابهِ «الأضداد» إنّ الجَديدَ هو البالي، بل قال: الجَديدُ هو المقطوعُ، واستشهد ببيتِ الوليدِ بن يزيدَ:

أبَى حُبّي سُلَيْمَى أنْ يَبِيدا

وأضْحَى حَبْلُها خَلَقًا جَديدا

وفسّر الجديدَ فيه بمعنى المقطوع. ولو كان معنى الجَديدِ هو البالِيَ، لما اضطرَّ الشّاعِرُ إلى أنْ يَضَعَ «خَلَقًا» أي باليًا، قبل «جديد». ونحنُ قد نَجُدُّ الشّيءَ الحديثَ، فَيُصْبِحُ جديدًا (مقطوعًا)، وقد نَجُدُّ القديمَ البالِيَ، فيُصبحُ جَديدًا (مقطوعًا) أيضًا.

ثمّ ذكرَ ابن الأنباريّ أنّ بعض اللّغويّين قالُوا: «معناهُ: وأضْحَى حَبلُها خَلَقًا عِندَها، جديدًا عندي في

قلبي، لأنّي لم أملّها كما ملّتني، ولو لم أنوِ قطيعتَها كما نوتْ قطيعتي».

فقد أراد أولئك اللّغويّون أن يُبعِدُوا معنى «البِلى» عن «جديد»، فقالوا: إنّ الشّاعِرَ يعني به الحديث.

ويؤيّدُ رأيي هذا أنّ المعاجم والكُتُبَ الآتية قالَتْ:

أـ إنّ الجديدَ هو (المقطُوعُ)، ولم تَقُلْ إنّهُ (البالي).

ب ـ إنّ الجديدَ هُوَ (الحديثُ).

ابنُ الأنباريّ، والأزهَريّ، ومعجمُ مقاييس اللّغةِ، والمختارُ، واللّسانُ، والمصباحُ، والمحيطُ ـ الّذي قالَ: ثوبٌ جديدٌ: كما جَدَّهُ الحائِكُ ـ والتّاجُ، والمدّ، ومحيط المحيط، والمتْنُ، والوسيطُ.

وممّا قالَهُ اللّسانُ: «الجِدَّةُ: نَقيضُ البِلَى، يُقالُ: شيءٌ جديدٌ، والجمعُ: أجِدَّةٌ، وجُدُدٌ، وجُدَدٌ» وقالَ أيضًا: «ثَوبٌ جديدٌ: مجدودٌ، يُرادُ به حينَ جَدَّهُ الحائِكُ أيْ قطعَهُ». وهل يقطع الحائِكُ ثوبًا قديمًا؟!

وقيل: مِلْحَفَةٌ جديدٌ (مقطوعةٌ) لأنّها بمعنى «مفعولة». ولكنّ ابن سيده يُجيزُ: مِلْحَفَةٌ جديدٌ وجديدةٌ، وقال سيبويه: مِلْحَفَةٌ جديدةٌ قليلةٌ. وأنا أرَى أنّ جديدة هنا صوابٌ، لأنّها بمعنى «الفاعل» من جَدَّ الشّيءُ يَجِدُّ جِدَّةً: صار جديدًا، نَقيض خَلَقًا.

أمّا أصلُ معنى هذه المادّة «الجَدّ» في اللّغاتِ السّاميّةِ، فهو القَطْعُ، وقد ذكر التّضادُّ العِبْرِيّة والسّريانيّة.

ولستُ أرى «الجديدَ» مِنَ الأضداد، وأرَى أنّ معناهُ هُوَ:

أـ الحديثُ.

ب ـ المقطوعُ (المجدودُ) حديثًا من الثّوْبِ، ولاتَعْني الثّوْبَ المـقَطّعَ. لذا أنصح باستعمال (الجديد) بمعنى (الحديثِ). فالقرآن الكريمُ لم يأتِ بهذه الكلمة الّتي ذُكِرَتْ فيه ثماني مَرّاتٍ، إلّا بمعنى (الحديثِ)، كما جاء في الآية (١٦) من سورة فاطر: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. (١١٤)

المُصْطَفَويّ: والّذي يظهر من التّحقيق في تلك المعاني وموارد استعمالاتها: أنّ الأصل الواحد فيها هو المقام المتحصّل من الجلال والعظمة والقدرة، وإطلاقها على أب الأب والأُمّ باعتبار كونهم سبب مَجْدٍ وعظمة للرّجل، وكونهم معظّمين وممجّدين عنده، ولهم جلال وقدرة ومقام.

وإلى هذا المعنى يرجع مفهوم: الحظّ والغنى، فإنّه نوع جلال وعظمة ومقام قدرة. ولايبعد أن يكون المراد من مفهوم «القطع» هاهنا هو المقطوعيّة، بمعنى رفع التّرديد والشّكّ والتّزلزل والاحتمال، وإطلاقها على القطع الظّاهريّ بهذا الاعتبار، وبملاحظة حصول هذا المعنى. ويقرب منه مفهوم (الجِدّ) في الأمر والمبالغة والعزم. وهكذا مفهوم جادّة الطّريق، أي وسطه المتبيّن المستقيم المحفوظ عن الضّلال.

وأمّا مفهوم (الجديد) فليس هو في مقابل القديم مطلقًا، بل ماكان متجدّدًا وحادثًا مع إضافة عظمة وخصوصيّة ممتازة بالنّسبة إلى سابقه، وتظهر هذه الخصوصيّة في موارد استعماله في الكتاب الكريم.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إبراهيم ١٩، أي ممتازًا عظيمًا.

﴿ءَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا﴾ الإسراء: ٤٩، ﴿ءَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ءَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ السّجدة: ١٠، أي خلقًا ممتازًا فوق الخلق السّابق، وبعد هذا الاندراس والضّلال.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجنّ: ٣، أي مقام جلاله وعظمته.

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ فاطر: ٢٧، أي خطوط داخليّة وذخائر مكوّنة، وكنوز ومعادن مختلفة ألوانها

وليس المراد الطّرق الظّاهريّة والمعابر في سطوح الجبال.

فكلمة «الجُدَد» إشارة إلى التّجدّد والتّكوّن والثّروة والمنزلة والعظمة.

ولايخفى أنّ «الجُدَد» جمع جُدّة، وهي على «فُعلة» كاللّقمة، فمعناها على مقتضى صيغتها، هو مايُجَدّ به، أي مايستغنى ويستفاد به.

فظهر لطف التّعبير بمشتقّات هذه المادّة في موارد استعمالاتها.

في القاموس العبريّ ـ العربيّ ـ (جَدا) ـ (أراميّة): حظّ، بخت.

(جادَد): قَطَع، قَصّ، قَطَف.

فلايبعد أن نقول: إنّ «الجَدّ» بمعنى القطع ـ إن كان مطلقًا ـ قد أُخذ من اللّغة العبريّة، فلايلتزم بالتّناسب بين المعاني. (٢: ٦١)

النُّصوص التّفسيريّة

جَديد

وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءَإِذَا كُنَّا تُرَابًا ءَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ. الرّعد: ٥

قَتادَة: عجب الرّحمان تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت. (الطّبَريّ ١٣: ١٠٤)

الطّبَريّ: وإن تعجب يامحمّد من هؤلاء المشركين المتّخذين مالايضرّ ولاينفع آلهة يعبدونها من دوني، فعجب قولهم: ﴿ءَإِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ وبلينا فعدمنا ﴿ءَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنّا لمجدّد إنشاؤنا وإعادتنا خلقًا جديدًا، كما كنّا قبل وفاتنا؟ تكذيبًا منهم بقدرة الله، وجحودًا للثّواب والعقاب، والبعث بعد الممات. (١٣: ١٠٣)

الشّريف الرّضيّ: (جَديد) هاهنا استعارة، لأنّ أصله هاهنا مأخوذ من الجَدّ، وهو القطع، يقال: قد جَدّ الثّوب، فهو جديد بمعنى مجدود، إذا قُطع من منسجه أو قُطع لاستعمال لابسه. والمراد ـ والله أعلم ـ إنّا لفي خلق جديد، أي قد فرغ من استئنافه، وأُعيد إلى موضع ثوابه وعقابه، فصار كالثّوب الّذي قُطع منسجه بعد الفراغ من عمله. (تلخيص البيان: ٦٣)

القُشَيريّ: استبعادهم النّشأة الثّانية ـ مع إقرارهم بالخلق الأوّل، وهما في معنى واحد ـ موضع التّعجّب؛ إذ هو صريح في المناقضة. (٣: ٢١٧)

البغويّ: أي نعاد خلقًا جديدًا، كما كنّا قبل الموت. (٣: ٧)

نحوه الخازن. (٤: ٤)

لاحظ سائر الآيات في «خ ل ق»

جُدَد

...وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. فاطر: ٢٧

ابن عبّاس: طرائق. (الإتقان ٢: ٩٩)

الفرّاء: الخُطَط والطُّرق تكون في الجبال كالعروق، بيض وسود وحُمْر، واحدها: جُدّة. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٣٦٩)

نحوه الطّبريّ (٢٢: ١٣١)، والطّوسيّ (٨: ٤٢٦)، والبغويّ (٣: ٦٩٣).

الأخفش: و«الجُدَد» واحدتها: جُدّة، والجُدَد هي ألوان الطّرائق الّتي فيها مثل الغُدّة وجماعتها الغُدَد، ولو كانت جماعة «الجديد» لكانت «الجُدُد». (٢: ٦٦٥)

الزّجّاج: [نحو الفرّاء وأضاف:]

وكلّ طريقة جادّة وجُدّة. (٤: ٢٦٩)

أبومسلم الأصفهانيّ: الجُدَد: القِطَع، مأخوذ من جددت الشّيء، إذا قطعته. (الماوَرْديّ ٤: ٤٧٠)

الطّوسيّ: (جُدَدٌ) واحده: جُدّة نحو مُدّة ومُدَد، وأمّا جمع جديد: فجُدُد بضمّ الدّال، مثل سرير وسُرر. والجُدُد: الطّرائق. (٨: ٤٢٦)

الزّمخشريّ: بمعنى ومن الجبال ذو جُدَد بيض وحُمْر وسُود حتّى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه، كما قال: ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ فاطر: ٢٧. (٣: ٣٠٧)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٢٧١)، وأبوالسّعود (٥: ٢٨٠)، والقاسميّ (١٤: ٤٩٨٢)، ومكارم الشّيرازيّ (١٤: ٦٩).

ابن عَطيّة: جمع جُدّة وهي الطّريقة، تكون من الأرض والجبل، كالقطعة العظيمة المتّصلة طولًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وحكى أبوعُبَيْدَة في بعض كتبه: أنّه يقال: (جُدَدٌ) في جمع جديد، ولامدخل لمعنى الجديد في هذه الآية.

وقرأ الزُّهْريّ (جَدَد) بفتح الجيم. (٤: ٤٣٧)

العُكبَريّ: (جُدَدٌ) بفتح الدّال: جمع جُدّة، وهي الطّريقة. ويُقرأ بضمّها وهو جمع جديد. (٢: ١٠٧٥)

القُرطُبيّ: الجُدَد: جمع جُدّة، وهي الطّرائق المختلفة الألوان وإن كان الجميع حجرًا أو ترابًا. (١٤: ٣٤٢)

نحوه النّسَفيّ. (٣: ٣٣٩)

أبو حَيّان: قرأ الجمهور (جُدَدٌ) بضمّ الجيم وفتح الدّال، جمع: جُدّة. قال ابن بحر: قِطَع، من قولك: جَدَدتُ الشّيء: قطعته، وقرأ الزّهريّ كقراءة الجمهور. قال صاحب «اللّوامح»: جمع جُدّة، وهي ماتخالف من الطّريق في الجبال لون مايليها، وعنه أيضًا بضمّ الجيم والدّال جمع: جديدة؛ وجُدُد وجدائد، كما يقال في الاسم: سفينة وسُفُن وسفائن. [ثمّ استشهد بشعر]

وعنه أيضًا بفتح الجيم والدّال، ولم يجزه أبو حاتم في المعنى، ولاصحّحه أثرًا. وقال غيره: هو الطّريق الواضح المُبين. وضعه موضع الطّرائق والخطوط الواضحة،

المنفصل بعضها من بعض. وقال صاحب «اللّواح»: (جُدَدٌ) جمع جديد بمعنى آثار جديدة واضحة الألوان.
(٧: ٣١١)

البُرُوسَويّ: ﴿مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ مبتدأ وخبر. والجُدَد: جمع جُدّة بالضّمّ، بمعنى الطّريقة الّتي يخالف لونها مايليها، سواء كانت في الجبل أو في غيره، والخطّة في ظهر الحمار تخالف لونه، وقد تكون للظّبي جُدّتان مِسْكيّتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه.

ولمّا لم يصحّ الحكم على نفس الجُدَد بأنّها من الجبال احتيج إلى تقدير المضاف في المبتدإ، أي ومن الجبال ماهو ذو جُدَد، أي خُطط وطرائق متلوّنة، يخالف لونها لون الجبل. فيؤوّل المعنى إلى أنّ من الجبال ماهو مختلف ألوانه، لأنّ (بِيضٌ) صفة (جُدَدٌ). (٧: ٣٤٢)

الآلوسيّ: و(جُدَدٌ): جمع جُدّة بالضّمّ، وهي الطّريقة، من جَدّه، إذا قطعه.

وقال أبوالفضل: هي من الطّرائق مايخالف لونه لون مايليه، ومنه جُدّة الحمار للخطّ الّذي في وسط ظهره يخالف لونه. [إلى أن قال:]

وقال أبوعُبَيْدَة: لامدخل لمعنى «الجديدة» في هذه الآية. ولعلّ من يقول بتجدّد حدوث الجبال وتكوّنها من مياه تنبع من أرض، وتتحجّر أوّلًا فأوّلًا، ثمّ تنبع من موضع قريب ممّا تحجر فتتحجّر أيضًا وهكذا، حتّى يحصل جبل لايأبى حمل الآية على هذه القراءة على ماذكر.

والظّاهر من الآيات والأخبار أنّ الجبال أحدثها الله تعالى بُعَيد خلق الأرض لئلّا تميد بسكّانها. والفلاسفة يزعمون أنّها كانت طينًا في بحارٍ انحسرت ثمّ تحجّرت. وقد أطال الإمام الكلام على ذلك في كتابه «المباحث المشرقيّة» واستدلّ على ذلك بوجود أشياء بحريّة كالصّدف بين أجزائها، وهذا عند تدقيق النّظر هباء وأكثر الأدلّة مثله، ومن أراد الاطّلاع على ماقالوا فليرجع إلى كتبهم.

وروي عنه أيضًا أنّه قرأ (جَدَد) بفتحتين، ولم يُجِز ذلك أبوحاتم، وقال: إنّ هذه القراءة لاتصحّ من حيث المعنى. وصحّحها غيره، وقال: الجَدَد: الطّريق الواضح المبين، إلّا أنّه وضع المفرد موضع الجمع، ولذا وُصف بالجمع.

وقيل: هو من باب نطفة أمشاج وثوب أخلاق، لاشتمال الطّريق على قِطَع. (٢٢: ١٨٩)

جَدٌّ

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَااتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَاوَلَدًا.

الجنّ: ٣

ابن عبّاس: مُلك ربّنا. (٤٨٨)

نحوه الأخفش. (البغويّ ٥: ١٥٩)

فعله وأمره وقدرته. (الطّبريّ ٢٩: ١٠٣)

سعيد بن جُبَيْر: أي تعالى ربّنا.

(الماوَرْديّ ٦: ١١٠)

مُجاهِد: جلال ربّنا. (الطّبريّ ٢٩: ١٠٤)

نحوه عِكْرِمَة وقَتادَة (الطّبريّ ٢٩: ١٠٤)، والفرّاء (٣: ١٩٢)، والزّجّاج (٥: ٢٣٤)، والواحديّ (٤: ٣٦٣).

ذكره. (الطّبَريّ ٢٩: ١٠٥)

والمعنى تعالى جلال ربّنا وعظمته عن اتّخاذ الصّحابة والولد. (الطّبْرِسيّ ٥: ٣٦٨)

نحوه الحسَن (الطّبْرِسيّ ٥: ٣٦٨)، وقَتادَة (الطّبَريّ ٢٩: ١٠٤).

الضّحّاك: نعم ربّنا على خلقه. (الماوَرْديّ ٦: ١١٠)

نحوه البغَويّ. (٥: ١٥٩)

الحسَن: غنى ربّنا. (الطّبَريّ ٢٩: ١٠٤)

بلاء ربّنا. (البغَويّ ٥: ١٥٩)

قَتادَة: أمر ربّنا. (الطّبَريّ ٢٩: ١٠٣)

نحوه السُّدّيّ (٤٦٣)، وابن زَيْد (الطّبَريّ ٢٩: ١٠٣)

الامام الصّادق عليه السلام: شيء كَذِبه الجنّ فقصّه الله، كما قال. (القُمّيّ ٢: ٣٨٨)

أبو عُبَيْدَة: ملك ربّنا وسلطانه. (٢: ٢٧٢)

الجُبّائيّ: معناه جلّ ربّنا في صفاته، فلاتجوز عليه صفات الأجسام والأعراض. (الطّبْرِسيّ ٥: ٣٦٨)

الطّبَريّ: [بعد أن استعرض الأقوال قال:] وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصّواب، قول من قال: عُني بذلك: تعالت عظمة ربّنا وقدرته وسلطانه. وإنّما قلنا ذلك أولى بالصّواب، لأنّ للجدّ في كلام العرب معنيين:

أحدهما: الجَدّ الّذي هو أبوالأب أو أبو الأُمّ، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النّفر، الّذين وصفهم الله بهذه الصّفة؛ وذلك أنّهم قد قالوا: ﴿فَاٰمَنَّا بِهٖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا اَحَدًا﴾ الجنّ: ٢، ومن وصف الله بأنّ له ولدًا أو جَدًّا، هو أبو أب أوأبو أُمّ، فلاشكّ أنّه من المشركين.

والمعنى الآخر: الجَدّ الّذي بمعنى «الحظّ» يقال: فلان ذو جَدّ في هذا الأمر، إذا كان له حظّ فيه، وهو الّذي يقال له بالفارسيّة: «البخت»، وهذا المعنى الّذي قصده هؤلاء النّفر من الجنّ بقيلهم: ﴿وَاَنَّهٗ تَعَالٰى جَدُّ رَبِّنَا﴾ إن شاء الله.

وإنّما عنوا أنّ حظوته من المُلك والسّلطان والقدرة والعظمة عالية، فلاتكون له صاحبة ولاولد، لأنّ الصّاحبة إنّما تكون للضّعيف العاجز، الّذي تضطرّه الشّهوة الباعثة إلى اتّخاذها، وأنّ الولد إنّما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الّذي يحدث منه الولد؛ فقال النّفر من الجنّ: علامُلك ربّنا وسلطانه وقدرته وعظمته، أن يكون ضعيفًا ضَعْف خلقِه الّذين تضطرّهم الشّهوة إلى اتّخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد.

وقد بيّن عن صحّة ماقلنا في ذلك إخبار الله عنهم، أنّهم إنّما نزّهوا الله عن اتّخاذ الصّاحبة والولد بقوله: ﴿وَاَنَّهٗ تَعَالٰى جَدُّ رَبِّنَا مَااتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَاوَلَدًا﴾ يقال منه: رجل جَدّيّ وجديد، ومجدود، أي ذو حظّ فيما هو فيه. [ثمّ استشهد بشعر] (٢٩: ١٠٥)

الطُّوسيّ: معناه: تعالى عظمة ربّنا، لانقطاع كلّ شيء عظمة عنها لعلوّها عليه، ومنه الجَدّ أبو الأب، والجَدّ: الحظّ، لانقطاعه بعلوّ شأنه.

والجِدّ: ضدّ الهَزَل، لانقطاعه عن السُّخف. ومنه الجديد لأنّه حديث عهد بالقطع في غالب الأمر.

وفي رواية عن الحسَن: تعالى غِنى ربّنا، وكلّ ذلك يرجع إلى معنى وصفه بأنّه عظيم غنيّ. (١٠: ١٤٧)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٥: ٣٦٨)

القُشَيريّ: الجَدّ: العظمة، والعظمة استحقاق نعوت الجلال. (٦: ٢٠٦)

ويجوز إطلاق لفظ «الجَدّ» في حقّ الله تعالى، إذ لو لم يجز لما ذُكر في القرآن، غير أنّه لفظ موهم فتجنّبه أولى. (القُرطُبيّ ١٩: ٨)

الزّمَخْشَريّ: عظمته، من قولك: جَدّ فلان في عيني، أي عظم ...أو مُلكه وسلطانه أو غناه، استعارة من «الجَدّ» الّذي هو الدّولة والبخت، لأنّ الملوك والأغنياء هم المَجْدودون. والمعنى: وصفه بالتّعالي عن الصّاحبة والولد، لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه، وقوله: ﴿مَااتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَاوَلَدًا﴾ بيان لذلك.

وقرئ (جَدًّا رَبُّنَا) على التّمييز، و(جِدُّ رَبِّنَا) بالكسر، أي صدق ربوبيّته وحقّ إلهيّته عن اتّخاذ الصّاحبة والولد، وذلك أنّهم لمّا سمعوا القرآن ووُفّقوا للتّوحيد والإيمان، تنبّهوا على الخطإ فيما اعتقده كفرة الجنّ، من تشبيه الله بخلقه واتّخاذه صاحبة وولدًا، فاستعظموه ونزّهوه عنه. (٤: ١٦٧)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٥٠٩)، والنَّيسابوريّ (٢٩: ٦٥)، والشِّربينيّ (٤: ٣٩٩)، والكاشانيّ (٥: ٢٣٤)، والبُرُوسَويّ (١٠: ١٩٠)، والآلوسيّ (٢٩: ٨٤).

ابن عَطيّة: قرأ جمهور النّاس (جَدُّ رَبِّنَا) بفتح الجيم وضمّ الدّال وإضافته إلى الرّبّ، وقال جمهور المفسّرين: معناه عظمته. [ثمّ ذكر بعض الأقوال وقال:]

كلّه متّجه، لأنّ «الجَدّ» هو حظّ المجدود، من الخيرات والأوصاف الجميلة؛ فجَدّ الله تعالى هو الحظّ الأكمل من السّلطان الباهر والصّفات العليّة والعظمة.

[إلى أن قال:]

وقرأ محمّد بن السّميقع اليمانيّ (جِدُّ رَبِّنَا) وهو من الجِدّ والنّفع.

وقرأ عِكْرِمَة (جَدٌّ رَبُّنَا) بفتح الجيم وضمّ الدّال وتنوينه ورفع الرّبّ، كأنّه يقول: تعالى عظيمٌ هو ربّنا، فـ«رَبُّنَا» بدل، والجَدّ: العظيم في اللّغة.

وقرأ حميد بن قيس (جُدُّ رَبِّنَا) بضمّ الجيم، ومعناه ربّنا العظيم، حكاه سيبويه. وبإضافته إلى «الرّبّ» فكأنّه قال: عظيم، وهذه إضافة تجديد، يوقع النّحاة هذا الاسم إذا أُضيفت الصّفة إلى الموصوف، كما تقول: جائني كريم زيد: تريد زيدًا الكريم، ويجري مجرى هذا عند بعضهم. (٥: ٣٧٩)

نحوه أبوحَيّان. (٨: ٣٤٧)

الفَخْرالرّازيّ: وفيه مسائل:

المسألة الأُولى: في «الجَدّ» قولان:

الأوّل: الجدّ في اللّغة: العظمة، يقال: جدّ فلان، أي عظم، ومنه الحديث: «كان الرّجل إذا قرأ سورة البقرة جَدّ فينا» أي جلّ قدره وعظم، لأنّ الصّاحبة تتّخذ للحاجة إليها، والولد للتّكثّر به والاستئناس، وهذه من سمات الحدوث، وهو سبحانه منزّه عن كلّ نقص.

القول الثّاني: الجَدّ: الغنى، ومنه الحديث: «لاينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ». قال أبوعُبَيْدَة، أي لاينفع ذا الغنى منك غناه، وكذلك الحديث الآخر: «قمت على باب الجنّة فإذا عامّة من يدخلها الفقراء، وإذا أصحاب الجَدّ محبوسون» يعني أصحاب الغِنى في الدّنيا، فيكون المعنى وأنّه تعالى غنيّ عن الاحتياج إلى الصّاحبة والاستئناس بالولد.

وعندي فيه قول ثالث: وهو أنّ جدّ الإنسان: أصله الّذي منه وجوده، فجعل الجدّ مجازًا عن الأصل، فقوله تعالى: (جَدُّ رَبِّنَا) معناه: تعالى أصل ربّنا، وأصل حقيقته المخصوصة الّتي لنفس تلك الحقيقة، من حيث إنّها هي تكون واجبة الوجود. فيصير المعنى: أنّ حقيقته المخصوصة متعالية عن جميع جهات التّعلّق بالغير، لأنّ الواجب لذاته يجب أن يكون واجب الوجود من جميع جهاته، وماكان كذلك استحال أن يكون له صاحبة وولد. [ثمّ أدام نحو الزّمخشريّ] (٣٠: ١٥٤)

أبوالسّعود: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ بالفتح، قالوا: هو ومابعده من الجمل المصدّرة بـ«أنّ» في أحد عشر موضعًا، عطف على محلّ الجارّ والمجرور في ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ الجنّ: ٢، كأنّه قيل: فصدّقناه وصدّقنا أنّه تعالى جدّ ربّنا، أي ارتفع عظمته، من جدّ فلان في عيني، أي عظم تمكّنه أو سلطانه أو غناه، على أنّه مستعار من الجدّ الّذي هو البخت، والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصّاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه لغناه، وقرئ بالكسر، وكذا الجمل المذكورة عطفًا على المحكيّ بعد القول، وهو الأظهر لوضوح اندراج كلّها تحت القول، وأمّا اندراج الجمل الآتية تحت الإيمان والتّصديق كما يقتضيه العطف على محلّ الجارّ والمجرور ففيه إشكال. (٦: ٣١٤)

سيّد قُطْب: والجدّ: الحظّ والنّصيب، وهو القدر والمقام، وهو العظمة والسّلطان، وكلّها إشعاعات من اللّفظ تناسب المقام. والمعنى الإجماليّ منها في الآية هو التّعبير عن الشّعور باستعلاء الله سبحانه وبعظمته وجلاله، عن أن يتّخذ صاحبة ـ أي زوجة ـ وولدًا بنين أو بنات. (٦: ٣٧٢٧)

بنت الشّاطِئ: الكلمة وحيدة الصّيغة في القرآن، ومعها فيه من مادّتها «جديد» ثماني مرّات، كلّها صفة لخلق و(جُدَدٌ) في آية فاطر: ٢٧ ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾.

وتفسير (جَدُّ رَبِّنَا) بعظمته، ممّا تحتمله الدّلالة اللّغويّة، فمن معاني «الجدّ» في العربيّة: أبو الوالدين، وأحد الأجدادين والجُدود، والبخت والحظّ، والحظوة، والرّزق، والعظمة. والجِدّة: ضدّ البلى، وجدّد الشّيء صيّره جديدًا، والجادّة: الطّريق المسلوك الممهّد، والجِدّ: الاجتهاد، والجديدان: اللّيل والنّهار، بما في تعاقبهما من تجدّد آيتهما.

على أنّ الرّاغب فسّر «الجدّ» في الآية المسؤول عنها بالفيض الإلهيّ ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي فيضه، وقيل: عظمته. وإضافته إليه تعالى على سبيل الاختصاص بملكه. وسمّي ماجعل الله من الحظوظ الدّنيويّة «جدًّا» وهو البخت.

وفي حديث الدّعاء: «تبارك اسمك وتعالى جدّك» قال ابن الأثير: أي علا جلالك وعظمتك.

ولعلّ وجه التّقريب في تفسير «الجدّ» بالعظمة، جاء من لمح مافي الجدّ من دلالة على ماأبدع سبحانه من نظام الكون، وماهدى إلى نهج الطّريق السّويّ.

والملحظ في البيان القرآنيّ أنّه لايستعمل «الجديد» إلّا في النّشأة الأُخرى بعد الموت والبِلى، فكلّ خلق جديد في القرآن، هذه النّشأة الأُخرى. أمّا النّشأة الأُولى فيعبّر عنها القرآن بالخلق، إبداعًا وتكوينًا؛ وذلك

كلّه من آيات القدرة الإلهيّة وعظمتها.

وسياق الآية يؤنس إلى ما في الجدّ من عظمة وتفرّد، بتمام آيته. (الإعجاز البيانيّ: ٣٥٢)

الطَّباطَبائيّ: فسّر «الجدّ» بالعظمة وفسّر بالحظّ، والآية في معنى التّأكيد، لقولهم: ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجنّ: ٢. (٢٠: ٤٠)

عبد الكريم الخطيب: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: مُلكه وسلطانه ومجده. وأصل الجدّ: الحظّ والنّصيب الّذي يصيبه الإنسان في حياته من حظوظ الدّنيا. فجَدّه هو كلّ ماله من مال ومتاع، وبنين وعلم وجاه وسلطان.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ هو معمول لفعل محذوف، معطوف على قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ الجنّ: ١، أي ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ وعلمنا ممّا سمعنا أنّه ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

وهكذا كلّ ما جاء على لسان الجنّ بعد هذا، هو معمول لفعل مترتّب على استماعهم لما استمعوا من آيات الله، وما كشفت لهم من حقّ وهُدى.

وقولهم: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أي عظم مجده وتعالى سلطانه، وتنزّهت عزّته عن أن يتّخذ صاحبة أو ولدًا. فإنّ اتّخاذ الصّاحبة أو الولد، إنّما يكون عن حاجة إليهما؛ بحيث لو افتقد الإنسان وجودهما بين يديه تطلّعت إليهما نفسه، وشغل بهما قلبه، والله سبحانه في غنى عن كلّ شيء، فكلّ شيء هو منه، وله وإليه. (١٥: ١٢٢٢)

مكارم الشّيرازيّ: وبعد إظهار الإيمان ونفي الشّرك بالله تعالى ينتقل كلامهم إلى تبيان صفات الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

جَدّ: لها معان كثيرة في اللّغة، منها: العظمة والشّدّة، والجِدّ والقسمة والنّصيب وغير ذلك. وأمّا المعنى الحقيقيّ لها ـ كما يقول الرّاغب في «المفردات» ـ فهو القطع، وتأتي بمعنى «العظمة» إذا كان هناك كائن عظيم منفصل بذاته عن بقيّة الكائنات، وكذلك يمكن الأخذ بما يناسب بقيّة المعاني التّابعة لها. وإذا ما أطلقنا لفظة «الجدّ» على والديّ الأبوين فإنّما يعود ذلك إلى كِبَر مقامهما أو عمرهما.

وذكر آخرون معاني محدودة لهذه الكلمة، فقد فسّروها بالصّفات والقدرة والملك والحاكميّة والنّعمة والاسم، وتجتمع كلّ هذه المعاني في معنى «العظمة».

وهناك ادّعاء في أنّ المقصود هنا هو الأب الأكبر «الجدّ». وتشير الرّوايات إلى أنّ الجنّ لقلّة معرفتهم اختاروا هذا التّعبير غير المناسب، وهذا إشارة إلى نهيهم عن ذكر مثل هذه التّعابير.

ويمكن أن يكون هذا الحديث التفاتًا منهم إلى أُمور كهذا الادّعاء، وإلّا لم يذكر القرآن هذا التّعبير والتّوافق عليه، وقد ذكر هذا الأُسلوب في التّعبير أيضًا في «نهج البلاغة»، كما في الخطبة (١٩١): «الحمد لله الفاشي في الخلق حمدُه، والغالب جُندُه، والمتعالي جَدّه».

وورد في بعض الرّوايات أنّ أنس بن مالك قد قال: كان الرّجل إذا قرأ سورة البقرة جدّ في أعيننا.

على كلّ حال فإنّ استعمال هذه اللّفظة في الجدّ والعظمة مطابق لما في نصوص اللّغة، ومن الملاحظ أنّ خطباء الجنّ معتقدون بأنّ الله غير متّخذ لنفسه صاحبة

ولاولدًا، ويحتمل أن يكون هذا التّعبير نفي للخرافة المتداولة بين العرب؛ حيث قالوا: إنّ لله بنات لزوجة من الجنّ قد اتّخذها لنفسه، وورد هذا الاحتمال في تفسير الآية (١٥٨) من سورة الصّافّات ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾. (١٩: ٧٧)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة الجَدّ، أي أبو الأب وأبو الأمّ، والجمع: أجداد وجُدُود، ومؤنّثه: الجَدّة، وهي أمّ الأمّ وأمّ الأب، والجمع: جَدّات. وقضينا بأصالته هنا لأنّه مَغرِس الذّرّيّة، وهم مجتناه المصروم.

ومنه: جَداد النّخل وجُداده، وهو صرامه ومايقطع منه ويستأصل، يقال: جَدّ النّخل يَجُدّه جَدًّا وجِدادًا وجَدادًا، أي صرمه، وأجَدّ النّخل: حان له أن يُجَدّ، والجَداد والجِداد: أوان الصّرام.

والجَدّاء من الغنم والإبل: المقطوعة الأُذن، يقال: جَدّ الشّيء يَجُدّه جَدًّا، أي قطعه، والجَدّ أيضًا: الشّاة والنّاقة المقطوعتا الأخلاف؛ يقال: جُدّت أخلاف النّاقة، أي أضرّ بها الصّرار وقطعها، فهي ناقة مُجَدّدة الأخلاف.

ثمّ أُطلق الجَدّاء على كلّ ذات ضرع انقطع لبنها، وهي جَدُود وجَدُودة، يقال: تجدّد الضّرع، أي ذهب لبنه، وجَدّ الثّدي يَجَدّ جَدَدًا: يَبِسَ، فهو ثديٌ أجدُّ، وجُدَّ ثدي أمّه، إذا دعي عليه بالقطيعة.

ويقال توسّعًا: امرأةٌ جَدّاء، أي صغيرة الثّدي، وفلاةٌ جَدّاء: لاماء بها، وسنةٌ جَدّاء: مَحْلَة، وكذا عامٌ أجدُّ. والجَدُّ والجُدُّ: البئر القليلة الماء.

وثوبٌ جديد: مجدود، يراد به حين جَدّه الحائك، أي قطعه، وكذا مِلحفة جديد وجديدة، ومُلاءةٌ جديدٌ، بغير هاء، لأنّها بمعنى مجدودة، أي مقطوعة، وحَبْل جديدٌ: مقطوع.

والجَدَد: الأرض الصّلبة أو المستوية، وكأنّها اقتطعت من سائر الأرض، يقال: هذا طريق جَدَدٌ، أي مستوٍ، لاحدب فيه ولاوُعوثة، وأجَدّ الطّريق: صار جَدَدًا، وأجَدّ القوم: صاروا إلى الجَدَد، وهذا الطّريق أجَدُّ الطّريقين، أي أوطؤهما وأشدّهما استواء وأقلّهما عُدَواء. والجَدَد من الرّمل: مااسترّق منه، وأجدَّتْ لك الأرض: انقطع عنك الخَبار ووضحت، وأجَدّ القوم: ركبوا جَدَد الرّمل، أو علوا جديد الأرض، أي وجهها، وهو الجَدّ والجِدّ والجَدَد.

وجادّة الطّريق: مسلكه وماوضح منه، والجمع: جوادّ، سمّيت بذلك لأنّها ذات جُدّة وجُدُود، وهي طُرُقاتها وشُرُكها المخطّطة في الأرض.

والجُدّة: الخطّة السّوداء في متن الحمار، والطّريقة في السّماء والجبل، والجمع: جُدَد. وجُدّة النّهر وجِدّته وجُدّه وجَدّه: ضفّته وشاطئه. ويقال مجازًا: ركب فلانٌ جُدّةً من الأمر، أي طريقةً ورأيًا رآه.

والجِدّة: نقيض البِلَى، من قولهم: ثوب جديد، أي قريب القطع. والجمع: أجِدّة وجُدُد وجُدَد؛ يقال: جَدّ الثّوب والشّيء يَجِدّ جِدّةً وتجدّد، أي صار جديدًا، وأجَدّ ثوبًا وجدّده واستجدّه: صيّره جديدًا، والأجَدّان والجَديدان: اللّيل والنّهار، لأنّهما لايَبلَيان أبدًا، يقال: لا أفعل ذلك مااختلف الأجدّان والجديدان، أي اللّيل والنّهار.

والجِدّ: نقيض الهزل، يقال: جَدّ في الأمر يَجِدُّ ويَجُدُّ جِدًّا وأجَدّ، أي حقّق وصارذا جدّ واجتهاد، وهو جادّ ومُجِدّ. وهو من هذا الباب أيضًا، لأنّه ـ كما قال ابن فارس ـ يَصرِمُه صريمةً ويَعزِمُه عزيمةً، وجادّه في الأمر: حاقّه، وجَدّ السّير وفيه: انكش فيه، وهو على جِدّ أمر، أي عجلة أمر، وجَدّ به الأمر وأجَدّ: اجتهد، وعذابٌ جِدٌّ: محقّق مبالغ فيه.

والجَدّ: الحظّ والغنى والعظمة، والجمع: أجداد وأجُدّ وجُدود، لأنّه ممّا جعله الله للإنسان وأقطعه إيّاه، يقال: فلانٌ ذو جَدّ في كذا، أي ذو حظّ، وفلانٌ صاعد الجَدّ: صاعد الحظّ في الدّنيا. ورجل جُدٌّ: مجدود عظيم الجَدّ، وقد جَدّ، وهو أجَدّ منك، أي أحظّ، والجمع: جُدّون. ورجل جَديدٌ ومَجدُودٌ: ذو حظّ من الرّزق، وهم يَجِدّون بهم ويُحظَون بهم: يصيرون ذا حظّ وغنى، وجُدِدتُ بالأمر جَدًّا: حظيت به.

٢ـ وليس منه: جديدة السّرج والرّحل، أي اللِّبْد الّذي يلزق بهما من الباطن، لأنّها من «ج د ي» كما أفاده الجَوهَريّ، وقال: «ولاتقل: جديدة، والعامّة تقولها».

ولا الجَدّاد، أي صاحب الحانوت الّذي يبيع الخمر ويعالجها، لأنّه مصحّف «الحَدّاد» كما نبّه عليه الأزهَريّ.

وكذا الجُدّاد، أي الخيوط المعقّدة، فقيل: هو بالنّبطيّة «كُدّاد»، ولم نعثر على مايُعتدّ به في هذا المعنى، غير أنّه ورد في السّريانيّة بلفظ «جُدودا»، فلعلّه سريانيّ الأصل.

والجُدّاد أيضًا: الخُلقان من الثّياب، قالوا: أصله فارسيّ، وهو كذلك، إذ جاء في هذه اللّغة بلفظ «گداد»، وبلفظ «كُراد» و«كَزاد» و«كِزاد» و«كُراده» و«كَراده» و«كَراره» أيضًا.

وقيل أيضًا: جُدّ النّهر وجِدّه وجُدّته ـ أي شاطئه ـ نبطيّ الأصل، ولكنّنا لم نعثر في المظانّ على مايفيد ذلك، كما لم يرد هذا المعنى في سائر اللّغات السّاميّة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها ثلاثة ألفاظ: جَدّ مرّة، وجديد (٨) مرّات وجُدَد مرّة:

١ـ ﴿وَاَنَّهُ تَعَالٰى جَدُّ رَبِّنَا مَااتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَاوَلَدًا﴾ الجنّ: ٣

٢ـ ﴿وَاِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءَاِذَا كُنَّا تُرَابًا ءَاِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ...﴾ الرّعد: ٥

٣ـ ﴿وَقَالُوا ءَاِذَا ضَلَلْنَا فِى الْاَرْضِ ءَاِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ السّجدة: ١٠

٤ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ اِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ اِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ سبأ: ٧

٥ـ ﴿وَقَالُوا ءَاِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الإسراء: ٤٩

٦ـ ﴿ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاٰيَاتِنَا وَقَالُوا ءَاِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الإسراء: ٩٨.

٧ـ ﴿اَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْاَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ق: ١٥

٨ـ ﴿اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إبراهيم: ١٩

٩ـ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

فاطر: ١٦

١٠ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر: ٢٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ (جَدُّ رَبِّنَا) فُسّر بمُلك ربّنا وسلطانه، أمره وقدرته، جلاله وعظمته، نعمه، غناه، بلاءه، صفاته، فيضه، حظّه من المُلك والسّلطان والعزّة والعظمة.

قال الزّمخشريّ: «هو استعارة من الجدّ الّذي هو الدّولة والبخت». وحكى الفخرالرّازيّ قولين: العظمة والغنى، ثمّ قال: «وعندي فيه قول ثالث، وهو أنّ جدّ الإنسان أصله الّذي منه وجوده فجعل (الجدّ) مجازًا عن الأصل، أي تعالى أصل ربّنا» ووضّحه بأنّه واجب الوجود، وهو فوق كلّ موجود.

وقال سيّد قُطب بعد ذكر بعض الوجوه: «فكلّها إشعاعات من اللّفظ تناسب المقام، والمعنى الإجماليّ منها هو التّعبير عن الشّعور باستعلاء الله سبحانه، وبعظمته وجلاله عن أن يتّخذ صاحبة وولدًا».

وعندنا أنّ الأنسب بسياق الآية هو الجلال والعزّة والعظمة ونحوها، دون المعاني الأُخر، وأبعدها (الجدّ) بمعنى أب الأب، ثمّ الحظّ، وإن أمكن إرجاعها إليه كما تقدّم في الأُصول اللّغويّة.

ثانيًا: جاء (جَديد) وصفًا لـ(خَلْق) في (٦) آيات: (٢ ـ ٧) تبيينًا لبعث الأموات، والمراد به تجديد حياة الموتى وإعادتهم مرّة أُخرى، وهذا هو الرّكن الثّالث للإيمان بعد التّوحيد والرّسالة، وكان المشركون العرب يستبعدوه وينكرونه أشدّ الإنكار، وقد تكرّر انكارهم في الخمسة الأُولى بلسان التّعجّب، كأنّهم سمعوا أمرًا محالًا. وقد أجابهم الله وناقضهم بالخلق الأوّل في (٧): ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي أنتم تعترفون بأنّ الله خلقكم ثمّ تنكرون خلقًا جديدًا وتستحيلونه!! ثمّ نبّه على أنّهم التبس عليهم الأمر فضلّوا عن الخلق الجديد، ولم يؤمنوا به، وقد احتجّ الله عليهم بالخلق الأوّل مرّات منها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الرّوم: ٢٧.

ثالثًا: جاء في (٨و٩): ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والخلق الجديد فيهما هو خلق جماعة أُخرى مكان الّذين يذهبهم دون إعادتهم، فمغزى الآيتين عكس تلك الآيات الّتي أكّدت على قدرته على إعادتهم بعد موتهم، فهما تؤكّدان على قدرته على إذهابهم وعلى خلقٍ جديدٍ مكانهم، لأنّ من قدر على بناء الشّيء كان على هدمه وبناء شيء آخر مثله أقدر.

رابعًا: كلمة (خَلْق) في الآيتين بمعنى المخلوق، أمّا في تلك الآيات فتحتمله، ولاسيّما في (٥و٦) ﴿ءَاِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي مخلوقًا جديدًا أو هو مصدر مفعول لما يفهم من (مبعوثون) أي مخلوقون خلقًا جديدًا، أمّا في ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فكونه مصدرًا أقرب، وأقرب منه أن يقال: جاء فيها «خلق جديد» صفة وموصوفة منكّرتين إبهامًا وإعظامًا بثلاثة صور (فِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) و(مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) و(خَلْقًا جَدِيدًا) بسياق واحد،

ولغاية واحدة سواء من قول المنكرين في (٢ ـ ٦) أو في قول الله في (٧)، وهذا يقتضي وحدة المعنى من «خلق» في الجميع مصدرًا أو اسم مفعول، والثّاني هو الظّـاهر، ولاسيّـما بملاحظة (٨و٩) فإنّ المراد بهما «نأت بمخلوق جديد»، لاحظ «خ ل ق».

خامسًا: في (١٠) ﴿جُدَدٌ بِيضٌ﴾ جُدَد جمع جُدّة، نحو: الغُـدّة والغُـدَد، والمُـدّة والمُـدَد. وقـد فـسّروها بـ«الخُطَط والقِطَع»، فالأُولى هي العروق المـتلوّنة مـن الجبال، والثّانية هي القِطَع المتلوّنة من الأحجار فـيها، وكـلاهما مـوجودان، إلّا أنّ الثّـانية أشـبه بـالثّمرات والغرابيب، فإنّ الثّمرات والغرابيب ألوانهامختلفة تمامًا، وليس فيها خطوط متلوّنة. لاحظ «ب ي ض».

سادسًا: الآيات كلّها مكّيّة سوى (٢) لأنّ أكثرها في إنكار المعاد، وكان إنكاره في مكّة أكثر وأشدّ.





ج د ر

٤ ألفاظ، ٤ مرّات: ٢ مكّيّتان، ٢ مدنيّتان

في ٣ سور: ١ مكّيّة، ٢ مدنيّتان

أجْدَر ١: ـ ١	الجِدار ١: ١	
جُدُر ١: ـ ١	جِدارًا ١: ١	

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَذْر: ضرب من النّبات، الواحدة بالهاء.

ومن الشّجر: الدِّقّ، ينبت في القِفاف والصِّلاب.

فإذا أطلعَتْ رُؤوسَها في أوّل الرّبيع، يقال: أجدَرَت الشّجرة وأجدَرَت الأرض، فهو جَدِرٌ، [وفي نسخة: مُجدِر] حتّى يطول، فإذا طال تفرّقت أسماؤه.

والجِدار: جمعه جُدُر.

والجدير: مكان بُني حوالَيْه جدار مَجْدور.

والجُدَريّ: معروف، وصاحبه مجدور ومُجدَّر، وهو قروح تَنفَطُ عن الجلد.

والجَدَر: انتبار في عنق الحمار، وربّما كان من آثار الكَدْم، وجَدِرت عنقُه جَدَرًا، إذا انتبَرت أعراضه.

وفلان جدير لذاك، وقد جَدُر جَدارة، وأَجْدِرْ به أن يفعله، أي خليق.

والجَدْر: شدّة الشُّرب.

وامرأة جَيْدَرة: قصيرة، ورجل جَيْدَر وجَيْدَرة أيضًا. (٦: ٧٤)

ابن شُمَيْل: الجَدَرة: غُدَدة تكون في عُنُق البعير، يسقيها عِرْقٌ في أصلها نحو السِّلعة برأس الإنسان، وجمل أجدَر، وناقة جَدْراء. (الأزهَريّ ١٠: ٦٣٦)

أبوعمرو الشَّيبانيّ: والجادر، حين طَلَع ورقه، فقد جَدَر، وهو الجَدْر. (١: ١٢٣)

أبوزَيْد: [الجديرة] كنيف البيت مثل الحُجرة يُجمع من الشّجر، وهي الحظيرة أيضًا. والحِظار: ماحُظِر على نبات بشجر.

فإذا كانت الحظيرة من حجارة فهي جَديرة، فإن كان من طين فهو جِدار. (الأزهَريّ ١٠: ٦٣٦)

الأصمعيّ: الجيدَر: القصير، والجُدَّر بالدّال: القصير أيضًا. (الأزهَريّ ١٠: ٦٣٦)

اللّحيانيّ: إنّه لجدير أن يفعل ذاك، وإنّهما لجديران، وإنّهم لجديرون. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال للمرأة: إنّها لخليقة وجديرة أن تفعل ذاك، وإنّهنّ لجديرات وجدائر أن يفعلن ذاك.

(الأزهَريّ ١٠: ٦٣٥)

وإنّه لَجَدَرة أن يفعل، وكذلك: الاثنان والجميع.

وإنّها لَجَدَرة بذلك وبأن تفعل ذلك، وكذلك: الاثنتان والجميع. (ابن سيده ٧: ٣٠٨)

والجَدَر: السّلَع تكون بالإنسان، أو البثور النّابتة، واحدتها: جَدَرة. والجُدَر: آثار ضربٍ مرتفعةٌ على جلد الإنسان، الواحدة: جُدَرَة. فمن قال: الجَدَريّ، نسبة[1] إلى الجُدَر، ومن قال: الجَدَريّ، نسبة إلى الجَدَر.

(ابن سيده ٧: ٣٠٩)

ابن الأعرابيّ: الجَدَرة: الحبّة من الطّلع. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَدْر والجِدار: معروفان.

وأجدَر الشّجر، وجدَّر، إذا أخرج ثمره كأنّه الحِمّص.

والجَدَرة: الوَرَمة في أصل لَحْي البعير.

(الأزهَريّ ١٠: ٦٣٤ ـ ٦٣٦)

أبو عُبَيْد: في حديث الزّبير بن العوّام رحمه الله: أنّه خاصم رجلًا من الأنصار في سيول شِراج الحَرّة إلى النّبيّ ﷺ «يازبير احْبس الماء حتّى يبلغ الجَدْر»...

وأمّا الجَدْر فهو الجِدار، ومنه قول ابن عبّاس رحمه الله حين سُئل عن «الحطيم» فقال: هو الجَدْر.

فيقول: احبس الماء في أرضك حتّى ينتهي إلى الجِدار، ثمّ أرسله إلى من هو أسفل منك. (٢: ١٦٠)

ابن السّكّيت: يقال: إنّه لخليق أن يفعل كذا وكذا، وقد خلُق خلاقةً. ومَخْلَقةٌ منه كذا وكذا، وهو بيّن الخلاقة، وإنّه لجدير أن يفعل كذا وكذا، وقد جَدُر جَدارَة، ومَجْدَرة منه أن يفعل كذا وكذا. (٥١١)

الدّينَوريّ: وأجدَر الوليع، وجادَر: اسْمَرّ وتغيّر.

(ابن سيده ٧: ٣٠٩)

الجَدْر كالحَلَمة غير أنّه صغير يتربّل، وهو من نبات الرّمل ينبت مع المَكْر، وجمعه: جُدُور. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن سيده ٧: ٣١١)

الحَربيّ: قَمِنٌ وخَليقٌ وجديرٌ وحريٌّ، أي قريب. (٢: ٤٥٩)

المُبرّد: وتأويل: قمِن وحقيق وجدير وخليق واحد، أي قريب من ذاك، هذه حقيقته. (٢: ١٩)

ثَعْلَب: وجَدَر الرّجل: توارى بالجدار.

(ابن سيده ٧: ٣١٠)

ابن دُرَيْد: الجَدْر: مصدر جَدَرت الجدار جَدْرًا، إذا حوّطته. وفي الحديث: «حتّى يبلغ الماء الجَدْر» أي أصل الجدار.

والجَدَرة: حيٌّ من الأزْد، بنوا جدار الكعبة، فسُمّوا الجَدَرة، منهم سعد بن سيل جدّ قصيّ بن كلاب، أبو فاطمة بنت سعد بن سيل.

والجُدَريّ والجَدَريّ: معروف. وشاة جدراء، إذا

---

(١) كذا في الموردين، والظّاهر «نسبه».

تقوّب جلدها من داء يصيبها، وليس من الجُدَريّ.

والجديرة: حظيرة تُعمل للبُهَم مثل الصِّيرة من أحجار، والجمع: الجدائر، الصِّيرة: الحظيرة.

وفلان جدير بكذا وكذا، أي حريّ به. وفلان مُجْدَر بكذا وكذا، أي جدير به، وماأجدَره به!

والجَدَرة: سلعة تظهر في الجسد، والجمع: أجدار، وبه سمّي عامر الأجدار أبوقبيلة من كلب، كانت به سِلع، فسمّي بذلك. (٢: ٦٤)

القاليّ: يقال: إنّه لخليق لكذا وكذا وقد خَلُق خلاقة، وإنّه لجدير بكذا وكذا وقد جَدُر جَدارة ...

ويقال في هذا كلّه:ماأخلقه وأجدَره وأحراه وأعساه وأقنه وأحجاه وماأقرَنه. ويقال في هذا كلّه: أفْعِل به، أعْسِ به، أقْرِف به. (١: ٩٦)

الأزهَريّ: في حديث الزّبير [المتقدّم] أراد بالجَدْر: مارُفع من أعضاد المزرعة لتمسك الماء كالجدار.

ويقال: جَدِر الكَرْم يَجْدَر جَدَرًا، إذا حبّب وهمّ بالإيراق. (١٠: ٦٣٤، ٦٣٦)

الصّاحِب: الجَدْر: ضرب من النّبات والشّجر الدّقّ. يقال: أجْدَرت الأرض والشّجر، فهي جَدْر، حتّى تطول.

وجَدَر الشّجر يَجْدُر جُدُورًا، وأجْدَر أيضًا بالألف، إذا حبّب قبل أن يُورِق.

وأوّل مايكون في جوف الطّلع: الوَليع، ثمّ الجَدَر.

والجَدَر: انتبار في عُنُق الحمار، وربّما كان من آثار الكَدْم. وتسمّى الضّواة الّتي تخرج بلَهازم البعير: جَدَرةً.

والجِدار: معروف، وجمعه: جُدُر، وكذلك الجَدْر، وهو أيضًا الحاجز بين المَشارتين. وسمّي الجدار، لأنّه جَدَر فارتفع، كما يَجْدُر الجُدَريّ والشّجرة.

والجديرة: مكان قد بُني حواليه جدار مَجْدُور، وهي أيضًا الحظيرة من الحجارة، والحوض.

والجُدَريّ: قروح تَنفَطُ عن الجلد، مُمتلئة ماءً، ثمّ تُقَيّح. ورجل مَجْدُور ومُجَدَّر.

وفلان جدير لذاك، أي خليق له، وماكان جديرًا ولقد جَدُر جَدارةً، وأجْدِرْ به! وجَدَّرتُه أنا: جعلته جديرًا به.

والجَيْدَر: القصير من الرّجال، والمرأة: جيدرة، وجمعه: جَيادِر.

والمَجْدُور من الرّجال: القليل اللّحم على العِظام.

واجدَرّ بمعنى اجترّ. (٧: ٣٦)

الجَوهَريّ: الجَدْر والجِدار: الحائط. وجمع الجِدار: جُدُر، وجمع الجَدْر: جُدْران، مثل بَطْنٍ وبُطْنان.

والجَدْرُ أيضًا: نَبْت، وقد أجْدَر المكان. والجَدَر: أثر الكَدْم بعُنق الحمار. [ثمّ استشهد بشعر]

وشاة جَدْراء، إذا تقَوّبَ جلدها من داء يصيبها.

والجُدَريّ بضمّ الجيم وفتح الدّال، والجَدَريّ بفتحهما: لغتان، تقول: جُدِّرَ الرّجل فهو مُجَدَّرٌ، وأرض مُجْدَرة: ذات جُدَريّ.

ويقال أيضًا: هذا الأمر مَجْدَرة لذلك، أي مَحْرَاةٌ.

وفلان جَديرٌ بكذا، أي خليق، وأنت جَديرٌ أن تفعل كذا. والجمع: جُدَراء وجَديرُون.

والجَدير: مكان قد بُني حوالَيْه جِدارٌ.

ويقال للحظيرة من صخر: جَديرَة.

وجَدَرُ: قرية بالشّام تُنسَب إليها الخمر. [ثمّ استشهد بشعر]

والجدَرَة: خُرَّاجٌ، وهي السِّلْعة، والجمع: جَدَرٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَدَرَة أيضًا: حَيٌّ من الأزْدِ، ويقال: سمّوا بذلك، لأنّهم بنَوا جِدارَ الكعبة.

وجَنْدَرْتُ الكتاب، إذا أمْرَرت القلم على مادَرَس منه ليتبيّن، وكذلك الثّوب إذا أعَدْتَ وشْيَه بعد ماكان ذهَبَ. وأظنّه مُعَرّبًا. (٢: ٦٠٩)

نحوه الرّازيّ. (١١٠)

ابن فارِس: جدر: الجيم والدّال والرّاء أصلان:

فالأوّل: الجِدار، وهو الحائط، وجمعه: جُدُر وجُدْران. والجَدْرُ أصل الحائط، وفي الحديث: «اسْقِ يازُبَير ودَعِ الماء يرجع إلى الجَدْر».

ومن هذا الباب قولهم: هو جدير بكذا، أي حريّ به. وهو ممّا ينبغي أن يثبت ويبني أمرَه عليه، ويقولون: الجديرة: الطّبيعة.

والأصل الثّاني: ظهور الشّيء، نباتًا وغيره. فالجُدَريّ معروف، وهو الجَدَريّ أيضًا. ويقال: شاةٌ جَدْراء، إذا كان بها ذاك.

والجَدَر: سِلْعَة تظهر في الجسَد.

والجَدْر: النّبات، يقال: أجْدَرَ المكان وجَدَرَ، إذا ظهر نباته. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَدَر: أثر الكَدْم بعنُق الحمار. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٣١)

أبوهِلال: الفرق بين قولك: هو قَمِنٌ به، وقولك: هو حريّ به وخليق به وجدير به: أنّ «القمين» يقتضي مقاربة الشّيء والدّنوّ منه حتّى يُرجى تحقّقه، ولذلك قيل: خبز قَمِن، إذا بدا يتكرج، كأنّه دنا من الفساد. ويقال للقودح الّذي تُتّخذ منه الكواغ: القَمَن.

وقولك: حريّ به يقتضي أنّه مأواه، فهو أبلغ من القمين. ومن ثمّ قيل لمأوى الطّير: حراها، ولموضع بيضها: الحريّ، وإذا رجا الإنسان أمرًا وطلبه قيل: تحرّاه، كأنّه طلب مستقرّه ومأواه. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا خليق به بيّن الخلاقة، فمعناه أنّ ذلك مقدّر فيه، وأصل الخلق: التّقدير. وأمّا قولهم: جدير به، فمعناه أنّ ذلك يرتفع من جهته ويظهر من قولك: جُدر الجدار، إذا بني وارتفع، ومنه سمّي الحائط جدارًا. (٢٤٩)

أبوسهل الهَرَويّ: الجُدَريّ والجَدَريّ، بضمّ الجيم وفتحها، وهو بَثْرٌ معروف يظهر بجسد الإنسان. (٨٨)

ابن سيده: هو جدير بكذا، ولكذا: أي خليق.

والجمع: جدَيرون، وجُدَراء.

والأُنثى: جديرة.

وقد جَدُر جَدارة.

وهذا الأمر مَجْدَرة لذلك (ومَجدَرة منه: أي مَخْلَقة).

ومَجْدَرةٌ منه أن يفعل كذا: أي هو جدير بفعله.

وحكى اللّحيانيّ عن أبي جعفر الرّؤاسيّ: إنّه لَمجدُور أن يفعل ذلك، جاء به على لفظ المفعول ولافعل له.

وحكي: مارأيت من جدارته، ولم يزد على ذلك.

والجُدَريّ، والجَدَريّ: قُروح في البَدَن تَنَفَّط وتَقَيَّح.

وقد جُدِر جَدْرًا، وجُدِّر.

وروى اللّحيانيّ (جَدَر يَجدِر جَدْرًا).

وأرض مَجْدَرة: ذات جُدَرِيّ.

والجَدَر، والجُدَر: سِلَع تكون في البدن خِلْقَة، وقد تكون من الضّرب والجراحات.

واحدتها: جَدَرة وجُدَرة، وهي الأجْدار.

وقيل: الجُدَر إذا ارتفعت عن الجلد، وإذا لم ترتفع عنه فهي نَدَب. وقد تُدعى النّدَب جُدَرًا، ولاتدعى الجُدَر نَدَبًا. [ثمّ ذكر قول اللّحيانيّ الأخير وقال:]

وليس بالحسَن.

وجَدِر ظهره جَدَرًا: ظهرت فيه جُدَر.

والجُدَرة في عنُق البعير: السِّلْعة. وقيل: هي من البعير جُدَرة، ومن الإنسان سِلْعَة وضَواة.

والجَدَر: وَرَم يأخذ في الحلْق.

وشاة جَدْراء: تقوّب جِلْدُها عن داء وليس من جُدَري.

والجَدَر: انتبار في عُنُق الحمار، وربّما كان من الكَدْم.

وقد جَدَرَتْ عُنُقُه جُدُورًا.

وعامر الأجدار: أبوقبيلة من كَلْب؛ سُمّي بذلك لسِلَع كانت في بدنه.

وجَدَر النّبت والشّجر، وجَدُر جَدارة، وجَدَّر، وأجدَر: طلعت رؤوسه في أوّل الرّبيع. وذلك يكون عشرًا أو نصف شهر.

وأجدرت الأرض: كذلك.

وشجَر جَدَر.

وجَدَر العَرْفَجُ والثُّمام يَجْدُر: إذا خرج في كُعُوبه ومتفرّق عيدانه مثل أظافير الطّير.

وجَدَّر العِنَب: صار حَبّه فُوَيْق النَّفض.

والجَدَرة ـ بفتح الدّال ـ: حظيرة تُصنَع للغنم من حجارة والجمع: جَدَر.

والجَديرة: زَرْبُ الغنم.

والجديرة: كنيف يتّخذ من حجارة يكون للبَهْم وغيرها. فإن كان من طين فهو جِدار.

والجِدار: الحائط. والجمع: جُدُر.

وجُدُرات: جمع الجمع، قال سيبويه: وهو ممّا استغنوا فيه ببناء أكثر العَدد عن بناء أقلّه فقالوا: ثلاثة جُدُر.

وقول عبد الله بن عُمَر أو غيره: إذا اشتريتُ اللّحم يضحك جَدْر البيت، يجوز أن يكون جَدْر: لغة في جِدار. والصّواب عندي: تضحك جُدُر البيت، وهو جمع جِدار، وهذا مثَل، وإنّما يريد أنّ أهل الدّار يفرحون.

وجَدَره يَجْدُره جَدْرًا: حوّطه.

واجتَدره: بناه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَدّره: شيّده. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَدَرة: حيّ من الأزْد بَنوا جِدار الكعبة فسُمّوا: الجَدَرة، لذلك.

والجَدْر: أصل الجِدار، وفي الحديث: «حتّى يبلغ الماء جَدْرَه» أي أصله، والجمع: جُدُور، وقال اللّحيانيّ: هي الجوانب. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُدُور: الحواجز الّتي بين الدّيار الممسكة الماء.

والجدير: المكان يُبنَى حوله جدار. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُدُور العِنَب: حوائطه، واحدها: جَدْر.

وجَذْر الكظامة: حافتاها. وقيل: طين حافتيها.

والجِذْر: نبات، واحدته: جِذْرة.

وجَدَر: موضع بالشام. [ثمّ استشهد بشعر]

وخمر جَيْدَريّة: (منسوب إليها) على غير قياس. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد قيل: إنّ جَيْدَرًا: موضع هنالك أيضًا.

فإن كانت الخمر الجَيْدَريّة منسوبة إليه فهو نسب قياسيّ.

والجَيْدَر، والجَيْدَريّ، والجَيْدَران: القصير، وقد يقال له: جَيْدَرة على المبالغة، وقال الفارسيّ: وهذا كما قالوا له: دَحْداحة، ودِنّبة وحِنْزَقْرة، وامرأة جَيْدَرة، وجَيْدريّة. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٣٠٨)

والتّجدير: القِصَر، ولافعل له. [ثمّ استشهد بشعر]

الجَدَر: جَدِرَت الشّاة تَجدَر جَدَرًا: ظهرت في جلدها جُدَر. والشّاة: تقوّب جلدها من داء يُصيبها، وليس من الجُدَريّ. (الإفصاح ٢: ٧٩٥)

الرّاغِب: الجِدار: الحائط، إلّا أنّ الحائط يقال اعتبارًا بالإحاطة بالمكان، والجدار يقال اعتبارًا بالنُّتُوء والارتفاع، وجمعه: جُدُر. [ثمّ ذكر الآيات وقال:]

وفي الحديث: «حتّى يبلغ الماء الجُدُر».

وجَدَرْت الجدار: رفعْتُه، واعتبر منه معنى «النُّتُوء» فقيل: جَدَر الشّجر، إذا خرج ورقه كأنّه حِمَّص، وسمّي النّبات النّاتئ من الأرض جَدْرًا، الواحد: جدَرَة.

وأجدَرت الأرض: أخرجت ذلك، وجَدَر الصّبيّ وجُدِر، إذا خرج جدَريّه تشبيهًا بجَدْر الشّجر.

وقيل: الجدَريّ والجِدَرة: سَلْعَة تظهر في الجسد، وجمعها: أجدار، وشاة جدراء.

والجَيْدَر: القصير، اشتُقّ ذلك من الجِدار، وزيد فيه حرف على سبيل التّهكّم، حسبمابيّنّاه في أُصول الاشتقاق.

والجدير: المُنْتَهى، لانتهاء الأمر إليه انتهاء الشّيء إلى الجدار، وقد جَدُر بكذا فهو جدير، وماأجْدَرَه بكذا! وأجْدِرْ به! (٨٩)

الزّمَخْشَريّ: ناداه من وراء الجِدار.

وللحِجْر ثلاثة أسام: الحِجْر، والحطيم، والجَدْر، وهو أصل الجدار، سمّي بذلك لأنّ جداره، مستوطئ.

وهو جدير بكذا، وماكنتَ جديرًا به. [ثمّ استشهد بشعر]

ولقد جَدُر به، وماأجْدَره بالخير! وهو أجْدَرُ به.

وجُدِر الصّبيّ، وجُدِّر، وهو مَجْدُور الوجه، ومجدَّر. (أساس البلاغة: ٥٣)

الطَّبْرِسيّ: وأجْدَر: مأخوذ من جَدْر الحائط بسكون الدّال، وهو أصله وأساسه. (٣: ٦٢)

المَدينيّ: [ذكر حديث الزّبير ثمّ قال:]

الجَدْر هاهنا: المُسنّاة، وهي للأرضين كالجِدار للدّار.

وقيل: الجَدْر: الجِدار، وقيل: أصل الجدار.

ورواه بعضهم: «حتّى يبلغ الجُدُر» وهو جمع: جِدار. وبعضهم يرويه الجَذْر، بالذّال المعجمة، يريد مبلغ تمام الشّرب من جَذْر الحساب.

والجِذْر، بفتح الجيم وكسرها وبالذّال المعجمة: أصل كلّ شيء، والمحفوظ بالدّال المهملة.

في حديث مسروق: «أتينا عبد الله في مُجَدَّرين ومُحَصَّبين» فالمجدَّر: الّذي به الجُدَريّ، وهي بَثَرات

تخرج في البدن، يقال لصاحبها: مجدور.

فإن بالفتح قلت: فجدَّر، ويقال: جَدَري أيضًا بفتح الجيم، منسوب إلى جَدَر العِضاة، وهي كالبَثَرات، أو إلى الجَدَرة. وهي وَرَم كالسِّلعة في الحلق وغيره.

وإذا ضممت الجيم، يكون من تغيير النَّسب.

(١: ٣٠٣)

السّهيليّ: الجَدْر: الحاجز يحبس الماء، وجمعه: جُدُور، مثل فَلْس وفُلُوس. (الفيُّوميّ ١: ٩٣)

ابن الأثير: [ذكر حديث الزّبير ثمّ قال:]

ومنه قوله لعائشة رضي الله عنها: «أخاف أن يدخل قلوبَهم أن أُدخِل الجَدْر في البيت» يريد الحِجر، لما فيه من أُصول حائط البيت.

وفيه: «الكمأة جُدَريّ الأرض» شبّهها بالجُدَريّ، وهو الحَبّ الّذي يظهر في جسد الصّبيّ، لظهورها من بطن الأرض، كما يظهر الجُدَريّ من باطن الجلد، وأراد به ذمّها.

[وذكر حديث مسروق وقال:] أي جماعة أصابهم الجُدَريّ والحَصبة. والحصبة: شبه الجُدَريّ تظهر في جلد الصّغير.

وفيه ذكر «ذي الجَدْر» بفتح الجيم وسكون الدّال: مَسرَح على ستّة أميال من المدينة، كانت فيه لقاح رسول الله ﷺ لمّا أُغير عليها. (١: ٢٤٦)

الصّغانيّ: الجَدَرة، بالتّحريك: الحبّة من الطّلْع.

وجَدَر الشّجر، وأجْدَر، إذا خرج ثمره، كأنّه الحِمّص. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجْدَرَ الشّجر، أيضًا، إذا طال.

والجَدِيرة، والجَدِيلة: الطّبيعة.

والجَيْدَر: القصير، وامرأةٌ جَيْدَرة.

وجَدِرَ الكَرْم، بالكسر، يَجْدَر جَدَرًا، بالتّحريك، إذا حَبَّبَ وهمّ بالإيراق.

وجَدِرَ البعير، فهو أجْدَرُ، والنّاقة: جَدْراء، من الجَدَرة.

وجَدَرَتْ يَدُه تَجدُرُ، مثل: نَصَرَت تَنصُر، إذا مَجِلَت، عن ابن بُزُرْج.

والمِجْدار: شيءٌ يُنصَب في المزارع مَزْجَرةً للسّباع والطّير. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٤٤٤)

الفيُّوميّ: الجِدار: الحائط، والجمع: جُدُر، مثل كتاب وكُتُب. والجَدْر: لغة في الجدار، وجمعه: جُدْران.

وقوله في الحديث: «اسْقِ أرضك حتّى يبلغ الماء الجَدْر». [ثمّ ذكر قول الأزهريّ والسّهيليّ في معنى «الجَدْر» وقال:]

والجُدَريّ، بفتح الجيم وضمّها، وأمّا الدّال فمفتوحة فيهما: قروح تَنفُط عن الجلد ممتلئة ماءً، ثمّ تنفتح. وصاحبها: جدير مُجَدَّر، ويقال: أوّل من عُذّب به قوم فرعون.

وهو جدير بكذا، بمعنى خليق وحقيق. (١: ٩٣)

نحوه الطُّريحيّ. (٣: ٢٤٤)

الفيروزاباديّ: الجَدْرُ: الحائط كالجدار، جمعه: جُدُرٌ وجُدُرٌ وجُدْران، ونَبْتٌ رَمْليّ، جمعه: جُدُورٌ، وقد أجْدَرَ المكان، وحطيم الكعبة، وأصل الجدار وجانِبُه، وخروج الجُدَريّ بضمّ الجيم وفتحها لقروح في البدن تَنَفّطُ وتَقَيّحُ، وقد جَدَر وجُدِر كعُنِي ويُشدّد، وهو

مَجدُور ومُجدَّر.

وأرضٌ مُجدَرَة: كثيرتُه.

والجِدرُ بالكسر: نبات، الواحدة بهاء، وبالتّحريك: سِلَع تكون في البدَن خِلقَةً أو من ضرب أو من جراحة كالجُدَر كصُرَد واحدتها بهاء، الجمع: الأجدار، وورَمٌ يأخذ في الحلق وانْبِبارٌ، أو أثر كدْم في عُنُق الحمار، وقد جَدَر جُدُورًا، وحَبُّ الطَّلْع، وأن يخرج بالإنسان جُدَرٌ، وهَمّ الكرْم بالإيراق، وفعلهما كفَرِح.

والجَدير: مكان بُني حواليْه جِدارٌ، والخَليق، الجمع: جَديرون وجُدَراء، وقد جَدُرَ ككَرُمَ جَدارَةً، وإنّه لَمَجدَرَة أن يفعل ومَجْدُور، أي مَخلَقَةٌ.

وجَدَّره: جعله جَديرًا.

والجَديرة: الحظيرة، والطّبيعة.

وككتابة: واد بالحجاز فيه قُرًى.

وجَدَرٌ محرّكة: بلدة بين حِمْص وسَلَمِيَّة، والنّسبة جَدَريّ وجَيْدَريّ.

والجَدَرَة محرّكةً: حَيٌّ من الأزْد، سُمّوا به لأنّهم بَنَوْا جدار الكعبة عظّمها الله تعالى، أو حِجْرَها.

وبلا (لام): وارِدَةُ قُصَيّ بن كلاب.

وجَدَرَ الشّجر: خرج ثَمَرُهُ كالحِمّص، والنّبتُ: طَلَعَتْ رُؤوسُه كأنّه الجُدَريّ. كجَدُرَ ككَرُمَ وأجْدَر وجَدَّرَ فيهما، واليَدُ: مَجِلَتْ، والجدار: حَوّطَه، والرّجل: تَوارى بالجدار. واجْتَدَر بَناه، وَجَدَّره تَجْديرًا: شَيَّده.

والجَيْدَر: القصير كالجَيْدَريّ والجَيْدَران.

والمَجْدُور: القليل اللّحم.

وذُو جَدْر: مَسْرَحٌ قُربَ المدينة.

والجُدّار: ما يُنصَب في الزّرع مَزْجَرَة للسّباع.

وعامرُ بن جَدَرَة محرّكةً: أوّل من كتَبَ بخطّنا.

وعامر الأجْدار: أبوحيّ لأنّه كان عليه جَدَرَة.

وجُدْرَة بالضّمّ: ابنُ سَبْرَةَ صحابيّ.

وجَنْدَر الكتاب: أمرّ القلم على مادَرَسَ منه، والثّوب: أعاد وَشْيَه بعد ذَهابه. (١: ٤٠١)

مَجمَعُ اللُّغة: جَدُر فلان بكذا يَجدُر جَدارة: صار خليقًا به وأهلًا له.

والجِدار: الحائط، وجمعه: جُدُر. (١: ١٨٤)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جَدُر فلان بالتّكريم: كان أهلًا له، فهو جدير به. وفلان أجْدَر، أي أحقّ وأولى.

واجتدر الحائط: بناه وشيّده، والجدار: الحائط، والجمع: جُدُر. (١: ١٠٣)

المُصطَفَويّ: والظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة، هو النّتوّ والظّهور والإرتفاع. وإطلاق الجِدار على الحائط باعتبار ارتفاعه وظهوره على الأرض؛ فليس كلّ جدار حائطًا. ويمكن أن يكون الجدار في وسط مُلكه لغرض، أو باقيًا من طرف حائط.

وأمّا الجدير بمعنى الحريّ: فباعتبار وقوعه في مقام عال ظاهر، بالنّسبة إلى موضوع أو حكم معيّن، فيكون هو أحقّ وأولى بكذا. فكونه حريًّا من جهة ارتفاع مقامه ونُتُوّ أمره، فهذا القيد محفوظ في موارد استعماله. وبهذا القيد يظهر الفرق بينه وبين الحريّ والقمين والحقيق والخليق.

﴿اَلْاَعْرَابُ اَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَاَجْدَرُ اَلَّا يَعْلَمُوا﴾ التّوبة: ٩٧، أي فهم من الجهالة وعدم المعرفة في مقام

عالٍ، ومرتبة مرتفعة ظاهرة.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ﴾ الكهف: ٧٧، أي كالحائط المرتفع في ملكهم.

﴿إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ الحشر: ١٤، أي من وراء المرتفعات يتحصّنون بها، ويقاتلون من ورائها.

فظهر لطف التّعبير بالجدار والجُدُر دون الحائط وأمثاله. (٢: ٦٣)

النُّصوص التّفسيريّة

أَجْدَرُ

اَلْاَعْرَابُ اَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَاَجْدَرُ اَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا اَنْزَلَ اللهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. التّوبة: ٩٧

ابن عبّاس: (أَجْدَرُ): أحرى. (١٦٥)

قَتادَة: أقلّ علمًا بالسُّنن. (الطّبَريّ ١١: ٤)

الفَرّاء: أحرى، وأخلق. (١: ٤٤٩)

مثله البغويّ (٢: ٣٨٠)، والخازن (٣: ١١٢).

الطّبَريّ: وأخلق. (١١: ٣)

الزّجّاج: «أن» في موضع نصب، لأنّ الباء محذوفة من «أن»، المعنى أجدَر بترك العلم، تقول: أنت جدير أن تفعل كذا، وبأن تفعل كذا، كما تقول: أنت خليق أن تفعل، أي هذا الفعل ميسّر فيك.

فإذا حذفت (الباء) لم يصلح إلّا بـ«أن»، وإن أتيت بـ(الباء) صلح بـ«أن» وغيره، تقول: أنت جدير أن تقوم وجدير بالقيام.

فإذا قلت: أنت جدير القيام، كان خطأ، وإنّما صلح مع «أن» لأنّ «أن» تدلّ على الاستقبال، فكأنّها عوض من المحذوف. (٢: ٢٦٥)

النّحّاس: وأخلق بترك ماأنزل الله على رسوله. (٣: ٢٤٤)

الماوَرْديّ: ومعنى (أَجْدَرُ) أي أقرب، مأخوذ من الجدار الّذي يكون بين مسكني المتجاورين. (٢: ٣٩٣)

الطُّوسيّ: و(أَجْدَرُ) معناه أخلق وأولى وأقرب... و(أَجْدَرُ) مأخوذ من جدار الحائط. (٥: ٣٢٨)

الواحديّ: (وأَجْدَرُ): وأولى. (٢: ٥١٩)

المَيْبُديّ: أقرب وأولى. (٤: ١٩٥)

الزّمَخْشَريّ: وأحقّ. (٢: ٢٠٩)

ابن عَطيّة: أحرى، وأقمن. (٣: ٧٣)

الطّبْرِسيّ: أي وهم أحرى وأولى. (٣: ٦٣)

[ولباقي المفسّرين كلام مثل ماذكرناه]

جِدَارًا

...فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ اَنْ يَنْقَضَّ فَاَقَامَهُ... الكهف: ٧٧

لاحظ «ق ض ض»

جُدُر

لَايُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا اِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ اَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ... الحشر: ١٤

ابن عبّاس: أو بينكم وبينهم حائط. (٤٦٥)

الفَرّاء: قرأ ابن عبّاس (جِدَار) وسائر القرّاء (جُدُر) على الجمع. (٣: ١٤٦)

الطَّبَريّ: أو من خلف حيطان. واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الكوفة والمدينة (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُر) على الجماع، بمعنى الحيطان، وقرأه بعض قرّاء مكّة والبصرة (مِنْ وَرَاءِ جِدَار) على التّوحيد، بمعنى الحائط.

والصّواب من القول عندي في ذلك أنّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيّتهما قرأ القارئ فصيب. (٢٨: ٤٧)

الزّجّاج: وقُرِئت (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَار) على الواحد، وقُرِئت بتسكين الدّال. فن قرأ (جُدُر) فهو جمع جدار، مثل حمار وحُمُر، ومن قرأ بتسكين الدّال حذف الضّمّة لثقلها، كما قالوا: صُحْفٌ وصُحُفٌ. ومن قرأ (جِدَار) فهو الواحد.

فأعلم الله عزّوجلّ أنّهم إذا اجتمعوا على قتالكم لما قذف الله في قلوبهم من الرّعب، لايبرزون لحربكم، إنّما يقاتلون متحصّنين بالقُرى والجُدُران. (٥: ١٤٨)

أبوزُرْعَة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو (مِنْ وَرَاءِ جِدَار) بالألف، وقرأ الباقون (جُدُر) وهو جمع جدار، مثل: حمار وحُمُر، وكتاب وكُتُب.

وحجّتهم أنّه أتى عقيب قوله: ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾ فأخرجوا القُرى بلفظ الجمع، ثمّ عطفوا بقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ فكان الجمع أشبه بلفظ ماتقدّمه من التّوحيد، ليأتلف الكلام على نظم واحد.

ومن قرأ (جِدَار) فهو واحد يؤدّي عن معنى الجمع. (٧٠٥)

الطُّوسيّ: أي من وراء الحيطان، فالجدار: الحائط. فن قرأ على التّوحيد، فلأنّه اسم جنس يقع على القليل والكثير. ومن قرأ على الجمع، فلاختلاف الجُدُران. (٩: ٥٦٩)

القُشَيريّ: أو من وراء جُدْران. (٦: ١٣١)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٢٦٤)

الواحديّ: إنّما يقاتلون متحصّنين بالقُرى والجُدْران. ومن قرأ (جدار) فالمراد بالإفراد الجمع أيضًا، لأنّه يعلم أنّهم لايقاتلونهم من وراء جدار واحد. (٤: ٢٧٦)

الزَّمَخشَريّ: دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم، لقذف الله الرّعب في قلوبهم، وأنّ تأييد الله تعالى ونصرته معكم.

وقُرئ (جُدْر) بالتّخفيف و(جِدار)، و(جَدْر) و(جُدُر): وهما الجدار. (٤: ٨٥)

نحوه أبوالسُّعود. (٥: ١٥٣)

ابن عَطيّة: قرأ ابن كثير وأبوعمرو وكثير من المكّيّين (جِدَار) على معنى الجنس. وقرأ كثير من المكّيّين وهارون عن ابن كثير (جَدْر) بفتح الجيم وسكون الدّال، ومعناه أصل بنيان كالسّور ونحوه. وقرأ الباقون من القرّاء (جُدُر) بضمّ الجيم والدّال، وهو جمع جدار. وقرأ أبورجاء وأبوحَيْوَة (جُدْر) بضمّ الجيم وسكون الدّال، وهو تخفيف في جمع جدار. ويحتمل أن يكون من جُدر النّخل، أي من وراء نخلهم؛ إذ هي ممّا يُتّقى به عند المضايقة. (٥: ٢٨٩)

نحوه أبوالفُتوح الرّازيّ (١٩: ١٣١)، وابن الجَوْزيّ (٨: ٢١٨)، والآلوسيّ (٢٨: ٥٨).

القُرطُبيّ: [نحو ابن عَطيّة، وأضاف:]

وقُرِئ «جُدْر» بضمّ الجيم وإسكان الدّال جمع الجدار.

ويجوز أن تكون الألف في الواحد [جدار] كألف كتاب، وفي الجمع كألف ظراف. ومثله ناقة هِجانٌ ونُوق هِجان، لأنّك تقول في التّثنية: هجانان، فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللّفظ مختلفين في المعنى، قاله ابن جِنّيّ. (١٨: ٣٥)

النَّيسابوريّ: لامبارزين مكشوفين في الأراضي المستوية. (٢٨: ٣٣)

الشِّربينيّ: أي محيط بهم، سواء كان بقرية أم بغيرها لشدّة خوفهم، وقد أُخرج هذا ماحصل من بعضهم عن ضرورة كالأسير، ومن كان ينزل من أهل خيبر من الحصن يبارز ونحو ذلك، فإنّه لم يكن عن اجتماع، أو يكون هذا خاصًّا ببني النَّضير في هذه الكرّة. (٤: ٢٥٢)

البُرُوسَويّ: دون أن يحضروا لكم ويبارزوكم، أي يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم. جمع جدار، وهو كالحائط إلّا أنّ الحائط يقال اعتبارًا بالإحاطة بالمكان، والجدار يقال اعتبارًا بالنّتوّ والارتفاع، ولذا قيل: جَدَر الشّجر، إذا خرج ورقه كأنّه حِمَّص، وجَدَر الصّبيّ، إذا خرج جُدَريّه، تشبيهًا بجُدَر الشّجر. (٩: ٤٤١)

الطَّباطَبائيّ: بيان لأثر رهبتهم وجبنهم جميعًا، والمعنى: لايقاتلوكم بنو النّضير والمنافقون جميعًا بأن يبرزوا، بل في قُرًى حصينة محكمة، أو من وراء جُدُر من غير بروز. (١٩: ٢١٢)

مكارم الشّيرازيّ: (جُدُر): جمع جدار، بمعناه المتعارف عليه، والأساس الأصليّ لهذه الكلمة بمعنى الارتفاع.

نعم، ولأنّهم خارجون عن حِصن الإيمان والتّوكّل على الله، فإنّهم بغير الالتجاء والاتّكاء على الجُدران والقلاع المحكمة، ليسوا بأصحاب جرأة وقوّة على مقابلة المؤمنين.

ثمّ يوضح أنّ هذا ليس ناتجًا عن جهل بمعرفة فنون الحرب، أو قلّة في عددهم وعدّتهم، أو عجز في رجالهم، ولكن ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ الحشر: ١٤.

إلّا أنّ المشهد الّذي عُرض يتغيّر أمامكم، ويسيطر عليهم الرّعب والاضطراب بصورة مذهلة. وطبيعيّ أنّ هذا الأمر تقريبًا يمثّل أصلًا كلّيًّا؛ حيث إنّ في مورد اقتتال جميع العناصر غير المؤمنة فيما بينهم، ومن ثمّ الاقتتال بين المؤمنين.

ونشاهد مصاديق هذا المعنى بصورة متكرّرة أيضًا في التّاريخ المعاصر؛ حيث نلحظ عند اشتباك مجموعتين غير مؤمنتين مع بعضهما شدّة الفتك ببعضهما، وقسوة الانتقام لكلّ منهما، وشراسة المواجهة بينهما، بصورة لاتدعو للشّكّ في قوّة كلّ منهما. إلّا أنّ المسألة لو تغيّرت بشكل آخر، وأصبحت المواجهة بين مجموعة غير مؤمنة بالله وأُخرى مؤمنة مستعدّة للشّهادة في سبيل الله، عند ذلك نرى أعداء الحقّ يلوذون إلى القلاع المحكمة، ويخفون أنفسهم في المواضع ووراء المتاريس وخلف

الأسلحة، ويسيطر عليهم الخوف ويهيمن عليهم الرُّعب ويملأ كلّ وجودهم. والحقيقة أنّ المسلمين إذا جعلوا إيمانهم وقيمهم الإسلاميّة هي الأساس، فإنّهم سيكونون هم الأعلون والمنتصرون. (١٨: ١٩٢)

الوُجوه والنّظائر

الفيروزاباديّ: وقد ورد في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأوّل: بمعنى حصار بني قُريظة والنّضير ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ الحشر: ١٤.

الثّاني: جدار موسى والخضر ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ الكهف: ٧٧.

الثّالث: سرّ الجدار في حقّ اليتيمين ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ الكهف: ٨٢.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٧٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجِدار، أي الحائط، والجمع جُدُر، وهو الجَدْر أيضًا وجمعه جُدْران، والجَدَرَة وجمعه جَدَر، والجَديرة. يقال: جَدَرَ الجدارُ يَجدُرُه جَدْرًا، أي حوّطه، وجدّرَ الجِدارَ واجتدره: شيّده وبناه، وجَدَّرَ الرّجل: توارى بالجِدار، والجَدير: مكان قد بني حواليه جِدار بجدور.

والجَدَرَة: حظيرة تُصنع للغنم من حجارة، والجمع جَدَر، وكذا الجديرة.

والجَدَرَة: ورم يأخذ في الحلق، أو يكون في البدن خلقة، وقد يكون من الضّرب والجراحات، وغدد تكون في عنق البعير، نحو السِّلع برأس الإنسان، والجمع جَدَر، وهو الجُدَرَة، والجمع جُدَر، وكلّ ذلك تشبيه بجَدَر الأرض، يقال: جَدَرَت عنقُ الحمار جُدورًا وجَدِرَت جَدَرًا، أي انتبرت وتورّمت، وجَدِرَ مَهرُه جَدَرًا: ظهرت فيه جُدَر، ويقال: جَملٌ أجْدَر، وناقةٌ جَدراء.

والجَدَرَة: الحبّة من الطّلع، والجمع جَدَر، وهو على التّشبيه أيضًا. يقال: أجْدَرَ الوليع وجادَرَ، أي اسمرّ وتغيّر، وجدّرَ النّبت والشّجر، وجَدُرَ جَدارةً، وجَدَّرَ وأجدَر: طلعت رؤوسه في أوّل الرّبيع، وهو شجرٌ جَدَرٌ، وجَدِرَ الكَرمُ يَجدَرُ جَدَرًا: حبّب وهمّ بالإيراق، وأجدرت الأرض: ظهر نباتها.

والجُدَريّ والجَدَريّ: المرض المعروف، وهو تشبيه بجَدَر النّبات، وقد جُدِرَ جَدْرًا وجُدِّرَ، وصاحبه جَدير ومُجدَّر، وجَدِرَ يَجدَرُ جَدَرًا أيضًا، وأرضٌ مَجدَرةٌ: ذات جُدَريّ.

ومنه أيضًا قولهم: هو جَديرٌ بكذا ولكذا، أي خليق له، وقد جَدُرَ جَدارةً، لأنّه ـ على قول ابن فارِس ـ ممّا ينبغي أن يثبت ويبني أمره عليه، أو الجدير: المنتهي ـ على قول الرّاغب ـ لانتهاء الأمر إليه انتهاء الشّيء إلى الجدار.

٢ـ ولم يُعرف من مشتقّات هذه المادّة في اللّغات السّاميّة الأُخرى سوى الجدار، ولذا رجّحناه أصلًا لهذه المادّة، وكذا فعل ابن فارِس، إلّا أنّه ثنّاه بظهور الشّيء. ونزع بعضهم إلى جعل الصّفة أصلًا، والموصوف ـ وهو

الجدار ـ مشتقًّا منه. قال الصّاحب: «سمّي الجدار لأنّه جَدَر فارتفع كما يَجدُرُ الجُدَريّ والشّجرة». وقال الرّاغب: «الجدار يقال اعتبارًا بالنّتوء والارتفاع».

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها (أجْدَر) مرّة، و(جِدار) مفردًا وجمعًا (٣) مرّات:

١ـ ﴿اَلْاَعْرَابُ اَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَاَجْدَرُ اَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا اَنْزَلَ اللهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التّوبة: ٩٧

٢ـ ﴿فَانْطَلَقَا حَتّٰى اِذَا اَتَيَا اَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا اَهْلَهَا فَاَبَوْا اَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ اَنْ يَنْقَضَّ فَاَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا﴾ الكهف: ٧٧

٣ـ ﴿وَاَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ اَبُوهُمَا صَالِحًا فَاَرَادَ رَبُّكَ اَنْ يَبْلُغَا اَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ اَمْرِى ذٰلِكَ تَاْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ الكهف: ٨٢

٤ـ ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا اِلَّا فِى قُرًى مُحَصَّنَةٍ اَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَاْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتّٰى ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر: ١٤

يلاحظ أوّلًا: أنّ (أجْدَر) في (١) اسم تفضيل كالأشدّ ـ وقد عطف عليه ـ من قولهم: هو جدير بكذا، وقد أرجعه ابن فارس إلى «الجدار» لأنّ الجدير ممّا ينبغي أن تبني عليه كالجدار، وكذلك أبو هلال ربطه به لارتفاع الجدار، وأصل المادّة: الجدار ولازمه الارتفاع، لاحظ الأُصول اللّغويّة.

ثانيًا: هذه الآية من جملة آيات من سورة التّوبة، نزلت في المنافقين من الأعراب ومن أهل المدينة، فأعلنت بأنّ الأعراب ـ لبلادتهم وأُمّيّتهم وانعزالهم عن الثّقافة والمعرفة الشّائعة في المدن ـ أشدّ كفرًا ونفاقًا، وأجدر من غيرهم بالجهل بحدود ما أنزل الله، فالجهل والتّأخّر الثّقافيّ العقلانيّ يضاعفان الكفر والنّفاق، وهذا مشعر بأنّ الكفر والنّفاق من آثار الجهل والتّأخّر، فكلّما كانا أوفر، كان الكفر والنّفاق أشدّ وأرسخ.

وقد اعتبر الله الواقع فلم يحكم على الأعراب كافّة بالكفر والنّفاق بل استثنى المؤمنين منهم: ﴿وَمِنَ الْاَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ...﴾ التّوبة: ٩٩، ثمّ جمع بين المنافقين من الأعراب ومن أهل المدينة: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْاَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ اَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ...﴾ التّوبة: ١٠١، وذلك بعد أن مدح السّابقين من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسان، لئلّا يشتبهوا بالمنافقين. وهذا باب واسع من تقويم القرآن للنّاس الّذين أحاطوا بالنّبيّ ﷺ، حتّى أنّه فرّق بين المصرّين على النّفاق، وبين المعترفين منهم بالذّنوب، لاحظ الآيات قبلها وبعدها من هذه السّورة.

ثالثًا: جاء (الجِدار) مفردًا في آيتين من سورة الكهف بشأن الجدار الّذي أقامه العبد الصّالح الّذي لازمه موسى في قرية أبى أهلها أن يُضيّفوهما، فواجه اعتراض موسى. والجدار في (٢) نكرة، وفي (٣) معرفة، والتّعريف فيه للعهد الذّكريّ، فقد كُرّر هذا اللّفظ في تلك

القصّة المباركة مرّتين تشريفًا له. [لاحظ «موسى»]

رابعًا: الآية (٤) من قصّة بني النّضير: طائفة من يهود المدينة، وقد هاجمهم النّبيّ عليه السلام، فأجلاهم منها إلى خيبر، وكانت جماعة المنافقين أتباع عبد الله بن أُبيّ وعدوهم النّصر فكذّبهم الله، ووصف الفريقين بأنّهم ـ أي اليهود وأصدقاءهم من المنافقين ـ لايقاتلون المؤمنين إلّا في قرًى محصّنة أو من وراء جُدُر بأسهم بينهم شديدٌ، وبذلك أعلن أنّهم ضعفاء متفرّقون قلبًا، ولاينجحون في قتالهم المؤمنين، ويخافون الحضور في ساحة المعركة، بل يحاربونهم في قرًى محصّنة أو من وراء جُدُر.

والجمع في (قُرى) و(جُدُر) وإن كان لتعميم الجنس إلّا أنّه يُومئ إلى شدّة خوفهم؛ حيث لايكتفون بحصنٍ وجدارٍ واحد بل يستترون خلف حُصُون وجُدُر.

خامسًا: قسّم الله هذه المادّة بين المكّيّ والمدنيّ بالسّويّة مثنى مثنى كما هو ظاهر.



ج د ل

١٧ لفظًا، ٢٩ مرّة: ١٨ مكّيّة، ١١ مدنيّة

في ١٦ سورة: ١٠ مكّيّة، ٦ مدنيّة

جَدَلًا ٢: ٢
جادَلوا ١: ١
جادَلوك ١: ـ ١
جادَلتَنا ١: ١
جادَلتُم ١: ـ ١
يُجادِل ٦: ٣ ـ ٣
يُجادِلُنا ١: ١
يُجادِلُون ٥: ٣ ـ ٢
جِدالَـنا ١: ١
يُجادِلونك ٢: ١ ـ ١
ليُجادِلوكم ١: ١
تُجادِل ٢: ١ ـ ١
تُجادِلُك ١: ـ ١
تُجادِلو ١: ١
أتُجادِلُونَني ١: ١
جادِلهم ١: ١
جِدال ١: ـ ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رجل جَدِل مِجدال، أي خَصِم مِخصام، والفعل: جادَل يُجادِل مُجادلةً.

وجَدَلتُه جَدْلًا، مَجزومٌ، فانجَدَل صريعًا. وأكثر مايقال: جَدَّلتُه تجديلًا، أي صَرَعتُه.

ويقال للذّكر العَرِد: إنّه لَجَدْرٌ جَدِل.

وجُدُول الإنسان: قصَبُ اليَدَيْن والرِّجلَين.

وإنسان مَجْدُول الخَلْق، أي لطيف القَصَب.

وجَديل النّاقة: زِمامُها إذا كان مَجدُول الفَتْل.

والجَديلة: شَريجةُ الحَمام.

وجَديلةٌ: قبيلةٌ.

والأجْدَل: من صفة الصَّقر، ورجُل أجْدَلُ المَنْكِب، أي فيه تَطَأْطُؤٌ خلاف الأشْرَف من المَناكِب.

ويقال للطّائر إذا كان كذلك: أجْدَلُ المَنْكِبَيْن، فإذا جعَلتَه نَعتًا قلتَ: صَقْرٌ أجْدَل، وصُقُورٌ جُدْل.

وإذا تَرَكتَه اسمًا للصَّقر، قلتَ: هذه أجْدَل وهذه أجادل، لأنّ الأسماء الّتي على «أفعَل» تُجمع على «أفاعِل» والنّعت إذا كان على «أفعَل» يُجمع على «فُعْل».

والجُدَيل: نهر يأخذ من دجلة.

والجَدْول: نهر الحوض، ونحوه من الأنهار الصِّغار.

والجِدَل: القصر المُنيف، ويُجمع بَجادل. (٦:٧٩)

اللَّيث: جمع الجَدْلاء: جُدْل، وقد جُدِلت الدّروع، إذا أُحكمت.

الجَدَل: الصّرْع.

الجديلة: الرّهط، وهي من أدَمٍ يأتزر بها الصّبيان، والحُيَّضِ من النّساء. (الأزهَريّ ١٠: ٦٤٩، ٦٥١)

سيبَويه: وكذلك أجادِلُ: اسم رجل، إذا حقّرته. [لم تصرفه] لأنّه يصير أُجَيْدِلَ، مثل أُمَيْلِح. [ثمّ قال:]

هذا باب ماكان من «أفعل» صفة في بعض اللّغات، واسمًا في أكثر الكلام، وذلك: أجْدَل وأخْيَل وأفعى. فأجْوَد ذلك أن يكون هذا النّحو اسمًا، وقد جعله بعضهم صفة، وذلك لأنّ «الجَدْل» شدّة الخلق، فصار «أجْدَل» عندهم بمنزلة شديد. (٣: ٢٠٠)

أبوعمرو الشّيبانيّ: قال الأسديّ: الجُدُول: كلّ عظم لم يُكسر، فهو جِدْل. (١: ١٢٢)

وقال أبوزياد: الجَدْلاء، من المِعْزَى في أُذُنها، هي أقصَر من الطّويلة. (١: ١٢٣)

وقال التّميميّ: الجَديلة: سَير يُرصَّع فتتّخذه المرأة وتُعلّقها، بمنزلة الوِشاح.

والجديلة: العِرافة، تقول: أقطع بنو فلان جديلتهم بني فلان، إذا عزلوا عِرافَتَهم عن أصحابها، وقطعوها. (١: ١٢٧)

الفرّاء: [فسّر «شَاكِلَتِهِ» بـ«ناحيته» ثمّ قال:] وهي الطّريقة والجَديلة.

وسمعت بعض العرب من قُضاعة يقول: وعبد الملك إذ ذاك على جديلته، وابن الزّبير على جديلته. والعرب تقول: فلان على طريقة صالحة، وخَيْدَبَة صالحة، وسُرجُوجة. (٢: ١٣٠)

الأصمَعيّ: فإذا قوي [ولد النّاقة] ومشى، فهو راشح وهي المُرشِح، وهي المُطفِل مادام ولدها صغيرًا، فإذا ارتفع عن الرّشح، فهو الجادل... (الكنز اللّغويّ: ١٤٢)

وكلّ عظم لايُكسر ولايُخلط به غيره فهو جِدْل. (الكنز اللّغويّ: ٢١٦)

إذا اخضرّ حبُّ طَلْع النّخل واستدار قبل أن يشتدّ، فإنّ أهل نجد يسمّونه الجَدال. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٠)

ابن الأعرابيّ: الجدالة فوق البَلَحَة، وذلك إذا جدلَتْ نواتها، أي اشتدّت، واشتُقّ «جُدُول» ولد الظّبية من ذلك. (ابن سيده ٧: ٣٢٢)

أبوعُبَيْد: الجَدْلاء والمَجْدُولة من الدُّروع نحو المَوضُونة، وهي المَنْسُوجة. (الأزهَريّ ١٠: ٦٤٩)

الأجادل: الصّقور، فإذا ارتفع عنه فهو جادل. وفي حديث مُطرف: «يَهْوِي هَوِيّ الأجادل» هي الصّقور، واحدها: أجْدَل، والهمزة فيه زائدة.

والأجْدَل: اسم فرس أبي ذرّ الغفاريّ، رحمه الله، على التّشبيه بما تقدّم. (ابن منظور ١١: ١٠٤)

ابن السّكّيت: الجدول: الحسَن الخَلْق، الشّديد فَتْل اللّحم. (٢٠٩)

فإذا كان العضو تامًّا لم يُكسر منه شيءٌ فهو جَدْل وإرْبٌ؛ يقال: قطّعه جُدُولًا وآرابًا، وقطّعه إرْبًا إرْبًا، وجَدْلًا جَدْلًا، وعُضْوًا عضوًا. فإذا كُسر العضو باثنين

فهو كِسْر. (٦٠٧)

الجاحظ: الجَدَلة: الأرض، ولذلك يقال: ضربه فجدّله، أي ألزقه بالأرض، أي بالجَدالة. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ١٥٥)

شَمِر: سمّيت الدّروع جَدْلاء ومَجْدُولة لإحكام حَلَقِها، كما يقال: حَبْل مَجْدُول: مفتول، وقد جُدلت جَدْلًا، أي أُحكمت إحكامًا. (الأزهَريّ ١٠: ٦٤٩)

المُنْجَدِل: السّاقط، والمُجَدَّل: الملقى بالجَدالة وهي الأرض. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٢)

أبوالهيثم: يقال لصاحب الجَديلة: جَدّال، ويقال: رجل جَدّال بَدّال، منسوب إلى الجديلة الّتي فيها الحمام.

ويقال: رجل جَدّال: للّذي يأتي بالرّأي السّخيف، وهذا رأي الجَدّالين.

ويقال: القوم على جديلة أمرهم، أي على حالهم الأوّل. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٠)

الدّينوريّ: جَدَل الحَبّ في السّنبل يَجدُل: وقع فيه. (ابن سيده ٧: ٣٢٤)

المُبَرِّد: الجُدُل: جمع جديل، وهو الزّمام المَجدُول، كما تقول: قتيل ومقتول، وأدنى العدد أجْدِلة، كقولك: قضيب وقُضُب وأقْضِبة. (١: ٢٤٧)

الأجْدَل: المائل العنق، يقال: قوس جَدْلاء، إذا اعوجّت سِيَتُها. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٧٧)

الجَدْل: العظم يُفصل بما عليه من اللّحم. (الفائق ١: ١٩٦)

ابن دُرَيْد: الجَدْل: مصدر جَدَلْتُ الحَبْل أجْدُله وأجدِلُه، إذا فتلتَه، والحبل مجدول وجديل، وربّما خُصّ زمام البعير بهذا الاسم فسمّي: جديلًا.

ورجل مجدول وامرأة مجدولة، وهو القضيف خِلقةً لاهزالًا.

ويقال: غلام جادل، إذا ترعرع واشتدّ، وكذلك: فصيل جادل.

وجادلت الرّجل مجادلة وجِدالًا، إذا خاصمته، والاسم: الجَدَل.

ورجل جَدِل: شديد الجِدال.

والجَدَال: الخلال بلغة أهل نجد، والواحدة: جَدالة. [ثمّ استشهد بشعر]

والأجْدَل: الصّقر، والجمع: أجادل.

والمِجْدَل: القصر، والجمع: مَجادل.

والجَدْوَل: نُهير صغير، الواو زائدة.

وجديل: فحل[1] معروف كان لمهرة بن حيدان. [ثمّ استشهد بشعر]

وشَدْقَم أيضًا: فحل[2] كان لطيّء.

والجَدَالة: الأرض ذات الرّمل الرّقيق. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: طعنه فجدّله، إذا ألصقه بالأرض.

وبنو جديلة: بطن من قيس، وبنو جديلة أيضًا في طيّء. (٢: ٦٧)

القاليّ: مجدول: مفتول. (١: ١٩٣)

والجديل: زمام مجدول، أي مضفور. (٢: ٦٧)

وجَدّل: ألقاها على الجَدالة، والجَدالة: الأرض. [ثمّ

(١) و (٢) فحلٌ من الإبل.

استشهد بشعر] (٢: ٢٥٩)

يقال: تركت فلانًا مُجَدَّلًا، أي ساقطًا على الجَدالة. (٢: ٢٧٣)

والجَدْل: العضو، وجمعه: جُدُول. (٢: ٢٩٦)

الأزهَريّ: الجَدْل: شدّة الفَتْل، يقال: إنّه لحسَن الأَزْم وحسَن الجَدْل، إذا كان حسَن أَسْرِ الخَلْق.

وجدَلتُ الحَبْل جَدْلًا، إذا شَدَدْتَ فَتْله، ومنه قيل لزمام النّاقة: الجَديل.

[ونقل قول الخَليل: «رجل أجدَل المَنْكِب، فيه تطأْطُؤ، وهو خلاف الأشرف من المناكب» ثمّ قال:]

قلت: هذا عندي خطأ، إنّما الصّواب: «رجل أحدَل المَنْكِب» هكذا روي لنا عن أبي عُبَيْد عن أبي عمرو قال: الأحدَل: الّذي في مَنْكِبيه ورقبته انكباب على صدره، وقد مرّ في بابه... [ثمّ نقل قول اللّيث في الجَدْل وقال:]

وقال غيره: الجَدْل: أن يُضرَب عُرْضُ الحديد حتّى يُدَمْلَج، وهو أن يُضرَب حُرُوفُه حتّى يستدير.

ويقال: جادلت الرّجل فجدلتُه جَدْلًا، إذا غلبتَه.

ورجل جَدِل، إذا كان ألوى في الخصام.

وفي الحديث أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أنا خاتم النّبيّين في أمّ الكتاب وإنّ آدم لَمُنجَدِل في طينته».

(١٠: ٦٤٩ـ ٦٥٢)

الصّاحِب: جَدِلٌ: خَصِمٌ، شديد الجَدَل. ومِجْدال: مِخْصام.

والجَدْل: الصَّرْع، جَدَلتُه فانجَدَل، وهو مَجْدُول، وجَدَّلتُه تَجْديلًا أيضًا.

وجَدَّلْتُ الشّاة: قَطَعْتُها جَدْلًا جَدْلًا، أي عُضْوًا عُضْوًا.

ويقال للذّكر العَرْدِ: إنّه لَجَدْلٌ جَدِلٌ.

وجُدُولُ الإنسان: قَصَبُ اليَدَيْن والرِّجْلَيْن.

والمَجْدُول: اللّطيف الخَلْق.

وجَديل النّاقة: حَبْل زِمامِها إذا كان مَجْدُول الفَتْل؛ وجَدَلَه: فَتَلَه.

وجَديلَة: قبيلة من بني أسَد.

وجَديل: اسْمُ فَحْل.

والجَديلَة: مثل الرَّهْط الّذي تَلبَسُه المرأة أيّام حَيْضها، وشَريجَة الحَمام ونحوها.

والجَدّال: بَيّاعُ الحَمام، واللّاعِبُ به.

والأَجْدَل: من صِفة الصَّقْر.

ورجل أجدَل المَنْكِب: فيه تَطَأْطُؤ، وكذلك الطّائر؛ حتّى يقال: صُقُورةٌ جُدْل.

والجَدْوَل: نهر الحوض وغيره من الأنهار، والجميع الجَداوِل. وهو أيضًا: حَدٌّ بين أرضَيْن، والدَّبْرَة من دبار الأرض.

ويقولون: استقام جَدْوَل القوم على كذا، أي رأيهم.

وركِبَ جَديلَة رأيه، أي عزيمته.

وذهَبْتُ على جَدْلائي، أي على وجهي.

والقوم على جَديلَة أمرهم، أي على حالهم.

وفلان على جَدْلائه وعلى جَديلَته، أي على ناحيته وقَبيلَته.

والجَدْل: القَصْر، وجمعه: مَجادِل.

وإذا اخضَرّ التَّمْر واستَدارَ قبل أن يشتدّ فهو

الجَدال، وهو البَلَحُ. والجَدّال: بَيّاعُه.

والجَدالة: الأرض. وجَدَلَه: ضرَبه بالجَدالة.

والجَدَل: القَبْر.

والجَدالَة: النَّمل الصّغار ذات القوائم، والجميع: الجَدال.

وجَدَل سُنبُل الزّرع يَجدُل، إذا اشتدّ مافيه من الحبّ.

وجَدَل وَلَدُ البقرة يَجدِل جُدولاً، إذا مشى مع الأُمّ، فهو جادل. وهو أيضًا الّذي غَلُظَ.

وظَبيَةٌ مُجْدِل.

وشاةٌ جَدْلاء بَيِّنَة الجَدَل، وهو انثِناء أُذُنها.

وشِقْشِقَة جَدْلاء، أي مائلةٌ.

والجَدْلَة: مِدَقّة المِهْراس. (٧: ٤٢)

الخَطّابيّ: في حديث عليّ: «أنّه وقف على طلحة يوم الجمل، وهو صريع، فقال: أعْزِزْ عليّ أبامحمّد أن أراك مجدَّلًا تحت نجوم السّماء، إلى الله أشـتكي عُجَرِي وبُجَري».

قوله: «مجدّلًا» أي صريعًا مطرّحًا، يقال: جـدَلْت الرّجل فانجدل. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: إنّ التّجديل مشتقّ من الجَدالة، وهي وجه الأرض. فإذا قيل: جدَّلتُ الرّجل، كان معناه ضربته بالجَدالة. [إلى أن قال:]

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّي عند الله مكتوب خاتم النّبيّين، وإنّ آدم لمُنجَدِل في طينته...»

قوله: «وإنّ آدم مُنجَدِل في طينته» أي مطروح على وجه الأرض صورة من طين، لم تَجْرِ فيه الرّوح بعد.

(٢: ١٥٥)

في حديث عائشة، أنّها قالت في العقيقة: «تُذبَح يوم السّابع وتُقطع جُدولاً، ولايكسر لها عظم». الجُدُول: جمع جَدْل، وهو العضو، ومثله الكِسْر والوِصْل والإرْب والشِّلْو. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٥٨٠)

جاء في الحديث: «القضاة ثلاثة: رجل عَلِم فعَدَل، فذلك الّذي يَحرِز أموال النّاس ويُحرِز نفسه في الجنّة. ورجل عَلم فجَدِل، فذلك الّذي يُهلك النّاس ويُهلك نفسه في النّار، وذكر الثّالث».

قوله: جَدِل: أي جارَ وظلَم، ويقال: إنّه لجَدْلٌ غير عَدْل. (٣: ٢١٥)

الجَوهَريّ: الجَدْل: العضو، والجمع: الجُدُول.

والأجْدَل: الصَّقْر.

والجُدْل: القَصْر. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَدال: البَلَحُ إذا اخضرّ واستدار قبل أن يشتدّ، بلغة أهل نجد، الواحدة: جَدالة.

والجَدالة: الأرض. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال: طعنَه فجدَلَه، أي رماه بالأرض، فانجَدَل، أي سقط.

وجادَله، أي خاصمه، مُجادَلةً وجِـدالًا. والاسم الجَدَل، وهو شدّة الخصومة.

وجَدَلْتُ الحبل أجْدِلُه جَدْلًا، أي فتَلتُه فَتْلًا مُحكمًا، ومنه جارية مَجْدُولة الخَلْق: حسَنة الجَدْل.

والمَجْدُول: القضيف لامن هزال.

وغلام جادِل: مشتدّ.

وجَدَل الحَبّ في سُنبُله: قَوي.

والجَديل: الزّمام المَجْـدُول مـن أدَم. [ثمّ استشهد

بشعر]

وربّما سمّي الوشاح جديلًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَديل وشَدْقَم: فحلان من الإبل كانا للنّعمان بن المنذر.

والجَديلة: الشّاكلة، والجَديلَة: القبيلة والنّاحية.

وجَديلَة: حيٌّ من طيّءٍ، وهو اسم أُمّهم، وهي جَديلَة بنت سُبَيع بن عمرو، من حِمْيَر، إليها يُنسَبون؛ والنّسبة إليهم جَدَلِيٌّ، مثل ثَقَفِيّ.

والجَدْلاء من الدّروع: المنسوجة، وكذلك الجَدُولَة، وهي المُحْكَمَة.

والجَنْدَل: الحجارة، ومنه سمّي الرّجل.

والجَنَدِل بفتح النّون وكسر الدّال: الموضع فيه حجارة.

والجَدْوَل: النّهر الصّغير. (٤: ١٦٥٣)

الهَرَويّ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥، الجَدَل: مقابلة الحجّة بالحجّة، والمُناظرة: أن يَدفع الحجّة بنظيرتها.

وقال بعضهم: الجَدَل: اللَّدَدُ في الخصام، ورجل جَدِل. وأصله من جَدْل الحَبْل، وهو شدّة الفتل، ومنه يقال للحَبْل الّذي يُجعَل في رأس البعير: جَديل. ورجل مَجدُول الخَلْق: شديده.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي اٰيَاتِ اللهِ﴾ المؤمن: ٤، هذا جدال دفع لها، وردٌّ. ومنه قول النّبيّ ﷺ: «لاتُماروا في القرآن فإنّ مِراءً فيه كُفْرٌ». [وذكر الرّوايات المتقدّمة عنه ﷺ] (١: ٣٣٠)

الثّعالبيّ: ضربه فجدّله، إذا ألقاه على الأرض. (٢٠٩)

فصل في تقسيم النّسج: نَسْج الثّوب، رَمْل الحصير، سَفّ الخَوْص، ضَفْر الشّعْر، فَتْل الحَبْل، جَدْل السَّيْر، مَسْد الجلد. (٢٤٣)

فصل في الحبال المختلفة الأجناس:

الجرير: من أدم، الشّريط: من خوص، الجَديل: من جلود، المَرَسَة: من كتّان... (٢٥٩)

ابن سيده: جَدَل الشّيءَ يَجْدُله، ويَجدِله جَدْلًا: أحكم فَتْلَه.

والجَديل: حَبْل مفتول من أدَم أو شَعَر، يكون في عنق البعير أو النّاقة، والجمع: جُدُل، وهو من ذلك.

والجِدْل، والجَدْل: كلّ عظم موفّر كما هو، لايُكسَر ولايُخلَط به غيره. وكلّ عضو: جَدْل، والجمع: أجدال، وجُدُول.

ورجل مجدول: لطيف القَصَب، محكم الفَتْل.

وساق مَجْدُولة، وجَدْلاء: حسَنة الطّيّ.

وساعدٌ أجْدَل: كذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَدَل وَلَدُ الظّبية والنّاقة يَجدُل جُدُولًا: قوي وتَبع أُمّه.

والجادل من الإبل: فوق الرّاشح، وكذلك: من أولاد الشّاء.

وجَدَل الغلام يَجدُل جُدُولًا، واجتَدَل: كذلك.

والأجْدَل: الصّقر، صفة غالبة، وأصله: من الجَدْل الّذي هو الشّدّة. وهي الأجادل، كسّروه تكسير الأسماء لغلبة الصّفة، ولذلك جعله سيبويه ممّا يكون صفة في بعض الكلام، واسمًا في بعض اللّغات.

وقد يقال للأجدل: أجدليّ، ونظيره: أعجم وأعجميّ. وقد أبنتُ هذا الضّرب في الكتاب المخصّص.

والأجْدَل: اسم فرس أبي ذرّ الغفاريّ، على التّشبيه بما تقدّم.

وجَدَالة الخَلْق: عَصْبه وطيّه.

ورجل مجدول، وامرأة مجدولة.

والجَدالة: الأرض لشدّتها. وقيل: هي أرض ذات رمل دقيق. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَدَله: جَدْلاً، وجَدّله فانجدل، وتجدّل: صرعه على الجَدالة.

والجَدالة: البلَحة إذا اخضرّت واستدارت. والجمع: جَدال. [ثمّ استشهد بشعر]

قال ابن الأعرابيّ: الجَدالة فوق البلَحة، وذلك إذا جَدلَت نَواتُها، أي اشتدّت، واشتُقّ جُدُول وَلَد الظّبْية من ذلك. ولاأدري كيف قال: «إذا جَدلَت نَواتُها» لأنّ الجَدالة لانواة لها.

وقال مرّة: سمّيت البُسْرة جَدالة، لأنّها تشتدّ نواتها وتستتمّ قبل أن تُزهِي، شُبّهت بالجَدالة، وهي الأرض.

والمِجْدَل: القصْر، لوَثاقة بنائه.

ودِرْع جَدْلاء، ومَجدُولة: محكمة النّسج. [ثمّ استشهد بشعر]

وأُذُن جَدْلاء: طويلة ليست بمنكسرة، وقيل: هي كالصّمعاء إلّا أنّها أطول، وقيل: هي الوسط من الآذان.

والجدِل: ذَكَرُ الرّجل، وقد جَدَل جُدُولاً، فهو جَدِل، وجَدْل، أي عَرّد، وأرى جَدِلاً على النّسب.

وركب جَديلَة رأيه، أي عزيمته.

والجَدَل: اللّدَد في الخصومة والقدرة عليها، وله حدٌّ لايليق بهذا الكتاب. وقد جادله مُجادَلة، وجدالاً.

ورجل جَدِلٌ، ومِجْدَل، ومِجْدال: شديد الجَدَل.

وسورة المُجادَلة: سورة «قد سمع الله» لقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ المجادلة: ١.

وهما يتجادلان في ذلك الأمر، وقوله تعالى: ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧، قال أبوإسحاق: قالوا: معناه لاينبغي للرّجل أن يجادل أخاه فيُخرجه الجدال إلى مالاينبغي.

والمَجْدَل: الجماعة من النّاس، أراه لأنّ الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَديلَة: شَريجة الحَمام، والجَدّال: الّذي يحصر الحَمام في الجديلة. وحَمام جَدَليّ: صغير ثقيل الطّيران لصِغره.

وجَديلة الرّجل، وجَدْلاؤه: ناحيته.

والقوم على جَديلة أمرهم، أي على حالهم. ومازال على جَديلة واحدة، أي على حال واحدة وطريقة واحدة.

والجَديلة: الرّهط، وهي من أدَم كانت تُصنع في الجاهليّة، يأتزر بها الصّبيان والنّساء الحُيّض.

ورجل أجدل المَنْكِب: فيه تطأطؤ، وهو خلاف الأشرف من المناكب ـ قال الأزهريّ: وهذا تصحيف، وإنّما هو الأحْدل، بالحاء غير المعجمة، عن أبي زَيد، ومنه قولهم: قوس مُحْدَلة وحدلاء ـ وكذلك: الطّائر، قال بعضهم: به سمّي الأجْدَل، والصّحيح ماقدّمت من كلام سيبويه.

والجَديلة: النّاحية، والقبيلة.

وجَديلة: بَطْن من قَيْس، منهم فَهْم وعَدْوان.

وجَديلة، أيضًا: في طيّء.

وجَديل: فَحْل لـمَهْرة بن حَيْدان. فأمّا قولهم في الإبل: جَدَليّة فقيل: هي منسوبة إلى هذا الفحل. وقيل: إلى جديلة طيّء، وهو القياس.

والجَدْوَل: النّهر الصّغير. وحكى ابن جنّيّ: جِدْوَل، بكسر الجيم، على مثال: خِرْوَع. والجَدْوَل، أيضًا: نهر معروف. (٧: ٣٢٢)

الجُدُول: جَدَل الحَبّ في السُّنبل يَجْدُل جُدُولًا: نزل فيه، أو قوي. الإفصاح ٢: ١٠٨٥)

الطُّوسيّ: حقيقة المجادلة: المقابلة بما يُقبل الخصم من مذهبه بالحجّة أو شبهها، وهو من «الجَدْل» لشدّة الفَتْل، ويقال للصّقر: أجْدَل، لأنّه أشدّ الطّير.

والفرق بين الجِدال والحِجاج: أنّ المطلوب بالحجاج: ظهورالحجّة، والمطلوب بالجدال: الرّجوع عن المذهب.

والمِراء مذموم، لأنّه مخاصمة في الحقّ بعد ظهور الحـقّ، كمري‌ء الضّرع بعد دروره، وليس كذلك الجدال. (٥: ٥٤٦)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ١٥٧)

الرّاغِب: الجِدال: المُفاوَضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جدَلت الحَبْل، أي أحكمت فتله، ومنه: الجديل، وجدَلت البناء: أحكمته، ودرع مَجْدُولة.

والأجْدَل: الصّقر المحكم البنية.

والمِجدَل: القَصر المحكم البناء، ومنه: الجِدال، فكأنّ المتجادلَين يَفتِل كلّ واحد الآخر عن رأيه.

وقيل: الأصل في الجِدال: الصِّراع، وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة، وهي الأرض الصُّلبة. [ثمّ ذكر الآيات] (٨٩)

نحوه الفيروزابادي. (بصائرذوي التّمييز ٢: ٣٧٣)

الزّمَخْشَريّ: جَدَل الحَبْل: فَتَله، وزمام مَجْدُول وهو الجديل. تقول: كأنّ في الجديل، إحدى بنات جَديل. وطعنه فجدّله: ألقاه على الجَدالة، وهي الأرض.

وتقول: إن وَقَفْنَ فَجادِل، وإن مَرَرْنَ فأجادِل: إن وقفن فقصور وإن مَرَرْنَ فصقور. [ثمّ استشهد بشعر]

وكان فلان جَدّالًا فصار تمّارًا، وهو بائع الجَدال وهو البَلح، سمّي لاشتداده، أو بائع الحَمام في الجَديلَة وهي البُرجة. وشاد قصرَه بصُمّ الجَنْدَل، وبصُمّ الجنادل، الواحدة: جَنْدَلة، والنّون مزيدة، والوزن «فَنْعَلَة» من الجَدْل.

ومن المجاز: امرأة مَجْدُولة الخلق: قَضيفَة. ودِرْعٌ مَجْدُولة وجَدْلاء: مُحكَمة. وعمل على جَديلَته، أي على شاكلته الّتي جُدِل عليها. وركب جَديلَته، أي عزيمة رأيه. واستقام جَدْوَل القوم، إذا انتظم أمرهم، كالجَدْوَل إذا اطّرد وتتابع جَرْيُه. ونظر أعرابيّ إلى قافلة الحاجّ متتابعةً، فقال: أمّا الحاجّ فقد استقام جَدْوَلهم.

(أساس البلاغة: ٥٣)

الجَدَل: المطروح.

معاوية قال لصعصعة بن صوحان: أنت رجل تتكلّم بلسانك، فما مرّ عليك جدّلْتَه، ولم تنظر في أَرْز[1] الكلام ولاستقامته...

(١) التئام الكلام.

أراد أنّه يتكلّم بكلّ مايعنّ له من غير رويّة، فشبّهه بالصّائد الّذي يُرمي، فيُجَدّل كلّ ماأكثبه من الوحش المارّة عليه. [ثمّ ذكر حديث عائشة في العقيقة وقد مرّ] (الفائق ١: ١٩٦)

المَدينيّ: في الحديث: «كتب عمر رضي الله عنه، في العبد إذا غزا على جديلته، لاينتفع مولاه بشيء من خِدْمَته فأسْهِمْ له».

قال الأزهريّ في «التّهذيب»: الجديلة: الحالة الأُولى، يقال: القوم على جَديلة أمرهم، أي على حالهم الأُولى، وعلى جَدْلائهم كذلك، والجديلة: النّاحية.

وركب جديلة رأيه: أي عزيته، ومازال على جديلة واحدة، أي على طريقة، وهو على جَديّته أيضًا، أي على ناحيته.

والجَديلة: العَراقة، يقال: قطع بنو فلان جديلتهم عن بني فلان، إذا عزلوا عِراقتهم عنهم. (١: ٣٠٤)

ابن الأثير: فيه: «ماأُوتي قوم الجَدَل إلّا ضلّوا» الجدَل: مقابلة الحجّة بالحجّة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.

والمراد به في الحديث: الجدَل على الباطل، وطلب المغالبة به. فأمّا الجدَل لإظهار الحقّ فإنّ ذلك محمود، لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥. [ثمّ ذكر الرّوايات المتقدّمة] (١: ٢٤٧)

الفَيُّوميّ: جَدِل الرّجل جَدَلًا فهو جَدِل، من باب «تَعِب» إذا اشتدّت خصومته. وجادَل مُجادَلة وجِدالًا، إذا خاصم بمايشغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب، هذا أصله.

ثمّ استُعمل على لسان حملة الشّرع في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحقّ وإلّا فمذموم. ويقال: أوّل من دوّن «الجدَل» أبو عليّ الطّبَريّ.

والجَدْوَل «فَعْوَل» هو النّهر الصّغير، والجمع: الجداول.

والجَدالة بالفتح: الأرض، وجدّلته تجديلًا: ألقيتُه على الجَدالة، وطعَنه فجدّله. (١: ٩٣)

الفيروزاباديّ: جَدَلَه يَجْدُله ويَجْدِله: أحكم فَتْلَه.

والجَديل: الزّمام المَجْدُول من أدَم، وحَبْلٌ من أدَمٍ أو شَعْرٍ في عنُق البعير، والوِشاحُ، جمعه: ككُتُب.

والجِدْلُ ويُكسَر: الذّكَر الشّديد، وقَصبُ اليدَيْن والرِّجْلَين، وكلّ عضو وكلّ عَظْم مُوَفّر لايُكسَر ولايُخلَط به غيره، الجمع: أجْدال وجُدُول.

ورجل مجْدُول: لطيف القَصَب محكم الفتْل.

وساعِدٌ أجْدَل وساقٌ مَجْدُولة وجَدْلاء: حسَنة الطّيّ، ومن الدُّروع المحكمة، الجمع: جُدْلٌ بالضّمّ.

وجَدَلَ ولَدُ الظّبْية وغيرها: قَوِي وتَبِع أُمّه.

والأجْدَل: الصّقْر كالأجْدَليّ، جمعه: أجادِل، وكمِنْبَر: القَصْر، جمعه: مَجادل، وكسحابة: الأرض، أو ذات رَمْلٍ رقيق، والبَلَح إذا اخضرّ واستدار قبل أن يشتدّ، والنّملُ الصّغار ذات القوائم.

وجَدَلَ الحبّ في السُّنْبُل: وقَع.

وجَدَلَه وجَدّلَه فانْجَدَل وتجدّل: صَرَعه على الجَدالة.

وجَدَلَ جُدُولًا فهو جَدِل ككتف وعَدَل: صَلُب.

والجَدَل محرّكة: اللَّدَدُ في الخصومة، والقُدرَة عليها، جادَلَه فهو جَدِلٌ ومِجْدَل كمِنْبَر ومحراب، وكمُقْعَد: الجماعة منّا، وكمِنْبَر: موضع.

والجَديلة: القبيلة، والشّاكلة، والنّاحية، وشَريجَة الحَمام ونحوها، وصاحبها جَدّال، والحال والطّريقة، وشِبْهُ أنب من أدَمَ يأتَزِر به الصّبيان، والحُيَّض.

وجَديلَة بنْتُ سُبَيْع بن عَمْرو من حِمْيَر أمّ حَيٍّ، والنّسبة جَدَليّ، وكغراب: بلدة بالموصل.

ومُجادِل: بلدة بالخابور.

والجَدْوَل كجعفر وخِرْوَع: النّهر الصّغير، ونهر معروف.

وجَدْلاء: كَلْبَةٌ، ومن الشّاء المُشَنَّيَة الأذُن.

وشِقْشِقَة جَدْلاء: مائلة.

والجَدْلَة: مِدَقَّة المِهْراس.

والجَدَل: القبر.

وذهب على جَدْلائه: على وجهه وناحيته.

وكأمير: فَحْل للنّعمان بن المنذر.

وأجْدَلت الظّبية: مشى معها ولدها. (٣: ٣٥٧)

الطُّرَيْحيّ: [بعد ذكر آية النّحل: ١٢٥، قال:]

فالجِدال منه قبيح وحسن وأحسن.

فما كان لتبيين الحقّ من الفرائض فهو أحسن، وما كان له من غير ذلك فحسن، وما كان لغير ذلك قبيح.

وجَدَلْتُ الحَبْل أجْدِلُه جَدْلًا، أي فتلته محكمًا، ومنه حديث نوق الجنّة: «خَطْمُها جَديل الأُرجُوان» الجَديل: الزّمام، والأُرْجُوان: الأحمر. ومنه جارية مَجْدُولة الخلق.

والجَنْدَل: الحجارة، والجمع: الجَنادل، وقد جاء في الحديث.

الجَنَدِل بفتح النّون وكسر الدّال: الموضع الّذي فيه حجارة.

والمُجدَّل: المرميّ الملق على الأرض قتيلًا.

والجَدْوَل: النّهر الصّغير.

والجَدْوَل: حساب مخصوص مأخوذ من تسيير القمر ومرجعه إلى عدّ شهر تامًّا وشهر ناقصًا في جميع أيّام السّنة، مبتدأ بالتّامّ من المحرّم، كذا قرّره الشّهيد الثّاني رحمه الله.

ومنه كلام الفقهاء: ولا اعتبار بالجَدْول، يعني في حساب الشّهر.

والأجْدَل: الصّقر، وهي صفة غالبة عليه. (٥: ٣٣٤)

الجزائريّ: «الجِدال والمِراء» قيل: هما بمعنى، غير أنّ المِراء مذموم، لأنّه مخاصمة في الحقّ بعد ظهوره، وليس كذلك الجِدال.

«الجِدال والحِجاج» الفرق بينهما: أنّ المطلوب بالحجاج هو ظهور الحجّة، والمطلوب بالجدال: الرّجوع عن المذهب، فإنّ أصله من «الجدَل» وهو شدّة الفتل، ومنه «الأجدل» لشدّة قوّته من بين الجوارح، ويؤيّده ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ هود: ٣٢، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥، وذلك لأنّ دأب الأنبياء كان ردع القوم عن المذاهب الباطلة وإدخالهم في دين الله ببذل القوّة والاجتهاد، في إيراد الأدلّة والحجج.

هذا وقد يراد بـ«الجدال» مطلق المخاصمة، ومنه ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ النساء: ١٠٩. و﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَيهُمْ﴾ المؤمن: ٣٥.

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٤. فقيل: إنّه قال للملائكة: بأيّ شيء استحقّوا عذاب الاستئصال، وهل ذلك واقع لامحالة أم تخويف ليرجعوا إلى الطّاعة، وبأيّ شيءٍ يهلكون؟ وكيف ينجي الله المؤمنين؟ فسمّي ذلك السّؤال المستقصى جدالًا.

فالمراد: يجادل رسلنا، وتلك المجادلة إنّما كانت من رقّة قلبه ورحمته، وفي ﴿إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ هود: ٧٥، إشارة إلى هذا. (٧٨)

مَجْمَعُ اللُّغة: جدَل الرّجل جدَلًا فهو جَدِل: خاصم. والجدَل: المنازعة في الرّأي، ويطلق على شدّة الخصومة واللَّدَد فيها.

وجادَل مُجادَلةً وجِدالًا: خاصم، وقد يكون الجدال بالباطل ليُصرف عن الحقّ، وقد يكون بالحقّ ليدحض الباطل، والمقام هو الّذي يعيّن المراد.

(١: ١٨٤)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جدَل الحبْل جدلًا: فتَله، وجدَل الرّجل جدَلًا: اشتدّت خصومته، والجدَل: شدّة الخصومة. وأصلها من «الجدْل» وهو شدّة الفتْل.

وتجادل القوم: تحاوروا وتخاصموا وتضاعنوا. وجادل: ناقش بالحجج والأدلّة. (١٠٤)

العَدْنانيّ: الجَدْوَلة.

ويخطّئون من يقول: جَدْوَل يُجَدْوِل جَدْوَلة، لأنّ المعجمات لاتذكر هذا الفعل ومضارعه ومصدره.

ولكن: جاء في الجزء الثّاني، من المجلّد الحادي والخمسين، من مجلّة مَجْمَعُ اللُّغة العربيّة بدمشق ربيع الآخر ١٣٩٦هـ. نيسان (إبريل) ١٩٧٦م، مايأتي:

«كان مجلس المجمع وافقَ على قرار يتضمّن: «تُجازُ كلمة الجَدْوَلة، أخذًا بجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان، ويُستبقى الحرف الزّائد، وهو «الواو» من الاشتقاق أخذًا بتوهّم أصالة الزّيادة في الحرف؛ وذلك بعد دراسة قرار لجنة الألفاظ والأساليب، وقد جاء فيه:

يشيع في الاستعمال المُعاصر لفظ «الجَدْوَلة» في معنى عَرْض التّفاصيل لموضوع مّا، وَفْقَ نظام معيّن في جَدْوَل. وقد دَرستِ اللّجنة هذا اللّفظ، ثمّ انتهت إلى إجازته، بدليلَيْن:

الأوّل: أنّه مأخوذ من الجدول إتباعًا لمبدإ الاشتقاق، من أسماء الأعيان الّذي أخَذَ به المجمع من قبل.

الثّاني: أنّه جاء على أساس الأخذ بمبدإ توهّم أصالة الحرف، الّذي سبَق للمجمع إقراره. وعلى هذا تكون «الواو» في الجَدْوَل أصليّةً، والفعل منها: جَدْوَلَ يُجَدْوِل. هذا إلى أنّ الفعل «جَدْوَل» قد جاء في عبارات لبعض المتأخّرين من علماء النّحو، كالأُشمونيّ والصّبّان.

وبعد نقاشٍ حول قرار المجلس، ولفظة التّوهّم الواردة فيه، أجمع المؤتمِرون على إجازة القرار بعد تعديله على الصّيغة الآتية: «تُجازُ كلمة الجَدْوَلة، أخذًا بجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان، ويُستبقى الحرف الزّائد،

وهو (الواو) في الاشتقاق، أخذاً بجواز اعتبار الزّيادة أصليّة».

وكان ذلك في الدّورة الثّانية والأربعين، لمؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المنعقد في المدّة الواقعة بين تاريخ ٢٣ صفر سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٧٦م، وتاريخ ٧ ربيع الأوّل ١٣٩٦هـ، الموافق ٨ آذار ١٩٧٦م.

الضّفيرة لا الجديلة

خُصَلُ الشّعْر، المنسوج بعضها على بعض، بثلاث طاقات فما فوقها، يُسَمُّونها: جَديلةً، والصّواب: ضفيرة، وجمعها: ضفائر وضُفُر.

أمّا الجَديلة فمن معانيها:

١ـ القبيلة، الرّهْط.

٢ـ النّاحية «مجاز».

٣ـ الشّاكِلَة والطّريقة.

٤ـ قَفَصٌ يُصْنَع من القَصَب للحَمام ونحوه.

٥ ـ ركِبَ جديلة رأيه: عَزيمَتَه «مجاز».

٦ـ هم على جَديلة أمرهم: على حالهم الأوّل «مجاز».

٧ـ جَديلة: اسم لعدّة قبائل من العرب، والنّسبة إليها: جَدَلِيّ. (١١٦)

المُصْطَفَويّ: الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاستحكام، سواء كان بطريق الفَتْل أو غيره، وسواء كان في الكلام أو في غيره، وسواء كان عن حقّ أو باطل وزور، وسواء كان في نفسه أو بمخاصمة ومقابلة.

والمجادلة والجدال على مقتضى صيغة «المفاعلة» تدلّ على إدامة الجدل، وتُطلق في الغالب على تحكيم الكلام، وإدامته في مقام الخصومة والغلبة على الطّرف المقابل، حتّى يمنع عن ظهور الحقّ.

وقيد الاستحكام الخاصّ محفوظ في جميع موارد استعمالها: كالفتل، والزّمام المفتول المستحكم، والأعضاء المستحكمة الطّريفة كقصب اليدين، وبجدول الخلق، والجَدْوَل للماء المستجمع الجاري، والرّجل قضيف الخِلْقة، والصّقر، والأرض الصّلبة.

[في القاموس العبريّ ـ العربيّ:]

(جادَل) ـ نَما، زاد، عظم، طالت، اشتدّ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لقمان: ٢٠، ﴿اَلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي اٰيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ المؤمن: ٣٥، ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ المؤمن: ٥، يريد الإصرار في إدامة الكلام واستحكامه ظاهرًا، من دون توجّه إلى الحقّ، فالنّظر في الجدال إلى إثبات كلامه ومرامه بأيّ نحو كان، من دون أن يتوجّه إلى الحقيقة.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا اَهْلَ الْكِتَابِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥، بأن يكون الجدال مع التّوجّه إلى الحقّ ومحو الباطل وبلطيف الخطاب، من دون خشونة وعصبيّة.

﴿وَكَانَ الْاِنْسَانُ اَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف: ٥٤، فإنّ الإنسان مفطور بحبّ النّفس، وعلى هذا فهو يدافع دائمًا عن نفسه، ولا يُحبّ أمرًا إلّا لحبّه نفسه، ويجادل لتثبيت مرامه والدّفاع عن خلاف مراده، إلّا مَن وفّقه الله تعالى، وترك هوى نفسه، ولم يبق في قلبه إلّا حبّ الله ورضاه تعالى. (٢: ٦٥)

النّصوص التّفسيريّة

جَدَلًا

١ــ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. الكهف: ٥٤

ابن عبّاس: جَدَلًا في الباطل، ويقال: ليس شيء أجدَل من الإنسان. (٢٤٩)

ابن زَيد: الجَدَل: الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم، وردّهم عليهم ماجاءوا به.

(الطّبَريّ ١٥: ٢٦٦)

الطّبَريّ:وكان الإنسان أكثر شيء، مِراء وخصومةً، لايُنيب لحقّ، ولاينزجر لموعظة. (١٥: ٢٦٦)

الزّجّاج: فإن قال قائل: وهل يجادل غير الإنسان؟ فالجواب في ذلك أنّ إبليس قد جادل، وأنّ كلّ مايعقل من الملائكة والجنّ يجادل، ولكنّ الإنسان أكثر هذه الأشياء جدلًا. (٣: ٢٩٦)

الماوَرْديّ: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: ماذكره لهم من العِبَر في القرون الخالية، الثّاني: ماأوضحه لهم من دلائل الرّبوبيّة. فيكون على الوجه الأوّل جزاء، وعلى الثّاني بيانًا. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

يحتمل وجهين: أحدهما: عنادًا، وهو مقتضى الوجه الأوّل، الثّاني: حجاجًا، وهو مقتضى القول الثّاني.

(٣: ٣١٧)

الطُّوسيّ: أي خصومةً، والجدل: شدّة الفَتْل عن المذهب بطريق الحجاج. وأصله: الشّدّة، ومنه الأجدل: الصّقر لشدّته، وسَير مجدول: شديد الفَتْل. (٧: ٦٠)

نحوه أبوالفُتوح الرّازيّ. (١٢: ٣٧٠)

القُشَيريّ: الجَدَل في الله محمود مع أعدائه، والجدَل مع الله شرك، لأنّه صَرْف إلى مخالفة تُوهم أنّ أحدًا يعارض التّقدير، وتجويز ذلك انسلاخ عن الدّين. ومن أمارات السّعادة للمؤمن فتح باب العمل عليه، وإغلاق باب الجدَل دونه. (٤: ٧٥)

البغَويّ: (جَدَلًا): خصومة في الباطل. (٣: ٢٠٠)

مثله الخازن (٤: ١٧٧)، والكاشانيّ (٣: ٢٤٧).

المَيْبُديّ: أي جَدالًا وحجاجًا وخصامًا. [ثمّ ذكر نحو الزّجّاج] (٥: ٧٠٥)

الزّمَخْشَريّ: أكثر الأشياء الّتي يتأتّى منها الجَدل، إن فصّلتها واحدًا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب (جَدَلًا) على التّمييز، يعني أنّ جدل الإنسان أكثر من جدل كلّ شيء ونحوه. (٢: ٤٨٩)

مثله النّسَفيّ. (٣: ١٧)، ونحوه أبوحيّان (٦: ١٣٨).

ابن عَطيّة: الجدَل: الخصام والمدافعة بالقول، فالإنسان أكثر جدلًا من كلّ مايجادل من ملائكة وجنّ وغير ذلك إن فُرض. وفي قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ تعليم تفجّع ماعلى النّاس. (٣: ٥٢٤)

الفَخْرالرّازيّ: أي أكثر الأشياء الّتي يتأتّى منها الجدَل. وانتصاب قوله: (جَدَلًا) على التّمييز.

قال بعض المحقّقين: والآية دالّة على أنّ الأنبياء عليهم السّلام جادلوهم في الدّين حتّى صاروا هم مجادلين، لأنّ المجادلة لاتحصل إلّا من الطّرفين؛ وذلك يدلّ على أنّ القول بالتّقليد باطل. (٢١: ١٤٠)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٣٨٦)

القُرطُبيّ: أي جدالًا ومجادلة...

وروى أنس أنّ النّبيّ ﷺ قال: يؤتى بالرّجل يوم القيامة من الكفّار، فيقول الله له: ماصنعتَ فيما أرسلتُ إليك؟

فيقول: ربّ آمنتُ بك وصدّقت برسلك وعملتُ بكتابك.

فيقول الله له: هذه صحيفتك ليس فيها شيء من ذلك.

فيقول: ياربّ إنّي لاأقبل ما في هذه الصّحيفة.

فيقال له: هذه الملائكة الحفظة يشهدون عليك.

فيقول: ولاأقبلهم ياربّ، وكيف أقبلهم ولاهم من عندي ولامن جهتي؟

فيقول الله تعالى: هذا اللّوح المحفوظ أُمّ الكتاب قد شهد بذلك.

فقال: ياربّ ألم تُجرني من الظّلم؟ قال: بلى، فقال: ياربّ لاأقبل إلّا شاهدًا عليّ من نفسي.

فيقول الله تعالى: الآن نبعث عليك شاهدًا من نفسك.

فيتفكّر من ذا الّذي يشهد عليه من نفسه فيختم على فيه، ثمّ تنطق جوارحه بالشّرك، ثمّ يُخلّى بينه وبين الكلام فيدخل النّار، وإنّ بعضه ليلعن بعضًا.

يقول لأعضائه: لعنكنّ الله فعنكنّ كنتُ أناضل.

فتقول أعضاؤه: لعنك الله، أفتعلم أنّ الله تعالى يُكتم حديثًا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ اَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، أخرجه مسلم بمعناه، من حديث أنس أيضًا. (١١: ٥)

البَيْضاويّ: خصومة بالباطل، وانتصابه على التّمييز. (٢: ١٦)

مثله المشهديّ (٦: ٧١)، ونحوه شُبّر (٤: ٨٥)، وطنطاوي (٩: ١٣٤).

النَّيسابوريّ: [نحو الفَخْرالرّازيّ وأضاف:]

فقوله: (اَكْثَرَ شَيْءٍ) كقوله: (اَوَّلَ مَرَّةٍ) وقد مرّ في الأنعام، وكثرة جدل الإنسان لسعة مضطربه، فيما بين أوج الملكيّة إلى حضيض البهيميّة، فليس له في جانبي التّصاعد والتّسافل مقام معلوم. (١٥: ١٤٣)

ابن جزيّ: أي مخاصمةً ومدافعةً بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذمّ الجدل. (٢: ١٩٠)

ابن كثير: الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحقّ بالباطل، إلّا مَن هدى الله وبصّره لطريق النّجاة. (٤: ٤٠٠)

السُّيوطيّ: الجدل: الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم، وردّهم عليهم ماجاءوا به. وكلّ شيء في القرآن من ذكر الجدل فهو من ذلك الوجه، فيما يخاصمونهم من دينهم، يردّون عليهم ماجاءوا به، والله أعلم. (الدُّرّ المنثور ٤: ٢٢٨)

أبوالسُّعود: أي أكثر الأشياء الّتي يتأتّى منها الجدل، وهو هاهنا شدّة الخصومة بالباطل والمماراة، من الجدل الّذي هو الفتل.

والمجادلة: الملاواة، لأنّ كلًّا من المجادلَين يلتوي على صاحبه، وانتصابه على التّمييز. والمعنى أنّ جدله أكثر من جدل كلّ مجادل. (٤: ١٩٨)

نحوه الآلوسيّ. (١٥: ٣٠٠)

البُرُوسَوِيّ: [نحو أبي السُّعود وأضاف:]

قال في «التّأويلات النّجميّة»: من طبيعة الإنسان المجادلة والمخاصمة، وبها يقطعون الطّريق على أنفسهم، فتارة مع الأنبياء يجادلون لايقبلون بالنّبوّة والرّسالة حتّى يقاتلونهم، وتارة يجادلون في الكتب المنزّلة ويقولون: ماأنزل الله على بشر من شيء، وتارة يجادلون في محكماتها، وتارة يجادلون في متشابهاتها، وتارة يجادلون في ناسخها ومنسوخها، وتارة يجادلون في تفسيرها وتأويلها، وتارة يجادلون في أسباب نزولها، وتارة يجادلون في قراءتها، وتارة يجادلون في قِدَمها وحدوثها، على هذا حتّى لم يفرغوا من المجادلة إلى المجاهدة ومن المخاصمة إلى المعاملة ومن المنازعة إلى المطاوعة ومن المناظرة إلى المواصلة، فلهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. (٥: ٢٥٩)

القاسميّ: أي مجادلة ومخاصمة ومعارضة للحقّ بالباطل. (١١: ٤٠٧٣)

المَراغيّ: الجدَل: المنازعة بالقول، ويراد به هنا المماراة والخصومة بالباطل.

وخلاصة ذلك: أنّ جدَل الإنسان أكثر من جدَل كلّ مجادل. لما أُوتيه من سعة الحيلة، وقوّة المعارضة، واختلاف النّزعات والأهواء، وقوّة العزيمة إلى غير حدّ، فلواتّجه إلى سُبل الخير، وتاقت نفسه إلى سلوك طريقه، ارتقى إلى حظيرة الملائكة، ولو نزعت نفسه إلى اتّباع وساوس الشّيطان، انحطّ إلى الدّرك الأسفل ولحق بأنواع الحيوان، يفعل مايشاء، غير مقيّد بوازع من الدّين، ولازمام من العقل وصادق العزيمة. (١٥: ١٦٥)

مَغْنيّة: المراد بالجدَل هنا: الخصومة بالباطل، بدليل قوله تعالى في الآية التّالية: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ الكهف: ٥٦.

أمّا القرآن الكريم فهو كتاب الله إلى عباده، يهديهم بدلائله ومواعظه، ويحثّهم على التّمسّك بأحكامه وتعاليمه. وقد أوضح سبحانه هذه المواعظ والدّلائل بشتّى الأساليب، وضرب عليها من أجل ذلك الكثير من الأمثال، منها الرّجلان المذكوران في الآية (٣٢)، وتشبيه الحياة بالماء في الآية (٤٥) من هذه السّورة. ولكنّ أكثر النّاس لايعقلون ويخاصمون في أوضح الواضحات، ويحاولون إبطال الحقّ ودحضه بالمماراة والأكاذيب. (٥: ١٣٩)

الطَّباطَبائيّ: الجدَل: الكلام على سبيل المنازعة والمشاجرة، والآية ـ إلى تمام ستّ آيات ـ مسوقة للتّهديد بالعذاب بعد التّذكيرات السّابقة. (١٣: ٣٣١)

عبد الكريم الخطيب: الجدَل والمِراء آفة الإنسان، والحجاز الّذي يحجز عقله عن أن يميز الخبيث من الطّيّب، ويُفرّق بين النّور والظّلام ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، فتلك هي بليّة الإنسان، ومضلّة الضّالّين، ومهلك الهالكين، من أبناء آدم. (٨: ٦٣٥)

مكارم الشّيرازيّ: الجدل تعني محادثة الآخرين على أساس المنازعة وإظهار نزعة التّسلّط على الآخرين، ولهذا فإنّ المجادلة تعني قيام شخصين بإطالة الحديث في حالة من التّشاجر. وهذه الكلمة في الأصل مأخوذة ـ وكما يقول الرّاغب في «المفردات» ـ من جدلت الحَبْل، أي ربطت الحبل بقوّة، وهي كناية عن أنّ

الشّخص الجادل يستهدف من خلال جدله أن يحرّف الشّخص الآخر بالقوّة عن أفكاره.

البعض قال: إنّ أصل الجدال هو بمعنى المصارعة وإسقاط الآخر على الأرض، وهي تستعمل أيضًا في الدّلالة على الشّجار اللّفظيّ.

في كلّ الأحوال، إنّ المقصود بـ«النّاس» في الآية هم تلك الفئة الّتي لاتقوم في وجودها وممارساتها على أُصول التّربية الإسلاميّة وقواعدها. وقد أكثر القرآن في استعمال هذه التّعابير، وقد شرحنا هذه الحالة مفصّلًا في نهاية الحديث، عن الآية ١٢: من سورة «يونس».

(٩: ٢٧١)

٢ـ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ. الزّخرف: ٥٨

ابن عبّاس: إلّا للجدال والخصومة. (٤١٥)

السُّدّيّ: هو قول قريش لرسول الله ﷺ، تزعم كلّ شيء عُبد من دون الله في النّار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَير والملائكة، هؤلاء قد عُبدوا من دون الله. (الماوَرْديّ ٥: ٢٣٤)

مُقاتِل: ماوصفوا لك ذكر عيسى إلّا ليجادلوك به، لأنّهم قد علموا أنّ المراد بحصب جهنّم مااتّخذوه من الموات. (الواحديّ ٤: ٧٩)

نحوه القُرطُبيّ. (١٦: ١٠٤)

الطَّبَريّ: مامثّلوا لك هذا المثل يامحمّد، ولاقالوا لك هذا القول إلّا جدلًا وخصومة يخاصمونك به. عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ماضلّ قوم بعد هدًى كانوا عليه إلّا أُوتوا الجدل»، [ثمّ] قرأ: ﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ الآية. (٢٥: ٨٨)

الزّجّاج: أي طلبًا للمجادلة، لأنّهم قد علموا أنّ المعنى في حَصَب جهنّم هاهنا، أنّه يعني به الأصنام وهم. (٤: ٤١٦)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٧: ٣٢٤)

الطُّوسيّ: (مَاضَرَبُوهُ) يعني المسيح مثلًا (إِلَّا جَدَلًا) أي خصومة لك ودفعًا لك عن الحقّ، لأنّ المجادلة لاتكون إلّا وأحد المجادلَين مبطلًا. والمناظرة قد تكون بين المحقّين، لأنّه قد يعارض ليظهر له الحقّ.

(٩: ٢١٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٥٣)

القُشَيريّ: وذلك أنّهم قالوا: إن قال: آلهتكم خير، فقد أقرّ بأنّها معبودة، وإن قال: عيسى خير من آلهتكم، فقد أقرّ بأنّ عيسى يصلح لأن يُعبَد، وإن قال: ليس واحد منهم خيرًا، فقد نفى ذلك عن عيسى ﷺ. هم راموا بهذا الكلام أن يجادلوه، ولم يكن سؤالهم للاستفادة، فكان جواب النّبيّ ﷺ أنّ عيسى ﷺ خير من آلهتكم ولكنّه لايستحقّ أن يُعبَد، إذ ليس كلّ ماهو خير من الأصنام بمستحقّ أن يكون معبودًا من دون الله. وهكذا بيّن الله سبحانه لنبيّه أنّهم قوم جدلون، وأنّ حجّتهم داحضة عند ربّهم. (٥: ٣٧١)

البغويّ: خصومة بالباطل، وقد علموا أنّ المراد من قوله: ﴿وَمَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الأنبياء: ٩٨، هؤلاء الأصنام. (٤: ١٦٥)

المَيْبُديّ: أي أنّهم قد علموا أنّك لاتريد منهم أن

يتزلوك منزلة المسيح، وماقالوا هذا القول إلّا جدلًا، أي خصومة بالباطل. (٩: ٧٣)

الزّمَخْشَريّ: إلّا لأجل الجدَل والغلبة في القول، لالطلب الميز بين الحقّ والباطل. (٣: ٤٩٣)

مثله البَيْضاويّ (٢: ٣٧٠)، والنّسفيّ (٤: ١٢٢)، والنّيسابوريّ (٢٥: ٥٨)، والمراغيّ (٢٥: ١٠٢)، والكاشانيّ (٤: ٣٩٦)، والمشهديّ (٩: ٣٥٥)، وشُبّر (٥: ٤٢٧)، ونحوه الفَخْرالرّازيّ (٢٧: ٢٢١).

ابن عَطيّة: أي مامثّلوا هذا التّمثيل إلّا جدلًا منهم ومغالطة، ونسوا أنّ عيسى لم يُعبَد برضًى منه ولاعن إرادة، و لا له في ذلك ذنب.

والجِدال عند العرب: المحاورة بمغالطة أو تحقيق أو مااتّفق من القول. إنّما المقصد به أن يغلب صاحبه في الظّاهر إلّا أن يتطلّب الحقّ في نفسه.

[ثمّ ذكر حديث أبي أُمامة المتقدّم] (٥: ٦١)

نحوه أبوالفُتُوح الرّازيّ. (١٧: ١٨٠)

ابن جزيّ: أي ماضربوا لك هذا المثال إلّا على وجه الجدَل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحقّ أو بباطل. فإنّ ابن الزّبعري وأمثاله ممّن لايخفى عليه أنّ عيسى عليه السلام لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ولكنّهم أرادوا المغالطة. فوصفهم الله بـ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾. (٤: ٣١)

أبوحَيّان: أي مامثّلوا هذا التّمثيل إلّا لأجل الجدَل والغلبة والمغالطة، لالتمييز الحقّ واتّباعه. وانتصب جدَلًا على أنّه مفعول من أجله. وقيل: مصدر في موضع الحال.

وقرأ ابن مقسم (جِدالًا) بكسر الجيم وألف. (٨: ٢٥)

نحوه أبو السُّعود (٦: ٣٩)، والقاسميّ (١٤: ٥٢٧٩).

ابن كثير: أي مِراءً، وهم يعلموه أنّه ليس بوارد على الآية، لأنّها لما لايعقل، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الأنبياء: ٩٨، ثمّ هي خطاب لقريش، وهم إنّما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتّى يوردوه، فتعيّن أنّ مقالتهم إنّما كانت جدَلًا منهم، ليسوا يعتقدون صحّتها. (٦: ٢٣٤)

الشِّربينيّ: أي خصومة بالباطل لعلمهم أنّ لفظ (ما) لغير العاقل، فلايتناول من ذكروه. (٣: ٥٦٩)

البُرُوسَويّ: الجدل: فتل الخصم عن قصده، لطلب صحّة قوله وإبطال غيره، وهو مأمور به على وجه الإنصاف، وإظهار الحقّ بالاتّفاق. وانتصاب (جَدَلًا) على أنّه مفعول له للظّرف. [ثمّ نقل كلام القُشَيريّ وأبي السُّعود] (٨: ٣٨٢)

الآلوسيّ: أي ماضربوا لك ذلك إلّا لأجل الجدال والخصام لالطلب الحقّ، فإنّه في غاية البطلان، بل هم قوم لُدّ شِداد الخصومة، مجبولون على المحك، أي سؤال الخلق واللّجاج. [ثمّ نقل كلام أبي حيّان] (٢٥: ٩٣)

عِزّة دَرْوَزَة: وجملة ﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ تدلّ على ماكان من قوّة وشدّة حجاج ولجاج نبهاء المشركين في أثناء جدالهم مع النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفي حجاجهم الّذي شرحناه في صدد عيسى مثل على ذلك، فضلًا عن أمثلة عديدة من ذلك مرّت في

السّور السّابقة.

ولقد روى المفسّرون في سياق هذه الجملة حديثًا عن النّبيّ ﷺ في صيغ مختلفة، كلّها عن أبي أمامة رضي الله عنه، منها حديث رواه التّرمذيّ ومسلم في سياق تفسير الجملة، جاء فيه قال رسول الله ﷺ: «ماضلّ قوم بعد هُدى كانوا عليه إلّا أوتوا الجدل» ثمّ تلا ﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ...﴾.

ومنها حديث رواه الطّبَريّ عن أبي كريب عن أحمد ابن عبد الرحمان عن عَبّاد بن عَبّاد عن جعفر بن القاسم عن أبي أُمامة، جاء فيه: إنّ رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضبًا شديدًا حتّى كأنّما صبّ على وجهه الخلّ، ثمّ قال: «لاتضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإنّه ماضلّ قوم قطّ إلّا أُوتوا الجدَل» ثمّ تلا ﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ...﴾.

والمتبادر أنّ النّبيّ ﷺ أراد من الجدل الّذي غضب منه ونهى عنه: مايكون مقصودًا به اللّجاج والحجاج والعناد والتّعنّت، وأراد من تعبير «لاتضربوا كتاب الله بعضه ببعض»: لاتتجادلوا في آيات قد يبدو ظاهرها مناقضًا لظاهر آيات أُخرى جدالًا يؤدّي إلى تكذيب آيات الله ببعضها. [ثمّ بحث حول أنّه لااختلاف ولاتناقض في القرآن «لاحظ القرآن»] (٥: ٢٢٠)

مَغْنيّة: إنّ نقض المشركين عليك يامحمّد بالمسيح ماهو بقصد إحقاق الحقّ وإظهاره، كلّا بل للتّهرّب منه بالكذب والتّمويه، وإلّا فإنّهم على علم اليقين بأنّ المراد من ﴿وَمَاتَعْبُدُونَ﴾ أصنامهم بالذّات. (٦: ٥٥٥)

عبد الكريم الخطيب: أي ماضربوا هذا المثل الّذي يوقع الشّبه بينهم وبين أتباع المسيح الّذين يعبدونه من جهة، وبين آلهتهم الّتي يعبدونها، وبين المسيح من جهة أُخرى، ماضربوا هذا المثل إلّا جَدلًا، أي لأجل الجدَل الّذي يصرف عن الحقّ، ويُعمي السُّبل عنه. وهذا شأن القوم في أكثر أُمورهم، فهم قوم خصمون، أي شديدو الجدَل في الخصومة. (١٣: ١٥١)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ هؤلاء يعلمون جيّدًا أنّ الّذين يردون جهنّم من آلهة هم الّذين كانوا راضين بعبادة عابديهم، كفرعون الّذي كان يدعوهم إلى عبادته، لاكالمسيح عليه السلام الّذي كان ولايزال رافضًا لعملهم هذا، ومتبرّئًا منه. (١٦: ٧٧)

جَادَلُوا

...وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ... المؤمن: ٥

ابن عبّاس: خاصموا الرّسل بالشّرك. (٣٩٣)

الطّبَريّ: خاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة. (٢٤: ٤٣)

نحوه أبوالفُتوح الرّازيّ (١٧: ٨)، والبُرُوسَويّ (٨: ١٥٤).

الطُّوسيّ: أي خاصموا في دفع الحقّ بباطل من القول. وفي ذلك دليل على أنّ الجدال إذا كان بحقّ كان جائزًا. (٩: ٥٥)

الواحديّ: خاصموا رسولهم فقالوا: ﴿مَاأَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يس: ١٥، وهلّا أرسل الله إلينا ملائكة؟ وأمثال هذا من القول. (٤: ٥)

مثله الطّبْرِسيّ. (٤: ٥١٤)

الرّازيّ : فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع أنّ الّذين آمنوا يجادلون أيضًا فيها؟ هل هي منسوخة أم محكمة؟ وهل فيها مجاز أم كلّها حقيقة؟ وهل هي مخلوقة أم قديمة؟ وغير ذلك.

قلنا : المراد : الجدال فيها بالتّكذيب ودفعها بالباطل، والطّعن بقصد إدحاض الحقّ وإطفاء نور الله تعالى.

(٣٠٣)

الخازن : يعني خاصموا. (٦: ٧٤)

ابن كثير : أي ماحلوا بالشّبهة ليردّوا الحقّ الواضح الجليّ. (٦: ١٢٣)

المراغيّ : أي وخاصموا رسولهم بالباطل بإيراد الشّبهة الّتي لاحقيقة لها، كقولهم : ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يس : ١٥. (٢٤: ٤٥)

عبد الكريم الخطيب : أي وأقبلوا بالباطل الّذي معهم ليُبطلوا به الحقّ الّذي بين يدي النّبيّ، ويقيموا لهذا الباطل حُججًا من السّفه والضّلال. (١٢: ١٢٠٦)

مكارم الشّيرازيّ : لجأوا إلى الكلام الباطل لأجل القضاء على الحقّ ومحوه، وأصرّوا على إضلال النّاس وحرفهم عن شريعة الله. (١٥: ١٧٢)

جَادَلُوكَ

وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. الحجّ : ٦٨

ابن عبّاس : خاصموك في أمر الذّبيحة والتّوحيد، لقولهم : إنّ ماذبح الله أحلّ ممّا تذبحون أنتم بسكاكينكم.

(٢٨٣)

نحوه الخازن. (٥: ٢٢)

مُجاهِد : قول أهل الشّرك : أمّا ماذبح الله بيمينه ﴿فَقُلِ...﴾. الطّبريّ ١٧: ١٩٩)

الطّبريّ : وإن جادلك يامحمّد هؤلاء المشركون بالله في نُسكك فقل الله أعلم بما تعملون وتعمل.

(١٧: ١٩٩)

الطّوسيّ : إن جادلوك على وجه المراء والتّعنّت الّذي يعمله السّفهاء، فلاتجادلهم على هذا الوجه، وادفعهم بهذا القول : ﴿فَقُلِ...﴾. وهذا أدب من الله حسن ينبغي أن يأخذ به كلّ أحد.

(٧: ٣٣٨)

الواحديّ : خاصموك في أمر الذّبيحة. (٣: ٢٧٩)

مثله ابن الجوزيّ. (٥: ٤٤٩)

المَيْبُديّ : ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ بباطلهم مِراءً وتعنّتًا فادفعهم بقولك : ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من التّكذيب والكفر.

فإن قيل : كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل : ١٢٥؟

قلنا : إنّهم كانوا يجادلون مجادلة شغب وتعنّت، وكان ذلك يُزري بالنّبيّ. فبيّن بهذه الآية أنّه لايجوز مجادلة المتعنّت المتعسّف، وبيّن بتلك الآية جواز مجادلة المسترشد المستمع. (٦: ٤٠٠)

الزّمَخْشَريّ : أي وإن أبوا للجاجهم إلّا المجادلة بعد اجتهادك أن لايكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأنّ الله أعلم بأعمالكم. (٣: ٢١)

مثله أبوحيّان. (٦: ٣٨٨)

ابن عَطيّة : الآية موادعة محضة نسختها آية

السّيف، وباقي الآية وعيد. (٤: ١٣٢)

نحوه ابن جزيّ. (٣: ٤٦)

الطَّبْرِسيّ: أي إن خاصموك في أمر الذّبيحة فقل: الله أعلم بتكذيبكم، فهو يجازيكم به، وهذا قبل الأمر بالقتال.

وقيل: معناه وإن جادلوك على سبيل المِراء والتّعنّت بعد لزوم الحجّة فلاتجادلهم على هذا الوجه، وادفعهم بهذا القول.

وقيل: معناه وإن نازعوك في نسخ الشّريعة فحاكمهم إلى الله. (٤: ٩٤)

الفَخْرالرّازيّ: والمعنى: فإن عدلوا عن النّظر في هذه الأدلّة إلى طريقة المِراء والتّمسّك بالعادة، فقد بيّنت وأظهرت مايلزمك ﴿فَقُلِ اللهُ اَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. (٢٣: ٦٥)

القُرطُبيّ: أي خاصموك يامحمّد، يريد مشركي مكّة. (١٢: ٩٤)

نحوه طه الدُّرّة. (٩: ٢٥٥)

النّسَفيّ: مِراءً وتعنّتًا، كما يفعله السّفهاء بعد اجتهادك أن لايكون بينك وبينهم تنازع وجدال. (٣: ١١٠)

الشّربينيّ: أي في أمر الدّين بعد أن ظهر الحقّ ولزمت الحجّة. (٢: ٥٦٤)

مثله الآلوسيّ. (١٧: ١٩٧)

البُرُوسَويّ: وخاصموك بعد ظهور الحقّ ولزوم الحجّة. وأصله من: جدَلت الحبْل، أي حكمت فتله، فكأنّ المجادلَين يفتل كلّ واحد منهما الآخر عن رأيه. (٦: ٥٨)

المَراغيّ: أي وإن جادلك هؤلاء المشركون في نسكك بعد أن ظهر الحقّ ولزمتهم الحجّة، فقل لهم على سبيل التّهديد والوعيد: الله عليم بما تعملون وبما أعمل، ومجازٍ كلًّا بما هو له أهل. (١٧: ١٤٠)

الطَّباطَبائيّ: سياق الآية يؤيّد أنّ المراد بهذا الجدال: المجادلة والمِراء، في أمر اختلاف منسكه ﷺ مع الشّرائع السّابقة، بعد الاحتجاج عليه بنسخ الشّرائع، وقد أمرﷺ بإرجاعهم إلى حكم الله، من غير أن يشتغل بالمجادلة معهم بمثل مايجادلون.

وقيل: المراد بقوله: ﴿اِنْ جَادَلُوكَ﴾ مطلق الجدال في أمر الدّين. وقيل: الجدال في أمر الذّبيحة، والسّياق السّابق لايساعد عليه. (١٤: ٤٠٦)

عبد الكريم الخطيب: هو تأكيد للأمر الّذي أُمر به النّبيّ بالدّعوة إلى ربّه، بالكتاب المستقيم الّذي معه؛ دون التفات إلى مافي أيدي أهل الكتاب، ودون استماع لما يلقون إليه من مسائل، يريدون بها إثارة الجدل وبعث الشّكوك عند المنافقين، ومَن في قلوبهم مرض. (٩: ١٠٩٤)

جَادَلْتَنَا ـ جِدَالَنَا

قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَاَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. هود: ٣٢

ابن عبّاس: خاصمتنا ودعوتنا إلى دين غير دين آبائنا ﴿فَاَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ خصومتنا ودعاءنا. (١٨٤)

مُجاهِد: ماريتنا. (الطّبَريّ ١٢: ٣١)

الكَلْبِيّ: دعوتنا. (أبوحيّان ٥: ٢١٨)

الأخْفَش: قال بعضهم: (جَدَلَنا) وهما لغتان. (٢: ٥٧٦)

الطَّبَريّ: قد خاصمتنا، فأكثرت خصومتنا. (١٢: ٣١)

نحوه الخازن. (٣: ١٨٧)

الزّجّاج: ويُقرأ (فَأكْثَرتَ جَدَلَنا). والجدل والجِدال: المبالغة في الخصومة والمناظرة، وهو مأخوذ من «الجَدْل» وهو شدّة الفتل. والصّقر يقال له: أجْدَل، لأنّه من أشدّ الطّير. (٣: ٤٩)

الطُّوسيّ: أي خاصمتنا وحاججتنا فأكثرت مجادلتنا، وروي: (فَأكْثَرتَ جَدَلَنا)، والمعنى واحد.

وفي الآية دلالة على حسن الجدال في الدّين، لأنّه لو لم يكن حسنًا لما استعمله نوح مع قومه، لأنّ الأنبياء لايفعلون إلّا مايحسن فعله. (٥: ٥٤٦)

الواحديّ: خاصمتنا في الدّين. (٢: ٥٧١)

البغَويّ: خاصمتنا. (٢: ٤٤٦)

مثله النّسفيّ (٢: ١٨٦)، والكاشانيّ (٢: ٤٤١)، وطنطاوي (٦: ١٥١).

المَيْبُديّ: أي بالغت في خصومتنا، ومعنى الجدال: فتل الخصم عن رأيه بالحجاج. (٤: ٣٧٨)

الزَّمَخْشَريّ: معناه: أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته، كقولك: جاد فلان فأكثر وأطاب. (٢: ٢٦٧)

نحوه النّيسابوريّ. (١٢: ٢٣)

ابن عَطيّة: معناه: قد طال منك هذا الجدال، وهو المراجعة في الحجّة والمخاصمة والمقابلة بالأقوال حتّى تقع الغلبة، وهو مأخوذ من «الجَدْل» وهو شدّة الفتل، ومنه: حَبْل مجدول، أي مُمَرّ، ومنه قيل للصّقر: أجدل، لشدّة بنيته وفتل أعضائه.

والجِدال «فِعال» مصدر (فاعَل) وهو يقع من اثنين، ومصدر فاعَل يجيء على: فِعال وفيعال ومفاعلة، فتركت الياء من «فيعال» ورُفضت.

ومن الجدال ماهو محمود، وذلك إذا كان مع كافر حربيّ في منعته، ويطمع في الجدال أن يهتدي، ومن ذلك هذه الآية، ومنه ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥، إلى غير ذلك من الأمثلة.

ومن الجدال ماهو مكروه، وهو مايقع بين المسلمين بعضهم في بعض، في طلب علل الشّرائع، وتصوّر مايخبر الشّرع به من قدرة الله. وقد نهى النّبيّ ﷺ عن ذلك، وكرهه العلماء، والله المستعان.

وقرأ ابن عبّاس (قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا) بغير ألف، وبفتح الجيم، ذكره أبوحاتم. (٣: ١٦٦)

الطَّبْرِسيّ: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ أي خاصمتنا وحاججتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ أي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية. وفي بعض الرّوايات عن ابن عبّاس (فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا) والمعنى واحد. (٣: ١٥٧)

نحوه شُبّر. (٣: ٢١٣)

الفَخْرالرّازيّ: هذا يدلّ على أنّه ﷺ كان قد أكثر في الجدال معهم، وذلك الجدال ماكان إلّا في إثبات التّوحيد والنّبوّة والمعاد. وهذا يدلّ على أنّ «الجدال» في تقرير الدّلائل وفي إزالة الشّبهات حرفة الأنبياء، وعلى أنّ التّقليد والجهل والإصرار على الباطل حِرفة

الكفّار. (١٧: ٢١٨)

نحوه القُرطُبيّ (٩: ٢٧)، والشّربينيّ (٢: ٥٤).

العُكبريّ: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ الجمهور على إثبات الألف، وكذلك (جِدَالَنَا)، وقُرئ (جَدَلْتَنا فَأكْثَرْتَ جَدَلَنَا) بغير ألف فيهما، وهو بمعنى غلبتنا بالجَدَل. (٢: ٦٩٦)

البَيْضاويّ: خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾: فأطلته، أو أتيت بأنواعه. (١: ٤٦٧)

مثله المشهديّ (٤: ٤٦٤)، نحوه البُرُوسَويّ (٤: ١٢٠).

ابن جزيّ: الجِدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجّة. (٢: ١٠٤)

أبوحَيّان: (قَدْ جَادَلْتَنَا) الظّاهر المبالغة في الخصومة والمناظرة. وقيل: وعظتنا، وقيل: أتيت بأنواع الجدال وفنونه فما صحّ دعواك. [إلى أن قال:]

وإنّما كثرت مجادلته لهم، لأنّه أقام فيهم ماأخبر الله به ألف سنة إلّا خمسين عامًا، وهو كلّ وقت يدعوهم إلى الله وهم يجيبونه بعبادتهم أصنامهم. (٥: ٢١٨)

ابن كثير: أي حاججتنا فأكثرت من ذلك ونحن لانتّبعك. (٣: ٥٤٩)

أبوالسُّعود: [مثل البَيْضاويّ وأضاف:] فإنّ إكثار الجدال يتحقّق بعد وقوع أصله، فلذلك عطف عليه بالفاء، أو أردت ذلك فأكثرته. (٣: ٣٠٨)

الآلوسيّ: أي خاصمتنا ونازعتنا [إلى أن قال:]

﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ عطف على ماقبله، على معنى شرعت في جدالنا فأطلته، أو أتيت بنوع من أنواع الجدال فأعقبه بأنواع أُخر. فالفاء على ظاهرها، ولاحاجة إلى تأويل (جَادَلْتَنَا): بـ«أردت جدالنا» ـ كما قاله الجمهور ـ في ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ النّحل: ٩٨، ونظير ذلك: جادل فلان فأكثر، وجعل بعضهم مجموع ذلك كناية عن التّمادي والاستمرار.

وقرأ ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما (جَدَلَنَا) وهو ـ كما قال ابن جنّيّ ـ اسم بمعنى الجدال. (١٢: ٤٥)

المَراغيّ: قد حاججتنا فأكثرت جدالنا واستقصيت فيه، فلم تَدَعْ حجّة إلّا ذكرتها حتّى مللنا وسئمنا، ولم يبق لدينا شيء نقوله، كما قال في سورة نوح: ٥، حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا...﴾. (١٢: ٣١)

طه الدُّرّة: [نحو ابن عطيّة وأضاف:]

وقُرئ (جَدَلَنَا). والجَدَل في الدّين محمود، ولهذا جادل نوح والأنبياء أقوامهم حتّى يظهر الحقّ، فمن قَبِلَه نجح وأفلح، ومن ردّه خاب وخسر.

وأمّا الجدال لغير الحقّ حتّى يظهر الباطل في صورة الحقّ فمذموم، وصاحبه في الدّارين ملوم.

وقد يسمّى الجدال مماراة كما في الآية (٢٣) من سورة الكهف. (٦: ٢٧٨)

جَادَلْتُمْ ـ يُجَادِلُ

هَاأَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ... النّساء: ١٠٩

ابن عبّاس: خاصمتم عنهم ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ﴾ يخاصم الله عنهم. (٧٩)

نحوه الواحديّ (۲: ۱۱۳)، والبغويّ (۱: ٦٩٩)، والميبُديّ (۲: ٦٧٥).

إنّ نفرًا من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فسُرقت درع لأحدهم، فأظنّ بها رجل من الأنصار، فأتى صاحب الدّرع رسول الله ﷺ، فقال: إنّ طُعمة بن أُبيرق سرق درعي. فلمّا رأى السّارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء، وقال لنفر من عشيرته: إنّي غيّبت الدّرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده. فانطلقوا إلى نبيّ الله ﷺ ليلًا، فقالوا: يانبيّ الله إنّ صاحبنا بريء وإنّ صاحب الدّرع فلان، وقد أحطنا بذلك علمًا، فأعذِرْ صاحبنا على رؤوس النّاس، وجادِلْ عنه، فإنّه إن لم يعصمه الله بك يهلك. فقام رسول الله ﷺ فبرّأه وعذّره على رؤوس النّاس، فأنزل الله: ﴿اِنَّآ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ اَرٰيكَ اللهُ وَلَاتَكُنْ لِلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا... وَلَاتُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ اَنْفُسَهُمْ...﴾ النّساء: ١٠٥ ـ ١٠٧. (ابن كثير ٢: ٣٨٥)

الطّبَريّ: هاأنتم الّذين جادلتم يامعشر من جادل، عن بني أُبيرق في الحياة الدّنيا. والهاء والميم في قوله: (عَنْهُمْ) من ذكر الخائنين. ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ﴾ يقول: فمن ذا يخاصم الله عنهم يوم القيامة، أي يوم يقوم النّاس من قبورهم لحشرهم، فيدافع عنهم، مالله فاعل بهم، ومعاقبهم به.

وإنّما يعني بذلك أنّكم أيّها المدافعون عن هؤلاء الخائنين أنفسهم، وإن دافعتم عنهم في عاجل الدّنيا، فإنّهم سيصيرون في آجل الآخرة إلى من لايدافع عنهم عنده أحد، فيما يحلّ بهم من أليم العذاب، ونكال العقاب. (٥: ٢٧٢)

نحوه الطّوسيّ. (٣: ٣٢٠)

الزّجّاج: يعني به من احتجّ عن هذا السّارق ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ أي في اليوم الّذي يؤخذ فيه بالحقائق، وأمر الدّنيا يقوم بالشّهادات في الحقوق.

وجائز أن تكون الشّهادة غير حقيقة، فكأنّه ـ والله أعلم ـ قيل لهم: إن يقم الجدال في الدّنيا والتّغييب عن أمر هذا السّارق، فيوم القيامة لاينفع فيه جدال ولاشهادة. (٢: ١٠٢)

القُشَيريّ: أي ندفع عنهم ـ بحرمتك ـ لأنّك فيهم، فكيف حالهم يوم القيامة، إذ زالت عنهم بركاتكم أيّها المؤمنون؟! (٢: ٥٥)

الزّمَخْشَريّ: هبوا أنّكم خاصمتم عن طُعمة وقومه في الدّنيا، فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه. (١: ٥٦٢)

نحوه أبوالفُتوح (٦: ١٠٦)، والفخرالرّازيّ (١١: ٣٦)، والنّيسابوريّ (٥: ١٤٠)، والخازن (١: ٤٩٥)، وأبوالسّعود (٢: ١٩٤)، والبُروسَويّ (٢: ٢٨٠)، والآلوسيّ (٥: ١٤١)، والقاسميّ (٥: ١٥٣٩).

ومثله النّسَفيّ (١: ٢٥٠)، وطنطاوي (٣: ٧٨).

ابن عَطيّة: المجادلة: المدافعة بالقول، وهي من فتل الكلام وليّه، إذ الجَدل: الفتل، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ وعيد محض، أي إنّ الله يعلم حقيقة الأمر فلايمكن أن يُلبس عليه بجدال ولاغيره، كما فعلتم بالنّبيّ ﷺ إذ هو بشر يقضي على نحو

مايسمع. (٢: ١١٠)

الطَّبْرِسيّ: أي خاصمتم ودافعتم (عَنْهُمْ) عن الخائنين.

﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ استفهام يراد به النّفي، لأنّه في معنى التّقريع والتّوبيخ، أي لامجادل عنهم ولاشاهد على براءتهم بين يدي الله يوم القيامة. وفي هذه الآية النّهي عن الدّفع عن الظّالم والمجادلة عنه. (٢: ١٠٧)

أبوحَيّان: الخطاب للّذين يتعصّبون لأهل الرّيب والمعاصي، ويندرج في هذا العموم أهل النّازلة. والأظهر أن يكون ذلك خطابًا للمتعصّبين في قصّة طُعمة، ويندرج فيه من عمل عملهم، ويقوّي ذلك أنّ (هٰؤُلَاءِ) إشارة إلى حاضرين. وقرأ عبد الله (عنه) في الموضعين، أي عن طُعمة.

وفي قوله: ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ﴾ وعيد محض، أي أنّ الله يعلم حقيقة الأمر فلايمكن أن يُلبس عليه بجدال ولاغيره. ومعنى هذا الإستفهام النّفي، أي لاأحد يجادل الله عنهم يوم القيامة إذا حلّ بهم عذابه. (٣: ٣٤٥)

ابن كثير: أي هب أنّ هؤلاء انتصروا في الدّنيا بما أبدوه أو أُبدي لهم عند الحكّام الّذين يحكمون بالظّاهر وهم متعبّدون بذلك، فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى الّذي يعلم السّرّ وماأخفى؟ (٢: ٣٨٨)

المَراغيّ: أي ياهؤلاء أنتم جادلتم عنهم، وحاولتم تبرئتهم في الحياة الدّنيا، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة، يوم يكون الخصم والحاكم هو الله تعالى المحيط بأعمالهم واحوالهم واحوال الخلق كافّة؟

أي فلايمكن أن يجادل هناك أحد عنهم، ولاأن يكون وكيلًا بالخصومة لهم، فعلى المؤمنين أن يراقبوا الله تعالى في مثل ذلك، ولايظنّوا أنّ من أمكنه أن ينال الفوز والحكم له وأخذه من قضاة الدّنيا بغير الحقّ، يمكنه أن يظفر به في الآخرة ﴿يَوْمَ لَاتَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ﴾ الانفطار: ١٩.

في الآية إيماء إلى أنّ حكم الحاكم في الدّنيا لايُجيز للمحكوم له أن يأخذ به إذا علم أنّه حَكَم له بغير حقّه، كما أنّ فيها توبيخًا وتقريعًا لأُولئك الّذين أرادوا مساعدة بني أُبيرق على اليهوديّ. (٥: ١٥٠)

الطَّباطَبائيّ: بيان لعدم الجدوى في الجدال عنهم، وأنّهم لاينتفعون بذلك في صورة الاستفهام، والمراد أنّ الجدال عنهم لو نفعهم فإنّما ينفعهم في الحياة الدّنيا، ولاقدر لها عند الله. وأمّا الحياة الأُخرويّة الّتي لها عظيم القدر عند الله، أو ظرف الدّفاع فيها يوم القيامة، فلامدافع هناك عن الخائنين، ولامجادل عنهم، بل لاوكيل يومئذ يتكفّل تدبير أُمورهم وإصلاح شؤونهم. (٥: ٧٤)

عبد الكريم الخطيب: هو استدعاء لأُولئك الّذين يتولّون الظّالمين، ويُمكّنون لهم من إمضاء مكرهم السّيّئ، وتغطية ماينكشف عنه، وذلك بالدّفاع عنهم، وتبرير أعمالهم المنكرة، والتماس التّأويلات الكاذبة لها.

فهؤلاء الّذين يقومون وراء الظّالمين هم شركاء لهم في هذا الجُرم، وهم مدعوّون إلى ساحة المحاكمة والقصاص بين يدي أحكم الحاكمين. وفي هذا الموقف تخرس ألسنة هؤلاء الأولياء المدافعين عن الظّلم

والظّالمين، ويتحرّى أُولئك الظّالمون من كلّ قوّة تدفع عنهم سوء ماعملوا. (٣: ٨٩١)

مكارم الشّيرازيّ: بعد ذلك تتوجّه الآية بالحديث عن شخص السّارق الّذي تمّ الدّفاع عنه، وتقول بأنّه على فرض أن يتمّ الدّفاع عن هؤلاء في الدّنيا فمن يستطيع الدّفاع عنهم يوم القيامة، أو من يقدر أن يكون لهؤلاء وكيلًا ليرتّب أعمالهم ويحلّ مشاكلهم؟! حيث تقول الآية: ﴿هَاأَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾. ولذلك فإنّ الدّفاع عن هؤلاء الخونة في الدّنيا ليس له أثر إلّا القليل، لأنّهم سوف لايجدون أبدًا من يدافع عنهم أمام الله، في الحياة الآخرة الخالدة.

والحقيقة هي أنّ الآيات الثّلاث الأخيرة تحمل في البداية إرشادات إلى النّبيّ ﷺ، وإلى كلّ قاض يريد أن يحكم بالحقّ، بأن ينتبهوا حتّى يفوّتوا الفرصة على أُولئك الّذين يريدون انتهاك حقوق الآخرين، عبر وسائل مصطنعة وشهود مزوّرين. بعد ذلك تُحذّر الآية الخائنين ومن يدافع عنهم، بأن ينتظروا عواقب سيّئة لأعمالهم في هذه الدّنيا وفي الآخرة أيضًا.

وفي تلك الآيات سرٌّ من أسرار البلاغة القرآنيّة؛ حيث إنّها أحاطت جميع جوانب القضيّة، وأعطت الإرشادات والتّحذيرات اللّازمة في كلّ مورد، مع أنّ موضوع القضيّة يبدو موضوعًا صغيرًا بحسب الظّاهر؛ إذ يدور حول درع مسروقة أو موادّ غذائيّة، أو يهوديّ من أعداء الإسلام.

وقد تناولت الآية أيضًا الإشارة إلى النّبيّ ﷺ الّذي يُعتبر إنسانًا معصومًا عن الخطإ، كما أشارت إلى الأفراد الّذين يحترفون الخيانة، أو الّذين يدافعون عن الخائنين اندفاعًا وراء عصبيّات قَبَليّة، إشارات تتناسب ومنزلة الأشخاص المشار إليهم، في الآيات المذكورة.

(٣: ٣٨٥)

يُجادِلُ

١ـ ...وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ... الكهف: ٥٦

ابن عبّاس: ويخاصم. (٢٤٩)

الطّبَريّ: ويخاصم الّذين كذّبوا بالله ورسوله بالباطل، وذلك كقولهم للنّبيّ ﷺ أخبِرنا عن حديث فِتية ذهبوا في أوّل الدّهر لم يُدرَ ماشأنهم، وعن الرّجل الّذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الرّوح، وماأشبه ذلك، ممّا كانوا يخاصمونه به، يبتغون إسقاطه، تعنيتًا له ﷺ. (١٥: ٢٦٧)

نحوه المَراغيّ. (١٥: ١٦٧)

الطّوسيّ: أي يناظر الكفّار دفعًا عن مذاهبهم بالباطل. وذلك أنّهم ألزموه أن يأتيهم أو يريهم العذاب على ماتوعّدهم ماهو لاحق بهم، إن أقاموا على كفرهم. (٧: ٦١)

نحوه أبوالفُتوح. (١٢: ٣٧١)

الواحديّ: جدالهم بالباطل: أنّهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم، على ماكانوا يقترحون. (٣: ١٥٤)

نحوه ابن الجَوزيّ. (٥: ١٥٩)

الزّمخشريّ: وجدالهم: قولهم للرّسل: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يس: ١٥، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ المؤمنون: ٢٤، وما أشبه ذلك. (٢: ٤٨٩)

مثله أبوحيّان (٦: ١٣٩)، ونحوه النّسفيّ (٣: ١٧)، والخازن (٤: ١٧٧).

الطّبْرِسيّ: أي ويناظر الكفّار دفعًا عن مذاهبهم بالباطل. (٣: ٤٧٧)

القُرطُبيّ: كانوا يجادلون في الرّسول ﷺ فيقولون: ساحر ومجنون وشاعر وكاهن، كما تقدّم. (١١: ٦)

البَيْضاويّ: باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات، والسّؤال عن قصّة أصحاب الكهف ونحوها تعنّتًا. (٢: ١٧)

مثله أبوالسّعود (٤: ١٩٨)، والمشهديّ (٦: ٧٢).

الشّربينيّ: أي يجدّدون الجدال كلّما أتاهم أمر من قبلنا. (٢: ٣٨٧)

الكاشانيّ: مثل قولهم للأنبياء: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يس: ١٥، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ المؤمنون: ٢٤، واقتراحهم الآيات بعد ظهور المعجزات إلى غير ذلك. (٣: ٢٤٧)

الآلوسيّ: [نحو الكاشانيّ وأضاف:]

وتقييد الجدال بالباطل لبيان المذموم منه، فإنّه ـ كما مرّ غير بعيد ـ عامّ لغةً، لاخاصّ بالباطل، ليُحمل ما ذكر على التّجريد. والمراد به هنا معناه اللّغويّ، وما يُطلق عليه اصطلاحًا ممّا يصدق عليه ذلك. (١٥: ٣٠٢)

طنطاوي: [نحو البَيْضاويّ وأضاف:]

مع أنّ الأنبياء لم يُرسَلوا لهذا، أي لم يُرسَلوا للبحث عن غرائب التّاريخ ولاغيرها. ولكنّهم جاءوا ليدرّبوا النّاس على العلم من طرقه، وطرقه هي النّظر في الّذي فوق هذه الأرض من عجائب، فليدرسوها ولايتّخذوها للشّهوات فحسب، ثمّ ليتزوّدوا من الدّنيا ليسافروا إلى الآخرة. هذا هو المقصود وقد تقدّم ذلك، فهؤلاء الكافرون يجادلون بالباطل. (٩: ١٣٤)

مَغْنِيّة: أوضح الله الحقّ، وأتبعه بالبيّنات والدّلائل، ولكنّ الّذين كفروا خاصموه وجادلوا فيه، وحاولوا إبطاله ودحضه بالمماراة والأكاذيب، وبالهزء والسّخرية. (٥: ١٤٠)

عبد الكريم الخطيب: بيان لموقف المعاندين الضّالّين، من دعوة الرّسل، وأنّهم يلقون رسالة الله، ودعوة الرّسل بالمراء والجدل، وليس بين أيديهم في هذا الجدل إلّا الباطل، يرمون به في وجه الحقّ، يريدون به أن يدحضوه، أي يوقعوه ويهزموه. (٨: ٦٣٧)

مكارم الشّيرازيّ: ومن أجل طمأنة الرّسول ﷺ في مقابل صلافة وعناد أمثال هؤلاء، تقول الآية: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ الكهف: ٥٦.

ثمّ تقول الآية: إنّ هذه القضيّة ليست جديدة، بل إنّ من واقع هؤلاء الأشخاص المعارضة والاستهزاء بآيات الله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾.

وفي الحقيقة أنّ هذه الآية تشبه الآيات (٤٢ ـ ٤٥) من سورة الحجّ الّتي تقول: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ...﴾ إلى آخر الآيات.

ويحتمل في تفسير الآية أنّ الله تبارك وتعالى يريد أن يقول: إنّ عمل الأنبياء لايقوم على الإجبار والإكراه، بل إنّ مسؤوليّتهم التّبشير والإنذار، والقرار النّهائيّ مرتبط بنفس النّاس، حتّى يفكّروا بعواقب الكفر والإيمان معًا، حتّى يؤمنوا عن تصميم وإرادة وبيّنة، لا أن يلجأوا إلى الإيمان الاضطراريّ عند نزول العذاب الإلهيّ.

لكن، مع الأسف أن يُساء استخدام هذه الحرّيّة والاختيار، والّذي هو وسيلة لتكامل الإنسان ورقيّه، عندما يقوم أنصار الباطل بالجدال في مقابل أنصار الحقّ؛ إذ يريدون القضاء على الحقّ عن طريق الاستهزاء أو المغالطة. ولكن هناك قلوبًا مستعدّة لقبول الحقّ دومًا والتّسليم له، وإنّ هذا الصّراع بين الحقّ والباطل كان وسيبق على مدى الحياة. (٩: ٢٧٢)

٢ـ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ. الحجّ: ٣

ابن عبّاس: النّضر بن الحارث يخاصم في دين الله وكتابه. (٢٧٧)

نحوه سهل بن عبد الله. (الماوَرْديّ ٤: ٦)

يريد الوليد وعتبة بن ربيعة. (الواحديّ ٣: ٢٥٨)

أنّها نزلت في النّضر بن الحارث، كان يكذّب بالقرآن، ويزعم أنّه أساطير الأوّلين، ويقول: ما يأتيكم به محمّد كما كنت أُحدّثكم به عن القرون الماضية.

(الفخر الرّازيّ ٢٣: ٥)

ابن جُرَيْج: نزلت في النّضر بن الحارث، وأُبيّ بن خلف. (ابن عَطيّة ٤: ١٠٧)

مُقاتِل: أنّه [النّضر بن الحارث] زعم أنّ الملائكة بنات الله. (ابن الجَوْزيّ ٥: ٤٠٥)

أبوسليمان الدّمشقيّ: أنّه [النّضر بن الحارث] قال: لايقدر الله على إحياء الموتى.

(ابن الجَوْزيّ ٥: ٤٠٥)

الطّبَريّ: من يخاصم في الله، فيزعم أنّ الله غير قادر على إحياء من قد بلي وصار ترابًا، بغير علم منه، بل بجهل منه بما يقول. (١٧: ١١٥)

نحوه القاسميّ. (١٢: ٤٣٢٣)

الماوَرْديّ: فيه قولان: أحدهما: قول سهل بن عبد الله [وقد تقدّم]. الثّاني: أن يرد النّصّ بالقياس.

(٤: ٦)

الطّوسيّ: أي يخاصم في الله فيما يدعوهم إليه من توحيد الله، ونفي الشّرك عنه، بغير علم منه بل للجهل المحض. [إلى أن قال:]

وذلك يدلّ على أنّ المجادل في نصرة الباطل مذموم، وأنّ من جادل بعلم ووضع الحجّة موضعها بخلافه.

(٧: ٢٩٠)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٤: ٧١)

القُشَيْريّ: المجادلة لله مع أعداء الحقّ وجاحدي الدّين، من موجبات القربة، والمجادلة في الله، والمماراة مع أوليائه، والإصرار على الباطل بعد ظهور الدّلائل من أمارات الشّقوة، وما كان بوساوس الشّيطان ونزغاته فقصاراه النّار. (٤: ٢٠١)

الواحديّ: قال المفسّرون: نزلت في النّضر بن الحارث، كان كثير الجدال، وكان ينكر أنّ الله قادر على

إحياء من بلي. [إلى أن قال:]

والمعنى أنّه يخاصم في قدرة الله، ويزعم أنّه غير قادر على البعث بغير علم في ذلك. (٣: ٢٥٨)

نحوه القُرطُبيّ. (١٢: ٥)

البَغَويّ: نزلت في النّضر بن الحارث، وكان كثير الجدل، وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأوّلين، وكان ينكر البعث وإحياء مَن صار ترابًا. (٣: ٣٢٤)

مثله أبوالفُتوح (١٣: ٢٩٨)، والبَيْضاويّ (٢: ٨٥)، والنّسَفيّ (٣: ٩٣)، والخازن (٥: ٣)، والكاشانيّ (٣: ٣٦٢)، والمشهديّ (٦: ٤٦١)، وطه الدُّرّة (٩: ١٤٨)، ونحوه المَيْبُديّ (٦: ٣٣١).

الزَّمَخْشَريّ: [نحو البَغَويّ وأضاف:]

وهي عامّة في كلّ من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله، ومالايجوز من الصّفات والأفعال، ولايرجع إلى علم ولايُعضّ فيه بضرس قاطع، وليس فيه اتّباع للبرهان ولانزول على النّصفة، فهو يخبط خبط عشواء، غير فارق بين الحقّ والباطل. (٣: ٥)

نحوه ابن عَطيّة (٤: ١٠٧)، وأبو حَيّان (٦: ٣٥١)، وأبوالسُّعود (٤: ٣٦٦)، والبُرُوسَويّ (٦: ٤)، والآلوسيّ (١٧: ١١٤)، والمَراغيّ (١٧: ٨٥، ٨٦).

الفَخْرالرّازيّ: في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ وجهان:

الأوّل: أنّهم الّذين ينكرون البعث، ويدلّ عليه قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ...﴾ يس: ٧٧، وأيضًا فإنّ ماقبل هذه الآية وصف البعث ومابعدها في الدّلالة على البعث، فوجب أن يكون المراد من هذه المجادلة هو المجادلة في البعث.

الثّاني: أنّها نزلت في النّضر بن الحارث. [إلى أن قال:]

المسألة الثّانية: هذه الآية بمفهومها تدلّ على جواز المجادلة الحقّة، لأنّ تخصيص المجادلة مع عدم العلم بالدّلائل يدلّ على أنّ المجادلة مع العلم جائزة، فالمجادلة الباطلة هي المراد من قوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ الزّخرف: ٥٨، والمجادلة الحقّة هي المراد من قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥. (٢٣: ٥)

النّيسابوريّ: ثمّ أراد أن يحتجّ على منكري البعث، فقدّم لذلك مقدّمة تشمل أهل الجدال كلّهم، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ نظيره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ البقرة: ٨، وقد مرّ إعرابه في أوّل البقرة. ومعنى (فِي اللهِ) في شأن الله، وفيما يجوز عليه ومالايجوز من الصّفات والأفعال، ويُفهم من قوله: (بِغَيْرِ عِلْمٍ) أنّ المعارف كلّها ليست ضروريّة، وأنّ المذموم من الجدال هو هذا القسم، وأمّا الجدال الصّادر عن العلم والتّحقيق فمحمود، مأمور به في قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥. (١٧: ٧٧)

ابن جزيّ: نزلت في النّضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل، وهي تتناول كلّ من اتّصف بذلك. (٣: ٣٥)

ابن كثير: يقول تعالى ذامًّا لمن كذّب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، مُعرضًا عمّا أنزل الله على أنبيائه، متّبعًا في قوله وإنكاره وكفره كلّ شيطان مريد من الإنس والجنّ. وهذا حال أهل البدع والضّلال المعرضين عن الحقّ المتّبعين للباطل، يتركون ماأنزله الله

على رسوله من الحقّ المبين، ويتّبعون أقوال رؤوس الضّلالة الدّعاة إلى البِدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي علم صحيح. (٤: ٦١٣)

الشّربينيّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي المذبذبين ﴿مَنْ﴾ لايسعى في إعلاء نفسه وتهذيبها فيكذّب، فيوبق بسوء عمله، لأنّه ﴿يُجَادِلُ فِي اللهِ﴾ أي في قدرته على ذلك اليوم وفي غير ذلك، بعد أن جاءه العلم بها اجتراءً على سلطانه العظيم. (٢: ٥٣٧)

عِزّة دَرْوَزَة: وفي هاتين الآيتين [الحجّ ٣و٤] إشارة تنديديّة إلى الّذين يجادلون في وجود الله وربوبيّته الشّاملة، واستحقاقه وحده للعبادة بغير علم ولابرهان، اتّباعًا لوسوسة كلّ شيطان متمرّد، يضلّ من يتّبعه عن طريق الحقّ، ويوصله إلى عذاب السّعير.

وقد روى المفسّرون أنّ الآيتين نزلتا في النّضر بن الحارث، أحد أشدّاء مجادلي كفّار قريش. وهذا الشّخص تكرّر اسمه في مناسبة كثير من المواقف الجدليّة الّتي حكتها الآيات المكّيّة.

وأُسلوب الآيتين تنديديّ عامّ من جهة، وفيهما قرينة على أنّ التّنديد فيهما موجّه إلى فريق من الكفّار الّذين يسيرون في مواقفهم الجحوديّة والجدليّة، وراء تلقين زعماء كفّار من جهة ثانية. وهما تعقيب بيانيّ على المطّلع فيما هو المتبادر من جهة ثالثة. فقد احتوى المطّلع هتافًا بالنّاس ليتّقوا الله من اليوم العظيم، فجاءت الآيتان تذكر موقف بعض النّاس الضّالّين الّذين يجادلون في الله، ويستمعون إلى وساوس الشّياطين.

وفيها على كلّ حال صورة من صور المواقف الجدليّة التّعجيزيّة الّتي لايسندها منطق ولاحقّ ولابرهان، والّتي كان يقفها الكفّار من الدّعوة النّبويّة، بتأثير زعماء الضّلال والمناوأة الّذين يمكن أن يكونوا قصدوا في جملة «كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ» من جهة رابعة.

وهذا لايمنع بالطّبع أن يكون في الآيتين إشارة إلى شخص وقف موقفًا جدليًّا تعجيزيًّا قبل نزول السّورة، فكان ذلك مناسبة لهذه الإشارة.

ولقد انطوى في الآيتين مع خصوصيّتها الزّمنيّة تلقين قويّ مستمرّ المدى والشّمول، بتقبيح من يتّصف بالصّفات المذكورة فيهما وتقبيح هذه الصّفات، والحثّ على اجتنابها ممّا تكرّر في مناسبات عديدة مماثلة. (٧: ٧٥)

الطّباطبائيّ: المجادلة في الله بغير علم: التّكلّم فيما يرجع إليه تعالى من صفاته وأفعاله بكلام مبنيّ على الجهل بالإصرار عليه. (١٤: ٣٤٢)

مكارم الشّيرازيّ: بعد أن أعطت الآيات السّابقة صورة لرعب النّاس حين وقوع زلزلة القيامة، أبانت الآيات اللّاحقة حالة أُولئك الّذين نسوا الله، وكيف غفلوا عن مثل هذا الحدث العظيم، فقالت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

نجد هؤلاء النّاس يجادلون مرّة في أساس التّوحيد ووحدانيّة الحقّ تبارك وتعالى، وفي إنكار وجود شريك له. ومرّةً يجادلون في قدرة الله على إحياء الموتى، وفي البعث والنّشور، ولادليل لهم على مايقولون.

قال بعض المفسّرين: إنّ هذه الآية نزلت في النّضر

ابن الحارث الّذي كان من المشركين المعاندين، وكان يصرّ على القول بأنّ الملائكة بنات الله، وأنّ القرآن مجموعة من أساطير السّلف تُنسب إلى الله، كما كان ينكر الحياة بعد الموت.

والبعض الآخر من المفسّرين يعتقد أنّ هذه الآية إشارة إلى جميع المشركين الّذين يجادلون في التّوحيد وفي قدرة الله.

إلّا أنّ سبب النّزول لايمكنه أن يضيّق مفهوم هذه الآية، فهذان القولان يصبّان في معنى واحد، يشمل جميع الّذين يشتركون في جدال مع الله تعالى، إمّا عن تقليد أعمى، وإمّا عن عصبيّة، أو لاتّباع الخرافات أو الأهواء النّفسيّة.

ملاحظات:

١ـ الجدال أمام الحقّ والباطل

رغم أنّ كلمة «المجادلة» تعني في عرف النّاس البحث غير المنطقيّ، فإنّ أصلها اللّغويّ ليس كذلك بل تعني أيّ نقاش كان، لهذا نرى القرآن يوصي النّبيّ ﷺ بقوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥، أي جادل مخالفيك بأفضل أُسلوب.

٢ـ جدال الباطل سبيل الشّيطان

يرى بعض كبار المفسّرين أنّ عبارة ﴿يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إشارة إلى جدال المشركين الّذي يفتقد السّند والدّليل، وعبارة ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ إشارة إلى برامج المشركين الخاطئة.

ويرى آخرون أنّ العبارة الأُولى تشير إلى اعتقاداتهم الفاسدة والخرافيّة. أمّا العبارة الثّانية فتشير إلى برامجهم الخاطئة والمنحرفة.

وبما أنّ الآية الّتي تسبق والّتي تلي هذه الآية، تناولتا الأُسس الاعتقاديّة، فلايُستبعد أنّهما تشيران إلى حقيقة واحدة، أو بتعبير آخر: تتضمّنان طرفي موضوع واحد ـ نفيه وإثباته ـ فالعبارة الأُولى تقول: ﴿يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي يجادل في الله وقدرته تقليدًا لأحد، أو عصبيّة، أو هوى نفس. والعبارة الثّانية تشير إلى أنّ هذا المشرك لايتّبع العلم والمعرفة، إذن فمن الطّبيعيّ أنّه يتّبع كلّ شيطان طاغ عنيد. (١٠: ٢٤٩)

٢ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَاهُدًى وَلَاكِتَابٍ مُنِيرٍ﴾. الحجّ: ٨

ابن عبّاس: يخاصم في دين الله وكتابه. (٢٧٧)

إنّه أبوجهل بن هشام. (الزّمخشريّ ٣: ٦)

مثله القمّيّ. (٢: ٧٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ٩)

الطّبَريّ: ومن النّاس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالأُلوهة بغير علم منه بما يخاصم به. [إلى أن قال:]

وذكر أنّه عُني بهذه الآية والّتي بعدها النّضر بن الحارث، من بني عبد الدّار. (١٧: ١٢٠)

أبومسلم: الآية الأُولى [الحجّ: ٣] واردة في الأتباع المقلّدين، وهذه الآية واردة في المتبوعين المقلِّدين، فإنّ كلا المجادلَين جادل بغير علم وإن كان أحدهما تبعًا والآخر متبوعًا. (الفخرالرّازيّ ٢٣: ١١)

نحوه ابن كثير (٤: ٦١٨)، وأبوالسّعود (٤: ٣٧٠).

الطُّوسيّ: من يخاصم ويجادل في الله وصفاته بغير علم بل للجهل المحض.

(وَلَاهُدًى) أي ولاحجّة، (وَلَاكِتَابٍ مُنِيرٍ) أي ولاحجّة كتاب ظاهر.

وهذا يدلّ أيضًا على أنّ الجدال بالعلم صواب، وبغير العلم خطأً، لأنّ الجدال بالعلم يدعو إلى الاعتقاد الحقّ، وبغير العلم يدعو إلى الاعتقاد الباطل، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَادِلْـهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥. (٧: ٢٩٤)

البغَويّ: يعني النّضر بن الحارث. (٣: ٣٢٥)

مثله أبوالفُتُوح. (١٣: ٣٠١)، والخازن (٥: ٤)

المَيْبُديّ: أي في صفاته، فيصفه بغير ماهو له. نزلت في النّضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل، وقيل: في المشركين. (٦: ٣٣٥)

نحوه النّسَفيّ. (٣: ٩٤)

الزّمَخْشَريّ: قيل: كُرِّر كما كُرِّرت سائر الأقاصيص. وقيل: الأوّل [الحجّ: ٣] في المقلّدين، وهذا في المقلّدين. (٣: ٦)

نحوه النّيسابوريّ. (١٧: ٨١)

ابن عَطيّة: الإشارة بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ إلى القوم المتقدّم ذكرهم [في الآية الثّالثة]

وحكى النّقّاش عن محمّد بن كعب أنّه قال: نزلت الآية في الأخنس بن شريق، وكرّر هذه على جهة التّوبيخ، فكأنّه يقول: فهذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ مع ذلك ﴿مَنْ يُجَادِلُ﴾ فكأنّ الواو واو الحال، والآية المتقدّمة [الحجّ: ٣] الواو فيها واوعطف جملة الكلام على ماقبلها، والآية على معنى الإخبار، وهي هاهنا مكرّرة للتّوبيخ. (٤: ١٠٩)

الفَخْرالرّازيّ: اختلفوا في أنّ المراد بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ...﴾ مَنْ هُم؟ على وجوه:

أحدها: [ذكر قول أبي مسلم وأضاف:]

وبيّن ذلك قوله: ﴿وَلَاهُدًى وَلَاكِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ فإنّ مثل ذلك لايقال في المقلّد، وإنّما يقال فيمن يخاصم بناء على شبهة.

فإن قيل: كيف يصحّ ماقلتم والمقلّد لايكون مجادلًا.

قلنا: قد يجادل تصويبًا لتقليده، وقد يورد الشّبهة الظّاهرة إذا تمكّن منها وإن كان معتمده الأصليّ هو التّقليد.

ثانيها: إنّ الآية الأُولى [الحجّ: ٣] نزلت في النّضر ابن الحارث، وهذه الآية في أبي جهل.

ثالثها: إنّ هذه الآية نزلت أيضًا في النّضر، وهو قول ابن عبّاس رضي الله عنهما، وفائدة التّكرير المبالغة في الذّمّ، وأيضًا ذكر في الآية الأُولى [الحجّ: ٣] اتّباعه للشّيطان تقليدًا بغير حجّة، وفي الثّانية [الحجّ: ٨] مجادلته في الدّين وإضلاله غيره بغير حجّة. والوجه الأوّل أقرب لما تقدّم.

المسألة الثّانية: الآية دالّة على أنّ الجدال مع العلم والهُدى والكتاب المنير حقّ حسن على مامرّ تقريره. [في الحجّ: ٣] (٢٣: ١١)

الرّازيّ: فإن قيل: كيف قال تعالى في حقّ النّضر ابن الحارث: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ...لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ وهو ماكان غرضه في جداله الضّلال عن

سبيل الله، فكيف علّل جداله به وماكان أيضًا مهتديًا، حتّى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضّلال؟

قلنا: هذه لام العاقبة والصّيرورة، وقد سبق ذكرها غير مرّة، ولمّا كان الهدى معرضًا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل، جُعل كالخارج من الهدى إلى الضّلال. (مسائل الرّازيّ: ٢٣٢)

القُرطُبيّ: أي نيّر بيّن الحجّة. نزلت في النّضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل بن هشام، قاله ابن عبّاس. والمعظم على أنّها نزلت في النّضر بن الحارث كالآية الأُولى، فهما في فريق واحد.

والتّكرير للمبالغة في الذّمّ؛ كما تقول للرّجل تذمّه وتوبّخه: أنت فعلت هذا، أنت فعلت هذا.

ويجوز أن يكون التّكرير، لأنّه وصفه في كلّ آية بزيادة، فكأنّه قال: إنّ النّضر بن الحارث يجادل في الله بغير علم ويتّبع كلّ شيطان مريد، والنّضر بن الحارث يجادل في الله من غير علم ومن غير هُدًى وكتاب منير، ليضلّ عن سبيل الله. وهو كقولك: زيد يشتمني وزيد يضربني، وهو تكرار مفيد، قاله القُشَيريّ. وقد قيل: نزلت فيه بضعَ عشرة آية.

فالمراد بالآية الأُولى: إنكاره البعث، وبالثّانية: إنكاره النّبوّة، وأنّ القرآن مُنزل من جهة الله.

وقد قيل: كان من قول النّضر بن الحارث: أنّ الملائكة بنات الله، وهذا جدال في الله تعالى.

(مَنْ) في موضع رفع بالابتداء، والخبر في قوله: (وَمِنَ النَّاسِ). (١٢: ١٥)

البَيْضاويّ: تكرير للتّأكيد، ولما نيط به من الدّلالة بقوله: ﴿وَلَاهُدًى وَلَاكِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ على أنّه لاسند له من الاستدلال أو وحيٍ، أو الأوّل [الحجّ: ٣] في المقلّدين وهذا في المقلّدين. (٢: ٨٦)

نحوه شُبّر. (٤: ٢٢٨)

ابن جزيّ: نزلت فيمن نزلت فيه الأُولى [الحجّ: ٣]، وقيل: في الأخنس بن شريق. (٣: ٣٦)

أبوحَيّان: [نحو القُرطُبيّ ونقل كلام ابن عَطيّة وأضاف:]

ولايتخيّل أنّ الواو في ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ واو حال، وعلى تقدير الجملة الّتي قدّرها قبله لو كان مصرّحًا بها لم يتقدّر باد فلاتكون للحال، وإنّما هي للعطف، قسّم المخذولين إلى مجادل في الله بغير علم متّبع لشيطان مَريد، ومجادل بغير علم ولاهُدى ولاكتاب منير إلى آخره، وعابد ربّه على حرف. والمراد بالعلم: العلم الضّروريّ، وبالهُدى: الاستدلال والنّظر، لأنّه يهدي إلى المعرفة، وبالكتاب المنير: الوحي، أي يجادل بغير واحد من هذه الثّلاثة. (٦: ٣٥٤)

الشّربينيّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ أي بغاية جهده، ﴿فِي اللهِ﴾ أي في قدرته، ومايجمعه هذا الاسم الشّريف من صفاته بعد هذا البيان الّذي لامثل له ولاخفاء فيه. (٢: ٥٣٩)

الآلوسيّ: نزلت على ماروي عن محمّد بن كعب في الأخنس بن شريق، وعلى ماروي عن ابن عبّاس في أبي جهل، وعلى ماذهب إليه جمع في النّضر كالآية السّابقة [الحجّ: ٣]. فإذا اتّحد الجادل في الآيتين فالتّكرار مبالغة في الذّمّ، أو لكون كلّ من الآيتين مشتملة على

زيادة ليست في الأُخرى. [ثمّ نقل قول ابن عطيّة وقال:]

«وهو كما ترى». (١٧: ١٢٢)

القاسميّ: أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسّك بعلم ضروريّ، ولا باستدلال ونظر صحيح يهدي إلى المعرفة، ولا بوحي مُظهر للحقّ، أي بمجرّد الرّأي والهوى.

وهذه الآية في حال الدّعاة إلى الضّلال من رؤوس الكفر المقلَّدين ـ بفتح اللّام ـ كما أنّ ماقبلها [الحجّ: ٣] في حال الضُّلّال الجُهّال المقلِّدين ـ بكسر اللّام ـ فلاتكرار. أو أنّها في الدّعاة المضلّين، واعتبر تغاير أوصافهم فيها، فلاتكرار أيضًا. (١٢: ٤٣٢٦)

نحوه المَراغيّ. (١٧: ٩١)

عِزّة دَرْوَزَة: في هذه الآيات إشارة تنديديّة أُخرى إلى فريق آخر من النّاس يجادل ويكابر في الله وآياته. [إلى أن قال:]

وقد روى المفسّرون أنّ هذه الآيات نزلت في النّضر بن الحارث، ومنهم من روى أنّها نزلت في أبي جهل، ومنهم من روى أنّها عنتهما.

والمتبادر أنّها استمرار في السّياق، وقد احتوت صورة الفريق الّذي يصدّ غيره ويوسوس لغيره، بينما احتوت الآيتان (٣، ٤) صورة الفريق الّذي يتّبع غيره ويتأثّر بوسوسة غيره. وأُسلوبها تنديديّ كأُسلوب الآيتين المذكورتين.

وهذا لايمنع بطبيعة الحال أن تكون احتوت، إشارة إلى موقف جدليّ خاصّ وقفه أحد زعماء الكفّار قبل نزول السّورة، بل لابدّ من أن يكون الأمر كذلك، لأنّها تطوي على مشهد واقعيّ.

ومع خصوصيّة الآيات، فإنّها هي الأُخرى تحتوي تلقينات جليلة مستمرّة المدى وعامّة الشّمول، بتقبيح المكابرة في الحقّ، والاستكبار عليه، وصدّ النّاس عنه، وتقبيح المتّصفين بهذه الصّفات. (٧: ٧٨)

الطَّباطَبائيّ: [نحو أبي مسلم وأضاف:]

وهو كذلك بدليل قوله هنا ذيلًا ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ وقوله هناك: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾. والإضلال من شأن المقلَّد بفتح اللّام، والاتّباع من شأن المقلِّد بكسر اللّام. (١٤: ٣٤٨)

مكارم الشّيرازيّ: تتحدّث هذه الآيات أيضًا عمّن يجادلون في المبدإ والمعاد جدالًا خاويًا لاأساس له... في البداية يقول القرآن المجيد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ...﴾.

وعبارة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هي ذاتها الّتي ذكرت في الآية السّابقة، وإعادتها تبيّن لنا أنّ العبارة الأُولى إشارة إلى مجموعة من النّاس، والثّانية إلى مجموعة أُخرى. فبعض المفسّرين يرى أنّ الفرق بين هاتين المجموعتين من النّاس هو أنّ الآية السّابقة الذّكر دالّة على وضع الضّالّين الغافلين، في وقت تكون فيه هذه الآية دالّة على قادة هذه المجموعة الضّالّة.

وعبارة ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ تبيّن منهج هذه المجموعة، ألا وهو تضليل الآخرين، وهذا دليل واضح على الفرق بينهما، مثلما توضح هذا المعنى عبارة ﴿يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ في الآيات السّابقة الّتي تتحدّث عن اتّباع الشّياطين. (١٠: ٢٦٠)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ لقمان: ٢٠.

٤ ـ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ. المؤمن: ٤

ابن عبّاس: مايكذّب بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام والقرآن. (٣٩٣)

أبو العالية: آيتان ماأشدّهما على الّذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، و﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ البقرة: ١٧٦. (البَغويّ ٤: ١٠٤)

السُّدّيّ: مايماري فيها. (الماوَرْديّ ٥: ١٤٣)

يحيى بن سلّام: مايجحد بها. (الماوَرْديّ ٥: ١٤٣)

الطّبَريّ: مايخاصم في حجج الله وأدلّته على وحدانيّته بالإنكار لها، إلّا الّذين جحدوا توحيده.

(٢٤: ٤٢)

مثله القاسميّ. (١٤: ٥١٥٥)

المـاوَرْديّ: في الفرق بين المجادلة والمناظرة وجهان:

أحدهما: أنّ المجادلة لاتكون إلّا بين مبطلين، أو مبطل ومحقّ، والمناظرة بين مُحقّين.

الثّاني: أنّ المجادلة فتل الشّخص عن مذهبه محقًّا أو مبطلًا، والمناظرة التّوصّل إلى الحقّ في أيّ من الجهتين كان.

وقيل: إنّه أراد بذلك الحارث بن قيس السّهميّ، وكان أحد المستهزئين. (٥: ١٤٣)

نحوه المَيْبُديّ. (٨: ٤٤٩)

الطُّوسيّ: معناه لايخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجحدها إلّا الّذين يجحدون نعم الله ويكفرون بآياته وأدلّته. (٩: ٥٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٤: ٥١٤)، وأبوالفُتوح (١٧: ٨)، والمشهديّ (٩: ٩٤).

الواحديّ: مايخاصم فيها بالتّكذيب وفي دفعها بالباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. (٤: ٤)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٧: ٢٠٧)

البَغَويّ: في دفع آيات الله بالتّكذيب والإنكار ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. (٤: ١٠٤)

نحوه النَّسَفيّ (٤: ٧٠)، والخازن (٦: ٧٣)، وطه الدُّرّة (١٢: ٥٠٧).

الزَّمَخْشَريّ: سجّل على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد: الجدال بالباطل من الطّعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحقّ وإطفاء نور الله، وقد دلّ على ذلك في قوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

فأمّا الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحلّ مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها، وردّ أهل الزّيغ بها وعنها، فأعظم جهاد في سبيل الله. وقوله ﷺ: «إنّ جدالًا في القرآن كفر» وإيراده منكّرًا، وإن لم يقل: إنّ الجدال تمييز منه بين جدال وجدال. (٣: ٤١٤)

نحوه القُرطُبيّ (١٥: ٢٩٢)، والبَيْضاويّ (٢: ٣٣٠).

ابن عَطيّة: يريد جدالًا باطلًا، لأنّ الجدال فيها يقع من المؤمنين لكن في إثباتها وشرحها. (٤: ٥٤٦)

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّه تعالى لمّا قرّر أنّ القرآن كتاب أنزله ليُهتدى به في الدّين، ذكر أحوال من يجادل لغرض إبطاله وإخفاء أمره، فقال: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي أيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأُولى: أنّ الجدال نوعان: جدال في تقرير الحقّ، وجدال في تقرير الباطل.

أمّا الجدال في تقرير الحقّ، فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى لمحمّد ﷺ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥، وقال حكاية عن الكفّار أنّهم قالوا لنوح عليه السلام: ﴿يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ هود: ٣٢.

وأمّا الجدال في تقرير الباطل، فهو مذموم، وهو المراد بهذه الآية، حيث قال: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي أيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقال: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الزّخرف: ٥٨، وقال: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ المؤمن: ٥، وقال ﷺ: «إنّ جدالًا في القرآن كفر».

فقوله: إنّ «جدالًا» على لفظ التّنكير يدلّ على التّمييز بين جدال وجدال، واعلم أنّ لفظ الجدال في الشّيء: مشعر بالجدال الباطل، ولفظ الجدال عن الشّيء: مشعر بالجدال لأجل تقريره والذّبّ عنه، قال ﷺ: «إنّ جدالًا في القرآن كفر»، وقال: «لا تماروا في القرآن فإنّ المراء فيه كفر».

المسألة الثّانية: الجدال في آيات الله، هو أن يقال مرّة: إنّه سحر ومرّة إنّه شعر ومرّة إنّه قول الكهنة ومرّة أساطير الأوّلين ومرّة إنّما يعلّمه بشر، وأشباه هذا ممّا كانوا يقولونه من الشّبهات الباطلة، فذكر تعالى أنّه لا يفعل هذا إلّا الّذين كفروا وأعرضوا عن الحقّ.
(٢٧: ٢٩)

نحوه النّيسابوريّ (٢٤: ٢٦)، وأبو حيّان (٧: ٤٤٩).

ابن كثير: يقول تعالى: ما يدفع الحقّ ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
(٦: ١٢٣)

الشّربينيّ: أي يخاصم ويماري أي يفتل الأُمور إلى مراده ﴿فِي أيَاتِ اللهِ﴾ أي في إبطال أنوار الملك الأعظم، المحيط بصفات الكمال، الدّالّ كالشّمس على أنّه تعالى إليه المصير، بأن يغشّ نفسه بالشّكّ في ذلك ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
(٣: ٢٦٨)

أبو السّعود: أي بالطّعن فيها، واستعمال المقدّمات الباطلة لإدحاض الحقّ، كقوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.
(٥: ٤٠٧)

نحوه شُبّر.
(٥: ٣٣٢)

الكاشانيّ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي أيَاتِ اللهِ﴾ بالطّعن فيها وإدحاض الحقّ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

في «الإكمال» عن النّبيّ ﷺ قال: «لعن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيًّا ومن جادل في آيات الله فقد كفر» ثمّ تلا هذه الآية.

وروي عنه ﷺ «أنّ جدالًا في القرآن كفر». وإنّما نُكّر لجواز الجدال، لحلّ عُقده واستنباط حقائقه، وقطع تشبّث أهل الزّيغ به، وردّ مطاعنهم فيه.
(٤: ٣٣٤)

البُرُوسَويّ: الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل: أحكمت فتله، فكأنّ

المتجادلَين يفتل كلّ واحد الآخر عن رأيه.

والمعنى مايخاصم في آيات الله بـالطّعن فـيها، بأن يقول في حقّها سحرًا وشعرًا وأسـاطير الأوّلين أو نحـو ذلك، وباستعمال المقدّمات الباطلة لإدحـاضه وإزالتـه وإبطاله، لقوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ فحمل المطلق على المقيّد، وأُريد الجدال بالباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بها، وأمّا الّذين آمنوا فلايخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلًا عن الطّعن فيها.

وأمّا الجدال فيها لحلّ مشكلاتها واستنباط حقائقها وإبطال شبه أهل الزّيغ والضّلال، فمن أعظم الطّـاعات كجهاد في سبيل الله، ولذلك قالﷺ: «إنّ جِـدالًا في القرآن كفر» بتنكير «جدالًا» الدّالّ على التّنويع للفرق بين جدال وجدال.

وممّا حرّره حضرة شيخي وسندي في مجموعة من مجموعات هذا الفقير في ذيل هذه الآية، قوله: فكفّار الشّريعة يجادلون في آيات القـرآن الرّسميّ، فـيكون جدالهم رسميًّا، لكونه في الآيات الرّسـميّة، فـهم كـفّار الرّسوم كما أنّهم كفّار الحقائق. وكفّار الحقيقة يجادلون في آيات القرآن الحقيقيّ، فيكون جدالهم حقيقيًّا، لكونه في الآيات الحقيقيّة فهم كفّار الحقائق فقط لاكفّار الرّسوم. فعليك ياولدي الحـقّ ـ سمّـي الذّبـيح ـ بـترك الكـفر والجدال مطلقًا حتّى تكون عند الله وعند النّاس مـؤمنًا حقًّا ومسلمًـا صدقًا. (٨: ١٥٣)

الآلوسيّ: [نحو ماتقدّم عن الزّمخشريّ وأضاف:]

والتّحقيق كما في «الكشف» أنّ المجـادلة في الشّيء تقتضي أن يكون ذلك الشّيء إمّا مشكوكًا عند المجادلَين أو أحدهما أو منكرًا كذلك، وأيًّا ما كان فهو مذموم، اللّهمّ إلّا إذا كان من موحّد لخارج عن الملّة أو من محقّق لزائغ إلى البدعة، فهو محمود بالنّسبة إلى أحد الطّرفين.

وأمّا ماقيل: إنّ البحث فيها لإيضاح الملتبس ونحوه جدال عنها لافيها، فإنّ الجدال يتعدّى بـ«عن» إذا كان للمنع والذّبّ عن الشّيء، وبـ«في» لخلافه كـما ذكـره الامام، وبـ«الباء» أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥، ففيه بحث.

وفي قـوله تـعالى: ﴿فِي آيَاتِ اللهِ﴾ دون «فـيه» بالضّمير العائد إلى الكتاب، دلالة على أنّ كلّ آية منه يكفي كفر المجادلة، فكيف بمن ينكره كلّه ويـقول فـيه مايقول! وفيه أنّ كلّ آية منه آية أنّـه مـن الله تـعالى الموصوف بتلك الصّفات، فيدلّ على شدّة شكيمة المجادل في الكفر، وأنّه جادل في الواضح الّذي لاخفاء به، وممّا ذكر يظهر اتّصال هذه الآية بما قبلها، وارتـباط قـوله: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ بها. (٢٤: ٤٣)

عِزّة دَرْوَزَة: وجملة ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية الرّابعة تضمّنت تقرير كون الّذين يجادلون في آيات الله وينكرونها هـم الّـذين تـعمّدوا العناد، وبيّتوا الكفر والمكابرة فقط؛ حيث انطوى في ذلك معنى محكم يصحّ أن يزال على ضوئه إشكال مايرد مطلقًا في آيات أُخرى، وانطوى فيه تبعًا لذلك تحميل الكافرين مسؤوليّـة موقفهم الّذي يـقفونه عـن عـمد وباطل.

وقد انطوى في هذا وذاك في الوقت نـفسه تـسلية وتطمين للنّبيّﷺ، وتعنيف قارع للكفّار، وكلّ هذا ممّا

استهدفته الآيات. وفي السّور السّابقة آيات وعبارات انطوى فيها ذلك ممّا يصحّ أن يعدّ من المبادئ القرآنيّة المحكمة.

ويلفت النّظر إلى مابين هذه المقدّمة وبين آيات السّورة السّابقة الأخيرة من تساوق تأكيديّ في صدد غفران الذُّنوب وقبول التّوبة، وتقرير كون كلمة العذاب إنّما حقّت على الكافرين المكابرين، الكاذبين على الله المكذّبين بآياته، ممّا يمكن أن يكون قرينة مّاعلى صحّة ترتيب نزول هذه السّورة بعد سورة الزّمر. (٥: ١٠٤)

الطّباطبائيّ: لمّا ذكر تنزيل الكتاب وأشار إلى الحجّة الباهرة على حقّيّته، المستفادة من صفاته الكريمة المعدودة في الآيتين، الدّالّة على أنّه منزّل بعلمه الّذي لايشوبه جهل، وبالحقّ الّذي لايدحضه باطل، تعرّض لحال الّذين قابلوا حججه الحقّة بباطل جدالهم، فلوّح إلى أنّ هؤلاء أهل العقاب وليسوا بفائتين ولامغفولًا عنهم، فإنّهم كما نزّل الكتاب ليغفر الذّنب ويقبل التّوب، كذلك نزّله ليعاقب أهل العقاب فلايسُوؤنّ النّبيّ ﷺ جدالهم ولايغرّنّه مايشاهده من حالهم.

فقوله: ﴿مَايُجَادِلُ فِي اٰيَاتِ اللهِ﴾ لم يقل: مايجادل فيه، أي في القرآن، ليدلّ على أنّ الجدال في الحقّ الّذي تدلّ عليه الآيات بما هي آيات، على أنّ طرف جدالهم هوالنّبيّ ﷺ وهو داع إلى الحقّ تدلّ عليه الآيات، فجدالهم لدفع الحقّ لا للدّفاع عن الحقّ؛ على أنّ الجدال في الآية التّالية مقيّدة بالباطل لإدحاض الحقّ.

فالمراد بالمجادلة في آيات الله هي المجادلة لإدحاضها ودفعها وهي المذمومة، ولاتشمل الجدال لإثبات الحقّ والدّفاع عنه، كيف؟ وهو سبحانه يأمر نبيّه ﷺ بذلك إذا كان جدالًا بالّتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ النّحل: ١٢٥. (١٧: ٣٠٥)

مكارم الشّيرازيّ: «يُجَادِلُ» مُشتقّة من «جَدَل» وهي في الأصل تعني لفّ الحبل وإحكامه، ثمّ عمّ استخدامها في الأبنية والحديد وماشابه، ولهذا فإنّ كلمة «مجادلة» تُطلَق على الّذين يقفون في قبال أحدهم الآخر؛ إذ يريد كلّ شخص أن يلقي حجّته، ويثبت كلامه، ويغلب خصمه.

ولكن ينبغي الانتباه إلى أنّ كلمة «المجادلة» لاتعتبر مذمومة دائمًا من وجهة اللّغة العربيّة، بل إنّها تعتبر إيجابيّة ومطلوبة إذا كانت المجادلة في طريق الحقّ، وتستند على المنطق وتهدف إلى تبيين الحقائق وإرشاد الأشخاص الجهلة، أمّا إذا كانت على أُسس واهية من أسباب التّعصّب والجهل والغرور، وتستهدف خداع هذا وذاك، فتكون عند ذلك مذمومة.

القرآن الكريم استخدم كلمة «المجادلة» في كِلا مورديها، إذ نقرأ في الآية: «١٢٥» من سورة النّحل قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾.

إلّا أنّه في موارد أُخرى، كما في الآية أعلاه وفيما بعدها، فقد وردت «المجادلة» بمعنى الذّمّ...

المجادلة في القرآن الكريم:

لقد وردت كلمة «المجادلة» خمس مرّات في هذه السّورة المباركة، وهي جميعًا تختصّ بالمجادلة السّلبيّة الباطلة، والآيات الّتي اشتملت على ذكر المجادلة هي «٤، ٥، ٣٥، ٥٦، ٦٩» وبهذه المناسبة لابأس بالتّعرّض

إلى بحث عن «الجدال» ينطلق من وجهة النّظر القرآنيّة.

«الجدال» و«المراء» موضوعان وردا كثيرًا في الآيات القرآنيّة، وفي الأحاديث والرّوايات الإسلاميّة أيضًا. وكتوطئة للبحث ينبغي أوّلًا أن نميّز أقسام الجدال «الجدال الإيجابيّ والجدال السّلبيّ» وماهو المقصود من كلّ واحد منهما، وعلائم كلّ واحد منهما، وأخيرًا أضرار «الجدال السّلبيّ» والعوامل الّتي تقود إلى الغلبة في «الجدال الإيجابيّ».

وفي هذا الصّدد أمامنا النّقاط والعناوين الآتية:

أ ـ مفهوم «جدال» و«مِراء»

الجدال والمراء والخصام ثلاث كلمات متقاربة من حيث المعنى، في نفس الوقت الّذي يوجد ثمّة اختلاف بينها.

فالجدال يعني في الأصل اللّغويّ: لفّ الحبل، ثمّ أخذ يُطلَق بعد ذلك على الطّرف المقابل، وعلى الكلام الّذي يقال لأجل الغلبة.

«مِراء» على وزن «حِجاب» وتعني الكلام في شيء ممّا فيه مِرْيَة أو شكّ.

أمّا الخصومة والمخاصمة فهي تعني في الإصل إمساك شخصين كلّ منهما للآخر من خاصرته، ثمّ أُطلقت بعد ذلك على التّشاجر اللّفظيّ والأخذ والرّدّ في الكلام.

وكما يقول العلّامة المجلسيّ في «بحار الأنوار»: فإنّ الجدال والمراء أكثر مايُستخدمان في القضايا العلميّة، في حين تُستخدم المخاصمة في الأُمور والتّعاملات الدّنيويّة.

ويحدّد بعضهم الاختلاف بين الجدال والمراء في أنّ هدف «المراء» هو إظهار الفضل والكمال، في حين أنّ «الجدال» يستهدف تعجيز وتحقير الطّرف المقابل.

وقالوا أيضًا في الفرق بينهما: إنّ الجدال في القضايا العلميّة، والمراء أعمّ من ذلك.

وقالوا أخيرًا: إنّ المراء ذو طابع دفاعيّ في قبال هجوم الخصم، بينما الجدال ذوطبيعة هجوميّة ودفاعيّة.

ب ـ الجدال السّلبيّ والإيجابيّ:

يظهر من الآيات القرآنيّة أنّ للفظ «الجدال» معاني واسعة، وهو يشمل كلّ أنواع الحديث والكلام الحاصل بين الطّرفين، سواء كان إيجابيًّا أم سلبيًّا. ففي الآية: «١٢٥» من سورة «النّحل» نقرأ أمر الخالق تبارك وتعالى لرسوله الكريم ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وفي الآية: «٧٤» من سورة «هود» نقرأ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ والآية تشير إلى النّوع الإيجابيّ من المجادلة.

ولكن أغلب الإشارات القرآنيّة حول المجادلة تشير إلى النّوع السّلبيّ منها، كما نرى ذلك واضحًا في سورة «المؤمن» الّتي نحن بصددها؛ حيث أشارت إلى «المجادلة» بمعناها السّلبيّ خمس مرّات.

وفي كلّ الأحوال يتبيّن أنّ البحث والكلام والاستدلال والمناقشة لأقوال الآخرين، إذا كان لإحقاق الحقّ وإبانة الطّريق وإرشاد الجاهل، فهو عمل مطلوب يستحقّ التّقدير، وقد يندرج أحيانًا في قسم الوجوب.

فالقرآن لم يعارض أبدًا البحث والنّقاش الاستدلاليّ والموضوعيّ الّذي يستهدف إظهار الحقّ، بل حثّ ذلك في العديد من الآيات القرآنيّة. وفي مواقف معيّنة طالب القرآن المعارضين بالإتيان بالدّليل والبرهان، فقال: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ البقرة: ١١١.

وفي المواقف الّتي كانت تتطلّب إظهار البرهان والدّليل، ذكر القرآن أدلّة مختلفة، كما نقرأ ذلك في آخر سورة «يس» حين جاء ذلك الرّجل إلى رسول الله ﷺ وهو يمسك بيده عظمًا، فقال له سائلًا: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ يس: ٧٨، فذكر القرآن عددًا من الأدلّة على لسان الرّسول ﷺ في قضيّة المعاد وقدرة الخالق على إحياء الموتى.

وفي القرآن نماذج أُخرى واضحة على الجدال الإيجابيّ، كما في الآية (٢٥٨) من سورة البقرة، الّتي تعكس كلام إبراهيم عليه السلام وأدلّته القاطعة أمام نمرود، والآيات (٤٧ ـ ٥٤) من سورة «طه» تعكس تحاجج موسى وفرعون.

القرآن إذًا مليء بالأدلّة المختلفة الّتي أقامها الرّسول ﷺ في مقابل عبدة الأصنام والمشركين وأصحاب الذّرائع.

وفي الجانب الآخر يذكر القرآن الكريم نماذج أُخرى من مجادلات أهل الباطل، لإثبات دعاواهم الباطلة من خلال استخدام التّفسطات الكلاميّة والحجج الواهية، الّتي استهدفوا من خلالها إبطال الحقّ وغواية عوامّ النّاس.

إنّ السّخريّة والاستهزاء والتّهديد والافتراء والإنكار الّذي لايقوم على دليل، هي مجموعة من الأساليب الّتي يعتمدها الظّالمون الضّالّون إزاء الأنبياء ودعواتهم الكريمة، أمّا الاستدلال الممزوج بالعاطفة والحبّ والرّأفة بالنّاس، فهو أُسلوب الأنبياء، رُسُل السّماء إلى الأرض.

في الرّوايات الإسلاميّة والتّاريخ الإسلاميّ آثار كثيرة وَغنيّة عن مُناظرات الرّسول الأكرم ﷺ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام مع المعارضين، وإذا ماتوفّر جهد معيّن على جمعها وتصنيفها فإنّها ستشكّل كتابًا كبيرًا وضخمًا للغاية. وقد قام العلّامة الشّيخ الطّبْرِسيّ[1] بجمع بعضها في كتابه «الاحتجاج».

وبالطّبع لم ينحصر مقام المجادلة بالّتي هي أحسن، ومناظرة الخصوم على المعصومين وحسب، وإنّما برزت قابليّات كبيرة من أصحاب رسول الله ﷺ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام ، ممّن كانت حججهم تُرعب الخصوم. ونلاحظ هنا أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يحثّون من يجدون فيه القدرة الكافية والمنطق القويّ المتين للقيام بهذه الوظيفة، وبدون أُسلوب المجادلة الإيجابيّ قد تضعف جبهة الحقّ ويقوى عود خصومها، ويجدون في أنفسهم الجرأة في مواجهة الحقّ والتّمادي في عنادهم.

وفي هذا الاتّجاه نقرأ في حديث، أنّ أحد أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام يُلقّب بـ«الطّيّار» ويُدعى حمزة بن محمّد جاء إلى الإمام الصّادق وقال له: «بلغني أنّك كرهت مناظرة النّاس» فأجابه الإمام عليه السلام بقوله: «أمّا

(١) ليس هو أمين الإسلام صاحب مجمع البيان المتوفّى عام ٥٤٨ هـ وإنّما هو أحمد بن عليّ الطّبرسيّ المتوفّى ٥٦٠ هـ.

مثلك فلايكره، من إذا طار يُحسن أن يقع، وإن وقع يُحسن أن يطير، فن كان هذا لانكرهه».

كلامٌ جميلٌ يشير بوضوح كاف إلى القوّة والمتانة في قدرة الاستدلال والمناظرة لدى الشّخص المعنيّ «الطّيّار»، وفي الكلام أيضًا إشارة إلى ضرورة الاستعداد وبذل الجهد لمن يريد خوض المناظرة مع الخصوم، كي يكون بمقدوره استخلاص النّتائج وإنهاء البحث، والتّهيّؤ لكافّة الاحتمالات المتوقّعة من الخصم، بمستوى من السّيطرة الكاملة على الموقف من البحوث الاستدلاليّة، حتّى لايُحسب ضعف منطقهم بأنّه بسبب ضعف دينهم ومذهبهم.

ج ـ الآثار السّيّئة للجدال السّلبيّ:

صحيح أنّ البحث والنّقاش هو مفتاح لحلّ المشاكل، إلّا أنّ هذا الأمر يصحّ في حال رغبة الطّرفين في نشدان الحقّ والبحث عن الطّريق الصّحيح، أو على الأقلّ يكون أحد الطّرفين متمسّكًا بالحقّ ومستهدفًا السّبيل إليه فيما يخوض من نقاش ومناظرة.

أمّا أن يكون النّقاش والجدل بين الطّرفين بهدف التّفاخر واستعراض القوّة، وفرض الرّأي على الطّرف الثّاني عن طريق إثارة الضّجّة، فإنّ عاقبة هذا الأمر لاتكون سوى الابتعاد عن الحقّ وغشمشة الظّلمة في القلوب، وتجذّر العداء والحقد لاغير؛ ولهذا السّبب نهت الرّوايات والأحاديث الإسلاميّة عن المِراء والجدال الباطل، وفي هذه المرويّات إشارات كبيرة المعنى إلى الآثار السّيّئة لهذا النّوع من الجدال.

ففي حديث عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب نقرأ قولهعليه السلام: «من ضنّ بعرضه فليدع المِراء» لأنّ في هذا النّوع من النّقاش سوف ينحدر بالكلام تدريجيًّا، ليصل إلى مناحي الاستهانة وعدم الاحترام وتبادل الكلام المبتذل القبيح، وترامي الاتّهامات الباطلة.

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين أيضًا نقرأ وصيّتهعليه السلام؛ إذ يقول: «إيّاكم والمِراء والخصومة فإنّهما يُمرضان القلوب على الإخوان، ويُنبت عليهما النّفاق».

إنّ مثل هذا النّوع من الجدال والّذي يكون عادةً فاقدًا للالتزام بالأُصول الصّحيحة للبحث والاستدلال، سيقوّي روح اللّجاجة والتّعصّب والعناد لدى الأشخاص؛ بحيث يستخدم كلّ طرف ـ بهدف التّغلّب على خصمه والانتصار لنفسه ـ كلّ الأساليب حتّى تلك الّتي تنطوي على الكذب والتّهمة، ومثل هذا العمل لايمكن أن تكون عاقبته إلّا السّوء والحقد، وتنمية جذور النّفاق في الصّدور.

إنّ واحدة من المفاسد الكبيرة الأُخرى للجدال السّلبيّ المنهيّ عنه، هو تمسّك الطّرفين بانحرافاتهم وأخطائهم وإصرارهم على اشتباهاتهم، في موقف عنيد بعيد عن الحقّ والصّواب؛ ذلك لأنّ كلّ طرف يحاول مااستطاع التّمسّك بأيّ دليل والتّشبّث بالباطل، لفرض رأيه وإثبات كلامه، وهو في ذلك مستعدّ لأن يتجاهل الكلام الحقّ الّذي يصدر من خصمه، أو أنّه ينظر إليه بعدم الرّضا والقبول. وهذا بحدّ ذاته يزيد من الانحراف والاشتباه والخطأ.

د ـ أُسلوب المجادلة بالّتي هي أحسن:

لايستهدف «الجدال الإيجابيّ» تحقير الطّرف الآخر

أو الانتصار عليه، من خلال إحراز التفوّق أو الغلبة، بل هو يهدف الدّخول إلى عمق أفكاره وروحه، لهذا فإنّ أُسلوب المجادلة بالّتي هي أحسن يختلف كلّيًا عن الجدال السّلبيّ أو الباطل.

ولكي يؤثّر الطّرف المجادل معنويًا على الطّرف الآخر، عليه الاستفادة من الأساليب الآتية الّتي أشار إليها القرآن الكريم بشكل جميل:

١- ينبغي عدم الإصرار على الطّرف المقابل بقبول الكلام على أنّه هو الحقّ، بل على المجادل إذا استطاع أن يجعل الطّرف المقابل يعتقد بأنّه هو الّذي توصّل إلى هذه النّتيجة، وهذا الأُسلوب سيكون أكثر تأثيرًا. بعبارة أُخرى: من المفيد للطّرف المقابل أن يعتقد بأنّ النّتيجة أو الفكرة نابعة من أعماقه وهي جزء من روحه، كي يتمسّك بها أكثر ويذعن لها بشكل كامل.

وقد يكون هذا الأمر هو سرّ ذكر القرآن للحقائق المهمّة كالتّوحيد ونفي الشّرك وغير ذلك على شكل استفهام، أو أنّه بعد أن ينتهي من استعراض وذكر أدلّة التّوحيد يقول: ﴿ءَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ النّمل: ٦٠.

٢- يجب الامتناع عن كلّ ما يثير صفة العناد واللّجاجة لدى الطّرف الآخر، إذ يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الأنعام: ١٠٨ كي لا يصرّ هؤلاء على عنادهم ويهينوا الخالق جلّ وعلا بتافه كلامهم.

٣- يجب مراعاة منتهى الإيضاح في النّقاش مع أيّ شخص أو أيّ مجموعة، كي يشعر الطّرف المقابل بأنّ المتحدّث إليه يبغي حقًّا توضيح الحقائق لا غير، فعندما يتحدّث القرآن عن مساوئ الخمر والقمار، فهو لا يتجاهل المنافع الثّانويّة المادّيّة والاقتصاديّة الّتي يمكن أن يحصل عليها البعض منها، فيقول: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة: ٢١٩، إنّ هذا الطّراز من الحديث يحمل آثارًا إيجابيّة كبيرة على المستمع.

٤- يجب عدم الرّدّ بالمثل حيال المساوئ والأحقاد الّتي قد تطفح من الخصم، بل يجب سلوك طريق الرّأفة والحبّ والعفو ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلًا، إذ إنّ الرّدّ بهذا الأُسلوب الودود يعمل في مثل هذه الحالات تأثيرًا كبيرًا على معنويّات الطّرف الآخر ونفسيّته، وقد يدفع إلى تليين قلوب الأعداء المعاندين، كما يقول القرآن الكريم ويحثّ على ذلك: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصّلت: ٣٤.

إنّ الخلاصة الّتي يمكن أن ينتهي إليها القول، هي أنّ أيّ بحث متأمّل وفاحص في أُسلوب نقاشات الأنبياء عليهم السلام مع الأعداء والظّالمين والجبّارين، كما يعكسها القرآن الكريم، أو كما تعكسها تلك المناظرات العقائديّة بين رسول الله صلى الله عليه وآله أو أئمّة أهل البيت المعصومين وبين أعدائهم وخصومهم، ينتهي إلى دروس تربويّة في هذا المجال تطوي في تضاعيفها أدقّ الأساليب والوسائل النّفسيّة الّتي تسهّل لنا النّفوذ إلى أعماق الآخرين. وبهذا الخصوص ينقل العلّامة المجلسيّ في «بحار الأنوار»[1] رواية مفصّلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) ٩: ٢٥٧.

يضمّنها مناظرة طويلة بين الرّسول ﷺ وبين خمسة مجاميع مخاصمة هي: اليهود والنّصارى والدّهريّين والثّنويّين ـ أتباع عقديّة الثّنية في التّالية ـ ومشركي العرب، تنتهي بسبب الأُسلوب الحكيم الجميل والمؤثّر الّذي استخدمه رسول الله ﷺ إلى قبول هؤلاء بالحقّ، وإذعانهم وتسليمهم له.

إنّ هذه المناظرة بوصفها نموذجًا، يمكن أن تكون لنا درسًا بنّاءً في مُناظراتنا وأساليب جدلنا، ومناقشاتنا مع الآخرين. (١٥: ١٧١ ـ ١٨١)

يُجَادِلُنَا

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾. هود: ٧٤

ابن عبّاس: يخاصمنا في هلاك قوم لوط. (١٨٨)

نحوه مُجاهِد. (الطّبَريّ ١٢: ٧٨)

قال المَلَك لإبراهيم: إن كان فيها خمسون يصلّون، رُفع عنهم العذاب. (الطّبَريّ ١٢: ٧٩)

سعيد بن جُبَير: لمّا جاء جبرئيل ومن معه قالوا لإبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ العنكبوت: ٣١، قال لهم إبراهيم: أتُهلكون قرية فيها أربعمئة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتُهلكون قرية فيها ثلاثمئة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتُهلكون قرية فيها مئتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتُهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا، قال: أفتُهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا؟ قالوا: لا، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط، فسكت عنهم واطمأنّت نفسه. (الطّبَريّ ١٢: ٧٩)

نحوه قَتادَة (الطّبَريّ ١٢: ٧٩)، والسُّدّيّ (٣٠٣)، والنّحّاس (٣: ٣٦٦)، والقُرطُبيّ (٩: ٧٩).

الحسَن: يجادل رسلنا من الملائكة. وإنّه جادل الملائكة بأن قال لهم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ العنكبوت: ٣٢، كيف تُهلكونهم؟ فقالت له الملائكة: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ العنكبوت: ٣٢. (الطّوسيّ ٦: ٣٥)

الإمام الصّادق عليه السلام: إنّ الله بعث أربعة أملاك بإهلاك قوم لوط: جَبْرَئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وكرّوبيل، فمرّوا بإبراهيم عليه السلام وهم مُتعمّمون، فسلّموا عليه فلم يعرفهم، ورأى هيئةً حسنةً، فقال: لاأخدم هؤلاء إلّا أنا بنفسي. وكان صاحب أضياف، فشوى لهم عجلًا سمينًا حتّى أنضجه، ثمّ قرّبه إليهم، فلمّا وضعه بين أيديهم ورأى أيديهم لاتصل إليه، نكِرَهم وأوجس منهم خيفة. فلمّا رأى ذلك جَبْرَئيل عليه السلام حسَر العِمامة عن وجهه، فعرفه إبراهيم، فقال له: أنت هو؟ قال: نعم. ومرّت امرأته سارة، فبشّرها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، قالت ماقال الله، وأجابوها بما في الكتاب.

فقال إبراهيم عليه السلام: فيما جئتم؟ قالوا: في هلاك قوم لوط، فقال لهم: إن كان فيها مئة من المؤمنين أتُهلكونهم؟ فقال له جَبْرَئيل عليه السلام: لا، قال: فإن كانوا خمسين؟ قال: لا، قال: فإن كانوا ثلاثين؟ قال: لا، قال: فإن كانوا عشرين؟ قال: لا، قال: فإن كانوا عشرًا؟ قال: لا، قال: فإن كانوا خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كان واحدًا؟ قال: لا. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا...﴾ الآية. (العيّاشيّ ٢: ٣١٤)

ابن جُرَيْج: قال إبراهيم: أتُهلكونهم إن وجدتم فيها مئة مؤمن ثمّ تسعين، حتّى هبط إلى خمسة، قال:

وكان في قرية لوط أربعة آلاف. (الطّبَريّ ١٢: ٨٠)

ابن إسحاق: إبراهيم جادل عن قوم لوط، ليردّ عنهم العذاب، فيزعم أهل التّوراة أنّ مجادلة إبراهيم إيّاهم، حين جادلهم في قوم لوط، ليردّ عنهم العذاب، إنّما قال للرُّسل فيا يكلّمهم به: أرأيتم إن كان فيهم مئة مؤمن أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كانوا تسعين؟ قالوا: لا، قال: أرأيتم إن كانوا ثمانين؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كانوا سبعين؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كانوا ستّين؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كانوا خمسين؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان رجلًا واحدًا مسلمًا؟ قالوا: لا، قال: فلمّا لم يذكروا لإبراهيم أنّ فيها مؤمنًا واحدًا: ﴿قَالَ اِنَّ فِيهَا لُوطًا...﴾ الآية، قالوا: ﴿يَاابْرٰهيمُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا﴾ هود: ٧٦.

(الطّبَريّ ١٢: ٧٩)

نحوه حذيفة بن أبي اليمان. (أبوحَيّان ٥: ٢٤٥)

الفَرّاء: لم يقل: جادلنا، ومثله في الكلام لايأتي إلّا بفعل ماض، كقولك: فلمّا أتاني أتيتُه. وقد يجوز: فلمّا أتاني أثِبُ عليه، كأنّه قال: أقبلت أثب عليه.

وجداله إيّاهم أنّه حين ذهب عنه الخوف قال: ماخطبكم أيّها المرسلون؟ فلمّا أخبروه أنّهم يريدون قوم لوط، قال: أتُهلكون قومًا فيهم لوط؟ قالوا: نحن أعلم بمن فيها. (٢: ٢٣)

الأخفَش: (يُجَادِلُنَا) بمعنى جادلنا.

(الطُّوسيّ ٦: ٣٥)

الجُبّائيّ: جادلهم ليعلم بأيّ شيء استحقّوا عذاب الاستئصال، وهل ذلك واقع بهم لامحالة أم على سبيل الإخافة، ليرجعوا إلى الطّاعة؟ (الطُّوسيّ ٦: ٣٦)

الطّبَريّ: يخاصمنا. وزعم بعض أهل العربيّة من أهل البصرة أنّ معنى قوله: (يُجَادِلُنَا) يكلّمنا، وقال: لأنّ إبراهيم لايجادل الله، إنّما يسأله ويطلب منه. وهذا من الكلام جهل، لأنّ الله تعالى ذكره، أخبرنا في كتابه أنّه يجادل في قوم لوط. فقول القائل: إبراهيم لايجادل، موهمًا بذلك أنّ قول من قال في تأويل قوله: ﴿يُجَادِلُنَا﴾: يخاصمنا، أنّ إبراهيم كان يخاصم ربّه، جهل من الكلام، وإنّما كان جداله الرّسل على وجه المحاجّة لهم. ومعنى ذلك: وجاءته البُشرى يجادل رسلنا، ولكنّه لمّا عُرِف المراد من الكلام حُذِف الرّسل. (١٢: ٧٨)

الزّجّاج: ﴿يُجَادِلُنَا﴾ حكاية حال قد مضت، لأنّ (لَمَّا) جعلت في الكلام، لِما قد وقع لوقوع غيره. تقول: «لمّا جاء زيدٌ جاء عمروٌ» ويجوز لمّا جاء زيد يتكلّم وعمرو، على ضربين:

أحدهما: أنّ «إن»[1] لمّا كانت شرطًا للمستقبل وقع الماضي فيها في معنى المستقبل، نحو إن جاء زيدٌ جئتُ.

والوجه الثّاني ـ وهو الّذي أختاره ـ أن يكون حالًا لحكاية قد مضت.

المعنى فلمّا ذهب عن إبراهيم الرّوع وجاءته البُشرى أخَذَ يجادلنا في قوم لوط، وأقبل يجادلنا. ولم يذكر في الكلام: أخَذَ وأقبل، لأنّ في كلّ كلام يخاطب به المخاطب معنى أخَذَ وأقبَل إذا أردْتَ حكاية الحال، لأنّك إذا قُلتَ: قام زيدٌ، [illegible] على فعل ماض، وإذا

(١) فيه تشبيه «لمّا» بـ«إن» الشّرطيّة، كما يأتي في كلام الزّمَخْشَريّ، وأبي البَرَكات.

قلت: أخذ زيدٌ يقول، دلّت على حال ممتدّة، من أجلها ذكرتَ أخَذَ وأقبَلَ. وكذلك جعل زيد يقول: كذا وكذا، وكَرَب يقول كذا وكذا. [إلى أن قال:]

ويروى أنّ مجادلته في قوم لوط أنّه قال للملائكة وقد أعلمُوه أنّهم مُهلكُوهم، فقال: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أتُهلكونهم معهم إلى أن بلغ خمسةً، فقالوا: لا. فقال الله عزّوجلّ: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الذّاريات: ٣٦. (٣: ٦٤)

الطُّوسيّ: ﴿يُجَادِلُنَا﴾ تقديره: جعل يجادلنا، فجواب (لَمّا) محذوف لدلالة الكلام عليه، لأنّ لَمّا تقتضيه، والفعل خلف منه. [إلى أن قال:]

وقوله: (يُجَادِلُنَا) يحتمل معنيين:

أحدهما: يجادل رسلنا من الملائكة، في قول الحسن.

الثّاني: يسألنا في قوم لوط. والمعنى أنّه سأل الله، إلّا أنّه استغنى بلفظ ﴿يُجَادِلُنَا﴾ لأنّه حرص في السّؤال حِرصَ المجادل. (٦: ٣٥)

نحوه أبوالفُتوح الرّازيّ. (١٠: ٣٠٦)

الواحديّ: أي أقبَل وأخذَ يجادل رسلنا من الملائكة. [ثمّ نقل نحو مامضى عن ابن إسحاق وأضاف:]

فهذا معنى جدال إبراهيم في قوم لوط. (٢: ٥٨٢)

نحوه البغَويّ (٢: ٤٥٧)، والمَيْبُديّ (٤: ٤١٦)، والنّسَفيّ (٢: ١٩٨)، والخازن (٣: ١٩٨).

الزّمَخشَريّ: قوله: ﴿يُجَادِلُنَا﴾ كلام مستأنف دالّ على الجواب، وتقديره: اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال: كيت وكيت، ثمّ ابتدأ فقال: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

وقيل: في ﴿يُجَادِلُنَا﴾ هو جواب (لَمّا) وإنّما جيء به مضارعًا لحكاية الحال.

وقيل: إنّ (لَمّا) تردّ المضارع إلى معنى الماضي، كما تردّ (إن) الماضي إلى معنى الاستقبال. [ثمّ قال نحو الواحديّ] (٢: ٢٨٢)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٧٥)، وابن جزيّ (٢: ١٠٩)، والقاسميّ (٩: ٣٤٦٧).

ابن عَطيّة: [نحو الزّجّاج وأضاف:]

وقد عدّ [إبراهيم] في بيت لوط امرأته فوجدهم ستّة بها، فطمع في نجاتهم، ولم يشعر أنّها من الكفرة، وكان ذلك من إبراهيم حرصًا على إيمان تلك الأمّة ونجاتها.

وقد كثر اختلاف رُواة المفسّرين لهذه الأعداد في قول إبراهيم عليه السلام. والمعنى كلّه نحو ماذكرته، وكذلك ذكروا أنّ قوم لوط كانوا أربعمئة ألف في خمس قرى.

وقالت فرقة: يجادلنا في مؤمني قوم لوط، وهذا ضعيف، وأمره بالإعراض عن المجادلة يقتضي أنّها إنّما كانت في الكفرة، حرصًا عليهم. (٣: ١٩٢)

الطَّبْرِسيّ: [نَقَل قول قَتادَة والجُبّائيّ ثمّ قال:]

ولمّا سألهم سؤال مستقص سمّي ذلك السّؤال: جدالًا، لأنّه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض. (٣: ١٨٠)

أبوالبَركات: و﴿يُجَادِلُنَا﴾ جملة فعليّة في موضع نصب على الحال من الضّمير الّذي في «أقبل» وهو ضمير إبراهيم.

وقيل: ﴿يُجَادِلُنَا﴾ هو جواب (لَمّا) وكان حقّ

الكلام: جادَلَنَا، لأنّ جواب (لَمَّا) إنّما يكون ماضيًا، فأقام المستقبل مقام الماضي، كما يُجعل الماضي مقام المستقبل في الشّرط والجزاء، وإن كان حقّه أن يكون مستقبلًا.

وقيل: إنّما أُقيم المضارع مقام الماضي على طريق حكاية، كقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ الكهف: ١٨؛ فأعمل ﴿بَاسِطًا﴾ وهو لما مضى، لأنّه أراد حكاية الحال. (٢: ٢٤)

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّ قوله: ﴿يُجَادِلُنَا﴾ أي يجادل رسلنا.

فإن قيل: هذه المجادلة إن كانت مع الله تعالى فهي جراءة على الله، والجراءة على الله تعالى من أعظم الذّنوب، ولأنّ المقصود من هذه المجادلة إزالة ذلك الحكم، وذلك يدلّ على أنّه ماكان راضيًا بقضاء الله تعالى وأنّه كفر. وإن كانت هذه المجادلة مع الملائكة فهي أيضًا عجيبة، لأنّ المقصود من هذه المجادلة أن يتركوا إهلاك قوم لوط. فإن كان قد اعتقد فيهم أنّهم من تلقاء أنفسهم يجادلون في هذا الإهلاك فهذا سوء ظنّ بهم، وإن اعتقد فيهم أنّهم بأمر الله جاءوا، فهذه المجادلة تقتضي أنّه كان يطلب منهم مخالفة أمر الله تعالى، وهذا منكر.

والجواب من وجهين:

الوجه الأوّل: ـ وهو الجواب الإجماليّ ـ أنّه تعالى مدحه عقيب هذه الآية، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ هود: ٧٥، ولو كان هذا الجدل من الذّنوب لما ذكر عقيبه مايدلّ على المدح العظيم.

والوجه الثّاني: ـ وهو الجواب التفصيليّ ـ أنّ المراد من هذه المجادلة سعي إبراهيم في تأخير العذاب عنهم، وتقريره من وجوه:

الوجه الأوّل: أنّ الملائكة قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ فقال إبراهيم: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلًا من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، حتّى بلغ العشرة قالوا: لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فعند ذلك قال: إنّ فيها لوطًا. وقد ذكر الله تعالى هذا في سورة العنكبوت، فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ...﴾.

ثمّ قال: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَاتَخَفْ وَلَاتَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ العنكبوت: ٣٣. فبان بهذا أنّ مجادلة إبراهيم عليه السلام إنّما كانت في قوم لوط، بسبب مقام لوط فيما بينهم.

الوجه الثّاني: يحتمل أن يقال: إنّه عليه السلام كان يميل إلى أن تلحقهم رحمة الله بتأخير العذاب عنهم، رجاء أنّهم ربّما أقدموا على الإيمان والتّوبة عن المعاصي، وربّما وقعت تلك المجادلات بسبب أنّ إبراهيم كان يقول: إنّ أمر الله ورد بإيصال العذاب. ومطلق الأمر لايوجب الفور بل يقبل التّراخي فاصبروا مدّة أُخرى، والملائكة كانوا يقولون: إنّ مطلق الأمر يقبل الفور، وقد حصلت هناك قرائن دالّة على الفور، ثمّ أخذ كلّ واحد منهم يقرّر مذهبه بالوجوه المعلومة، فحصلت المجادلة بهذا السّبب، وهذا الوجه عندي هو المعتمد.

الوجه الثّالث في الجواب: لعلّ إبراهيم عليه السلام سأل عن

لفظ ذلك الأمر، وكان ذلك الأمر مشروطًا بشرط، فاختلفوا في أنّ ذلك الشّرط هل حصل في ذلك القوم أم لا فحصلت المجادلة بسببه، وبالجملة نرى العلماء في زماننا يجادل بعضهم بعضًا عند التّمسّك بالنّصوص، وذلك لايوجب القدح في واحد منها، فكذا هاهنا .

(١٨ : ٢٩)

نحوه النّيسابوريّ. (١٢ : ٤٦)

أبوحَيّان: [ذكَر كلام الزّمَخشَريّ ثمّ قال:]

وقيل: الجواب (يُجَادِلُنَا) وُضع المضارع موضع الماضي، أي جادلنا. وجاز ذلك لوضوح المعنى، وهذا أقرب الأقوال.

وقيل: (يُجَادِلُنَا) حال من إبراهيم، ﴿وَجَاءَتْهُ﴾ حال أيضًا أو من ضمير في (جَاءَتْهُ)، وجواب (لَمَّا) محذوف، تقديره: قلنا: ياإبراهيم أعرض عن هذا، واختار هذا التّوجيه أبوعليّ. وقيل: الجواب محذوف، تقديره: ظلّ أو أخذ يجادلنا، فحُذف اختصارًا لدلالة ظاهر الكلام عليه.

والمجادلة قيل: هي سؤاله العذاب واقع بهم لامحالة أم على سبيل الإخافة ليرجعوا إلى الطّاعة. وقيل: تكلّمًا على سبيل الشّفاعة، والمعنى تجادل رسلنا. (٥ : ٢٤٥)

أبوالسُّعود: أي جادل رسلنا في شأنهم. وعدل إلى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها. أو طفِق يجادلنا ظاهرة. وأمّا إن فُسّرت ببشارة الولد أو بما يعمّها، فلعلّ سببيّتها لها من حيث إنّها تفيد زيادة اطمئنان قلبه، بسلامته وسلامة أهله كافّة. [ثمّ قال نحو ماتقدّم عن ابن إسحاق] (٣ : ٣٣٥)

البُرُوسَويّ: أي جادل وخاصم رسلنا، لأنّه صرّح في سورة العنكبوت بكون المجادلة مع الرّسل.

وجيء بجواب (لَمَّا) مضارعًا مع أنّه ينبغي أن يكون ماضيًا، لكونها موضوعة للدّلالة على وقوع أمر في الماضي لوقوع غيره فيه، على سبيل الحكاية الماضية ﴿فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ في شأنهم وحقّهم، لرفع العذاب، جدال الضّعيف مع القويّ لاجدال القويّ مع الضّعيف بل جدال المحتاج الفقير مع الكريم الغنيّ، وجدال الرّحمة والمعاطفة وطلب النّجاة للضّعفاء والمساكين الهالكين.

وكان لوط ابن أخيه، وهو لوط بن آزور ابن آزر وإبراهيم بن آزر، ويقال: ابن عمّه، وسارة كانت أُخت لوط، فلمّا سمعا بهلاك قوم لوط اغتمّا لأجل لوط، فطفق إبراهيم يجادل الرّسل حين قالوا: إنّا مهلكوا أهل هذه القرية، فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلًا. [وذكر الأربعين والثّلاثين حتّى بلغ] خمسة، قالوا: لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فعند ذلك قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَاَهْلَهُ﴾ ﴿إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَاَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التّوبة: ١١٤، غير عجول على الانتقام ممّن أساء إليه، ﴿اَوَّاهٌ﴾ كثير التّأوّه على الذّنوب والتّأسّف على النّاس. [إلى أن قال:]

فتبيّن أنّ رقّة القلب حملته على المجادلة فيهم رجاء أن يُرفع عنهم العذاب ويُمهَلوا لعلّهم يحدثون التّوبة والإنابة، كما حملته على الاستغفار لأبيه.

يقول الفقير: دلّت الآية على أنّ المجادلة وقعت في قوم لوط، ودلّت التّفاسير على أنّها وقعت في لوط نفسه

والمؤمنين معه. ولاتنافي بينهما، فإنّ عموم الرّحمة الّتي حملته عليها نشأة الأنبياءعليهم السلام لايميّز بين شخص وشخص، فإنّ الأُمّة بالنّسبة إلى النّبيّ كالأولاد بالنّسبة إلى الأب، وكفرهم لايرفع الرّحمة في حقّهم. ويدلّ عليه حال نوح مع ابنه كنعان كما وقفت عليه فيما سبق. وإنّما مجيء البُشرى في حقّ قومه فقط فبقي الألم في حقّ الغير على حاله، واتّصال القرابة بين إبراهيم ولوط يقتضي أن يكون قوم لوط في حكم قوم إبراهيم، فافهم. (٤: ١٦٤)

الآلوسيّ: أي يجادل رُسلنا في حالهم وشأنهم، ففيه مجاز للإسناد، وكانت مجادلته‌عليه السلام لهم ماقصّه الله سبحانه في قوله، في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ...﴾ الآية، فقوله‌عليه السلام: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ مجادلة، وعُدّ ذلك مجادلة، لأنّ مآله على ماقيل: كيف تهلك قرية فيها من هو مؤمن غير مستحقّ للعذاب؟ ولذا أجابوه بقولهم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ...﴾ هذا القدر من القول هو المتيقّن. [ثمّ نقل قول حذيفة المتقدّم وأضاف:]

وروي نحو ذلك عدّة روايات، الله تعالى أعلم بصحّتها. وفسّر بعضهم المجادلة بطلب الشّفاعة، وقيل: هي سؤاله عن العذاب هل هو واقع بهم لامحالة أم على سبيل الإخافة ليرجعوا إلى الطّاعة؟

وأيًّا مّا كان فـ(يُجَادِلُنَا) جواب (لَمَّا) وكان الظّاهر «جادلنا» إلّا أنّه عبّر بالمضارع لحكاية الحال الماضية واستحضار صورتها. وقيل: إنّ (لَمَّا) كـ«لو» تقلب المضارع ماضيًا، كما أنّ (إن) تقلب الماضي مستقبلًا.

وقيل: الجواب محذوف، وهذه الجملة في موضع الحال من فاعله، أي أخذ أو أقبل مجادلًا لنا. وآثر هذا الوجه الزّجّاج ولكنّه جعله مع حكاية الحال وجهًا واحدًا. [وذكر قوله في معنى الآية وأضاف:]

وصنيع الزّمخشريّ يدلّ على أنّهما وجهان، وتحقيقه على مافي «الكشف» أنّه إذا أُريد استمرار الماضي فهو كما ذكره الزّجّاج، وإن أُريد التّصوير المجرّد فلا.

وقيل: الجواب محذوف والجملة مستأنفة استئنافًا نحويًّا أو بيانيًّا وهي دليل عليه، والتّقدير: اجترأ على خطابنا أو فطن بمجادلتنا وقال: كيت وكيت، واختاره في «الكشّاف».

وقيل: إنّ هذه الجملة ـ وكذا الجملة الّتي قبلها ـ في موضع الحال من (إِبْرٰهِيم) على التّرادف أو التّداخل، وجواب (لَمَّا) قلنا: يقدّر قبل ﴿يَاإِبْرٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا﴾ هود: ٧٦، وأقرب الأقوال أوّلها. (١٢: ١٠٣)

المراغيّ: وهذه المجادلة قد فُصّلت في سورة العنكبوت ٣١و٣٢، فجاء فيها: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ﴾ [إلى الغابرين].

كما جاءت هذه المجادلة في الفصل الثّامن عشر من سفر التّكوين من التّوراة، ففيه: «إنّ الرّبّ ظهر لإبراهيم وهو جالس في باب الخيمة، فظهر له ثلاثة رجال فاستضافهم، وأتى لهم بعجل وخُبز مَلّة فأكلوا وبشّروه بالولد. فسمعت امرأته سارة فضحكت وتعجّبت لكِبَرها وانقطاع عادة النّساء عنها. فقال الرّبّ لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة، هل يستحيل على الرّبّ شيء؟ وانصرف الرّجال «أي الملائكة» من هناك وذهبوا نحو سدوم «قرية قوم لوط» وإبراهيم لم يزل قائمًا أمام الرّبّ، فتقدّم إبراهيم وقال: أفتُهلك البارّ مع الأثيم؟

عسى أن يكون هناك خمسون بارًّا في المدينة، أفتُهلِك المكان ولاتصفح عنه من أجل الخمسين بارًّا الّذين فيه؟ فقال الرّبّ: إن وجدت في سدوم خمسين بارًّا فإنّي أصفح عن المكان كلّه من أجلهم. ثمّ كلّمه إبراهيم مثل هذا في خمسة وأربعين، ثمّ في أربعين ثمّ في ثلاثين ثمّ في عشرين ثمّ في عشرة، والرّبّ يعده في كلّ من هذه الأعداد بأنّه من أجلهم لايُهلك القوم. وذهب الرّبّ عند مافرغ من الكلام مع إبراهيم إلى مكانه».

(١٢: ٦١)

مَغْنيّة: قال جمهور المفسّرين ومنهم الرّازيّ وصاحب «المنار»: لم يجادل إبراهيم من أجل قوم لوط، وإنّما جادل من أجل لوط، وأنّه خاف أن يصيبه مايصيب قومه من العذاب، واستدلّ المفسّرون على ذلك بالآية: (٣٢) من سورة العنكبوت: ﴿قَالَ اِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَاَهْلَهُ اِلَّا امْرَاَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ والصّحيح أنّ هذه الآية لاتمتّ إلى مجادلة إبراهيم بصلة، وإنّما هي مجرّد إخبار منه بأنّ فيها لوطًا، ولذا قالوا له: نحن أعلم بمن فيها. والآية الّتي نفسّرها نصّ في المجادلة من أجل قوم لوط، لامن أجل لوط، بالإضافة إلى قوله تعالى: ﴿وَاِنَّهُمْ اٰتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ هود: ٧٦، فالضّمير في (اِنَّهُمْ) و(اٰتِيهِمْ) يعودان إلى قوم لوط الّذين جادل إبراهيم فيهم ومن أجلهم.

ولكنّ المفسّرين قالوا: إنّ المجادلة في قوم لوط جرأة على الله وإبراهيم ﷺ معصوم عن الذّنب، فلابدّ أن تكون المجادلة في لوط، لافي قومه.

ويلاحظ أوّلًا: لافرق بين المجادلة في لوط، وفي قومه، فإن كانت هذه جرأة فكذلك تلك.

ثانيًا: إنّ المجادلة مع الله في دفع العذاب عن عباده أو تأخيره ليست من الذّنب والمعصية في شيء، بل العكس هو الصّحيح، لأنّ هذه المجادلة لامخالفة فيها ولانزاع، وإنّما هي من باب طلب الرّحمة من القويّ للضّعيف، وهذا الطّلب يدلّ على الحلم والرّأفة، ولذا أثنى الله على إبراهيم بأجمل الثّناء، ووصفه بأنّه (حَلِيمٌ اَوَّاهٌ مُنِيبٌ) بعد أن سأله الرّفق بقوم لوط.

ثالثًا: إنّ إبراهيم جادل في قوم لوط ليكون على يقين من أنّهم بلغوا من التّمرّد الحدّ الّذي لايُرجَى معه صلاحهم وهدايتهم، تمامًا كقوله: ﴿بَلٰى وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠، ويؤكّد إرادة هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿يَااِبْرٰهِيمُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا اِنَّهُ قَدْ جَاءَ اَمْرُ رَبِّكَ وَاِنَّهُمْ اٰتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ هود: ٧٦، أي لاتسألني ياإبراهيم في قوم لوط، فإنّهم مهلكون لامحالة، لإصرارهم على الشّرك والفساد، وأيأس منهم ومن توبتهم.

(٤: ٢٥٠)

عبد الكريم الخطيب: التّقدير: فلمّا ذهب عن إبراهيم الرّوْع، أي الخوف، وجاءته البشرى هاهو ذا يجادلنا في قوم لوط! وفي هذا إنكار على إبراهيم أن يقف في هذا الموقف، فيجادل عن قوم قد بلغوا من السّوء ماأنكرته الأرض عليهم.

ثمّ لايكاد إبراهيم يأخذ في المجادلة حتّى يجيئه أمر الله ﴿يَااِبْرٰهِيمُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا﴾ هود: ٧٦.

ولو جاء جوابُ (لَمَّا) فعلًا ماضيًا هكذا «جادَلَنا»

لَـمّـا كان هٰذا الأمر، في قوله تعالى: ﴿يَاإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ هذا الوقع الصّادع عـلى نـفس إبـراهـيم، ولأفلت من يده ماكان مُمسكًا به من المجادلة، لأنّه كان قد جادل فعلًا، وانتهى الأمر.

أمّا في هذه الحالة، فهو لايـزال يسأل ربّـه العـفو والرّحمة لهؤلاء القوم، ولاتزال الكلمات عـلى شـفتيه. فإذا سمع أمر الله بـالإعراض عـن هـذا، أمسك لسـانه وابتلع ماكان يجري عليه من كلمات.

وفي التّعبير عن مراجعة إبراهيم ربّـه في قـوم لوط بالجدل وتسميته جدلًا، إشارة إلى أنّ ماكان من إبراهيم هو مجرّد جَدَل، وأنّ الجدَل لايثمر ثمرًا نافعًا، ولايبلغ بصاحبه غايةً.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ماكان من إبراهيم في هذا المقام، فـقال تـعالى: ﴿وَلَـمَّـا جَـآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ...﴾ [إلى نحن أعلم بمن فيها]

وأنت ترى أنّ إبـراهـيم كـان مجـادلًا للـملائكة، ولم يكن مجادلًا لله. ولكنّهم إذ كانوا رُسلَ الله، والأُمناء على ماأُرسلوا به، فقد جُعل جدله للملائكة جَـدَلًا لله سبحانه وتعالى. وفي هذا تكريم لرسل الله، وإضافة لهم إلى الله ربّ العالمين. (٦: ١١٧٤)

طَهٰ الدُّرّة: ﴿يُجَـٰدِلُـنَا﴾ مضارع والفاعل يعود إلى إبراهيم، و(نا) مفعول به، (في قَوْمِ) متعلّقان بما قبلها، و(قَـوْمِ) مـضاف، و(لُـوطٍ) مـضاف إليـه، وجـملة ﴿يُجَـٰدِلُـنَا...﴾ في محلّ نصب خبر لـ«أخذ» محذوفًا، وهو من أفعال الشّروع. أو هي في محلّ نـصب حـال، عامله محذوف، التّقدير: أقبلَ يجادلنا...وعـلى هـذين التّقدير فالجملة الفعليّة جواب (لَـمَّـا) لامحلّ لها. هـذا وقيل: إنّ الجواب هو جملة ﴿يُجَـٰدِلُـنَا...﴾ على تأويل المضارع بالماضي، و(لَـمَّـا) ومدخولها كـلام مسـتأنف لامحلّ له. (٦: ٣٤٢)

مكـارم الشّـيرازيّ: إيـضاح: هـذه الصّفات المذكورة لإبراهيم في المجادلة تشير إلى أنّ مجادلته كانت ممدوحة؛ وذلك لأنّ إبراهيم لم يتّضح له أنّ أمر العذاب صادر من قبل الله بصورة قطعيّة، بل كان يحـتمل أنّـه لايزال لهم حظّ في النّجاة، ويحتمل أنّهم سيرتدّون عن غيّهم ويتّعظون. ومن هنا فما زال هناك مجال للشّـفاعة لهم، فكان راغبًا في تأخير العذاب والعقاب عنهم، لأنّه كان حليمًـا، ومشفقًا وأوّاهًا ومُنيبًا إلى الله.

فعلى هذا قال بعضهم: إذا كانت مجادلة إبراهيم مع الله فـلامعنى لهـا، وإذا كـانت مـع رُسله فـهم أيـضًا لايستطيعون أن يفعلوا شيئًا من أنفسهم، فعلى كلّ حال فالمجادلة هذه غير صحيحة.

والجواب أنّه لاكلام في الحكم القطعيّ. أمّا لو كان الحكم غير قطعيّ فمع تغيير الظّروف وتبدّل الأوضـاع يمكن تغييره، لأنّ طـريق الرّجـوع لم يـزل مـفتوحًا، وبتعبير آخر فإنّ الأوامـر في هـذه الحـالة مـشروطة لامطلقة.

وأمّا من احتمل أنّ المجادلة كانت مع الرّسل في شأن نجاة المؤمنين، استشهدوا على هذا القول بالآيتين (٣١، ٣٢) من سورة العنكبوت ﴿وَلَـمَّـا جَاءَتْ رُسُلُنَا...﴾.

فهذا الاحتمال غير صحيح ولاينسجم مع الآية الّتي تأتي بعدئذٍ، وهي محلّ بحثنا.

وتقول الآية: إنّ الرّسل قالوا لإبراهيم ـ مباشرةً ـ أن أعرض عن اقتراحك، لأنّ أمر ربّك قد تحقّق، والعذاب نازل لامحالة ﴿يَاإِبْرٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ هود: ٧٦.

والتّعبير بـ(رَبّكَ) يدلّ على أنّ هذا العذاب ليس فيه جهة انتقاميّة فحسب، بل يدلّ أيضًا على أنّه علامة لتربية العباد وإصلاح المجتمع الإنسانيّ.

[ثمّ ذكر رواية مجادلة إبراهيم عليه السلام لرسل الله وأضاف:]

فثل هذه الرّواية لاتدلّ بوجه مطلق على أنّ «المجادلة» كانت مثل هذا الكلام، بل هي في شأن المؤمنين، وهي منفصلة عن الكلام في الكافرين، ومن هنا يتّضح أنّ الآيات الّتي وردت في سورة العنكبوت لاتنافي هذا التّفسير أيضًا، فتأمّلوا بدقّة. (٧: ١٤)

يُجَادِلُونَ

١ـ...وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ. الرّعد: ١٣

ابن عبّاس: يخاصمون في دين الله مع محمّد صلى الله عليه وآله (٢٠٦)

يكذّبون بعظمة الله. (الواحديّ ٣: ١٠)

أنس بن مالك: إنّها نزلت في رجل من الطّغاة جاء إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله يجادله، فقال: يامحمّد، مِمّ ربّك أمِن لؤلؤ أم ياقوت أم مِن ذهب أم من فضّة؟ فأرسل الله عليه صاعقة، فذهبت بقحفه. (الطّوسيّ ٦: ٢٣١)

مثله مُجاهِد وعبد الرّحمان صحار العبديّ. (الطّوسيّ ٦: ٢٣١)، و نحوه البغويّ (٣: ١١).

قَتادَة: ذُكر لنا أنّ رجلًا أنكر القرآن وكذّب النّبيّ صلى الله عليه وآله، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله عزّوجلّ فيه: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾. (الطّبَريّ ١٣: ١٢٦)

الطّبَريّ: وهؤلاء الّذين أصابهم الله بالصّواعق، أصابهم في حال خصومتهم في الله عزّوجلّ لرسوله صلى الله عليه وآله. (١٣: ١٢٦)

الزّجّاج: جائز أن يكون (الواو) واو حال، فيكون المعنى: فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله، وذلك أنّه أتى في التّفسير أنّ رجلًا من الجاهليّة يقال له: «أربد» سأل النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: أخبِرني عن ربّنا أمِن نحاس أم حديد؟ فأنزل الله عليه صاعقة فقتلته؛ فعلى هذا يجوز أن يكون (الواو) واو حال.

ويجوز أن يكون: لمّا تمّم الله أوصاف مايدلّ على توحيده وقدرته على البعث، قال بعد ذلك ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾. (٣: ١٤٣)

نحوه النّحّاس (٣: ٤٨٣)، والنّيسابوريّ (١٣: ٧٥).

الطّوسيّ: يعني هؤلاء الجهّال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون أهل التّوحيد، ويحاولون فتلهم عن مذهبهم بجدالهم والجدال: فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج. (٦: ٢٣١)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٣: ٢٨٣)

الزّمَخْشَريّ: ﴿وَهُمْ﴾ يعني الّذين كفروا وكذّبوا رسول الله، وأنكروا آياته ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ حيث ينكرون على رسوله مايصفه به من القدرة على البعث، وإعادة الخلائق، بقولهم: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ

رَحِيمٌ﴾ يس: ٧٨، ويردّون الوحدانيّة باتّخاذ الشّركاء والأنداد، ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة، بقولهم: الملائكة بنات الله، فهذا جدالهم بالباطل، كقوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ المؤمن: ٥.

وقيل: (الواو) للحال، أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم]

(٢: ٣٥٣)

نحوه البَيضاويّ (١: ٥١٦)، والنّسفيّ (٢: ٢٤٤)، وأبوحَيّان (٥: ٣٧٥)، والمشهديّ (٥: ٩٠)، وطنطاوي (٧: ٨٢).

ابن عَطيّة: روي عن عبد الرّحمان بن صحار العبديّ أنّه بلغه أنّ جبّارًا من جبابرة العرب بعث إليه النّبيّ ﷺ ليسلم. فقال: أخبروني عن إله محمّد أمن لؤلؤ هو أو من ذهب؟ فنزلت عليه صاعقة، ونزلت الآية فيه.

وقال مُجاهِد: إنّ بعض اليهود جاء إلى النّبيّ ﷺ ... ثمّ ذكر القصّة.

وقوله: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ يجوز أن تكون إشارة إلى جدال اليهوديّ المذكور، وتكون (الواو) واو حال، أو إلى جدال الجبّار المذكور.

ويجوز ـ إن كانت الآية على غير سبب ـ أن يكون قوله: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ إشارة إلى جميع الكفرة من العرب وغيرهم، الّذين جُلبت لهم هذه التّنبيهات.

(٣: ٣٠٤)

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّه تعالى لمّا ذكر هذه الدّلائل الأربعة[1] قال: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ والمراد أنّه تعالى بيّن دلائل كمال علمه في قولهم: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ الرّعد: ٨، وبيّن دلائل كمال القدرة في هذه الآيات. ثمّ قال: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ يعني هؤلاء الكفّار مع ظهور هذه الدّلائل يجادلون في الله، وهو يحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يكون المراد الرّدّ على الكافر الّذي قال: أخبِرنا عن ربّنا أمن نحاس أم من حديد؟

وثانيها: أن يكون المراد الرّدّ على جدالهم في إنكار البعث وإبطال الحشر والنّشر.

وثالثها: أن يكون المراد الرّدّ عليهم في طلب سائر المعجزات.

ورابعها: أن يكون المراد الرّدّ عليهم في استنزال عذاب الاستئصال.

وفي هذه (الواو) قولان:

الأوّل: أنّها للحال، والمعنى: فيصيب بالصّاعقة من يشاء في حال جداله في الله؛ وذلك أنّ أربد لمّا جادل في الله أحرقته الصّاعقة.

والثّاني: أنّها (واو) الاستئناف، كأنّه تعالى لمّا تمّم ذكر هذه الدّلائل قال بعد ذلك: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾. (١٩: ٢٧)

النَّيسابوريّ: ولمّا بيّن دلائل كمال العلم في قوله: ﴿اَللهُ يَعْلَمُ﴾ الرّعد: ٨، ودلائل كمال القدرة في هذه الآية، قال: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ لأنّ إنكار المدلول بعد وضوح الدّليل جدال بالباطل وعناد محض.

ويحتمل أن تكون (الواو) للحال، أي فيصيب بها

(١) المذكورة في الآيتين: ١٢و١٣ من سورة الرّعد وهي (البرق والسّحاب والرّعد والصّواعق).

من يشاء في حال جدالهم، ويؤكّده ماروي عن ابن عبّاس في رواية أبي صالح وابن جُرَيْج وابن زَيْد: أنّ عامر بن الطّفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد بن ربيعة أقبلا يريدان رسول الله ﷺ، فقال رجل من أصحابه: يارسول الله هذا عامر بن الطّفيل قد أقبل نحوك، فقال: دَعْهُ، فإن يُرد الله به خيرًا يَهْدِه، فأقبل حتّى قام عليه، فقال: يامحمّد مالي إن أسلمت؟ فقال: لك ماللمُسلمين وعليك ماعليهم، قال: تجعل لي الأمر بعدك؟ قال: لا، ليس ذلك إليّ إنّما ذلك إلى الله يَجعَلُه حيث يشاء، قال: فتجعلني على الوَبَر وأنت على المدر؟ قال: لا، قال: فماذا تجعل لي؟ قال: أجعَلُ لك أعِنّة الخيل تَغزُ عليها، قال: أو ليس ذلك إليّ اليوم؟ وكان أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلّمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسّيف.

فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل في الله، يقول: أخبِرني عن ربّك أمن نحاس هو أم من حديد؟ فدار أربد خلف النّبيّ ﷺ ليضربه، فاخترط من سيفه شبرًا ثمّ حبسه الله، فلم يقدر على سلّه، وجعل عامر يُومئ إليه، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد ومايصنع بسيفه، فقال: اللّهمّ اكْفِنيهما بما شِئْتَ، فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صائف صاحٍ فأحرقته، وولّى عامر هاربًا. وقال: يامحمّد دعوت ربّك، فقتل أربد، والله لأملأنّها عليك خيلًا جُردًا وفرسانًا مُردًا، فقال رسول الله: يَمنَعُك الله مِنْ ذلك وأبناء قَيْلة، يريد الأوس والخزرج.

فنزل عامر بيت امرأة سلوليّة، فلمّا أصبح ضمّ عليه سلاحه وخرج، وهو يقول: «واللّات لئن أصحر إليّ محمّد وصاحبه، يعني ملك الموت، لأنفذتهما برمحي، فأرسل الله إليه ملَكًا فلطمه بجناحه فأزراه في التّراب، وخرجت على ركبته غدّة ـ في الوقت ـ عظيمة، فعاد إلى بيت السّلوليّة، وهو يقول: أغدّة كغدّة البعير وموت في بيت السّلوليّة، ثمّ مات على ظهر فرسه، وأنزل الله الآية في هذه القصّة. (١٣: ٧٥)

ابن كثير: أي يشكّون في عظمته، وأنّه لاإله إلّا هو. (٤: ٧٩)

الشّربينيّ: حيث يكذّبون رسول الله ﷺ، والتّكذيب: التّشديد في الخصومة. [ثمّ جاء برواية ابن عبّاس عند النّيسابوريّ] (٢: ١٥١)

نحوه الكاشانيّ. (٣: ٦٢)

أبوالسُّعود: أي في شأنه تعالى؛ حيث يفعلون مايفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب استهزاءً واقتراح الآيات، فـ(الواو) لعطف الجملة على ماقبلها، من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ...﴾ الرّعد: ١٢، أو على قوله: ﴿اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَاتَحْمِلُ...﴾ الرّعد: ٨.

وأمّا العطف على قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الرّعد: ٧ ـ كما قيل ـ فلامجال له، لأنّ قوله تعالى: ﴿اَللّٰهُ يَعْلَمُ...﴾ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك، ونظائره من استعجال العذاب وإنكار البعث قاطع لعطف مابعده على ماقبله.

وقيل: للحال، أي فيصيب بالصّواعق من يشاء وهم في الجدال. (٣: ٤٤٤)

نحوه القاسميّ. (٩: ٣٦٦٠)

البُرُوسَويّ: أي هؤلاء الكفّار مع ظهور هذه

الدّلائل ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ حيث يكذّبون رسوله فيما يصفه به من العظمة والتّوحيد والقدرة التّامّة. والجدال: شدّة الخصومة، من «الجَدْل» وهو الفتل. (٤: ٣٥٣)

نحوه الآلوسيّ (١٣: ١٢١)، وطه الدُّرّة (٧: ١١٧).

شُبّر: (الواو) حاليّة أو عاطفة، أي هؤلاء الجهّال مع مشاهدتهم الآيات يخاصمون في التّوحيد والمعاد. (٣: ٣٢٤)

المَراغيّ: أي يجادلون في شأنه تعالى، وفيما وصفه به الرّسول الكريم، من كمال العلم والقدرة والتّفرّد بالأُلوهيّة، وإعادة النّاس للجزاء على أعمالهم يوم العرض والحساب.

وفي هذا تسلية لرسولهﷺ، فإنّه لمّا نعى على كفّار قريش عنادهم في اقتراحهم الآيات الحسّيّة كآيات موسى وعيسىعليهما السلام، وإنكارهم كون الّذي جاء بهﷺ آية، سلّاه بما ذكر، كأنّه قال له: إنّ هؤلاء لم يقصروا جحدهم وإنكارهم على النّبوّة بل تخطّوه إلى الأُلوهيّة، ألا تراهم مع ظهور الآيات البيّنات على التّوحيد يجادلون في الله باتّخاذ الشّركاء وإثبات الأولاد له، ومع إحاطة علمه وشمول قدرته ينكرون البعث والجزاء والعرض للحساب، ومع شديد بطشه وعظيم سلطانه يُقْدِمُون على المكايدة والعناد، فهوّنْ عليك، ولاتذهب نفسك عليهم حسرات. (١٣: ٨٢)

مَغْنيّة: ضمير (هُمْ) يعود إلى المشركين، والمعنى أنّ هؤلاء يجادلون في قدرة الله وعظمته، وفي محمّدﷺ ونبوّته، والبعث وإمكانه، يجادلون ويكابرون مع ظهور الدّلائل على قدرة الله، والمعجزات الباهرة على نبوّة محمّدﷺ، ونزول العذاب على من جحد وأنكر البعث والحساب. (٤: ٣٨٩)

الطّباطَبائيّ: والجدل: المفاوضة والمنازعة في القول، على سبيل المغالبة. [إلى أن قال:]

معناه ـ والله أعلم ـ أنّ الوثنيّين ـ وإليهم وُجّه الكلام في إلقاء هذه الحجج ـ يجادلون في ربوبيّته تعالى، بتلفيق الحجّة على ربوبيّة أربابهم كالتّمسّك بدأب آبائهم. (١١: ٣١٧)

عبد الكريم الخطيب: الضّمير (هُمْ) يُراد به المشركون بالله، الّذين لايرجون رحمة الله، ولايخشون عذابه. فلايحمدون الله على تلك النّعم الّتي أفاضها عليهم، مع أنّ هذه النّعم ذاتها تسبّح الله وتحمده، أن جعلها رسولَ خيرٍ للنّاس، ومصدرَ حياةٍ لهم. فكيف لايحمدها، ولايشكر لله من أجلها، مَن كانت حياتهم معلّقة بها، ووجودهم رهن بوجودها؟ أليس ذلك ضلالًا وسفهًا وكفرًا؟ بلى، إنّه الضّلال والسّفه والكفر.

ثمّ إذا كان الملائكة، وهم ماهم عند الله يخافون ربّهم، ويسبّحون بحمده، ويشكرون له، فكيف بهؤلاء المشركين الضّالّين لايخشون الله، ولايخافون بأسه وعقابه؟ لقد غرّهم بالله الغَرُور إنّهم يجادلون في الله، جدال مَن ينكره، ويجحد نعمه، ويستخفّ ببأسه وهو سبحانه آخذ بناصيتهم، إنّه ذو الحول والطّول، شديد العقاب، لن يُفلتوا منه، ولن يَخْلُصوا من عقابه. (٧: ٨٥)

٢ـ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي اٰيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ اَتٰيهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ اٰمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ

عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ. المؤمن: ٣٥

ابن عبّاس: يكذّبون بمحمّد ﷺ والقرآن. (٣٩٦)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل المؤمن من آل فرعون: [وذكر الآية ثمّ قال:]

فقوله: (الَّذِينَ) مردود على (مَنْ) في قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ المؤمن: ٣٤، وتأويل الكلام: كذلك يضلّ الله أهل الإسراف والغلوّ في ضلالهم بكفرهم بالله، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الّذين يخاصمون في حججه الّتي أتتهم بها رسله، ليدحضوها بالباطل من الحجج. (٢٤: ٦٣)

الزّجّاج: (الَّذِينَ) في موضع نصب على الرّدّ على (مَنْ) أي كذلك الله يضلّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير حجّة أتتهم.

ويجوز أن يكون موضع (الَّذِينَ) رفعًا على معنى: من هو مسرف مرتاب هم الّذين يجادلون. (٤: ٣٧٤)

نحوه الطّوسيّ (٩: ٧٦)، والطّبرسيّ (٤: ٥٢٣)، وأبوالفتوح الرّازيّ (١٧: ٣١)، وأبوالبركات (٢: ٣٣١).

القمّيّ: يعني بغير حجّة يخاصمون. (٢: ٢٥٧)

الزّمخشريّ: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ بدل من ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾.

فإن قلت: كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحّد؟ قلت: لأنّه لايريد مسرفًا واحدًا، فكأنّه قال: كلّ مسرف.

فإن قلت: فما فاعل (كَبُرَ)؟ قلت: ضمير (مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ).

إن قلت: أما قلت: هو جمع ولهذا أُبدلت منه (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ)؟ قلت: بل هو جمع في المعنى وأمّا اللّفظ فموحّد، فحُمل البدل على معناه، والضّمير الرّاجع إليه على لفظه، وليس ببدع أن يُحمل على اللّفظ تارة وعلى المعنى أُخرى، وله نظائر.

ويجوز أن نرفع ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ على الابتداء، ولابدّ في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضّمير في (كَبُرَ) تقديره: جدال الّذين يجادلون كبر مقتًا.

ويحتمل أن يكون ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ مبتدأ و﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ خبرًا، وفاعل (كَبُرَ) قوله: (كَذٰلِكَ) أي كبر مقتًا مثل ذلك الجدال، و﴿يَطْبَعُ اللهُ﴾ كلام مستأنف. ومن قال: كبر مقتًا عند الله جدالهم، فقد حذف الفاعل، والفاعل لايصحّ حذفه. (٣: ٤٢٧)

نحوه النّسفيّ. (٤: ٧٨)

العُكبريّ: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ فيه أوجه:

أحدها: أن يكون خبر مبتدإ محذوف، أي هم الّذين، و(هُمْ) يرجع على قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾؛ لأنّه في معنى الجمع.

والثّاني: أن يكون مبتدأ والخبر ﴿يَطْبَعُ اللهُ﴾ والعائد محذوف، أي على كلّ قلب متكبّر منهم. و﴿كَذٰلِكَ﴾ خبر مبتدإ محذوف، أي الأمر كذلك، ومابينهما معترض مسدّد.

والثّالث: أن يكون الخبر ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي كبر قولهم مقتًا.

والرّابع: أن يكون الخبر محذوفًا، أي معاندون، ونحو ذلك.

والخامس: أن يكون منصوبًا بإضمار أعني.

(٢: ١١١٩)

أبوحَيّان: وجوّزوا في ﴿اَلَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ أن تكون صفة لـ(مَنْ) وبدلًا منه، أي معناه جمع ومبتدأ على حذف مضاف، أي جدال الّذين يجادلون، حتّى يكون الضّمير في (كَبُرَ) عائدًا على ذلك، أو لا أو على حذف مضاف، والفاعل لـ(كَبُرَ) ضمير يعود على «الجدال» المفهوم من قوله: (يُجَادِلُونَ)، أو ضمير يعود على (مَنْ) على لفظها على أن يكون (الَّذِينَ) صفة، أو بدلًا أُعيد، أو لا على لفظ (مَنْ) في قوله: ﴿هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾، ثمّ جمع (الَّذِينَ) على معنى (مَنْ) ثمّ أفرد في قوله: (كَبُرَ) على لفظ (مَنْ). [ثمّ نقل كلام الزّمخشريّ وأضاف:]

وهذا الّذي أجازه لايجوز أن يكون مثله في كلام فصيح، فكيف في كلام الله، لأنّ فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض، وارتكاب مذهب الصّحيح خلافه. أمّا تفكيك الكلام فالظّاهر أنّ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ متعلّق بـ﴿يُجَادِلُونَ﴾ ولايتعقّل جعله خبرًا لـ(الَّذِينَ) لأنّه جار ومجرور، فيصير التّقدير: الّذين يجادلون في آيات الله كائنون أو مستقرّون (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) أي في غير سلطان، لأنّ الباء إذ ذاك ظرفيّة، خبر عن الجثّة.

(٧: ٤٦٤)

ابن كثير: أي الّذين يدفعون الحقّ بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجّة معهم من الله تعالى.

(٦: ١٣٩)

الشّربينيّ: ﴿اَلَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ هو مبتدأ، أي يخاصمون خصامًا شديدًا. [إلى أن قال:]

ويجوز في (الَّذِينَ) أوجه أيضًا، منها: أنّه بدل من قوله تعالى: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾، وإنّما جمع اعتبارًا بمعنى «مَنْ».

ومنها: أن يكون بيانًا له.

ومنها: أن يكون صفة له، وجُمع على معنى ﴿مَنْ﴾ أيضًا.

ومنها: أن ينصب بإضمار أعني. (٣: ٤٨٢)

نحوه الآلوسيّ. (٢٤: ٦٨)

البُرُوسَويّ: ﴿اَلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللّٰهِ﴾ بدل من الموصول الأوّل، لأنّه بمعنى الجمع؛ إذ لايريد مسرفًا واحدًا بل كلّ مسرف، والمراد بالمجادلة: ردّ الآيات والطّعن فيها. (٨: ١٨١)

نحوه طنطاوي. (١٩: ١٨)

المَراغيّ: أي إنّ المسرفين المرتابين هم الّذين يخاصمون في حجج الله الّتي أتتهم بها رُسله ليدحضوها بالباطل من الحجج الّتي لامستساغ لها من عقل ولانقل، فيتمسّكون بتقليد الآباء والأجداد، ويتمسّكون بتُرّهات الأباطيل الّتي لايتقبّلها ذوو الحصافة والرّأي.

(٢٤: ٦٩)

نحوه مغنيّة. (٦: ٤٥١)

الطّباطَبائيّ: وصف لكلّ مُسرف مُرتاب، فإنّ من تعدّى طوره بالإعراض عن الحقّ واتّباع الهوى، واستقرّ في نفسه الارتياب، فكان لايستقرّ على علم، ولايطمئنّ إلى حجّة تهديه إلى الحقّ، جادل في آيات الله بغير برهان، إذا خالفت مقتضى هواه. (١٧: ٣٣١)

طه الدُّرّة: أي الّذين يدفعون الحقّ بالباطل،

ويجادلون الحجج بغير دليل وحجّة معهم من الله تعالى، والمراد فرعون ومن على شاكلته من الضالّين الفاسدين المفسدين، في كلّ زمان ومكان. (١٢: ٥٦٠)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ الشورى: ٣٥

٣ـ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ...

المؤمن: ٥٦

ابن عبّاس: يكذّبون بمحمّد ﷺ والقرآن وهم اليهود، وكانوا أيضًا يجادلون مع محمّد ﷺ بصفة الدّجّال وعظمته، ورجوع الملك إليهم عند خروج الدّجّال. (٣٩٧)

القُرطُبيّ: يخاصمون ...والمراد المشركون، وقيل: اليهود. فالآية مدنيّة على هذا، كما تقدّم أوّل السّورة.

والمعنى: إن تعظّموا عن اتّباع محمّد ﷺ وقالوا: إنّ الدّجّال سيخرج عن قريب فيردّ الملك إلينا، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فذلك كِبر لايبلغونه، فنزلت الآية فيهم، قاله أبوالعالية وغيره، وقد تقدّم في آل‌عمران أنّه يخرج ويطأ البلاد كلّها إلّا مكّة والمدينة.

وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب «التّذكرة». وهو يهوديّ واسمه صاف ويكنّى أبايوسف.

وقيل: كلّ من كفر بالنّبيّ ﷺ، وهذا حسن، لأنّه يعمّ. (١٥: ٣٢٤)

نحوه الآلوسيّ. (٢٤: ٧٨)

البَيْضاويّ: عامّ في كلّ مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكّة أو اليهود. (٢: ٣٣٩)

نحوه أبوالسُّعود (٥: ٤٢٤)، وشُبّر (٥: ٣٥٣)، وطه الدُّرّة (١٢: ٥٩١).

٤ـ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ. المؤمن: ٦٩

ابن عَطيّة: ظاهر الآية أنّها في الكفّار الجادلين في رسالة محمّد والكتاب الّذي جاء به، بدليل قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾، وهذا قول ابن زَيْد والجمهور من المفسّرين.

وقال محمّد بن سيرين وغيره: هي إشارة إلى أهل الأهواء من الأُمّة، وروت هذه الفرقة في نحو هذا حديثًا، وقالوا: هي في أهل القدر ومن جرى مجراهم. (٤: ٥٦٨)

البَيْضاويّ: تكرير ذمّ المجادلة لتعدّد المجادِل أو المجادَل فيه أو للتّأكيد. (٢: ٣٤١)

نحوه النّسَفيّ (٤: ٨٤)، والشّربينيّ (٣: ٤٩٦).

أبوحَيّان: [كقول ابن عَطيّة ثمّ قال:]

ويلزم قائلي هذه المقالة أن يجعل قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ المؤمن: ٧٠، كلامًا مستأنفًا في الكفّار، ويكون ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ مبتدأ وخبره ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وأمّا على الظّاهر فـ(الَّذِينَ) بدل من (الَّذِينَ) أو خبر مبتدإ محذوف، أو منصوبًا على الذّمّ و(إذ) ظرف لما مضى فلايعمل فيه المستقبل، كما لايقول: سأقوم أمس. (٧: ٤٧٤)

مكارم الشّيرازيّ: من الضّروريّ أن نشير أوّلًا

إلى أنّ السّورة الّتي بين أيدينا تحدّثت أكثر من مرّة عن ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ جاء ذلك في الآيتين (٣٥) و(٥٦) وهذه الآية. ونستفيد من القرائن أنّ المقصود بـ(آيَاتِ اللهِ) هي دلائل النّبوّة وعلائمها على الأكثر، بالإضافة إلى ماتحويه الكتب السّماويّة. وطالما تتضمّن الكتب السّماويّة آيات التّوحيد، والمسائل الخاصّة بالمبدإ والمعاد، لذا فإنّ هذه القضايا مشمولة بجدال القوم وخصومتهم للحقّ.

هل يستهدف التّكرار تأكيد قضيّة هذا الموضوع؟ أم أنّ كلّ آية تختصّ بطرح وموضوع يختلف عن موضوع أُختها؟

إنّنا هنا نميل إلى الاحتمال الثّاني؛ إذ يلاحظ، أنّ لكلّ آية موضوع خاصّ.

فالآية: (٥٦) تتحدّث عن دواعي المجادلة وأهدافها، أي الكِبْر والغرور، في حين تتحدّث الآية: (٣٥) عن عقابهم الدّنيويّ، متمثّلًا بأن ختم الله على قلوبهم.

أمّا الآية الّتي نتحدّث عنها الآن فهي تتحدّث عن العقاب الأُخرويّ، وأوصافهم في النّار ذات السّعير.

من الضّروريّ أن نشير أيضًا إلى أنّ (يُجَادِلُونَ) فعل مضارع يدلّ على الاستمرار. وهذه إشارة إلى أنّ مثل هؤلاء الأفراد الّذين يكذّبون بآيات الله لتبرير عقائدهم وأعمالهم السّيّئة المُشينة، إنّما يقومون بالمجادلة بشكل مستمرّ من خلال الأقوال والذّرائع الواهية. (١٥: ٢٩٢)

يُجَادِلُونَكَ

١ـ ...حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. الأنعام: ٢٥

ابن عبّاس: يسألونك ماذا أُنزل من القرآن. (١٠٧)

هم المشركون يجادلون المسلمين في الذّبيحة، يقولون: أمّا ماذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأمّا ماقتل الله فلاتأكلون، وأنتم تتّبعون أمر الله تعالى. (الطّبريّ ٧: ١٧١)

الحسن: إنّهم كانوا يجادلونه بما ذكره الله تعالى من قوله عنهم: ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. (الماوَرْديّ ٢: ١٠٤)

الطّبَريّ: يخاصمونك. (٧: ١٧١)

نحوه القمّيّ (١: ١٩٦)، والواحديّ (٢: ٢٦١)، والخازن (٢: ١٠٤).

الطّوسيّ: يعني أنّهم إذا دخلوا إليه بالنّهار إنّما يجيؤون مجيء مخاصمين مجادلين رادّين مكذّبين، ولم يكونوا يجيؤون مجيء من يريد الرّشاد والنّظر في الدّلالة، الدّالّة على توحيد الله ونبوّة نبيّه ﷺ، وكانوا يريدون ذلك بأن يقولوا: هذا أساطير الأوّلين. (٤: ١١١)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٢: ٢٨٦)

الزّمَخْشَريّ: والمعنى: أنّه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنّهم يجادلونك ويناكرونك. وفسّر مجادلتهم بأنّهم يقولون: ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. (٢: ١٢)

مثله النّسَفيّ (٢: ٨)، ونحوه الفخر الرّازيّ (١٢: ١٨٨)، والنّيسابوريّ (٧: ٨٩)، وأبوالسّعود (٢: ٣٦٨)، والقاسميّ (٦: ٢٢٧٦).

ابن عَطيّة : [نقل قول ابن عبّاس في «مجادلتهم» ثمّ قال:]

وهذا جدال في حكم، والّذي في الآية إنّما هو جدال في مدافعة القرآن، فلاتتفسّر الآية عندي بأمر الذّبح.
(٢: ٢٨٠)

أبوحَيّان: (يُجادِلُونَكَ) أي يخاصمونك في الاحتجاج، وبلغ تكذيبهم في الآيات إلى المجادلة، وهذا إشارة إلى القرآن، وجعلهم إيّاه من أساطير الأوّلين، قدحٌ في أنّه كلام الله.

قيل: كان النّضر يعارض القرآن بأخبار اسفنديار ورستم.

وقال ابن عبّاس: مجادلتهم قولهم: تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتل الله.

وهذا فيه بعد، وظاهر المجادلة أنّه في المسموع الّذي هم يستمعون إلى الرّسول بسببه وهو القرآن، والمعنى أنّهم في الاحتجاج انتهى أمرهم إلى المجادلة والافتراء دون دليل.
(٤: ٩٨)

ابن كثير: أي يحاجّونك ويناظرونك في الحقّ والباطل.
(٣: ١٤)

شُبّر: يخاصمونك ويردّون عليك قولك. (٢: ٢٤٧)

الآلوسيّ: [له كلام سيأتي في ج ي ء] (٧: ١٢٦)

طه الدُّرّة: (يُجادِلُونَكَ) فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعليّة في محلّ نصب حال من واو الجماعة، والرّابط الضّمير فقط.
(٤: ١٠٤)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَلَاتُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ اَنْفُسَهُمْ...﴾ النّساء: ١٠٧

٢ـ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ بَعْدَ مَاتَبَيَّنَ كَاَنَّمَا يُسَاقُونَ اِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. الأنفال: ٦

ابن عبّاس: يخاصمونك. (١٤٥)

لمّا شاور النّبيّ ﷺ في لقاء اليوم، وقال له سعد بن عبادة ماقال، وذلك يوم بدر، أمر النّاس فتعبّوا للقتال، وأمرهم بالشّوكة، وكره ذلك أهل الايمان، فأنزل الله: ﴿كَمَا اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَاِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ...﴾.

نحوه ابن إسحاق. (الطّبريّ ٩: ١٨٣)

مُجاهِد: ﴿كَمَا اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ كذلك ﴿يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ﴾ القتال. (الطّبريّ ٩: ١٨١)

ابن زَيْد: هؤلاء المشركون جادلوك في الحقّ، كأنّما يساقون إلى الموت، حين يدعون إلى الإسلام، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. وليس هذا من صفة الآخرين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر. (الطّبريّ ٩: ١٨٣)

الفَرّاء: يسألونك عن الأنفال كما جادلوك يوم بدر، فقالوا: أخرجتنا للغنيمة ولم تُعلِمنا قتالاً فنستعدّ له، فذلك قوله: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ بَعْدَ مَاتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾.
(١: ٤٠٣)

الطّبَريّ: [نقل قول بعض المفسّرين ثمّ قال:]

والصّواب من القول في ذلك ماقاله ابن عبّاس وابن إسحاق: من أنّ ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين، أنّهم كرهوا لقاء العدوّ، وكان جدالهم نبيّ الله ﷺ أن قالوا: لم يُعلمنا أنّا نلقى العدوّ، فنستعدّ لقتالهم، وإنّما خرجنا للعير. وممّا يدلّ على صحّة قوله: ﴿وَاِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ اِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ اَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ اَنَّ غَيْرَ ذَاتِ

الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الأنفال: ٧. في ذلك الدّليل الواضح لمن فهم عن الله، أنّ القوم قد كانوا للشّوكة كارهين، وأنّ جدالهم كان في القتال، كما قال مُجاهد: كراهية منهم له، وأن لامعنى لما قال ابن زَيْد، لأنّ الّذي قبل قوله: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ خبر عن أهل الإيمان، والّذي يتلوه خبر عنهم، فأن يكون خبرًا عمّ، أولى منه بأن يكون خبرًا عمّن لم يجر له ذكر. (٩: ١٨٣)

الزّجّاج: وعدهم الله جلّ وعزّ في غزاة بدر أنّهم يظفرون بأهل مكّة وبالعير وهي الإبل، لكراهتهم القتال، فجادلوا النّبيّ ﷺ وقالوا: إنّما خرجنا إلى العير. (٢: ٤٠١)

الطّوسيّ: اختلفوا في المؤمنين الّذين كرهوا القتال وجادلوا النّبيّ ﷺ [ونقل قول ابن عبّاس وابن زَيْد ثمّ قال:]

وقول ابن عبّاس هو الظّاهر، وعليه أكثر المفسّرين، وهو أنّ هذا صفة للمؤمنين لكن كرهوا ذلك كراهية الطّبع، لكونهم غير مستعدّين للقتال، ولقلّتهم وكثرة المشركين، ويقوّي ذلك قوله بعد هذه الآية: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ...﴾ فبيّن بذلك أنّهم كانوا يودّون العير دون الحرب. (٥: ٩٤)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٢: ٥٢٠)

القُشَيْريّ: جحود الحقّ بعد وضوح برهانه عَلَمٌ لاستكبار صاحبه. (٢: ٢٩٩)

الواحديّ: قال المفسّرون: إنّ رسول الله ﷺ وأصحابه خرجوا لطلب عِير قريش، فنعت قريش عِيرها بالنّفير، فالتقوا وأُمروا بالقتال، ولم يكونوا أعدّوا له أُهبة فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: هلّا أخبرتنا، فكنّا نُعِدّ له، وجادلوه طلبًا للرّخصة في ترك القتال. (٢: ٤٤٥)

نحوه البغَويّ (٢: ٢٦٩)، والقُرطُبيّ (٧: ٣٦٩)، والنّسَفيّ (٢: ٩٥)، والزّمَخْشَريّ (٢: ١٤٤)، والخازن (٣: ٧)، وابن جزيّ (٢: ٦١)، والشّربينيّ (١: ٥٥٨)، وأبوالسُّعود (٣: ٧٩)، والبُرُوسَويّ (٣: ٣١٦)، والآلوسيّ (٩: ١٧١)، والمَراغيّ (٩: ١٦٩).

ابن الجَوْزيّ: [نحو ماتقدّم عن الواحديّ وأضاف:]

وفي المجادلين قولان:

أحدهما: أنّهم طائفة من المسلمين، قاله ابن عبّاس والجمهور.

والثّاني: أنّهم المشركون، قاله ابن زَيْد، فعلى هذا يكون جدالهم في الحقّ الّذي هو التّوحيد، لافي القتال. (٣: ٣٢٣)

مَغْنيّة: وتسأل أنّ المسلمين يُقدّسون البدريّين، ويرفعونهم إلى المكان الأعلى، وهاهو القرآن يدين بعضهم صراحة، وأنّهم جادلوا النّبيّ على رغم بيان الحقّ لهم ووضوحه عندهم، لأنّ الوحي نزل به وأخبرهم عنه الرّسول الأعظم ﷺ؟

الجواب: إنّ هذا لايحطّ من شأنهم، ولايمسّ من إيمانهم بالله ورسوله، أنّهم بشر تهتزّ نفوسهم إذا رأوا الموت برغم إيمانها واطمئنانها، هذا إلى أنّها غمامة صيف عرضت، ثمّ تقشّعت، ومضوا مع النّبيّ ﷺ، وواجهوا الموت بعزم وثبات. (٣: ٤٥٤)

عبد الكريم الخطيب: في هذا إشارة إلى ماوقع

في نفوس فريق من المؤمنين ـ لا كلّ المؤمنين ـ من مشاعر الكراهية، حين عُدل بهم عن وجهتهم الّتي اتّجهوا إليها لاقتناص العير، والاستيلاء على ما تحمل من مال ومتاع، إلى حيث يَلْقَوْن قريشًا وجيشها الجرّار في ميدان القتال، ولهذا كان منهم هذا الجدال الّذي تعلّلوا به للنّكوص عن لقاء العدوّ، فقال قائلهم: ما خرجنا للقتال، ولا أخذنا أُهبتنا له، ولا صَحِبنا إخواننا الّذين خلّفناهم وراءنا إليه.

والسّؤال هنا: كيف يجادلون في الحقّ بعد ما تبيّن لهم؟ وكيف يكونون مؤمنين مع هذا؟ وهل من شأن المؤمن أن يُجادل في الحقّ إذا عرف وجهه، واستبان له طريقه؟

والجواب: أنّ الحقّ ـ وهو قتال المشركين ـ كان أمره ظاهرًا لهم، بعد أن أفلتت منهم العير؛ إذ كان الله سبحانه قد وعدهم على لسان نبيّه الكريم بأنّهم سيظفرون بإحدى الطّائفتين، إمّا العير، وإمّا النّفير. فلمّا أفلتت منهم العير، لم يبق إلّا النّفير والحرب. فهذا حقّ مستيقن لهم، لا خفاء فيه.

ولكن يقوم إلى هذا الحقّ، تلك الرّغبة القويّة الّتي كانت مستولية على المؤمنين من قبل، وهي الاستيلاء على العير؛ وذلك شأن النّفس دائمًا حين يكون خيارها بين أمرين: أحدهما محبوب، والآخر مكروه. فإنّها حينئذ لا تلتفت إلى غير المحبوب، حتّى ليُصبح المكروه عندها كأنّه غير مُفترَض أصلًا، فتنساه، أو تتناساه. فإذا فاجأها هذا المكروه الّذي أخرجته من حسابها وتقديرها، كان وقعه شديدًا عليها، حتّى لكأنّه حَدَثٌ طارئ لم تكن تتوقّعه. ومن هنا يكون إنكارها أو تنكّرها له. (٥: ٥٦٨)

طه الدُّرّة: جملة ﴿يُجَادِلُونَكَ...﴾ مستأنفة لا محلّ لها، وجوّز اعتبارها حالًا من كاف الخطاب، أو من ضمير المستتر في ﴿لَكَارِهُونَ﴾ والرّابط على الاعتبارين الضّمير فقط. (٦: ١٨٩)

لِيُجَادِلُوكُمْ

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ. الأنعام: ١٢١

راجع «ذ ك ر» و«ش ط ن»

تُجَادِلُ

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. النّحل: ١١١

راجع «ن ف س»

تُجَادِلُكَ

قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ... المجادلة: ١

عائشة: تبارك الّذي وسع سمعه كلّ شيء، إنّي لأسمع كلام خولة ابنة ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني، حتّى إذا كبر سنّي، وانقطع ولدي، ظاهر منّي، اللّهمّ إنّي أشكو إليك. قالت:

فما برحت حتّى نزل جبرئيل عليه السلام بهؤلاء الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ...﴾ قال [يعني عروة بن الزّبير]: زوجها أوس ابن الصّامت. (الطّبَريّ ٢٨: ٥)

نحوه قَتادَة. (الطّبَريّ ٢٨: ٢)

ابن عبّاس: تُخاصمك وتُكلّمك. (٢٦٠)

[ونحو عائشة إلاّ أنّه قال في أوّله: خولة بنت الصّامت] (الطّبَريّ ٢٨: ٣)

[ونحو عائشة أيضًا إلاّ أنّه قال: خولة بنت ثعلبة بن مالك] (الطّبَريّ ٢٨: ٦)

عُرْوَة بن الزّبير: أنّه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبتَ إليّ تسألني عن خويلة ابنة أوس بن الصّامت، وإنّها ليست بابنة أوس بن الصّامت ولكنّها امرأة أوس، وكان أوس امرأً به لمم، وكان إذا اشتدّ به لممه تظاهر منها، وإذا ذهب عنه لممه لم يقل من ذلك شيئًا، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وآله تستفتيه، وتشتكي إلى الله، فأنزل الله ماسمعت، وذلك شأنها. (الطّبَريّ ٢٨: ٥)

أبوالعالية: إنّ خويلة ابنة الدّليج أتت النّبيّ صلى الله عليه وآله وعائشة تغسل شقّ رأسه، فقالت: يارسول الله، طالت صحبتي مع زوجي، ونفضت له بطني، وظاهَرَ منّي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حرُمْتِ عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي. ثمّ قالت: يارسول الله، طالت صحبتي، ونفضت له بطني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حَرُمتِ عليه. فجعل إذا قال لها: حَرُمتِ عليه، هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي. فنزل الوحي، وقد قامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر. فأومأت إليها عائشة أن أُسكتي، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السُّبات، فلمّا قضى الوحي، قال: ادعي زوجك، فتلاها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ...﴾.

(الطّبَريّ ٢٨: ١)

نحوه ابن الكعب، والقُرَظيّ، وأبوإسحاق. [إلاّ أنّهما قالا: خَولة ابنة ثعلبة وزوجها أوس بن الصّامت]

(الطّبَريّ ٢٨: ٤)

تراجعك في أمر زوجها. (الطّبْرِسيّ ٥: ٢٤٧)

مُجاهِد: تُجادل محمّدًا صلى الله عليه وآله، فهي تشتكي إلى الله عند كبره وكبرها، حتّى انتفض وانتفض رحمها.

(الطّبَريّ ٢٨: ٥)

الفَرّاء: [نحو عائشة وأضاف:]

وهي في قراءة عبد الله: (قد يسمع الله)، (والله قد يسمع تحاوركما)، وفي قراءة عبد الله: (قول الّتي تحاورك في زوجها) حتّى ذكر الكفّارة في الظّهار، فصارت عامّة.

(٣: ١٣٨)

الطّبَريّ: والّتي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجها امرأة من الأنصار. واختلف أهل العلم في نسبها واسمها، فقال بعضهم: خَوْلة بنت ثعلبة، وقال بعضهم: اسمها خُوَيلَة بنت ثعلبة. وقال آخرون: هي خويلة بنت خُوَيلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصّامت، وقال آخرون: هي خويلة ابنة الدّليج.

وكانت مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجها، وزوجها أوس بن الصّامت، مراجعتها إيّاه في أمره، وماكان من قوله لها: أنتِ عليّ كظهر أُمّي، ومحاورتها إيّاه في ذلك، وبذلك قال أهل التّأويل، وتظاهرت به الرّواية.

(٢٨: ١)

الطُّوسيّ : [ذكر معنى الجدال وقد مرّ في النّصوص اللّغويّة ثمّ قال:]

فجادلة المرأة لرسول الله كان مراجعتها إيّاه في أمر زوجها، وذكرها: أن كبرت سنّي ودقّ عظمي، والنّبيّ ﷺ يقول: بِنْتِ منه ـ على مارواه أبو العالية ـ لأنّه لم يكن نزل عليه في ذلك وحي ولاحكم.

(٩: ٥٤١)

البَغَويّ : تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها.

(٥: ٣٩)

الزّمَخْشَريّ : [ذكر شأن النّزول كما تقدّم عن المفسّرين] (٤: ٦٩)

البُرُوسَويّ : المراد هنا المكالمة، ومراجعة الكلام، أي معاودته، والمعنى قد أجاب الله دعاء المرأة الّتي تُكالمك في حقّ زوجها استفتاء، وتراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقّها من ظهاره إيّاها، بغير وجه مشروع وسبب مقبول. (٩: ٣٨٨)

الآلوسيّ : أي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقّها من الظّهار، وقُرئ (تُحَاوِرُك) والمعنى على ماتقدّم، وتحاورك: أي تسائلك. (٢٨: ٢)

أَتُجَادِلُونَنِي

...أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مَانَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ... الأعراف: ٧١

ابن عبّاس : أتُخاصمونني. (١٣٠)

نحوه الطّبَريّ. (٨: ٢٢٣)

الطُّوسيّ : أتنازعونني. (٤: ٤٧٨)

الطَّبْرِسيّ : أتُناظرونني وتُخاصمونني. (٢: ٤٣٧)

الآلوسيّ : إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه ﷺ داعيًا لهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ماكان يعبد آباؤهم من الأصنام. (٨: ١٥٩)

جَادِلْهُمْ

اُدْعُ اِلٰى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ. النّحل: ١٢٥

مُجاهِد : أعرض عن أذاهم إيّاك.

(الطّبَريّ ١٤: ١٩٤)

الطّبَريّ : وخاصمهم بالخصومة الّتي هي أحسن من غيرها، أن تصفح عمّا نالوا به عرضك من الأذى، ولاتعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربّك. (١٤: ١٩٤)

الواحديّ : أقبل على المشركين، واصرفهم عمّا هم عليه من الشّرك. (٣: ٩١)

البَغَويّ : وخاصمهم وناظرهم بالخصومة الّتي هي أحسن، أي أعرض عن أذاهم ولاتُقصّر في تبليغ الرّسالة والدّعاء إلى الحقّ. نسختها آية القتال.

(٣: ١٠٣)

الطَّبْرِسيّ : أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن ماعندك من الحجج، وتقديره: بالكلمة الّتي هي أحسن.

والمعنى أقبِل المشركين وأصرفهم عمّا هم عليه من الشّرك بالرّفق والسّكينة ولين الجانب في النّصيحة، ليكونوا أقرب إلى الإجابة. فإنّ الجدل هو فتل الخصم

عن مذهبه بطريق الحجاج.

وقيل: هو أن يجادلهم على قدر مايحتملونه، كما جاء في الحديث: «أُمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم النّاس على قدر عقولهم». (٢: ٣٩٢)

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّ الدّعوة إلى المذهب والمقالة لابدّ وأن تكون مبنيّة على حجّة وبيّنة، والمقصود من ذكر الحجّة، إمّا تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين، وإمّا أن يكون المقصود إلزام الخصم وإفحامه.

أمّا القسم الأوّل: فينقسم أيضًا إلى قسمين، لأنّ الحجّة إمّا أن تكون حجّة حقيقيّة يقينيّة قطعيّة مبرأة عن احتمال النّقيض، وإمّا أن لاتكون كذلك، بل تكون حجّة تفيد الظّنّ الظّاهر والإقناع الكامل، فظهر بهذا التّقسيم انحصار الحجج في هذه الأقسام الثّلاثة:

أوّلها: الحجّة القطعيّة المفيدة للعقائد اليقينيّة، وذلك هو المسمّى بالحكمة، وهذه أشرف الدّرجات وأعلى المقامات، وهي الّتي قال الله في صفتها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩.

وثانيها: الأمارات الظّنّيّة والدّلائل الإقناعيّة، وهي الموعظة الحسنة.

وثالثها: الدّلائل الّتي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل، ثمّ هذا الجدل على قسمين:

القسم الأوّل: أن يكون دليلًا مركّبًا من مقدّمات مسلّمة في المشهور عند الجمهور، أو من مقدّمات مسلّمة عند ذلك القائل، وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن.

والقسم الثّاني: أن يكون ذلك الدّليل مركّبًا من مقدّمات باطلة فاسدة إلّا أنّ قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسّفاهة والشّغب، والحيل الباطلة، والطّرق الفاسدة. وهذا القسم لايليق بأهل الفضل إنّما اللّائق بهم هو القسم الأوّل؛ وذلك هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فثبت بما ذكرنا انحصار الدّلائل والحجج في هذه الأقسام الثّلاثة المذكورة في هذه الآية.

إذا عرفت هذا فنقول: أهل العلم ثلاث طوائف:

الكاملون الطّالبون للمعارف الحقيقيّة والعلوم اليقينيّة، والمكالمة مع هؤلاء لاتمكن إلّا بالدّلائل القطعيّة اليقينيّة وهي الحكمة.

والقسم الثّاني: الّذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة لاطلب المعرفة الحقيقيّة والعلوم اليقينيّة، والمكالمة اللّائقة بهؤلاء المجادلة الّتي تفيد الإفحام والإلزام. وهذان القسمان هما الطّرفان؛ فالأوّل: هو طرف الكمال، والثّاني: طرف النّقصان.

وأمّا القسم الثّالث: فهو الواسطة، وهم الّذين مابلغوا في الكمال إلى حدّ الحكماء المحقّقين، وفي النّقصان والرّذالة إلى حدّ المشاغبين المخاصمين، بل هم أقوام بقوا على الفطرة الأصليّة والسّلامة الخُلقيّة، ومابلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدّلائل اليقينيّة والمعارف الحكميّة، والمكالمة مع هؤلاء لاتُمكن إلّا بالموعظة الحسنة، وأدناها المجادلة. وأعلى مراتب الخلائق الحكماء المحقّقون، وأوسطهم عامّة الخلق وهم أرباب السّلامة،

وفيهم الكثرة والغلبة. وأدنى المراتب، الّذين جُبلوا على طبيعة المنازعة والمخاصمة. فقوله تعالى: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ معناه ادع الأقوياء الكاملين إلى الدّين الحقّ بالحكمة، وهي البراهين القطعيّة اليقينيّة، وعوامّ الخلق بالموعظة الحسنة، وهي الدّلائل اليقينيّة الإقناعيّة الظّنّيّة، والتّكلّم مع المشاغبين بالجدل على الطّريق الأحسن الأكمل.

ومن لطائف هذه الآية أنّه قال: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ فقصر الدّعوة على ذكر هذين القسمين، لأنّ الدّعوة إن كانت بالدّلائل القطعيّة فهي الحكمة، وإن كانت بالدّلائل الظّنّيّة فهي الموعظة الحسنة. أمّا الجدل فليس من باب الدّعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدّعوة، وهو الإلزام والإفحام. فلهذا السّبب لم يقل: ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدّعوة تنبيهًا على أنّه لايحصّل الدّعوة، وإنّما الغرض منه شيء آخر، والله أعلم.

واعلم أنّ هذه المباحث تدلّ على أنّه تعالى أدرج في هذه الآية هذه الأسرار العالية الشّريفة مع أنّ أكثر الخلق كانوا غافلين عنها، فظهر أنّ هذا الكتاب الكريم لايهتدي إلى مافيه من الأسرار إلّا من كان من خواصّ أُولي الأبصار. (٢٠: ١٣٨)

أبوالسُّعود: أي ناظر معانديهم ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالطّريقة الّتي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة، من الرّفق واللّين، واختيار الوجه الأيسر، واستعمال المقدّمات المشهورة تسكينًا لشغبهم، وإطفاءً لِلَهَبِهم، كما فعله الخليل عليه السلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الّذي أمرك بدعوة الخلق إليه، وأعرض عن قبول الحقّ بعد ماعاين من الحِكَم والمواعظ والعبر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ إليه بذلك، وهو تعليل لما ذُكر من الأمرين.

والمعنى - والله تعالى أعلم - أسلك في الدّعوة والمناظرة الطّريقة المذكورة، فإنّه تعالى هو أعلم بحال من لايرعوي عن الضّلال، بموجب استعداده المكتسب، وبحال من يصير أمره إلى الاهتداء، لما فيه من خير جليّ، فما شرعه لك في الدّعوة هو الّذي تقتضيه الحكمة، فإنّه كافٍ في هداية المهتدين وإزالة عذر الضّالّين. أو ماعليك إلّا ماذُكر من الدّعوة والمجادلة بالأحسن، وأمّا حصول الهداية أو الضّلال والمجازاة عليهما فإلى الله سبحانه، إذ هو أعلم بمن يبق على الضّلال وبمن يهتدي إليه، فيجازي كلًّا منهما بما يستحقّه. (٤: ١٠٤)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي‌السُّعود وأضاف:]

والآية دليل على أنّ المناظرة والمجادلة في العلم جائزة إذا قُصد بها إظهار الحقّ.

قال الشّيخ السّمرقنديّ في تفسيره في هذه الآية، تنبيه على المدعوّ إلى الحقّ فرق ثلاث: فإنّ المدعوّ إلى الله بالحكمة قوم وهم الخواصّ، وبالموعظة قوم وهم العوامّ، وبالمجادلة قوم وهم أهل الجدال، وهم طائفة ذوو كياسة تميّزوا بها عن العوامّ، ولكنّها ناقصة مُدنّسة بصفات رديئة من خبث وعناد وتعصّب ولجاج وتقليد ضالّ، تمنعهم عن إدراك الحقّ وتهلكهم، فإنّ الكياسة النّاقصة شرّ من البلاهة بكثير، ألم تسمع أنّ أكثر أهل الجنّة البُلْه،

فليستعمل كلّ منها مع مايناسبها، فإنّه لو استعمل الحكمة للعوامّ لم يفد شيئًا، حيث لم يفهموها، لسوء بلادتهم وعدم فطنتهم. (٥: ٩٧)

الآلوسيّ: [نحو أبي السّعود وأضاف:]

واستدلّ ـ كما قيل ـ أرباب المعقول بالآية على أنّ المعتبر في الدّعوة من بين الصّناعات الخمس إنّما هو البرهان والخطابة والجدل، حيث اقتصر في الآية على مايشير إليها. وإنّما تفاوتت طرق دعوته عليه الصّلاة والسّلام لتفاوت مراتب النّاس.

فنهم خواصّ، وهم أصحاب نفوس مشرقة قويّة الاستعداد لإدراك المعاني، قويّة الانجذاب إلى المبادئ العالية، مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه، وهؤلاء يدعون بالحكمة بالمعنى السّابق.

ومنهم عوامّ أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد، شديدة الألف بالمحسوسات، قويّة التّعلّق بالرّسوم والعادات، قاصرة عن درجة البرهان، لكن لاعناد عندهم، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدّم.

ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل، ليدحض به الحقّ لما غلب عليه من تقليد الأسلاف، ورسخ فيه من العقائد الباطلة، فصار بحيث لاتنفعه المواعظ والعبر بل لابدّ من إلقامه الحجر بأحسن طرق الجدال، لتلين عريكته وتزول شكيمته، وهؤلاء الّذين أمر ﷺ بجدالهم بالّتي هي أحسن.

وإنّما لم تُعتبر المغالطة والشّعر، لأنّ فائدة المغالطة تغليط الخصم والاحتراز عن تغليطه إيّاه، ومرتبة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام تنافي أن يغلّط وتتعالى أن يغلَط. والشّعر وإن كان مفيدًا للخواصّ والعوامّ، فإنّ النّاس في باب الإقدام والإحجام أطوع للتّخييل منهم للتّصديق، إلّا أنّ مداره على الكذب، ومن ثمّة قيل: «الشّعر أكذبه أعذبه» فلايليق بالصّادق المصدوق، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ يس: ٦٩.

لايقال: الشّعر الّذي هو أحد الصّناعات قياس مؤلّف من مقدّمات مخيّلة، والشّعر الّذي مداره على الكذب هو الكلام الموزون المقفّى، وهو الّذي نفي تعليمه عنه ﷺ.

لما قيل: كون الشّعر مذمومًا، ليس لكونه كلامًا موزونًا مقفّى بل لاشتماله على تخيّلات كاذبة، فهما من واد واحد، ذكر ذلك بعض المتأخّرين.

وقد ذهب غير واحد إلى أنّ فيها إشارة إلى تفاوت مراتب المدعوّين، إلّا أنّه خالف في بعض ماتقدّم، ففي «الكشف» بعد أن ذكر أنّ كلام الزّمخشريّ يدلّ على أنّه عليه الصّلاة والسّلام ينبغي أن يجمع في الدّعوة بين الثّلاث، فيكون الكلام في نفسه حسن التّأليف منتجًا لما علق به من الغرض، ومع ذلك مقصودًا به المناصحة لمن خوطب به، ويكون المتكلّم حسن الخلق في ذلك، معلّمًا ناصحًا شفيقًا رفيقًا مانصّه: والأحسن على ماذهب إليه المحقّقون أنّه تعميم للدّعوة حسب مراتب المدعوّين في الفهم والاستعداد، فمن دعا بلسان الحكمة ليفاد اليقين العيانيّ أو البرهانيّ هم السّابقون، ومن دعا بالموعظة الحسنة وهي الإقناعات الحكميّة لا الخطابات المشهورة طائفة دون هؤلاء، ومن دعا بالمجادلة الحسنة

هم عموم أهل الإسلام والكفّار أيضًا اه. ولاأرى مايوجب نفي أن يكون المراد بالموعظة الحسنة: الخطابات المشهورة، وكونها مركّبة من مقدّمات مظنونة أومقبولة، من شخص معتقد فيه، ولايليق بالنّبيّ ﷺ استعمال الظّنّيّات، أو أخذ كلام الغير والدّعوة به هو الموجب لذلك لايخفى مافيه، فتدبّر.

وذكر الأحسائيّ رئيس الفرقة الظّاهرة في زماننا المسمّاة بـ«الكشفيّة» في كتابه «شرح الفوائد» ماحصّله: أنّ المدعوّين من المكلّفين ثلاثة أنواع، وكذا الأدلّة الّتي أشارت إليها الآية، فإن كانوا من الحكماء العقلاء والعلماء النّبلاء فدعوتهم إلى الحقّ الّذي يريده الله تعالى منهم من معرفته، بدليل الحكمة، وهو الدّليل الذّوقيّ العيانيّ الّذي يلزم منه العلم الضّروريّ بالمستدلّ عليه، لأنّه نوع من المعاينة، كقولنا في ردّ من زعم أنّ حقائق الأشياء كانت كامنة في ذاته تعالى بنحو أشرف، ثمّ أفاضها: إنّه لابدّ وأن يكون لذاته سبحانه قبل الإفاضة حال مغاير لما بعدها، سواء كان التّغيّر في نفس الذّات أو فيما هو في الذّات. فإن حصل التّغيّر في الذّات لزم حدوثها، وإن حصل فيما هو في الذّات ـ أعني حقائق الأشياء الكامنة ـ لزم أن تكون الذّات محلًّا للمتغيّر المختلف، ويلزم من ذلك حدوثها.

وكقولنا في إثبات أنّه سبحانه أظهر من كلّ شيء: إنّ كلّ أثر يشابه صفة مؤثّرة، وأنّه قائم بفعله قيام صدور كالأشعّة بالنّيّرات والكلام بالمتكلّم، فالأشياء هي ظهور الواجب بها لها، لأنّه سبحانه لايظهر بذاته وإلّا لاختلفت حالتاه، ولايكون شيء أشدّ ظهورًا من الظّاهر في ظهوره لأنّ الظّاهر أظهر من ظهوره، وإن كان لايمكن التّوصّل إلى معرفته إلّا بظهوره، مثل القيام فإنّ القائم أظهر في القيام من القيام، والقاعد أظهر في القعود من القعود، وإن كان لايمكن التّوصّل إلى معرفتها إلّا بالقيام والقعود، فتقول: ياقائم وياقاعد، والمعنى لك إنّما هو القائم والقاعد، لاالقيام والقعود، لأنّه بظهوره لك بذلك غيّب عليك مشاهدته، وإن التفتّ إليه احتجب عنك القائم والقاعد، وهو آلة لمعرفة المعارف الحقّيّة، كالتّوحيد ومايلحق به، ومستنده الفؤاد وهو نور الله تعالى المشار إليه، بقوله ﷺ: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله تعالى» والنّقل من الكتاب والسّنّة.

وشرطه الّذي يتوقّف عليه فتح باب النّور ثلاثة أشياء:

أحدها: أن تُنصف ربّك وتقبل منه سبحانه قوله، ولاتتّبع شهوة نفسك.

وثانيها: أن تقف عند بيانك وتبيّنك، وتبيينك على قوله تعالى: ﴿وَلَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ الإسراء: ٣٦.

وثالثها: أن تنظر في تلك الأحوال، أعني البيان ومابعده بعينه تعالى، وهي العين الّتي هي وصف نفسه لك، أعني وجودك من حيث كونه أثرًا ونورًا، لابعينك الّتي هي أنت من حيث ـ أنّك أنت ـ أنت، فإنّك لاتعرف بهذه العين إلّا الحادثات المحتاجة الفانية.

وإن كانوا من العلماء ذوي الألباب وأرباب القلوب، فدعوتهم إلى الحقّ الّذي يريده سبحانه منهم من اليقين

الحقيقيّ في اعتقاداتهم، بدليل الموعظة الحسنة، وهي الدّليل العقليّ اليقينيّ الّذي يلزم منه اليقين في الإيمان به سبحانه وبغيره ممّا أمرهم بالإيمان به، وهو آلة لعلم الطّريقة وتهذيب الأخلاق وعلم اليقين والتّقوى ـ وهذه العلوم وإن كانت قد تستفاد من غيره، ولكن بدون ملاحظته لايوقف على اليقين والاطمئنان الّذي هو أصل علم الأخلاق، ومستنده القلب والنّقل، وشرط صحّته والانتفاع به اتّصاف عقلك به بأن تلزم ماألزمك به ولاتظلمه، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ فصّلت: ٥٢، وقوله تعالى: ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ اِنَّ اللهَ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الأحقاف: ١٠، إلى غير ذلك ممّا لايحصى كثرة.

وإن كانوا من العلماء أصحاب الرّسوم كالمتكلّمين ونظائرهم، فدعوتهم إلى الحقّ الّذي يريده سبحانه من اليقين الرّسميّ، بمقتضى طبيعتهم القاصرة، بدليل المجادلة بالّتي هي أحسن وهي الدّليل العلميّ القطعيّ الّذي يلزم منه العلم فيما ذُكر، وهو آلة لعلم الشّريعة، ومستنده العلم والنّقل، وشرطه إنصاف الخصم بأن يقيمه على النّحو المقرّر في علم الميزان، وقد ذكره العلماء في كتبهم الأُصوليّة والفروعيّة بل لايكاد يُسمع منهم غير هذا الدّليل، وهو محلّ المناقشات والمعارضات.

وأمّا الدّليلان الأوّلان فليس فيهما مناقشة ولامعارضة، فإذا اعترض عليهما معترض فقد اعترض فيهما بغيرهما اهالمراد منه وهو كماترى، وإنّما ذكرته لتعلم حال المرؤوس من حال الرّئيس، ولقد رأيت مشايخ هذه الطّائفة يتكلّمون بما هو كشوك القنافذ ويحسبونه كريش الطّواويس.

وجوّز أن يراد بالحكمة والموعظة الحسنة: القرآن المجيد فإنّه جامع لكلا الأمرين، فكأنّه قيل: ادع بالقرآن الّذي هو حكمة وموعظة حسنة، وقيل غير ذلك، ومنه أنّ الحكمة: النّبوّة وليس من الحكمة، وفسّر بعضهم المجادلة الحسنة: بالإعراض عن أذاهم وادّعى أنّ الآية منسوخة بآية السّيف، والجمهور على أنّها مُحكمة وأنّ معنى الآية ماتقدّم، ولكون الحكمة أعلى الدّلائل وأشرفها والمدعوّون به الكاملون الطّالبون للمعارف الإلهيّة والعلوم الحقيقيّة، وقليل ماهم جيء بها أوّلًا، ولكون الجدل أدنى الدّلائل إذ ليس المقصود منه سوى إلزام الخصم وإفحامه، ولايُستعمل إلّا مع النّاقصين الّذين تغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة، وليسوا بصدد تحصيل هاتيك العلوم ذُكر أخيرًا، ولكون الموعظة الحسنة دون الحجّة وفوق الجدل، والمدعوّون بها المتوسّطون الّذين لم يبلغوا في الكمال حدّ الحكماء المحقّقين، ولم يكونوا في النّقصان بمرتبة أُولئك المشاغبين، وسطت بين الأمرين، وكأنّه إنّما لم يقل: ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة والجدال الأحسن. لما أنّ الجدال ليس من باب الدّعوة بل المقصود منه غرض آخر مغاير لها، وهو الإلزام والإفحام، كما قاله الإمام، فليُفهم.

(١٤: ٢٥٤)

الطّباطبائيّ: والجدال هو الحجّة الّتي تستعمل لفتل الخصم عمّا يصرّ عليه وينازع فيه، من غير أن

يريد به ظهور الحقّ بالمؤاخذة عليه، من طريق مايتسلّمه هو والنّاس، أو بتسلّمه هو وحده، في قوله أو حجّته. فينطبق ماذكره تعالى من الحكمة والموعظة والجدال بالتّرتيب على مااصطلحوا عليه في فنّ الميزان، بالبرهان والخطابة والجدل.

غير أنّه سبحانه قيّد الموعظة بالحسنة، والجدال بالّتي هي أحسن. ففيه دلالة على أنّ من الموعظة ماليست بحسنة، ومن الجدال ماهو أحسن وماليس بأحسن ولاحسن، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة، ومن الجدال بأحسنه.

ولعلّ مافي ذيل الآية من التّعليل بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يوضّح وجه التّقييد، فمعناه أنّه سبحانه أعلم بحال أهل الضّلال في دينه الحقّ، وهو أعلم بحال المهتدين فيه، فهو يعلم أنّ الّذي ينفع في هذا السّبيل هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الأحسن، لاغير.

والاعتبار الصّحيح يؤيّد ذلك، فإنّ سبيله تعالى هو الاعتقاد الحقّ والعمل الحقّ. ومن المعلوم أنّ الدّعوة إليه بالموعظة مثلًا ممّن لايتّعظ بما يعظ به دعوة عملًا إلى خلاف مايدعو إليه القول، والدّعوة إليه بالمجادلة مثلًا بالمسلّمات الكاذبة الّتي يتسلّمها الخصم لإظهار الحقّ، إحياء لحقّ بإحياء باطل، وإن شئت فقل: إحياء حقّ بإماتة حقّ، إلّا أن يكون الجدال على سبيل المناقضة.

ومن هنا يظهر أنّ حسن الموعظة إنّما هو من حيث حسن أثره في الحقّ الّذي يراد به، بأن يكون الواعظ نفسه متّعظًا بما يعظ، ويستعمل فيها من الخلق الحسن مايزيد في وقوعها من قلب السّامع موقع القبول، فيرقّ له القلب، ويقشعرّ به الجلد، ويعيه السّمع، ويخشع له البصر.

ويتحرّز الجادل ممّا يزيد في تهييج الخصم على الرّدّ والعناد، وسوقه إلى المكابرة واللّجاج، واستعمال المقدّمات الكاذبة وإن تسلّمها الخصم إلّا في المناقضة، ويحترز سوء التّعبير والإزراء بالخصم وبما يقدّسه من الاعتقاد والسّبّ والشّتم، وأيّ جهالة أُخرى، فإنّ في ذلك إحياء للحقّ بإحياء الباطل، أي إماتة الحقّ كما عرفت.

والجدال أحوج إلى كمال الحسن من الموعظة، ولذلك أجاز سبحانه من الموعظة حسنتها، ولم يجز من المجادلة إلّا الّتي هي أحسن.

ثمّ إنّ في قوله: ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ أخذًا بالتّرتيب من حيث الأفراد. فالحكمة مأذون فيها بجميع أفرادها، والموعظة منقسمة إلى حسنة وغير حسنة، والمأذون فيها منها هي الموعظة الحسنة، والمجادلة منقسمة إلى حسنة وغير حسنة، ثمّ الحسنة إلى الّتي هي أحسن وغيرها، والمأذون فيها منها الّتي هي أحسن. والآية ساكتة عن توزيع هذه الطّرق بحسب المدعوّين بالدّعوة، فالملاك في استعمالها من حيث المورد حسن الأثر وحصول المطلوب، وهو ظهور الحقّ.

فمن الجائز أن يستعمل في مورد جميع الطّرق الثّلاث، وفي آخر طريقان أو طريق واحد حسب ماتستدعيه الحال ويناسب المقام. (١٢: ٣٧١)

مكارم الشّيرازيّ: [ذكر الخطوة الأولى والثّانية في طريق الدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثمّ قال:]

الخطوة الثّالثة تختصّ بتخلية أذهان الطّرف المخالف من الشّبهات العالقة فيه والأفكار المغلوطة، ليكون مستعدًّا لتلقّي الحقّ عند المناظرة.

وبديهيّ أن تكون المجادلة والمناظرة ذات جدوى إذا كانت ﴿بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ أي أن يحكمها الحقّ والعدل والصّحّة والأمانة والصّدق. وتكون خالية من أيّة إهانة أو تحقير أو تكبّر أو مغالطة، وبعبارة شاملة: أن تحافظ على كلّ الأبعاد الإنسانيّة السّليمة عند المناظرة.

(۸: ۳۲۹)

لاحظ «ح س ن»

تُجادِلُوا

وَلَاتُجَادِلُوا اَهْلَ الْكِتَابِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ اِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ... العنكبوت: ٤٦

ابن عبّاس: لاتخاصموا اليهود والنّصارى ﴿اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ يعني بالقرآن. (۳۳٦)

إنّ ﴿الَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ قول لاإله إلّا الله.

(الماوَرْديّ ٤: ۲۸٦)

مُجاهِد: الكفّ عنهم عند بذل الجزية منهم، وقتالهم إن أبوا. (الماوَرْديّ ٤: ۲۸٦)

إن قالوا شرًّا، فقولوا خيرًا. (الطّبَريّ ۲۱: ۱)

نحوه ابن أبي نجيح. (الماوَرْديّ ٤: ۲۸٦)

هي محكمة، فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالّتي هي أحسن على معنى الدّعاء لهم إلى الله عزّوجلّ، والتّنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لاعلى طريق الأغلاظ والمخاشنة. (القُرطُبيّ ۱۳: ۳۵۰)

قَتادَة: ﴿وَلَاتُجَادِلُوا...﴾ ثمّ نسخ بعد ذلك، فأمر بقتالهم في سورة براءة، ولامجادلة أشدّ من السّيف أن يقاتلوا حتّى يشهدوا أن لاإله إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله ﷺ، أو يُقرّوا بالخراج. (الطّبَريّ ۲۱: ۲)

ابن زَيْد: ليست بمنسوخة، لاينبغي أن تجادل من آمن منهم، لعلّهم يحسنون شيئًا في كتاب الله، لاتعلمه أنت، فلاتجادله، ولاينبغي أن تجادل إلّا الّذين ظلموا، المقيم منهم على دينه. هو الّذي يجادل ويقال له بالسّيف. وهؤلاء يهود. ولم يكن بدار الهجرة من النّصارى أحد، إنّما كانوا يهودًا هم الّذين كلّموا وحالفوا رسول الله ﷺ وغدرت النّضير يوم أُحد، وغدرت قُريظة يوم الأحزاب. (الطّبَريّ ۲۱: ۲)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَاتُجَادِلُوا﴾ أيّها المؤمنون بالله وبرسوله، اليهود والنّصارى، وهم ﴿اَهْلَ الْكِتَابِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ يقول: إلّا بالجميل من القول، وهو الدّعاء إلى الله بآياته، والتّنبيه على حججه.

(۲۱: ۱)

نحوه الواحديّ. (۳: ٤۲۲)

الزّجّاج: لاتجادلوا أهل الجزية إلّا بالّتي هي أحسن، وقاتلوا الّذين ظلموا. وقيل: إنّ الآية منسوخة بقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التّوبة: ۲۹، فكان الصّغار خارجًا من الّتي هي أحسن،

فالأشبه أن تكون منسوخة. وجائز أن يكون الصّغار أخذ الجزية منهم وإن كرهوا. فالّذين تؤخذ منهم الجزية بنصّ الكتاب اليهود والنّصارى، لأنّهم أصحاب التّوراة والإنجيل. فأمّا المجوس فأُخذت منهم الجزية لقول رسول الله ﷺ: «سُنّوا بهم سُنّة أهل الكتاب». واختلف النّاس فيمن سوى هؤلاء من الكفّار مثل عبدة الأوثان ومن أشبههم، فهم عند مالك بن أنس يجرون هذا المجرى. تُؤخذ منهم الجزية كانوا عجمًا أو عربًا. وأمّا أهل العراق فقالوا: تقبل الجزية من العجم غير العرب إذا كانوا كفّارًا، وإن خرجوا من هذه الأصناف أعني اليهود والنّصارى والمجوس، نحو الهند والتّرك والدّيلم. فأمّا العرب عندهم فإذا خرجوا من هذه الثّلاثة الأصناف لم تُقبل منهم جزية، وكان القتل في أمرهم إن أقاموا على ملّة غير اليهوديّة والنّصرانيّة والمجوسيّة. وبعض الفقهاء لايرى إلّا القتل في عبدة الأوثان والأصنام ومن أشبههم. (٤: ١٧٠)

النّحّاس: قول قتادة [هي منسوخة...] أولى بالصّواب، لأنّ السّورة مكّيّة وإنّما أُمر بالقتال بعد الهجرة، وأُمر بأخذ الجزية بعد ذلك بمدّة طويلة، وأيضًا فإنّه قال: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. (٥: ٢٣٠)

الماوَرْديّ: [نقل التّأويلات في الآية وأضاف:]

ويحتمل تأويلًا رابعًا: وهو أن يحتجّ لشريعة الإسلام ولايذمّ ماتقدّمها من الشّرائع. (٤: ٢٨٦)

الطّوسيّ: قال قتادة: الآية الأُولى منسوخة بالجهاد والقتال. وقال غيره: هي ثابتة، وهو الأولى، لأنّه لادليل على ماقاله. فكيف وقد أمر بالجدال بالّذي هو أحسن، وهو الواجب الّذي لايجوز غيره كما قال: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فالآية خطاب من الله تعالى لنبيّه وجميع المؤمنين ينهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب! من اليهود والنّصارى ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقيل: معناه إلّا بالجميل من القول في التّنبيه على آيات الله وحججه، والأحسن الأعلى في الحسن من جهة تقبّل العقل له. وقد يكون الأعلى في الحسن من جهة تقبّل الطّبع له، وقد يكون في الأمرين. والجدال: فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه. وفي ذلك دلالة على حسن المجادلة، لأنّها لو كانت قبيحة على كلّ حال، لما قال: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وأصل الجدال شدّة الفتل، يقال: جدلته أجدله جدلًا إذا فتله فتلًا شديدًا، ومنه الأجدل: للصّقر لشدّة فتل بدنه. وقيل: إنّه يجوز أن يغلظ المحقّ في الجدل على الظّالم فيه، بتأديب الله تعالى في الآية في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فاستثنى الظّالم عن المجادلة بالّتي هي أحسن.

فإن قيل: لِمَ استثنى الّذين ظلموا؟ وكلّهم ظالم لنفسه بكفره! قيل: لأنّ المراد ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في جدالهم أو في غيره ممّا يقتضي الإغلاظ لهم، ولهذا يسع الإنسان أن يغلظ على غيره، وإلّا فالدّاعي إلى الحقّ يجب أن يستعمل الرّفق في أمره. (٨: ٢١٤)

البغويّ: [نحو الطّبريّ وأضاف:]

وأراد مَن قَبِل الجزية منهم. (٣: ٥٦١)

الزّمخشريّ: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة الّتي هي أحسن، وهي مقابلة الخشونة باللّين والغضب

بالكظم والسّورة بالأناة، كما قال: ﴿اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (٣: ٢٠٧)

ابن عَطيّة: [نقل بعض الأقوال ثمّ قال:]

والّذي يتوجّه في معنى الآية إنّما يتّضح مع معرفة الحال في وقت نزول الآية، وذلك أنّ السّورة مكّيّة من بعد الآيات العشر الأُول، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولاطلب جزية ولاغير ذلك، وكانت اليهود بمكّة وفيما جاورها، فربّما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدال واحتجاج في أمر الدّين وتكذيب، فأمر الله تعالى المؤمنين ألّا يجادلوهم بالمحاجّة إلّا بالحسنى دعاء إلى الله تعالى وملاينة ...ثمّ استثنى من ظلم منهم المؤمنين إمّا بفعل، وإمّا بقول، وإمّا بإذاية محمّد ﷺ، وإمّا بإعلان كفر فاحش كقول بعضهم: عزير بن الله ونحو هذا، فإنّ هذه الصّنيفة استثنى لأهل الإسلام معارضتها بالتّغيير عليها والخروج معها عن الّتي هي أحسن، ثمّ نسخ هذا بعد بآية القتال والجزية، وهذا قول قَتادَة. (٤: ٣٢٠)

الطّبْرِسيّ: ﴿وَلَاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ وهم نصارى بني نجران، وقيل: اليهود والنّصارى ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالطّريق الّتي هي أحسن، وإنّما يكون أحسن إذا كانت المناظرة برفق ولين، لإرادة الخير والنّفع بها، ومثله قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طٰه: ٤٤، والأحسن الأعلى في الحسن من جهة قبول العقل له، وقد يكون أيضًا أعلى في الحسن من جهة قبول الطّبع، وقد يكون في الأمرين جميعًا، وفي هذا دلالة على وجوب الدّعاء إلى الله تعالى على أحسن الوجوه وألطفها، واستعمال القول الجميل في التّنبيه على آيات الله وحججه. (٤: ٢٨٧)

الفَخْرالرّازيّ: لمّا بيّن طريقة إرشاد المشركين ونفع من انتفع، وحصل اليأس ممّن امتنع بيّن طريقة إرشاد أهل الكتاب فقال: ﴿وَلَاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال بعض المفسّرين: المراد منه لاتجادلوهم بالسّيف وإن لم يؤمنوا إلّا إذا ظلموا وحاربوا، أي إذا ظلموا زائدًا على كفرهم، وفيه معنى ألطف منه، وهو أنّ المشرك جاء بالمنكر على مابيّناه فكان اللّائق أن يجادل بالأخشن ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين شبهه، ولهذا قال تعالى في حقّهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ البقرة: ١٧، وقال: ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٧٩، إلى غير ذلك. وأمّا أهل الكتاب فجاءوا بكلّ حسن إلّا الاعتراف بالنّبيّ ﷺ، فوحّدوا وآمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرّسل والحشر، فلمقابلة إحسانهم يجادلون أوّلًا بالأحسن، ولاتستخفّ آراؤهم ولاينسب إلى الضّلال آباؤهم، بخلاف المشرك. ثمّ على هذا فقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تبيين له حسن آخر، وهو أن يكون المراد إلّا الّذين أشركوا منهم بإثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة. فإنّهم ضاهوهم في القول المنكر فهم الظّالمون، لأنّ الشّرك ظلم عظيم، فيجادلون بالأخشن من تهجين مقالتهم وتبيين جهالتهم، ثمّ إنّه تعالى بيّن ذلك الأحسن فقدّم محاسنهم بقوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٦، فيلزمنا اتّباع ماقاله لسكته بين رسالتي في كتبكم فهو دليل مضيء. (٢٥: ٧٥)

القُرطُبيّ :...قيل: المعنى لاتجادلوا من آمن بمحمّدﷺ من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلّام ومن آمن معه، ﴿اِلّا بِالَّتى هِىَ اَحْسَنُ﴾ أي بالموافقة فيما حدّثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك. وقوله على هذا التّأويل: ﴿اِلَّا الَّذينَ ظَلَمُوا﴾ يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من قُرَيظة والنّضير وغيرهم، والآية على هذا أيضًا محكمة. وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال. [إلى أن قال:]

وقول مُجاهِد: [هذه الآية محكمة] حسن، لأنّ أحكام الله عزّوجلّ لايقال فيها إنّها منسوخة إلّا بخبر يقطع العذر، أو حجّة من معقول. (۱۳: ۳۵۰)

أبوحَيّان : قرأ الجمهور «إلّا» حرف استثناء، وابن عبّاس «ألا» حرف تنبيه واستفتاح، وتقديره: ألا جادلوهم بالّتي هي أحسن. و﴿قُولُوا اٰمَنّا﴾ هذا من المجادلة بالأحسن. (۷: ۱۵۵)

أبوالسُّعود : [نحو الزَّمَخْشَريّ وأضاف:]

على وجه لايدلّ على الضّعف ولايؤدّي إلى إعطاء الدّنيّة. وقيل: منسوخ بآية السّيف. (۵: ۱۵٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ٤۷۷)

الآلوسيّ : [نحو الزَّمَخْشَريّ وأضاف:]

وقيل: المعنى ولاتجادلوا الدّاخلين في الذّمّة المؤدّين للجزية إلّا بالّتي هي أحسن، إلّا الّذين ظلموا فنبذوا الذّمّة ومنعوا الجزية فإنّ أُولئك مجادلتهم بالسّيف. [إلى أن قال:]

وقيل: يجوز أن يكون القائل بذلك ذاهبًا إلى أنّ الآية مدنيّة، ومكّيّة السّورة باعتبار أغلب آياتها، أو ممّن يقول: بأنّ الحرب شرّع بمكّه في آخر الأمر، والسّورة آخر مانزل بها إلّا أنّه لم يقع، وعدم الوقوع لايدلّ على عدم المشروعيّة. [إلى أن قال:]

وقال بعض الأجلّة: إنّ المجادلة بالحسنى في أوائل الدّعوة، لأنّها تتقدّم القتال فلايلزم النّسخ ولاعدم القتال بالكلّيّة، وأمّا كون النّهي يدلّ على عموم الأزمان فيلزم النّسخ، فلايتمّ ماذكر، فيدفعه أنّ من يقاتل كمانع الجزية داخل في المستثنى فلانسخ، وإنّما هو تخصيص متّصل، وكون ذلك يقتضي مشروعيّة القتال بمكّة ليس بصحيح، لأنّه مسكوت عنه فتأمّل. (۲۱: ۲)

الطَّباطَبائيّ : لمّا أمر في قوله: ﴿اُتْلُ مٰا اُوحِىَ اِلَيْكَ﴾ إلخ، بالتّبليغ والدّعوة من طريق تلاوة الكتاب، عقّبه ببيان كيفيّة الدّعوة، فنهى عن مجادلة أهل الكتاب، وهم على مايقتضيه الإطلاق اليهود والنّصارى، ويلحق بهم المجوس والصّابئون ـ إلّا بالمجادلة ـ الّتي هي أحسن المجادلة.

والمجادلة إنّما تحسن إذا لم تتضمّن إغلاظًا وطعنًا وإهانةً، فمن حسنها أن تقارن رفقًا ولينًا في القول لايتأذّى به الخصم، وأن يقترب المجادل من خصمه ويدنو منه حتّى يتّفقا ويتعاضدا لإظهار الحقّ من غير لجاج وعناد، فإذا اجتمع فيها لين الكلام والاقتراب بوجه زادت حُسنًا على حسن فكانت أحسن.

(۱٦: ۱۳۷)

مكارم الشّيرازيّ : اتّبعوا أحسن الأساليب في البحث والجدال:

كان أكثر الكلام في الآيات المتقدّمة في كيفيّة

التّعامل مع عبدة الأصنام اللّجوجين، وكان مقتضى الحال أن يكون الكلام شديد اللّهجة حاداً، وأن يُعدّ مايعبدون من دون الله أوهى من بيت العنكبوت، أمّا في هذه الآيات ـ محلّ البحث ـ فيقع الكلام في شأن مجادلة أهل الكتاب الّذين ينبغي أن يكون الكلام معهم لطيفًا إذ أنّهم ـ على الأقلّ ـ قد سمعوا قسماً ممّا جاء به الأنبياء والكتب السّماويّة، ولديهم استعداد أكثر للتّعامل المنطقيّ، إذ ينبغي أن يكلّم كلّ شخص بمقدار علمه وميزانه الخلقيّ والعقليّ!

فيقول القرآن في هذا الصّدد أوّلاً: ﴿وَلَاتُجَادِلُوا اَهْلَ الْكِتَابِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾.

﴿وَلَاتُجَادِلُوا﴾ مشتقّ هذا اللّفظ من «الجدال» الّذي معناه في الأصل فتل الحبل وإحكامه، كما تستعمل هذه الدّلالة و«الخصوصيّة» في البناء المحكم ومااشبهه، وحين يتناقش اثنان في بحث معيّن فكلّ واحد منهما ـ في الحقيقة ـ يريد أن يلوي صاحبه عن عقيدته وفكرته. لذا فقد سمّي هذا النّقاش جدالاً. كما يرد هذا التّعبير في النّزاع أيضًا، وعلى كلّ حال فإنّه المراد من قوله: ﴿وَلَاتُجَادِلُوا﴾ المناقشات المنطقيّة.

والتّعبير بـ﴿الَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ تعبير جامع يشمل الأساليب والطّرق الصّحيحة والمناسبة للتّباحث أجمع، سواءً كان ذلك في الألفاظ أو المحتوى، وسواءً كان في طريقة الكلام أو الحركات والإشارات الّتي تصاحبه.

فعلى هذا يكون مفهوم الجملة المتقدّمة: إنّ ألفاظكم ينبغي أن تكون بطريقة مؤدّبة والكلام ذا مودّة والمحتوى ذا استدلال، وصوتكم هادئًا غير خشن، ولامتجاوز لحدود الأخلاق أو مقتض لهتك الحرمة وكذلك بالنّسبة لحركات الأيدي والعيون والحواجب الّتي تكمّل البيان، ينبغي أن تكون هذه الحركات ضمن هذه الطّريقة المؤدّبة. وكم هو جميل هذا التّعبير القرآنيّ إذ أوجز عالماً من المعاني الخفيّة في جملة قصيرة.

كلّ هذه الأُمور لأجل أنّ الهدف من وراء النّقاش والبحث ليس هو طلب التّفوّق وجعل الطّرف الآخر خجلاً مندحرًا، بل الهدف منه أن يكون الكلام ذا تأثير حتّى ينفذ في القلب وفي أعماق الطّرف الآخر. وخير السُّبُل للوصول إلى هذا الهدف هو هذا الأُسلوب القرآنيّ.

وكثيرًا مايتّفق أنّه لو استطاع الإنسان أن يعكس قول الحقّ بصورة يراها الطّرف الآخر من فكره وطريقته، فسرعان ماينعطف إليه وينسجم معه، لأنّ الإنسان ذو علاقة بفكره كما هو ذو علاقة بأبنائه.

وهكذا فإنّ القرآن الكريم يثير كثيرًا من المسائل على صورة السّؤال و الاستفهام ليستحصل على جوابه من داخل فكر المخاطب فيراه منه. (١٢: ٣٧٧)

فضل الله: ﴿وَلَاتُجَادِلُوا اَهْلَ الْكِتَابِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ بالكلمة الحلوة الهادئة المعبّرة الواضحة، والأُسلوب الحكيم الّذي يرصد المشاعر والأحاسيس ليحترمها، ويدرس الذّهنيّة لدى الطّرف الآخر للحوار ليتعامل معها من خلال نقاط الضّعف والقوّة، والجوّ الملائم الّذي يدرس الظّروف المحيطة بالمسألة، ليحشد فيه كلّ مايمكن أن يثير التّفكير، ويُبعد الانفعال، ويقرّب من الاقتناع الهادئ العميق، لتكون المسألة

مسألة فكر يصارع فكرًا في أجواء الرّغبة في الوصول إلى الحقيقة الّتي تسمح بالتّراجع عن الخطأ، وتقود للانفتاح على الصّواب، بعيدًا عن مسألة تأكيد الذّات، كما هو الحال عند مجتمعات التّخلّف الّتي تفهم الخلاف في الرّأي، قضيّة ذاتٍ تصارع ذاتًا، ممّا يجعل الانفعال هو طابع الحوار.

فهذا هو الأُسلوب الأحسن الّذي يقود الآخرين إلى احترام فكر الإسلام، ويقرّبهم من أجواء الوصول إلى النّتائج الإيجابيّة السّليمة، ويحوّل الأعداء إلى أصدقاء، أمّا الأُسلوب الّذي هو الأسوأ، فإنّ الإسلام يرفضه مع كلّ النّاس، لأنّه يعقّد الأُمور بدلًا من أن يحلّ مشاكلها، وذلك مثل السّباب والاتّهامات الظّالمة، والافتراءات الباطلة، والكلمات الخشنة، والأساليب المتشنّجة، والأجواء الانفعاليّة، والتّأكيد على مواطن الخلاف بدلًا من مواطن اللّقاء، وغير ذلك ممّا يثير التّعقيد والتّشنّج والارتباك على أكثر من صعيد، ويحوّل السّاحة إلى ساحة قتال بدلًا من ساحة سلام. (١٨: ٦٣)

جِدَالَ

اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ... البقرة: ١٩٧

ابن مسعود: أنّه لامِراء بالسّباب والأعصاب على جهة المحك، واللّجاج.

مثله ابن عبّاس والحسن. (الطّوسيّ ٢: ١٦٤)

الجدال هنا مماراة المسلم حتّى يغضب، فأمّا في مذاكرة العلم فلانهي عنها. (أبوحيّان ٢: ٨٧)

ابن عبّاس: المِراء والملاحاة حتّى تُغضب أخاك وصاحبك، فنهى الله عن ذلك. (الطّبَريّ ٢: ٢٧٣)

أن تماري صاحبك حتّى تغضبه.

نحوه مُجاهِد والرّبيع وعمرو بن دينار والضّحّاك وعطاء. (الطّبَريّ ٢: ٢٧٢)

الجدال: السّباب.

نحوه ابن عمر وقَتادَة. (الطّبَريّ ٢: ٢٧٣)

المِراء بالحجّ. (الطّبَريّ ٢: ٢٧٥)

نحوه مُجاهِد والحسن (الطّبَريّ ٢: ٢٧٢)، وابن قُتَيْبة (٧٩).

ابن عمر: الجدال في الحجّ: السّباب، والمِراء، والخصومات. (الطّبَريّ ٢: ٢٧٣)

سعيد بن جُبَيْر: أن تَمْحَن صاحبك حتّى تغضبه.

أن تُصخِب صاحبك. (الطّبَريّ ٢: ٢٧٢)

النّخعيّ: كانوا يكرهون الجدال. (الطّبَريّ ٢: ٢٧٣)

مُجاهِد: قد استقام الحجّ ولاجدال فيه.

هو شهر معلوم، لاتنازع فيه.

(الطّبَريّ ٢: ٢٧٤، ٢٧٥)

إنّه لاجدال في أنّ الحجّ قد استدار في ذي الحجّة، لأنّهم كانوا ينسون الشّهور، فيقدّمون ويؤخّرون، فربّما اتّفق في غيره.

مثله السُّدّيّ. (الطّوسيّ ٢: ١٦٤)

بيّن الله أمر الحجّ ومعالمه، فليس فيه الكلام.

(الطّبَريّ ٢: ٢٧٥)

كانوا يحجّون في ذي الحجّة عامين، وفي المحرّم عامين، ثمّ حجّوا في صفر عامين، وكانوا يحجّون في كلّ

سنة وفي كلّ شهر عامين، ثمّ وافقت حجّة أبي‌بكر من العامين في ذي القعدة قبل حجّة النّبيّ ﷺ بسنة، ثمّ حجّ النّبيّ ﷺ من قابل في ذي الحجّة، فذلك حين يقول رسول الله ﷺ: «إنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السّماوات والأرض». (الطّبريّ ٢: ٢٧٥)

عِكْرِمَة: الجدال: الغضب، أن تُغضب عليك مسلمًا، إلّا أن تستعتب مملوكًا، فتحظه من غير أن تُغضبه، ولاأمر عليك إن شاء الله تعالى في ذلك. (الطّبريّ ٢: ٢٧٣)

الجدال: أن تماري صاحبك حتّى يُغضبك أو تغضبه. (٢: ٢٧٣)

القاسم بن محمّد: الجدال في الحجّ أن يقول بعضهم: الحجّ اليوم، ويقول بعضهم: الحجّ غدًا. (الطّبريّ ٢: ٢٧٤)

ابن كعب القُرَظيّ: الجدال: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجّنا أتمّ من حجّكم، وقال هؤلاء: حجّنا أتمّ من حجّكم. (الطّبريّ ٢: ٢٧٤)

قَتادَة: الجدال هو الصّخب والمِراء وأنت محرم.

مثله الزّهريّ. (الطّبريّ ٢: ٢٧٣)

أبوجعفر عليه السلام: عن الرّجل المُحرم قال لأخيه: لالعَمري. قال: ليس هذا بجدال، إنّما الجدال: لاوالله، وبلى والله. (العيّاشيّ ١: ٢٠٦)

الإمام الصّادق عليه السلام: الجدال: قول الرّجل: لا والله، وبلى والله، والمفاخرة. (العيّاشيّ ١: ٢٠٤)

إذا حلف ثلاث أيمانٍ متتابعات صادقًا فقد جادل، فعليه دمٌ، وإذا حلف بواحدة كاذبًا فقد جادل، فعليه دم. (العيّاشيّ ١: ٢٠٤)

مُقاتِل: هو أنّ النّبيّ ﷺ قال لهم في حجّة الوداع وقد أُحرموا بالحجّ: «اجعلوا إهلالكم بالحجّ عمرة إلّا من قلّد الهدي». قالوا: كيف نجعلها عمرة وقد سمّينا الحجّ؟ فهذا جدالهم. (البغويّ ١: ٢٥٢)

مالك بن أنس: الجدال في الحجّ، أنّ قريشًا كانوا يقفون عند المَشْعَر الحرام في المُزدلفة بقُزح، وكان غيرهم يقفون بعرفات، وكانوا يتجادلون، يقول هؤلاء: نحن أصوب، ويقول هؤلاء: نحن أصوب، قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ اُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْاَمْرِ وَادْعُ اِلَى رَبِّكَ اِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ * وَاِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ اَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحجّ: ٦٧، ٦٨، هذا هو الجدال فيما يُروى والله أعلم. (الفَخْرالرّازيّ ٥: ١٨١)

ابن زَيْد: كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون، كلّهم يدّعي أنّ موقفه موقف إبراهيم، فقطعه الله حين أعلم نبيّه ﷺ بمناسكهم. (الطّبريّ ٢: ٢٧٤)

الفَرّاء: إنّ الرّفث: الجماع، والفسوق: السّباب، والجدال: المماراة ﴿فِي الْحَجِّ﴾ فالقرّاء على نصب ذلك كلّه بالتّبرئة إلّا مجاهدًا فإنّه رفع الرّفث والفسوق ونصب الجدال، وكلّ ذلك جائز.

فمن نصب أتبع آخر الكلام أوّله، ومن رفع بعضًا ونصب بعضًا فلأنّ التّبرئة فيها وجهان: الرّفع بالنّون، والنّصب بحذف النّون. ولو نصب الفسوق والجدال بالنّون لجاز ذلك في غير القرآن؛ لأنّ العرب إذا بدأت بالتّبرئة فنصبوها لم تنصب بنون، فإذا عطفوا عليها بـ«لا» كان فيها وجهان، إن شئت جعلت «لا» معلّقة

يجوز حذفها فنصبت على هذه النّيّة بالنّون، لأنّ «لا» في معنى صلة، وإن نويت بها الابتداء كانت كصاحبتها، ولم تكن معلّقة فتنصب بلانون. (١: ١٢٠)

أبوعُبَيْدة: أي لاشكّ فيه أنّه لازم في ذي الحجّة، هذا فيمن قال: (جِدَالَ)، ومن قال: (لَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ): مِن المجادلة. (١: ٧٠)

الطَّبَرِيّ: اختلف أهل التّأويل في ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك النّهي عن أن يجادل المُحرم أحدًا. ثمّ اختلف قائلو هذا القول، فقال بعضهم: نهى عن أن يجادل صاحبه حتّى يغضبه.

وقال آخرون منهم: الجدال في هذا الموضع معناه السّباب.

وقال آخرون منهم: بل عنى بذلك خاصًّا من الجدال والمِراء، وإنّما عنى الاختلاف فيمن هو أتمّ حجًّا من الحُجّاج.

وقال آخرون منهم: بل ذلك اختلاف كان يكون بينهم في اليوم الّذي فيه الحجّ، فنهوا عن ذلك.

وقال آخرون: بل اختلافهم ذلك في أمر مواقف الحجّ أيّهم المصيب موقف إبراهيم.

وقال آخرون: بل ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ خبر من الله تعالى عن استقامة وقت الحجّ على ميقات واحد، لايتقدّمه ولايتأخّره، وبطول فعل النّسيء.

وأولى هذه الأقوال في قوله: ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ بالصّواب، قول من قال: معنى ذلك قد بطل الجدال في الحجّ ووقته. واستقام أمره ووقته على وقت واحد، ومناسك متّفقة غير مختلفة، ولاتنازع فيه، ولامِراء؛ وذلك أنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّ وقت الحجّ أشهر معلومات، ثمّ نفى عن وقته الاختلاف الّذي كانت الجاهليّة في شركها تختلف فيه.

وإنّما اخترنا هذا التّأويل في ذلك، ورأيناه أولى بالصّواب ممّا خالفه، لما قد قدّمنا من البيان آنفًا في تأويل قوله: (وَلَافُسُوقَ) أنّه غير جائز أن يكون الله خصّ بالنّهي عنه في تلك الحال مطلق مباح في الحال الّتي يخالفها، وهي حال الإحلال؛ وذلك أنّ حكم ماخصّ به من ذلك حكم حال الإحرام إن كان سواء فيه حال الإحرام وحال الإحلال، فلاوجه لخصوصه به حالًا دون حال، وقد عمّ به جميع الأحوال.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان لامعنى لقول القائل في تأويل قوله: ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ أنّ تأويله: لاتمار صاحبك حتّى تغضبه، إلّا أحد معنيين:

إمّا أن يكون أراد لاتماره بباطل حتّى تغضبه، فذلك مالاوجه له، لأنّ الله عزّوجلّ قد نهى عن المِراء بالباطل في كلّ حال، محرمًا كان المماري أو محلًّا، فلاوجه لخصوص حال الإحرام بالنّهي عنه، لاستواء حال الإحرام والإحلال في نهي الله عنه.

أو يكون أراد: لاتماره بالحقّ؛ وذلك أيضًا مالاوجه له، لأنّ المُحرم لو رأى رجلًا يروم فاحشة، كان الواجب عليه مِراءه في دفعه عنها، أو رآه يحاول ظلمه والذّهاب منه بحقّ له قد غصبه عليه، كان عليه مِراؤه فيه وجداله، حتّى يتخلّصه منه.

والجدال والمِراء لايكون بين النّاس إلّا من أحد وجهين: إمّا من قبل ظلم، وإمّا من قِبَل حقّ. فإذا كان

من أحد وجهيه غير جائز فعله بحال، ومن الوجه الآخر غير جائز تركه بحال. فأيّ وجوهه الّتي خصّ بالنّهي عنه حال الإحرام؟ وكذلك لاوجه لقول من تأوّل ذلك أنّه بمعنى السّباب، لأنّ الله تعالى ذكره قد نهى المؤمنين بعضهم عن سباب بعض على لسان رسوله عليه الصّلاة والسّلام في كلّ حال، فقال ﷺ: «سباب المسلم فُسُوق، وقتاله كُفْر». فإذا كان المسلم عن سبّ المسلم منهيًّا في كلّ حال من أحواله، محرمًا كان أو غير محرم، فلاوجه لأن يقال: لاتسبّه في حال الإحرام إذا أحرمت.

(۲: ۲۷۱ ـ ۲۷٦)

الزّجّاج: وقالوا في قوله: ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ قولين: قالوا: ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: لاشكّ في الحجّ، وقالوا: لاينبغي للرّجل أن يجادل أخاه فيُخرجه الجدال إلى مالاينبغي تعظيمًا لأمر الحجّ، وكلٌّ صوابٌ، ويجوز: (فَلَارَفَثُ وَلَافُسُوقُ وَلَاجِدَالُ فِي الْحَجِّ)... وبعضهم يقرأ ـ وهو أبوعمرو ـ (فَلَا رَفَثٌ وَلَافُسُوقٌ وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ) وكلٌّ صوابٌ.

وقد شرحنا أنّ «لا» تنصب النّكرات بغير تنوين، وبيّنّا حقيقة نصبها. وزعم سيبويه والخليل أنّه يجوز أن تُرفَع النّكرات بتنوين. [إلى أن قال:]

وحقيقة ماارتفع بعدها ـ عند بعض أصحابه ـ على الابتداء، لأنّه إذا لم تنصب فإنّما يُجْري مابعدها كما يُجْري مابعد «هَلْ» أي لاتعمل فيه شيئًا، فيجوز أن يكون (لَارَفَثٌ) على ماقال سيبويه، ويجوز أن يكون على الابتداء كما وصفنا، ويكون (فِي الْحَجِّ) هو خبر لهذه المرفوعات، ويجوز إذا نصبت ماقبل المرفوع بغير تنوين وأتيت بما بعده مرفوعًا أن يكون عطفًا على الموضع، ويجوز أن يكون رفعه على ماوصفنا. فأمّا العطف على الموضع إذا قلت: لا رجلَ وغلامٌ في الدّار، فكأنّك قلت: مارجلٌ ولاغلامٌ في الدّار.

(۱: ۲۷۰)

القُمّيّ: الجدال: الخصومة، وهي قول: لاوالله وبلى والله.

(۱: ٦۹)

القفّال: يدخل في هذا النّهي ماجادلوا فيه رسول الله ﷺ حين أمرهم بفسخ الحجّ إلى العمرة، فشقّ عليهم ذلك، وقالوا: نروح إلى منى ومذاكيرنا تقطر منيًّا؟ فقال عليه الصّلاة والسّلام: «لو استقبلتُ من أمري مااستدبرتُ ماسُقْتُ الهَدْي ولجعلتها عمرةً»، وتركوا الجدال حينئذ.

(الفخرالرّازيّ ٥: ۱۸۱)

الجصّاص: جميع ماذُكر من هذه المعاني [في الرّفث، والفُسوق، والجدال] عن المتقدّمين جائز أن يكون مراد الله تعالى، فيكون المُحرم منهيًّا عن السّباب والمماراة في أشهر الحجّ، وفي غير ذلك. [إلى أن قال:]

ويكون تخصيصه إيّاها بحال الإحرام تعظيمًا للإحرام، وإن كانت محظورة في غيره...

﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ قد تضمّن النّهي عن مماراة صاحبه ورفيقه وإغضابه به، وحظر الجدال في وقت الحجّ على ماكان عليه أمر الجاهليّة، لأنّه قد استقرّ على وقت واحد، وأبطل به النّسيء الّذي كان أهل الجاهليّة عليه، وهو معنى قوله ﷺ: «ألا إنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّماوات والأرض» يعني عود الحجّ إلى الوقت الّذي جعله الله له، واتّفق ذلك في حجّة النّبيّ ﷺ.

وقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ وإن كان ظاهره الخبر، فهو نهي عن هذه الأفعال. وعبّر بلفظ النّفي عنها، لأنّ المنهيّ عنه سبيله أن يكون منفيًّا غير مفعول، وهو كقوله في الأمر: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ... يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ البقرة: ٢٣٣، ٢٣٤، وماجرى مجراه صيغته صيغة الخبر، ومعناه الأمر.

(١: ٣٠٨)

الطُّوسيّ: ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فالّذي رواه أصحابنا أنّه قول: لاوالله، وبلى والله، صادقًا وكاذبًا. [إلى أن قال:]

ومن نصب «الثّلاثة» أخرج اللّفظ مخرج عموم النّفي، للمبالغة في معنى النّفي. ومن رفع بعضًا ونصب بعضًا، فلاختلاف المعنى، لأنّ الأوّل على معنى النّهي والثّاني بمعنى الإخبار عن زمان الحجّ: قد استدار في ذي الحجّة، فكان أحقّ بالنّصب، لعموم النّفي. فأمّا الأوّل، فقد يقع من الخاطئ، فلايصحّ فيه عموم النّفي،هذا قول النّحويّين. والصّحيح أنّ الكلّ معناه النّهي، وإن خرج مخرج النّفي والإخبار، والمراد به النّهي بلاخلاف. (٢: ١٦٤)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٢٩٤)

الواحديّ: هو أن يجادل صاحبه ويماريه حتّى يغضبه، نُهي المُحرِم عن هذا. وذكرنا وجه انتصاب قوله: ﴿فَلَارَفَثَ﴾ عند قوله: ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة: ٢. ومن قرأ بالرّفع شبّه «لا» بـ«ليس» [ثمّ استشهد بشعر]

ولم يختلفوا في نصب ﴿وَلَاجِدَالَ﴾ وذلك أنّ معنى الأوّلين: النّهي، كأنّه قيل: لاترفثوا ولاتفسقوا، ومعنى الثالث: الخبر، لأنّ معناه: لاجدال في أنّ الحجّ في ذي الحجّة. وهذا قول مُجاهِد وأبي عُبَيْدَة، قالا: معناه: ولاشكّ في الحجّ أنّه في ذي الحجّة. إبطالًا للنّسيء الّذي كان يفعله أهل الجاهليّة. وأرادوا الفرق بين اللّفظين، ليكون مخالفة مابينهما في اللّفظ، كمخالفة مابينهما في المعنى. (١: ٣٠١)

الزّمَخْشَريّ: ولامراء مع الرّفقاء، والخدم والمكّارين، وإنّما أمر باجتناب ذلك ـ وهو واجب الاجتناب في كلّ حال ـ لأنّه في الحجّ أسمج، كلبس الحرير في الصّلاة، والتّطريب في قراءة القرآن، والمراد بالنّفي وجوب انتفائها وأنّها حقيقة بأن لاتكون.

وقرئ المنفيّات الثّلاث بالنّصب وبالرّفع. وقرأ أبوعمرو وابن كثير الأوّلين بالرّفع والآخر بالنّصب، لأنّهما حملا الأوّلين على معنى النّهي، كأنّه قيل: فلايكوننّ رفث ولافسوق، والثّالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال، كأنّه قيل: ولاشكّ ولاخلاف في الحجّ؛ وذلك أنّ قريشًا كانت تخالف سائر العرب، فتقف بالمَشْعَر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة، وكانوا يقدّمون الحجّ سنة ويؤخّرونه سنة وهو النّسيء، فرُدّ إلى وقت واحد ورُدّ الوقوف إلى عرفة، فأخبر الله تعالى أنّه قد ارتفع الخلاف في الحجّ، واستدلّ على أنّ المنهيّ عنه هو الرّفث والفسوق دون الجدال، بقوله ﷺ: «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أُمّه» وأنّه لم يذكر الجدال. (١: ٣٤٦)

نحوه البَيْضاويّ (١: ١٠٨)، والنّسَفيّ (١: ١٠١)، والشّربينيّ (١: ١٣١)، وأبوالسُّعود (١: ٢٥٠)، والآلوسيّ (٢: ٨٦).

ابن الأنباريّ: اختلف القرّاء فيها، فمنهم من قرأها كلّها بالفتح، ومنهم من قرأ (لَارَفَثٌ وَلَافُسُوقٌ) بالرّفع، وقرأ (لَاجِدَالَ) بالفتح.

فأمّا من قرأها كلّها بالفتح، جعل النّكرة مبنيّة مع (لَا) كما قدّمنا في قوله تعالى: ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة: ٢، و(لا) مع النّكرة فيها كلّها في موضع مبتدإ، و(فِي الْحَجِّ) الخبر عنها كلّها.

ومن قرأ (لَارَفَثٌ وَلَافُسُوقٌ) بالرّفع، (وَلَاجِدَالَ) بالفتح، لم يَبْنِ الفكرة مع ﴿لَارَفَثٌ وَلَافُسُوقٌ﴾ لمكان العطف، ورفعها بالابتداء، والخبر مقدّر، وتقديره: (فِي الْحَجِّ). وبنى (لَاجِدَالَ) على الفتح، لأنّه أراد أن يفرّق بين الرّفث والفسوق، وبين الجدال، لأنّ المراد بقوله: ﴿لَارَفَثٌ وَلَافُسُوقٌ﴾ لاترفثوا ولاتفسقوا، والمراد بقوله: ﴿وَلَاجِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ أي لاشكّ في وقت الحجّ. فعلى هذا يكون قوله: (فِي الْحَجِّ) خبرًا عن قوله: (لَاجِدَالَ) فقط دون ماقبله لاختلافهما، إذ لايجوز الجمع بين خبرين في خبر واحد. (١: ١٤٧)

الفَخْرالرّازيّ: ذكر المفسّرون وجوهًا في هذا الجدل. [ثمّ ذكر قول الحسن وابن كعب ومالك والقاسم ابن محمّد، ثمّ قال:]

وذلك أنّهم أُمروا أن يجعلوا حساب الشّهور على رؤية الأهلّة، وآخرون كانوا يجعلونه على العدد، فبهذا السّبب كانوا يختلفون، فبعضهم يقول: هذا اليوم يوم العيد، وبعضهم يقول: بل غدًا، فالله تعالى نهاهم عن ذلك، فكأنّه قيل لهم: قد بيّنّا لكم أنّ الأهلّة مواقيت للنّاس والحجّ، فاستقيموا على ذلك ولاتجادلوا فيه من غير هذه الجهة. [ثمّ نقل قول القفّال وابن زَيْد وأضاف:]

السّابع: [بعد أن ذكر أقوالًا ستّة في المراد فيها قال:] أنّهم كانوا مختلفين في السّنين، فقيل لهم: لاجدال في الحجّ، فإنّ الزّمان استدار وعاد إلى ماكان عليه الحجّ في وقت إبراهيم عليه السلام، وهو المراد بقوله عليه الصّلاة والسّلام في حجّة الوداع: «ألا إنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السّماوات والأرض» فهذا مجموع ماقاله المفسّرون في هذا الباب.

وذكر القاضي كلامًا حسنًا في هذا الموضع، فقال: «قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ يحتمل أن يكون خبرًا، وأن يكون نهيًا، كقوله: ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة: ٢، أي لاترتابوا فيه».

وظاهر اللّفظ للخبر، فإذا حملناه على الخبر كان معناه أنّ الحجّ لايثبت مع واحدة من هذه الخلال بل يفسد لأنّه كالضّدّ لها، وهي مانعة من صحّته. وعلى هذا الوجه لايستقيم المعنى، إلّا أن يراد بالرّفث الجماع المُفسِد للحجّ، ويُحمل الفسوق على الزّنا، لأنّه يفسد الحجّ، ويُحمل الجدال على الشّكّ في الحجّ ووجوبه، لأنّ ذلك يكون كفرًا فلايصحّ معه الحجّ.

وإنّما حملنا هذه الألفاظ الثّلاثة على هذه المعاني حتّى يصحّ خبر الله، بأنّ هذه الأشياء لاتوجد مع الحجّ.

فإن قيل: أليس أنّ مع هذه الأشياء يصير الحجّ فاسدًا، ويجب على صاحبه المضيّ فيه، وإذا كان الحجّ باقيًا معها لم يصدق الخبر، بأنّ هذه الأشياء لاتوجد مع الحجّ.

قلنا: المراد من الآية حصول المضادّة بين هذه

الأشياء وبين الحِجّة الّتي أمر الله تعالى بها ابتداء، وتلك الحِجّة الصّحيحة لاتبق مع هذه الأشياء، بدليل أنّه يجب قضاؤها، والحِجّة الفاسدة الّتي يجب عليه المضيّ فيها شيء آخر سوى تلك الحِجّة الّتي أمر الله تعالى بها ابتداء.

وأمّا الجدال الحاصل بسبب الشّكّ في وجوب الحجّ، فظاهر أنّه لايبقى معه عمل الحجّ، لأنّ ذلك كفر وعمل الحجّ مشروط بالإسلام؛ فثبت أنّا إذا حملنا اللّفظ على الخبر، وجب حمل الرّفث والفسوق والجدال على ماذكرناه.

أمّا إذا حملناه على النّهي، وهو في الحقيقة عدول عن ظاهر اللّفظ، فقد يصحّ أن يراد بالرّفث الجماع ومقدّماته وقول الفحش، وأن يراد بالفسوق جميع أنواعه، وبالجدال جميع أنواعه، لأنّ اللّفظ مطلق ومتناول لكلّ هذه الأقسام، فيكون النّهي عنها نهيًا عن جميع أقسامها. وعلى هذا الوجه تكون هذه الآية كالحثّ على الأخلاق الجميلة، والتّمسّك بالآداب الحسنة، والاحتراز عمّا يُحبط ثواب الطّاعات. (٥: ١٨١)

العُكبريّ: ويُقرأ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ بالفتح فيهنّ، على أنّ الجميع اسم (لَا) الأُولى، و(لَا) مكرّرة للتّوكيد في المعنى، والخبر (فِي الْحَجِّ).

ويجوز أن تكون (لَا) المكرّرة مستأنفة، فيكون (فِي الْحَجِّ) خبر (لَاجِدَالَ) وخبر (لَا) الأُولى والثّانية محذوف، أي فلارفث في الحجّ، ولافسوق في الحجّ، واستغنى عن ذلك بخبر الأخيرة.

ونظير ذلك قولهم: زَيْد وعَمْر وبِشْر قائم، فقائم خبر بشر، وخبر الأوّلَين محذوف، وهذا في الطّرق أحسن.

وتُقرأ بالرّفع فيهنّ على أن تكون (لَا) غير عاملة، ويكون مابعدها مبتدأ وخبر. ويجوز أن تكون (لَا) عاملة عمل ليس، فيكون (فِي الْحَجِّ) في موضع نصب.

وقُرئ برفع الأوّلَين وتنوينهما، وفتح الأخير. وإنّما فُرّق بينهما، لأنّ معنى ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ﴾ لاترفثوا ولاتفسقوا، ومعنى (وَلَاجِدَالَ) أي لاشكّ في فرض الحجّ. وقيل: (لَاجِدَالَ) أي لاتجادلوا وأنتم محرمون.

والفتح في الجميع أقوى لما فيه من نفي العموم. (١: ١٦١)

القُرطُبيّ: قُرئ (فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ) بالرّفع والتّنوين فيهما، وقرئا بالنّصب بغير تنوين، وأجمعوا على الفتح في (وَلَاجِدَالَ) وهو يقوّي قراءة النّصب فيما قبله، ولأنّ المقصود النّفي العامّ من الرّفث والفسوق والجدال، وليكون الكلام على نظام واحد في عموم المنفيّ كلّه؛ وعلى النّصب أكثر القرّاء. والأسماء الثّلاثة في موضع رفع، كلّ واحد مع (لَا)، وقوله: ﴿فِي الْحَجِّ﴾ خبر عن جميعها.

ووجه قراءة الرّفع أنّ (لَا) بمعنى «ليس» فارتفع الاسم بعدها، لأنّه اسمها، والخبر محذوف تقديره: فليس رفث ولافسوق في الحجّ، دلّ عليه (فِي الْحَجِّ) الثّاني الظّاهر، وهو خبر (لَاجِدَالَ). وقال أبوعمرو بن العلاء: الرّفع بمعنى فلايكوننّ رفثٌ ولافسوقٌ، أي شيء يُخرج من الحجّ، ثمّ ابتدأ النّفي، فقال: (وَلَاجِدَالَ).

قلت: فيحتمل أن تكون «كان» تامّة مثل قوله: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ» فلاتحتاج إلى خبر، ويحتمل أن تكون ناقصة والخبر محذوف، كما تقدّم آنفًا. ويجوز أن

يرفع (رفث وفسوق) بالابتداء، و(لا) للنّفي، والخبر محذوف أيضًا. وقرأ أبوجعفر بن القعقاع بالرّفع في الثّلاثة، ورُويت عن عاصم في بعض الطّرق، وعليه يكون (فِي الْحَجِّ) خبر الثّلاثة، كما قلنا في قراءة النّصب؛ وإنّما لم يحسن أن يكون (فِي الْحَجِّ) خبر عن الجميع مع اختلاف القراءة، لأنّ خبر (لَيْسَ) منصوب، وخبر (وَلَاجِدَالَ) مرفوع، لأنّ (وَلَاجِدَالَ) مقطوع من الأوّل، وهو في موضع رفع بالابتداء، ولايعمل عاملان في اسم واحد. ويجوز «فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقُ» تعطفه على الموضع. [ثمّ استشهد بشعر]

ويجوز في الكلام «فلارفثَ ولافسوقًا ولاجدالًا في الحجّ» عطفًا على اللّفظ على ماكان يجب في «لا». [ثمّ استشهد بشعر]

وقال أبورجاء العطارديّ: «فلارفثَ ولافسوق» بالنّصب فيهما، «ولاجدالٌ» بالرّفع والتّنوين. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: إنّ معنى ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ﴾ النّهي، أي لاترفثوا ولاتفسقوا، ومعنى (وَلَاجِدَالَ) النّفي، فلمّا اختلفا في المعنى خولف بينهما في اللّفظ.

قال القشيريّ: وفيه نظر؛ إذ قيل: «ولاجدال» نهي أيضًا، أي لاتجادلوا، فلافرق بينهما. (٢: ٤٠٨)

الفاضل المقداد: (فَلَارَفَثَ) إلى آخره، قيل: الرّفث: الفحش من الكلام، والفسوق: الخروج عن أحكام الشّرع، والجدال: المراء. والمنفيّات الثّلاث منهيّات في المعنى لما تقدّم من إقامة الخبر مقام النّهي، وإنّما أبرزها في صورة النّفي لينفي حقائقها من البين، وخصّها بالحجّ، وإن كانت واجبة الاجتناب في كلّ حال، إلّا أنّه في الحجّ أسمج، كلبس الحرير في الصّلاة والتّطريب بقراءة القرآن.

هذا وروى أصحابنا: أنّ الرّفث: الجماع، والفسوق: الكذب، والجدال: الحلف بقول: لاوالله وبلى والله. وقيل: الرّفث: المواعدة للجماع باللّسان والغمز بالعين له، وقيل: الجماع ومقدّماته. والفسوق: التّنابز بالألقاب أو السّباب، لقوله ﷺ: «سباب المؤمن فسوق». وأنّ الجدال هو المراءبإغضاب على وجه اللّجاج والمماحكة.

[ثمّ نقل كلام الزّمخشريّ وأضاف:]

واستدلّ على أنّ المنهيّ عنه هو الرّفث والفسوق دون الجدال، بقوله ﷺ: «من حجّ ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أُمّه» وأنّه لم يذكر الجدال.

وفيه نظر، لأنّه إذا حُمل على الإخبار عن عدم الخلاف لزم الكذب، لأنّه كم من خلاف قد وقع بين الفقهاء وغيرهم في الحجّ، فإنّ نفي الماهيّة يستلزم نفي جميع جزئيّاتها.

والأولى أن يقال: إنّما نصب الثّالث، لأنّ الاهتمام بنفي الجدال أشدّ من الأوّلين، لأنّ الرّفث عبارة عن قضاء الشّهوة، والفسوق: مخالفة أمر الله، والجدال مشتمل عليهما. فإنّ المجادل يشتهي تمشية قوله ولاينقاد للحقّ، مع أنّه يشتمل على أمر زائد، وهو الإقدام على الإيذاء المؤدّي إلى العداوة. وأمّا الحديث المذكور فلاينافي ماذكرناه، ولأنّه مركّب من المنفيّين. (١: ٣٠١)

[لاحظ: ر ف ث]

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَدْل، وهو شدّة الفتل، وكذا في سائر اللّغات السّاميّة، يقال: جَدَلْتُ الحَبْلَ أجدُلُه وأجدِلُه جَدْلًا، أي شددتُ فَتلَه وفتَلتُه فتلًا محكمًا. والجَديل: الزّمام أو الحبل المفتول من أدم أو شعر، والجمع: جُدُل.

ودِرعٌ جَدْلاء ومَجْدُولة: محكمة النّسج، والجمع: جُدْل، وقد جُدِلت الدّروعُ جَدْلًا: أُحكمت.

والجَدْل والجِدْل: العضو وكلّ عظم موفّر، والجمع: أجدال وجُدُول. وجُدُول الإنسان: قصَب اليدين والرّجلين، يقال: رجلٌ مَجدول الخَلق، أي لطيف القصَب، مُحكم الفتل.

وغلامٌ جادِلٌ: مشتدّ، يقال: جَدَل الغلام يَجدُل جُدُولًا واجتَدَل، إذا قوي. والجادل من الإبل: الّذي قد قوي ومشى مع أُمّه، يقال: جَدَل ولد النّاقة والظّبية يَجدُل جُدُولًا، أي قوي وتَبع أُمّه.

والأجدل: الصّقر، والجمع: أجادل، من «الجَدْل» أي الشّدّة.

والجَدالة: فوق البلحة؛ وذلك إذا جَدَلت نواتها، أي اشتدّت، والجمع: جَدال. وجَدَل الحبُّ في السُّنبل يَجدُل: قوي.

والجَدالة أيضًا: الأرض لشدّتها، يقال: جَدَله جَدْلًا وجدّله، فانجَدَل وتجدّل، أي صرعه على الجَدالة، وهو مجدول. وقيل للصّريع: مُجَدَّل، لأنّه يُصرَع على الجَدالة.

ومنه أيضًا: الجَدَل، أي شدّة الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلةً وجِدالًا: خاصمه. ورجلٌ جَدِل ومِجدَل ومِجدال: شديد الجَدَل، يقال: جادَلْتُ الرّجل فجدلتُه جَدْلًا، أي غلَبتُه.

والجَدَل: الجماعة من النّاس، لأنّ الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا.

والجديلة: شريجة الحمام ونحوها، وصاحبها جدّال، لأنّها تُنسج من القصب.

والجَديلة أيضًا: الشّاكلة والحالة الأُولى، كما يُطلق على النّسق والأُسلوب المنوال، وهو في الأصل خشبة الحائك، يقال: القوم على جديلة أمرهم، أي حالتهم الأُولى، ومازال على جديلة واحدة: حالة واحدة وطريقة واحدة، وركبَ جديلة رأيه، ورأيت جديلة رأيه، أي عزيمته.

والجَدْوَل: النّهر الصّغير، والجمع: جَداول، تشبيهًا بالجَديل، أي الحبل المفتول، لامتداده وقوّة مائه، إلّا أنّه أغزر مادّة من الجديل، ولذا زيدت «الواو» فيه، إمعانًا في تكثير معناه.

٢ـ وألحق بعضهم حرفين بهذه المادّة، فقالوا: رجلٌ أجْدَل المنكب، أي فيه تطأطؤ، وهو خلاف الأشرف من المناكب. قال الأزهَريّ: «هذا عندي خطأ، إنّما الصّواب رجلٌ أحدل المنكب». ويقال للطّائر إذا كان كذلك: أجدل المنكبين.

وقالوا أيضًا: قوسٌ جَدْلاء، إذا اعوجّت سيتها، وهو بالحاء أيضًا، يقال: قوسٌ مُحدَّلة وحَدْلاء بيّنة الحَدَل والحُدُولة: حُدِرَت إحدى سيتيها ورُفعَت الأُخرى.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت فعلًا ماضيًا (٤) مرّات، ومضارعًا (١٦) مرّة، وأمرًا مرّة، ونهيًا مرّتين، ومصدرًا (٤) مرّات، في (٢٧) آية:

١ـ ﴿هَاأَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ النّساء: ١٠٩

٢ـ ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ هود: ٣٢

٣ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ المؤمن: ٥

٤ـ ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحجّ: ٦٨

٥ ـ ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١

٦ـ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ الأعراف: ٧١

٧ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ الكهف: ٥٦

٨ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ الحجّ: ٣

٩ و ١٠ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ الحجّ: ٨، لقمان: ٢٠

١١ـ ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ المؤمن: ٤

١٢ـ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ النّحل: ١١١

١٣ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٤

١٤ـ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلٰى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١

١٥ـ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلٰئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ الرّعد: ١٣

١٦ـ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتٰيهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلٰى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ المؤمن: ٣٥

١٧ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتٰيهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ المؤمن: ٥٦

١٨ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنّٰى يُصْرَفُونَ﴾ المؤمن: ٦٩

١٩ـ ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ الشّورى: ٣٥

٢٠ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلٰى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ

لَايُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنعام: ٢٥

٢١ـ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الأنفال: ٦

٢٢ـ ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

النّحل: ١٢٥

٢٣ـ ﴿وَلَاتُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ النّساء: ١٠٧

٢٤ـ ﴿وَلَاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

العنكبوت: ٤٦

٢٥ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف: ٥٤

٢٦ـ ﴿وَقَالُوا ءَأٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الزّخرف: ٥٨

٢٧ـ ﴿اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ المادّة ـ كما تقدّم ـ أصلها «فتل الحبال» ثمّ توسّعت إلى غيرها، ثمّ استعيرت لفتل الكلام وشاعت فيه حتّى أشبه الحقيقة ونُسي أصلها.

هذا في أصل اللّغة، أمّا في القرآن فلم يأت إلّا بهذا المعنى المستعار، والغالب عليه أنّه عمل مذمومٌ. وقد أُكّد في (٣) و(٧) بـ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾، وفي (٨) و(٩) و(١٠) بـ﴿يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

ثانيًا: يستفاد من بعضها أنّ الجدال ممدوح:

١ـ فقد قيل في (٢): ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا...﴾ أنّه مدح، لأنّهم نسبوه إلى نوح، مع أنّه لادلالة فيه على المدح لولا دلالته على الذّمّ، لأنّهم أرادوا بذلك أنّ نوح تشبّث بعمل المجادلة بالباطل، مع أنّه جادلهم بالحقّ مقابلة لباطلهم.

٢ـ ومثله ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، فإنّ إبراهيم كان يدافع عن لوط وقومه من دون علم بما قضى الله فيهم، ففيه تعريض لإبراهيم وليس مدحًا له، إلّا بقدر دفاعه عن لوط نبيّ الله، وابن أخيه.

٣ـ ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي أَحْسَنُ﴾

٤ـ ﴿وَلَاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

واستفادوا من الآيتين أنّ «الجدال» نوعان: حسَن وقبيح، وقد جاء هذا في بعض الرّوايات أيضًا. والحقّ أنّ المجادلة في أمثالها هي مقابلة الجدل بمثله، ونظيرها ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آل‌عمران: ٥٤، ويدلّ عليه أنّ «المفاعلة» فعل بين اثنين مثل «ضارب زيد عمرًا» أي تقابلا في الضّرب، فالجدال أصله مذموم، لكن مقابلته بالأحسن وبالحقّ ممدوح، دفعًا للقبيح بالحسن.

وأيضًا جاء الأمر بالمجادلة في (٢٢) بعد الأمر بالدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، أي إذا لم تؤثّر فيهم الحكمة والموعظة ووقفوا أمامك موضع المجادلة، فجادلهم بالّتي هي أحسن، وقد جاءت في النّصوص أبحاث

وافية حول هذه الآية، فلاحظ.

وفي ذلك يقول القُشيريّ: «الجدل في الله محمود مع أعدائه، والجدل مع الله شرك...»

ثالثًا: جاء الفعل منها على أربعة أساليب:

١ـ مع (في) في (١١) و(١٦) إلى (١٩) ﴿يُجَادِلُونَ فِي أيَاتِ اللهِ﴾ وفي (٨) و(٩) و(١٠) و(١٥) ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾.

٢ـ مع (عن) في (١) و(١٢) و(٢٣) مثل ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾.

٣ـ مع (بـ) في (٣) و(٧) مثل ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾

٤ـ متعدّية إلى المفعول بدون كلمات: (في) و(عن) و(بـ) أو معها في (٢) و(٤) و(٥) و(٦) و(١٣) و(١٤) و(٢٠) و(٢١) و(٢٢) و(٢٤).

والفرق بينها أنّ الفعل إذا جاء مع (عَنْ) فقد أُشرب معنى الدّفاع. أمّا الأساليب الأُخرى فتفيد التّخاصم، دون الدّفاع وإن لايخلو التّخاصم غالبًا عن الدّفاع عن شخص أو عن شيء.

رابعًا: جاء المصدر منها من باب «المفاعلة»: (جِدَالَ) كأفعالها مرّتين في (٢) و(٢٧) ـ وهما مدنيّتان ـ ومن المجرّد (جَدَل) مرّتين أيضًا: في (٢٥) و(٢٦) ـ وهما مكّيّتان ـ أمّا الأفعال فكلّها من «المفاعلة» وثمان منها مدنيّة ـ لو كانت سورة الحجّ مدنيّة ـ وإلّا فستّ، وهي ربع الأفعال، فالغلبة فيها للمكّيّات، لأنّ المجادلة كانت فيها أشدّ، مع أنّ قصص الأنبياء فيها أكثر، والجدال كان الغالب على أُممهم.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ذ ذ

لفظان مرّتان، في سورتين مكّيّتين

مَجْذُوذ ١: ١ جُذاذًا ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَذّ: القطع المستأصل الوحيّ.

والجُذاذ: قِطَع ماكُسِر، الواحدة: جُذاذة، كما جُعِلت الأصنام جُذاذًا وقُطِع أطرافها، فتلك القِطَع: الجُذاذ.

والجُذاذ: قِطَع الفضّة الصّغار.

والجَذيذ: السّويق، والجذيذة، الجشيشة إذا اتُّخذت من السّويق الغليظ.

وجَذَذْتُ الحَبْل فانجَذّ، أي تقطّع، فهو مَجْذُوذ.

(٦: ١١)

اللّيث: السّويق الجذيذ: الكثير الجُذاذ.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧٠)

الكِسائيّ: يقال لحجارة الذّهب: جُذاذ، لأنّها تُكسَر. (الجوهَريّ ٢: ٥٦١)

أبوعمرو الشّيبانيّ: قال العُذريّ: الجِذاذ: حجر الأثافيّ، ثلاثة أجِذّةٍ. (١: ١٢٢)

الجَذيذ من الجبل، مثل: الظّرِب. (١: ١٣٥)

الفَرّاء: يقال: رَحِمٌ جَذّاء وحَذّاء، بالجيم والحاء ممدودان، وذلك إذا لم تُوصَل. (الجوهَريّ ٢: ٥٦١)

أبوزَيْد: يقال: جَذَرتُ الأمر عَنّي أجْذِره جَذْرًا، وجَذَذْتُه أجُذّه جَذًّا وهما سواء، وذلك أن تَقْطَعَه عنك.

[ثمّ استشهد بشعر] (١٩٢)

الأصمَعيّ: فيما روى ابن الفرج: الجَذّان والكَذّان: حجارة رِخْوَة، الواحدة: جَذّانة، وكَذّانة، ومن أمثالهم السّائرة في الّذي يُقدم على اليمين الكاذبة «جَذّها جَذّ البعير الصِّلّيانة» أرادوا أنّه أسرع إليها.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧٠)

اللِّحيانيّ: وجذّ النّخل يَجُذّه جَذًّا وجِذاذًا وجَذاذًا، إذا صَرَمه. (ابن سيده ٧: ١٩٢)

ابن الأعرابيّ: المَجِذّ: طرف المِرْوَد، وهو المِيل.

[ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٠)

ابن السّكّيت: جَذّه، معناه قطَعه. (١٠٤)

الحَرْبيّ: إنّ النّبيّ ﷺ قال يوم حُنين: «جُذّوهم جذًّا».

الجَذّ: القطع، جَذَذتُ الحَبْل فانجذّ. (٣: ١١٧٠)

عن محمّد بن سيرين: «أتيت منزل أنس يوم الشّكّ فوَجَدتُه قد شرب جَذيذته وخرج إلى حوائجه»، يريد السّويق. (٣: ١١٧١)

المُبَرِّد: يقال: جَذَذته جذًّا، وتركتُ الشّيء جُذاذًا: إذا قَطعتَه قِطَعًا. [ثمّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

ويقال: كم جِذاذ نَخْلِك، أي كم تَصْرم منها. (٢: ١٠٥)

ابن دُرَيْد: جَذّ الشّيء يَجُذّه جذًّا، إذا استأصله قِطَعًا. (١: ٥٠)

الجِذَذ: الفِرَق. (٣: ١٨٧)

الأزهَريّ: وروي عن أنس: «أنّه كان يأكل جذيذةً قبل أن يغدو في حاجته» أراد بالجذيذة: شربةً من سَويق، سُمّيت جَذيذةً لأنّها تُجَذّ، أي تُكسر، وتُجشّ إذا طُحِنت.

ويقال لحجارة الذّهب: جُذاذ، لأنّها تُكسّر، وتُسحَل. [ثمّ استشهد بشعر] (١٠: ٤٦٩)

الصّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والجَذاذ: فَضْل الشّيء على الشّيء، وهي الجَذاذة أيضًا.

والتّجْذيذ: أن تَسْتَنجِد القوم فلايَتْبَعَك منهم أحَدٌ.

والجُذاذ: حِجارة الفضّة.

وفَمٌ أجَذّ، وبه جَذَذٌ. وسِنٌّ جَذّاءُ: مُتهتّمةٌ قصيرة.

ورَحِمٌ جَذّاءُ: لم تُوصَل.

وجَذّ الرّجل في المَشْي: أسرَع.

والجَذّان: الحجارة الرِّخْوَة كالكَذّان، الواحدة: جَذّانة.

والجِذَذ: الفِرَق. (٦: ٣٩٧)

الجَوهَريّ: جَذَذْتُ الشّيء: كسَرته وقطّعته.

والجُذاذ والجِذاذ: ماتقطّع منه، وضمّه أفصح من كسره.

والجُذاذات: القُراضات.

والانجذاذ: الانقطاع.

وماعليه جُذّة، أي شيء من الثّياب.

والجَذيذة: السّويق. (٢: ٥٦١)

ابن فارِس: الجيم والذّال أصل واحد، إمّا كسر وإمّا قَطْع. يقال: جذَذت الشّيء: كسَرتُه، وجذَذْتُه: قطعته.

ويقال: ماعليه جُذّة، أي شيءٌ يستره من ثياب، كأنّه أراد خِرْقة وماأشبهها.

ومن الباب: الجَذيذة، وهي الحبُّ يُجَذّ ويُجعَل سويقًا.

ويقال لحجارة الذّهب: جُذاذ، لأنّها تُكسَّر وتُحَلّ. [ثمّ استشهد بشعر]

فأمّا الجُذْوذيّ فليس يبعُد أن يكون من هذا، وهو اللّازم الرّحْل لايفارقه، منتصبًا عليه. يقال: اجْذَوْذَى، لأنّه إذا كان كذا، فكأنّه انقطع عن كلّ شيء، وانتصب لسفره على رَحْله. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٠٩)

ابن سيده: الجَذّ: كسر الشّيء الصُّلْب.

والجَذّ: القطع الوَحِيّ المستأصِل، وقيل: هو القطع المستأصِل فلم يُقيَّد بوَحاء.

جذّه يَجُذّه جَذًّا، فهو مجذوذ، وجَذيذ.

وجذّذه فانجَذّ، وتجذّذ.

والجُذاذ المقطَّع المكسَّر. والجُذاذ: القِطَع المتكسِّرة منه.

وقيل: هو جمع: جَذيذ، وهو من الجمع العزيز.

وجُذَاذات الفضّة: قِطَعُها.

والجِذَذ: الفِرَق.

وسَويق جَذيذ: مجذوذ.

والجَذيذة: جشيشة تُعمَل من السّويق الغليظ، لأنّها تُجذّ، أي تُقطَع قِطعًا وتُجَشّ.

وجَذّ الأمر عنّي يَجُذّه جَذًّا: قطَعه.

وماعليه جُذّة، أي ماعليه ثوب. (٧: ١٩٢)

الجُذاذة: عِرق الذّهب والفضّة في الحجر، وقيل: حجارة الذّهب الّتي تُكسَر. (الإفصاح ٢: ١٠٣٧)

الجُذاذات: القُراضات. (الإفصاح ٢: ١٠٣٨)

والجُذاذ، مثلّثة الجيم: القِطَع المتكسّرة، قال تعالى في الأصنام الّتي كسّرها سيّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ الأنبياء: ٥٨.

(الإفصاح ٢: ١٣٥٩)

الرّاغِب: الجَذّ: كسر الشّيء وتفتيته، ويقال لحجارة الذّهب المكسورة ولفُتات الذّهب: جُذاذ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ الأنبياء: ٥٨، و﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود: ١٠٨، أي غير مقطوع عنهم ولامُخترَم. وقيل: ماعليه جُذّة، أي متقطِّع من الثّياب. (٩٠)

ابن القَطّاع: وجذّ الشّيء جَذًّا: قطَعه، وأيضًا فتّته، والجذاذ منه.

وأجذّ السّير، مثل أغذّه. (كتاب الأفعال ١: ١٨١)

الزّمَخْشَريّ: جَذّ الحَبْل، وعطاءٌ غير مجذوذ، وجعله جُذاذًا، وسقاهم الجذيذ، والشّراب اللّذيذ، وهو السّويق. (أساس البلاغة: ٥٤)

«أمر نَوفًا[1] البِكاليّ أن يأخذ من مِزْوَده جذيذًا».

هو السّويق، لأنّه يُجَذّ، أي يُكسّر ويُجَشّ، والشّربة منه: جذيذة. (الفائق ١: ٢٠٠)

المَدينيّ: في الحديث: «قال يوم حُنين: جُذّوهم جَذًّا» أي استأصِلوهم، وأصل الجَذّ: القَطْع. (١: ٣٠٨)

ابن الأثير: ومنه حديث مازن «فثُرْتُ إلى الصّنم فكسرته أجذاذًا» أي قِطَعًا وكِسَرًا، واحدها: جَذّ.

ومنه حديث علىّ رضي الله عنه: «أصُول بِيَدٍ جَذّاء» أي مقطوعة، كنّي به عن قصور أصحابه وتقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجُند للأمير كاليد، ويُروى بالحاء المهملة.

وحديثه الآخر عليّ رضي الله عنه «رأيت عليًّا رضي الله عنه يَشرب جَذيذًا حين أفطر». (١: ٢٥٠)

الصّغانيّ: الجَذاذ: فضل الشّيء على الشّيء، كالرّثيم.

والجذّان، والكَذّان: حجارة رِخْوَة، الواحدة: جَذّانة، وكَذّانة.

والمِجَذّ: طرَف المِرْوَد، وهو الميل. [ثمّ استشهد بشعر]

---

(١) هو صاحب عليّ عليه السلام.

جَدّ: أسرَع.

وسِنٌّ جَدّاء: مُتهتِّمة.

والتَّجْديد: أن تستتبع القوم فلايتبعك أحد.

وجَدّاء: موضع.

وجَديد: موضع قُرْب مكّة، حرسها الله تعالى.

وجَدجَد، إذا قطَع. (٢: ٣٧٢)

الفَيُّوميّ: جَذَذتُ الشّيء جَذًّا من باب «قتَل»: قطعته، فهو مجذوذ فانجَذّ، أي انقطع، وجَذّذته: كسرته.

ويقال لحجارة الذّهب وغيره الّتي تكسَّر: جُذاذ، بضمّ الجيم وكسرها. (١: ٩٤)

الفيروزاباديّ: الجَذّ: الإسراع والقطع المستأصل كالجَذْجَذة والكسر، والاسم الجُذاذ مُثَلّثة.

والجَذاذ بالفتح: فصل الشّيء عن الشّيء كالجَذاذة.

وبالضّمّ: حجارة الذّهب.

والجُذاذات: القُراضات.

والجَذّان: حجارة رِخْوَة، الواحدة بهاءٍ.

وجَدّاء: موضع.

ورحِمٌ جَذّاء: لم تُوصل، وسِنٌّ جَذّاء: مُتهتِّمة.

وماعليه جُذّة بالضّمّ، أي شيء.

والجَذيذ: السّويق كالجَذيذة، وبلا لام: موضع قُرب مكّة.

والتّجذيذ: أن تستتبع القوم فلايتّبعك أحد.

والجَذّ: انقطَع. (١: ٣٦٤)

الطُّرَيحيّ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ الأنبياء: ٥٨، بضمّ الجيم، أي فُتاتًا، أي مستأصلين مُهلكين، وهو جمع لاواحد له مثل الحصاد. يقال: جَذّ الله دابِرَهم، أي استأصلهم.

قوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود: ١٠٨، أي غير مقطوع، من قولهم: جَذَذتُ الشّيء جَذًّا، من باب «قتَل»: كسرته وقطّعته، فهو مَجْذُوذ.

والجُذاذ، ضمًّا وكسرًا والضّمّ أفصح: قطع مايُكسر، والجَذّ: القطع.

وفي حديث عليّ عليه السلام: «فطفِقت أرتئي بين أن أصُول بيَدٍ جَذّاء أو أصبِرَ على طَخْيَةٍ عَمْياء» أي جعلت أُفكّر في أمري هل أصول عليهم بيد جذّاء بالذّال والدّال. قال في «النّهاية»: والجيم أشبه، أي مقطوع، وهي كناية عن عدم النّاصر له. «أو أن أصبرَ على طَخْيَة عَمْياء» أي ظلمة لايُهتدى فيها للحقّ.

وكنّى بها عن التباس الأُمور في أمر الخلافة، كذا ذكره الفاضل المتبحّر ميثم رحمه الله.

وفي حديث الأضحيّة «نهى عن الجَذّاء» وهي المقطوعة الأُذُن، كما وردت به الرّواية.

والجِذاذ بالكسر: صرام النّخل، لغة في الجُداد. (٣: ١٧٨)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جذّ الشّيء: كسره وقطعه، والمجذوذ: المقطوع، والجُذاذ: ماكسر من الشّيء وهو القطع والفُتات، و (جُذاذًا): قطعًا وكسرًا، جمعٌ مفرده: جُذاذة. (١: ١٠٤)

مَجْمَعُ اللُّغة: جَذّ الشّيء يَجُذّه جَذًّا: قطعه فالشّيء مجذوذ.

وجَذّه: كسّره وفتّته.

والجُذاذ: القِطَع المكسّرة. (١: ١٨٦)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاستئصال وتفريق الأجزاء حتّى تنمحي الهيئة التّركيبيّة. وبهذا تفترق هذه المادّة عن موادّ: الجبّ والجدّ والجدع والجذم والجزم والجزّ.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ الأنبياء: ٥٨، أي استأصلهم، وفرّق أعضاءهم.

﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود: ١٠٨، أي عطاء تامًّا كاملًا غير متفرّق تركيبه.

وبهذا يظهر لطف التّعبير في الآيتين، بهذه المادّة دون أخواتها. (٢: ٦٦)

النّصوص التّفسيريّة

مَجْذُوذ

وَاَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْاَرْضُ اِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ.

هود: ١٠٨

ابن عبّاس: غير منقوص وغير مقطوع. (١٩١)

نحوه مُجاهِد والضّحّاك (الطّبَريّ ١٢: ١٢١)، والواحديّ (٢: ٥٩١)، والشّربينيّ (٢: ٨٠)، ومَغْنيّة (٤: ٢٧٠)، وحسنين مخلوف (١: ٣٥٧).

أبوالعالية: غير منقطع.

مثله قَتادَة. (الطّبَريّ ١٢: ١٢٢)

الإمام الصّادق عليه السلام: في رواية أُخرى (عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ) بالدّال. (البَحْرانيّ ٥: ١٧٧)

ابن زَيْد: غير منزوع منهم. (الطّبَريّ ١٢: ١٢٢)

الطّبَريّ: يعني عطاء من الله غير مقطوع عنهم، من قولهم: جذذت الشّيء أجذّه جذًّا، إذا قطعته. [ثمّ استشهد بشعر] (١٢: ١٢١)

نحوه الطّبْرِسيّ (٣: ١٩٦)، والقُرطُبيّ (٩: ١٠٣).

الماوَرْديّ: فيه وجهان: أحدهما: غير مقطوع، الثّاني: غير ممنوع. (٢: ٥٠٧)

الزّمَخْشَريّ: غير مقطوع، ولكنّه ممتدّ إلى غير نهاية، كقوله: ﴿لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ الانشقاق: ٢٥. (٢: ٢٩٤)

نحوه أبوحَيّان (٥: ٢٦٤)، والبُرُوسَويّ (٤: ١٨٩)، والقاسميّ (٩: ٣٤٨٦).

الفَخْرالرّازيّ: فيه مسألتان:

المسألة الأُولى: جذّه يجذّه جذًّا، إذا قطعه، وجذّ الله دابرهم، فقوله: ﴿غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع، ونظيره قوله تعالى في صفة نعيم الجنّة: ﴿لَامَقْطُوعَةٍ وَلَامَمْنُوعَةٍ﴾ الواقعة: ٣٣.

المسألة الثّانية: اعلم أنّه تعالى لمّا صرّح في هذه الآية أنّه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة، فلمّا خصّ هذا الموضع بهذا البيان ولم يذكر ذلك في جانب الأشقياء، دلّ ذلك على أنّ المراد من ذلك الاستثناء هو الانقطاع. (١٨: ٦٧)

البَيْضاويّ: غير مقطوع، وهو تصريح بأنّ الثّواب لاينقطع، وتنبيه على أنّ المراد من الاستثناء في الثّواب ليس الانقطاع، ولأجله فرّق بين الثّواب والعقاب في التّأبيد. (١: ٤٨٣)

النّيسابوريّ: رعاية للمطابقة، كأنّه قال: إنّه

يفعل بأهل النّار مايريد من العذاب، كما يُعطي أهل الجنّة عطاءه الّذي لاانقطاع له. والجذّ: القطع.

(١٢: ٦٦)

البُرُوسَويّ: لاانقطاع له ولاتغيير فيه. (٤: ١٩٠)

الآلوسيّ: أي غير مقطوع عنهم ولامخترم. ومصدره: الجذّ، وقد جاء: جذذت وجددت، بالذّال المعجمة والدّال، كما قال ابن قُتَيْبة، وبالمعجمة أكثر.

(١٢: ١٤٦)

رشيد رضا: أي دائمًا غير مقطوع، من جَذّه يَجُذّه، من باب «نصر»، إذا قطعه أو كسره، فهو كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ الانشقاق: ٢٥.

والفرق بين هذا التّذييل وماقبله عظيم، فكلّ من الجزاءين منه تعالى، ومقيّد دوامه بمشيئته، ولكنّه ذيّل هذا بأنّه هبة منه وإحسان دائم غير مقطوع. ولو كان الأوّل مثله غير مقطوع لما كان فضلًا وإحسانًا.

وقد تكرّر وعد الله للمؤمنين المحسنين بأنّه يَجزيهم بالحُسنى وبأحسن ممّا عملوا، وبأنّه يزيدهم من فضله، وبأنّه يضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها، وبأكثر من ذلك إلى سبعمئة ضعف. ولم يعد بزيادة جزاء الكافرين والمجرمين على مايستحقّون، بل كرّر الوعد بأنّه يُجزيهم بما عملوا وبأنّ السّيّئة بمثلها وهم لايظلمون، وبأنّه لايظلم أحدًا، دع ماورد من الآيات في سعة رحمته، وفي الأحاديث الصّحيحة من سبقها لغضبه.

وماقاله العلماء في حلّ الإشكال غير ظاهر، وخلاصته أنّ عذاب النّار الشّديد الأبديّ لانهاية له، إنّما كان جزاء لأهلها بمثل ماعملوا في سنين أو أشهر معدودة، باعتبار أنّهم كانوا عازمين على الاستمرار على كفرهم وظلمهم وفسقهم لو كانوا خالدين في الدّنيا، فهو إذن جزاء لهم على نيّتهم وعزمهم. (١٢: ١٦١)

نحوه المَراغيّ. (١٢: ٨٧)

عبد الكريم الخطيب: العطاء غير المجذوذ، أي غير النّاقص، أي عطاءً كاملًا، ونعمةً سابغةً، لايدخل عليها مايكدر صفوها، أو يُذهب بشيءٍ من لذّاتها الّتي وجدوها في أنفسهم لها. (٦: ١٢٠١)

مكارم الشّيرازيّ: أي غير منقطع، وهو دليل على أنّ الجملة الاستثنائيّة لبيان قدرته فحسب.

(٧: ٦٧)

فضل الله: أي غير مقطوع، إشارةٌ إلى استمرار البقاء في الجنّة، على أساس مايوحيه عدم الانقطاع في عطاء الرّحمة والرّضوان والنّعيم. (١٢: ١٣١)

عبد المنعم الجمّال: أعطاهم الله عطاءً كاملًا لانقص فيه ولاانقطاع. (٢: ١٤٦٥)

جُذَاذًا

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا اِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ يَرْجِعُونَ.

الأنبياء: ٥٨

ابن عبّاس: كسرًا. (٢٧٢)

حُطامًا. (الطَّبَريّ ١٧: ٣٨)

مُجاهِد: كالصّريم. (الطَّبَريّ ١٧: ٣٨)

الضّحّاك: قطعًا مقطوعة. (الماوَرْديّ ٣: ٤٥١)

نحوه قَتادَة. (الطَّبَريّ ١٧: ٣٨)

الفَرّاء: قرأها يحيى بن وثّاب (جِذاذًا)، وقراءة

النّاس بعد (جُذَاذًا) بالضّمّ. فن قال: (جُذَاذًا) فرفع الجيم فهو واحد، مثل الحُطام والرُّفات. ومن قال: (جِذَاذًا) بالكسر فهو جمع، كأنّه جَذيذ وجِذاذ مثل خفيف وخِفاف. (٢: ٢٠٦)

ابن قُتَيْبَة: أي فُتاتًا، وكلّ شيء كسرته: فقد جَذَذته، ومنه قيل للسّويق: جَذيذ. (٢٨٦)

الطّبَريّ: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار، سوى يحيى بن وثّاب والأعمش والكِسائيّ ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾[1] بمعنى جمع جَذيذ، كأنّهم أرادوا به جمع جذيذ وجِذاذ، كما يُجمع الخفيف خِفاف، والكريم كرام.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصّواب: قراءة من قرأه (جُذَاذًا) بضمّ الجيم، لإجماع قرّاء الأمصار عليه، وأنّ ماأجمعت عليه فهو الصّواب، وهو إذا قرئ كذلك مصدر مثل الرُّفات، والفُتات، والدُّقاق، لاواحد له.

وأمّا من كسر الجيم فإنّه جمع للجذيذ، والجذيذ: هو «فعيل» صُرف من مجذوذ إليه، مثل كسير، وهشيم، والمجذوذة: المكسورة قطعًا. (١٧: ٣٧)

الزّجّاج: و(جُذَاذًا) تُقرأ بالضّمّ والكسر، فن قرأ (جُذَاذًا) فإنّ بِنْيَة كلّ ماكُسّر وقطّع على «فُعال» نحو الجُذاذ والحُطام والرُّفات، ومن قال: (جِذَاذ) فهو جمع جَذيذ وجِذاذ، نحو ثقيل وثِقال، وخفيف وخِفاف. ويجوز (جَذَاذًا) على معنى القَطاع والحَصاد، ويجوز «جُذُذٌ» على معنى جذيذ وجُذُذ، مثل جديد وجُدُد.

(٣: ٣٩٦)

أبوزُرْعَة: قرأ الكِسائيّ: (فَجَعَلَهُمْ جِذَاذًا) بالكسر، جمع لـ«جَذيذ»، وجذيذ معدول عن «مجذوذ»، مثل قتيل ومقتول، ثمّ جمع الجذيذ: جِذاذًا، كما جمع الخفيف خِفافًا، والكبير كبارًا، والصّغير صغارًا، وكان قُطْرُب يذهب إلى المصدر يقول: جذذته جِذاذًا مثل ضرمته ضِرامًا.

وقرأ الباقون: (جُذَاذًا) بالضّمّ. قال اليزيديّ: واحدها: جُذاذة، مثل زُجاجة وزُجاج. وقال الفرّاء: «الجُذاذ» مثل الحُطام. فهو عند اليزيديّ جمع، وعند الفرّاء في تأويل مصدر، مثل الرُّفات والفُتات، لاواحد له. (٤٦٨)

نحوه الطّوسيّ (٧: ٢٥٧)، والبغَويّ (٣: ٢٩٢)، والمَيْبُديّ (٦: ٢٦٣).

الماوَرْديّ: قراءة الجمهور بضمّ الجيم، وقرأ الكِسائيّ وحده بكسرها، وفيه وجهان:

أحدهما: حُطامًا، قاله ابن عبّاس، وهو تأويل من قرأ بالضّمّ.

الثّاني: قِطعًا مقطوعة، قال الضّحّاك: هو أن يأخذ من كلّ عضوين عضوًا ويترك عضوًا. وهذا تأويل من قرأ بالكسر، مأخوذ من «الجذّ» وهو القطع. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٤٥١)

الواحديّ: الجذّ: القطع والكسر، والجُذاذ: قِطَع ماكسر، الواحد: جذاذة، وهو مثل الحُطام والرُّفات

---

(١) في العبارة هنا قصورٌ، ولعلّ بها سقطًا، وسيوضحها المؤلّف في كلامه الآتي بعدها. والحاصل أنّ قراءة عامّة القرّاء (جُذَاذًا) بضمّ الجيم، قيل: هو مفرد كحطام، وقيل: من الجمع العزيز، وقرأ ابن وثّاب وجماعة بالكسر، وهو جذيذ، ونظيره كريم وكرام.

والدُّقاق.

وقرأ الكِسائيّ بكسر الجيم على أنّه جمع «جذيذ» مثل ثقيل وثِقال، وخفيف وخِفاف. والجذيذ: بمعنى المجذوذ، وهو المكسور. (٣: ٢٤٢)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٧٥)، والخازن (٤: ٢٤٢).

الزّمَخْشَريّ: قطاعًا من الجذّ، وهو القطع. وقرئ بالكسر والفتح، وقرئ (جُذَاذًا) جمع جذيذ، و(جُذَذًا) جمع جُذّة. (٢: ٥٧٦)

نحوه النّسَفيّ (٣: ٨٢)، والبُرُوسَويّ (٥: ٤٩٣).

ابن عَطيّة: (جُذَاذًا) معناه قطعًا صغارًا، والجذّ: القطع، وقرأ الجمهور (جُذَاذًا) بضمّ الجيم وقرأ الكِسائيّ وحده بكسرها، وقرأ ابن عبّاس وأبونهيك وأبوالسّمال بفتحها، وهي لغات، والمعنى واحد. (٤: ٨٦)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٤: ٥٢)

العُكبريّ: (جُذَاذًا) يُقرأ بالضّمّ والفتح والكسر، وهي لغات. وقيل: الضّمّ على أن واحده جُذاذة، والكسر على أنّ واحده جِذاذة بالكسر، والفتح على المصدر كالحَصاد، والتّقدير: ذوي جِذاذ.

ويُقرأ بضمّ الجيم من غير ألف، وواحده: جُذّة، كقُبّة وقُبب. ويُقرأ كذلك إلّا أنّه بضمّ الذّال الأُولى، وواحده: جذيذ، كقليب وقُلُب. (٢: ٩٢٠)

ابن جزيّ: أي فُتاتًا، ويجوز فيه الضّمّ والكسر والفتح، وهو من «الجذّ» بمعنى القطع. (٣: ٢٨)

أبوحَيّان: (جُذَاذًا) أي مفكوكة الأجزاء.

(النّهر المادّ ٤: ١٤٧)

السّمين: قرأ العامّة بضمّ الجيم، والكِسائيّ بكسرها، وابن عبّاس وأبو نهيك وأبوالسّمال بفتحها. قال قُطْرُب: هي في لغاتها كلّها مصدر فلايثنّى ولايجمع ولايؤنّث.

والظّاهر أنّ المضموم اسم للشّيء المكسّر كالحُطام والرُّفات والفُتات، بمعنى الشّيء المُحطَّم والمُفتّت.

وقال اليزيديّ: المضموم جمع: جُذاذة بالضّمّ، نحو زُجاج في زُجاجة، والمكسور جمع: جذيذ نحو كِرام في كريم. وقال بعضهم: المفتوح مصدر بمعنى «المفعول» أي مجذوذين. ويجوز على هذا أن يكون على حذف مضاف، أي ذوات جِذاذ.

وقيل: المضموم جمع جُذاذة بالضّمّ، والمكسور جمع جِذاذة بالكسر، والمفتوح مصدر.

وقرأ ابن وثّاب (جُذُذًا) بضمّتين دون ألف بين الذّالين، وهو جمع جَذيذ كقَليب وقُلُب.

وقرئ بضمّ الجيم وفتح الذّال وفيها وجهان:

أحدهما: أن يكون أصلها ضمّتين وإنّما خفّفت بإبدال الضّمّة، نحو سُرُر، وذُلُل في جمع سَرير وذَليل، وهي لغة لبني كلب.

والثّاني: أنّه جمع «جُذّة» نحو قُبَب في قُبّة ودُرَر في دُرّة، والجذّ: القطع والتّكسير. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٩٤)

نحوه أبوالسُّعود (٤: ٣٤٤)، والشّوكانيّ (٣: ٥١٧)، والآلوسيّ (١٧: ٦١).

عِزّة دَرْوَزَة: قِطَعًا صغيرًا. (٦: ١٧١)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَذّ، وهو القطع، يقال: جَذَذتُ الشّيء أجُذُّه جَذًّا فانجذّ، أي قطعتُه وكسرتُه، فهو مَجذُوذ وجَذيذ، وسويقٌ جذيذٌ: مجذوذ أو كثير الجُذاذ، وجذّذتُه فتجذّذ، وجذّ النّخل يَجُذّه جَذًّا: صرمَه.

والجَذاذ والجُذاذ والجِذاذ: القِطَع المتكسّرة، وواحدها بالهاء.

والجُذاذ: قطع الفضّة الصّغار، وحجارة الذّهب، لأنّها تُكسَر وتُسحَل، وهو حجر الأثافيّ أيضًا.

والجِذاذ: حجر الأثافيّ، والجمع: أجِذّة.

والجُذاذات: القُراضات، يقال: جُذاذات الفضّة، أي قطعها.

والجَذيذة: جشيشة تعمل من السّويق الغليظ لأنّها تُجَذّ، أي تقطع قطعًا وتُجَشّ.

والجَذّان: الحجارة الرّخوة، الواحدة: جَذّانة، وكذا الكَذّان والكَذّانة، وهما على وزن «فَعّلان».

والمِجَذّ: طرف المِروَد، وهو الميل، لأنّه يبضع الجلد واللّحم.

ويقال مجازًا: ماعليه جُذّة وماعليه قِزاع، أي ماعليه ثوب يستره، كأنّه أراد خرقة وماأشبهها، وجَذّ الأمر عنّي يَجُذّه جَذًّا: قطعه، ورَحِمٌ جَذّاء وحَذّاء، إذا لم توصل.

٢ـ ولقد شفع بعض اللّغويّين الاستئصال والإسراع بهذه المادّة، وهذا لايستقيم ألبتّة، لأنّ الكسر سهيم القطع فيها، كما تقدّم، فكيف يصحّ استئصال مالاأصل له كقِطَع الفضّة وحجارة الذّهب مثلًا؟ وهو يتحقّق في حروف أُخرى كالاجتثاث والبتّ وغيرهما.

كما نجَمَ عن الخلط بين مادّتي «ج ذ ذ» و«ح ذ ذ» معنى الإسراع والوحيّ هنا؛ إذ الحَذّ: القطع السّريع المستأصل، يقال: أمرٌ أحَذُّ، أي سريع المضاء.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت مرّتين: وصفًا ومفعولًا:

١ـ ﴿وَاَمَّا الَّذينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدينَ فيهَا مَادَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْاَرْضُ اِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود: ١٠٨

٢ـ ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا اِلَّا كَبيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الأنبياء: ٥٨

يلاحظ أوّلًا في (١): أنّهم فسّروا: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ بـ: غير منقوص، غير مقطوع، غير منقطع، غير ممنوع، ممتدّ إلى غير النّهاية، لاانقطاع له ولاتغيير فيه، غير مقطوع عنها ولامختوم، غير منزوع عنهم، غير النّاقص، أي عطاءً كاملًا، إشارة إلى استمرار البقاء في الجنّة ونحوها، وهي متقاربة، ونظيرها: ﴿لَامَقْطُوعَةٍ وَلَامَمْنُوعَةٍ﴾ الواقعة: ٣٣. إلّا أنّ الأقرب إلى مساق اللّغة هو استئصال الشّيء بتمامه وبأجزاءه، والمراد في الآية نفي الانقطاع والتّأكيد للبقاء أي الخلود.

ثانيًا: هذه الآية وصف للّذين سُعِدوا في الجنّة بإزاء وصف الّذين شقوا في النّار، تفصيلًا لقوله قبلها: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعيدٌ﴾ هود: ١٠٥. وقد أكّد فيهما خلود الفريقين في الجنّة أو النّار بسياق واحد: ﴿خَالِدينَ فيهَا مَادَامَتِ

السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ﴾ فأكّد الخلود فيهما بـ﴿مَادَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ وهذا تعبير قرآنيّ لم يأت إلّا في هاتين الآيتين، أخذًا من الدّوام في الدّنيا حيث يعبّر عنه بـ﴿مَادَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، وإلّا فليس في الآخرة سماوات ولاأرض مثل مافي الدّنيا.

وأمّا الاستثناء ﴿إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ﴾ فيهما فتأكيد لحرّيّته تعالى في الإرادة والمشيئة، وأنّه لايمنعه مانعٌ عنهما. أمّا وقوع هذا الاستثناء بإخراج الفريقين من الجنّة والنّار، فأمر مرجوّ منه تعالى في حقّ المؤمنين الّذين كانت لهم سيّئات، فدخلوا النّار تطهيرًا لهم. أمّا العكس وهو إخراج بعض أهل الجنّة منها، فلم نقف على نصّ حول ذلك في القرآن ولافي الأخبار، فيبدو أنّه أمر موقوف في حدّ الإمكان دون الوقوع، وأنّه جاء مقابلًا لحال الّذين شقوا توصيفًا لاوقوعًا. لاحظ «خ ل د».

ثالثًا: مع وحدة السّياق في ذلك بين الفريقين خصّ أهل النّار بأمرين:

١ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ هود: ١٠٦، أوردها في آية واحدة، ثمّ عقّبها في آية أُخرى بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ تأكيدًا لشدّة عذابهم.

٢ـ ختم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ إرجاء لإخراجهم بعد العذاب من النّار، ولم يأت بها في أهل الجنّة بل أكّد دوام رحمته لهم بـ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ فسمّاه (عَطَاءً) تقديرًا وإكرامًا لهم. ولو كان مقطوعًا لما كان عطاءً، وبذلك نبّه ـ كما قال الفخرالرّازيّ ـ على أنّه ليس المراد بهذا الاستثناء في أهل الجنّة الانقطاع، كما هو كذلك في جانب أهل النّار.

وقال صاحب المنار: «والفرق بين هذا التّنزيل وماقبله عظيمٌ. فكلّ من الجزاءين منه تعالى ومقيّد بمشيئته، ولكنّه ذيّل هذا بأنّه هبة منه وإحسان دائمٌ غير مقطوع. ولو كان الأوّل مثله غير مقطوع، لما كان فضلًا وإحسانًا».

رابعًا: قُرئت (مجدُودًا) بالدّال المهملة، نسبها البحرانيّ إلى الإمام الصّادق عليه السلام. ولم يثبت تواتره، ولاذكرها غيره فلايُقرأ بها، ولعلّه كان تفسيرًا منه لاقراءةً؛ إذ جاء (جدّ) بمعنى قطع، فلاحظ.

خامسًا: هناك فرق آخر بين الفريقين في رويّ الآيات، فكان الرّويّ قبلها (مَشْهُود) و(مَعْدُود) فتغيّر فيها إلى (سَعِيد، وشَهِيق، ويُرِيد) بشأن الفريق الأوّل، ولمّا انتقل إلى حال الفريق الثّاني ـ وهم الّذين سُعِدوا ـ رجع إلى الرّويّ الأوّل في آيتين: ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ و﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ تفريقًا بينهما في التّعبير، كما فرّق بينهما في المصير.

سادسًا: فسّروا (جُذَاذًا) في (٢) بـ كَسْرًا، قطعًا، فُتاتًا ـ مصدرًا ـ وبـقِطَعًا ـ جمعًا ـ والأصل فيه اختلاف القراءة. فقد قُرئت بضمّ الجيم وكسرها وفتحها، ولم يذكر الطّبَريّ سوى الضّمّ والكسر، واختار الضّمّ، لإجماع قرّاء الأمصار عليه. ثمّ قال: «إنّه مصدرٌ مثل الرُّفات، والفُتات، والدُّقاق، لاواحد له» أمّا (جِذاذًا) بالكسر فقال: «إنّه جمع جذيذ كخَفيف وخِفاف، وكريم وكرام».

وأجاز الزّجّاج الفتح كالقَطاع والحَصاد، وكذلك الضّمّ على أنّه جمع جذيذ أيضًا، مثل جديد وجُدد،

فيدور الأمر بين المصدر والوصف، إلّا أنّ الوصف جمعًا هو المناسب، لكونه مفعولًا ثانيًا لـ(جَعَلَهُمْ) أي جعل الأصنام قِطعًا قِطعًا.

سابعًا: قد عبّر أوّلًا عن الأصنام بضمير ذوي العقول (جَعَلَهُمْ) تماشيًا وتعاطفًا معهم، لأنّهم سمّوها آلهة، كما تكرّرت في هذه الآيات. لكن عبّر عنهم ذيلًا بقِطَع جمادٍ بلاشعور، ففي ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ وصفًا، لطفٌ ليس في المصدر.

ثامنًا: مجيئها في آيتين مكّيّتين إن دلّ على أنّها لغتهم، فهو، وإلّا فهي مساعدة لجوّها المليء بالشّرك، ولاسيّما الثّانية منهما.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ذ ع

لفظان، ٣ مرّات مكّيّة، في سورتين مكّيّتين

جِذْع ٢: ٢   جُذُوع ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجذَع من الدّوابّ: قبل أن يُثْني بسَنة، ومن الأنعام: هو أوّل مايُستطاع ركوبه.

والأُنثى: جَذَعَة، ويُجمع على: جِذاع وجُذْعان وأجذاع أيضًا.

والدّهر يسمّى جَذَعًا، لأنّه جديد. [ثمّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

وإذا طُفِئَتْ الحرب من القوم، يقال: إن شئتم أعدناها جَذَعَة، أي أوّل مايُبْتدأ بها، وفلان في هذا الأمر جَذَع، أي أخذ فيه حديثًا.

والجِذْع: النّخلة، وهو غُصنها. (١: ٢٢٠)

ابن شُمَيْل: يقال: ذهب القوم جِذَعَ مِذَعَ، إذا تفرّقوا في كلّ وجه. (الأزهَريّ ١: ٣٥٣)

قُطْرُب: كلّ خشبة في أصل شجرة فهي جِذْع.

(الفَخْرالرّازيّ ٢١: ٢٠٥)

أبوزَيْد: [ذكر أسنان الغنم وقال:]

إذا أتى عليها الحول فالذّكر: تَيْسٌ، والأُنثى: عَنْزٌ، ثمّ يكون جَذَعًا في السّنة الثّانية، والأُنثى: جَذَعَة، ثمّ ثنيًّا في الثّالثة، ثمّ رباعيًا في الرّابعة...

(الأزهَريّ ١: ٣٥٢)

[وقال في الإبل:] ويدخل في السّنة الخامسة فهو حينئذ: جَذَع، والأُنثى: جَذَعة، وهي الّتي تؤخذ في الصّدقة إذا جاوزت الإبل ستّين[1]، ثمّ ليس شيء في الصّدقة سنّ من الأسنان من الإبل فوق الجَذَعة.

فلايزال كذلك حتّى تمضي الخامسة. فإذا مضت الخامسة ودخلت السّنة السّادسة وألقى ثنيّته فهو حينئذ: ثَنِيّ، والأُنثى: ثنيّة، وهو أدنى مايجوز من أسنان الإبل في النّحر.

---

(١) في الأصل ستّين!!

هذا من الإبل والبقر والمعز، لايجزئ منها في الأضاحيّ إلّا الثّنيّ فصاعداً. وأمّا الضّأن خاصّة فإنّه يُجزئ منه الجذَع لحديث النّبيّ ﷺ في ذلك...

مثله أبوزياد الكلابيّ، والأصمعيّ.

(أبوعبيد ١: ٤٠٩)

الأصمعيّ: إذا طلع قرن العِجْل وقُبض عليه فهو عَضْبٌ، ثمّ بعد ذلك جذَع، وبعده ثنيّ، وبعده رَباع.

(الأزهَريّ ١: ٣٥٢)

الجذَع من المعز لسنة، ومن الضّأن لثمانية أشهر أو تسعة. (الأزهَريّ ١: ٣٥٣)

فإذا أتت عليه [ابن اللّبون] سَنَةٌ بعد حِقّ فهو جذَع، يقال: قد أجْذَعَ يُجْذِع إجذاعًا. والجُذُوعة: وَقْتٌ من الزّمن ليس بوقوع سِنّ. (الكنز اللّغويّ: ٧٦)

وتدخل الهاء الأُنثى في الرّباعيَة والثّنيّة والجذَعة. [ثمّ استشهد بشعر] (الكنز اللّغويّ: ٧٨)

الجذَع من المعز لستّة أشهر، ومن الضّأن لثمانية أشهر أو تسعة. (المدينيّ ١: ٣٠٨)

ابن الأعرابيّ: جذَع الرّجل عياله، إذا حبس عنهم خيرًا. (الأزهَريّ ١: ٣٥١)

إذا استتمّ الفرس سنتين ودخل في الثّالثة فهو جذَع، وإذا استتمّ الثّالثة ودخل في الرّابعة فهو ثنيّ.

الإجذاع: وَقْتٌ وليس بسِنّ. والجذَع من الغنم لسنة، ومن الخيل لسنتين، ومن الإبل لأربع سنين.

والعَناق تُجذَع لسنة، وربّما أجذعت العَناق قبل تمام السّنة للخِصْب، وتَسمن فيُسرع إجذاعها، فهي جذَعة لسنة، وثنيّة لتمام سنتين. (الأزهَريّ ١: ٣٥٢)

الجذَع من الضّأن، إن كان ابن شابّين أجْذَعَ لستّة أشهر إلى سبعة أشهر، وإن كان ابن هَرِمَيْن أجْذَعَ لثمانية أشهر إلى عشرة أشهر. (ابن منظور ٨: ٤٤)

مثله الحَرْبيّ. (الأزهَريّ ١: ٣٥٢)

ابن السّكّيت: الجذْع: حبس الدّابّة على غير علَف. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِذْع: جِذْع النّخلة. (إصلاح المنطق: ٢٧)

مثله ابن أبي اليمان. (٥٣٢)

الرّياشيّ: المجذوع: الّذي يُحبَس على غير مرعًى، وهو الجذَع. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١: ٣٥١)

ثَعْلَب: الجذَع من قولهم: الأزْلَم الجذَعُ: كلّ يوم وليلة. (ابن منظور ٨: ٤٤)

الجاحظ: فإذا أتى عليه [الجدْي] الحول فالذّكر: تَيْسٌ، والأُنثى: عَنْزٌ، ثمّ يكون جذَعًا في السّنة الثّانية، والأُنثى جذَعة. (٥: ٤٩٨)

ابن دُرَيْد: الجذَع من الدّوابّ معروف، والجمع: جِذاع وجُذْعان، والمصدر: الإجذاع، وليس بوقوع سِنّ، إنّما هو وقت. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِذْع من النّخل معروف، والجمع: أجذاع وجُذُوع، وجذَعت الشّيء أجذعُه جذْعًا، إذا عفسته ودلكته. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن أمثالهم: «خذ من جِذْع ماأعطاك» وهو اسم رجل له حديث.

وقد سمّوا جُذَيمًا وجِذعًا. (٢: ٧٢)

والحَمَل من الضّأن معروف، وهو الجذَع فما دونه. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٨٨)

جَذَعٌ بيِّنُ الجُذُوعَة. (٣: ٤٦٧)

القاليّ: فإذا استكمل [ولد النّاقة] الرّابعة ودخل في الخامسة فهو جَذَع، والأُنثى جَذَعَة، فإذا دخل في السّادسة فهو ثنِيّ والأُنثى ثنيّة. (١: ٢٢)

جَذَعُ البصيرة، أي فتيّ الاستبصار. (٢: ١٩٢)

القفّال: الجِذْع من النّخلة هو الأسفل ومادون الرّأس، الّذي عليه الثّمرة. (الفخرالرّازيّ ٢١: ٢٠٥)

الأزهَريّ: ...أمّا الجَذَع فإنّه يختلف في أسنان الإبل والخيل والبقر والشّاء. [وبسط القول فيها ثمّ قال:]

والجِذْع: جِذع النّخلة، ولايتبيّن لها جِذع حتّى يتبيّن ساقها.

والجِذاع: أحياءٌ من بني سَعْدٍ، معروفون بهذا اللّقب.

وجُذعان الجِبال: صغارُها. [ثمّ استشهد بشعر]

وروي عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال: «أسلم أبوبكر وأنا جَذَعَمَة» أراد: وأنا جَذَع، أي حَدَث السّنّ غير مُدرك، فزاد في آخرها ميمًا كما زادوها في سُتْهُم للعظيم الاست، وزُرْقُم للأزرق. وكما قالوا للابن: ابنُم.

وفي النّوادر: جَذَعتُ بين البعيرين، إذا قرنتهما في قَرَن، أي حبل. (١: ٣٥١ـ٣٥٢)

الصّاحِب: الجَذَعُ من الدّوابّ والأنعام: قبل أن تَثنَي بسَنَةٍ، والجميع: جِذاع وجِذْعان، وهو بيّن الجُذُوعَة.

والدّهر لجِدّته أبدًا يسمّى: جَذَعًا، وكذلك يقال: هو جَذَعٌ في هذا الأمر.

والجَذْع: حَبْسُ الدّابّة على غير علَف.

والمُجذَّع والمُجْذَع أيضًا: أكل مالاأصل له ولانبات.

وخَرُوف مُتَجاذِع: دانٍ من الإجْذاع.

وأُمُّ الجَذَع: الدّاهية.

والجِذاع: أحياءٌ من تميم.

والجِذْع: جِذْع النّخلة، واسم رجل، والمثَل: «خُذْ من جِذْع ماأعطاك». (١: ٢٤٦)

الجَوهَريّ: الجَذَع قبل الثّنيّ، والجمع: جُذْعان وجِذاع، والأُنثى: جَذَعَة، والجمع: جَذَعات. [وبسط القول فيها إلى أن قال:]

والأزلَمُ الجَذَع: الدّهر. [ثمّ استشهد بشعر]

وقولهم: فلانٌ في هذا الأمر جَذَعٌ، إذا كان أخذ فيه حديثًا.

وجَذَعْت الدّابّة: حبَستُها على غير علَف. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجذَعتُه: سجنته، وبالدّال أيضًا غير معجمة.

والجِذْع: واحد جُذُوع النّخل.

وجِذْع أيضًا: اسم رجل، وفي المثَل: «خذ من جِذع ماأعطاك». وأصله أنّه كان أعطى بعض الملوك سيفَه رهنًا، فلم يأخذه منه، وقال: اجعل هذا في كذا من أُمّك! فضربه به فقتله. (٣: ١١٩٤)

ابن فارِس: الجيم والذّال والعين ثلاثة أُصول: أحدها يدلّ على حدوث السّنّ وطراوته؛ فالجَذَع من الشّاء: ماأتى له سنتان، ومن الإبل: الّذي أتت له خمسُ سنين.

ويسمّى الدّهر: الأزلَمَ الجَذَع؛ لأنّه جديد. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: هو في هذا الأمر جَذَعٌ، إذا كان أخذ فيه حديثًا.

والأصل الثّاني: جِذْع الشّجرة.

والثّالث: الجَذْع، من قولك: جَذَعْتَ الشّيء، إذا دلكتَه. [ثمّ استشهد بشعر]

وقولهم في الأمثال: «خُذ من جِذْعٍ ماأعطاك» فإنّه اسم رجل. (۱: ٤٣٧)

الهَرَويّ: في حديث المَبْعَث: «أنّ ورقة بن نَوْفَل قال: ياليتني فيها جَذَع»، قوله: «فيها» يعني في نُبوّة محمّد ﷺ، يقول: ليتني كنت شابًّا فيها، يعني حين تظهر نبوّته، حتّى أُبالغ في نصرته.

والأصل في الجَذَع: سِنُو الدّوابّ، وهو قبل أن تُثْني بسَنَة.

والدّهر جَذَعٌ أبدًا، أي شابٌ لايَهْرَم. [إلى أن ذكر حديث عليّ ﷺ نحو الأزهريّ] (۱: ۳۳۳)

نحوه ابن الأثير. (۱: ۲٥٠)

ابن سيده: الجَذَع: الصّغير السّنّ. وقيل: الجَذَع من الغنم، تَيْسًا كان أو كَبْشًا: الدّاخل في السّنة الثّانية. [إلى أن قال:]

وقيل لابنة الخُسّ: «هل يُلقح الجَذَع؟ قالت: لا، ولايَدَعْ».

والجمع: جُذْعان، وجِذْعان، وجِذاع، والأُنثى: جَذَعَة، وقد أجْذَع. والاسم: الجُذُوعَة. وقيل: الجُذُوعَة في الدّوابّ والأنعام: قبل أن يُثْني بسَنَة، وهو زمن، ليس بسنّ تسقط وتعاقبها أُخرى. [إلى أن قال:]

وأعَدْتُ الأمرَ جَذَعًا، أي جديدًا كما بدأ، وفُرّ الأمرُ جَذَعًا، أي بُدِئ. وفُرّ الأمرَ جَذَعًا: أي ابدأه.

وتَجاذَعَ الرّجل: أرى أنّه جَذَعٌ، على المثَل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَذَع، والأزلَم الجَذَع جميعًا: الدّهر، لجِدّته. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال ثَعْلَب: الجَذَع من قولهم: الأزلَم الجَذَع: كلّ يوم وليلة. هكذا حكاه ولاأدري وجهه. وقيل: هو الأسد، وهذا القول خطأ.

والجِذع: ساق النّخلة. والجمع: أجْذاع، وجُذُوع.

وجَذَعَ الشّيء يَجْذَعُه جَذْعًا: عفَسَه ودلَكه. وجَذَعَ الرّجل يَجْذَعُه جَذْعًا: حبَسَه، وقد تقدّم في الدّال.

والجَذْع: حَبْس الدّابّة على غير علَف. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِذاع الرّجل: قومه، لاواحدَ لها. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِذْع، وجُذَيع: اسمان. (۱: ۳٠۸)

وأجذَع الفصيل: صار جَذَعًا، والمصدر: الجُذُوعَة. (الإفصاح ۲: ۷۲۱)

الرّاغِب: الجِذْع: جمعه جُذُوع، قال: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ طٰه: ۷۱.

جَذَعْتُه: قطعته قَطعَ الجِذْع. والجَذَع من الإبل: ماأتت لها خمس سنين، ومن الشّاة: ماتمّت له سنة.

ويقال للدّهر: الجَذَع، تشبيهًا بالجَذَع من الحيوانات. (۹٠)

الزّمَخْشَريّ: صُلِب في جِذْع نخلة، وهي ساقها، وبه سمّي سهم السّقف جِذعًا.

وأجذَع المُهْرُ: صار جَذَعًا. ولاتستوي الجُذْعان والثُّنْيان.

والخروف المُتَجاذِع: الدّاني من الإجذاع.

ومن المجاز: فلان في هذا الأمر جَذَعٌ، إذا أخذ فيه حديثًا. وأهلكهم الأزلَمُ الجذَع، أي الدّهر. [ثمّ استشهد بشعر]

وطَفِئَتْ حَرْبٌ بين قوم فقال أحدهم: إن شئتم أعَدْناها جَذَعَةً.

ويقال: فُرّ له الأمر جَذَعًا، إذا عاوَدَه من الرّأس.

وغرّق الآلُ جُذْعان الجبال. (أساس البلاغة: ٥٤)

المَدينيّ: في الحديث: «ضَحَّيْنا مع رسول الله ﷺ بالجذَع».

الجذَع من الدّوابّ: شوابُّها، ولكلّ واحدٍ من الجُذعان حَدّ بحَسَب اختلاف أنواعها، فمن الإبل ماله خمسُ سنين، ومن الشّاء: ماتمّت له سَنَةٌ، وقيل ذلك لولد الضّأن خاصّة، لأنّه يَنْزُو فيُلْقِح، فإذا كان من المِعْزى لم يُلْقِح حتّى يصير ثنيًّا.

ووَلَدُ المِعْزى الذّكر أوّل سنةٍ جَذْيٌ، والأُنثى: عَناق، فإذا تمّت له السّنة فالذّكر تَيْسٌ، والأُنثى عَنْزٌ، ثمّ جَذَع في السّنة الثّانية، ثمّ ثنيّ، ثمّ رَباعٌ.

وذكر الخِرَقيّ عن أبيه، أنّه سأل بعض أهل البادية: كيف تعرفون الضّأن إذا أجذَع؟ قالوا: لاتزالُ الصُّوفة قائمةً في ظهره مادام حمَلًا، فإذا نامَت الصُّوفة على ظهره عُلم أنّه قد أجذَع.

وقيل: الجذَع: ماتمّت له ستّة أشهر، ودخل في السّابع، ومن الإبل: إذا دخلت في الخامسة جَذَعَة، لأنّها تجذَع، أي تَسقُط سنُّها. والبقر يسمّى جَذَعًا إذا خرج قَرْنُه، وهو الّذي دخل في السّنة الثّانية. [ثمّ ذكر قول ابن الأعرابيّ والأصمَعيّ وقال:]

قال سيّدنا حرَسَه الله[1]: واختلاف أقوالهم في ذلك يدلّك على اختلاف الأحوال والطّبائع، واعتمادهم في ذلك على الوجدان، كما ذكرناه في الثّنيّ. (١: ٣٠٨)

نحوه ابن الأثير. (١: ٢٥٠)

الفَيُّوميّ: الجِذْع: بالكسر: ساق النّخلة، ويسمّى سهم السّقْف جِذْعًا، والجمع: جُذُوعٌ وأجذاع.

والجذَع بفتحَتَين: ماقبل الثّنيّ، والجمع: جِذاع مثل جبَل وجبال، وجُذْعان بضمّ الجيم وكسرها، والأُنثى: جذَعَةٌ، والجمع: جَذَعات، مثل قصَبة وقصَبات.

وأجذع ولد الشّاة في السّنة الثّانية، وأجذَع ولد البقرة والحافر في الثّالثة، وأجذَع الإبل في الخامسة، فهو جذَعٌ. [إلى أن قال:]

ومن الضّأن إذا كان من شابّين يُجذِع لستّة أشهر إلى سبعة، وإذا كان من هَرِمَين أجذَع من ثمانية إلى عشرة. (١: ٩٤)

الفيروزاباديّ: الجذَع محرّكة: قبل الثّنيّ، وهي بهاء، اسم له في زمن وليس بسِنّ تَنْبُت أو تسقط، والشّابّ الحدَث، جمعه: جِذاع وجُذْعان بالضّمّ.

والأزلَم الجذَعُ: الدّهر والأسد.

وأُمّ الجذَع: الدّاهية.

والدّهر جَذَعٌ أبدًا: شابٌّ لايَهْرَم.

والجذْعَمة: الصّغيرة، وأصلها: جذَعة.

---

(١) شيخه أبوالقاسم إسماعيل بن محمّد بن الفضل الحافظ.

وجذَع الدّابّة كمنع: حبَسَها على غير علف، وبين البعيرين قرَنهما في قَرَن.

وككتاب: أحياءٌ من بني سَعْد.

وجُذْعان الجبال بالضمّ: صِغارها.

وذهبوا جِذَعَ مِذَعَ، كعِنَب مبنيّتين بالفتح: تفرّقوا في كلّ وجه.

والجِذْع بالكسر: ساق النّخلة، وابن عَمْرو الغسّاني.

ومنه: «خُذ من جِذْعٍ ماأعطاك». كانت غسّان تُؤدّي كلّ سنة إلى مَلِك سليح دينارين من كلّ رجل، وكان يلي ذلك سَبْطَة بن المُنْذِر السَّليحيّ، فجاء سَبْطَة يسأله الدّينارين، فدخل جِذْعٌ منزله فخرج مشتملاً بسيفه فضرب به سَبْطَة حتّى بَرَد، وقال: «خُذ من جِذْعٍ ماأعطاك».

أو أعطى بعض الملوك سيفه رهنًا فلم يأخذه، وقال: اجعل في كذا من كذا، فضربه به فقتله وقاله، يُضرَب في اغتنام مايجُود به البخيل.

وتقول لولد الشّاة في السّنة الثّانية وللبقر وذوات الحافر في الثّالثة، وللإبل في الخامسة: أجْذَع.

والمُجذَّع كمُكرَّم ومُعظَّم: كلّ مالاأصل له ولاثبات.

وخَروفٌ متجاذع: وانٍ. (٣: ١٢)

الطُّريحيّ: وفي «حياة الحيوان»: الجَذَع من الضّأن: ماله سنة تامّة، هذا هو الصّحيح عند أصحابنا، وهو الأشهر عند أهل اللّغة وغيرهم.

وقيل: ماله ستّة أشهر، وقيل: ماله سبعة، وقيل: ثمانية، وقيل: عشرة. حكاه القاضي عياض، وهو غريب. (٤: ٣١٠)

مَجْمَعُ اللُّغة: جِذْع النّخلة: ساقُها، وجمعه: جُذُوع. (١: ١٨٦)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ١٠٤)

المُصْطَفَويّ: إنّ معنى الدّلك والحبس والعفس لهذه المادّة إنّما جاء من مادّة «جدَع» بالاشتقاق أو بالإبدال. وأمّا الأصل الواحد فيها: فهو الحداثة والطّراوة والاستقامة، وباعتبار هذه الخصوصيّة تُطلق على ساق النّخلة إذا استقام واستعدّ لحمل الثّمر، وكذلك تُطلق على الدّوابّ إذا كانت على هذه الصّفة، واستعدّت للحمل والرّكوب. (٢: ٦٨)

النُّصوص التّفسيريّة

جِذْع

١، ٢ـ فَاَجَاءَهَاالْـمَخَاضُ اِلٰى جِذْعِ النَّخْلَةِ... وَهُزّى اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا

مريم: ٢٣ ـ ٢٥

ابن عبّاس: أصل نخلة يابسة. (٢٥٥)

فالتجأت إليها لتستند إليها..

نحوه قَتادَة، ومُجاهِد، والسُّدّيّ. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٥١١)

إنّهاعليها السلام لمّا اشتدّ عليها الطّلق نظرت إلى أكمة فصعدت مسرعة، فإذا عليها جِذْع نخلة نخرة ليس عليها سعف. (الآلوسيّ ١٦: ٨١)

مُجاهِد: النّخلة. [وفي خبر آخر] العَجْوَة.

(الطّبَريّ ١٦: ٧٢)

وَهْب بن مُنَبِّه: إنّها كانت شجرة، ولكن لم تكن في إبّان ثمرها. (ابن كثير ٤: ٤٥٠)

السُّدّيّ: كان جِذْعًا مقطوعًا، فهزّته، فإذا هو نخلة.

(٣٤٠)

الإمام الصّادق عليه السلام: إنّ نخلة مريم إنّما كانت عَجْوَة ونزلت من السّماء، فما كان من أصلها كان عَجْوَة، وماكان من لقاط فهو لون... (المشهديّ ٦: ١٧٤)

الطّبَريّ: ذكر أنّ الجِذْع كان جِذْعًا يابسًا، وأمرها أن تهزّه، وذلك في أيّام الشّتاء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وَهُزّي إليك بالنّخلة.

وأُدخلت الباء في قوله: ﴿وَهُزِّى اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كما يقال: زوّجتك فلانة، وزوّجتك بفلانة، وكما يقال: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ المؤمنون: ٢٠، بمعنى: تنبت الدّهن.

وإنّما تفعل العرب ذلك، لأنّ الأفعال تُكَنّى عنها بالباء، فيقال إذا كنّيت عن: ضربتُ عمرًا: فعلت به، وكذلك كلّ فعل، فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج، فيكون دخولها وخروجها بمعنى، فمعنى الكلام: وهزّي إليكِ جِذْعَ النّخلة.

وقد كان لو أنّ المفسّرين كانوا فسّروه كذلك: وهزّي إليك رطبًا بجذع النّخلة، بمعنى: على جِذْع النّخلة، وجهًا صحيحًا، ولكن لست أحفظ عن أحد أنّه فسّره كذلك. (١٦: ٧١، ٧٢)

القُشَيريّ: كان جِذْعًا يابسًا أخرج الله تعالى منه في الوقت الثّمرة، وهي الرُّطب الجَنيّ، وكان في ذلك آية ودلالة لها. فالّذي قدر على فعل مثل هذا قادر على خلق عيسى عليه السلام من غير أب. (٤: ٩٧)

نحوه أبوالفُتُوح. (١٣: ٦٧)

البَغَويّ: وكانت نخلة يابسة في الصّحراء في شدّة الشّتاء، لم يكن لها سعف. وقيل: التجأت إليها لتستند إليها وتتمسّك بها على وجع الولادة. (٣: ٢٢٩)

نحوه الخازن. (٤: ١٩٧)

المَيْبُديّ: يعني ساقتها، لم يكن على رأسه سعف. وقيل: كان جِذْعًا يابسًا قد جيء به ليبتنى به بيت في بيت لحم. وقيل: صارت إلى النّخلة لتتفيّأ به، وقيل: التجأت إلى النّخلة لتستند إليها وتتقوّى بها على ماهو عادة المرأة الحامل إذا أخذها الطّلق فتطلب موضعًا تستند إليه. (٦: ٣٠)

الزّمَخْشَريّ: طلبت الجِذْع لتستتر به، وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جِذْع نخلة يابسة في الصّحراء ليس لها رأس ولاثمرة ولاخضرة، وكان الوقت شتاء.

والتّعريف لايخلو إمّا أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة، كتعريف النّجم والصّعق، كأنّ تلك الصّحراء كان فيها جِذْع نخلة متعالم عند النّاس، فإذا قيل: جِذْع النّخلة فُهم منه ذلك دون غيره من جذوع النّخل.

وإمّا أن يكون تعريف الجنس، أي جِذْع هذه الشّجرة خاصّة، كأنّ الله تعالى إنّما أرشدها إلى النّخلة، ليُطعمها منها الرُّطب الّذي هو خرسة النّفساء الموافقة لها، ولأنّ النّخلة أقلّ شيء صبرًا على البرد، وثمارها إنّما هي من جُمّارها، فلموافقتها لها ـ مع جمع الآيات فيها ـ

اختارها لها وألجأها إليها. [إلى أن قال:]

والباء في ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ صلة للتّأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥، أو على معنى افعلي الهزّ به، كقوله:

يجرح في عراقيبها نَصلي

(٢: ٥٠٦)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٣١)، والشّربينيّ (٢: ٤٢٠)، وأبوالسُّعود (٤: ٢٣٦)، والبُرُوسَويّ (٥: ٣٢٦)، ونحوه ملخّصًا النّسفيّ (٢: ٣٢)، والكاشانيّ (٣: ٢٧٨)، والمشهديّ (٦: ١٧٤).

ابن عَطيّة: روي أنّها بلغت إلى موضع كان في جِذْع نخلة بالٍ يابس في أصله مذود بقرة على جرية ماء، فاشتدّ بها الأمر هناك، واحتضنت الجِذْع لشدّة الوجع. [إلى أن قال:]

ثمّ أمر بهزّ الجِذع اليابس لترى آية أُخرى في إحياء موات الجِذْع، وقالت فرقة: بل كانت النّخلة مطعمة رُطبًا. وقال السُّدّيّ: كان الجِذع مقطوعًا وأُجري النّهر تحتها لحينه.

والظّاهر من الآية أنّ عيسى هو المكلّم لها، وأنّ الجِذْع كان يابسًا. وعلى هذا تكون آيات تُسلّيها وتسكن إليها.

والباء في قوله: (بِجِذْعِ) زائدة مؤكّدة. قال أبوعليّ: كما يقال: ألق بيده، أي ألق يده. وفي هذا المثال عندي نظر.

(٤: ١٠)

الطَّبْرِسيّ: [نحو الزّمخشريّ في دخول الباء على (جذع) وأضاف:]

والجِذْع: ساق النّخلة، والألف واللّام دخلت للعهد، لا للجنس، أي النّخلة المعروفة. [إلى أن قال:]

وقالوا: إنّ الجِذْع كان يابسًا لاثمر عليه؛ إذ لو كان عليه ثمر لهزّته من غير أن تؤمر به. وكان في الشّتاء، فصار معجزة بخروج الرّطب في غير أوانه، وبخروجه دفعة واحدة. فإنّ العادة أن يكون نَورًا أوّلًا ثمّ يصير بلحًا ثمّ بُسرًا.

وروي أنّه لم يكن للجذع رأس فضربته برجلها فأورقت وأثمرت وانتثر عليها الرّطب جنيًّا، والشّجرة الّتي لارأس لها لاتثمر في العادة.

وقيل: إنّ تلك النّخلة كانت برنية، وقيل: كانت عَجْوَة، وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. (٣: ٥٠٩)

ابن الجَوْزيّ: هو ساق النّخلة، وكانت نخلة يابسة في الصّحراء ليس لها رأس ولاسعف. (٥: ٢٢٠)

الفَخْرالرّازيّ: [نقل قول الزّمخشريّ ثمّ قال:]

فكأنّه تعالى قال: كما أنّ الأُنثى لاتلد إلّا مع الذّكر فكذا النّخلة لاتثمر إلّا عند اللّقاح، ثمّ إنّي أُظهر الرّطب من غير اللّقاح ليدلّ ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر. [إلى أن قال:]

وأمّا الباء في قوله: ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ فزائدة، والمعنى: هزّي إليك أي حرّكي جذع النّخلة...

وإذا عرفت هذا فنقول: قد تقدّم أنّ الوقت كان شتاء وأنّ النّخلة كانت يابسة، واختلفوا في أنّه أثمر الرّطب وهو على حاله أو تغيّر؟ وهل أثمر مع الرّطب غيره؟ والظّاهر يقتضي أنّه صار نخلة لقوله: ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ وأنّه ما أثمر إلّا الرّطب. (٢١: ٢٠٣، ٢٠٥)

نحوه القُرطُبيّ ملخّصًا. (١١: ٩٢، ٩٤)

ابن عربيّ: نخلة نفسك، الّتي بسقت في سماع الرّوح، باتّصالك بروح القدس، واخضرّت بالحياة الحقيقيّة، بعد يبسها بالرّياضة، وجفافها بالحرمان عن ماء الهوى وحياته، وأثمرت المعارف، والمعاني، أي حرّكيها بالفكر. [وهو تأويل صوفيّ] (٢: ١٤)

أبوحَيّان: قيل: نخلة مريم قائمة إلى اليوم، والظّاهر أنّ النّخلة كانت موجودة قبل مجيء مريم إليها. [إلى أن قال:]

وقالت فرقة: بل كانت النّخلة مطعمة رطبًا. وقال السُّدّيّ: كان الجذع مقطوعًا وأجرى تحته النّهر لجنبه. والظّاهر أنّ المكلّم هو عيسى وأنّ الجذع كان يابسًا، وعلى هذا ظهرت لها آيات تسكن إليها، وحزنها لم يكن لفقد الطّعام والشّراب حتّى تتسلّى بالأكل والشّرب، ولكن لمّا ظهر في ذلك من خرق العادة حتّى يتبيّن لقومها أنّ ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شأنها.

قال ابن عبّاس: كان جذعًا نخرًا فلمّا هُزّت إذ السّعف قد طلع، ثمّ نظرت إلى الطّلع يخرج من بين السّعف، ثمّ اخضرّ فصار بلحًا ثمّ احمرّ فصار زهوًا، ثمّ رطبًا. كلّ ذلك في طرفة عين، فجعل الرّطب يقع من بين يديها لايتسرّح منه شيء. (٢: ١٨٢، ١٨٤)

الآلوسيّ: (اِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لتستند إليه عند الولادة، كما روي عن ابن عبّاس ومُجاهِد وقَتادَة والسُّدّيّ، أو لذلك ولتستتر به كما قيل. والجذع: مابين العرق ومتشعّب الأغصان من الشّجرة، وقد يقال للغصن أيضًا: جذع، والنّخلة معروفة.

والتّعريف إمّا للجنس فالمراد واحدة من النّخل لاعلى التّعيين، أو للعهد فالمراد نخلة معيّنة، ويكفي لتعيّنها تعيّنها في نفسها وإن لم يعلمها المخاطب بالقرآن عليه الصّلاة والسّلام، كما إذا قلت: أكل السّلطان ماأتى به الطّبّاخ، أي طبّاخه، فإنّه المعهود. وقد يقال: إنّها معيّنة له ﷺ بأن يكون الله تعالى أراها له عليه الصّلاة والسّلام ليلة المعراج.

وزعم بعضهم أنّها موجودة إلى اليوم، والظّاهر أنّها كانت موجودة قبل مجيء مريم إليها، وهو الّذي تدلّ عليه الآثار، فعن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما أنّهاعليها السلام لمّا اشتدّ عليها الطّلق نظرت إلى أكمة فصعدت مسرعة فإذا عليها جذع نخلةٍ نخرة ليس عليها سعف.

وقيل: إنّ الله تعالى خلقها له يومئذ، وليس بذاك، وكان الوقت شتاء. ولعلّ الله تعالى أرشدها إليها لِيُريها فيما هو أشبه الأشجار بالإنسان من آياته، مايسكن روعتها كإثمارها بدون رأس، وفي وقت الشّتاء الّذي لم يعهد ذلك فيه، ومن غير لقاح كما هو المعتاد، وفي ذلك إشارة أيضًا إلى أنّ أصلها ثابت وفرعها في السّماء، وإلى أنّ ولدها نافع كالثّمرة الحلواء، وأنّهعليه السلام سيُحيي الأموات كما أحيا الله تعالى بسببه الموات، مع مافي ذلك من اللّطف بجعل ثمرتها خرسة لها.

والجارّ والمجرور متعلّق بـ(أجاءَهَا)، وعلى القراءة الأُخرى متعلّق بمحذوف وقع حالًا، أي مستندة إلى جذع النّخلة. [إلى أن قال:]

في ﴿وَهُزِّى اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: الفعل هنا منزّل منزلة اللّازم. [ثمّ استشهد بشعر ثمّ قال:]

أي افعلي الهزّ (بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) فالباء للآلة، كما في كتبت بالقلم. وقيل: هو متعدّ والمفعول محذوف، والكلام على تقدير مضاف، أي هزّي الثّمرة بهزّ جذع النّخلة، ولايخفى مافيه من التّكلّف. [إلى أن قال:]

وجعل بعضهم ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ في موضع الحال على تقدير جعل المفعول (رُطَبًا) أو الثّمرة، أي كائنة أو كائنًا بجذع النّخلة، وفيه ثمرة مالاتُسمن ولاتُغني، وقيل: الباء مزيدة للتّأكيد مثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥. [ثمّ استشهد بشعر ثمّ قال:]

والوجه الصّحيح الملائم لما عليه التّنزيل من غرابة النّظم كما في «الكشف» هو الأوّل، وقول الفرّاء: «إنّه يقال: هزّه وهزّبه» إن أراد أنّهما بمعنى ـ كما هو الظّاهر ـ لايلتفت إليه، كما نصّ عليه بعض من يعوّل عليه. (١٦: ٨١)

الطّباطبائيّ: والتّعبير بـ(جِذْعِ النَّخْلَةِ) دون (النَّخْلَةِ) مشعر بكونها يابسة غير مخضرّة. [إلى أن قال:]

ونسبة الهزّ إلى (الجذع) والمساقطة إلى (النَّخْلَةِ) لاتخلو من إشعار بأنّ النّخلة كانت يابسة، وإنّما اخضرّت وأورقت وأثمرت رطبًا جنيًّا لساعتها. (١٤: ٤٢)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (٩: ٣٨٢)

المُصْطَفَويّ: أي فألجأها إلى جذع يابس من نخلة، وليس إلّا جذعًا لاتُرى فيه خُضرة حتّى تُطلق عليه النّخلة، وإطلاق الجِذع عليه باعتبار ماكان، وعلى الظّاهر. (٢: ٦٨)

جُذُوع

...وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى. طٰه: ٧١

ابن عبّاس: على جذوع النّخل. (٢٦٣)

نحوه الطُّوسيّ (٧: ١٩٠)، والواحديّ (٣: ٢١٤)، والبغَويّ (٣: ٢٦٨)، وابن الجَوْزيّ (٥: ٣٠٧)، وأكثر المفسّرين.

الفَرّاء: يصلح «على» في موضع «في» وإنّما صلحت «في» لأنّه يرفع في الخشبة في طولها فصلحت «في» وصلحت «على» لأنّه يرفع فيها فيصير عليها، وقد قال الله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ البقرة: ١٠٢، ومعناه في ملك سليمان. (٢: ١٨٦)

نحوه الطّبَريّ (١٦: ١٨٨)، والزّجّاج (٣: ١٦٨).

الثّعالبيّ: (في) بمعنى «على» كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ لأنّ الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور. [ثمّ استشهد بشعر] (٣٥٨)

الزّمَخْشَريّ: شبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشّيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾. (٢: ٥٤٦)

نحوه البَيْضاويّ. (٢: ٥٥)

ابن عَطيّة: قوله: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ اتّساع من حيث هو مربوط في الجذع، وليست على حدّ قولك: ركبت على الفرس. (٤: ٥٣)

أبوحَيّان: وأراد بالتّقطيع والتّصليب في الجذوع: التّمثيل بهم، ولمّا كان الجذع مقرًّا للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظّرف على المظروف عُدّي الفعل بـ(في)

الّتي للوعاء. وقيل: (في) بمعنى «على».

وقيل: نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله، فصار ظرفًا لهم حقيقةً، حتّى يموتوا فيه جوعًا وعطشًا...

(٦: ٢٦١)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٤٧٣)

أبوالسُّعود: أي عليها، وإيثار كلمة (في) للدّلالة على إبقائهم عليها زمانًا مديدًا، تشبيهًا لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف المشتمل عليه. (٤: ٢٩٥)

نحوه البُرُوسَويّ. (٥: ٤٠٦)

الآلوسيّ: [نحو البُرُوسَويّ وأضاف:]

وفيه استعارة تبعيّة، والكلام في ذلك شهير.

وقيل: لااستعارة أصلًا لأنّ فرعون نقر جذوع النّخل وصلبهم في داخلها ليموتوا جوعًا وعطشًا، ولايكاد يصحّ، بل في أصل الصّلب كلام.. (١٦: ٢٣٢)

المُصْطَفَويّ: التّعبير بكلمة (في) فإنّ الصّلب في ذلك الزّمان كان بشدّ المصلوب يديه أو بدنه أو رجليه بالمسمار، على عود مخصوص حتّى يموت. (٢: ٦٨)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجِذْع، وهو ساق النّخلة، وكان يطلق ـ فيما يبدو ـ على أوّل مايظهر من ساقها، ثمّ عُمّم على سائرها، لأنّهم قالوا: «لايبين النّخلة جِذْع حتّى يَبين ساقها». والجمع: أجذاع، وجذوع.

ومنه: الجَذَع: الصّغير السّنّ من الدّوابّ، ففي الإبل مادخل السّنة الخامسة، وفي الضّأن مادخل الثّانية، وفي ذوات الحافر مادخل الثّالثة. والأُنثى: جَذَعَة، والجمع: جِذاع وجِذْعان وجُذْعان، وقد أجذَع. وتجاذَع الرّجل: أرى أنّه جَذَع على المثل، ويقال على التّشبيه: جَذْعان الجبال، أي صغارها.

ويقال مجازًا: فلانٌ في هذا الأمر جَذَع، أي أخذ فيه حديثًا، وأعَدْتُ الأمر جَذَعًا: جديدًا كما بدأ، وفُرّ الأمرُ جَذَعًا: بُدِئ، وفُرّ الأمرَ جَذَعًا: ابدأه. ويسمّى الدّهر جَذَعًا لأنّه جديد، يقال: لاآتيك الأزْلَمَ الجَذَع، أي لاآتيك أبدًا، لأنّ الدّهر أبدًا جديد، وإذا طفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعَدْناها جَذَعة، أي أوّل مايُبدأ فيها.

٢ـ وقد عُرف الجِذْع في السّريانيّة بلفظ «جُزْعا» وهو أصل أصيل لهذه المادّة، وماجاء مخالفًا لها فليس منها، كقولهم: جَذَعَ الرّجل يَجذَعُه جَذْعًا، أي حبسه، وجَذَعَ الرّجل عيالَه: حبسَ عنهم خيرًا، وجَذَعَ الدّابّة: حبسها على غير علف.

إذ هو من مادّة «ج د ع» يقال: جَدَعتُه، أي سجنتُه وحبستُه فهو مجدوع، وجدَعَ الرّجل عيالَه: حبس عنهم الخير.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها (جِذْع) مرّتين و(جُذُوع) مرّة بمعنى واحد:

١و٢ـ ﴿فَاَجَاءَهَا الْمَخَاضُ اِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ ﴿فَنَادٰيهَا مِنْ تَحْتِهَا اَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ﴿وَهُزِّي اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾

مريم: ٢٣ ـ ٢٥

٢ـ ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ طٰه: ٧١

يلاحظ أوّلًا: أنّه جاء في (١) و(٢) (جِذْعِ النَّخْلَةِ)واللّام للعهد الحضوريّ، أي كانت هناك نخلة حاضرة؛ إذ لم يسبق ذكر لها ولاسيّما في (١) كي تكون للعهد الذّكريّ، ولامعنى للجنس هنا وإلّا لكانت نكرة «جِذْعُ نَخْلَة».

قالوا: كانت هناك نخلة يابسة، والتجأت مريم إليها من شدّة المخاض. وقد عبّر القرآن عن هذه الحالة بألطف بيان: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي كأنّها أُخذت وجُلبت إلى النّخلة بغير اختيارها، تعبيرًا عن صعوبة مرضها وشدّة وجعها. وقد جاءت (أَجَاءَ) بمعنى اضطرّه وألجأه ـ لاحظ ج ي ء ـ فاخضرّت النّخلة إعجازًا، وتساقطت عليها رطبًا جنيًّا.

وفي ذلك يقول الطّباطبائيّ: «التّعبير بـ(جِذْعِ النَّخْلَةِ) دون (النَّخْلَة) مشعر بكونها يابسة غير مخضرّة... ونسبة الهزّ إلى الجذع والمساقطة إلى النّخلة لايخلو من إشعار بأنّ النّخلة كانت يابسة، وإنّما اخضرّت وأورقت وأثمرت رطبًا جنيًّا لساعتها».

ونقول: جاء في اللّغة «الجذع» من الشّجر تارةً بمعنى أصلها وساقها، وأُخرى، بمعنى فرعها وغصنها؛ فبأيّ المعنيين تشعر بكونها يابسة! وقد أُريد بها معنى واحد في الموردين. فإن جاءت إليها لتعتمد عليها أو لتحتضنها ـ كما قيل ـ فالأنسب هو الأوّل، وإن جاءت لتستتر بها، فالثّاني، ولاإشعار في شيء منها بكونها يابسة، لو لم يُشعر الثّاني بكونها مخضرّة؛ إذ لايُستتر بنخلة يابسة، ويؤيّده أنّ الهزّ تعلّق بالجذع دون النّخلة، والنّخلة لاتُهزّ، لأنّها كبيرة لاتتحرّك بالهزّ، ولاتُساقط به رُطبًا.

وقد أيّدوا كونها يابسة بأنّ ذلك كانت تسلية لمريم في تلك الحالة الشّاقّة جسمًا وروحًا؛ حيث كانت مظنّة السّوء فسلّاها الله بالنّخلة اليابسة الّتي اخضرّت وأثمرت وساقطت عليها رُطبًا فأكلته، فكانت آية لها بأنّ الله قادرٌ أن يرزقها ولدًا من دون أن يمسّها رجل، وأن يرفع عنها مظنّة السّوء.

إضافة إلى أنّ مواجهتها بتلك الحادثة العجيبة الخارقة للعادة صرفتها طبعًا عن قلقها النّفسانيّ وألمها الجسمانيّ معًا، في لحظة هي أمسّ حاجة إليها من كلّ زمان.

وإلى أنّ الرّطب ـ كما قيل ـ دواء وعلاج للمرأة حال النّفاس ـ وهي خُرسة النّفساء على حدّ تعبير الزّمخشريّ ـ فعالجها الله بذلك جسمًا وروحًا.

وإلى مانبّه عليه الفخرالرّازيّ: من أنّ الأُنثى لاتلد إلّا بالذّكر، فكذا النّخلة لاتثمر إلّا عند اللّقاح، فأثمرت تلك النّخلة من غير لقاح لتطمئنّ مريم على أنّها تأتي من الله بالولد من غير ذكر.

وإلى مانبّه عليه الزّمخشريّ: أنّ النّخلة أقلّ شيء صبرًا على البرد، وثمارها إنّما هي من جُمّارها، فكذلك الحامل أقلّ شيء صبرًا على مخاضها.

وإلى مانبّه عليه الآلوسيّ من «أنّ الله أرشدها إلى النّخلة، ليُريها فيما هو أشبه الأشجار بالإنسان من آياته

مايسكن رُوعتها: كإثمارها بدون رأس، وفي وقت الشّتاء الّذي لم يعهد ذلك فيه، ومن غير لقاح كما هو المعتاد، وفي ذلك إشارة أيضًا إلى أنّ أصلها ثابت وفرعها في السّماء، وإلى أنّ ولدها نافع كالثّمرة الحلواء، وأنّه عليه السلام سيحيي الأموات، كما أحيا الله بسببه الموات، مع مافي ذلك من اللّطف بجعل ثمرتها خُرسة لها. [أي طعامًا لها]

ثانيًا: قالوا: في الباء من ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أنّها زائدة، مثل ﴿وَلَاتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥، لكنّا لانوافق فيها ولافي غيرها أن يكون في القرآن حرفٌ زائدٌ، بلانكتة، فهذا بعيد عن بلاغة القرآن، وقد ذكروا لها وجوهًا:

منها قول الطّبَريّ أنّها كما يقال: زوّجتك فلانة، وزوّجتك بفلانة، وكما قال: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ المؤمنون: ٢٠، وإنّما تفعل العرب ذلك لأنّ الأفعال تُكنّى بها بالباء، فيقال إذا كنّيت عن «ضربت عمرًا»: فعلت به، وكذلك كلّ فعل، فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج، فيكون دخولها وخروجها بمعنى، فمعنى الكلام: وهُزّي إليك جذع النّخلة. ثمّ قال: «ولو فسّروه: وهُزّي إليك رطبًا بجذع النّخلة، بمعنى على جذع النّخلة، لكان وجهًا، ولكن لستُ أحفظ عن أحد فسّره كذلك».

وحاصل ماذكره وجهان:

أحدهما: أنّ الباء هنا تُشعر بالتّكنية عن «الهزّ» بالفعل، كأنّه قال: هُزّي إليك جذع النّخلة، وافعلي بها ذلك، فجمع بين التّصريح والتّكنية تأكيدًا.

ثانيهما: بالتزام التّقديم والتّأخير فيها، أي: وهُزّي إليك رطبًا بجذع النّخلة، أي على جذع النّخلة.

ومنها قول الزّمَخشَريّ والطَّبْرِسيّ: إنّ الباء وصلة للتّأكيد، كقوله: ﴿وَلَاتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أو على معنى افعلي الهزّ. وحاصل قولهما وجهان أيضًا: ثانيهما مثل الوجه الأوّل عند الطّبَريّ. وابن عَطيّة اختار الوجه الأوّل منه، وهو الزّيادة تأكيدًا، إلّا أنّه قال في التّمثيل: «وفي هذا التّمثيل عندي نظرٌ».

ومنها قول الآلوسيّ: إنّ الباء للآلة، كما في «كتبت بالقلم» وقد فضّله على غيره من الوجوه الّتي ذكرها، ولابأس به، إلّا أنّه يخطر بالبال أنّ الباء في مثله تُشير إلى صعوبة الفعل وأنّه يحتاج إلى الاستعانة عليه بشيء، فلايصدر إلّا به.

وثالثًا: وبعد هذا كلّه فعليك بأن تلوك الآيتين مرّة بعد أُخرى لتتذوّق بلاغة القرآن، وتدرك جمالها، وتقف على إعجازها.

رابعًا: الجذوع في (٣) جمع جذع، وجاء (فِي جُذُوعِ) مكان «على جذوع» فيظهر من ابن عبّاس أنّ (في) عنده بمعنى «على» وتبعه بعضهم.

وهناك وجوهٌ أُخرى:

١ـ إنّما صلحت (في) لأنّه يرفع في الخشبة في طولها، فصلحت (في) و«على» كلاهما، لأنّه يرفع فيها فيصير عليها، ونظيره: ﴿وَاتَّبَعُوا مَاتَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ﴾ البقرة: ١٠٢.

٢ـ إنّ الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور.

٣ـ شبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشّيء المُرعى في وعائه، فقال: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾.

٤ـ اتّساع من حيث هو مربوط في الجذع، وليست على حدّ قولك: «رَكِبْتُ عَلَى الفَرَس».

٥ ـ لمّا كان الجذع مقرًّا للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظّرف على المظروف، عُدّي الفعل بـ(في).

٦ـ إيثار كلمة (في) للدّلالة على إبقائها عليها زمانًا مديدًا، تشبيهًا باستقرار المظروف في الظّرف، فهي استعارة تبعيّة.

٧ـ إنّ فرعون نقر جذوع النّخل وصلبهم في داخلها.

وهذه الوجوه يمكن إرجاع بعضها إلى بعضٍ، وهناك وجه آخر يخطر بالبال، وهو أنّ المصلوب إذا صُلب على جِذْع واشتمل عليه الجذوع الكثيرة، فيصدق عليه أنّه صُلب في جذوع النّخل، ولعلّ بعض تلك الوجوه يرجع إليه.

خامسًا: جاء الجِذْع في الآيات الثّلاث مضافًا إلى النّخل فيبدو أنّ بينه وبين النّخل علاقة نشأت من أنّ النّخل ـ كالزّيتون ـ هو الشّجرة الغالبة على سواحل البحر المتوسّط، فمريم عليها السلام التجأت إلى النّخل في فلسطين فبورك بها، وفرعون صلب السّحرة في مصر على جذوع النّخل فتشاءمت به، وإن شئت قلت: إنّ الجِذْع مفردًا مباركٌ في القرآن، وجمعًا مشؤومٌ، مع أنّه مضاف إلى النّخل دائمًا.

فلاحظ سياق ماجاء بشأن مريم من الحنان، والعفاف والرّحمة، وماجاء بشأن فرعون من الطّغيان والسّلطان، وتقطيع الأيدي والتّصليب والتّعذيب.

ج ذ و

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رجل جاذٍ، وامرأة جاذية، بَيّن الجُذُوّ، وهو القصير الباع.

جذا يَجذُو جُذُوًّا: مثل جثا يَجثو جُثُوًّا، غير أنّ العرب لاتستعمل الجُثُوّ إلّا في عمل الإنسان إذا جثا على رُكْبتَيه، للخصومة ونحوها.

والجُذُوُّ: اللّزوم للموضع، وهو في كلّ شيء، يقال: جذا القُراد في جنب البعير، لشدّة التزامه. وسمّى أبوالنّجم منقار الطّائر بجذاء. [ثمّ استشهد بشعر]

والجذْوَة: قَبَسَةٌ من نار.

والتّجاذي، والإجذاء: إشالة الحَجَر ونحوه، أجْذَيته، وهم يُجْذُونه. (٦: ١٧١)

الكِسائيّ: إذا حمل ولد النّاقة في سَنامه شحمًا، فهو مُجْذ، وقد أجذى. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١١: ١٦٦)

يقال: جِذْوَة، وجُذْوَة وجَذْوَة. (الحَرْبيّ ٣: ١١٧٢)

أبوعمرو الشّيبانيّ: يقول الرّجل: تجذّيتُ يومي أجمع، أي دأبت، وتجذّتِ المرأة على النّسج يومها أجمع. (١: ١١٩)

قال الخُزاعيّ، ثمّ الغاضريّ: أجذيتُ الحجر: أشَلتُه، والحجر: المُجْذَى. (١: ١٢٠)

واجذَوْذَى اجْذِيذاء مثله. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١١: ١٦٦)

جثا وجذا لغتان، والجاذي: القائم على أطرافه. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ١٦٧)

المُجْذوذيّ: الّذي يلازم الرّحْل والمنزل لايفارقه. [ثمّ استشهد بشعر] (الجَوهَريّ ٦: ٢٣٠١)

الفَرّاء: يقال: جُذْوَة من النّار، وجُثْوَة، وجَذْوَة وجَثْوَة؛ وكلٌّ يقول: جِذْوَة. (الأزهَريّ ١١: ١٦٧)

أبوعُبَيْدَة: جِذْوة: قِطْعةٌ غليظةٌ من الحَطَب، مثل الجِذْمة من أصل الشّجر. [ثمّ استشهد بشعر]

(الحَرْبيّ ٣: ١١٧٣)

أجذى الشّيء إجذاءً، وجذا يَجْذو، إذا ثبت؛ لغتان.

(الأزهَريّ ١١: ١٦٦)

﴿جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ...﴾ القصص: ٢٩. الجِذْوَة: مثل الجِذْمَة، وهي القطعة الغليظة من الخشب، ليس فيها لهب، والجميع جُذًى. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١١: ١٦٧)

أبو زَيْد: يقال: أكلنا طعامًا فجاذَى بيننا، ووالى بيننا، وتابع بيننا، أي قتل بعضنا على أثر بعض.

ويقال: جَذَيْته عن كذا وكذا، وأجْذَيته، إذا منعته.

(الأزهَريّ ١١: ١٦٨)

الجِذْوَة: أصل الشّجرة الغليظة. (الحَرْبيّ ٣: ١١٧٢)

الأصمَعيّ: الجَوَاذيّ: الإبل السِّراع اللّاتي لا ينبسطن في سيرهنّ، ولكن يَجْذُون وينتصبن. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ١٦٦)

الجِذْوَة: عُودٌ غليظٌ، يكون أحد رأسيه جمرة، والشّهاب دونها في الدّقّة، والشُّعلة ما كان في سراج أو فتيلة.

جَثَوْتُ وجَذَوْتُ، وهو القيام على أطراف الأصابع. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ١٦٧)

جِذْم كلّ شيء، وجِذْيه: أصله.

(الأزهَريّ ١١: ١٦٨)

إذا سمن سَنام ولد النّاقة قيل: قد أجْذى، وهو مُجْذٍ إجذاءً؛ وإجذاؤه: ارتفاعه.

وأجْذى الصّبيّ أبوه على يده، إذا حمله.

(الحَرْبيّ ٣: ١١٧٢)

الجَذْو: يُبْس الرُّسْغ وانتصابه. (الحَرْبيّ ٣: ١١٧١)

أبو عُبَيْد: ومن هذا حديث ابن عبّاس: أنّه مرّ بقوم وهم يتَجاذون حجرًا، ويروى: يُجْذُون حجرًا، فقال: «عمّال الله أقوى من هؤلاء». وكلّ هذا من الرّفع والإشالة، وهو مثل الرّبع. (١: ٢١)

الإجذاء: إشالة الحجر لتُعرَف به شدّة الرّجل، يقال: هم يُجْذُون حجرًا ويتجاذَوْنَه. (الأزهَريّ ١١: ١٦٦)

في حديث النّبيّ ﷺ: «مثَل المؤمن مثل الخامة من الزّرع تميلها الرّيح، مرّة هكذا ومرّة هكذا، ومثَل المنافق مثل الأرْزة المُجْذية على الأرض حتّى يكون انجعافها مرّة».

والمُجْذية: الثّابتة في الأرض أيضًا. وفيها لغتان: جذَتْ تَجْذُو وأجذَتْ تُجْذي. (١: ٧٧)

ابن الأعرابيّ: الجاذي: على قدميه، والجاثي: على رُكْبَتَيه. (الأزهَريّ ١١: ١٦٦)

يقال: جَذْوَة وجُذْوَة وجِذْوَة.

(إصلاح المنطق: ١١٦)

ابن السِّكّيت: ويقال: رجل جاذٍ وامرأة جاذية للقصير، ويقال: رجل جاذٍ، أي قصير الباع، بيّن الجُذُوّ. [ثمّ استشهد بشعر] (٢٤٨)

يقال: جَذَوتُ وجَثَوْتُ، وهو القيام على أطراف الأصابع. [ثمّ استشهد بشعر] (الإبدال: ١٠٨)

جِذْوَة من النّار، وجِذًى، وهو العود الغليظ يؤخذ فيه نار.

ونَبْتٌ يقال له: الجِذاء، يقال: هذه جِذاء كما ترى، فإن ألقيت منها الهاء فهو مقصور يكتب بالياء، لأنّ أوّله مكسور. (الأزهَريّ ١١: ١٦٧)

الحَرْبيّ: [في قول فضالة] «دخلت على عبد الملك وقد جَذا مِنْخَراه» أي انتصب وامتدّ. (٣: ١١٧١)

وقال الكلابيّ: تجذّيت يومي أجمع، أي دأبتُ، وتجذّت المرأة على النّسج يومها أجمع.

وقال البكريّ: التّجاذي: أن يتجاذَى القوم للرُّكَب للخصومة.

وقوله [ابن عبّاس:] «يجْذُون حجرًا» أي يرْفعون ليعلموا أيّهم أقوى. (٣: ١١٧٢)

ثَعْلَب: الجُذُوّ: على أطراف الأصابع، والجُثُوّ: على الرُّكَب. (ابن سيده ٧: ٥٣٧)

الزّجّاج: أجذى سِنام البعير، في أوّل مايبدو. (فعلت وأفعلت: ٤٦)

ابن دُرَيْد: الجِذْوَة والجَذْوة والجُذْوَة جميعًا: الجمرة الملتهبة، والجمع: جِذًى وجُذَوات وجَذَوات. (٢: ٧٣)

الجاذي المُقْعي منتصب القدمين، وكلّ ثابت على شيء فقد جَذا عليه يَجْذُو جَذْوًا وجُذُوًّا، يقال: جذا، إذا انتصب، وربّما جُعل الجاذي والجاثي سواء.

والجُذْوَة: الجمرة من النّار، والجمع: جُذًى مقصور. (٣: ٢٢٢)

ابن الأنْباريّ: المِجْذَى: عُود يُضرَب به. (الأزهَريّ ١١: ١٦٨)

القالي: فإذا حمل [ولد النّاقة] في سَنامه شَحْمًا، فهو مُجْذٍ. (١: ٢٢)

يقال: جثا يجْثو وجَذا يجْذو، إذا قام على أطراف أصابعه. (٢: ١٢١)

الأزهَريّ: [نقل قول ابن عبّاس «يجْذُون حجرًا» ثمّ قال:]

«الإجذاء» في حديث ابن عبّاس واقعٌ مُتعدٍّ، وهو في هذا الحديث المرفوع[1] لازمٌ غير واقع، يقال: أجذى الشّيءُ يُجْذي إجذاءً، وجذا يجذو جُذوًّا، إذا انتصب واستقام. (١١: ١٦٥)

الصّاحِب: جَذا يَجْذُو: مثل جَثا يجْثو، فهو جاذٍ، غير أنّ العرب لاتستعمل الجُثُوّ إلّا في عمل الإنسان.

والتّجاذي: أن يتجاذى القوم للرُّكَب عند الخُصُومة والفَخار.

وجاذى الله بين بني فلان، إذا دُعي عليهم أن يُقتَلوا أو يموتوا.

وجَذا الشّيء يجْذو، إذا ثبت قائمًا، وأجذى يُجْذي: بمعناه.

ولو جُذّي به الصّخر لتفلّق، أي لو غُرِز به غَرْزًا.

والجَذْوُ: اللُّزُوم للموضع، جَذا القُراد، وجَذَتْ ظَلِفَة الإكاف في جَنْب الحمار.

وسمّى أبوالنّجم منقار الطّائر: مِجْذاءً.

والجِذى: الحَجَر الّذي يُشال، ويُمَدُّ أيضًا. وجَذَوْتُ الحَجَر أجْذوه: أشلته. ويقال: أجْذيته.

والمِجْذاء: عُودٌ يُضرَب به، وهو أيضًا: خشبةٌ مُدَوّرَةٌ يَلْعَب بها الأعراب، وهو سِلاحٌ يُقاتَل به.

و(الجِذْوَة) في القرآن، القصص: ٢٩، عُودٌ تُوخذ فيه النّار، ويقال: جَذْوَة وجُذْوَة.

والجِذاة: نَبْتٌ، يُجمَع جِذًى مقصور.

---

(١) مثل الكافر كمثل الأرزة المجذية.

ويقال لجِذْل الشّجرة : جِذْوَة وجِذْيَة.

والتّجاذي : الانسلال، وتقول : أجْذَيتُهم، وهم يَجْذُون.

والحَمامُ يَتَجَذّى للحَمامَة، وهو أن يمسح الأرض بذَنَبِه إذا هَدَرَ.

والجُذُوّ والجُذِيّ : الاختيال، جَذا البعير يَجْذُو جُذُوًّا، وتَجَذّى تَجَذِّيًا.

وجَذا في المشي يَجْذُو، إذا قطَف.

وتجذّيتُ يومي أجمع، أي دأبت.

والمُجْذَوْذِيّ : الّذي لايفارق الرّحْل مُلازمةً.

وإذا حمَل ولد النّاقة شَحْمًا في سَنامه، فهو مُجْذٍ ومُكْثِر. وجَذا سَنامُه جُذُوًّا، وأجْذَى مثله، وحُوارٌ مُجْذٍ. (٧: ١٦٤)

ابن جنّيّ : [قال بعد كلام ثَعْلَب:]

ليست التّاء بدلًا من الذّال بل هما لغتان.

(ابن سيده ٧: ٥٣٧)

الجَوهَريّ : الجَذْوَة والجُذْوَة والجِذْوَة : الجمرة الملتهبة، والجمع : جِذًى وجُذًى وجَذًى.

والجاذي : المُقْعي منتصب القدمين، وهو على أطراف أصابعه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع جِذاءٌ، مثل نائم ونِيام. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجذى وجذا بمعنًى، إذا ثبت قائمًا.

وكلّ من ثبت على شيءٍ فقد جذا عليه. [ثمّ استشهد بشعر]

والتّجاذي في إشالة الحجر، مثل التّجاثي.

ورجل جاذٍ، أي قصير الباع، وامرأة جاذية. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٢٣٠٠)

ابن فارِس : الجيم والذّال والواو أصل يدلّ على الانتصاب، يقال : جَذَوتُ على أطراف أصابعي، إذا قمت. [ثمّ استشهد بشعر]

قال الخَليل : يقال : جَذا يَجْذُو مثل جَثا يَجْثُو، إلّا أنّ جَذا أدلّ على اللّزوم.

وهذا الّذي قاله الخَليل فدليل لنا في بعض ماذكرناه من مقاييس الكلام، والخَليل عندنا في هذا المعنى إمام.

قال : ويقال جَذا القُراد في جنب البعير، لشدّة التزاقه. وجَذَتْ ظَلِفَة الإكاف في جنب الحمار. [ثمّ ذكر حديث مَثَل المنافق وأضاف:]

ومن الباب تجاذى القوم الحجر، إذا تناولوه.

فأمّا قولهم : رجل جاذٍ، أي قصير الباع، فهو عندي من هذا، لأنّ الباع إذا لم يكن طويلًا ممدودًا، كان كالشّيء النّاتئ المنتصب. (١: ٤٣٩)

الهَرَويّ : يقال : جِذْوَة، وجُذْوَة وجَذْوَة.

واجْذَوْذَت تَجْذَوْذي، بمعنى جَذَت. (١: ٣٣٧)

ابن سيده : جَذا الشّيء يَجْذُو جَذْوًا، وجُذُوًّا، وأجْذَى، كلاهما : ثبت قائمًا.

وقيل : الجاذي كالجاثي. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجْذَى الحجر : أشاله.

وأجْذَى طَرْفَه : نصبه، ورمى به أمامه. [ثمّ استشهد بشعر]

وتجاذَوه : ترابَعوه ليرفَعُوه.

وجذا القُراد في جَنْب البعير جُذُوًّا : لَصِق به ولَزِمه.

ورجل مُجْذَوْذٍ : متذلّل، عن الهَجَريّ، وإذا صحّت

اللّفظة عن الهَجَريّ فهو عندي من هذا، كأنّه لَصِق بالأرض من ذُلّه.

ومِجْذاء الطّائر: منقاره.

وقال أبو ليلى: الجواذي: الّتي تَجْذُو في سيرها، كأنّها تَقْلَع السّير. ولاأعرف جَذا: أسرع، ولاجَذا: قلَع.

والجِذْوَة، والجَذْوَة، والجُذْوَة: القبسة من النّار، وقيل: هي الجَمْرة، والجمع: جِذًا، وجُذًى.

وحكى الفارسيّ: جذاء، ممدود، وهو عندي جمع جَذْوَة، فيطابق الجمع الغالب على هذا النّوع من الآحاد.

والجِذا: أُصُول الشّجر العظام العاديّة الّتي بِلِيَ أعلاها وبقي أسفلها. [ثمّ استشهد بشعر]

واحدته: جَذاة، قال أبوحنيفة: ليس هذا بمعروف. وقد وَهِم أبو حنيفة، لأنّ ابن مُقبل قد أثبته ـ وهو من هو!! ـ وقال مرّة: الجَذاة من النّبت لم أسمع لها بتحلية، قال: وجمعها: جِذًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٥٣٧)

الجُذُوّ: الإقعاء السّابق، والجاذي: المُقْعي منتصب القدمين. جَذا يَجْذُو جَذْوًا وجُذُوًّا، فهو جاذٍ، والجمع: جِذاء. (الإفصاح ١: ٢٩٥)

الرّاغِب: الجَذْوَة والجُذْوَة: الّذي يبقى من الحطب بعد الالتهاب، والجمع: جُذًى وجِذًى.

يقال: جَذا القُراد في جنب البعير، إذا شدّ التزاقه به، وأجْذَت الشّجرة: صارت ذات جَذْوَة، وفي الحديث: «كمثَل الأرْزَة المُجْذِيَة».

ورجل جاذ: مجموع الباع كأنّ يديه جَذْوَة، وامرأة جاذية. (٩٠)

الزّمَخْشَريّ: جَذا القُراد في جنب البعير، وظَلِفة الإكاف في جنب الحمار، إذا ثبت وارتكز. ومنه جِذْوَة الشّجرة: أصلها. [ثمّ استشهد بشعر]

وأتى بجُذْوَةٍ من نار، وهي عودٌ في رأسه نار.

واجْذَوذى على الرّحل لايفارقه، إذا لزمه. [ثمّ استشهد بشعر]

ورأيتهم يتجاذون الحجر: يتناولونه. وأثقل من مِجْذى ابن رُكانة، وهو الرّبيعة. والحمام يتجذّى للحمامة، وهو أن يمسح الأرض بذَنَبه إذا هَدَر.

ومن المجاز: فلان جِذْوَة شرّ. (أساس البلاغة: ٥٥)

مرّ [النّبيّ ﷺ] بناسٍ يتجاذون مِهْراسًا، فقال: أتحسِبُون الشّدّة في حمل الحجارة؟ إنّما الشّدّة أن يمتلئ أحدكم غيظًا ثمّ يغلبه.

رَبْعُ الحجر وارتباعُه وإجذاؤُه: رفعُه لإظهار القوّة، وسمّي الحجر المربوع: الرّبيعة والمُجْذَى. وفي أمثالهم: أثقل من مُجْذَى ابن رُكانة، وهما من رَبَع بالمكان وجَذا فيه، إذا وقف وثبت، لأنّه عند إشالته الحجر لابدّ له من ثبات واستمكان في موقفه ذلك.

والتّجاذي «تفاعل» من الإجذاء، أي يُجْذي المهراس بعضهم مع بعض، هذا ثمّ هذا. (الفائق ٢: ٢٣)

المَدينيّ: في حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما: «فجَذا على رُكبَتيه» أي جَثا، يقال: جَذا وأجذى، إذا رسَخ وثبَت، وجَذا يَجذُو: مثل جَثا يَجثُو، إلّا أنّ جَذا أدلّ على اللّزوم.

والتّجاذي: تجاثي القوم للرُّكَب عند الخُصومة والفَخار. وجَذَوتُ على أطراف أصابعي: أي قُمتُ.

وهو من قوله: «مثل المنافق مثل الأرْزَة المُـجْذِيَة» أي الرّاسخة الثّابتة. (١: ٣١٣)

ابن الأثير: ومنه حديث فَضالة: «دخلتُ على عبد الملك بن مروان وقد جَذا مِنْخَراه وشَخَصَتْ عيناه، فعَرفنا فيه الموت» أي انتصب وامتدّ. (١: ٢٥٣)

الفَيُّوميّ: الجَذْوَة: الجَمْرة المُلتهبة، وتُضمّ الجيم وتُفتح، فتجمع: جُذًى، مثل مُدًى وقرًى. وتُكسر أيضًا فتكسر في الجمع، مثل جِزْيَة وجِزًى. (١: ٩٤)

الفيروزاباديّ: جَذا جَذْوًا بالفتح وكُسُوًّ: ثبَت قائمًا، كـ أجذى أو جثا أو قام على أطراف أصابعه، والقُراد في جنب البعير: لَصِق به ولزمه، والسَّنام: حَمَل الشّحم.

وأجذى طَرْفه: نصَبه، ورمى به أمامه، والجَواذي: الّتي تَجْذُو في سيرها كأنّها تقلَع.

والجَـذْوَة مُـثلّثة: القَـبْسَة مـن النّـار، والجَمْرة، والجِذْوَة: جمعه جُذًا بالضّمّ والكسر وكجبال.

والجذاة: أُصـول الشّـجر العـظام، جمـعه كـجبال، وموضع.

ورجل جاذٍ: قصير الباع.

والمِـجْذاء كـمِحْراب: خشَـبة مُـدَوّرة تَـلعَبُ بهـا الأعراب سِلاح، والمنقار.

وأجذى الفصيل: حمَـل في سَنامه شَحْمًا.

والمُجْذوذي: مَن يلازم المنزل والرّحـل، نـاقص يائيّ.

جذَيتُه عنه وأجذيتُه: مَـنَعْتُه والجِـذْية بـالكسر: أصل الشّجر، وجِذي الشّيء بالكسر: أصله.

وتجاذى: انسلّ، والحَمام يتَجذّى بالحَمامة، وهو أن يسحب الأرض بذَنَبه إذا هدَر، ناقص واويّ. (٤: ٣١٣)

محمّد إسماعيل إبراهيم: الجَذْوَة: الجمرة الملتهبة، أو هي عودٌ فيه نار بلاهب، وهي القبس. (١: ١٠٤)

المُصْطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو الانتصاب والثّبوت. وهـذا المـعنى يخـتلف بـاختلاف الموارد؛ فالجَذْو للشّيء: ثبوته قائمًا، وللرّجل: قيامه منتصبًا، وللحجر: إثباته منتصبًا، وللشّجر: ثبوت ساقه وانتصابه، وللنّار: وجود عُود في طرفه التهاب.

فحقيقة معنى «الجذْوَة» ليست بجمرة ملتهبة بل عود مستقيم فيه التهاب، وهذه الكلمة إمّا «فَعْلة» بـالفتح للمرّة، أو بالكسر للنّوع، أو بـالضّمّ كـاللُّقمة، بمعنى مايُفعَل به. (٢: ٦٩)

النّصوص التّفسيريّة

جَذْوَة

...قَالَ لِاَهْلِهِ امْكُثُوا اِنّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلّي آتيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ اَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. القصص: ٢٩

ابن عبّاس: قطعة. (٣٢٦)

مثله ابن كثير (٥: ٢٧٨)، و مَغْنيّة (٦: ٦٣)، والطَّباطَبائيّ (١٦: ٣١)، وعِزّة دَرْوَزَة (٣: ١٨٢)، وفضل الله (١٧: ٢٩٠)، وعبد المنعم الجمّال (٣: ٢٣٦٤)

إنّها شهاب من نار ذو لهب. (الماوَرْديّ ٤: ٢٥٠)

الجَذْوَة: قطعة حطب فيها نار. (ابن الجَوْزيّ ٦: ٢١٨)

مُجاهِد: أصل شجرة. (الطَّبَريّ ٢٠: ٧٠)

أي قطعة من الجمر، وهي بلغة جميع العرب.

(الجوهَريّ ٦: ٢٣٠٠)

قَتادَة: أصل الشّجرة في طرفها النّار، السَّعف فيه النّار، أو شعلة من النّار. (الطَّبَريّ ٢٠: ٧٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٤: ٢٥١)

زيد بن أسلم: إنّها عود فيه نار ليس له لهب.

(الماوَرْديّ ٤: ٢٥٠)

الكَلْبيّ: إنّها عُودٌ في بعضه نار وليس في بعضه نار.

(الماوَرْديّ ٤: ٢٥٠)

ابن زَيْد: الجَذْوَة: العود من الحطب الّذي فيه النّار، ذلك الجَذْوَة. (الطَّبَريّ ٢٠: ٧٠)

الفَرّاء: قرأها عاصم (اَوْ جَذْوَةٍ) بالفتح، والقراءة بكسر الجيم أو برفعها. وهي مثل أوطأتك عِشْوَةً وعُشْوَة وعَشْوَة، والرِّغْوَة والرُّغْوَة والرَّغْوَة، ومنه رَبْوَةٌ ورُبْوَةٌ ورِبْوَة. (٢: ٣٠٥)

أبوعُبَيْدَة: أي قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب، وهي مثل الجِذْمَة من أصل الشّجرة، وجماعها: الجِذا. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٠٢)

الطَّبَريّ: [نحو أبي‌عُبَيْدَة وقال:]

وفي (الجِذْوَة) لغات للعرب ثلاث: جِذْوَة بكسر الجيم، وبها قرأت قرّاء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة، وهي أشهر اللّغات الثّلاث فيها، و(جَذْوَةٍ) بفتح الجيم، وبها قرأ أيضًا بعض قرّاء الكوفة[1]. وهذه اللّغات الثّلاث وإن كنّ مشهورات في كلام العرب، فالقراءة بأشهرها أعجب إليّ، وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهنّ. (٢٠: ٧٠)

نحوه الزَّجّاج (٤: ١٤٢)، والواحديّ (٣: ٣٩٨).

أبوزُرْعَة: قرأ عاصم (جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ) بالفتح، وقرأ حمزة (جُـذْوَة) بالضّمّ، وقرأ الباقون (جِذْوَة) بالكسر. ثلاث لغات مثل رَبْوَة، رِبْوَة، رُبْوَة.

وسمعت الشّيخ أباالحسين يقول: سمعنا قديمًا بعض أهل العلم يقول: جِذْوَة: قطعة، وجَذْوَة: جمرة، وجُذْوَة: شعلة. (٥٤٣)

نحوه البَغَويّ (٣: ٥٣٣)، والمَيْبُديّ (٧: ٢٩٩)، والشَّربينيّ (٣: ٩٦)، وشُبَّر (٥: ٢٠).

الطُّوسيّ: [نقل اختلاف القراءات ثمّ قال:]

والكسر أكثر وأفصح. [ثمّ أدام نحو أبي‌عُبَيْدَة]

(٨: ١٤٤)

نحوه الزَّمَخْشَريّ. (٣: ١٧٤)

أبوالسُّعود: ﴿اَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ﴾ أي عُود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لا. [ثمّ استشهد بشعر]

(٥: ١٢٢)

مثله البُرُوسَويّ (٦: ٤٠١)، والآلوسيّ (٢٠: ٧٢)، ونحوه الكاشانيّ (٤: ٨٩)، والقاسميّ (١٣: ٤٧٠٤)، والمَراغيّ (٢٠: ٥٣).

مكارم الشّيرازيّ: هي القطعة من النّار، وقال بعضهم: بل هي القطعة الكبيرة من الحطب. (١٢: ٢٠٥)

الحجازيّ: (الجَذْوَة): الجمرة الملتهبة، وقيل: هي القطعة الغليظة من الخشب، سواء كان في طرفه نار أم

---

(١) لم يذكر القراءة الثّالثة بضمّ الجيم.

لم يكن. (٢٠ : ٢٩)

المُصْطَفَويّ: أي بعُود ملتهب يكفي لنا من اصطلاء مرّة، وإذا فُسّر الجَذْوَة بالنّار الملتهب وكانت الصّيغة للواحد، فكيف يُعقل أن يصطلوا به مع أنّ ذكر النّار يؤيّد ماذكرناه.

وقد أحسن البَيْضاويّ في تفسيرها، حيث قال: (اَوْ جَذْوَةٍ) عود غليظ سواءٌ كان في رأسه نارٌ أو لم يكن، ولذلك بيّنه بقوله: (مِنَ النَّارِ)، وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضّمّ، وكلّها لغات. (٢ : ٦٩)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُذُوّ، وهو الثّبوت واللّزوم، يقال: جَذا الشّيءُ يَجذُو جَذْوًا وجُذُوًّا، وأجذى يُجذي، واجذَوذَى اجذيذاءً، أي ثبت واستقام، وجَذا القُرادُ في جنب البعير جُذُوًّا: لَصِق به ولَزِمَه، وتَجَذَّيتُ يومي أجمَع: دأبتُ ولَزمتُ، وكذا تجذّت المرأة على النّسج يومَها أجمع.

والجُذُوّ أيضًا: الإقعاء، وهو الجلوس على الأليتين ونصب السّاقين والفخذين، يقال: جَذا يَجذُو جَذْوًا وجُذُوًّا، فهو جاذٍ، والجمع: جِذاء.

والمُجْذَوذي: الّذي يلازم الرّحل والمنزل لايفارقه.

والمُجْذي: ولد النّاقة إذا حمل في سنامه شحمًا، وقد أجذى.

والجِذاء: أُصول الشّجر العظام العاديّة الّتي بَلِي أعلاها وبقي أسفلها، واحدتها: جَذاة وجِذْيَة.

ورجل جاذٍ: قصير الباع، وكذا امرأة جاذية، وهو تشبيه بالإقعاء، فكأنّه مقعٍ.

والجاذية: النّاقة الّتي لاتلبث إذا نُتِجَت أن تغرز، أي يقلّ لبنها، فكأنّها تلزم هذه الحالة.

والجِذْوَة والجَذْوَة والجُذْوَة: الجمرة الملتهبة، والجمع: جِذًى وجُذًى، وهو من جِذْيَة الشّجرة، أي أصلها.

ومنه أيضًا: أجذى الحجَر، أي أشاله ورفعه، والحجر مُجْذًى، والتّجاذي في إشالة الحجر مثل التّجاني، يقال: هم يُجْذُون حجرًا ويتجاذَونه، أي يشيلونه ليُعرَف به شدّة الرّجل.

٢ـ وقالوا: جَثا جَثْوًا وجُثُوًّا، كجَذا جَذْوًا وجُذُوًّا، إذا قام على أطراف أصابعه. وعدّه أبوعُبَيْدَة من البدل، وأمّا ابن جنّيّ فقال: «ليس أحد الحرفين بدلًا من صاحبه، بل هما لغتان».

ويبدو أنّ «الثّاء» من «الذّال» بدل، وقد تقدّم في «ج ث و»، لأنّهما قريبا المخرج، وقريبا المعنى، قال ثَعْلَب: «الجُذُوّ على أطراف الأصابع، والجُثُوّ على الرّكب»، وقال ابن الأعرابيّ: «الجاذي على قدميه، والجاثي على ركبتيه»، وقال الجَوْهَريّ: «الجاذي: المقعي، منتصب القدمين وهو على أطراف أصابعه». وقول الجَوْهَريّ يعضد ماذهبنا إليه، ففيه ثبات ولزوم.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد اسمًا، في سورة مكّيّة:

﴿فَلَمَّا قَضٰى مُوسَى الْاَجَلَ وَسَارَ بِاَهْلِهٖٓ اٰنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِاَهْلِهِ امْكُثُوٓا اِنّيٓ اٰنَسْتُ نَارًا لَعَلّيٓ

أتيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ اَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾

القصص: ٢٩

يلاحظ أوّلًا: أنّ الجَذْوَة قبسة من النّار، وهي المناسب هنا من بين المعاني الأُخر ـ مثل: عود غليظ في رأسه نار، أو قطعة كبيرة من الحطب، أو قطعة غليظة من الخشب، أو عود فيه نار ونحوها ـ لقوله: ﴿جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ والخشب ليس من النّار، وكذلك العود.

ثانيًا: قرأُوها بتثليث الجيم ومثّلوا لها: بعِشْوة وعَشْوة وعُشْوة ورِغْوة ورَغْوة ورُغْوة، ورَبْوة ورُبْوة ورِبْوة، واعترف بها الطَّبَريّ، لكنّه رجّح «جِذْوَة» بالكسر، لأنّها أشهر، والقراءة بالأشهر أحبّ إليه من غيرها، وعند الطُّوسيّ والزّمَخْشَريّ أنّها أكثر وأفصح.

ثالثًا: ويتراءى منهم أنّ الثّلاث بمعنى واحد، إلّا أنّ الشّيخ أباالحسين سمع بعض أهل العلم أنّ جِذْوَة بالكسر: قطعة، وجَذْوَة بالفتح: جمرة، وجُذْوَة بالضّمّ: شعلة، ولم يثبت، وليس فيها فرق كثير.

لاحظ «أ ن س» و«ص ل ي».




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ر ح

٤ ألفاظ، ٤ مرّات: ٢ مكّيّتان، ٢ مدنيّتان

في ٣ سُور: ٢ مكّيّتان، ١ مدنيّة

جرَحتُم ١: ١	الجوارح ١: ـ ١
الجُرُوح ١: ـ ١	اجترَحوا ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جَرَحتُه أجرَحُه جَرحًا، واسمُه: الجُرْح.

والجِراحة: الواحدة من ضربة أو طعنة.

وجوارح الإنسان: عوامل جسَده من يديه ورِجْلَيه، الواحدة: جارحة.

واجترَح عملًا: أي اكتسَبَ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجوارح: ذوات الصّيد من السّباع والطّير، الواحدة: جارحة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ المائدة: ٤. (٣: ٧٧)

والجوارح من الطّير والسّباع: ذوات الصّيد، الواحدة: جارحة؛ فالبازي جارحة، والكلب الضّاري جارحة. سمّيت جوارح، لأنّها كواسِبُ أنفُسها، من قولك: جرَح واجترح، إذا اكتسب، قال الله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الجاثية: ٢١.

(الأزهَريّ ٤: ١٤١)

ابن شُمَيْل: جوارح المال: ماوَلَد، يقال: هذه الجارية، وهذه الفرس والنّاقة والأتان من جوارح المال، أي أنّها شابّة مُقبلة الرّحم والشّباب، يُرجى ولَدُها.

(الأزهَريّ ٤: ١٤٢)

أبو عُبَيْدَة: يقال لإناث الخيل: جوارح، واحدتها: جارحة، لأنّها تُكسِب أربابها نتاجها، ويقال: ماله جارحة، أي ماله أُنثى ذات رحم تحمل، وماله جارحة، أي ماله كاسب. وفلان يَجْرَح لعياله ويجترح ويقرش ويقترش، بمعنى واحد. (الأزهَريّ ٤: ١٤١)

الأصمَعيّ: في حديث عبد الملك بن مروان أنّه قال في خطبته: «وقد وعظتكم فلم تزدادوا على الموعظة إلّا استجراحًا».

قوله: استجراحًا، الاستجراح: النّقصان، قال ابن عون: «استَجْرَحت هذه الأحاديث» يعني أنّها كثيرة، وصحيحها قليل. (أبوعُبَيْد ٢: ٤٤٩)

ابن السِّكّيت: جرَحَه جرْحًا، وقد بَجّ جُرْحَه يَبُجُّه بَجًّا، إذا شقّه...

هو رجل جريح وقريح وكليم، وقد جرّح القوم فلانًا وكلّموه وقرحوه. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال للجُرْح إذا جعَل يندى: قد صَهايصَها. فإن سال منه شيء قيل: فصّ يفصّ فصيصًا، وفزّ يفزّ فزيزًا، فإن سال مافيه قيل: قد نجّ ينجّ نجيجًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: قد جاءت آتية الجُرْح، ويقال: خرجَتْ غَثيثَةُ الجُرْح، وهي مِدّتُه، وقد أغثّ، إذا أمدّ، ووَعَا الجُرْحُ يَعي وَعْيًا، إذا سال قَيْحُهُ. والمِدّة والقَيْحُ والوَعْي واحِدٌ، ويقال: قاحَ الجُرْحُ قَيْحًا، وأمدّ إمدادًا، والصّدِيدُ: القَيْحُ الّذي كأنّه الماءُ وفيه شُكْلَةُ دَمٍ. والقَيْحُ: الأبْيَضُ الخاثِرُ الّذي لايُخالِطُه دَمٌ. فإنْ فَسَدتِ القَرْحَةُ وتَقَطَّعت قيل: أرِضَتْ تأرض أرَضًا، وتَديّأت تديّئًا، وتهذّأت تهذُّؤًا. ويقال: أيهتَ إيهاتًا، إذا أنتَنَ، وقد ثَيِتَ يَثْتُ ثَتًّا، إذا استَرْخَى وأنْتَنَ. ويُقال لِلّتي تُسَمَّى الغَرْبَ: الغاذُّ حَيْثُما كان من الجَسَدِ بعد أن يَسيلَ منها الماءُ. ولم يَعْرِفُوا «الغَرْبَ» إلّا في استِغْراب الدَّمْعِ وسَيَلانِهِ عِنْدَ البُكاءِ.

ويقال للدّم إذا مات في الجُرْح: قَرَتَ يقْرِتُ قُرُوتًا، والسِّبار: ماأدخَلْتَهُ في الجُرْحِ لتَنظُرَ إلى قَدر غَوْرِه، ويقال إذا أدخلتَ فيه شيئًا لتَسُدّه به: قد دَسَمْتُه أدْسُمُه دَسْمًا، ويقال لذلك الشّيء: الدِّسام. [ثمّ استشهد بشعر]

فإذا انتقض ونُكِسَ قيل: غفَرَ يَغْفِر غَفْرًا، وزَرِفَ زَرَفًا، وغَبِرَ يَغْبَر غَبَرًا، وتَفلّحَتْ يداه تفلُّحًا، إذا تشقّقتا، ورجل مُتفلِّحُ الشّفَة، إذا أصابها البَرْدُ فتَشقّقتْ. والّذين يشقّون الأرض يُسَمُّون الفلّاحين، ويقال: ضَرا العِرْق بالدّم، إذا اهتزّ. [ثمّ استشهد بشعر]

ونَعَر الجُرْحُ بالدّم يَنْعَر، إذا ارتفع دمه، وإذا سكن وَرَمُ الجُرْح قيل: قد حَمَصَ يَحْمُصُ، وانْحَمَصَ انحماصًا، واشْخَاتَّ اشْخِئتاتًا. فإذا صَلَح وتماثَل قيل: أرَكَ يأرُك أرُوكًا، وجلَبَ الجُرْح يَجْلُب، وهو جُرْحٌ جالب، إذا كانت عليه قِشْرَة غليظة عند البُرْءِ، وأجلَبَ، لغة. (١٠٣)

ثعْلَب: واستجرح القومُ: ذهب خيارهم. (ابن سيده ٣: ٧٤)

ابن دُرَيْد: جرَحتُ الرّجل أجرَحُه جَرْحًا، والجمع: الجِراح والجُرُوح.

وفلان جارح أهله وجارحة أهله، إذا كان كاسبهم.

وسمّيت الطّير والكلاب جوارح، لأنّها تجرح لأهلها، أي تكسب لهم.

وجوارح الإنسان من هذا، لأنّهنّ يجترحن له الخير أو الشّرّ، أي يكتسب بهنّ، نحو اليدين والرّجلين والعينين والأُذنين.

وفي التّنزيل ﴿أمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ﴾ الجاثية: ٢١، أي اكتسبوا ـ والله أعلم ـ وفي الحديث: «فتَنطِق الجوارح يوم القيامة» والله أعلم.

ويقال: جرَح الرّجل الرّجل إذا سبّه بكلام، وجرحه بلسانه، إذا شتمه. (٢: ٥٤)

القاليّ: «لاأبق الله له سارحًا ولاجارحًا» السّارحة: الماشية، الإبل والبقر والغنم، لأنّها تَسْرَحُ في المرعى. والجارح: الفرس والحمار.

ولايكون البعير جارحًا. وإنّما قيل للفرس والحمار: جارح، لأنّ الفرس والحمار تجرح الأرض بوطئها، أي تؤثّر فيها بحوافرها. (ذيل الأمالي والنّوادر ٢: ٥٩)

الأزهَريّ:...قول اللّيث: «الجراحة: الواحدة...» خطأ، ولكن يقال: جُرْح وجِراح وجِراحة، كما يقال: حِجارة وجِمالة وحِبالة، لجمع الحَجَر والحَبْل والجَمَل.

ورُوي عن بعض التّابعين أنّه قال: «كثرت هذه الأحاديث واستَجرحَتْ» أي فسدت، وقلّ صِحاحُها. (٤: ١٤٠)

الصّاحِب: الجَرحُ: فِعْل الجارح، جرَحتُه جَرْحًا.

والجُرحَة: كلّ ماجرَّحْتَ به خُصُومك وشهودك، ويقول القاضي: قد أقصَصْتُك الجُرْحَة، للخصم إذا أراد أن يوجّه عليه القضاء؛ والجُرحُ: الاسم. [ثمّ أدام نحو الخَليل وأضاف:]

وجَرَّح فيهم بعطاءٍ كثير وجرَحَ واحدٌ. (٢: ٤٠١)

الجَوهَريّ: جَرَحَه جَرْحًا، والاسم: الجُرْح بالضّمّ، والجمع: جُرُوح. ولم يقولوا: أجراح، إلّا ماجاء في شعر.

والجِراح: جمع جِراحة بالكسرة.

ورجل جريح وامرأة جريح، ورجال ونسوة جَرْحَى.

وجَرَّحه، شُدّد للكثرة.

وجَرَح واجترَح، أي اكتسب.

والجوارح من السّباع والطّير: ذوات الصّيد.

وجوارح الإنسان: أعضاؤه الّتي يكتسب بها.

والاستجراح: العيب والفساد. (١: ٣٥٨)

نحوه الرّازيّ (١١٣)، والطُّريحيّ (٢: ٣٤٥).

ابن فارِس: الجيم والرّاء والحاء أصلان: أحدهما الكسب، والثّاني شقّ الجلد.

فالأوّل قولهم: اجترح، إذا عمل وكسب، قال الله عزّوجلّ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الجاثية: ٢١.

وإنّما سمّي ذلك اجتراحًا، لأنّه عمل بالجوارح، وهي الأعضاء الكواسب.

والجوارح من الطّير والسّباع: ذوات الصّيد.

وأمّا الآخر فقولهم: جرَحَه بحديدة جَرْحًا، والاسم: الجُرْح.

ويقال: جرَح الشّاهد، إذا ردّ قوله بِنَثًا[1] غير جميل. واستَجْرَح فلان، إذا عمل مايُجرَح من أجله.

فأمّا قول أبي عُبَيْد في حديث عبد الملك: «قد وعظتكم فلم تزدادوا على الموعظة إلّا استجراحًا» إنّه النّقصان من الخير، فالمعنى صحيح إلّا أنّ اللّفظ لايدلّ عليه.

والّذي أراده عبد الملك مافسّرناه، أي إنّكم ماتزدادون على الوعظ إلّا مايكسبكم الجَرْح والطّعن عليكم، كما تجرح الأحاديث، وقال أبوعُبَيْد: يريد أنّها

---

(١) لعلّه: بِنَثٍّ غير جميل...وجاء في اللّسان: كلامٌ غثٌّ نثٌّ. (٢: ١٩٤)

كثيرة، صحيحها قليل.

والمعنى عندنا في هذا كالّذي ذكرناه من قبل، وهو أنّها كثرت حتّى أحوج أهل العلم بها إلى جَرح بعضها أنّه ليس بصحيح. (١: ٤٥١)

أبوهِلال: الفرق بين الكسب والجرح: أنّ الجرح يفيد من جهة اللّفظ أنّه فعل بجارحة، كما أنّ قولك: عنته يفيد أنّه من جهة اللّفظ للإصابة بالعين، والكسب لايفيد ذلك من جهة اللّفظ. (١١٢)

الهَرَويّ: يقال: جرَح واجترح، أي اكتسب. وسمّيت أعضاء الإنسان جوارح، لأنّها تكسب وتتصرّف، ويقال: فلان جارحة أهله، أي كاسبُهم.

وفي بعض الحديث: «كثرت هذه الأحاديث واستجْرحَت» أي فسدت وقلّ صِحاحُها، كما يستجرح الشّاهد، فلايُقبل. (٢: ٣٤٠)

الثّعالبيّ: إذا أصاب الإنسان جُرحٌ فجعل يَندى، قيل: صَهِي يَصْهى.

فإذا سال منه شيء، قيل: فَصَّ يَفِصّ وفَزّ يَفِزّ. فإذا سال بما فيه: نَجّ يَنِجّ.

فإذا ظهر فيه القيح، قيل: أمَدّ وأغَثّ، وهي المدّة والغثيثة.

فإذا مات فيه الدّم، قيل: قَرِتَ يَقْرُتُ قُرُوتًا.

فإن انتقَضَ ونُكِس، قيل: غَفَر يَغْفِر غَفْرًا، وزَرِف زَرَفًا.

إذا سكن وَرَمُه قيل: حَمَص يَحْمُص.

فإذا صلَح وتماثل، قيل: أرِكَ يأرَك، واندمل يَندمل.

فإذا علَتْه جلدة للبُرء، قيل: جَلَبَ يَجْلُب، وأجلَب يُجلِب.

فإذا تقشّرت الجلدة عنه للبُرء، قيل: تَقَشْقَش. (١٥٠)

ابن سيده: جرَحه يَجرَحُه جَرْحًا، أثّر فيه بالسّلاح، وجرّحه: أكثر ذلك فيه، والاسم: الجُرْح، والجمع: أجْراح وجُرُوح وجِراح.

والجِراحة: اسم الضّربة أو الطّعنة، والجمعُ: جِراحاتٌ وجِراحٌ، عَلى حَدّ دِجاجَةٍ ودِجاجٍ. فإمّا أن يكون مُكَسّرًا على طَرح الزّائد، وإمّا أن يكون من الجمع الّذي لايُفارق واحدَه إلّا بالهاء.

ورجُلٌ جَرِيحٌ، من قَوْمٍ جَرحَى، ولايُجْمَعُ جَمْعَ السّلامَةِ، لأنّ مؤنّثه لاتَدخُلُه الهاءُ.

ونِسْوَةٌ جَرحَى كَرِجالٍ جَرحَى.

وجَرَحَه بِلِسانه: شَتَمَهُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرَحَ السَّيْلُ الموضعَ يجْرَحُه: خَدّ فيه.

وجَرَّحَ الرّجل: غَضّ شهادتَه.

والاستِجْرَاحُ، النُّقصانُ، وهو منه.

وجَرَح الشّيء واجترَحه: كَسَبه، وفي التّنزيل: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّيكُمْ بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ الأنعام: ٦٠، وفيه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الجاثية: ٢١، وفلانٌ جارح أهله وجارحتهم، أي كاسبهم.

والجوارح من الطّير والكلاب: ذوات الصّيد، لأنّها تجرَح لأهلها، أي تكسِب لهم، وفي التّنزيل: ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ المائدة: ٤.

وجوارح الإنسان: عوامل جسده، كيَدَيْه ورِجْلَيه،

واحدتها: جارِحة، لأنّهن يَجرَحْنَ الخيرَ أو الشرّ، أي يَكْتَسِبْنَه.

وجرَح له من ماله: قطع له قِطْعَةً منه، عن ابن الأعرابيّ. وردّ عليه ثَعْلَب، ذلك يقال: إنّما هو «جَزَح» بالزّاي، وكذلك حكاه أبو عُبَيْد.

وقد سمّوا: جَرّاحًا، وكنَوا بأبي الجرّاح. (٣: ٧٤)

جرَح فلانًا يَجرَحُه جَرْحًا: شقّ في بدنه شقًّا، والاسم: الجُرْح والجِراحة. وجمع الجُرْح: جُروح وأجراح وجِراح، وقيل: أجراح قليلة.

والجِراحة: الجُرْح، وجمعها: جِراح وجراحات.

والجَرْحى: جمع جريح، للمذكّر والمؤنّث، وجَرِح فلان يجرَح جَرَحًا: أصابته جِراحة. (الإفصاح ١: ٥٣٨)

الرّاغِب: الجُرْح: أثر داءٍ في الجلد، يقال: جَرَحَه جُرْحًا[1] فهو جريح ومجروح، قال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ المائدة: ٤٥.

وسمّي القَدْح في الشّاهد جُرْحًا[2] تشبيهًا له.

وتسمّى الصّائدة من الكلاب والفهود والطّيور جارحة، وجمعها: جوارح، إمّا لأنّها تجرح وإمّا لأنّها تكسب، ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ المائدة: ٤.

وسمّيت الأعضاء الكاسبة: جوارح، تشبيهًا بها لأحد هذين.

والاجتراح: اكتساب الإثم، وأصله من «الجِراحة» كما أنّ الاقتراف من قَرْف القَرْحة، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الجاثية: ٢١. (٩٠)

نحوه الفيروزاباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٧٦)

الزَّمَخْشَريّ: عن عبد الملك: «...إلّا استِجْراحًا» هو «استفعال» من الجَرْح، وهو الطّعن على الرّجل وردّ شهادته، أي لم تزدادوا إلّا فسادًا، تستحقّون به أن يُطْعَن عليكم، كما يُفْعَل بالشّاهد.

ومنه قول ابن عون رحمه الله: «استَجْرَحَتْ هذه الأحاديث» أي كثُرت حتّى دَعَتْ أهل العلم إلى جَرْح بعضها. (الفائق ١: ٢٠٨)

به جُرْحٌ وجُرُوح وجِراحٌ وجِرَاحَةٌ وجِراحات وجرائحُ، وهو جريح وهم جَرْحى، وجاءوا مجرَّحين مكلَّمين.

ومن المجاز: جَرَحَه بلسانه: سبّه، وجرّحوه بأنياب وأضراس، إذا شتموه وعابوه.

وبئس ما جَرَحَتْ يداك واجتَرَحَتْ يداك، أي عَمِلتا وأثّرتا، وهو مستعار من تأثير الجارح، ومنه جوارح الإنسان، وهي عوامله من يَدَيْه ورِجْلَيه، وجوارح الصّيد.

وجرَح القاضي الشّاهد، ويقال للمشهود عليه: هل معك جُرْحَه، وهي ماتُجْرَح به الشّهادة.

وكان يقول حاكم المدينة للخصم إذا أراد أن يوجّه عليه القضاء: قد أقصَصْتُك الجُرْحَة، فإن كان عندك ماتَجْرَح به الحجّة الّتي توجّهت عليك فهلُمّها، أي أمكنتك من أن تقُصّ ماتَجْرَح به البيِّنة.

واستَجْرَح فلان: استحقّ أن يُجْرَح. [ثمّ ذكر حديث عبد الملك وابن عون] (أساس البلاغة: ٥٥)

ابن الأثير: فيه: «العَجْماء جَرْحُها جُبار» الجَرْح

---

(١) و (٢) هكذا في الأصل. والظّاهر: جَرْحًا.

هاهنا بفتح الجيم على المصدر لاغير، قاله الأزهريّ. فأمّا الجُرْح بالضّمّ فهو الاسم.

ومنه حديث بعض التّابعين «كثرت هذه الأحاديث واستَجْرَحَت» أي فسدت وقلّ صحاحُها، وهو «استفعل» من جرَح الشّاهد، إذا طعَن فيه، وردّ قوله. أراد أنّ الأحاديث كثرت حتّى أحوجت أهل العلم بها إلى جَرْح بعض رواتها، وردّ روايته. (١: ٢٥٥)

الصّغانيّ: جرَح فلان فلانًا، إذا سَبّه، وجرَحَه بلسانه، إذا شتَمه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرْح: خلاف التّعديل، يقال: جَرَح الحاكم الشّاهد، إذا عثَر منه على مايسقط معه عدالته، من كَذِب وغيره.

والجرّاح: من الأعلام.

جَرَح، إذا أصابته جراحة في بدنه.

وجَرِح، إذا جُرِحت شهادته. (٢: ١٤)

الفَيّوميّ: جرَحه جَرْحًا، من باب «نفع». والجُرْح بالضّمّ: الاسم، وهو جريح ومجروح وقوم جَرْحى، مثل قتيل وقتلى. والجِراحة بالكسر: مثل الجُرْح، وجمعها: جِراح وجراحات.

وجَرَحه بلسانه جَرْحًا: عابه وتنقّصه، ومنه: جرَحْتُ الشّاهد، إذا أظهَرْت فيه ماتُرَدّ به شهادته.

وجرَح واجترَح: عمل بيده واكتسب، ومنه قيل لكواسب الطّير والسّباع: جوارح، جمع جارحة، لأنّها تكتسِبُ بيدها، وتُطلَق الجارحة على الذّكر والأُنثى كالرّاحلة والرّاوية.

واستجرح الشّيء: استحقّ أن يُجرَح. (١: ٩٥)

الفيروزاباديّ: جَرَحه كمنَعَه: كلَمَه كجَرّحَه، والاسم: الجُرْح بالضّمّ، جمعه: جُرُوح، وقلّ أجراح. والجِراح بالكسر: جمع جِراحَة. ورجل وامرأة جريح، جمعه: جَرْحى.

وجَرَح، كمنَع: اكتسب كاجترَح، وفلانًا: سبّه وشتَمه، وشاهدًا: أسقط عدالته.

وكسَمِع: أصابَتْهُ جِراحَة، وجُرِحت شهادته.

والجوارح: إناث الخيل، وأعضاء الإنسان الّتي تكتسب، وذوات الصّيد من السّباع والطّير.

وهذه النّاقة والأتان من جوارح المال، أي شابّة مقبلة الرّحم.

والاستجراح: العَيْبُ والفساد. وكشدّاد: علَم. (١: ٢٢٥)

مَجْمَعُ اللُّغَة: جرَحَه يَجرحه جَرْحًا: أثّر فيه بالسّلاح ونحوه، والاسم: الجُرْح بالضّمّ، ويجمع على: جُرُوح.

ويقال: جرَح الشّيء واجترَحه: كسبه واكتسبه.

والجوارح من الطّير والسّباع والكلاب: الّتي تصيد. والواحدة: جارحة، لأنّها تجرح ماتصيده، أو لأنّها تكسبه لأهلها. (١: ١٨٦)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جرَح يده: أحدَث فيها قَطْعًا أو تمزّقًا.

وجرَح الشّخص بلسانه: عابه وتنقّصه.

وجرَح الشّيء واجترحه: اكتسبه.

والجُرُوح: إصابات بالقَطْع في الجلد.

والجوارح: هي مايصيد من السّباع والطّيور

والكلاب المدرّبة على الصّيد، وسمّيت كذلك لأنّها تجرح ماتصيده، وهي جمع جارحة. (١: ١٠٥)

محمود شيت: أ ـ جرَح الجنديّ عدوّه: أصابه بجرح، جرَح المدّعي العامّ شهادته: طعن في إفادته.

ب ـ الجِراحة، يقال: قِسمُ الجِراحة في المستشفى العسكريّ: القسم الّذي يعمل فيه الجرّاحون.

ج ـ الجرّاح: الطّبيب الّذي يعالج الجِراحة.

د ـ المجروح: الجنديّ الّذي فيه جُرح أو جُرُوح. (١: ١٣٩)

العَدْنانيّ: عمليّةٌ جُرْحيّةٌ أو جِراحيّة

ويُخطّئون من يقول: أُجْرِيَتْ لفلانٍ عمليّة جِراحيّة في كُلْيَته، ويقولون: إنّ الصّواب هو:...عمليّة جُرْحيّة، لأنّ البصريّين يرون أن نَنْسِب إلى المفرد عندما نريد النّسب إلى جمع التّكسير، الباقي على دلالة الجمعيّة. فينسبون إلى مدارس وبساتين: مَدْرَسيّ وبُسْتانيّ. [إلى أن قال بعد بحث طويل:]

وهذا يجيز لنا أن نقول:

أ ـ أُجرِيَتْ لفلان عَمَليّة جُرْحيّة.

ب ـ أو أُجرِيَتْ له عَمَليّة جِراحيّة.

أمّا قاموس حِتّي الطّبيّ فيكتفي بذكر العمليّة الجراحيّة. (١١٩)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة، هو الجَرْح، بمعنى تأثير أو شقّ في الطّرف يخالف اقتضاء طبعه وميله. والكسب يكون في غالب الأوقات بسبب جَرْح وتصرّف حتّى يتصرّف فيما يريد، ويجعله تحت اختياره، وذلك الجَرْح بقول أو بعمل يؤثّر فيه.

وتختلف مراتب الجَرْح شدّة وضعفًا بحسب اقتضاء الموارد وتحصيل النّتائج، وهذا النّحو من الاكتساب مذموم غالبًا لخروجه عن الحالة الطّبيعيّة، وتحقّقه بإيجاد الجرح.

ثمّ إنّ الجَرْح قد يتحقّق بالنّسبة إلى نفسه، كما في غالب المعاصي، فإنّها مظالم على نفسه، ويؤثّر فيها تأثير سوء، وتكسب بها عقابًا وإثمًا.

فظهر أنّ الجَرْح لايستعمل في مطلق الكسب، بل في كسب متحصّل بسبب جَرْح، ومقدّمة سوء. [وبعد ذكر الآيات وتفسيرها قال:]

فظهر الفرق بين الاكتساب والاجتراح. وأمّا الاقتراف فهو اكتساب عن طريق الاقتراب والتّصرّف. (٢: ٧٠)

النُّصوص التّفسيريّة

جَرَحْتُمْ

وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفّٰيكُمْ بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ... الأنعام: ٦٠

ابن عبّاس: ماكسبتم. (١١١)

مثله مُجاهِد (الطُّوسيّ ٤: ١٦٩)، وأبوعُبَيْدَة (١: ١٩٤)، والشّربينيّ (١: ٤٢٥)، ونحوه قَتادَة (الطّبَريّ ٧: ٢١٤)، والواحديّ (٢: ٢٨١)، والبغَويّ (٢: ١٣٠)، وابن الجَوْزيّ (٣: ٥٥)، والكاشانيّ (٢: ١٢٦).

ماكتسبتم من الإثم. (الطّبَريّ ٧: ٢١٤)

مثله السُّدّيّ (٢٤٣)، ونحوه الزّمَخْشَريّ (٢: ٢٥)

والنّسَفيّ (۲: ۱٦).

الطَّبَريّ: يقول: ويعلم ماكسبتم من الأعمال بالنّهار...

وأمّا «الاجتراح» عند العرب فهو عمل الرّجل بيده أورجله أو فمه، وهي الجوارح عندهم جوارح البدن، فيما ذُكر عنهم، ثمّ يقال لكلّ مكتسب عملًا: جارح، لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح، ثمّ كثر ذلك في الكلام، حتّى قيل لكلّ مكتسب كسبًا، بأيّ أعضاء جسمه اكتسب: مُجترِح. (۷: ۲۱٤)

الماوَرْديّ: أي ماكسبتم، لأنّه مستفاد بعمل الجارحة، ومنه جوارح الطّير، لأنّها كواسب بجوارحها، وجَرْح الشّهادة هو الطّعن فيها، لأنّه مكسب الإثم. (۲: ۱۲۲)

الطُّوسيّ: أي كسبتم، تقول: فلان جارحة أهله، أي كاسبهم، ومنه ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ المائدة: ٤، أي من الكواسب الّتي تُكسب على أهلها، وهو قول مُجاهِد. (٤: ١٦٩)

ابن عَطيّة: معناه كسبتم، ومنه جوارح الصّيد، أي كواسبه، ومنه جوارح البدن، لأنّها كواسب النّفس.

ويحتمل أن يكون (جَرَحْتُمْ) هنا من «الجَرْح» كأنّ الذّنب جرح في الدّين، والعرب تقول: جَرْح اللّسان كجَرْح اليد.

وروي عن ابن مَسْعُود أو سلمان ـ شكّ ابن دينار ـ أنّه قال: إنّ هذه الذّنوب جراحات، فمنها شوى ومنها مقتلة، ألا وإنّ الشّرك بالله مقتلة. (۲: ۳۰۰)

الطَّبْرِسيّ: أي ماكسبتم من الأعمال على التّفصيل بالنّهار على كثرته وكثرتكم، وفيه إشارة إلى رحمته، حيث يعلم مخالفتهم إيّاه، ثمّ لايعاجلهم بعقوبة، ولايمنعهم فضله ورحمته. (۲: ۳۱۳)

الفَخْرالرّازيّ: يريد ماكسبتم من العمل بالنّهار، ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ المائدة: ٤، والمراد منها: الكواسب من الطّير والسّباع، واحدتها: جارحة ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الجاثية: ٢١، أي اكتسبوا، وبالجملة فالمراد منه: أعمال الجوارح. (١٣: ١٢)

نحوه أبوحَيّان. (٤: ١٤٦)

البَيْضاويّ: كسبتم فيه، خصّ (الَّيْل) بالنّوم، و(النَّهار) بالكسب جريًا على المعتاد. (١: ٣١٤)

نحوه البُرُوسَويّ (٣: ٤٤)، والقاسميّ (٦: ٢٣٤٧).

أبوالسُّعود: أي ماكسبتم فيه، والمراد بالّليل والنّهار: الجنس المتحقّق في كلّ فرد من أفرادهما، إذ بالتّوفّي والبعث الموجودَين فيهما يتحقّق قضاء الأجل المسمّى المترتّب عليهما، لافي بعضهما.

والمراد بعلمه تعالى ذلك: علمه قبل الجَرْح، كما يلوح به تقديم ذكره على البعث، أي يعلم ماتجرحون بالنّهار، وصيغة الماضي للدّلالة على التّحقّق.

وتخصيص التّوفّي باللّيل والجَرْح بالنّهار، مع تحقّق كلّ منهما فيما خصّ بالآخر، للجَرْي على سنن العادة. (٢: ٣٩٤)

الآلوسيّ: أي ماكسبتم وعملتم فيه من الإثم، كما أخرج ذلك ابن جرير وابن المنذر عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما وقَتادَة، وهو الّذي يقتضيه سياق الآية،

فإنّه للتّهديد والتّوبيخ، ولهذا أُوثر (يَتَوَفَّيكُمْ) على يُنيمكم ونحوه، و(جَرَحْتُمْ) على كسبتم إدخالاً للمخاطبين الكفرة في جنس جوارح الطّير والسّباع.

وبعضهم يجعل الخطاب عامًّا والمراد من اللّيل والنّهار: الجنس المتحقّق في كلّ فرد من أفرادهما؛ إذ بالتّوفّي والبعث الموجودَين فيهما متحقّق قضاء الأجل المسمّى المترتّب عليهما. والباء في الموضعين بمعنى «في» كما أشرنا إليه. (۷: ۱۷۲)

الطَّباطَبائيّ: الجَرْح هو الفعل بالجارحة، والمراد به: الكسب، أي يعلم ماكسبتم بالنّهار. والأنسب أن يكون «الواو» حاليّة، والجملة حالاً من فاعل (يَتَوَفَّيكُمْ). (۷: ۱۳۰)

مكارم الشّيرازيّ: (جَرَحْتُمْ) من جرح، وهي هنا بمعنى الاكتساب، أي أنّكم تعيشون تحت ظلّ قدرة الله وعلمه ليلًا ونهارًا، وأنّ الّذي يعلم بانفلاق الحبّة ونموّها في باطن الأرض، ويعلم سقوط أوراق الأشجار وموتها في أيّ مكان وزمان، يعلم بأعمالكم أيضًا.

(٤: ۲۹٦)

الجُرُوح

...وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ...

المائدة: ٤٥

ابن عبّاس: تقتصّ الجراح بالجراح.

(الطّبَريّ ٦: ۲٥۹)

ابن زَيْد: بعضها ببعض. (الطّبَريّ ٦: ۲٥۹)

أبوزُرْعَة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ...﴾ كلّها بالنّصب (وَالْجُرُوحُ) رفعًا، وقرأ نافع وعاصم وحمزة جميع ذلك بالنّصب، وقرأ الكسائيّ كلّها بالرّفع.

فمن قرأ (الْعَيْنَ) أراد: أنّ العين بالعين، فأضمر «أنّ» وهذا مذهب الأخفش. ومذهب سيبويه: نسق على قوله: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾.

وحجّة من رفع (الْجُرُوح) ذكرها اليزيديّ عن أبي عمرو، فقال: رُفع على الابتداء، يعني: والجروح من بعد ذلك قصاص.

وحجّة أُخرى هي إنّما اختاروا الانقطاع عن الكلام الأوّل والاستئناف بـ(الْجُرُوح)، لأنّ خبر (الْجُرُوح) يتبيّن فيه الإعراب، وخبر الاسم الأوّل مثل خبر الاسم الثّاني والثّالث والرّابع والخامس، فأشبه الكلام بعضه بعضًا، ثمّ استأنفوا (الْجُرُوح) فقالوا: (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) لأنّه لم يكن خبر (الْجُرُوح) يُشبه أخبار ماتقدّمه، فعُدل به إلى الاستئناف.

وحجّة الكِسائيّ في ذلك صحّة الخبر عن رسول الله ﷺ أنّه قرأ (وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ) كلّها بالرّفع. قال الزّجّاج: رفعه على وجهين: على العطف على موضع ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ والعامل فيها المعنى «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ النّفس» أي قلنا لهم النّفس. ويجوز أن يكون (وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ) على الاستئناف.

وعند الفرّاء أنّ الرّفع أجود الوجهين؛ وذلك لمجيء الاسم الثّاني بعد تمام خبر الأوّل؛ وذلك مثل قولك: «إنّ عبد الله قائم وزيد قاعد». وقد أجمعوا على الرّفع في قوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأعراف: ١٢٨، فكان إلحاق مااختلفوا فيه إلى ماأجمعوا عليه أولى. (٢٢٥)

الطّوسيّ: من نصب جميع ذلك عطفه على المنصوب بواو الاشتراك، ثمّ استأنف فقال: (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ)، ومن نصب (الْجُرُوحَ) عطفها على ماقبلها من المنصوبات، ومن لم ينصب غير (النّفس) فعلى أنّ ذلك هو المكتوب عليهم، ثمّ ابتدأ ما بعده بيانا مبتدأ. [إلى أن قال:]

وأمّا (الْجُرُوحَ) فإنّه يُقتصّ منها إذا كان الجارح مكافئًا للمجروح، (النّفس)، وتُقتصّ بمثل جراحته: الموضحة بالمُوضحة والهاشمة بالهاشمة والمُنقّلة بالمُنقّلة[1].

ولاقصاص في المأمومة وهي الّتي [تبلغ] أُمّ الرّأس، ولاالجائفة وهي الّتي تبلغ الجوف، لأنّ في القصاص منها تحزيرًا بالنّفس.

ولاينبغي أن يُقتصّ من الجراح إلّا بعد أن تندمل من الجروح، فإذا اندمل اقتُصّ حينئذٍ من الجارح، وإن سرت إلى النّفس كان فيها القَوَد.

وكسر العظم لاقصاص فيه، وإنّما فيه الدّية، وكلّ جارحة كانت ناقصة فإذا قُطعت كان فيها حكومة.

ولايُقتصّ لها الجارحة الكاملة كيَدٍ شلّاء وعين لاتبصر وسنّ سوداء متأكّلة، فإنّ جميع ذلك حكومة لاتبلغ دية تلك الجارحة. وقد روي أنّ في هذه الأشياء مقدّرًا، وهو ثلث دية العضو الصّحيح. وتفصيل أحكام الجنايات والدّيات استوفيناه في «النّهاية والمبسوط» في الفقه، لانطول بذكره هاهنا. (٣: ٥٣٦)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٢: ١٩٩)

الواحديّ: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ تعميم بعد التّخصيص، لأنّه ذكر ﴿الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ وبعدها، وهذا من الجروح أيضًا. والقصاص في الجروح إنّما يثبت فيما أن يُقتصّ فيه، مثل الشّفتين والذّكر والأُنثيين والقدمين واليدين. فأمّا مالايمكن القصاص فيه من رضّة لحم أو كسر عظم أو جراحة في البطن، ففيه أرش. (٢: ١٩٢)

نحوه البغويّ (٢: ٥٦)، وابن عطيّة (٢: ١٩٨)، والفخرالرّازيّ (١٢: ٧)، والخازن (٢: ٤٨).

ابن الجَوْزيّ: يقتضي إيجاب القصاص في سائر الجراحات الّتي استيفاء المثل فيها. (٢: ٣٦٨)

البَيْضاويّ: أي ذات قصاص، وقرأه الكِسائيّ أيضًا بالرّفع، ووافقه ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر على أنّه إجمال للحكم بعد التّفصيل. (١: ٢٧٧)

أبوحَيّان: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي ذات قصاص، ولفظ (الْجُرُوحَ) عامّ والمراد به الخصوص، وهو مايمكن فيه القصاص، وتعرف المماثلة. ولايخاف فيها على النّفس، فإن خيف كالمأمومة وكسر الفخذ ونحو ذلك، فلاقصاص فيه.

ومدلول ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ يقتضي أن يكون الجرح بمثله، فإن لم يكن بمثله فليس بقصاص. [إلى أن قال:]

وأمّا الجروح في اللّحم فقال [عطاء]: فقد ذكر بعض

(١) الموضحة: من الشّجاج الّتي بلغت العَظْم فأوضحت عنه. والهاشمة: شجّة تهشم العظم. والمُنقّلة: من الشّجاج الّتي تُنقّل العظم، أي تكسره.

أهل العلم أنّ القصاص فيها ممكن بأن يقاس بمثل، ويوضع بمقدار ذلك الجرح. (٣: ٤٩٧)

شُبَّر: (وَالْجُرُوحَ) غير ماذكر، أو الأعمّ منه، ورفعه الكِسائيّ أيضًا، وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر لما مرّ. (٢: ١٧٩)

[لاحظ: ق ص ص]

الْجَوَارِحِ

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ. المائدة: ٤

الإمام عليّ عليه السلام: ماقُتل من الجوارح مكلّبين، وذُكرت اسم الله عليه، فكلوا من صيدهنّ. وماقتلت الكلاب لم تعلّموا من قبل أن تُدركوه، فلاتطعموه. (العَرُوسيّ ١: ٥٩٦)

الفهد من الجوارح والكلاب الكرديّة إذا عُلّمت فهي بمنزلة السّلوقيّة. (البَحْرانيّ ٣: ٣٢٨)

ابن عبّاس: من الكواسب. (٨٨)

يعني بـ(الْجَوَارِحِ): الكلاب الضّواري، والفهود والصّقور وأشباهها.

الجوارح: الكلاب والصّقور المعلّمة. (الطّبَريّ ٦: ٩٠)

كلّ شيء صاد فهو جارح. (ابن الجَوْزيّ ٢: ٢٩١)

الإمام السّجاد عليه السلام: الباز والصّقر من الجوارح. (الطّبَريّ ٦: ٩٠)

مُجاهِد: صيد الفهد هو من الجوارح.

الطّير والكلاب. (الطّبَريّ ٦: ٨٩)

مثله ابن عمير. (الطّبَريّ ٦: ٩٠)

الضّحّاك: هي الكلاب. (الطّبَريّ ٦: ٩٠)

نحوه السُّدّيّ (٢٣٣)، والفرّاء (١: ٣٠٢).

طاووس: من الكلاب وغيرها من الصّقور والبيزان، وأشباه ذلك ممّا يُعلَّم. (الطّبَريّ ٦: ٩٠)

الحسَن: كلّ ماعُلِّم فصاد من كلب أو صقر، أو فهد أو غيره. (الطّبَريّ ٦: ٨٩)

الإمام الصّادق عليه السلام: إذا أرسلت بازًا أو صقرًا أو عقابًا فلاتأكل حتّى تُدركه فتذكّيه، وإن قُتل فلاتأكل.

[وعنه عليه السلام] وقد سئل عن إرسال الكلب والصّقر فقال:

وأمّا الصّقر فلاتأكل من صيده حتّى تُدرك ذكاته، وأمّا الكلب فكل منه إذا ذكرت اسم الله عليه، أكل الكلب منه أو لم يأكل.

صيد الكلب إن أرسله صاحبه وسمّى فليأكل كلّ ماأمسك عليه وإن قُتل، وإن أكل فكل مابقي، وإن كان غير معلّم فعلّمه ساعته حين يرسله فليأكل منه، فإنّه معلَّم، فأمّا ماخلا الكلب ممّا يصيد: الفهود والصّقور وأشباه ذلك، فلاتأكل من صيده إلّا ماتُدرك ذكاته، لأنّ الله عزّوجلّ قال: (مُكَلِّبِينَ) فما خلا الكلاب فليس صيده بالّذي يؤكل إلّا أن تُدرك ذكاته. (الكاشانيّ ٢: ١١)

عن جميل بن درّاج قال سألت أباعبدالله عليه السلام عن الرّجل يُرسل الكلب على الصّيد فيأخذه ولايكون معه سكّين يذكّيه بها، أيدعه حتّى يقتله ويأكل منه؟ قال: لابأس، قال الله عزّوجلّ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. ولاينبغي أن يأكل ممّا قتل الفهد. (البَحْرانيّ ٣: ٣٢٦)

أبوعُبَيْدَة : أي الصّوائد ، ويقال : فلان جارحة أهله ، أي كاسبهم ، وفي آية أُخرى (وَمَنْ يَجْتَرِحْ)[1] أي يكتسب ، ويقال : امرأة أرملة لاجارح لها ، أي لاكاسب لها ، وفي آية أُخرى ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الجاثية: ٢١، كسبوا (مَاجَرَحْتُمْ) الأنعام: ٦٠، أي ماكسبتم .

(١ : ١٥٤)

الطَّبَرِيّ : يعني بذلك جلّ ثناؤه: يسألك يامحمّد أصحابك ماالّذي أُحلّ لهم أكله من المطاعم والمآكل؟ فقل لهم: أُحلّ لكم منها الطّيّبات ، وهي الحلال الّذي أذن لكم ربّكم في أكله من الذّبائح ، وأُحلّ لكم أيضًا مع ذلك صيد ماعلّمتم من الجوارح ، وهنّ الكواسب من سباع البهائم والطّير.

سمّيت جوارح لجرحها لأربابها ، وكسبها إيّاهم أقواتهم من الصّيد ، يقال منه : جرح فلان لأهله خيرًا ، إذا أكسبهم خيرًا ، وفلان جارحة أهله ، يعني بذلك كاسبهم ، ولاجارحة لفلانة ، إذا لم يكن لها كاسب . [ثمّ استشهد بشعر]

وتُرك من قوله : ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ﴾ : وصيد ماعلّمتم من الجوارح ، اكتفاء بدلالة ماذُكر من الكلام على ماترك ذكره؛ وذلك أنّ القوم فيما بلغنا كانوا سألوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بقتل الكلاب عمّا يحلّ لهم اتّخاذه منها وصيده ، فأنزل الله عزّ ذكره فيما سألوا عنه من ذلك هذه الآية ، فاستثنى ممّا كان حرّم اتّخاذه منها وأمر بقُنْية كلاب الصّيد ، وكلاب الماشية ، وكلاب الحرث ، وأذِن لهم باتّخاذ ذلك . [إلى أن قال:]

ثمّ اختلف أهل التّأويل في (الْجَوَارِحِ) الّتي عنى الله بقوله : ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ فقال بعضهم : هو كلّ ماعلّم الصّيد فتعلّمه ، من بهيمة أو طائر.

وقال آخرون : إنّما عنى الله جلّ ثناؤه بقوله : ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ الكلاب دون غيرها من السّباع . [إلى أن قال:]

وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : كلّ ماصاد من الطّير والسّباع فمن الجوارح ، وإنّ صيد جميع ذلك حلال ، إذا صاد بعد التّعليم ، لأنّ الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله : ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ كلّ جارحة ولم‌يخصّص منها شيئًا ، فكلّ جارحة كانت بالصّفة الّتي وصف الله من كلّ طائر وسبُع ، فحلال أكل صيدها.

وقد رُوي عن النّبيّ ﷺ، بنحو ماقلنا في ذلك خبرٌ ، مع مافي الآية من الدّلالة الّتي ذكرنا على صحّة ماقلنا في ذلك ، وهو ماحدّثنا [وذكر السّند إلى] عديّ بن حاتم ، قال سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي ، فقال : ماأمسك عليك فكُل ، فأباح ﷺ صيد البازي وجعله من الجوارح . ففي ذلك دلالة بيّنة على فساد قول من قال: عنى الله بقوله: ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ ماعلّمنا من الكلاب خاصّة ، دون غيرها من سائر الجوارح.

فإن ظنّ ظانّ أنّ في قوله : (مُكَلِّبِينَ) دلالة على أنّ (الْجَوَارِحِ) الّتي ذُكرت في قوله : ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ هي الكلاب خاصّة ، فقد ظنّ غير الصّواب؛ وذلك أنّ معنى الآية : قل أُحلّ لكم أيها النّاس في حال مصيركم أصحاب كلاب : الطّيّبات وصيد ماعلّمتموه

---

(١) ومن يجترح : هكذا وردت في الأصول كلّها. ولعلّه يريد الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾ الشورى: ٢٣.

الصّيد من كواسب السّباع والطّير، فقوله: (مُكَلِّبِينَ) صفة للقانص، وإن صاد بغير الكلاب في بعض أحيانه.

وهو نظير قول القائل يخاطب قومًا: أُحلّ لكم الطّيّبات، وماعلّمتم من الجوارح مكلّبين مؤمنين، فعلوم أنّه إنّما عنى قائل ذلك إخبار القوم أنّ الله جلّ ذكره أحلّ لهم في حال كونهم أهل إيمان: الطّيّبات وصيد الجوارح، الّتي أعلمهم أنّه لايحلّ لهم منه إلّا ماصادوه بها، فكذلك قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ لذلك نظير في أنّ التّكليب للقانص، بالكلاب كان صيده أو بغيرها، لا أنّه إعلام من الله عزّ ذكره، أنّه لايحلّ من الصّيد إلّا ماصادته الكلاب. (٦: ٨٨)

الماوَرْديّ: يعني وصيد ماعلّمتم من الجوارح، وهي الكواسب من سباع البهائم والطّير، سمّيت جوارح لكسب أهلها بها، من قولهم: فلان جارحة أهله، أي كاسبهم. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٥)

[سمّيت جوارح] لأنّها تجرح ماتصيد في الغالب.

(ابن الجوزيّ ٢: ٢٩٢)

الطّوسيّ: هي الكواسب من سباع الطّير والبهائم. ولايجوز أن يستباح عندنا أكل شيء ممّا اصطاده الجوارح من السّباع سوى الكلب، إلّا ماأُدرك ذكاته.

وسمّيت الطّير جوارح، لجرحها أربابها، وكسبها إيّاهم أقواتهم من الصّيد. (٣: ٤٣٩)

الواحديّ: يريد: صيد ماعلّمتم، فحذفه. (والْجَوَارِحِ): الكواسب من الطّير والسّباع، الواحدة: جارحة.

سمّيت جوارح لأنّها تكسب أربابها الطّعام بصيدها، وهي الكلاب والفهود والبُزاة والصّقور والزُّمّج والعقاب، فما اصطادت من هذه الجوارح صيدًا فقتلته فهو حلال. (٢: ١٥٦)

البغَويّ: يعني: وأُحلّ لكم صيد ماعلّمتم من الجوارح.

واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضّحّاك والسُّدّيّ: هي الكلاب دون غيرها، ولايحلّ ماصاده غير الكلب إلّا أن يُدرك ذكاتُه. وهذا غير معمول به بل عامّة أهل العلم على أنّ المراد من (الْجَوَارِحِ): الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنّمر والكلب، ومن سباع الطّير كالبازي والعُقاب والصّقر، ونحوها ممّا يقبل التّعليم، فيحلّ صيد جميعها.

سمّيت جارحة: لجرحها أربابها أقواتها من الصّيد، أي كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي كاسبهم. (٢: ١٦)

نحوه الشّربينيّ. (١: ٣٥٥)

الزّمَخْشَريّ: عطف على (الطَّيِّبَات) أي أُحلّ لكم الطّيّبات وصيد ماعلّمتم، فحُذف المضاف. أو تجعل (مَا) شرطيّة، وجوابها: (فَكُلُوا).

(وَالْجَوَارِحِ): الكواسب من سباع البهائم والطّير، كالكلب والفهد والنّمر والعقاب والصّقر والبازي والشّاهين. (١: ٥٩٤)

ابن عَطيّة: ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ تقديره: وصيد ماعلّمتم، أو فاتّخاذ ماعلّمتم.

وأعلى مراتب التّعليم أن يُشلى الحيوان فينشلي،

ويُدعى فيُجيب، ويُزجَر بعد ظفره بالصّيد فينزجر، وأن يكون لايأكل من صيده. فإذا كان كلب بهذه الصّفات ولم يكن أسود بهيمًا، فأجمعت الأُمّة على صحّة الصّيد به، بشرط أن يكون تعليم مسلم ويصيد به مسلم، هنا انعقد الإجماع.

فإذا انخرم شيء ممّا ذكرنا دخل الخلاف، فإن كان الّذي يصاد به غير كلب كالفهد وماأشبهه وكالبازي والصّقر ونحوهما من الطّير، فجمهور الأُمّة على أنّ كلّ ماصاد بعد تعليم فهو جارح، أي كاسب، يقال: جرح فلان واجترح، إذا كسب، ومنه ﴿وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ الأنعام: ٦٠، أي كسبتم من حسنة وسيّئة.

وكان ابن عمر يقول: إنّما يصاد بالكلاب، فأمّا ماصيد به من البُزاة وغيرها من الطّير فما أدركت ذكاته فذكّه فهو حلال لك، وإلّا فلاتطعمه.

هكذا حكى ابن المنذر، قال: وسئل أبوجعفر عن البازي والصّقر أيحلّ صيده؟ قال: لا إلّا أن تُدرك ذكاته، قال: واستثنى قوم البُزاة فجوّزوا صيدها لحديث عَديّ ابن حاتم، قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي فقال: إذا أمسك عليك فكُلْ.

وقال الضّحّاك والسُّدّيّ: ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ هي الكلاب خاصّة. فإن كان الكلب أسود بهيمًا فكره صيده الحسن بن أبي الحسن وقتادة وإبراهيم النّخعيّ.

وقال أحمد بن حنبل: ماأعرف أحدًا يرخّص فيه إذا كان بهيمًا، وبه قال ابن راهويه. فأمّا عوامّ أهل العلم بالمدينة والكوفة فيرون جواز صيد كلّ كلب مُعلَّم. [إلى أن قال:]

﴿الْجَوَارِحِ﴾: الكواسر على ماتقدّم، وحكى ابن المنذر عن قوم أنّهم قالوا: ﴿الْجَوَارِحِ﴾ مأخوذ من الجارح، أي الحيوان الّذي له ناب وظِفر أو مِخْلَب، يجرح به صيده. (٢: ١٥٦)

الطَّبْرِسيّ: أي وأُحلّ لكم أيضًا مع ذلك صيد ماعلّمتم من الجوارح، أي الكواسب من سباع الطّير والبهائم. فحُذف المضاف لدلالة قوله: ﴿مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ عليه، ولأنّه جواب عن سؤال السّائل عن الصّيد.

وقيل: (الْجَوَارِحِ) هي الكلاب فقط، عن ابن عُمَر والضّحّاك والسُّدّيّ، وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام فإنّهم قالوا: هي الكلاب المُعلَّمة خاصّة، أحلّه الله إذا أدركه صاحبه وقد قتله، لقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. (٢: ١٦١)

ابن الجَوْزيّ: في تسميتها بالجوارح قولان:

أحدهما: لكسب أهلها بها، قال ابن قُتَيْبَة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لاجارح لها، أي لاكاسب.

والثّاني: لأنّها تجرح ماتصيد في الغالب، ذكره الماوَرْديّ.

قال أبوسليمان الدّمشقيّ: وعلامة التّعليم أنّك إذا دعوته أجاب، وإذا أشّدته استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك أمسك عليك لاعلى نفسه، وعلامة إمساكه عليك: أن لايأكل منه شيئًا، هذا في السّباع والكلاب.

فأمّا تعليم جوارح الطّير فبخلاف السّباع، لأنّ

الطّائر إنّما يُعلَّم الصّيد بالأكل، والفهد والكلب، وماأشبههما يُعلَّمون بترك الأكل، فهذا فرق مابينهما.

(٢: ٢٩٢)

الفَخْرالرّازيّ: فيه مسائل: المسألة الأُولىٰ [في إعراب الآية].

المسألة الثّانية: في الجوارح قولان: أحدهما: إنّها الكواسب من الطّير والسّباع، واحدها: جارحة. سمّيت جوارح لأنّها كواسب، من جرّح واجترح، إذا اكتسب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي اكتسبوا، وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ أي ماكسبتم. والثّاني: أنّ الجوارح هي الّتي تجرح، وقالوا: إنّ ماأُخذ من الصّيد فلم يسل منه دم لم يحلّ.

المسألة الثّالثة: نُقل عن ابن عمر والضّحّاك والسُّدّيّ: أنّ ماصاده غير الكلاب فلم يُدرَك ذكاته لم يجز أكله، وتمسّكوا بقوله تعالى: (مُكَلِّبِينَ)، قالوا: لأنّ التّخصيص يدلّ على كون هذا الحكم مخصوصًا به. رغم الجمهور: أنّ قوله: ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ يدخل فيه كلّ مايمكن الاصطياد به، كالفهد والسّباع من الطّير: مثل الشّاهين والباشق والعقاب. قال اللّيث: سئل مجاهد عن الصّقر والبازي والعقاب والفهد ومايصطاد به من السّباع، فقال: هذه كلّها جوارح.

وأجابوا عن التّمسّك بقوله تعالى: (مُكَلِّبِينَ) من وجوه:

الأوّل: أنّ المكلّب هو مؤدّب الجوارح ومعلّمها أن تصطاد لصاحبها، وإنّما اشتقّ هذا الاسم من «الكلب» لأنّ التّأديب أكثر مايكون في الكلاب، فاشتقّ منه هذا اللّفظ لكثرته في جنسه.

الثّاني: أنّ كلّ سبع فإنّه يسمّى كلبًا، ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام: «اللّهمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك، فأكله الأسد».

الثّالث: أنّه مأخوذ من الكلب الّذي هو بمعنى الضّراوة، يقال: فلان كلب بكذا، إذاكان حريصًا عليه.

والرّابع: هب أنّ المذكور في هذه الآية إباحة الصّيد بالكلب، لكن تخصيصه بالذّكر لاينفي حلّ غيره، بدليل أنّ الاصطياد بالرّمي ووضع الشّبكة جائز، وهو غير مذكور في الآية، والله أعلم.

المسألة الرّابعة: دلّت الآية على أنّ الاصطياد بالجوارح إنّما يحلّ إذا كانت الجوارح معلّمة، لأنّه تعالى قال: ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾، وقالﷺ لعديّ بن حاتم: إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسم الله فكُلْ. [ثمّ ذكر الأُمور الّتي يكون فيها الكلب معلّمًا عنه الشّافعيّ والحسن البصريّ وأبي حنيفة وغيرهم وأضاف]

المسألة الخامسة: الكلّاب، والمكلّب هو الّذي يعلّم الكلاب الصّيد، فكلّب صاحب التّكليب كمعلّم صاحب التّعليم، ومؤدّب صاحب التّأديب. قال صاحب «الكشّاف»: وقرئ (مُكْلِبِين) بالتّخفيف، وأفعل وفعّل يشتركان كثيرًا.

(١١: ١٤٢)

القُرطُبيّ: أي وصيد ماعلّمتم، ففي الكلام إضمار لابدّ منه، ولولاه لكان المعنى يقتضي أن يكون الحِلّ المسؤول عنه متناولًا للمعلَّم من الجوارح المكلّبين، وذلك ليس مذهبًا لأحد. فإنّ الّذي يُبيح لحم الكلب

فلايُخصّص الإباحة بالمعلَّم، وسيأتي ماللعلماء في أكل الكلب في «الأنعام»[1] إن شاء الله.

وقد ذكر بعض من صنّف في أحكام القرآن: أنّ الآية تدلّ على أنّ الإباحة تتناول ماعلّمناه من الجوارح، وهو ينتظم الكلب وسائر جوارح الطّير، وذلك يوجب إباحة سائر وجوه الانتفاع، فدلّ على جواز بيع الكلب والجوارح والانتفاع بها بسائر وجوه المنافع، إلّا ماخصّه الدّليل، وهو الأكل من الجوارح، أي الكواسب، من الكلاب وسباع الطّير. [إلى أن قال:]

أجمعت الأُمّة على أنّ الكلب إذا لم يكن أسود، وعلّمه مسلم فيَنْشَلي إذا أُشلي[2]، ويجيب إذا دُعي، وينزجر بعد ظفره بالصّيد إذا زُجر، وأن يكون لايأكل من صيده الّذي صاده، وأثّر فيه بجرح أو تنييب، وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند إرساله أنّ صيده صحيح يؤكل بلاخلاف.

فإن انخرم شرط من هذه الشّروط دخل الخلاف، فإن كان الّذي يصاد به غير كلب كالفَهْد ومأشبهه وكالبازي والصّقر ونحوهما من الطّير، فجمهور الأُمّة على أنّ كلّ ماصاد بعد التّعليم فهو جارح كاسب. يقال: جرح فلان واجترح، إذا اكتسب، ومنه الجارحة لأنّها يُكتسب بها، ومنه اجتراح السّيّئات. [ثمّ استشهد بشعر]

(٦: ٦٥)

البَيْضاويّ: و(الْجَوَارِحِ): كواسب الصّيد على أهلها، من سباع ذوات الأربع والطّير. (١: ٢٦٣)

النّسَفيّ: أي الكواسب للصّيد، من سباع البهائم والطّير، كالكلب والفهد والعقاب والصّقر والبازي والشّاهين.

وقيل: هي من الجراحة فيشترط للحِلّ الجَرْح. (١: ٢٧١)

الخازن: يعني وأُحلّ صيد ماعلّمتم من الجوارح، فحُذف وذُكر الصّيد، وهو مراد في الكلام، لدلالة الباقي عليه، ولأنّهم سألوا عن الصّيد.

وقيل: إنّ قوله: (وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ) ابتداء كلام، خبره ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، وعلى هذا القول يصحّ معنى الكلام من غير إضمار.

و(الْجَوَارِحِ): جمع جارحة، وهي الكواسب من السّباع والطّير، كالفهد والنّمر والكلب والبازي والصّقر والعقاب والشّاهين والباشق من الطّير، ممّا يقبل التّعليم. سمّيت جوارح من الجَرْح، لأنّها تجرح الصّيد عن إمساكه.

وقيل: سمّيت جوارح، لأنّها تكسب، والجوارح: الكواسب من جرح واجترح، إذا اكتسب، ومنه: ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الجاثية: ٢١، يعني اكتسبوا، و﴿وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ الأنعام: ٦٠، أي اكتسبتم. (٢: ١١)

نحوه القاسميّ. (٦: ١٨٤٣)

أبوحَيّان: ظاهر (عَلَّمْتُمْ) يخالف ظاهر استئناف (مُكَلِّبِينَ) فغلّب الضّحّاك والسُّدّيّ وابن جُبَيْر وعطاء لفظ (مُكَلِّبِينَ)، فقالوا: (الْجَوَارِحِ) هي الكلاب خاصّة،

---

(١) راجع ج ٧، ص ١١٥.

(٢) أشليت الكلب على الصّيد: دعوته فأرسلته، وقيل: أغريته.

وكان ابن عمر يقول: إنّما يُصطاد بالكلاب.

وقال هو وأبوجعفر: ماصيد بغيرها من باز وصقر ونحوهما، فلايحلّ إلّا أن تُدرك ذكاته فتذكّيه. وجوّز قوم البزاة، فجوّزوا صيدها لحديث عديّ بن حاتم وغلّب الجمهور ظاهر (وَمَاعَلَّمْتُمْ) وقالوا: معنى (مُكَلِّبِينَ) مؤدّبين ومضرّين ومعوّدين، وعمّموا (الْجَوَارِحِ) في كواسر البهائم والطّير ممّا يقبل التّعليم.

وأقصى غاية التّعليم أن يُشلَى فيستشلي، ويُدعى فيُجيب، ويُزجَر بعد الظّفر فينزجر، ويُمتنع من أن يأكل من الصّيد. وفائدة هذه الحال وإن كانت مؤكّدة لقوله: (عَلَّمْتُمْ) فكان يستغنى عنها أن يكون المعلّم مؤتمرًا بالتّعليم حاذقًا فيه موصوفًا به.

واشتُقّت هذه الحال من الكلب وإن كانت جاءت غاية في الجوارح على سبيل التّغليب، لأنّ التّأديب أكثر مايكون في الكلاب فاشتُقّت من لفظه، لكثرة ذلك في جنسه.

قال أبوسليمان الدّمشقيّ: «وإنّما قيل (مُكَلِّبِينَ) لأنّ الغالب من صيدهم أن يكون بالكلاب». واشتُقّت من الكلب، وهي الضّراوة، يقال: هو كلب بكذا، إذا كان ضاريًا به.

قال الزّمخشريّ: «أو لأنّ السّبع يُسمّى كلبًا»، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك فأكله الأسد». ولايصحّ هذا الاشتقاق، لأنّ كون الأسد كلبًا هو وصف فيه، والتّكليب من صفة المعلّم، «الْجَوَارِحِ» هي سباع بنفسها لابجعل المعلّم.

وظاهر قوله: (وَمَاعَلَّمْتُمْ) أنّه خطاب للمؤمنين، فلو كان المعلّم يهوديًّا أو نصرانيًّا فكره الصّيد به، الحسن، أو مجوسيًّا فكره الصّيد به، جابرُ بن عبد الله والحسن وعطاء ومُجاهِد والنّخعيّ والثّوريّ وإسحاق. وأجاز أكل صيد كلابهم مالك وأبوحنيفة والشّافعيّ إذا كان الصّائد مسلمًا. قالوا: وذلك مثل شفرته، والجمهور على جواز ماصاد الكتابيّ، وقال مالك: لايجوز، فرّق بين صيده وذبيحته.

وماصاد المجوسيّ فالجمهور على منع أكله، عطاء وابن جُبَيْر والنّخعيّ ومالك وأبوحنيفة واللّيث والشّافعيّ، وقال أبوثور: فيه قول إنّهم أهل كتاب، وأنّ صيدهم جائز.

(وَمَاعَلَّمْتُمْ) موضع (ما) رفع على أنّه معطوف على (الطَّيِّبَاتُ) ويكون حذف مضاف، أي وصيد ماعلّمتم، وقدّره بعضهم: واتّخاذ ماعلّمتم، أو رُفع على الابتداء و(ما) شرطيّة، والجواب (فَكُلُوا) وهذا أجود، لأنّه لاإضمار فيه.

وقرأ ابن عبّاس وابن الحنفيّة (وَمَاعُلِّمْتُمْ) مبنيًّا للمفعول، أي من أمر الجوارح والصّيد بها، وقرأ (مُكْلِبِينَ) من «أكلب» وفعّل وأفعل قد يشتركان. والظّاهر دخول الكلب الأسود البهيم في عموم (الْجَوَارِحِ) وأنّه يجوز أكل صيده، وبه قال الجمهور.

ومذهب أحمد وجماعة من أهل الظّاهر أنّه لايجوز أكل صيده، لأنّه مأمور بقتله. وماأوجب الشّرع قتله فلايجوز أكل صيده. وقال أحمد: لاأعلم أحدًا رخّص فيه إذا كان بهيمًا، وبه قال ابن راهويه، وكره الصّيد به الحسن وقتادة والنّخعيّ. [ثمّ ذكر شروط التّعليم في

الكلب والطّير والأقوال فيه]　(٣: ٤٢٨)

نحوه ابن كثير.　(٢: ٤٩٤)

السّمين: ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ في محلّ نصب على الحال، وفي صاحبها وجهان:

أحدهما: أنّه الموصول وهو (مَا) والثّاني: أنّه الهاء العائدة على الموصول، وهو في المعنى كالأوّل.

والجوارح: جمع جارحة، والهاء للمبالغة. سمّيت بذلك، لأنّها تجرح الصّيد غالبًا، أو لأنّها تكتسب.

والجَرْحُ: الكسب، ومنه ﴿يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ الأنعام: ٦٠. والجارحة: صفة، جارية مجرى الأسماء، لأنّها لم يُذكر موصوفها.　(٢: ٤٨٩)

أبو السّعود: عطف على (الطَّيِّبَات) بتقدير المضاف، على أنّ (مَا) موصول، والعائد محذوف، أي وصيد ماعلّمتموه؛ أو مبتدأ، على أنّ (مَا) شرطيّة، والجواب (فَكُلُوا).

وقد جُوّز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة أيضًا، والخبر (كُلُوا) وإنّما دخلته الفاء تشبيهًا للموصول باسم الشّرط، و﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ حال من الموصول أو من ضميره المحذوف.

و(الْجَوَارِحِ): الكواسب من سباع البهائم والطّير، وقيل: سمّيت بها، لأنّها تجرح الصّيد غالبًا.　(٢: ٢٣٨)

نحوه البُرُوسَويّ.　(٢: ٣٤٥)

شُبّر: كواسب الصّيد على أهله، من السّباع ذوات الأربع والطّير.　(٢: ١٤٢)

الآلوسيّ: و(الْجَوَارِحِ): جمع جارحة، والهاء فيها ـ كما قال أبوالبقاء ـ للمبالغة، وهي صفة غالبة؛ إذ لايكاد يُذكر معها الموصوف. وفُسّرت بالكواسب من سباع البهائم والطّير، وهو من قولهم: جرح فلان أهله خيرًا، إذا أكسبهم، وفلان جارحة أهله، أي كاسبهم. وقيل: سمّيت جوارح، لأنّها تجرح الصّيد غالبًا.　(٦: ٦٢)

مَغْنيّة: واتّفقت كلمة المذاهب على أنّ صيد الكلب يحلّ أكله بالشّروط الآتية، واختلفت في صيد غيره كالفهد والصّقر ومااُشبه إذا كان معلّمًا يفقه مايفقهه الكلب، قال الشّيعة: لايحلّ، وقال غيرهم: يحلّ. واستدلّ الشّيعة بأنّ لفظ (مُكَلِّبِينَ) خاصّ بصيد الكلب المعلّم، ومهما يكن فلايحلّ صيد الجوارح إلّا مع توافر الشّروط التّالية:

١ـ أن يكون الجارح معلّمًا إذا أمره صاحبه يأتمر، وإذا زجره يتزجر، وهذا هو معنى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾.

٢ـ أن يرسله صاحبه بقصد الصّيد، فلو انطلق من تلقائه، وأتى بالصّيد مقتولًا، فلايحلّ.

٣ـ أن يكون الصّائد مسلمًا عند الشّيعة.

٤ـ أن يسمّي الصّائد عند إرسال الجارح، فيقول: اذهب على اسم الله، ومااُشبه، وهذا معنى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾.

٥ ـ أن يُدرك الجارح الصّيد حيًّا، وأن يسند الموت إلى جَرحه، فلو أدركه ميّتًا لم يحلّ، وكذا إذا أدركه حيًّا، ولكن مات بسبب آخر غير الجارح.　(٣: ١٧)

الطّباطبائيّ: و(الْجَوَارِحِ): جمع جارحة، وهي الّتي تكسب الصّيد، من الطّير والسّباع كالصّقر

والبازي والكلاب والفهود.

قوله: (مُكَلِّبِينَ) حال، وأصل التّكليب: تعليم الكلاب، وتربيتها للصّيد، أو اتّخاذ كلاب الصّيد وإرسالها لذلك.

وتقييد الجملة بـ«التّكليب» لايخلو من دلالة على كون الحكم مختصًّا بكلب الصّيد، لايعدوه إلى غيره من الجوارح. [إلى أن قال:]

ومحصّل المعنى أنّ الجوارح المعلّمة بالتّكليب، أي كلاب الصّيد إذا كانت معلّمة واصطادت لكم شيئًا من الوحش الّذي يحلّ أكله بالتّذكية وقد سمّيتم عليه، فكلوا منه إذا قتلته دون أن تصلوا إليه، فذلك تذكية له، وأمّا دون القتل فالتّذكية بالذّبح والإهلال به لله يغني عن هذا الحكم. (٥: ٢٠٢)

مكارم الشّيرازيّ: تُبين الآية أنواع الصّيد الحلال، فتشير إلى الصّيد الّذي تجلبه أو تصيده الحيوانات المدرّبة على الصّيد، فتؤكّد بأنّه حلال، بقولها: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ...﴾.

وعبارة جوارح مشتقّة من المصدر «جرح» الّذي يعني أحيانًا «الكسب» وتارة يعني «الجُرح» الّذي يصاب به البدن، ولذلك يُطلق على الحيوانات المدرّبة على الصّيد ـ سواء كانت من الطّيور أو من غيرها ـ اسم «جارحة» وجمعها «جوارح» أي الحيوان الّذي يجرح صيده، أو بالمعنى الآخر الحيوان الّذي يكسب لصاحبه.

وأمّا إطلاق لفظة «الجوارح» على أعضاء الجسم، فلأنّ الإنسان يستطيع بواسطتها إنجاز الأعمال أو الاكتساب.

وجملة ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ تشمل كلّ الحيوانات المدرّبة على الصّيد، ولكن كلمة (مُكَلِّبِينَ) الّتي تعني تدريب الكلاب للقيام بأعمال الصّيد، والمشتقّة من مادّة «كلب» أي الكلب، تُقيّد هذه الجملة وتُخصّصها بكلاب الصّيد، ولذلك فإنّها لاتشمل الصّيد بحيوانات غير هذه الكلاب، مثل الصّقور المدرّبة على الصّيد، ولذلك ذهب فقهاء الشّيعة إلى تخصيص الصّيد الحلال بما يصاد من قبل كلاب الصّيد.

لكن جمعًا من علماء السّنّة ومفسّريهم ذهبوا إلى جواز الكلّ، وأعطوا تفسيرًا واسعًا لعبارة (مُكَلِّبِينَ) ولم يخصّصوا ذلك بكلاب الصّيد فقط.

إلّا أنّنا نرى أنّ المصدر الأساس لهذه الكلمة المشتقّة إنّما يدلّ على أنّها مخصّصة بكلاب الصّيد فقط، وبديهيّ أنّ الصّيد الّذي تجلبه حيوانات مدرّبة أُخرى، يعتبر حلالًا في حالة جلبه حيًّا، وذبحه وَفق الطّريقة الشّرعيّة. (٣: ٥٣٤)

اجْتَرَحُوا

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. الجاثية: ٢١

الكَلْبيّ: الّذين أُريد بهم هذه الآية عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة. (الماوَرْديّ ٥: ٢٦٤)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: أم ظنّ الّذين اجترحوا السّيّئات من الأعمال في الدّنيا، وكذّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربّهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في

الآخرة كالّذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصّالحات، فأطاعوا الله وأخلصوا له العبادة، دون من سواه الأنداد والآلهة، كلّا ما كان الله ليفعل ذلك. لقد ميّز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنّة، وحزب الكفر في السّعير. (٢٥: ١٤٨)

الماوَرْديّ: أي اكتسبوا الشّرك. (٥: ٢٦٤)

نحوه ابن عطيّة. (٥: ٨٥)

الطُّوسيّ: الاجتراح: الاكتساب، اجترح السّيّئة اجتراحًا، أي اكتسبها من الجراح، لأنّ له تأثيرًا كتأثير الجراح، ومثله الاقتراف، وهو مشتقّ من قرف القرحة. (٩: ٢٥٨)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٧٧)

الزَّمَخْشَريّ: الاجتراح: الاكتساب، ومنه الجوارح، وفلان جارحة أهله، أي كاسبهم. (٣: ٥١١) مثله الفَخْرالرّازيّ (٢٧: ٢٦٦)، ونحوه البُرُوسَويّ (٨: ٤٤٥)، والآلوسيّ (٢٥: ١٤٩).

الطَّباطَبائيّ: والآية مسوقة سوق الإنكار، و(أم) منقطعة، والمعنى بل أحسب وظنّ الّذين يكتسبون السّيّئات أن نصيّرهم مثل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات مستويًا محياهم ومماتهم، أي تكون حياة هؤلاء كحياة أُولئك وموتهم كموتهم، فيكون الإيمان والتّشرّع بالدّين لغوًا لاأثر له في حياة ولاموت، ويستوي وجوده وعدمه. (١٨: ١٧٠)

الوُجوه والنّظائر

الفيروزاباديّ: ورد «الجَرح» في القرآن على معنيين:

الأوّل: الجَرح بمعنى الكسب ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ المائدة: ٤، أي الكواسب.

الثّاني: بمعنى الجراحة ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ المائدة: ٤٥. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٧٦)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجِراحة، أي أثر الضّرب أو الطّعن، والجمع: جِراح وجِراحات، وهو الجُرْح أيضًا، والجمع جُرُوح وجِراح؛ يقال: جَرَحَه يَجرَحُه جَرْحًا، أي أثّر فيه بالسّلاح، فهو وهي جَريح، وهم وهنّ جَرحَى، وجرّحَه: أكثر الجرح فيه.

ومنه: جَرَحَ الشّيء واجترَحَه: كَسَبه؛ يقال: فلانٌ جارح أهله وجارحتهم، أي كاسبهم، لأنّ الكسب نوع من الإصابة على التّوسّع، كما يأتي عن الطَّبْرِسيّ في الاستعمال القرآنيّ.

والجوارح من الطّير والسّباع والكلاب: ذوات الصّيد، الواحدة: جارحة، لأنّها تجرح أو تكسب لنفسها، من قولهم: جرَح واجترَح.

ويقال لإناث الخيل: جَوارح، لأنّها تكسِب أربابها نتاجها، يقال: ماله جارحة، أي ماله كاسب.

وجوارح المال: ماولَدَ؛ يقال: هذه الجارية وهذه الفرس والنّاقة والأتان من جوارح المال، أي شابّة مقبلة الرّحم والشّباب، يُرجى ولدها.

وجوارح الإنسان: أعضاؤه، لأنّها تجرح الخير والشّرّ، أي تكسبها؛ يقال: جَرَحَه بلسانه، أي شتمه،

﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، أي اكتسبوها.

٢ـ وقد استُعمل الجَرْح في الإسلام للإزراء والثّلب في موضعين:

الأوّل: الشّهادة؛ يقال: استجرح الشّاهد، أي استحقّ أن يُطعَن فيه، وجَرَح الحاكم الشّاهد: عثَر منه على ماتسقط به عدالته من كذب أو فسق، وهو مايطلق عليه في الاصطلاح: الجرح المجرّد.

والثّاني: رواية الحديث؛ قال ابن عون: استُجرحت هذه الأحاديث، أي فسدت وقلّ صِحاحها. ومن ثَمّ تفرّع من علم رجال الحديث علم آخر يُعرف بعلم «الجرح والتّعديل»، وهو علم يُبحث فيه عن جرح الرّواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ.

وممّن ألّف في هذا العلم تحت عنوان «الجرح والتّعديل» أبوالحسن أحمد بن عبد الله العجليّ الكوفيّ المتوفّى عام (٢٦١هـ) وعبد الرّحمان بن أبي حاتم محمّد الرّازيّ المتوفّى عام (٣٢٧هـ).

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها فعلان بمعنى واحد في سورتين مكّيّتين، وإسمان بمعنيين، في سورة مدنيّة:

١ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّيكُمْ بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: ٦٠

٢ـ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَايَحْكُمُونَ﴾ الجاثية: ٢١

٣ـ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة: ٤٥

٤ـ ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ المائدة: ٤

ويلاحظ: أوّلًا: جاء في (١) (جَرَحْتُمْ) وفي (٢) ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ وكلاهما بمعنى الكسب، إلّا أنّ الاكتساب هو كسب الشّيء بجَهد ومشقّة، وهو المناسب لكسب السّيّئات، فإنّه خلاف الفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها، فكأنّه اكتسبها بتكلّف ومشقّة وجَهد كبير، ومن غير سبيله المعتاد، وهو توبيخ أيضًا على شدّة تصدّيه للسّيّئات، واهتمامه بها.

ثانيًا: تخصيص النّوم في (١) بـ(الَّيْلِ) والكسب بـ(النَّهَارِ) جارٍ على ماهو المعتاد، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ النّبأ: ١٠ و١١.

ثالثًا: خصّ الآلوسيّ ﴿مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ بما عملوا من الإثم نقلًا عن ابن عبّاس وقَتادَة، وقال: «وهو الّذي يقتضيه سياق الآية، فإنّه للتّهديد والتّوبيخ، ولهذا أُوثر (يَتَوَفَّيكُمْ) على (يُنيمكم)، ونحوه و(جَرَحْتُمْ) على (كسَبتم) إدخالًا للمخاطبين الكفرة في جنس جوارح الطّير والسّباع، وبعضهم يحمل الخطاب عامًّا».

والثّاني: هو الأقرب عندنا، وإن كان الأوّل لايخلو

من لطف، لأنّ سياق عدّة آيات قبلها وإن كان خطابًا للكفّار، إلّا أنّ الآيتين قبلها وبعدها عامّ للنّاس قاطبة؛ فقبلها: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا اِلَّا هُوَ...﴾ الأنعام: ٥٩. فركّز علمه تعالى، وبعدها: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً...﴾ الأنعام: ٦١، فركّز قدرته تعالى، وكذلك بعدها: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...﴾ الأنعام: ٦٣، فركّز رحمته ونعمته ولطفه بالعباد، فسياق الآيات تركيز أوصاف الله وتوحيده، إنذارًا وتخويفًا وإرجاءً وتبشيرًا.

وإيثار (التّوفّي) على (النّوم) للدّلالة على أنّ النّوم بيد الله، فهو آية قدرته تعالى، أمّا إيثار (جَرَحْتُمْ) على (كسبتم) فلأنّ العمل يصدر عن الجوارح عادةً حسنًا كان أو سيّئًا، فهذا تنبيه على أنّ الجوارح نعمة من الله في البدن، والنّاس عنها غافلون، ويستفيدون بها في غير ما أمر الله به، ولادخل فيه لإدخال العامل في جنس جوارح الطّير.

نعم ماذكره في إيثار (جَرَحْتُمْ) جار في ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ حيث يتداعى منه دخول المُسيء في جنس الجوارح، كأنّه صدر: عنه جَرْحٌ، كما نبّهنا عليه. قال الطّوسيّ: «اجترح السّيّئة اجتراحًا، أي اكتسبها من الجراح، لأنّ له تأثيرًا كتأثير الجراح، ومثله الاقتراف، وهو مشتقّ من قَرَف القرحة».

رابعًا: في (٣): (الْجُرُوحَ قِصَاصٌ) بحوث:

١ـ في الآية ثلاث قراءات: نصب (الْعَيْنَ) ومابعدها عطفًا على لفظ ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، ورفعها عطفًا على موضعه، لأنّه في الأصل مبتدأ وخبرٌ أو للاستئناف، ورفع جملة ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ فقط استئنافًا، لأنّ خبرها مغاير لخبر ماقبلها، وهو مبالغة، نظير: زيدٌ عدلٌ، والتّقدير: (الجروح ذات قصاص) كما قيل.

وهذا الوجه أجود عند القرّاء لمجيئها بعد تمام خبر الأوّل، مثل: «إنّ عبد الله قائمٌ وزيدٌ قاعدٌ»، لاحظ نصّ أبي زُرْعَة.

٢ـ قيل: لفظ (الْجُرُوحَ) عامّ، والمراد به الخصوص، وهو مايمكن فيه القصاص، ولايخاف فيها على نقص زائد على الجرح؛ إذ يُشترط في القصاص المماثلة للجرح، فإن خيف فلاقصاص فيها بل فيها الدّية، كما جاء في الفقه.

٣ـ وهذا تخصيص بعد تعميم، لأنّ ماقبلها بيان للقصاص في تلك الأعضاء أيضًا، والقصاص فيها بمثلها، فهي منضبطة. أمّا سائر الجروح فليست كذلك، ولهذا فصلها عمّا قبلها، لاحظ «ق ص ص».

خامسًا: في (٤) ﴿وَمَاعَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ بحوث:

١ـ الجوارح: جمع جارحة، وهي الحيوان الصّائد، إمّا من الجَرْح بمعنى الكسب، لأنّها تكسب صيدًا لصاحبها، كما أنّ جوارح الإنسان تكسب له مايحتاج إليه، أو بمعنى الجراحة، لأنّها تجرح ماتصيده غالبًا، وهو الأقرب؛ وقد أرجعنا الكسب إليها.

٢ـ اختلفوا في (الْجَوَارِحِ) هل هي الكلاب خاصّة، لقوله: (مُكَلِّبِينَ)، أو تعمّ غيرها كالباز والصّقر والسّباع إذا صادت بعد التّعليم، لعموم اللّفظ، ولأنّه المرويّ عن

النّبيّ ﷺ، وقد اختاره الطّبريّ لما ذُكر، وأجاب عن الاحتجاج للأوّل بـ(المكلّبين) بأنّه حال وصفة للقانص، أي في حال مصيركم أصحاب كلاب، فلايُقيّد الصّيد بها، وقيل: كلّ سبُع فإنّه يسمّى كلبًا.

٣ـ وهناك خلاف آخر في أنّ ماقتلته الجوارح المُعلَّمة، ولم يُدرك صاحبها ذكاته حلال في الجميع، أو أنّه خاصّ بالكلاب، كما اختاره الإماميّة استنادًا إلى ماروي عن أئمّتهم عليهم السلام.

وعندنا أنّ ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ظاهر فيما أدركه حيًّا دون ماقتلته الجوارح، فلايقال فيه: إنّهنّ أمسكنه عليه، فالآية خاصّة بما أدركه حيًّا، سواء كان الحيوان كلبًا أو غيره، لكن خرج منها ماقتله الكلب بالنّصّ، وعجيبٌ من الطّباطبائيّ أنّه خصّ الآية بما أدركه ميّتًا، فلاحظ نصّه.

٤ـ اتّفقوا على أنّ حكم الآية خاصّ بالحيوان المُعلَّم، وتوجد بينهم خلاف في شروط التّعليم، وقد جمعها الشّيخ مَغْنيّة في مايأتي:

أ ـ إذا أمره صاحبه يأتمر، وإذا زجره ينزجر.

ب ـ أن يرسله صاحبه بقصد الصّيد.

ج ـ أن يكون الصّائد مسلمًا.

د ـ أن يسمّي عند إرساله، كما قال: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾.

هـ ـ أن يدركه الصّائد حيًّا، وهذا في غير الكلب.

سادسًا: وُزّع الفعل والاسم بين المكّيّ والمدنيّ بالسّويّة، فخُصّ الفعلان بالمكّيّ والاسمان بالمدنيّ، لأنّهما جاءا في سياق التّشريع الغالب على المدنيّات، والفعلان جاءا في سياق العقيدة والتّربية الغالب على المكّيّات.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ر د

لفظان مرّتان، في سورتين مكيّتين

جرادٌ ١: ١ الجَراد ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَرَد: فضاء لانبات فيه، اسمٌ للفضاء، فإذا نَعَتّ به قلت: أرض جَرْداء، ومكان أجْرَدُ، وقد جَرِدَتْ جَرَدًا، وجَرَّدَها القَحْط تجريدًا.

ورجل أجْرَد: لاشَعْرَ على جسده.

والأجرَد من الخَيْل والدّوابّ: القصير الشَّعْر، حتّى يقال: إنّه لأجرَد القوائم، أي قصير شَعْر القوائم. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: فلان حسَن الجُرْدَة، وهي العِرْيَة.

والمُجَرَّد: الّذي أجْرَدَه النّاس فتركوه في مكان واحد.

والجَرْدُ: أخْذُكَ الشّيء عن الشّيء جَرْفًا وسَحْفًا، فلذلك سمّي المشؤوم: جارُودًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وإذا جَدَّ الرّجل في سيره فمَضَى، يقال: انجَرَد فذهب.

وتجرّد لأمرٍ كذا أو للعبادة، أي أخذ في القيام به.

وإذا خرَجَت السُّنْبُلة من لفائفها، قيل: تجرّدَت.

وامرأةٌ بَضّةُ المتجرَّد، أي رَخْصَةٌ ناعمةٌ تحت ثيابها.

والجريدة: سَعَفَةٌ رَطْبَةٌ جُرِّد عنها خُوصُها، كما يُقشَأ الوَرَق عن القضيب.

وزَرْعٌ مجْرُود: أصابه الجَراد، وجُرِد الزَّرع.

والجُرْذان والمُجَرَّد: من أسماء الذَّكَر.

والجُراد والجُرادة: اسم رَمْل بالبادية.

والجَرادة والجَراد: اللَّحّاسَة، معروف.

والجَرْد: ثوبٌ خَلَقٌ، لغة هُذَيْل، وهُذَيْل تقول: لُبْسٌ جَرْدَة، وأرضٌ مجْرُودة ومجْرَدٌ وجُرْدَةٌ، أي ليس فيها سترة من شَجَر وغيره.

والجَريدة: طائفة من الجُند. (٦: ٧٥)

اللِّحيانيّ: أرض جُرْدَة ومجْرُودة: قد لحِسها الجَراد. (الأزهَريّ ١٠: ٦٤٠)

أبوعُبَيْد: إذا أصاب الجَراد الزّرع قيل: جُرِد

الزّرع. (الأزهَريّ ١٠: ٦٣٨)

الجَوهَريّ: والجَراد معروف، الواحدة: جَرادة، يقع على الذّكر والأُنثى. وليس الجَراد بذكَر للجرادة، وإنّما هو اسم جنس، كالبقر والبقرة، والتّمر والتّمرة، والحمام والحمامة، وماأشبه ذلك. فحقُّ مذكَّره أن لايكون مؤنّثه من لفظه، لئلّا يلتبس الواحد المذكّر بالجمع. (٢: ٤٥٦)

ابن سيده: والجَراد معروف: قال أبوعُبَيْد: قيل: هو سِرْوة ثمّ دَبًا ثمّ غوغاء ثمّ خَيفان ثمّ كُتْفان ثمّ جراد.

وقيل: الجراد: الذّكر، والجرادة: الأُنثى، ومن كلامهم: «رأيت جرادًا على جرادة» كقولهم: «رأيت نعامًا على نعامة». قال الفارسيّ: وذلك موضوع على مايحافظون عليه، ويتركون غيره بالغالب إليه، من إلزام المؤنّث العلامة المشعرة بالتّأنيث وإن كان أيضًا غير ذلك من كلامهم واسعًا كثيرًا، يعني المؤنّث الّذي لاعلامة فيه، كالعين والقِدْر والعَناق، والمذكّر الّذي فيه علامة التّأنيث كالحمامة والحيّة.

قال أبوحنيفة: قال الأصمَعيّ: إذا اصفرّت الذّكور واسودّت الإناث ذهب عنه الأسماء إلّا الجراد، يعني أنّها اسم لايفارقها.

وذهب أبوعُبَيْد في الجراد إلى أنّه آخر أسمائه، كما تقدّم. (٧: ٣١٥)

الرّاغِب: الجراد معروف، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾ الأعراف: ١٣٣، وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ القمر: ٧، فيجوز أن يُجعَل أصلًا فيُشتقّ من فعله جَرد الأرض، ويصحّ أن يقال: سمّي ذلك لجَرْده الأرض من النّبات. يقال: أرض مجرودة، أي أكل ماعليها حتّى تجرّدت. (٩٠)

الفيروزاباديّ: الجَرَد محرّكة: فضاء لانبات فيه، مكان جَرْدٌ، وأجْرَدُ وجَرِدٌ كفَرِح، وأرض جَرْداء وجَرِدَة كفَرِحَة، وجَرَدَها القَحْط، وسَنَةٌ جارُود وجَرَدَه.

وجَرَدَه: قَشَرَه، والجِلْدَ: نَزَع شَعْره، والقومَ: سألهم فنعوه أو أعطوه كارهين، وزَيدًا من ثَوْبه: عرّاه فتجرّد وانجرد، والقُطْنَ: حلَجه.

وثوب جَرْدٌ: خَلَقٌ.

ورجل أجْرَد: لاشعر عليه، وفرس أجْرَد: قصير الشّعر رقيقه، جَرِد كفَرِح وانجرد، والأجْرَد: السّبّاق.

وجرّد السّيفَ: سَلّه، والكتابَ: لم يَضْبطه، والحجّ: أفْرَده ولم يَقْرن.

ولِبس الجُرُود: للخُلْقان.

وامرأة بَضّة الجُرْدَة والمُجرَّد والمُتجرَّد، أي بَضّةٌ عند التجرُّد. والمُتجرَّد: مصدر فإن كسَرْتَ الرّاء أرَدْتَ الجسم.

وتجرّدَ العصير: سكَن غلَيانه، والسُّنبلة: خرجت من لفائفها، وزيدٌ لأمْره: جَدّ فيه، وبالحجّ: تشبّه بالحاجّ.

وخَمْرٌ جَرْداء: صافية.

وانجرد به السّيْل: امتدّ وطال، والثّوب: انسحَق.

والجَرْد: الفَرْج، والذّكر، والتُّرس، والبقيّة من المال، وبالتّحريك: بلدة ببلاد تميم، وعَيْبٌ معروفٌ في الدّوابّ، أو هو بالذّال.

والجارود: المَشْؤوم.

والجَرِيدة: سَعَفَةٌ طويلة رَطْبَةٌ أو يابسة، أو الّتي

تُقَشِّرُ من خُوصِها، وخَيْلٌ لارَجّالة فيها كالجُرْد، والبقيّة من المال.

وجَرادة العَيّار: فرس أو العَيّار أَزَمَّ أخذ جَرادةً ليأكلها فخرجت من موضع الزَّم بعد مُكابَدَة العَناء.

والجَرادتان: مُغَنِّيتان كانتا بمكّة أو للنُّعمان.

ويومٌ جَريدٌ وأجْرَدُ: تامٌّ.

والمُجرَّد والجُرْدان بالضمّ والأجْرَدُ: قَضيبُ ذوات الحافر أو عامّ، الجمع: جرادين.

ومارأيته مذ أجْردان وجَريدان: مذ يومين أو شهرين.

والجرّاد: جَلّاء آنِيَة الصُّفْر.

والإجْرِدّ بالكسر كإكْبِرّ وقد يُخفّفُ كإثْمِد: نَبْتٌ يدلّ على الكَمْأة.

والجَراد معروف للذّكر والأُنثى، وموضع وجبَل.

وأرض مَجْرُودة: كثيرته.

وكفَرِح: شَرِيَ جِلدُه عن أكله، وكعُنِي: شكا بَطْنَه عن أكله، والزّرْع: أصابه.

وماأدري أيّ جَراد عاره، أي أيّ النّاس ذهب به.

والجُراديّ كغُرابيّ: قرية بصنعاء.

والجُرادة بالضمّ: رملة. وجُرادٌ: ماءٌ بديار بني تميم.

ورُميَ على جَرَده محرّكة وأجرَدِه، أي ظَهْرِه.

ودَرابُ جِرْدَ: موضعان ...وجُرادَى كحُبالى: موضع، وجُردان: وادٍ بين عَمْقَيْن ...وجَرُود: موضع بدمشق، وأُجاردُ بالضمّ وجارد: موضعان. (١: ٢٩٢)

ونحوهم مع تفاوت: أبو عُبَيْد (٢: ١٨٨)، وابن السِّكّيت (٤٠٥)، و(إصلاح المنطق: ٤٧)، وابن دُرَيْد (٢: ٦٤) و(٣: ٣٨٩، ٤٣٧)، والقالي (١: ٤٧)، والأزهَريّ (١٠: ٦٣٨)، والصّاحِب (٧: ٣٨)، والهَرَويّ (١: ٣٤١)، والجَوهَريّ (٢: ٤٥٥)، وابن فارِس (١: ٤٥٢)، وابن سيده (٧: ٣١٥)، والزّمَخشريّ (أساس البلاغة: ٥٦)، و(الفائق ١: ٢٤)، و(٢: ٩٧، ١٣٠، ١٧٥، ٢٢٧، ٢٣٠)، والمَدينيّ (١: ٣١٤)، وابن الأثير (١: ٢٥٦)، والفَيّوميّ (١: ٩٦)، والطُّرَيحيّ (٣: ٢٣)، ومَجْمَعُ اللُّغَة (١: ١٨٧)، ومحمّد إسماعيل إبراهيم (١: ١٠٥)، والعَدْنانيّ (١١٩).

المُصْطَفَويّ: [ذكر بعض أقوال اللُّغويّين وأضاف:] وجه التّسمية بما ذُكر غير وجيه، فإنّ التّجرّد لابدّ وأن يكون صفة لذلك الحيوان لالمتعلّقاته من الشّجر والأرض. والأحسن أن يقال: إنّ الجراد على وزان «جُبان» صفة بمعنى المتجرّد الظّاهر، بحيث لايستره ساتر. وهذا المعنى يصدق عليه إمّا من جهة كونه غير مستور بريش وشعر ولباس من بين الطّيور، وإمّا من جهة ظهوره بغتة حشوداً في السّماء، وإمّا من جهة خلوّ بدنه عن العظم والفقار، وإمّا من جهة فقدان التّعلّق وتجرّده عن جميع العلائق، وكونه أكولاً. (٢: ٧٢)

النُّصوص التّفسيريّة

جَرادٌ

خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ. القمر: ٧

الزّمَخْشَريّ: (الجَراد) مثَل في الكثرة والتّموّج،

يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد وكالدَّبا، منتشرٌ في كلّ مكان لكثرته. (٤: ٣٧)

نحوه النَّسَفيّ. (٤: ٢٠٢)

الطُّرَيحيّ: قيل: وجه التّشبيه في الآية أنّهم يخرجون حيارى فزعين لايهتدون، ولاجهة لأحد منهم يقصدونها، كالجراد لاجهة له، فيكون أبدًا بعضه على بعض. (٣: ٢٣)

البُرُوسَويّ: أي يُشبهن الجراد، وهو بالفارسيّة «ملخ» سمّي بذلك لجرده الأرض من النّبات، يقال: أرض مجرودة، أي أُكل ماعليها حتّى تجرّدت، كما في «المفردات». (٩: ٢٧٠)

الطَّباطَبائيّ: الجراد: حيوان معروف. (١٩: ٥٨)

المُصْطَفَويّ: في هذا التّشبيه وجوه من التّناسب، من جهة خروجه من البيض الصّغار الّتي لاتشاهد، ومن جهة ظهوره ونشره حشودًا حاشدة بغتة، وغيرها. (٢: ٧٢)

[لاحظ ن ش ر]

الجَراد

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ.

الأعراف: ١٣٣

النّبيّ ﷺ: إنّ مريم بنت عمران سألت ربّها أن يُطعمها لحمًا لادم له، فأطعمها الله الجراد.

(الواحديّ ٢: ٤٠٠)

أُحلّت لنا ميتتان ودمان: الحوت والجراد والكبد والطّحال. (ابن كثير ٣: ٢١١)

لاتقاتلوا الجراد فإنّه جند الله الأعظم.

(ابن كثير ٣: ٢١٢)

عمر: إنّ الله خلق ألف أُمّة: ستّمئة في البحر وأربعمئة في البرّ، وإنّ أوّلها هلاكًا الجراد.

(ابن كثير ٣: ٢١٢)

سلمان: سُئل رسول الله ﷺ عن الجراد، فقال: «أكثر جنود الله، لاآكله ولاأُحرّمه...»

(ابن كثير ٣: ٢١١)

نحوه جابر بن عبد الله. (الواحديّ ٢: ٤٠١)

أبوهريرة: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجّ أو عمرة، فاستقبلَنا رِجْلُ جَرادٍ[1] فجعلنا نضربه بالعِصيّ ونحن مُحرمون، فسألنا رسول الله ﷺ، فقال: «لابأس بصيد البحر». (ابن كثير ٣: ٢١٢)

ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ لايأكل الجراد ولاالكلوتين ولاالضّبّ، من غير أن يحرّمها. أمّا الجراد فرجزٌ وعذابٌ، وأمّا الكلوتان فلقربهما من البول، وأمّا الضّبّ فقال: «أتخوّف أن يكون مسخًا».

(ابن كثير ٣: ٢١١)

وسلّط عليهم بعد ذلك الجراد حتّى أكل ماأنبتت الأرض من النّبات والثّمار. (١٣٦)

ابن عمر: إنّ عمر سُئل عن الجراد، فقال: ليت عندنا منه قفعة أو قفعتين نأكله. (ابن كثير ٣: ٢١١)

البَراء: قال رسول الله ﷺ: «لاوباء مع السّيف ولاالحاء مع الجراد». (ابن كثير ٣: ٢١٢)

جابر بن عبد الله: إنّ رسول الله ﷺ كان إذا دعا

(١) ابن الأثير: أي جَراد كثير.

على الجراد، قال: «اللّهمّ أهلك كباره واقتل صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنّك سميع الدّعاء». (ابن كثير ٣: ٢١٢)

أنس بن مالك: كان أزواج النّبيّ ﷺ يتهادين الجراد على الأطباق. (ابن كثير ٣: ٢١١)

الأعمش: أنبأنا عامر قال: سُئل شريح القاضي عن الجراد، فقال: قبّح الله الجرادة، فيها خلقة سبعة جبابرة، رأسها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وصدرها صدر أسد، وجناحها جناح نسر، ورجلاها رجل جمل، وذنبها ذنب حيّة، وبطنها بطن عقرب.

(ابن كثير ٣: ٢١٢)

الفرّاء: أرسل الله عليهم الجراد فأكل ماأنبتت الأرض في تلك السّنة؛ وذاك أنّهم رأوا من غِبّ ذلك المطر خِصبًا لم يروا مثله قطّ، فقالوا: إنّما كان هذا رحمة لنا ولم يكن عذابًا، وضاقوا بالجراد فكان قدر ذراع في الأرض، فسألوه أن يكشف عنهم ويؤمنوا، فكشف الله عنهم وبقي لهم ما يأكلون، فطغوا به، وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ الإسراء: ٩٠. (١: ٣٩٢)

نحوه الشّوكانيّ. (٢: ٢٩٨)

القمّيّ: أنزل الله عليهم في السّنة الثّانية الجراد، فجرّدت كلّ شيء كان لهم من النّبت والشّجر حتّى كانت تجرُد شعرهم ولحيتهم، فجزع من ذلك جزعًا شديدًا، وقال: ياموسى ادعُ ربّك أن يكفّ عنّا الجراد أُخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك. فدعا موسى ربّه، فكفّ عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يُخلّي عن بني إسرائيل.

(١: ٢٣٨)

الزّمخشريّ: بعث الله عليهم الجراد فأكلت عامّة زروعهم وثمارهم، ثمّ أكلت كلّ شيء حتّى الأبواب وسقوف البيوت والثّياب، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء. ففزعوا إلى موسى ووعده التّوبة، فكشف عنهم بعد سبعة أيّام، خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجع الجراد إلى النّواحي الّتي جاء منها، فقالوا: مانحن بتاركي ديننا. (٢: ١٠٧)

ابن عَطيّة: [نحو الفرّاء وأضاف:]

وروى ابن وهب عن مالك أنّه روي: أنّه أكل أبوابهم وأكل الحديد والمسامير وضيّق عليهم غاية التّضييق، وترك الله من نباتهم مايقوم به الرّمق، فقالوا لموسى: ادع في كشف الجراد ونحن نؤمن، فدعا فكشف، فرجعوا إلى كفرهم، ورأوا أنّ ماأقام رمقهم قد كفاهم.

(٢: ٤٤٤)

نحوه الشّربينيّ. (١: ٥٠٧)

القُرطُبيّ: [نقل اختلاف الفقهاء في قتل الجراد، فراجع] (٧: ٢٦٨)

البُرُوسَويّ: (الجراد) في التّفسير الفارسيّ: مَلَخ پرنده، وفي «حياة الحيوان»: الجراد البرّيّ إذا خرج من بيضته، يقال له: الدَّبَاء، فإذا بدت فيه الألوان واصفرّت الذّكور واسودّت الإناث يسمّى جرادًا حينئذ، وفي الحديث: «لاتقتلوا الجراد فإنّه جند الله الأعظم». وهذا إن صحّ أراد به إذا لم يتعرّض لإفساد الزّرع، فإن تعرّض له جاز دفعه بالقتل، وغيره.

ووقعت بين يدي النّبيّ ﷺ جرادة، فإذا مكتوب على جناحيها بالعبرانيّة: نحن جند الله الأكبر، ولنا تسع

وتسعون بيضة، ولو تمّت لنا المائة لأكلنا الدّنيا ومافيها، فقال النّبيّ ﷺ: اللّهمّ أهلك الجراد، اقتل كبارها وأمت صغارها وافسد بيضها وسدّ أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم إنّك سميع الدّعاء. فجاء جبرائيل عليه السلام، فقال: إنّه قد استجيب لك في بعضه.

وعن حسن بن عليّ: كنّا على مائدة نأكل أنا وأخي محمّد بن الحنفيّة وبنو عمّي عبد الله وقثم والفضل بن العبّاس، فوقعت جرادة على المائدة فأخذها عبد الله، وقال لي: مامكتوب على هذه، فقلت: سألت أبي أمير المؤمنين عن ذلك، فقال: سألت عنه رسول الله، فقال: مكتوب عليها: أنا الله لاإله إلّا أنا ربّ الجراد ورازقها، وإن شئت بعثتها رزقًا لقوم وإن شئتُ بعثتها بلاء على قوم، فقال عبدالله: هذا من العلم المكنون. وليس في الحيوان أكثر فسادًا لما يقتاته الإنسان من الجراد.

وأجمع المسلمون على إباحة أكله، قال الأربعة: يحلّ أكله سواء مات حتف أنفه أو بذكاة أو باصطياد مجوسيّ أو مسلم، قُطع منه شيء أو لا. والدّليل على عموم حلّه قوله ﷺ: «أُحلّت لنا ميتتان ودمان: الكبد والطّحال، والسّمك والجراد».

وإذا تبخّر إنسان بالجراد البرّيّ نفعه من عسر البول. وقال ابن سينا: إذا أُخذ منها اثنا عشر ونُزعت رؤوسها وأطرافها، وجُعل معها قليل آس يابس، وشُرب للاستسقاء نفعه.

وأمّا الجراد البحريّ فهو من أنواع الصّدف، كثير بساحل البحر ببلاد المغرب، ويأكلونها كثيرًا مشويًّا ومطبوخًا، ولحمها نافع للجذام. (٣: ٢٢٠)

نحوه الآلوسيّ. (٩: ٣٤)

رشيد رضا: وأمّا الجراد فهو معروف، وقد ذُكر في التّوراة بعد الطّوفان. ففيها «بعدما تقدّم أنّ فرعون قسا قلبه، فلم يُطلق بني إسرائيل. فأخبر الرّبّ موسى ـ كما في الفصل العاشر ـ بأنّه قسّى قلبه وقلوب عبيده، ليريهم آياته ولكي يقصّ موسى على ابنه وابن ابنه كذا مافعل بالمصريّين، وأمره بأن يُنذره بإرسال الجراد عليهم فيأكل ماسَلِم من النّبات والشّجر، فلم يُحسّه البرد، ويملأ بيوته وبيوت عبيده وسائر بيوت المصريّين ففعل، فرضي فرعون أن يذهب الرّجال من بني إسرائيل ليعبدوا ربّهم دون النّساء والأولاد والمواشي.

فمدّ موسى عصاه بأمر الرّبّ على أرض مصر، فأرسل الرّبّ ريحًا شرقيّة ساقت الجراد على أرض مصر فغطّى جميع وجه الأرض حتّى أظلمت الأرض، وأكل جميع عُشبها وجميع ماتركه البرد من ثمر الشّجر، حتّى لم يبق شيء من الخضرة في الشّجر ولا في عُشب الصّحراء في جميع أرض مصر».

وفيه أنّ فرعون استدعى موسى وهارون واعترف لهما بخطئه، وطلب منهما الصّفح والشّفاعة إلى الرّبّ إلههما أن يرفع عنه هذه التّهلكة ففعلا، فأرسل الله ريحًا غربيّة، فحملت الجراد كلّه فألقته في بحر القلزم. (٩: ٩١)

نحوه المراغيّ. (٩: ٤٤)

مَغْنيّة: (الجَرَاد) جاء بعد الطّوفان بطبيعة الحال، وأكل البقيّة الباقية من كلأهم وزرعهم. (٣: ٣٨٥)

مكارم الشّيرازيّ: ثمّ سلّط الجراد على زروعهم وأشجارهم.

وقد جاء في الأحاديث أنّ هجوم أسراب الجراد كان عظيمًا جدًّا إلى درجة أنّها وقعت في أشجارهم وزروعهم أكلًا وقضماً وإتلافًا، حتّى أنّها أفرغتها من جميع الغصون والأوراق، وحتّى أنّها أخذت تؤذي أبدانهم؛ بحيث تعالت صيحاتهم واستغاثاتهم.

وكلّما كان يصيبهم بلاء كانوا يلجأون إلى موسى عليه السلام ويسألونه أن يطلب من الله أن يرفع عنهم ذلك البلاء، فقد فعلوا هذا بعد الطّوفان والجراد أيضًا، وقبل موسى عليه السلام، وارتفع عنهم البلاء، ولكنّهم مع ذلك لم يكفّوا عن لجاجهم وتعنّتهم. (٥: ١٦٣)

عبد المنعم الجمّال: (الجرَاد) حشرة طائرة تنقض على الزّرع والثّمار فتأكله. (٢: ١٠٤٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجرَاد، واحده: جرادة، للذّكر والأُنثى، وهي الحشرة اللّحّاسة، يقال: جرَد الجراد الأرض يجرُدها جرْدًا، أي استأصل ماعليها من النّبات، فلم يُبقِ منها شيئًا، وجُرِدَت الأرض: أكل الجراد نبتَها فهي مجرودة، وأرضٌ جُرْدَةٌ: قد لحسها الجراد، وجُرِدَ الزّرعُ: أصابه الجراد. ومأدري أيّ الجراد عاره: أيّ النّاس ذهب به.

والجرَد: أن يَشرَى جلد الإنسان من أكل الجراد؛ يقال: جَرِد الرّجل جرَدًا، أي شَرِي جلدُه من أكل الجراد فهو جَرِد؛ وجُرِد الإنسان: أكل الجراد فاشتكى بطنه، فهو مجرود.

والجرَد أيضًا: فضاء لانبت فيه، والجمع: أجارد، وكذا أرض جرْداء وجَرِدَة، وقد جَرِدَت جرَدًا، وجرّدها القحط تجريدًا. وفضاء أجرد: لانبات فيه، وكذلك مكان أجرد وجرْد وجَرِد، وسماء جرداء: لاغيم فيها. كلّ ذلك تشبيهًا بأرض استأصل الجراد نباتها.

والجَريدة: السّعفة الّتي تقشّر من خوصها كأنّها أصابها الجراد، ولاتسمّى جريدة مادام عليها الخوص، وإنّما تسمّى سعفة، والجمع: جَريد وجَرائد.

وجَرَد الشّيء يَجرُدُه جَرْدًا وجرّده: قشره فهو مجرود، وماقُشِر فهو جُرادة، وجَرَد الجلد يَجرُدُه جَرْدًا وجرّده: نزع عنه الشّعر. ورجلٌ أجرد: لاشعر عليه. وكذا خدٌّ أجرد. والأجرد من الخيل والدّوابّ كلّها: القصيرالشّعر، يقال: إنّه لأجرد القوائم، وقد جَرِدَ وانجرد، و هو مدح. و انجردت الإبل من أوبارها: سقطت عنها.

وتجرّد الرّجل من ثوبه وانجرد: تعرّى، وجرّده من ثوبه وجرّده إيّاه أيضًا، يقال: فلانٌ حسَن الجُرْدَة والمجرّد والمتجرِّد، وامرأةٌ بضّة الجُرْدَة والمتجرَّد والمتجرِّد، أي بضّة البَشَرَة إذا جُرِّدت من ثوبها.

وتجرّدت السّنبلة وانجردت: خرجت من لفائفها، وجرّد السّيف من غمده: سلّه، وجرّد الكتابَ والمُصحف: عرّاه من الضّبط والزّيادات والفواتح، وجرّد فلانٌ الحجّ وتجرّد بالحجّ: أفرده ولم يقرن، ورجل مُجرَّد: أُخرج من ماله.

والجرْد: الخَلَق من الثّياب قد سقط وَبَره، والجمع: جُرُود، وقد جَرِدَ وانجرَد، وشَمْلَةٌ جَرْدَة: خَلَقَة.

وخيلٌ جَريدة: لارجّالة فيها، يقال: ندبَ القائد جريدة من الخيل، أي لم ينهض معهم راجلًا، وتنقّ إبلًا

جريدة: خيارًا شدادًا، أي أنّها شذّبت ونزعت عن غيرها.

ويوم جَريدٌ وأجرد: تامٌّ، وكذلك الشّهر، وكأنّهما متجرّدان من النّقص، يقال: مارأيته مذ أجردانِ وجريدان، أي منذ يومين أو شهرين، ويقال أيضًا: عامٌ جَريدٌ، أي تامٌّ.

وسَنةٌ جارود: مُقحِطة شديدة المَحْل، ورجل جارود: مشؤوم منه، كأنّه يقشر قومه.

والجَرْد: أخذ الشّيء من الشّيء حَرْقًا وسَحقًا، يقال: جَرَد القوم يَجرُدهم جَرْدًا، أي سألهم فنعوه، أو أعطوه كارهين.

والأجرد من الخيل: الّذي يسبقها يتجرد عنها لسرعته، يقال: تجرّد الفرس وانجرد، أي تقدّم. وتجرّد في سيره وانجرد: جدّ فيه، ومثله: تجرّد للأمر، وانجرد به السّير: امتدّ وطال.

وخمرٌ جرداء: منجردة من خثارتها وأثفالها، وتجرّد العصير: سكن غليانه، وكأنّه تجرّد ممّا علق به.

٢ـ واستعمل المولّدون اليوم لفظ «الجَرْد» بمعنى إحصاء البضائع وأثمانها في مخزن أو حانوت، فيقولون: جَرَدَ المحاسب مافي المخزن أو الحانوت يَجرُد جَرْدًا. وقد أقرّ مَجمَعُ اللُّغَة العربيّة في القاهرة هذا الاستعمال، ملحقًا إيّاه بقولهم: جرّده من ثوبه، أي عرّاه، وكأنّ المحاسب يعرّي البضاعة والمال من الزّيادة والنّقصان، فيكشف مقدارها.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد مرّتين في سورتين مكّيّتين:

١ـ ﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ اٰيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ١٣٣

٢ـ ﴿خُشَّعًا اَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ كَاَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ القمر: ٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ الجراد في (١) جاء معرّفًا بلام الجنس في عداد ماابتلى به قوم فرعون من العذاب والرّجز توطينًا لهم للإيمان بموسى عليه السلام، فقد جاء فيما قبلها: ﴿وَلَقَدْ اَخَذْنَا اٰلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٣٠، فلم يتذكّروا بها بل زادتهم استكبارًا، وسألوا موسى أن يدعو ربّه ليكشف عنهم الرّجز حتّى يؤمنوا، فلمّا كشف عنهم الرّجز لم يؤمنوا، فانتقم الله منهم بالغرق في اليمّ، كما جاء في الآيات بعدها. فالجراد جاء فيها رمزًا للعذاب في الدّنيا. أمّا في (٢) فجاء مُنكّرًا كمثل للّذين يخرجون من القبور في الآخرة، كأنّهم جراد منتشر، والتّنكير فيها للتّعمية والتّحقير، فالجراد فيهما مشؤوم سواءٌ في الدّنيا أو في الآخرة.

ثانيًا: قيل في وجه التّشبيه في (٢): إنّهم يخرجون حيارى فزعين لايهتدون، ولاإلى جهة يقصدون، أوهم كالجراد في الكثرة والتّموّج، أو في ظهوره ونشره حشودًا حاشدة بغتةً، ونحوها. وأمّا ماقيل فيه من خروجه من البيض الصّغار الّتي لاتشاهد، فليس وجهًا، لأنّه ليس أمرًا ظاهرًا يُشبّه به، والمشبّه به ينبغي أن يكون شيئًا ظاهرًا مُشاهَدًا.

ثالثًا: لمّا كان الجراد رمز العذاب والشّؤم والقفر والقهر، ناسب جوّ العنف والكفر بمكّة، فلم يأت إلّا في مكّيّتين.

ج ر ر

يَجُرُّه

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَرّة: وجمعها الجِرار والجَرّ. والجِرارة: حِرْفةُ الجَرّار.

والجَرّارة: عَقْرَبٌ صفراء كأنّها تِبْنَـةٌ.

والجارور: نَهْرٌ يشقّه السّيل، فيتّخذه نَهْرًا.

والجارور: كلّ مكان ينحطّ إليه الماء من عَلٍ وهو من سُفْل، كأنّه يَجُرّ إليه الماء.

والجَـرُور من الحَوامل: الّتي تجُـرّ ولَدَها إلى أقصى الغاية. [ثمّ استشهد بشعر]

وطَعَنْتُ فارسًا فأجرَرْتُه الرُّمح، إذا مشى به.

وربّما شُقّ وسط لسان الجَدْي أو الفصيل ثمّ يُشَدّ فيه خَشَبةٌ كي لايَرْضَع، ويسمّى ذلك التّقليد الإجرار. وجرّ الفصيل فهو مجرور، وأُجِرّ: أُنزل به ذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

والـمَجَرّة: شَرَجُ السّماء. [ثمّ استشهد بشعر]

والمَجَرّ: الجَرّ.

وكان عامًا أوّل كذا فهلُمّ جَرًّا إلى اليوم.

والرّجل يَجُرّ على نفسه جريرة، أي جناية، وتُجمع على: جرائر.

وتقول في معنى «من أجلك»: من جـريرك، ومـن جرّاك. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرّة: جِرّة البعير حـين يجـترّها، فـيقرضها، ثمّ يكظمها.

والجَـرُور: الفرس الّذي لاينقاد.

والجَرير: حَبْل الزّمام.

والجَرّ: المكان الصُّلب الّذي قد انحدر عن أن يكون طينًا، فهو يحتشّ كذا، أي يُنيف. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ١٣)

اللّيث: الجَرّ: آنية من خـزف، الواحـدة: جَـرّة، والجميع: جِرار.

الجَـرُور من الرّكايا: البعيدة القَعْر.

وأمّا الإبل الجارّة، فهي العوامل الّتي تُجَـرّ بالأزِمّة، وهي «فاعلة» بمعنى «مَفعُولة». ويجوز أن تكون جارّة في سيرها، وجرّها أن تُبطئ وتَرْتَع.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧٣، ٤٧٤)

الفَرّاء: «جِوَرّ» إن شئت جعلت الواو فيه زائدة من جررت، وإن شئت جعلته «فِعَلًّا» من الجَوْر، ويـصير التّشديد في الرّاء زيادةً، كما شدّدوا: حَمارّة الصّيف.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٨٢)

أبوعمرو الشّيبانيّ: الجُرّة: العود يُدفَن للظّبي فيه الكِفّة والحِبالة. فإذا نَشِق ضربه العود حتّى يقوم، وهي الجُرَر. (١: ١١٣)

ناقة جرّارة: لاتكاد تلحق بالإبل، من ثِقَلها.

(١: ١١٦)

وقـال العَبْسيّ: الجِـرّ: أن تأخـذ كَـرِش البعير، فتُشرّحه، فتملأه خَلْعًا، وربّما اتّخذوه من الجلد.

(١: ١٢٣)

أجْرَرته الدَّين الّذي عليه، أي أخّرته عنه.

(١: ١٢٦)

أبوعُبَيْدَة: وقت حمل الفرس من لدن أن يقطعوا عنها السّفاد إلى أن تضعه أحد عشَر شهرًا، فإن زادت عليها شيئًا قالوا: جرّت، وكلّما جرّت كان أقوى لولدها. وأكثر ماتجُـرّ بعد أحد عشَر شهرًا: خمس عشَرة ليلة، فهو أكثر أوقاتها. (الأزهَريّ ١٠: ٤٨١)

الجَـرُور من الخيل: البطيء، وربّما كان من قِطاف.

[ثمّ استشهد بشعر]

وجمعه: جُرُور. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧٥)

غَرْب جِوَرّ: فارض ثقيل. (الأزهَريّ ١٠: ٤٨٢)

في حديث ابن عمر: «أنّه شَهِد الفَتح ومعه فَرَس حَرُون وجمل جرُور» هو الّذي لاينقاد، «فَعُول» بمعنى «مفعول». (الهَرَويّ ١: ٣٤٣)

أبو زَيْد: غنّاه فأجَرّه أغـانيّ كـثيرة إجـرارًا، إذا أتبعَه صوتًا بعد صوت. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٠: ٤٨١)

الأصمَعيّ: بئر جَرُور، وهي الّتي يُستَقى منها على بعير. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٣)

كتيبة جَرّارة: لاتقدر على السّير إلّا رُوَيْـدًا، مـن كثرتها. (الأزهَريّ ١٠: ٤٨٣)

مثله الثّعالبيّ (٢٢٨)

ابن الأعرابيّ: الجرّ في الإبل: أن تجُرّ النّاقة ولدها بعد تمام السّنة شهرًا أو شهرين. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٣)

جَرّ يجُرّ، إذا جنى جناية.

وجَرّ يجُرّ، إذا ركب ناقة وتركها ترعى.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧٥)

الجُرّ: جمع الجُرّة، وهي المكّوك الّذي ثُـقب أسـفله يكون فيه البذر، فيمشي به الأكّار والفدّان، وهو ينهال في الأرض.

والجِرّ: الزّبيل، والجَرّ: أصل الجبل، والجَرّ: أن تزيد النّاقة على عدد شهورها، والجَرّ: الجريرة، والجَـرّ: أن تسير النّاقة وترعى وراكبها عليها، وهو الانجرار. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٨)

يقال للمطر الّذي لايدَع شيئًا إلّا أساله وجرّه: جاءنا جارُّ الضّبع، ولايجُرّ الضّبعَ إلّا سيل غالب. وأصابتنا السّماء بجارّ الضّبع. (الأزهَريّ ١٠: ٤٨١)

الجَرُور: الّتي تجرّ ثلاثة أشهر بعد السّنة، وهي أكرم الإبل، ولاتجرّ إلّا مرابيع الإبل. فأمّا المصاييف فلاتجرّ، وإنّما تجرّ من الإبل حُمْرها وصُهْبها ورُمْكها. ولاتجرّ دُهْمها لغلظها وشدّة لحومها وضيق أجوافها وجلودها وجُثّاتها، والحُمْر والصُّهْب ليست كذلك.

(ابن سيده ٧: ١٩٦)

إنّ الحجّاج سئل رجلًا قدم من الحجاز عن المطر، فقال: تتابعت علينا الأسمية حتّى منعت السُّفّار وتظالمت المِعزى واحتلبت الدِّرّة بالجِرّة.

احتلاب الدِّرّة بالجِرّة: أنّ المواشي تتملأ ثمّ تبرك أو تربض، فلاتزال تجترّ إلى حين الحلب.

(ابن سيده ٧: ١٩٩)

أبوعُبَيْد: الجمَل الجَرُور: الّذي لاينقاد، ولايكاد يتّبع صاحبه. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٥)

ابن السِّكّيت: والجَرّار: الّذي لايسير إلّا زحفًا، من كثرته. (٤٤)

وفرس جَرُور، إذاكان ثقيلًا في القياد. وخيل جُرُر، والذّكر والأُنثى فيه سواء. (٦٨٧)

ويقال: أجرَرتُ الفصيل، إذا شقَقْتَ لسانه لئلّا يرضع. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: قد أجرَرته رَسَنَه، إذا تركته يصنع ماشاء.

ويقال: جرَرْتُ الشّيء فأنا أجرّه جرًّا.

وقد جرّت النّاقة تجُرّ، إذا أتت على مضربها ثمّ جاوزته بأيّام ولم تُنتَج.

وقد جرّ عليهم جريرة تَجُرّ جرًّا، إذا جنى عليهم جناية. (إصلاح المنطق: ٢٥٧)

سئل ابن لسان الحُمَّرة عن الضّأن، فقال: مالُ صِدْقٍ، قريةٌ لاحِمَى لها إذا أفْلَتَت من جُرَّتَيْها، يعني بجُرّتيها: المَجَرّ في الدّهر الشّديد، والنَّشَر، وهو أن تنتشر باللّيل، فيأتي عليها السّباع.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٧٧)

شَمِر: امرأة جَرُور: مُقْعَدَة.

وركيّة جَرُور: بعيدة القَعْر. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٦)

الجرير: الحبل، وجمعه: أجِرّة، وزمام النّاقة أيضًا: جرير. (الأزهَريّ ١٠: ٤٨١)

جئتك في مثل مَجَرّ الضّبع: يريد السّيل قد خرق الأرض، فكأنّ الضّبع جرّت فيه. (الأزهَريّ ١٠: ٤٨٢)

المُبَرِّد: وأجرّه الرُّمح فقتله، ومعنى أجرّه الرُّمح: طعنه وترك الرُّمح فيه. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٢٨٦)

المفضّل بن سلَمة: قولهم: هَلُمّ جرًّا، أي تعالوا على هينتكم، كما يسهل عليكم من غير شدّة ولاصعوبة. وأصل ذلك من: الجَرّ في السّوق، وهو أن تُترك الإبل والغنم ترعى في مسيرها. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: فعلت ذلك من جَرّاك، ومن جريرتك، أي من أجلك. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرّة: جِرّة البعير حين يجترّها، فيقرضها ثمّ يكظمها. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٩)

ثَعْلَب: النّاقة تجرّ ولدها شهرًا. يقال: أتمّ مايكون

الولد إذا جرّت به أُمّه. (ابن سيده ٧: ١٩٦)

ابن دُرَيْد: جرّ الشيء يجرّه جرًّا، إذا سحبه. وأجرّ الفصيل، إذا ثُقِب لسانه وأُدخِل فيه خيط من شعر، ليمنعه أن يرضع أُمّه، فيجهدها. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجررته الرّمح، إذا طعنته. [ثمّ استشهد بشعر]

كذا سُمِع من العرب.

والجرّ: سفح الجبل حيث علا من السّهل إلى الغلظ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجرّ الّذي جاء فيه النّهي: عن نبيذ الجرّ، والمعروف عند العرب في الجرّ: مااتّخذ من الطّين كالفخّار ونحوه.

والجِرّة: مايجترّه البعير من كرشه، ومثل من أمثالهم: «مااختلفت الدِّرّة والجِرّة». وأمّا الجرير فله موضع تراه فيه مع نظائره إن شاء الله.

ومن أمثالهم: «ناوص الجُرّة ثمّ سالمها» يقال ذلك للّذي يخالف القوم على رأيهم، ثمّ يرجع إلى أقوالهم.

والجُرّة: خشبة نحو الذّراع، يُجعَل في رأسها كِفّة وفي وسطها حبل، فإذا نشب فيه الظّبي ناوصها ساعة واضطرب فيها، فإذا غلبته استقرّ فيها، فتلك المسالمة. (١: ٥٠)

المُنذريّ: من أمثالهم: «هو كالباحث عن الجُرّة» وهي عصًا تُربط إلى حبالة تُغيّب في التّراب للظّبي يصطاد بها، فيها وتر، فإذا دخلت يده في الحبالة انعقدت الأوتار في يديه، فإذا وثب ليُفلِتَ فمدّ يده، ضرب بتلك العصا يدَه الأُخرى ورجلَه فكسرها، فتلك العصا هي الجُرّة.

ومن أمثالهم فيها: «ناوص الجُرّة ثمّ سالمها» يُضرَب مثلًا لمن يقع في أمر فيضطرب فيه ثمّ يسكن.

والجُرّة: خشبة قدر ذراع تُنصَب في رأسها كُفّة، وفي وسطها حَبْل يُحبَل للظّبي، فإذا وقع فيها مارسها لينفلت، فإذا أعيته سكن. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٧)

الهوازنيّ: الجرير: من أدم مُليَّن يُثنَى على أنف النّجيبة والفرس. (الأزهَريّ ١٠: ٤٨١)

سمعان: أورطتُ الجرير في عنق البعير، إذا جعلت طرَفه في حَلَقته، وهو في عنقه ثمّ جذَبته، وهو حينئذ يخنق البعير. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٤٨١)

القاليّ: «حارّ جارّ» فالجارّ الّذي يجرّ الشّيء الّذي يُصيبه من شدّة حرارته، كأنّه ينزعه ويسلخه، مثل اللّحم إذا أصابه أو ماأشبهه. (٢: ٢١٧)

ابن بُزُرْج: ماكانت جَرورًا ولقد أجرّت، ولاجُدًّا ولقد أجدّت، ولاعِدًّا ولقد أعدّت. (الأزهَريّ ١٠: ٤٧٣)

الأزهَريّ: قال اللّيث: والجَرّارة: عُقَيْرِبة صفراء كأنّها تِبْنة.

قلت: سمّيت جَرّارة لجرّها ذنَبها، وهي من أخبث العقارب وأقتلها لمن تلدغه. (١٠: ٤٧٣)

والجرّ: سفح الجبل، ويُجمع جِرارًا.

وفلان يجرّ الإبل، أي يسوقها سَوقًا رُوَيدًا. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال: جُرّها على أفواهها، أي سُقها، وهي ترتع وتصيب من الكلإ.

وقوله: «ارْفَع إذا لم تجد مجرًّا» يقول: إذا لم تجد

الإبل مرتعًا فارْفَع في سيرها، وهذا كقوله ﷺ: «إذا سافرتم في الجَدْب فاستنجوا». (١٠: ٤٧٤)

[«الجَرُور» في قول أبي عُبَيْد] فعول بمعنى مفعول، ويجوز أن يكون بمعنى «فاعل». (١٠: ٤٧٥)

والمَجَرّ: المَجَرّة، ومن أمثالهم «سِطِي مَجَرّ تُرْطِبْ هَجَر» يريد: تَوَسَّطي يامَجَرّة كَبِد السّماء، فإنّ ذلك وقت إرطاب النّخيل بهَجَر.

ويقال: كان عامًا أوّل كذا وكذا فهلُمّ جرًّا إلى اليوم، أي امتدّ ذاك إلى اليوم. (١٠: ٤٧٨)

قال اللّيث: الجَرِير: حَبْل الزِّمام، وقال غيره: الجرير: حبل من أدَمٍ يُخطَم به البعير، وفي حديث ابن عمر: «من أصبح على غير وِتْر، أصبح وعلى رأسه جَرير سبعون ذراعًا». (١٠: ٤٨١)

في بعض الحديث: «أجِرّ لي سراويلي» هو من أجرَرْتُه رَسَنَه، أي دع السّراويل عليّ أجُرّه معي. (المَدِينيّ ١: ٣١٧)

الخَطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ، أنّ عائشة قالت: «نصبت على باب حجرتي عباءةً، وعلى مَجَرّ بيتي سِترًا، مَقْدَمه من غَزْوِ خيبر أو تبوك، فدخل البيت، فهتك العَرْصَ، حتّى وقع إلى الأرض».

ومَجَرّ البيت هو العَرْص بعينه، وهو الّذي يقال له: الجائز، وهو حامل البيت. وأراه مُشبَّهًا بالمَجَرّة لاعتراضها في السّماء، وإنّما عنت بهتك العَرْص: هتك سماوة البيت الّتي كانت غطّت بها وجه العَرْص. (١: ٨٥)

يقال: أجرَرْتُ الرّجل الرُّمح، إذا طعنته به فتركته فيه. (١: ١٠٩)

في حديث النّبيّ ﷺ: أنّ نُقادَة الأسديّ قال: يارسول الله، إنّي رجل مُغفِل فأين أسِمُ؟ قال: «في موضع الجرير من السّالفة...» والجرير: الزِّمام، والسّالفة: مُقدَّم صَفْحة العُنق. (١: ١١٦)

في حديث النّبيّ ﷺ أنّه قال: «دخلت امرأة النّار من جَرّاء هِرّةٍ لم تُطعِمْها حتّى ماتتْ هُزْلًا».

قوله: مِنْ «جَرّاء هِرّة» يُريد من أجْل هِرّة أو سبب هِرّة. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: فعلت ذاك من أجْلك ومن جريرك، ومن جَرّاك. وكلام العامّة: فعلْتُ ذاك بجَرّاك، وهو غلط، والصّواب: من جَرّاك.

وقد يكون جَرّى بمعنى الجريرة. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٦٤)

جاء في الحديث: «أنّ رجلًا كان يَجُرّ الجَرير فأصاب صاعَيْن من تمر، فتصدّق بأحدهما، فلَمَزه المنافقون» الجَرير: الحَبْل، يريد أنّه كان يستقي الماء. (٣: ٢٠٣)

الصّاحِب: الجَرّ: آنِيَةٌ من خَزَف، الواحدة: جَرّة.

والجِرارة: حِرْفَة الجَرّار.

والجَرّ: أسْفَل الجبل، وجُحْرٌ مَنْقُور أيضًا.

والجَرّارة: عُقَيْرِبٌ صَفْراء.

والجارُور: نَهْرٌ يَشُقّه السَّيْل فيتخَدّدُ.

والجَرُور من الحَوامل: ماتَجُرّ ولَدَها إلى أقصى الغاية. وهو من الآبار: كلّ بِئْر بعيدة القَعْر.

والجَرير: حَبْل الزِّمام، أجْرَرْتُ النّاقة: ألقيْتُ جَريرها تَجُرّه. وفي مَثَل: «أجِرَّهُ رَسَنَه» أي دَعْهُ ومايريد.

وأجرَرْتُه الرُّمحَ، إذا مشى به.

وأجرَرْتُه الفصيل فهو مُجرُور، إذا خَلَلْتَ لسانه لئلّا يَرْضَع.

وغنّاه فلان فأجَرّه أغانيّ كثيرةً إجرارًا، إذا أتبعه بأصوات.

وأجرّت القَرْحَة الفصيل، وهو أن لايقدر على الرَّضاع.

واستَجرَرْتُ لفلان: أمكنْتُه من نفسي فانقدْتُ.

والإجرار: أن تُتبع رأيه رأيك.

وجَرّ به، إذا قطع به.

والمَجَرّة: شَرَجُ السّماء، وقيل: هي أيضًا المُسنّاة.

والمَجَرّ: الجرّ، وقولهم: «هلُمّ جرًّا» منه، وقيل: هو من جَرّ الإبل وانسياقها، أي هلُمّ جارّين، وهو مصدر وُضِع موضع الحال.

وفعَلْتُ ذلك من جَرّاك، أي أجلك، ومن جَريرتك، ومن أجْل جَرّاك، ومن جَرائك.

والجَريرة: الجِناية، فلانٌ يَجُرّ على نفسه جَريرةً، والجمع: الجرائر.

والجِرّة: جِرّة البعير يَقْرِضُها ثمّ يَكظِمها، وفي المثل: «لاأفعَل ذاك ماخالفَتْ دِرّةٌ جِرّةٌ». وتَجرّر البعير: بمعنى اجترّ.

والجِرّيّة من الطّائر: الّتي يكون فيها الماء أو العلَف، وجمعها جَراريّ.

والجُرّة: خشَبة يُعقَل حَبْل الكِفّة في وسطها.

والجرّ: الحرْث، اجْتَرّوا حبًّا: احترثوه.

والجرّ: أن تدَعَ الإبل تأكل وتسير.

والجِرّة: الجماعة من النّاس الكثيرة، يقيمون ويظعنون.

وجاء يسُوق جَيْش الأجرّين، أي جَيْشًا كثيرًا.

ومالَهُ جانّةٌ ولاجارّةٌ، أي ماتَجِنّ، وماتَحْمِل المتاع والطّعام.

والجَرُور: البئر الّتي يُستَق منها على بعير، وجمعها: جَرائر. وأجرّت البئر: صارَتْ كذلك، وبئارٌ جُرَرٌ، بفتح الرّاء.

وحارٌّ جارٌّ: على الإتْباع.

وفلان لاجارّة له، أي لامنفعة له.

وسَيْل جارُّ الضّبُع ومَطَرة جارّةُ الضّبُع، أي تُخْرِج الضّباع من وُجُرِها.

والمَجَرّ: سِمَة في أسْفَل الفَخِذ يَنْصَبّ حتّى يَبلُغ السّاق ثمّ يُلْوَى طرَفه. (٦: ٤٠٠)

الجَوهَريّ: الجَرّة من الخزف، والجمع: جَرٌّ وجِرار.

والجَرّ أيضًا: أصل الجبَل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرّة بالكسر: مايُخرجه البعير للاجترار، ومنه قولهم: «لاأفعَل ذلك ماخالفت الجِرّة الدِّرّة». واختلافها أنّ الدِّرّة تَسفُلُ والجِرّة تعلو.

والجِرّيّ: ضَرْبٌ من السّمك.

والجِرّيّة: الحوصلة.

والجُرّة: خشَبة نحو الذّراع في رأسها كِفّة، وفي وسطها حَبْل يُصاد بها الظّباء، وفي المثل: «ناوَص الجرّة ثمّ سالمها» وذلك أنّ الظّبي إذا نشب فيها ناوصَها ساعةً واضطرب، فإذا غلبته استقرّ فيها كأنّه سالمها. يُضرَب لمن خالف، ثمّ اضطُرّ إلى الوفاق.

وفرَسٌ جَرُور: يمنع القياد. وبئر جَرُور: بعيدة القعر يُستَى عليها.

والجارُور: نهر السّيل.

وكتيبة جَرّارة، أي ثقيلة المسير لكثرتها، وجيشٌ جَرّار.

والجَـرّارة أيضًا: عُقَيْرِبٌ تَجُرّ ذَنَبها.

والجَرِير: حَبْل يُجعَل للبعير بمنزلة العِذار للدّابّة غير الزّمام، وبه سمّي الرّجل جريرًا.

وجَرَرْتُ الحبل وغيره أجُرّه جَرًّا.

والمَجَرّة الّتي في السّماء سمّيت بذلك، لأنّها كأثر المَجَرّ.

وجَرّ عليهم جَرِيرةً، أي جنى عليهم جناية.

ويقال: جَرّت النّاقة، إذا أتت على مَضرِبها ثمّ جاوزته بأيّام ولم تُنتَج.

والجارّة: الإبل الّتي تُجَرّ بأزِمّتها «فاعِلَة» بمعنى «مَفعُولة» مثل عيشةٍ راضيةٍ بمعنى مرضيّة، وماءٍ دافق بمعنى مدفوق.

وفي الحديث: «لاصدقة في الإبل الجارّة»، وهي ركائب القوم، لأنّ الصّدقة في السّوائم دون العوامل.

وحارٌّ جارٌّ: إتباع له، قال أبوعُبَيْد: وأكثر كلامهم: حارٌّ يارٌّ، بالياء.

وتقول: كان ذلك عامَ كذا وهلُمّ جَرًّا إلى اليوم.

وفعلت كذا من جَرّاك، أي من أجلك، وهو «فَعْلَى» ولاتقل: مجَرّاك.. [ثمّ استشهد بشعر]

وربّما قالوا: من جَرَاك غير مشدّد، ومن جَرائك بالمدّ، من المعتلّ.

وأجرَرْتُ لسان الفصيل، أي شققته لئلّا يرتضع. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال أيضًا: أجَرّه الرُّمح، إذا طعنه وترك الرُّمح فيه يجرّه. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجرَرْتُه رَسَنَه، إذا تركته يصنع ماشاء. وأجرَرْتُه الدَّين، إذا أخّرتَه له.

وأجَرّني فلان أغانيّ، إذا تابعها.

وفلان يُجارّ فلانًا، أي يطاوله.

والتّجرير: الجَرّ، شُدّد للكثرة، أو للمبالغة.

واجترّه، أي جَرّه.

واجترّ البعير، من «الجِرّة»، وكلّ ذي كَرِشٍ يجترّ.

وانجرّ الشّيء: انجذب. (٢: ٦١١)

ابن فارِس: «جرّ» الجيم والرّاء أصل واحد، وهو مدّ الشّيء، وسَحْبه، يقال: جرَرت الحَبْل وغيره أجُرّه جرًّا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرّ: أسفل الجبَل، وهو من الباب، كأنّه شيء قد سُحب سَحْبًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرُور من الأفراس: الّذي يمنع القياد. وله وجهان: أحدهما: أنّه «فَعُول» بمعنى «مَفعُول» كأنّه أبدًا يُجَرّ جرًّا، والوجه الآخر: أن يكون جَرُورًا على جهته، لأنّه يجُرّ إليه قائده جرًّا.

والجرّار: الجيش العظيم، لأنّه يجُرّ أتباعه وينجرّ. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن القياس: الجُرجُور، وهي القطعة العظيمة من الإبل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجرير: حَبْل يكون في عنق النّاقة من أدَم، وبه

سمّي الرّجل جَريرًا. ومن هذا الباب: الجريرة: ما يَجُرّه الإنسان من ذنب، لأنّه شيء يَجُرّه إلى نفسه. ومن هذا الباب: الجِرّة جِرّة الأنعام، لأنّها تُجرّ جَرًّا.

وسمّيت مَجَرّة السّماء مَجَرّة، لأنّها كأثر الجَرّ.

والإجرار: أن يُجَرّ لسان الفصيل ثمّ يُخَلّ لئلّا يرتضع. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال قوم: الإجرار: أن يُجَرّ، ثمّ يُشقّ. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: أجرّه الرُّمحَ، إذا طعنَه وترك الرُّمح فيه يَجُرّه. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: جَرّت النّاقة، إذا أتت على وقت نِتاجها ولم تُنتَج إلّا بعد أيّام، فهي قد جَرّتْ حملَها جرًّا. وفي الحديث: «لاصدقة في الإبل الجارّة» وهي الّتي تُجَرّ بأزمّتها وتُقاد، فكأنّه أراد الّتي تكون تحت الأحمال، ويقال: بل هي رَكُوبة القوم.

ومن هذا الباب: أجرَرْت فلانًا الدّين، إذا أخّرتَه به، وذلك مثل إجرار الرُّمح والرَّسَن. ومنه أجَرّ فلانٌ فلانًا أغانيّ، إذا تابعها له. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: كان في الزّمن الأوّل كذا وهلُمّ جرًّا إلى اليوم، أي جُرّ ذلك إلى اليوم لم ينقطع ولم ينصرِم. والجَرّ في الإبل أيضًا: أن ترعى وهي سائرة تَجُرّ أثقالها.

والجارُور ـ فيما يقال ـ نهرٌ يشقّه السّيل.

ومن الباب: الجُرّة، وهي خشبة نحو الذّراع تُجعَل في رأسها كِفّة وفي وسطها حَبْل، وتُدفَن للظِّباء فتنشَب فيها، فإذا نَشِبتْ ناوصَها ساعةً يجُرّها إليه وتجُرّه إليها، فإذا غلبتْه استقرّ فيها. فتضرب العرب بها مثلًا للّذي يُخالف القوم في رأيهم ثمّ يرجع إلى قولهم، فيقولون: «ناوَصَ الجُرّة ثمّ سالَمَها».

والجَرّة من الفَخّار، لأنّها تُجَرّ للاستقاء أبدًا. والجَرّ: شيء يتّخذ من سُلاخة عُرقوب البعير، تجعل فيه المرأة الخَلْع ثمّ تعلّقه عند الظّعن من مُؤخّر عِكْمها، فهو أبدًا يتذبذب. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن الباب: رَكيٌّ جَرُور، وهي البعيدة القَعْر يُسنَى عليها، وهي الّتي يُجَرّ ماؤها جرًّا.

والجَرّة: الخُبْزة تُجَرّ من المَلّة. [ثمّ استشهد بشعر]

فأمّا الجَرْجرة، وهو الصّوت الّذي يُردّده البعير في حَنجَرته فمن الباب أيضًا، لأنّه صوت يَجُرّه جرًّا، لكنّه لمّا تكرّر قيل: جَرجَر، كما يقال: صَلّ وصَلْصَل. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤١٠)

الهَرَويّ: في الحديث: «أنّ عائشة رضي الله عنها قالت: نصبْتُ على باب حُجرَتي عباءةً وعلى مَجَرّ بيتي سِترًا». مَجَرّ البيت: هو الّذي يقال له: الجائز. وأُراه مُشبّهًا بالمَجَرّة، لاعتراضها في السّماء.

وفي الحديث: «لاتُجارّ أخاك ولاتُشارّه» قال الأزهَريّ: تُجارّ، من الجريرة، المعنى: لاتَجْنِ عليه وهو يَجْني عليك.

وقال غيره: يقول: لاتُماطِلْه من الجَرّ، وهو أن تَلويَه بحقّه، تَجُرّه من محلّه إلى وقت آخر.

وقال بعضهم: إنّما هو: لاتُجار أخاك، من الجِراء في الخَيْل، وهو أن يتَجارَى الرّجلان للمسابقة. يقول: لاتُطاوِلْه ولاتُغالِبْه.

وتُشارّه «تفاعله» من الشّرّ.

وفي حديث لقيط: «ثمّ بايعه على ألّا يجرّ عليه إلّا نَفْسُه» يريد أنّه لايُؤخذ بجَريرة غيره، لاوالد، ولاوَلَد، ولاعشيرة.

وهذا كقوله لرجل رأى معه ابنه، فقال: لايَجْني عليك ولاتَجْني عليه، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام: ١٦٤.

وفي الحديث: «إنّ امرأةً دخلت النّار من جَرّاء هِرّة» أي من أجلها.

وفي الحديث: «لاصدقة في الإبل الجارّة» يعني الّتي تُجرّ بأزِمّتها وتُقاد، «فاعِلَة» بمعنى «مَفعُولة»، كما يقال: سِرٌّ كاتِمٌ، ولَيلٌ نائِمٌ، وأرضٌ غامِرة، غمَرها الماء. أراد: ليس في الإبل العوامِل صدقة. (٣٤٣)

الثّعالبيّ: عسكر جرّار. [من تقسيم نعوت الكثرة على العساكر] (٢٢٧)

ابن سيده: الجرّ: الجَذْب، جرّه يجُرّه جرًّا، واجترّه، واجدَرّ، قلبوا التّاء دالًا، وذلك في بعض اللّغات، قال:

فقلت لصاحِبي لاتحبِسَنّا

بنَزْع أصوله واجْدَزَّ شِيحا

ولايقاس ذلك، لايقال في اجترأ: اجدرأ، ولا في اجترح: اجدرح.

واستجرّه، وجرّره وجرّر به.

وتجِرّة: «تفعِلَة» منه.

وجارُّ الضَّبُع: المطر الّذي يجُرّ الضّبُع عن وِجارها من شدّته، وربّما سمّي بذلك السّيل العظيم، لأنّه يجُرّ الضّباع من وُجُرها أيضًا.

وقيل: جارُّ الضّبُع: أشدّ مايكون من المطر، كأنّه لايدع شيئًا إلّا جرّه.

والجارُور: نهر يَشُقّه السّيل فيجرّه.

وجرّت المرأة ولدَها جرًّا، وجرّت به، وهو أن يجوز وِلادُها عن تسعة أشهر، فتجاوزها بأربعة أيّام أو ثلاثة، فينضَج ويتمّ في الرّحم.

والجَرّ: أن تجرّ النّاقة ولدها بعد تمام السّنة شهرًا أو شهرين أو أربعين يومًا فقط.

والجَرُور من الإبل: الّتي تجرّ ولَدَها إلى أقصى الغاية أو تجاوزها. [ثمّ نقل قول ابن الأعرابيّ و قال:]

وقيل: هي الّتي يُقَفَّصُ ولدها فتُوثَق يداه إلى عُنُقه عند نتاجها، فيُجَرّ بين يديها ويُستَلّ فصيلها، فيُخاف عليه أن يموت، فيُلبَس الخِرْقة حتّى تعرفها أُمّه عليه. فإذا مات ألبسوا تلك الخِرقة فصيلًا آخر، ثمّ ظأَروها عليه وشدّوا مناخرها، فلاتُفتَح حتّى يرضعها ذلك الفصيل، فتجد ريح لبَنها منه فترأَمَه.

وجرّت الفرس تجُرّ جرًّا وهي جَرُور،إذا زادت على أحد عشر شهرًا ولم تضع مافي بطنها، وكلّما جرّت كان أقوى لولدها، وأكثر زمن جرّها خمسَ عشرة ليلة.

وجرّ النّوْء بالمكان: أدام المطَر.

والجَرُور من الآبار: البعيدةُ القَعْر، وقيل: هي الّتي يُستَقى منها على بعير. وإنّما قيل لها ذلك، لأنّ دلوها تُجَرّ على شفيرها لبُعد قعرها.

وبعير جَرُور: يُستَقى به، وجمعه: جُرُر.

وجرّ الفصيل جرًّا، وأجرّه: شَقّ لسانه لئلّا يرضع. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: الإجرار: كالتّفليك، وهو أن يجعل الرّاعي

من الهُلْب مثل فَلْكَة المِغْزَل، ثمّ يُثقّب لسان الفصيل فيجعله فيه لئلّا يرضع. [ثمّ استشهد بشعر]

واستَجرّ الفصيل عن الرّضاع: أخذته قَرْحَة في فيه أو في سائر جسده، فكفّ عنه لذلك.

والجَرير: حَبْل مفتول من أدَم يكون في أعناق الإبل، والجمع: أجِرّة، وجُرّان.

وأجَرّه: ترك الجَرير على عنُقه. وأجَرّه جريرَه: خلّاه وسَوْمَه، وهو مثل بذلك. وأجَرّه الرُّمح: طعَنه به وتركه فيه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجارّة: الطّريق إلى الماء.

والجَرّ: الحبْل الّذي في وسط اللُّوَمة إلى المِضمَدة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرّة: خشبة نحو الذّراع يُجعَل في رأسها كِفّة وفي وسَطها حَبْل، فإذا نشب فيها الظّبي ناوصَها واضطرب فيها، فإذا غلبته استقرّ فيها، فتلك المسالمة، وفي المثل: «ناوصَ الجِرّة ثمّ سالمها» يضرب ذلك للّذي يخالف القوم عن رأيهم ثمّ يرجع إلى قولهم.

والجَرّة، أيضًا: الخبزة الّتي في المَلّة. [ثمّ استشهد بشعر]

والمَجَرّة: شرَج السّماء، يقال: هي بابها، وهي كهيئة القُبّة.

والجريرة: الذّنب والجِناية يجنيها الرّجل، وقد جَرّ على نفسه وغيره جريرة يَجُرّها جَرًّا. [ثمّ استشهد بشعر]

وفعلت ذلك من جريرتك، ومن جَرّاك ومن جَرّائك، أي من أجلك. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرّة: مايفيض به البعير من كَرِشه، فيأكله ثانية.

وفلان لايجتق على جِرّته، أي لايكتُم سِرًّا، وهو مَثَل بذلك.

«ولاأفعله مااختلف الدِّرّة والجِرّة، ومااختلفت دِرّةٌ جِرّةً، واختلافهما أنّ الدِّرّة تسفل إلى الرِّجلين، والجِرّة تعلو إلى الرّأس.

والجِرّة: الجماعة من النّاس يقيمون ويظعنون.

وعسكر جَرّار: كثير. وقيل: هو الّذي لايسير إلّا زحفًا لكثرته. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرّارة: عُقَيْرِب صفراء على شكل التّبنة.

والجُرّ: سفح الجبل وأصله، والجُرّ: الوهدة من الأرض، والجُرّ أيضًا: جُحْر الضّبُع والثّعلب واليَرْبوع والجُرَذ. وحكى كراع فيهما جميعًا: الجُرّ بالضّمّ، قال: والجُرّ أيضًا: المسيل.

والجَرّة: إناء من خزف كالفخّار، وجمعها: جَرّ، وجِرار.

وقولهم: هلُمّ جَرًّا معناه: على هينتك. (٧: ١٩٦)

الجَرّ: الجَذْب والسّحب، جَرّ الشّيء يَجُرّه جَرًّا، وجَرّره مبالغة، وجَرّاه على البدل، واجترّه واستجراه.

وانجرّ: انجذب.

وهلُمّ جَرًّا: تعبير يقال لاستدامة الشّيء واتّصاله.

(الإفصاح ١: ٦٥٠)

الزّمَخْشَريّ: رأيت مجَرّ ذيله، وجَرّروا أذيالهم. وأجرّه الرُّمحَ، إذا طعنَه وتركه فيه يَجُرّه. وجَرّ على نفسه جَريرة، وكثرت جَرائرُهم وجرائمهم. وكظَم البعير جِرّته. ولاأفعل ذلك مااختلفت الجِرّة والدِّرّة. وفعلتُه

من جَرّاك. وكَثُرتْ بنصيبين الطّيّارات والجَرّارات، وهي عقارب صُفْرٌ صِغارٌ. واجترَرْتُه فأكلته. وجَرْجَر العَوْدُ: تضوّر. وجَرْجَر الشّراب في جوفه: جرعَه جَرْعًا متداركًا له صوت، وفي الحديث: «فكأنّما يُجَرْجِرُ في جوفه نار جهنّم».

ومن المجاز: داره بجَرّ الجبل، أي بأسفله، كما يقال: بذَيْل الجبل. وإنّه ليَجُرّ جَيْشًا كثيرًا، وجَيْشٌ جَرّارٌ: يجَرّ عَتادَ الحرب. [ثمّ استشهد بشعر]

والإبل الجارّة: العوامل، لأنّها تجُرّ الأثقال، أو تُجَرّ بالأزمّة. ولاجارّة لي في هذا، أي لامنفعة تجُرّني إليه وتدعوني. وأجرّ لسانه: منعه من الكلام، وأصله من إجْرار الفصيل، وهو أن يُشَقّ لسانه ويُشدّ عليه عود لئلّا يرتضع، لأنّه يجُرّ العود بلسانه.

وأجرَرْتُ فلانًا رَسَنَه: تركته وشأنه. وأجرَرْتُه الدَّين، إذا أخّرته. وأجَرّني أغانيَّ، إذا غنّاك صوتًا، ثمّ أردفه أصواتًا متتابعة. [ثمّ استشهد بشعر]

وكان ذلك عام كذا وهلُمّ جَرًّا إلى اليوم. وفلان يجُرّ الإبل على أفواهها، إذا سارَها سَيْرًا ليّنًا وهي تأكل. [ثمّ استشهد بشعر]

وأصابتنا السّماء بجارّ الضّبُع، وهو السّيل الّذي يُخرجها من وِجارها. وهذا مطر جارّ الضّبُع. ومَطْرَة جارّة الضّبُع. وجَرّت الخيل الأرض بسنابكها، إذا خدّتها. وجَرّت الحامل، فهي جَرُور، إذا زادت على وقت حملها. واستَجْرَرْتُ لفلان: انْقَدْتُ له. وألقاه في جِرّيّته، أي أكلَه، وهي الحوصلة. وفَرَس جَرُور ضدّ قَؤود. وبئر جَرُور ومَتُوح ونَزُوع، أي يُسْتَقى منها، ويُسْتَقى على البكرة، ويُنْزَع بالأيدي.

وفي مَثَل «سِطِي مَجَرْ، تُرْطِبْ هَجَرْ» أي يامجرّة. وفي الحديث: «خلّوا بين جَريرٍ والجَرير» وهو زِمام من أدَم، وكان يُنازَع على زمام ناقته عليه السّلام، وهو مَثَل في التّخلية. (أساس البلاغة: ٥٦)

«مامن عبد ينام باللّيل إلّا على رأسه جرير معقود، فإن هو تَعارّ، وذكر الله حُلّت عُقدة، فإن هو قام وتوضّأ وصلّى حُلّت عقدة».

وفي معناه حديث ابن عمر. [وقد مرّ عند الأزهريّ]

ومن الجَرير قوله ﷺ لبني عبد المطّلب، وهم ينزعون على زَمْزَم: «انزعوا على سقايتكم، فلولا أن يغلبكم النّاس عليها لنَزَعْتُ معكم حتّى يؤثّر الجرير بظهري». [ثمّ ذكر حديث الخطّابيّ: إنّ رجلًا كان يجرّ...] (الفائق ١: ٢٠٢)

المَدينيّ: في حديث عبد الله رضي الله عنه: «طعنت مسيلمة ومشى في الرّمح، فناداني رجل: أن اجْرِره الرّمح، فلم أفهم، فناداني: ألقِ الرّمح من يدك، أي اطْعَنْهُ بالرّمح واتركْهُ فيه.

يقال: أجرَرْت النّاقة، أي ألقيت جَريرها تجُرّه. والجَرير: حبل من أدَم، نحو الزّمام.

وقيل: «إنّ الصّحابة نازعوا جرير بن عبد الله رضي الله عنهم زِمامه، فقال رسول الله ﷺ: «خلّوا بين جرير والجرير»، أي دعوا له زِمامه.

وأجرَرته رسَنَه، أي تركته ومايريد.

وأجرَرته الرّمح، أي طعنته به، فمشى وهو يجُرّه. [ثمّ استشهد بشعر]

في حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما: «المَجَرّة باب السّماء» المَجَرّة: هي البياض المعترض في السّماء بين النَّسْرَين. وقيل: أُخذت من مَجَرّ الطّريق، كأنّها طريقة ممدودة، وتسمّى شَرَجَ السّماء. والمَجَرّة أيضًا: المُسنّاة.

في حديث بعض التّابعين: «أنّه سُئل عن أكل الجِرّيّ». والجِرّيّة: سمكة تُشبه الحيّة يسمّيها الفصحاء: الجِرّيث والجُرْجُور أيضًا. ويسمّى بالفارسيّة «مارماهي». مختلَف في أكله، وأهل السُّنّة من الكوفيّين يشترطون أكله في السُّنة. (١: ٣١٧)

ابن الأثير: «إنّه خطب على ناقته، وهي تقصع بجِرّتها» الجِرّة: مايخرجه البعير من بطنه ليَمضَغه ثمّ يبلعه، يقال: اجترّ البعير يجترّ.

ومنه حديث أُمّ معبد: «فضرب ظهر الشّاة فاجترّت ودرّت».

ومنه حديث عمر رضي الله عنه: «لايصلح هذا الأمر إلّا لمن لايحنق على جِرّته» أي لايحقد على رعيّته، فضرب الجِرّة لذلك مثلًا.

وفي حديث الأشربة: «أنّه نهى عن نبيذ الجرّ، وفي رواية، نبيذ الجِرار» الجرّ والجِرار: جمع جرّة، وهو الإناء المعروف من الفخّار، وأراد بالنّهي عن الجِرار المدهونة، لأنّها أسرع في الشّدّة والتّخمير. (١: ٢٥٩)

الصّغانيّ: الجرّ: شيء يُتّخذ من سُلاخة عُرقُوب البعير، تجعل فيه المرأة الخَلْع، ثمّ تُعلّقه عند الظّعن من مؤخّر عِكمِها، فهو أبدًا يتذبذب. [ثمّ استشهد بشعر]

والجرّ، أيضًا: حَبْل يُشدّ في أداة الفدّان.

والجَرّ: أن ترعى الإبل وتسير، أو تركب ناقة وتتركها ترعى، الانجرار أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرّ: الزّبيل.

وفلان يَجُرّ الإبل جرًّا، أي يسوقها سَوقًا رُوَيدًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرّة: خبز المَلّة تجرّ من النّار.

وجُرّ الفصيل جرًّا، فهو مجرور، أي شُقّ لسانه لئلّا يرتضع، لغة في أجرّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرارة، بالكسر: حرفة الجرّار.

وفي الحديث: «لاتُجارّ أخاك ولاتُشارّه». من رواها مشدّدتين، فمعناها: أن لايجني كلّ واحد منهما على صاحبه.

وقيل: المُجارّة: المماطلة، وأن يلوي بحقّه ويجرّه من وقت إلى وقت، والمُشارّة: من الشّرّ.

استجررت لفلان: أمكنته من نفسي فانقدت.

والجَرّ: الحرث، واجترّوا: احترثوا.

وجُرار: جبَل.

والجَرّارة: ناحية من البَطيحة، موصوفة بكثرة السّمك.

والأجَرّان: الجنّ والإنس، كالثّقلَين. (٢: ٤٤٥)

الفَيُّوميّ: «جَرَرْتُ الحبْل ونحوه جَرًّا: سَحَبتُه فانجرّ، وجَرّرْتُه: مبالغةٌ وتكثيرٌ، وجَرّيتُه: على البَدل.

والجَريرة: مايَجُرّه الإنسان من ذَنْبٍ «فعيلة» بمعنى «مفعُولة».

والجَرير: حَبْل من أدَم يُجعَل في عُنُق النّاقة؛ وبه سمّي الرّجل، مع نَزْع الألف واللّام.

والجِرَّة بالكسر: لذي الخُفّ والظِّلْف كالمِعِدَة للإنسان. قال الأزهريّ: الجِرَّة بالكسر: ماتُخرِجه الإبل مِنْ كُرُوشِها فتجترّه.

فالجِرَّة في الأصل للمَعِدَة، ثمّ توسّعوا فيها حتّى أطلقوها على مافي المِعِدَة، وجمع الجِرَّة: جِرَرٌ، مثل سِدْرة وسِدَر.

والجَرَّة بالفتح: إناءٌ معروف، والجمع: جِرار، مثل كَلْبَة وكلاب، وجَرّاتٌ وجَرٌّ أيضًا، مثل تَمْرَةٍ وتَمْر. وبعضهم يجعل الجَرّ لُغَةً في الجِرَّة.

وقولهم: وهلُمّ جَرًّا، أي مُمتدًّا إلى هذا الوقت الّذي نحن فيه. مأخوذ من أجرَرْتُ الدَّيْن، إذا تركتَه باقيًا على المَدْيُون، أو من أجرَرْتُه الرُّمح، إذا طعَنْتَه وتركت فيه الرُّمح يجُرّه.

(٩٦٦) الفيروزابادي: الجَرّ: الجَذْبُ كالاجترار والاجْدِرار والاستِجْرار والتَّجرير، وموضع بالحجاز في ديار أشجَع، وعين الجَرّ: بلد بالشّام، وجمع الجَرَّة من الخزَف كالجِرار، وأصل الجبَل، أو هو تصحيفٌ للفرّاء، والصّواب الجُراصِل كعُلابِط: الجبَل، والوَهْدَة من الأرض، وجُحْرُ الضّبُع والثّعلَب، والزّبيل، وشيءٌ يُتّخَذ من سُلاخَة عُرْقُوب البعير، وتجعَل المرأة فيه الخَلْعَ ثمّ تُعلّقه من مُؤخَّر عِكْمِها فيَتذبذَبُ أبدًا، وحبْل يُشَدّ في أداة الفَدّان، والسَّوقُ الرُّوَيدُ، وأن ترعَى الإبل وتسير، أو أن تركَبَ ناقةً وتترُكَها ترعَى كالانْجِرار فيها، وشَقّ لسان الفصيل لئلّا يرتضِعَ كالإجرار، وأن تجُرّ النّاقة ولَدَها بعد تمام السّنة شهرًا أو شهرين أو أربعين يومًا وهي جَرُور، وأن تزيد الفرس على أحد عشر شهرًا ولم تضَعْ، وأن يجوز وِلادُ المرأة عن تسعة أشهر.

والجِرَّة بالكسر: هيئةُ الجَرّ، ومايفيض به البعير فيأكله ثانيةً ويُفتَح، وقد اجترّ وأجرّ، واللُّقمَة يتعَلّل بها البعير إلى وقت علفه، والجماعة يقيمون ويظعَنون.

والجُرَّة بالضّمّ ويُفتَح: خُشَيْبَةٌ في رأسها كِفّةٌ يُصادُ بها الظِّباء، وقَعْبَةٌ من حديد مَثقُوبة الأسْفَل يُجعَل فيها بَذْرُ الحِنطَة حين يُبْذَر، ويَزيدُ بن الأخنَسِ بن جُرَّةَ صحابيّ.

وبالفتح: الخُبْزَةُ، أو خاصّ بالّتي في المَلّة.

والجِرّيّ بالكسر: سمَكٌ طويل أملَسُ لايأكله اليهود، وليس عليه فُصُوص.

والجِرّيَّة والجِرِّيئَة بكسرهما: الحَوصَلة.

والجارّة: الإبلُ تُجَرّ بأزِمّتها، والطّريق إلى الماء.

والجَرير: حَبْل يُجعَل للبعير بمنزلة العذار للدّابّة والزّمام.

والمَجَرّ كمَرَدّ: الجائز تُوضَع عليه أطراف العوارض، وبالهاء: باب السّماء أو شَرَجُها.

ومَجَرّ الكَبْش: موضع بمِنًى.

والجَريرة: الذّنْبُ والجناية، جرّ على نفسه وغيره جَريرةً يجُرّها بالضّمّ والفتح جَرًّا.

وفعلْتُ من جَرّاك ومن جَرّائك ويُخَفّفان، ومن جَريرتك: من أجلِك، وحارٌّ جارٌّ: إتباع.

والجَرْجار كقَرْقار: نَبْتٌ، ومن الإبل: الكثير الصّوت كالجُرجِر، وصَوتُ الرّعد، وبهاء: الرّحَى.

والجَراجِر: الضّخام من الإبل، واحدها: الجُرجُور، وبالضّمّ: الضّخاب منها والكثير الشُّرْب، والماءُ

المـصوِّت.

والجَرْجَرُ: مايُداس به الكُدْسُ وهو من حديد، والفُول ويُكسَر.

والأجْرَان: الجنّ والإنس.

وفرَسٌ وجملٌ جَرُور: يمنع القياد، وبئر بعيدة، وامرأة مُقعَدة.

والجارور: نهر السّيل.

وكتيبة جَرّارة: ثقيلة السّير لكثرتها.

والجرّارة كجبّانة: عُـقَيْربٌ تجُرّ ذَنَبها، وناحيةٌ بالبَطيحة.

والجِرْجر والجِرْجير بكسرهما: بقْلَة.

وأجَرّهُ رسَنَه: ترَكه يصنَع ماشاء، والدَّين: أخّره له، وفلانًا أغانيَهُ: تابَعَها، وفلانًا: طعنَه وترَك الرُّمح فيه يجُرّه.

والجَرْجَرة: صَوْتٌ يُرَدِّده البعير في حَنجَرته، وصَبُّ الماء في الحلق كالتَّجَرْجُر، والتَّجَرْجُرُ: أن تجرَعَه جَرْعًا متداركًا.

وجَرْجَر الشّراب: صَوّتَ، وجَرْجَره: سقاه على تلك الصّفة.

واجتَرّ: اجتَذَب، وجارّه، ماطلَه أو حاباه.

واسْتَجرَرْتُ له: أمكنْتُه من نفسي فانقدْتُ له.

والجُرْجُور: الجماعة، ومن الإبل: الكريمة، ومائةٌ جُرْجُور: كاملة. (١: ٤٠٢)

الطُّرَيحيّ: في الحديث ذُكر الجِرّيّ بالجيم والرّاء المشدّدة المكسورتين، والياء المشدّدة أخيرًا: ضرب من السّمك عديم الفَلْس، ويقال له: الجِرّيت بالتّاء المثلّثة.

وفيه: «كلّ شيء يجترّ فسؤره حلال ولعابه حلال» قوله: «يجترّ» هو من الاجترار، وهو أن يجُرّ البعير من الكَرِش ماأكل إلى الفم فيمضغه مرّة ثانية، والمراد بالحلال: الطّاهر في الظّاهر.

وفيه: «لاصدقة في الإبل الجارّة» أي الّتي تجُرّ بأزمّتها «فاعلة» بمعنى «مَفعُولة» كعيشة راضية.

والجَريرة: هي الجناية والذّنب، سمّيت بذلك لأنّها تجُرّ العقوبة إلى الجاني، ومنه الدّعاء: «يامن لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك السّتر».

ومنه: «ضِمان الجريرة» وهو أن يَضمَن سائبة كالمُعتِق في الواجب، أو حُرّ الأصل؛ بحيث لايُعلم له قريب. وعقده كأن يقول المضمون: «عاقدتُك على أن تنصرني وتدفع عنّي، وتعقل عنّي وأعقل عنك» فيقول: «قبلت»... (٣: ٢٤٤)

المُصطَفَويّ: حقيقة مفهوم هذه المادّة: هو السّحب والمدّ، والمعاني الأُخر كلّها إنّما تجيء بمناسبة هذا المفهوم، كما رأيت. (٢: ٧٣)

النّصوص التّفسيريّة

يَجُرُّهُ

...وَاَلْقَى الْاَلْوَاحَ وَاَخَذَ بِرَاْسِ اَخِيهِ يَجُرُّهُ اِلَيْهِ...

الأعراف: ١٥٠

الجُبّائيّ: إنّ موسى عليه السلام إنّما فعل ذلك مستعظمًا لفعلهم مفكّرًا فيما كان منهم، كما يفعل الإنسان مثل ذلك عند الغضب وشدّة الفكر، فيقبض على لحيته ويعضّ

على شفته، فأجرى موسى عليه السلام أخاه هارون مجرى نفسه، فصنع به مايصنع الإنسان بنفسه، عند حالة الغضب والفكر. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٨٢)

الطَّبَريّ: فإنّ ذلك من فعل نبيّ الله ﷺ كان لموجدته على أخيه هارون في تركه اتّباعه، وإقامته مع بني إسرائيل في الموضع الّذي تركهم فيه. (٩: ٦٧)

أبو مسلم الأصفهانيّ: إنّه أنكر على هارون مابيّنه من قوله: ﴿مَامَنَعَكَ اِذْ رَاَيْتَهُمْ ضَلُّوا * اَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ طه: ٩٢، ٩٣. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٨٢)

الشّيخ المفيد: إنّه أراد أن يظهر مااعتراه من الغضب على قومه، لإكباره منهم ماصاروا إليه من الكفر والارتداد، فصدر ذلك منه للتألّم بضلالهم، وإعلامهم عظم الحال عنده، لينزجروا عن مثله في مستقبل الأحوال. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٨٢)

الزَّمَخْشَريّ: ﴿يَجُرُّهُ اِلَيْهِ﴾ بذؤابته، وذلك لشدّة ماورد عليه من الأمر الّذي استفزّه وذهب بفطنته، وظنًّا بأخيه أنّه فرّط في الكفّ. (٢: ١١٩)

الطَّبْرِسيّ: قيل: في معناه وجوه: أحدها: [قول الجُبّائيّ المتقدّم] وهذا من الأمور الّتي تختلف أحكامها بالعادات، فيكون ماهو إكرام في موضع استخفافًا في غيره، ويكون ماهو استخفاف في موضع إكرامًا في آخر.

وثانيها: [قول الشّيخ المفيد المتقدّم]

وثالثها: أنّه إنّما جرّه إلى نفسه ليُناجيه ويستبرئ حال القوم منه، ولهذا أظهر هارون براءة نفسه، ولمّا أظهر هارون براءته دعا له ولنفسه.

ورابعها: أنّه لمّا رأى بهارون مثل مابه من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجّعًا له مسكّنًا، فكره هارون أن يظنّ الجهّال ذلك استخفافًا، فأظهر براءته، ودعا له موسى إزالة للتّهمة.

وخامسها: [قول أبي مسلم الأصفهانيّ المتقدّم] (٢: ٤٨٢)

العُكبَريّ: ﴿يَجُرُّهُ اِلَيْهِ﴾ يجوز أن يكون حالًا من موسى، وأن يكون حالًا من الرّأس، ويُضعَّف أن يكون حالًا من أخيه. (١: ٥٩٥)

البَيْضاويّ: توهّمًا بأنّه قصّر في كفّهم، وهارون كان أكبرَ منه بثلاث سنين، وكان حمولًا ليّنًا، ولذلك كان أحبَّ إلى بني إسرائيل. (١: ٣٧٠)

مثله أبوالسُّعود (٣: ٣٣)، والبُرُوسَويّ (٣: ٢٤٥)، ونحوه القاسميّ (٧: ٢٨٦١)، والمَراغيّ (٩: ٧١).

أبوحَيّان: [نحو الزَّمَخْشَريّ ثمّ قال:]

وقيل: ذلك الأخذ والجرّ كان ليسرّ إليه أنّه نزل عليه الألواح في مناجاته، وأراد أن يُخفيها عن بني إسرائيل، فنهاه هارون لئلّا يُشتبه سراره على بني إسرائيل بإذلاله.

وقيل: ضمّه ليعلم مالديه، فكره ذلك هارون لئلّا يظنّوا إهانته، وبيّن له أخوه أنّهم استضعفوه.

وقيل: كان ذلك على سبيل الإكرام لاعلى سبيل الإهانة، كما تفعل العرب من قبض الرّجل على لحية أخيه. (٤: ٣٩٥)

الآلوسيّ: [نحو أبي حيّان وأضاف:]

ولم يقصد موسى بهذا الأخذ إهانته والاستخفاف به، بل اللّوم الفعلي على التّقصير المظنون بحكم الرّئاسة

وفرط الحميّة، والقول: بأنّه عليه السلام إنّما أخذ رأس أخيه ليسارّه ويستكشف منه كيفيّة الواقعة ممّا يأباه الذّوق، كما لايخفى على ذويه. ومثله القول: بأنّه إنّما كان لتسكين هارون، لمّا رأى به من الجزع والقلق. [ثمّ ذكر قول الجُبّائيّ والشّيخ المفيد وقال:]

ولعلّ ماأشرنا إليه هو الأولى.

وجملة (يَجُرُّهُ) في موضع الحال من ضمير موسى أو من (رَأْسِ) أو من (أَخِيهِ) لأنّ المضاف جزء منه، وهو أحد مايجوز فيه ذلك، وضعّفه أبوالبقاء. (٩: ٦٨)

[لاحظ: غ ض ب]

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجرّ، أي الجذب والسّحب، يقال: جرّ الحبل يجرّه جرًّا فانجرّ، أي جذبه فانجذب، وكذا جرّره وجرّر به واجترّه. وفلان يجرّ الإبل: يسوقها سوقًا رُوَيْدًا. والجارّة: الإبل الّتي تُجرّ بالأزمّة.

والجرير: حبل من أدم يُخطَم به البعير، والجمع: أجرّة وجُرّان. وأجرّه: ترك الجرير على عنقه؛ يقال: قد أجرَرْتُه رَسَنَه، أي تركتُه يصنع ماشاء.

وركيّةٌ وبئرٌ جَرُورٌ: الّتي يُستَق منها على بعير، تسمّى ذلك لأنّ دلوها تُجرّ على شفيرها لبُعد قعرها، وبعيرٌ جَرُورٌ: يُستق عليه، والجمع: جُرُر.

والجرور من الحوامل والإبل: الّتي تجرّ ولدها إلى أقصى الغاية أو تجاوزها، يقال: جرّت النّاقةُ والفرسُ تجرّ جرًّا، ويقال أيضًا: جرّت المرأة ولدَها جرًّا وجرّت به، أي يجوز وِلادها عن تسعة أشهر، فيجاوزها بأربعة أيّام أو ثلاثة، فينضج ويتمّ في الرّحم.

وجرّ الفصيل جرًّا وأجرّه: شقّ لسانه لئلّا يرضع، وجُرّ الفصيل فهو مجرور، وأُجِرّ فهو مُجَرّ. واستجرّ الفصيل عن الرّضاع: أخذته قَرْحَةٌ في فيه أو في سائر جسده، فكفّ عنه لذلك.

والجِرّة: مايخرجه البعير للاجترار، يقال: أجترّ البعير والنّاقة والشّاة وأجرّت.

والجَرّة: إناء من خزف كالفخّار، لأنّها تُجرّ للاستسقاء أبدًا، والجمع: جَرّ وجِرار، والجرّار: الّذي يصنع الجِرار؛ وحرفته الجِرارة.

والجَرّة أيضًا: خبز المَلّة [الجَمْر] لأنّه يُجرّ من النّار.

والمَجَرّ: الموضع المعترض في البيت الّذي يوضع عليه أطراف العوارض.

والجُرّة: المكّوك الّذي يُثقب أسفله، يكون فيه البذر، ويمشي به الأكّار والفدّان، وهو ينهال في الأرض، والجمع: جُرَر.

وأجرَرْتُه الرّمحَ: طعَنْتُه به فمشي وهو يجرّه، كأنّك أنت جعلته يجرّه.

والجَرّ: أصل الجبل وسفحه، كأنّه شيء قد سُحِبَ سَحْبًا، والجمع: جِرار.

وجارّ الضّبع: المطر الّذي يجرّ الضّبع عن وِجارها من شدّته، يقال: جاءنا جارّ الضّبُع، وأصابتنا السّماء بجارّ الضّبع، ولايجرّ الضّبع إلّا سيل غالب.

والجارور: نهر يشقّه السّيل فيجرّه، وهو أيضًا كلّ

مكان ينحطّ إليه الماء من علٍ، وهو في سُفْل، كأنّه يجرّ إليه الماء.

والجرّ: المسيل، والجارّة: الطّريق إلى الماء، وجرّ النّوءُ المكان: أدامَ المطر.

وعسكرٌ جرّارٌ: الّذي لايسير إلّا زحفًا لكثرته، وكتيبةٌ جرّارةٌ: ثقيلة السّير، لاتقدر على السّير إلّا رُوَيدًا من كثرتها، وناقةٌ جرّارة: لاتكاد تلحق بالإبل من ثِقلها.

والجرّارة: عقرب صفراء صغيرة على شكل التّبْنة، سمّيت جرّارة لجرّها ذَنبها.

والجَرُور من الخيل: البطيء، وجَمَلٌ وفرسٌ جَرُورٌ أيضًا: اللّذان لاينقادان، كأنّهما أبدًا يُجرّان جرًّا، والجمع: جُرُر. وامرأة جَرُورٌ: مُقعدة، لأنّها تُجَرّ على الأرض جرًّا.

والجَرّ: أن تسير النّاقة وترعى وراكبها عليها، يقال: جرّ يجُرّ جرًّا، أي ركب ناقةً وتركها ترعى.

والمَجارّة: المماطلة وأن يلوي بحقّه ويجرّه من وقت إلى وقت، يقال: فلانٌ يُجارّ فلانًا. وأجررتُه الدّين: أخّرتُه له.

والمَجرّة: شَرَج السّماء، وهي بابها، وهي كهيئة القُبّة، سمّيت بذلك لأنّها كأثر المَجَرّ.

والجَريرة: الذّنب والجناية يجنيها الرّجل، لأنّه شيء يجرّه إلى نفسه، وقد جرّ على نفسه وغيره جَريرةً يجُرّها جرًّا، أي جَنى عليهم جناية، وهي الجُرُّ أيضًا.

وهَلُمّ جرًّا: على هينتك، يقال: كان عامًا أوّل كذا وكذا، فهلُمّ جرًّا إلى اليوم، وأصله من الجذب والسّحب.

٢ـ وألحق اللّغويّون لفظ «الجِرّي» ـ وهو ضرب من السّمك ـ بهذه المادّة؛ إذ نظروا إلى امتداده وطوله، وهو من مستلزمات هذه المادّة، ولذا يسمّونه في مصر «ثعبان الماء»، وهذه التّسمية ترجمة لاسمه في الفارسيّة، حيث يدعوه الفُرس «مارماهي».

وقد ورد في السّريانيّة بلفظ «جَرْيوتا»، ولعلّه هو الأصل، و«الجِرّي» معرّب له، وهو على وزن «فِعّيل» نظير ألفاظ أعجميّة وردت بهذا الوزن، مثل: سِجّيل وتِنّين وقِسّيس وصِفّين، كما جاء بلغتين أُخريين، وهما جِرّيث وقِرّيث على هذا الوزن أيضًا.

ولاعبرة بقول من قال: إنّه على وزن «فِعْلِيّ»، لأنّ «الياء» على هذا القول إمّا للنّسبة، وإمّا لغيرها مثل «ياء» الكرسيّ والكراسيّ، وكلاهما لايناسب معناه، فتأمّل.

٣ـ وممّا شابَ هذه المادّة لفظ «الجِرِّيَة»، أي حوصلة الطّائر، وهو ليس منها، إذ أصله «جِرِّئة» من «ج ر أ»، فسُهِّلت الهمزة، وشُدِّدت «الياء»، فأصبحت «جِرّيّة»، وحسب بعضهم «الياء» للنّسبة، فعدّه من «ج ر ر». ويقال لها: قِرِّيّة أيضًا، على البدل.

وقولهم: فعَلتُ ذلك من جَراك وجَرائك، ومن جَرّاك وجَرّائك، أي من أجلك، لايبعد أن يكون من «ج ري» لأنّ أصل هذه المادّة ـ كما قال ابن فارس ـ انسياح الشّيء، فكأنّ القائل يجري بهوى مخاطبه، كما أنّه لايناسب «ج ر ر» بتاتًا.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٥٠

يلاحظ أوّلًا: أنّ فعل موسى بأخيه حيث رأى من بني إسرائيل مارأى، وقع موقع الآراء؛ حيث عدّوه نقصًا لموسى نبيّ الله، فحملوه على مايُبَرّؤه منه بوجوه ذكرها الطّبْرِسيّ، وبعضها بعيد عن السّياق، ويأباه الذّوق السّليم، مثل:

أنّه لمّا رأى بهارون ما به من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجّعًا له مُسكّنًا فكرِه هارون أن يظنّ الجهّال ذلك استخفافًا به، فأظهر براءته ودعا له موسى، إزالةً للتّهمة.

أوجرّه إليه ليناجيه، ويستبرئ حال القوم منه، ويستكشف منه حال الواقعة، أو ليُسرّ إليه أنّه نزل عليه الألواح في مناجاته، وأراد أن يُخفيها عن بني إسرائيل، فنهاه هارون لئلّا يظنّوا إهانته.

أو أنّه كان على سبيل الإكرام دون الإهانة، كما تفعل العرب من قبض الرّجل على لحية أخيه، ونحوها، فإنّ قوله: ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ...فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يأبى هذه الوجوه، والصّواب: الاعتراف بأنّ ذلك صدر عنه غضبًا لتهويل ماصدر عنهم، ظنًّا منه أنّ هارون فرّط في كفّهم، كما قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ طه: ٩٢، ٩٣، ومثله يوجد في القرآن في قضايا الأنبياء، حملها على ترك الأولى أولى من المعصية. لاحظ سائر الآيات في هذه القصّة، وكذلك: «غ ض ب»، و«أ س ف».

ثانيًا: قيل في: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ أنّ (يَجُرُّهُ) حال من ضمير موسى، أو من (رَأْسِ أَخِيهِ) أو من (أَخِيهِ)، والصّواب: أنّ ضمير الفاعل في (أَخَذَ) و(يَجُرُّهُ) كليهما يرجع إلى موسى، وأنّ (يَجُرُّهُ) خبر (أَخَذَ) لأنّه من أفعال المقاربة، وهي كالأفعال النّاقصة، لها اسمٌ وخبرٌ، وخبرها فعل مضارع دائمًا، يأتي مع (أنْ) أو بدونها. اللّهمّ إلّا أن يقال: (أَخَذَ) إنّما يكون من أفعال القلوب إذا لم يتعدّ بشيء مثل «أخذ يقول» وقد تعدّى هنا: ﴿فَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ فهو بمعنى «أخذ رأسه» لا «شرع يجرّه» فـ(يجرّه) ليس خبرًا لـ(أَخَذَ) بل حال منه. و لك أن تقول معناه: شرع يجرّه بادءً برأسه. فالباء متعلّق بـ(بادءً) دون (أَخَذَ).

ثالثًا: كأنّ (الباء) هنا زائدة للتّأكيد مثل: ﴿لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥.

لاحظ (المُغني) لابن هشام ج ١: ١٠٨.

ج ر ز

لفظان، مرّتان، في سورتين مكّيّتين

جُرُزًا ١ : ١ الجُـرُز ١ : ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل : الجَرْزُ: شدّة الأكل، وجَـرَز يجْـرِز. [ثمّ استشهد بشعر]

وأرضٌ جُرُز، وجَرِزَتْ جَرَزًا، أي لم يبق عليها من النّبت شيءٌ إلّا مأكولًا، وأرض مجْرُوزة، وأرضٌ أجرازٌ، ويجمعون على سعَة الأرض.

والجُرْز: لباسٌ للنّساء من الوَبَر، أو مُسُوك الشّاء، والجميع: الجُـرُوز.

والجُرْز: من السّلاح، والجميع: الجِرَزة.

والجُرْزَة: الحُزْمة من قَتٍّ ونحوه.

وسَيفٌ جُراز: سريع القطع. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: رماه الله بشَرْزَة وجَرْزَة، يريد به الهلاك.

ورجل جَرُوز، أي مقتول في المعركة. (٦: ٦٤)

سيبويه : وقالوا: مُدْيةٌ هُذامٌ، ومُديةٌ جُرازٌ، جعلوا «فُعالًا» بمنزلة أُختها «فعيل». (٣: ٦٣٨)

يقال: جُـرِزتِ الأرض فـهي مجْـرُوزة، وجَـرَزها الجراد والنّعم، وأرضون أجراز، إذا كان لاشيء فيها.

ويقال للسّنة المُـجْدِبة: جُـرُز، وسـنون أجـراز: لجدوبها ويبسها وقلّة أمطارها. [ثمّ استشهد بشعر]

(الطّوسيّ ٧: ١٠)

نحوه الطّبَريّ. (١٥: ١٩٦)

الكِسائيّ : أرضٌ مجْرُوزة، من الجُرُز، وهي الّتي لم يصبها المطر.

نحوه الأصمَعيّ. (الأزهَريّ ١٠: ٦٠٧)

يـقال: جَـرِزت الأرض تجْـرَز، وجَـرَزها القـوم يجْرُزونها، إذا أكلوا كلّ ماجاء فيها من النّبات والزّرع، فهي مجْرُوزة وجُرُز. (القُرطُبيّ ١٠: ٣٥٦)

أبوعمرو الشّيبانيّ : تقول: لقد أبقَى الهُزال منه جَرَزًا، أي شدّةً وعِظَمًا لم يَنْحُف لذاك، ومـايحمل إلّا بجَرَز.

والجَـــرَز: الأرض الّـتي ليس فـيها مَـرْتَع ولاشجر. (١: ١١٨)

هذه فأسٌ جُراز، أي تقطع كلّ شيء. (١: ١١٩)

الفَرّاء: الجُـرُز: أن تكون الأرض لانبات فيها، يقال: جُرِزَت الأرض وهي مجْروزة، وجرَزها الجراد أو الشّاء أو الإبل فأكلن ماعليها. (٢: ١٣٤)

ويقال للنّاقة: إنّها لجُراز، إذا كانت تأكل كلّ شيء، وللإنسان: إنّه لجَـرُوز، إذا كان أكولًا.

وسيف جُراز، إذا كان لايُبقي شيئًا إلّا قطعه.

ويقال: أرضٌ جُرُز وجُرْز، وأرضٌ جَرَز وجَـرْزٌ، لبني تميم، كلّ لو قرئ به لكان حسنًا، وهو مثل البُخُل والبُخْل والبَخَل والبَخْل، والرَّغب والرَّهب والشّغل، فيه أربع مثل ذلك. (٢: ٣٣٢)

أهل الحجاز يقولون: أرضٌ جُرُز، وجَـرْز. وأسد تقول: جَرَز، وجُرْز، وتميم تقول: أرضٌ جُرْز، وجَرْز، بالتّخفيف. (ابن الجَوْزيّ ٥: ١٠٦)

جُـرِزت الأرض فـهي مجْـرُوزة، أي ذهب نباتها بقحط أو جراد. (أبوالسُّعود ٤: ١٧٠)

أبوزَيْد: الجَرَز: القوّة. (٤٧)

يقال: بعير جَرُوز وقد جَرُزَ جَرازةً، إذا اشتدّ أكله.

يقال: جَرَز مافي الإناء، إذا استنفد مافيه. وسَيفٌ جُراز، إذا استوفى الضّريبة. والأرض الجُـرُز: الّتي كأنّها تأكل نَبتها. والجُرْزَة من البقل: القطعة المُستقصَى قَطعُها. [ثمّ استشهد بشعر]

والمصدر من هذا كلّه: الجَرْز. (١٧٢)

أرضٌ جُرُز: لانبات بها كأن انقطع عنها، أو انقطع عنها المطر. (الجَوهَريّ ٣: ٨٦٦)

الجارِز: السُّعال. (الأزهَريّ ١٠: ٦٠٩)

الأصمَعيّ: أرضٌ جُرُز: لانبات فيها، وأجـرَزَ القوم: وقعوا في أرض جُرُز.

الجُراز من السُّيوف: الماضي النّافذ. (الأزهَريّ ١٠: ٦٠٨)

ناقة جَرُوز، إذا كانت أكولًا تأكل كلّ شيء. (ابن منظور ٥: ٣١٦)

الأخفش: الجَرَز: كثرة اللّحم. (أبوزَيْد: ٤٧)

سنَة جُرُز، إذا كانت جَدْبَـةً. (الأزهَريّ ١٠: ٦٠٧)

ابن الأعرابيّ: الجَرَز: لَحْم ظهر الجمل، وجمعه: أجراز. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرْز: القتل. جَرَزَه بـالشّتم، إذا مـارماه بكـلام سوء.

التّجارُز بالكلام، والفعال. (الأزهَريّ ١٠: ٦٠٩)

ويقال: طوى الحيّة أجْرازه، إذا تَرحّى، أي طوى جسمه. [ثمّ استشهد بشعر] (الصّغانيّ ٣: ٢٥٠)

ابن السِّكّيت: ويقال: إنّه لذُو جَرَز، إذا كان له خلق عظيم. (١٢٩)

ويقال: قطّعه إرَبًا إرَبًا، أي قِطَعًا قِطَعًا، وأوجـرَه، وبزّله، وشَرحَه، وبَشَكه، وقَطّعَه، وجَـذّمه، وجَـذّه، وفَصّله، وجرَزه. ومنه سَيفٌ جُراز. (٥٠٩)

ابن قُتَيْبَة: الجُـرُز: الرّغيبة الّتي تَنْشَف مطرًا كثيرًا. (الأزهَريّ ١٠: ٦٠٧)

الدِّينَوريّ: الجُراز: نبات يظهر مثال القَرْعة، بلاورق، ثمّ يعظم حتّى يكون كأنّه النّاس القُعُود. فإذا

عَظُم دَقّ رأسه وتفرّق، ونوّر نَوْرًا كنَوْر الدِّفْلي حسنًا تَبهَج منه الجبال، وهي منابته. ولايُنتفع به في شيء من مَرعى ولامأكل، وهو رِخْوٌ مثل الدُّبّاء، يُرمى بالحجَر فيغيب فيه. (الصّغانيّ ٣: ٢٥٠)

المُبرِّد: [في حديث: «ثمّ لتوجَدَنّ جُرُزًا...»] أرضٌ جُرُز وأرضون أجراز، إذا كانت لاتنبت شيئًا، وتقدير ذلك: أنّها كأنّها تأكل نبتها فلاتُبقي منه شيئًا، من الجَرْز وهو الاستئصال. (الفائق ١: ٤٤٦)

قالت لي أُمّ الهيثم من أمثال العرب: «لاترضى شانئة إلّا بجَرْزة» أي باستئصال. (أبوزَيْد: ١٧٢)

ابن دُرَيْد: رجل ذو جُرُز، إذا كان غليظًا صُلْبًا، وكذلك البعير.

وأرضٌ جُرُز: لم يصبها مطر، والجمع: أجراز.

والجُرْز: العمود من الحديد، عربيّ معروف، والجمع: جِرَزة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجارِزة: أرضٌ يابسة غليظة يكتنفها رمل أو قاع، والجمع: جوارز. وأكثر مايستعمل ذلك في جزائر البحر.

وامرأة جارز: عاقر.

ورجل جَرُوز، إذا كان أكولًا.

وسَيفٌ جُراز، إذا كان صارمًا. (٢: ٧٣)

النّحّاس: الجُرُز في اللّغة: الأرض الّتي لانبات فيها. (٤: ٢١٦)

القاليّ: والجُراز: الماضي في الضّريبة. (١: ٧١)

والأجراز جمع: جُرُز، وهي الّتي لم يصبها المطر، ويقال: الّتي قد أُكل نباتها. (١: ١٨٥)

الأزهَريّ: [أرضٌ مَجْروزة]: الّتي أُكل نباتها.

وقال الله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ السّجدة: ٢٧.

قد جُرِزت الأرض، فهي مجْروزة: جَرَزها الجراد أو الشّاء والإبل، ونحو ذلك.

وأجرَزَ القوم: وقعوا في أرض جُرُز.

يقال: رماه الله بشَرْزة وجَرْزة، يُراد به الهلاك.

ويقال: طوى فلان أجرازه، إذا انقبض وانضمّ بعضه إلى بعض، وطوى الحيّة أجرازه، أي ترحّي[1].

وأجرازه: جمع الجَرَز.

يقال: إنّه لذو جَرَز، أي ذو خُلُق شديد. [ثمّ استشهد بشعر]

[والجُرْزُ من السّلاح] هو عَمُود من حديد.

ويقال للنّاقة: إنّها لجُراز للشّجر، أي تأكله وتكسره. (١٠: ٦٠٧)

الصّاحِب: الجَرْز: شدّة الأكل، جَرَزَ يَجْرِز جَرْزًا. وأرض جُرُزٌ، إذا لم يبق عليها من النّبت شيء إلّا مأكولًا. وأرضٌ مَجْروزة وأجراز: لم يصبها المطر.

وسَيفٌ جُراز: سريع القطع.

ورماه الله بشَرْزَة وجَرْزَة: يريد بها الهلاك.

والجِرْز: من لباس النّساء من الوَبَر وغيره، والجميع: الجُرُوز.

والجُرْز: من السّلاح، والجميع: الجِرَزة والأجراز.

والجارِز: السُّعال.

والمُجارَزَة: المُفاكهة الّتي تُشبه السِّباب.

والجَرَز: القوّة، مابها جَرَز. وقيل: فصوص

---

(١) استدار.

المفاصل.

والمفازة المِجْراز: المُجْدِبَة. (٧: ٢٢)

الخَطّابيّ: [في حديث الحجّاج ...ثمّ لتوجَدَنّ جُرُزًا]

والجُرُز: الأرض الّتي قد جُرِز ما عليها، أي أُكِل ورُعي فبقيت صعيدًا لانبات فيها ولاشيء عليها، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الكهف: ٨.

يقال: جُرِزَت الأرض، وجَرَزَها الجراد يَجرُزُها جَرْزًا إذا لحَسَها. (٣: ١٧٤)

الجَوهَريّ: وفيها أربع لغات: جُرْزٌ وجُرُزٌ، مثل عُسْر وعُسُر، وجَرْزٌ وجَرَزٌ، مثل نَهْر ونَهَر. وجمع الجُرُز: جِرَزَة، مثل جُحْرٍ وجِحَرة. وجمع الجَرَز: أجراز، مثل سَبَب وأسباب.

تقول منه: أجرَز القوم، كما تقول: أيبسوا.

وأرضٌ مَجْروزة: أُكِل نباتها.

والجُرُز: السّنة المُجْدِبة. [ثمّ استشهد بشعر]

وقولهم: إنّه لذُو جَرَز أيضًا بالتّحريك، أي غِلَظ.

والجُرْز: عمود من حديد. وثلاثة جِرَزَة، مثل جُحْرٍ وجِحَرَة. قال يعقوب: ولاتقل: أجْرِزَة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرَزه يَجْرُزه جَرْزًا: قطعه. وسَيفٌ جُراز بالضّمّ، أي قَطّاع. وناقة جُراز، أي أكول.

والجَرُوز: الّذي إذا أكل لم يترك على المائدة شيئًا، وكذلك المرأة؛ وناقة جَرُوز أيضًا.

وقولهم: «لن ترضى شانئة إلّا بجَرْزَة» أي أنّها من شدّة بغضائها لاترضى للّذين تبغضهم إلّا بالاستئصال.

والجارِز: الشّديد من السّعال. [ثمّ استشهد بشعر]

وأرضٌ جارِزَة: يابسة غليظة يكتنفها رَمْل أو قاع، والجمع: جوارز.

وامرأة جارِز، أي عاقر.

والجِرْز بالكسر: لباس من لباس النّساء من الوَبَر، ويقال: هو الفَرْو الغليظ. (٣: ٨٦٦)

وأجْرَز القوم: أمحَلُوا. (ابن منظور ٥: ٣١٧)

ابن فارِس: الجيم والرّاء والزّاء أصل واحد، وهو القطع، يقال: جَرَزْتُ الشّيء: قطعته، وسَيفٌ جُراز، أي قطّاع، وأرضٌ جُرُز: لانبت بها، كأنّه قُطع عنها.

والجَرُوز: الرّجل الّذي إذا أكل لم يترك على المائدة شيئًا، وكذلك المرأة الجَرُوز، والنّاقة. [ثمّ استشهد بشعر]

والعرب تقول في أمثالها: «لن ترضى شانئة إلّا بجَرْزَة» أي إنّها من شدّة بغضائها وحسدها لاترضى للّذين تبغضهم إلّا بالاستئصال.

والجارِز: الشّديد من السّعال، وذلك أنّه يقطع الحلق. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: أرضٌ جارِزَة: يابسة غليظة يكتنفها رَمْل. وامرأة جارِز: عاقر. فأمّا قولهم: ذو جَرَز، إذاكان غليظًا صُلْبًا، وكذلك البعير، فهو عندي محمول على الأرض الجارزة الغليظة. (١: ٤٤١)

الهَرَويّ: قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الكهف: ٨، الجُرُز: الأرض الّتي لانبات بها، كأنّه أُكل نباتها. يقال: جُرِزَت الأرض، إذا أُكل نباتها. وامرأةٌ جَرُوز،

ورجل جَرُوز، إذا كانا أكولَين. وسَيفٌ جُراز. يأتي على كلّ شيء. (١: ٣٤٦)

الثّعالبيّ: [أرضٌ] جُرُز: ليس فيها زرع. (٩٠)

فإذا كان [السّيف] قَطّاعًا، فهو: مِقْصَل، ومِخْضَل، ومِخْذَم، وجُراز، وعَضْب، وحُسام، وقاضِب، وهُذام. (٢٥٠)

فإذا لم يصبها [الأرض] المطر، فهي: الفِلّ، والجُرُز، وقد نطق به القرآن. (٢٨٦)

أبوسهل الهَرَويّ: تقول: جُرْزٌ، وثلاثة جِرَزَة.

الجُرْز: هو العَمود من الحديد، وهو من السّلاح. (٩٧)

ابن سيده: جَرَزَ يَجْرِز جَرْزًا: أكل أكلًا وَحِيًّا.

والجَرُوز: الأكول، وقيل: السّريع الأكل وإن كان قَتينًا، وكذلك: هو من الإبل. والأُنثى: جَرُوز أيضًا، وقد جَرُز جَرازة.

وأرض جُرُز، وجُرْز، وجَرْز، وجَرَز، ومجروزة: لاتُنبت. وقيل: هي الّتي قد أُكل نباتها، وقيل: هي الأرض الّتي لم يصبها مطر. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع: أجراز، وربّما قالوا: أرض أجْراز.

وجَرِزَتْ جَرَزًا، وأجرَزَت: صارت جُرُزًا.

وأجرَزَ القوم: أمحَلوا.

وأرض جارِزة: يابسة غليظة يكتنفها رَمْل أو قاعٌ، وأكثر مايستعمل في جزائر البحر.

وامرأة جارِز: عاقر.

والجَرَزة: الهلاك.

وأجرزت النّاقة، وهي مُجْرِز، إذا هُزِلت.

والجُرْز، والجُـرُز: العَمود من الحـديد، معروف، عربيّ، والجمع: أجراز، وجِرَزة.

وسَيفٌ جُراز: قاطع، وكذلك: مُدْيَة جُراز، كما قالوا فيهما جميعًا: هُذام. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرْز: لباس النّساء من الوَبَر وجلود الشّاء، والجمع: جُرُوز.

والجُرْزة: الحزْمة من القَتّ.

وإنّه لذُو جَرَز، أي قوّة وخَلْق، يكون للنّاس والإبل.

وجَـرَزُ الإنسان: صدره، وقيل: وسَطه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرَز: الجسم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجارِز: من السُّعال.

وجَرَزَه يَجْرُزه جَرْزًا: نخسه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرَزَه بالشّتم: رماه به.

والتّجارُز: يكون بالكلام والفعال. (٧: ٢٨٧)

جرَزَت الإبل الأرض تَجرُزها جَرْزًا، أكلت نباتها فلم تترك منه شيئًا، ومنه قيل للأرض المُجْدِبَة الّتي ليس بها نبات: أرضٌ جُرُز. (الإفصاح ٢: ٧٤٤)

الرّاغِب: قال عزّوجلّ: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الكهف: ٨، أي منقطع النّبات من أصله، وأرضٌ مجرُوزة: أُكل ماعليها.

والجَرُوز: الّذي[1] يأكل على الخِوان.

وفي مثَل: «لاترضى شانئة إلّا بِجَرْزة» أي باستئصال.

---

(١) الظّاهر: الّذي يأكل كلّ ماعلى الخوان.

والجارِز: الشّديد من السُّعال، تُصُوِّر منه معنى الجَرْز.

والجُراز: قَطْعٌ بالسّيف، وسَيفٌ جُراز. (٩١)

نحوه الفيروزاباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٧٧)

الزّمَخْشَريّ: جَرَزَه الزّمان: اجْتاحَه. [ثمّ استشهد بشعر]

وأرضٌ مَجْرُوزة، وقد جُرِزَت: قُطِع نباتها. وأرضٌ جُرُز. وأرضون أجراز، وسنون أجراز: جَدْبَة، ومَفازة مِجْراز. [ثمّ استشهد بشعر]

وسَيفٌ جُراز. و«لن ترضى شانئة إلّا بجَرْزة» مثَل في العداوة، وأنّ المُبغض لايرضى إلّا باستئصال من يبغضه.

وضرَبه بالجُرْز، وخرجوا بأيديهم الجِرَزَة. وجاء بجُرْزَة من قَتّ، وبجُرَز منه، وهي الحُزْمَة.

ومن المجاز: رجل جَرُوز: أكول لايدع على المائدة شيئًا.

وامرأة جارِزٌ: عاقِر. (أساس البلاغة: ٥٦)

بينا هو في مسير له نزل بأرض جَهاد، وروي: بينا هو يسير على أرض جُرُز مُجْدِبَة مثل الأيْم. فقال للنّاس: «احطِبوا. فتفرّق النّاس، فجاء بعود، وجاء ببَعْرة، حتّى رَكَموا، فكان سوادًا، فقال: هذا مِثْل ماتحقِرون من أعمالكم».

الجَهاد والجُرُز بمعنى، وهي الّتي لانبات بها ولاماء. (الفائق ١: ٢٤٩)

الطَّبْرِسيّ: يقال: أجْرَز القوم، إذا صارت أرضهم جَرْزًا، وجَرَزُوا هم أرضهم، إذا أكلوا نباتها كلّه. (٣: ٤٥٠)

ابن الأثير: «إنّ رسول الله ﷺ بينا هو يسير أتى على أرض جُرُزٍ مُجْدِبَة مثل الأيْم[1]» الجُرُز: الأرض الّتي لانبات بها ولاماء، ومنه حديث الحجّاج، وذكر الأرض، ثمّ قال: «لتُوجدَنّ جُرُزًا لايَبْقى عليها من الحيوان أحد». (١: ٢٦٠)

الصّغانيّ: الجَرْز، بالفتح: النَّخس، وقد جرَزَه، أي نخَسَهُ، والجَرْز أيضًا: القتل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُرْزة، بالضّمّ: الحُزْمَة من القَتّ ونحوه.

المُجارَزَة: المُفاكهة الّتي تُشبه السِّباب.

والجَرَز: فصوص المفاصل. وقيل: هو القوّة، يقال: مابه جَرَز، أي قوّة.

ومفازة مِجْراز: مُجْدِبَة.

وجُرَاز: موضع بالبصرة، وجُرْزة: موضع من أرض اليمامة، وجُرْزان: من نواحي إرمينيّة الكبرى، وجُرْزُوان: مدينة من أعمال جَوْزجان، معرّب «كرزوان».

وذو الجُراز: سيف ورقاء بن زهير.

والتّجارُز بالكلام: التّرامي به. (٣: ٢٥٠)

الفيروزاباديّ: جَرَزَ: أكلَ أكْلًا وَحِيًّا[2]، وقتَل، ونخَسَ، وقَطَعَ.

والجَرُوز: الأكول أو السّريع الأكل، وكذا الأُنثى، وقد جَرُزَ ككَرُمَ.

وأرضٌ جُرْز وجُرُز وأجْرُزٌ وجَرَز ومَجْرُوزة: لاتُنْبت أو أُكل نباتها أو لم يصبه المطَر، جمعه: أجْراز.

(١) في فائق الزّمخشريّ: الأيْم.

(٢) أي سريعًا.

ويقال: أرضٌ أجْراز، وأجرزُوا: أمحلوا. وأرضٌ جارِزة: يابسَة غليظة، يكتنفها رَمْل أو قاعٌ.

والجَرَزة، محرّكةً: الهلاك، وبالضّمّ: الحُزْمَة من القَتّ ونحوه.

وأجرَزَت النّاقة فهي مُجْرِز: هَزِلَتْ.

والجُرْز بالضّمّ: عَمُود من حديد، جمعه: أجراز وجِرَزَة.

وبالكسر: لِباس النّساء من الوَبَر وجُلود الشّاء، جمعه: جُرُوز.

وبالتّحريك: السّنة الجَدْبَة، والجسم، وصدر الإنسان أو وسطه، ولحم ظهر الجمل.

والجُراز كغراب: السّيف القاطع. وذو الجُراز: سَيفُ ورقاء بن زهير، ضَرب به زهيرٌ خالدَ بن جعفر فَنبا[1] ذُو الجُراز.

وكسَحاب: نبات يظهر كالقَرْعة لاوَرقَ له، ثمّ يعظم كإنسان قاعد، ثمّ يَرقّ رأسه ويُنوّرُ نورًا كالدِّفلى تَبهَجُ من حُسْنه الجبال، ولايُرعي ولايُنتَفع به.

ورجل ذو جَراز: غليظ صُلْبٌ.

والجارِز: الشّديد السُّعال، والمرأة العاقر.

وجُرْزُ كقُرْطُق: موضع بالبصرة.

ومَفازَة مِجْراز: مُجْدِبَة.

والمُجارَزَة: مُفاكهَة تُشبه السِّباب.

والتّجارُز: التّشاتُم، والإساءة بالقول، والفعال.

وجُرْزان: ناحيةٌ بإرمينيّة الكبرى.

وطوَتِ الحيّة أجرازها، أي جسمها. (٢: ١٧٤)

الفَيّوميّ: الجُرْزَة: القَبضَة من القَتّ ونحوه، أو الحُزْمَة. والجمع: جُرَز، مثل غُرْفَة وغُرَف.

وأرض جُرُز بضمّتين: قد انقطع الماء عنها فهي يابسة، لانبات فيها. (١: ٩٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: الأرض الجُرُز: الأرض الجَرداء الّتي لانبات فيها. (١: ١٨٧)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جُرِزَت الأرض: ذهب نباتها بقحط أو جراد، وصارت جَرْداء، فهي جُرُز. (١: ١٠٥)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ حقيقة مفهوم هذه المادّة هو «الانقطاع الخاصّ» أي كلّ ماكان خارجًا عن حالة طبيعيّة، وهي الاخضرار والنُّموّ، وجريان الماء، والنّعومة، ورغد العيش؛ فيقال: أرض جارِزة أو جُرُزٌ أو مجْرُوزة أو جُرْزٌ أو جَرَزٌ، وسَنة جَرَزٌ، أي مُجْدِبة. وسَيفٌ جُراز باعتبار قطعه تنعّم العيش والحياة، وناقة جُراز باعتبار أكله أرض زراعة حتّى تصير يابسة، ورجل جَرُوز، إذا أكل مافي المائدة وجعلها خالية عن الطّعام، وهكذا.

ثمّ إنّ صيغ: جُرُز وجُرْز وجَرَز وجُراز، كلّها من صيغ الصّفات المشبّهة كالجُنُب والصُّلْب والحَسَن والشّجاع.

ولايخفى أنّ الجَرْز والجَزّ والجَزْع والجَزْم قريبة منها في المفهوم الكلّيّ. (٢: ٧٤)

---

(١) أي كَلَّ ذو الجراز ولم يقطع.

النّصوص التّفسيريّة

جُرُزًا

وَاِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا. الكهف: ٨

ابن عبّاس: (جُرُزًا): أملس لانبات فيها. (٢٤٤)

نحوه أبوالفتوح. (١٢: ٣٠٥)

يَهلِك كلّ شيء عليها ويَبيد. (الطّبَريّ ١٥: ١٩٦)

معناه: تُهلك كلّ شيء عليها زينةً. (الطّوسيّ ٧: ١٠)

مُجاهِد: بلقعًا. (الطّبَريّ ١٥: ١٩٦)

بلاقع ليس فيها نبات. (الواحديّ ٣: ١٣٧)

الأرض الّتي لانبات بها. (أبوحيّان ٦: ٩٩)

نحوه الواحديّ. (٣: ١٣٧)

الإمام الباقرﷺ: خرابًا لانبات فيها. (القمّيّ ٢: ٣١)

عطاء: يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جُرُزًا ليس فيها ماء ولانبات. (الواحديّ ٣: ١٣٧)

قَتادَة: الأرض الّتي ليس فيها شجر ولانبات. (الطّبَريّ ١٥: ١٩٦)

السُّدّيّ: الأملس المستوي. (أبوحيّان ٦: ٩٩)

مُقاتِل: ملساء. (الماوَرْديّ ٣: ٢٨٦)

ابن إسحاق: يعني: الأرض، إنّ ماعليها لفانٍ وبائد، وإنّ المرجع لَإليّ، فلاتأس، ولايحزنك ماتسمع وترى فيها. (الطّبَريّ ١٥: ١٩٦)

نحوه القُرطُبيّ (١٠: ٣٤٨) والمَراغيّ (١٥: ١١٧).

ابن زَيْد: الجرز: الأرض الّتي ليس فيها شيء، ألاترى أنّه يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ السّجدة: ٢٧.

والجُرُز: لاشيء فيها، لانبات ولامنفعة. (الطّبَريّ ١٥: ١٩٦)

أبوعُبَيْدَة: أي غُلظًا لايُنبت شيئًا، والجميع: أرضون أجراز. ويقال للسّنة المُجْدِبَة: جُرُز، وسنون أجراز، لجدوبها ويبسها، وقلّة مطرها. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣٩٣)

ابن قُتَيْبَة: الجُرُز: الّتي لاتُنْبت شيئًا، يقال: أرضٌ جُرُز، وأرضون أجراز. (٢٦٣)

الطّبَريّ: وإنّا لمخرّبوها بعد عمارتنا، بما جعلنا عليها من الزّينة، فمصيّروها صعيدًا جُرُزًا، لانبات عليها ولازرع ولاغرس. وقد قيل: إنّه أُريد بـ«الصّعيد» في هذا الموضع: المستوي بوجه الأرض؛ وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك. (١٥: ١٩٦)

نحوه ابن كثير. (٤: ٣٦٧)

الزّجّاج: الجُرُز: الأرض الّتي لاتُنْبت شيئًا، كأنّها تأكل النّبتَ أكلًا، يقال: أرضٌ جُرُز، وأرضون أجراز. (٣: ٢٦٩)

ابن الأنباريّ: قال اللُّغويّون: الجُرُز: الأرض الّتي لايبق بها نبات، تحرق كلّ نبات يكون بها.

وقال المفسّرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستوية لانبات فيها ولاماء. (ابن الجَوْزيّ ٥: ١٠٧)

أبو مسلم الأصفهانيّ: محصورة. (الماوَرْديّ ٣: ٢٨٦)

القُمّيّ: يعني خرابًا. (٢: ٣١)

نحوه الكاشانيّ. (٣: ٢٣١)

أبوسهل الهَرَويّ: ترابًا لانبات به، كأنـه قُـطع نباته. (القُرطُبيّ ١٠: ٣٥٥)

الماوَرْديّ: أنّها اليابسة الّتي لانبات بها ولازرع. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٣٨٦)

الطُّوسيّ: والجُـرُز: الّذي لانبات عـليه ولازرع ولاغرس. وقيل: إنّه أراد بالصّعيد هاهنا: المستوي من وجه الأرض. (٧: ٩)

البغَويّ: جُرُزًا: يابسًا أملس لاينبت شيئًا. يقال: جُرزت الأرض، إذا أُكل نباتُها. (٣: ١٧٣)

المَيْبُديّ: ميّتًا لايُنبت شيئًا. (٥: ٦٤٣)

الزّمَخْشَريّ: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ يعني مـثل أرض بيضاء لانبات فيها، بعد أن كانت خضراء مُعشبة، في إزالة بهجته وإماطة حُسنه وإبطال مابه كان زينة مـن إماتة الحيوان وتجفيف النّبات والأشجار، ونحو ذلك.

ذكر من الآيات الكلّيّة تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس الّتي لاحـصر لهـا، وإزالة ذلك كـلّه كأن لم يكن. (٢: ٤٧٣)

نحوه النّسَفيّ (٣: ٣)، والنّيسابوريّ (١٥: ١٠٣).

ابن عَطيّة: أي يرجع كلّ ذلك ترابًا غير مـتزيّن بنبات ونحوه.

والجُـرُز: الأرض الّـتي لاشيء فـيها مـن عـمارة وزينة، فهي البَلْقَع، وهذه حالة الأرض العامرة الخالية بالّذين لابدّ لها من هذا في الدّنيا، جزءًا جزءًا من الأرض، ثمّ يعمّها ذلك بأجمعها عند القيامة.

يقال: جُرِزت الأرضُ بقحط أو جراد أو نحوه، إذا ذهب نباتها وبـقيت لاشيء فـيها ولانـفع، وأرضـون أجراز. قال الزّجّاج: والجُرُز: الأرض الّتي لاتنبت. وإنّما ينبغي أن يقول: الّتي لم تُنبت. (٣: ٤٩٧)

الطَّبْرِسيّ: وإنّـا مخـرّبون الأرض بـعد عـمارتها، وجاعلون ماعليها مستويًا من الأرض يابسًا، لانـبات عليه. (٣: ٤٥٠)

نحوه شُبّر. (٤: ٥٩)

الفَخْرالرّازيّ: والمعنى أنّه تـعالى بـيّن إنّمـا زيّـن الأرض لأجل الامتحان والابتلاء، لا لأجـل أن يـبق الإنسان فيها متنعّمًـا أبدًا، لأنّه يزهد فيها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاعَلَيْهَا﴾ ونظيره قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرّحمن: ٢٦، وقوله: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ طٰه: ١٠٦، وقوله: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ الانشقاق: ٣.

والمعنى أنّه لابدّ من المجازاة بعد فناء ماعلى الأرض، وتخصيص الإبطال والإهلاك بما على الأرض يوهم بقاء الأرض، إلّا أنّ سائر الآيات دلّت على أنّ الأرض أيضًا لاتبق، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ٤٨. (٢١: ٨١)

القُرطُبيّ: والجُرُز: القطع، ومنه سـنة جُـرُز. [ثمّ استشهد بشعر]

والأرض الجُـرُز: الّتي لانبات فـيها ولاشيء مـن عمارة وغيرها، كأنّه قُطع وأُزيل. يعني يوم القيامة، فإنّ الأرض تكون مستوية لامُسْتَتَر فيها. (١٠: ٣٥٥)

البَيْضاويّ: تزهيد فيه، والجُـرُز: الأرض الّتي قُطع نباتها، مأخوذ من الجَرْز، وهو القطع. والمعنى إنّا لَنُعيد ماعليها من الزّينة ترابًا مستويًا بالأرض، ونجعله كصعيد أملس لانبات فيه. (٢: ٤)

نحوه الخازن. (٤: ١٥٦)

أبو حَيّان: تُرابًا جُرُزًا لانبات فيه. وهذا إشارة إلى التّزهيد في الدّنيا والرّغبة عنها، وتسلية للرّسول ﷺ عن ماتضمّنته أيدي المترفين من زينتها؛ إذ مآل ذلك كلّه إلى الفناء والمحاق. (٦: ٩٩)

الشِّربينيّ: أي يابسًا لايُنبت، ونظيره قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرّحمن: ٢٦، وقوله: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا* لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَاأَمْتًا﴾ طٰه: ١٠٦، ١٠٧.

وتخصيص الإهلاك بما على الأرض يوهم بقاء الأرض إلّا أنّ سائر الآيات على أنّ الأرض أيضًا لاتبقى، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ٤٨. (٢: ٣٥٠)

أبو السُّعود: تُرابًا لانبات فيه، بعدما كان يتعجّب من بهجته النّظّار، وتتشرّف بمشاهدته الأبصار. يقال: أرض جُرُز: لانبات فيها، وسنةٌ جُرُزٌ: لامطر فيها. [إلى أن قال:]

والمعنى لاتحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ماأنزلنا عليك من الكتاب، فإنّا قد جعلنا ماعلى الأرض من فنون الأشياء زينةً لها، لنختبر أعمالهم فنُجازيهم بحسبها وإنّا لمُفنون جميع ذلك عن قريب، ومجازون هم بحسب أعمالهم. (٤: ١٧٠)

البُرُوسَويّ: (صَعيدًا): ترابًا، (جُرُزًا): لانبات فيه، وسنة جُرُز: لامطر فيها. (٥: ٢١٧)

الآلوسيّ: أي لانبات فيه. [إلى أن قال:]

وأخرج ابن أبي حاتم: أنّ الجرز: الخراب، والظّاهر أنّه ليس معنى حقيقيًّا، والمعنى الحقيقيّ ماذكرناه، وقد ذكره غير واحد من أئمّة اللّغة. [إلى أن قال:]

والمراد تصيير ماعلى الأرض تُرابًا ساذجًا بعد ماكان يتعجّب من بهجته النُّظّار، وتستلذّ بمشاهدته الأبصار.

وظاهر الآية تصيير ماعليها بجميع أجزائه كذلك؛ وذلك إنّما يكون بقلب سائر عناصر المواليد إلى عنصر التّراب، ولااستحالة فيه لوقوع انقلاب بعض العناصر إلى بعض اليوم. وقد يقال: إنّ هذا جارٍ على العُرف، فإنّ النّاس يقولون: صار فلان تُرابًا، إذا اضمحلّ جسده ولم يبق منه أثر إلّا التّراب.

وحديث انقلاب العناصر ممّا لايكاد يخطر لهم ببال، وكذا زَعْم محقّقي الفلاسفة بقاء صور العناصر في المواليد، ويوشك أن يكون تركّب المواليد من العناصر أيضًا كذلك، وهذا الحديث لاتكاد تسمعه عن السّلف الصّالح، والله تعالى أعلم. (١٥: ٢٠٨)

القاسميّ: أي تُرابًا مستويًا لانبات فيه، بعد ماكان يبهج النُّظّار، لاشيء فيه يختلف، رُبًى ووهادًا، أي تُفنيها وماعليها ولانبالي. (١١: ٤٠٢٥)

سيِّد قُطب: ونهاية هذه الزّينة محتومة، فستعود الأرض مجرّدة منها، وسيهلك كلّ ماعليها، فتُصبح قبل يوم القيامة سطحًا أجرد خشنًا جَدْبًا ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاعَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

وفي التّعبير صرامة، وفي المشهد الّذي يوسمه كذلك، وكلمة (جُرُزًا) تصوّر معنى الجدب بجرسها اللّفظيّ، كما أنّ كلمة (صَعيدًا) ترسم مشهد الاستواء والصّلادة. (٤: ٢٢٦٠)

عِزّة دَرْوَزَة: الصّعيد: الأرض أو التّراب، والجُرُز: الأملس اليابس الّذي لاحياة أو لانبات فيه. (٦: ٦)

الطَّباطَبائيّ: الجُرُز على مافي «المجمع»: الأرض الّتي لاتُنبت، كأنّها تأكل النّبت أكلًا. [إلى أن قال:]

فإذا انقضى الأجل الّذي أجّله الله تعالى لمكثهم في الأرض بتحقّق ماأراده من البلاء والامتحان، سلب الله مابينهم وبين ماعلى الأرض من التّعلّق، ومحا ماله من الجمال والزّينة، وصار كالصّعيد الجُرُز الّذي لانبت فيه ولانضارة عليه، ونودي فيهم بالرّحيل وهم فرادى، كما خلقهم الله تعالى أوّل مرّة. [إلى أن قال:]

وقد ظهر بما تقدّم أنّ قوله: ﴿وَاِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاعَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ من الاستعارة بالكناية، والمراد به: قطع رابطة التّعلّق بين الإنسان وبين أمتعة الحياة الدّنيا ممّا على الأرض.

وربّما قيل: إنّ المراد به حقيقة معنى الصّعيد الجُرُز، والمعنى أنّا سنعيد ماعلى الأرض من زينة ترابًا مستويًا بالأرض، ونجعله صعيدًا أملس لانبات فيه ولاشيء عليه. (١٣: ٢٤٠)

حَسَنين مخلوف: لانبات فيه، يقال: أرضٌ جُرُز: لاتُنبت، أو أُكل نباتها، أو لم يصبها مطر.

وجَرَزت الأرض، إذا ذهب نباتها بقحط أو جراد، وهو كناية عن إفناء متاع الدّنيا، ويعقب ذلك الجزاء على الأعمال، فلايحزنك أمرهم فإنّا سنجازيهم على ماعملوا يوم الحساب. (١: ٤٧٠)

عبد الكريم الخطيب: الأرض الجُرُز: الّتي لانبات فيها، سواء كان ذلك لأنّها لاتنبت أصلًا، أو كان فيها نبات ثمّ اقتلع من أُصوله. (٨: ٥٨٤)

المُصْطَفَويّ: أي قطعة يابسة خارجة عن الحالة الطّبيعيّة. (٢: ٧٤)

الجُرُز

أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ اِلَى الْاَرْضِ الْجُرُزِ... السّجدة: ٢٧

ابن عبّاس: المَلْساء الّتي لانبات فيها. (٣٤٩)

أرضٌ باليمن. (الطّبَريّ ٢١: ١١٥)

نحوه مُجاهِد. (ابن كثير ٥: ٤١٨)

الّتي لاتمطر إلّا مطرًا لايُغني عنها شيئًا، إلّا مايأتيها من السُّيول. (الطّبَريّ ٢١: ١١٥)

هي قرى بين الشّام واليمن. (الطّبْرِسيّ ٤: ٣٢٤)

نحوه الحسَن. (الماوَرْديّ ٤: ٣٦٧)

مُجاهِد: أبْيَن[1] ونحوها. (الطّبَريّ ٢١: ١١٥)

أنّها أرض النّيل. (القُرطُبيّ ١٤: ١١١)

عِكرِمَة: هي الأرض الظّمأى. (القُرطُبيّ ١٤: ١١٠)

الأرض الجُرُز: الّتي لانبات فيها، وهي مُغْبَرّة.

مثله الضّحّاك وقَتادَة والسُّدّيّ وابن زَيْد. (ابن كثير ٥: ٤١٨)

السّمطاء. (الدّرّ المنثور ٥: ١٧٩)

الضّحّاك: هي الأرض الميتة العطشى. (القُرطُبيّ ١٤: ١١٠)

قَتادَة: المُغْبَرّة. (الطّبَريّ ٢١: ١١٥)

---

(١) أبين بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء، وياء مفتوحة: اسم رجل كان في ماسَلَف، ويقال: ذو أبين، وهو الّذي يُنسب إليه عدن أبين من بلاد اليمن. فلعلّ راوي الأثر يريد هذا الموضع.

يحيى بن سلّام: أنّها الأرض اليابسة.
(الماوَرْديّ ٤: ٣٦٧)

السُّدّيّ: الأرض الميتة. (الدّرّ المنثور ٥: ١٧٩)

ابن زَيْد: الّتي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات.
(الطّبَريّ ٢١: ١١٥)

الفَرّاء: الّتي لانبات فيها. (٢: ٣٣٣)

أبوعُبَيْدَة: أي الغليظة اليابسة الّتي لم يُصبها مطر.
(٢: ١٣٣)

الأصمَعيّ: هي الأرض الّتي لاتُنبت شيئًا.
(القُرطُبيّ ١٤: ١١٠)

ابن قُتَيْبَة: ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: الغليظة اليابسة الّتي لانبت فيها، وجمعها: أجراز. ويقال: سنون أجراز، إذا كانت سِني جَدْب. (٣٤٧)

المُبَرِّد: يبعد أن تكون لأرض بعينها، لدخول الألف واللّام. إلّا أنّه يجوز على قول من قال: العبّاس والضّحّاك. (القُرطُبيّ ١٤: ١١٠)

الطّبَريّ: يقول: أو لم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت، والنّشر بعد الفناء، أنّا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة، الّتي لانبات فيها (٢١: ١١٥)

الزّجّاج: يُقرأ (الجُرُز)، ويجوز: الجَرْز والجُرْز والجَرَز، كلّ ذلك قد حكي في الجرز.

جاء في التّفسير: أنّها أرض اليَمن، والجُرُز عند أهل اللّغة: الأرض الّتي لاتُنبت. وكان أصلها أنّها تأكل نباتها، يقال: امرأة جَرُوز، إذا كانت أكولًا. ويقال: سَيفٌ جُرازٌ، إذا كان مستأصلًا. فمن قال: جُرْزٌ فهو تخفيف جُرُز، ومن قال: جَرَزٌ وجَرْزٌ، فهما لغتان.

ويجوز أن يكون جَرْز مصدرًا وُصِف به، كأنّه أرض ذات جَرْز، أعني بإسكان الرّاء، أي ذات أكل للنّبات.
(٤: ٢١١)

القُمّيّ: الأرض الخراب، وهو مثل ضربه الله عزّوجلّ في الرّجعة والقائم عليه السلام. (٢: ١٧١)

ابن الشّجريّ: أنّها الأرض الّتي أكلت مافيها من زرع وشجر. (الماوَرْديّ ٤: ٢٦٧)

الماوَرْديّ: وتأوّل ابن عطاء هذه الآية على أنّه توصل بركات المواعظ إلى القلوب القاسية. (٤: ٣٦٨)

الواحديّ: وهي الّتي لاتُنبت في الشّتاء حتّى إذا جاء الماء أنبتت مايأكله النّاس والأنعام، وهو قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ...﴾. (٣: ٤٥٥)

الطُّوسيّ: و﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ هي الأرض اليابسة الّتي ليس فيها نبات، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار. (٨: ٣٠٩)

البغَويّ: أي اليابسة الغليظة الّتي لانبات فيها.
(٣: ٦٠٤)

مثله الخازن. (٥: ١٨٩)

الزّمَخْشَريّ: الأرض الّتي جُرز نباتها، أي قُطع إمّا لعدم الماء وإمّا لأنّه رُعي وأُزيل، ولايقال للّتي لاتُنبت كالسّباخ: جُرُز، ويدلّ عليه قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾.
(٣: ٢٤٧)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٢٣٧)، والنّسَفيّ (٣: ٢٩١)، والنّيسابوريّ (٢١: ٦٩)، والشّربينيّ (٣: ٢١٥)، وأبوالسُّعود (٥: ٢٠٧)، والبُرُوسَويّ (٧: ١٢٨)، وشُبّر (٥: ١٢٦).

ابن عَطيّة : الجُـرُز: الأرض العاطشة الّتي قد أكلت نباتها من العطش والغيظ، ومنه قيل للأكـول: جَرُوز. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن عبّر عنها بأنّها الأرض الّتي لاتُنبت، فـإنّها عبارة غير مخلصة، وعمّ تعالى كلّ أرض هي بهذه الصّفة، لأنّ الآية فيها والعبرة بيّنة.

وقال ابن عبّاس أيضًا وغيره: ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أرض أَبْيَنَ من اليمن، وهي أرض تشرب بسيول لابمطر، وجمهور النّاس على ضمّ الرّاء. (٤: ٣٦٥)

الطَّبْرِسيّ : أنّا نَسُوق الماء بالمطر والثّلج، وقيل: بالأنهار والعيون ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي اليابسة الّتي لانبات فيها. وقيل: نسوق الماء بالسّيول إليها، لأنّها مواضع عالية، وهي قرى بين الشّام واليمن، عن ابن عبّاس. (٤: ٣٣٤)

ابن الجوزيّ : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ يعني المطر والسّيل ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي الّتي لاتُنبت، فإذا جاء الماء أنبت فيها ما يأكل النّاس والأنعام.

(٦: ٣٤٤)

الفَخْرالرّازيّ : الجُـرُز: الأرض اليابسة الّتي لانبات فيها، والجَرْز هو القطع، وكأنّها المقطوع عنها الماء والنّبات. (٢٥: ١٨٧)

القُرطُبيّ : أي أولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء إلى الأرض اليابسة الّتي لانبات فيها، لنحييها. [ثمّ ذكر قول اللّغويّين وأضاف:]

إلّا أنّه يجوز على قول من قال: العبّاس والضّحّاك. والإسناد عن ابن عبّاس صحيح لامطعن فيه. [إلى أن قال:]

وقد روي أنّ هذه الأرض لاأنهار فيها، وهي بعيدة من البحر، وإنّما يأتيها في كلّ عام وِدان[1] فيزرعون ثلاث مرّات في كلّ عام. (١٤: ١١٠)

البَيْضاويّ : الّتي جُرِز نباتها، أي قُطع وأُزيل، لاالّتي لاتُنبت، لقوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾. (٢: ٢٣٧)

أبوحَيّان : وتقدّم تفسير (الجُرُز) في الكهف. وكلّ أرض جُرُز داخلة في هذا، فلاتخصيص لها بمكان معيّن. (٧: ٢٠٥)

ابن كثير : يُبيّن تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم، في إرساله الماء إمّا من السّماء أو من السّيح، وهو ماتحمله الأنهار ويتحدّر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته، ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي الّتي لانبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الكهف: ٨، أي يبسًا لاتُنبت شيئًا.

وليس المراد من قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، وإن مثّل بها كثير من المفسّرين فليست هي المقصودة وحدها، ولكنّها مرادة قطعًا من هذه الآية، فإنّها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء، مالو نزل عليها مطر لتهدّمت أبنيتها.

فيسوق الله تعالى إليها النّيل بما يتحمّله من الزّيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيُغشي أرض مصر، وهي أرض سبخة مرمّلة محتاجة إلى ذلك الماء وذلك الطّين أيضًا، لينبت الزّرع فيه، فيستغلّون كلّ

---

(١) في الأُصول: واديان. والودان: البلل.

سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنّان المحمود أبدًا. (٥: ٤١٧)

سيّد قُطْب: فهذه الأرض الميتة البور، يرون أنّ يد الله تسوق إليها الماء المُحيي، فإذا هي خضراء مُمرعة بالزّرع النّابض بالحياة، الزّرع الّذي تأكل منه أنعامهم وتأكل منه أنفسهم، وإنّ مشهد الأرض الجدبة والحياة يُصيبها فإذا هي خضراء.

إنّ هذا المشهد ليفتح نوافذ القلب المغلقة لاستجلاء هذه الحياة النّامية واستقبالها، والشّعور بحلاوة الحياة ونداوتها، والإحساس بمواهب هذه الحياة الجميلة النّاضرة، إحساس حبّ وقربى وانعطاف، مع الشّعور بالقدرة المُبدعة واليد الصّنّاع، الّتي تُشيع الحياة والجمال في صفحات الوجود... (٥: ٢٨١٥)

عِزّة دَرْوَزَة: الأرض اليابسة الجافّة. [إلى أن قال وفي الآية:]

تساؤل استنكاريّ آخر يتضمّن التّنديد بالكفّار أيضًا، عمّا إذا لم يروا بأعينهم أنّ الله تعالى يُرسل الماء إلى الأرض الجافّة اليابسة، فيُخرج به زرعًا يأكلونه هم وأنعامهم، وفي هذا من الدّلالة على قدرة الله مافيه الكفاية. (٦: ٢٣٢)

الطَّباطَبائيّ: والآية تذكر آية أُخرى من آيات الله سبحانه، تدلّ على حُسن تدبيره للأشياء، وخاصّة ذوي الحياة منها كالأنعام والإنسان.

والمراد بسوق الماء إلى الأرض الخالية من النّبات: سوق السّحب الحاملة للأمطار إليها، في نزول ماء المطر منها حياة الأرض وخروج الزّرع واغتذاء الإنسان والأنعام الّتي يُسخّرها ويربّيها لمقاصد حياته. (١٦: ٢٦٧)

عبد الكريم الخطيب: أي الجديب الّتي لانبات فيها. (١١: ٦٢٩)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَرْز، أي الشّرَه إلى الشّيء؛ يقال: جَرَزَ يَجرُز جَرْزًا، أي أكل أكلًا وحِيًّا، أي سريعًا، ورجل جَرُوزٌ، وامرأةٌ جَرُوزٌ، وجملٌ جَرُوزٌ، وناقةٌ جَرُوزٌ، أي أكول، وقد جَرُزَ جَرازَة، ويقال للنّاقة: إنّها لجُراز الشّجر، تأكله وتكسره.

وأرضٌ جُرُزٌ وجُرْزٌ وجَرَزٌ وجَرْزٌ: لاتنبت، كأنّها تأكل النّبت أكلًا، والجمع: أجراز، وقد جَرِزَت جَرَزًا وأجرَزَت، أي صارت جُرُزًا. وجُرِزَت الأرض: جَرَزها الجَراد والشّاءُ، فهي مجروزة، وأرض جارِزَة: يابسة غليظة، يكتنفها رَمْل أو قاع، وأكثر مايُستعمل في جزائر البحر، والجمع: جَوارِز، وأجرَزَ القوم: وقعوا في أرض جُرُز.

والجُرُز: السّنة المُجْدِبة؛ يقال: أجرز القوم، أي أمحلوا وأجدبوا.

وامرأةٌ جارِزٌ: عاقر، شُبّهت بالأرض الّتي لاتُنبت.

وأجرَزَت النّاقة: هُزِلَت، فهي مُجرِز؛ حُمِلت على الأرض المجروزة.

وسَيفٌ جُرازٌ: قاطعٌ، وكذا مُديَةٌ جُرازٌ، تشبيه بالنّاقة الجُراز، وهي الّتي تأكل الشّجر وتكسره.

والجِرْز: الفرو الغليظ، شُبِّه بالأرض الجارزة، أي اليابسة الغليظة.

والجِرَز: جسم الإنسان أو صدره أو وسطه، ولحم ظهر الجمل أيضًا، والجمع: أجراز، محمول على الأرض الجارزة، يقال: إنّه لذو جَرَز، أي غِلَظ وقوّة وخُلُق شديد.

والجارِز من السّعال: الشّديد.

٢ـ والجُرْزُ والجُرُز: العمود من حديد، والجمع: جِرَزَة وأجراز. وقيّده بعض بقوله: «عربيّ معروف». وهذا القيد يُنبئ عن وجود رأي آخر يقول بأعجميّته، إلّا أنّنا لم نعثر عليه.

والحقّ أنّه أعجميّ، معرّب من اللّفظ الفارسيّ «گُرْز»، ويعني عند الفرس عمود الحديد أو الخشب، ومدقّة المهراس أيضًا. ولعلّ قولهم: جَرَزَه يجرُزُه جَرْزًا، أي نَخَسَه، يريدون فعل به ذلك بالجُرْز، وعليه يُحمل قولهم أيضًا: جَرَزَه بالشّتم، أي رماه به، والجَرْز: القتل، والجُرْزَة: الهلاك.

٣ـ والجُرْزَة: الحُزْمة من القتّ ونحوه، وهو معرّب اللّفظ السّريانيّ «جُرْزا» بنفس المعنى.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد مرّتين مكّيّتين: معرّفًا ومنكّرًا:

١ـ ﴿اَوَ لَمْ يَرَوْا اَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ اِلَى الْاَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَاْكُلُ مِنْهُ اَنْعَامُهُمْ وَاَنْفُسُهُمْ اَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ السّجدة: ٢٧

٢ـ ﴿وَاِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الكهف: ٨

ويلاحظ أوّلًا: أنّه جاء وصفًا فيهما، فإنّ (الْجُرُزِ) في (١) وصف لـ(الْاَرْضِ) و(جُرُزًا) في (٢) وصف لـ(صَعِيدًا)، والصّعيد هو وجه الأرض، إلّا أنّ المغزى فيهما مختلف، فأُريد في (١) إحياؤها ليعيش عليها النّاس، وفي (٢) إماتتها وخلوّها عن نباتها وزينتها الّتي زيّنها بها، فلاحظ الآية وماقبلها: ﴿اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْاَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ اَيُّهُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا * وَاِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

ثانيًا: يبدو أنّ للآيتين علاقةً بالبعث يوم القيامة ليكون إحياء الأرض بعد موتها آية للبعث، فقد جاء قبل (١): ﴿اِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * اَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ اَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ السّجدة: ٢٥، ٢٦، فقد حدّث فيها عن إهلاك الأقوام وعن يوم القيامة يوم بعث الأموات. ثمّ ضرب لها مثلًا في (١) بـ(الْاَرْضِ الْجُرُزِ) يسوق الماء عليها فيُخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، ثمّ واصل الكلام بما قبله في ﴿وَيَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْفَتْحُ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا اِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ السّجدة: ٢٨، ٢٩.

وأمّا الآية (٢) فقد جاء قبلها: ﴿لِيُنْذِرَ بَاْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ اَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا * [إلى أن قال:] اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْاَرْضِ زِينَةً لَهَا ...﴾ الكهف: ٢ ـ ٧، فضرب لما أنذر وبشّر به

من الأجر والعذاب يوم القيامة مثلًا بإحياء الأرض بالنّبات، وإماتتها بخلوّها عنها في الدّنيا.

وقد نبّه الطّبريّ على ذلك في (۱) بقوله في تفسيرها: «أو لم يرَ هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت والنّشور بعد الفناء أنّا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة الّتي لانبات فيها...»

وقيل في (۲): إنّ الأرض تصير كذلك يوم القيامة، والصّواب: أنّ المراد بها أرض الدّنيا مثالًا للموت والحياة يوم القيامة.

ثالثًا: وجاء في النّصوص حملها على مصير الأرض، كذلك في الدّنيا أو في الآخرة بوجوه:

۱ـ قال الطّباطبائيّ: «إنّها استعارة بالكناية، والمراد بها قطع رابطة التّعلّق بين الإنسان وبين أمتعة الحياة الدّنيا ممّا على الأرض» أي ليس المراد أنّ الأرض تصير صعيدًا جُرُزًا حقيقة بل تزول رأسًا فتنقطع علاقة الإنسان بها، ونحوه قول أبي حيّان: «إنّه إشارة إلى التّزهيد في الدّنيا والرّغبة عنها ـ لله وللرّسول ﷺ ـ عمّا تضمّنته أيدي المترفين من زينتها...»

۲ـ قال الطّباطبائيّ أيضًا: «إنّ المراد حقيقة معنى الصّعيد الجرز، والمعنى أنّا سنعيد ماعلى الأرض من زينة ترابًا مستويًا بالأرض، ونجعله أملس لانبات فيه ولاشيء عليه.

وقال سيّد قطب: ونهاية هذه الزّينة محتومة...فتصبح قبل يوم القيامة سطحًا أجرد خشنًا جدْبًا، ونحوها غيرها ممّا هو نصّ في أنّ الأرض تصير صعيدًا جُرُزًا في الدّنيا قبل يوم القيامة.

۳ـ إنّ الأرض تصير كذلك يوم القيامة، عن ابن الأنباريّ ونسبها إلى المفسّرين. وقال عطاء: يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جُرُزًا ليس فيها ماء ولانبات.

وقد أبطله الفخرالرّازيّ قائلًا: «وتخصيص الإبطال والإهلاك بما على الأرض يوهم بقاء الأرض، إلّا أنّ سائر الآيات دلّت على أنّ الأرض أيضًا لاتبقى» وهو قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ٤٨، فهذه الآية نظير ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرّحمن: ٢٦، و﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ﴿لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَاأَمْتًا﴾ طه: ١٠٦، ١٠٧، ممّا دلّت على فناء الأرض رأسًا.

فالصّواب ـ كما سبق ـ أنّ المراد بها بيان حال الأرض في الدّنيا في الصّيف والشّتاء من الخُضرة والجدْب، على ماهو المعتاد، لاصيرورتها أملس قبل يوم القيامة في الدّنيا، ولابعده في الآخرة.

رابعًا: وقالوا في معنى (جُرُزًا): أرض غليظة خشنة لاتُنبت شيئًا أو قُطع عنها نباتها. وفسّرها بعض بأنّها أرض خربة، وردّوه بأنّه ليس معناه الحقيقيّ بل مالانبات فيه. وقال سيّد قُطْب: «كلمة (جُرُز) تُصوّر معنى (الجدْب) بجرسها...».

خامسًا: فإذا كانت هذه الآية مثلًا للبعث بعد المات، فهي تعمّ طبيعة الأرض الجُرُز وإحياءها، واللّام فيها للجنس، فلاتختصّ بأرض خاصّة مثل أرض اليمن، أو أرض مصر، أو قُرى بين الشّام واليمن، أو أنّها أرض خاصّة لاأنهار فيها بعيدة عن البحر، أو غيرها كما قيل. قال أبوحيّان: «كلّ أرض جُرُز داخلة في هذا فلاتخصيص لها بمكانٍ معيّنٍ» ونحوه غيره.

سادسًا: أوّلها بعضهم بأنّها تُحاكي القلوب القاسية الميّتة الّتي تُحييها المواعظ وتطهّرها وتجعلها خاشعة لله، وهذا دأب أهل الحقيقة والعرفان يحملون ظواهر الطّبيعة على الحالات القلبيّة، ولها شاهد في القرآن مثل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ المائدة: ٤١، و﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التّوبة: ١٢٥، ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الأحزاب: ٥٣، فإنّ كلا الرّجس والطّهارة نُسبا إلى القلوب، ولها مساس بالماء، وفي وصفٍ رائع من سيّد قُطْب لإحياء الأرض إيماء إلى ذلك فلاحظ.

سابعًا: قال الطّباطبائيّ: إنّ المراد بسوق الماء إلى الأرض الخالية من النّبات: سوق السّحب الحاملة للأمطار إليها، وكأنّه أخذه من ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ فاطر: ٩، ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ الأعراف: ٥٧.

وفي كلام الآخرين سوق الماء يعمّ الأمطار والسّيول والأنهار ولابأس به، إلّا أنّ المطر هو المنبع لها جميعًا.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ر ع

يَتَجَرَّعُهُ

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: جَرِعْتُ الماء أجرَعه جَرْعًا، واجترَعته وكلّ شيء يبلعه الحلق فهو اجتراع، والاسم: الجُرْعة. وإذا جَرَعه بمرّة قيل: اجترَعه. والاجتراع بالماء كالابتلاع بالطّعام، والتّجرّع: تتابع الجَرْع مرّة بعد مرّة.

والجَرْعاء من الأرض: ذات حزونة تشبه عليها الرّياح فتغشّيها، وإذا كانت صغيرة فاسمها الجَرْعَة، وجمعها: جِراع. وإذا كانت واسعةً جدًّا فهي أجرَع كلّه، ويجمع: أجارع. وجمع الجَرْعاء: جَرْعاوات. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٢٥)

ابن شُمَيْل: من الأوتار «المُجرَّع» وهو الّذي اختلف فتله، وفيه عُجَر لم يُجَد فتله ولاإغارته، فظهر بعض قواه على بعض، يقال: وَتَرٌ مجرَّع وجَرِع. (الأزهَريّ ١: ٣٦١)

أبوعمرو الشّيبانيّ: الجَرْعاء: إذا نزلتَ عن الرّمل فأصبتَ أرضًا صُلْبةً لاتُنْبت من شجر الرّمل شيئًا. والأجرَع: نِشاز الجَرْعاء حيث كانت. (١: ١٢٢)

الفَرّاء: «أفلت فلانٌ بجُرَيعة الذّقَن»، هو آخر مايخرج من النّفس. (الجَوهَريّ ٣: ١١٩٥)

أبوزَيْد: من أمثالهم في إفلات الجبان: «أفلتني جُريعة الذّقن» إذا كان منه قريبًا كقرب الجُرعَة من الذّقن، ثمّ أفلته.

يقال: «أفلتني فلان جَريضًا» إذا أفلتك ولم يكد، و«أفلتني جُرَيْعَة الرّيق» إذا سبقك فابتلعت عليه ريقك غيظًا. (الأزهَريّ ١: ٣٦١)

الأصمَعيّ: الأجارع: جمع أجرَع وجَرعاء، وهي الرّابية السّهلة. (القاليّ ٢: ٣٤)

ابن الأعرابيّ: الجَرِع من الأوتار: أن يكون

مستقيمًا، ويكون في مواضع منه نُتوءٌ فيُمسَح بقطعة كساء حتّى يذهب. (الأزهريّ ١: ٣٦١)

ابن السّكّيت: الجَرْع: مصدر جَرِع الماء يجرَعه جَرْعًا، والجرَع: جمع جرَعةٍ وجرَع: دِعْصٌ من الرّمل لايُنبت شيئًا. (إصلاح المنطق: ٤٣)

ابن دُرَيْد: الجَرْع: مصدر جَرِع الماء يجرَعه جَرْعًا، والجُرْعة: الواحدة، والجمع: جُرَع.

والجرَع: من الأرض، والجمع: أجراع وجُرُوع، وكذلك الأجرَع، والجمع: أجارع. ويقال: جَرْعاء من الأرض، والجمع: جرعاوات، وهي الأرض السّهلة ذات الرّمل، ومن أمثالهم: «أفلت بجُرَيعة الذّقن» أي أفلت جَريضًا. (٢: ٧٩)

القاليّ: الأجرَع والجَرْعاء: دِعْصٌ لايُنبت شيئًا. (١: ١٤٧)

الأزهَريّ: عن ابن السّكّيت: و«الجرَع» جمع جَرَعة، وهي دِعصٌ من الرّمل لاتُنبت شيئًا.

قلت: الّذي سمعته من العرب في «الجرَع» غير ماقاله[1]. والجرَع عندهم: الرّملة العَذاة الطّيّبة المَنبِت الّتي لاوُعوثة فيها، ويقال لها: الجَرْعاء والأجرَع، ويُجمع: أجارع وجَرْعاوات. وتُجمع الجرَعة: جَرَعًا، غير أنّ الجَرْعاء والأجرَع أكبر من الجرَعة. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال غير ابن السّكّيت في الأجرع والجرَع نحوًا ممّا قلته.

ويقال: جرع الماء يجرَعه جَرْعًا واجترَعه، فإذا تابع الجرْع مرّة بعد أُخرى كالمتكاره قيل: تجرّعه، قال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَايَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ إبراهيم: ١٧.

والجُرْعة: ملءُ الفم يبتلعه، والجَرْعة: المرّة الواحدة، وجمع الجُرعَة: جُرَع.

ويقال: مامن جُرْعة أحمد عُقبانًا من جُرْعَة غيظ تكظمها.

ومن أمثال العرب: «أفلَت فلانٌ جُرَيعَة الذّقَن» و«بجُرَيعَة الذّقَن» يريدون أنّ نفسه صارت في فيه فكاد يهلك، فأفلت وتخلّص. (١: ٣٦١)

الصّاحِب: كلّ شيء يَبْلعه الحَلق فهو اجتراع، حتّى الغَيْظ يُتَجرّع. فإذا جَرِع بمرّةٍ قيل: اجترَع، وإذا تابع مرّةً بعد مرّةٍ قيل: تجرّع. [ثمّ ذكر معنى «الجرعاء» كما تقدّم عن الخليل وأضاف:]

وقد قيل: ليست الجَرْعاء بحُزونةٍ، ولكنّها تُشبه الرّمْل سهولةً إلّا أنّها أكثر نَباتًا.

وحَبْلٌ جَرِعٌ: في مواضع منه نُتوءٌ.

والمُجرَّع من الأوتار: الّذي لم يُحْسِنْ إغارته، فظهر بعض قُواه على بعض.

وناقةٌ مُجْرِع ـ والجميع مجاريع ـ: ليس فيها مايروي ولكن فيها جُرَعٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

وماله به جُرَاعة، ولايقال: ماذاق جُرَاعةً، ولكن يقال: جُرَيْعَة و«أفلَت بجُرَيْعَة الذّقَن» أي ونفسه في فيه. و«أفلَتَني جُرَيْعَة الذّقَن، وجُرَيْعَة الرّيق» إذا سبَق فابتَلعت الرّيق غيظًا عليه.

واجترَع عُودًا: اكتَسَر. (١: ٢٥٠)

---

(١) أمّا ابن السّكّيت فقد ذكره في إصلاح المنطق بفتح الرّاء «الجرَع» وهو صحيح بمعنى دِعْصٌ من الرّمل...

الجَوهَريّ: جَرِعت الماء أجرَعه جرْعًا، وجَرَعت بالفتح لغةٌ أنكرها الأصمعيّ.

والجَرَعة بالتّحريك: واحدة الجَـرَع، وهي رملة مستوية لاتُنبت شيئًا، وكذلك الجرْعاء.

والجرَع أيضًا: التواء في قوّةٍ من قُوى الحبل ظاهرةً على سائر القوى.

والجُرعة من الماء: حُسْوةٌ منه، وبتصغيره جاء المثل: «أفلت فلانٌ بجُريعة الذَّقَن» إذا أشرف على التّلف، ثمّ نجا.

ونُوقٌ مَجاريع: قليلات اللّبن، كأنّه ليس في ضرعها إلّا جُرَع.

وجرَّعه غُصص الغيظ فتجرّعه، أي كظَمه.

(٣: ١١٩٥)

ابن فارِس: الجيم والرّاء والعين يدلّ على قلّة الشّيء المشروب، يقال: جَرِع الشّارب الماء يجْرَعه، وجَرَع يجْرَع. فأمّا الجرْعاء: فالرّملة الّتي لاتُنبت شيئًا، وذلك من أنّ الشّرب لاينفعها، فكأنّها لم تَروَ. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: نُوقٌ مَجاريع: قليلات اللّبن، كأنّه ليس في ضُروعها إلّا جُرَع.

وممّا شذّ عن هذا الأصل الجرَع: التواءٌ في قوّة من قُوى الحَبْل ظاهرة على سائر القُوى. (١: ٤٤٤)

الهَرَويّ: جَرِعتُ الماء وتجرّعته.

وفي حديث عطاء، قال: «فأفلَتُّ من الوليد بجُرَيْعَة الذّقَن» يريد: أفْلَتُّ بعدما أشرفتُ على الهلاك، يقال: «أفلتَني جُرَيْعَة الذّقَن» يراد: أنّ نفسه صارت في فيه فأفلَت.

قلت: أفلَت: لازمٌ، وواقعٌ. (١: ٣٤٧)

أبوسهل الهَرَويّ: جَرِعتُ الماء أجرَعه، أي بلعته. (٧)

ابن سيده: جَرِع الماء وجرَعه، يجرَعه جَرْعًا، واجترَعه، وتجرّعه: بَلِعه، والاسم: الجُرْعَة والجَرْعَة.

وقيل: الجَرْعَة: المرّة الواحدة، والجُرْعَة: ماإجترعت. الأخيرة للمُهلة، على ماأراه سيبويه في هذا النّحو.

وجَرِع الغيظ: كظَمه، على المَثَل بذلك.

«وأفلتَ بجُرَيْعَة الذّقَن، وجُرَيْعَة الذّقَن» بغير حرف، أي وقُرْب الموت منه كقُرْب الجُرَيْعَة من الذّقَن، وقيل: معناه أفلَت جَريضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرَع، والجَرَعة، والجَرْعَة، والأجرَع، والجَرْعاء: الأرض ذات الحُزُونة، تُشاكل الرّمْل، وقيل: هي الرّمْلة السّهْلة، وقيل: هي الدّعْص لايُنبِت. وقيل: الأجرَع: كَثِيب، جانب منه رمل، وجانب حجارة.

وجمع الجَرَع: أجْراع وجِراع، وجمع الجَرْعَة: جِراع، وجمع الجَرَعَة: جَرَع، وجمع الجَرْعاء: جَرْعاوات، وجمع الأجْرَع: أجارِع.

وحكى سيبويه: مكانٌ جَرِعٌ كأجْرَع.

والجَرَع: التواء في قُوّة من قُوَى الحَبْل أو الوتَر، تظهر على سائر القُوى.

وأجْرَع الحَبْل والوَتَر: أغلظ بعض قُواه.

وحَبْل جَرِعٌ، ووَتَر جَرِعٌ، كلاهما: مستقيم، إلّا أنّ في موضع منه نُتُوءً، فيُمسَح ويُشَق بقطعة كساء، حتّى يذهب ذلك النُّتوء. (١: ٣١٦)

جَرِع الماء ونحوه يجرَعه جَرْعًا، واجترَعه: بلعه، واجترَعه أيضًا: جَرعَه بمرّة أو تابع جَرْعه كالمتكرّه، وجرّعه الماء: سقاه إيّاه فتجرّعه.

والجَرْعَة: المرّة من الجَرْع، والجُرْعَة: حَسْوة منه ملء الفم. (الإفصاح ١: ٤٣٩)

جَرَع الماء يجرَعه جَرْعًا واجترَعه: ابتلعه بمرّة، وتجرّعه: بلعه مرّة بعد مرّة في مَهَل. (الإفصاح ١: ٤٥٠)

الجَرْعاء والجَرْعَة والجَرَعَة والأجرَع: الرّملة الطّيّبة المَنبِت لاوُعُوثة فيها، وهي من كرام المنابت. (الإفصاح ٢: ١٠٦٣)

الرّاغِب: جَرَع الماء يجرَع، وقيل: جَرِع وتجرّعه، إذا تكلّف جَرْعَه. قال عزّوجلّ: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ إبراهيم: ١٧.

والجُرْعَة: قدر ما يتجرّع، وأفلَت بجُرَيعة الذّقَن: بقدر جَرْعةٍ من النّفس.

ونُوقٌ مَجاريع: لم يبق في ضُرُوعها من اللّبن إلّا جُرَع.

والجَرَع والجَرْعاء: رَمْل لايُنبِت شيئًا كأنّه يتجرّع البَذْر. (٩١)

الزّمَخْشَريّ: جرَعتُ الماء، واجترَعته بمرّة، وتجرّعته شيئًا بعد شيء، وماسقاني إلّا جُرْعَة، وجُرَيعة، وجُرَعًا. وبتنا بالأجرَع، وبالجَرْعاء، ونزلوا بالأجارع، وهي أرضُون حَزْنة، يعلوها رَمْل.

ومن المجاز: تجرّع الغيظ. [ثمّ استشهد بشعر]

و«أفلَت بجُرَيعة الذّقَن». (أساس البلاغة: ٥٧)

المَدينيّ: في حديث الحسن بن عليّ، رضي الله عنهما: وقيل له في يوم حارّ: تجرّع، فقال: إنّما يتجرّع أهل النّار.

الجَرْع والتّجرّع: شُرْبٌ في عجَلة، يقال منه: جَرِع وجَرَع معًا، وأشار به إلى قول الله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ ويقال: هو الشّرب قليلًا قليلًا.

الأجرَع: المكان الواسع الّذي فيه حُزُونة، فإن كان صغيرًا فهو جَرَعٌ وجَرَعَة. من أنّث أراد البُقعة، ومن ذكّر أراد المكان.

وقال ابن السّكّيت: هو مالايُنبت شيئًا. والصّحيح الأوّل، وأرضٌ جَرْعاء: ذات حُزُونة. (١: ٣٢٢)

ابن الأثير: في حديث المقداد رضي الله عنه: «مابه حاجة إلى هذه الجُرْعَة» تُروى بالضّمّ والفتح، فالضّمّ: الاسم من الشّرب اليسير، والفتح: المرّة الواحدة منه. والضّمّ أشبه بالحديث، ويُروى بالزّاي. وسيجيء.

وفي حديث عطاء، قال: قلت للوليد: «قال عمر: وَدِدتُ أنّي نَجَوت كَفافًا. فقال: كذبْتَ. فقلت: أوَ كُذِّبتُ؟ فأفلَتُّ منه بجُرَيعَة الذّقَن» الجُرَيعَة: تصغير الجُرْعَة، وهو آخر مايخرج من النّفس عند الموت، يعني أفلتّ بعد ماأشرفت على الهلاك. أي أنّه كان قريبًا من الهلاك كقرب الجُرْعَة من الذّقَن.

وفي حديث قسّ: «بين صدور جِرْعان» هو بكسر الجيم: جمع جَرَعَة، بفتح الجيم والرّاء، وهي الرّملة الّتي لاتُنبت شيئًا ولاتُمسك ماء.

ومنه حديث حذيفة: «جئت يوم الجَرَعة فإذا رجل جالس» أراد بها هاهنا اسم موضع بالكوفة، كان به فتنة في زمن عثمان بن عفّان رضي الله عنه. (١: ٢٦١)

الصَّغانيّ: الاجتراع: الجَرْع مرّة واحدة.

وماله به جُرّاعة، ولايقال: ماذاق جُرّاعة ولكن جُرَيعة.

واجترع العود: كسره، لغة في اجْتَزَعه.

والجَرَعَة: موضع قرب الكوفة، ومنه يوم الجَرَعَة.

وذو جَرَع: من ألهان بن مالك أخي هَمْدان بن مالك. (٤: ٢٢٩)

الفَيُّوميّ: جَرَعْتُ الماء جَرْعًا من باب «نفَع» وجَرِعْتُ أجرَع من باب «تَعِب» لغة، وهو الابتلاع.

والجُرْعَة من الماء كاللُّقْمَة من الطّعام، وهو مايُجرَع مرّةً واحدة، والجمع: جُرَعٌ: مثل غُرْفَةٍ وغُرَفٍ.

واجترَعته: مثل جَرَعته، وتجرّع الغُصَصَ مستعار من ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الأحقاف: ٣٤، كناية عن النّزول به والإحاطة. (١: ٩٧)

الفيروزاباديّ: الجَرْعَة ويحرّك: الرّملة الطّيّبة المَنْبِت لاوُعُوثة فيها، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرّمل، أو الدِّعص لايُنبت، أو الكثيب جانب منه رَمْل وجانب حجارة كالأجرَع والجَرْعاء في الكلّ.

والجَرَع محرّكةً: الجمع، والتواء في قوّة من قُوى الحَبْل أو الوَتَر ظاهرة على سائر القوى، وذلك الحبل مُجرَّع كمعظّم وككتف.

وذو جَرَعٍ محرّكةً: من ألهان بن مالك، وبهاءٍ: موضع قرب الكوفة.

والجِرْعَة مثلّثةً من الماء: حَسْوةٌ منه، أو بالضّمّ والفتح: الاسم من جَرِع الماء كسَمِع ومَنَع: بَلِعَه، وبالضّمّ: مااجترعت.

وبتصغيرها جاء المَثَل «أفْلَتَ فلانٌ جُرَيْعَةَ الذَّقَن أو بجُرَيعَة الذَّقَن أو بجُرَيعائها» وهي كناية عمّا بقي من روحه، أي نفْسُه صارت في فيه وقريبًا منه.

وناقة مُجرِعٌ كمحسن: ليس فيها مايُروي وإنّما فيها جُرَعٌ، جمعه: مجاريع.

واجترَعه: جَرَعه بمرّة، والعود: اكتسره.

وجَرّعَه الغُصَص تجريعًا فتجرّع. (٣: ١٢)

الطُّرَيحيّ: «لم يبق من الدّنيا إلّا جُرْعة كجُرْعَة الإناء» يروى بالضّمّ والفتح، فالضّمّ: الاسم من الشُّرب اليسير، والفتح: المرّة. (٤: ٣١١)

مَجْمَعُ اللُّغة: جَرَع الماء يجرَعه جَرْعًا، من بابي فَهِم وقطَع: بلعه. فإذا تكلّف الجَرْع مرّة بعد أُخرى كالمتكاره قيل: تجرّع. (١: ١٨٧)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جَرَع الماء: بلَعه، وتجرّعه: تكلّف بَلْعَه. (١: ١٠٥)

العَدْنانيّ: جَرَع الماء وجَرِعه.

ويخطّئ الأصمعيّ من يقول: جَرَعْتُ الماء، ويقول: إنّ الصّواب هو: جَرِعْتُ الماء. ونقل الحرّانيّ عن ابن السّكّيت اكتفاءه بقوله: جَرِعْتُ الماء، وحذا حذوه الأزهريّ في التّهذيب. وممّن ذكر جَرِع الماء أيضًا:

معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

وهنالك: جَرَع الماء، كما يقول:

معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّحاح، ومعجم

مقاييس اللّغة، ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

وفِعْله: جرَعَه أو جَرِعه يجرَعه جَرْعًا وجَرَعًا.

وأنا أُوثِر: جَرَع الماء؛ لأنّ العرب جميعًا، أدباءهم وعامّتهم، كما أُرجّح، يستعملون الفعل جَرَع، ولم أسمع جَرِع، خلال عمري الطّويل، إلّا نادرًا جدًّا. (١٢٠)

المُصْطَفَويّ: الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الجري للمائع قليلًا، وأكثر استعمالها في مورد الابتلاع والورود كشرب الماء تدريجًا، وقد تُستعمل في مورد الخروج والصّدور كخروج النّفس أو اللّبن.

وهذا المعنى جري مخصوص يفرق بينهما بالعين والياء.

وأمّا صيغة «التّجرّع» فهي «تفعّل»، وتدلّ على مطاوعة التّفعيل، يقال: جرّعته فتجرّع، أي فشرب جُرعَة جُرعَةً وبالتّدريج، بالمطاوعة.

﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ* يَتَجَرَّعُهُ وَلَايَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ إبراهيم: ١٦، ١٧، أي فإذا سُقوا من ذلك الماء يتجرّعه مطاوعًا من دون خلاف.

فظهر لطف التّعبير بهذه المادّة وبهذه الصّيغة. (٢: ٧٥)

النُّصوص التّفسيريّة

يَتَجَرَّعُهُ

يَتَجَرَّعُهُ وَلَايَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَاهُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ.

إبراهيم: ١٧

ابن عبّاس: يستمسك الصّديد في حلقه. (٢١٢)

الطّبَريّ: يتحسّاه. (١٣: ١٩٥)

الطُّوسيّ: معناه يشرب ذلك الصّديد جُرعَة جُرعَة، يقال: تجرّع تجرّعًا، وجرّعه يجرّعه جَرْعًا، والتّجرّع: تناول المشروب جُرعَة جُرعَة على الاستمرار. (٦: ٢٨٤)

نحوه الطّبْرِسيّ (٣: ٣٠٨)، والفخرالرّازيّ (١٩: ١٠٣)، والنّسَفيّ (٢: ٢٥٨)، والطّباطَبائيّ (١٢: ٣٦).

البغَويّ: أي يتحسّاه ويشربه لا بمرّة واحدة بل جُرعَة جُرعَة لمرارته وحرارته. (٣: ٣٣)

مثله الخازن (٤: ٣٠)، ونحوه القُرطُبيّ (٩: ٣٥١)، والمَراغيّ (٣: ١٤٠).

الزّمَخشَريّ: يتكلّف جَرْعه. (٢: ٣٧١)

مثله النّيسابوريّ. (١٣: ١١٤)

(يَتَجَرَّعُهُ) يجوز أن يكون صفة لـ(مَاء)، وأن يكون حالًا من الضّمير في (يُسْقَى) وأن يكون مستأنفًا. (٢: ٧٦٥)

أبوحَيّان: (يَتَجَرَّعُهُ) يتكلّف جَرْعه.

تجرّع «تفعّل». ويحتمل هنا وجوهًا: أن يكون للمطاوعة، أي جرّعه فتجرّع، كقولك: علّمته فتعلّم، وأن يكون للتّكلّف نحو تحلّم، وأن يكون لمواصلة العمل في مُهلة نحو تفهّم، أي يأخذه شيئًا فشيئًا، وأن يكون موافقًا للمجرّد، أي تجرّعه كما تقول: عدا الشّيء وتعدّاه.

و(يَتَجَرَّعُهُ) صفة لما قبله أو حال من ضمير. (٥: ٤١٣)

ابن كثير: أي يتغصّصه ويتكرّهه، أي يشربه قهرًا وقسرًا لايضعه في فه، حتّى يضربه الملَك بطراق من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ الحجّ: ٢١. (٤: ١١٥)

الشّربينيّ: أي يتكلّف أن يبتلعه مرّة بعد مرّة، لمرارته وحرارته ونتنه. (٢: ١٧٥)

أبوالسُّعود: قيل: هو صفة لماء أو حال منه، والأظهر أنّه استئناف مبنيّ على السّؤال، كأنّه قيل: فماذا يفعل به؟ فقيل: يتجرّعه، أي يتكلّف جرْعه مرّة بعد أخرى، لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه. (٣: ٤٧٨)

مثله الآلوسيّ. (١٣: ٢٠٢)

البُرُوسَويّ: استئناف بيانيّ كأنّه قيل: فماذا يفعل به، فقيل: يتجرّعه. وفي «التّفعّل» تكلّف، ومعنى التّكلّف أنّ الفاعل يتعانى ذلك الفعل ليحصل بمعاناته كتشجّع؛ إذ معناه استعمل الشّجاعة وكلّف نفسه إيّاها لتحصل، فالمعنى لغلبته العطش واستيلاء الحرارة عليه يتكلّف جَرْعَهُ مرّة بعد أُخرى لابمرّة واحدة، لمرارته وحرارته ورائحته المُنْتِنة. (٤: ٤٠٧)

الشّوكانيّ: (يَتَجَرَّعُهُ) في محلّ جرّ على أنّه صفة لـ(ماء) أو في محلّ نصب على أنّه حال، وقيل: هو استئناف مبنيّ على سؤال. والتّجرّع: التّحسّي، أي يتحسّاه مرّة بعد مرّة لامرّة واحدة، لمرارته وحرارته. (٣: ١٢٦)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُرْعَة، أي الشُّرب اليسير، والجمع: جُرَع، يقال: جَرِعَ الماء يَجرَعُه، وجَرَعَه يَجرَعُه جَرْعًا، واجترَعه وتجرّعه، أي بلعه، وتجرّعه أيضًا: تابع الجَرْع مرّة بعد أُخرى كالمتكاره.

والجَرْعة: حُسْوَة من الجُرْعَة، والجمع جِراع. ونوق مجاريع ومجارع: قليلات اللّبن، كأنّه ليس في ضروعها إلّا جُرَع.

والجَرَعَة أيضًا: الرّملة العَذاة الطّيّبة المنبت الّتي لاوُعُوثة فيها، وهي مشبّهة بجَرْعَة الماء؛ وذلك لأنّ الشُّرب لاينفعها، فكأنّها لم تَرْوَ، والجمع: جِراع، وهي الجَرْعة، والجمع: جَرَع، والجَرَعَ والجمع: جِراع، والأجرع والجمع: أجارع، والجَرْعاء والجمع: جَرْعاوات.

والأجرَع: كثيب جانب منه رَمْل وجانب حجارة، والمكان الواسع الّذي فيه حزونة وخشونة، وهو تشبيه بالجَرْعة.

والجَرَع: التِواء في قوّة من قوى الحَبْل أو الوَتَر، تظهر على سائر القوى، وهو كالأجرع ذي رَمْل وحجارة وحزونة وخشونة، يقال: أجرَع الحبل والوتَر، أي أغلظ بعض قواه.

وجَرِعَ الغيظ: كظمَه، على المثَل بذلك، يقال: جرّعه غصَصَ الغيظ فتجرّعه، أي كظمه، ومامن جُرعَة أحمَد عُقبانًا من جُرعة غيظ تكظمها. وأفلتني جُرَيعَة الرّيق، إذا سبقك فابتلعتَ ريقك عليه غيظًا، وهو تصغير جُرْعَة، وكذا أفلتني جُرَيعَة الذّقَن ومجُرَيعَة الذّقَن، إذا كان قريبًا منه كقُرب الجُرعَة من الذّقَن ثمّ أفلتَه.

٢ـ وقولهم: اجترَع العود، أي كسره، من «اجتزعه» بالزّاي المعجمة، يقال منه: اجتزعتُ من الشّجرة عودًا، أي اقتطعتُه واكتسرتُه. وكذا وَتَرٌ مُجَزَّعٌ: بعضه مستقيم وبعضه ذو نتوء، فهو من «ج ز ع».

٣ـ وقال العَدْنانيّ في «جَرَع الماء وجَرِعَه»: أنا أُوثر «جَرَعَ الماء»، لأنّ العرب جميعًا: أُدباءهم وعامَّتهم ـ كما أرجّح ـ يستعملون الفعل «جَرَع»، ولم أسمع «جَرِعَ» ـ خلال عمري الطّويل ـ إلّا نادرًا جدًّا.

ولكنّ هذا التّعليل غير سديد، لأنّ العرب اليوم ذوو عيّ وحَصَر، وفي كلامهم لحن وهَذَر ـ كما تحفل نصوص الأُدباء في هذا العصر بالغَلَط والخَطَل، فلايُحتجّ بهم، وإنّما يُحتجّ بالقدامى، فهم ذوو لَسَن وذَرابة، وبيان وخِلابة، فقد أطبقوا جميعًا على استعمال «جَرِعَ». أمّا «جَرَعَ» فقد أنكره الأصمعيّ.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد (يَتَجَرَّعُهُ) في سورة مكّيّة:

﴿وَيُسْقٰى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ إبراهيم: ١٦، ١٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ جَرَع الماء: شربه جُرعَة، وتجرّعه: يشربه جرعة جرعة كالمتكاره، ولذلك جاء الفعل في الآية بصيغة «التّفعّل» في سياق الإنذار والتّعذيب، وإكراههم بشرب الصّديد في جهنّم، فقبلها وصفًا للّذين كفروا برسلهم: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقٰى...﴾

فقد جمع الله لهؤلاء كلّ صفة ذميمة، وكلّ عذاب روحيّ وجسميّ حتّى في شرابهم، فقال: (وَاسْتَفْتَحُوا) أي أنّ هؤلاء في محاجّتهم للرّسل ينتظرون الفتح والنّصر عليهم، لكن يواجهون بالخيبة في أمنهم. وهذا عذاب روحيّ لهم؛ إذ إنّهم من زُمرة كلّ جبّارٍ عنيد، أي من جمع بين العناد والجبر بعدوّه وهذا وصف لأنفسهم الخبيثة الظّالمة كما وصفهم بـ(الظّالِمِينَ) قبلها: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمِينَ﴾ إبراهيم: ١٣. وماذكرناه في معنى اسْتَفْتَحُوا) أحسن من غيره. لاحظ «ف ت ح».

ثمّ بدأ بعد ذلك بوصف عذابهم، بما يناسب ويُلائم أوصافهم هذه فقال: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي من وراء هذا الجبّار العنيد جهنّم، وهي دار كلّ عذاب وبلاء. والإنسان مُقبل من الدّنيا إلى الآخرة فيتخيّل أنّ المناسب أن يقول: «مِنْ أمامِهِ» بدل (مِنْ وَرَائِهِ). قال الطّبْرِسيّ (٣: ٣٠٨): «وإنّما جاز في الزّمان أن يسمّى «الأمام» «وراء» وإن لم يجز في غيره، لأنّ الزّمان المستقبل، كأنّه خلفهم، لأنّه يأتي فيلحقهم كما يلحق الإنسان مَن خَلفه.

وعندنا أنّ النّكتة في (وَراء) هنا الإشعار بأنّ جهنّم نتيجة أعمالهم وأوصافهم المشار إليها، فهي عقوبة عليها والعقوبة تبع للمساوئ والسّيّئات، فهذا في معنى قوله فيما بعد: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾. لاحظ «و ر ي».

ثمّ ركّز أشقّ عذاب لهم في جهنّم وهي بيت النّار ودار الحريق المستتبعة، لغلبة العطش على أهلها، فقال: ﴿وَيُسْقٰى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ والصّديد: مايسيل من الدّم والقيح من الجرح ويشمئزّ الطّبع من شربه. وفي الآية تلميح بذلك تهكّمًا، لأنّ السّقي يتبادر منه الإحسان على

العطشان بما يرفع عطشه، لكن لمّا وقع على ماءٍ صديدٍ فيُشعر بأنّه مكرَه على شُرب مايشمئزّ منه. لكن عبّر عنه بالسّقي، فيكون ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ نظير: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ آل‌عمران: ١٨١، (لاحظ ذوق) وإشعارًا بكلّ ذلك قال: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ كما يأتي.

ثانيًا: قالوا في مجيء (يَتَجَرَّعُهُ) من «التّفعّل» وجوهًا:

١ـ إنّه للتّكلّف: أي يتجرّعه بكلفة جُرعَة بعد جُرعَة لمرارته وحرارته ونتنه واشمئزازه منه، ومعنى التّكلّف أنّه يكابد الفعل عسى أن يظفر به، مثل تشجّع، أي كلّف نفسه الشّجاعة لتحصل.

٢ـ للاستمرار: جَرعةً جرعَة قال الطّوسيّ: التّجرّع: تناول المشروب جُرعَة جُرعَة على الاستمرار.

٣ـ إنّه للمطاوعة كأنّ السّاقي يُسقيه وهو يفعل به فيتجرّع، نظير: علّمه فتعلّم.

٤ـ بمعنى جرعه، فالمجرّد والمزيد منه واحدٌ، نظير: عدا الشّيء وتعدّاه.

٥ ـ عن ابن عبّاس: يستمسك الصّديد في حَلقه، وهذا التّفسير للجملتين ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ لالـ(يَتَجَرَّعُهُ) خاصّة. فكأنّه مطاوعة (يُسْقَىٰ) من غير لفظه.

والمناسب للسّياق كما علمت هو الأوّل، ـ أو هو مع الثّاني ـ ويساوقه: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ فإنّ الإساغة: إجراء الشّراب في الحَلق، لكن هذا الشّارب يُمسك الشّراب في حلقه لحظة لكراهته، كما يتجرّع المريض دواءً مُرًّا. ولاحظ كيف جمع الله في هذه الآية بين التّجرّع والإسغاء، ولهما علاقة بالشّرب، فأثبت التّجرّع ونفى الإسغاء.

ثمّ لاحظ كيف شدّد وأكّد كراهته للشّرب بقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي أنّه في شربه الصّديد كأنّه يأتيه الموت من كلّ مكان، أو يتمنّى الموت من كلّ مكان، لكنّه لايموت.

ثالثًا: قالوا في محلّ إعراب (يَتَجَرَّعُهُ): إنّه جرٌّ صفة للماء في (مَّاءٍ صَدِيدٍ) أو نصبٌ حالًا منه، أي حال كونه يتجرّع الماء، أو حال كون الماء كذلك، أو استئناف جوابًا لسؤال محذوف، كأنّه قيل: فماذا يفعل بهذا الماء الصّديد؟ فأُجيب: يتجرّعه، أي يتكلّف بشربه تكلّفًا شديدًا، كما ذكر.

وعندنا أنّ الجملتين حالان من نائب الفاعل في ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ أي يُسق منه، وهو يتجرّعه ولايكاد يسيغه. وكذلك ما بعدهما. ﴿وَيأتيه المَوتُ مِن كُلِّ مكَانٍ...﴾


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ر ف

جُرُف

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَرْف: اجتِرافُك الشّيء عن وجه الأرض، حتّى يقال: كانت المرأة ذات لِثَةٍ فاجترَفها الطّبيب، أي استحاها عن الأسنان وقطّعها.

والطّاعون: الجارف نزل بأهل العراق وجرّفهم تجريفًا، فسمّي جارفًا.

والجارف: شُؤمٌ أو بليّةٌ تجترف مال القوم.

ورجل مُجرَّفٌ: جرَّفه الدّهر، أي اجتاح ماله فأفقره. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل جُراف: أكول جدًّا، ورجل جُراف أيضًا، أي كثير المُجامعة، نَشيطٌ لذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُرُفُ الوادي ونحوه من أسناد المسايل، إذا دخل في أصله فاجترفه، فصار كالدَّحْل وأشرف أعلاه، فإذا انصَدَع أعلاه فهو هار. وقد جرَفَ السّيل أسنادَه، أي أقباله، وهو ماقابَلَك من الأرض. (٦: ١٠٨)

أبوعمرو الشّيبانيّ: قد جرّفَتْه الجراحة، وهو أن تجرف الجلد واللّحم. (١: ١١٨)

الجُرْفَة: رسم باللّهزمة تحت الأذن. (١: ١٣٥)

المِجراف: سكّين يكون للطّبيب. (١: ١٤٩)

أبوزياد: الجريف: يبيس الأفاني خاصّة. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن سيده ٧: ٣٩١)

الأصمعيّ: المُجرَّف: الّذي قد ذهب ماله.

(ابن السّكّيت: ٢٥)

اللِّحيانيّ: رجل مُجارَف ومُحارَف: وهو الّذي لايكسب خيرًا. (الأزهَريّ ١١: ٤٢)

جُرِف في ماله جَرْفَة، إذا ذهب منه شيء.

(ابن سيده ٧: ٣٩٠)

ابن الأعرابيّ: أجرَف الرّجل، إذا رعى إبلَه في الجَرْف، وهو الخِصْب والكلأ المُزْدَجّ المُلتفّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجرَف الرّجل، إذا أصابه سيل جُراف.

الجَرْف: المال الكثير من الصّامت والنّاطق. (الأزهَريّ ١١: ٤٢)

وطَعْنٌ جَرْفٌ: واسع. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن سيده ٧: ٣٩١)

أبو عُبَيْد: الجُرْفَة من سمات الإبل: أن تُقطَع جلدة من فخذ البعير من غير بينونة ثمّ تُجمَع، ومثلها في الأنف القُرْمَة. (الأزهَريّ ١١: ٤٢)

ابن السِّكّيت: ...والمُجَرَّف تجريفًا: الأعجَفُ من بعد سِمَن. (١٤٥)

الجُراف: مكيال ضخم، قوله: «الجُراف الأكبر»، كان لهم من الهوان بِكيال وافٍ.

وسيل جُراف: يجرف كلّ شيء. (الأزهَريّ ١١: ٤٢)

شَمِر: جُرُف وأجراف وجُرفَة، وهي المَهْواة. (الأزهَريّ ١١: ٤٢)

الحَرْبيّ: قرَمْتُ البعير أقرَمه قَرْمًا، إذا سَلَخْتَ جِلْدة أنفه ثمّ جمعتَها في مكان، فيبقى أثره، فتلك سِمَة يُعرَف بها، وهي القُرْمَة. وماكان في سائر جسده أو العنق، فهي الجُرْفَة. (٢: ٣٧٧)

ابن دُرَيْد: الجَرْف: مصدر جَرَفت الشّيء أجرُفه جَرْفًا، وأجرِفه، إذا أخذته أخذًا كثيرًا. وبه سُمّي الموت الجارف، إذا اجترف النّاس، والسّيل الجارف، لأنّه يجترف ماعلى الأرض.

وجُرْف النّهر والوادي: ماجوّخه السّيل حتّى يقطعه فيمنع الطّرق، والجمع: أجراف وجُرُوف. وذكر أبوحاتم عن غنية أُمّ الهيثم أنّها قالت في الجمع: جِرَفة.

وكلّ شيء جرفت به شيئًا فهو مِجْرَفة. (٢: ٨١)

الأزهَريّ: قال أبوخيرة: الجُرْف: عُرْض الجبَل الأملس.

قال بعضهم: الجَوْرَف: الظّليم. [ثمّ استشهد بشعر]

قلت: هذا تصحيف، والصّواب مارواه أبوالعبّاس عن ابن الأعرابيّ أنّه قال: الجَوْرَق بالقاف: الظّليم. (١١: ٤٢)

الفارسيّ: والجُرُف بضمّ العين هو الأصل، والإسكان تخفيف، ومثله الشُّغُل والشُّغْل، والطُّنُب والطُّنْب والعُنُق والعُنْق. يجوز في جميعه التّثقيل والتّخفيف، وكلاهما حسن. (الطُّوسيّ ٥: ٣٤٨)

الجَرْفَة، والجُرْفَة: أن تُجرف لِهَزِمَة البعير، وهو أن يُقشر جِلده، فيُفتَل، ثمّ يُترك فيجفّ، فيكون جاسيًا كأنّه بَعَرة. (ابن سيده ٧: ٣٩٠)

الصّاحِب: الجَرْف: اجترافُك الشّيء عن وجه الأرض.

والطّاعون الجارُوف: الذّريع يجترِفُ مِلْكَ القوم.

ورَجُلٌ مُجَرَّفٌ: جَرَّفَه الدَّهرُ، أي اجْتاحَ مالَهُ فافْتَقَر.

ورجل جَرّافٌ: أكُول.

والرّجل الجُرّاف: الشّديد النَّيْك النّشيط.

وجُرْفُ الوادي: من أسناد المسائل إذا دخل الماءُ فيه فاحتَفَره.

وكَبْشٌ مُتَجَرِّفٌ: وهو الّذي قد ذهَبَ عامّةُ سِمَنِه، وكذلك الإبل.

وجاء فُلانٌ مُتجَرِّفًا، إذا هُزِل فاضْطَرَب.

والجَرْفَة: سِمَةٌ تكون في اللَّهْزِمَة والفَخِذ، بعير مَجْرُوف، وبه جَرْفَة.

وعُودٌ جَرِف، وأرضٌ جَرِفَة، أي مُختَلِفَة، وقِدْحٌ جَرِفٌ.

ورجل مُجارَف: لايكسب خيرًا ولاينمو ماله، وجُرِف الرّجل في ماله جُرْفَةً.

والجَرِيف: جَرِيف الحَماط وهو يَبِيسُه، ولَوْنُه مثل حَبِّ القُطْن إذا يَبِس.

ويقال للتُّرْس: أُمُّ الجُرَاف، والدَّلْو أيضًا.

والجِرْفَة من الرَّمْل: الحَبْل العظيم.

والجِرْف: باطِنُ الشِّدْق، وجَمْعُه: أجْرافٌ.

(٧: ٨٧)

الجَوْهَرِيّ: الجَرْف: الأخذ الكثير، وقد جَرَفْتُ الشّيء أجْرُفُه ـ بالضّمّ ـ جَرْفًا، أي ذهبتُ به كلّه أو جُلّه.

وجَرَفْتُ الطّينَ: كَسَحتُه، ومنه سمّي المِجْرَفَة.

والجُرُف، مثل عُسْر وعُسُر: ماتجرّفته السّيول وأكلته من الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ التّوبة: ١٠٩، والجمع: جِرَفَة، مثل جُحْر وجِحَرَة. وقدجَرَّفَتْه السّيول تجريفًا، وتجرَّفَتْه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجارف: الموت العامّ يجترف مال القوم.

والجارف: طاعُون كان في زمن عبد الله بن الزّبير.

والجَرْف بالفتح: سِمَة من سمات الإبل، وهي في الفَخِذ بمنزلة القَرْمَة في الأنف، تُقطَع جلدة وتُجمَع في الفَخِذ، كما تُجمع على الأنف.

وسيل جُراف بالضّمّ: يَذهب بكلّ شيء.

ورجل جُراف أيضًا: يأتي على الطّعام كلّه. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال لضرب من الكيل: جُراف وجِراف. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ١٣٣٦)

الخطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ أنّه قال: «ليس لابن آدم حقّ فيما سوى هذه الخصال: بيت يُكِنُّه، وثوب يواري عورته، وجِرَف الخُبز والماء»، قوله: جِرَف الخُبز: يريد كِسَر الخبز، واحدتُها: جِرفة. (١: ١٧٩)

ابن فارِس: الجيم والرّاء والفاء أصل واحد، هو أخذ الشّيء كلّه هَبْشًا، يقال: جَرَفتُ الشّيء جَرْفًا، إذا ذهبت به كلّه. وسيف جُراف: يُذهب كلّ شيء.

والجُرُف: المكان يأكله السّيل. وجَرَّف الدّهر ماله: اجتاحه، ومال مُجرَّف. ورجل جُراف: نُكَحَة، كأنّه يجرف ذلك جَرْفًا.

ومن الباب: الجُرْفَة: أن تُقطَع من فَخِذ البعير جِلْدة، وتُجمَع على فَخِذه. (١: ٤٤٤)

الهَرَويّ: وفي الحديث: ذكر «الطّاعُون الجارف» سمّي جارفًا، لأنّه كان ذريعًا.

والجَرْف: هو اجترافك الشّيء عن وجه الأرض.

[ثمّ ذكر حديث النّبيّ المتقدّم من الخطّابيّ وأضاف:]

وجَرَفَتْهُ السّنة وجَلَّفَتْه: ذهبت بماله. (٣٤٧)

نحوه الزّمَخْشَريّ. (الفائق ١: ٢٠٣)

ابن سيده: جَرَف الشّيء يَجرُفه جَرْفًا، واجترَفه: أخذه أخذًا كثيرًا.

والمِجْرَف، والمِجْرَفة: ماجُرِف به.

وبَنان مِجْرَف: كثير الأخذ من الطّعام. [ثمّ

استشهد بشعر]

وجَرَف السّيل الوادي يَجْرُفه جَرْفًا: جَوّفه.

والجُرْف: ماأكل السّيل من أسفل شِقّ الوادي والنّهر، والجمع: أجراف، وجُرُوف، وجِرَفة.

فإن لم يكن من شِقّه فهو شَطّ وشاطئ.

وسَيل جُراف، وجارُوف: يَجْرُف مامرّ به من كثرته، وغيث جارف: كذلك.

والطّاعُون الجارف: الّذي نزل بالبصرة، وموت جُراف منه.

ورجل جُراف: شديد النّكاح. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل جُراف: شديد الأكل.

ومُجَرَّف، ومُنجَرِف: مهزول.

وكَبْش متجرِّف: ذهب عامّة يمنه.

وجُرِف النّبات: أُكل عن آخره.

وجُرِف في ماله جَرْفة، إذا ذهب منه شيء، عن اللّحيانيّ. ولم يُرد بالجَرْفة هاهنا المرّة الواحدة، إنّما عَني بها ماعُني بالجَرْف.

والمُجَرَّف، والمُجارَف: الفقير كالمُحارَف، عن يعقوب، وعدّه بدلًا، وليس بشيء.

والجَرْفة: أن تُقطع جِلدة من جسد البعير دون أنفه، من غير أن تبين. وقيل: الجَرْفة في الفَخِذ خاصّة.

قال سيبويه: «بَنَوه على «فَعْلَة» استغنوا بالعمل عن الأثر» يعني أنّهم لو أرادوا لفظ الأثر لقالوا: الجُرْف.

والجِراف: كالمُشْط والخياط، فافهم.

والجَرْف، والجَريف: يبيس الحَماط.

والجَرّاف: اسم رجل. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٣٩٠)

الجُرْف: ماأكل الماء من شطّ الوادي من أسفله، فإذا لم يأكل الماء من أسفله فهو شَطّ، ولايُدعى جُرُفًا.

(الإفصاح ٢: ١٠٤٥)

الرّاغِب: يقال للمكان الّذي يأكله السّيل فيَجرُفه، أي يُذهب به: جَرْف، وقد جَرَف الدّهر مالَه، أي اجتاحه تشبيهًا به. ورجل جِرّاف: نُكَحَة، كأنّه يجرف في ذلك العمل. (٩١)

الزّمَخْشَريّ: جرَف الشّيء واجترَفه: ذهب به كلّه. وجَرَفَ الطّين والزّبل عن وجه الأرض: سحاه بالمِجْرَفة. وتجرّفته السُّيول، وسيل جُرَاف.

ومن المجاز: فلان يبني على جُرُف هارٍ، لايدري ماليل من نهار. وجَرَف الدّهر ماله. وعام وطاعُون جارف. وفيه شوْم جارف. (أساس البلاغة: ٥٧)

ابن الأثير: في حديث أبي بكر رضي الله عنه: «أنّه كان يستعرض النّاس بالجُرْف» هو اسم موضع قريب من المدينة، وأصله: ماتجْرُفه السُّيول من الأودية.

والجَرْف: أخذك الشّيء عن وجه الأرض بالمِجرفة. (١: ٢٦٢)

الصّغانيّ: أرض جَرِفة: مختلفة، وكذلك عود جَرِف، وقِدْحٌ جَرِف.

وكبش متجرِّف: ذهبت عامّة يمنه.

وجاء متجرِّفًا، إذا هُزل واضطرب.

وأمّ الجَرّاف: التُّرْس، والدّلْو أيضًا.

والجَرْف: باطن الشّدْق.

والأجراف: موضع. وذو جراف: واد.

والجَرْف: موضع قرب مكّة، حرسها الله تعالى، به

كانت وقعة بين هُذيل وسُليم.

والجُرْفَة: ماء باليمامة لبني عديّ.

والجَوْرَف: الحمار. (٤: ٤٤٤)

الفَيُّوميّ: جَرَفْتُه جَرْفًا، من باب «قتل»: أذهبته كلّه. وسيل جُراف وزان غُراب: يُذهب بكلّ شيء.

والجُرُف بضمّ الرّاء وبالسّكون للتّخفيف: ماجَرَفَتْه السّيول وأكَلَتْه من الأرض وبالمخفّف تسمّي ناحية قريبة من أعمال المدينة، على نحو ثلاثة أميال. (٩٧)

الفيروزاباديّ: جَرَفَه جَرْفًا وجَرْفَةً بفتحها: ذهب به كلّه، أو أخذه أخذًا كثيرًا، والطّين: كَسَحَه كجَرَّفَه وتَجَرَّفَه.

والمِجْرَفَة كمِكْنَسَة: المِكْسَحَة.

والجارف: الموت العامّ، والطّاعون، وشُؤْمٌ أو بَلِيَّة تجترف القوم.

والجَرْفُ: المال من الصّامت والنّاطق، والخِصْبُ، والكلأُ المُلتفّ، وبهاء ويُضَمّ: سِمَة في الفَخِذِ أو الجسد.

وبعير مجروف: وُسِمَ به أو وُسِمَ باللُّهْزِمَة تحت الأُذُن، وأن يُقشَرَ جلدُه فيُفْتَلَ ثمّ يُترَكَ فيَجِفّ، فيكون جاسيًا كأنّه بَعَرَة، أو أن تُقطَع جِلدَةٌ من جسد البعير دون أُذُنه من غير أن تبين، وذلك الأثَرُ جُرْفَة بالضّمّ والفتح.

وأرض جَرِفَةٌ: مُختَلِفَة، وكذلك عُودٌ جَرِفٌ، وقِدْحٌ جَرِفٌ.

وسيل جُرافٌ كغُراب: جُحافٌ.

ورجل جُراف: أكولٌ جدًّا، نُكَحَةٌ نشيطٌ كجارُوف.

وذُو جُراف: واد.

وجُرافٌ ويُكسَر: ضرب من الكيل.

والجاروف: المَشؤوم والنَّهِم.

وأُمّ الجَرّاف كشدّاد: الدَّلْوُ والتُّرْسُ.

والجِرْفَةُ بالكسر: الحَبْلُ من الرّمل، ومن الخُبْز: كِسْرَتُه، وبالضّمّ: ماءٌ باليمامة، وأن تُقطَع من فَخِذ البعير جِلْدَة وتُجمع على فخِذِه.

والجَرْف: يَبيسُ الحَماط أو يابِسُ الأفانَى كالجَريف فيهما، وبالكسر: باطن الشِّدْق، والمكان الّذي لايأخذه السَّيْلُ ويُضَمّ، وبالضّمّ: موضع قُرْبَ مكّة، وموضع قرب المدينة، وموضع باليمن منه أحمد بن إبراهيم المحدّث، وموضع باليمامة، وعُرْضُ الجبل الأمْلَس، وماتَجَرَّفَتْه السُّيول وأكَلَتْه من الأرض، الجمع: أجرافٌ كالجُرُف بضمّتين، الجمع: جِرَفَة كجِحرَة.

والجَوْرَفُ: الحمار، والظّليم، والبِرْذَوْنُ السّريع، والسّيل الجُراف.

وأجرَف: رعى إبلَه الجَرْفَ، والمكان: أصابه سيل جُراف.

ورجل مُجارَفٌ بفتح الرّاء: لايكسب خيرًا ولايُنمي مالَه.

وكَبْشٌ مُتَجرِّفٌ: ذَهَبَتْ عامّة سِمَنِه.

وجاء مُتَجَرِّفًا: هزيلًا مُضطربًا. (٣: ١٢٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: جرَف الطّينَ ونحوه يَجرُفه جَرْفًا: كَسَحَه. والجُرُف بضمّتين: ماتجيَّف الماء أصله، فتهيّأ للانهيار. (١: ١٨٧)

العَدْنانيّ: المِجْرفَة أو المِجْرف لا المَجْرفة.

ويُسمُّون مايُكسَح به التّراب ويُجْرَف: مَجْرَفة، وهو

اسم آلة على وزن:

«مِفْعَلة» مِجْرَفة: الصّحاح، والأساس، والمختار، واللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط، ومعجم الشّهابيّ.

أو «مِفعَل» مِجْرَف: اللّسان، ومستدرك التّاج، والمدّ، وذيل أقرب الموارد، والمتن، والوسيط، ومعجم الشّهابيّ.

وفِعْلُه: جرَفَه يَجْرُفه جَرْفًا وجَرْفَة. (١٢١)

المُصْطَفَويّ: إنّ الجُرْف والجُرُف والجُراف صفات مشبّهة كصُلْب وجُنُب وشُجاع مأخوذ من الجَرْف مصدرًا، بمعنى الأخذ الكثير والمحو.

وهذه المادّة قريبة مفهومًا من جحف وجزف.

(٢: ٧٥)

النُّصوص التّفسيريّة

جُرُف

أَفَمَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ اَمْ مَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهٖ فِي نَارِ جَهَنَّمَ... التّوبة: ١٠٩

أبوعُبَيْدَة: مجاز ﴿شَفَا جُرُفٍ﴾: شفير، والجُرُف: مالم يَبنِ من الرّكايا، لها جُول. [ثمّ استشهد بشعر]

(١: ٢٦٩)

هو الهُوّة ومايجرفه السّيل من الأودية، فيتجرّف بالماء فيبق واهيًا. (البغويّ ٢: ٣٩٠)

ابن قُتَيْبَة: والجُرُف: ماينجرف بالسّيول من الأودية. (١٩٢)

الطَّبَريّ: على حرف جرف. والجرف من الرّكيّ: مالم يَبنِ له جُول.

وإنّما هذا مثل، يقول تعالى ذكره: أيّ هذين الفريقين خير، وأيّ هذين البناءين أثبت، أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعِلْم منه، بأنّ بناءه لله طاعة والله به راضٍ، أم من ابتداه بنفاق وضلال، وعلى غير بصيرة منه، بصواب فعله من خطئه، فهو لايدري متى يتبيّن له خطاء فعله، وعظيم ذنبه، فيهدمه.

كما يأتي البناء على جُرُف ركيّة لاحابس لماء السّيول عنها ولغيره من المياه، ترى به التّراب متناثرًا، لاتلبثه السّيول أن تهدمه وتنثره. (١١: ٣٢)

النّحّاس: والجُرُف: ماجرّفه السّيل. (٣: ٢٥٥)

أبو زُرْعَة: قرأ ابن عامر وحمزة وأبوبكر: (عَلٰى شَفَا جُرْفٍ) ساكنة الرّاء، كأنّهم استثقلوا ضمّتين.

وقرأ الباقون (جُرُف) بالرّفع، وإنّما يُستثقل ثلاث ضمّات، فأمّا اثنتان فلايُستثقل. (٣٢٤)

الماوَرْديّ: يعني شفير جرف، وهو حرف الوادي الّذي لايثبت عليه البناء، لرخاوته وأكل الماء له.

(٢: ٤٠٤)

نحوه الخازن. (٣: ١٢٣)

المَيْبُديّ: والجُرُف: ماتهدّم من جوانب الوادي.

قال أبوعُبَيْد: الجُرُف: الهُوّة، يعني كلّ وهدة عميقة يحرفها السّيل من الأودية. (٤: ٢١٣)

الزّمَخْشَريّ: وجُرُف الوادي: جانبه الّذي يتحفّر أصله بالماء، وتجرفه السّيول، فيبق واهيًا. (٢: ٢١٥)

مثله النّسفيّ (٢: ١٤٦)، نحوه أبوالسّعود (٣: ١٩٢)، والكاشانيّ (٢: ٣٧٩)، والبُرُوسَويّ (٣: ٥١٠).

ابن عَطيّة: والجُرُف: حول البئر ونحوه ممّا جرّفته السّيول، والنّدوة، والبِلي. (٣: ٨٤)

الفَخْرالرّازيّ: والجُرُف، هو ماإذا سال السّيل وانحرف الوادي، ويبقى على طرف السّيل طين واهٍ مشرف على السّقوط ساعة فساعة، فذلك الشّيء هو الجُرُف. (١٦: ١٩٧)

مثله النَّيسابوريّ. (١١: ٢٠)

القُرطُبيّ: والجُرُف: مايتجرّف بالسّيول من الأودية، وهو جوانبه الّتي تنحفر بالماء، وأصله من: الجَرْف والاجتراف، وهو اقتلاع الشّيء من أصله. (٨: ٢٦٤)

أبوحَيّان: والجُرُف: البئر الّتي لم تُطوَ. (٥: ٨٨)

نحوه الآلوسيّ. (١١: ٢٢)

الطَّباطَبائيّ: وجُرُف الوادي: جانبه الّذي انحفر بالماء أصله. (٩: ٣٩١)

مكارم الشّيرازيّ: و(جُرُف) بمعنى حافّة النّهر وساحله، أو البئر الّذي نُزح ماؤه وفُرغ منه. (٦: ٢٠٥)

المُصْطَفَويّ: ﴿أَمْ مَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ﴾ فالجُرُف: السّيل الّذي يُذهب من أطراف مجراه، وليس المراد المكان الّذي أكله السّيل، فإنّه معنى مجازيّ، ولايستقيم في هذا المورد. وكلمة (هَارٍ) صفة لـ«شفا»، فتفسير «الجُرُف» بما أكلته السّيول غير وجيه.

ولايخفى أنّ السّقوط والانهيار إنّما يتحقّق في شفا السّيل وطرفه، لا في طرف المكان الّذي يُذهِب السّيل به. (٢: ٧٥)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَرْف والجُرُف، وهو ماأكل السّيل من أسفل شقّ الوادي والنّهر، والجمع: أجراف وجُرُوف وجِرَفَة، وقد جرّفته السّيول تجريفًا وتجرّفته.

وجُرُف الوادي ونحوه من أسناد المسايل، إذا نخجَ الماءُ في أصله فاحتفره، وقد جَرَفَ السّيل أسناده، ويقال: جَرَفَ السّيل الواديَ يَجرُفُه جَرْفًا، أي جوّخه. وسيلٌ جُراف وجارُوف: يَجرُف مامرّ به من كثرته، يُذهب بكلّ شيء، وكذلك غيثٌ جارفٌ. يقال: أجرفت الأرضُ، أي أصابها سيل جُرافٌ.

والجُرْف والأجراف والجِرَفَة: المَهواة، والجُرْف: عرض الجبل الأملس.

ويقال على التّشبيه: موتٌ جُرافٌ، أي كاسح، وسيفٌ جُرافٌ: يَجرُف كلّ شيء، ورجل جُرافٌ: شديد النّكاح، كأنّه يَجرُف في ذلك العمل، وهو الشّديد الأكل لايُبقي شيئًا.

والجارف: الموت العامّ، يَجرُف مال القوم، والطّاعُون الجارف: الّذي نزل بالبصرة زمن عبد الله بن الزّبير، وكان ذريعًا، وسمّي جارفًا لأنّه جَرَفَ النّاس كجَرْف السّيل.

والجَرْف والجَرْفَة والجُرْفَة: أن تقطع جلدة من جسد البعير، وهو ضرب من الوسم.

والجَرْف: الأخذ الكثير، يقال: جَرَف الشّيء يَجرُفه جَرْفًا واجترفه، أي أخذه أخذًا كثيرًا، وكانت المرأة ذات لثة فاجترفها الطّبيب، أي قشرها عن الأسنان قطعًا، وجَرَفتُ الطّينَ: كسَحته، وبنانٌ مِجْرَفٌ: كثير الأخذ من الطّعام.

والمِجْرَف، والمِجْرَفة: ماجُرِفَ به. والجُراف والجِراف: مكيال ضخم، كأنّه يجرف مايكال به جَرْفًا.

٢ـ أمّا قولهم: رجل مُجرَّفٌ، قد جرّفه الدّهر، أي اجتاح ماله وأفقره، وجُرِفَ النّبات: أُكل عن آخره، وكذا جِرْفَة الخبز: كِسرته، فهو من «ج ل ف» لاحظ ذلك في موضعه المذكور. والمِجْراف: سكّين يكون للطّبيب، من «ح ر ف». وورد قولهم: جُرِفَ في ماله جَرْفَةً، أي ذهب منه شيء، في «ج ل ف» و«ح ر ف».

كما أنّ بين مادّتي «ج ر ف» و«ح ر ف» اشتقاقًا أكبر، يقال: رجل مُجارَفٌ ومُحارَفٌ، أي فقير، وهو الّذي لايكسب خيرًا.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد (جُرُف) في سورة مدنيّة:

﴿اَفَمَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ اَمْ مَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...﴾ التّوبة: ١٠٩

يلاحظ أوّلًا: أنّ (الجُرُف) ـ بسكون الرّاء وضمّة كما قُرئ بهما ـ جاء منكّرًا في سياق وهنٍ وضعفٍ وذمٍّ، قبال: (تَقْوٰى وَرِضْوَانٍ) منكّرتين أيضًا، في سياق قوّة ومدح، و(جُرُف) يحاكي شيئًا مادّيًّا لايُعبأ به، موصوفًا بـ(هَارٍ) الدّالّ على السّقوط، و(تَقْوٰى وَرِضْوَانٍ) يحاكيان أمرين معنويّين، ينبغي أن يُهتمّ بهما اهتمامًا بالغًا، موصوفين بأنّهما من الله مصدر القوّة والقدرة.

فالتّقابل بينهما وبين (جُرُفٍ) بلغ أوجه في الآية: فهذا واحد موهون، كأنّه وُجد بلاغاية ولافاعل، ينهار صاحبه في نار جهنّم، وهو من الظّالمين، وهما إثنان قويّان متّصلان بمصدر القوّة والاقتدار، واهب الخيرات، وهما خيران وصاحبهما من أهل الرّضوان، الّذين جاء فيهم ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة: ١١٩، مع أنّ كلًّا من (جُرُف وتَقْوٰى وَرِضْوَان) جاء نكرة مجرورًا بـ(عَلٰى) متعلّق بـ(أسَّس) الدّالّ على القدرة والاستحكام، لاحظ: «أ س س».

إلّا أنّ التّأسيس فيهما جاء على كماله وحقيقته، وفي (جُرُفٍ) مجازًا للتّقابل فقط، نظير ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ آل عمران: ٥٤، و﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ النّساء: ١٤٢، والتّنكير فيهما للتّعظيم والتّعمية، ليذهب ذهن السّامع فيهما إلى كلّ مذهبٍ ممكنٍ من القوّة والكمال، وفي (جُرُفٍ) للتّحقير والوهن والذّمّ.

ثانيًا: (جُرُفٍ) ـ كما جاء في اللّغة ـ ماأجرفه السّيل من ساحل الوادي وبقي مشرفًا على السّقوط، فالبناء عليه ينهدم ولايُرجى بقاؤه، فالمراد به القطعة من الأرض. لكن المُصْطَفَويّ قال: إنّ الجُرُف: السّيل نفسه دون هذا المكان، لأنّه معنى مجازيّ للكلمة، ولأنّ السّقوط والانهيار يتحقّق في شفا السّيل وطرفه لافي طرف المكان الّذي يذهب السّيل به، وأنّ (هَارٍ) صفة لـ(شَفَا) لا لـ(جُرُفٍ). وهذا باطل من وجوه:

١ـ أنّ «جُرف» وإن اشتُقّ من أجرف السّيل، لكنّه أصبح اسمًا أو وصفًا لجانب الوادي الّذي جرى فيه السّيل وليس معنًى مجازيًّا.

٢ـ إنّ أحدًا من النّاس لايبني بيتًا على السّيل، بل على أرض السّاحل الّتي أكلته السّيول.

٣ـ إنّ (شَفًا) مُضاف إلى الأرض لاإلى السّيل، فطرف هذه الأرض يُعدّ شفاها تشبيهًا بشفا الفم.

٤ـ (هَارٍ) اسم فاعل من (هوَر)، أصله: هائر، قُدّم الرّاء على عين الفعل فصار هاري، فحذف الياء، كما في قاضي وقاضٍ، وهو وصفُ (جُرُفٍ) لا(شَفًا) كما زعمه.

ثالثًا: هذه الآية لها علاقة بعدّة موادّ مثل «أ س س، وه و ر، و ب ن ي» وغيرها، فلاحظ. وهي مقياس لأفعال الخير والشرّ حسب النّيّة، جاءت تبيانًا لمسجدين: مسجد أُسّس على التّقوى بيد المؤمنين، ومسجد أُسّس ضرارًا على النّفاق بيد المنافقين، وقد عددنا خصائصها في «أ س س» فلاحظ.

رابعًا: الآية جاءت في سورة مدنيّة، تعرّضت لحال المنافقين، وهي سورة التّوبة الّتي نزلت بعد غزوة تبوك، وقد بلغت فيها مساوئ المنافقين في محو الإسلام أوجها.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ر م

١٣ لفظًا، ٦٦ مرّة: ٦٠ مكّيّة، ٦ مدنيّة

في ٣٥ سورة: ٣١ مكّيّة، ٤ مدنيّة

جرَم ٥: ٥

يَجْرِمنّكم ٣: ١ـ ٢

أجرَمُوا ٣: ٣

أجرَمنا ١: ١

تُجْرمون ١: ١

المُجرم ١: ١

إجرامي ١: ١

مُجرِمًا ١: ١

مُجرمون ٢: ٢

المُجرمون ١٣: ١٠ـ ٣

مُجرمين ١٠: ٩ـ ١

المُجرمين ٢٤: ٢٤

مُجرميها ١: ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: أرضٌ جَرْمٌ، وأرضٌ صَرْدٌ: دخيلان مستعملان في الحَرّ والبَرْد.

والجِرْم، ألواح الجسد وجُثمانه.

ورجل جريمٌ وامرأةٌ جريمةٌ، أي ذات جِرْم، أي جسم.

وجِرْم الصّوت: جَهارته، تقول: ماعَرَفتُه إلّا بجِرْم صوته.

وفلانٌ له جريمةٌ، أي جُرمٌ، وهو مصدر الجارم الّذي يَجْرِم على نفسه وقومه شرًّا، وهو الجارم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُرْم: الذّنب، وفعله الإجْرام، والمُجرِم: المُذنب، والجارم: الجاني. [ثمّ استشهد بشعر]

ولاجَرَمَ: يجري مجرى لابُدّ، ويُفسّر حقًّا.

وجَرْمٌ: قبيلةٌ من اليمن.

وأقمْت عنده حَوْلًا مُجَرَّمًا، أي حَوْلًا تامًّا حتّى انقضى، وجَرَّمْنا هذه السّنة، أي خرجنا منها، وتجرّمَت السّنة والشّتاء والصّيف. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ١١٨)

اللّيث: الجَرْم: نقيض الصّرد. (الأزهَريّ ١١: ٦٤)

الكِسائيّ: من العرب من يقول: لاذا جَرَم، ولا أن ذا جَرَم، ولاعن ذا جَرَم، ولاجَرَ، بلاميم؛ وذلك أنّه كثُر في كلامهم فحُذفت الميم، كما قالوا: حاشَ لله، وهو في الأصل: حاشى، وكما قالوا: أيْش، وإنّما هو أيُّ شيء،

وكما قالوا: سَوْترى، وإنّما هو سوف ترى.
(الأزهريّ ١١: ٦٦)

سمعت الجِرام والجَرام وأخواتها، إلّا الرِّفاع فإنّي لم أسمعها مكسورة. (إصلاح المنطق: ١٠٤)

أبوعمرو الشّيبانيّ: جريم الطّعام: ماكان فيه من مَدَر وعيدان، وماأشبهه. (١: ١١٨)

هذا رجل جريم، أي له جِرْم، وهو من الجسم.
(١: ١١٩)

قد جَرِم به الدّم، أي لَصِق به، وجَرِم بالبعير القَطِران يَجْرَم جَرَمًا. (١: ١٢١)

رأيت جَرِيمًا من إبل، وهي الجِلّة، وجَريم خيل، وجريم طعام. (١: ١٢٧)

الجُرْم: النّوى. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٢٩)

ويقال للرّجل إذا كان حسن الجسم: إنّه لجَريم.

قال الخُزاعيّ: مكان جَريم: غليظٌ، وغلام جَريم: غليظٌ جَلْدٌ، وحَمَلٌ جَريم. (١: ١٣٥)

الجَرام والجَريم: النّوى، وهما أيضًا التّمر اليابس.
(إصلاح المنطق: ١٠٨)

جِلّة جَريم، أي عظام الأجرام، أي الأجساد.
(إصلاح المنطق: ١٥)

الجِرْم: البَدَن، والجِرْم: اللّون، والجِرْم: الصّوت.
(الأزهريّ ١١: ٦٤)

جَرِم الرّجل، إذا صار يأكل جُرامة النّخل بين السّعَف. (الأزهريّ ١١: ٦٧)

وهذا زمن الجِرَام والجَرَام، أي الصّرام.
(إصلاح المنطق: ٢٦٣)

الفَرّاء: أصل «جَرَم» من جَرَمت، أي كسبت الذّنب، وجَرَمته. (٢: ٩)

وفي حديث قيس بن عاصم: «لاجَرَم لأَفُلّنّ حدّها» أصله تَبْرِئةٌ، بمنزلة لابدّ ولامحالة، ثمّ استعملته العرب في معنى حقًّا، وهو معنى الحديث، ويجاب بجوابات الأيمان. (الهرويّ ١: ٣٤٩)

أبوعُبَيْدَة: جَرَمتُ النّخل وجَرَمته، إذا خَرَصته وجَزَزْته. (الأزهريّ ١١: ٦٨)

الجِرْم: إنّما هو البدن لاغير، والجُرْم: الصّوت. مثله الأصمعيّ. (إصلاح المنطق: ١٤)

تقول: لاجَرَم لأفعلنّ كذا وكذا، معناه حقًّا لأفعلنّ. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن دُرَيد ٢: ٨٤)

أبوزَيْد: الجِرْم: الشّخص، وليس بالحلق ولا الحَنْجرة ولاالصّوت. (٥٤)

العام المُجَرَّم: الماضي المكمّل. سَنَةٌ مُجَرَّمة، وشَهرٌ مُجَرَّم، وكَريتٌ فيهما، ويوم مجرَّم وكَريتٌ وهو التّامّ.
(الأزهريّ ١١: ٦٧)

الأصمَعيّ: قال معاوية: «أيّ النّاس أفصح»؟ فقام رجل فقال:... [إلى أن قال:] قال: مَنْ هُمْ؟ قال: قومك قريش، قال: صدقت ممّن أنت؟ قال: مِنْ جَرْمٍ». وجَرْم: فصحاء العرب، قيل: «وكيف وهم من اليمن؟ فقال: لجوارهم مُضَر». (الفائق ٣: ٢١٢)

الجُرامة: ماالتُقِط من التّمر بعد مايُصْرَم، ويُلْقَط من الكَرَب. (الأزهريّ ١١: ٦٦)

اللِّحيانيّ: جَرَم النَّخْلَ والتّمر يَجْرِمه جَرْمًا، وجِرامًا وجَرامًا: صَرَمه. (ابن سيده ٧: ٤١٣)

ابن الأعرابيّ: لاجَرَمَ، لقد كان كذا وكذا، أي حقًّا، ولاذا جَرَ، ولاذا جَرَمَ، والعرب تَصِل كلامها بـ«ذا وذي وذو»، فيكون حَشْوًا ولايُعتدّ بها. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ٦٦)

الجَرْم: التعدّي، والجُرْم: الذّنب. والجِرْم: اللّون، والجِرْم: الصّوت، والجِرْم: البدن.

ورُوي عن أوس بن حارثة أنّه قال: «لا والّذي أخرج العَذْق من الجريمة، والنّار من الوثيمة» أراد بالجريمة: النّواة، أخرج منها النّخلة. (الأزهَريّ ١١: ٦٨)

الجَرْم: القطع، يقال: جَرَمه يجرِمه، إذا قطعه. والجِرْم: الجسد، والجِرْم: اللّون. (إصلاح المنطق: ١٤)

تجرّم: ادّعى عليه الجُرْم وإن لم يُجرِم. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن سيده ٧: ٤١٤)

ابن السّكّيت: شهر مُجَرَّم، إذا كان تامًّا، وكذلك اليوم. وسَنة مُجَرَّمة وكَرِيتٌ، وهي التّامّة، وكذلك اليوم والشّهر، ويومٌ أجْرَدُ وجَرِيدٌ، والمُجَرَّم: الماضي المكمَّل. (٤٠٥)

الجِرْم: الصّوت والجسد جميعًا. والجُرْم: الذّنب. (إصلاح المنطق: ٣٤)

ويقال: قد أجْرَم يُجْرِم إجرامًا وجريمةً.

ويقال: قد جَرَم النّخل يَجْرِمه جَرْمًا، إذا صَرَمه. وقد جَرَم صوف الشّاة، إذا جزّه، وقد جرَم منه، إذا أخذ منه. (إصلاح المنطق: ٢٣٢)

الجُرَام: الصُّرَام. [ثمّ استشهد بشعر]

وتمرٌ جَرِيم، أي مَصرُوم. (إصلاح المنطق: ٢٦٣)

الجَرْم: القطع، يقال: جَرَمه يَجْرِمه جَرْمًا، إذا قطعه. (الأزهَريّ ١١: ٦٤)

الدِّينَوَريّ: أرض جَرْم: دفيئة. (ابن سيده ٧: ٤١٦)

ثَعْلَب: في حديث عليّ: «اتّقوا الصُّبحة فإنّها مَجْفَرة مَنْتنة للجِرْم» الجِرْم: البدن. (ابن الأثير ١: ٢٦٣)

الزّجّاج: وجَرِم الرّجل وأجْرَم، إذا كسب جُرْمًا فهو جارم ومُجرِم. (فعلت وأفعلت: ٨)

ابن دُرَيْد: الجِرْم: الجسم، وقولهم: فلان حسَنُ الجِرْم، أي حسَنُ خروج الصّوت من الجِرْم[1].

وجمع الجِرْم: جُرُوم وأجرام.

والجُرْم: الذّنب، أجرم يُجرم إجرامًا، وجرَم يَجرِم جَرْمًا، والاسم الجُرْم، والمصدر: الجَرْم، وبه سمّي الرّجل جَرْمًا؛ واجترم يجترِم اجترامًا، ورجل جارم ومُجرِم.

وبنو جَرْم: بطنان من العرب: بطن في قُضاعة، والآخر في طيّئ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرمتُ النّخلة أجرِمُها جَرْمًا، إذا صرمتها. وجاء زمن الجرام، أي زمن الجُداد وهو الصّرام.

والجُرامة: التّمر المصروم، والجُرامة: مايُلتقَط من الكرب بعد مايُصرَم النّخل، والتّمر الجريم: المصروم. [ثمّ استشهد بشعر]

والرّجل الّذي يَجرِم التّمر: جارم، والجمع: جُرّام. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: فلان جريمة أهله، أي كاسبهم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجريمة أيضًا: الذّنب. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٨٣)

---

(١) وفي الحديث: كان حسن الجرم. قيل: الجرم هنا الصّوت. اللّسان.

جَرِمْت من الجَرْم، وأجرَمت. (٣: ٤٣٨)

مُجرِم وجريم وهو المُذنِب، وهذا يختلف فيه، فيقال: جريمة قومه، أي كاسبهم، ولايقال: «جريم» من جارم، وهو المُـذنب. (٣: ٤٢٥)

والجُرامة: قِصَد البُرّ والشّعير، وهي أطرافه تُـدَقّ فتُنَقّ. (٣: ٤٦٨)

القاليّ: الجَرِيَة: النَّواة. (١: ١٠٣)

ويُؤَبَّن بعض القوم وهو جَريم، أي عظيم الجِـرْم، الجِرْم: الجسد. (٢: ٢٣٧)

والجَريم: التَّمر المجروم، وهوالمصروم. (٢: ٢٥٧)

الأزهَريّ: [نَقَل الأقوال المختلفة ثمّ قال:]

وأمّا قولهم: لاجَرَمَ، فإنّ الفَرّاء زعم أنّها كلمة كانت في الأصل ـ والله أعلم ـ بمنزلة لابدّ، ولامحالة، فكثر استعمالها حتّى صارت بمنزلة حقًّا.

ألاترى العرب تقول: لاجَرَمَ لآتينّك، لاجَرَمَ لقد أحْسَـنت، فـتراهـا بـمنزلة اليمين، وكـذلك فسّرها المفسّرون: حـقًّا إنّهـم في الآخـرة هـم الأخـسرون. وأصلها من: جَرَمتُ، أي كَسَبت الذّنب. (١١: ٦٥)

[وقال بعد كلام الكِسائيّ:]

وقد قيل: لاصِلَة في «جَرَم»، والمعنى كَسَب لهم عملهم النَّدم. [ثمّ استشهد بشعر] (١١: ٦٦)

[نَقَل كلام أبي زَيْد: سَنَة مُجرَّمة...وكلام الخليل الّذي يذكره باسم «اللّيث»: جَرَّمنا هذه السّنة ...ثمّ قال:]

وهذا كلّه من الجَرْم، وهو القَطْع، كأنّ السَّـنَة لمّـا مَضَت، صارت مقطوعة من السَّنَة المستقبلة.

ويقال: جاء زمن الجِرام والجَرام، أي جـاء زمن صِرام النّخل. والجُرّام: الّذين يَصْرِمُون التّمر المجروم، وفلان جارمُ أهله وجَرِيمهم. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: جَرِم لونه، إذا صفا، وجَرِم، إذا عظُم جِرْمه، ونحو ذلك.

والجِرمة: الجُرْم: وكذلك الجَريمة. [ثمّ استشهد بشعر] (١١: ٦٧)

و«المُدّ» يُدعى بالحجاز جَريمًا. يقال: أعطيته كذا وكذا جَريـمًا من الطّعام. (١١: ٦٨)

الصّاحِب: الجَرْم: نقيض الصَّرْد، أرضٌ جَرْمٌ.

والجِـرْم: ألواح الجسَـد وجُـثْمانه. ورجـل جَـريمٌ ومَجرُوم، وامرأةٌ جَـريمة: ذات جِـرْم وجِـسم عـظيم.

ويقال: جُرْمان، مثل جُسْمَـان، وهي الرّائحة أيضًا.

ورمى بأجرامه، أي بجسمه.

وجِرْم الصّوت: جَهارَته.

والجُرْم: الذّنب، وجمعه: أجرامٌ. والمُـجرِم: المُذْنب، والجارم: مثله.

والجُرْم: الباطل، حَلَفْت يمينًا مافيها جُـرُماتٌ، أي أباطيل.

وأصابه ذاك من جَرَمِك، أي من جريمتك وجِنايَتك، ومالي عنده جَرِمة.

وفي «جَرَم» لغاتٌ: لاجَرَمَ ولاجُرْمَ ولاجَرَ، بحذف الميم، ولاذا جَرَمَ ولا أن ذا جَرَمَ ولاجَرُمَ، بوزن كَرُمَ. ومعنى لاذا جَرَمَ، أي أستغفر الله.

وأقَمْتُ عندهم حَوْلًا مُجَـرَّمًا، أي تامًّا. وجَرَّمْنا هذه السّنة، أي خرجنا منها. وتَجَـرَّمَتِ السّنَة والشّتاء.

وفلان جريمة أهله، أي كاسِبهم، وكذلك الجارم.

والجريم من الإبل: الجِلّة الّتي ليس فيها حَشْوٌ.

وأعطُوا الرّامي جريمته، أي زَوِّدُوه.

والأجرام: متاع الرّاعي.

والجريمة: آخر ولد الرّجل.

والجريم والجَرام: النّوى، الواحد جريمة، وقيل: التّمر اليابس.

والجَرام: صِرام النّخل، والجُرامة: ماالتُقِط من التّمر بعدما يُصْرم، والجُرّام: الصُّرّام.

والجَرْم: القَطْع، جَرَم صُوْف الشّاة، إذا جَزّه عنها.

والأجرام من السّمك: لونان مُستديرٌ بلون؛ وأسود له أجْنِحَة.

وجَرْمٌ: قبيلةٌ من اليمن.

والجَرْم: مصدر الجارم الّذي يَجرِم على نفسه وقومه شرًّا. واجترَم سيّئة: اقترفها. (٧: ٩٩)

الجَوْهَريّ: الجُرْم: الذّنب، والجريمة مثله. تقول منه: جَرَم وأجْرَم واجتَرَم بمعنًى.

والجَرْم: الحَرّ، فارسيّ معرّب. والجُرُوم من البلاد: خلاف الصُّرود.

وجَرْم: بطنان من العرب، أحدهما في قضاعة، وهو جَرْم بن زَبّان، والآخر في طيّء.

وبنو جارم: قومٌ من العرب. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَرْم: القطع، وقد جَرَم النّخل واجترَمه، أي صَرَمه فهو جارم، وقومٌ جُرُم وجُرّام. وهذا زمن الجِرام والجَرام.

وجَرَمْتُ صوف الشّاة، أي جَزَزْته، وقد جَرَمت منه، إذا أخذتَ منه، مثل جَلَمْتُ.

وقال أبوحاتم: قد أُولِعَت العامّة بقولهم: فلان صافي الجِرْم، أي الصّوت أو الحَلْق، وهو خطأ.

والجَرَمَة: القوم الّذين يجترمون النّخل، أي يصرمون. [ثمّ استشهد بشعر]

جَرَم يَجرِمُ، أي كسَب، وفلان جَريمةُ أهله، أي كاسِبُهم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُرامة بالضّمّ: ماسقط من التّمر إذا جُرِم، والجَريم: التّمر المصروم.

والجَريم: النّوى، قال: وهما أيضًا التّمر اليابس، ذكره ابن السّكّيت في باب: فَعيل وفَعال، مثل شَحاحٍ وشَحيحٍ، وكَهامٍ وكَهيمٍ، وبَجال وبَجيلٍ، وصَحاح الأديم وصحيح. وأمّا الجِرام بالكسر، فهو جمع جَريم، مثل كَريم وكِرام.

ويقال: جِلّة جَريمٌ، أي عظام الأجرام. والجِلّة: الإبل المَسانّ.

وحَوْلٌ مُجَرَّم وسنَة مُجَرَّمَة، أي تامّة.

وتَجَرَّمَت السّنون، أي انقضت، وتَجَرَّم اللّيل: ذهَب.

[ثمّ استشهد بشعر]

وتجرّم عليّ فلان، أي ادّعى ذنبًا لم أفعله. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ١٨٨٥)

ابن فارِس: الجيم والرّاء والميم أصل واحد، يرجع إليه الفروع. فالجَرْم: القطع، ويقال لِصَرام النّخل: الجَرام، وقد جاء زمن الجَرام. وجَرَمْتُ صوف الشّاة وأخذته. والجُرامة: ماسقط من التّمر إذا جُرِم. ويقال: الجُرامة ماالتُقِط من كَرَبه بعد مايُصْرم. ويقال: سنَة

مُجَرَّمَة، أي تامّة، كأنها تصرَّمت عن تمام، وهو من تجرّم اللّيل: ذهب. والجَرام والجَريم: التّمر اليابس. فهذا كلّه متّفق لفظًا ومعنًى وقياسًا.

وممّا يُردّ إليه قولهم: جَرَم، أي كسَب، لأنّ الّذي يَحوزُه فكأنّه اقتطعه، وفلانٌ جَريمة أهله، أي كاسِبهم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُرْم والجَريمة: الذّنب، وهو من الأوّل، لأنّه كَسْبٌ، والكَسْب اقتطاع. وقالوا في قولهم: «لاجَرَمَ»: هو من قولهم: جَرَمْتُ، أي كسَبت. [ثمّ استشهد بشعر]

والجسَد جِرْم، لأنّ له قَدْرًا وتقطيعًا، ويقال: مَشْيَخَةٌ جِلّة جَريم، أي عظام الأجرام.

فأمّا قولهم لصاحب الصّوت: إنّه لحسَن الجِرْم، فقال قوم: الصّوت يقال له: الجِرْم. وأصحّ من ذلك قول أبي بكر بن دُرَيْد: إنّ معناه حسن خروج الصّوت من الجِرْم.

وبنو جارمٍ في العرب. والجارم: الكاسب. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرْمٌ هو الكَسْب، وبه سمّيت جَرْم، وهما بطنان: أحدهما في قضاعة، والآخر في طيّء. (١: ٤٤٥)

أبو هلال: الفرق بين الذّنب والجُرْم: أنّ الذّنب مايتبعه الذّمّ أو مايتتبّع عليه العبد من قبيح فعله؛ وذلك أنّ أصل الكلمة: الاتّباع، على ماذكرنا. فأمّا قولهم للصّبيّ: قد أذنب، فإنّه مجاز.

ويجوز أن يقال: الإثم هو القبيح الّذي عليه تبعة، والذّنب هو القبيح من الفعل ولايفيد معنى التّبعة، ولهذا قيل للصّبيّ: قد أذنب، ولم يقل: قد أثم.

والأصل في الذّنب: الرّذل من الفعل كالذّنب الّذي هو أرذل مافي صاحبه. والجُرْم: ماينقطع به عن الواجب؛ وذلك أنّ أصله في اللّغة: القطع، ومنه قيل للصّرام: الجِرام، وهو قطع التّمر. (١٩٣)

نحوه الجزائريّ. (٨٠)

الهَرَويّ: ويقال: جَرَم، وأجْرَم، واجترَم، إذا كسب الذّنب. (١: ٣٤٩)

ابن سيده: جَرَمه يَجْرِمه جَرْمًا: قطعه، وشجرة جَريمة: مقطوعة.

وتَمْر جَريم، ومَجْرُوم: مَصرُوم، وأجرَم: حان جِرامُه.

والجَريم: النّوى، واحدته: جريمة، وهو الجَرام أيضًا، ولم أسمع للجَرام بواحد. وقيل: الجَريم، والجَرام: التّمر اليابس.

والجُرامة: التّمر المجروم، وقيل: هو مايُجرَم منه بعد مايُصْرَم، يُلقَط من الكَرَب.

والجُرامة: قِصَد البُرّ والشّعير، وهي أطرافه تُدَقّ ثمّ تُنَقّى، والأعرف: الجُدامَة، بالدّال، وكلّه من القطع.

وجَرَم النّخل جَرْمًا، واجترمه: خَرَصه.

والجُرْم: الذّنب، والجمع: أجرام، وجُرُوم، وهو الجَريمة.

وقد جَرَم يَجْرِم جَرْمًا، واجترَم، وأجرم، فهو مُجْرِم وجَريم، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٠، قال الزّجّاج: المجرمون هاهنا ـ والله أعلم ـ: الكافرون، لأنّ الّذي ذُكر من قصّتهم التّكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها.

وقالوا: اجترَم الذّنب، فعَدّوه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرَم عليهم، وإليهم، جَرِيمة، وأجرَم: جنى جناية. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرَم يَجْرِم، واجترَم: كسَب، وهو يَجْرِم لأهله، ويجترم: يتكسّب ويطلب ويحتال. وجَرِيمة القوم: كاسِبُهم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرْم: الجسَد، والجمع القليل: أجرام. [ثمّ استشهد بشعر]

والكثير: جُرُوم، وجُرْمان، عن الفارسيّ، وجُرُم. [ثمّ استشهد بشعر]

وألق عليه أجرامه، عن اللّحيانيّ ولم يفسّره، وعندي: أنّه يريد ثقَل جِرْمه، وجَمَع على ماتقدّم في بيت يزيد[1].

ورجل جَرِيم: عظيم الجِرْم. [ثمّ استشهد بشعر]

والأُنثى: جَرِيمة.

وإبل جريم: عظام الأجرام.

حكى يعقوب عن أبي عمرو: جِلّة جَرِيم، وفسّره فقال: عظام الأجرام.

والجِرْم: الحَلْق. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِرْم: الصّوت، قال: وقيل: جَهارته، وكَرِهها بعضهم.

وحَوْل مُجَرَّم: تامّ، وقد تَجَرَّم.

وجرَمْنا القوم: خرجنا عنهم.

ولاجَرَم، أي لابُدّ، وقيل: معناه حقًّا. [ثمّ استشهد بشعر]

قال سيبويه: فأمّا قوله تعالى: ﴿لَاجَرَمَ اَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ النّحل: ٦٢، فإنّ (جَرَم) عملت لأنّها فعل، ومعناها لقد حقّ أنّ لهم النّار، ولقد استحقّ أنّ لهم النّار. وقول المفسّرين: معناها حقًّا أنّ لهم النّار، يدلّك أنّها بمنزلة هذا الفعل إذا مثّلت. فـ(جرَم) عملت بعدُ في (أنّ).

وزعم الخليل: أنّ (جَرَم) إنّما تكون جوابًا لما قبلها من الكلام، يقول الرّجل: كان كذا وكذا، وفعلوا كذا فتقول: لاجرَم أنّهم سيندمون، أو أنّه سيكون كذا وكذا.

ويقال: لاجَرَمَ، ولا ذا جَرَم، ولا أن ذا جَرَمَ، ولا عن ذا جَرَم، ولا جَرَ، حذفوه لكثرة استعمالهم إيّاه.

وأرض جَرْم: حارّة، والجمع: جُرُوم.

والجَرْم: زَوْرَق من زوارق اليمن، والجمع من كلّ ذلك: جُرُوم.

وجَرْم: بَطْنان، بَطْن في قُضاعة، والآخر في طيّء.

(٧: ٤١٣)

واجترَم على كذا وتجرّم: أقدم، وجرَم جريمة: جناها، وتجرّم عليه: ادّعى عليه الجُرْم وإن لم يُجْرِم.

(الإفصاح ١: ٢٥٣)

الرّاغِب: أصل الجَرْم: قطع الثّمرة عن الشّجر، ورجل جارمٌ وقومٌ جِرامٌ وثمرٌ جريم.

والجُرامة: رَديء التّمر المَجْروم، وجُعل بناؤه بناء النُّفاية.

وأجرَم: صار ذا جَرْم، نحو أثمَرَ وأتمَرَ وألبَنَ. واستعير ذلك لكلّ اكتساب مكروه، ولايكاد يقال في عامّة كلامهم للكيّس المحمود، ومصدره: جَرْمٌ. [ثمّ استشهد

(١) وكم موطن لولاي طِحْتَ كما هوى بأجرامه من قلّة النّيق مُنْهَوِ

بشعر]

فمن الإجرام [وذكر الآيات إلى أن قال:]

ومن «جَرَم» قال تعالى: ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ هود: ٨٩، فمن قرأ بالفتح فنحو بَغَيْتُه مالاً، ومن ضمّ فنحو أبغيتُه مالاً، أي أغثته. قال عزّوجلّ: ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّاتَعْدِلُوا﴾ المائدة: ٨، وقوله عزّوجلّ: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ هود: ٣٥، فمن كسر فمصدر، ومن فتح فجمع جُرْم.

واستعير من الجَرْم أي القطع: جَرَمْتُ صُوف الشّاة، وتجرّم اللّيل.

والجِرْم في الأصل: المَجرُوم، نحو نِقْضٍ ونِفْضٍ للمنقوض والمنفوض، وجُعل اسماً للجسم المَجْرُوم.

وقولهم: فلان حسَن الجِرْم أي اللّون، فحقيقته كقولك: حسَن السّخاء.

وأمّا قولهم: حسَن الجِرْم أي الصّوت، فالجِرْم في الحقيقة إشارة إلى موضع الصّوت لا إلى ذات الصّوت، ولكن لمّا كان المقصود بوصفه بالحُسن هو الصّوت فُسّر به، كقولك: فلان طيّب الحلق، وإنّما ذلك إشارة إلى الصّوت لاإلى الحلق نفسه.

وقوله عزّوجلّ: ﴿لَاجَرَمَ﴾ قيل: إنّ (لَا) يتناول محذوفًا نحو (لا) في قوله: (لَاأُقْسِمُ) وفي قول الشّاعر:

لا وأبيك ابنة العامريّ

ومعنى (جَرَم): كسَب أو جنى ﴿وَأَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ في موضع المفعول، كأنّه قال: كسَب لنفسه النّار، وقيل: جَرَمَ وجُرْمَ بمعنى، لكن خُصّ بهذا الموضع «جَرَم» كما خُصّ عَمْرٌ بالقسم وإن كان عَمْرٌ وعُمْرٌ بمعنى، ومعناه ليس بجُرْم أنّ لهم النّار، تنبيهًا أنّهم اكتسبوها بما ارتكبوه، إشارةً إلى نحو قوله: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾، فصّلت ٤٦.

وقد قيل في ذلك أقوال أكثرها ليس بمُرْتَضًى عند التّحقيق. [ثمّ ذكر آيات (لَاجَرَمَ)] (٩١)

الزّمَخْشَريّ: جَرَم النّخل، وجرم صوف الغنم، وهو زمن الجِرام، وهذه نخلة كثيرة الجريم، أي التّمر. وهَبْ لنا جُرامَة نخلك، وهو مايُترك على الكَرَب. [ثمّ استشهد بشعر]

وتجرّم العام والشّتاء والصّيف: تصرّم. وجَرّمناه: قطّعناه وأتممناه، وعام مجرَّم. وأقمت عنده تمّ عامٍ مجرَّم.

ويقول أهل الحجاز: أعطيته كذا جَريمًا من التّمر، وهو مُدّ النّبيّ ﷺ. وجَرَم فلان، وأجرَم، وهو جارم على نفسه وقومه. [ثمّ استشهد بشعر]

ومالي في هذا جُرْمٌ، وأُخِذ فلان بجريته، وهم أهل الجرائم. وهذا جريمة أهله، وجارِمتُهم وجارِحَتهم، أي كاسبهم، والعُقاب جَرِيمة فَرْخها. ولاجرم لأُحسننّ إليك. ورجل جَرِيم: عظيم الجِرْم، وامرأة جَريمة، وجِلّة جَريم، ورمى عليه بأجرامه. وماعرفته إلّا بجِرم صوته، أي بجهارته. وهذه بلاد جَرْمٍ وبلاد صَرْدٍ، أي حرّ وبرد. (أساس البلاغة: ٥٧)

المَدينيّ: في الحديث: «لاتَذهبُ مئة سنةٍ وعلى الأرض عين تَطرِف، يريد بذلك تَجرُّمَ ذلك القَرْن»، أي تصرُّمه وانقراضه. والجَرْم: القطع، والجِرام: صِرام النّخل، ويروى «تخرّم» بالخاء المعجمة. (١: ٣٢٢)

ابن الأثير: وفي الحديث: «أعظم المسلمين في

المسلمين جُرْمًا من سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم فحُرِّم من أجل مسألته» الجُرْم: الذّنب. وقد جَرَم، واجترَم، وتجرَّم.

وفي حديث قيس بن عاصم: «لاجرم لأُفلّنَّ حدّها» هذه كلمة ترد بمعنى تحقيق الشّيء. وقد اختلف في تقديرها، فقيل: أصلها التّبرئة بمعنى لابدّ، ثمّ استُعملت في معنى حقًّا.

وقيل: جَرَم بمعنى كسَب، وقيل: بمعنى وجب وحُقّ، و(لا) ردٌّ لما قبلها من الكلام، ثمّ يُبتدأ بها، كقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ اَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ النّحل: ٦٢، أي ليس الأمر، كما قالوا، ثمّ ابتدأ فقال: وجب لهم النّار.

وقيل: في قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ هود: ٨٩، أي لايحملنّكم ويحدوكم. (١: ٢٦٢)

الفَيُّوميّ: جَرَم جَرْمًا من باب «ضرَب»: أذنب واكتسب الإثم، وبالمصدر سمّي الرّجل، ومنه بنو جَرْم، والاسم منه: جُرْم بالضّمّ، والجريمة مثله، وأجرَم إجرامًا كذلك، وجَرَمت النّخل: قطعته.

والجِرْم بالكسر: الجسَد، والجمع: أجرام مثل حِمْل وأحمال، والجِرْم أيضًا: اللّون، فيجوز أن يقال: نجاسة لاجِرْم لها، على ماتقدّم.

وقولهم: لاجَرَم، قال الفرّاء: هي في الأصل بمعنى لابدّ ولامحالة، ثمّ كثرت فحُوِّلت إلى معنى القسم، وصارت بمعنى حقًّا، ولهذا يجاب باللّام، نحو: لاجَرَم لأفعلنّ. (١: ٩٧)

الفيروزاباديّ: جَرَمه يَجْرِمه: قطَعه، والنّخل جَرْمًا وجَرامًا ويكسر: صَرمه، والنّخل جَرْمًا: خَرصَه كاجترَمه.

وفلان: أذْنَب كأجرَم واجترَم، فهو مُجْرِمٌ وجَرِيمٌ.

ولأهله: كسَب كاجترَم، وعليهم وإليهم جَريمةً: جنى جنايةً كأجرَم، والشّاة: جزّها.

والجِرْمَة بالكسر: القوم يجترمون النّخل.

والجُرْم بالضّمّ: الذّنب كالجريمة والجَرِمَة ككلمةٍ، الجمع: أجرامٌ وجُرُومٌ، وكثُمامةٍ: الجُذامة، والتّمر المجروم أو مايُجْرَم منه بعد مايُصْرَم: يُلْقَط من الكرب، وقِصَد البُرّ والشّعير، وهي أطرافه تُدَقّ ثمّ تُنَقّ.

وكأمير وغُراب: التّمر اليابس، والنّوى، والمُجرِمُون: الكافرون.

وتَجرّم عليه: ادّعى عليه الجُرْم وإن لم يُجْرِم، واللّيل: ذهب وتكمّل.

وجَرِيمة القوم: كاسِبُهم.

والجِرْم بالكسر: الجسَد كالجِرْمان، جمعه: أجرامٌ وجُرومٌ وجُرُمٌ بضمّتين، والحَلْق، والصّوت أو جَهارته، واللّون.

والجَرِيم: العظيم الجسَد، وهي بهاء، كالمجروم، الجمع: جِرامٌ.

وحَوْلٌ مُجَرَّم كمُعَظَّم: تامّ، وقد تجرَّم.

وجَرَّمْناهم تجريمًا: خرجنا عنهم.

ولاجَرَمَ، ولا ذا جَرَمَ، ولا أن ذا جَرَمَ، ولاعن ذا جَرَمَ، ولاجَرَ، ولا جَرُمَ ككَرُم، ولاجُرْمَ بالضّمّ، أي لابُدّ أو حقًّا أو لامحالة، أو هذا أصله، ثمّ كثر حتّى تحوّل إلى معنى القسم، فلذلك يُجاب عنه باللّام، فيقال: لاجَرَم لآتينّك.

والجَرَم: الحارُّ مُعرّب، والأرض الشّديدة الحرّ، وزَوْرَقٌ يمنيٌّ الجمع: جُرُومٌ، وبَطْنٌ في طيّء، وابن زَبّانَ بَطْنٌ في قُضاعَة، وبالكسر: بلادٌ قُرْبَ بَذْخشانَ، وبَنُو جارِمٍ: بَطْنان.

وكفَرِحَ: صار يأكل جُرامَة النّخل.

وأجرم: عظُم، ولونُه: صفا، والدّم به: لَصِق، وصَفا صوته.

وجاجَرْمُ: مدينة.

وكأحمد: بَطْنٌ من خَثْعَم.

والجَرِيمة: آخر ولدك.

والإجرام: متاع الرّاعي، ولونان من السّمك، وكمُحْسِن: اسم. (٤: ٩٠)

الطُّرَيحيّ: في الحديث: «قال من أجرم إلى آل محمّد ﷺ». وجَرَم يَجْرِم جَرْمًا من باب «ضرب»: أذنب واكتسب الإثم، وبالمصدر: سمي الرّجل، ومنه بنو جَرْم.

والمُجْرِم: المنقطع عن الحقّ إلى الباطل. (٦: ٢٨)

مَجْمَعُ اللُّغة: جَرَم يَجْرِم جَرْمًا: كسب، ولايكاد يُستعمل إلّا في الاكتساب المكروه، وجَرَمه الشّيء: أكسبه إيّاه.

وجَرَمه على كذا: حمله عليه.

أجرَم إجرامًا فهو مُجرِم: أذنب.

والمُجرِم والمجرمون في استعمال القرآن: الّذين أجرموا بالكفر والعناد. (١: ١٨٨)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جرَم يَجرِم واجترم: اكتسب أو حمل مالاخير فيه، وأجرَم إجرامًا: أذنب وارتكب جريمة، والمُجرِم: مرتكب الذّنب، وجرَمه على كذا: حمله على عمله.

لاجَرَم: عبارة معناها في الأصل: لابدّ ولامحالة أو حقًّا، ثمّ استُعملت لتأكيد الخبر كالقسم، وصارت بمعنى حقًّا. (١: ١٠٥)

العَدْنانيّ: الجُرْم والجَريمة، الجُناح، الجِناية.

الجُرْم والجَريمة: الذّنب.

الجُناح: الإثم والجُرم.

الجِناية: الذّنب والجُرم.

هذا هو التّعريف اللّغويّ، ولكنّ القوانين الجزائيّة الحديثة تقول نقلًا عن عدنان الخطيب، نائب رئيس مجمع اللّغة العربيّة بدمشق:

الجُرْم والجَريمة: اسمٌ لكلّ فعل يخالف القانون، والجرم: من اقترف جريمةً.

الجُناح: المَيْل لدى الأحداث لارتكاب الجرائم، والحَدَث الجانح: من اقترف جريمةً.

الجُنْحَة: وصفٌ لنوع من الجرائم، وهي دون الجناية عُقوبةً.

الجِناية: وصفٌ لأشدّ الجرائم عُقوبةً.

وأنا أرى أن نتقيّد بتعريفات القوانين الجزائيّة الحديثة، لأنّ الإطار الّذي يُحيط بالكلمة، يجب أن لايخرج عن إطار الكلمة أدبيًّا وعلميًّا وقانونيًّا، وقد حان لنا أن نطلب من كلّيّات الآداب والحقوق، والصّحافة، والفنون، والضّبّاط عندنا، أن تُطَعِّم برامجها ببعض المعارف العلميّة الحديثة، الّتي لابدّ لمن يتخرّج في تلك الكلّيّات من الاطّلاع عليها، لتجعل ثقافته أكثر

إشعاعًا، وإنتاجه أنضج ثمارًا، لا كما جادلني أحد الضُّبّاط يومًا، وأنا في نهاية سنتي الرّابعة في دراسة الطّبّ بالّتي هي أنحس، حين أصرّ على أنّ داء السّرطان، هو سرطان البحر، الّذي يشرب المرء بَيْضته مع ماء البحر، فيكبر، ويُنْشِب مخالبه، أو أظفاره في جسم الإنسان. ومن الغريب أنّ الحاضرين جميعهم أيّدوا أقواله، لأنّه كان ثريًّا مثلهم. (١٢١)

محمود شيت: جَرَم الجنديّ: أذنب.

الجريمة: العمل المخلّ بالضّبط الّذي تنطبق عليه أحكام مادّة أو موادّ، من قانون العقوبات العسكريّ.

المُجْرِم العسكريّ: الّذي حُكم عليه بموجب قانون العقوبات العسكريّ، أو بموجب القوانين المرْعيّة. (١: ١٤٠)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو القطع، على خلاف اقتضاء الحقّ. وبمناسبة هذا المعنى مع حفظ القيد تُستعمل في موارد مختلفة، منها: الذّنب بلحاظ كونه أعظم سبب للانقطاع عن الله المتعال، فإنّ العبد بالذّنب والعصيان يقطع نفسه عن السّير إلى الله، والتّوجّه إليه.

ومنها: قطع الشّجر أو اقتطاف الثّمر إذا كان خلاف المصلحة والاقتضاء.

ومنها: الجسد لانقطاعه عن الرّوح، وإذا لوحظ خاليًا ومن حيث هو.

ومنها: جَرْم صوف الشّاة، فإنّه خلاف مقتضى حياتها، فإنّ الصّوف لباس لها.

وأمّا «لاجَرَم» فمعناه لاانقطاع في هذا الحكم ولا استثناء، وهو حكم كلّيّ قطعيّ، لايقبل الاستثناء.

فظهر أنّ الجَرْم والإجرام هو الاكتساب، عن طريق الانقطاع والذّنب، أي قطع النّفس باكتساب الإثم. كما أنّ الاجتراح كان اكتسابًا عن طريق الجرح، والاقتراف اكتسابًا عن طريق الاقتراب.

والفرق بين الجرم والإجرام: أنّ الإجرام «إفعال»، ويلاحظ فيه جهة قيام الفعل بالفاعل، ويُتوجّه إلى جهة الصّدور، وبهذا اللّحاظ فقد أتى في القرآن الكريم بصيغة: الإجرام والمُجرم وأجرموا والمُجرمين. [ثمّ ذكر الآيات وأضاف:]

هذه حقيقة مفهوم هذه المادّة، وماذكر في التّفاسير غير وجيه. (٢: ٧٧)

النُّصوص التّفسيريّة

لَاجَرَمَ

لَاجَرَمَ اَنَّهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ هُمُ الْاَخْسَرُونَ. هود: ٢٢

ابن عبّاس: حقًّا. (١٨٣)

مثله ابن قُتَيْبَة (٢٠٢)، والخازن (٣: ١٨٥).

الخليل: (لَاجَرَمَ) إنّهما رُكّبا من (لا) و(جَرَمَ) وبُنيا، والمعنى حقّ، ومابعده رُفع به على الفاعليّة.

مثله سيبويه. (أبوحيّان ٥: ٢١٢)

الكِسائيّ: لاصدّ ولامنع عن أنّهم في الآخرة [هُمُ الْاَخْسَرُونَ]. (القيسيّ ١: ٣٩٦)

الفَرّاء: كلمة كانت في الأصل بمنزلة: لابدّ أنّك قائم، ولامحالة أنّك ذاهب، فجرت على ذلك وكثر

استعمالهم إيّاها، حتّى صارت بمنزلة حقًّا، ألاترى أنّ العرب تقول: لاجَرَم لآتينّك، لاجرم قد أحسنت، وكذلك فسّرها المفسّرون بمعنى الحقّ. (٢: ٨)

الطّبَريّ: يقول: حقًّا أنّ هؤلاء القوم الّذين هذه صفتهم في الدّنيا، في الآخرة هم الأخسرون، الّذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنّة من النّار، وذلك هو الخسران المبين.

وقد بيّنّا فيما مضى أنّ معنى قولهم: جَرَمت: كسبت الذّنب، وأجرمته، وإنّ العرب كثر استعمالها إيّاه في مواضع الأيمان، وفي مواضع لابدّ، كقولهم: لاجرم أنّك ذاهبٌ، بمعنى لابدّ، حتّى استعملوا ذلك في مواضع التّحقيق، فقالوا: لاجرم ليقومنّ، بمعنى حقًّا ليقومنّ، فمعنى الكلام لامنع عن أنّهم، ولاصدّ عن أنّهم.

(١٢: ٢٣)

نحوه المراغيّ. (١٢: ٢٢)

الزّجّاج: قال المفسّرون: المعنى جزاءً حقًّا أنّهم في الآخرة هم الأخسرون.

ومعنى (لا) نفي لما ظنّوا أنّه ينفعهم، كأنّ المعنى لاينفعهم ذلك، جرَمَ أنّهم في الآخرة هم الأخسرون، أي كسَب ذلك الفعل لهم الخسران. (٣: ٤٥)

الحَوْفيّ: (جَرَمَ) منفيّ بـ(لا) بمعنى حقّ، وهو مبنيّ مع (لا) في موضع رفع بالابتداء و(أنّهم) في موضع رفع على خبر (جَرَمَ). (أبوحيّان ٥: ٢١٣)

الطُّوسيّ: قيل: معناه لابدّ أنّهم، ولامحالة أنّهم. وقيل: معناه حقًّا أنّهم.

وأصل الجَرْم: القطع، فكأنّه قال: لاقطع من أنّهم في الآخرة هم الأخسرون. و(جَرَم) في قوله: (لاجَرَمَ) فعل، وتقديره: لاقطع قاطع عن ذا، إلّا أنّهم كثر في كلامهم حتّى صار كالمثل. [ثمّ استشهد بشعر]

(٥: ٥٣٤)

البغَويّ: أي: حقًّا، وقيل: بلى. (٢: ٤٤٤)

ابن عَطيّة: [نَقَل الأقوال المختلفة ثمّ قال:]

فكأنّ (جَرَمَ) على هذا من معنى القطع، تقول: جرمت، أي قطعت، وهي على منزع الزّجّاج من الكسب. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ١٦١)

الطّبْرِسيّ: يُستعمل في أمر يُقطع عليه ولايُرتاب فيه، أي لاشكّ أنّ هؤلاء الكفّار هم أخسر النّاس في الآخرة. (٣: ١٥١)

الفَخْرالرّازيّ: (لاجَرَمَ) قال الفرّاء: إنّها بمنزلة قولنا: لابدّ ولامحالة، ثمّ كثر استعمالها حتّى صارت بمنزلة حقًّا، تقول العرب: لاجَرَم أنّك محسن، على معنى حقًّا إنّك محسن. وأمّا النّحويّون فلهم فيه وجوه:

الأوّل: (لا) حرف نفي و(جَرَم) أي قَطع، فإذا قلنا: لاجَرَمَ، معناه أنّه لاقطَع قاطع عنهم، أنّهم في الآخرة هم الأخسرون.

الثّاني: قال الزّجّاج: إنّ كلمة (لا) نفي لما ظنّوا أنّه ينفعهم، و(جَرَمَ) معناه كسب ذلك الفعل، والمعنى لاينفعهم ذلك، وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدّنيا والآخرة، وذكرنا (جَرَمَ) بمعنى كسب في تفسير قوله تعالى: ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾. قال الأزهَريّ: وهذا من أحسن ماقيل في هذا الباب.

الثّالث: قال سيبويه والأخفش: (لا) ردّ على أهل

الكفر كما ذكرنا. و(جَرَمَ) معناه حقّ وصحيح. والتّأويل أنّه حقّ كفرهم ووقوع العذاب والخسران بهم. (١٧: ٢٠٨)

نحوه القُرطُبيّ (٩: ٢٠)، وأبوالسُّعود (٣: ٢٩٩)، والبُرُوسَويّ (٤: ١١٣).

البَيْضاويّ: لاأحد أبين وأكثر خسرانًا منهم. (١: ٤٦٥)

النَّسَفيّ بالصّدّ والصّدود، وفي (لَاجَرَمَ) أقوال: أحدها: أنّ (لَا) ردّ لكلام سابق، أي ليس الأمر كما زعموا، ومعنى (جرم) كسب، وفاعله مضمرٌ و﴿أَنَّهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ﴾ في محلّ النّصب، والتّقدير: كسب قولهم خسرانهم في الآخرة.

وثانيها: أنّ (لَاجَرَمَ) كلمتان رُكّبتا فصار معناهما «حقًّا» و(أَنَّ) في موضع رفع بأنّه فاعل لحقّ، أي حقّ خسرانهم.

وثالثها: أنّ معناه لامحالة. (٢: ١٨٤)

شُبَّر: نفي لما ظنّوا أنّه ينفعهم، كأنّ المعنى لاينفعهم ذلك جرَمَ. (٣: ٢٠٩)

الآلوسيّ: [ذكر بعض الأقوال وأضاف:]

ونقل السّيرافيّ عن الزّجّاج: أنّ (لَاجَرَمَ) في الأصل بمعنى لايدخلنّكم في الجُرْم، أي الإثم كأثمه، أي أدخله في الاسم، ثمّ كثر استعماله حتّى صار بمعنى «لابدّ» ونُقل هذا المعنى عن الفرّاء.

وفي «البحر» أنّ (جَرَمَ) اسم (لَا). وقيل: إنّ (جَرَمَ) بمعنى باطل، إمّا على أنّه موضوع له، وإمّا أنّه بمعنى كسب والباطل محتاج له. ومن هنا يُفسّر (لَاجَرَمَ) بمعنى حقًّا، لأنّ الحقّ نقيض الباطل، وصار لاباطل يمينًا كـ«لاكذب» في قول النّبيّ ﷺ «أنا النّبيّ لاكذب». [ثمّ ذكر قول الفيروزاباديّ المتقدّم وأضاف:]

وفيه مخالفة لما نقله السّيرافيّ عن الزّجّاج، وماذكره من (لَاجُرْمَ) ككرُمَ، رواه بعضهم عن أبي عمرو في الآية، ومن لاذا جرم حكاه الفرّاء عن بني عامر، وحكى أيضًا (لَاجُرْمَ) بالضّمّ عن أُناس من العرب. ولكن قال الشّهاب: إنّ في ثبوت هذه اللّغة في فصيح كلامهم تردّدًا، و(جُرْمَ) فيها يحتمل أن يكون اسمًا وأن يكون فعلًا مجهولًا سُكّن للتّخفيف، وحكى بعضهم لا ذو جَرم، ولاعن جَرَم، ولاجَرَ، بحذف الميم لكثرة الاستعمال، كما حُذفت الفاء من «سوف» لذلك في قولهم: سوترى.

والظّاهر أنّ المقحمات بين (لَا) و(جَرَمَ) زائدة، وإليه يُشير كلام بعضهم، وحُكي بغير لاجَرَمَ أنّك أنت فعلت ذاك، ولعلّ المراد أنّ كونك الفاعل لايحتاج إلى أن يقال فيه: لاجَرَمَ. فليُراجع ذاك، والله تعالى يتولّى هداك. (١٢: ٣٣)

رشيد رضا: كلمة (لَاجَرَمَ) تفيد التّحقيق والتّأكيد لما بعدها. [ثمّ ذكر قول الفرّاء] (١٢: ٥٧)

الطّباطَبائيّ: [نقل كلام الفرّاء ثمّ قال:]

وقد ذكروا أنّ (جَرَمَ) بفتحتين بمعنى القطع، فلعلّها كانت في الأصل تُستعمل في نتائج الكلام كلفظة لامحالة، وتفيد أنّه لايقطع هذا القول قاطع إن كذا كذا، كما يُتصوّر نظير المعنى في لامحالة، فمعنى الآية على هذا: حقًّا إنّهم في الآخرة هم الأخسرون. (١٠: ١٩٢)

مكارم الشّيرازيّ: والمعنى الأصليّ لكلمة

(لَاجَرَمَ) مأخوذ من جَرَم على وزن «حَرَم» وهو قطف الثّمار من الأشجار، كما نقل ذلك الرّاغب في «مفرداته» ثمّ توسّع هذا المعنى فشمل كلّ نوع من الكسب والتّحصيل، ولكثرة استعمال الكلمة في الكسب غير المرغوب فيه شاعت في هذا المعنى، ولذلك يُطلق على الذّنب أنّه جُرم.

ولكن حين تبدأ هذه الكلمة جملة وهي مسبوقة بـ(لا) فيكون معناها حينئذ أنّه لاشيء يمكنه أن يمنع أو يقطع هذا الموضوع، فهي قريبة من معنى لابدّ أو من المُسلَّم به، والله العالم، فلاحظوا بدقّة. (٦: ٤٧١)

وبهذا المعنى جاء ﴿لَاجَرَمَ...﴾ في سورة النّحل آيات: ٢٣، ٦٢، ١٠٩، والمؤمن: ٤٣.

لَايَجْرِمَنَّكُمْ

...وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ اَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى... المائدة: ٢

ابن عبّاس: ولايحملنّكم. (٨٨)

مثله قَتادَة (الطّبَريّ ٦: ٦٣)، والكِسائيّ والمُبرّد (الماوَرْديّ ٢: ٨)، والمَيْبُديّ (٣: ١١)، وعبد المنعم الجمّال (١: ٦٧٢).

الفَرّاء: قرأها يحيى بن وثّاب والأعمش (ولايُجْرِمَنَّكُمْ) من أجْرَمت، وكلام العرب وقراءة القرّاء (يَجْرِمَنَّكُمْ) بفتح الياء. جاء التّفسير: ولايحملنّكم بغض قوم، وسمعت العرب تقول: فلان جريمة أهله، يريدون: كاسب لأهله، وخرج يجرمهم: يكسب لهم، والمعنى فيها متقارب لايكسبنّكم بغض قوم أن تفعلوا شرًّا، فـ(أنْ) في موضع نصب.

فإذا جعلت في (أنْ) «على» ذهبت إلى معنى لايحملنّكم بغضهم على كذا وكذا، على أن لاتعدلوا، فيصلح طرح «على» كما تقول: حملتني أن أسأل، وعلى أن أسأل. (١: ٢٩٩)

أبوعُبَيْدَة: مجازه: ولايَحْملنّكم ولايَعْدينّكم. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٤٧)

الأخفش: لايَحْنِقَنّكم بغض قوم. (الزّجّاج ٢: ١٤٣)

الطّبَريّ: أهل المعرفة باللّغة، فإنّهم اختلفوا في تأويلها، فقال بعض البصريّين: معنى قوله: (ولَايَجْرِمَنَّكُمْ) لايحقّنّ لكم، لأنّ قوله: ﴿لَاجَرَمَ اَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ النّحل: ٦٢، هو حقٌّ أنّ لهم النّار.

وقال بعض الكوفيّين: معناه لايحملنّكم، وقال: يقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا وكذا: أي حملني عليه. واحتجّ جميعهم ببيت الشّاعر:

ولقد طعَنتَ أبا عُيَينة طعنةً
جرَمَتْ فزارة بعدها أن يَغضبُوا

فتأوّل ذلك كلّ فريق منهم على المعنى الّذي تأوّله من القرآن، فقال الّذين قالوا: ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لايحقّنّ لكم. معنى قول الشّاعر: جَرَمَتْ فزارة: أحقّت الطّعنة لفزارة الغضب.

وقال الّذين قالوا: معناه لايحملنّكم، معناه في البيت: جرمت فزارة أن يغضبوا: حملت فزارة على أن يغضبوا.

وقال آخر من الكوفيّين: معنى قوله: (لَايَجْرِمَنَّكُمْ):

لايكسبنّكم شنآن قوم. وتأويل قائل هذا القول، قول الشّاعر في البيت: جرَمَتْ فزارة: كسبت فزارة أن يغضبوا. قال: وسمعت العرب تقول: فلان جريمة أهله، بمعنى: كاسبهم، وخرج يجرمهم: يكسبهم.

وهذه الأقوال الّتي حكيناها عمّن حكيناها عنه، متقاربة المعنى؛ وذلك أنّ من حمل رجلًا على بغض رجل، فقد أكسبه بغضه، ومن أكسبه بغضه، فقد أحقّه له.

فإذ كان ذلك كذلك، فالّذي هو أحسن في الإبانة عن معنى الحرف، ماقاله ابن عبّاس وقتادة، وذلك توجيههما معنى قوله: ﴿وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ ولايحملنّكم شنآن قوم على العدوان.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار (وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ) بفتح الياء، من جرمته أجرمه، وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفيّين، وهو يحيى بن وثّاب والأعمش، ماحدّثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: حدّثنا جرير، عن الأعمش أنّه قرأ (وَلَايُجْرِمَنَّكُمْ) مرتفعة الياء، من أجرمته أُجرمه، وهو يُجرمني.

والّذي هو أولى بالصّواب من القراءتين: قراءة من قرأ ذلك (وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ) بفتح الياء، لاستفاضة القراءة بذلك في قرّاء الأمصار، وشذوذ ماخالفها، وأنّها اللّغة المعروفة السّائرة في العرب، وإن كان مسموعًا من بعضها: أجرَم يُجرم على شذوذه. وقراءة القرآن بأفصح اللّغات أولى وأحقّ منها بغير ذلك. (٦: ٦٣)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٢٦١)، والنّسفيّ (١: ٢٦٩)، والبُرُوسَويّ (٢: ٣٣٩).

الزّجّاج: المعنى لايكسبنّكم بغض قوم، أي بغضكم قومًا الاعتداء بصدّهم إيّاكم عن المسجد الحرام، يقال: فلان جريمة أهله، أي هو كاسبهم. وقيل في التّفسير: لايحملنّكم بغض قوم، والمعنى واحد. وقال الأخفش: لايحقّنّكم بغض قوم، وهذه ألفاظ مختلفة، والمعنى واحد. (٢: ١٤٣)

الطُّوسيّ: [نقل الأقوال المختلفة ثمّ قال:]

وأمّا جرَم: اكتسب الإثم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ السّجدة: ٢٢، وقال: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ هود: ٣٥، ومعناه فعليّ عقوبة إجرامي أو إثم إجرامي. ومعنى ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ لاتكتسبوا لبُغض قوم عدوانًا، ولاتقترفوه.

فمن فتح أن أوقع النّهي في اللّفظ على «الشّنآن»، والمعنيّ بالنّهي المخاطبون، كما قالوا: لاأرينّك هاهنا، ولاتموتنّ إلّا وأنتم مسلمون. (٣: ٤٢٤)

البَغَويّ: وقيل: لايدعُونّكم. (٢: ٩)

الزّمَخْشَريّ: «جرَم» يجري مجرى كسَبَ في تعدّيه إلى مفعول واحد واثنين، تقول: جرَمَ ذنبًا نحو كسَبه، وجرَمته ذنبًا نحو كسَبته إيّاه، ويقال: أجرمته ذنبًا، على نقل المتعدّي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين، كقولهم أكسبته ذنبًا. وعليه قراءة عبد الله (ولايُجرِمنّكم) بضمّ الياء، وأوّل المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين، والثّاني (أَنْ تَعْتَدُوا)...والمعنى: ولايكسبنّكم بغض قوم، لأن صدّوكم الاعتداء، ولايحملنّكم عليه. (١: ٥٩٢)

نحوه العُكبَريّ (١: ٤١٦)، والنّيسابوريّ (٦: ٣٦)، ورشيد رضا (٦: ١١٩).

ابن عَطيّة: [نقل الأقوال الماضية ثمّ قال:]

وهذه كلّها أقوال تتقارب بالمعنى، فالتّفسير الّذي يخصّ اللّفظة هو معنى الكسب. [ثمّ استشهد بشعر]
(٢: ١٤٨)

أبوالسّعود: نهي عن إحلال قوم من الآمّين خُصّوا به، مع اندراجهم في النّهي عن إحلال الكلّ كافّة، لاستقلالهم بأُمور ربّما يتوهّم كونها مصحّحةً لإحلالهم، داعيةً إليه.

و«جَرَم» جارٍ مجرى «كسَب» في المعنى وفي التّعدّي إلى مفعول واحدٍ وإلى اثنين، يقال: جَرَم ذنبًا نحو كسبه، وجرمته ذنبًا نحو كسبته إيّاه، خلا أنّ «جرم» يستعمل غالبًا في كسب مالاخير فيه، وهو السّبب في إيثاره هاهنا على الثّاني.

وقد يُنقل الأوّل من كلّ منهما بالهمزة إلى معنى الثّاني، فيقال: أجرمته ذنبًا وأكسبته إيّاه، وعليه قراءة من قرأ (يُجْرِمَنَّكُمْ) بضمّ الياء. (٢: ٢٣٦)

نحوه الآلوسيّ. (٦: ٥٥)

الطّباطبائيّ: يقال: جرَمه يجرِمه، أي حمله، ومنه الجريمة للمعصية، لأنّها محمولة من حيث وبالها، وللعقوبة الماليّة وغيرها، لأنّها محمولة على المُجرم.
(٥: ١٦٣)

حسنين مخلوف: لايحملنّكم بغضكم للمشركين من أجل صدّهم إيّاكم عن المسجد الحرام يوم الحُدَيبيّة، على اعتدائكم عليهم انتقامًا منهم، مِن جَرَمه على كذا: حمله عليه.

أو لايكسبنّكم بغضكم لهم الاعتداء عليهم، من جَرَم بمعنى كسَب، غير أنّه يُستعمل غالبًا في كسب مالاخير فيه، ومنه الجريمة.

وأصل الجرْم: قَطْع الثّمرة من الشّجرة، وأُطلق على الكسب، لأنّ الكاسب ينقطع لكسبه. (١: ١٨٣)

نحوه طٰه الدُّرّة. (٣: ٢١٠)

فضل الله: أي لايكسبنّكم...أو لايبعثنّكم.
(٨: ٢٢)

وبهذا المعنى جاء ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ...﴾ في سورة المائدة: ٨، وهود: ٨٩.

اَجْرَمُوا

وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا اِلٰى قَوْمِهِمْ فَجَاۤؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ اَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ. الرّوم: ٤٧

ابن عبّاس: أشركوا. (٣٤٢)

الطّبريّ: يقول: فانتقمنا من الّذين أجرموا الآثام، واكتسبوا السّيّئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك. (٢١: ٥٣)

الشّربينيّ: أي أهلكنا الّذين كذّبوهم لإجرامهم، وهو قطع ماأمرناهم بوصله. (٣: ١٧٤)

البُرُوسَويّ: أي أنكروا. (٧: ٥١)

اَجْرَمْنَا

قُلْ لَاتُسْـَٔلُونَ عَمَّا اَجْرَمْنَا وَلَانُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. سبأ: ٢٥

الطّوسيّ: أي عمّا اقترفناه من المعاصي.
(٨: ٣٩٤)

مثله الطّبْرِسيّ (٤: ٣٩٠)، ونحوه عزّة دَرْوَزَة (٥: ٤٢).

الزّمَخْشَريّ: إن قلت: كيف خولف بين حرفي الجرّ الدّاخلين على الحقّ والضّلال؟ قلت: لأنّ صاحب الحقّ كأنّه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضّالّ كأنّه منغمس في ظلام مرتبك فيه، لايدري أن يتوجّه. وفي قراءة أُبيّ: وإنّا أو إيّاكم إمّا على هدًى أو في ضلال مبين. وهذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأوّل؛ حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطَبين ـ وإن أراد بالإجرام الصّغائر والزّلّات الّتي لايخلو منها مؤمن، وبالعمل الكفر والمعاصي العظام ـ وفتح الله بينهم، وهو حكمه وفصله أنّه يُدخل هؤلاء الجنّة وأُولئك النّار. (٣: ٢٨٩)

الفَخْرالرّازيّ: أضاف الإجرام إلى النّفس، وقال في حقّهم: ﴿وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (٢٥: ٢٥٧)

أبو حَيّان: هذا أدخل في الإنصاف و أبلغ من الأوّل [من الآية السّابقة]، وأكثر تلطّفًا واستدراجًا؛ حيث سمّى فعله جُرمًا كما يزعمون، مع أنّه مثاب مشكور، وسمّى فعلهم عملًا مع أنّه مزجور عنه محظور.

وقد يراد بـ(أَجْرَمْنَا) نسبة ذلك إلى المؤمنين دون الرّسول، وذلك مالايكاد يخلو المؤمن منه من الصّغائر، والّذي تعملون هو الكفر ومادونه من المعاصي الكبائر.

قيل: وهذه الآية منسوخة بآية السّيف. (٧: ٢٨٠)

البُرُوسَويّ: أي فعلنا واكتسبنا من الصّغائر والزّلّات الّتي لايخلو منها مؤمن. (٧: ٢٩٢)

الآلوسيّ: هذا أبلغ في الإنصاف؛ حيث عبّر عن الهفوات ـ الّتي لايخلو عنها مؤمن ـ بما يُعبّر به عن العظائم وأسند إلى النّفس، وعن العظائم من الكفر ونحوه بما يُعبّر به عن الهفوات وأسند للمخاطبين، وزيادة على ذلك أنّه ذكر الإجرام المنسوب إلى النّفس بصيغة الماضي الدّالّة على التّحقُّق، وعن العمل المنسوب إلى الخصم بصيغة المضارع الّتي لاتدلّ على ذلك، وذكر أنّ في الآية تعريضًا، وأنّه لايضرّ بماذكر.

وزعم بعضهم أنّها من باب المتاركة وأنّها منسوخة بآية السّيف. (٢٢: ١٤١)

الطَّباطَبائيّ: وفي التّعبير عن عمل أنفسهم بالإجرام وفي ناحية المشركين بقوله: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ ولم يقل: تجرمون، أخذ بحسن الأدب في المناظرة. (١٦: ٣٧٥)

مكارم الشّيرازيّ: وتستمرّ الآية الّتي بعدها بالاستدلال بشكل آخر ولكن بنفس النّمط المنصف الّذي يستنزل الخصم من مركب العناد والغرور، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَاتُسْئَلُونَ عَمَّا اَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. والعجيب هنا أنّ الرّسول ﷺ مأمور باستعمال تعبير «جرم» فيما يخصّه، وتعبير «أعمال» فيما يخصّ الطّرف الآخر، وبهذا تتّضح حقيقة أنّ كلّ شخص مسؤول أن يُعطي تفسيرًا لأعماله وأفعاله، لأنّ نتائج أعمال أيّ إنسان تعود عليه، حسنها وقبيحها.

وفي الضّمن إشارة لطيفة إلى أنّنا إنّما نصرّ على توجيهكم لا لأنّ ذنوبكم تُقيّد في حسابنا، ولا لأنّ شركم يضرّ بنا، نحن نصرّ على ذلك بدافع الغيرة عليكم، وطلبًا للحقّ.

الآية التّالية ـ في الحقيقة ـ توضيح لنتيجة الآيتين السّابقتين، فبعد أن نبّه إلى أنّ أحد الفريقين على الحقّ

والآخر على الباطل، وإلى أنّ كلًّا منها مسؤول عن أعماله، انتقل إلى توضيح كيفيّة التحقّق من وضع الجميع، والتفريق بين الحقّ والباطل، ومجازاة كلّ فريق طبق مسؤوليّته، فيقول تعالى: قل لهم: بأنّ الله سوف يجمعنا يوم البعث، ويحكم بيننا بالحقّ، ويفصل بعضنا عن بعض، حتّى يُعرف المهتدون من الضّالّين، ويبلغ كلّ فريق بنتائج أعماله. (١٣: ٤٠٣)

الْـمُجْرِم

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْـمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ. المعارج: ١١

ابن عبّاس: يعني المشرك أباجهل وأصحابه، ويقال: النّضر وأصحابه. (٤٨٥)

نحوه البغويّ (٥: ١٥٢)، والنّسفيّ (٤: ٢٩١).

الطّبريّ: الكافر. (٢٩: ٧٥)

مثله الماوَرْديّ (٦: ٩٢)، والقُرطُبيّ (١٨: ٢٨٦)، والقاسميّ (١٦: ٥٩٢٧)، والمَراغيّ (٢٩: ٦٨).

الطّوسيّ: العاصي. (١٠: ١١٨)

مثله الطّبْرِسيّ. (٥: ٣٥٥)

الواحديّ: المشرك الكافر. (٤: ٣٥٢)

ابن عَطيّة: (المُجرِم) في هذه الآية الكافر، بدليل شدّة الوعد وذكر (لَظَى)، وقد يدخل مجرم المعاصي فيما ذُكر من الافتداء. (٥: ٣٦٧)

الفَخْرالرّازيّ: المجرم هو الكافر، وقيل: يتناول كلّ مذنب. (٣٠: ١٢٦)

مثله أبوالسّعود (٦: ٣٠١)، والبُرُوسَويّ (١٠: ١٦٠)، والآلوسيّ (٢٩: ٦٠).

أبوحَيّان: أي الكافر، وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الّذي يعذّب. (٨: ٣٣٤)

الشّربينيّ: أي يتمنّى الكافر أو هذا النّوع سواء كان كافرًا أم مسلمًا عاصيًا، علم أنّه يُعذّب بعصيانه. (٤: ٣٨٢)

الطّباطَبائيّ: ويتمنّى (المُجْرِم) وهو المتلبّس بالإجرام، أعمّ من الكافر ﴿لَوْ يَفْتَدِى...﴾. (٢٠: ١٠)

مُجْرِمًا

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى. طٰهٰ: ٧٤

ابن عبّاس: مشركًا. (٢٦٤)

المجرم: الكافر.

يريد الّذي أجرم وفعل مثل مافعل فرعون.

(الواحديّ ٣: ٢١٥)

الطّبَريّ: يقول: مكتسبًا الكفر به. (١٦: ١٩٠)

البغويّ: أي مشركًا، يعني مَن مات على الشّرك. (٣: ٢٦٩)

ابن عَطيّة: (الْمُجْرِم) الّذي اكتسب الخطايا والجرائم. (٤: ٥٣)

الفَخْرالرّازيّ: استدلّت المعتزلة بهذه الآية في القطع على وعيد أصحاب الكبائر، قالوا: صاحب الكبيرة مجرم، وكلّ مجرم فإنّ له جهنّم، لقوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ وكلمة (مَنْ) في معرض الشّرط تفيد العموم، بدليل أنّه يجوز استثناء كلّ واحد منها، والاستثناء يخرج من الكلام مالولاه لدخل.

واعترض بعض المتكلّمين من أصحابنا على هذا

الكلام، فقال: لانسلّم أنّ صاحب الكبيرة مجرم، والدّليل عليه أنّه تعالى جعل المجرم في مقابلة المؤمن، فإنّه قال في هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ طٰه: ٧٥، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ المطفّفين: ٢٩، وأيضًا فإنّه قال: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ والمؤمن صاحب الكبيرة وإن عُذّب بالنّار لايكون بهذا الوصف، وفي الخبر الصّحيح: «يخرج من النّار من كان في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان» واعلم أنّ هذه الاعتراضات ضعيفة.

أمّا قوله: إنّ الله تعالى جعل المجرم في مقابلة المؤمن فهذا مسلّم. لكن هذا إنّما ينفع لو ثبت أنّ صاحب الكبيرة مؤمن، ومذهب المعتزلة أنّه ليس بمؤمن، فهذا المعترض كأنّه بنى هذا الاعتراض على مذهب نفسه وذلك ساقط.

قوله ثانيًا: إنّه لايليق بصاحب الكبيرة أن يقال في حقّه: إنّ له جهنّم لايموت فيها ولايحيى.

قلنا: لانسلّم فإنّ عذاب جهنّم في غاية الشّدّة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ آل‌عمران: ١٩٢، وأمّا الحديث فيقال: القرآن متواتر فلايعارضه خبر الواحد.

ويمكن أن يقال: ثبت في أُصول الفقه أنّه يجوز تخصيص القرآن بخبر الواحد، وللخصم أن يجيب فيقول: ذلك يفيد الظّنّ، فيجوز الرّجوع إليه في العمليّات. وهذه المسألة ليست من العمليّات بل من الاعتقادات، فلايجوز المصير إليها هاهنا.

فإن اعترض إنسان آخر، وقال: أجمعنا على أنّ هذه الآية مشروطة بنفي التّوبة وبأن لايكون عقابه محبطًا بثواب طاعته، والقدر المشترك بين الصّورتين هو أن لايوجد مايحبط ذلك العقاب، ولكن عندنا العفو محبط للعقاب، وعندنا أنّ المجرم الّذي لايوجد في حقّه العفو لابدّ وأن يدخل جهنّم.

واعلم أنّ هذا الاعتراض أيضًا ضعيف، أمّا شرط نفي التّوبة فلاحاجة إليه، لأنّه قال: ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ أي حال كونه مجرمًا، والتّائب لايصدق عليه أنّه أتى ربّه حال كونه مجرمًا.

وأمّا صاحب الصّغيرة فلأنّه لايسمّى مجرمًا، لأنّ المجرم اسم للذّمّ فلايجوز إطلاقه على صاحب الصّغيرة، بل الاعتراض الصّحيح أن نقول: عموم هذا الوعيد معارض بما جاء بعده من عموم الوعد، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ طٰه: ٧٥، وكلامنا فيمن أتى بالإيمان والأعمال الصّالحة ثمّ أتى بعد ذلك ببعض الكبائر.

فإن قيل: عقاب المعصية يحبط ثواب الطّاعة. قلنا: لم لايجوز أن يقال: ثواب الإيمان يدفع عقاب المعصية، فإن قالوا: لو كان كذلك لوجب أن لايجوز لعنه وإقامة الحدّ عليه.

قلنا: أمّا اللّعن فغير جائز عندنا، وأمّا إقامة الحدّ عليه فقد تكون على سبيل المحنة كما في حقّ التّائب، وقد تكون على سبيل التّنكيل، قالت المعتزلة: قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ المائدة: ٣٨، فالله تعالى نصّ على أنّه يجب عليه إقامة الحدّ على سبيل التّنكيل. وكلّ من كان

كذلك استحال أن يكون مستحقًّا للمدح والتّعظيم، وإذا لم يبق ذلك لم يبق الثّواب كما قلنا؛ فدلّنا ذلك على أنّ عقاب الكبيرة أولى بإزالة ثواب الطّاعة المتقدّمة من الطّاعات، بدفع عقاب الكبيرة الطّارئة. هذا منتهى كلامهم في مسألة الوعيد.

قلنا: حاصل الكلام يرجع إلى أنّ النّصّ الدّالّ على إقامة الحدّ عليه على سبيل التّنكيل صار معارضًا للنّصوص الدّالّة على كونه مستحقًّا للثّواب، فلم كان ترجيح أحدهما على الآخر أولى من العكس، وذلك لأنّ المؤمن كان ينقسم إلى السّارق وغير السّارق، فالسّارق ينقسم إلى المؤمن وإلى غير المؤمن، فلم يكن لأحدهما مزيّة على الآخر في العموم والخصوص، فإذا تعارضا تساقطا.

ثمّ نقول: لانسلّم أنّ كلمة (مَنْ) في إفادة العموم قطعيّة بل ظنّيّة ومسألتنا قطعيّة، فلايجوز التّعويل على ماذكرته، وتمام الكلام فيه مذكور في كتاب المحصول في الأُصول.

تمسّكت المجسّمة بقوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ فقالوا: الجسم إنّما يأتي ربّه لو كان الرّبّ في المكان.

وجوابه: أنّ الله تعالى جعل إتيانهم موضع الوعد إتيانًا إلى الله مجازًا، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الصّافّات: ٩٩. (٢٢: ٩٠)

نحوه الآلوسيّ. (١٦: ٢٣٤)

القُرطُبيّ: قيل: هو من قول السّحرة لمّا آمنوا، وقيل: ابتداء كلام من الله عزّوجلّ، والكناية في (إِنَّهُ) ترجع إلى الأمر والشّأن، ويجوز (إنّ من يأت). [ثمّ استشهد بشعر]

والمجرم: الكافر، وقيل: الّذي يقترف المعاصي ويكتسبها. والأوّل أشبه، لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ وهذه صفة الكافر المكذّب الجاحد، على ماتقدّم بيانه في سورة النّساء، وغيرها، فلاينتفع بحياته ولايستريح بموته. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: نفس الكافر معلّقة في حنجرته، كما أخبر الله تعالى عنه، فلايموت بفراقها ولايحيى باستقرارها، ومعنى ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾: من يأت موعد ربّه. [إلى أن قال:]

ودلّ قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ طٰه: ٧٥، على أنّ المراد بالمجرم المشرك. (١١: ٢٢٦)

البَيْضاويّ: إن يمت على كفره وعصيانه. (٢: ٥٦)

نحوه الشّربينيّ (٢: ٤٧٥)، وأبوالسُّعود (٤: ٢٩٦).

أبوحَيّان: المجرم هنا: الكافر، لذكر مقابله ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ ولقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾. (٦: ٢٦٢)

البُرُوسَويّ: (مُجْرِمًا) حال كونه متوغّلًا في إجرامه منهمكًا فيه، بأن يموت على الكفر والمعاصي، ولأنّه مذكور في مقابلة المؤمن. (٥: ٤٠٧)

الطَّباطَبائيّ: والآيتان تصفان مايستتبعه الإيمان والعمل الصّالح، كما كانت الآية السّابقة تصف مايستتبعه الإجرام الحاصل بكفر أو معصية.

والآيات الثّلاث الواصفة لتبعة الإجرام والإيمان ناظرة إلى وعيد فرعون ووعده لهم، فقد أوعدهم فرعون على إيمانهم لموسى بالقطع والصّلب، وادّعى أنّه

أشدّ العذاب وأبقاه، فقابلوه بأنّ للمجرم عند ربّه جهنّم لايموت فيها ولايحيى؛ لايموت فيها حتّى ينجو من مقاساة ألم عذابها، لكن منتهى عذاب الدّنيا الموت، وفيه نجاة المُجرِم المعذّب، ولايحيى فيها؛ إذ ليس فيها شيء ممّا تطيب به الحياة، ولاخير مرجوًّا فيها حتّى يقاسي العذاب في انتظاره.

ووعدهم قبل ذلك المنزلة بجعلهم من مقرّبيه والأجر، كما حكى الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الأعراف: ١١٣، ١١٤، فقابلوا ذلك بأنّ من يأته مؤمنًا قد عمل الصّالحات فأُولئك. وفي الإشارة البعيدة تفخيم شأنهم ـ لهم الدّرجات العُلى ـ وهذا يقابل وعد فرعون لهم بالتّقريب ـ جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ذلك جزاء من تزكّى ـ بالإيمان والعمل الصّالح، وهذا يقابل وعده لهم بالأجر. (١٤: ١٨٤)

عبد المنعم الجمّال: كافرًا مذنبًا. (٣: ١٩١٥)

مكارم الشّيرازيّ: من هو المجرم؟

بملاحظة الآيات الشّريفة الّتي تقول: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ والّتي يظهر منها خلود العذاب، يتبادر هذا السّؤال: تُرى هل لكلّ مجرم هذا المصير؟

إلّا أنّه بالالتفات إلى أنّ الآية التّالية قد بيّنت النّقطة المقابلة لذلك، وجاءت فيها كلمة «المؤمن» يتّضح أنّ المراد من المجرم هنا هو الكافر، إضافة إلى أنّه ورد في القرآن كثيرًا استعمال هذه الكلمة بمعنى الكافر.

فمثلًا نقرأ في شأن قوم لوط الّذين لم يؤمنوا بنبيّهم أبدًا: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ٨٤. ونقرأ في سورة الفرقان في الآية ٣١: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾. (١٠: ٣٧)

فضل الله: عاصيًا منحرفًا من دون أن يتوب إلى الله من ذنوبه، أو يصحّح طريقه. (١٥: ١٣٧)

مُجْرِمُونَ

١ـ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ. الدّخان: ٢٢

ابن عبّاس: مشركون اجترموا الهلاك على أنفسهم. (٤١٨)

الكَلْبيّ: أي مشركون لايؤمنون.

مثله مُقاتِل. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٦٤)

الطّبَريّ: يعني أنّهم مشركون بالله كافرون. (٢٥: ١٢٠)

الطُّوسيّ: قيل: إنّه دعا بما يقتضيه سوء أفعالهم وقبح أجرامهم وسوء معاملتهم له، فكأنّه قال: اللّهمّ عجّل لهم بما يستحقّونه بأجرامهم ومعاصيهم، بما به يكونون نكالًا لمن بعدهم. ومادعا بهذا الدّعاء إلّا بعد إذن الله له في الدّعاء عليهم. (٩: ٢٣١)

الزّمَخْشَريّ: أي دعا ربّه بذلك، قيل: كان دعاؤه: اللّهمّ عجّل لهم مايستحقّونه بإجرامهم، وقيل: هو قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يونس: ٨٥، وإنّما ذكر الله تعالى السّبب الّذي استوجبوا به الهلاك، وهو كونهم مجرمين. (٣: ٥٠٣)

نحوه أبوالسّعود. (٦: ٥١)

الفَخْرالرّازيّ: قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾، الفاء في

(فدعا) تدلّ على أنّه متّصل بمحذوف قبله، التّأويل أنّهم كفروا ولم يؤمنوا، فدعا موسى ربّه بـ﴿أَنَّ هٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾.

فإن قالوا: الكفر أعظم حالًا من الجُرم، فما السّبب في أن جعل صفة الكفّار كونهم مجرمين حال ماأراد المبالغة في ذمّهم؟

قلت: لأنّ الكافر قد يكون عدلًا في دينه، وقد يكون مجرمًا في دينه، وقد يكون فاسقًا في دينه، فيكون أخسّ النّاس. (٢٧: ٢٤٦)

القُرطُبيّ: أي مشركون، قد امتنعوا من إطلاق بني إسرائيل ومن الإيمان. (١٦: ١٣٦)

البُروسَويّ: مصرّون على كفرهم ومتابعة هواهم وأنت أعلم بهم، فافعل بهم مايستحقّونه. (٨: ٤١١)

الآلوسيّ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ بعد أن أصرّوا على تكذيبه عليه السلام ﴿أَنَّ هٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ أي بأنّ هؤلاء إلخ فهو بتقدير الباء صلة الدّعاء، كما يقال: دعا بهذا الدّعاء، وفيه اختصار كأنّه قيل: أنّ هؤلاء قومٌ مجرمون تناهى أمرهم في الكفر وأنت أعلم بهم، فافعل بهم مايستحقّونه.

قيل: كان دعاؤه عليه السلام: اللّهمّ عجّل لهم مايستحقّون بإجرامهم، وقيل: قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يونس: ٨٥، إلى قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

وإنّما ذكر الله سبحانه السّبب الّذي استوجبوا به الهلاك، ليُعلم منه دعاؤه والإجابة معًا وأنّ دعاءه كان على يأس من إيمانهم، وهذا من بليغ اختصارات الكتاب المعجز. (٢٥: ١٢٢)

القاسميّ: أي مشركون مفسدون. (١٤: ٥٣٠٦)

المَراغيّ: هؤلاء قوم مشركون بك مكذّبون لرسلك. (٢٥: ١٢٧)

الطَّباطَبائيّ: أي دعاه بأنّ هؤلاء قوم مجرمون، وقد ذكر من دعائه السّبب الدّاعي له إلى الدّعاء، وهو إجرامهم إلى حدّ يستحقّون معه الهلاك، ويعلم ماسأله ممّا أجاب به ربّه تعالى؛ إذ قال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ الدّخان: ٢٣، إلخ، وهو الإهلاك. (١٨: ١٣٩)

مكارم الشّيرازيّ: لقد استخدم موسى عليه السلام كلّ وسائل الهداية للنّفوذ إلى قلوب هؤلاء المجرمين المظلمة، إلّا أنّها لم تؤثّر فيهم أدنى تأثير، وطرق كلّ باب يستطيع طرقه، ولكن مامن مجيب.

لذلك يئس منهم، ولم ير لهم علاجًا إلّا لعنهم والدّعاء عليهم، لأنّ الفاسدين الّذين لاأمل في هدايتهم لايستحقّون الحياة في قانون الخلقة، بل يجب أن ينزل عليهم عذاب الله ويجتثّهم، ويطهّر الأرض من دنسهم، لذلك تقول الآية الأُولى من هذه الآيات: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾.

كم هو مؤدّب هذا النّفور؟ إنّه لايقول: اللّهمّ افعل كذا وكذا، بل يكتفي بأن يقول: اللّهمّ إنّ هؤلاء قوم مجرمون، لاأمل في هدايتهم وحسب! (١٦: ١٣٢)

فضل الله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ فقد تأصّلت الجريمة في كيانهم حتّى لم يعد ينفع في هدايتهم أيّة وسيلة من وسائل التّرغيب والتّرهيب، وأيّ حجّة. وستتحرّك الجريمة في حياة النّاس من

خلاهم لتمتدّ في المستقبل، ولتحكم حياة الأجيال القادمة، لأنّ هؤلاء سوف يمنعون امتداد الحقّ إلى الآخرين عندما ينصبون الحواجز أمام الرّسالة، لأنّهم يملكون كلّ مواقع القوّة في مراكز الحكم العُليا، وفي ساحات الواقع الشّامل لكلّ نشاطات الحياة.

وهكذا استجاب الله دعاءه في خطّة إلهيّة، أرادت أن تدفع موسى وقومه إلى الخروج من مصر بمعجزة، ليلاحقهم فرعون وقومه، ويغمرهم البحر بشكل نهائيّ. وبدأت التّعليمات تنزل على موسى في بداية الخطّة الإلهيّة. (٢٠: ٢٨٥)

٢ـ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ.

المرسلات: ٤٦

ابن عبّاس: مشركون، مصيركم النّار في الآخرة، وهذا وعيد من الله لهم. (٤٩٨)

نحوه الواحديّ (٤: ٤١٠)، والبغويّ (٥: ١٩٨).

ابن زَيْد: عُني به أهل الكفر. (الطّبَريّ ٢٩: ٢٤٥)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره تهدُّدًا ووعيدًا منه للمكذّبين بالبعث: كلوا في بقيّة آجالكم، وتمتّعوا ببقيّة أعماركم، ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ مسنون بكم سُنّة من قبلكم، من مجرمي الأُمم الخالية الّتي متّعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثمّ انتقم الله منها بكفرها، وتكذيبها رسلها. (٢٩: ٢٤٥)

نحوه ابن كثير. (٧: ١٩٣)

الطّوسيّ: إخبار منه تعالى للكفّار بأنّكم وإن تمتّعتم قليلًا في الدّنيا، فإنّكم عُصاة وكفّار ومآلكم إلى النّار وعذابها. والإجرام فعل مايقطع المدح ويحصل بدله الذّمّ، يقال: أجرَم إجرامًا واجترَم اجترامًا وتجرّم عليه، أي تطلّب له الجرم. (١٠: ٢٣٥)

الزّمَخْشَريّ: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ حال من (المُكَذِّبِين) أي الويل ثابت لهم في حال مايقال لهم: كلوا وتمتّعوا.

فإن قلت: كيف يصحّ أن يقال لهم ذلك في الآخرة؟

قلت: يقال لهم ذلك في الآخرة إيذانًا بأنّهم كانوا في الدّنيا أحقّاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله، تذكيرًا بحالهم السّمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل، على النّعيم والملك الخالد. [ثمّ استشهد بشعر]

وعلّل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أنّ كلّ مجرم ماله إلّا الأكل والتّمتّع أيّامًا قلائل، ثمّ البقاء في الهلاك أبدًا. ويجوز أن يكون ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ كلامًا مستأنفًا خطابًا لـ(المكذّبين) في الدّنيا. (٤: ٢٠٥)

نحوه أبوالسّعود. (٦: ٣٥١)

القُرطُبيّ: أي كافرون، وقيل: مكتسبون فعلًا يضرّكم في الآخرة من الشّرك والمعاصي. (١٩: ١٦٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ٢٩٠)

أبوحَيّان: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفّار في الدّنيا (قليلًا) أي زمانًا قليلًا، إذ قصارى أكلكم وتمتّعكم الموت، وهو خطاب تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم. (٨: ٤٠٨)

الآلوسيّ: [له كلام تقدّم في «أكل» فلاحظ] (٢٩: ١٧٨)

الطّباطَبائيّ: ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ تعليل لما يستفاد

من الجملة السّابقة المشتملة على الأمر، أي لاينفعكم الأكل والتّمتّع قليلًا، لأنّكم مجرمون بتكذيبكم بيوم الفصل، وجزاء المكذّبين به النّار لامحالة. (٢٠: ١٥٦)

مكارم الشّيرازيّ: يمكن أن يكون التّعبير بـ(قليلًا) إشارة إلى مدّة عمر الإنسان القصيرة في الدّنيا، وكذا المواهب الدّنيويّة التّافهة مقابل النّعم الأُخرويّة غير المتناهية، وإن قال بعض المفسّرين: إنّ هذا الخطاب هو للمجرمين في الآخرة، ولكن الالتفات إلى أنّ الآخرة لايمكن أن يكون فيها متع من مواهب الحياة للمجرمين ليتمتّعوا بها، فيجب الإقرار بأنّ هذا الخطاب موجّهٌ لهم في الدّنيا.

في الحقيقة أنّ المتّقين يُستضافون في الآخرة بكامل الاحترام والتّقدير، ويخاطبون بهذه الجملة المليئة باللّطف والحنان ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ المرسلات: ٤٣، وأمّا عبيد الدُّنيا فإنّهم يخاطبون بجملة تهديديّة في هذه الدّنيا ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾، يقول للمتّقين: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المرسلات: ٤٣، ويقول لهؤلاء أيضًا: ﴿اِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾.

وعلى كلّ حال فإنّها تشير إلى أنّ أساس العذاب الإلهيّ هو من جُرم الإنسان وذنبه، أو أنّه نابع من عدم الإيمان أو الأسر في قبضة الشّهوات. (١٩: ٢٧١)

المُجْرِمُونَ

١ـ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. الأنفال: ٨

ابن عبّاس: وإن كره المشركون أن يكون ذلك. (١٤٥)

مثله قتادة (الطّبريّ ٩: ١٨٩)، والبغويّ (٢: ٢٧٢)، والنّسفيّ (٢: ٩٦)، والخازن (٣: ٩)، والشّربينيّ (١: ٥٥٨)، وأبوالسّعود (٣: ٨١)، والبُرُوسَويّ (٣: ٣١٧).

الطّبَريّ: ولو كره ذلك الّذين أجرموا، فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفّار. (٩: ١٨٩)

الطّبْرِسيّ: الكافرون. (٢: ٥٢١)

الآلوسيّ: المراد بهم: المشركون، لامن كره الذّهاب إلى النّفير، لأنّه جرم منهم، كما قيل. (٩: ١٧٢)

رشيد رضا: أُولوا الاعتداء والطّغيان من المشركين. (٩: ٦٠١)

نحوه المَراغيّ. (٩: ١٧١)

فضل الله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الّذين يعيشون الحياة للجريمة، لتكون الجريمة أداةً لتحقيق المطامع الذّاتيّة، على حساب المبادئ الخيّرة القائمة على الحقّ والإيمان. (١٠: ٣٣٧)

وبهذا المعنى جاء في سورة يونس آيات: ١٧، ٥٠، ٨٢، والكهف آية: ٥٣.

٢ـ تَاللهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا اَضَلَّنَا اِلَّا الْمُجْرِمُونَ. الشّعراء: ٩٧ـ٩٩

ابن عبّاس: المشركون قبلنا الّذين اقتدينا بهم. (٣١٠)

أبوالعالية: يعني إبليس وابن آدم الأوّل وهو قابيل، لأنّه أوّل من سنّ القتل، وأنواع المعاصي.

مثله عِكْرِمَة (البَغَوِيّ ٣: ٤٧٢)، وابن جُرَيْج (الزَّمَخْشَرِيّ ٣: ١١٩)، ونحوه الطَّبَرِيّ (١٩: ٨٩).

الإمام الباقرؑ: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني المشركين الّذين اقتدوا بهم هؤلاء فاتّبعوهم على شركهم، وهم قوم محمّدﷺ ليس فيهم من اليهود والنّصارى أحد، وتصديق ذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ الحجّ: ٤٢، ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الشّعراء: ١٧٦، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ الشّعراء: ١٦٠، ليس هم اليهود الّذين قالوا: عزير ابن الله، ولاالنّصارى الّذين قالوا: المسيح ابن الله، سيُدخل الله اليهود والنّصارى النّار، ويُدخل كلّ قوم بأعمالهم.

وقولهم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عزّوجلّ فيهم حين جمعهم إلى النّار: ﴿قَالَتْ أُخْرَيٰهُمْ لِأُولَيٰهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾، وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ الأعراف: ٣٨، بَرِئَ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضًا، يريد بعضهم أن يحجّ بعضًا رجاء الفلج فيفلتوا جميعًا من عِظَم مانزل بهم، وليس بأوان بلوى ولا اختبار، ولاقبول معذرة، ولاحين نجاة. (العَرُوسيّ ٤: ٥٨)

السُّدّيّ: الأوّلون الّذين كانوا قبلنا، قالوا: اقتدينا بهم فضلّلنا. (٣٦٧)

نحوه الكَلْبيّ. (الطَّبْرِسيّ ٤: ١٩٤)

مُقاتِل: الشّياطين. (الطَّبْرِسيّ ٤: ١٩٤)

الزَّمَخْشَريّ: المراد بـ(المُجْرِمين): الّذين أضلّوهم رؤساؤهم وكبراؤهم، كقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب: ٦٧. (٣: ١١٩)

نحوه البُرُوسَويّ (٦: ٢٨٩)، والقاسميّ (١٣: ٤٦٢٨).

الطَّبْرِسيّ: وقيل: الكافرون الّذين دعونا إلى الضّلال. (٤: ١٩٤)

الفَخْرالرّازيّ: أرادوا بذلك من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجنّ والإنس، وهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب: ٦٧. (٢٤: ١٥٢)

نحوه الخازن. (٥: ١٠٠)

أبوحَيّان: أي أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجرأة، وهم ساداتهم ذوو المكانة في الدّنيا والاستتباع، كقولهم: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب: ٦٧. (٧: ٢٧)

الآلوسيّ: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ الظّاهر بناء على ماتقدّم من أنّ الاختصام مع الأصنام والشّياطين أن يكون المراد بـ(المُجْرِمين): الشّياطين، ليكون ذلك من الاختصام معهم، وإن لم يورد على وجه الخطاب، كما أنّ ماتقدّم من الاختصام مع الأصنام، وكون المراد بهم ذلك مرويّ عن مُقاتِل. [إلى أن قال:]

ولعلّهم أرادوا بنفي الإضلال عنها إهانتها بأنّها لاقدرة لها، وفيه تأكيد لكونهم في ضلال مبين. ولعلّ الأولى كونه قصرًا حقيقيًّا بادّعاء أنّهم الأوحديّون في سببيّة الإضلال حتّى أنّ سببيّة غيرهم له كلا سببيّة، وهذا واضح في الشّياطين، لأنّ إضلال غيرهم من الكبراء ونحوهم بواسطة إضلالهم، لأنّهم الّذين يزيّنون

الباطل للمتبوع والتّابع. ويمكن أن يُعتبر في غيرهم بضرب من التّأويل، وذلك إذا أُريد بالمـُجرمين غيرهم، ثمّ إنّ المشركين لايزالون في حيرة يوم القيامة لايدرون بم يتشبّثون، فلايضرّ إسنادهم الإضلال تارة إلى شيء وأُخرى إلى غيره، على أنّ الإسناد إلى كلّ باعتبار هذا.

وجُوّز أن يكون الاختصام بين العبدة بعضهم مع بعض، والخطاب في (نُسَوِّيكُمْ) للأصنام من غير التزام القول بجعلهم أهلًا له، بل هو كخطاب المضطرّ للحجر والشّجر، وفيه مبالغة في التّحسّر والنّدامة. والمعنى أنّ العبدة مع تخاصم بعضهم مع بعض بأن يقول أحدهم للآخر: أنت مبدأ ضلالي ولولا أنت لكنت مؤمنًا، اعترفوا بجرمهم وتعجّبوا وبيّنوا سببه.

وجُوّز أيضًا أن يكون من الأصنام، ينطقهم الله تعالى فيخاصمون العبدة، فضمير (هم) عائد عليهم. والمعنى قال العبدة معترفين بضلالهم متعجّبين منه مبيّنين سببه: ﴿إِنْ كُنَّا...﴾ والحال أنّ الأصنام يخاصمونهم قائلين: نحن جمادات متبرّئون عن جميع المعاصي وأنتم اتّخذتمونا آلهة فالقيتمونا في هذه الورطة. وهذا كلّه على تقدير كون جملة (قَالُوا) مستأنفة، كما هو الظّاهر.

وجُوّز أن يكون (جُنُودُ إِبْلِيسَ) الشّعراء: ٩٥، مبتدأ، وجملة (قَالُوا) إلخ خبره، وضمير (قَالُوا) وكذا مابعده عائد عليه.

وأنت تعلم أنّه مع كونه خلاف الظّاهر لايتسنّى على تقدير أن يراد بـ﴿جُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ الشّياطين، لما أنّ المقول المذكور لايصحّ أن يكون منهم، وإذا أُريد بهم متّبعوه من عصاة الثّقلين عبدة الأصنام وغيرهم يُردّ أنّ المقول المذكور قول فرقة منهم وهي العبدة، فإسناده إلى الجميع خلاف الظّاهر، ويبعد كلّ البعد.

بل لو قيل بفساده لم يبعد احتمال كون كلّ شخص ـ سواء كان من عبدة الأصنام أو غيره ـ يخاصم مع كلّ من يصادفه من غير صلاحيّة الآخر للاختصام، ويقول ماذُكر للأصنام لغاية الحيرة والضّجرة. نعم لو أُريد بـ﴿جُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ على تقدير كونه مبتدأ ورجوع الضّمائر إليه (الْغَاوُون) بعينهم، وتكون الإضافة للعهد، والتّعبير عنهم بهذا العنوان بعد التّعبير عنهم بالعنوان السّابق لتذليلهم لم يبعد جدًّا.

ومن النّاس من جوّز الابتدائيّة والخبريّة المذكورتين، وفسّر الجنود بالعُصاة مطلقًا، وجعل ضمير (قَالُوا) لـ(الْغَاوُون) وضمير (هم، ويختصمون) للجنود أو للأصنام، وفيه مع خروج الآية عليه عن حسن الانتظام مالايخفى على ذوي الأفهام. (١٩: ١٠٣)

نحوه المَراغيّ. (١٩: ٧٨)

مَغْنِيّة: يقول الغاوون غدًا، وبعد فوات الأوان، يقولون لآلهتهم وشياطينهم: كان دليلنا العمى والضّلال حين عبدناكم وجعلناكم سواء مع الله، وماصدّنا عن سبيل الحقّ والهداية (إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) وهم الرّؤساء والزّعماء أرباب المنافع والمصالح، أصل الفساد والبلاء. (٥: ٥٠٤)

الطَّباطَبائيّ: الظّاهر أنّ كلًّا من القائلين يريد بالمجرمين غيره من إمام ضلالٍ اقتدى به في الدّنيا، وداعٍ دعاه إلى الشّرك فاتّبعه، وآباء مشركين قلّدهم فيه، وخليل تشبّه به. و(المجرمون) على مايستفاد من آيات

القيامة هم الّذين ثبت فيهم الإجرام، وقُضي عليهم بدخول النّار، قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يس: ٥٩. (١٥: ٢٩١)

مكارم الشّيرازيّ: المجرمون الّذين كانوا سادة مجتمعاتنا ورؤساءنا وكبراءنا، فأضلّونا حفظًا لمنافعهم، وجرّونا إلى طريق الشّقوة والغواية، كما يحتمل أن يكون المراد من المجرمين هم الشّياطين أو الآباء الضّالّين الّذين جرّوهم إلى هذه العاقبة الوخيمة ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الشّعراء: ١٠٠، ١٠١. (١١: ٣٦٠)

فضل الله: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ الّذين عاشت الجريمة في كيانهم فكرًا وحياةً وسلوكًا وضلالًا وإضلالًا، فلم يكن لهم إيمان يمنعهم من السّير في خطوات الكفر، ولم تكن لهم تقوى تجنّبهم التّحرّك في ساحات المعصية، ولم يكن لهم انفتاح روحيّ على الله ليبعدهم ذلك عن أجواء الشّيطان. وهكذا كانوا يستفيدون من غفلة النّاس عن الإيمان والتّقوى والرّوحانيّة، ليضلّوهم عن سبيل الله، وليذهبوا بهم بعيدًا عن مواقع رضاه.

(١٧: ١٣١)

٣ـ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ.

القصص: ٧٨

راجع «ذ ن ب»

٤ـ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ. الرّوم: ١٢

راجع «ب ل س»

٥ـ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ. الرّوم: ٥٥

راجع «ق س م»

٦ـ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ. يس: ٥٩

راجع «م ي ز»

٧ـ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ. الرّحمن: ٤١

راجع «س و م»

مُجْرِمِينَ

١ـ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ. الأعراف: ١٣٣

ابن عبّاس: مشركين. (١٣٦)

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: فاستكبر هؤلاء الّذين أرسل الله عليهم ـ ماذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج عن الإيمان بالله، وتصديق رسوله موسى عليه السلام، واتّباعه على مادعاهم إليه، وتعظّموا على الله، وعتوا عليه ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ يقول: كانوا قومًا يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق، عتوًّا وتمرّدًا.

(٩: ٤٠)

الماورديّ: (مُجْرِمِينَ) فيه وجهان: أحدهما: كافرين، والثّاني: متعدّين. (٢: ٢٥٣)

الطّوسيّ: ﴿قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ قومًا عُصاة، مرتكبين للأجرام والآثام. (٤: ٥٥٥)

الطّبرسيّ: (مُجْرِمِينَ): عاصين كافرين. (٢: ٤٦٨)

مثله القاسميّ. (٧: ٢٨٤٢)

الفَخْرالرّازيّ: (مُجْرِمِينَ): مصرّين على الجرم والذّنب. (١٤: ٢١٨)

رشيد رضا: كانوا قومًا راسخين في الإجرام والذّنوب، مصرّين عليها، فلايهون عليهم تركها. (٩: ٨٩)

فضل الله: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ فقد تأصّلت الجريمة في أفكارهم ومشاعرهم، فمنعتهم من الخضوع لأوامر الله ونواهيه. (١٠: ٢٢٣)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ يونس: ٧٥.

٢ـ لَاتَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ. التّوبة: ٦٦

ابن عبّاس: مشركين في السّرّ. (١٦١)

الطّبَريّ: (مُجْرِمِينَ) فإنّ معناه نعذّب طائفة منهم، باكتسابهم الجرم، وهو الكفر بالله، وطعنهم في رسول الله ﷺ. (١٠: ١٧٤)

الطُّوسيّ: معناه أنّه إنّما يُعذّب الطّائفة الّتي يُعذّبها لكونها مجرمة مذنبة مرتكبة، لما يستحقّ به العقاب. (٥: ٢٩٣)

الزّمَخْشَريّ: مصرّين على النّفاق، غير تائبين منه، أو إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ﷺ ولم يستهزئوا فلم نعذّبهم في العاجل، نعذّب في العاجل طائفة منهم بأنّهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله ﷺ مستهزئين. (٢: ٢٠٠)

نحوه أبوحيّان. (٥: ٦٧)

الطَّبْرِسيّ: أي كافرين مصرّين على النّفاق، هذا إخبار منه سبحانه أنّه إن عفا عن قوم منهم إذا تابوا يعذّب طائفة أُخرى لم يتوبوا، وأقاموا على النّفاق. (٣: ٤٧)

الفَخْرالرّازيّ: ﴿كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ يدلّ على صدور الجرم عنهم في الزّمان الماضي، وتعليل الحكم الحاصل في الحال بالعلّة المتقدّمة لايجوز، بل كان الأولى أن يقال: ذلك بأنّهم مجرمون.

واعلم أنّ الجواب عنه أنّ هذا تنبيه على أنّ جرم الطّائفة الثّانية كان أغلظ وأقوى من جرم الطّائفة الأُولى، فوقع التّعليل بذلك الجرم الغليظ، وأيضًا ففيه تنبيه على أنّ ذلك الجرم بقي واستمرّ ولم يزل، فأوجب التّعذيب. (١٦: ١٢٥)

البَيْضاويّ: مصرّين على النّفاق، أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء. (١: ٤٢٢)

أبوالسُّعود: مصرّين على الإجرام وهم غير التّائبين، أو مباشرين له وهم غير المجتنبين. (٣: ١٦٦)

مثله البُرُوسَويّ (٣: ٤٥٩)، والآلوسيّ (١٠: ١٣١).

٤ـ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ. سبأ: ٣٢

ابن عبّاس: مشركين قبل مجيء محمّد عليه الصّلاة والسّلام إليكم. (٣٦١)

الطّبَريّ: ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان، من اتّباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله. (٢٢: ٩٧)

الطّبْرِسيّ: أي بل أنتم كفرتم ولم نحملكم على الكفر قهرًا، فكلّ واحدٍ من الفريقين ورّك الذّنب على صاحبه واتّهمه، ولم يُضف واحد منهم الذّنب إلى الله تعالى. (٤: ٣٩٢)

الفَخْرالرّازيّ: ردًّا لما قالوا: إنّ كفرنا كان لمانع ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ يعني المانع ينبغي أن يكون راجحًا على المقتضي حتّى يعمل عمله، والّذي جاء به هو الهدى، والّذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئًا يوجب الامتناع من قبول ماجاء به، فلم يصحّ تعليلكم بالمانع.

ثمّ بيّن أنّ كفرهم كان إجرامًا؛ من حيث إنّ المعذور لايكون معذورًا إلّا لعدم المقتضي أو لقيام المانع، ولم يوجد شيء منهما. (٢٥: ٢٦٠)

القُرطُبيّ: أي مشركين مصرّين على الكفر. (١٤: ٣٠٢)

النّسَفيّ: كافرين لاختياركم وإيثاركم الضّلال على الهُدى، لابقولنا وتسويلنا. (٣: ٣٢٦)

نحوه الشّربينيّ. (٣: ٣٠٠)

أبوالسُّعُود: منكرين لكونهم هم الصّادّين لهم عن الإيمان مثبتين أنّهم هم الصّادّون بأنفسهم، بسبب كونهم راسخين في الإجرام. (٥: ٢٦١)

البُرُوسَويّ: (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) في الإجرام: فبسبب ذلك صددتم أنفسكم عن الإيمان وآثرتم التّقليد.

وفي هذا تنبيه للكفّار على أنّ طاعة بعضهم لبعض في الدّنيا تصير سبب عداوة في الآخرة، وتبرّي بعضهم من بعض. (٧: ٢٩٧)

الطّباطَبائيّ: متلبّسين بالإجرام مستمرّين عليه، فأجرمتم بالكفر به لمّا جاءكم من غير أن نُجبركم عليه، فكفركم منكم، ونحن برآء منه. (١٦: ٣٨٢)

مكارم الشّيرازيّ: صحيح أنّ المستكبرين ارتكبوا ذنبًا كبيرًا بوسوستهم، ولكنّ حديثهم الّذي تذكره الآية الكريمة له حقيقة أيضًا؛ حيث إنّ المتملّقين لم يكن عليهم أن يصمّوا أسماعهم وأبصارهم ويلهثوا وراءهم، وإنّما عليهم أيضًا مسؤوليّة ذنوبهم. (١٣: ٤١٤)

فضل الله: ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ بما اخترتموه من الكفر والعصيان والضّلال تمامًا، كما هي المسألة، بما اخترناه نحن من الإجرام في حقّ الله، وحقّ أنفسنا. (١٩: ٥١)

المُجْرِمِينَ

١ـ وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ. الأنعام: ٥٥

راجع «س ب ل»

٢ـ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَايَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ. الأعراف: ٤٠

ابن عبّاس: المشركين. (١٢٧)

الطّبَريّ: يقول: وكذلك نثيب الّذين أجرموا في الدّنيا، مااستحقّوا به من الله العذاب الأليم في الآخرة.
(٨: ١٨١)

الزّجّـاج: أي ومثل ذلك الّذي وُصفنا نُجزي المجرمين.

والمجرمون - والله أعلم - هاهنا: الكافرون، لأنّ الّذي ذُكر من قصّتهم التّكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها. (٢: ٣٣٨)

نحوه الطّبْرِسيّ(٢: ٤١٩)، والفخرالرّازيّ(١٤: ٧٧).

٣- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ. النّمل: ٦٩

راجع «ع ق ب»

٤- قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ. القصص: ١٧

راجع «ظ هـ ر»

مُجْرِمِيهَا

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ.
الأنعام: ١٢٣

راجع «ك ب ر»

إِجْرَامِي - تُجْرِمُونَ

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ. هود: ٣٥

ابن عبّاس: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ آثامي ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ تأثمون. (١٨٤)

إنّها [إجرام] الجنايات المقصودة.
(الماوَرْديّ ٢: ٤٦٨)

الفرّاء: يقول: فعليّ إثمي. وجاء في التّفسير فعليّ آثامي، فلو قرئت: أجرامي على التّفسير كان صوابًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ومثل ذلك ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ محمّد: ٢٦، و(أَسْرَارَهُمْ) وقد قرئ بهما، ومنه (وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ) قٓ: ٤٠، و(أَدْبَارَ السُّجُودِ) فمن قال: (إِدْبَارَ) أراد المصدر، ومن قال: (أَسْرَار) أراد جمع السّرّ.
(٢: ١٣)

أبوعُبَيْدَة: وهو مصدر أجرمت، وبعضهم يقول: جرَمت تجرِم. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٨٨)

الطّبَريّ: يقول: فعليّ إثمي في افترائي مافتريت على ربّي دونكم، لاتؤاخذون بذنبي ولاإثمي ولا أؤاخذ بذنبكم ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ ممّا تذنبون وتأثمون بربّكم من افترائكم عليه، ويقال منه: أجرمت إجرامًا وجرَمتُ أجرِم جُرْمًا. [ثمّ استشهد بشعر] (١٢: ٣٢)

الزّجّاج: من قولك: أجرم الرّجل إجرامًا، ويقال: جرَم في معنى أجرم، وأكثر ماتُستعمل «أجرَم» في كسب الإثم خاصّةً. يقال: رجل مُجرِم وجارم.

ويجوز (فَعَلَيَّ أَجْرَامِي) على جمع جُرْم، وهو على نحـو قـوله: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ محمّد: ٢٦، و(أَسْرَارَهُمْ) إلّا أنّ القراءة بكسر الألف، و(إِجْرَامِي)

على المصدر. (٣: ٤٩)

النّحّاس: أي إن اختلقته فعليّ إثم الاختلاق ﴿وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي من تكذيبكم.

ومن قرأ (أَجْرَامِي) بفتح الهمزة، ذهب إلى جمع جُرْم. (٣: ٣٤٦)

الرُّمّانيّ: إنّه [أجرام] الذّنوب المكتسبة.

(الماوَرْديّ ٢: ٤٦٨)

الماوَرْديّ: معناه: فعليّ عقاب إجرامي.

﴿وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي عليكم من عقاب جرمكم في تكذيبي ماأنا بريءٌ منه. (٢: ٤٦٨)

الطُّوسيّ: معنى أجرَم أذنب، ومثله جرَم. [ثمّ استشهد بشعر]

ومعنى أجرَم اقترَف السّيّئة بفعلها، لأنّه من القطع، وأذنب أي تشبّه بالذّنب في السّقوط، وجرَم وأجرَم في الماء، ثمّ أكثر. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٥٥٠)

الواحديّ: أي إثم إجرامي وعقوبة إجرامي، فحذف المضاف. والإجرام معناه اكتساب السّيّئة، يقال: أجرَم فهو مُجرِم ﴿وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من الكفر والتّكذيب. (٢: ٥٧٢)

البغَويّ: أي: إثمي ووبال جُرمي على نفسي، والإجرام: كسب الذّنب. (٢: ٤٤٦)

الزّمَخْشَريّ: و(إِجْرَامِي) بلفظ المصدر والجمع، كقوله: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ و(أَسْرَارَهُمْ)، ونحو جُرم وأجرام، قفل وأقفال، وينصر الجمع أن فسّره الأوّلون بآثامي.

والمعنى: إن صحّ وثبت أنّي افتريته فعليّ عقوبة إجرامي، أي افترائي، وكان حقّي حينئذ أن تعرضوا عنّي وتتألّبوا عليّ. (وَأَنَا بَرِيٓءٌ) يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريءٌ منه. ومعنى (مِّمَّا تُجْرِمُونَ) من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ، فلاوجه لإعراضكم ومعاداتكم. (٣: ٢٦٧)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٦٧)، والنّسَفيّ (٢: ١٨٦)، وأبوالسُّعود (٣: ٣٠٩).

الفَخْرالرّازيّ: الإجرام: اقتراح المحظورات واكتسابها، وهذا من باب حذف المضاف، لأنّ المعنى فعليّ عقاب إجرامي. وفي الآية محذوف آخر، وهو أنّ المعنى إن كنت افتريته فعليّ عقاب جُرمي، وإن كنت صادقًا وكذّبتموني فعليكم عقاب ذلك التّكذيب، إلّا أنّه حذف هذه البقيّة لدلالة الكلام عليه، كقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ الَّيْلِ﴾ الزّمر: ٩، ولم يذكر البقيّة.

وقوله: ﴿وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي أنا بريءٌ من عقاب جرمكم. وأكثر المفسّرين على أنّ هذا من بقيّة كلام نوح عليه السلام، وهذه الآية وقعت في قصّة محمّد صلى الله عليه وآله في أثناء حكاية نوح، وقولهم بعيدٌ جدًّا، وأيضًا قوله: ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ لايدلّ على أنّه كان شاكًّا، إلّا أنّه قول يقال على وجه الإنكار عند اليأس من القبول. (١٧: ٢٢٠)

البُرُوسَويّ: [نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

أي من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ، فلاوجه لإعراضكم عنّي ومعاداتكم لي. وفيه إشارة إلى أنّ ذنوب النّفس لاتنافي صفاء الرّوح، ولايتكدّر الرّوح بها مادام متبرّئًا منها. لكن كلّ من القوى يتكدّر بما قارفه من ذنوب نفسه، فالجهل يكدّر الرّوح، والميل إلى

ماسوى الله تعالى يكدّر القلب، والهوى يكدّر النّفس، والشّهوة تكدّر الطّبيعة. فعلى العاقل تجلية هذه المرائي وتصقيلها له تعالى، والتّوجّه إلى الحضرة العلياء، والعمل على وفق الهدى وترك المشتهيات. (٤: ١٢١)

الآلوسيّ: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي وباله، فهو على تقدير مضاف، أو على التّجوّز بالسّبب عن المسبّب، وفسّر الإجرام بكسب الذّنب، وهو مصدر أجرَم، وجاء على قلّة جرَم. [ثمّ استشهد بشعر]

وقرئ (أَجْرَامِي) بفتح الهمزة على أنّه كما قال النّحّاس: جمع جُرم، واستشكل العزّ بن عبد السّلام الشّرطيّة بأنّ الافتراء المفروض هنا ماض والشّرط يخلص للاستقبال بإجماع أئمّة العربيّة. وأجاب: أنّ المراد ـ كما قال ابن السّرّاج ـ إن ثبت أنّي افتريته فعليّ إجرامي، على ماقيل في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ المائدة: ١١٦، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ.

قيل: والأصل إن افتريته فعليّ عقوبة افترائي، ولكنّه فرض محال وأنا بريء من افترائكم، أي نسبتكم إيّاي إلى الافتراء، وعدل عنه إدماجًا لكونهم مجرمين، وأنّ المسألة معكوسة، وحملت (مَا) على المصدريّة لما في الموصوليّة من تكلّف حذف العائد مع أنّ ذلك هو المناسب لقوله: (إجْرَامِي) فيما قبل، ومايقتضيه كلام ابن عبّاس من أنّ الآية من تتمّة قصّة نوح عليه السلام وفي شأنه هو الظّاهر، وعليه الجمهور.

وعن مقاتل: أنّها في شأن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع مشركي مكّة، أي بل أيقول مشركو مكّة: افترى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم خبر نوح، قيل: وكأنّه إنّما جيء به في تضاعيف القصّة عند سوق طرف منها تحقيقًا لحقيقتها وتأكيدًا لوقوعها وتشويقًا للسّامعين إلى استماعها، لاسيّما وقد قصّ منها طائفة متعلّقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجّة، وبقيت طائفة مستقلّة متعلّقة بعذابهم، ولايخفى أنّ القول بذلك بعيد وإن وُجّه بما وُجّه.

وقال في «الكشف»: إنّ كونها في شأن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أظهر وأنسب من كونها من تتمّة قصّة نوح عليه السلام، لأنّ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيهُ﴾ كالتّكرير لقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيهُ﴾ دلالة على كمال العناد، وأنّ مثله بعد الإتيان بالقصّة على هذا الأُسلوب المُعجز ممّا لاينبغي أن ينسب إلى افتراء، فجاء زيادة إنكار على إنكار، كأنّه قيل: بل أمع هذا البيان أيضًا يقولون: (افْتَرَيهُ) وهو نظير اعتراض قوله سبحانه في سورة العنكبوت: ٨ ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بين قصّة إبراهيم عليه السلام في أحد الوجهين، انتهى. ولاأراه معوّلًا عليه. (١٢: ٤٨)

رشيد رضا: أي إن كنت افتريته على الله عزّوجلّ فرضًا فهو إجرام عظيم، عليّ إثمه وعقابه من دونكم ـ إذ الإجرام: الفعل القبيح الضّارّ الّذي يستحقّ فاعله العقاب، من الجَرْم الّذي هو قطع الثّمر قبل بدوّ صلاحه الّذي يجعله منتفعًا به، كما سبق في آيات أُخرى ـ ومن كان يؤمن أنّ هذا إجرام يعاقب عليه فما الّذي يحمله على اقترافه ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ لأنّ حكم الله العدل أن يُجزي كلّ امرئ بفعله ﴿وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

فاطر: ١٨، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: ٢٨٦، وتقدّم هذا المعنى بما هو أعمّ ممّا هنا وهو ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٤١، وقد أثبت عليهم الإجرام هنا، ومنه أو أشدّه تكذيبه ووصفه بالافتراء على الله عزّوجلّ. وهذا الأسلوب من الجدال بالّتي هي أحسن يستخفّه السّمع، ويقبله الطّبع. (١٢: ٧٢)

نحوه المَراغيّ. (١٢: ٣١٢)

الطَّباطَبائيّ: أصل الجَرْم ـ على ما ذكره الرّاغب في مفرداته ـ: قطع الثّمرة من الشّجرة، وأجرَم أي صار ذا جرم، واستعير لكلّ اكتساب مكروه، فالجرم بضمّ الجيم وفتحها، بمعنى الاكتساب المكروه، وهو المعصية.

والآية واقعة موقع الاعتراض، والنّكتة فيه أنّ دعوة نوح واحتجاجاته على وثنيّة قومه، وخاصّة ماأورده الله تعالى في هذه السّورة من احتجاجه، أشبه شيء بدعوة النّبيّ ﷺ، واحتجاجه على وثنيّة أُمّته.

وإن شئت زيادة تصديق في ذلك فارجع إلى سورة الأنعام ـ وهي في الحقيقة سورة الاحتجاج ـ وقابل ماحكاه الله تعالى عن نوح في هذه السّورة وماأمر الله به النّبيّ ﷺ في تلك السّورة، بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ـ إلى أن قال ـ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ـ إلى أن قال ـ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾، الأنعام: ٥٠ ـ ٥٦.

ولك أن تطبّق سائر ماذكر من حججه ﷺ في سورة نوح والأعراف، على ماذكر من الحجج في سورة الأنعام وفي هذه السّورة، فتشاهد صدق ماادّعيناه.

ولهذه المشابهة والمناسبة ناسب أن يعطف بعد ذكر حجج نوح ﷺ في إنذاره قومه بأمر من الله سبحانه على مااتّهموا النّبيّ ﷺ ورموه بالافتراء على الله، وهو لاينذرهم ولايلقي إليهم من الحجج إلّا كما أنذر به نوح ﷺ وألقاه من الحجج إلى قومه، وهذا كما ينذر رسول الملك قومه والمتمرّدين المستنكفين عن الطّاعة، ويلقي إليهم النّصح ويتمّ عليهم الحجّة، فيرمونه بأنّه مفتر على الملك ولاطاعة ولاوظيفة، فيرجع إليهم بالنّصح ثانيًا، ويذكر لهم قصّة رسول ناصح آخر من الملك إلى قوم آخرين نصح لهم بمثل مانصح هو لهم فلم يتبصّروا به فهلكوا. فحينما يذكر لهم حججه ومواعظه يبعثه الوجد والأسف إلى أن يتذكّر رميهم إيّاه بالافتراء، فيأسف لذلك قائلًا: إنّكم ترمونني بالافتراء ولم أذكر لكم إلّا مابثّه هذا الرّسول في قومه من كلمة الحكمة والنّصيحة، لَاجَرَمَ إن افتريته فعليّ إجرامي ولاتقبلوا قولي، غير أنّي بريء من عملكم.

وقد عاد سبحانه إلى الأمر بمثل هذه المباراة ثانيًا في آخر السّورة بعد إيراد قصص عدّة من الرّسل، حيث قال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ـ إلى أن قال ـ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ هود: ١٢٠ ـ ١٢٢.

وذكر بعض المفسّرين أنّ الآية، من تمام القصّة والخطاب فيها لنوح، والمعنى أم يقول قوم نوح: افتراه

نوح، قل: يانوح، إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريء ممّا تجرمون. وعلى هذا فالكلام مشتمل على نوع التفات من الغيبة إلى الخطاب، وهذا بعيد عن سياق الكلام غايته.

وفي قوله: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ إثبات إجرام مستمرّ لهم، وقد أُرسل إرسال المسلّمات، كما في قوله: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ من إثبات الجرم، وذلك أنّ الّذي ذُكر من حجج نوح إن كان من الافتراء كان كذبًا؛ من حيث إنّ نوحًاعليه السلام لم يحتجّ بهذه الحجج وهي حقّة، لكنّها من حيث إنّها حججٌ عقليّة قاطعة لاتقبل الكذب، وهي تثبت لهؤلاء الكفّار إجرامًا مستمرًّا، في رفض مايهديهم إليه من الإيمان والعمل الصّالح، فهم في خروجهم عن مقتضى هذه الحجج مجرمون قطعًا، والنّبيّصلى الله عليه وآله مجرم لاقطعًا بل على تقدير أن يكون مفتريًا، وليس بمفتر. (١٠: ٢١٨)

مكارم الشّيرازيّ: ١ـ «الإجرام» مأخوذ من مادّة «جرم» على وزن «جهل» وكما أشرنا إلى ذلك سابقًا فإنّ معناه قطف الثّمرة غير النّاضجة، ثمّ أُطلقت على كلّ مايحدث من عمل سيّء، وتطلق على من يحثّ الآخر على الذّنب أنّه أجرم؛ وحيث إنّ الإنسان له ارتباط في ذاته وفطرته مع المعنويّة والطّهارة، فإنّ الإقدام على الذّنوب يفصل هذا الارتباط الإلهيّ منه.

٢ـ واحتمل بعض المفسّرين أنّ الآية الأخيرة ليست في نبيّ الإسلام، بل هي في نوحعليه السلام نفسه، لأنّ جميع هذه الآيات تتحدّث عن نوحعليه السلام والآيات المقبلة تتحدّث عنه أيضًا. فمن الأنسب أن تكون هذه الآية في نوحعليه السلام، والجملة الاعتراضيّة خلاف الظّاهر، ولكن مع ملاحظة مايلي:

أوّلًا: إنّ شبيه هذا التّعبير وارد في سورة الأحقاف الآية (٨) في نبيّ الإسلام.

ثانيًا: ماجاء في نوحعليه السلام في هذه الآيات جميعه بصيغة الغائب، ولكن الآية ـ محلّ البحث ـ جاءت بصيغة المخاطب، ومسألة الالتفات ـ أي الانتقال من ضمير الغيبة إلى المخاطب ـ خلاف الظّاهر، وإذا أردنا أن تكون الآية في نوحعليه السلام فإنّ جملة (يَقُولُونَ) الّتي هي بصيغة المضارع، وجملة (قُلْ) الّتي هي بصيغة الأمر، فإنّهما جميعًا يحتاجان إلى التّقدير.

ثالثًا: هناك حديث في تفسير «البرهان» في ذيل هذه الآية عن الإمامين الصّادقين الباقر والصّادقعليهما السلام يبيّن أنّ الآية المتقدّمة نزلت في كفّار مكّة ونبيّ الإسلام.

من مجموع هذه الدّلائل نرى أنّ الآية تتعلّق بنبيّ الإسلام، والتّهم الّتي وُجّهت إليه من قبل كفّار مكّة، وجوابه عليهم.

وينبغي هنا ذكر هذه المسألة الدّقيقة، وهي أنّ الجملة الاعتراضيّة ليست كلامًا لا علاقة له بأصل القول، بل غالبًا ماتأتي الجمل الاعتراضيّة لتؤكّد بمحتواها مفاد الكلام وتؤيّده، وإنّما ينقطع ارتباط الكلام أحيانًا لتخفّ على المخاطب رتابة الإيقاع وليبعث الجدّة واللّطافة في روح الكلام. وبالطّبع فإنّ الجملة الاعتراضيّة لايمكن أن تكون أجنبيّة عن الكلام بتمام المعنى، وإلّا فتكون على خلاف البلاغة والفصاحة، في حين أنّنا نجد دائمًا في الكلمات البليغة والفصيحة جملًا اعتراضيّة.

٣ـ من الممكن أن يرد هذا الإشكال عند مطالعة الآية الآخيرة، وهو قول النّبيّ ﷺ أو نوح ﷺ للكفّار: إن يكن هذا الكلام افتراء فإثمه عليّ. ترى هل يعني قبول مسؤوليّة الإثم «الافتراء» أن يكون سببًا في كون كلام الكفّار حقًّا ومطابقًا للواقع، وعلى النّاس أن يتابعوه ويطيعوه.

ولكن مع تدقيق النّظر في الآيات نحصل على جواب هذا الإشكال، وهو أنّهم «الأنبياء» في الحقيقة كانوا يريدون أن يقولوا: إنّ كلامنا مشتمل على أنواع الاستدلالات العقليّة، فعلى فرض المحال أنّنا لم نكن من قبل الله، فإثم ذلك على أنفسنا، ولكن الاستدلالات العقليّة ثابتة في مكانها، ولكنّكم أيّها الكفّار ستبقون بمخالفتكم في الإثم دائمًا، الإثم المستمرّ والباقي «لاحظوا كلمة (تُجْرِمُونَ) الّتي جاءت بصيغة المضارع وهي تدلّ على الاستمرار فتأمّلوا جيّدًا». (٦: ٤٨٩)

الوُجوه والنّظائر

الدّامغانيّ: الجرم على ستّة أوجه: المشركون، القول، اللّواطة، الحمل، حقًّا، الإثم: فوجه منها: المجرمون، يعني المشركون، قوله في سورة سأل سائل: ١١، (يَوَدُّ الْـمُجْرِمُ) يعني أباجهل وأصحابه والنّضر بن الحارث ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ مثلها في الزّخرف: ٧٤، ﴿إِنَّ الْـمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ وأمثاله كثير.

والوجه الثّاني: الجرم هو القول، قوله في سورة القمر: ٤٧، ﴿إِنَّ الْـمُجْرِمِينَ فِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ وقال محمّد بن كعب: المجرمون هاهنا: القدريّة، وقال أبوهريرة، جاء مشركو العرب فخاصموا النّبيّ ﷺ في القدر، فنزلت (إِنَّ الْـمُجْرِمِينَ).

والوجه الثّالث: الجرم: اللّواطة، قوله في سورة الأعراف: ٨٣، ٨٤ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ـ إلى قوله ـ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْـمُجْرِمِينَ﴾ يعني فعال قوم لوط.

والوجه الرّابع: (لَايَجْرِمَنَّكُمْ) يعني لايحملنّكم، في المائدة: ٨، مثلها في هود: ٨٩ ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى﴾ أي لايحملنّكم عداوتي إخبارًا عن شعيب.

والوجه الخامس: لاجرَمَ، يعني حقًّا، وقد جرَم الشّيء، أي حقّ، ودخول «لا» على «جرَمَ» لتدلّ على أنّه جواب الكلام، قوله في سورة هود: ٢٢ ﴿لَاجَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾، كقوله في سورة حم المؤمن: ٤٣، ونظيره في النّحل: ٢٣.

والوجه السّادس: الجرم: الإثم، قوله في هود: ٣٥ ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ يعني آثامي ﴿وَأَنَا بَرِىءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ يعني يأثمون. (٢٣٠)

نحوه الفيروزاباديّ.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٥٥)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَرْم، أي قطع التّمر من النّخل، يقال: جَرَمَ التّمر والنّخل يَجرِمُه جَرْمًا وجِرامًا وجَرامًا، واجترمه أيضًا: صَرَمَه، فهو جارم وهم جُرّام، والتّمر جَرِيم، أي مجروم، وجمعه: جِرام، وواحدته: جريمة. وأجرَمَ التّمر: حان جِرامُه، يقال: جاء زمن

الجِرام والجَرام، أي صرام النّخل.

والجَرِيم والجَرام: التّمر اليابس والنّوى.

والجِرْمة: ماجُرِمَ وصُرِمَ من البُسر.

والجُرامة: مايُلقَط من الكرب من التّمر المصروم، يقال: جَرِم الرّجل، إذا صار يأكل جُرامة النّخل بين السّعف.

والجَرْم: الكسب، لأنّ من يحوزه فكأنّه اقتطعه، يقال: فلانٌ جريمة أهله، أي كاسبهم، وخرج يَجرِمُ أهله، أي يكسبهم، وهو يَجرِمُ لأهله ويجترم: يتكسّب ويطلب ويحتال، وهو جارم أهله وجريمتهم، أي كاسبهم.

والجُرْم: التّعدّي والذّنب، والجمع: أجرام وجُرُوم، ومثله الجريمة، وهو من هذا الباب، لأنّه كسب، والكسب اقتطاع، يقال: جَرَمَ يَجْرِمُ جَرْمًا، واجترَم وأجرَم، أي أذنب وتعدّى، وهو جارم وجريم ومُجرِم، وتجرّم عليّ فلان: ادّعى ذنبًا لم أفعله، وفلان له جريمة إليّ، أي جُرْم، وفلانٌ يتجرّم علينا، أي يتجنّى مالم نَجْنِه، وجَرَمَ إليهم وعليهم جريمةً وأجرَم: جنى جِنايةً، وجَرُمَ: عَظُمَ جُرمُه، أي أذنب.

والجِرْم: الجسد وألواحه، لأنّ للجسم قدرًا وتقطيعًا، والجمع: أجرام وجُرُوم وجُرُم. يقال: ألق عليه أجرامه، وهو الحَلق والصّوت أو جهارته، يقال: ماعرفته إلّا بجِرم صوته؛ وهو اللّون أيضًا، يقال: جَرِم لونُه، أي صفا. ورجل جريم: عظيم الجِرم، وامرأةٌ جريمةٌ: ذات جِرم وجسم، وإبلٌ جريمٌ، وجِلّة جريمٌ: عظام الأجرام.

وحَولٌ مجرَّمٌ، وسنةٌ مجرَّمةٌ، وشهرٌ مجرَّمٌ، ويَوم مجرَّمٌ: تامّ، يقال: جرّمْنا هذه السّنة، أي خرجنا منها، وتجرّمتِ السّنة: انقضت، وكأنّ السّنة لمّا مضت انقطعت من السّنة المستقبلة، ويقال أيضًا: تجرّم اللّيل، أي ذهب، وجرّمْنا القوم: خرجنا عنهم.

ومنه: لاجَرَمَ، أي لابدّ ولامحالة، أو حقًّا، يقال: لاجَرَمَ لآتينّك، ولاجَرَمَ لقد أحسنت، وهو من: جَرَمَ، أي كَسَب الذّنب.

٢ـ وليس منه: جَرَمتُ صوفَ الشّاة، أي جزَزتُه، وقد جَرَمتُ منه، أي أخذت منه، فهو من «ج ل م»، يقال: جَلَمَ الشّعرَ وصوفَ الشّاة بالجَلَم يَجلِمُه جَلْمًا، أي جزّه. وكذا تجرّم القَرنُ: انقضى وانصرم، لأنّه من «خ رم». وفي الحديث: «يريد أن ينخرم ذلك القَرن» يقال: اخترمهم الدّهر وتخرّمهم، أي استأصلهم. ونظيره: تجرّمت السّنة، وتجرّم اللّيل، أي ذهبا وانقضيا. وهذا إمّا من هذا الباب، وإمّا من «خ ر م»، فبينهما اشتقاق أكبر.

والجَرْم: الحرّ، وهو لفظ فارسيّ معرّب «گرم»، وجُمع على جُرُوم، وقيل منه: أرضٌ جَرْمٌ، أي حارّة أو دافئة.

وورد الجَرام: التّمر اليابس، في السّريانيّة بلفظ «جَرْما» بجعل الألف آخر الكلمة، كما هو الشّائع في هذه اللّغة، مثل: حُجْبا، أي حِجاب.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها الفعل ماضيًا ومضارعًا مجرّدًا ومزيدًا (٨)

مرّات، واسم الفاعل مفردًا وجمعًا (٥٢) مرّة، والمصدر مرّة واحدة. كلّها من باب الإفعال، ومن المجرّد مصدرًا مركّبًا: «لاجَرَمَ» (٥) مرّات كلّها في (٦٤) آية:

الأفعال والمصدر:

١ـ ﴿...وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ اَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَلَاتَعَاوَنُوا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ اِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: ٢

٢ـ ﴿يَااَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰى اَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللهَ اِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ٨

٣ـ ﴿وَيَاقَوْمِ لَايَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى اَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَااَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ اَوْ قَوْمَ هُودٍ اَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَاقَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨٩

٤ـ ﴿قُلْ لَاتُسْئَلُونَ عَمَّا اَجْرَمْنَا وَلَانُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سبأ: ٢٥

٥ ـ ﴿وَاِذَا جَاءَتْهُمْ اٰيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتٰى مِثْلَ مَااُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اَللهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ اَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام: ١٢٤

٦ـ ﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا اِلٰى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ اَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم: ٤٧

٧ـ ﴿اِنَّ الَّذِينَ اَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ المطفّفين: ٢٩

٨ ـ ﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ اِجْرَامِى وَاَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هود: ٣٥

الأوصاف:

٩ـ ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ...﴾ المعارج: ١١

١٠ـ ﴿اِنَّهُ مَنْ يَاْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَاِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَايَمُوتُ فِيهَا وَلَايَحْيٰى﴾ طٰه: ٧٤

١١ـ ﴿فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ اِنَّهُ لَايُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يونس: ١٧

١٢ـ ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ اَتٰيكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا اَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يونس: ٥٠

١٣ـ ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا اَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ الكهف: ٥٣

١٤ـ ﴿وَمَااَضَلَّنَا اِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ الشعراء: ٩٩

١٥ـ ﴿قَالَ اِنَّمَا اُوتِيتُهُ عَلٰى عِلْمٍ عِنْدِى اَوَ لَمْ يَعْلَمْ اَنَّ اللهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَاَكْثَرُ جَمْعًا وَلَايُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٨

١٦ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الروم: ١٢

١٧ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَالَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ الروم: ٥٥

١٨ـ ﴿وَلَوْ تَرٰى اِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا اَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا اِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السّجدة: ١٢

١٩ـ ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يس: ٥٩

٢٠ـ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾
الدّخان: ٢٢

٢١ـ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ الرّحمن: ٤١

٢٢ـ ﴿هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾
الرّحمن: ٤٣

٢٣ـ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾
المرسلات: ٤٦

٢٤ـ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الأنفال: ٨

٢٥ـ ﴿وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام: ٥٥

٢٦ـ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام: ١٤٧

٢٧ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾
الأعراف: ٤٠

٢٨ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ٨٤

٢٩ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ١٣٣

٣٠ـ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾
التّوبة: ٦٦

٣١ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يونس: ١٣

٣٢ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾
يونس: ٧٥

٣٣ـ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ هود: ٥٢

٣٤ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾
هود: ١١٦

٣٥ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يوسف: ١١٠

٣٦ـ ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ إبراهيم: ٤٩

٣٧ـ ﴿كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾
الحجر: ١٢

٣٨و٣٩ـ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾
الحجر: ٥٨، الذّاريات: ٣٢

٤٠ـ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف: ٤٩

۴۱ـ ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾
مريم: ۸۶

۴۲ـ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ طٰه: ۱۰۲

۴۳ـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ الفرقان: ۲۲

۴۴ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ الفرقان: ۳۱

۴۵ـ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾
الشعراء: ۲۰۰

۴۶ـ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ. النمل: ۶۹

۴۷ـ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ القصص: ۱۷

۴۸ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ السجدة: ۲۲

۴۹ـ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾
سبأ: ۳۲

۵۰ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾
الصافات: ۳۴

۵۱ـ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾
الزخرف: ۷۴

۵۲ـ ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ الدخان: ۳۷

۵۳ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ الجاثية: ۳۱

۵۴ـ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾
الأحقاف: ۲۵

۵۵ـ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾
القمر: ۴۷

۵۶ـ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾
القلم: ۳۵

۵۷ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾
المدثر: ۳۸ـ ۴۱

۵۸ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ المرسلات: ۱۸

۵۹ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
الأنعام: ۱۲۳

لاجرم:

۶۰ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾
هود: ۲۲

۶۱ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ النحل: ۲۳

۶۲ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ النحل: ۶۲

۶۳ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
النحل: ۱۰۹

۶۴ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي

﴿الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللّٰهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ المؤمن : ٤٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآيات تدور حول محورين: الجُرم والإجرام، ولاجَرَم.

ثانيًا: جاء من المحور الأوّل في (١ ـ ٨) الفعل المضارع مجرّدًا ٣ مرّات: (١ ـ ٣) ومزيدًا مع المصدر مرّة: ٨، والفعل الماضي مزيدًا ٤ مرّات: (٤ ـ ٧) ففيها توازن عدديّ تمامًا بين الماضي والمضارع، وبين المجرّد والمزيد إلى حدّ، مع غلبة المزيد.

ثالثًا: جاء الفعل المجرّد في الثّلاث الأُولى مؤكّدًا بالنّون منفيًّا في سياقٍ واحدٍ، نهيًا عن التّعدّي بحال من صدر عنه سوء، تشفّيًا به أو انتقامًا منه. فقد جاء في (١) و(٢) آيتين من صدر سورة المائدة النّازلة في حجّة الوداع، خلال أحكام الحجّ مكرّرًا ومؤكّدًا، خطابًا إلى المؤمنين الّذين جاءوا من خارج الحرم مع النّبيّ ﷺ حاجّين، نهيًا عن أن يجرموا على أهل مكّة، بحجّة أنّهم صدّوهم عن الحجّ في الحُديبيّة، تعبيرًا عن بغضهم لهم بـ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾، فنهاهم عن التّعدّي عليهم، وأمرهم في (١) بدل التّعدّي والانتقام، بالتّعاون على البرّ والتّقوى، ورفض التّعاون على الإثم والعدوان، مشفوعًا بأنّ الله شديد العقاب، وفي (٢) بالقسط والعدل والتّقوى، مشفوعًا بأنّ الله خبير بما تعملون.

وجاء في (٣) قول شعيب لقومه بنفس الأُسلوب: ﴿يَاقَوْمِ لَايَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ فجاء فيه بدل (شَنَآنُ) (شِقَاقِي).

رابعًا: قالوا في معنى ﴿لَايَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لايكسبنّكم جرمًا أو (لايحملنّكم) على جرم ونحوها.

وفي تفسير الطّبَريّ (٣: ١٦٨): وقيل: (لَايَجْرِمَنَّكُمْ) أي لايدخلنّكم في الجرم، كما يقال: أثمته، أي أدخلته في الإثم.

وقد قُرأت (١) (لايُجْرِمَنَّكُمْ) بضمّ الياء، ورجّح الطّبَريّ ـ وتبعه غيره ـ قراءة الفتح فيها، لأنّها اللّغة المعروفة السّائرة في العرب، وشذّ «أجرَم يُجرِم» ولاستفاضة القراءة بها في قرّاء الأمصار. ونحن نُضيف: ولموافقته سياقًا للآيتين الأُخريين؛ حيث لم تُقرأ فيهما بالضّمّ.

والظّاهر: أنّ معنى لايدخلنّكم في الجرم خاصّ بقراءة الضّمّ المرويّة في (١) فقط، أمّا الفتح فيجري في الآيات الثّلاث، فلامجال فيها إلّا معنى الكسب والحمل على الجُرْم، ولهذا جاء الفعل فيها متعدّيًا إلى الأشخاص، وفاعله فيها (شنآن وشِقَاق).

خامسًا: جاء الفعل والمصدر في الخمس الباقية: (٤ ـ ٨) مزيدًا من باب «الإفعال» بمعنى عمل الجُرم، ولهذا جاء الفعل فيها متعدّيًا إلى الأعمال وفاعله الأشخاص، وقالوا في معناها: مااقترفنا المعاصي، مافعلنا من المعاصي والسّيّئات، ونحوها فهو بمعنى الجُرْم، وقد جمع بعضهم بين الكسب والجُرم، فقال: أي مااكتسبنا وفعلنا من المعاصي والجرائم.

سادسًا: قالوا في (٤): ﴿قُلْ لَاتُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَانُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ إنّ الله أنصف في خطاب المشركين؛ حيث أمر النّبيّ ﷺ بأن يسمّي فعله (جُرْمًا) كما يزعمون، مع أنّه مثابٌ مشكورٌ، وفِعْلَهم (عَمَلًا) مع

أنّه سيّء محظور.

ونقول: ماقبل هذه الآية ومابعدها جاء بسياق الإنصاف أيضًا؛ حيث ساوى بين أنفسهم وبين مخاطبيهم في المصير والمآل، وفي المستقبل والحال فقبلها: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سبأ: ٢٤، وبعدها: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ سبأ: ٢٦.

وقد صرّح بها بعضهم بأنّ الآية التّالية ـ في الحقيقة ـ توضيح لنتيجة الآيتين السّابقتين، فبعد أن نبّه إلى أنّ أحد الفريقين على الحقّ والآخر على الباطل، وإلى أنّ كلًّا منهما مسؤول عن أعماله، انتقل إلى مجازاة كلّ فريق طبق مسؤوليّته. وقال بعضهم: فيها إنصاف وحسن أدب مع الخصم.

سابعًا: جاء الفعل مع مصدره في (٨): ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ وفيها بحوث:

١ـ في هذه الآية إنصاف أيضًا بين النّبيّ ومخاطبيه بأنّ كلًّا منّا مسؤول عن عمله لو كان سيّئًا وإجرامًا. فلو افتريت أنا القرآن فهو إجرامٌ منّي، كما أنّ إنكاركم إيّاه لو كان حقًّا إجرام منكم على السّواء. فالآية مثل ماقبلها، ونظير: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: ٦، و﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فاطر: ١٨، و﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: ٢٨٦، ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٤١.

٢ـ وقد قُرئت (أَجْرَامِي) جمع جُرم، أي فعليّ آثامي وذنوبي، فهي مثل: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ محمّد: ٢٦، ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ ق: ٤٠، فقد قُرئتا (أَسْرَارَهُمْ) و(أَدْبَارَ): جمع سِرّ ودُبُر. وعليه فتزداد سمة الإنصاف فيها؛ حيث أضاف إلى نفسه أجرامًا، وإلى مخاطبيه أيضًا أجرامًا، فقال: (تُجْرِمُونَ) فأعمالهم تُعدّ أجرامًا لاجُرْمًا واحدًا.

٣ـ قالوا: في الآية حذف مضافين، أي عقاب إجرامي وعقاب ماتُجرمون. وعندنا أنّه مجازٌ شائعٌ، يقال: «ذنبي على رقبتي» فيفهم منه المراد من دون لحاظ المضاف. فهذا كما قال الآلوسيّ: «يجوّز بالسّبب عن المسبّب».

٤ـ قال الزّمخشريّ: وفي الآية محذوف آخر، وهو أنّ المعنى إن افتريته فعليّ عقاب جُرمي، وإن كنتُ صادقًا وكذّبتموني فعليكم عقاب ذلك التّكذيب. إلّا أنّه حُذف هذه البقيّة لدلالة الكلام عليه، كقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ الزّمر: ٩، ولم يذكر البقيّة.

٥ ـ قيل: في الآية إلزام للخصم نقضًا بما صدر عنه مثله، أي ماالفرق بين ذنبي وذنبكم فذنبكم التّكذيب ـ كما اعتقد ـ وذنبي الافتراء ـ كما تزعمون ـ فليس لكم حجّة عليّ. إنّما الحجّة قائمة لكم عليّ، لو اختصّ الذّنب بي دونكم. وفيه نظر، فهي لاتدلّ على أنّه كان شاكًّا في فعله، بل إلزام للخصم عند اليأس من قبوله الحقّ. قال رشيد رضا: «وهذا الأُسلوب من الجدل بالّتي هي أحسن يستحقّه السّمع ويقبله الطّبع».

٦ـ وقعت هذه الآية بين آيات قصّة (نُوح) فقبلها نقلًا عن نوح ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ...﴾ وبعدها: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ

يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ...﴾ فحكى الفخرالرّازيّ عن أكثر المفسّرين من أنّها من بقيّة كلام نوح، ثمّ رجّح أنّها من قصّة محمّد ﷺ وقعت بين قصص نوح. ويؤيّده أنّ نوحًا لم يعرض على قومه كتابًا من الله حتّى يقولوا: افتراه، فيدافع عن نفسه، بما ذكر فيها، وأيضًا جاء نظيرها بشأن النّبيّ مرّات:

﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا﴾ الشّورى: ٢٤

﴿اَفْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ سبأ: ٨

﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ قُلْ فَاْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يونس: ٣٨

﴿اِنْ هُوَ اِلَّا رَجُلٌ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ المؤمنون: ٣٨

﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ السّجدة: ٣

﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا﴾ الأحقاف: ٨

وحكى الآلوسيّ عن مُقاتِل أنّها في شأن النّبيّ، والمعنى أيقول مشركو مكّة: إنّه افترى خبر نوح، ثمّ قال: قيل: وكأنّه إنّما جيء به في تضاعيف القصّة عند سوق طَرَف منها تحقيقًا لحقيقتها، وتأكيدًا لوقوعها، وتشويقًا للسّامعين إلى استماعها، ولاسيّما وقد خصّ منها طائفةٌ متعلّقةٌ بما جرى بينه ﷺ وبين قومه من المحاجّة، وبقيت طائفةٌ مستقلّةٌ متعلّقةٌ بعذابهم.

ثمّ قال: ولايخفى أنّ القول بذلك ـ أي بأنّ معناه افترى محمّد قصّة نوح ـ بعيدٌ وإن وُجّه بما وُجّه، ثمّ نقل عن «الكشف» أنّ كونها في شأن النّبيّ ﷺ أظهر وأنسب من كونها من تتمّة قصّة نوح ﷺ، لأنّ ﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ﴾ كالتّكرار لقوله ﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ﴾ يعني في آيات قبلها رقم (١٣) وفيها دلالة على كمال العناد، وأنّ مثله بعد الإتيان بالقصّة على هذا الأُسلوب المعجز ممّا لاينبغي أن يُنسب إلى افتراء، فجاء زيادة إنكار على إنكار، كأنّه قيل: أمع هذا البيان أيضًا يقولون: (افْتَرٰيهُ) وهو نظير اعتراض وقع في سورة العنكبوت: ١٨، ﴿وَاِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ اُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بين قصّة إبراهيم ﷺ في أحد الوجهين، وأراه معوّلًا عليه.

ويؤيّده: أنّ الله ذمّ الافتراء كذبًا في السّورة قبل قصّة نوح مرّات:

﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ قُلْ فَاْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ هود: ١٣

﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا﴾ هود: ١٨

﴿اُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ هود: ٢١

فقد ظهر أنّ الآية جاءت بشأن النّبيّ كجملة معترضة، استمرارًا لما قبل قصّة نوح من رفض الافتراء عن النّبيّ بالقرآن تأكيدًا له، وأنّ قوله فيها: ﴿قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ اِجْرَامِي﴾ خطاب إليه، ولامجال هنا لكونه خطابًا لنوح ﷺ. والضّمير في افتريته راجع إلى القرآن.

٧ـ وهذه الآية في الحكم على المفتري كذبًا، والمكذّب بالحقّ على السّواء، نظير (١١) ﴿اَفْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ﴾ فلاحظ.

ثامنًا: جاء اسم الفاعل من «أجرم» مفردًا مرّتين

(٩) و(١٠)، وكلاهما وعيدٌ شديد للمجرم يوم القيامة:
ففي (٩): ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ* وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا* يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ المعارج: ٨ـ ١٤.

وفي (١٠): وهي حكاية عن السّحرة الّذين آمنوا بموسى، أو استئناف القول من الله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى* وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾.

ولايكاد يخفى أنّ (المُجرِم) و(مُجْرِمًا) فيهما مفردٌ وأُريد به الجنس، فيؤول إلى الجمع كبقيّة الآيات، وقوله في (٩): ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ...﴾ وفي (١٠) ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ يجسّم لنا شدّة العذاب، بما لاحدّ له وبأبلغ بيان.

تاسعًا: جاء (مُجْرِمُونَ) جمعًا في (٤٩) آية من (١١ـ٥٩) وهي قسمان: قسم منها يصف حال المجرمين في الآخرة، وهي (٢٦) آية، وقسم يصف حالهم في الدّنيا، وهي (٢٣) آية، إلّا أنّ وصف المجرمين في القسمين نشأ من سلوكهم في الدّنيا، فإنّها دار العمل والآخرة دار الجزاء، ولاجرم في الآخرة إلّا من كان مجرمًا في الدّنيا.

عاشرًا: هذه الآيات مثل الآيتين (٩) و(١٠) تصف المجرمين ـ سواءٌ في الدّنيا أو في الآخرة ـ بأنّهم ينالهم أشدّ العذاب، وسياقها بالغ في عظم العقاب، مثل (١١):
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ...﴾

و(١٥) ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾
و(١٨) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ...﴾
و(٢١) ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾
و(٢٢) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾
و(٣٦) ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾

فالمجرمون في عرف القرآن هم الّذين ارتكبوا أعظم المعاصي من الكفر والفسق أو الظّلم والإثم، ولامجال فيها لما قيل في معنى الجُرم: إنّه الذّنب الصّغير ـ لو صحّ في اللّغة ـ وإذا قيس: المجرمون والظّالمون والفاسقون ونحوهم عددًا في القرآن، فالنّسبة بينها أنّ (الْمُجْرِمِين) حوالي ضعف (الْفَاسِقِين)، ونصف (الظَّالِمِينَ وَالْكَافِرِينَ).

والّذي يضاعف المجرمين عذابًا هو وعيدهم بالانتقام في آيتين (٦) ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ و(٤٨) ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ وكلاهما بنون التّعظيم لله الدّالّة على عظمة الجرم.

وأيضًا جاء (الْمُجْرِمُونَ) في (٥٩) مع (يَمْكُرُونَ) مكرّرًا، ومع الاستكبار في (٢٩) و(٣٢) ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾، وفي (٤٩) ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ و(٥٣) ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ وفي (٥٩) ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾.

وجاء مع الكفر في (٣٠) ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ...بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ و(٥٣) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ

كفروا﴾، ومع التكذيب (٢٢) ﴿هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ و(٢٦) ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ و(٢٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ و(٣٥) ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾، ومع الظّلم في (١١) ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ و(٣١) ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ و(٣٤) ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ و(٤٨) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾.

وأيضًا جُعل المجرمون قبال المسلمين في (٥٦) ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ وجعلوا أعداء الرّسل في (٤٤) ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

الحادي عشر: ولكون (الْمُجْرِمِينَ) مَعْلَمًا وعَلَمًا للّذين يعملون السّوء، جاء في أكثر الآيات رويًّا لها معرّفًا باللّام، كما أنّها جاءت في المكّيّات بشأن الكافرين، ولم تأت في المدنيّات إلّا مرّتين بشأن المنافقين: (٢٤) و(٣٠).

الثّاني عشر: جاء المحور الثّاني: (لَاجَرَمَ) خمس مرّات: (٦٠ ـ ٦٤) كلّها في المكّيّات، ثلاث منها في النّحل وواحدة في هود بشأن المشركين، وواحدة (٦٤) في المؤمن بشأن قوم فرعون، وفيها بحوث:

١ـ قالوا: (لَاجَرَمَ) مركّب من «لا» و«جرم» مبنيٌّ، وهو مبتدأ ومابعده خبره، وهو بمعنى «لابدّ» «حقًّا» ونحوهما، ويستعمل في مواقع الأيمان والتّحقيق في الكلام.

٢ـ عند الزّجّاج أنّ معنى (لَا) نفيٌ لما ظنّوا أنّه ينفعهم، أي لاينفعهم ذلك، و(جَرَمَ): فعل بمعنى كسب، وعنه أيضًا أنّ (لَاجَرَمَ) بمعنى لايدخلنّكم في الجرم والإثم. وعند الطّوسيّ أنّ الجَرْم: القطع، وجَرَمَ فعل بمعنى قَطَع، وتقديره لاقَطْعَ قاطعٌ عن ذا، إلّا أنّه كثر في كلامهم حتّى صار كالمثل. وعند الكِسائيّ «لاصدّ ولامنع...». وعند الطّبَريّ أنّه من: جَرَمتُ: كسبت الذّنب، أي ليس هذا كسبًا للجرم والذّنب. وعند الأزهَريّ: أنّ هذا أحسن ماقيل في هذا الباب. وعند سيبويه والأخفش، (لَا) ردّ على أهل الكفر، و(جَرَمَ) معناه حقٌّ وصحيحٌ. وعند الآلوسيّ فيه تفصيل، وأنّ (جَرَمَ) يحتمل أن يكون اسمًا أو فعلًا مجهولًا، سُكّن للتّخفيف، فلاحظ.

٣ـ فظهر أنّ (لَاجَرَمَ) أيًّا كان أصله تعبيرٌ مكّيّ في موضع التّحقيق والتّأكيد للمشركين والكفّار، يواكب إنكارهم وعنادهم الصّارم أمام دعوة التّوحيد.

ج ر ي

٩ ألفاظ، ٦٤ مرّة: ٣١ مكّيّة، ٣٣ مدنيّة

في ٤٣ سورة: ٢٦ مكّيّة، ١٧ مدنيّة

جَرَيْن ١: ١	جارية ١: ١
يَجري ٤: ٣-١	الجارية ١: ١
تَجري ٥١: ٢١-٣٠	فالجاريات ١: ١
تَجريان ١: -١	الجوار ٣: ٢-١
مَجْرٰيها ١: ١	

النُّصوص اللُّغويّـة

الخَليل: الخيل تجري، والرّياح تجري، والشّمس تجري جَرْيًا، إلّا الماء فإنّه يجري جِرْيَـة.

والجِراء للخيل خاصّة. [ثمّ استشهد بشعر]

والإجْرِيّا: طريقته الّتي يجْري عليها من عـادته، والإجْرِيّا: ضرب من الجري.

وفرس ذو أجاريّ، أي ذو فنون من الجَرْي.

والجَرِيّ: الرّسول، لأنّك أجْرَيته في حاجتك.

والجارية مصدرها: الجِراء، بلا فِعْل. يقال: فَعَلت ذلك في جِرائها، أي حين كانت جارية. (٦: ١٧٤)

اللّيث: جمع الجريّ -الوكيل-: أجرياء، بمدّة فيها همزة. (الأزهَريّ ١١: ١٧٢)

أبوعمرو الشّيبانيّ: استجرَيتُ فلانًا، وهو أن تُزيِّن له مايريد من أمره. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٢٠)

الفَرّاء: يقال: ألقِهِ في جريّتك، وهي الحَوْصَلة.

(الأزهَريّ ١١: ١٧٣)

أبوزَيْد: [جريّتك] هي القِرِّيَّـة والجِرِّيَّـة والنُّوطة لحَوْصلة الطّائر.

يقال: جارية بيّنـة الجَراية والجَراء، وجَـريّ بيّن الجَراية. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ١٧٣، ١٧٤)

الأخفش: والمَـجْرَى في الشّعر: حركة حرف الرّويّ، فتحته وضمّته وكسرته، وليس في الرّويّ المقيّد مجرًى، لأنّه لاحركة فيه فتسمّى مجرًى، وإنّما سمّي ذلك مَجْرًى، لأنّـه موضع جَـرْي حركات الإعراب

والبناء. (ابن سيده ٧: ٥٠٥)

اللِّحيانيّ: وقالوا: الكَرَم من إجريّاه، ومن إجريائه، أي من طبيعته. (ابن سيده ٧: ٥٠٦)

ابن الأعرابيّ: الجَريّ: الوكيل، والجَريّ: الرّسول، والجَريّ: الضّامن. (الأزهريّ ١١: ١٧٢)

يجري عليها، أي يدوم لها، من قولك: أجريتُ له كذا وكذا، أي أدَمتُ له. والجاري لفلان من الرّزق، كذا، أي الدّائم.

والجارية: عين كلّ حَيوان، والجارية: النّعمة من الله على عباده. (الأزهَريّ ١١: ١٧٤)

أبو عُبَيْد: الإجرِيّاء: الوجه الّذي تأخذ فيه. (الأزهَريّ ١١: ١٧٣)

ابن السِّكّيت: والجِراية والجَراية. [بمعنى واحد] (إصلاح المنطق: ١١١)

وقد جَرّيتُ جَريًّا، أي وكّلت وكيلًا. (إصلاح المنطق: ١٥٢)

شَمِر: وفي الحديث: «الأرزاق جارية، والأُعطيات دارّة» هما واحد.

هو دائم، يقال: جَرى عليه ذلك الشّيء ودرّ له، بمعنى دام له. (الأزهَريّ ١١: ١٧٤)

كُراع النّمل: والجَريّ: الأجير. (ابن سيده ٧: ٥٠٥)

الزّجّاج: وجرى الرّجل إلى الشّيء وأجرى إليه، إذا قصد إليه. [بمعنى واحد] (فعلت وأفعلت: ٨)

ابن دُرَيْد: جرى الشّيء يجري جريًا فهو جار، وأجراه غيره يُجريه إجراءً. (٢: ٨٨)

وجرى الفَرس جَريًا حسنًا، وجرى الماء جِريَة حسَنة، وفرَس مَرطَى الجِراء، ممدود.

والجَريّ: الوكيل غير مهموز، والجمع: أجرياء.

ويقال: مازال ذاك إجرِيّاه وإجرِيّاءه، أي دأبه وحاله.

والجِراية: مصدر قولهم: جريّ بيّن الجِراية، وجارية بيّنة الجِراء. وكان ذلك في أيّام جِرائها، أي في أيّام صِباها.

فأمّا الجِرْيان والجِرْيال بمعنًى واحد، وهو صبغ أحمر فليس ذا موضعه. (٣: ٢٢٣)

الأزهَريّ: [في حديث عن النّبيّ ﷺ] «ولا يستجرِينّكم الشّيطان» هو من الجَريّ وهو الوكيل، تقول: جَرّيْتُ جَريًّا، واستجريت جَريًّا، أي اتّخذت وكيلًا. (١١: ١٧٢)

والجارية: عين الشّمس في السّماء. (١١: ١٧٥)

الصّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والإجرِيّا: طريقته الّتي يجري عليها من عاداته وأُموره، ويُمَدّ أيضًا. والوجه الّذي يأخذ فيه، ويقال: جِريّاء.

والجِراية والجَراية: الوكالة، وقد جَرّيتُ جَريًّا واستَجرَيتُه: اتّخذته وكيلًا.

فعَلت ذلك في جَرائها، وقيل فيه: الجَرا، مقصور.

وسمّيت جارية، لأنّها تجري في الحوائج.

والجِرّيّ: ضرب من السّمك. (٧: ١٧٥)

الجَوهَريّ: جَرى الماء وغيره جَريًا وجَرَيانًا، وأجرَيْتُه أنا.

يقال: ماأشدّ جِرْيَة هذا الماء بالكسر.

والجِراية: الجاري من الوظائف.

وجارية بيِّنة الجَراية بالفتح، والجَراء والجِـراء. [ثمّ استشهد بشعر]

وقولهم: كان ذلك في أيّـام جَـرائـها، بـالفتح، أي صِباها.

والجارية: الشّمس، والجارية: السّفينة.

وجاراه مُجاراةً وجِراءً، أي جرى معه.

وجاراه في الحديث، وتَجارَوا فيه.

والجَريّ: الوكـيل والرّسول، يـقال: جَـريّ بـيِّن الجَرايـة والجِرايـة؛ والجمع: أجْرِياءُ. وقد جَرَيْتُ جَريًّا، واستَجْرَيتُ.

وسُمّي الوكيل جَريًّا، لأنّه يَجْري مَجْرى موكِّله.

وقولهم: فَعلتُ ذلك من جَرّاك ومن جَرّائك، أي من أجلك، لغةٌ في جَرّاك بالتّشديد، ولاتقل: مَجْراك.

والجِرِّيَـة، مثل القِرِّيَـة، هي الحَوْصلة.

والإجْرِيّا، بالكسر: الجَرْي والعادة ممّا تأخذ فيه. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٢٣٠١)

الخطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ «لاتُجارِ أخاك ولاتُشارِه».

قوله: لاتجارِ أخاك، هو من الجِراء في الخيل، وهو أن يتجارى الرّجلان للمسابقة. (١: ٣٤٠)

نحوه الزّمَخْشَريّ. (الفائق ١: ٢٠٣)

ابن فارِس: الجيم والرّاء والياء أصل واحد، وهو انسياح الشّيء، يقال: جَرى الماء يَجْري جَرْيَةً وجَرْيًا وجَرَيانًا. ويقال للعادة: الإجْرِيّا، وذلك أنّه الوجه الّذي يجري فيه الإنسان.

والجَريّ: الوكيل، وهو بيّن الجِراية، تقول: جَرّيت جَريًّا واستَجرَيتُ، أي اتّخذت.

وسمّي الوكيل جَريًّا، لأنّه يَجْـري مَجْـرى مـوكِّله، والجمع: أجْرِياء.

فأمّا السّفينة فهي الجارية، وكذلك الشّمس، وهو القياس. والجارية من النّسـاء مـن ذلك أيـضًا، لأنّهـا تُستَجرَى في الخدمة، وهي بيّنة الجِـراء. [ثمّ اسـتشهد بشعر]

ويقال: كان ذلك في أيّام جِرائها، أي صِباها.

وأمّا الجِرِّيّة، وهي الحَوْصلة، فالأصل الّذي يعوّل عليه فيها أنّ الجيم مُبدَلة من قاف، كأنّ أصلها قِرِّيّة، لأنّها تَقري الشّيء، أي تجمعه، ثمّ أبدلوا القاف جيمًا كما يفعلون ذلك فيها. (١: ٤٤٨)

الهَرَويّ: وقوله ﷺ: «ياأيّها النّاس قولوا بقولكم ولايَستَجْرِيَنّكم الشّيطان» أي لايستتبعنّكم فيتّخِذَكُم جَريّه ووكيلَه، يقال: جَرّيْتُ جَريًّا، واستَجْريتُه، أي اتّخذته وكيلًا. (٣٥٢)

أبوسهل الهَرَويّ: وجارية بيّنة الجَراء والجَـرايـة بفتح الجيم، وهي الظّاهرة الحَداثة والصِّبا. (٣٢)

تقول: الماء شديد الجِرْية، أي الجَرْي. (٥٤)

ابن سـيده: جـرى المـاء والدّم ونحـوه جَـرْيًا، وجِرْية، وجَرَيانًا. وإنّه لحسن الجِرْية. وأجراه هو.

وجَرَى الفرَس وغيره جَرْيًا، وجِراء، وجَراءة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَرَت الشّمس وسائر النّجوم: سارت من المشرق إلى المغرب.

والجارية: الشّمس، سمّيت بذلك لجَرْيها من القُطْر إلى القُطْر، وجرت السّفينة جَرْيًا: كذلك، والجارية: السّفينة، صفة غالبة.

والجاري: أواخر الكَلِم؛ وذلك لأنّ حركات الإعراب والبناء إنّما تكون هنالك.

قال ابن جنّيّ: سمّي بذلك لأنّ الصّوت يبتدئ بالجَرَيان في حروف الوصل منه، ألاترى أنّك إذا قلت:

قتيلان لم يعلم لنا النّاس مصرعًا

فالفتحة في العين هي ابتداء جَرَيان الصّوت في الألف، وكذلك قولك:

يادار ميّة بالعلياء فالسّندي

تجد كسرة الدّال هي ابتداء جَرَيان الصّوت في الياء، وكذلك قوله:

هُرَيْرَة ودِّعْها وإن لام لائمو

تجد ضمّة الميم منها ابتداء جَرَيان الصّوت في الواو.

فأمّا قول سيبويه: «هذا باب مجاري أواخر الكَلِم من العربيّة، وهي تجري على ثمانية مجار» فلم يقصُر المجاري هنا على الحركات فقط، كما قَصَر العروضيّون المَجْرَى في القافية على حركة حرف الرّويّ دون سكونه، لكن غرض صاحب «الكتاب» في قوله: «مجاري أواخر الكلم» أي أحوال أواخر الكلم وأحكامها والصّور الّتي تتشكّل لها، فإذا كانت أحوالًا وأحكامًا فسكون السّاكن حال له، كما أنّ حركة المتحرّك حال له أيضًا. فن هنا سقط تعقّب من تتبّعه في هذا الموضع.

فقال: كيف ذكر الوقف والسّكون في المجاري، وإنّما المجاري ـ فيما ظنّه ـ الحركات، وسبب ذلك خفاء غرض صاحب «الكتاب» عليه. وكيف يجوز أن يُسلّط الظّنّ على أقلّ أتْباع سيبويه فيما يَلْطُف عن هذا الجليّ الواضح، فضلًا عنه نفسه فيه، أفتراه يريد الحركة ويذكر السّكون؟ هذه غباوة ممّن أوردها، وضعف نظر وطريقة دلّ على سلوكه إيّاها.

قال: أولم يسمع هذا المتتبّع بهذا القدر قول الكافّة: أنت تجري عندي مجرى فلان، وهذا جارٍ مجرى هذا. فهل يراد بذلك، أنت تتحرّك عندي بحركته، أو يراد: صورتك عندي صورته، وحالك في نفسي ومعتَقَدي حالُه؟

والإجريّاء، والإجْرِيّا: الوجه تأخذ فيه وتَجْري عليه. [ثمّ استشهد بشعر]

وذلك لأنّه إذا كان الشّيء من طبعه جرى إليه وجَرَن عليه.

والجَرِيّ: الوكيل، الواحد والجمع والمؤنّث في ذلك سواء، بيّن الجَراية والجِراية.

وجَرّى جَرِيًّا: وكّله.

قال أبوحاتم: وقد يقال للأُنثى: جَرِيّة، بالهاء وهي قليلة.

والجَرِيّ: الرّسول، وقد أجراه في حاجته.

والجارية: الفتيّة من النّساء بيّنة الجَراية.

والجِرّيّ: ضَرْب من السّمك.

والجِرِّيّة: الحَوْصلة، ومن جعلها ثُنائيّين فهما فِعْليّ وفِعْليّة، وقد تقدّم في الثُّنائيّ. (٧: ٥٠٤)

جرَى الفرَس يجري جَرْيًا وجِراءً: مرّ سريعًا، والماء جَرْيًا وجَرَيانًا وجَرْيَة: اندفع في انحدار، وجارى

فلان فلانًا: جرَى معه.

وأجرى السّفينة: سيّرها. (الإفصاح ١: ٢٦٢)

إذا ارتفع الفرس عن الحُضْر فسال سَيْلًا، قيل: مرّ يجري جَرْيًا وجِراءً، وقد أجرَيته. (الإفصاح ٢: ٦٨٧)

جرى الدّابّة يجري جَرْيًا وجَرَيانًا وجِراءً: اندفع في السّير، وأجرَيته أنا.

والماء الجاري: هو المتدافع في انحدار أو استواء. (الإفصاح ٢: ٧٥٤)

الجِرّيّ: سمك طويل أملس لايأكله اليهود، وليس عليه فصوص. (الإفصاح ٢: ٩٧٦)

الرّاغِب: الجَرْي: المَرّ السّريع، وأصله كمرّ الماء، ولما يجري بجَريه. يقال: جَرى يجري جِرْيَةً وجَرَيانًا [ثمّ ذكر الآيات]

ويقال للحَوْصلة: جِرِّيّة، إمّا لانتهاء الطّعام إليها في جَرْيه، أو لأنّها مجرى الطّعام.

والإجريّا: العادة الّتي يجري عليها الإنسان.

والجَرِيّ: الوكيل والرّسول الجاري في الأمر، وهو أخصّ من لفظ الرّسول والوكيل، وقد جرَيتُ جَرْيًا.

وقوله عليه السلام: «لايستجرينّكم الشّيطان» يصحّ أن يُدّعى فيه معنى الأصل، أي لايحملنّكم أن تجروا في ائتماره وطاعته، ويصحّ أن تجعله من «الجَرِيّ» أي الرّسول والوكيل. ومعناه: لاتتولّوا وكالة الشّيطان ورسالته؛ وذلك إشارة إلى نحو قوله عزّوجلّ: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ النّساء: ٧٦، وقال عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ آل‌عمران: ١٧٥. (٩٢)

الزّمَخْشَريّ: والشّمس تجري، والرّيح تجري. وجرَت الخيل، وأجرَوْا الخيل. وجاراه في كذا مُجاراةً وتَجارَوا. وفرَس ذُو أجاريّ. وغَمْرُ الجِراء. وأخبِرني عن مجاري أُمورك. وأجرى إليه ألف دينار، وأجرى عليهم الرّزق. واستجراه في خدمته، وسُمّيت الجارية، لأنّها تُستَجرى في الخدمة. وتقول: عَمِل على هِجّيراه، وجَرى على إجْرِيّاه، وهي طريقته وعادته الّتي يجري عليها. (أساس البلاغة: ٥٨)

ابن الأثير: وفي حديث أُمّ إسماعيل عليها السلام: «فأرسلوا جَرِيًّا» أي رسولًا.

وفيه: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث، منها: «صدقة جارية» أي دارّة متّصلة، كالوقوف المُرصَدة لأبواب البرّ.

وفي حديث الرّياء: «من طلب العلم ليجاري به العلماء» أي يجري معهم في المناظرة والجدال، ليُظهر علمه إلى النّاس رياءً وسُمعةً.

ومنه الحديث: «تتجارى بهم الأهواء كما يتجارَى الكَلَب بصاحبه» أي يتواقعون في الأهواء الفاسدة، ويتداعون فيها، تشبيهًا بجَرْي الفرَس. والكَلَب بالتّحريك: داء معروف يعرض للكَلْب، فمن عضّه قتله.

ومنه الحديث: «وأمسك الله جِرية الماء» هي بالكسر: حالة الجَرَيان.

ومنه: «وعال قلم زكريّا الجِرْية، وجرَت الأقلام مع جِرْية الماء» كلّ هذا بالكسر. (١: ٢٦٤)

الفَيُّوميّ: جرى الفرس ونحوه جَرْيًا وجرَيانًا فهو جارٍ، وأجرَيتُه أنا. وجرى الماءُ: سالَ، خلاف وقَفَ

وسكَن، والمصدر: الجَرْي بفتح الجيم.

قال السَّرَقُسْطيّ: فإن أدخَلْتَ الهاء كسَرْتَ الجيم، وقُلْتَ: جرَى الماءُ جِرْيَةً.

والماءُ الجاري، هو المُتدافِع في انحِدار أو استِواء.

وجَرَيْتُ إلى كذا جَرْيًا وجِراءً: قصَدْتُ وأسْرَعْتُ.

وقولهم: جرى في الخلاف كذا، يجوز حَمْلُه على هذا المعنى، فإنّ الوُصول والتّعلّق بذلك المحلّ قَصْدٌ على المجاز.

والجارية: السّفينة، سمّيت بذلك لجريها في البحر.

ومنه قيل للأمَة: جارية على التّشبيه، لجريها مُستَسْخَرَةً في أشغال مواليها. والأصل فيها الشّابّة، لخفّتها. ثمّ توسّعوا حتّى سمّوا كلّ أمَةٍ جاريةً وإن كانت عجوزًا لاتقدر على السّعي، تَسْمِيَةً بما كانت عليه.

والجمع فيهما: الجواري.

وجاراه مُجاراةً: جرى معه. (٩٧)

الفيروزاباديّ: جرَى الماء ونحوه جَرْيًا وجَرَيانًا وجِرْية بالكسر، والفَرَس ونحوه جَرْيًا وجِراءً بالكسر.

وأجراه وجاراه مُجاراةً وجِراءً: جرى معه.

والإجْرِيّا بالكسر: الجَرْي.

والجارية: الشّمس والسّفينة والنّعمة من الله تعالى، وفتيّة النّساء، الجمع: جوارٍ.

وجارية بيّنة الجَراية والجَراء والجَرَى والجَرائيّة والجِراء بالكسر.

والمَجْرى في الشّعر: حركة حرف الرّويّ، والمجاري: أواخر الكلم.

وبسم الله مُجْراها بالضّمّ والفتح: مَصْدرا «جَرى وأجرى».

والإجْرِيّا بالكسر والشّدّ وقد يُمَدّ: الوجه الّذي تأخذ فيه وتجري عليه، والخلق والطّبيعة كالجِرِبّاء كسِنِمّار، والإجْرِيَة بالكسر مشدّدةً.

والجَرِيّ كغنيّ: الوكيل للواحد والجمع والمؤنّث، والرّسول والأجير والضّامن.

والجَراية ويُكسر: الوكالة، وأجرى: أرسل وكيلًا كجَرّى، والبَقْلَة: صارت لها جِراء.

والجِرِّيّ كذِمّيّ: سمك معروف، وبهاءٍ: الحَوْصلة.

وفعلتُه من جَراك ساكنة مقصورة وتُمَدّ: من أجلك كجرّاك. (٤: ٣١٣)

الطُّرَيحيّ: والجارية من النّساء: من لم يبلغ الحُلم.

وجرى القلم بما فيه، أي مضى على ماثبت عليه حكمه في اللّوح المحفوظ.

وجرى الأمر: وقع.

وجرى عليه القلم: تعلّق التّكليف به.

وجرت السُّنّة بكذا، أي استمرّت به، ومنه السُّنّة الجارية، أي المستمرّة غير المنقطعة.

والأرزاق الجارية: الدّارّة المتّصلة.

وجرَيت إلى كذا: قصدت وأسرعت.

وجرى الخلاف بينهم: وقع أو استمرّ.

و«الشّيطان يجري في ابن آدم مَجرى الدّم في العُروق» قيل: أي يجري كيده وتسري وساوسه في العُروق والأبشار مَجرى الدّم حتّى تصل إلى القلب، مع احتمال الحقيقة، فإنّه من نار لايمتنع سريانه كالدّم.

ومَجْرى: إمّا مصدر أو اسم مكان.

و«تجارينا ذكر الصّعاليك» أي تذاكرناهم. وأكثر

مايُستعمل «التّجاري» في الحديث، يقال: «تجارَوْا في الحديث» أي جرى كلّ واحد مع صاحبه وجاراه، ومنه: «مجاراة من لاعقل له» أي الخوض معه في الكلام.

و«تتجارى بهم الأهواء» أي يتواقعون في الأهواء الفاسدة ويتداعون، تشبيهًا بجَرْي الفرس.

وقيل في قوله ﷺ: «سيخرج من أُمّتي قوم تُجارى بهم تلك الأهواء» أي تسري بهم في عروقهم ومفاصلهم، فتستمرّ بهم وتتمارى، وتذهب بهم في كلّ واد.

وأجرى الخيل، أي سابق بها، ومنه الحديث: «قد سابق رسول الله ﷺ أُسامة بن زيد وأجرى الخيل».

(١: ٨٢)

مَجْمَعُ اللُّغة: الجري: المَرّ السّريع، يقال: جرَت السّفينة، وجرى الماء يجري جَرْيًا فهو جارٍ، وهي جارية.

والجارية: السّفينة، صفة غالبة. وجمع جارية: جاريات وجوارٍ. وقد توصف النّجوم أو السُّحب أو الرّياح بالجاريات والجواري.

ورُسمت «الجواري» في المصحف في مواضعها الثّلاثة بدون الياء.

المجرى: مصدر ميمي من جرى يجري. (١: ١٨٩)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جرى الماء جريانًا: سال، وجرى: مرّ بسرعة، وجرى الأمر: وقع. وأجرى السّفينة: جعلها تجري، والجارية: مؤنّث الجاري.

والجارية: الصّبيّة، والأمة، والشّمس، والسّفينة، والحيّة، والنّعمة من الله، و الجمع: جاريات وجوار. (١٠٦)

محمود شيت: الجاري: الثّمن الجاري.

والجِراية: الوكالة.

والجاري: من الرّواتب، جمعه: جِرايات.

المَجرى من النّهر: مسيله، جمعه: مَجارٍ.

جرى الحصان: ركض.

الجارية: السّفينة.

الجِراية: الرّاتب. (١: ١٤١)

المُصْطَفَويّ: ظهر أنّ مفهوم هذه المادّة أصل واحد، وهو الحركة المنظّمة الدّقيقة في طول مكان، ويعبّر عنه بالانسياح.

يقال: جرى الماء، جرى النّجم، جرت العين ـ مجازًا ـ جرت السّفينة، جرت الشّمس، جرت الرّيح. (٢: ٧٩)

النّصوص التّفسيريّة

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا...

يونس: ٢٢

الطّبَريّ: يعني وجرت الفلك بالنّاس. (١١: ١٠٠)

نحوه المَيْبُديّ. (٤: ٢٧٢)

الطّوسيّ: عدل عن الخطاب إلى الإخبار عن الغائب تصرّفًا في الكلام، مع أنّه خطاب لمن كان في تلك الحال، وإخبار لغيره من النّاس. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٤١٣)

نحوه العُكبريّ (٢: ٦٧٠)، والطّبْرِسيّ (٣: ١٠١)، والقُرطُبيّ (٨: ٣٢٤).

البَغَويّ: يعني جرت السّفن بالنّاس، رجع من الخطاب إلى الخبر. (٢: ٤١٥)

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟

قلت: المبالغة كأنّه يذكر لغيرهم حالهم ليُعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتّقبيح.

والضّمير في (جَرَيْنَ) للفُلك، لأنّه جمع فَلَك كالأُسد في فَعَل أخي فُعْل[1]. (٢: ٢٣١)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٤٤)، والنّسَفيّ (٢: ١٥٨)، والشّربينيّ (٢: ١٣)، والبُرُوسَويّ (٤: ٣١).

ابن عَطيّة: وقوله: (وَجَرَيْنَ) علامة قليل العدد، وقوله: (بِهِمْ) خروج من الحضور إلى الغيبة، وحسن ذلك، لأنّ قولهم: ﴿كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ هو بالمعنى المعقول، حتّى إذا حصل بعضهم في السّفن. (٣: ١١٣)

الفَخْرالرّازيّ: ما الفائدة في صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة؟

الجواب فيه وجوه: الأوّل: [ما أورده صاحب «الكشّاف» وقد تقدّم]

الثّاني: قال أبوعليّ الجُبّائيّ: إنّ مخاطبته تعالى لعباده، هي على لسان الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فهي بمنزلة الخبر عن الغائب. وكلّ من أقام الغائب مقام المخاطب، حسن منه أن يردّه مرّة أُخرى إلى الغائب.

الثّالث: وهو الّذي خطر بالبال في الحال، أنّ الانتقال في الكلام من لفظ الغيبة إلى لفظ الحضور فإنّه يدلّ على مزيد التّقرّب والإكرام. وأمّا ضدّه وهو الانتقال من لفظ الحضور إلى لفظ الغيبة، يدلّ على المقت والتّبعيد.

أمّا الأوّل: فكما في سورة الفاتحة، فإنّ قوله: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كلّه مقام الغيبة، ثمّ انتقل منها إلى قوله: ﴿اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذا يدلّ على أنّ العبد كأنّه انتقل من مقام الغيبة إلى مقام الحضور، وهو يوجب علوّ الدّرجة، وكمال القرب من خدمة ربّ العالمين.

وأمّا الثّاني: فكما في هذه الآية، لأنّ قوله: ﴿حَتّٰى اِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ خطاب الحضور، وقوله: (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) مقام الغيبة، فهاهنا انتقل من مقام الحضور إلى مقام الغيبة؛ وذلك يدلّ على المقت والتّبعيد والطّرد، وهو اللّائق بحال هؤلاء، لأنّ من كان صفته أنّه يقابل إحسان اللّه تعالى إليه بالكفران، كان اللّائق به ما ذكرناه. (١٧: ٦٩)

نحوه الخازن. (٣: ١٤٩)

أبوالسُّعود: [نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

وقيل: ليس فيه التفات، بل معنى قوله تعالى: ﴿حَتّٰى اِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ إذا كان بعضكم فيها، إذ الخطاب للكلّ ومنهم المسيّرون في البرّ. فالضّمير الغائب عائد إلى ذلك المضاف المقدّر، كما في قوله تعالى: ﴿اَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰيهُ﴾ النّور: ٤٠، أي أو كذي ظلمات يغشاه موج. (٣: ٢٢٧)

الآلوسيّ: [نحو أبي السُّعود وأضاف:]

والباء الأُولى للتّعدية، والثّانية وكذا الثّالثة للسّببيّة، فلذا تعلّق الحرفان بمتعلّق واحد، وإلّا فقد منعوا تعلّق حرفين بمعنى بمتعلّق واحد. واعتبار تعلّق الثّاني بعد تعلّق

---

(١) لاحظ الجوهريّ «فَلَك».

الأوّل به وملاحظته معه يزيل اتّحاد المتعلّق.

وجُوِّز أن تكون الثّانية للحال، أي جرين بهم ملتبسة بريح، فتتعلّق بمحذوف، كما في «البحر». وقد تُجعل الأولى للملابسة أيضًا. (١١: ٩٦)

الطَّباطَبائيّ: (الفُلك): السّفينة، وتستعمل مفردًا وجمعًا، والمراد بها هاهنا الجمع، بدليل قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾. [إلى أن قال:]

وفيها من عجيب الالتفات، الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ - إلى قوله - بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ولعلّ النّكتة فيه إرجاعهم إلى الغيبة، وتوجيه الخطاب إلى النّبيّ ﷺ ووصف أعجب جزء من هذه القصّة الموصوفة له ليسمعه ويتعجّب منه، ويكون فيه مع ذلك إعراض عن الأمر بمخاطبتهم، لأنّهم لايفقهون القول. (١٠: ٣٦)

عبد الكريم الخطيب: وقد جاء النّظم القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ بنون النّسوة الّتي هي للعقلاء، مستعملًا إيّاها لـ«الفُلك»، وهي غير عاقلة، وكان المتوقّع أن يجيء التّعبير هكذا: وجرت بهم. وفي هذا مايشير إلى أنّ (الفُلك) وهي تجري في ريح طيّبة، وعلى ظهر بحرٍ ساكن ساج، قد كان لها سلطان على هذا البحر، تغدو وتروح عليه كيف تشاء، وتتصرّف كما تريد، حتّى لكأنّها ذات عقل مدبّر، وإرادة نافذة. (٦: ٩٨٣)

المُصْطَفَويّ: الباء [بهم] للتّعدية، والضّمير في (جَرَيْنَ) للفلك. والتّأنيث باعتبار السّفينة، وكونه جمعًا في المعنى.

والتّعبير بصيغة الجمع المؤنّث دون مفرده، لكونها حاملة لهم، فغلبوا عليها في كونهم من ذوي العقلاء، وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ البقرة: ١٦٤، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ إبراهيم: ٣٢.

وأمّا الإفراد والتّأنيث في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ هود: ٤٢، فإنّ النّظر فيها إلى جريان الفلك بهم، لاإلى كونهم في الفلك وفرحهم به ثمّ كفرهم. (٢: ٨٠)

يَجْرِي

﴿...وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي اِلَى اَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ لقمان: ٢٩

الطُّوسيّ: لأنّهما يجريان على وتيرة واحدة لايختلفان، بحسب ماسخّرها له. (٨: ٢٨٥)

الشِّربينيّ: أي في فلكه سائرًا متماديًا، وبالغًا ومنتهيًا. (٣: ١٩٦)

أبوالسُّعود: أي يحسب حركته الخاصّة وحركته القسريّة على المدارات اليوميّة المتخالفة المتعدّدة حسب تعدّد الأيّام جريًا مستمرًّا. (٥: ١٩٣)

مثله البُرُوسَويّ. (٧: ٩٧)

مكارم الشّيرازيّ: وجملة ﴿كُلٌّ يَجْرِي اِلَى اَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إشارة إلى أنّ هذا النّظام الدّقيق لايستمرّ إلى الأبد، بل إنّ له نهاية بانتهاء الدّنيا، وهو ماذكر في سورة التّكوير: ١، ٢، ﴿اِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَاِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ...﴾. (١٣: ٦٣)

تَجْرِى

١ـ وَبَشِّرِ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ... البقرة: ٢٥

الطَّبَريّ: وإنّما عنى جلّ ذكره بذكر الجنّة ما في الجنّة من أشجارها وثمارها وغروسها، دون أرضها، فلذلك قال عزّ ذكره: ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ﴾ لأنّه معلوم أنّه إنّما أراد جلّ ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنّه جارٍ تحت أشجارها وغروسها وثمارها، لا أنّه جارٍ تحت أرضها، لأنّ الماء إذا كان جاريًا تحت الأرض، فلا حظّ فيها لعيون من فوقها إلّا بكشف السّاتر بينها وبينه، على أنّ الّذي توصف به أنهار الجنّة أنّها جارية في غير أخاديد. [ثمّ ذكر الرّوايات فراجع] (١: ١٧٠)

نحوه الطّوسيّ. (١: ١٠٨)

الطَّبْرِسيّ: والنّهر لايجري وإنّما يجري الماء فيه، ويُستعمل الجري فيه توسّعًا، لأنّه موضع الجري. (١: ٦٥)

القُرطُبيّ: (تَجْرِى) في موضع النّعت لـ(جَنَّاتٍ) وهو مرفوع، لأنّه فعل مستقبل، فحذفت الضّمّة من الياء لثقلها معها.

(الْاَنْهَارُ) أي ماء الأنهار، فنسب الجري إلى الأنهار توسّعًا، وإنّما يجري الماء وحده، فحذف اختصارًا، كما قال تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢، أي أهلها. (١: ٢٣٩)

البَيْضاويّ: أي من تحت أشجارها، كما تراها جارية تحت الأشجار النّابتة على شواطئها. (١: ٣٧)

نحوه النّسفيّ (١: ٣٣)، والشّربينيّ (١: ٣٧).

المُصْطَفَويّ: وقد نُسب الجري في القرآن الكريم إلى أُمور: [ثمّ ذكر الآيات الّتي تدلّ عليها هذه الأُمور] (٢: ٨٠)

٢ـ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ... هود: ٤٢

الطَّبَريّ: والفلك تجري بنوح ومن معه فيها. (١٢: ٤٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ١٦٤)

الزَّمَخْشَريّ: فإن قلت: بم اتّصل قوله: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾؟

قلت: بمحذوف دلّ عليه ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ﴾ هود: ٤١، كأنّه قيل: فركبوا فيها يقولون: بسم الله، وهي تجري بهم، أي تجري وهم فيها. (٢: ٢٧٠)

نحوه النّسفيّ (٢: ١٨٨)، وأبوالسّعود (٣: ٣١٤).

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّ في قوله: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ مسائل:

المسألة الأُولى: [فذكر نحو قول الزّمخشريّ إلى أن قال:]

المسألة الثّالثة: الجريان في الموج، هو أن تجري السّفينة داخل الموج، وذلك يوجب الغرق، فالمراد أنّ الأمواج لمّا أحاطت بالسّفينة من الجوانب، شبّهت تلك السّفينة بما إذا جرت في داخل تلك الأمواج. (١٧: ٢٣٠)

البُرُوسَويّ: (وَهِىَ) أي الفلك، (تَجْرِى) حكاية حال ماضية، (بِهِمْ) حال من فاعل (تَجْرِى) أي وهم فيها، أي ملتبسة بهم. ولك أن تجعل «الباء» للتّعدية، يقال: أجريته وجريت به، كأذهبته وذهبت به. والجملة

عطف على محذوف دلّ عليه الأمر بالرّكوب، أي فركبوا فيها مسمّين، وهي تجري بهم. (٤: ١٣٠)

الآلوسيّ: ﴿وَهِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ جُوِّز فيه ثلاثة أوجه:

الأوّل: أن يكون مستأنفًا.

الثّاني: أن يكون حالًا من الضّمير المستتر في (بِسْمِ اللهِ) أي جريانها استقرّ (بِسْمِ اللهِ) حال كونها جارية.

الثّالث: أنّه حال من شيء محذوف دلّ عليه السّياق، أي فركبوا فيها جارية. والفاء المقدّرة للعطف، و(بِهِمْ) متعلّق بـ(تَجْرى) أو بمحذوف، أي ملتبسةً. والمضارع لحكاية الحال الماضية، ولامعنى للحاليّة من الضّمير المستتر في الحال الأُولى، كما لايخفى.

(١٢: ٥٨)

تَجْرِيَانِ

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ. الرّحمن: ٥٠

راجع «ع ي ن»

جَارِيَة

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ. الغاشية: ١٢

القفّال: فيها عين شراب جارية على وجه الأرض في غير أُخدود، وتجري لهم كما أرادوا.

(الفخر الرّازيّ ٣١: ١٥٦)

الطّوسيّ: عينًا من الماء جارية، لأنّ في العين الجارية متعة ليس في الواقف. (١٠: ٣٣٦)

القُشيريّ: أراد عيونًا، لأنّ العين اسم جنس، والعيون الجارية هنالك كثيرة ومختلفة.

ويقال: تلك العيون الجارية غدًا لِمَن له ـ اليوم ـ عيون جارية بالبكاء، وغدًا لهم عيون ناظرة بحكم اللّقاء. (٦: ٢٩٠)

المَيْبُديّ: أراد عيونًا، لأنّ العين اسم جنس، ومعناه أنّها تجري على مايريدونه، تجري في أيّ موضع أرادوا جريها فيه.

ويجوز أن تكون (جَارِيَة) أي دائمة أبدًا لاتنقطع، ويجوز أن تكون العين من الماء أو من الخمر أو من العسل أو من اللّبن. (١٠: ٤٧٠)

الزّمَخْشَريّ: يريد عيونًا في غاية الكثرة، كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ الانفطار: ٥. (٤: ٢٤٧)

الطَّبْرِسيّ: قيل: إنّه اسم جنس، ولكلّ إنسان في قصره من الجنّة عين جارية، من كلّ شراب يشتهيه. وفي العيون الجارية من الحسن واللّذّة والمنفعة مالايكون في الواقفة، ولذلك وصف بها عيون أهل الجنّة.

(٥: ٤٧٩)

القُرطُبيّ: أي بماء مندفق، وأنواع الأشربة اللّذيذة على وجه الأرض، من غير أُخدود. وقد تقدّم في سورة (الإنسان) أنّ فيها عيونًا، فـ(عَيْن) بمعنى عيون، والله أعلم. (٢٠: ٣٣)

البَيْضاويّ: يجري ماؤها ولاينقطع، والتّنكير للتّعظيم. (٢: ٥٥٥)

ابن كثير: أي سارحة، وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عينًا واحدة، وإنّما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات. (٧: ٢٧٦)

البُرُوسَويّ: التّنوين للتّكثير، أي عيون كثيرة

تجري مياهها على الدّوام حيث شاء صاحبها، وهي أشدّ بياضًا من اللّبن وأحلى من العسل، مَن شرب منها لايظمأ بعدها أبدًا ويذهب من قلبه الغلّ والغشّ والحسد والعداوة والبغضاء.

وفيه إشارة إلى عيون الذّوق والكشف والوجدان والتّوحيد، فإنّ بها يحصل الشّفاء والصّحّة، والبقاء لأهل القلوب وأصحاب الأرواح. (١٠: ٤١٥)

الآلوسيّ: قيل: يجري ماؤها ولاينقطع. وعدم الانقطاع إمّا من وصف العين، لأنّها الماء الجاري، فوصفها بالجريان يدلّ على المبالغة، كما في (نَارٌ حَامِيَةٌ). وإمّا من اسم الفاعل، فإنّه للاستمرار بقرينة المقام، والتّنكير للتّعظيم. (٣٠: ١١٥)

الطّباطَبائيّ: المراد بالعين: جنسها، فقد عدّ تعالى فيها عيونًا في كلامه، كالسّلسبيل والشّراب الطّهور، وغيرهما. (٢٠: ٢٧٤)

مكارم الشّيرازيّ: ظاهر كلمة (عين) في الآية، أنّها عين واحدة، بدليل مجيئها نكرة، إلّا أنّه بالرّجوع إلى بقيّة الآيات في القرآن الكريم، يتبيّن لنا أنّها للجنس، فهي والحال هذه تشتمل عيونًا مختلفة، ومن قرائن ذلك ماجاء في الآية ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الذّاريات: ١٥.

وقيل: في كلّ قصر من قصور أهل الجنّة ثمّة عين جارية، وهو المراد في الآية. ومن ميزة تلك الأنهار أنّها تجري حسب رغبة أهل الجنّة، فلاداعي معها لشقّ أرض أو وضع سدّ.

وينهل أهل الجنّة أشربة طاهرة ومتنوّعة. فتلك العيون وعلى مالها من رونق وروعة، فلكلّ منها شراب معيّن له مواصفاته الخاصّة به. (٢٠: ١٤٣)

فضل الله: تُثير في الجوّ الكثير الكثير من المتعة واللّذّة الرّوحيّة والجمال، فهي تمثّل الينبوع المتدفّق الّذي يخرج من الأرض، ويتدفّق ويجري لينشر فيها الخِصب والنّضرة والخضرة والجمال، وهي تُثير الجوّ البارد الوديع الّذي يجعل أهل الجنّة ينتشرون في ظلاله، على ضفاف هذه العين، وفي امتداد جريانها، ليَنعموا باللّقاءات الحلوة اللّذيذة البديعة الّتي يجتمع إليها النّاس، عند ضفاف الينابيع. (٢٤: ٢٢٣)

الجَارِيَة

إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ.
الحاقّة: ١١

ابن عبّاس: في سفينة نوح. (٤٨٣)

نحوه السُّدّيّ (٤٦١)، وابن زَيْد (الطّبَريّ ٢٩: ٥٤).

الطّبَريّ: حملناكم في السّفينة الّتي تجري في الماء. (٢٩: ٥٤)

نحوه الواحديّ (٤: ٣٤٥)، والبغويّ (٥: ١٤٥)، والقُرطُبيّ (١٨: ٢٦٣)، والخازن (٧: ١١٩)، والقاسميّ (١٦: ٥٩١٣).

الماوَرْديّ: يعني سفينة نوح، سمّيت بذلك لأنّها جارية على الماء. (٦: ٧٩)

نحوه المَيْبُديّ. (١٠: ٢٠٩)

الطّوسيّ: [نحو الماوَرْديّ وأضاف:]

ومنه قوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ

كَالْأَعْلَامِ﴾ الرّحمن: ٢٤، والجـارية: المرأة الشّابّـة تسمّى بذلك، لأنّها يجري فيها ماءُ الشّباب. (١٠: ٩٧)

نحـوه الطّـبْرِسيّ (٥: ٣٤٥)، والفخرالرّازيّ (٣٠: ١٠٦).

الشِّربينيّ: أي السّفينة الّتي جعلناها بحكمتنا عريقة في الجريان، حتّى كأنّه لاجارية غيرها على وجه الماء الّذي جعلنا من شأنه الإغراق. والمحمول في الجارية إنّما هو نوح عليه السلام وأولاده، وكلّ من على وجه الأرض من نسل أُولئك، والجارية من أسماء السّفينة... (٤: ٣٧٠)

راجع: «ح م ل».

الجَارِيَات

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. الذّاريات: ٣

الإمام عليّ عليه السلام: هي السّفن. (الطّبَريّ ٢٦: ١٨٧)

مثله السُّدّيّ. (٤٤٤)

الفَرّاء: هي السّفن تجري ميسّرة. (٣: ٨٢)

ابن قُتَيْبَة: أي السّفن تجري في الماء جريًا سهلًا. (٤٢٠)

مثله السّجستانيّ (١٧٧)، ونحـوه الواحـديّ (٤: ١٧٣)، والطُّوسيّ (٩: ٣٧٩)، والبَغَويّ (٤: ٢٨٠).

الطّبَريّ: فالسّفن الّتي تجري في البحار سهلًا يسيرًا. (٢٦: ١٨٧)

الماوَرْديّ: فيها قولان: أحدهما: السّفن تجري بالرّياح سيرًا إلى حيث سُيّرت. الثّاني: أنّه السّحاب. (٥: ٣٦١)

الزّمَخْشَريّ: الفُلك. (٤: ١٣)

ابن عَطِيّة: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام وغيره: هي السّفن في البحر، وقال آخرون: هي السّحاب بالرّيح، وقال آخرون: هي الجواري من الكواكب، واللّفظ يقتضي جميع هذا. (٥: ١٧١)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٤١٩)، والشِّربينيّ (٤: ٩٣)، وأبوالسُّعود (٦: ١٣٢)، والقاسميّ (١٥: ٥٥٢١)، وعِزّة دَرْوَزَة (٥: ٢٩٠).

البُرُوسَويّ: أي فالسّفن الجارية في البحر جريًا يسيرًا، أي ذا يُسر وسهولة. (٩: ١٤٧)

نحوه الآلوسيّ. (٢٧: ٢)

المَراغيّ: هي الرّياح الجارية في مهابّها بسهولة. (٢٦: ١٧٣)

الطّباطَبائيّ: إقسام بالسّفن الجارية في البحار بيسر وسهولة. (١٨: ٣٦٥)

المُصْطَفَويّ: أي جميع السّيّارات الطّبيعيّة التّكوينيّة من النّجوم ومتعلّقاتها، ومنها الشّمس والقمر والأرض وهوائها، ويجمعها قاطبة التّكوينيّات وهي مظاهر عظمة الله تعالى وقدرته. (٢: ٨٠)

الجَوَارِ

١ـ وَمِنْ اٰيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. الشّورى: ٣٢

ابن عبّاس: يعني السُّفن. (٤٠٩)

نحوه مُجاهِد (الطّبَريّ ٢٥: ٣٣)، والسُّدّيّ (٤٣٢)، وابن قُتَيْبَة (٣٩٣).

الطّبَريّ: السّفن الجارية في البحر، والجواري: جمع

جارية، وهي السّائرة في البحر. (٢٥: ٣٣)

نحوه الواحديّ (٤: ٥٦)، والبغويّ (٤: ١٥٠)، والمَيْبُديّ (٩: ٣٠)، والطَّبْرِسيّ (٥: ٣٢)، والبَيْضاويّ (٢: ٣٥٨)، وأبوالسُّعود (٦: ٢٠)، والكاشانيّ (٤: ٣٧٧).

السِّجستانيّ: أي السّفن في البحر كالجبال، الواحد: جارية، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ الحاقّة: ١١، يعني سفينة نوح عليه السلام. (١٦٧)

أبوزُرْعَة: قرأ ابن كثير (وَمِنْ اٰيَاتِهِ الْجَوَارِى) بالياء في الوصل والوقف على الأصل، واحدها: جارية، فلام الفعل ياء.

وقرأ نافع وأبوعمرو بإثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف، وإنّما قرءا كذلك ليكونا متّبعين للكتاب وللأصل.

وقرأ أهل الشّام والكوفة بحذف الياء في الوصل والوقف، لأنّ مرسوم المصاحف بغير ياء، فاتّبعوا المصاحف. (٦٤٢)

الطُّوسيّ: [نحو أبي زُرْعَة وأضاف:]

ومَن أثبت الياء في الحالين في قوله: (الْجَوَارِى) فلأنّها الأصل، لكن خالف المُصحف، ومن أثبتها وصلًا دون الوقف استعمل الأصل وتبع المُصحف، ومن حذفها في الحالين يتّبع المُصحف، واجتزأ بالكسرة الدّالّة على الياء. وواحد الجواري: جارية، وهي السّفينة.

وحُكي عن ابن مَسعود أنّه قرأ بضمّ الرّاء، كأنّه قلب، كما قالوا: «شاكٍ» في «شائك» فأراد «الجوائر» فقلب. (٩: ١٦٥)

ابن عَطيّة: [ذكر القراءات ثمّ قال:]

[قال أبوحاتم: نحن نثبتها في كلّ حال] (٥: ٣٨)

الفَخْرالرّازيّ: وفي الآية مسائل:

المسألة الأُولى: قرأ نافع وأبوعمرو (الجَوَاري) بياء في الوصل والوقف، فإثبات الياء على الأصل، وحذفها للتّخفيف.

المسألة الثّانية: (الجَوَاري) يعني السّفن الجواري، فحذف الموصوف لعدم الالتباس.

المسألة الثّالثة: اعلم أنّه تعالى ذكر من آياته أيضًا هذه السّفن العظيمة الّتي تجري على وجه البحر، عند هبوب الرّياح. (٢٧: ١٧٤)

القُرطُبيّ: أي ومن علاماته الدّالّة على قدرته السّفن الجارية في البحر، كأنّها من عظمها أعلام. (١٦: ٣٢)

الشِّربينيّ: [نحو الطَّبْرِيّ ثمّ قال:]

فإن قيل: الصّفة متى لم تكن خاصّة بموصوفها امتنع حذف الموصوف، فلاتقول: مررت بماشٍ، لأنّ المشي عامّ، وتقول: مررت بمهندس وكاتب، والجري ليس من الصّفات الخاصّة، فما وجه ذلك؟

أُجيب: بأنّ قوله تعالى: (فِي الْبَحْرِ) قرينة دالّة على الموصوف، فلذلك حذف. ويجوز أن تكون هذه صفة غالبة كالأبطح والأُبرق، فوليت العوامل دون موصوفها. (٣: ٥٤٤)

أبوحَيّان: (الجَوَاري) جمع جارية، وأصله: السّفن الجواري، حذف الموصوف وقامت صفته مقامه، وحسن

ذلك قوله: (فِي الْبَحْرِ) فدلّ ذلك على أنّها صفة للسّفن، وإلّا فهي صفة غير مختصّة، فكان القياس أن لايُحذف الموصوف ويقوم مقامه. ويمكن أن يقال: إنّها صفة غالبة كالأبطح، فجاز أن تلي العوامل بغير ذكر الموصوف.

(٧: ٥٢٠)

البُرُوسَويّ: (الْجَوَارِ): السّفن الجارية، وهي بالياء في الأصل حذفت، والكسر دالّ عليها.

فقوله: (جَوار): جمع جارية، بمعنى سائرة صفة للسّفن المقدّرة، و(فِي الْبَحْرِ) متعلّق بـ(الْجَوَار) وحال منه إن كانت الجارية جامدة اسمًا للسّفينة بالغلبة، سمّيت بها لجريها. (٨: ٣٢٤)

نحوه الآلوسيّ. (٢٥: ٤٢)

العامليّ: (الجَوَاري) مفردًا وجمعًا كالجوار والجاريات، والمراد به السّفينة، لجريانها في البحر، إلّا في سورة التّكوير، فإنّ المراد فيها النّجوم الجارية في الفلك. [إلى أن قال:]

فالمراد بالجوار والجاريات أيضًا: الأئمّة عليهم السلام، وهكذا المراد بما يفيد هذا المعنى كالسّفينة والفُلْك ونحوهما، كما سيأتي كلّ في محلّه. ويُؤيّد ماذكرنا قوله عليه السلام في بعض خطبه[1]: «أنا أنشأتُ جواري الفُلْك» قال الباقر عليه السلام: يعني به أنّ الأئمّة الهداة منّي. (١١٩)

عِزّة دَرْوَزَة: (الْجَوَارِ): جمع الجارية، وهي كناية عن سفن البحر. (٥: ١٨٥)

مكارم الشّيرازيّ: جوار: جمع جارية، وهي صفة للسّفن جمع سفينة؛ حيث لم تُذكر للاختصار، وعادةً فإنّ الآية تقصد حركة السُّفن، ولذا فقد استخدمت هذه الصّفة.

أمّا مايذكره العرب من لفظ الجارية للبنت الشّابّة، فذلك لأنّ الشّباب والنّشاط يجري في عروقها ووجودها. (١٥: ٤٩٨)

فضل الله: وهي السّفن الجارية في البحار الّتي تبدو للنّاظر من بعيد كالجبال، أو الّتي تبلغ في ضخامتها حجم الجبال. (٢٠: ١٨٦)

٢ـ وبهذا المعنى جاءت الآية (٢٤) من سورة الرّحمن.

٣ـ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ.

التّكوير: ١٥، ١٦

الزّجّاج: (الجَوَاري): جمع جارية من جرى يجري. (٥: ٢٩١)

الطُّوسيّ: معناه النّجوم الّتي تجري في مسيرها ثمّ تغيب في مغاربها، على مادبّره تعالى فيها، ففي طلوعها، ثمّ جريها في مسيرها، ثمّ غيبتها في مواقفها من الآية العظيمة والدّلالة الباهرة المؤدّية إلى معرفته تعالى، مالايخفى على متأمّل معرفته وعظيم شأنه. فالجارية: النّجوم السّيّارة، والجارية: السُّفن في البحار، والجارية: المرأة الشّابّة. (١٠: ٢٨٥)

الزّمَخْشَريّ: و(الجَوَارِي): السّيّارة. (٤: ٢٢٣)

مثله النّسَفيّ. (٤: ٣٣٦)

ابن عَطيّة: أثبت يعقوب الياء في (الجَواري) في الوقف، وحذفها الباقون. (٥: ٤٤٣)

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٥١٢.

الطَّبْرِسيّ: و(الجَوَاري) صفة لها [بالخُنَّسِ] لأنّها تجري في أفلاكها. (٥: ٤٤٦)

نحوه الكاشانيّ. (٥: ٢٩٢)

راجع «خ ن س»

مَجْرٰيهَا

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا...

هود: ٤١

مُجاهِد: (بِسْمِ اللهِ مُجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا) حين يركبون ويُجْرُون ويُرسون. (الطّبَريّ ١٢: ٤٤)

الضَّحّاك: إذا أراد أن تُرسي قال: بسم الله، فأرست، وإذا أراد أن تجري قال بسم الله، فجرَت. (الطّبَريّ ١٢: ٤٤)

أبوعُبَيْدَة: (مَجْرٰيهَا) أي مسيرها، وهي من جَرت بهم. ومن قال: (مُجْراها) جعله من أجريتُها أنا. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٨٩)

نحوه ابن قُتَيْبَة. (٢٠٤)

الطَّبَريّ: واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيّين (بِسْمِ اللهِ مُجْرٰيهَا وَمُرْسٰيها) بضمّ الميم في الحرفين كليهما. وإذا قُرئ كذلك كان من أجرى وأرسى، وكان فيه وجهان من الإعراب:

أحدهما: الرّفع، بمعنى بسم الله إجراؤها وإرساؤها، فيكون المُجْرى والمُرْسى مرفوعين حينئذ بالباء الّتي في قوله: (بِسْمِ اللهِ).

والآخر: النّصب بمعنى بسم الله عند إجرائها وإرسائها، أو وقت إجرائها وإرسائها، فيكون قوله: ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ كلامًا مكتفيًا بنفسه، كقول القائل عند ابتدائه في عمل يعمله: باسم الله، ثمّ يكون «المُجْرى والمُرسى» منصوبين على مانصبت العرب قولهم: الحمد لله سرارَك وإهلالَك، يعنون الهلال: أوّله وآخره، كأنّهم قالوا: الحمد لله أوّل الهلال وآخره، ومسموع منهم أيضًا: الحمد لله ماإهلالك إلى سرارك.

وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفيّين ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ بفتح الميم من (مَجْرٰيهَا) وضمّها من (مُرْسٰيهَا)، فجعلوا (مَجْرٰيهَا) مصدرًا، من جرى يجري مَجْرًى، و(مُرْسٰيها) من أرسى يُرسي إرساءً. وإذا قرئ ذلك كذلك كان في إعرابها من الوجهين، نحو الّذي فيهما إذا قُرئا: (مُجْرٰيهَا ومُرْسٰيها) بضمّ الميم فيهما على مابيّنت.

ورُوي عن أبي رجاء العُطارديّ، أنّه كان يقرأ ذلك (بِسْمِ اللهِ مُجْريها وَمُرْسيهَا) بضمّ الميم فيهما، ويصيّرهما نعتًا لله، وإذا قُرئا كذلك كان فيهما أيضًا وجهان من الإعراب، غير أنّ أحدهما الخفض وهو الأغلب عليهما من وجهي الإعراب، لأنّ معنى الكلام على هذه القراءة: بسم الله مُجري الفُلك ومُرسيها، فالمُجري نعت لاسم الله.

وقد يحتمل أن يكون نصبًا، وهو الوجه الثّاني، لأنّه يحسن دخول الألف واللّام في المُجري والمرسي، كقولك: بسم الله المُجريها والمُرسيها، وإذا حُذفتا نصبتا على الحال؛ إذ كان فيهما معنى النّكرة، وإن كانا مضافين إلى المعرفة.

وقد ذُكر عن بعض الكوفيّين أنّه قرأ ذلك (مَجْرٰيهَا ومَرْسٰيها) بفتح الميم جميعًا، من: جَرى ورسَا، كأنّه

وجهه إلى أنّه في حال جريها، وحال رسوّها، وجعل كلتا الصّفتين لـ(الفُلك). [ثمّ استشهد بشعر]

والقراءة الّتي نختارها في ذلك: قراءة من قرأ (بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا) بفتح الميم (وَمُرْسٰيهَا) بضمّ الميم، بمعنى بسم الله حين تجري وحين تُرسي.

وإنّما اخترت الفتح في ميم (مَجْرٰيهَا) لقرب ذلك من قوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ ولم يقل: «تُجرى بهم»، ومن قرأ (بِسْمِ اللهِ مُجْرٰيهَا) كان الصّواب على قراءته أن يُقرأ: «وهي تُجرى بهم». وفي إجماعهم على قراءة (تَجْرِي) بفتح التّاء دليل واضح على أنّ الوجه في (مَجْرٰيهَا) فتح الميم.

وإنّما اخترنا الضّمّ في (مُرْسٰيهَا) لإجماع الحجّة من القُرّاء على ضمّها.

ومعنى قوله: (مَجْرٰيهَا): مسيرها، (وَمُرْسٰيهَا): وقفها، من وقفها الله وأرساها. وكان مُجاهد يقرأ ذلك بضمّ الميم في الحرفين جميعًا. (١٢: ٤٣)

نحوه الزّجّاج (٣: ٥٢)، وأبوزُرْعَة (٣٤٠).

السِّجستانيّ: أي إجراؤها، أي إقرارها، وقرئت (مَجْرٰيهَا) بالفتح، أي جريها. (٨٥)

الماوَرْديّ: (مَجْرٰيهَا) أي مسيرها (وَمُرْسٰيهَا) أي مثبتها. [ثمّ قال نحو الضّحّاك] (٢: ٤٧٣)

الطُّوسيّ: والمجري يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون موضع الإجراء، والثّاني: وقت الإجراء، والثّالث: نفس الإجراء. (٥: ٥٥٩)

الزّمَخشَريّ: يراد بالله إجراؤها وإرساؤها، أي بقدرته وأمره. وقُرئ (مَجْرٰيهَا ومَرْسٰيهَا) بفتح الميم من جَرى ورسَا: إمّا مصدرين، أو وقتين، أو مكانين. وقرأ مُجاهِد (مُجْرِيهَا ومُرْسِيهَا) بلفظ اسم الفاعل مجروري المحلّ، صفتين لله. (٢: ٢٦٩)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٦٨)، والنّسَفيّ (٢: ١٨٨)، ورشيد رضا (١٢: ٧٦).

ابن عَطيّة: قوله: (مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا) ظرفين، أي وقت إجرائها وإرسائها، كما تقول العرب: الحمد لله سرارَك وإهلالَك، وخفوقَ النّجم ومقدمَ الحاجّ، فهذه ظرفيّة زمان، والعامل في هذا الظّرف ما في (بِسْمِ اللهِ) من معنى الفعل.

ويصحّ أن يكون قوله: (بِسْمِ اللهِ) في موضع خبر و﴿مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ ابتداء، مصدران، كأنّه قال: اركبوا فيها فإنّ ببركة الله إجراءها وإرساءها، وتكون هذه الجملة ـ على هذا ـ في موضع حال من الضّمير في قوله: (فِيهَا).

ولايصحّ أن يكون حالًا من الضّمير في قوله: (ارْكَبُوا) لأنّه لاعائد في الجملة يعود عليه؛ وعلى هذا التّأويل [قول] الضّحّاك. (٣: ١٧٢)

الفَخْرالرّازيّ: أمّا قوله: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ ففيه مسائل. [ذكر القراءات في المسألة الأُولى و الثّانية ثمّ قال:]

المسألة الثّالثة: في الآية احتمالان:

الاحتمال الأوّل: أن يكون مجموع قوله: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ كلامًا واحدًا، والتّقدير: وقال: اركبوا فيها بسم الله مَجْرٰيهَا ومُرْسٰهَا، يعني ينبغي أن يكون الرّكوب مقرونًا بهذا الذّكر.

والاحتمال الثّاني: أن يكونا كلامين، والتّقدير: أنّ نوحًا عليه السلام أمرهم بالرّكوب، ثمّ أخبرهم بأنّ ﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ ليس إلّا (بِسْمِ اللهِ) وأمره وقدرته.

فالمعنى الأوّل يشير إلى أنّ الإنسان لاينبغي أن يشرع في أمر من الأمور إلّا ويكون في وقت الشّروع فيه ذاكرًا لاسم الله تعالى بالأذكار المقدّسة، حتّى يكون ببركة ذلك الذّكر سببًا لتمام ذلك المقصود.

والمعنى الثّاني يدلّ على أنّه لمّا ركب السّفينة أخبر القوم بأنّ السّفينة ليست سببًا لحصول النّجاة، بل الواجب ربط الهمّة وتعليق القلب بفضل الله تعالى، وأخبرهم أنّه تعالى هو المُجري والمُرسي للسّفينة، فإيّاكم أن تعوّلوا على السّفينة، بل يجب أن يكون تعويلكم على فضل الله، فإنّه هو المُجري والمُرسي لها.

فعلى التّقدير الأوّل: كان نوح عليه السلام وقت ركوب السّفينة في مقام الذّكر، وعلى التّقدير الثّاني: كان في مقام الفكر والبراءة عن الحول والقوّة، وقطع النّظر عن الأسباب، واستغراق القلب في نور جلال مسبّب الأسباب.

واعلم أنّ الإنسان إذا تفكّر في طلب معرفة الله تعالى بالدّليل والحجّة، فكأنّه جلس في سفينة التّفكّر والتّدبّر، وأمواج الظّلمات والضّلالات قد علت تلك الجبال وارتفعت إلى مصاعد القِلال، فإذا ابتدأت سفينة الفكرة والرّويّة بالحركة وجب أن يكون هنالك اعتماده على الله تعالى وتضرّعه إلى الله تعالى، وأن يكون بلسان القلب ونظر العقل يقول: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ حتّى تصل سفينة فكره إلى ساحل النّجاة، وتتخلّص عن أمواج الضّلالات. (١٧: ٢٢٩)

نحوه ملخّصًا النّيسابوريّ. (١٢: ٢٧)

القُرطُبيّ: قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة بضمّ الميم فيهما إلّا من شذّ، على معنى بسم الله إجراؤها وإرساؤها. (مُجْراها ومُرْساها) في موضع رفع بالابتداء، ويجوز أن تكون في موضع نصب، ويكون التّقدير: بسم الله وقت إجرائها ثمّ حذف وقت، وأُقيم (مَجْرٖيهَا) مقامه. [ثمّ ذكر القراءات] (٩: ٣٦)

أبوحَيّان: ﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ منصوبان إمّا على أنّهما ظرفا زمان أو مكان، لأنّهما يجيئان لذلك، أو ظرفا زمان على جهة الحذف كما حذف من: جئتك مقدم الحاجّ، أي وقت قدوم الحاجّ، فيكون ﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ مصدران في الأصل حذف منهما المضاف، وانتصبا بما في «بِسْمِ اللهِ» من معنى الفعل.

ويجوز أن يكون (بِسْمِ اللهِ) حالًا من ضمير (فيهَا) و﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ مصدران مرفوعان على الفاعليّة، أي اركبوا فيها ملتبسًا باسم الله إجراؤها وإرساؤها، أي ببركة اسم الله، أو يكون ﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ مرفوعين على الابتداء و(بِسْمِ اللهِ) الخبر، والجملة حال من الضّمير في (فيهَا). وعلى هذه التّوجيهات الثّلاثة فالكلام جملة واحدة والحال مقدّرة، ولايجوز مع رفع ﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ على الفاعليّة أو الابتداء أن يكون حالًا من ضمير (ارْكَبُوا) لأنّه لاعائد عليه فيما وقع حالًا.

ويجوز أن يكون ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ جملة ثانية من مبتدإ وخبر لاتعلّق لها بالجملة الأُولى من حيث الإعراب، أمرهم أوّلًا بالرّكوب، ثمّ أخبر أنّ ﴿مَجْرٖيهَا

وَمُرْسٰيهَا﴾ بذكر الله أو بأمره وقدرته. فالجملتان كلامان محكيّان بـ(قَالَ)، كما أنّ الجملة الثّانية محكيّة أيضًا بـ(قَالَ). (٥: ٢٢٥)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة الجَرْي، أي السّيح. يقال: جرى الماء والدّم ونحوهما جَرْيًا وجَرْيَةً وجَرَيانًا، أي ساحَ، وأجرَيتُه: أسحتُه وأسلتُه، وإنّه لحسن الجِرْيَة، وماأشدّ جِرْيَة هذا الماء! والمَجرَى: مسيل الماء.

وجرى الفرس وغيره جَرْيًا وجِراءً: أجراه. يقال: فرَسٌ ذو أجاريّ، أي ذوفنون في الجَرْي، والإجْرِيّا: ضرب من الجَري.

وجرت الشّمس: سارت من المشرق إلى المغرب، ويقال أيضًا: جرت النّجوم، والجارية: الشّمس، لأنّها تجري من القطر إلى القطر، والرّيح، والسّفينة، لأنّهما تجريان، والنّعمة من الله على عباده، لأنّها دائمة الجري، والفتيّة من النّساء، لأنّها تُستجرَى في الخدمة، والجمع: الجواري.

والجِراية: الجاري من الوظائف. يقال: أجرَيت عليه كذا، أي أدمت له، وجرى له ذلك الشّيء، ودرّه له: دامَ له.

والإجْرِيّا والإجْرِيّاء: الجَري والعادة تأخذ فيه، لأنّ من تطبّع بطبع جرَى إليه. يقال: الكرم من إجريّاه ومن إجريّائه، أي من طبيعته.

والجَريّ: الوكيل، سمّي بذلك لأنّه يجري مجرى موكّله، يقال: إنّي جرَيتُ جَريًّا واستجرَيتُ، أي اتّخذت وكيلًا، وهو الرّسول أيضًا، لأنّه يُجرى في الحاجات، يقال: أجراه في حاجته، والخادم، والأجير، والضّامن.

والمَجرى في الشّعر: حركة حرف الرّويّ، سمّي بذلك لأنّه موضع جَري حركات الإعراب والبناء، كالفتحة والضّمّة والكسرة.

والمَجاري: أواخر الكلم، لأنّ حركات الإعراب والبناء تكون هنالك.

وجاراه مُجاراة وجِراء: جرى معه. يقال: جاراه في الحديث وتجارَوا فيه.

٢ـ ويُطلق على ضرب من الخطّ التّركيّ اسم «جاري»، يستعمل في كتابة ديباجة الفرمانات عادة، ولعلّه مشتقّ من الجَري، لسلاسة قلمه وانسيابه. وهو يتكوّن من النّسخ والتّعليق والدّيوانيّ، ويكتب مائلًا من الأعلى إلى الأسفل، بوضع الكلمات بصورة متراكبة.

ويكاد الخطّ الفارسيّ يُشبهه، لولا أنّه يُرسم مائلًا من الأسفل إلى الأعلى، ويتكوّن من النّسخ والتّعليق فقط، ولذا سمّي باسم «التّعليق» و«النّستعليق» و«النّسخ تعليق». وهو خطّ رشيق ذو خطوط متشابهة في النّسبة الفاصلة.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت منها (٩) كلمات فعلًا واسمًا وصفة واسم مكان، في (٦٤) آية:

١ـ ﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتّٰى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ...﴾ يونس: ٢٢

٢ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ...﴾
البقرة: ١٦٤

٣ـ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾
هود: ٤٢

٤ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾
لقمان: ٣١

٥ـ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾
إبراهيم: ٣٢

٦ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾
الحجّ: ٦٥

٧ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
الرّوم: ٤٦

٨ـ ﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
الجاثية: ١٢

٩ـ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾
القمر: ١٣، ١٤

١٠ـ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾
الأنبياء: ٨١

١١ـ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾
صٓ: ٣٦

١٢ـ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾
يٰس: ٣٨، ٣٩

١٣ـ ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾
الرّعد: ٢

١٤ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
لقمان: ٢٩

١٥ـ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾
فاطر: ١٣

١٦ـ ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾
الزّمر: ٥

١٧ـ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾
الرّحمٰن: ٥٠

١٨ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾
التّحريم: ٨

١٩ إلى ٥٧ مضت في (تَحْتَ) وفيها (جَنّاتٌ) أو (جَنَّةٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

الجارية والجاريات:

٥٨ ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ الحاقّة: ١١

٥٩ ـ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ الغاشية: ١٢

٦٠ ـ ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ الذّاريات: ٣

الجوار:

٦١ ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ الشّورى: ٣٢

٦٢ ـ ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ الرّحمن: ٢٤

٦٣ ـ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ التكوير: ١٥، ١٦

مَجْرِيها:

٦٤ ـ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ...﴾ هود: ٤١

يلاحظ أوّلًا: أنّ الجري أُسند إلى أُمور:

١ ـ الفُلك: (٩) مرّات فعلًا، في (١ ـ ٩)، وصفةً: (٥) مرّات، في (٥٨ ـ ٦٣)، واسم مكان مرّة في (٦٤).

٢ ـ الرّيح: مرّتين في (١٠) و(١١).

٣ ـ الشّمس: مرّةً، والشّمس والقمر (٤) مرّات في (١٢ ـ ١٦).

٤ ـ العين مرّتين: مفردةً في (٥٩) ومثنًى في (١٧).

٥ ـ الأنهار: ٤٠ مرّة: ـ في (١٨) هنا، و(٣٩) مرّةً مضت في (تَحْت): (١١ ـ ٤٩) بأصنافها واستعمالها القرآنيّ، فلاحظ.

ثانيًا: جاء الفعل مع الباء الإلصاقيّة (٤) مرّات: في (١) و(٣) ﴿جَرَيْنَ بِهِمْ﴾ و﴿تَجْرِى بِهِمْ﴾ و(٢) ﴿تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ و(٤) ﴿تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾، فالجري فيها بمعنى الإجراء متعدّيًا، وجاء مع السّببيّة (٥) مرّات: في (٥ ـ ٨): ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِ﴾، و(٩) ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ فالجري فيها لازم.

ثالثًا: جاءت (الفُلك) مع (البحر) أو (الموج) (٨) مرّات: في (١ ـ ٨)، وجاءت ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ ـ والمراد بها الفُلك ـ مرّةً في (٩)، وجاءت الجارية مرّتين: اسمًا مرّةً في (٥٨) ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، وصفةً مرّةً في (٥٩): ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، وجاءت اسمًا جمعًا بلفظين: (الْجَارِيَاتِ) مرّة في (٦٠): ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾، و(الجَوَارِى): (٣) مرّات، في (٦١ ـ ٦٣).

رابعًا: ثلاث منها جاءت بشأن نوح عليه السلام والطّوفان: (٣) و(٥٨) و(٦٤) وهي: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، و﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾.

فجاء في الأُولى (مَجْرِيهَا) بإزاء (مُرْسَيهَا)، فصوّرت لنا حالتي جَرْي الفلك وإرساءها، وكلاهما حدث باسم الله، كما صوّرت لنا الثّانية صعوبة جريها: ﴿وَهِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾، والثّالثة شدّة طغيان الماء ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ حيث عبّر

الله عن نفسه بنون التّعظيم مرّتين، ومع (إنّ) مرّة.

خامسًا: في ﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ أربع قراءات:

١ـ بضمّ الميم فيها، ونسبها الطّبَريّ إلى عامّة أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيّين، من «أجرى وأرسى».

واحتمل فيها وجهين من الإعراب:

الأوّل: الرّفع بمعنى «بسم الله إجراؤها وإرساؤها» فهما مصدران، ورفعهما بمتعلّق الباء في (بِسْمِ اللهِ) أي يكون باسم الله إجراؤها وإرساؤها. وحجّة هذه القراءة أنّ ضمّ (مُجْرٖيهَا) محلّ اتّفاق، فَرُدّ ما اختلفوا فيه إلى ما اجتمعوا فيه.

والثّاني: النّصب ظرفًا «أي عند إجرائها وإرسائها» أو «وقت إجرائها وإرسائها»، وعليه فهما اسما زمان أو مكان. وقال: وهذا نظير: «الحمد لله سِرارَك وإهلالَك» أي ابتداءك وانتهاءك.

٢ـ بفتح الميم في (مَجْرٖيهَا) وضمّها في (مُرْسٰيهَا) ونسبها إلى عامّة الكوفيّين، وعليه فهما مصدران من (جَرى وأرسى) وفي إعرابهما وجهان مثل الأوّل، واختار الطّبَريّ هذه القراءة، وجعلها اسما زمان، أي بسم الله حين تجري وحين تُرسي ورجّح الفتح في (مَجرى) لقربها من ﴿وَهِيَ تَجْرٖي بِهِمْ﴾.

٣ـ ما نقل عن أبي رجاء العُطارديّ: (مُجْرِيهَا ومُرْسِيها) بضمّ الميم وكسر الرّاء والسّين فيها نعتًا لله، فهما مجروران صفةً له، أو منصوبان حالاً منه.

٤ـ نُقل عن بعض الكوفيّين بفتح الميم فيهما من «جَرى ورَسا» حالاً لـ(الفُلْك) أي في حال جَريها ورَسيها.

وعند الطُّوسيّ: في (مَجْرٖيهَا) بالفتح ثلاثة أوجه: موضع الإجراء، وقت الإجراء، نفس الإجراء، فهو عنده أيضًا اسم مكان وزمان، أو مصدر ميميّ من «جَرى».

وتوجد عند الآخرين بعض ماذكر إلّا أنّ أباحيّان احتمل كون ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ مبتدأ وخبرًا وقُدّم الخبر وهو (بِسْمِ اللهِ) فهو كلام ثان، قبال الكلام الأوّل: ﴿قَالَ ارْكَبُوا فٖيهَا﴾. وهذا أحد الاحتمالين عند الفَخْرالرّازيّ، والاحتمال الآخر عنده أن يكون: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فٖيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرٖيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ كلامًا واحدًا، كما يتراءى من غيره، وهو الأقرب.

سادسًا: في (١) بحوثٌ:

١ـ ذكروا للالتفات فيها من الخطاب إلى الغيبة ﴿كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ...وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ وجوهًا:

أحدها: المبالغة، كأنّه يذكر لغيرهم حالهم ليُعجبهم منها، ويستدعي منهم مزيدًا من الإنكار والتّقبيح، الزّمَخْشَريّ.

ثانيها: أنّه خاطب العباد على لسان الرّسولﷺ، فهي بمنزلة الخبر عن الغائب، الجُبّائيّ.

ثالثها: أنّ الانتقال في الكلام من الحضور إلى الغيبة يدلّ على المقت والتّبعيد والطّرد، وهو اللّائق بحال هؤلاء المشركين، وهذا بعكس الانتقال من الغيبة إلى الحضور فإنّه يدلّ على مزيد من التّقريب والإكرام، كما في سورة الحمد، الفَخْرالرّازيّ.

رابعها: أنّه خطاب لمن كان في تلك الحال، وإخبار

لغيره من النّاس، الطُّوسيّ.

خامسها: ﴿كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ معقول حتّى إذا حصل بعضهم فيها صار خبرًا!!!ابن عَطيّة.

سادسها: وهو قريبٌ من الأوّل شدّة الاهتمام بـه، كأنّه صار حديثًا ينبغي الإخبار به، لينتشر بين النّاس، ولعلّه أقرب الوجوه.

٢ـ في ﴿جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ ثلاث باءات: أوّلها إلصاقيـة كما تقدّم، والأخيرتان سببيّتان.

٣ـ الضّمير في (جَرَيْنَ) للفلك، لأنّه جمع، ورجـع إليه ضمير العقلاء، وهو غـير عـاقل ـ وكـان التـوقّع «جرت» ـ إشارة إلى أنّ لـ(الفلك) سلطانًا على البـحر تغدو وتروح كيف تشاء وتتصرّف كيف تريد، حـتّى كأنّها ذات عقل مدبّر وإرادة نافذة. وهي بالفعل كذلك، لأنّها تجري بإرادة ملّاحيها، وأيضًا هي حاملة للعقلاء.

وعليه فلايصحّ ماقيل: من أنّ التّأنيث باعتبار السّفينة، لأنّ المناسب بهذا الاعتبار «جرت» لا(جَرَيْنَ)، كما في ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ البقرة: ١٦٤، ونحوها، وكذا في ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ هود: ٤١، لأنّهـا نـاظرة إلى جـريان الفلك، لا إلى حملها للنّاس كما في آيتنا هذه، فـلاحظ وتدبّر.

سابعًا: في (٣) بُحوثٌ:

١ـ قلنا إنّ الباء في ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ للإلصـاق والتّعدية، متعلّق بـ(تَجْرِي) كما في نظائرها، واحـتمل الآلوسيّ كونها حالًا من فاعل (تَجْرِي)؛ أي وهم فيها، أي ملتبسة بهم، وهو بعيد.

٢ـ ذكروا في إعراب ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ وجوهًا: الاستئناف، وإن شئت قلت: العطف على ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا﴾، أو كونها حالًا من الضّمير المستتر في (بِسْمِ اللهِ) أي جريانها استقرّ (بِسْمِ اللهِ) حال كـونها جـارية بهم، أو حالًا من محذوفٍ دلّ عليه السّياق، أي فركبوا فيها جارية بهم، بعطف المحذوف على المـذكور بـالفاء الدّالّة على التّرتيب والتّفريع.

وعليه فصيغة المضارع تحكي الحال الماضية، أي كانت تجري، واختاره الزّمخشريّ، وهو الأقرب. وعلى كلّ حال ففيها التفات من الحضور إلى الغيبة مثل (١) لكونها متعلّقةً بالمحذوف، وهو فعل غائب (فَرَكِبُوا).

٣ـ قالوا في: ﴿تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ﴾ إنّ السّـفينة كانت تجري داخل الموج فأوجبت الفرق، فلمّا أحاطت الأمواج بالسّفينة من الجوانب، شُبّهت بها إذا جرت في داخل تلك الأمواج، وهذا تصوير دقيق لجريان السّفينة بصعوبة وعَناء.

ثامنًا: أُريد بـ(الجـارية) في (٥٨) السّـفينة، وهـي سفينة نوح كما تقدّم، و(الجارية) فيها تُعتبر اسمًـا. أمّا في (٥٩) فهي وصف، وهو الأصل فيها، ثمّ تبدّلت اسمًـا بكثرة الاستعمال، ولأنّها صفة غالبة للسُّفن، كما تُسمّى الآن العَرَبات: سيّارةً وشاحنةً. وأيضًا تسـمّى المرأة الشّابـة جاريةً لكثرة جريان ماء الشّباب فيها ـ كما قيل ـ وجاءت (جَارِيَةٌ) في (٥٩) أيضًا، وستحدّث فيها.

تاسعًا: في (الْجَارِيَاتِ) (٦٠) ثلاثة وجوه: السُّفن والسُّحب والكواكب، واللّفظ يشملها جميعًا. واختاره المُصْطَفَويّ لأنّ جميعها مظاهر قدرة الله وعظمته، وقد

أقسم الله بها كما أقسم بالشّمس والقمر والنّجوم وغيرها. وهذا وجهٌ حسَن، لولا أنّ «الجارية» إطلاقًا وصف أو اسمٌ للسّفن دون السُّحب والكواكب، فلا يقال للسّحاب ولا للنّجم «جَارِيَة» كما يقال للسّفينة، إلّا مع ذكر الموصوف. ولعلّ في تركيز القرآن الجواري في البحر، في (٦١) و(٦٢) كآية من آيات قدرة الله تعالى، دليلًا على أنّ المراد بها في (٥٩) السّفن أيضًا، وكذا في تقيّدها بـ(يُسْرًا)، هذا إضافة إلى الرّوايات.

عاشرًا: جاءت (الجَوَارِى) ثلاث مرّات في (٦١ ـ ٦٣) وفيها بُحوثٌ:

١ـ قرئت (الْجَوَار) في الآيات بحذف الياء وإثباتها، وهذا أصلها، فإنّها جمع جارية، مثل حادثة وحوادث، وجارحة وجوارح، وغاشية وغواش.

٢ـ أُريد بها في (٦١) و(٦٢) السّفن، فجاء في (٦١) ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ وفي (٦٢) ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾، وتوصيفها بـ(الْمُنْشَآتُ) في (٦٢) تجسيم لكونها كالأعلام المنشآت في البحر، وهو مفهوم من (٦١) أيضًا. أمّا في (٦٣) وهي أيضًا قسَم مثل (٦٠) فكادوا أن يتّفقوا على أنّ المراد بها النّجوم، بقرينة وَصفي (الْخُنَّسِ وَالْكُنَّس). قال الطَّبْرِسيّ (٥: ٤٤٦): «هي النّجوم تخنس بالنّهار وتبدو باللّيل ...والكنّس: لأنّها تكنُس أي تتوارى في بروجها، كما تتوار الظّباء في كناسها، وهي خمسة أنجم: زُحل والمشتري والمرّيخ والزّهرة وعطارد، عن عليّ عليه السلام ...» ويؤيّده ما بعدها المعطوفة عليها: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ التّكوير: ١٧، ١٨، فإنّ اللّيل والصّبح ـ وهو النّهار ـ تناسبان النّجوم، فلاوجه ـ لما قيل ـ من أنّها الظّباء، لاحظ «خ ن س» و«ك ن س».

الحادي عشر: جاء في (١٠) و(١١) جري الرّيح بأمر سليمان، والبحث فيها موكول إلى «ريح وسليمان».

الثّاني عشر: جاء في (٥) آيات: (١٢ ـ ١٦) جريان الشّمس والقمر، والبحث المستوفى فيها موكول إلى (الشّمس والقمر)، وفيها آيات وأبحاث كثيرة، ونقتصر هنا بما يرتبط بهذه الآيات الخمس، وفيها بُحوثٌ:

١ـ جاء فيها (الشَّمْس وَالْقَمَر) معًا مع تقديم (الشّمس) وإتباعها بـ(القمر) حسب ماهو واقعها الطّبيعيّ، فعَطف (القمر) على (الشّمس) بلافصل في أربع منها: (١٣ ـ ١٦)، وفصل بينها في (١٢) فأردفها في آيتين ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾.

وخصّ (الشّمس) فيها بأنّها تجري لمستقرّ لها، فأبان أنّ للشّمس مستقرًّا تمسك عنده عن الجري، وفي «المستقرّ» خلاف أهو في الدّنيا أو في الآخرة؟ لاحظ «ق ر ر: مستقرّ». وخصّ (القمر) بأنّ له منازل تتغيّر فيها ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾، وفيها أيضًا خلاف، لاحظ «ن ز ل: منازل، والعُرجون».

٢ـ مع الفرق بينها بذلك، فقد أشركها بأنّها تجريان هكذا بتقدير الله، وبأمور أُخرى:

منها: أنّ الله هو الّذي سخّرها، وهذا إشارة إلى القوّة المُسخِّرة لها، وقد كشفها العلم الحديث في القمر والنّجوم في المنظومة الشّمسيّة، بأنّها تتحرّك وتدور

حول الشّمس بجاذبيّتها. أمّا الشّمس فلم يتكشف لحدّ الآن ـ فيا أعلم ـ القوّة المسخّرة لها.

ومنها: أنّ كلًّا منهما يجريان لأجلٍ مسمّى، فقد أبان أوّلًا: أنّهما يجريان، وأنّ الحركة الوضعيّة لهما، لا للأرض، خلافًا للنّظريّة القديمة، وقد أثبته العلم الحديث. وثانيًا: أنّ لجريهما أجلًا مسمّى مقدّرًا عند الله تعالى في نهاية الدّنيا، لا يعلمه إلّا الله.

ومنها: ربط بينهما وبين إيلاج اللّيل في النّهار وعكسه، في (١٤) و(١٥) أو تكوير اللّيل على النّهار وعكسه في (١٦)، وقد قدّم الإيلاج والتّكوير فيها على التّسخير دليلًا عليه، وأخّر التّسخير سببًا وعلّةً لها.

الثّالث عشر: أسند الجري في آيتين (١٧) و(٥٩) إلى «العين» إسنادًا حقيقيًّا، لأنّ العين اسم للماء الفائر، وهي قسمان: عين جارية وعين راكدة، وفي الجارية منها لذّة للعين ليست في الرّاكدة.

قال الطّبرسيّ (٥: ٤٧٩): «وفي العيون الجارية من الحسن واللّذّة والمنفعة ما لا يكون في الواقفة، ولذلك وصف بها عيون أهل الجنّة تجري في غير أخدود، وتجري كما يريد صاحبها». قالوا في (٥٩): أنّ (عين) اسم جنس يشمل الواحد والجمع، كذلك الجارية: جاريات، كما قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الحجر: ٤٥، لأنّ في كلّ قصر عين ومجموعها عيون، وربّما لكلّ قصر عيون. قال الطّبرسيّ: «لكلّ إنسان في قصره من الجنّة عين جارية من كلّ شرابٍ يشتهيه» فإن جرت بكلّ شرابٍ فهي عيون لا عين واحدة.

واحتملوا أنّها عين خاصّة لكلّ أهل الجنّة، وأنّ التّنكير فيها لإبهام شأنها وتعظيم أمرها وإفادة دوامها. وهو الأقرب وفقًا لبعض الرّوايات، وللسّيّد فضل الله وصف رائع لهذه العين، فلاحظ.

وأمّا ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ في (١٧) فاستمرار لما قبلها: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الرّحمن: ٤٦، فلكلّ جنّة عينٌ واحدةٌ موافقةٌ للاحتمال الأخير في (٥٩). قال الطّبرسيّ (٥: ٢٠٨): «أي في الجنّتين عينان من الماء تجريان بين أشجارها، وقيل: عينان إحداهما سلسبيل، والأُخرى التّسنيم عن الحسن. وقيل: إحداهما من ماءٍ غير آسن، والأُخرى من خمرٍ لذّة للشّاربين، عن عطيّة العوفيّ». لاحظ «ع ي ن».

الرّابع عشر: في (١٨) وما بعدها من الآيات أُسند الجري إلى (الأنهار) مع أنّها لا تجري وإنّما يجري الماء فيها، وهذا مجازٌ شائعٌ لا ريب فيه، إلّا أنّهم قالوا: إنّها مجاز في الإسناد، مثل ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢، أي اسأل أهلها.

ويخطر بالبال أنّ بينهما فرقًا، فإنّ إطلاق النّهر على الماء الجاري شائع، ومنه: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ البقرة: ٧٤، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ إبراهيم: ٣٢، فالتّجوّز فيه، لا في الإسناد. لاحظ: تحت، جنّات، الأنهار، آسن.

الخامس عشر: من مجموع (٦٤) آية (٣١) آية مدنيّة لو كانت سورة الحجّ مدنيّة، وإلّا فـ(٢٨) آية، والباقي مكّيّة، فتكاد المكّيّات والمدنيّات متقاربات.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ز أ

لفظان، ٣ مرّات: ٢ مكّيّة، ١ مدنيّة

في ٣ سور: ٢ مكّيّة، ١ مدنيّة

جُزْءٌ ١: ١   جُزْءًا ٢: ١ ـ ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: أجزأني الشّيء، مهموز، أي كفاني.

وتجزّأت بكذا، واجتزأت به، أي اكتفيت به.

وهذا الشّيء يُجْزِئُ عن هذا، يُهمَز ويُليَّن، وفي لغة يَجْزَأُ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَزْءُ، مهموز: الاجتزاء، أي الاكتفاء؛ والجُزُوء أيضًا، تقول: جَزِئَت الإبل، إذا اكتفتْ بالرُّطْب عن الماء جَزْأً وجُزُوءً، وجزْوًا، غير مهموز. [ثمّ استشهد بشعر]

والجازئات[1]: الوحش، والجميع: الجَوازئ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُزْء في تجزئة السّهام: بعض الشّيء.

جزّأته تجزئةً، أي جعلته أجزاءً. وأجْزَأت منه جُزْءًا، أي أخذت منه جُزْءًا، وعَزَلتُه.

والجُزْأة: نِصاب السّكّين.

والمجزوء من الشّعر، إذا ذهب فصل واحدٌ من فصوله. [ثمّ استشهد بأشعار] (٦: ١٦٢)

أبوعمرو الشّيبانيّ: الجُزْأة: الشُّقّة المؤخّرة من البيت، بلُغة بني شيبان، وغيرهم يسمّيها: المِرْدَح[2].

وقال الجُنْبُل: من الدّوابّ: العظيم.

وقال: الجُزْأة: عُقدة تَعقِدها في طرف الحَبْل، وقال: اصنع لِعِقالك جُزْءً. (١: ١١٦)

وقال أبوالخرقاء: أجزأت الشّيء: شَدَدته [ثمّ استشهد بشعر]. (١: ١٢٢)

الفَرّاء: طعامٌ جَزِيءٌ وشبيعٌ: لما يُجزئ ويُشبع. (الصّغانيّ ١: ١١)

---

(١) كذا في الأصل، والسّياق يقتضي «والجازئة» إلّا إذا كان يريد المؤلّف جمع القلّة.

(٢) وعند صاحب القاموس: البرزَخ.

أبوزَيْد: أنصَبْتُ السّكّين، وأجـزَأتها، والجُـزْأة: النِّصاب. (الحَرْبيّ ٢: ٧٩٦)

وقد أجْزَأتُها إجزاءً، وأنصَبتُها إنصابًا، أي جـعَلتُ لها نِصابًا، وجزأةً، وهما عَجُز السّكّين.

والجُزْأة لاتكون للسّيف ولاللخَنجَر، ولكن للمِئْثَرة الّتي تُوسَم بها أخـفاف الإبـل، وللسّكـاكـين، وهـي المِقْبَض.

أجزَأْتُ عنك مُجْزأ فـلان، ومُجْزَأتَه ومَجْـزَأ فـلان، ومَجْزأتَه، وكذلك أغنَيْتُ عنك، مثلُه في اللّغات الأربع.

ويقال: هذا رجل حسـبك مـن رجـل، ونـاهيك وكافيك وجازيك، بمعنى واحد. (الأزهَريّ ١١: ١٤٦)

الأصمَعيّ: أهل المـدينة يـقولون: أمـرت فـلانًا يتجازى دَيني على فلان، أي يتقاضاه.

وأمّا قولهم: أجْزَأني الشّيء إجزاءً، فهموز، ومعناه: كفاني. [ثمّ استشهد بشعر]

ومنه قول النّاس: اجتزأت بكذا وكذا وتجزّأت به، أي اكتفيت به. (أبوعُبَيْد ١: ٤٣)

اسم الرّجل: جَزْءٌ بـفتح الجـيم، وكأنّـه مـصدر: جَزأْتُ جَزْءً. (الأزهَريّ ١١: ١٤٦)

ابن الأعرابيّ: يُجْزئ قليل من كثير، ويُجْزئ هذا من هذا، أي كلّ واحد منها يقوم مقام صاحبه.

(الأزهَريّ ١١: ١٤٥)

ثَعْلَب: البقرة تُجْزئ عن سبعة، وتُجزي. فن همز فمعناه تُغني، ومن لم يهمز فهو من الجَزاء.

(ابن سيده ٧: ٤٨٠)

ابن السّكّيت: وقد جَـزأت الشّيء أجـزؤُه، إذا جزّأتَه. وقد جَزأتِ الإبل بالرُّطْب عن الماء.

(إصلاح المنطق: ١٥٥)

الزّجّـاج: وجـزَأت بـالشّيء، إذا اكـتفيت بـه، وأجزأني الشّيء: كفاني، وجزَيته على أصـله: كـافأته عليه، وأجزيت عن فلان، إذا قمت مقامَه، وأجـزأت المرأة، إذا وَلدت الإنـاث دون الذّكـور. [ثمّ استشهد بشعر] (فعلت وأفعلت: ١٩٣)

الأزهَريّ: قول النّـاس: اجـتَزَأْتُ بكـذا وكـذا، وتَجزّأتُ به، أي اكتفيت به، وأجزَأتُ، بهذا المعنى.

ومنه قول العرب: جَزَأت الماشية تَجـزَأ جَـزْءً، إذا اكتَفَتْ بالرُّطْب عن شرب الماء.

ويقال: اللّحم السّمين أجزأ مـن المـهزول، ومـنه يقال: مايُجزِئُني هذا الثّوب، أي مايكفيني.

ويقال: هذه إبل مَجازئ ياهذا، أي تكفي الحِـمْل، الواحد: مُجزِئ، وفلان بارع مُجزئٌ لأمره، أي كافٍ أمره.

قلت: والجزء في كلام العرب: النّـصيب، وجمـعه: أجزاء.

ويقال: جزأتُ المال بينهم، وجَزّأتُه، إذا قسّمته، يخفّف ويثقّل.

ويقال: مالفلان جُزْء، ومالَه أجزاء، أي مالَه كفاية.

(١١: ١٤٤ ـ ١٤٦)

الخطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «أنّه أُتي بقِناع جُزْءٍ» هكذا قال الرّاوي «جُـزْءٍ»، وزعـم أنّ الجـزء: الرُّطَب عند أهل المدينة.

وهذا شيء لاأثق به ولاأعتمده، فإن كان الأمر على ماقال، فلاأراهم يسمُّونه «جُزْءً» إلّا من قبل اجتزائهم

به عن الطّعام، كتسميتهم الكَلَأ: جُزْءٌ وجُزُوءٌ لغتان، لاجتزاء الإبل به عن الماء. يقال: جَزأتِ الإبل عن الماء، إذا اجتزأتْ بالرُّطْب فلم تشرب. (١: ٥٤٧)

الجَوهَريّ: الجُزْء: واحد الأجزاء، وجَزأت الشّيء جَزْءًا: قسّمته وجعلته أجزاء، وكذلك التّجزئة.

وجَزأت بالشّيء جَزْءًا، أي اكتفيت به، وجَزِئت الإبل بالرُّطْب عن الماء جُزْءًا بالضّمّ، وأجزأتها أنا، وجزّأتها أيضًا تجزئةً، وظبية جازئة. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجزأني الشّيء: كفاني.

وأجزأتُ عنك شاةٌ، لغة في «جزَتْ» أي قضَتْ.

واجتزأتُ بالشّيء، وتجزّأت به بمعنى، إذا اكتفيت به.

وأجزأت عنك مُجزَأ فلان ومُجزأة فلان، أي أغنيتُ عنك مَغْناه.

والجُزأةُ بالضّمّ: نصاب الإشْفى والمِخْصَف، وقد أجزأته: جعلت له نصابًا.

وجَزْءٌ بالفتح: اسم رجل. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٠)

ابن فارِس: الجيم والزّاء والهمزة أصل واحد، هو الاكتفاء بالشّيء.

يقال: اجتزأت بالشّيء اجتزاءً، إذا اكتفيت به. وأجزأني الشّيء إجزاءً، إذا كفاني. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُزْء: استغناء السّائمة عن الماء بالرُّطْب. وذكر ناس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الزّخرف: ١٥، أنّه من هذا، حيث زعموا أنّه اصطفى البنات على البنين، تعالى الله عن قول المشركين علوًّا كبيرًا.

والجُزْء: الطّائفة من الشّيء.

وممّا شذّ عن الباب الجُزأة: نصاب السّكّين، وقد أجزأتُها إجزاءً، إذا جعلت لها جُزأةً. ويجوز أن يكون سمّيت بذلك، لأنّها بعض الآلة وطائفة منها. (١: ٤٥٥)

أبوهِلال: الفرق بين البعض والجزء: أنّ البعض ينقسم، والجزء لاينقسم، والجزء يقتضي جمعًا، والبعض يقتضي كلًّا.

الفرق بين الجزء من الجملة والسّهم من الجملة: أنّ الجزء منها ماانقسمت عليه، فالاثنان جزء من العشرة، لأنّهما ينقسمان عليها، والثّلاثة ليست بجزء منها، لأنّها لاتنقسم عليها، وكلّ ذلك يسمّى سهمًا منها، كذا حكى بعضهم. (١١٦، ١١٧)

الفرق بين قولك: اجتزأ به، وقولك: اكتفى به: أنّ قولك: اجتزأ، يقتضي أنّه دون مايحتاج إليه، وأصله من «الجزء» وهو اجتزاء الإبل بالرُّطْب عن الماء، وهي وإن اجتزأت به يقتضي أنّه دون ماتحتاج إليه عنه، فهي محتاجة إليه بعض الحاجة.

والاكتفاء يفيد أنّ مايكتفي به قدر الحاجة من غير زيادة ولانقصان، تقول: فلان في كفاية، أي فيما هو وَفق حاجته من العيش. (٢٤٥)

الفرق بين قولنا: يجوز كذا، وقولك: يُجزئ كذا، سيأتي في «ج و ز». (١٨٧)

ابن سيده: الجُزْء، والجَزْء: البعض، والجمع: أجزاء، سيبويه: لم يكسّر «الجُزء» على غير ذلك.

وجَزأ الشّيء جَزْءًا، وجزّأه، كلاهما: جعله أجزاءً.

وجزّأ المال بينهم، مشدّد لاغير: قسمه.

وأجزأ منه جُزءً: أخذه.

والمجزوء من الشّعر: ماحذف منه جُزءان، أو كان على جُزأين فقط؛ فالأُولى على السّلب، والثّانية على الوجوب.

وجزأ الشّعر جَزءً، وجزّأه، فيهما: حذف منه جُزأين، أو بقّاه على جُزأين.

والجَزْء: الاستغناء بالشّيء عن الشّيء، وكأنّه الاستغناء بالأقلّ عن الأكثر، فهو راجع إلى معنى «الجُزْء».

وجَزَأ بالشّيء، وتجزّأ: قنع به. وأجزأه هو.

وجَزِئت الإبل بالرُّطْب عن الماء، وجَزَأت تَجزَأ جَزءً، وجُزءً، وجُزوءً. والاسم: الجُزء.

وأجزأها هو، وجزّأها.

وأجزأ القوم: جَزِئت إبلُهم.

والجوازِئ: الوحش لتجزّئها بالرُّطْب عن الماء. [ثمّ استشهد بشعرين]

وطعام لاجَزْء له، أي لايُتجزّأ بقليله.

وأجزأ عنه مَجزأه، ومَجزأته، ومُجزاه، ومُجزأته: أغنى عنه مُغناه.

ورجل له جَزْء، أي غَناء. [ثمّ استشهد بشعر]

وماعنده جُزأة ذلك، أي قوامه.

والجُزأة: أصل مَغرِز الذّنَب، وخصّ به بعضهم أصل ذنَب البعير من مَغرزه.

والجُزأة: نصاب السّكّين والإشفَى والمِثقَرة، وهي الحديدة الّتي يؤثّر بها أسفل خُفّ البعير؛ وقد أجزأها، وجزّأها.

وأجزأت المرأة: ولدت الإناث [ثمّ استشهد بشعر].

وجَزْء: اسم، وأبوجَزْء: كنية.

والجازئ: فرس للحارث بن كعب. (٧: ٤٧٩)

الماوَرْديّ: والجُزْء من كلّ شيء، هو بعضه سواء كان منقسمًا على صحّة أو غير منقسم، والسّهم هو المُنقسم عليه جميعه على صحّة. (١: ٣٣٥)

الطُّوسيّ: والفرق بين الجزء والسّهم: أنّ السّهم من الجملة ماانقسمت عليه، وليس كذلك الجزء، نحو الاثنين وهو سهم من العشرة، لأنّها تنقسم عليه، وليس كذلك الثّلاثة وهو جزء منها، لأنّه بعض لها.

(٢: ٣٣٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٣٧٢)

والجُزْء: بعض الشّيء[1]، وجزّأته تجزئة، إذا بعّضته.

والجُزْء: الاجتزاء بالرُّطْب عن الماء، جَزأت الوحشيّة جُزوءً، لاكتفائها بالجُزء الّذي في الرُّطْب منه.

والجِزاء: نصاب السّكّين، وأصل الباب: الجُزْء: البعض. (٢: ٣٣١)

الرّاغِب: جُزْء الشّيء: مايتقوّم به جملته، كأجزاء السّفينة وأجزاء البيت وأجزاء الجملة من الحساب. [ثمّ ذكر الآيات إلى أن قال:]

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الزّخرف: ١٥، وقيل: ذلك عبارة عن الإناث، من قولهم: أجزأت المرأة: أتت بأُنثى.

---

(١) صحّحناها طبق ماجاء به الطَّبْرِسيّ ١: ٣٧٢.

وجزَأ الإبل يَجْزأُ وجَزْءً: اكتفى بالبقل عن شرب الماء.

وقيل: اللّحم السّمين أجزأُ من المهزول.

وجُزْأة السّكّين: العود الّذي فيه السّيلان، تصوّرًا أنّه جُزء منه. (٩٣)

ابن الشّجريّ: والجَوازئُ من البقر والظّباء: الّتي جزأت بالرُّطب عن الماء، أي استغنت، وهو جمع جازِئ وجازئة. والمصدر: الجُزْء مضموم الأوّل، والجزُوء أيضًا، على «المفعول». (١: ٢٤)

المَدينيّ: في الحديث: «ليس شيء يُجزئ من الطّعام والشّراب إلّا اللّبن» أي ليس يكفي، يقال: مايُجزئني هذا، أي مايكفيني.

ويقال: اللّحم السّمين أجزأُ من المهزول، وجزأ البعير يَجزأ جَزْءً، إذا اكتفى بالبَقْل عن شرب الماء. وأجزأ القوم: جزأت إبلهم عن الماء.

في الحديث: «أُتي بقِناع جُزْءٍ» زعم الرّاوي أنّه الرُّطَب عند أهل المدينة، فإن كان صحيحًا فكأنّهم سمّوه بذلك لاجتزائهم به عن الطّعام، كتسميتهم الكلأ جُزْءً.

(١: ٣٢٤)

ابن الأثير: فيه: «من قرأ جُزْءه من اللّيل» الجُزْء: النّصيب والقطعة من الشّيء، والجمع: أجزاء. وجَزأت الشّيء: قسمته، وجَزّأته للتّكثير.

ومنه الحديث: «الرُّؤيا الصّالحة جزء من ستّة وأربعين جزءً من النّبوّة». وإنّما خُصّ هذا العدد لأنّ عمر النّبيّ ﷺ - في أكثر الرّوايات الصّحيحة - كان ثلاثًا وستّين سنة، وكانت مدّة نبوّته منها ثلاثًا وعشرين سنة، لأنّه بُعث عند استيفاء الأربعين، وكان في أوّل الأمر يرى الوحي في المنام، ودام كذلك نصف سنة، ثمّ رأى الملَك في اليقظة، فإذا نُسبت مدّة الوحي في النّوم، وهي نصف سنة إلى مدّة نبوّته، وهي ثلاث وعشرون سنة، كانت نصف جُزء من ثلاثة وعشرين جزءً؛ وذلك جزء واحد من ستّة وأربعين جزءً.

وقد تعاضدت الرّوايات في «أحاديث الرُّؤيا» بهذا العدد، وجاء في بعضها: «جُزء من خمسة وأربعين جزءً». ووجه ذلك أنّ عمره ﷺ لم يكن قد استكمل ثلاثًا وستّين، ومات في أثناء السّنة الثّالثة والسّتّين، ونسبة نصف السّنة إلى اثنتين وعشرين سنة وبعض الأُخرى نسبة جُزء من خمسة وأربعين جزءً. وفي بعض الرّوايات «جُزءٌ من أربعين» ويكون محمولًا على من روى أنّ عمره كان ستّين سنة، فيكون نسبة نصف سنة إلى عشرين سنة، كنسبة جُزء إلى أربعين.

ومنه الحديث: «الهَدْيُ الصّالح والسَّمتُ الصّالح جزء من خمسة وعشرين جزءً من النّبوّة» أي إنّ هذه الخِلال من شمائل الأنبياء، ومن جملة الخصال المعدودة من خصالهم، وأنّها جُزء معلوم من أجزاء أفعالهم، فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها. وليس المعنى أنّ النّبوّة تتجزّأ، ولا أنّ من جمع هذه الخِلال كان فيه جُزءٌ من النّبوّة، فإنّ النّبوّة غير مكتسبة، ولامُجتلبة بالأسباب، وإنّما هي كرامة من الله تعالى.

ويجوز أن يكون أراد بـ«النّبوّة» هاهنا: ماجاءت به النّبوّة، ودعت إليه من الخيرات، أي إنّ هذه الخلال جزء من خمسة وعشرين جزءً، ممّا جاءت به النّبوّة، ودعا

إليه الأنبياء.

ومنه الحديث: «أنّ رجلًا أعتق ستّة مملوكين عند موته، لم يكن له مال غيرهم، فدعاهم رسول الله ﷺ فجزّأهم أثلاثًا، ثمّ أقرع بينهم، فأعتق اثنين وأرقّ أربعة» أي فرّقهم أجزاءً ثلاثةً، وأراد بالتّجزئة أنّه قسمهم على عبْرة القيمة دون عدد الرّؤوس، إلّا أنّ قيمتهم تساوت فيهم، فخرج عددُ الرّؤوس مساويًا للقيَم.

وعبيد أهل الحجاز إنّما هم الزّنوج والحبش غالبًا، والقيمُ فيهم متساوية أو متقاربة، ولأنّ الغرض أن تُنفَذ وصيّته في ثلث ماله، والثّلث إنّما يُعتبر بالقيمة لا بالعدد، وقال بظاهر الحديث مالك والشّافعيّ وأحمد. وقال أبوحنيفة رحمهم الله: يعتق ثُلُث كلّ واحد منهم، ويُستَسعَى في ثُلثَيه.

وفي حديث الأُضحيّة: «ولن تُجزئَ عن أحد بعدك» أي لن تكفي، يقال: أجزأني الشّيء، أي كفاني، ويروى بالياء، وسيجيء.

وفي حديث سهل: «ماأجزأ منّا اليوم أحد، كما أجزأ فلان» أي فعَل فعلًا ظهر أثرُه، وقام فيه مَقامًا لم يقمه غيره، ولاكفى فيه كفايته. وقد تكرّرت هذه اللّفظة في الحديث. (١: ٢٦٥)

الرّازيّ: جزّأه من باب «قطَع» وجزّأه تجزئة: قسمه أجزاء.

وجزَأ به، من باب «قطَع»: اكتفى، وأجزأه الشّيء: كفاه.

وأجزأتْ عنه شاةٌ: لغة في جزَت، أي قضَتْ. واجتزأ به وتجزّأ به: اكتفى. (١١٧)

الفَيّوميّ: جزى الأمر يَجْزي جَزاءً، مثل قضى يقضي قضاءً، وزنًا ومعنًى، وفي التّنزيل: ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[1] وفي الدّعاء: «جزاهُ الله خيرًا» أي قضاه لَهُ وأثابَه عليه.

وقد يستعمل «أجزَأ» بالألف والهمز بمعنى «جَزَي» ونقلها الأخفَش بمعنًى واحدٍ فقال: الثّلاثيّ من غير همز لغة الحجاز، والرُّباعيّ المهموز لغة تميم.

وجازَيْتُه بذنبه: عاقبْتُه عليه.

وجزَيْت الدَّيْنَ: قَضَيْتُه، ومنه قوله ﷺ لأبي بُرْدَة ابن نيار، لمّا أمره أن يُضَحّي بجَذَعَة من المَعْز: «تَجْزي عنك ولن تَجْزي عن أحد بعدَك» قال الأصمَعيّ: أي ولن تقضي.

وأجزَأتِ الشّاة بالهمز بمعنى قَضَتْ، لغة حكاها ابن القطّاع.

وأمّا أجزَأ بالألف والهمز، فبمعنى أغنى.

قال الأزهَريّ: والفقهاءُ يقولون فيه: «أجزَى» من غير همز، ولم أجده لأحد من أئمّة اللّغة ولكن إن هُمِز «أجزَأ» فهو بمعنى كفى.

هذا لفظه، وفيه نظر، لأنّه إن أراد امتناع التّسهيل فقد توقّف في موضع التّوقّف، فإنّ تسهيل همزة الطّرف في الفعل المزيد وتسهيل الهمزة السّاكنة قياسيّ، فيقال: أرجَأتُ الأمر وأرجَيْتُه، وأنسَأتُ وأنسَيْتُ، وأخطَأتُ وأخطَيْتُ، وأشطَأ الزّرع، إذا أخرج شَطأَهُ، وهو أولاده وأشطى، وتوضّأتُ وتوضّيْتُ، وأجزَأتُ السّكّين، إذا

---

(١) التّلاوة (يَوْمًا) سورة البقرة: ٤٨و١٢٣.

جعَلتُ له نصابًا، وأجزَيْتُه، وهو كثيرٌ، فالفقهاءُ جرى على ألسنتهم التّخفيف.

وإن أراد الامتناع من وقوع «أجْزَأ» موقع «جَزَى» فقد نقلها الأخفش لُغَتَيْن، كيف وقد نصّ النّحاة على أنّ الفِعلَيْن إذا تقارب معناهما، جاز وضع أحدهما موضع الآخر، وفي هذا مَقنَعٌ لو لم يوجد نقل.

وأجزَأ الشّيء مَجزَأ غيره: كفى وأغنى عنه.

واجتَزَأت بالشّيء: اكتفَيْتُ.

والجُزء من الشّيء: الطّائفة منه، والجمع: أجزاءٌ مثل قُفْل وأقفال.

وجَزّأته تَجْزِئًا وتَجْزِئَةً: جعَلتُه أجزاءً متميّزةً، فتجزّأ تَجَزّؤًا. وجَزَأتُه من باب «نفع» لغة.

والجِزْيَة: مايؤخذ من أهل الذّمّة، والجمع: جِزًى، مثل سِدْرَة وسِدَر. (١٠٠)

الفيروزاباديّ: الجُزْء: البعض ويُفتح، جمعه: أجزاءٌ، وبالضّمّ: عين، ورَمْل.

وجزّأه كجعَله: قسمَه أجزاءً كجَزّأه، وبالشّيء: اكتفى كاجتزَأ وتجزّأ، والشّيء: شدّه، والإبل بالرُّطْب عن الماء: قَنِعَت كجَزِئَت بالكسر، وأجزأتُها أنا وجزّأتُها.

واجزَأتُ عنك مَجزَأ فلانٍ ومَجْزَأته، ـ ويُضمّان ـ أغنَيْتُ عنك مَغناه، والمِخصَفَ: جعَلتُ له جُزْأَةً، أي نصابًا، والخاتم في إصبعي: أدخلتُه، والمرعَى: التفّ نَبْتُه، والأُمّ: وَلدَت الإناث، وشاةٌ عنك: قَضَتْ، لُغة في «جزَتْ» والشّيء إيّاي: كفاني.

والجَوازِئُ: الوحش.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الزّخرف: ١٥، أي إناثًا.

وطعامٌ جَزِيٌ: مُجزِئٌ.

وجازِئُكَ من رجل: ناهيك.

وحبيبة بنتُ أبي تُجْزَأة، بضمّ التّاء وسكون الجيم: صحابيّة، وسمّوا جَزْءٌ. والجُزْأة بالضّمّ: المِرزَح. (١: ١٠)

الطُّرَيحيّ: وأجْزَأتُ عنك مَجزأ فلان، أي أغنَيت عنك مَغْناه.

وجَـزّأتُ الشّيء، أي قسمته وجعلته أجزاءً، وكذلك التّجزئة. ومنه «الملائكة أجزاءٌ، أي أقسام: جزء له جناحان، وجزء له ثلاثة، وجزء له أربعة».

وفي الخبر: «الهدى الصّالح جزءٌ من خمسة وعشرين جُزءً من النّبوّة»، ومثله: «الرُّؤيا الصّالحة جُزءٌ من كذا».

قال بعض الشّارحين: معناه هذه الخلال ونحوها من شمائل الأنبياء فاقتدوا بهم فيها. ولايريد أنّ النّبوّة تتجزّأ، ولا أنّ من جمع هذه الخلال كان فيه جُزء من النّبوّة.

وفيه: «وأمّا خيبر فجزّأها ثلاثة أجزاء» أي ثلاثة أقسام، ووجه ذلك بأنّ خيبر ذات قُرًى كثيرة، فُتح بعضها عَنْوة، وكان له منها الخُمس، وكان بعضها صُلحًا من غير قتال، فكان فيئًا خاصًّا به، واقتضت القسمة أن يكون الجميع بينه وبين الجيش أثلاثًا.

والأجزاء بفتح الهمزة الأُولى: أجزاء القرآن وغيره، ومنه حديث الصّادق عليه السلام: «عندي مُصحف

بجزأ بأربعة أجزاء».

ومنه في أوصاف الحقّ تعالى: «لايتبعّض بتجزئة العدد في كماله» قيل في معناه: إنّ أوصافه الكاملة كثيرة، وهو عالم قادر سميع، ونحو ذلك. ومصداق الكلّ واحد هو ذاته تعالى، وهو منزّه عن التّجزئة الّتي تستلزم الكثرة والعدد.

قوله: «ويُجْزيه التّيمّم مالم يُحدثْ» يُقرأ بضمّ مثناه من الإجزاء، وبفتحها بمعنى كفى. (١: ٨٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: جزء الشّيء: بعضه. (١: ١٩٠)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جزأ الشّيء: قسمه أجزاء، والجُزْء: البعض والنّصيب. (١: ١٠٦)

المُصْطَفَويّ: والحقّ أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو البعض وقسمة من الشّيء، وإليه يرجع التّفرّق، أي التّبعّض والاقتسام، وهكذا مفهوم النّصيب، فإنّه حصّة معيّنة من الكلّ المفروض.

ثمّ إنّ هذا المفهوم يتغيّر في الجملة إذا استعمل اللّفظ بالحروف. فإذا قيل: جزأ بالشّيء، فكأنّه جزّأ نصيبه وقِسْمته بسبب هذا الشّيء وعيّنه منه، وهذا معنى قولهم: أجزأني كذا، أي جُزء نصيبي هذا الشّيء.

وإذا استعمل بحرف عن، فيستفاد منه مفهوم الإغناء، كما لايخفى. (٢: ٨٢)

النُّصوص التّفسيريّة

جُزْءًا

١ـ ...قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلٰى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا... البقرة: ٢٦٠

ابن عبّاس: بعضًا. (٣٧)

اجعلهنّ في أرباع الدّنيا: رُبعًا هاهنا، ورُبعًا هاهنا، ورُبعًا هاهنا، ورُبعًا هاهنا. (الطّبَريّ ٣: ٥٧)

أمر أن يجعل كلّ طائر أربعة أجزاء، وأن يجعلها على أربعة أجبل، على كلّ جبل رُبعًا من كلّ طائر.

(الخازن ١: ٢٣٨)

مُجاهِد: بَدِّدهنّ أجزاء على كلّ جبل.

(الطّبَريّ ٣: ٥٨)

الحسَن: إنّ الله أمره أن يأخذ أربعة من الطّير، فيذبحهنّ وينتفهنّ، ثمّ قطعهنّ أعضاء أعضاء، ثمّ خلط بينهنّ جميعًا، ثمّ جزّأها أربعة أجزاء، ثمّ جعل على كلّ جبل منهنّ جزءً... (الدُّرّ المنثور ١: ٣٣٥)

قَتادَة: يُجزّئهنّ على أربعة أجبل.

(الدُّرّ المنثور ١: ٣٣٥)

السُّدّيّ: أي قطّعهنّ، ثمّ اجعل على سبعة أجبال، على كلّ جبل منهنّ جزءً. (١٦٤)

جزّأها سبعة أجزاء، ووضعها على سبعة أجبل.

مثله ابن جُرَيْج. (الشّربينيّ ١: ١٧٥)

الإمام الصّادق عليه السلام: وهو العُشر من الشّيء.

[وهناك روايات أُخرى بهذا المعنى فراجع]

(العيّاشيّ ١: ٢٦٧)

إنّ معناه فرّقهنّ على كلّ جبل، وكانت عشرة أجبُل.

(الطّبْرِسيّ ١: ٣٧٣)

ابن قُتَيْبَة: أي رُبعًا من كلّ طائر. (٩٦)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل [الآية]

فقال بعضهم: يعني بذلك على كلّ ربع من أرباع الدّنيا جزء منهنّ...

وقال آخرون: بل معنى ذلك ثمّ اجعل على كلّ جبل من الأجبال الّتي كانت الأطيار والسّباع الّتي كانت تأكل من لحم الدّابّة الّتي رآها إبراهيم ميتة، فسأل إبراهيم عند رؤيته إيّاها أن يُريه كيف يحييها وسائر الأموات غيرها! وقالوا: كانت سبعة أجبال.

وقال آخرون: بل أمره الله أن يجعل ذلك على كلّ جبل. [إلى أن قال:]

وأولى التّأويلات بالآية ماقاله مُجاهِد، وهو أنّ الله تعالى ذكره أمر إبراهيم بتفريق أعضاء الأطيار الأربعة، بعد تقطيعه إيّاهنّ، على جميع الأجبال الّتي كان يصل إبراهيم في وقت تكليف الله إيّاه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء [ثمّ ذكر الآية وقال:] والكلّ حرف يدلّ على الإحاطة بما أُضيف إليه، لفظه واحد ومعناه الجمع.

فإذا كان ذلك كذلك، فلن يجوز أن تكون الجبال الّتي أمر الله إبراهيم بتفريق أجزاء الأطيار الأربعة عليها خارجة من أحد معنيين: إمّا أن تكون بعضًا أو جمعًا.

فإن كانت بعضًا فغير جائز أن يكون ذلك البعض إلّا ماكان لإبراهيم السّبيل إلى تفريق أعضاء الأطيار الأربعة عليه، أو يكون جمعًا فيكون أيضًا كذلك. وقد أخبر الله تعالى ذكره أنّه أمره بأن يجعل ذلك على كلّ جبل، وذلك إمّا كلّ جبل، وقد عرفهنّ إبراهيم بأعيانهنّ، وإمّا مافي الأرض من الجبال. [إلى أن قال:]

والجزء من كلّ شيء هو البعض منه، كان منقسمًا جميعه عليه على صحّة، أو غير منقسم، فهو بذلك من معناه مخالف معنى «السّهم» لأنّ السّهم من الشّيء هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحّة، ولذلك كثر استعمال النّاس في كلامهم عند ذكرهم أنصباءهم من المواريث: السّهام دون الأجزاء. (٣: ٥٧)

مثله ابن عَطيّة. (١: ٣٥٥)

البغويّ: (جُزُءًا) مثقّلًا مهموزًا، والآخرون بالتّخفيف والهمز. وقرأ أبوجعفر مشدّدًا الزّاي بلاهمز، وأراد بعض الجبال. (١: ٣٥٨)

الزّمَخْشَريّ: أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال، على كلّ جبل رُبعًا من كلّ طائر. (١: ٣٩٢)

الفَخْرالرّازيّ: يدلّ على أنّ تلك الطّيور جُعلت جُزءًا جُزءًا.

قال أبومسلم في الجواب عن هذا الوجه: أنّه أضاف «الجزء» إلى الأربعة، فيجب أن يكون المراد بـ«الجزء» هو الواحد من تلك الأربعة.

والجواب: أنّ ماذكرته وإن كان محتملًا إلّا أنّ حمل «الجزء» على ماذكرناه أظهر، والتّقدير: فاجعل على كلّ جبل من كلّ واحد منهنّ جُزءًا أو بعضًا. [إلى أن قال:]

قرأ عاصم في رواية أبي بكر والفضل (جُزُءًا) مثقّلًا مهموزًا حيث وقع، والباقون مهموزًا مخفّفًا، وهما لغتان بمعنى واحد. (٧: ٤٥)

القُرطُبيّ: [ذكر القراءات الثّلاث ثمّ قال:]

وهي لغات، ومعناه النّصيب. (٣: ٣٠١)

البَيْضاويّ: أي جَزِّئهنّ وفرّق أجزاءهنّ على الجبال الّتي بحضرتك. قيل: كانت أربعة، وقيل: سبعة... (١: ١٣٧)

مثله أبوالسُّعود (١: ٣٠٥)، ونحوه النَّسَفيّ (١: ١٣٢)، والنَّيسابوريّ (٣: ٣٥).

أبوحَيّان: وروي عن ابن عبّاس أنّه أُمر أن يجعل على كلّ ربع من أرباع الدّنيا، وهو بعيد.

وخصّصت الجبال بعدد الأجزاء، فقيل: أربعة، قاله قَتادة والرّبيع، وقيل: سبعة، قاله السُّدّيّ وابن جُرَيْج، وقيل: عشرة، قاله أبوعبدالله الوزير المغربيّ.
(٢: ٣٠٠)

الآلوسيّ: (جُزْءًا) أي قطعة، وبعضًا: رُبعًا، أو سُبعًا، أو عُشرًا، أو غير ذلك. (٣: ٢٩)

٢ـ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ. الزّخرف: ١٥

ابن عبّاس: أي ولدًا، قالوا: الملائكة بنات الله. (٤١٢)

نحوه مُجاهِد (الطّبَريّ ٢٥: ٥٥)، والقُمّيّ (٢: ٢٨١)، والخازن (٦: ١١٠).

مُجاهِد: نصيبًا وحظًّا، وهو قول العرب: الملائكة بنات الله. (أبوحَيّان ٨: ٨)

نحوه ابن جزيّ. (٤: ٢٦)

عطاء: أي نصيبًا وشِركًا. (النّحّاس ٦: ٣٤٢)

نحوه زَيْد بن عليّ (٣٦٤)، وأبوعُبَيْدَة (٢: ٢٠٣)، وقُطْرُب (الماوَرْديّ ٥: ٢١٩)، والنّحّاس (٦: ٣٤٢).

قَتادَة: أي عِدلًا. (الطّبَريّ ٢٥: ٥٦)

المراد بالجزء: الأصنام وفرعون وغيره ممّن عبد من دون الله، أي جُزءه نِدًّا. (ابن عَطيّة ٥: ٤٨)

السُّدّيّ: البنات. (٤٣٥)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون الله من خلقه نصيبًا؛ وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله. [إلى أن قال:]

وقال آخرون: عنى بالجزء هاهنا: العِدْل. [إلى أن قال:]

وإنّما اخترنا القول الّذي اخترناه في تأويل ذلك، لأنّ الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَيكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ الزّخرف: ١٦، توبيخًا لهم على قولهم ذلك، فكان معلومًا أنّ توبيخه إيّاهم بذلك إنّما هو عمّا أخبر عنهم من قيلهم ماقالوا في إضافة البنات إلى الله، جلّ ثناؤه. (٢٥: ٥٥)

الزّجّاج: يعني به الّذين جعلوا الملائكة بنات الله، وقد أنشدني بعض أهل اللّغة بيتًا يدلّ على أنّ معنى «جُزء» معنى الإناث، ولاأدري البيت قديم أم مصنوع، أنشدني:

إنْ أجزأتْ حُرَّةٌ يومًا فلاعَجَبٌ

قد تُجزئ الحرّ المذكار أحيانًا

أي إن آنثت، ولدت أُنثى. (٤: ٤٠٦)

نحوه الكاشانيّ. (٤: ٣٨٦)

الطُّوسيّ: قيل: فيه وجهان: أحدهما: أنّهم جعلوا لله جُزءًا من عبادته، لأنّهم أشركوا بينه وبين الأصنام.

وقال الحسَن: زعموا أنّ الملائكة بنات الله وبعضه. فالجزء الّذي جعلوه له من عباده، هو قولهم: الملائكة بنات الله. (٩: ١٨٧)

نحوه الواحديّ. (٤: ٦٦)

البَغَوِيّ: أي نصيبًا وبعضًا، وهو قولهم: الملائكة بنات الله. ومعنى الجعل هاهنا الحكم بالشّيء والقول، كما تقول: جعلت زيدًا أفضل النّاس، أي وصفته وحكمت به.
(٤: ١٥٦)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٧: ٣٠٥)

المَيْبُديّ: (جُزءًا) أي ولدًا، لأنّ الولد بعض أبيه وجُزء منه.

وقيل: (جُزءًا) أي بنتًا، من قول العرب: أجزأت المرأة، إذا أنّثت، وهم قبائل من العرب، قالوا: إنّ الله صاهر الجنّ فولدت له الملائكة، تعالى الله عن ذلك.

وقيل: الجزء هاهنا: النّصيب، ومعنى هذه الآية، معنى قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْاَنْعامِ نَصيبًا﴾ الأنعام: ١٣٦. (٩: ٥٥)

الزَّمَخْشَرِيّ: ﴿وَجَعَلُوا...﴾ متّصل بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ﴾ أي ولئن سألتهم عن خالق السّماوات والأرض ليعترفنّ به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءًا، فوصفوه بصفات المخلوقين. ومعنى ﴿مِنْ عِبادِهِ جُزْءًا﴾ أن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جُزءًا له وبعضًا منه، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءًا له.

ومن بدع التّفاسير تفسير الجزء بالإناث، وادّعاء أنّ «الجزء» في لغة العرب اسم للإناث. وما هو إلّا كذب على العرب ووضع مستحدَث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتّى اشتقّوا منه: أجزأت المرأة، ثمّ صنعوا بيتًا وبيتًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وقرئ (جُزُوءًا) بضمّتين. (٣: ٤٨١)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٣٩٤)، والنَّسَفيّ (٤: ١٥٥)، وأبوالسُّعود (٦: ٢٨)، وطنطاوي (٢٠: ١٦٥).

ابن عَطيّة: والجزء: القطع من الشّيء، وهو بعض الكلّ، فكأنّهم جعلوا جزءًا من عباده نصيبًا له وحظًّا، وذلك في قول كثير من المتأوّلين قول العرب: الملائكة بنات الله. [ثمّ نقل قول قَتادة، وأضاف:]

فعلى هذا التّأويل فتعقيب الكفرة في فصلين في أمر الأصنام وفي أمر الملائكة، وعلى هذا التّأويل الأوّل فالآية كلّها في أمر الملائكة. (٥: ٤٨)

الطَّبْرِسيّ: أي نصيبًا، يعني حكموا بأنّ بعض عباده وهم الملائكة له أولاد. [ثمّ قال نحو البَغَويّ إلى أن قال:]

وقيل: إنّ معناه وجعلوا لله من مال عباده نصيبًا، فيكون كقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْاَنْعامِ نَصيبًا﴾ الأنعام: ١٣٦، فحذف المضاف. (٥: ٤١)

الفَخْرالرّازيّ: قرأ عاصم في رواية أبي بكر (جزُء) بضمّ الزّاي والهمزة في كلّ القرآن، وهما لغتان. وأمّا حمزة فإذا وقف عليه قال: (جزَا) بفتح الزّاي بلا همزة.

وفي المراد من قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءًا﴾ قولان:

الأوّل: وهو المشهور، أنّ المراد أنّهم أثبتوا له ولدًا، وتقرير الكلام أنّ ولد الرّجل جزء منه، قال ﷺ: «فاطمة بضعة منّي» ولأنّ المعقول من الوالد أن ينفصل عنه جزء من أجزائه، ثمّ يتربّى ذلك الجزء ويتولّد منه شخص مثل ذلك الأصل، وإذا كان كذلك فولد الرّجل جزء منه وبعض منه.

فقوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ معنى (جَعَلُوا) حكموا وأثبتوا وقالوا به، والمعنى أنّهم أثبتوا له جزءً، وذلك الجزء هو عبد من عباده.

واعلم أنّه لو قال: «وجعلوا لعباده منه جزءً» أفاد ذلك أنّهم أثبتوا أنّه حصل جزء من أجزائه في بعض عباده، وذلك هو الولد، فكذا قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ معناه وأثبتوا له جزءً، وذلك الجزء هو عبد من عباده، والحاصل أنّهم أثبتوا لله ولدًا، وذكروا في تقرير القول وجوهًا أُخر. [إلى أن قال:]

والقول الثّاني: إثبات الشّركاء لله، وذلك لأنّهم لمّا أثبتوا الشّركاء لله تعالى، فقد زعموا أنّ كلّ العباد ليس لله، بل بعضها لله، وبعضها لغير الله، فهم ماجعلوا لله من عباده كلّهم، بل جعلوا له منهم بعضًا وجُزءً منهم.

قالوا: والّذي يدلّ على أنّ هذا القول أولى من الأوّل، أنّا إذا حملنا هذه الآية على إنكار الشّريك لله، وحملنا الآية الّتي بعدها على إنكار الولد لله، كانت الآية جامعة للرّدّ على جميع المبطلين. (٢٧: ٢٠٠)

ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن المشركين، فيما افتروه وكذّبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى، كما ذكر الله عزّوجلّ عنهم في سورة الأنعام: ١٣٦، في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللّٰهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلٰى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسّهما وأردأهما وهو البنات، كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثٰى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزٰى﴾ النّجم: ٢١، ٢٢. (٦: ٢٢١)

الشّربينيّ: (جُزْءًا) أي ولدًا، هو لحصرهم في الأُنثى أحد قسمي الأولاد، وكلّ ولد فهو جزء من والده، قال ﷺ: «فاطمة بضعة منّي» ومن كان له جزء كان محتاجًا فلم يكن إلهًا، وذلك لقولهم: الملائكة بنات الله، فثبت بذلك طيش عقولهم وسخافة آرائهم.

وقرأ شعبة بضمّ الزّاي، والباقون بسكونها وهما لغتان، وإذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة إلى الزّاي. (٣: ٥٥٧)

البُرُوسَويّ: [نقل الأقوال ثمّ قال:]

لم يكن «الجزء» في الأصل بمعنى الإناث، وإنّما ذكره أهل اللّغة أخذًا من الآية، لأنّه فيها بمعنى الولد المفسّر بالإناث، فذكره في اللّغات لاينافي حدوثه. وإنّما عبّر عن الولد بالجزء، لأنّه بعض أبيه وجزء منه. (٨: ٣٥٧)

عِزّة دَرْوَزَة: كناية عن نسبتهم الأولاد إلى الله تعالى، على اعتبار أنّ الأولاد جزء من آبائهم. (٥: ٢٠٢)

الطّباطَبائيّ: حكاية بعض أقوالهم الّتي دعاهم إلى القول بها الإسراف والكفر بالنّعم، وهو قولهم بالولد، وأنّ الملائكة بنات الله سبحانه، واحتجاجهم على عبادتهم الملائكة وردّه عليهم.

المراد بالجزء: الولد، فإنّ الولادة إنّما هي الاشتقاق، فالولد جزء من والده منفصل منه متصوّر بصورته. وإنّما عبّر عن الولد بـ«الجزء» للإشارة إلى استحالة دعواهم، فإنّ جزئيّة شيء من شيء كيفما تصوّرت لاتتمّ إلّا

يتركّب في ذلك الشّيء، والله سبحانه واحد من جميع الجهات. (١٨ : ٨٩)

جُزْءٌ

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.

الحجر: ٤٤

ابن عبّاس: حظّ معلوم. (٢١٨)

مثله القُرطُبيّ. (١٠ : ٣٠)

أي نصيب مفروض. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٣٣٨)

نحوه الفرّاء (٢: ٨٩)، والشّربينيّ (٢: ٢٠٣).

الإمام الرّضا عليه السلام: قال [الرّاوي: ابن أبي نصر]: سأله رجل عن الجزء وجزء الشّيء، فقال: من سبعة، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

(العيّاشيّ ٢: ٢٤٠)

الطّبَريّ: يعني قسمًا ونصيبًا مقسومًا. (١٤ : ٣٥)

الطُّوسيّ: لكلّ باب (جُزْءٌ) من المستحقّين للعقوبة، على قدر استحقاقهم من العقاب في القلّة والكثرة، بحسب كثرة معاصيهم وقلّتها. (٦ : ٣٣٨)

الزّمَخْشَريّ: وقرئ (جزءًا) بالتّخفيف والتّثقيل، وقرأ الزّهريّ (جزّ) بالتّشديد، كأنّه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الزّاي، كقولك: خبّ في خبء، ثمّ وقف عليه بالتّشديد، كقولهم: الرّجلّ، ثمّ أجرى الوصل مجرى الوقف. (٢ : ٣٩٢)

نحوه ابن عطيّة. (٣ : ٣٦٣)

الفَخْرالرّازيّ: الجزء: بعض الشّيء، والجمع: الأجزاء، وجزّأته: جعلته أجزاء، والمعنى أنّه تعالى يجزّئ أتباع إبليس أجزاء، بمعنى أنّه يجعلهم أقسامًا وفرقًا، ويدخل في كلّ قسم من أقسام جهنّم طائفة من هؤلاء الطّوائف.

والسّبب فيه أنّ مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفّة، فلاجرم صارت مراتب العذاب والعقاب مختلفة بالغلظ والخفّة. والله أعلم. (٤ : ٥٥)

نحوه الخازن. (١٩ : ١٩١)

ابن عربيّ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ هي الحواسّ الخمس، والشّهوة، والغضب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ عضو خاصّ به، أو بعض من الخلق يختصّون بالدّخول منه، لغلبة قوّة ذلك الباب عليهم. (١ : ٦٦٦)

البَيْضاويّ: ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ أُفرز له. فأعلاها للموحّدين العصاة، والثّاني لليهود، والثّالث للنّصارى، والرّابع للصّابئين، والخامس للمجوس، والسّادس للمشركين، والسّابع للمنافقين.

وقرأ أبوبكر (جُزُءًا) بالتّثقيل، وقرئ (جزّ) على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزّاي، ثمّ الوقف عليه بالتّشديد، ثمّ إجراء الوصل مجرى الوقف، و(منهم) حال منه أو من المستكنّ في الظّرف، لا في (مقسوم)، لأنّ الصّفة لاتعمل فيما تقدّم موصوفها. (١ : ٥٤٢)

نحوه أبوالسّعود. (٤ : ٢٢)

النّسَفيّ: نصيب معلوم مُفرَز. (٢ : ٢٧٣)

البُرُوسَويّ: ضرب معيّن. (٤ : ٤٧٠)

الآلوسيّ: فريق معيّن مفروز من غيره، حسبما يقتضيه استعداده. (١٤ : ٥٣)

نحوه القاسميّ. (١٠ : ٣٧٥٧)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجزْء، أي الاكتفاء. يقال: جَزَأ بالشّيء وتجزأ، أي قنع واكتفى به، وأجزأه الشّيء: كفاه، وتجزّأ بكذا واجتزأ به: اكتفى به، وفلان بارع مُجزِئ لأمره، أي كاف أمره، وهذا رجل حسبك من رجل، وناهيك وكافيك وجازيك.

وجَزِئت الإبل وجَزَأت تَجزأُ جَزْءًا وجُزْءًا وجُزوءًا: اكتفت، وأجزأها هو وجزّأها تجزئةً: كفاها، وأجزأ القوم: جَزِئت إبلُهم، والجَوازئ: الوَحش، لتجزّئها بالرُّطب عن الماء، وظبية جازئة: استغنت بالرُّطب عن الماء.

والجَزْء: الاستغناء بالشّيء عن الشّيء، يقال: رجل له جَزْءٌ، أي غناء، ومالفلان جَزْء وماله إجزاء، أي ماله كفاية، وطعام لاجَزْء له: لايتجزأ بقليله، وأجزأ عنه مَجزَأه ومَجزَأته، ومُجزَأه ومُجزَأته، أي أغنى عنه مغناه.

والجُزْء: البعض والنّصيب، والجمع: أجزاء، وهو الجَزْء أيضًا، وكأنّه استغناء بالأقلّ عن الأكثر. يقال: جَزَأ الشّيء يَجزَأ جَزْءًا وجزّأه، أي جعله أجزاء، وجزّأ المال بينهم، وجزّأه: قسّمه وأجزأ منه جُزْءًا: أخذه.

والمَجزوء من الشّعر: ماحُذف منه جُزْآه، أو كان على جُزأين فقط، يقال: جَزَأ الشّعر جَزْءًا وجزّأه، أي حذف منه جُزأين، وبقّاه على جزأين.

والجُزْأة: القوام، يقال: ماعنده جُزْأة ذلك، ويُجزئ قليل من كثير، ويُجزئ هذا من هذا، أي كلّ واحد منهما يقوم مقام صاحبه.

والجُزْأة أيضًا: نصاب السّكّين والإشفَى والمِخصَف والمِئثرة، وقد أجزأها وجزّأها وأنصبها، أي جعل لها نصابًا وجُزْأة، وهو من هذا الباب أيضًا، لأنّها بعض من هذه الآلات.

٢ـ ولاعبرة بقول من يقول: أجزأتْ عنك شاةٌ، أي قضت، لأنّها لغة دانية لبعض العرب، وهم بنو تميم، كما أشرنا إليها في مادّة «أ ز ف»، وفصيحه «جزت» من «ج ز ي» كما سيأتي.

وفي الخبر: «البقرة تجزي عن سبعة»، وقد همزها بعض، قال ثَعْلَب: «فمن همزَ فمعناه تُغني، ومن لم يهمز فهو من الجزاء»، وهذا ممّا اختلف في حكمه باختلاف لفظه، وليس بلغة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها «جُزء» ثلاث مرّات:

١ـ ﴿وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِينَ* لَهَا سَبْعَةُ اَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ الحجر: ٤٣، ٤٤

٢ـ ﴿وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتٰى قَالَ اَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلٰى وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلٰى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَاْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٠

٣ـ ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا اِنَّ الْاِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ الزّخرف: ١٥

يلاحظ أوّلًا: في (١) بحوث:

١ ـ قُرئت الآيات بثلاث قراءات: «جُزء، جُـزُء، جُزّ» ولم يتعرّض لها الطّبري. فلعلّ قراءة التّثقيل عدّها شاذّة، فلم يذكرها.

٢ـ أُطلق الجزء فيها على «فرقة» لأنّها بعض مـن مجموعهم، ولهذا فسّروه بـ:نصيبًا وقسـمًا وسهـمًـا، ووُصف فيها بـ(مَقْسُومٌ). وهذا توسيع في معنى «الجزء»، والأصل فيه: البعض من الكلّ في الأجسام. وكأنّه جاء في الآية بشأن أهل النّار، تشبيهًا لهم بأجسام متراكمة تحقيرًا.

٣ ـ قالوا: هذه القسمة بحسب مراتب المستحقّين للعذاب، وعلى قدر استحقاقهم، وقد ذكر البَيْضاويّ طبقاتهم، فلاحظ.

٤ـ طبّق ابن عربيّ ـ حسب مسلكه في تأويـل الآيات ـ ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ عـلى الحـواسّ الخـمسة والشّهوة والغضب، ثمّ فسّر ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ بعضو خاصّ من تـلك الأعـضاء والخُـلُق، فكأنّ كـلّ حسّ وعضو وخُلق بابٌ من أبواب جهنّم لأهلها، ويـقابلها أبواب الجنّة الثّمانية لأهلها، كما جاء في الأحاديث.

٥ ـ قال البَيْضاويّ: في ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾، (منهم) حالٌ مـن (جُـزْء) أو مـن الضّـمير المستكنّ في الفعل المحذوف، الّذي هو متعلّق الجـار في (مَقْسُومٌ)، لأنّ الصّفة لاتعمل فيما تقدّم موصوفها.

قال طه الدُّرّة (٧: ٣٢٣) كأنّ (مِنْهُمْ) صفة له، فلمّا قُدّم عليه صار حالًا، وهذا لايجيزه سيبويه، أعني بـه مجيء الحال من المبتدإ، لأنّ (جُـزْء) عـندهم مبتدأ، و(لِكُلِّ) خبره.

وعندنا أنّه متعلّق بـ(مَقْسُومٌ) أي لكلّ باب جـزءٌ مقسوم منهم، وأُخّر (مَقْسُومٌ) رعايةً للرّويّ وبعدها: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ والتّقديم والتّأخير في مثل ذلك جائز، وله نظائر في القرآن.

٦ـ جاء في حديث الرّضاؑ جوابًا لمن سأله عن (الجزء) أنّه جزء من سبعة، احتجاجًا بهـذه الآيـة، ونظيره روايات في كلمات أُخرى، وهي عندنا محمولة على ما إذا أُريد بذلك ماجاء في القرآن، وإلّا فلادلالة في الآيات على ذلك، والتّفصيل في كلّ مورد إلى محلّه من الأبحاث الفقهيّة.

ثانيًا: جاء في (٢) عن ابن عبّاس وغيره في كيفيّة تجزئة الطّيور، وفي تعيين الجبال وعـددها ومـواضـعها أقـوال مخـتلفة، لادلالة في الآيـة عـلى شيء مـنها، ولاجدوى في البحث فيها، والّذي تهدفه الآية هو إفهام إبراهيم بأنّ الأجزاء الموزّعة من كلّ طير ـ وهي مختلطة طبعًا ـ سيضمّ بعضها إلى بعض، وترجع أحياء بإذن الله، فتكون آية لإبراهيم ـ وكذلك لكلّ من يقرأ هذه الآية ـ على أنّ الله قادر على إحياء الموتى، وتطمئنّ به نفوسهم.

ثالثًا: قالوا في (٣): أي جعلوا له من بين عباده ولدًا أو بنتًا، فإنّ الولد جزءٌ مـن والده. واختاره الطّـبَريّ احتجاجًا بأنّ مابعده ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَيكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ يكون توبيخًا على قولهم ذلك.

وتوضيحه أنّه وبّخهم أوّلًا بأنّهم جعلوا له من عباده جزءً، أي ولدًا، ثمّ وبّخهم بأنّهم لم يكتفوا بذلك حـتّى جعلوا هذا الولد أُناثًا، ثمّ عقّب الكلام في البنات في ثلاث آيات، من (١٦ ـ ١٨) ابتداء بـ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ

بَنَاتٍ﴾، ثمّ وبّخهم في (١٩) ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا...﴾، وبذلك خرجت الآية عن إطلاق الجزء على «البنت» تبعًا للعرب، الأمر الّذي أنكره الزّمخشريّ، فلاحظ.

وبعضهم قالوا: (جُـزءًا) أي نصيبًا، كما قال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا...﴾ الأنعام: ١٣٦، ولابأس به فقد جاء (جُـزءًا) بمعنى نصيب، ولعلّه أقرب الوجوه.



ج ز ع

لفظان، مرّتان: في سورتين مكّيّتين

جَزِعنا ١ : ١　　جَزُوعًا ١ : ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: الجَزْعُ، الواحدة: جَزْعَة من الخَرَز. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَزْعُ: قطعُك المفازة عَرْضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَزَعْنا الأرض: سلكناها عَرْضًا خلاف طولها.

وناحيتا الوادي: جِزْعاه، ويقال: لايسمّى جِزْعُ الوادي جِزْعًا حتّى تكون له سَعَةٌ تُنبت الشّجر وغيره. [ثمّ استشهد بشعر]

والجازع: الخشبة الّتي توضع بين الخشبتين، منصوبتين عَرْضًا، لتوضع عليها عروش الكَرْم وقُضبانها، ليرفعها عن الأرض. فإن نعتّها قلت: خشبة جازعة، وكذلك كلّ خشبة بين شيئين، ليُحمَل عليها شيء فهي جازعة.

والمُجَزِّع من البُسْر: ماقد تجزّع فأرطبَ بعضه، وبعضه بُسْرٌ بَعدُ.

وفلان يسبّح بالنّوى المجزَّع، أي الّذي يُصيَّر على هيئة الجَزْع من الخرَز.

والجِزعة من الماء واللّبن: ماكان أقلّ من نصف السّقاء أو نصف الإناء والحوض.

والجَزَعُ: نقيض الصّبر، جزِع على كذا جزَعًا، فهو جَزِع وجازع وجَزُوع.

وفي الحديث: «أتتنا جُزَيعَة من الغنم». (١: ٢١٦)

ابن شُميل: يقال في الحوض جِزْعَة، وهو الثّلث أو قريب منه، وهي الجِزَعُ. وقد جزّع الحوض، إذا لم يبق فيه إلّا جِزْعَة. ويقال: في الغدير جِزْعَة، ولايقال: في الرّكيّة جِزْعَة. (الأزهريّ ١: ٣٤٥)

أبوعمرو الشّيبانيّ: [عن الأسعديّ] الجِزْعُ: المُشرف من الأرض، إلى جنبه طمأنينةٌ. (١: ١١٦)

صَبّ لي جِزْعَةً من لَبَن. (١: ١١٩)

جَزَع الوادي: أن يأتيه معترضًا، فذاك جِزْعُه،

وأخذت مِلك الوادي: وسطَه. (١: ١٢٥)

الجِزعة: الشيء القليل من اللّبن، يُحلب من الشّخلة، وهو لبن في أطراف الأخلاف، ولايكون إلّا بارداً. (١: ١٣٣)

أبوعُبَيْدَة: [جِزع الوادي] هو إذا قطعته إلى الجانب الآخر، والجميع: أجزاع. (الأزهَريّ ١: ٣٤٣)

أبوزَيْد: كَلأٌ جُزاع، وهو الّذي يقتل الدّوابّ.

ولحمٌ مجزَّع: فيه بياض وحمرة.

ونوًى مجزَّع، إذا كان محكوكًا. (الأزهَريّ١: ٣٤٤)

الأصمَعيّ: [جِزع الوادي] هو مُنحناه.

(الأزهَريّ ١: ٣٤٣)

المُجزِّع من الرُّطَب: الّذي بلغ الإرطاب نصفه.

مضَتْ جِزعَة من اللّيل، أي ساعة من أوّلها وبقيت جِزعَة من آخرها. (الأزهَريّ ١: ٣٤٤)

هو [جِزعُ الوادي] مُنعرجُه بحيث ينعطف.

(الخطّابيّ ١: ٦٧٨)

اللّحيانيّ: بقي من السّقاء جِزعَة من لبن أو ماء.

بقي من السّقاء جِزعة، أي قليل.

(ابن سيده ١: ٣٠٣)

ابن الأعرابيّ: الجِزعَة، والكُثبة، والغُرفة[1]، والخَطْمة: البقيّة من اللّبن. (الأزهَريّ ١: ٣٤٥)

[جِزعُ الوادي] هو مُعظمه. (فصيح ثَعْلَب: ٥٦)

ابن السِّكّيت: الجَزع بفتح الجيم: الخرز اليمانيّ؛ والجِزع بكسر الجيم: جِزع الوادي، وهو منعطَفه.

(الأزهَريّ ١: ٣٤٣)

شَمِر: المُجزَّعُ من الرُّطَب: الّذي يبلغ الإرطاب نصفه، بفتح الزّاي. (الصّغانيّ ٤: ٢٣٠)

أبوحاتِم: مجزَّعَة، إذا أرطبت إلى نصفها، ونحو ذلك. (ابن دُرَيْد ٢: ٨٩)

كُراع النّمل: وجزَعَ المفازة جَزْعًا: قطعها.

والجَزْع: ضرب من الخرَز. (ابن سيده ١: ٣٠٢)

ابن دُرَيْد: جَزِعَ الرّجل يجزَع جزعًا من مصيبة أو ألم.

وجزَع الرّجل الوادي يجزَعه جَزْعًا، إذا قطع جِزعه، وهو وسطه ومنعَطَفُه ومنقطَعُه، ثلاث لغات.

والجَزْع بفتح الجيم: هذا الخرز المعروف الّذي تسمّيه العامّة جِزعًا.

ومابقي في الإناء إلّا جِزعَة وجُزعَة وجُزَيعَة، وهو القليل من الماء، وكذلك هو في القِرْبة والأداوة.

ورُطَبة مُجزِّعَة.

وانجزع الحبل، إذا انقطع، وقال قوم: إذا انقطع بنصفين قيل: انجزع، ولايقال إذا انقطع من طرفه: انجزع. ويقال: انجزعت العصا، إذا انكسرت بنصفين.

والجُزْع: المحور الّذي يدور فيه المَحالة، لغة يمانيّة.

والجُزْع: هذا الصّبغ الأصفر الّذي يسمّى الهُرْد، وهو العروق في بعض اللّغات.

والجازعة: الخشبة الّتي يعرش عليها الكَرْم.

(٢: ٨٩)

القاليّ: وجِزعُ الوادي: مُنعطَفُه، وكذلك صُوحُه ومُنحناه ومُنثناه. (٢: ٣٢١)

الأزهَريّ: [نقل قول شَمِر ثمّ قال:]

---

(١) في اللّسان: الفُرقة.

قلت: وسماعيّ من الهَجَريّين: رُطَبٌ مُجَزِّع، بكسر الزّاي، كما رواه المُسعريّ عن أبي عُبَيْد؛ يقال: جَزَّع، فهو مُجَزِّع.

ويقال: في القِرْبة جِزْعَة من الماء، وفي الوَطْبِ جِزْعَة من اللّبن، إذا كان فيه شيء قليل. (١: ٣٤٣)

وقال غيره [أبوعُبَيْدَة]: الجَزْع أيضًا: قطعك واديًا أو مفازة أو موضعًا تقطعه عَرضًا؛ وناحيتاه: جِزْعاه. [ثمّ استشهد بشعر]

تجزّع السّهم، إذا تكسّر. [ثمّ استشهد بشعر]

(١: ٣٤٤)

ويقال: في الغدير جِزْعة، ولايقال: في الرّكيّة جِزْعَة. (١: ٣٤٥)

الصّاحِب: الجَزْعُ: الخَرَزُ، والواحدة: جَزْعَة. وقَطْعُك الجِلدَ والمفازةَ عَرضًا.

والجِزْعُ: جانب الوادي، وقيل: لايسمّى جِزْعًا حتّى تكون له سعة تُنبت الشّجر. وكلّ أرض مستوية في طريقةٍ واحدة.

وجِزْع القوم: مَحَلّتهم.

ويقال: جزَعْتُ له من مالي جِزْعَةً، أي قطعت قِطعَةً، وكذلك: مضى جِزْعَة من اللّيل، وله جِزْعَة من الغنم.

واجتَزَعْتُ عودًا من الشّجر: اكتسرْت.

وكلّ خشبة معروضة بيْن شيئين ليُحمَل عليها شيء: جازع، وخشَبة جازعة.

وجزَّعْتُ في القِرْبة جِزْعَةً: قاربتَ المَلْء.

وجَزَّعَ الإناء والحوض: لم يبق فيهما إلّا جِزْعَة.

وأجْزَعتُ جِزْعَةً: أبقَيْتَ بقيّةً، وقيل: ماهي دون النّصف.

وجمع الجِزْعَة: جِزاع.

والأجْزاع: خلايا النّحْل، الواحد: جِزْع.

وجُزْعَة السّكّين: جُزْأتُه.

وكلأٌ جُزاع: يقتل الدّوابّ.

والتّجْزيع: التّفريق.

والمُجَزِّع من البُسْر: ماأرْطَب بعضُه وبعضه بُسْرٌ بعْدُ؛ ومن الدّوابّ: مافيه كلّ لون.

وتجزّعَ الرّجل: تكسّر، ويقال: جَزِعَ جَزَعًا وجُزُوعًا. (١: ٢٤٣)

الخطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «وتفرّق النّاس إلى غُنَيمة فتجزّعوها». تجزّعُوها، أي توزّعوها واقتسموها، وأصله من: جَزَعْتُ الشّيء، إذا قطعته، والجُزْعَة: القِطعَةُ من الشّيء. (١: ٤٣٥)

نحوه الزّمَخْشَريّ. (الفائق ٣: ٢٨٢)

في حديث النّبيّ ﷺ في مسيره إلى بَدْر: «أنّه مضى حتّى قطع الخيوف، وجعلها يسارًا، ثمّ جزَعَ الصُّفيراء، ثمّ صَبَّ في دَفِران حتّى أفتَق من الصّدمتين».

وجَزَعَ الصُّفيراء، أي قطعها عَرْضًا. ولايكون الجَزْعُ بمعنى القطع إلّا عَرْضًا، ومنه جِزْع الوادي. (١: ٦٧٨)

الجَوْهَريّ: الجَزْعُ: مصدر جزَعْتُ الوادي، إذا قطعته عَرضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَزْعُ أيضًا: الخَرَزُ اليمانيّ، وهو الّذي فيه بياضٌ وسوادٌ، تُشبّهُ به الأعين.

والجِزْعُ بالكسر: منعطَفُ الوادي.

والجِزعَة أيضًا: القليل من المال والماء، وطائفة من اللّيل، يقال: جَزَعَ له جِزعَةً من المال، أي قطع له منه قطعةً.

واجتَزَعْتُ من الشّجرة عُودًا: اقتطعته واكتسرته.

والجَزَعُ، بالتّحريك: نقيض الصّبر، وقد جَزِعَ من الشّيء بالكسر، وأجزَعَهُ غيره.

والجازع: الخشبة الّتي توضع في العريش عَرضًا، يُطرَح عليها قضبان الكَرْم لترفعها عن الأرض؛ ولم يعرفه أبوسعيد.

والجَزيعَة: القطعة من الغنم.

وجَزَّعَ البُسْرُ تَجزيعًا، فهو مُجَزِّع. وبُسْرَة مُجَزِّعة، إذا بلغ الإرطاب ثُلثيها. (٣: ١١٩٥)

ابن فارِس: الجيم والزّاء والعين أصلان: أحدهما: الانقطاع، والآخر: جوهر من الجواهر.

فأمّا الأوّل: فيقولون: جزَعْتُ الرّملة، إذا قطعتَها، ومنه: جِزعُ الوادي، وهو الموضع الّذي يَقطعُه من أحد جانبيْه إلى الجانب. ويقال: هو مُنْعَطفه، فإن كان كذا فلأنّه انقطع عن الاستواء فانعرج.

والجَزَع: نقيض الصّبر، وهو انقطاع المُنّة عن حمل مانزل.

والجِزْعَة: هي القليل من الماء، وهو قياس الباب.

وأمّا الآخر: فالجَزْع، وهو الخَرَزُ المعروف. ويقال: بُسْرَة مُجَزِّعَة، إذا بلغ الإرطاب نصفها، وتُشبه حينئذ الجَزْع. (١: ٤٥٣)

الهَرَوِيّ: وفي الحديث: «أنّه وقف على مُحَسِّر فقرع راحلته فخَبَّت، حتّى جَزَعَه» أي قطعه.

يقال: جزَعْتُ الوادي، إذا قطعتَه، وجِزْعُ الوادي: مُنقَطَعُه ومُنعَطَفُه.

وفي الحديث: «فتفرّق النّاس إلى غُنَيمَة فتجزّعوها» أي اقتَسَموها، وأصله من الجَزْع، وهو القَطْع.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «فإذا عِقدٌ لي من جَزْع ظَفار قد انقطع» الجَزْع: خَرَزٌ معروف، وظَفار: موضع نُسب إليه هذا الخَرَز. (١: ٣٥٧)

أبوسهل الهَرَوِيّ: وجِزْعُ الوادي بالكسر: جانِبُه حيث ينقطع، ويقال: ماانثنى منه، انعطف وانحنى، لأنّه انقطع عن مَمَرّه المستقيم فخالفه. وقال ابن الأعرابيّ: هو مُعظَمه، يعني ماااتّسع منه.

والجَزْعُ بالفتح: الخَرَز اليمانيّ المُجَزَّع بالألوان المختلفة، أي المقطّع بها. (فصيح ثَعلَب: ٥٥)

ابن سيده: الجَزَع: نقيض الصّبر؛ جَزِع جَزَعًا، فهو جازِع، وجَزِعٌ، وجَزُعٌ، وجَزُوعٌ، وجُزاع...وأجزَعه الأمر. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَزَع الموضع يجزَعُه جَزعًا: قطعَه عَرضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِزْع الوادي: حيث تَجزَعُه، أي تقطعه. وقيل: هو مُنقَطَعُه، وقيل: جانبه ومُنعَطَفه، وقيل: هو كلّ مااتّسع من مَضايقه، أنبت أو لم يُنبت. وقيل: لايسمّى جِزعًا حتّى تكون له سَعَة، تُنبت الشّجر وغيره. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِزْع القوم: مَحلّتهم. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِزْعَة الوادي: مكان يستدير ويتّسع، ويكون فيه شجر يُراح فيه المال من القُرّ، ويُحبَس فيه إذا كان

جائعًا، أو صادرًا، أو مُخدِرًا، والمُخْدر: الّذي تحت المطر.

وانجزَع الحبل: انقطع بنصفين، وقيل: هو أن ينقطع أيًّا كان، إلّا أن ينقطع من الطّرَف. وانجَزَعتِ العصا: انكسَرت بنصفين.

وتمرٌ مُجزَّع، ومُجزِّعٌ، ومُتجزِّعٌ: بلغ الإرطاب نصفَه، وقيل: بلغ الإرطاب من أسفله إلى نصفه، وقيل: بلغ بعضَه من غير أن يُجَدّ، وكذلك الرُّطَب.

ووَتَر مُجزَّع: مختلف الوضع، بعضه رقيق وبعضه غليظ.

والجَزْع والجِزْع، الأخيرة عن كُراع: ضرب من الخرَز، وقيل: الخَرَز اليمانيّ. [ثمّ استشهد بشعر]

واحدته: جَزْعَة.

والجُزْعُ: المِحور الّذي تدور فيه المَحالة؛ يمانية.

والجازع: خشَبة معروضة بين شيئين يُحمَل عليها، وقيل: هي الّتي توضع بين خشبَتَين منصوبتين عَرْضًا، لتوضَع عليها سُرُوع الكَرْم وعُرُوشها، لترفعها عن الأرض؛ فإن وُصِفت قيل: جازعة.

والجِزْعَة من الماء واللّبن: ماكان أقلّ من نصف السِّقاء والإناء والحوض. وقال اللّحيانيّ مرّة: بقي في السِّقاء جِزْعَة من لَبن أو ماء، لم يُزِد على ذلك. وقال أُخرى: بقي في السِّقاء جِزْعَة، أي قليل.

وجزَّعتُ في القِرْبة: جَعَلْتُ فيها جِزْعَة.

والجِزْعَة: القطعة من اللّيل، ماضيةً أو آتيةً.

والجُزَيْعة: القُطَيعة من الغنم.

والجَزْع: الصِّبغ الأحمر، الّذي يسمّى العُرُوق، في بعض اللّغات. (١: ٣٠١)

جَزِع، يَجْزَع، جَزَعًا: ضعُفت مُنّته عن احتمال مانزل به، ولم يجد صبرًا، فهو جازعٌ وجَزِعٌ وجَزُوع، وأجزَعه غيره. (الإفصاح ١: ١٧٠)

الجَزْعُ: الخَرَز اليمانيّ، فيه سواد وبياض تُشبَّه به الأعين.

وقيل: هو ضرب من العقيق يُعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان. والحجر في جملته بلون الظُّفر. الواحدة: جَزْعَة. وكلّ مافيه سواد وبياض فهومُجزَّع. (الإفصاح ١: ٣٥٠)

الرّاغِب: الجَزَعُ أبلغ من الحُزن، فإنّ الحُزن عامٌّ، والجزَعُ هو حُزنٌ يَصرِف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعُه عنه.

وأصل الجَزْعِ: قطعُ الحَبل من نصفه، يقال: جزَعْتُه فانجزع. ولتصوّر الانقطاع منه قيل: جَزْعُ الوادي: لمنقطَعه؛ ولانقطاع اللّون بتغيّره قيل للخرَز المتلوّن: جَزْع.

وعنه استُعير قولهم: لحمٌ مُجزَّعٌ، إذا كان ذا لونين، وقيل للبُسْرة إذا بلغ الإرطاب نصفها: مُجزِّعَة.

والجازع: خشَبة تُجعل في وسط البيت، فتُلق عليها رُؤُوسُ الخشب من الجانبين. وكأنّما سمّي بذلك إمّا لتصوّر الجَزْعَة لما حمَل من العِبْء، وإمّا لقطعه بطوله وسط البيت. (٩٢)

الزّمَخشَريّ: جَزَع الوادي: قطعَه عَرْضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وهم بجِزْع الوادي، وهو منقطَعه، ونزلوا بين أجْراع وأجْزاع، وتجزّع الشّيء: تقطّع وتفرّق. [ثمّ استشهد

بشعر]

ومنه الجَزْعُ الظّفاريّ، لأنّ لونه قد تجزّع إلى بياض وسواد. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: فلان ينظم الجَزْعَ باللّيل لحدّة بصره.

ومالي من اللّحم إلّا مِزْعَه، ومن الماء إلّا جِزْعَه، وهي أقلّ من نصف السّقاء.

وجزّع البُسْر، وجُزّع، وبُسْر مُجزّع ومُجزِّع: قد أرطب بعضه وبعضه غضٌّ، أي صار كالجَزْع في اختلاف لونه أو صُيّر.

وفي الحديث: «كان يسبّح بالنّوى المجزّع» وهو الّذي حُكّك حتّى صار ذالونين، ومنه لحمٌ مجزّع: فيه بياض وحمرة، ودابّة مجزّع: فيها اختلاف ألوان، ووَتَر مجزّع: لم يحسنوا إغارَتَه فاختلفت قواه.

وجَزِعَ فلان أيّ ساعة مَجْزَع.

ومن المجاز: مضت صبّةٌ من اللّيل وجِزْعة، وهي ساعة من أوّله. (أساس البلاغة: ٥٨)

أبوهريرة كان يُسبّح بالنّوى المجزَّع، وروي بالكسر، قيل: هو الّذي حُكّ بعضه حتّى ابيضّ، وتُرك الباقي على لونه، فصار على لون الجَزْع. وكلّ ما اجتمع فيه سواد وبياض فهو مجزَّع، ومنه: جَزّع البُسْر، إذا أرطَب إلى نصفه. (الفائق ١: ٢١١)

الطَّبْرِسيّ: والجَزَع: انزعاج النّفس بورود مايُغمّ، ونقيضه الصّبر. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٣٠٩)

المَدينيّ: في حديث عائشة، رضي الله عنها: «انقطع عِقدٌ لها من جَزْع ظَفار». الجَزْع: الخَرَز، الواحدة: جَزْعَة. وظَفارِ مبنيًّا: جبَل باليمن، يُنسب الجَزْع إليه.

وقيل: هي خَرَزٌ مُلوّن؛ والجِزْعُ بكسر الجيم فيه: لُغَيّة. وفي كتاب «النّوادر» لأبي عمر: جَزْعَة، بالفتح.

في حديث المقداد، رضي الله عنه: «أتاني الشّيطان فقال: إنّ محمّداً ﷺ، يأتي الأنصار فيُتْحِفُونه، مابه حاجة إلى هذه الجُزَيعَة».

هي تصغير «جِزْعَة» وهي القليل من اللّبن، وجَزّعَ الإناءُ تَجْزيعًا، إذا لم يكن فيه إلّا جِزْعَة؛ وذلك أقلّ من نصفه. وأجزَعتُ جِزْعَةً: أبقيتُ بقيّة. (١: ٣٢٦)

ابن الأثير: [وفي الحديث]: «ثمّ انكفأ إلى كبشين أملَحَين فذَبَحهما، وإلى جُزَيْعَة من الغنم فقسّمها بيننا».

الجُزَيْعَة: القطعة من الغنم، تصغير «جِزْعَة» بالكسر، وهو القليل من الشّيء. يقال: جَزَع له جِزْعَة من المال، أي قطَع له منه قطعة، هكذا ضبطه الجَوهَريّ مصغّرًا.

والّذي جاء في «المجمل» لابن فارِس بفتح الجيم وكسر الزّاي، قال: هي القطعة من الغنم، كأنّها «فَعيلة» بمعنى «مفعُولة»، وماسمعناها في الحديث إلّا مُصغّرة. [ثمّ ذكر حديث المقداد وقال:]

هي تصغير «جِزْعَة» يريد القليل من اللّبن. هكذا ذكره أبوموسى وشرحه، والّذي جاء في صحيح مسلم: «مابه حاجة إلى هذه الجِزْعَة» غير مصغّرة، وأكثر مايُقرأ في كتاب مسلم: «الجُرْعَة» بضمّ الجيم وبالرّاء، وهي الدّفعة من الشّرب.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: «لمّا طُعِن جعَل ابن عبّاس يُجزِّعه» أي يقول له مايُسْليه ويُزيل جَزَعَه،

وهو الحزن والخوف. (١: ٢٦٩)

الصّغانيّ: أجزَعتُ جِزعَةً: أبقَيتُ بَقيّةً، وقيل: هي مادون النّصف.

والأجزاع: خلايا النّحل، الواحدة: جِزع.

وجُزعَة السّكّين: جُزأتُه. (٤: ٢٣٠)

الفَيّوميّ: جزَعتُ الوادي جزعًا من باب «نفع»: قطعته إلى الجانب الآخر.

والجِزعُ بالكسر: مُنعطَف الوادي، وقيل: جانبه، وقيل: لايسمّى جِزعًا حتّى يكون له سَعَة تُنبتُ الشّجر وغيره، والجمع: أجزاعٌ، مثل حِمْل وأحمال.

والجَزْعُ بالفتح: خَرَزٌ فيه بياض وسواد، الواحدة: جَزْعَة، مثل تَمْر وتَمْرَة.

وجَزِعَ، جَزَعًا من باب «تَعِب» فهو جَزِعٌ وجَزُوعٌ مبالغة، إذا ضَعُفَت مُنّتُه عن حَمل مانزل به ولم يجد صبرًا، وأجزَعه غيره. (١: ٩٩)

الفيروزاباديّ: جـزَع الأرض والوادي كمنَع: قطَعه أو عَرْضًا.

والجَزْعُ ويُكسر: الخَرَزُ اليمانيّ الصّينيّ، فيه سوادٌ وبياضٌ تُشبَّه به الأعين، والتّختّم به يورث الهمّ والحزن والأحلام المُفزِعة ومخاصمة النّاس، وإن لفّ به شَعَرُ مُعْسرٍ ولَدتْ من ساعتها.

وبالكسر، وقال أبوعُبَيْدَة: اللّائق به أن يكون مفتوحًا: منعَطفُ الوادي ووسطه أو مُنقطَعه أو منحناه، ولايسمّى جِزعًا حتّى تكون له سَعَة تُنبتُ الشّجر، أو هو مكان بالوادي لاشجر فيه؛ وربّما كان رملًا، ومحلّة القوم، والمشرف من الأرض، إلى جنبه طمأنينة، وخليّة النّحل؛ الجمع: أجزاعٌ، وقرية عن يمين الطّائف وأُخرى عن شمالها.

وبالضّمّ: المحور الّذي تدور فيه المَحالة[1] ويُفتح، وصَبغٌ أصفر يسمّى الهُرْدَ، والعُرُوق.

والجازع: الخشَبة توضع في العريش عَرْضًا يُطرَح عليه قُضبان الكَرْم، وكلّ خشبة معروضة بين شيئين ليُحمَل عليها شيء.

والجِزْعَة بالكسر: القليل من المال ومن الماء ويُضمّ، والقطعة من الغنم، وطائفة من اللّيل مادون النّصف من أوّله أو من آخره، ومجتمع الشّجر، والخَرَزَة ويُفتح.

والجزَع محرّكة: نقيض الصّبر، وقد جَزِعَ كفَرِح جَزَعًا وجُزُوعًا فهوجازعٌ وجَزِعٌ ككتف ورَجلٍ وصبورٍ وغُراب، وأجزَعه غيره.

وأجْزَعَ جِزعَةً بالكسر وبالضّمّ: أبقى بقيّة.

وجُزعَة السّكّين بالضّمّ: جُزأتُه.

وجَزّعَ البُسْر تجزيعًا فهو مُجَزِّعٌ كمعَظِّم ومحدِّثٍ: أرطَب إلى نصفه، ورُطَبَةٌ مُجَزِّعَة. وفلانًا: أزال جزَعَه، والحوض فهو مُجَزِّعٌ كمُحدِّث: لم يبق فيه إلّا جِزْعَة.

ونَوًى مُجَزَّعٌ ويُكسَر: حُكَّ بعضُه حتّى ابيضّ، وتُرِك الباقي على لونه، وكلّ مافيه سوادٌ وبياضٌ فهو مُجَزَّعٌ ومُجْزَعٌ.

وانجَزَعَ الحبل: انقطع أو بنصفين، والعصا: انكسرت كتجزّعَت، واجتَزَعَه: كسره وقطَعه.

والمِجْزَع كدرهم: الجبان «مِفْعَل» من الجزَع. (٣: ١٣)

---

(١) الدّولاب.

الطُّرَيحيّ: في الحديث: «تختّموا بالجَزْع اليماني» هو بالفتح فالسّكون: الخرَز الّذي فيه سواد وبياض تُشبَّه به الأعين، الواحدة: جَزْعَة، مثل تَمْر وتمْرَة.

والجَزَعُ بالتّحريك: نقيض الصّبر، يقال: جَزِع الرّجل جزعًا، من باب «تعب» فهو جَزِع، وجَزُوعٌ مبالغة، وأجزَعه غيره. (٤: ٣١١)

الزَّبيديّ: وممّا يُستدرك عليه [الفيروزاباديّ] التّجزّع: التّوزّع والاقتسام من «الجَزْع» وهو القطع، ومنه حديث الضّحيّة: «فتفرّق النّاس عنه إلى غُنَيمة فتجزّعوها» أي اقتسموها.

وتَمْر مُتجزِّع: بلغ الإرطاب نصفه، ولحمٌ مجزَّع: فيه بياض وحمرة، ووَتَر مجزَّع: مختلف الوضع، بعضه رقيق وبعضه غليظ، كما في «اللّسان». (٥: ٣٠٢)

مَجْمَعُ اللُّغة: الجَزَعُ: نقيض الصّبر، وهو ضُعف النّفس عن احتمال ما ينزل بها من مكروه.

جَزِع يَجْزَع جَزَعًا، وصيغة المبالغة منه: جَزُوعٌ. (١: ١٩١)

المُصْطَفَويّ: الأصل الواحد في هذه المادّة، هو القطع المخصوص، أي قطع ما كان له امتداد تحقيقًا أو تقديرًا، فتُقطَع امتداده عَرْضًا ومن وسطه، وبهذه المخصوصيّة تمتاز عن موادّ: جَدَع، جذّ، جذَم، جزّ، جزَم؛ وبينها اشتقاق أكبر، ولكلّ منها خصوصيّة ليست لأُخرى.

فالجَزَع: ضدّ الصّبر هو قطع امتداد السّكون، وحالة الطّمأنينة والصّبر، حتّى يظهر منه ما يخالف السّكون، وينقطع حاله الممتدّ تقديرًا.

وجَزْع الوادي أو المفازة، أو موضع ممتدّ: من هذا المعنى.

وأمّا الخَرَز المعروف، فهو الحجر المركّب من طبقات حمراء لا مستشفّ لها وبيضاء، ثمّ طبقة بلّوريّة تستشفّ وتبيّن ماوراءها، وليس في الأحجار أصلب منه. والحبشيّ منه طبقته العُليا سوداء، فهو إن لم يؤخذ من لغة أُخرى عجميّة: فلعلّه بمناسبة انقطاع حالة الطّبقات كيفيّةً ولونًا.

ويؤيّد هذا الأصل: أنّ هذه المادّة في العبريّة أيضًا قريبة منه.

قع «قاموس العبريّ العربيّ» - (جازَع) = قَطَعَ، قصّ، شذّب.

والفرق بين الجزَع والحزن: أنّ التّأثّر والاضطراب في الحزن، يكون في الباطن، وهو لا ينافي الصّبر ظاهرًا، بخلاف الجزَع.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا﴾ إبراهيم: ٢١، فيستفاد أنّه في مقابل الصّبر.

﴿اِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ المعارج: ٢٠، فيستفاد أنّه يتحقّق عند مسّ الشّرّ، وما لا يلائم نفسه، فيقطع امتداد جريان طمأنينته وثباته وصبره، ويظهر من نفسه الجزَع. فالجزَع: ما يُقطَع به الثّبات والصّبر.

وأمّا التّعبير بهذه المادّة في الآيتين الكريمتين، فللإشارة إلى أنّ الإنسان الجزِع يظلم نفسه ويقطع امتداد طمأنينته وجريان أمره، مع أنّ وظيفته الصّبر والثّبات والاستقامة، حتّى يظفر بمقصوده. (٢: ٨٤)

النُّصوص التّفسيريّة

اَجَزِعْنَا

سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا. إبراهيم: ٢١

ابن عبّاس: (اَجَزِعْنَا): أصِحنا وتضرّعنا. (٢١٣)

ابن زَيْد: إنّ أهل النّار قال بعضهم لبعض: تعالَوا، فإنّما أدرك أهل الجنّة الجنّة ببكائهم وتضرّعهم إلى الله، فتعالَوا نبكي ونتضرّع إلى الله. قال: فبكوا، فلمّا رأوا ذلك لاينفعهم، قالوا: تعالوا، فما أدرك أهل الجنّة الجنّة إلّا بالصّبر، تعالوا نصبر فصبروا صبرًا لم يُرَ مثله، فلم‌ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا﴾. (الطّبَريّ ١٣: ١٩٩)

ابن كعب القُرَظيّ: إنّ أهل النّار قال بعضهم لبعض: ياهؤلاء، إنّه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ماقد ترون، فهلُمّ فلنصبر، فلعلّ الصّبر ينفعنا، كما صبر أهل الدّنيا على طاعة الله، فنفعهم الصّبر إذ صبروا، فيجمعون رأيهم على الصّبر، فصبروا، فطال صبرهم، ثمّ جزعوا فنادوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا﴾.

(الطّبَريّ ١٣: ١٩٩)

مُقاتِل: يقولون في النّار: تعالوا نجزع، فيجزعون خمسمئة عام فلاينفعهم الجزع، ثمّ يقولون: تعالوا نصبر فيصبرون خمسمئة عام فلاينفعهم الصّبر، فحينئذ يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا﴾.

(البغويّ ٣: ٣٥)

زيد بن أسْلَم: جزعوا مئة سنة وصبروا مئة سنة.

(ابن الجَوْزيّ ٤: ٣٥٦)

الطُّوسيّ: أي الجزَع والصّبر سيّان مثلان، ليس لنا من محيص، أي مَهْرب من عذاب الله تعالى. [إلى أن قال:]

والجزَع: انزعاج النّفس بورود مايغمّ، ونقيضه الصّبر. (٦: ٢٨٨)

الزّمَخْشَريّ: يقولون: ماهذا الجزَع والتّوبيخ؟ ولافائدة في الجزع كما لافائدة في الصّبر، والأمر من ذلك أطمّ. أو لمّا قالوا: لو هدانا الله طريق النّجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم، أتبعوه الإقناط من النّجاة، فقالوا: ﴿مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي منجى ومَهْرب، جزعنا أم صبرنا.

ويجوز أن يكون من كلام الضّعفاء والمستكبرين جميعًا، كأنّه قيل: قالوا جميعًا: سواء علينا، كقوله: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنّي لَمْ اَخُنْهُ﴾ يوسف: ٥٢. (٢: ٣٧٣)

نحوه أبوالسُّعود. (٣: ٤٨١)

ابن عَطيّة: وقوله: (اَجَزِعْنَا) ألف التّسوية، وليست بألف استفهام. [ونقل قول ابن زَيْد ومحمّد بن كعب ثمّ قال:]

وظاهر الآية أنّهم إنّما يقولونها في موقف العرض، وقت البروز بين يدي الله تعالى. (٣: ٢٣٢)

الطّبْرِسيّ: يعني أنّ الصّبر والجزَع سيّان مثلان، ليس لنا محيص ولامَهْرب من عذاب الله، أي انقطعت حيلتنا ويئسنا من النّجاة. حثّ الله سبحانه في هذه الآية على النّظر، وحذّر من التّقليد. وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في قوله للحارث الهمدانيّ: ياحار «الحقّ لايُعرف بالرّجال اعرِف الحقّ تعرف أهله».

(٣: ٣١٠)

الفَخْرالرّازيّ : ثمّ حكى الله تعالى أنّ الضّعفاء يقولون للرّؤساء: هل تقدرون على دفع عذاب الله عنّا؟ والمعنى أنّه إنّما اتّبعناكم لهذا اليوم، ثمّ إنّ الرّؤساء يعترفون بالخزي والذّلّ والعجز، قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ﴾ عذاب الله ﴿مِنْ مَحِيصٍ﴾.

ومن المعلوم أنّ اعتراف الرّؤساء والسّادة والمتبوعين بمثل هذا العجز والخزي والنّكال، يوجب الخجالة العظيمة والخزي الكامل التّامّ، فكان المقصود من ذكر هذه الآية: استيلاء عذاب الفضيحة والخجالة والخزي عليهم، مع ماتقدّم ذكره من سائر وجوه أنواع العذاب والعقاب، نعوذ بالله منها، والله أعلم. (١٩: ١٠٨)

البَيْضاويّ: مستويان علينا: الجزع والصّبر. (١: ٥٢٩)

نحوه النّسَفيّ (٢: ٢٥٩)، وشُبّر (٣: ٣٥٦).

النّيسابوريّ : أرادوا إقناطهم من دفع العذاب بالكلّيّة، أو أرادوا أنّ عذاب الضّعفاء لهم وتوبيخهم إيّاهم نوع من الجزع، ولافائدة فيه ولا في الصّبر. (١٣: ١٢١)

الخازن: يعني مستويان علينا الجزع والصّبر، والجزع: أبلغ من الحزن، لأنّه يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه. (٤: ٣٢)

مثله الشّربينيّ. (٢: ١٧٧)

أبوحَيّان : الجزع: عدم احتمال الشّدّة، وهو نقيض الصّبر. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٤١٤)

والظّاهر أنّ قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ إلى آخره، داخل تحت قول المستكبرين، وجاءت جمله بلا واو عطف، كأنّ كلّ جملة أُنشئت مستقلّة غير معطوفة، وإن كانت مرتبطًا بعضها ببعض من جهة المعنى، لأنّ سؤالهم هل أنتم مُغنون عنّا؟ إنّما كان لجزعهم ممّا هم فيه فقالوا لهم ذلك، سوّوا بينهم وبينهم في ذلك، لاجتماعهم في عقاب الضّلالة الّتي كانوا مجتمعين فيها، يقولون: ماهذا الجزع والتّوبيخ؟ ولافائدة في الجزع كما لافائدة في الصّبر، ولمّا قالوا: ﴿لَوْ هَدَانَا اللهُ﴾ أتبعوا ذلك بالإقناط من النّجاة، فقالوا: ﴿مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي مَنجى ومَهْرب جزعنا أم صبرنا. (٥: ٤١٧)

البُرُوسَويّ : في طلب النّجاة من ورطة الهلاك والعذاب، والجزع: عدم الصّبر على البلاء. (٤: ٤١١)

الآلوسيّ : والجزع: حزن يصرف عمّا يراد، فهو حزن شديد. وفي «البحر» هو عدم احتمال الشّدّة، فهو نقيض الصّبر.

وإنّما أسندوا كلًّا من الجزع والصّبر واستوائهما إلى ضمير المتكلّم المنتظم للمخاطبين أيضًا، مبالغةً في النّهي عن التّوبيخ، بإعلامهم أنّهم شركاء لهم فيما ابتلوا به، وتسلية لهم.

وجُوّز أن يكون هذا من كلام الفريقين، فهو مردود إلى ماسيق له الكلام وهم الفريقان، ولانظر إلى القرب، كما قيل في قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ يوسف: ٥٢، وأُيّد ذلك بما أخرجه ابن أبي حاتم والطّبرانيّ. [ثمّ نقل قول ابن كعب المتقدّم وأضاف:]

وإلى كون هذه المحاورة بين الضّعفاء والمستكبرين في النّار، ذهب بعضهم ميلًا لظواهر الأخبار. (١٣: ٢٠٧)

مَغْنيّة : وقد سأل التّابعون متبوعيهم أن يخفّفوا

عنهم يسيرًا من العذاب، فأجابهم المتبوعون: لو استطعنا دفع العذاب لدفعناه عن أنفسنا. هذا هو المعنى المراد من الهداية هنا، ولايستقيم إلّا به ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ حيث انتهى كلّ شيء، ولايُجدي جدال أو عتاب، لأنّ الدّار دار حساب وعقاب، لادار أقوال وأفعال. (٤: ٤٣٧)

حسنين محمّد مخلوف: الجَزَعُ: حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، يقال: جَزِعَ يَجْزَعُ جَزَعًا وجُزُوعًا، إذا ضَعُف عن حمل مانزل به، ولم يجد صبرًا. (٤١٢)

عبد الكريم الخطيب: ويمكن أن يكون هذا من كلام الّذين استكبروا، كما يمكن أن يكون من كلام الّذين استُضعفوا، تعقيبًا على هذا اليأس الّذي جاءهم من جواب المستكبرين لهم، كما يمكن كذلك أن يكون صوتًا مردّدًا من هؤلاء وأُولئك جميعًا. فإنّ المستكبرين والمستضعفين قد أصبحوا في قبضة العذاب، ولن يفلتوا أبدًا، سواء أجزعوا من هذا العذاب، أم صبروا له، وهيهات الصّبر على هذا البلاء المبين. (٧: ١٦٧)

جَزُوعًا

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. المعارج: ١٩ ـ ٢١

ابن عبّاس: جازعًا لايصبر. (٤٨٥)

الطّبَريّ: يقول: إذا قلّ ماله وناله الفقر والعدم، فهو جزوع من ذلك، لاصبر له عليه. (٢٩: ٧٩)

ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحبّ مايسرّه ويهرب ممّا يكره، ثمّ تعبّده بإنفاق مايحبّ، والصّبر على مايكره. (البغويّ ٥: ١٥٣)

الطُّوسيّ: الجزَع: ظهور الفزع بحال تُنبىء عنه. (١٠: ١٢١)

البغَويّ: يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصابه المال لم ينفق. (٥: ١٥٣)

مثله الخازن (٧: ١٢٦)، نحوه الطّبْرِسيّ (١٠: ٣٥٦).

الزّمَخْشَريّ: والمعنى أنّ الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكّنهما منه ورسوخهما فيه، كأنّه مجبول عليهما مطبوع، وكأنّه أمر خُلُقيّ وضروريّ غير اختياريّ، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الأنبياء: ٣٧. والدّليل عليه أنّه حين كان في البطن والمهد، لم يكن به هلَع، ولأنّه ذمٌّ والله لايذمّ فعله، والدّليل عليه استثناء المؤمنين الّذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشّهوات، حتّى لم يكونوا جازعين ولامانعين. وعن النّبيّ ﷺ: «شرّ ماأعطى ابن آدم شُحّ هالع وجُبن خالع». (٤: ١٥٨)

أبوالفُتوح: إذا أصابه السّوء جزع. (١٩: ٣٩٩)

ابن الجَوْزيّ: لايصبر ولايحتسب. (٨: ٣٦٣)

الفَخْرالرّازيّ: المراد من الشّرّ والخير: الفقر والغنى، أو المرض والصّحّة، فالمعنى أنّه إذا صار فقيرًا أو مريضًا أخذ في الجزع والشّكاية، وإذا صار غنيًّا أو صحيحًا أخذ في منع المعروف وشحّ بماله، ولم يلتفت إلى النّاس.

فإن قيل: حاصل هذا الكلام أنّه نفور عن المضارّ طالب للرّاحة، وهذا هو اللّائق بالعقل، فلِمَ ذمّه الله عليه؟

قلنا: إنّما ذمّه عليه لأنّه قاصر النّظر على الأحوال

الجسمانيّة العاجلة، وكان من الواجب عليه أن يكون مشغولاً بأحوال الآخرة. فإذا وقع في مرض أو فقر، وعلم أنّه فعل الله تعالى كان راضيًا به، لعلمه أنّ الله يفعل مايشاء ويحكم مايريد، وإذا وجد المال والصّحّة، صرفهما إلى طلب السّعادات الأُخرويّة. (٣٠: ١٢٩)

القُرطُبيّ: (جَزُوعًا) و(مَنُوعًا) نعتان لـ«هَلُوع»، على أن يُنوَى بهما التّقديم قبل (إذا). وقيل: هو خبر كان مضمرة. (١٨: ٢٩٠)

البَيْضاويّ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ شديد الحرص قليل الصّبر، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الضّرّ ﴿جَزُوعًا﴾ يُكثر الجزع، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ السّعة ﴿مَنُوعًا﴾ يبالغ بالإمساك. والأوصاف الثّلاثة أحوال مقدّرة أو محقّقة، لأنّها طبائع جُبل الإنسان عليها. (وإذا) الأُولى ظرف لـ(جَزُوعًا) والأُخرى لـ(مَنُوعًا). (٢: ٥٠٤)

النّيسابوريّ: قال أهل السّنّة: الحالة النّفسانيّة الّتي هي مصدر الأفعال الاختياريّة كالجزع والمنع، لاشكّ أنّها بخلق الله تعالى، بل الجزع والمنع أيضًا من خلقه، ولااعتراض لأحد عليه. خلق بعض النّاس هَلُوعًا، وخلق المستثنين منهم غير هَلُوع، بل مشغولي القلب بأحوال الآخرة، وكلّ ذلك تصرّف منه في ملكه.

وقالت المعتزلة: ليس المراد أنّه مخلوق على هذا الوصف، لأنّه تعالى ذكره في معرض الذّمّ والله تعالى لايذمّ فعله، ولأنّه تعالى استثنى منهم جماعة جاهدوا أنفسهم وظلفوها عن الشّهوات، ولو كانت ضروريّة لم يقدروا على تركها.

والجواب: أنّ الّذين خلقهم كذلك لم يقدروا على التّرك، والّذين تركوها هم الّذين خُلقوا على هذا الوصف. (٢٩: ٥٠)

ابن كثير: أي إذا مسّه الضّرّ فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدّة الرّعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير. (٧: ١١٦)

الشِّربينيّ: أي عظيم الجزع، وهو ضدّ الصّبر، بحيث يكاد صاحبه ينقدّ نصفين ويتفتّت. (٤: ٣٨٤)

أبوالسُّعود: أي مبالغًا في الجزع مُكثرًا منه. [ثمّ قال نحو ماتقدّم عن البَيْضاويّ] (٦: ٣٠٢)

نحوه القاسميّ. (١٦: ٥٩٢٨)

البُرُوسَويّ: مبالغة في الجزع مُكثرًا منه لجهله بالقدر، وهو ضدّ الصّبر. [إلى أن قال:]

والأوصاف الثّلاثة هي (هَلُوعًا وجَزُوعًا ومَنُوعًا) أحوال مقدّرة، لأنّ المراد بها مايتعلّق به الذّمّ والعقاب، وهو مايدخل تحت التّكليف والاختيار، وذلك بعد البلوغ، أو محقّقة لأنّها طبائع جُبل الإنسان عليها. (١٠: ١٦٢)

الآلوسيّ: أي مبالغًا في الجزع مُكثرًا منه. [إلى أن قال:]

و(إذا) الأُولى ظرف لـ(جَزُوعًا) والثّانية ظرف لـ(مَنُوعًا) والوصفان ـ على مااختاره بعض الأجلّة ـ صفتان كاشفتان لـ(هَلُوعًا) الواقع حالاً، كما هو الأنسب بما سمعت عن ابن عبّاس وغيره.

وقال غير واحد: الأوصاف الثّلاثة أحوال، فقيل: مقدّرة إن أُريد اتّصاف الإنسان بذلك بالفعل، فإنّه في

حال الخلق لم يكن كذلك، وإنّما حصل له ذلك بعد تمام عقله ودخوله تحت التّكليف؛ ومحقّقه إن أُريد اتّصافه بمبدإ هذه الأُمور من الأُمور الجبلّيّة والطّبائع الكلّيّة المندرجة فيها تلك الصّفات بالقوّة. ولامانع عند أهل الحقّ من خلقه تعالى الإنسان وطبعه سبحانه إيّاه على ذلك.

وفي زوالها بعد خلاف؛ فقيل: إنّها تزول بالمعالجة، ولولاه لم يكن للمنع منها والنّهي عنها فائدة، وهي ليست من لوازم الماهيّة، فالله تعالى كما خلقها يزيلها.

وقيل: إنّها لاتزول وإنّما تُستر ويمنع المرء عن آثارها الظّاهرة كما قيل، والطّبع في الإنسان لايتغيّر، وهذا الخلاف جار في جميع الأُمور الطّبيعيّة.

وقال بعضهم: الأُمور التّابعة منها لأصل المزاج لاتتغيّر، والتّابعة لعرضه قد تتغيّر. وذهب الزّمخشريّ إلى أنّ في الكلام استعارة. [ثمّ نقل كلامه وأضاف:]

وتعقّب بأنّه في المهد أهلع وأهلع فيسرع إلى الثّدي ويحرص على الرّضاع، وإن مسّه ألم جزع وبكى، وإن تمسّك بشيء فزوحم عليه، منع بما في قدرته من اضطراب وبكاء، وفي البطن لايُعلم حاله. وأيضًا الاسم يقع عليه بعد الوضع، فما بعده هو المعتبر، وأنّ الذّمّ من حيث القيام بالعبد كما حُقّق في موضعه. (٢٩: ٦٢)

المَراغيّ: والجزع: حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه. (٢٩: ٦٩)

عِزّة دَرْوَزَة: شديد الخوف والاضطراب.

وفي الآيات الثّلاث إشارة إلى ماانطبع عليه الإنسان من أنانيّة وحرص وسرعة تأثّر، فهو سريع التّهيّج ممّا يلمّ به. وهو أنانيّ لايفكّر إلّا في نفسه، فإذا أصابه شرّ جزع واضطرب، وإذا انفرجت أُموره ونال خيرًا أمسك وبخل. (٦: ٢٦٣)

الطّباطَبائيّ: [له كلام سيأتي في «هـ ل ع» إن شاء الله تعالى] (٢٠: ١٣)

المُصْطَفَويّ: وأمّا التّعبير بهذه المادّة في الآيتين الكريمتين، فللإشارة إلى أنّ الإنسان الجزع يظلم نفسه ويقطع امتداد طمأنينته وجريان أمره، مع أنّ وظيفته الصّبر والثّبات والاستقامة حتّى يظفر بمقصوده. (٢: ٨٥)

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَزْع، وهو القطع؛ يقال: جَزَع الموضع يجزَعُه جزْعًا، أي قطعه عَرْضًا، وجِزْع الوادي: منقطعه، والجمع: أجزاع، وجِزْع القوم: محلّتهم وجِزْعة الوادي: مجتمع الشّجر يراح فيه المال.

وانجزَع الحبل: انقطع بنصفين أو أكثر من النّصف أو أقلّ منه إلّا من الطّرف، وانجزعت العصا: انكسرت بنصفين، وتجزّع السّهم: تكسّر، واجتزعتُ من الشّجرة عُودًا: اقتطعتُه واكتسرتُه.

والجِزْعة والجُزْعة: القليل من المال والماء، كأنّه مقطوع منهما، يقال: جزّع لي من المال جِزْعة، أي قطع لي منه قطعة، والجُزَيعة: تصغير جِزْعة، وهي القُطيعة من الغنم والقليل من الشّيء.

والجِزْعة والجُزْعة من الماء واللّبن: ماكان أقلّ من نصف السّقاء والإناء والحوض، يقال: بقي في السّقاء

جُزْعَة من ماء، وفي الوَطب جِزْعَة وجُزْعَة من لبن، وفي الغدير جِزْعَة وجُزْعَة، وهي الجِزَع والجُزَع. وجُزّعتُ في القِرْبَة: جعَلتُ فيها جِزْعَة وجُزْعَة، وقد جزّع الحوض: لم يبق فيه إلّا جُزْعَة.

وتمرٌ مُجَزَّعٌ ومُجزِّعٌ: بلغ الإرطاب إلى ثلثيه، وكذا بُسْرةٌ مُجَزَّعةٌ ومُجزِّعة. ولحمٌ مُجَزَّعٌ ومُجزِّعٌ: فيه بياض وحمرة، ونوى مُجزَّعٌ: محكوك، ووتَرٌ مُجزَّعٌ: مختلف الوضع، بعضه رقيق وبعضه غليظ.

والجازع: خشبة معروضة بين خشبتين منصوبتين، أو بين شيئين يُحمَل عليها، سمّي بذلك لأنّه يقطع بطوله وسط البيت.

والجَزْع والجِزْع: ضرب من الخَرَز، وهو الّذي فيه بياض وسواد، واحدته: جَزْعَة وجِزْعَة. وسمّي بذلك لأنّه مُجزَّع ومقطَّع بألوان مختلفة، أي قُطِّع سواده ببياضه.

والجِزْعَة: القطعة من اللّيل ماضية أو آتية، يقال: مضت جِزْعَة من اللّيل، أي ساعة من أوّلها، وبقيت جِزْعَة من آخرها.

وكلأٌ جُزاعٌ: كلأٌ يقتل الدّوابّ، كأنّه يقطع أمعاءها، فيقطعها عن الحياة.

والجزَع: خلاف الصّبر، وهو حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه، يقال: جَزِعَ يجزَعُ جَزَعًا، فهو جازع وجَزِع وجَزُوع، وإذا كثر منه الجَزَع فهو جَزُوع وجُزاع، وأجزَعَه غيره، وأجزَعه أيضًا: أزال عنه الجزَع.

٢ـ وينتاب القطع عادة الضّعف والقلق، كما يُلحظ ذلك في جميع مشتقّات المادّة تقريبًا، إذا اصطبغت بصبغة سلبيّة. وتتضمّن تقاليب هذه الأحرف الثّلاثة عين المعاني المذكورة، فهي ذات ثلاثة تقاليب مستعملة ـ ومنها «ج ز ع» ـ وثلاثة مهملة، والتّقليبان الآخران هما: «ع ج ز» وهو الضّعف، و«ز ع ج» وهو القلق. كما تتّصف جميع الأحرف الثّلاثة بتجانس صوتيّ، فضلًا عن التّجانس المعنويّ، فهي مجهورة رخوة، إلّا «الجيم» فإنّه يتضمّن الشّدّة إضافة إلى الرّخاوة أيضًا، وهو مايُطلق عليه في علم الأصوات «المزدوج».

الاستعمال القرآنيّ

جاءت منها كلمتان: فعلًا ومصدرًا، في آيتين مكّيّتين:

١ـ ﴿وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفٰؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدٰينَا اللّٰهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ إبراهيم: ٢١

٢ـ ﴿اِنَّ الْاِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * اِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَاِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ المعارج: ١٩ ـ ٢١

يلاحظ أوّلًا: في (١) بحوث:

١ـ ذكروا في ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ وجوهًا:

أوّلها: أنّه من تتمّة قول المستكبرين، فقد جاء في ثلاث جُمَل بلاعطف بينها، كأنّ كلّ جملة مستقلّة، وهي ﴿لَوْ هَدٰينَا اللّٰهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا اَجَزِعْنَا اَمْ صَبَرْنَا﴾ ﴿مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ وهذا جوابٌ منهم لسؤال الضّعفاء: ﴿اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ

عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فيبدو أنّ ﴿لَوْ هَدَيٰنَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ جوابٌ عن ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي نسلّم أنّكم كنتم لنا تبعًا لكن لو كان الله هدانا لهديناكم، ولكنّا ضلّلناكم، لأنّ الله لم يهدنا ـ وهذا كذب منهم ـ. وقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا...﴾ جواب عن قول الضّعفاء ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾ أي حالنا وحالكم سواءٌ في العذاب ولامحيص لنا عنه، سواءٌ جزعنا أم صبرنا، لو استطعنا دفع العذاب لدفعناه عن أنفسنا قبل دفعه عنكم، وهذا هو الظّاهر من سياق الآية.

ثانيها: أن يكون من كلام الضّعفاء منفصلًا عمّا قبله، وهو ﴿لَوْ هَدَيٰنَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ فإنّه كلام المستكبرين قولًا واحدًا. فقالوه تعقيبًا على اليأس الّذي جاءهم من جواب المستكبرين، أي إذا كان الحال كما تقولون، فلامحيص لنا من العذاب سواءٌ جزعنا أم صبرنا.

ثالثها: أن يكون صوتًا مردّدًا بين الفريقين، فإنّهما جميعًا في قبضة العذاب ولن يفلتوا منه أبدًا.

رابعها: فصلها عن قول الفريقين، وإرجاعها إلى قول بعض أهل النّار لبعضهم، كما روي عن ابن زَيْد وأُبيّ ومُقاتِل، وهذا لايُماشي سياق الآية، فلاحظ.

٢ـ ظاهر ﴿لَوْ هَدَيٰنَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ أنّ الله لو هدانا في الدّنيا لهديناكم فيها، لكنّ الشّيخ مَغْنِيَة خصّ الهداية بالآخرة، فقال: «لو استطعنا دفع العذاب لدفعناه عن أنفسنا، هذا هو المراد من الهداية هنا ولايستقيم إلّا به» وهو خلاف الظّاهر.

٣ـ قالوا: إنّ الجزَع هو الحزن الشّديد، أو انزعاج النّفس بورود مايغمّها، ونقيضه الصّبر، فجعلوهما أمرين نفسانيّين.

ونقول: الصّبر هكذا، فهو أمر نفسانيّ لاصوت له، أمّا الجزع فله صوت، فالمراد به إظهار الحزن فعلًا أو قولًا، ويؤيّده قول ابن عبّاس فيها: «أصِحْنا وتضرّعنا» كما يؤيّده قول الطُّوسيّ في (٢) «الجزع: ظهور الفزع بحال تُنبئ عنه».

ثانيًا: في (٢) بُحوثٌ أيضًا:

١ـ الأوصاف الثّلاثة: (هَلُوعًا، جَزُوعًا، مَنُوعًا) صيغ مبالغة، فالهلوع: شديد الحرص، والجزوع: شديد الجزع، والمنوع: شديد المنع. ويبدو أنّ الجملتين الأخيرتين تفسير للأُولى، أي إنّ الإنسان شديد الحرص، وأثر حرصه يختلف في حالتي إصابة الشّرّ والخير، فهو شديد الجزع عند الشّرّ؛ إذ لم يصل إلى ماحرص عليه، وشديد المنع والإمساك عند الخير احتفاظًا بما حرص عليه.

٢ـ وفي إعراب الثّلاثة خلاف، قال الطَّبْرِسيّ (٥: ٣٥٥): «إنّها منصوبة على الحال، والتّقدير: خُلق هَلوعًا: جَزوعًا إذا مسّه الشّرّ، مَنوعًا إذا مسّه الخير» وظاهره أنّها جميعًا أحوال ثلاثة للضّمير المستتر في (خُلِقَ)، وهذا مقبول في (هَلُوعًا). أمّا الأخيرتان فكلّ واحد منهما حال عن جزاء الشّرط المقدّر بعده، أي إذا مسّه الشّرّ مسّه جزوعًا، وإذا مسّه الخير مسّه منوعًا، ولك أن تقدّر الجزاء «كان جزوعًا وكان منوعًا». وحينئذ فهما خبران لـ(كَانَ). ونظيره ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُسًا﴾ الإسراء: ٨٣.

وقال الآلوسيّ: «و(إذَا) الأُولى ظرفٌ لـ(جَزُوعًا)،

والثّانية ظرف لـ(مَنُوعًا) والوصفان ـ على مااختاره بعض الأجلّة ـ صفتان كاشفتان لـ(هَلُوعًا) الواقع حالًا...وقال غير واحد: الأوصاف الثّلاثة أحوال...» والوجهان جاز تطبيقهما على قول الطَّبْرِسيّ. ونظيره قول القُرطُبيّ: «إنّهما وصفان لـ«هَلُوع» على أن يُنوى بهما التّقديم قبل (إذا). وقيل: هو خبر كان مضمرة».

٣ـ في الآية ـ كأمثالها ـ كلام بين الأشاعرة والمعتزلة، لأنّ ظاهرها الجبر، فالتزم به الأشاعرة المعبّر عنهم بأهل السّنّة، وأوّلها المعتزلة، كما صرّح به النّيسابوريّ وغيره. وقال الزّمَخْشَريّ، وهو ناطق المعتزلة في هذه المباحث: «والمعنى أنّ الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكّنهما منه ورسوخهما فيه، كأنّه مجبول عليهما مطبوع، وكأنّه أمر خُلُقيّ وضروريّ غير اختياريّ، كقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الأنبياء: ٣٧».

وعليه فأمثال هذه الآيات استعارة ومبالغة في ذمّ الإنسان لاتّباع شهواته، كأنّها طبيعة جُبل عليها. وليس المراد ماينتهي إلى الجبر، وإلّا لامجال للذّمّ والعقاب. ويوافقه ظاهر كلام الفَخْرالرّازيّ ـ وهو ناطق الأشاعرة ـ فلاحظ.

٤ـ ومن أجل هذا الخلاف بينهم قالوا: هذه الأوصاف الثّلاثة أحوال مقدّرة، لأنّ المراد بها مايتعلّق بها الذّمّ والعقاب، وهو مايدخل تحت التّكليف والاختيار بعد البلوغ؛ أو محقّقة لأنّها طبائع جُبل عليها الإنسان فلاتتغيّر.

٥ ـ أثار الفَخْرالرّازيّ سؤالًا: حاصل الكلام أنّ الإنسان نفور عن المضارّ طالب للرّاحة، وهذا هو اللّائق بالعقل، فلِمَ ذمّه الله؟

وأجاب بأنّه إنّما ذمّه لأنّه قاصر النّظر على الأحوال الجسمانيّة العاجلة، مشغول عن أحوال الآخرة، والواجب عليه الرّضا بكلّ مايُصيبه من مرض أو فقر، لعلمه بأنّ الله يفعل مايشاء ويحكم مايريد، وإذا وجد المال والصّحّة صرفها إلى طلب السّعادات الأُخرويّة. وفيه جمع بين المذهبين.

ج ز ي

٢٥ لفظًا، ١١٨ مرّة: ٨٤ مكّيّة، ٣٤ مدنيّة

في ٤٧ سورة: ٣٥ مكّيّة، ١٢ مدنيّة

جزاهم ١: ـ ١
جزيتهم ١: ١
جزيناهم ٢: ٢
يجزى ١٢: ٩ ـ ٣
ليجزيك ١: ١
يجزيهم ٥: ٣ ـ ٢
تجزى ٢: ـ ٢
تجزى ٢١: ٢٠ ـ ١
نجزيه ١: ١
لنجزينّ ١: ١
لنجزينّهم ٣: ٢ ـ ١
يُجزى ٣: ٣
الجزية ١: ـ ١

يُجزَ ١: ـ ١
يُجزاه ١: ١
يُجزون ٥: ٥
تُجزى ٤: ٤
تُجزون ٩: ٧ ـ ٢
جازٍ ١: ١
جزاء ٣١: ١٥ ـ ١٦
الجزاء ١: ١
جزاؤه ٤: ٣ ـ ١
جزاؤهم ٥: ٢ ـ ٣
جزاؤكم ١: ١
نُجازى ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جَزى يجزي جزاءً، أي كافأ بالإحسان وبالإساءة. وفلانٌ ذو غَناءٍ وجزاء، ممدود.

وتجازَيتُ دَيني: تقاضيته. (٦: ١٦٤)

سيبَوَيه: جزيتُه قرضَه، أي صنعت به مثل ماصنع. (٤: ٢١٢)

أبوزَيْد: ويقال: هذا رجل حسبك من رجل، وناهيك وكافيك وجازيك، بمعنى واحد.

والجِزْية: جزية النّاس الّتي تؤخذ من أهل الذّمّة، وجمعها: الجِزَى. (الأزهَريّ ١١: ١٤٦)

الأصمَعيّ: في حديث النّبيّ ﷺ لأبي بُرْدَة بن نِيار في الجَذَعة الّتي أمره أن يُضحّي بها: «ولاتجزي عن أحد بعدك».

وهو مأخوذ من قولك: قد جَزى عنّي هذا الأمر فهو يجزي عنّي. ولاهمز فيه، ومعناه لاتقضي عن أحد بعدك. يقول: لاتجزي: لاتقضي، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ٤٨.

ومنه حديثٌ يُروى عن عُبَيْد بن عُمَيْر: «أنّ رجلًا كان يُداين، وكان له كاتب ومُتجازٍ، وكان يقول: إذا رأيت الرّجل مُعسرًا فأنظِره، فغفر الله له». والمتجازي: المتقاضي.

أهل المدينة يقولون: أمرتُ فلانًا يتجازَى ديني على فلان، أي يتقاضاه. وأمّا قولهم: أجزَأني الشّيءُ إجزاءً فهموز، ومعناه: كفاني. [ثمّ استشهد بشعر]

(أبوعُبَيْد ١: ٤٣)

ابن الأعرابيّ: الجِزَى: الجوالي، والجالية: الجِزْية.

(الأزهَريّ ١١: ١٤٧)

ابن السّكّيت: وأجزَأتُ مُجزَى فلان ومُجزاتَه. ومَجزى فلان ومَجزاتَه. (إصلاح المنطق: ١٣٢)

وقد جَزَأتُ الشّيء أجزؤه، إذا جزّأته. وقد جزأت الإبل بالرُّطب عن الماء، وقد جزَيتُه ماصنع جزاءً.

(إصلاح المنطق: ١٥٥)

أبوالهَيْثَم: الجزاء يكون ثوابًا، ويكون عقابًا، قال الله عزّوجلّ: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ يوسف: ٧٤.

معناه قالوا: فما عُقوبته إن بان كَذِبُكم بأنّه لم يسرق، أي ماعُقُوبة السّرِق عندكم إن ظهر عليه؟ قالوا: جزاء السّرِق مَن وُجِد في رَحْله، أي الموجود في رَحْله، كأنّه قال: جزاء السّارق عندنا استرقاق السّارق الّذي يوجد في رَحْله سنة. وكانت سُنّة آل يعقوب، ثمّ وكّده، فقال: فهو جزاؤه. (الأزهَريّ ١١: ١٤٢)

الزّجّاج: جزَيته على أصله: كافأته عليه، وأجزَيت عن فلان، إذا قمت مقامه.

(فعلت وأفعلت: ١٩٣)

ابن دُرَيْد: وجزَيتُ فلانًا أجزيه جزاءً حسنًا، وأجزَيت عنه، إذا كافأت عنه.

وأجزَيت السّكّين.

وجَزَتْكَ عنّي الجوازي، غير مهموز. (٣: ٢٢٣)

ابن الأنباريّ: الجِزْية في كلام العرب: الخَراج المجعول على الذّمّيّ، سمّيت جِزْية، لأنّها قضاء منه لما عليه. أُخذ من قولهم: جَزى يجزي، إذا قضى.

(الأزهَريّ ١١: ١٤٧)

الأزهَريّ: ويقال: جزَيت فلانًا بما صنع جزاءً، وقضيتُ فلانًا قَرضَه، وجزَيته قرضَه.

وتقول: إن وضعتَ صدقَتك في آل فلان جزَتْ عنك، وهي جازية عنك. وبعض الفقهاء يقول: أجزَى عنك، بمعنى جزَى، أي قضى. وأهل اللّغة يقولون: أجزأ بالهمز، وهو عندهم بمعنى «كفى».

وسُئل أبو العبّاس عن: جزَيتُه وجازَيتُه، فقال: قال الفرّاء: لايكون جزَيتُه إلّا في الخير، وجازَيتُه يكون في الخير والشّرّ. قال: وغيره يُجيز جزَيتُه في الخير والشّرّ، وجازَيتُه في الشّرّ.

وأمّا قولهم: جزَتْك عنّي الجوازي، فمعناه جزتك [جوازي] أفعالك المحمودة، وحقوقك الواجبة. والجوازي معناها الجزاء: جمع الجازية، مصدر على

«فاعلة». (١١: ١٤٤ ـ ١٤٧)

الصّاحب: تجازَيتُ دَيْني، أي تقاضيتُه، والمتجازي: المتقاضي.

والجزاء: المكافأة بالإحسان والإساءة، والفعل: جَزى يَجْزي.

وفلان ذو جزاء، أي غَناء.

والجِزْية: الخَراج، وجِزْية أهل الذّمّة.

والجزاء: القضاء، يقولون: لايتجازَى بها العرب، أي لايجدون مثلها. وجزاؤُها: بدَلُها.

يَجزَأون الأقران في الحرب، أي يعُبّون القِرْن للقِرْن.

والجُزْي والجُزْو من المال: طائفة منه، أصله الهمزة. (٧: ١٥١)

الخطّابيّ: حديث النّبيّ ﷺ، أنّه قال: «من عَرِجَ أو كُسِر، أو حُبِس فليَجْزِ مثلها وهو حِلّ» قوله: فليجزِ مثلها، يريد فليقض مثلها، يقال: جزَيتُ فُلانًا دَيْنَه، أي قضيتُه، ومنه قيل للمتقاضي: المتجازي.

ومنه حديث مُعاذة قالت: «سألت عائشة أتجزي الحائض الصّلاة؟ فقالت: أحروريّة أنتِ؟ قد حِضْن أزواج النّبيّ ﷺ، أفأمرهُنّ أن يجزين الصّلاة؟» أي يقضين. (١: ٤٦٨)

الجَوهَريّ: جزَيتُه بما صنع جزاءً، وجازَيتُه، بمعنى.

ويقال: جازَيتُه فجزيته، أي غلبته.

وجزى عنّي هذا الأمر، أي قضى، ومنه قوله تعالى: ﴿لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ٤٨.

ويقال: جزَتْ عنك شاة.

وفي حديث أبي بُرْدَة بن نيار: «تجزي عنك ولاتجزي عن أحد بعدك» أي تقضي.

وبنو تميم يقولون: أجزأت عنك شاة، بالهمز.

وتجازيت دَيني على فلان، إذا تقاضيته. والمتجازي: المتقاضي.

وهذا رجل جازيك من رجل، أي حسبُك.

والجِزْية: مايؤخذ من أهل الذّمّة، والجمع: الجِزى، مثل لحيةٍ ولِحًى. (٦: ٢٣٠٢)

نحوه الرّازيّ. (١١٨)

ابن فارِس: الجيم والزّاء والياء: قيام الشّيء مقام غيره، ومكافأتُه إيّاه.

يقال: جزَيتُ فلانًا أجزيه جزاءً، وجازيتُه مُجازاةً.

وهذا رجل جازيك من رجل، أي حسبُك. ومعناه أنّه ينوب مناب كلّ أحد، كما تقول: كافيك وناهيك، أي كأنّه ينهاك أن يُطلَب معه غيره. [ثمّ ذكر نحو الجَوهَريّ] (١: ٤٥٥)

أبوهِلال: الفرق بين الجزاء والمقابلة: أنّ المقابلة هي المساواة بين شيئين، كمقابلة الكتاب بالكتاب؛ وهي في المجازاة استعارة.

قال بعضهم: قد يكون جزاء الشّيء أنقص منه، والمقابلة عليه لاتكون إلّا مثله، واستشهدوا بقوله: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشّورى: ٤٠.

قال: ولو كان جزاء الشّيء مثله، لم يكن لذكر المِثل هاهنا وجه.

والجواب عن هذا: أنّ الجزاء يكون على بعض الشّيء، فإذا قال: مثلها، فكأنّه قال: على كلّها. (٣٧)

الهَرَويّ: ومعنى قولهم: «جزاه الله خيرًا» أي قضاه

الله ما أسلف. فإذا كان بمعنى الكفاية قلت: جزأ الله عنّي مهموز، وأجزأ.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ يوسف: ٧٥. أي جزاء السّارق استعبادُه. وفيه اختصار، كأنّه قال: جزاؤُه استرقاق مَن وُجدَ في رحله. (١: ٣٥٩)

ابن سيده: الجزاء: المكافأة على الشّيء.

جزاه به، وعليه، جزاءً، وجازاه مُجازاةً، وجِزاءً.

وقد اجتزاه، إذا طلب منه الجزاء. [ثمّ استشهد بشعر]وجزتْك الجوازي عنّي خيرًا. والجازية: الجزاء، اسم للمصدر كالعافية.

وتجازى دَيْنَه: تقاضاه. [إلى أن قال:]

وجزَى الشّيءُ يجْزي: كفى.

وجزَى عنك الشّيء: قضى، وهو من ذلك، وفي الحديث: أنّه قال لأبي بُرْدَة حين ضحّى بالجَذَعة: «لاتَجْزي عن أحد بعدك».

وأجزَى الشّيءُ عن الشّيء: قام مقامه ولم يكفِ.

وأجزى عنه مُجْزَى فلان، ومُجْزاته، ومَجْزاه، ومَجْزاته، الأخير على توهّم طرح الزّائد: أغنى، لغة في «أجزأ». وفي الحديث: «البقرة تُجْزي عن سبعة» بضمّ التّاء عن ثَعْلَب، أي تكون جزاءً عن سبعة.

ورجل ذو جزاء، أي غَناء، يكون في اللّغتين جميعًا.

والجِزية: خَراج الأرض، والجمع: جِزًى، وجِزيّ.

وقال أبوعليّ: الجِزى والجِزْي، واحد، كالمِعى والمِعْي لواحد الأمعاء، والإلى والإلْي لواحد الآلاء، والجمع: جِزاء. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِزْية الذّمّيّ منه.

وأجزَى السّكّين: لغة في أجزأها: جعل له جُزأة؛ ولاأدري كيف ذلك، لأنّ قياس هذا إنّما هو: أجزأ، اللّهمّ إلّا أن يكون نادرًا. (٧: ٤٩٩)

الطُّوسيّ: الجازاة والمكافأة والمقابلة نظائر. يقال: جزَى يَجْزي جزاءً، وجازاه مجازاةً، وتجازوا تجازيًا.

وتقول: هذا الشّيء يُجزئ عن هذا بهمز وتليين، وفي لغة: يجزي، أي يكفي. وأصل الباب: مقابلة الشّيء بالشّيء. (١: ٢١١)

الرّاغِب: الجزاء: الغِناء والكفاية، قال الله تعالى: ﴿لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ٤٨.

وقال تعالى: ﴿لَايَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ لقمان: ٣٣.

والجزاء: مافيه الكفاية من المقابلة إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ. يقال: جزَيتُه كذا وبكذا. [ثمّ ذكر الآيات وقال:]

والجِزْية: مايؤخذ من أهل الذّمّة، وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حَقْنِ دمهم، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التّوبة: ٢٩.

ويقال: جازيك فلان، أي كافيك.

ويقال: جزَيتُه بكذا وجازَيتُه. ولم يجئ في القرآن إلّا «جزَى» دون «جازَى»؛ وذاك أنّ المجازاة هي المكافأة، وهي المقابلة من كلّ واحد من الرّجُلَيْن. والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة، هي كُفُوُها. ونعمة الله تعالى ليست من ذلك، ولهذا لايستعمل لفظ «المكافأة» في الله عزّ وجلّ، وهذا ظاهر. (٩٣)

الزَّمَخْشَرِيّ: الله يجزيك عنّي ويُجازيك. [ثمّ استشهد بشعر]

وكما تُجازِي تُجازَى. وأحْسَنَ إليه فجزاه خيرًا، إذا دعا له بالجازاة. وهذا رجل جازيك من رجل، أي كافيك.

وهذا لايجزي عنك، أي لايقضي، ومنه جِزْية أهل الذّمّة، لأنّها تقضي عنهم، يقال: أدّوا جِزْيَتهم وجِزاهم.

واشترى من دهقان أرضًا على أن يكفيه جِزْيَتها، أي خَراجها.

ومن المجاز: جزَتْكَ الجوازي، أي أفعالك، أي وجَدتَ جزاء مافعلت. [ثمّ استشهد بشعر]

أو ألطاف الله وأسباب رحمته. [واستشهد بشعر أيضًا، وقال:]

أو أراد جمع جازيةٍبمعنى الجزاء. (أساس البلاغة:٥٩)

المَدينيّ: قوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ التّوبة: ٢٩.

الجزية عن يَدٍ: هي الخَراج المجعول على رأس الذّمّيّ، سمّيت به، لأنّها قضاء منهم لما عليهم. مأخوذة من «الجزاء» وهو بذل الشّيء، والمستحقّ على فعله.

(١: ٣٢٧)

ابن الأثير: في حديث الضّحيّة: «لاتَجْزي عن أحد بعدَك» أي لاتقضي، يقال: جزى عنّي هذا الأمر، أي قضى.

ومنه حديث صلاة الحائض: «قد كُنّ نساءُ رسول الله ﷺ يَحِضْنَ، فأمرهُنّ[1] أن يَجْزين» أي يَقْضين. ومنه قولهم: «جزاه الله خيرًا» أي أعطاه جزاء ماأسلَف من طاعته. قال الجَوهَريّ: وبنو تميم يقولون: أجزأت عنه شاة، بالهمز، أي قضَتْ.

ومنه حديث عمر رضي الله عنه: «إذا أجرَيتَ الماء على الماء جزى عنك» ويُروى بالهمز.

ومنه الحديث: «الصّوم لي وأنا أُجزي به» قد أكثر النّاس في تأويل هذا الحديث، وأنّه لِمَ خصّ الصّوم والجزاء عليه بنفسه عزّوجلّ، وإن كانت العبادات كلّها له وجزاؤها منه؟

وذكروا فيه وُجوهًا، مدارها كلّها: على أنّ الصّوم سرٌّ بين الله والعبد لايطّلع عليه سواه، فلايكون العبد صائمًا حقيقة إلّا وهو مخلِص في الطّاعة. وهذا وإن كان كما قالوا فإنّ غير الصّوم من العبادات يشاركه في سرّ الطّاعة، كالصّلاة على غير طهارة، أو في ثوب نجس ونحو ذلك من الأسرار المقترنة بالعبادات، الّتي لايعرفها إلّا الله وصاحبها.

وأحسَن ماسمِعْتُ في تأويل هذا الحديث: أنّ جميع العبادات الّتي يتقرّب بها العباد إلى الله عزّوجلّ ـ من صلاة، وحجّ، وصدقة، واعتكاف، وتَبتُّل، ودعاء، وقُربان، وهَدْي، وغير ذلك من أنواع العبادات ـ قد عبد المشركون بها آلهتهم، وماكانوا يتّخذونه من دون الله أندادًا، ولم يُسمَع أنّ طائفة من طوائف المشركين وأرباب النِّحَل في الأزمان المتقادمة عبدت آلهتها بالصّوم، ولاتقرّبت إليها به، ولاعُرف الصّوم في العبادات إلّا من جهة الشّرائع، فلذلك قال الله عزّوجلّ: «الصّوم لي وأنا أُجزي به» أي لم يشاركني أحد فيه،

(١) أورده الخطّابيّ: أفأمرهُنّ.

ولاعُبد به غيري، فأنا حينئذ أُجزي به وأتولّى الجزاء عليه بنفسي، لاأكِلُه إلى أحد من ملَك مُقرّب أو غيره، على قدر اختصاصه بي.

وفيه ذكر «الجِزْية» في غير موضع، وهي عبارة عن المال الّذي يُعقَد للكتابيّ عليه الذّمّة، وهي «فِعْلة» من الجزاء، كأنّها جزَت عن قتله.

ومنه الحديث: «ليس على مسلم جِزْية» أراد أنّ الذّمّيّ إذا أسلم وقد مرّ بعض الحَوْل، لم يُطالَب من الجِزْية بحصّة مامضى من السّنة.

وقيل: أراد أنّ الذّمّيّ إذا أسلم وكان في يده أرض، صُولح عليها بخَراج تُوضَع عن رقبته الجِزْية وعن أرضه الخَراج. [ثمّ ذكر أحاديث بهذا المعنى، فراجع] (١: ٢٧٠)

الفَيُّوميّ: جزَى الأمر يَجْزي جزاءً، مثل قضى يَقْضي قضاءً، وزنًا ومعنًى، وفي التّنزيل: ﴿يَوْمًا لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ٤٨، وفي الدّعاء: «جزاهُ الله خيرًا» أي قضاه له وأثابه عليه.

وقد يستعمل «أجزَأ» بالألف والهمز بمعنى «جزى» ونقلها الأخفش بمعنًى واحد، فقال: الثّلاثيّ من غير همز لغة الحجاز، والرّباعيّ المهموز لغة تميم.

وجازيتُه بذنبه: عاقبتُه عليه.

وجزَيتُ الدَّين: قضيتُه. [ثمّ ذكر حديث أبي بُرْدَة]

وأجزَأتِ الشّاة بالهمز، بمعنى قَضَتْ، لغة حكاها ابن القَطّاع. وأمّا «أجزَأ» بالألف والهمز، فبمعنى «أغنى».

قال الأزهَريّ: والفقهاء يقولون فيه: «أجزى» من غير همز، ولم أجده لأحد من أئمّة اللّغة. ولكن إن هُمز «أجزَأ» فهو بمعنى كفى، هذا لفظه.

وفيه نظر، لأنّه إن أراد امتناع التّسهيل فقد توقّف في موضع التّوقّف، فإنّ تسهيل همزة الطّرف في الفعل المزيد وتسهيل الهمزة السّاكنة قياسيّ، فيقال: أرجَأتُ الأمر وأرجيتُه، وأنسأتُ وأنسيتُ، وأخطأتُ وأخطيتُ، وأشطأ الزّرع - إذا أخرج شطأه وهو أولاده - وأشطى، وتوضّأت وتوضّيتُ، وأجزَأتُ السّكّين - إذا جعلت له نصابًا - وأجزَيتُه، وهو كثير.

فالفقهاء جرى على ألسنتهم التّخفيف، وإن أراد الامتناع من وقوع «أجزَأ» موقع «جزى» فقد نقلها الأخفش لغتين، كيف وقد نصّ النّحاة على أنّ الفعلين إذا تقارب معناهما جاز وضع أحدهما موضع الآخر. وفي هذا مَقنَع لو لم يُوجد نقل.

وأجزَأ الشّيء مُجزأ غيره: كفى وأغنى عنه.

واجتزأت بالشّيء: اكتفيتُ.

والجُزء من الشّيء: الطّائفة منه، والجمع: أجزاء، مثل قُفْل وأقفال.

وجزّأتُه تجزيئًا وتَجْزِئةً: جعلتُه أجزاءً متميّزةً، فتجزّأ تجزّؤًا.

وجَزَأتُه من باب «نفع» لغة.

والجِزْية: مايُؤخذ من أهل الذّمّة، والجمع: جِزًى، مثل سِدْرَة وسِدَر. (١: ١٠٠)

الفيروزاباديّ: الجزاء: المكافأة على الشّيء كالجازية، جزاه به وعليه جزاءً، وجازاه مُجازاةً وجزاءً.

وتجازى دَيْنَه وبدَيْنه: تقاضاه، واجتزاه: طلَب منه الجزاء.

وجزَى الشّيء يَجْزي: كفى، وعنه قضى.

وأجزَى كذا عن كذا: قام مقامه ولم يكف.

وأجزَى عنه مُجْزَى فلان ومُجْزاته بضمّها وفتحها: أغنى عنه، لُغة في الهمزة.

والجِزْية بالكسر: خَراج الأرض، ومايُؤخَذ من الذمّيّ: الجمع: جِزًى وجِزِيّ وجِزاءٌ.

وأجزَى السّكّين: أجزأه.

وجِزِيٌّ بالكسر وكسُمَيّ وعليّ: أسماء. والجازي: فرس. (٤: ٣١٤)

مَجْمَعُ اللُّغة: الجزاء: القضاء والمكافأة.

١ـ جزاه بعمله أو على عمله يَجْزيه جزاءً: قابله بما يكافئه. وإذا تعدّى «جزى» إلى مفعولين كان فيه معنى «أعطى». ويُستعمل الجزاء في الخير والشّرّ.

٢ـ وجزى عنه يَجْزي جزاءً: قضى وكفى، فهو جازٍ.

٣ـ ولفظ «جازى يُجازي» في القرآن بمعنى «جزى» أي قابله بما يكافئه.

٤ـ والجِزْية: ضريبة تُفرَض على الرُّؤوس، يأخذها المسلمون من غير المسلمين، نظير تأمينهم وانتفاعهم بما ينتفع به المسلمون. (١: ١٩١)

العَدْنانيّ: جزاه على إحسانه وإساءته وجازاه عليهما.

اختلفوا في استعمال الفعل «جزَى»، وهل نقول: جزاه بإحسانه، أم جزاه بإساءته؟ فالّذين يقصُرون استعمال الفعل «جزَى» على الخير، يعتمدون على الفرّاء، وعلى «المصباح» الّذي قال: جزاه الله خيرًا: قضاه له، وأثابه عليه.

ولكن:

ذُكِر الفعل «جزَى» في القرآن الكريم (٧٢) مرّة: (٣٠) منها جزاءٌ على الإحسان، و(٢٩) على الإساءة، و(١٣) على كليهما. فمن قوله تعالى في الإحسان ماجاء في الآية (١٢) من سورة الدّهر: ﴿وَجَزٰيهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ومن قوله تعالى في العقاب ماجاء في الآية (٤١) من سورة الأعراف: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الظّٰالِمِينَ﴾. ومن قوله تعالى في كلا الإحسان والإساءة ماجاء في الآية (١٥) من سورة طٰه: ﴿إِنَّ السّٰاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعٰى﴾.

وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم: جزاه بعمله أو على عمله يَجْزيه جزاءً: قابله بما يكافئه، ويُستعمل في الخير والشّرّ.

ويؤيّد قول معجم ألفاظ القرآن الكريم أبوالهيثَم العبّاس بن محمّد، والتّهذيب، ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ، واللّسان، والتّاج، والمدّ، وأقرب الموارد، والمتن.

وممّا قاله أبوالهيثَم: الجزاء يكون ثوابًا ويكون عقابًا.

وقال الرّاغب: جزَيتُه كذا وبكذا. وقال التّاج: جزاه كذا، وبه، وعليه. وقال الوسيط: جزاه: كافأه، وكافأه عنده للخير والشّرّ.

واختلفوا في معنى الفعل «جازَى»، فالقرآن الكريم يستعمله في العقاب مرّةً واحدةً، في الآية (١٧) من سورة سبأ: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ﴾، و«المصباح المنير» يقول: جازَيتُه بذنبه: عاقبتُه عليه.

أمّا الرّاغب في «مفرداته»، والزّمَخشَريّ في «أساسه» فيستعملانه في الخير. قال الرّاغب: المجازاة هي المكافأة، وهي المقابلة من كلّ واحد من الرّجُلَيْن، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كُفْؤُها. وقال «الأساس»: أحسَنَ إليه فجزاه خيرًا، إذا دعا له بالمُـجازاة.

ولكن: يستعمل الفعل «جـازَى» للـخير والشّرّ كليهما، كلّ من: الفرّاء، والتّهذيب، والمختار، واللّسان، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن.

لقد ذكر المختار «الجزاء» في مادّة «ثـوب». وقـال محيط المحيط وأقرب الموارد: إنّ الفعل «جازى» هو أكثر استعمالًا في الشّرّ. (١٢٢)

محمود شيت: ١ـ أ ـ جزَى الشّيء جـزاءً: كـفى وأغنى، وفلانًا بكذا: كافأه، وفلانًا حقّه: قضاه.

ب ـ جازاه: أثابه.

جـ ـ تجازَى الدَّيْن: تقاضاه، فهو مُتجاز.

د ـ الجزاء: الثّواب، والعقاب، الجمع: جواز.

هـ ـ الجِزْية: خَراج الأرض. ومـا يُؤخَذ مـن أهـل الذّمّة، الجمع: جِزْي، وجِزًى، وجِزاء.

٢ـ أ ـ جزاء: يقال: أخذ الجنديّ جزاءه: عقابه.

ب ـ الجِزْية: مايُؤخذ من أهل الذّمّة. (١: ١٤٢)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق: أنّ الأصـل الواحـد في هذه المادّة هو المكافأة، ويعبّر عنه بالفارسيّة بكـلمة «پاداش» وهي أحسن ترجمة عن الجزاء. والجزاء أعمّ من الثّواب والعقاب، ويُستعمل في جميع موارد المكافأة، ثوابًا أو عقابًا.

وهـذه المادّة تُـستعمل مـتعدّية إلى مـفعولين. [ثمّ استشهد بآيات]

وقد يحذف المفعول الثّاني، لكونه غير منظور إليه، أو لجهات أُخرى: ﴿نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ الأعـراف: ٤١، ﴿سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ﴾ آل‌عمران: ١٤٥، ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ سبأ: ١٧، ﴿نَجْزِى الْـمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٠.

والغالب في هذه الموارد أنّ حـذفه لتـعظيم الجـزاء وتشديده.

وقد تُستعمل متعدّية إلى الثّاني بحـرف البـاء. [ثمّ استشهد بآيات]

ويمكن أن تكون الباء في بعض هذه الموارد للسّببيّة، ويكون المفعول الثّاني محذوفًا، كما في ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ المؤمن: ١٧، مثل ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ سبأ: ١٧.

ثمّ إنّ ذكر الباء في هذه الموارد للإشارة إلى أنّ الجزاء ليس هذا المعنى المذكور نفسه، بل أنّ الجزاء يتحقّق بهذا الميزان وبالعنوان المذكور.

وأمّا حقيقة الجزاء في موارد ذُكر فيها العمل نفسه مثل: ﴿وَيَجْزِيَهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الزّمر: ٣٥، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ اَحْسَنَ مَاعَمِلُوا﴾ النّور: ٣٨، ﴿اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطّور: ١٦، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَسْوَاَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصّلت: ٢٧.

فالمراد أنّ الجزاء يتحقّق بميزان هذا العمل، فالعمل مبنى الجزاء، ووسيلة تعيين كيفيّته ونوعه، كما في قولهم: ضربته سوطين، أي ضربًا بسوطين، والتّقدير: جـزاءً بأحسن ماعملوا، أو جزاءً بأسوء الّذي كانوا يعملون. أو بالإضافة، فالتّقدير: جزاءَ أسوء الّذي كانوا يـعملون،

جزاء أحسن ماعملوا.

وعلى أيّ تقدير فالجزاء ليس هو العمل نفسه، بل مايعادله ويماثله في القيمة. وحذف المصدر يجوز في موارد قد ذكروه، في باب المفعول المطلق.

وقد ذكرنا أنّ المفعول الثّاني إذا ذُكر مجرّداً عن الباء (اَحْسَنُ الَّذى) يدلّ على تشديد الجزاء وتعظيمه، بخلاف مالذا ذُكر بالباء ﴿بِاَحْسَنِ الَّذى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيشار بها إلى السّببيّة والوساطة، أو إلى المعادلة.

﴿حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ التّوبة: ٢٩.

الجزية «فعلة» يدلّ على النّوع، وهو نوع من الجزاء، أي جزاء معيّن يؤخذ من الكفّار، في مقابلة خلافهم.

ثمّ إنّ هذه الآيات الكريمة نظير ماسبق في إفادة معنى السّببيّة أو الميزانيّة ﴿لِيَجْزِىَ الَّذينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ يونس: ٤، ﴿لِيَجْزِىَ اللّٰهُ الصَّادِقينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ الأحزاب: ٢٤، ﴿سَيَجْزيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ١٣٨، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزٰى اِلَّا مِثْلَهَا﴾ المؤمن: ٤٠، أي مايعادلها من الجزاء، أو يجزي بسببها. فيمكن أن يكون المفعول الثّاني في غير الأخيرة محذوفًا، والباء للسّببيّة. (٢: ٨٥)

النّصوص التّفسيريّة

جَزٰيهُمْ

وَجَزٰيهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا. الدّهر: ١٢

ابن عبّاس: أعطاهم. (٤٥٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ٢٦٧)

الطَّبَريّ: أثابهم الله بما صبروا في الدّنيا على طاعته. (٢٩: ٢١٣)

الطُّوسيّ: أي كافأهم وأثابهم على صبرهم، على محن الدّنيا وشدائدها، وتحمّل مشاقّ التّكليف. (١٠: ٢١٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٤١٠)

لاحظ: «ص ب ر».

جَزَيْتُهُمُ

اِنّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا اَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ. المؤمنون: ١١١

الطُّوسيّ: أخبر الله تعالى ﴿اِنّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ يعني المؤمنين الّذين سخر منهم الكفّار في دار التّكليف، وأكافئهم على صبرهم ومَضَضهم في جنب الله، على أقوال الكفّار، وهُزئهم بهم. [إلى أن قال:]

فالجزاء: مقابلة العمل بما يستحقّ عليه من ثواب أو عقاب، كما يقال: النّاس مجزيّون بأعمالهم، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا. (٧: ٤٠٠)

الشِّربينيّ: أي بالنّعيم المقيم. (٢: ٥٩٢)

أبوالسُّعود: استئناف لبيان حُسن حالهم، وأنّهم انتفعوا بما آذوهم. (٤: ٤٣٤)

لاحظ «ص ب ر ـ ف و ز»

جَزَيْنَاهُمْ

١ـ وَعَلَى الَّذينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ

وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَاحَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَااخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. الأنعام: ١٤٦

ابن عبّاس: عاقبناهم. (١٢١)

قَتادَة: إنّما حرّم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم.

(الطّبَريّ ٨: ٧٦)

نحوه الخازن. (٢: ١٦٢)

ابن زَيْد: فعلنا ذلك بهم ببغيهم. (الطّبَريّ ٨: ٧٧)

الطّبَريّ: حرّمناه عليهم عقوبة منّا لهم، وثوابًا على أعمالهم السّيّئة، وبغيهم على ربّهم. (٨: ٧٦)

القُمّيّ: كان ملوك بني إسرائيل يمنعون فقراءهم من أكل لحم الطّير والشّحوم، فحرّم الله ذلك عليهم ببغيهم على فقراءهم. (١: ٢٢٠)

مثله البحرانيّ. (٤: ٦٤)

عبد الجبّار: مسألة: قالوا: ثمّ ذكر تعالى فيها مايدلّ على أنّه قد يُجازي على المعاصي بتشديد التّكليف، وأنّه إذا جاز ذلك لم يمتنع أن يضلّ من قد عصى، على هذا الحدّ. فقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا...﴾.

والجواب عن ذلك: أنّه يمتنع أن يكلّف تعالى على طريق العقوبة على ذنب سلف، لأنّ الغرض بالتّكليف: التّعريض للمنافع، والغرض بالعقوبة: استيفاء مايستحقّه من الضّرر على ماسلف، والصّفتان تتنافيان، فلايجوز في التّكليف أن يكون عقوبة.

فإن قال: فأنتم تقولون في التّكليف في الحدود: إنّها قد تكون عقوبة!

قيل له: لأنّها من فعل الغير فيهم، ولايمتنع ذلك فيها على بعض الوجوه، وليس كذلك حال التّكليف.

فإن قال: فأنتم تقولون في الكفّارات: إنّها عقوبة، وذلك ينقض ماذكرتم.

قيل له: لايصحّ في الكفّارات الّتي يلزم المرء تولّيها أن تكون عقوبة، لما قدّمناه، وإنّما يقال في بعضها: إنّها تجري مجرى العقوبة، في أنّها تثبت مع المأثم كثبوت العقاب، فأمّا أن تكون في الحقيقة كذلك، فحال.

وإذا صحّ ذلك، وجب حمل قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ على أنّه علم أنّ الصّلاح عند بغيهم تشديد التّكليف عليهم، فصار ذلك، لتعلّق كونه صلاحًا له ـ ولولاه لم يحصل لذلك ـ جزاءً، ولايُعقَل في اللّغة في الشّيء أنّه جزاء ماذكروه من العقوبة فقط، لأنّهم يستعملون ذلك فيما يقابل غيره ويتعلّق به.

(متشابه القرآن ١: ٢٦٦)

الحَوْفيّ: (ذٰلِكَ) في موضع رفع على إضمار مبتدإ، تقديره: الأمر ذلك. ويجوز أن يكون نصب بـ(جَزَيْنَاهُمْ) لأنّه يتعدّى إلى مفعولين، والتّقدير: جزيناهم ذلك.

(أبوحَيّان ٤: ٢٤٥)

الطُّوسيّ: معناه أنّا حرّمنا ذلك عليهم، عقوبة لهم على بغيهم.

فإن قيل: كيف يكون التّكليف عقابًا وهو تابع للمصلحة، ومع ذلك فهو تعريض للثّواب؟

قلنا: إنّما سمّاه عقوبة، لأنّ عظيم ماأتوه من الأجرام والمعاصي؛ اقتضى تحريم ذلك وتغيّر المصلحة وحصول اللّطف فيه، فلذلك سمّاه عقوبة، ولولا عِظَم جُرمهم لما

اقتضت المصلحة ذلك. (٤: ٣٣١)

القُشَيريّ: بيّن أنّ ماحرّم عليهم ضيّعوه، إذ لمّا لم يعاقبهم عليه لم يشهدوا مكره العظيم فيا ابتدعوه من قِبَل نفوسهم، فأهملوه ولم يحافظوا عليه، فاستوجبوا عظيم الوِزر وأليم الهَجر. (٢: ٢٠٤)

الواحديّ: أي ذلك التّحريم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء، وأخذهم الرّبا واستحلالهم أموال النّاس بالباطل، فهذا بغيهم، وهذا كقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا...﴾ النّساء: ١٦٠. (٢: ٣٢٣)

نحوه البغويّ (٢: ١٦٨)، والفخرالرّازيّ (١٣: ٢٢٤).

ابن العَرَبيّ: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ دليل على أنّ التّحريم إنّما يكون عن ذنب، لأنّه ضيق فلايُعدل عن السّعة إليه إلّا عند الموجدة. (٢: ٧٧٠)

نحوه ابن عَطيّة (٢: ٣٥٨)، والقُرطُبيّ (٧: ١٢٧).

الطَّبْرِسيّ: (ذٰلِك) يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنّه مفعول ثان لـ(جَزَيْنَاهُمْ)، التّقدير: جزيناهم ذلك ببغيهم. ولايجوز أن يُرفَع بالابتداء، لأنّه يصير التّقدير: ذلك جزيناهموه، فيكون كقولهم: زيد ضربت، أي ضربته، وهذا إنّما يجوز في ضرورة الشّعر [ثمّ قال: نحو الطُّوسيّ] (٢: ٣٧٩)

العُكبَريّ: (ذٰلِك) في موضع نصب بـ(جَزَيْنَاهُمْ). وقيل: مبتدأ، والتّقدير: جزيناهموه، وقيل: هو خبر لمحذوف، أي الأمر ذلك. (١: ٥٤٦)

أبوحَيّان: [نقل كلام بعض المفسّرين والزّمخشري ثمّ قال:]

وظاهره أنّه منتصب انتصاب المصدر. وزعم ابن مالك أنّ اسم الإشارة لاينتصب مشارًا به إلى المصدر إلّا واتّبع بالمصدر، فتقول: قمت هذا القيام وقعدت ذلك القعود. ولايجوز قمت هذا ولاقعدت ذلك. فعلى هذا لايصحّ انتصاب «ذلك» على أنّه إشارة إلى المصدر. (٤: ٢٤٥)

ابن كثير: أي هذا التّضييق إنّما فعلناه بهم وألزمناهم به، مجازاة على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا...﴾ النّساء: ١٦٠. (٣: ١١٧)

أبوالسُّعود: (ذٰلِك) إشارة إلى الجزاء أو التّحريم، فهو على الأوّل نُصب على أنّه مصدر مؤكّد لما بعده، وعلى الثّاني على أنّه مفعول ثان له، أي ذلك التّحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم، كقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا...﴾ النّساء: ١٦٠.

وكانوا كلّما أتوا بمعصية عُوقبوا بتحريم شيء ممّا أُحلّ لهم، وهم ينكرون ذلك ويدّعون أنّها لم تزل محرّمة على الأُمم، فرُدّ ذلك عليهم، وأُكّد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾. (٢: ٤٥٦)

نحوه البُرُوسَويّ (٣: ١١٥)، والآلوسيّ (٨: ٤٩).

المَراغيّ: أي إنّما حرّم الله عليهم عقوبة ببغيهم، فشدّد عليهم بذلك، وليس ذلك بالخبيث لذاته. (٨: ٥٩)

الطَّباطَبائيّ: والآية كأنّها في مقام الاستدراك ودفع الدّخل، ببيان أنّ ماحرّم الله على بني إسرائيل من طيّبات مارزقهم إنّما حرّمه جزاء لبغيهم، فلاينافي ذلك كونه حِلًّا بحسب طبعه الأوّلي، كما يُشير إلى ذلك قوله

تعالى: آل‌عمران: ٩٣، والنّساء: ١٦٠. (٧: ٣٦٦)

فضل الله: فقد عاقبهم الله على عدوانهم، بتشديد القيود عليهم في مآكلهم، فقد كانت أحكام التّحريم المتنوّعة عقوبةً لهم على قتلهم الأنبياء، وأخذهم الرّبا، واستحلالهم أموال النّاس بالباطل، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا...﴾ النّساء: ١٦٠. [ثمّ ذكر قول القُمّيّ وكلام الطّبَريّ وقال:]

وتلاحظ على ذلك، أنّ مثل هذه التّعليلات الاعتراضيّة والجوابيّة، خاضع للمدرسة العقليّة الفلسفيّة الّتي تحاول أن تخضع خطّ التّكاليف للمصالح والمفاسد الكامنة في طبيعة الأشياء. ولكنّنا نعتقد أنّ من الممكن أن تكون المصالح والمفاسد كامنةً في إصدار الأحكام؛ وذلك من ناحية تأديبيّة في ماتقتضيه خطّة التّأديب الّتي تفرض على النّاس تنفيذها إلى مرحلة معيّنة، كما نجده في ماحكاه الله عن عيسى عليه السلام ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ آل‌عمران: ٥٠، وربّما كان هذا هو مقصود صاحب «مجمع البيان». (٩: ٣٥٧)

٢ـ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى اِلَّا الْكَفُورَ. سبأ: ١٧

ابن عبّاس: أي الّذي أصابهم عقوبة لهم عاقبناهم (بِمَا كَفَرُوا) ...(نجازي): نعاقب. (٣٦٠)

مثله مُجاهِد. (الطّبَريّ ٢٢: ٨٣)

الحسَن: صدق الله العظيم، لايعاقب بمثل فعله إلّا الكفور. (ابن كثير ٥: ٥٤٣)

الفَرّاء: يقول القائل: كيف خصّ الكفور بالمجازاة، والمجازاة للكافر وللمسلم وكلّ واحد؟ فيقال: إنّ جازيناه بمنزلة كافأناه، والسّيّئة للكافر بمثلها، وأمّا المؤمن فيُجزى، لأنّه يُزاد ويُتفضّل عليه، ولايجازى.

وقد يقال: جازيت في معنى جزّيت، إلّا أنّ المعنى في أبين الكلام على ماوصفت لك، ألاترى أنّه قد قال: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾ ولم يقل: (جَازَيْنَاهُمْ) وقد سمعت جازيت في معنى جزّيت، وهي مثل عاقبت وعقّبت، الفعل منك وحدك. وبناؤها يعني «فاعَلتُ» على أن تفعل ويُفعل بك. (٢: ٣٥٩)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: هذا الّذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ، من إرسالنا عليهم سيل العَرِم، حتّى هلكت أموالهم، وخربت جنّاتهم، جزاءٌ منّا على كفرهم بنا، وتكذيبهم رسلنا. و(ذٰلِكَ) من قوله: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾ في موضع نصب، بوقوع (جَزَيْنَاهُمْ) عليه، ومعنى الكلام: جزيناهم ذلك بما كفروا.

وقوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِى اِلَّا الْكَفُورَ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة: (وَهَلْ يُجَازَى) بالياء وبفتح الزّاي، على وجه مالم يسمّ فاعله (اِلَّا الْكَفُورُ) رفعًا. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة: ﴿وَهَلْ نُجَازِى﴾ بالنّون، وبكسر الزّاي ﴿اِلَّا الْكَفُورَ﴾ بالنّصب.

والصّواب من القول في ذلك أنّهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب، ومعنى الكلام: كذلك كافأناهم على كفرهم بالله، وهل يُجازى إلّا الكفور لنعمة الله؟

فإن قال قائل: أو مايجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصّالحة، فيخصّ أهل الكفر بالجزاء، فيقال:

وهل يُجازى إلّا الكفور؟

قيل: إنّ المجازاة في هذا الموضع: المكافأة، والله وعَد أهل الإيمان به للتفضّل عليهم، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصّالحة عشر أمثالها، إلى مالانهاية له من التّضعيف، ووعَد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيّئاته مثلها مكافأة له على جُرمه.

والمكافأة لأهل الكبائر والكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التّفضّل، فلذلك قال في هذا الموضع: وهل يُجازى إلّا الكفور؟ كأنّه قال: لايُجازى: لايكافأ على عمله إلّا الكفور، إذا كانت المكافأة مثل المكافأ عليه، والله لايغفر له من ذنوبه شيئًا، ولايُمحّص شيء منها في الدّنيا. وأمّا المؤمن فإنّه يتفضّل عليه، على ماوصفت.

(٢٢: ٨٢)

الزّجّاج: (ذٰلِكَ) في موضع نصب، المعنى جزيناهم ذلك بكفرهم.

﴿وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ﴾، وتُقرأ (وَهَلْ يُجازَى) ويجوز (وهل يُجازَى إلّا الكَفُورُ) وهذا ممّا يُسأل عنه، يقال: الله يُجازي الكفور وغير الكفور.

والمعنى في هذه الآية أنّ المؤمن تُكفّر عنه السّيّئات، والكافر يُحبَط عمله فيجازَى بكلّ سوء يعمله، قال الله: ﴿اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ اَضَلَّ اَعْمَالَهُمْ﴾ محمّد: ١، وقال: ﴿ذٰلِكَ بِاَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَاأَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاَحْبَطَ اَعْمَالَهُمْ﴾ محمّد: ٢٨، فأعلم أنّه يُحبِط عمل الكافر، وأعلَمنا أنّ الحسنات يُذهِبن السّيّئات، وأنّ المؤمن تُكفّر عنه سيّئاته حسناته

(٤: ٢٤٩)

أبومسلم الأصفهانيّ: إنّ المجازاة من التّجازي وهو التّقاضي، أي لايقتضي ولايرتجع ماأعطى إلّا الكافر، وإنّهم لمّا كفروا النّعمة اقتضوا ماأُعطوا، أي ارتجع منهم. (الطّبْرِسيّ ٤: ٣٨٦)

النّحّاس: [ذكر حديث النّبيّ ـ صلّى الله عليه و آله و سلّم ـ عن عائشة «مَنْ حوسِب عذّب... ثمّ قال:»]

المعنى أنّ المؤمن يُكفَّر عنه سيّئاتُه، والكافر يُحبَط عملُه ويجازَى، كما قال جلّ وعزّ: ﴿اَضَلَّ اَعْمَالَهُمْ﴾ محمّد: ١. (٥: ٤١٠)

الطُّوسيّ: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ في نعم الله، ﴿وَهَلْ نُجَازِى﴾ بهذا الجزاء ﴿إِلَّا الْكَفُورَ﴾ من كفر نعم الله.

فمن قرأ بالنّون، فلقوله: (جَزَيْنَاهُمْ)، ولا يمكن الاستدلال بذلك على أنّ مرتكب الكبيرة كافر من حيث هو معذّب، لأنّ الله تعالى بيّن أنّه لايجازي بهذا النّوع من العذاب الّذي هو الاستئصال، إلّا من هو كافر، وإن جاز أن يُعذّب الفاسق بغير ذلك من العذاب. [ثمّ ذكر قول القرّاء وأضاف:]

وقال غيره: لافرق بينهما. (٨: ٣٨٨)

الزّمَخْشَريّ: [ذكر القراءات وقال:]

والمعنى أنّ مثل هذا الجزاء، لايستحقّه إلّا الكافر، وهو العقاب العاجل.

وقيل: المؤمن تُكفّر سيّئاته بحسناته، والكافر يُحبَط عملُه، فيجازى بجميع ماعمله من السّوء.

ووجه آخر، وهو أنّ الجزاء عامّ لكلّ مكافاة، يُستعمل تارة في معنى المعاقبة وأُخرى في معنى الإثابة،

فلمّا استعمل في معنى المعاقبة في قوله: ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بمعنى عاقبناهم بكفرهم، قيل: (وهل يجازَى إلّا الكفور)؟ بمعنى وهل يعاقب، وهو الوجه الصّحيح.

وليس لقائل أن يقول: لِمَ قيل: (وهل يجازَى إلّا الكفور) على اختصاص الكفور بالجزاء، والجزاء عامّ للكافر والمؤمن، لأنّه لم يُرد الجزاء العامّ وإنّما أراد الخاصّ وهو العقاب، بل لايجوز أن يراد العموم وليس بموضعه.

ألاترى أنّك لو قلت: جزيناهم بما كفروا وهل يجازَى إلّا الكافر والمؤمن، لم يصحّ ولم يسدّ كلامه، فتبيّن أنّ مايتخيّل من السّؤال مضمحلّ، وأنّ الصّحيح الّذي لايجوز غيره ماجاء عليه كلام الله الّذي لايأتيه الباطل، من بين يديه ولامن خلفه. (٣: ٢٨٥)

نحوه النّسفيّ. (٣: ٣٢٢)

الطَّبْرِسيّ: [نحو الطُّوسيّ وأضاف:]

قيل: إنّ معناه هل نجازي بجميع سيّئاته إلّا الكافر، لأنّ المؤمن قد يُكفّر عنه بعض سيّئاته. (٤: ٣٨٦)

الفَخْرالرّازيّ: قال بعضهم: المجازاة: تقال في النّقمة، والجزاء: في النّعمة، لكن قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾ يدلّ على أنّ «الجزاء» يُستعمل في النّقمة، ولعلّ من قال ذلك أخذه من أنّ المجازاة «مفاعلة» وهي في أكثر الأمر تكون بين اثنين، يؤخذ من كلّ واحد جزاء في حقّ الآخر. وفي النّعمة لاتكون «مجازاة» لأنّ الله تعالى مبتدئ بالنّعم. (٢٥: ٢٥١)

البَيْضاويّ: بكفرانهم النّعمة، أو بكفرهم بالرُّسل؛ إذ روي أنّه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيًّا فكذّبوهم.

وتقديم المفعول للتّعظيم لاللتّخصيص. [ثمّ ذكر القراءات] (٢: ٢٥٩)

مثله المشهديّ. (٨: ٢٦٨)

أبوحَيّان: وأكثر مايستعمل الجزاء في الخير والمجازاة في الشّرّ، لكن في تقييدهما قد يقع كلّ واحد منهما موقع الآخر. (٧: ٢٧١)

ابن كثير: [نقل الأقوال ثمّ نقل حديثًا عن ابن خيرة، أنّه قال:]

جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضّيق في المعيشة، والتّعسّر في اللّذّة.

قيل: وماالتّعسّر في اللّذّة؟ قال: لايصادف لذّة حلال إلّا جاءه من ينغصّنه إيّاها. (٥: ٥٤٣)

أبوالسُّعود: (ذٰلِكَ) إشارة إلى مصدر (جَزَيْنَاهُمْ) أو إلى ماذكر من التّبديل، ومافيه من معنى البُعد للإيذان ببُعد رتبته في الفظاعة.

ومحلّه على الأوّل: النّصب على أنّه مصدر مؤكّد للفعل المذكور، وعلى الثّاني: النّصب على أنّه مفعول ثان له، أي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لاجزاءً آخر، أو ذلك التّبديل جزيناهم لاغيره. ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ أي ومانُجازي هذا الجزاء إلّا المبالغ في الكفران أو الكفر.

وقرئ (يُجازي) على البناء للفاعل، وهو الله عزّوجلّ: (وَهَلْ يُجازَى) على البناء للمفعول ورفع (الْكَفُور)، (وهل يُجزَى) على البناء للمفعول أيضًا. وهذا بيان ماأُوتوا من النّعم الحاضرة في مساكنهم، ومافعلوا بها من الكفران، ومافعل بهم من الجزاء. (٥: ٢٥٤)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السّعود وأضاف:]

(هَلْ) وإن كان استفهامًا فمعناه النّفي، ولذلك دخلت (إلّا) في قوله: (إلَّا الْكَفُورَ).

وفي الآية إشارة إلى أنّ المؤمن الشّاكر يربط بشكره النّعم الصّوريّة والمعنويّة، من الإتقان والتّقوى والصّدق والإخلاص والتّوكّل والأخلاق الحميدة، وغير الشّاكر يُزيل بكفرانه هذه النّعم، فيجد بدلها الفقر والكفر والنّفاق والشّكّ والأوصاف الذّميمة. (٧: ٢٨٤)

الآلوسيّ: [نحو الزّمخشريّ وأبي السّعود، ثمّ تعرّض للقراءات وقال:]

والمجازات على ماسمعت عن الزّمخشريّ: المكافآت، لكن قال الخفاجيّ: لم ترد في القرآن إلّا مع العقاب بخلاف الجزاء، فإنّه عامّ، وقد يخصّ بالخير. وعن أبي إسحاق، تقول: جزيت الرّجل في الخير وجازيته في الشّرّ، وفي معناه قول مُجاهِد، يقال في العقوبة: يجازي وفي المثوبة: يجزي.

وقال بعض الأجلّة: ينبغي أن يكون أبوإسحاق قد أراد أنّك إذا أرسلت الفعلين ولم تُعدّهما إلى المفعول الثّاني كانا كذلك، وأمّا إذا ذكرته فيستعمل كلّ منهما في الخير والشّرّ، ويرد على ماذكر ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ وكذا (وهل يجزي) في قراءة مسلم؛ إذ الجزاء في ذلك مستعمل في الشّرّ مع عدم ذكر المفعول الثّاني. [ثمّ استشهد بشعر، وذكر كلام الرّاغب في جزيته وجازيته، ثمّ قال:]

وفيه غفلة عمّا هنا إلّا أن يقال: أراد أنّه لم يجئ في القرآن «جازى» فيما هو نعمة، مسندًا إليه تعالى، فإنّه لم يخطر لي مجيء ذلك فيه، والله تعالى أعلم. [ثمّ ذكر قول أبي حيّان وحسّنه وقال:]

وفي قوله سبحانه: ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ دون جازيناهم بما كفروا على الوجه الثّاني، في اسم الإشارة، مايحكي تمتّع القوم بما يسرّ، ووقوعهم بعده فيما يُسيء ويضرّ. ويمكن أن تكون نكتة التّعبير، بـ«جزي» الأكثر استعمالًا في الخير، ويجوز أن يكون التّعبير بذاك أوّلًا وبـ«تُجازي» ثانيًا، ليكون كلّ أوفق بعلّته، وهذا جار على كلا الوجهين في الإشارة، فتدبّر جدًّا. (٢٢: ١٢٩)

محمود صافي: التّذييل في قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾.

وفنّ التّذييل قسمان: الأوّل: ماجرى مجرى المثل، والثّاني: مالم يخرج مخرج المثل، وهو أن تكون الجملة الثّانية متوقّفة على الأُولى في إفادة المراد، أي وهل يجازي ذلك الجزاء المخصوص؟

ومضمون الجملة الأُولى أنّ آل سبأ جزاهم الله تعالى بكفرهم، ومضمون الجملة الثّانية أنّ ذلك العقاب المخصوص لايقع إلّا للكفور. وفرق بين قولنا: جزيته بسبب كذا، وبين قولنا: ولايجزي ذلك الجزاء إلّا من كان بذلك السّبب. ولتغايرهما يصحّ أن يُجعل الثّاني علّة للأوّل، ولكن اختلاف مفهومها لاينافي تأكيد أحدهما بالآخر، للزوم معنًى. (٢٢: ٢١٥)

مَغْنِيَّة: جزاهم بالفقر، وهو أفظع الجزاء. وفي رواية: الفقر: الموت الأحمر. (٦: ٢٥٨)

عبد الكريم الخطيب: (ذٰلِك) إشارة إلى ماحلّ بالقوم من نكال وبلاء، وهو مبتدأ محذوف خبره، وتقديره: ذلك ماجزيناهم به، ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾

بدل من هذا المحذوف المشار إليه، وعطف بيان له. ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ أي لم يكن جزاؤنا لهم إلّا بسبب كفرهم بنعمتنا، فما تحلّ نقمتنا، إلّا بمن يكفر بنا وبإحساننا. ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الأنفال: ٥٣.

والمجازاة غير الابتلاء، فالمجازاة: عقاب على ذنب اقترف، والابتلاء: امتحان واختبار. فقد يبتلي الله المحسنين بالضّرّ، كما يبتلي المسيئين بالنّفع.

ولهذا جاء التّعبير القرآنيّ هنا (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) أي لانعاقب إلّا من يستحقّ العقاب، من أهل الكفر والضّلال. فلاعتراض إذن لما يصاب به أهل الإحسان في أموالهم أو أنفسهم، فذلك ابتلاء من الله لهم، وامتحان لإيمانهم، يزدادون به درجة في مقام الإحسان، إذا هم صبروا على هذا الابتلاء، وليس ذلك الابتلاء من باب المجازاة لهم على ذنب اقترفوه. (١١: ٧٩٩)

الطَّباطَبائيّ: (ذٰلِكَ) إشارة إلى ماذكر من إرسال السّيل وتبديل الجنّتين. ومحلّه النّصب مفعولًا ثانيًا لـ(جَزَيْنَاهُمْ). والفرق بين الجزاء والمجازاة ـ كما قيل ـ: أنّ المجازاة لايُستعمل إلّا في الشّرّ، والجزاء أعمّ.

والمعنى جزينا سبأ، ذلك الجزاء، بسبب كفرهم وإعراضهم عن الشّكر ـ أو في مقابلة ذلك ـ ولانجازي بالسّوء إلّا من كان كثير الكفران لأنعم الله. (١٦: ٣٦٥)

يَجْزِي

١ـ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ...وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ. آل‌عمران: ١٤٤

الطَّبَريّ: يقول: وسيثيب الله من شكره على توفيقه، وهدايته إيّاه لدينه. (٤: ١١٠)

الطُّوسيّ: معناه يثيب الله الشّاكرين على شكرهم لنعم الله، واعترافهم بها. ووجه اتّصال هذا بما قبله اتّصال الوعد بالوعيد، لأنّ قوله: ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا﴾ دليل على معنى الوعيد، لأنّ معناه إنّما يضرّ نفسه باستحقاقه العقاب ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ بما يستحقّونه من الثّواب. (٣: ٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٥١٤)

أبوحَيّان: وعد عظيم بالجزاء، وجاء بالسّين الّتي هي في قول بعضهم: قرينة التّفسير في الاستقبال، أي لايتأخّر جزاء الله إيّاهم عنهم. وظاهر هذا الجزاء أنّه في الآخرة، وقيل: في الدّنيا بالرّزق، والتّمكين في الأرض. (٣: ٦٩)

لاحظ «ش ك ر»

٢ـ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ... يونس: ٤

ابن عبّاس: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام والقرآن (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فيما بينهم وبين ربّهم (بِالْقِسْطِ) بالعدل: الجنّة. (١٧٠)

الطَّبَريّ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ يقول: ثمّ يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته، عند بعثه من قبره، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، يقول: ليثيب من صدق الله ورسوله، وعملوا ماأمرهم الله به من الأعمال، واجتنبوا

مانهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط. يقول: ليجزيهم على الحسَن من أعمالهم الّتي عملوها في الدّنيا الحسن من الثّواب، والصّالح من الجزاء في الآخرة، وذلك هو القسط، و(القسط): العدل والإنصاف. (١١: ٨٥)

الطّوسيّ: ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اٰمَنُوا...﴾ فيه بيان أنّه إنّما يعيد الخلق ليعطيهم جزاء أعمالهم من طاعة ومعصية، والعطاء إذا كان ابتداء لايسمّى جزاءً.

وقوله: (بِالْقِسْطِ) معناه بالعدل، لأنّه لو زاد الجزاء أو نقص لخرج عن العدل، ولكن يجزيهم وَفْق أعمالهم حتّى لايكون الجزاء على النّبوّة كالجزاء على الإيمان، بل كلّ طاعة يستحقّ الجزاء على قدرها. (٥: ٣٨٨)

نحوه الطّبْرِسيّ (٣: ٩١)، وأبوالفُتوح الرّازيّ (١٠: ٩٧)، والخازن (٣: ١٤٣).

الزّمَخْشَريّ: (بِالْقِسْطِ) بالعدل، وهو متعلّق بـ(يَجْزِى). والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفّيهم أُجورهم، أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا، حين آمنوا وعملوا صالحًا، لأنّ الشّرك ظلم، قال الله تعالى: ﴿اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣، والعصاة ظلّام أنفسهم، وهذا أوجه لمقابلة قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. (٢: ٢٢٥)

نحوه ملخّصًا ابن جزيّ (٢: ٨٩)، والكاشانيّ (٢: ٣٩٤)، وشُبّر (٣: ١٣٦).

ابن عَطيّة: قوله: (لِيَجْزِى) هي لام «كَيْ» والمعنى أنّ الإعادة إنّما هي ليقع الجزاء على الأعمال، وقوله: (بِالْقِسْطِ) أي بالعدل في رحمتهم وحُسن جزائهم.

(٣: ١٠٥)

أبوالبركات: فإن قيل: كيف خصّ جزاء المؤمنين بالعدل، وهو في جزاء الكافرين عادل أيضًا؟

فالجواب: أنّه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتبيّن في حال اجتماعهما مايقع بالكافرين من العذاب الأليم والشّرب من الحميم، ففصّلهم من المؤمنين، ليبيّن مايجزيهم به، ممّا هو عدل أيضًا[١]. (ابن الجَوْزيّ ٤: ٨)

الفَخْرالرّازيّ: ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اٰمَنُوا...﴾ فاعلم أنّ المقصود منه إقامة الدّلالة على أنّه لابدّ من حصول الحشر والنّشر، حتّى يحصل الفرق بين المحسن والمسيء، وحتّى يصل الثّواب إلى المطيع، والعقاب إلى العاصي. وقد سبق الاستقصاء في تقرير هذا الدّليل، وفيه مسائل:

المسألة الأُولى: قال الكعبيّ: اللّام في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ يدلّ على أنّه تعالى خلق العباد للثّواب والرّحمة، وأيضًا فإنّه أدخل لام التّعليل على الثّواب. وأمّا العقاب فما أدخل فيه لام التّعليل، بل قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ وذلك يدلّ على أنّه خلق الخلق للرّحمة لاللعذاب، وذلك يدلّ على أنّه ماأراد منهم الكفر، وماخلق فيهم الكفر ألبتّة.

والجواب: أنّ لام التّعليل في أفعال الله تعالى محال، لأنّه تعالى لو فعل فعلًا لعلّة لكانت تلك العلّة، إن كانت قديمة لزم قِدَم الفعل، وإن كانت حادثة لزم التّسلسل، وهو محال.

المسألة الثّانية: قال الكَعْبيّ أيضًا: هذه الآية تدلّ على أنّه لايجوز من الله تعالى أن يبدأ خلقهم في الجنّة، لأنّه لو حسن إيصال تلك النّعم إليهم من غير واسطة

---

(١) لم نجده في «البيان» لأبي البركات.

خلقهم في هذا العالم ومن غير واسطة تكليفهم، لما كان خلقهم وتكليفهم معلّلًا بإيصال تلك النّعم إليهم، وظاهر الآية يدلّ على ذلك.

والجواب: هذا بناء على صحّة تعليل أحكام الله تعالى وهو باطل، سلّمنا صحّته. إلّا أنّ كلامه إنّما يصحّ لو علّلنا بدء الخلق وإعادته بهذا المعنى، وذلك ممنوع. فلِمَ لايجوز أن يقال: إنّه يبدأ الخلق لمحض التّفضّل، ثمّ إنّه تعالى يعيدهم لغرض إيصال نعم الجنّة إليهم؟ وعلى هذا التّقدير: سقط كلامه. (١٧: ٣٠)

ابن عَرَبيّ: ﴿اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالعود إلى عين الجمع المطلق، في القيامة الصّغرى، كما هو الآن. أو إلى عين جمع الذّات بالفناء فيه، عند القيامة الكبرى.

﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا اِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ في النّشأة الأُولى، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ في النّشأة الثّانية، (لِيَجْزِيَ) المؤمن والكافر، على حسب إيمانهم، وعملهم الصّالح، وكفرهم، وعملهم الفاسد، وهذا على التّأويل الأوّل.

وعلى الثّاني: ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ باختفائه، وإظهارهم، ثمّ يُعيدهم بإفنائهم وظهوره ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مايصلحهم للقائه، من الأعمال الرّافعة لحُجُبهم، للقربة إيّاهم (بِالْقِسْطِ) بحسب مابلغوا من المقامات بأعمالهم، من مواهبه الحاليّة والذّوقيّة، الّتي يقتضيها مقامهم، وشوقهم، أو ليجزي الّذين آمنوا الإيمان الحقيقيّ، وعملوا بالله الأعمال الّتي تصلح العباد، أي جزاه بالتّكميل بقسطهم، أي بسبب عدلهم في زمان الاستقامة، أو جزاه بحسب رتبتهم، ومقامهم في الاستقامة. (١: ٥٢١)

البَيْضاويّ: ...والتّنبيه على أنّ المقصود بالذّات من الإبداء والإعادة هو الإثابة، والعقاب واقع بالعرض، وأنّه تعالى يتولّى إثابة المؤمنين، بما يليق بلطفه وكرمه، ولذلك لم يعيّنه. وأمّا عقاب الكفرة فكأنّه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم.

والآية كالتّعليل لقوله: ﴿اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ فإنّه لمّا كان المقصود من الإبداء والإعادة مجازاة الله المكلّفين على أعمالهم، كان مرجع الجميع إليه لامحالة، ويؤيّده قراءة مَن قرأ (اَنَّهُ يَبْدَؤُا) بالفتح، أي لأنّه. ويجوز أن يكون منصوبًا أو مرفوعًا بما نصب (وَعْدَ اللهِ) أو بما نصب (حَقًّا). (١: ٤٣٩)

نحوه النّسَفيّ (٢: ١٥٣)، والمشهديّ (٤: ٣٣٠)، والقاسميّ (٩: ٣٣٢٤).

النّيسابوريّ: قال المفسّرون: في الآية إضمار، والتّقدير: أنّه يبدأ الخلق ليأمرهم بالعبادة، ثمّ يميتهم ثمّ يعيدهم ليجزي. وإنّما حسن هذا الحذف، لتقدّم قوله: (فَاعْبُدُوهُ) ولأنّ الإعادة لاتكون إلّا بعد الإماتة والإعدام. [ثمّ ذكر نحو الزّمخشريّ إلى أن قال:]

وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من غير أن يُدخل لام العاقبة في الجملة كما أدخلها في الأُولى، دليل على أنّه خلق الخلق للرّحمة لاللعذاب، وإنّما جاء التّعذيب لغرض وقوعهم في طريق القهر. (١١: ٥٢)

أبوحَيّان: و(بِالْقِسْطِ) معناه بالعدل، وهو متعلّق بقوله: (لِيَجْزِيَ) أي ليُثيب المؤمنين بالعدل والإنصاف في جزائهم، فيوصل كلًّا إلى جزائه وثوابه، على حسب تفاضلهم في الأعمال، فينصف بينهم ويعدل؛ إذ ليسوا

كلّهم متساوين في مقادير الثّواب، وعلى هذا يكون (بِالْقِسْطِ) منه تعالى. [ثمّ نقل كلام الزّمخشريّ وقال:]

فجعل القسط من فعل الّذين آمنوا، وهو على طريقة الاعتزال. والظّاهر: أنّ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) مبتدأ، ويحتمل أن يكون معطوفًا على قوله: (الَّذِينَ اٰمَنُوا) فيكون الجزاء بالعدل قد شمل الفريقين. (٥: ١٢٤)

أبوالسُّعود: [نحو الزّمخشريّ وقال:]

وهو الأنسب بقوله عزّوجلّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ فإنّ معناه ويجزي الّذين كفروا بسبب كفرهم، وتكرير الإسناد بجعل الجملة الظّرفيّة خبرًا للموصول، لتقوية الحكم، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل، للدّلالة على مواظبتهم على الكفر، وتغيير النّظم للإيذان بكمال استحقاقهم للعقاب، وأنّ التّعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلّة الغائيّة للخلق بدءً وإعادةً، وإنّما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم، وأمّا المقصود الأصليّ من ذلك فهو الإثابة. (٣: ٢١١)

نحوه الآلوسيّ. (١١: ٦٧)

البُرُوسَويّ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ متعلّق بـ(يعيده) أي يثيبهم، بما يليق بلطفه وكرمه، ممّا لاعين رأت ولاأُذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، ﴿بِالْقِسْطِ﴾ متعلّق بـ(يَجْزِي) أي بالعدل، فلاينقص من ثواب محسن ولايزيد على عقاب مسيء، بل يجازي كلًّا على قدر عمله، كما قال: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ النبأ: ٢٦. (٤: ١١)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (٦: ٢٧٥)

رشيد رضا: ﴿لِيَجْزِيَ...﴾ الآية، هذا تعليل للإعادة، أي يعيده لأجل جزائهم. والقسط: العدل، وقال الرّاغب: النّصيب من العدل، أي ليجزيهم بعدله. وهو عبارة عن إعطاء كلّ عامل حقّه من الثّواب الّذي جعله الله لعمله، بمعنى أنّه لايُظلَم منه شيئًا، كما قال في سورة الأنبياء: ٤٧ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.

ولايمنع ذلك أن يزيدهم ويضاعف لهم، كما وعد في آيات أُخرى منها، قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النّساء: ١٧٣، وقوله في هذه السّورة: ﴿لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا الْحُسْنٰى وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦، فالحسنى هي الجزاء بالقسط المضادّ للجور والظّلم، والزّيادة فضل منه عزّوجلّ. وسيأتي فيها أيضًا قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يونس: ٥٤.

وقيل: إنّ المراد يجزيهم بما كانوا عليه من القيام بالقسط، وهو الحقّ والعدل في الأُمور كلّها، الّذي هو مقتضى الإيمان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَاَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد: ٢٥، وقوله: ﴿قُلْ اَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ الأعراف: ٢٩، على أنّ القسط في الآيتين عامّ شامل لأُمور الدّين كلّها.

وقيل: بل المراد منه الإيمان أو التّوحيد المقابل لظلم الشّرك، في قوله تعالى: ﴿اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣.

والمتبادر الموافق لسائر الآيات الصّريحة هو الأوّل، ولايصحّ إرادة الثّاني إلّا بالتّبع للأوّل، أو الجمع بين

المعنيين، على القول بأنّ كلّ مايحتمله اللّفظ من المعاني المشتركة فيه، أو حقيقته ومجازه بمقتضى اللّغة، من غير مانع من الشّرع، يكون مرادًا منه. (١١: ٢٩٩)

الطّباطبائيّ: وأمّا قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اٰمَنُوا...﴾ فإنّ الحجّة فيه أنّ العدل والقسط الإلهيّ ـ وهو من صفات فعله ـ يأبى أن يستوي عنده من خضع له بالإيمان به وعمل صالحًا، ومن استكبر عليه وكفر به وبآياته. والطّائفتان لايحسّ بينهما بفرق في الدّنيا، فإنّما السّيطرة فيها للأسباب الكونيّة، بحسب ماتنفع وتضرّ بإذن الله.

فلايبق إلّا أن يفرّق الله بينهما بعدله بعد إرجاعهما إليه، فيجزي المؤمنين المحسنين جزاءً حسنًا والكفّار المسيئين جزاءً سيّئًا، من جهة مايتلذّذون به أو يتألّمون.

فالحجّة معتمدة على تمايز الفريقين بالإيمان والعمل الصّالح، وبالكفر. وعلى قوله: (بِالْقِسْطِ) هذا، وقوله: (لِيَجْزِيَ) متعلّق بقوله: ﴿اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ على ظاهر التّقرير.

ويمكن أن يكون قوله: (لِيَجْزِيَ...) متعلّقًا بقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ويكون الكلام مسوقًا للتّعليل وإشارة إلى حجّة واحدة، وهي الحجّة الثّانية المذكورة، والأقرب من جهة اللّفظ هو الأخير. (١٠: ١١)

٣ـ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا اَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَاَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَيةٍ فَاَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ. يوسف: ٨٨

ابن عبّاس: في الدّنيا والآخرة. (٢٠٢)

الضّحّاك: لم يقولوا: إنّ الله يجزيك، لأنّهم لايعلموا أنّه مؤمن. (البغويّ ٢: ٥١١)

النّقّاش: يقال: هو من المعاريض الّتي هي مندوحة عن الكذب؛ وذلك أنّهم كانوا يعتقدونه مَلِكًا كافرًا على غير دينهم، ولو قالوا: إنّ الله يجزيك بصدقتك في الآخرة، كذبوا، فقالوا له لفظًا يوهمه أنّهم أرادوه، وهم يصحّ لهم إخراجه منه بالتّأويل. (ابن عطيّة ٣: ٢٧٦)

الواحديّ: بالثّواب. (٢: ٦٣)

مثله ابن الجوزيّ (٤: ٢٧٩)، والخازن (٣: ٢٥٤)

البروسويّ: يُثيب المتفضّلين أحسن الجزاء والثّواب. [ثمّ نقل كلام الضّحّاك وقال:]

دخل يوسف في لفظ الجمع سواء شافهوه بالجزاء أو لا، مع أنّ الجزاء ليس بمقصود على الجزاء الأُخرويّ بل قد يكون دنيويًّا، وهو أعمّ، فافهم. [واستشهد بحكايتين لآثار الثّواب الدّنيويّ فراجع] (٤: ٣١١)

القاسميّ: حثّ على الإحسان، وإشارة إلى أنّ المحسن يجزي أحسن جزاء منه تعالى، وإن لم يجزه المحسَن إليه. (٩: ٣٥٨٦)

شُبّر: لايُضيع أجرهم. (٣: ٣٠٤)

لاحظ «ص د ق».

٤ـ لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ اِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. إبراهيم: ٥١

ابن عبّاس: وهذا مقدّم ومؤخّر، يقول: وبرزوا لله الواحد القهّار، ليجزي الله كلّ نفس برّة أو فاجرة. (٢١٥)

الطَّبَريّ: يقول: فعل الله ذلك بهم، جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدّنيا، كما يُثيب كلّ نفس بما كسبت، من خير وشرّ، فيجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. (١٣: ٢٥٧)

نحوه البغويّ (٣: ٤٩)، والمَيْبُديّ (٥: ٢٨٠)، والخازن (٤: ٤٥)، والبُرُوسَويّ (٤: ٤٣٧)، والمَراغيّ (١٣: ١٧٠).

الطُّوسيّ: أخبر الله تعالى بأنّه إنّما فعل ماتقدّم ذكره ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ الّذي كسبت، إن كسبت خيرًا أتاها الله بالنّعيم الأبديّ في الجنّة، وإن كفرت وجحدت وكسبت شرًّا، عاقبها بنار جهنّم مخلّدةً فيها. (٦: ٣١١)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ٣٢٥)

الواحديّ: ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا، يعني الكفّار. (٣: ٣٧)

ابن عَطيّة: وقوله: (لِيَجْزِيَ) أي لكي يجزي، واللّام متعلّقة بفعل مضمر، تقديره: فعل هذا، وأنفذ هذا العقاب على المجرمين، ليكون في ذلك جزاء المسيء على إساءته.

وجاء من لفظة «الكسب» بما يعمّ المسيء والمحسن، لينبّه على أنّ المحسن أيضًا يجازى بإحسانه خيرًا. (٣: ٣٤٨)

العُكْبَريّ: أي فعلنا ذلك للجزاء، ويجوز أن يتعلّق بـ(بَرَزُوا). (٢: ٧٧٥)

النّيسابوريّ: قوله: (لِيَجْزِيَ) اللّام متعلّقة بـ(تَغْشَى) أو بجميع ماذكر، كأنّه قيل: يفعل بالمجرمين مايفعل ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ﴾. (١٣: ١٤١)

أبوحَيّان: [نقل كلام الزّمَخْشَريّ ثمّ قال:]

ويظهر أنّها [اللّام] تتعلّق بقوله: (وَبَرَزُوا) أي الخلق كلّهم، ويكون (كُلَّ نَفْسٍ) عامًّا، أي مطيعة ومجرمة، والجملة من قوله: (وَتَرَى) معترضة. (٥: ٤٤١)

أبوالسُّعود: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ﴾ متعلّق بمضمر، أي يفعل بهم ذلك ليجزي كلّ نفس مجرمة ماكسبت من أنواع الكفر والمعاصي، جزاءً موافقًا لعملها. وفيه: إيذانٌ بأنّ جزاءهم مناسب لأعمالهم.

أو بقوله: (بَرَزُوا) على تقدير كونه معطوفًا على (تُبَدَّلُ) والضّمير للخلق.

وقوله: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ إلخ، اعتراض بين المتعلّق والمتعلّق به، أي برزوا للحساب ليجزي الله كلّ نفس مطيعة أو عاصية ماكسبت من خير أو شرّ، وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة، تعويلًا على شهادة الحال، لاسيّما مع ملاحظة سبق الرّحمة الواسعة. (٣: ٥٠٥)

نحوه الآلوسيّ (١٣: ٢٥٧)، والقاسميّ (١٠: ٣٧٤٣).

مَغْنيّة: [ذكر آيات وقال:]

ومعنى هذه الآيات بمجموعها أنّ الجرائم والسّيّئات على أنواع: منها الصّغيرة الحقيرة، ومنها الكبيرة الخطيرة، وإنّه تعالى قد أعدّ لكلّ جريمة عقوبتها على أساس الحقّ والعدل، لاتزيد، وقد تخفّف حسبما تستدعيه حكمته البالغة. وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ الأنعام: ١٦٠، صريح في ذلك، بل وحصر أيضًا.

أجل، هنا سؤال ينبغي أن يسأله كلّ عاقل، وهو: مَن الّذي يستحقّ هذا النّوع من العذاب الشّديد الأليم؟

وهل هناك جريمة تستوجب كلّ هذا النّكال العظيم الدّائم الّذي له أوّل وليس له آخر، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَايُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَايُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ فاطر: ٣٦.

الجواب: نعم، إنّ في النّاس مجرمين يستحقّون هذا النّوع من العذاب الأليم، وأكثر منه أيضًا، ومن هؤلاء الّذين يُحاربون الحقّ أو يكتمونه وهم يعلمون، سواء أكان هذا الحقّ لله أم للنّاس. وأعظم منهم جُرمًا تُجّار الحروب الّذين أعدّوا لسفك الدّماء وتدمير الحياة الأسلحة الجهنّميّة، كالقنابل الذّرّيّة والهيدروجينيّة، والموادّ السّامّة الّتي تقتل المئات بل والملايين في دقائق معدودات. إنّ أيّة عقوبة يعاقب بها السّفّاحون فهي دون ما يستحقّون، وليست السّلاسل والأصفاد وسرابيل النّيران بشيء، في جانب تدمير البلاد وتشريد العباد، وتشويههم وتقتيلهم بمئات الألوف. ثمّ هل الشّرر المتطاير من جهنّم أسوأ أثرًا من القنبلة الذّرّيّة الّتي أُلقيت على هيروشيما، مع العلم بأنّ نسبتها من حيث الأثر إلى مايملكه السّفّاحون الآن من القنابل، كنسبة الواحد إلى الألف؟ وهل طعام الزّقّوم، وماء الصّديد أشدّ فتكًا بالأجسام والأرواح من سلاح الجراثيم الّذي يستعمله الآن أعداء الله والإنسانيّة في فيتنام، ومن قبل في كوريا؟

وسبق عند تفسير الآية (٢٧) من هذه السّورة: أنّ الإنسان إذا مسّته ذرّة من سلاح الجراثيم تقلّصت عضلاته، وبرزت عيناه، ومات في الحال. فهل بعد هذا يشكّ عاقل في أنّ الحِلم بأصحاب هذا السّلاح ظلم، وأنّ الرّحمة بهم إثم، وإنّهم لو عوقبوا بأشدّ من عذاب جهنّم لكان عقابهم حقًّا وعدلًا؟ هل يُستكثر أيّ نوع من أنواع العذاب على من لايروي ظمأه إلّا دماء الألوف، ولايُشبع جوعَه إلّا أقوات الملايين ومقدّراتهم؟ ولو لم يكن دليل على البعث والحساب إلّا وجود هذه المظالم لكفى؛ إذ لو كانت الدّنيا هي كلّ شيء، وليس من وراءها عالم آخر تُردّ فيه الحقوق إلى أصحابها ويجد كلّ ظالم الجزاء الّذي يستحقّه، لكان الموت خيرًا من الحياة، والظّلم أفضل من العدل. (٤: ٤٦٠)

الطّباطبائيّ: معنى الآية واضح، وهي بظاهرها تدلّ على أنّ الّذي تُجزى به كلّ نفس، هو عين ماكسبته من حسنة أو سيّئة، وإن تبدّلت صورته، فهي من الآيات الدّالّة على أنّ الّذي يلحق بهم يوم القيامة هو نتيجة أعمالهم.

فالآية تفسّر أوّلًا: معنى الجزاء في يوم الجزاء، وثانيًا: معنى انتقامه تعالى يومئذ، وأنّه ليس من قبيل عقوبة المجرم العاصي تشفّيًا منه، بل إلحاق مايستدعيه عمل المجرم به، وإن شئت فقل: إيصال ماكتسبه المجرم بعينه إليه.

وفي تعليل هذا الجزاء، وهو في يوم القيامة بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إيماء إلى أنّ الجزاء واقع من غير فصل ومَهَل، إلّا أنّ ظرف ظهوره هو ذلك اليوم لاغير، أو أنّ الحكم بالجزاء وكتابته واقع عند العمل وتحقّقه يوم القيامة، ومآل الوجهين واحد في الحقيقة. (١٢: ٩٠)

عبد الكريم الخطيب: هو تعليل لهذا البلاء العظيم

وهذا الهوان المهين، الّذي يلقاه هؤلاء الظّالمون يوم القيامة، فهذا بما كسبته أيديهم. وقد كان من عدل الله سبحانه أن يعاقب المذنبين الظّالمين، وأن يُثيب المحسنين المتّقين، وهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ القلم: ٣٥، ٣٦. (٧: ٢٠٦)

فضل الله: وإذا كان البعض يستبعدون مثل هذا العقاب، كجزاءٍ على جريمة الإنسان لأنّها مهما كبرت فلن تكون بحجم هذا العذاب، فإنّنا نُثير أمام هذا البعض أنّ العقاب لابدّ من أن يكون منسجمًا مع حجم النّتائج العمليّة السّلبيّة في حياة البلاد والعباد، وليس من الضّروريّ أن يكون منسجمًا مع حجم الجريمة على مستوى الكمّ، وأيّة جريمة أفظع من جريمة الكفر بالله الّذي يُبعد الحياة عن الانسجام مع شريعة الله، في أوامره ونواهيه. (١٣: ١٣١)

٥ - لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ. الرّوم: ٤٥

الطُّوسيّ: إخبار منه تعالى أنّه الّذي يجزي الّذين يطيعون الله تعالى ويجتنبون معاصيه، ثواب الجنّة، من فضله على خلقه. (٨: ٢٥٨)

نحوه المَيْبُديّ. (٧: ٤٦٠)

الزّمَخْشَريّ: (لِيَجْزِيَ) متعلّق بـ(يَمْهَدُونَ) تعليل له. [إلى أن قال:]

وتكرير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وترك الضّمير إلى الصّريح، لتقرير أنّه لا يفلح عنده إلّا المؤمن الصّالح، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ تقرير بعد تقرير على الطّرد والعكس. (٣: ٢٢٥)

نحوه القُرطُبيّ. (١٤: ٤٣)

ابن عَطيّة: اللّام في (لِيَجْزِيَ) متعلّقة بـ(يَصَّدَّعُونَ) الرّوم: ٤٣، ويجوز أن تكون متعلّقة بمحذوف، تقديره: ذلك، أو فعل ذلك (لِيَجْزِيَ)، وتكون الإشارة إلى ما تقرّر من قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ) الرّوم: ٤٣. (٤: ٣٤١)

الطَّبْرِسيّ: أي ليجزيهم على قدر استحقاقهم، ويزيدهم من فضله. (٤: ٣٠٧)

الفَخْرالرّازيّ: ذكر زيادة تفصيل لما يُمهّده المؤمن لفعله الخير وعمله الصّالح، وهو الجزاء الّذي يجازيه به الله، والملك إذا كان كبيرًا كريمًا، ووعد عبدًا من عباده بأنّي أجازيك، يصل إليه منه أكثر ممّا يتوقّعه، ثمّ أكّده بقوله: (مِنْ فَضْلِهِ) يعني أنا المجازي، فكيف يكون الجزاء، ثمّ إنّي لا أجازيك من العدل، وإنّما أجازيك من الفضل، فيزداد الرّجاء. (٢٥: ١٢٩)

البَيْضاويّ: علّة ليمهدون أو ليصّدّعون، والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنّه المقصود بالذّات، والاكتفاء على فحوى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، فإنّ فيه إثبات البغض لهم والمحبّة للمؤمنين، وتأكيد اختصاص الصّلاح المفهوم من ترك ضميرهم إلى التّصريح بهم، تعليل له. (٢: ٢٢٣)

نحوه النّسَفيّ ملخّصًا (٣: ٢٧٤)، وأبوالسُّعود (٥: ١٧٩)، والبُرُوسَويّ (٧: ٤٨)، وشُبّر ملخّصًا (٥: ٩٤)، وطه الدُّرّة (١١: ١٢٩).

الآلوسيّ : [نقل كلام الزّمخشريّ وقال:]

وبيانه فيما نحن فيه، أنّ قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدلّ بمنطوقه على ماقرّر على اختصاصهم بالجزاء التّكريميّ، وبمفهومه على أنّهم أهل الولاية والزّلفى، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ لتعليل الاختصاص، يدلّ بمنطوقه على أنّ عدم المحبّة يقتضي حرمانهم، وبمفهومه على أنّ الجزاء لأضدادهم موفّر، فهو جلّ وعلا محبّ للمؤمنين.

وذكر العلّامة الطّيّبيّ: الظّاهر أنّ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ الرّوم: ٤٣، الآية بتمامها كالمورد للسّؤال والخطاب، لكلّ أحد من المكلّفين، و﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ الرّوم: ٤٤، الآية وارد على الاستئناف مُنطوٍ على الجواب، فكأنّه لمّا قيل: أقيموا على الدّين القيّم قبل مجيء يوم يتفرّقون فيه، فقيل: ماللمقيمين على الدّين وما على المنحرفين عنه، وكيف يتفرّقون؟ فأجيب: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ الآية. وأمّا قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، فينبغي أن يكون تعليلًا للكلّ، ليفصل مايترتّب على مالهم وعليهم. لكن يتعلّق بـ(يَمْهَدُونَ) وحده، لشدّة العناية بشأن الإيمان والعمل الصّالح، وعدم الإعباء بعمل الكافر، ولذلك وُضع موضعه ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ انتهى، فلاتغفل.

(٢١: ٥٠)

الطّباطبائيّ : اللّام للغاية، ولاينافي عدّ مايؤتيهم جزاءً ـ وفيه معنى المقابلة ـ عدّه من فضله، وفيه معنى عدم الاستحقاق؛ وذلك لأنّهم بأعيانهم ومايصدر عنهم من أعمالهم مِلْك طلق لله سبحانه، فلايملكون لأنفسهم شيئًا حتّى يستحقّوا به أجرًا، وأين العبوديّة من الملك والاستحقاق، فما يؤتونه من الجزاء فضلٌ من غير استحقاق.

لكنّه سبحانه بفضله ورحمته اعتبر لهم ملكًا لأعمالهم في عين أنّه يملكهم ويملك أعمالهم، فجعل لهم بذلك حقًّا يستحقّونه، وجعل ماينالونه من الجنّة والزّلفى أجرًا مقابلًا لأعمالهم، وهذا الحقّ المجعول أيضًا فضل آخر منه سبحانه.

ومنشأ ذلك حبّه تعالى لهم، لأنّهم لمّا أحبّوا ربّهم أقاموا وجوههم الدّين القيّم، واتّبعوا الرّسول فيما دعا إليه فأحبّهم الله، كما قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ آل عمران: ٣١.

ولذا كانت الآية تُعدّ مايؤتيهم الله من الثّواب جزاءً، وفيه معنى المقابلة والمبادلة، وتُعدّ ذلك من فضله، نظرًا إلى أنّ نفس هذه المقابلة والمبادلة فضل منه سبحانه، ومنشأه حبّه تعالى لهم، كما يومئ إليه تذييل الآية، بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ومن هنا يظهر أنّ قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يفيد التّعليل بالنّسبة إلى جانبي النّفي والإثبات جميعًا، أي إنّه تعالى يخصّ المؤمنين العاملين للصّالحات بهذا الفضل، ويحرم الكافرين منه، لأنّه يُحبّ هؤلاء ولايحبّ هؤلاء. (١٦: ١٩٨)

عبد الكريم الخطيب : التّعليل هنا، هو لقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ الرّوم: ٤٤، أي إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، قد توسّلوا بهذه الوسيلة إلى مرضاة الله، ليُجزيهم الجزاء الحسن، من فضله وإحسانه.

وجاء التّعبير بالظّاهر ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدلاً من المضمر (لِيَجْزِيَهُمْ) للتّنويه بهم، بذكر الصّفات الطّيّبة الّتي اتّصفوا بها، والّتي كانت سببًا في رضا الله عنهم، وإسباغ فضله وإحسانه عليهم. (١١: ٥٣٣)

٦ ـ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَايَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ. لقمان: ٣٣

ابن عبّاس: (لَايَجْزِى): لايُغني، (جاز) مُغْن. (٣٤٧)

نحوه زيد بن عليّ (٣٢٢)، والطّباطبائيّ (١٦: ٢٣٨).

كلّ امرئ يهمّه نفسه. (الواحديّ ٣: ٤٤٧)

مُقاتِل: لايُغني والد عن ولده شيئًا، أي لاينفعه، يعني: الكفّار. (الواحديّ ٣: ٤٤٧)

نحوه ابن قُتَيْبَة (٣٤٥)، والطّبَريّ (٢١: ٨٦).

الضّبّيّ: لايقضي والد عن ولده.

مثله ابن كامل. (الماوَرْديّ ٤: ٣٤٩)

نحوه ابن الجَوْزيّ (٦: ٣٢٩)، وابن جزيّ (٣: ١٢٩).

الزّجّاج: (جازٍ) في المُصحف بغير ياء، والأصل «جازِيٌ».

وذكر سيبَوَيه والخليل: أنّ الاختيار في الوقف هو «جَازْ»، بغير ياء، والأصل «جازي» بضمّة وتنوين، فثقلت الضّمّة في الياء، فحذفت وسُكّنت الياء والتّنوين، فحذفت الياء لالتقاء السّاكنين وكان ينبغي أن يكون في الوقف بياء، لأنّ التّنوين قد سقط، ولكنّ الفصحاء من العرب وقفوا بغير ياء، ليُعلموا أنّ هذه الياء تسقط في الوصل. وزعم يونس أنّ بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكنّ الاختيار إتباع المصحف، والوقف بغير ياء. (٤: ٢٠٢)

نحوه القَيْسيّ. (٢: ١٨٥)

الرُّمّانيّ: لايُغني والد عن ولده، يقال: جزيت عنك، بمعنى أغنيت عنك. (الماوَرْديّ ٤: ٣٤٩)

الماوَرْديّ: فيه [لَايَجْزِى] ثلاثة تأويلات: [فذكر قول الضّبّيّ والرُّمّانيّ وقال:]

الثّالث: لايحمل والد عن ولده. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ٣٤٩)

الطُّوسيّ: يعني يوم القيامة الّذي لايُغني فيه أحد عن أحد، لاوالد عن ولده ولاولد عن والده، يقال: جزيتُ عنك أجزي، إذا أغنيت عنك، وفيه لغة أُخرى: أجزأ يُجزئ من «أجزأت» بالهمزة. (٨: ٢٨٩)

المَيْبُديّ: أي لايغني عنه شيئًا ولايدفع عنه مضرّة. ومعنى (يَجْزِى) يقضي، يقال: جزاه دَيْنَه، إذا قضاه، والتّقدير: لايجزي فيه، إلّا أنّه حذف، لأنّ «اليوم» يدلّ عليه، ﴿وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ مُغن ولاقاض ﴿عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ والمعنى لايحمل شيئًا من سيّآته ولايعطيه شيئًا من طاعاته. (٧: ٥٠٩)

الزّمَخْشَريّ: (لَايَجْزِى): لايقضي عنه شيئًا، ومنه قيل للمتقاضي: المتجازي، وفي الحديث في جذعة ابن نيار: «تجزي عنك ولاتجزي عن أحد بعدك».

وقرئ (لايُجزئ): لايغني، يقال: أجزأت عنك مجزأ فلان.

والمعنى: لايجزي فيه، فحذف. (٣: ٢٣٨)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٢٣٢)، والكاشانيّ (٤: ١٥١)، والمشهديّ (٨: ٥٢).

ابن عَطيّة: [نحو الضّبّيّ ثمّ قال:]

و﴿هُوَ جَازٍ﴾ جملة في موضع الصّفة، أي ولايجزي مولود، قد كان في الدّنيا يجزي. (٤: ٣٥٦)

الطَّبْرِسيّ: (لَايَجْزِى) في موضع نصب، بأنّه صفة «يوم» والتّقدير: لايجزي فيه والد عن ولده، ولايكون مولود هو جازٍ عن والده شيئًا، انتصب (شيئًا) بأنّه مفعول (جازٍ) ومفعول (يَجْزِى) محذوف، ويجوز أن يكون سدّ مسدّ مفعوليها جميعًا. (٤: ٣٢٣)

الفَخْرالرّازيّ: ﴿لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ وذلك لأنّ الجرم إذا علم أنّ له عند الملك من يتكلّم في حقّه ويقضي مايخرج عليه برفد من كسبه، لايخاف، مثل مايخاف إذا علم أنّه ليس له من يقضي عنه مايخرج عليه ثمّ ذكر شخصين في غاية الشّفقة والمحبّة، وهما الوالد والولد، ليستدلّ بالأدنى على الأعلى.

وذِكْر الولد والوالد جميعًا فيه لطيفة، وهي أنّ من الأُمور مايبادر الأب إلى التّحمّل عن الولد، كدفع المال وتحمّل الآلام، والولد لايبادر إلى تحمّله عن الوالد، مثل مايبادر الوالد إلى تحمّله عن الولد، ومنها: مايبادر الولد إلى تحمّله عن الوالد، ولايبادر الوالد إلى تحمّله عن الولد كالإهانة. فإنّ مَن يُريد إحضار والد أحدٍ عند والٍ أو قاضٍ يهون على الابن أن يدفع الإهانة عن والده ويحضر هو بدله. فإذا انتهى الأمر إلى الإيلام يهون على الأب أن يدفع الإيلام عن ابنه ويتحمّله هو بنفسه، فقوله: ﴿لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ في دفع الآلام ﴿وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ في دفع الإهانة.

وفي قوله: (لَايَجْزِى) وقوله: ﴿وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ لطيفة أُخرى: وهي أنّا ذكرنا أنّ الفعل يتأتّى وإن كان ممّن لاينبغي ولايكون من شأنه، لأنّ الملك[1] إذا كان يخيط شيئًا يقال: إنّه يخيط، ولايقال: هو خيّاط، وكذلك من يحوك شيئًا ولايكون ذلك صنعته، يقال: هو يحوك، ولايقال: هو حائك، إذا علمت هذا، فنقول: الابن من شأنه أن يكون جازيًا عن والده لما له عليه من الحقوق، والوالد يجزي لما فيه من الشّفقة، وليس بواجب عليه ذلك، فقال في الوالد: (لَايَجْزِى) وقال في الولد: ﴿وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾. (٢٥: ١٦٣)

نحوه النّيسابوريّ (٢١: ٥٧)، والخازن (٥: ١٨٢).

ابن عَرَبيّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾: احذروه في الظّهور بأفعالكم، وصفاتكم، وذواتكم بالفناء فيه عنها ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ لانقطاع الوصل عند بروزكم لله، المتجلّي بالوحدة والقهر، ولايبقى وجود للوالد والولد، فلايجزي، بعضهم عن بعض شيئًا. (٢: ٢٧٢)

القُرطُبيّ: فإن قيل: فقد قال النّبيّ ﷺ: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث، لم تمسّه النّار إلّا تحلّة القسم»، وقال: «من ابتلى بشيء من هذه البنات فأحسن إليهنّ، كنّ له حجابًا من النّار».

---

(١) كذا والظّاهر: المالك.

قيل له: المعنيّ بهذه الآية أنّه لايحمل والد ذنب ولده، ولامولود ذنب والده، ولايؤاخذ أحدهما عن الآخر. والمعنيّ بالأخبار: أنّ ثواب الصّبر على الموت، والإحسان إلى البنات يحجب العبد عن النّار، ويكون الولد سائقًا له إلى الجنّة. (١٤: ٨١)

أبوحَيّان: (لَايَجْزِى) لايقضي، ومنه قيل للمتقاضي: المتجازي، وتقدّم الكلام في ذلك في أوائل البقرة. ولمّا كان الوالد أكثر شفقة على الولد من الولد على أبيه، بدأ به أوّلًا وأتى في الإسناد إلى الوالد بالفعل المقتضي للتّجدّد، لأنّ شفقته متجدّدة على الولد في كلّ حال، وأتى في إسناد إلى الولد باسم الفاعل، لأنّه يدلّ على الثّبوت، والثّبوت يصدق بالمرّة الواحدة.

والجملة من (لَايَجْزِى) صفة لـ(يوم) والضّمير محذوف، أي منه، فإمّا أن يُحذف برمّته، وإمّا على التّدريج حُذف الخبر فتعدّى الفعل إلى الضّمير، وهو منصوب فحذف.

وقرأ الجمهور (لَايَجْزِى) مضارع «جزى»، وعِكرِمة بضمّ الياء وفتح الزّاي مبنيًّا للمفعول، وأبوالسّمّاك وعامر ابن عبد الله وأبو السّوار (لَايُجزِئُ) بضمّ الياء وكسر الزّاي مهموزًا، ومعناه لايغني، يقال: أجزأت عنك جزاء فلان، أي أغنيت. (٧: ١٩٤)

نحوه الشّربينيّ (٣: ١٩٩)، وأبوالسّعود (٥: ١٩٥)، والآلوسيّ (٢١: ١٠٧).

ابن كثير: أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه، وكذلك لو أراد فداء والده بنفسه، لم يقبل منه. (٥: ٣٩٨)

البُرُوسَويّ: أي لايقضي عنه شيئًا من الحقوق، ولايحمل من سيّآته ولايعطيه من طاعاته، يقال: جزاه دينه، إذا قضاه. [إلى أن قال:]

﴿هُوَ جَازٍ﴾: قاضٍ ومؤدّ. (٧: ١٠٠)

ابن عاشور: وجملة ﴿لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ...﴾ صفة «يوم» وحذف منها العائد المجرور بـ«في» توسّعًا بمعاملته معاملة العائد المنصوب، كقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ٤٨.

وجَزى إذا عُدّي بـ«عن» فهو بمعنى قضى عنه، ودفع عنه، ولذلك يقال للمتقاضي: المتجازي. (٢١: ١٣٢)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ جملة ﴿لَايَجْزِى﴾ من مادّة الجزاء، والجزاء قد ورد بمعنيين من النّاحية اللّغويّة:

أحدهما: المكافأة والمعاقبة مقابل شيء، كما يقال: جزاه الله خيرًا.

والآخر: الكفاية والنّيابة والتّحمّل للشّيء عن الآخرين، كما جاء في الآية مورد البحث: ﴿لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾.

ومن الممكن أن يعود كلا المعنيين إلى أصل واحد، لأنّ الثّواب والعقاب يحلّان محلّ العمل وينوبان عنه، وهما بمقداره أيضًا، تأمّلوا ذلك.

على كلّ حال، فإنّ كلّ إنسان في ذلك اليوم مشغول بنفسه، ومبتلى بتعقيدات أعماله ومُنحنياتها، ولاينظر إلى أحد ولايهتمّ به، حتّى وإن كان أبوه وابنه الّذي كانت تربطه به أقرب الرّوابط، فلايفكّر أحد بآخر مطلقًا.

إنّ هذه الآية نظير ماورد في بداية سورة الحجّ:

حيث تقول حول القيامة والزّلزلة: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾.

وممّا يستحقّ الانتباه أنّه يُعبّر بـ(لَايَجْزِى) في مورد الأب، وهي صيغة المضارع، أمّا في شأن الابن فإنّه يُعبّر باسم الفاعل (جازٍ) وهذا التّفاوت في التّعبير يمكن أن يكون من باب التّنوّع في الكلام، أو أن يكون إشارة إلى واجب ومسؤوليّة الابن تجاه الأب، لأنّ اسم الفاعل يؤدّي معنى الدّوام والتّكرار أكثر.

وبتعبير آخر، فإنّ من المنتظر من العواطف الأبويّة أن يتحمّل الأب العذاب عن ابنه في بعض المواضع، كما كان يشتري مايفتدي في الدّنيا بروحه، لكن ينتظر من الابن أن يشتري مصائب الأب ويتحمّلها عنه أكثر وفاءً لحقوق الأبوّة المترتّبة عليه، في حين أنّ أيًّا منهما لايتحمّل أدنى مشكلة عن الآخر، وكلّ منهما مشغول بأعماله، وحائر في أمره ونفسه. (١٣: ٧٠)

لاحظ «و ل د» (مولود)

٦ـ لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا.

الأحزاب: ٢٤

الطّبَريّ: ليُثيب الله أهل الصّدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه، ووفاءهم له به. (٢١: ١٤٨)

نحوه الزّجّاج (٤: ٢٢٣)، والخازن (٥: ٢٠٤)، والقاسميّ (١٣: ٤٨٣٨).

القُشَيْريّ: في الدّنيا يجزي الصّادقين بالتّمكين والنّصرة على العدوّ وإعلاء الرّاية، وفي الآخرة بجميل الثّواب وجزيل المآب، والخلود في النّعيم المقيم، والتّقديم على الأمثال بالتّكريم والتّعظيم. (٥: ١٥٨)

ابن عَطيّة: واللّام في قوله تعالى: (لِيَجْزِىَ) لام الصّيرورة والعاقبة، ويحتمل أن تكون لام «كي». (٤: ٣٧٨)

الفَخْر الرّازيّ: أي بصدق ماوعدهم في الدّنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم، ويعذّب المنافقين الّذين كذّبوا وأخلفوا. (٢٥: ٢٠٣)

العُكْبَريّ: ﴿لِيَجْزِىَ اللهُ﴾ يجوز أن تكون لام العاقبة، وأن يتعلّق بـ(صدق)، أو بـ(زَادَهُمْ)، أو بـ(مَابَدَّلُوا). (٢: ١٠٥٥)

ابن عَرَبيّ: ﴿لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ...﴾ جنّات الصّفات. (٢: ٢٨٩)

الآلوسيّ: والظّاهر أنّ اللّام في (لِيَجْزِىَ) للتّعليل، والكلام عند كثير تعليل للمنطوق، من نفي التّبديل عن الّذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، والمُعرّض به من إثبات التّعريض لمن سواهم من المنافقين، فإنّ الكلام على ماسمعت في قوّة ﴿وَمَابَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ كما بدّل المنافقون، فقوله: (لِيَجْزِىَ) و(يُعَذِّبَ) متعلّق بالمنفيّ والمُثبَت على اللّفّ والنّشر التّقديريّ، وجعل تبديل المنافقين علّة للتّعذيب، مبنيّ على تشبيه المنافقين بالقاصدين عاقبة السّوء، على نهج الاستعارة المكنيّة، والقرينة إثبات معنى التّعليل.

وقيل: إنّ اللّام للعلّة حقيقة بالنّظر إلى المنطوق، ومجازًا بالنّظر إلى المُعرّض به، ويكون من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز، وقد جوّزه من جوّزه.

وقيل: لايبعد جعل (لِيَجْزِىَ) إلخ تعليلًا للمنطوق

المقيّد بالمعرَّض به، فكأنّه قيل: مابدّلوا كغيرهم ليجزيهم بصدقهم، ويعذّب غيرهم إن لم يتب، وأنّه يظهر بحسن صنيعهم قبح غيره، وبضدّها تتبيّن الأشياء.

وقيل: تعليل لـ(صَدَقُوا) وحكي ذلك عن الزّجّاج، وقيل: لما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَازَادَهُمْ اِلَّا اِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ وقيل: لما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْاَحْزَابَ﴾ الأحزاب: ٢٢، كأنّه قيل: ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب (لِيَجْزِىَ) الآية. واختاره الطّيبيّ قائلًا: إنّه طريق أسهل مأخذًا وأبعد عن التّعسّف وأقرب إلى المقصود، من جعله تعليلًا للمنطوق والمعرَّض به.

واختار شيخ الإسلام كونه متعلّقًا بمحذوف والكلام مستأنف مسوق بطريق الفَذْلكة، لبيان ماهو داع إلى وقوع ماحكي من الأقوال والأفعال على التّفصيل وغاية، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ الأحزاب: ٨، كأنّه قيل: وقع جميع ماوقع (لِيَجْزِىَ اللهُ) إلخ، وهو عندي حسن، وإن كان فيه حذف فتأمّل. ذاك والله تعالى يتولّى هداك. (٢١: ١٧٤)

ابن عاشور: [نحو الزّمخشريّ وأضاف:]

والجزاء: الثّواب، لأنّ أكثر مايستعمل فعل «جزي» أن يكون في الخير، ولأنّ ذكر سبب الجزاء، وهو (بِصِدْقِهِمْ) يدلّ على أنّه جزاء إحسان، وقد جاء «الجزاء» في ضدّ ذلك، في قوله تعالى: ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الأنعام: ٩٣. (٢١: ٢٢٨)

لاحظ «ص د ق».

٧ـ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. سبأ: ٤

ابن عبّاس: لكي يجزي ﴿الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام، والقرآن. (٣٥٩)

الطّوسيّ: ...إنّه إنّما أثبت ذلك في الكتاب المبين ﴿لِيَجْزِىَ﴾ على ذلك الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات بنعيم الجنّة. (٨: ٣٧٥)

نحوه الطّبرسيّ. (٤: ٣٧٧)

الواحديّ: أي لتأتينّكم السّاعة ليجزي الّذين آمنوا. (٣: ٤٨٧)

مثله المَيْبُديّ. (٨: ١٠٩)

الزّمَخْشَريّ: قوله: (لِيَجْزِىَ) فقد وضع الله في العقول وركّب في الغرائز وجوب الجزاء، وأنّ المحسن لابدّ له من ثواب والمسيء لابدّ له من عقاب، وقوله: (لِيَجْزِىَ) متّصل بقوله: (لَتَاْتِيَنَّكُمْ) تعليلًا له. (٣: ٢٧٩)

ابن عَطيّة: واللّام من قوله تعالى: (لِيَجْزِىَ) يصحّ أن تكون متعلّقة بقوله: (لَتَاْتِيَنَّكُمْ)، ويصحّ أن تكون متعلّقة بقوله: (لَايَعْزُبُ)، ويصحّ أن تكون متعلّقة بما في قوله: ﴿اِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ من معنى الفعل، لأنّ المعنى: إلّا أثبته في كتاب مبين. (٤: ٤٠٥)

الفَخْرالرّازيّ: اللّام في (لِيَجْزِىَ) للتّعليل، معناه الآخرة للجزاء.

فإن قال قائل: فما وجه المناسبة؟

فنقول: الله تعالى أراد أن لاينقطع ثوابه، فجعل للمكلّف دارًا باقية ليكون ثوابه واصلًا إليه دائمًا أبدًا،

وجعل قبلها دارًا فيها الآلام والأسقام وفيها الموت، ليعلم المكلّف مقدار مايكون فيه في الآخرة، إذا نسبه إلى ماقبلها، وإذا نظر إليه في نفسه. (٢٥: ٢٤٢)

العُكْبَريّ: قوله تعالى: (لِيَجْزِيَ) تتعلّق بمعنى (لايَعْزُبُ) فكأنّه قال: يُحصي ذلك ليجزي. (٢: ١٠٦٢)

نحوه أبوحَيّان. (٧: ٢٥٨)

البَيْضاويّ: علّة لقوله: (لَتَأْتِيَنَّكُمْ)، وبيان لما يقتضي إتيانها. (٢: ٢٥٥)

الطَّباطَبائيّ: [نحو البَيْضاويّ، ثمّ قال:]

وفي الآية بيان أحد السّببين لقيام السّاعة، وهو أن يجزي الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، بالمغفرة والرّزق الكريم، وهو الجنّة بما فيها. والسّبب الأخير مايشير إليه قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ إلخ. (١٦: ٣٥٨)

ابن عاشور: لام التّعليل تتعلّق بفعل (لَتَأْتِيَنَّكُمْ) سبأ: ٣، دون تقييد الإتيان بخصوص المخاطبين بل المراد مَن شَمَلهم وغيرهم، لأنّ جزاء الّذين آمنوا لاعلاقة له بالمخاطبين، فكأنّه قيل: لتأتينّ السّاعة ليجزي الّذين آمنوا، ويجزي الّذين سعوا في آياتنا معاجزين، وهم المخاطبون، وضمير (يَجْزِي) عائد إلى ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ سبأ: ٣.

والمعنى أنّ الحكمة في إيجاد السّاعة للبعث والحشر، هي جزاء الصّالحين على صلاح اعتقادهم وأعمالهم، أي جزاءً صالحًا مماثلًا، وجزاء المفسدين جزاءً سيّئًا، وعُلم نوع الجزاء من وصف الفريقين من أصحابه. (٢٢: ١٣)

عبد الكريم الخطيب: اللّام في ﴿لِيَجْزِيَ ...﴾ هي لام العاقبة، أي أنّ عاقبة هذا العلم من الله سبحانه وتعالى لما يعمل النّاس من خير أو شرّ، هو الحساب والجزاء، فيجزي الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، جزاءً حسنًا، ويجزي الّذين أساءُوا السُّوءى عذاب الجحيم.

وقد أُطلق الجزاء الّذي يجزي به الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، فلم يقيّد بأنّه جزاء حسن، للدّلالة على أنّه أمر واضح لايحتاج إلى بيان؛ إذ ليس للإحسان جزاء إلّا الإحسان، كما يقول سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الرّحمن: ٦٠. (١١: ٧٧٧)

مكارم الشّيرازيّ: فإن لم يُجز المؤمنين بصالح عملهم ثوابًا، أفلا يعني ذلك تعطيل أصل العدالة، الّذي هو أعظم أُصول الخلقة أهمّيّة؟ وهل من معنى لعدالة الله بدون ذلك المفهوم؟ في الوقت الّذي نرى أنّ أغلب هؤلاء الأفراد الصّالحين، لايتلقّون جزاء أعمالهم الحسنة في هذه الدّنيا أبدًا؛ إذن لابدّ من عالم آخر لكي يتحقّق فيه هذا الأصل. (١٣: ٣٥٥)

٨ ـ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. الجاثية: ١٤

الطَّبَريّ: يقول: ليجزي الله هؤلاء الّذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدّنيا يكسبون من الإثم، ثمّ بإذاهم أهل الإيمان بالله.

[إلى أن قال:]

واختلفت القرّاء في قراءة ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالياء على وجه الخبر عن الله، أنّه يجزيهم ويثيبهم. وقرأ ذلك بعض عامّة قرّاء الكوفيّين (لِنَجْزِيَ) بالنّون على وجه

الخبر من الله عن نفسه. وذكر عن أبي جعفر القارئ أنّه كان يقرؤه (لِيُجْزَى قَوْمًا) على مذهب مالم يسمّ فاعله، وهو على مذهب كلام العرب لحن، إلّا أن يكون أراد: لِيُجْزَى الجزاءُ قومًا، بإضمار الجزاء، وجعله مرفوعًا (لِيُجْزَى)، فيكون وجهًا من القراءة، وإن كان بعيدًا.

والصّواب من القول في ذلك عندنا: أنّ قراءته بالياء والنّون على ماذكرت ـ من قراءة الأمصار ـ جائزة بأيّ تينك القراءتين قرأ القارئ. فأمّا قراءته على ماذكرت عن أبي جعفر، فغير جائزة عندي لمعنيين:

أحدهما: أنّه خلاف لما عليه الحجّة من القرّاء، وغير جائز عندي خلاف ماجاءت به مستفيضًا فيهم.

والثّاني بُعدها من الصّحّة في العربيّة، إلّا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه. (٢٥: ١٤٤)

نحوه أبوزُرْعَة (٦٦٠)، والبغويّ (٤: ١٨٥)، وابن عَطيّة (٥: ٨٣)، والعُكبَريّ (٢: ١١٥١)، والقُرطُبيّ (١٦: ١٦٢)، والشّربينيّ (٣: ٥٩٦)، وأبوالسُّعود (٦: ٥٩)، والمشهديّ (٩: ٤٢٣)، وشُبّر (٥: ٤٥٣).

الطُّوسيّ: يحتمل معنيين:

أحدهما: قل لهم يغفروا لهم، فإنّ الله يجازيهم يعني الكفّار، فإنّهم إليه يرجعون.

الثّاني: أن يكون المعنى ليجزيهم الله يعني المؤمنين، ويعظّم أجرهم على احتمالهم وصبرهم ولن يفوتوه يعني الكافرين بل إليه مرجعهم. (٩: ٢٥٣)

نحوه الطّبرسيّ (٥: ٧٥)، والفخرالرّازيّ (٢٧: ٢٦٣)، والخازن (٦: ١٢٧)، وابن كثير (٦: ٢٦٦).

الواحديّ: أي ليجزي الله الكفّار بما عملوا من السّيّئات، كأنّه قال: لاتكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن. (٤: ٩٦)

الزّمَخْشَريّ: (لِيَجْزِى) تعليل للأمر بالمغفرة، أي إنّما أُمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة. (٣: ٥١١)

أبوالبركات: [نحو الطّبَريّ إلّا أنّه قال:]

ومن قرأ (لِيُجْزَى) نصب (قَوْمًا) على تقدير: لِيُجْزَى الجزاءُ قومًا. وهذا لايستقيم على مذهب البصريّين، لأنّ المصدر لايجوز إقامته مقام الفاعل مع مفعول صحيح، وأجازه الأخفش والكوفيّين. (٢: ٣٦٥)

نحوه النّسَفيّ (٤: ١٣٥)، وأبوحَيّان (٨: ٤٥).

البُرُوسَويّ: [نحو الزّمَخْشَريّ ثمّ قال:]

فإن قلت: مطلق الجزاء لايصلح تعليلًا للأمر بالمغفرة، لتحقّقه على تقديرَي: المغفرة، وعدمها؟

قلت: لعلّ المعنى قل للمؤمنين يتجاوزوا عن إساءة المشركين والمنافقين، ولايباشروا بأنفسهم لمجازاتهم، ليجزيهم الله يوم القيامة جزاءً كاملًا يكافئ سيّئاتهم، ويدلّ على هذا المعنى الآية الآتية [الجاثية: ١٥] وأيضًا أنّ الكسب في أكثر ماورد في القرآن كسب الكفّار. ويجوز أن يكون المعنى ليجزيهم الله وقت الجزاء كيوم بدر ونحوه.

وفي الآية إشارة إلى أنّ المؤمن إذا غفر لأهل الجرائم وإن لم يكونوا أهل المغفرة لإصرارهم على الكفر والأذى، يصير متخلّقًا بأخلاق الحقّ، ثمّ الله تعالى يجزي كلّ قوم جزاء عملهم من الخير والشّرّ، إمّا في الدّنيا والآخرة، أو في الآخرة. (٨: ٤٤٢)

الآلوسيّ: [نحو الزّمخشريّ ثمّ ذكر القراءات وقال:]

وقرئ (لِيُجْزَى) بالياء والبناء للمفعول، (قومٌ) بالرّفع على أنّه نائب الفاعل. وقرأ شيبة وأبوجعفر بخلافٍ عنه كذلك، إلّا أنّهما نصبا (قَوْمًا)، وروي ذلك عن عاصم.

واحتجّ به من يجوّز نيابة الجارّ والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصّريح، فيقول: ضرب بسوط زيدًا فـ(بما كسبوا) نائب الفاعل هاهنا، ولايجيز ذلك الجمهور.

وخُرّجت هذه القراءة على أنّ القائم مقام الفاعل ضمير المصدر، أي ليجزي هو، أي «الجزاء». ورُدّ بأنّه لايقام مقامه عند وجود المفعول به أيضًا على الصّحيح.

وأجازه الكوفيّون على خلاف في الإطلاق والاستحسان، أو على أنّه ضمير المفعول الثّاني، وهو الجزاء بمعنى المُجزَى به، كما في ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ البيّنة: ٨، وأُضمر لدلالة السّياق، كما في النّساء: ١١، والمفعول الثّاني في باب «أعطى» يقوم مقام الفاعل، بلاخلاف، وهذا من ذاك. (٢٥: ١٤٨)

٩ـ وَلِلّٰهِ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَمَافِي الْاَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى. النّجم: ٣١

الطّبَريّ: يقول: ليجزي الّذين عصوه من خلقه، فأساؤا بمعصيتهم إيّاه، فيثيبهم بها النّار ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى﴾ يقول: وليجزي الّذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إيّاه في الدّنيا، بالحسنى وهي الجنّة، فيثيبهم بها. (٢٧: ٦٤)

نحوه الطُّوسيّ (٩: ٤٣٢)، والعُكبريّ (٢: ١١٨٩)، والشّربينيّ (٢: ٢٣٢)، والكاشانيّ (٥: ٩٣).

القَيْسيّ: اللّام متعلّقة بالمعنى، لأنّ معنى ﴿وَلِلّٰهِ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَمَافِي الْاَرْضِ﴾ هو مالك للجميع، يهدي من يشاء ويُضلّ من يشاء ليجزي. وقيل: اللّام متعلّقة بقوله: ﴿لَاتُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾ النّجم: ٢٦.
(٢: ٣٣٢)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٤٣١)، والنّسفيّ (٤: ١٩٧)، وأبوحَيّان (٨: ١٦٤).

الواحديّ: واللّام في (لِيَجْزِيَ) متعلّق بمعنى الآية الأُولى، لأنّه إذا كان أعلم بهم جازى كلًّا بما يستحقّه، وهي لام العاقبة، وذلك لأنّ علمه بالفريقين أدّى إلى جزائهم باستحقاقهم، وإنّما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير المُلك لذلك. (٤: ٢٠١)

نحوه البَغَويّ (٤: ٣١١)، وابن الجَوْزيّ (٨: ٧٥)، والخازن (٦: ٢٢٠)، والبُرُوسَويّ (٩: ٢٤١)، والمَراغيّ (٢٧: ٥٩).

الزّمَخْشَريّ: [نحو القَيْسيّ وأضاف:]

ويجوز أن يتعلّق بقوله: ﴿هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدٰى﴾ النّجم: ٣٠، لأنّ نتيجة العلم بالضّالّ والمهتدي، جزاؤهما (بِمَا عَمِلُوا).
(٤: ٣٢)

ابن عَطيّة: (لِيَجْزِيَ) متعلّقة بقوله: (ضَلَّ) وبقوله: (اهْتَدٰى)، فكأنّه قال: ليصير أمرهم جميعًا إلى أن يجزي. وقوله: ﴿وَلِلّٰهِ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَمَافِي

﴿الْأَرْضِ﴾ اعتراض بين الكلام بليغ. [ثمّ قال نحو القيسيّ وزاد:]

والنّظر الأوّل أقلّ تكلّفًا من هذا الإضمار.

وقال قوم: اللّام متعلّقة في أوّل السّورة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحٰى﴾ النّجم: ٤، وهذا بعيد. (٥: ٢٠٣)

الطَّبْرِسيّ: [نحو الواحديّ وأضاف:]

وقيل: إنّ اللّام في (لِيَجْزِيَ) يتعلّق بما في قوله: ﴿وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، لأنّ المعنى في ذلك أنّه خلقهم ليتعبّدهم، فمنهم المحسن ومنهم المسيء، وإنّما كلّفهم ليجزي كلًّا منهم بعلمه وعمله، فتكون اللّام للغرض. (٥: ١٧٩)

أبو البركات: [نحو القيسيّ إلّا أنّه قال:]

والثّاني: أن تكون لام القسم. (٢: ٣٩٩)

الفَخْرالرّازيّ: [نقل كلام الزّمخشريّ وقال:]

وهو لا يتحاشى ممّا ذكر لما عرف من مذهب الاعتزال. [ثمّ نقل كلام الواحديّ وقال:]

والتّحقيق فيه هو أنّ «حتّى» و«لام» الغرض متقاربان في المعنى، لأنّ الغرض نهاية الفعل، و«حتّى» للغاية المطلقة فبينهما مقاربة، فيستعمل أحدهما مكان الآخر، يقال: سرت حتّى أدخلها ولكي أدخلها، فلام العاقبة هي الّتي تستعمل في موضع «حتّى» للغاية.

ويمكن أن يقال: هنا وجه أقرب من الوجهين، وإن كان أخفى منهما، وهو أن يقال: إنّ قوله: (لِيَجْزِيَ) متعلّق بقوله: (ضَلَّ) و(اهْتَدٰى) لا بالعلم ولا بخلق ما في السّموات، تقديره كأنّه قال: هو أعلم بمن ضلّ واهتدى (لِيَجْزِيَ)، أي من ضلّ واهتدى يجزي الجزاء، والله أعلم به، فيصير قوله: ﴿وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلامًا معترضًا.

ويحتمل أن يقال: هو متعلّق بقوله: (فَأَعْرِضْ) أي أعرض عنهم، ليقع الجزاء، كما يقول المريد فعلًا لمن يمنعه منه: ذرني لأفعله، وذلك لأنّ ما دام النّبيّ ﷺ لم ييأس ما كان العذاب ينزل، والإعراض وقت اليأس، وقوله: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى﴾ حينئذ يكون مذكورًا ليعلم أنّ العذاب الّذي عند إعراضه يتحقّق، ليس مثل الّذي قال تعالى فيه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ الأنفال: ٢٥، بل هو مختصّ بالّذين ظلموا، وغيرهم لهم الحسنى. (٢٩: ٥)

الطَّباطَبائيّ: يمكن أن يكون صدر الآية حالًا من فاعل (أَعْلَمُ) في الآية السّابقة، والواو للحال، والمعنى أنّ ربّك هو أعلم بالفريقين: الضّالّين والمهتدين، والحال أنّه يملك ما في السّماوات وما في الأرض، فكيف يمكن أن لا يعلم بهم، وهو مالكهم؟

وعلى هذا فالظّاهر تعلّق قوله: (لِيَجْزِيَ) إلخ، بقوله السّابق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى﴾ إلخ، والمعنى أعرض عنهم وكِلْ أمرهم إلى الله، ليجزيهم كذا وكذا، ويجزيك ويجزي المحسنين كذا وكذا.

ويمكن أن يكون قوله: ﴿وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ...﴾ إلخ كلامًا مستأنفًا للدّلالة على أنّ الأمر بالإعراض عنهم لإهمالهم وتركهم سُدًى بل الله سبحانه يجزي كلًّا بعمله إن سيّئًا وإن حسنًا. [إلى أن قال:]

وقد أوردوا في الآية احتمالات أُخرى، وما قدّمناه هو أظهرها. (١٩: ٤١)

لِيَجْزِيَكَ

...قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَاسَقَيْتَ لَنَا...

القصص: ٢٥

الواحديّ: فلمّا قالت: ﴿أَجْرَ مَاسَقَيْتَ لَنَا﴾ كره ذلك موسى، وأراد أن لايتبعها، ولم يجد بُدًّا من أن يتبعها، لأنّه كان في أرض مسبعة وخوف، فخرج معها... (٣: ٣٩٦)

نحوه ابن الجوزيّ. (٦: ٢١٤)

الزّمخشريّ: فإن قلت: كيف صحّ له أخذ الأجر على البرّ والمعروف؟

قلت: يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله، وعلى سبيل البرّ والمعروف، وقبل إطعام شعيب وإحسانه، لاعلى سبيل أخذ الأجر، ولكن على سبيل التقبّل لمعروف مبتدإ، كيف وقد قصّ عليه قصصه، وعرّفه أنّه من بيت النّبوّة من أولاد يعقوب، ومثله حقيق بأن يُضيَّف ويُكرم في دار نبيّ من أنبياء الله، وليس بمنكَر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة، طلبًا للأجر.

وقد روي مايعضد كلا القولين، روي أنّها لمّا قالت: (لِيَجْزِيَكَ) كره ذلك، ولمّا قدّم إليه الطّعام امتنع، وقال: إنّا أهل بيت لانبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبًا، ولانأخذ على المعروف ثمنًا، حتّى قال شعيب: هذه عادتنا مع كلّ من ينزل بنا. وعن عطاء بن السّائب: رفع صوته بدعائه ليُسمعها، فلذلك قيل له: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَاسَقَيْتَ﴾ أي جزاء سقيك. (٣: ١٧١)

يَجْزِيهِمْ

١- وَقَالُوا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَايَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا...سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.

الأنعام: ١٣٨

راجع «ف ر ي».

٢- وَقَالُوا مَافِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا...سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

الأنعام: ١٣٩

لاحظ «و ص ف».

٣- وَلَايُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَاكَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ.

التّوبة: ١٢١

القُمّيّ: كلّما فعلوا من ذلك لله جازاهم الله عليه. (١: ٣٠٧)

نحوه البَحْرانيّ. (٤: ٥٧٨)

الطُّوسيّ: معناه أنّه يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها أحسن ممّا فعلوه. (٥: ٣٦٩)

الزّمخشريّ: (لِيَجْزِيَهُمْ) متعلّق بـ(كُتِبَ) أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء، اللّام لتأكيد النّفي. (٢: ٢٢١)

الطَّبْرِسيّ: أي طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم، ويزيدهم من فضله حتّى يصير الثّواب

أحسن وأكثر من عملهم.

وقيل: إنّ «الأحسن» من صفة فعلهم، لأنّ الأعمال على وجوه: واجب ومندوب ومباح، وإنّما يجازي على الواجب والمندوب دون المباح، فيقع الجزاء على أحسن الأعمال.

وقيل: معناه ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون، قال ابن عبّاس: يرضيهم بالثّواب، ويُدخلهم الجنّة بغير حساب.

والآيتان تدلّان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ، وحظر التّخلّف عنه.

وقد اختُلف في ذلك، فقيل: المراد بذلك جميع من دعاه النّبيّ ﷺ إلى الجهاد، وهو الصّحيح. (٣: ٨٢)

الطّباطبائيّ: وقوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ...﴾ غاية متعلّقة بقوله: ﴿كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي غاية هذه الكتابة هي أن يجزيهم بأحسن أعمالهم.

وإنّما خصّ جزاء أحسن الأعمال بالذّكر، لأنّ رغبة العامل عاكفة عليه، أو لأنّ الجزاء بأحسنها يستلزم الجزاء بغيره، أو لأنّ المراد بأحسن الأعمال: الجهاد في سبيل الله، لكونه أشقّها، وقيام الدّعوة الدّينيّة به.

وهاهنا معنًى آخر، وهو أنّ: جزاء العمل في الحقيقة إنّما هو نفس العمل عائدًا إلى الله، فأحسن الجزاء هو أحسن العمل، فالجزاء بأحسن الأعمال في معنى: الجزاء بأحسن الجزاء.

ومعنًى آخر، وهو أن يغفر الله سبحانه سيّئاتهم المشوبة بأعمالهم الحسنة، ويستر جهات نقصها، فيكون العمل أحسن بعدما كان حسنًا، ثمّ يجزيهم بأحسن ماكانوا يعملون، فافهم ذلك. وربّما رجع المعنيان إلى معنى واحد. (٩: ٤٠٣)

طه الدّرّة: أي ليثيبهم ويكافئهم مكافأة أعظم بكثير ممّا كانوا يفعلونه في هذه الدّنيا، وهذه المكافأة تكون في الآخرة. (٦: ٥٩)

٤- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ اَحْسَنَ مَاعَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. النّور: ٣٨

ابن عبّاس: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ...﴾ بإحسان ماعملوا في الدّنيا. (٢٩٦)

الطّبريّ: يقول: فعلوا ذلك، يعني أنّهم لم تُلهِهم تجارة ولابيع عن ذكر الله، وأقاموا الصّلاة، وآتوا الزّكاة، وأطاعوا ربّهم، مخافة عذابه يوم القيامة، كي يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم الّتي عملوها في الدّنيا، ويزيدهم على ثوابه إيّاهم على أحسن أعمالهم الّتي عملوها في الدّنيا من فضله، فيُفضِل عليهم من عنده، بما أحبّ من كرامته لهم. (١٨: ١٤٨)

الماوَرْديّ: فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزاء على السّيّئات، وإن كان يجازي عليها لأمرين:

أحدهما: أنّه ترغيب، فاقتصر على ذكر الرّغبة.

الثّاني: أنّه يكون في صفة قوم لاتكون منهم الكبائر، فكانت صغائرهم مغفورة. (٤: ١٠٨)

نحوه القُرطُبيّ. (١٢: ٢٨١)

الطّوسيّ: أي يفعلون ذلك طلبًا لمجازاة الله إيّاهم بأحسن ماعملوا من ثواب الجنّة، ويزيدهم على ذلك من فضله وكرمه... (٧: ٤٤٢)

نحوه الفَخرالرّازيّ (٢٤: ٦)، والنّيسابوريّ (١٨: ١١٤)، والمَراغيّ (١٨: ١١١).

الواحديّ: أي يسبّحون الله ليجزيهم. (٣: ٣٢٢)

البَغَويّ: يعني أنّهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة، ليجزيهم الله أحسن ماعملوا، يريد يجزيهم بحسناتهم، وماكان من مساوئ أعمالهم لايجزيهم بها. (٣: ٤٢٠)

نحوه ابن الجَوزيّ (٦: ٤٨)، والخازن (٥: ٦٧)، وطه الدُّرّة (٩: ٥٠٤).

ابن عَطيّة: اللّام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ متعلّقة بفعل مضمر، تقديره: فعلوا ذلك ويسرّوا لذلك ونحو هذا، ويحتمل أن تكون متعلّقة بـ(يُسَبِّحُ) النّور: ٣٦. (٤: ١٨٧)

العُكبَريّ: (لِيَجْزِيَهُمْ) يجوز أن تتعلّق اللّام بـ(يُسَبِّح) وبـ(لاتُلْهِيهِمْ) وبـ(يَخَافُونَ)، ويجوز أن تكون لام الصّيرورة، كالّتي في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨، وموضعها حال، والتّقدير: يخافون مُلْهينَ ليجزيهم. (٢: ٩٧١)

نحوه البَيْضاويّ. (٢: ١٢٩)

ابن عَرَبيّ: ليجزيهم الله بالوجود الحقّانيّ. (٢: ١٤٢)

النّسَفيّ: أي يسبّحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم، أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفًا، ويزيدهم على الثّواب الموعود على العمل، تفضّلًا. (٣: ١٤٧)

نحوه الشِّربينيّ. (٢: ٦٢٦)

أبوالسُّعود: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ﴾ متعلّق بمحذوف، يدلّ عليه ماحكي من أعمالهم المرضيّة، أي يفعلون مايفعلون من المُداومة على التّسبيح والذّكر وإيتاء الزّكاة، والخوف من غير صارفٍ لهم عن ذلك، ليجزيهم الله تعالى ﴿أَحْسَنَ مَاعَمِلُوا﴾. (٤: ٤٦٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ١٦٠)

البَحْرانيّ: قال: مااختصّهم به من المودّة، والطّاعة المفروضة، وصيّر مأواهم الجنّة. (٧: ٩٤)

الآلوسيّ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ﴾ متعلّق ـ على مااستظهره أبو حيّان ـ بـ(يُسَبِّحُ) وجوّز أبو البقاء أن يتعلّق بـ(لاتُلْهِيهِمْ) أو بـ(يَخَافُونَ) ولايخفى أنّ تعلّقه بأحد المذكورين محوج إلى تأويل، ولعلّ تعلّقه بفعل محذوف ـ يدلّ عليه ماحُكي عنهم ـ أولى من جميع ذلك، أي يفعلون مايفعلون من التّسبيح والذّكر وإيتاء الزّكاة، والخوف من غير صارف لهم عن ذلك، ليجزيهم الله تعالى (أَحْسَنَ مَاعَمِلُوا).

واللّام على سائر الأوجه للتّعليل، وقال أبوالبقاء: يجوز أن تكون لام الصّيرورة كالّتي في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨، وموضع الجملة حال، والتّقدير: يخافون مُلْهينَ ليجزيهم الله، وهو كماترى.

والجزاء: المقابلة والمكافأة على مايُحمد، ويتعدّى إلى الشّخص المجزَى بـ«عَنْ» قال تعالى: ﴿لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾، وإلى مافعله ابتداء بـ«على» تقول: جزيته على فعله. وقد يتعدّى إليه بالباء، فيقال: جزيته بفعله، وإلى ماوقع في مقابلته بنفسه وبالباء، قال

الرّاغِب: يقال: جزيته كذا و بكذا.

والظّاهر أنّ (أحسَن) هو ماوقع في المقابلة، فيكون الجزاء قد تعدّى إليه بنفسه، ويحتاج إلى تقدير مضاف، أي ليجزيهم أحسن جزاء عملهم، أو الّذي عملوه، حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشرة أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، ليكون «الأحسن» من جنس الجزاء.

وجُوّز أن يكون «الأحسن» هو الفعل المجزى عليه أو به الشّخص، وليس هناك مضاف محذوف، والكلام على حذف الجارّ، أي ليجزيهم على أحسن أو بأحسن ماعملوا. وأحسن العمل: أدناه المندوب فاحترز به عن الحسن، وهو المباح؛ إذ لاجزاء له.

ورُجّح الأوّل بسلامته عن حذف الجارّ الّذي هو غير مقيس في مثل مانحن فيه، بخلاف حذف المضاف، فإنّه كثير مقيس، وجُوّز أن يكون المضاف المحذوف قبل «أحسَن» أي جزاء أحسن ماعملوا، والظّاهر أنّ المراد بما عملوا أعمّ ممّا سبق، وبعضهم فسّره به. (١٨: ١٧٩)

القاسميّ: [نحو العُكبَريّ ثمّ قال:]

وفي آخر الآية تقرير للزّيادة، وتنبيه على كمال القدرة، ونفاذ المشيئة، وسعة الإحسان، لأنّ (بِغَيْرِ حِسَابٍ) كناية عن السّعة، والمراد أنّه لايدخل تحت حساب الخلق وعدّهم. (١٢: ٤٥٣)

نحوه عِزّة دَرْوَزَة. (١٠: ٥٨)

مَغْنيّة: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ اَحْسَنَ مَاعَمِلُوا﴾ من الصّالحات والمبرّات، قال الإمام عليّ عليه السلام: لن يفوز بالخير إلّا عامله، ولن يجزي جزاء الشّرّ إلّا فاعله. (٥: ٤٢٦)

الطّباطَبائيّ: الظّاهر أنّ لام (لِيَجْزِيَهُمُ) للغاية، والّذي ذكره الله في خلال الكلام، هو أعمالهم الصّالحة والأجر الجميل، على كلّ صالح ممّا ينصّ عليه كلامه تعالى، فقوله: «إنّه يجزيهم أحسَن ماعملوا» معناه أنّه يجزيهم بإزاء عملهم في كلّ باب جزاء أحسن عمل في ذلك الباب، ومرجع ذلك إلى أنّه تعالى يزكّي أعمالهم، فلايناقش فيها بالمؤاخذة في جهات توجب نقصها وانحطاط قدرها، فيعدّ الحسن منها أحسن.

ويؤيّد هذا المعنى قوله في ذيل الآية: ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فإنّ ظاهره عدم المداقّة في حساب الحسنات بالإغماض عن جهات نقصها، فيُلحق الحسن بالأحسن. (١٥: ١٢٩)

نحوه فضل الله. (١٦: ٣٢٩)

٥ ـ لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ اَسْوَاَ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ. الزّمر: ٣٥

لاحظ «ح س ن» و«ك ف ر» و«س و ء».

تَجْزى

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَايُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَايُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ. البقرة: ٤٨

ابن عبّاس: لاتُغني نفس كافرة عن نفس كافرة، من عذاب الله شيئًا. (٨)

السُّدّيّ: لاتُغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة من المنفعة شيئًا. (١٠٨)

أي لاتقضي. (الماوَرْديّ ١: ١١٧)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (١: ٧٦)

الفَرّاء: فإنّه قد يعود على اليوم واللّيلة ذكرهما، مرّة بالهاء وحدها ومرّة بالصّفة، فيجوز ذلك، كقولك: «لاتجزي نفس عن نفس شيئًا» وتُضمر الصّفة، ثمّ تُظهرها، فتقول: لاتجزي فيه نفس عن نفس شيئًا.

وكان الكِسائيّ لايجيز إضمار الصّفة في الصّلات، ويقول: لو أجزت إضمار الصّفة هاهنا لأجزت: أنت الّذي تكلّمت، وأنا أُريد: الّذي تكلّمتُ فيه. وقال غيره من أهل البصرة: لاتجيز الهاء ولاتكون، وإنّما يُضمَر في مثل هذا الموضع الصّفة. وقد أنشدني بعض العرب:

قد صَبّحت صبّحها السّلام بكبَد خالطها سَنامُ

في ساعة يحَبّها الطّعام

ولم يقل: يُحَبّ فيها. وليس يدخل على الكِسائيّ ماأدخل على نفسه، لأنّ الصّفة في هذا الموضع والهاء متّفق معناهما، ألاترى أنّك تقول: آتيك يوم الخميس، وفي يوم الخميس، فترى المعنى واحدًا، وإذا قلت: كلّمتُك، كان غير: كلّمتُ فيك، فلمّا اختلف المعنى لم يجز إضمار «الهاء» مكان «في»، ولاإضمار «في» مكان «الهاء». (١: ٣١)

الأخفَش: أمّا قوله: ﴿لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ فهو مثل قولك: «لاتجزي عنك شاة» و«يجزي عنك درهم» و«جَزَى عنك درهم» و«وجَزَتْ عنك شاة»، فهذه لغة أهل الحجاز لايهمزون. وبنو تميم يقولون في هذا المعنى: «أجزَأتْ عنه، وتُجزِئُ عنه شاة» وقوله: «شيئًا» كأنّه قال: «لاتَجزِيْ الشّاة مُجْزًى، ولاتُغني غناءً». (١: ٢٦٠)

ابن قُتَيْبَة: أي لاتقضي عنها ولاتغني، يقال: جزَى عنّي فلان، بلاهمز، أي ناب عنّي، وأجزأني كذا ـ بالألف في أوّله والهمز ـ أي كفاني. (٤٨)

نحوه السِّجستانيّ (٩)، والواحديّ (١: ١٣٣).

الطَّبَريّ: وتأويله: واتّقوا يومًا لاتجزي فيه نفس عن نفس شيئًا، وجائز أيضًا أن يكون تأويله: واتّقوا يومًا لاتجزيه نفس عن نفس شيئًا. [ثمّ استشهد بشعر]

فحذفت الهاء الرّاجعة على اليوم، إذ فيه اجتزاء بما ظهر من قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ﴾ الدّالّ على المحذوف منه عمّا حذف، إذ كان معلومًا معناه.

وقد زعم قوم من أهل العربيّة أنّه لايجوز أن يكون المحذوف في هذا الموضع إلّا «الهاء».

وقال آخرون: لايجوز أن يكون المحذوف إلّا «فيه»، وقد دللنا فيما مضى على جواز حذف كلّ مادلّ الظّاهر عليه.

وأمّا المعنى في قوله: ﴿وَاتَّقُوا...﴾ فإنّه تحذير من الله تعالى ذكره عباده الّذين خاطبهم بهذه الآية، عقوبته، أن تحلّ بهم يوم القيامة، وهو اليوم الّذي لاتجزي فيه نفس عن نفس شيئًا، ولايجزي فيه والد عن ولده، ولامولود هو جازٍ عن والده شيئًا. [إلى أن قال:]

فإن قال لنا قائل: ومامعنى لاتقضي نفس عن نفس، ولاتغني عنها غنًى؟

قيل: هو أنّ أحدنا اليوم ربّما قضى عن ولده أو والده أو ذي الصّداقة والقرابة دَينَه، وأمّا في الآخرة فإنّه فيما أتتنا به الأخبار عنها يسرّ الرّجل أن يَبْرُد له على ولده

أو والده حقّ؛ وذلك أنّ قضاء الحقوق في القيامة من الحسنات والسّيّئات. [ثمّ نقل الأحاديث وقال:]

فذلك معنى قوله جلّ ثناؤه: ﴿لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يعني أنّها لاتقضي عنها شيئًا لزمها لغيرها، لأنّ القضاء هنالك من الحسنات والسّيّئات على ماوصفنا. وكيف يقضي عن غيره مالزمه من كان يسرّه أن يثبت له على ولده أو والده حقّ، فيأخذه منه ولايتجافى له عنه؟

وقد زعم بعض نحويّي البصرة أنّ معنى قوله: ﴿لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: لاتجزي منها أن تكون مكانها، وهذا قول يشهد ظاهر القرآن على فساده؛ وذلك أنّه غير معقول في كلام العرب أن يقول القائل: ماأغنيت عنّي شيئًا، بمعنى ماأغنيت منّي أن تكون مكاني، بل إذا أرادوا الخبر عن شيء أنّه لايجزي من شيء، قالوا: لايجزي هذا من هذا، ولايستجيزون أن يقولوا: لايجزي هذا من هذا شيئًا.

فلو كان تأويل قوله: ﴿لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ ماقاله من حكينا قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾، كما يقال: لاتجزي نفس من نفس، ولم يقل: لاتجزي نفس عن نفس شيئًا.

وفي صحّة التّنزيل بقوله: ﴿لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أوضح الدّلالة على صحّة ماقلنا، وفساد قول من ذكرنا قوله في ذلك. (١: ٢٦٥)

القَيْسيّ: و(لَاتَجْزِى) ومابعدها من الجمل الّتي في أوّلها «لا» كلّها صفات لـ«يوم» ومع كلّ جملة ضمير محذوف يعود على «يوم»، ولولا ذلك لم تجز الصّفة، تقديره: لاتجزي نفس فيه، ولاتُقبل منها شفاعة فيه، ولايؤخذ منها عَدْلٌ فيه، ولاهم يُنصَرون فيه.

وقيل: التّقدير: لاتجزيه نفس، تجعل الظّرف مفعولًا على السّعة، ثمّ تحذف الهاء من الصّفة؛ وحذف الهاء أحسن من حذف «فيه». ولولا تقدير هذه الضّمائر لأُضيفت (يَوْمًا) إلى (لَاتَجْزِى)، كما قال: ﴿يَوْمَ لَايَنْطِقُونَ﴾ المرسلات: ٣٥، و﴿يَوْمَ لَاتَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ الانفطار: ١٩، وهو كثير.

فإذا أضفته فلايكون مابعده صفة له، ولايحتاج إلى تقدير ضمير محذوف، وقد أجمع القرّاء على تنوينه.

(١: ٤٤)

نحوه ابن الأنباريّ (١: ٨٠)، والعُكبَريّ (١: ٦٠).

الطُّوسيّ: أي لاتقابل مكروهها بشيء يدرأه عنها، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النّمل: ٩٠، وقال: ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ المؤمن: ١٧.

والفرق بين المقابلة والمجازاة: أنّ المقابلة قد تكون للمساواة فقط، كمقابلة الكتاب بالكتاب؛ والمجازاة: تكون في الشّرّ بالشّرّ والخير بالخير. (١: ٢١١)

البغَويّ: لاتقضي نفس عن نفس شيئًا، أي حقًّا لزمها، وقيل: لاتغني، وقيل: لاتكفي شيئًا من الشّدائد.

(١: ١١٢)

الزّمَخشَريّ: لاتقضي عنها شيئًا من الحقوق، ومنه الحديث في جذَعة بن نيار: «تجزي عنك ولاتجزي عن أحد بعدك». و(شيئًا) مفعول به، ويجوز أن يكون في موضع مصدر، أي قليلًا من الجزاء، كقوله تعالى:

﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ مريم: ٦٠.

ومَن قرأ (لاتُجزِئُ) من: أجزأ عنه، إذا أغنى عنه، فلايكون في قراءته إلّا بمعنى شيئًا من الإجزاء. وقرأ أبوالسّرار الغنويّ (لاتجزي نسمة عن نسمة شيئًا) وهذه الجملة منصوبة المحلّ صفة لـ(يَوْمًا).

فإن قلت: فأين العائد منها إلى الموصوف؟

قلت: هو محذوف، تقديره: لاتجزي فيه. [ثمّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

ومنهم من ينزّل فيقول: اتّسع فيه فأُجري مجرى المفعول به، فحذف الجارّ ثمّ حذف الضّمير، كما حذف من قوله: «أم مال أصابُوا».

ومعنى التّنكير أنّ نفسًا من الأنفس لاتجزي عن نفس منها شيئًا من الأشياء، وهو الإقناط الكلّيّ القطّاع للمطامع. (١: ٢٧٨)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٥٥)، والنّسَفيّ ملخّصًا (١: ٤٧)، وأبوالسُّعود (١: ١٣١)، وصدر المتألّهين (٣: ٣١٤)، والمشهديّ (١: ٢٣٩)، والبُرُوسَويّ ملخّصًا (١: ١٢٦)، والقاسميّ ملخّصًا (٢: ١٢١).

الطَّبْرِسيّ: أي لاتغني أولا تقضي فيه ﴿نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ ولاتدفع عنها مكروهًا. وقيل: لايؤدّي أحد عن أحد حقًّا وجب عليه لله أو لغيره. وإنّما نكّر «النّفس» ليبيّن أنّ كلّ نفس فهذا حكمها، وهذا مثل قوله سبحانه ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ...﴾. (١: ١٠٣)

الفَخْرالرّازيّ: قال القفّال: الأصل في «جزى» هذا عند أهل اللّغة «قضى» ومنه الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بردة ابن يسار: «تجزيك ولاتجزي أحدًا بعدك». هكذا يرويه أهل العربيّة «تجزيك» بفتح التّاء غير مهموز، أي تقضي عن أُضحيتك وتنوب.

ومعنى الآية أنّ يوم القيامة لاتنوب نفس عن نفس شيئًا، ولاتحمل عنها شيئًا ممّا أصابها، بل يفرّ المرء فيه من أخيه وأُمّه وأبيه.

ومعنى هذه النّيابة أنّ طاعة المطيع لاتقضي على العاصي ماكان واجبًا عليه. وقد تقع هذه النّيابة في الدّنيا كالرّجل يقضي عن قريبه وصديقه دَيْنه ويتحمّل عنه، فأمّا يوم القيامة فإنّ قضاء الحقوق إنّما يقع فيه من الحسنات. [ثمّ استشهد برواية] (٣: ٥٤)

ابن عربيّ: أي حال تجلّي صفة القهر، حين لاتغني نفس عن نفس شيئًا من الإغناء، لعدم القدرة لأحد. [وهو تأويل] (١: ٤٦)

النَّيسابوريّ: [نحو الزّمَخْشَريّ ثمّ قال:]

ولايخفى أنّ هذا التّكلّف لايتمشّى في سائر الجمل، بل يتعيّن تقدير الجارّ والمجرور العائد. ومعنى (لَاتَجْزِى): لاتقضي عنها شيئًا من الحقوق، ومنه الحديث في الجذعة الّتي ضحّاها ابن نيار قبل الوقت: «تَجْزي عنك ولاتجزي عن أحد بعدك». و(شيئًا) مفعول به، ويجوز أن يكون في موضع مصدر، أي قليلًا من الجزاء، مثل و(لَايُظْلَمُونَ شَيْئًا). (١: ٣٠٥)

الخازن: أي لاتقضي ﴿نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ يعني حقًّا لزمها، وقيل: معناه لاتنوب نفس عن نفس يوم القيامة، ولاتردّ عنها شيئًا ممّا أصابها، بل يفرّ المرء من أخيه وأُمّه وأبيه. (١: ٤٧)

الكاشانيّ: لاتدفع عنها عذابًا قد استحقّته.

(١: ١١٢)

مثله شُبّر (١: ٩٦)، ونحوه البَحْرانيّ (١: ٣٨١).

الآلوسيّ: ...و(تَجْزِى) من جزى بمعنى قضى، وهو متعدّ بنفسه لمفعوله الأوّل، وبـ«عن» للثّاني، وقد ينزل منزلة اللّازم للمبالغة، والمعنى لاتقضي يوم القيامة نفس عن نفس شيئًا، ممّا وجب عليها، ولاتنوب عنها، ولاتحتمل ممّا أصابها، أو لاتقضي عنها شيئًا من الجزاء. فنصب (شيئًا) إمّا على أنّه مفعول به، أو على أنّه مفعول مطلق، قائم مقام المصدر، أي جزاءً مّا. [ثمّ ذكر الأقوال فراجع] (١: ٢٥١)

الطَّباطَبائيّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى﴾ الملك والسّلطان الدّنيويّ بأنواعه وأقسامه وبجميع شؤونه، وقواه المقنّنة الحاكمة والجرية، مبتنية على حوائج الحياة، وغايتها رفع الحاجة حسب مايساعد عليه العوامل الزّمانيّة والمكانيّة، فربّما بُدّل متاع من متاع أو نفع من نفع أو حكم من حكم، من غير ميزان كلّي يضبط الحكم، ويجري ذلك في باب المجازاة أيضًا. فإنّ الجرم والجناية عندهم يستتبع العقاب، وربّما بدّل الحاكم العقاب لغرض يستدعي منه ذلك، كأن يلحّ المحكوم ـ الّذي يُرجى عقابه ـ على القاضي ويسترحمه أو يرتشيه، فينحرف في قضائه فيجزي، أي يقضي فيه بخلاف الحقّ، أو يبعث المجرم شفيعًا يتوسّط بينه وبين الحاكم أو مُجري الحكم، أو يُعطي عدلًا وبدلًا إذا كانت حاجة الحاكم المريد للعقاب إليه أزيد وأكثر من الحاجة إلى عقاب ذلك المجرم، أو يستنصر قومه فينصروه، فيتخلّص بذلك عن تبعة العقاب، ونحو ذلك.

تلك سنّة جارية وعادة دائرة بينهم، وكانت الملل القديمة من الوثنيّين وغيرهم تعتقد أنّ الحياة الآخرة نوع حياة دنيويّة، يطّرد فيها قانون الأسباب، ويحكم فيها ناموس التّأثير والتّأثّر المادّيّ الطّبيعيّ، فيقدّمون إلى آلهتهم أنواع القرابين والهدايا للصّفح عن جرائمهم أو الإمداد في حوائجهم، أو يستشفعون بها، أو يفدون بشيء عن جريمة، أو يستنصرون بنفس أو سلاح، حتّى أنّهم كانوا يدفنون مع الأموات أنواع الزّخرف والزّينة، ليكون معهم مايتمتّعون به في آخرتهم، ومن أنواع السّلاح مايدافعون به عن أنفسهم، وربّما ألحدوا معه من الجواري من يستأنس بها، ومن الأبطال من يستنصر به الميّت. وتوجد اليوم في المتاحف بين الآثار الأرضيّة عتائق كثيرة من هذا القبيل، ويوجد عقائد متنوّعة شبيهة بتلك العقائد بين الملل الإسلاميّة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، بقيت بينهم بالتّوارث، وربّما تلوّنت لونًا بعد لون، جيلًا بعد جيل.

وقد أبطل القرآن جميع هذه الآراء الواهية، والأقاويل الكاذبة، فقد قال عزّ من قائل: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ﴾ الانفطار: ١٩، وقال: ﴿وَرَاَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْاَسْبَابُ﴾ البقرة: ١٦٦، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادٰى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَاخَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَانَرٰى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ اَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكٰؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَاكُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الأنعام: ٩٤، وقال: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَااَسْلَفَتْ وَرُدُّوا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ

عَنْهُمْ مَاكَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يونس: ٣٠، إلى غير ذلك من الآيات الّتي بيّن فيها: أنّ المواطن خال عن الأسباب الدّنيويّة، وبمعزل عن الارتباطات الطّبيعيّة، وهذا أصل يتفرّع عليه بُطلان كلّ واحد من تلك الأقاويل والأوهام، على طريق الإجمال، ثمّ فصّل القول في نفي واحد واحد منها وإبطاله، فقال: ﴿واتَّقُوا...﴾ إلخ.

(١: ١٥٤)

نحوه ملخّصًا مكارم الشّيرازيّ. (١: ١٧٣)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ١٢٣.

نَجْزِي

١ـ ...وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُـؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ.

آل‌عمران: ١٤٥

ابن عبّاس: المؤمنين بإيمانهم وجهادهم. (٥٧)

الحسَن: قال: يعطي الله العبد بنيّته الدّنيا والآخرة.

(السّيوطيّ ٢: ٨٣)

ابن إسحاق: أي ذلك جزاء الشّاكرين، يعني بذلك إعطاء الله إيّاه ماوعده في الآخرة، مع مايجري عليه من الرّزق في الدّنيا. (الطّبَريّ ٤: ١١٦)

ابن فُورك: إشارة إلى أنّه يُنعمهم بنعيم الدّنيا، لاأنّهم يقصرون على الآخرة. (ابن عطيّة ١: ٥١٨)

الطّوسيّ: من الرّزق في الدّنيا، عن ابن إسحاق لئلّا يُتوهّم أنّ الشّاكر يُحرَم مايعطاه الكافر ممّا قسم له في الدّنيا. (٣: ٩)

ابن عَطيّة: وقرأ جمهور النّاس (نُؤتِه، ونُؤتِه، وسنَجزِي) كلّها بنون العظمة، وقرأ الأعمش بالياء في الثّلاثة، وذلك على حذف الفاعل، لدلالة الكلام عليه.

(١: ٥١٨)

النّيسابوريّ: أبهم الجزاء وأضافه إلى نفسه، تنبيهًا على أنّ جزاء الّذين شكروا: نعمة الإسلام، فلم يشغلهم عن الجهاد شيء لايُكتنَه كُنْهه، وتقصر عنه العبارة، وأنّه كما يليق بعميم فضله وجسيم طوله.

(٤: ٨٣)

أبوحَيّان: وعدٌ عظيم بالجزاء، وجاء بالسّين الّتي هي في قول بعضهم: قرينة التّفسير في الاستقبال، أي لايتأخّر جزاء الله إيّاهم عنهم. [إلى أن قال:]

وظاهر هذا الجزاء أنّه في الآخرة، وقيل: في الدّنيا بالرّزق، والتّمكين في الأرض. (٣: ٦٩)

ابن كثير: أي سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدّنيا والآخرة، بحسب شكرهم وعملهم. (٢: ١٢٤)

أبوالسّعود: ﴿وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ﴾ نعمة الإسلام [إلى أن قال:]

والجملة اعتراض مقرّر لمضمون ماقبله، ووعدٌ بالمزيد عليه، وفي تصديرها بالسّين، وإبهام الجزاء من التّأكيد والدّلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه؛ بحيث يقصر عنه البيان مالايخفى. وقرئ الأفعال الثّلاثة [يُؤته، يُؤته، سيَجزي] بالياء. (٢: ٤٤)

نحوه الآلوسيّ. (٤: ٧٩)

مكارم الشّيرازيّ: والجدير بالتّأمّل: أنّ الفعل في هذه العبارة جاء في الآية السّابقة، بصيغة الغائب

(سَيَجْزِي) وجاء هنا في صورة المتكلّم (سَنَجْزِي)، وهذا يفيد غاية التّأكيد للوعد الإلهيّ بإعطاء الثّواب لهم، فهو تدرّج من الوعد العاديّ إلى الوعد المؤكّد، فكأنّ الله يريد أن يقول،وببساطة: أنا ضامن لجزائهم وثوابهم. (٢: ٥٥٨)

٢ـ...وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. الأنعام: ٨٤

الجُبّائيّ: بيّن أنّ ذلك جزاء، ولايليق إلّا بالثّواب الّذي يختصّ به المحسنون، دون الهداية الّتي هي الدّلالة، ويشترك فيها المؤمن والكافر.

مثله البَلْخيّ. (الطّوسيّ ٤: ٢٠٩)

الطَّبْرِسيّ: بنيل الثّواب والكرامات، وقيل: المراد به كما تفضّلنا على هؤلاء الأنبياء بالنّبوّة، فكذلك نتفضّل على المحسنين بنيل الثّواب والكرامات. (٢: ٣٣٠)

أبوالسُّعود: جزاء مثل ذلك الجزاء، والتّقديم للقصر. (٢: ٤١١)

رشيد رضا: أي بالجمع بين نعم الدّنيا ورئاستها بالحقّ، وهداية الدّين وإرشاد الخلق، وهذا كما قال الله تعالى في أحدهم: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ اٰتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢، فهو جزاء خاصّ بعضه معجّل في الدّنيا، أي ومثل هذا الجزاء في جنسه يجزي الله بعض المحسنين بحسب إحسانه في الدّنيا قبل الآخرة، ومنهم من يُرجئ جزاءه إلى الآخرة. (٧: ٥٨٧)

الطّباطَبائيّ: فالظّاهر أنّ المراد بهذا الجزاء، هو الهداية الإلهيّة المذكورة، وإليها الإشارة بقوله: (كَذٰلِكَ) والإتيان بلفظ الإشارة البعيدة لتفخيم أمر هذه الهداية، فهو نظير قوله: ﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثَالَ﴾ الرّعد: ١٧، والمعنى نجزي المحسنين على هذا المثال. (٧: ٢٤٣)

٣ـ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ اٰيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ. الأنعام: ١٥٧

لاحظ «ص د ف»

٤ـ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. الأعراف: ٤١

القُشَيْريّ: كما أحاطت العقوبات بهم في الدّنيا، فتدنّس بالغفلة باطنهم، وتلوّث بالزّلّة ظاهرهم، فكذلك أحاطت العقوبات بجوانبهم، فمن فوقهم عذاب ومن تحتهم عذاب، وكذلك من جوانبهم في القلب من ضيق العيش واستيلاء الوحشة، مايفي ويزيد على الكلّ. (٢: ٢٢٩)

الزّمخشريّ:...أنّ الإجرام هو السّبب الموصل إلى العقاب، وأنّ كلّ من أجرم عوقب، وقد كرّره، فقال: ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ لأنّ كلّ مجرم ظالم لنفسه. (٢: ٧٩)

الفخرالرّازيّ: اعلم أنّ المقصود منه إتمام الكلام في وعيد الكفّار، وذلك لأنّه تعالى قال في الآية المتقدّمة: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ثمّ شرح تعالى في هذه الآية كيفيّة ذلك الخلود في حقّ أُولئك المكذّبين المستكبرين بقوله: ﴿كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا...﴾. (١٤: ٧٥)

البُرُوسَويّ: يعني بهذه الطّريقة نضع عنهم

أوزارهم، ونردّ مظالمهم في الدّنيا ليَردوا القيامة مستعدّين لدخول الجنّة. ومن لم نُجزه في الدّنيا بهذه الطّريقة فنجزه في الآخرة، كما قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ السّجدة: ٢١ فيه، كذا في «التّأويلات النّجميّة» فالمجاهدة وسلوك طريق التّصفية من دأب الأخيار. (٣: ١٦٢)

٥ ـ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. يوسف: ٢٢

ابن عبّاس: بالعلم والحكمة. (١٩٥)

نحوه ابن الجوزيّ. (٤: ٢٠١)

الحسن: مَن أحسن عبادة ربّه في شبيبته، آتاه الله الحكمة في اكتهاله. (الزّمخشريّ ٢: ٣١٠)

ابن جُرَيْج: أي كما فعلنا بيوسف وأعطيناه المُلك بعد مقاساته البلاء والشّدّة، كذلك نفعل بك يامحمّد. (الطّبرسيّ ٣: ٢٢٢)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: وكما جزيت يوسف، فآتيته بطاعته إيّاي الحكم والعلم، ومكّنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الّذين أرادوا قتله، كذلك نجزي مَن أحسن في عمله، فأطاعني في أمري، وانتهى عمّا نهيته عنه من معاصي.

وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كلّ محسن، فإنّ المراد به محمّد نبيّ الله ﷺ، يقول له عزّوجلّ: كما فعلتُ هذا بيوسف من بعد مالقي من إخوته، مالقي، وقاسى من البلاء ماقاسى، فمكّنته في الأرض، ووطأت له في البلاد، فكذلك أفعل بك، فأُنجيك من مشركي قومك، الّذين يقصدونك بالعداوة، وأُمكّن لك في الأرض، وأُوتيك الحكم والعلم، لأنّ ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي. (١٢: ١٧٨)

الزّجّاج: أي ومثل ماوصفنا من تعليم يوسف نجزي المحسنين. (٣: ٩٩)

مثله الواحديّ (٢: ٦٠٦)، ونحوه الطّوسيّ (٦: ١١٧)، والطّبرسيّ (٣: ٢٢٢).

القُشَيريّ: من جميل الجزاء الّذي أعطاه، هو إمداده بالتّوفيق، حتّى استقام في التّقوى والورع على سواء الطّريق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت: ٦٩، أي الّذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة لنهدينّهم سُبُل الصّبر على الاستقامة، حتّى تتبيّن لهم حقائق المواصلة. (٣: ١٧٧)

الزّمَخْشَريّ: تنبيه على أنّه كان محسنًا في عمله متّقيًا في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاءً على إحسانه. (٢: ٣١٠)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٩١)، والنّسَفيّ (٢: ٢١٦)، وأبوالسّعود (٣: ٣٧٧)، والكاشانيّ (٣: ١٣)، والمشهديّ (٤: ٦٠٤)، والآلوسيّ (١٢: ٢١٠).

ابن عَطيّة: ألفاظ فيها وعد للنّبيّ ﷺ فلايهولنّك فعل الكفرة بك وعتوّهم عليك، فالله تعالى يصنع للمحسنين أجمل صنع. (٣: ٢٣٢)

نحوه الثّعالبيّ. (٢: ١٥٠)

الفَخْرالرّازيّ: وهذا يدلّ على أنّ كلّ من أتى بالطّاعات الحسنة الّتي أتى بها يوسف، فإنّ الله يُعطيه تلك المناصب. وهذا بعيد لاتّفاق العلماء على أنّ النّبوّة

غير مكتسبة.

واعلم أنّ من قال: إنّ يوسف ماكان رسولاً ولانبيًّا ألبتّة، وإنّما كان عبدًا أطاع الله تعالى، فأحسن الله إليه، هذا القول باطل بالإجماع. (١٨: ١١٠)

النّيسابوريّ: [نقل كلام الزّمخشريّ ثمّ قال:]

واعترض عليه بأنّ النّبوّة غير مكتسبة، والحقّ أنّ الكلّ بفضل الله ورحمته، ولكن للوسائط والمعدّات مدخل عظيم، في كلّ مايصل إلى الإنسان من الفيوض والآثار، فالأنوار السّابقة تصير سببًا للأضواء اللّاحقة، وهلّم جرًّا. (١٢: ٩٥)

البُرُوسَويّ: إنّ الجزاء ينبغي أن يكون مترتّبًا على انقضاء العمل، فتارة يظهر بعد تمام الأعمال كلّها، وتارة يظهر لكلّ عمل مُنْقَضٍ جزاءٌ، وهكذا إلى الوصول إلى غاية الأجزية، فعلم تعبير رؤيا الملك وصاحبيِ السّجن أُوتي يوسف في السّجن وتمامه، مع انضمام العلوم الكلّيّة بعد انتهاء الابتلاء، فافهم المقام، وكن على بصيرة من إدراك دقائق الكلام. (٤: ٢٣٤)

طنطاويّ: أي وكما جزينا يوسف على إحسانه في عمله، وتقواه في عنفوان شبابه، نجزي المحسنين فنتمّم لهم أُمورهم ونؤتيهم، مايستحقّون من الكمال. (٧: ٣٥)

المَراغيّ: أي ومثل ذلك الجزاء العظيم نجازي به المتحلّين بصفة الإحسان، الّذين لم يُدنّسوا أنفسهم بسيّئات الأعمال، فنؤتيهم نصيبًا من الحكم بالحقّ والعدل، وعلمًا يظهره القول الفصل؛ إذ يكون لذلك الإحسان تأثير في صفاء عقولهم، وجودة أفهامهم، وفقههم لحقائق الأشياء، غير مايستفيدون بالكسب من غيرهم، ولايتهيّأ مثل ذلك للمسيئين في أعمالهم، المتّبعين لأهوائهم وطاعة شهواتهم. (١٢: ١٢٧)

الطَّباطَبائيّ: يدلّ على أنّ هذا الحكم والعلم الّذين آتاهما الله إيّاه، لم يكونا موهبتين ابتدائيّتين لامستدعيَ لهما أصلًا، بل هما من قبيل الجزاء، جزاه الله بهما لكونه من المحسنين.

وليس من البعيد أن يستفاد من قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ أنّ الله تعالى يجزي كلّ محسن ـ على اختلاف صفات الإحسان ـ شيئًا من الحكم والعلم يناسب موقعه في الإحسان، وقد قال تعالى: ﴿يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَاٰمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ الحديد: ٢٨، وقال تعالى: ﴿اَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَاَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ﴾ الأنعام: ١٢٢. (١١: ١١٩)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (٧: ١٥٨)

٦ـ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ اِنِّى اِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ. الأنبياء: ٢٩

الطَّبَريّ: ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يقول: نُثيبه على قيله ذلك جهنّم ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾. (١٧: ١٧)

الطُّوسيّ: معناه إن ادّعى منهم مُدّعٍ ذلك [إنّي إله تحقّ لي العبادة من دون الله] فإنّا نجزيه بعذاب جهنّم، كما نجازي الظّالمين بها. وقوله: ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ معناه مثل ماجازينا هؤلاء نجزي الظّالمين أنفسهم بفعل المعاصي. (٧: ٢٤٢)

ابن عَطيّة: وقرأ الجمهور (نَجْزِيه) بفتح النّون وقرأ

أبوعبد الرّحمان عبد الله بن يزيد (نُجْزِيهُ) بضمّ النّون والهاء، ووجهها أنّ المعنى نجعلها تكتفي به من قولك: أجزأني الشّيء، ثمّ خُفّفت الهمزة ياءً، وقوله تعالى: (كَذٰلِكَ) أي كجزائنا هذا القائل جزاؤنا الظّالمين.

(٤: ٧٩)

نحوه أبوحيّان. (٦: ٣٠٧)

الفَخْرالرّازيّ: ...فالمعنى أنّ كلّ من يقول من الملائكة ذلك القول، فإنّا نجازي ذلك القائل بهذا الجزاء، وهذا لايدلّ على أنّهم قالوا ذلك أو ماقالوه، وهو قريب من قوله تعالى: ﴿لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الزّمر: ٦٥. [إلى أن قال:]

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ اِنّى اِلٰهٌ...﴾ على أنّ حالهم حال سائر العبيد المكلّفين في الوعد والوعيد، فكيف يصحّ كونهم آلهة...

قال القاضي عبد الجبّار قوله: ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظّالِمِينَ﴾ يدلّ على أنّ كلّ ظالم يجزيه الله جهنّم، كما توعّد الملائكة به؛ وذلك يوجب القطع على أنّه تعالى لايغفر لأهل الكبائر في الآخرة؟

والجواب: أقصى مافي الباب أنّ هذا العموم مشعر بالوعيد وهو معارض بعمومات الوعيد. (٢٢: ١٦٠)

القُرطُبيّ: وقيل: الإشارة إلى جميع الملائكة، أي فذلك القائل ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾. وهذا دليل على أنّهم وإن أُكرموا بالعصمة فهم متعبّدون، وليسوا مضطرّين إلى العبادة، كما ظنّه بعض الجهّال. وقد استدلّ ابن عبّاس بهذه الآية على أنّ محمّداً ﷺ أفضل أهل السّماء.

(١١: ٢٨٢)

البَيْضاويّ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة أو من الخلائق ﴿اِنّى اِلٰهٌ...﴾ يريد به نفي النّبوّة وادّعاء ذلك عن الملائكة، وتهديد المشركين بتهديد مدّعي الرّبوبيّة ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظّالِمِينَ﴾ من ظلم بالإشراك وادّعاء الرّبوبيّة. (٢: ٧١)

نحوه المشهديّ. (٦: ٣٧٥)

السّمين: قوله: ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يجوز في ذلك وجهان:

أحدهما: أنّه مرفوع بالابتداء، وهذا وجه حسن.

والثّاني: أنّه منصوب بفعل مقدّر، يفسّره هذا الظّاهر، والمسألة من باب الاشتغال. وفي هذا الوجه إضمار عامل مع الاستغناء عنه فهو مرجوح، والفاء ومافي خبرها في موضع جزم جوابًا للشّرط، وكذلك نعت لمصدر محذوف، أو حال من ضمير المصدر، أي جزاء مثل ذلك الجزاء، أو نجزي الجزاء حال كونه مثل ذلك.

وقرأ العامّة (نَجْزِى) بفتح النّون، وأبو عبد الرّحمان المُقرئ بضمّها، ووجهها أنّه من «أجزأ» بالهمز من: أجزأني كذا، أي كفاني، ثمّ خُفّفت الهمزة، فانقلبت إلى الياء. (٥: ٨٠)

ابن كثير: أي كلّ من قال ذلك، وهذا شرط، والشّرط لايلزم وقوعه، كقوله: ﴿قُلْ اِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَاَنَا اَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الزّخرف: ٨١، وقوله: ﴿لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزّمر: ٦٥. (٤: ٥٥٩)

أبوالسُّعود: ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ كسائر المجرمين، ولايغني عنهم ماذكر من صفاتهم السّنيّة وأفعالهم

المرضيّة، وفيه من الدّلالة على قوّة ملكوته تعالى، وعزّة جبَروته، واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهّم في حقّهم ماتوهّمه أُولئك الكفرة مالايخفى.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ مصدر تشبيهيّ مؤكّد لمضمون ماقبله، أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الّذين يضعون الأشياء في غير مواضعها، ويتعدّون أطوارهم. والقصر المستفاد من التّقديم معتبر بالنّسبة إلى النّقصان دون الزّيادة، أي لاجزاء أنقص منه. (٤: ٣٣٣)

نحوه الشّوكانيّ (٣: ٥٠٧)، والآلوسيّ (١٧: ٣٢)، والمَراغيّ (١٧: ٢٢).

الكاشانيّ: [نحو البَيْضاويّ وأضاف:]

والقُمّيّ قال: من زعم أنّه إمام وليس بإمام [نجزيه جَهَنَّمَ] أقول: لعلّ هذا التّأويل، وذاك التّفسير. (٣: ٣٣٧)

البُرُوسَويّ:...يُشير إلى أنّه ليس للمَلَك استعداد الاتّصاف بصفات الأُلوهيّة، ولو ادّعى هذه المرتبة فجزاؤه جهنّم البُعد والطّرد والتّعذيب، كما كان حال إبليس.

وبه يُشير إلى أنّ الاتّصاف بصفات الأُلوهيّة مرتبة بني آدم، كما قال عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الله». وقال: «عنوان كتاب الله إلى أوليائه يوم القيامة: من المَلِك الحيّ الّذي لايموت إلى المَلِك الحيّ الّذي لايموت»، فافهم جدًّا. (٥: ٤٧٠)

سيّد قُطْب: ودعوى البُنوّة لله سبحانه دعوى اتّخذت لها عدّة صور في الجاهليّات المختلفة، فقد عُرفت عند مشركي العرب في صورة بُنوّة الملائكة لله، وعند مشركي اليهود في صورة بُنوّة العُزير لله، وعند مشركي النّصارى في صورة بُنوّة المسيح لله، وكلّها من انحرافات الجاهليّة، في شتّى الصّور والعصور.

والمفهوم أنّ الّذي يعنيه السّياق هنا، هو دعوى العرب في بُنوّة الملائكة! وهو يردّ عليهم ببيان طبيعة الملائكة، فهم ليسوا بنات لله -كما يزعمون- ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ عند الله. لايقترحون عليه شيئًا تأدّبًا وطاعة وإجلالًا، إنّما يعملون بأمره لايناقشون، وعِلْم الله بهم محيط ولايتقدّمون بالشّفاعة إلّا لمن ارتضاه الله، ورضي أن يقبل الشّفاعة فيه. وهم بطبيعتهم خائفون لله مشفقون من خشيته - على قربهم وطهارتهم وطاعتهم الّتي لااستثناء فيها ولاانحراف عنها. وهم لايدّعون الأُلوهيّة قطعًا، ولو ادّعوها - جدلًا - لكان جزاؤهم جزاء من يدّعي الأُلوهيّة كائنًا مَن كان، وهو جهنّم، فذلك جزاء الظّالمين الّذين يدّعون هذه الدّعوى الظّالمة لكلّ حقّ، ولكلّ أحد، ولكلّ شيء في هذا الوجود.

كذلك تبدو دعوى المشركين في صورتها هذه واهيةً مستنكرة مستبعدَة، لايدّعيها أحد. ولو ادّعاها لذاق جزاءها الأليم.

وكذلك يلمس الوجدان بمشهد الملائكة طائعين لله، مشفقين من خشيته، بينما المشركون يتطاولون ويدّعون! (٤: ٢٣٧٥)

مكارم الشّيرازيّ: أمّا التّعبير ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فيدلّ بصورة جليّة على أنّ موسى عليه السلام كان جديرًا بهذه المنزلة، نظرًا لتقواه وطهارته وأعماله الصّالحة؛ إذ جازاه الله «بالعلم والحكم» وواضح أنّ

المراد: بالحكم والعلم هنا ليس النّبوّة والوحي وماإليهما، لأنّ موسى يومئذ كان لم يُبعَث بعد، وبقي مدّة بعد ذلك حتّى بُعث نبيًّا.

بل المقصود والمراد من: الحكم والعلم هما المعرفة والنّظرة الثّاقبة، والقدرة على القضاء الصّحيح وماشابه ذلك، وقد منح الله هذه الأُمور لموسى عليه السلام، لطهارته وصدقه وأعماله الصّالحة، كما ذكرنا آنفًا.

ويُفهَم من هذا التّعبير ـ إجمالًا ـ أنّ موسى لم يتأثّر بلون المحيط الّذي عاشه في قصر فرعون، وكان يسعى إلى تحقيق العدل والحقّ، مااستطاع إلى ذلك سبيلًا، وإن لم تكن الجزئيّات الّتي كانت تصدر عن موسى وكيفيّتها واضحة اليوم عندنا. (١٢: ١٧٩)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ الصّافّات: ٨٠و١٣١

٧ ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ وَاسْتَوٰى اٰتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾. القصص: ١٤

الآلوسيّ: [في معنى العلم والحكمة قولين: أحدهما: أنّ المراد بالحكم: النّبوّة وبالعلم: الدّين والشّريعة، ثانيهما: المراد بالحكم: السّنّة وبالعلم: التّوراة، ورُجّح الثّاني بأنّه أوفق للنّظم هذا خلاصة كلامه وأضاف:] وبأنّ قوله تعالى: (وَكَذٰلِكَ) أي مثل ذلك الّذي فعلناه بموسى وأُمّه عليهما السلام ﴿نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم، يأبى حمل ماتقدّم على النّبوّة، لأنّها لاتكون جزاء على العمل. ومن ذهب إلى الأوّل جعل هذا بيانًا إجماليًّا لانجاز الوعد، بجعله من المرسلين بعد ردّه لأُمّه، ومابعد تفصيل له، والعطف بالواو لايقتضي التّرتيب، وكون مافعل بموسى وأُمّه عليهما السلام جزاء على العمل، باعتبار التّغليب.

وقد يقال: إنّ أصل النّبوّة وإن لم تكن جزاءً على العمل، إلّا أنّ بعض مراتبها، وهو مافيه مزيد قرب من الله تعالى، يكون باعتبار مزيد القرب جزاءً عليه. ويرجع ذلك إلى أنّ مزيد القرب هو الجزاء، وتفاوت الأنبياء عليهم السلام في القرب منه تعالى ممّا لاينبغي أن يُشكّ فيه. ورُجّح ماتقدّم بكونه أوفق بقوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَ اَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ القصص: ١٣. واستلزامه حصول النّبوّة لكلّ محسن ليس بشيء أصلًا.

ومن ذهب إلى أنّ هذا الإيتاء كان قبل الهجرة، قال: يجوز أن يكون المعنى آتيناه رئاسة بين قومه بني إسرائيل، بأن جعلناه ممتازًا فيما بينهم، يرجعون إليه في مهامّهم، ويمتثلونه إذا أمرهم بشيء أو نهاهم عنه، وعلمًا ينتفع به وينفع به غيره، وذلك إمّا بمحض الإلهام أو بتوفيقه، لاستنباط دقائق وأسرار ممّا نُقل إليه من كلمات آبائه الأنبياء عليهم السلام من بني إسرائيل. ولابدعَ في أن يكون عليه السلام عالمًا بما كان عليه آباؤه الأنبياء منهم، وبما كانوا يتديّنون به من الشّرائع، بواسطة الإلهام، أو بسماع مايفيده العلم من الأخبار. (٢٠: ٥٢)

٨ ـ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾.

الصّافّات: ١٠٥

الطّوسيّ: معناه إنّا جازينا إبراهيم على فعله بأحسن الجزاء، ومثل ذلك نجزي كلّ من فعل طاعةً،

فإنّا نجازيه على فعله بأحسن الجزاء. (٨: ٥١٩)

الواحديّ: هذا ابتداء إخبار من الله تعالى، وليس يتّصل بما قبله من الكلام الّذي يؤدّي به إبراهيم، والمعنى إنّا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده، نجزي مَن أحسن في طاعتنا. (٣: ٥٣٠)

نحوه البغويّ (٤: ٣٨)، والطّبرسيّ (٤: ٤٥٣)، والفخرالرّازيّ (٢٦: ١٥٨)، والخازن (٦: ٢٥)، والشّربينيّ (٣: ٣٨٨)، وطنطاوي (١٨: ٢١)، والمراغيّ (٢٣: ٧٥)، والطّباطبائيّ (١٧: ١٥٣)، وفضل الله (١٩: ٢٠٧)، ومكارم الشّيرازيّ (١٤: ٣٣٤).

الزّمخشريّ: تعليل لتخويل ماخوّلها من الفرج بعد الشّدّة، والظّفر بالبُغية بعد اليأس. (٣: ٣٤٨)

نحوه البيضاويّ (٢: ٢٩٨)، والنّسفيّ (٤: ٢٥)، وابن كثير (٦: ٢٧)، وأبوالسّعود (٥: ٣٣٥)، والمشهديّ (٨: ٤٩٣)، والبُرُوسَويّ (٧: ٤٧٦).

ابن عَطيّة: إشارة إلى ماعمل إبراهيم، كأنّه يقول: إنّا بهذا النّوع من الإخلاص والطّاعة ﴿نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾. (٤: ٤٨٢)

الشّوكانيّ: أي نجزيهم بالخلاص من الشّدائد، والسّلامة من المِحَن، فالجملة كالتّعليل لما قبلها. (٤: ٥٠٨)

الآلوسيّ: ابتداء كلام غير داخل في النّداء، وهو تعليل لإفراج تلك الشّدّة، المفهوم من الجواب المقدّر أو من الجواب المذكور، أعني (نَادَيْنَاه) إلخ على القول بأنّه الجواب أو منه، وإن لم يكن الجواب والعلّة في المعنى إحسانهما، وكونه تعليلًا لما انطوى عليه الجواب من الشّكر ليس بشيء. (٢٣: ١٣١)

القاسميّ: أي باللّطف والعناية والنّداء والوحي والفرج بعد الشّدّة. (١٤: ٥٠٥١)

ابن عاشور: وجملة ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل لجملة ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ لأنّ نداء الله إيّاه ترفيع لشأنه، فكان ذلك النّداء جزاء على إحسانه. وهذه الجملة يجوز أن تكون من خطاب الله تعالى إبراهيم، ويجوز أن تكون معترضة بين جُمل خطاب إبراهيم، والإشارة في قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ إلى المصدر المأخوذ من فعل ﴿صَدَّقْتَ﴾ من المصدر وهو التّصديق، مثل عود الضّمير على المصدر المأخوذ من ﴿اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾ المائدة: ٨، أي إنّا نجزي المحسنين كذلك التّصديق، أي مثل عظمة ذلك التّصديق نجزي جزاءً عظيمًا للمحسنين، أي الكاملين في الإحسان، أي وأنت منهم.

ولمّا يتضمّنه لفظ الجزاء من معنى المكافأة، ومماثلة المَجزيّ عليه عُظم شأن الجزاء، بتشبيهه بمشبَّه مشار إليه بإشارة البعيد المفيد بُعدًا اعتباريًّا، وهو الرّفعة وعظم القدر في الشّرف، فالتّقدير: إنّا نجزي المحسنين جزاء كذلك الإحسان الّذي أحسنتَ به بتصديقك الرّؤيا، مكافأة على مقدار الإحسان، فإنّه بَذَل أعزّ الأشياء عليه في طاعة ربّه، فبذل الله إليه من أحسن الخيرات الّتي بيده تعالى. فالمشبَّه والمشبَّه به معقولان؛ إذ ليس واحد منهما بمشاهد، ولكنّهما متخيّلان بما يتّسع له التّخيّل المعهود عند المحسنين، ممّا يقتضيه اعتقادهم في وَعد الصّادق من جزاء القادر العظيم، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ

إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الرّحمن: ٦٠.

ولما أفاد اسم الإشارة من عظمة الجزاء أُكّد الخبر بـ(إنّ) لدفع توهّم المبالغة، أي هو فوق ماتعهده في العظمة وماتُقدّره العقول.

وفُهم من ذكر (الْمُحْسِنِينَ) أنّ الجزاء إحسان بمثل الإحسان، فصار المعنى إنّا كذلك الإحسان العظيم الّذي أحسنته نجزي المحسنين، فهذا وعد بمراتب عظيمة من الفضل الرّبّانيّ، وتضمّن وعد ابنه بإحسان مثله من جهة نوط الجزاء بالإحسان، وقد كان إحسان الابن عظيمًا يبذل نفسه. (٢٣: ٦٧)

بخلاف سائر القصص الّتي جعل ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ الصّافّات: ١٠٥، مقطعًا لها، فإنّ مابعد ليس ممّا يتعلّق بما قبل. ومع هذا لم تخلُ القصّة من مثل تلك الجملة بجميع كلماتها وسلك فيها هذا المسلك اعتناءً بها، فتأمّل. (٢٣: ١٣٢)

مكارم الشّيرازيّ: جزاء: يعادل عظمة الدّنيا، جزاء خالد على مدى الزّمان، جزاء لائق وهو أن خصّ البارئ عزّوجلّ عبده إبراهيم بالسّلام، وعبارة ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ تُثير الانتباه؛ إذ أنّها أتت قبل عدّة آيات، وتكرّرت ثانية هنا، فهناك علّة لهذا التّكرار حتمًا.

دليل المرحلة الأُولى يمكن أن يكون: هو أنّ الله سبحانه وتعالى صادق على نجاح إبراهيم في الامتحان الصّعب، وأمضى نتيجة قبوله، وهذه بحدّ ذاتها أهمّ مكافأة يمنحها الله سبحانه وتعالى لإبراهيم، ثمّ تأتي قضيّة «الفدية بذبح عظيم» وبقاء اسمه وسنّته خالدَين على مدى التّاريخ، وإرسال البارئ عزّوجلّ سلامه وتحيّاته إلى إبراهيم، الّتي اعتُبرت ثلاث نعم كبيرة منحها الله سبحانه وتعالى لعبده إبراهيم، بعنوان أنّها مكافأة وجزاء للمحسنين. (١٤: ٣٣٦)

وقد أعرضنا عن نصوص كثير من المفسّرين حذرًا من التّكرار.

٩ـ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ. الصّافّات: ١١٠

الآلوسيّ: ذلك إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل فيما بين الأُمم، لاإلى مايشير إليه فيما سبق، فلاتكرار.

وطرح هنا (إنّا) [الّذي جاء فيما قبلها] قيل: مبالغة في دفع توهّم اتّحاده مع ماسبق، كيف وقد سيق الأوّل تعليلًا لجزاء إبراهيم وابنه عليهما السلام، بما أُشير إليه قبل، وسيق هذا تعليلًا لجزاء إبراهيم وحده، بما تضمّنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ إلخ.

وماألطف الحذف هنا اقتصارًا؛ حيث كان فيما قبله مايُشبه ذلك من عدم ذكر الابن والاقتصار على إبراهيم.

وقيل: لعلّ ذلك اكتفاء بذكر (إنّا) مرّة في هذه القصّة.

وقال بعض الأجلّة: إنّه للإشارة إلى أنّ قصّة إبراهيم عليه السلام لم تتمّ، فإنّ مابعد من قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ﴾ إلخ من تكملة مايتعلّق به عليه السلام،

١٠ـ إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ. الصّافّات: ١٢١

مكارم الشّيرازيّ: تكرّرت في هذه السّورة عدّة مرّات، إذ جاءت بحقّ نوح وإبراهيم وموسى وهارون،

وعبارة مشابهة لها بشأن يوسف وردت في سورة يوسف الآية (٢٢) كما تناولت الآية (٨٤) في سورة الأنعام أنبياء آخرين، كان ثوابهم نفس الثّواب الّذي حصل عليه نوح وإبراهيم وموسى وهارون، وكلّهم يُقرّون بأنّ كلّ من يريد أن تشمله العناية الإلهيّة، عليه أوّلًا أن ينضمّ إلى زمرة المحسنين، كي تُغدَق عليه البركات الإلهيّة.
(١٤: ٣٤٩)

وبهذا المعنى جاء ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ ...﴾ في سورة المرسلات: ٤٤، وقد تركنا نصوصًا كثيرًا من المفسّرين، حذرًا من التّكرار.

١١- ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأحقاف: ٢٥

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: كما جزينا عادًا بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدّنيا، فأهلكناهم بعذابنا، كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا، إذ تمادوا في غيّهم، وطغوا على ربّهم. (٢٦: ٢٧)

نحوه القاسميّ (١٥: ٥٣٥٤)، والمراغيّ (٢٦: ٣٢).

الزّجّاج: المعنى مثل ذلك نجزي القوم المجرمين، أي بالعذاب.
(٤: ٤٤٦)

الطّوسيّ: ...مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف وجازيناهم بالعذاب ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الّذين سلكوا مسلكهم.
(٩: ٢٨١)

نحوه الطّبرسيّ.
(٥: ٩٠)

الفخر الرّازيّ: والمقصود منه تخويف كفّار مكّة.

فإن قيل: لمّا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الأنفال: ٣٣، فكيف يبقى التّخويف حاصلًا؟

قلنا: قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ إنّما نزل في آخر الأمر، فكان التّخويف حاصلًا قبل نزوله.
(٢٨: ٢٨)

نحوه الشّربينيّ.
(٤: ١٥)

الطّباطبائيّ: إعطاء ضابط كلّيّ في مجازاة المجرمين بتشبيه الكلّيّ بالفرد الممثّل به والتّشبيه في الشّدّة، أي إنّ سنّتنا في جزاء المجرمين على هذا النّحو الّذي قصصناه من الشّدّة، فهو كقوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: ١٠٢.
(١٨: ٢١٣)

ابن عاشور: أي مثل جزاء عاد نجزي القوم المجرمين، وهو تهديد لمشركي قريش وإنذار لهم...
(٢٦: ٤٣)

مَغْنِيّة: في الدّنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط، على ما توجبه الحكمة البالغة.
(٧: ٥٢)

مكارم الشّيرازيّ: وتشير الآية في النّهاية إلى حقيقة، وهي أنّ هذا المصير غير مختصّ بهؤلاء القوم الضّالّين، بل: ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾. وهذا إنذار وتحذير لكلّ المجرمين العُصاة، والكافرين المعاندين الأنانيّين، بأنّكم إن سلكتم هذا الطّريق فسوف لن يكون مصيركم أحسن حالًا من هؤلاء، فإنّه تعالى قد يأمر الرّياح بأن تهلككم، ذات الرّياح الّتي يعبّر القرآن الكريم بأنّها ﴿مُبَشِّرَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الرّوم: ٤٦. لأنّ الرّياح تتّصف بصفة الأمر الإلهيّ المطلوب منها.

وقد يبدّل الأرضَ الّتي هي مهد هدوء الإنسان واطمئنانه، إلى قبر له بزلزلة شديدة.

وقد يبدّل المطر الّذي هو أساس حياة كلّ الكائنات الحيّة، إلى سيول جارفة تُغرق كلّ شيء.

نعم، إنّه عزّوجلّ يجعل جنود الحياة جنود موت وفناء، وكم هو مؤلم الموت الّذي يأتي من عمق سبب الحياة وأساسها؟ خاصّة إذا كان الأمر كما في قوم هود: إذ فرحوا وسُرّوا في البداية، ثمّ جاءتهم البطشة ليكون العذاب أشدّ وألمّ.

والطّريف أنّه يقول: إنّ هذه الرّياح، هذه الأمواج الهوائيّة اللّطيفة، تُدمّر كلّ شيء بأمر الله. (١٦: ٢٦٦)

١٢- نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ. القمر: ٣٥

الطّبريّ: يقول: وكما أثبنا لوطًا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيّانا، كذلك نُثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا، من جميع خلقنا. (٢٧: ١٠٤)

نحوه القاسميّ (١٥: ٥٦٠٣)، والمراغيّ (٢٧: ٩٣).

القيسيّ: الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، تقديره: نجزي من شكر جزاءً كذلك، أي مثل ذلك. (٢: ٣٤٠)

القُشَيْريّ: أي جعلنا إنجاءهم في إهلاك أعدائهم، وهكذا نجزي من شكر، فمثل هذا نعامل به من شكر نعمتنا. (٦: ٦٦)

الفخر الرّازيّ: فيه وجهان:

أحدهما: ظاهر، وعليه أكثر المفسّرين، وهو أنّه من آمن كذلك نُنجّيه من عذاب الدّنيا ولانُهلكه، وعدًا لأُمّة محمّد ﷺ المؤمنين بأنّه يصونهم عن الإهلاكات العامّة، والسّيّئات المطبقة الشّاملة.

وثانيهما: وهو الأصحّ: أنّ ذلك وعدلهم، وجزاؤهم بالثّواب في دار الآخرة، كأنّه قال: كما نجّيناهم في الدّنيا، أي كما أنعمنا عليهم نُنعم عليهم يوم الحساب.

والّذي يؤيّد هذا أنّ النّجاة من الإهلاكات في الدّنيا ليس بلازم، ومن عذاب الله في الآخرة لازم بحكم الوعيد، وكذلك يُنجي الله الشّاكرين من عذاب النّار، ويذر الظّالمين فيه. [ثمّ استشهد بآيات] (٢٩: ٥٩)

نحوه النّيسابوريّ (٢٧: ٥٤)، والشّربينيّ (٤: ١٥١).

سيّد قُطْب: فننجّيه ونُنعم عليه في وسط المهالك والمخاوف. والآن وقد عرض القصّة من طرفيها: طرف التّكذيب، وطرف الأخذ الشّديد، فإنّه يعود لشيء من التّفصيل فيما وقع بين الطّرفين.

وهذه إحدى طرق العَرْض القرآنيّة للقصّة، حين يراد إبراز إيحاءات معيّنة من إيرادها في هذا النّسق. (٦: ٣٤٣٤)

ابن عاشور: وجملة ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ معترضة، وهي استئناف بيانيّ عن جملة ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ باعتبار مامعها من الحال، أي إنعامًا لأجل أنّه شكر، ففيه إيماء بأنّ إهلاك غيرهم لأنّهم كفروا، وهذا تعريض بإنذار المشركين وبشارة للمؤمنين. (٢٧: ١٩٥)

لَنَجْزِيَنَّ

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. النّحل: ٩٦

الطّبريّ: وليُثيبنّ الله الّذين صبروا على طاعتهم

إيّاه في السّرّاء والضّرّاء، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه، بأحسن ماكانوا يعملون من الأعمال دون أسوئها، وليغفرنّ الله لهم سيّئها بفضله. (١٤: ١٦٩)

أبوزُرْعة: قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر (وَلَنَجْزِيَنَّ) بالنّون، أخبر جلّ وعزّ عن نفسه، وحجّتهم إجماعهم على قوله في الآية بعدها: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وقرأ الباقون (وَلَيَجْزِيَنَّ) بالياء إخبارًا عن الله جلّ وعزّ، وحجّتهم ذكر الله قبله، وهو قوله: ﴿وَمَاعِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَيَجْزِيَنَّ﴾. فإذا عطفت الآية على مثلها، كان أحسن من أن تقطع ممّا قبلها. [ونحوه أكثر المفسّرين] (٣٩٣)

ابن كثير: قسم من الرّبّ تعالى مؤكّد باللّام، أنّه يجازي الصّابرين بأحسن أعمالهم، أي ويتجاوز عن سيّئها. (٤: ٢٢٣)

أبوالسّعود: بنون العظمة على طريقة الالتفات، تكرير الوعد المستفاد من ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ على نهج التّوكيد القسميّ، مبالغة في الحمل على الثّبات في الدّين والالتفات عمّا يقتضيه ظاهر الحال، من أن يقال: ولنجزينّكم أجركم بأحسن ماكنتم تعملون، للتّوسّل إلى التّعرّض لأعمالهم، والإشعار بعلّيّتها للجزاء، أي والله لنجزينّ... (٤: ٩٠)

وهناك مطالب راجع «ص ب ر».

لَنَجْزِيَنَّهُمْ

١ـ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ. النّحل: ٩٧

ابن عبّاس: ثوابهم في الآخرة. (٢٣٠)

مثله زيد بن عليّ. (٢٤٥)

الطّبريّ: وقوله: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ...) فذلك لاشكّ أنّه في الآخرة. (١٤: ١٧٢)

نحوه الفخرالرّازيّ. (٢٠: ١١٢)

الماوَرْديّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يجازي على أحسن الأعمال، وهي الطّاعة، دون المباح منها.

الثّاني: مضاعفة الجزاء، وهو الأحسن، كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ اَمْثَالِهَا﴾ الأنعام: ١٦٠. (٣: ٢١٢)

الطّوسيّ: ثمّ أخبر أنّه يجزيهم زيادةً على الحياة الطّيّبة (اَجْرَهُمْ) وثوابهم ﴿بِاَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقد فسّرناه.

وإنّما قال: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) بلفظ الجمع، لأنّ (مَن) يقع على الواحد والجميع، فردّ الكناية على المعنى. (٦: ٤٢٤)

نحوه الطّبْرِسيّ (٣: ٣٤٨)، وابن عطيّة (٣: ٤١٩).

المَيْبُديّ: يعني مضاعفة الجزاء في الآخرة، وقيل: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ دون أسوأها، ولنغفرنّ سيّئاتهم بفضلنا. (٥: ٤٤٥)

ابن عربيّ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُمْ﴾ من جنّات الأفعال والصّفات ﴿بِاَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إذ عملهم يناسب صفاتهم الّتي هي مبادئ أفعالهم، وأجرهم [يناسب عملهم، وأجرنا[1]] يناسب صفاتنا الّتي هي مصادر أفعالنا، فانْظُر، كم بينهما من التّفاوت في

(١) كذلك تصحّ العبارة.

الحسن. (١: ٦٩٠)

أبوحَيّان: يعني في الآخرة [ثمّ ذكر نحو الطُّوسيّ إلى أن قال:]

وينبغي أن يكون على تقدير قسم ثان لامعطوفًا على ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ﴾ فيكون من عطف جملة قسميّة على جملة قسميّة، وكلتاهما محذوفتان. ولايكون من عطف جواب على جواب لتغاير الإسناد، وإفضاء الثّاني إلى إخبار المتكلّم عن نفسه بإخبار الغائب، وذلك لايجوز. فعلى هذا لايجوز: زيد قلت والله لأضربنّ هندًا ولينفيّنها، يريد: ولينفيّنها زيد.

فإن جعلته على إضمار قسم ثان، جاز، أي «وقال زيد: لينفيّنها» لأنّ لك في هذا التّركيب أن تحكي لفظه وأن تحكي على المعنى، فمن الأوّل ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ التّوبة: ١٠٧، ومن الثّاني ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقَالُوا﴾ التّوبة: ٧٤، ولو جاء على اللّفظ لكان ماقلنا. (٥: ٥٣٤)

السّمين: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) راعى معنى (مَنْ) فجمع الضّمير بعد أن راعى لفظها، فأفرد في (لَنُحْيِيَنَّهُ) وماقبله.

وقرأ العامّة (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) بنون العظمة مراعاة لما قبله. وقرأ ابن عامر في رواية بياء الغيبة، وهذا ينبغي أن يكون على إضمار قسم ثانٍ، فيكون من عطف جملة قسميّة على قسميّة مثلها، حُذفتا وبقي جواباهما.

ولاجائز أن يكون من عطف جواب على جواب، لإفضائه إلى إخبار المتكلّم عن نفسه بإخبار الغائب، وهو لايجوز. (٤: ٣٥٨)

أبوالسُّعود: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) في الآخرة ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ...﴾ حسبما نفعل بالصّابرين، فليس فيه شائبة تكرار. والجمع في الضّمائر العائدة إلى الموصول، لمراعاة جانب المعنى، كما أنّ الإفراد فيما سلف لرعاية جانب اللّفظ. وإيثار ذلك على العكس لِما أنّ وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعيّة، ووقوع مافي حيّز الصّلة ومايترتّب عليه بطريق الافتراق والتّعاقب الملائم للإفراد. (٤: ٩١)

البُرُوسَويّ: أي ولنعطينّهم في الآخرة أجرهم الخاصّ بهم، بما كانوا يعملون من الصّالحات. وإنّما أُضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال حسنه، كما سبق في حقّ الصّابرين... (٥: ٧٨)

الآلوسيّ: [نحو أبي السُّعود وأضاف:]

وقيل، بناءً على كون ذلك في الآخرة: إنّ الجمع والإفراد لما تقدّم، وكذا إيثار ذلك على العكس فيما عدا ضمير (لَنُحْيِيَنَّهُ). وأمّا في ضميره فلما أنّ الإحياء حياة طيّبة، بمعنى ماسلمت ممّا تقدّم أمر واحد في الجميع، لايتفاوت فيه أهل الجنّة، فكأنّهم في ذلك شيء واحد، ولمّا لم يكن الجزاء كذلك، وكان أهل الجنّة فيه متفاوتين، جيء بضمير الجمع معه، فتأمّل كلّ ذلك. (١٤: ٢٢٨)

ابن عاشور: وقد عُقّب بوعد جزاء الآخرة بقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ...﴾ فاختصّ هذا بأجر الآخرة بالقرينة، بخلاف نظيره المتقدّم آنفًا، فإنّه عامّ في الجزائين. (١٣: ٢٢٠)

مَغْنيّة: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) عطف تفسير على قوله:

(فَلَنُحْيِيَنَّهُ) وتأكيد له، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ...﴾ النّحل: ١٠٥. (٤: ٥٥١)

مكارم الشّيرازيّ: وبملاحظه تعبير الآية عن الجزاء الإلهيّ، وفق أحسن الأعمال، ليُفهم من ذلك أنّ الحياة الطّيّبة ترتبط بعالم الدّنيا، بينما يرتبط الجزاء بالأحسن بعالم الآخرة. (٨: ٢٨٦)

٢ـ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.

العنكبوت: ٧

ابن عَطيّة: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) حذف مضاف تقديره: ثواب أحسن. (٤: ٣٠٧)

نحوه الثّعالبيّ (٢: ٥٢٨)، والسّمين (٥: ٣٦٠).

الطّبريّ: يقول: ولنُثيبنّهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم أحسن ماكانوا يعملون في حال شركهم، مع تكفيرنا سيّئات أعمالهم. (٢٠: ١٣١)

نحوه النّسَفيّ. (٣: ٢٥٠)

الثّعلبيّ: أي بأحسن أعمالهم، وهو الطّاعة. (٧: ٢٧١)

مثله البغويّ (٣: ٥٥٠)، والخازن (٥: ١٥٦).

الجُبّائيّ: معناه أحسن ماكانوا يعملون طاعاتهم لله، لأنّه لاشيء في مايعمله العباد أحسن من طاعتهم لله.

(الطّوسيّ ٨: ١٨٩)

الطّوسيّ: [ذكر قول الجُبّائيّ وأضاف:]

وقال قوم: معناه ولنجزينّهم بأحسن أعمالهم، وهو الّذي أمرناهم به، دون المباح الّذي لم نأمرهم به، ولانهيناهم عنه. (٨: ١٨٩)

القُشَيريّ: من رفع إلينا خُطْوة نال منّا حُظْوة، ومن ترك فينا شهوة وجد منّا صفوة، فنصيبهم من الخيرات موفور، وعملهم في الزّلّات مغفور، بذلك أجرينا سنّتنا، وهو متناول حكمنا وقضيّتنا. (٥: ٨٨)

الواحديّ: أي بأحسن أعمالهم، وهو الطّاعة، ولايجزيهم بمساوئ أعمالهم. (٣: ٤١٣)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٦: ٢٥٦)

الزّمَخْشَريّ: ...إمّا أن يريد قومًا مسلمين صالحين قد أساءوا في بعض أعمالهم، وسيّئاتهم مغمورة بحسناتهم، فهو يكفّرها عنهم، أي يُسقط عقابها بثواب الحسنات، ويُجزيهم أحسن الّذي كانوا يعملون، أي أحسن جزاء أعمالهم.

وإمّا قومًا مشركين آمنوا وعملوا الصّالحات، فالله عزّوجلّ يكفّر سيّئاتهم، بأن يُسقط عقاب ماتقدّم لهم من الكفر والمعاصي، ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام. (٣: ١٩٧)

نحوه ابن عاشور. (٢٠: ١٣٧)

الطّبْرِسيّ: أي يجزيهم بأحسن أعمالهم، وهو ماأُمروا به من العبادات والطّاعات. والمعنى لنكفّرنّ سيّئاتهم السّابقة منهم في حال الكفر، ولنجزينّهم بحسناتهم الّتي عملوها في الإسلام. (٤: ٢٧٤)

القُرطُبيّ: [نحو الطّبْرِسيّ وأضاف:]

ويحتمل أن تُكفَّر عنهم سيّئاتهم في الكُفر والإسلام، ويثابوا على حسناتهم في الكُفر والإسلام. (١٣: ٣٢٨)

الفَخْرالرّازيّ: قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لنجزينّهم بأحسن أعمالهم.

وثانيها: لنجزينّهم أحسن من أعمالهم.

وعلى الوجه الأوّل: معناه نقدّر أعمالهم أحسن ماتكون، ونجزيهم عليها، لا أنّه يختار منها أحسنها ويُجزى عليه ويُترك الباقي.

وعلى الوجه الثّاني: معناه قريب من معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام: ١٦٠، وقوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ النّمل: ٨٩. (٢٥: ٣٥)

البَيْضاويّ: أي أحسن جزاء أعمالهم. والجزاء الحسن: أن يجازى بحسنة حسنة، وأحسن الجزاء هو أن يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة. (٢: ٢٠٤)

مثله طنطاوي (١٤: ٩٥)، وطه الدُّرّة (١٠: ٦٠٨)، ونحوه المشهديّ (٧: ٥٠٥)، وشُبّر (٥: ٤٩).

النَّيسابوريّ:... ثمّ إنّه تعالى ذكر في مقابلة الإيمان، والعمل الصّالح أمرين: تكفير السّيّئات، والجزاء بالأحسن، فتكفير السّيّئات في مقابلة الإيمان، والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصّالح.

ومنه يُعلم أنّ الإيمان يقتضي عدم الخلود في النّار، لأنّ الّذي كُفّرت سيّئاته يدخل الجنّة لامحالة، فالجزاء الأحسن يكون غير الجنّة، وهو مالاعين رأت ولاأُذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر. ولايبعد أن يكون هو «الرّؤية» عند من يقول بها. (٢٠: ٧٨)

أبوحَيّان: أي أحسن جزاء أعمالهم. [ثمّ ذكر قول ابن عَطيّة وقال:]

وهذا التّقدير لايسوغ، لأنّه يقتضي أنّ أولئك يُجزَون ثواب أحسن أعمالهم. وأمّا ثواب حسنها فسكوت عنه، وهم يُجزَون ثواب الأحسن والحسن، إلّا أن أُخرجت (أَحْسَن) عن بابها من التّفضيل، فيكون بمعنى حسَن، فإنّه يسوغ ذلك.

وأمّا التّقدير الّذي قبله، فمعناه أنّه يجزيّ أحسن جزاء العمل، فعمله يقتضي أن تكون الحسنة بمثلها، فجُوزي أحسن جزائها، وهي أن جُعلت بعشر أمثالها.

وفي هذه الآيات تحريك وهزّ لمن تخلّف عن الهجرة، أن يبادر إلى استدراك مافرّط فيه منها، وثناء على المؤمنين الّذين بادروا إلى الهجرة، وتنويه بقدرهم. (٧: ١٤١)

ابن كثير: يجازي الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أحسن الجزاء، وهو أنّه يكفّر عنهم أسوأ الّذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات، ويُثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، ويجزي على السّيّئة بمثلها أو يعفو ويصفح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَايَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ النّساء: ٤٠، وقال هاهنا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾. (٥: ٣٠٨)

نحوه المَراغيّ. (٢٠: ١١٦)

الشِّربينيّ: أي أحسن جزاء ماعملوه وهو الصّالحات، و(أَحْسَن) نصب بنزع الخافض وهو «الباء». (٣: ١٢٦)

أبوالسُّعود: أي أحسن جزاء أعمالهم، لاجزاء أحسن أعمالهم فقط. (٥: ١٤٢)

نحوه الكاشانيّ (٤: ١١٢)، والبُرُوسَويّ (٦: ٤٤٨).

الشّوكانيّ: أي بأحسن جزاء أعمالهم، وقيل: بجزاء أحسن أعمالهم، والمراد بـ(أحْسَن) مجرّد الوصف لاالتّفضيل، لئلّا يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتًا عنه.

وقيل: يُعطيهم أكثر ممّا عملوا وأحسن منه، كما في قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام: ١٦٠. (٤: ٢٤١)

الآلوسيّ: [نحو البَيْضاويّ ثمّ قال:]

وقيل: لو قُدّر لنجزينّهم بأحسن أعمالهم أو جزاء أحسن أعمالهم لإخراج المباح، جاز. (٢٠: ١٣٨)

مَغْنِيّة: من آمن بعد ماكفر، وأصلح بعد ماأفسد، فإنّ الله يغفر له ويعفو عمّا مضى. وفوق ذلك يُثيبه تفضّلًا منه على إيمانه وإصلاحه تمامًا، كمن لاذنب له.

وفي هذا المبدأ الخير كلّ الخير للإنسانيّة، لأنّه يفتح باب الأمل للمذنبين والمجرمين، ويدفع بهم إلى التّوبة والإقلاع، ولاسبيل أجدى من هذا السّبيل، لتطهير المجتمع من المظالم والمفاسد. (٦: ٩٤)

الطّباطَبائيّ: وجزاؤهم بأحسن الّذي كانوا يعملون هو رفع درجتهم إلى مايناسب أحسن أعمالهم، أو عدم المناقشة في أعمالهم عند الحساب؛ إذا كانت فيها جهات رداءة وخسّة، فيعاملون في كلّ واحد من أعمالهم معاملة من أتى بأحسن عمل من نوعه. فتُحتسب صلاتهم أحسن الصّلاة وإن اشتملت على بعض جهات الرّداءة، وهكذا. (١٦: ١٠٣)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (١٢: ٣١١)

٣ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. فصّلت: ٢٧

ابن عبّاس: بأقبح ماكانوا يعملون في الدّنيا. (٤٠٢)

نحوه الثّعلبيّ (٨: ٢٩٣)، والشّوكانيّ (٤: ٦٤٤).

عذابًا شديدًا يوم بدر وأسوأ الّذي كانوا يعملون في الآخرة. (أبوالسّعود ٥: ٤٤٣)

الحسن: المراد أنّه لايجازيهم على محاسن أعمالهم. (الفخرالرّازيّ ٢٧: ١٢٠)

مُقاتِل: بأسوإ ماكانوا يعملون، وهو الشّرك. (الواحديّ ٤: ٣١)

نحوه البَغَويّ (٤: ١٣١)، والقُرطُبيّ (١٥: ٣٥٦)، والخازن (٦: ٩٢)، وطه الدُّرّة (١٢: ٦٨٤).

الطّبَريّ: يقول: ولنثيبنّهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم الّتي عملوها في الدّنيا. (٢٤: ١١٢)

الطُّوسيّ: قيل: معناه أسوأ الّذي كانوا يعملون من المعاصي، من جملة ماكانوا يعملون، دون غيرها ممّا لايستحقّ به العقاب.

وقال قوم: خُصّ بذلك الكبائر، زجرًا وتغليظًا بعينها، واقتصر في الصّغير على الجملة في الوعيد... (٩: ١٢٢)

القُشَيريّ: اليوم بإدامة الحرمان الّذي هو الفراق، وغدًا بالتّخليد في النّار الّتي هي الاحتراق. (٥: ٣٢٦)

الزّمَخْشَريّ: و﴿أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة، ذلك إشارة إلى الأسوإ، ويجب أن يكون

التّقدير: أسوأ جزاء الّذين كانوا يعملون، حتّى تستقيم هذه الإشارة. (٣: ٤٥٢)

ابن عَطيّة: والجزاء بأسوإ أعمالهم هو عذاب الآخرة. (٥: ١٣)

الطَّبْرِسيّ: أي نجازيهم بأقبح الجزاء على أقبح معاصيهم، وهو الكفر والشّرك وخصّ الأسوأ بالذّكر للمبالغة في الزّجر.

وقيل: معناه لنجزينّهم بأسوإ أعمالهم، وهي المعاصي دون غيرها، ممّا لايستحقّ به العذاب. (٥: ١١)

نحوه النّسَفيّ. (٤: ٩٣)

الفَخْرالرّازيّ: واختلفوا فيه، فقال الأكثرون: المراد جزاء سوء أعمالهم، وقال الحسن: بل المراد أنّه لايجازيهم على محاسن أعمالهم، لأنّهم أحبطوها بالكفر، فضاعت تلك الأعمال الحسنة عنهم، ولم يبق معهم إلّا الأعمال القبيحة الباطلة، فلاجرم لم يتحصّلوا إلّا على جزاء السّيّئات. (٢٧: ١٢٠)

نحوه المَراغيّ. (٢٤: ١٢٥)

ابن كثير: أي بشرّ أعمالهم وسيّء أفعالهم. (٦: ١٧٢)

الشّربينيّ: أي بأعمالهم (اَسْوَاَ) أي سوء العمل ﴿الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي مواظبين عليه. (٣: ٥١٥)

نحوه طنطاوي. (١٩: ٩٤)

أبوالسُّعود: أي جزاء سيّئات أعمالهم، الّتي هي في أنفسها أسوأ. (٥: ٤٤٣)

نحوه الآلوسيّ. (٢٤: ١١٩)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السُّعود ثمّ قال:]

فإذا كانت أعمالهم الّتي كان جزاؤها كذلك فالأسوأ قُصد به الزّيادة المطلقة، وإنّما أُضيف إلى ماعملوا للبيان والتّخصيص. (٨: ٢٥٢)

شُبّر: أقبح جزاء عملهم، وسمّي (أسوأ) للمقابلة. (٥: ٣٧٥)

ابن عاشور: ﴿اَسْوَاَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ منصوب على نزع الخافض، والتّقدير: على أسوإ ماكانوا يعملون. ولك أن تجعله منصوبًا على النّيابة عن المفعول المطلق، تقديره: جزاءً مماثلًا أسوأ الّذي كانوا يعملون. (٢٥: ٤٧)

مَغْنيّة: ينقسم عمل المجرمين إلى قسمين: سيّء وأسوأ، وكذلك الجزاء، لأنّ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزٰى اِلَّا مِثْلَهَا﴾ المؤمن: ٤٠، وإنّما ذكر سبحانه أسوأ أعمالهم، ليبيّن أنّ جزاءهم غدًا أسوأ الجزاء تمامًا كأعمالهم. (٦: ٤٨٨)

الطَّباطَبائيّ: قيل: المراد العمل السّيّء الّذي كانوا يعملون بتجريد «أفعَل» عن معنى التّفضيل.

وقيل: المراد بيان جزاء ماهو أسوأ أعمالهم، وسكت عن الباقي مبالغة في الزّجر. (١٧: ٣٨٨)

مكارم الشّيرازيّ: فهل هؤلاء عمل أسوأ من الكفر والشّرك وإنكار آيات الله، ومنع النّاس وصدّهم عن سماع كلام الحقّ؟ لكن لماذا أشارت الآية إلى (اَسْوَاَ) بالرّغم من أنّهم يرون جزاء كلّ أعمالهم؟

قد يكون هذا التّعبير للتّأكيد على موضوع الجزاء والتّهديد به وبيان حديثه، وفيه إشارة لمنعهم النّاس عن سماع كلام النّبيّ ﷺ.

كما أنّ ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ دليل على أنّه سيتمّ التّأكيد على الأعمال الّتي كانوا يقومون بها دائمًا، وبعبارة أُخرى أنّ مايعملونه لم يكن أمرًا مُؤقّتًا، بل كانت سنّتهم وسيرتهم الدّائمة. (١٥: ٣٦١)

٤ـ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا...

المؤمن: ٤٠

ابن عبّاس: النّار. (٣٩٦)

الطّبريّ: يقول: من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدّنيا، فلايجزيه الله في الآخرة إلّا سيّئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها. (٢٤: ٦٧)

الطّوسيّ: ومعناه أي من عمل معصية فليس يُجازي إلّا مقدار مايستحقّه عليها من العقاب، لاأكثر من ذلك. (٩: ٧٩)

نحوه الطّبرسيّ. (٤: ٥٢٤)

القُشَيريّ: في المقدار لافي الصّفة، لأنّ الأُولى سيّئة، والمكافأة من الله عليها حسنة وليست بسيّئة. (٥: ٣٠٧)

الواحديّ: في العِظَم، يعني النّار. (٤: ١٤)

الزّمخشريّ: لأنّ الزّيادة على مقدار جزاء السّيّئة قبيحة، لأنّها ظلم... (٣: ٤٢٨)

الفَخرالرّازيّ: يعني أنّ جزاء السّيّئة له حساب وتقدير، لئلّا يزيد على الاستحقاق. (٢٧: ٧٠)

نحوه الرّازيّ. (٣٦٠)

القُرطُبيّ: وهو العذاب. (١٥: ٣١٧)

البَيْضاويّ: عدلًا من الله، وفيه دليل على أنّ الجنايات تغرم بمثلها. (٢: ٣٣٧)

نحوه أبوالسّعود (٥: ٤٢٠)، والمشهديّ (٩: ١٢٨)، والآلوسيّ (٢٤: ٧٠)، وطه الدُّرّة (١٢: ٥٦٨).

الخازن: قيل: معناه من عمل بالشّرك فجزاؤه جهنّم خالدًا فيها، ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها. (٦: ٨٠)

ابن كثير: أي واحدة مثلها. (٦: ١٤٠)

الشّربينيّ: عدلًا منه، لايزاد عليها مقدار ذرّة، ولاأصغر منها. (٣: ٤٨٤)

البُرُوسَويّ: عدلًا من الله سبحانه، فخلود الكافر في النّار مثل لكفره ولو ساعةً، لأبديّة اعتقاده. وأمّا المؤمن الفاسق فعقابه منقطع؛ إذ ليس على عزم أن يبق مُصِرًّا على المعصية.

وفي الآية دليل على أنّ الجنايات سواء كانت في النّفوس أو الأعضاء أو الأموال تغرم بأمثالها، والزّائد على الأمثال غير مشروع. (٨: ١٨٦)

الشّوكانيّ: أي من عمل في دار الدّنيا معصية من المعاصي كائنة ماكانت، فلايُجزَى إلّا مثلها، ولايُعذّب إلّا بقدرها. والظّاهر شمول الآية لكلّ مايُطلق عليه اسم السّيّئة.

وقيل: هي خاصّة بالشّرك، ولاوجه لذلك. (٤: ٩١٨)

مَغْنيّة: الله عادل وكريم، ويتجلّى عدله في عقوبة المسيء، فإنّها عند الله تساوي سيّئته جزاءً وفاقًا. وقد تنقص العقوبة رأفةً منه تعالى ورحمةً... (٦: ٤٥٣)

الطّباطبائيّ: أي أنّ الّذي يصيبه ويعيش به في

الآخرة يشاكل كلّ ماأتى به في هذه الحياة الدّنيا الّتي هي متاع فيها، فإنّما الدّنيا دار عمل والآخرة دار جزاء.

من عمل في الدّنيا سيّئة ذات صفة المساءة فلايُجزى في الآخرة إلّا مثلها ممّا يسوؤه... (١٧: ٣٣٢)

فضل الله: فذلك هو الجزاء العادل الّذي يضع العقوبة في حجم الجريمة. (٢٠: ٤٦)

يُجْزَ

لَيْسَ بِاَمَانِيِّكُمْ وَلَاۤ اَمَانِيِّ اَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوۤءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَانَصِيرًا. النّساء: ١٢٣

ابن عبّاس: ﴿يُجْزَ بِهِ﴾ المؤمن في الدّنيا أو بعد الموت قبل دخول الجنّة، والكافر في الآخرة قبل دخول النّار، أو بعد دخول النّار. (٨١)

لمّا نزلت هذه الآية شقّت على المسلمين مشقّة شديدة، وقالوا: يارسول الله وأيّنا لم يعمل سوءً غيرك، وكيف الجزاء؟

فقال: «منه مايكون في الدّنيا، فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات، ومن يجازي بالسّيّئة نقصت واحدة من عشرة، وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلب إحداه عشراه».

وأمّا ماكان جزاؤه في الآخرة، فإنّه يؤخّر إلى يوم القيامة، فيُقابل بين حسناته وسيّئاته، ويُنظَر في الفضل فيُعطى الجزاء في الجنّة، فيُعطى كلّ ذي عمل فضله. (الثّعلبيّ ٣: ٣٩٠)

عائشة: (عن أبي المهلّب، قال: دخلت على عائشة كي أسألها عن هذه الآية ﴿لَيْسَ بِاَمَانِيِّكُمْ...﴾ قالت:) ذاك مايصيبكم في الدّنيا. (الطّبريّ ٥: ٢٩٢)

الضّحّاك: يعني بذلك اليهود والنّصارى والمجوس وكفّار العرب، ولايجدون لهم من دون الله وليًّا ولانصيرًا. (الطّبريّ ٥: ٢٩٣)

الحسن: إنّه كان يقول: (مَنْ يَعْمَلْ...) يعني بذلك الكفّار، لايعني بذلك أهل الصّلاة.

والله ماجازى الله عبدًا بالخير والشّرّ إلّا عذّبه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اَسَاۤؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى﴾ النّجم: ٣١، أما والله لقد كانت لهم ذنوب، ولكنّه غفرها لهم، ولم يجازهم بها، إنّ الله لايُجازي عبده المؤمن بذنب، إذا توبقه ذنوبه. (الطّبريّ ٥: ٢٩٢)

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوۤءًا يُجْزَ بِهِ﴾ إنّما ذلك لمن أراد الله هوانه، فأمّا من أراد كرامته، فإنّه من أهل الجنّة، وَعْدَ الصّدق الّذي كانوا يوعدون. (الطّبريّ ٥: ٢٩٣)

أُبيّ بن كَعْب: (عن الرّبيع بن زياد، قال: قلت لأُبيّ بن كَعْب، قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ...﴾ والله إن كان كلّ ماعملنا جُزينا به هلكنا؟ قال:) والله إن كنت لأراك أفقه ممّا أرى، لايُصيب رجلًا خدشٌ ولاعَثْرة إلّا بذنب، ومايعفو الله عنه أكثر، حتّى اللّدغة والنّفحة. (الطّبريّ ٥: ٢٩٢)

ابن زَيْد: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوۤءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وعد الله المؤمنين أن يكفّر عنهم سيّئاتهم، ولم يَعِدْ أُولئك، يعني المشركين. (الطّبريّ ٥: ٢٩٣)

الطّبريّ: [ذكر الأقوال ثمّ قال:]

وأولى التّأويلات الّتي ذكرناها بتأويل الآية،

التّأويل الّذي ذكرناه عن أُبيّ بن كَعْب وعائشة، وهو أنّ كلّ من عمل سوءً، صغيرًا أو كبيرًا، من مؤمن أو كافر، جُوزي به.

وإنّما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لعموم الآية كلّ عامل سوء من غير أن يُخصّ أو يُستثنى منهم أحد، فهي على عمومها إذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها، ولاقامت حجة بذلك من خبر عن الرّسول ﷺ.

فإن قال قائل: وأين ذلك من قول الله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ النّساء: ٣١، وكيف يجوز أن يجازى على ماقد وعَدَ تكفيره؟

قيل: إنّه لم يَعِد بقوله: ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ترك المجازاة عليها، وإنّما وعد التّكفير بترك الفضيحة منه لأهلها في معادهم، كما فضح أهل الشّرك والنّفاق. فأمّا إذا جازاهم في الدّنيا عليها بالمصائب، ليكفّرها عنهم بها، ليوافوه ولاذنب لهم يستحقّون المجازاة عليه، فإنّما وفّى لهم بما وعدهم، بقوله: ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وأنجز لهم ماضمن لهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ النّساء: ٥٧. (٥: ٢٩٣)

الزّجّاج: أي لاينفعه تمنّيه. (٢: ١١٢)

الطّوسيّ: [ذكر قول ابن زَيْد والضّحّاك وأضاف:]

وهو الّذي يليق بمذهبنا، لأنّا نقطع على أنّ الكفّار لايغفر لهم على حال، والمسلمون يجوز أن يغفر لهم مايستحقّونه من العقاب، فلايمكننا القطع على أنّه لابدّ أن يجازي بكلّ سوء. (٣: ٣٢٧)

الواحديّ: [ذكر قول الحسن وأضاف:]

وقال آخرون: هذا عامّ في كلّ من عمل سوءً من مسلم وكافر، ولكنّ المؤمن يُجزَى به في الدّنيا. (٢: ١١٩)

الطَّبْرِسيّ: [نحو الطّوسيّ ثمّ قال:]

ومن استدلّ بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصي، فإنّا نقول له: إنّ من ذهب إلى أنّ العموم لاينفرد في اللّغة بصيغة مختصّة به لايُسلّم أنّها تستغرق جميع من فعل السّوء، بل يجوز أن يكون المراد بها بعضهم، على ماذكره أهل التّأويل كابن عبّاس وغيره.

على أنّهم قد اتّفقوا على أنّ الآية مخصوصة، فإنّ التّائب ومن كانت معصيته صغيرة لايتناوله العموم، فإذا جاز لهم أن يخصّصوا العموم في الآية بالفريقين، جاز لنا أن نخصّها بمن يتفضّل الله عليه بالعفو. وهذا بيّن، والحمد لله. (٢: ١١٥)

الفَخْرالرّازيّ: دلّت الآية على أنّ الكفّار مخاطبون بفروع الشّرائع، لأنّ قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ يتناول جميع المحرّمات، فدخل فيه ماصدر عن الكفّار ممّا هو محرّم في دين الإسلام، ثمّ قوله: (يُجْزَ بِهِ) يدلّ على وصول جزاء كلّ ذلك إليهم.

فإن قيل: لِمَ لايجوز أن يكون ذلك الجزاء عبارة عمّا يصل إليهم من الهموم والغموم في الدّنيا؟

قلنا: إنّه لابدّ وأن يصل جزاء أعمالهم الحسنة إليهم في الدّنيا، إذ لاسبيل إلى إيصال ذلك الجزاء إليهم في الآخرة. وإذا كان كذلك فهذا يقتضي أن يكون تنعّمهم في الدّنيا أكثر ولذّاتهم هاهنا أكمل. ولذلك قال عليه

الصّلاة والسّلام: «الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر».

وإذا كان كذلك امتنع أن يقال: إنّ جزاء أفعالهم المحظورة تصل إليهم في الدّنيا، فوجب القول بوصول ذلك الجزاء إليهم في الآخرة.

قالت المعتزلة: دلّت الآية على أنّ العبد فاعل، ودلّت أيضًا على أنّه بعمل سوء يستحقّ الجزاء، وإذا دلّت الآية على مجموع هذين الأمرين فقد دلّت على أنّ الله غير خالق لأفعال العباد، وذلك من وجهين:

أحدهما: أنّه لمّا كان عملًا للعبد امتنع كونه عملًا لله تعالى، لاستحالة حصول مقدور واحد بقادرين.

والثّاني: أنّه لو حصل بخلق الله تعالى لما استحقّ العبد عليه جزاءً ألبتّة وذلك باطل، لأنّ الآية دالّة على أنّ العبد يستحقّ الجزاء على عمله. (١١: ٥٤)

الطّباطبائيّ: ...مطلق يشمل الجزاء الدّنيويّ الّذي تُقرّره الشّريعة الإسلاميّة كالقصاص للجاني، والقطع للسّارق والجلد أو الرّجم للزّاني، إلى غير ذلك من أحكام السّياسات وغيرها، ويشمل الجزاء الأُخرويّ الّذي أوعده الله تعالى في كتابه وبلسان نبيّه.

وهذا التّعميم هو المناسب لمورد الآيات الكريمة والمنطبق عليه، وقد ورد في سبب النّزول أنّ الآيات نزلت في سرقة ارتكبها بعض، ورمى بها يهوديًّا أو مسلمًا، ثمّ ألحّوا على النّبيّ ﷺ أن يقضي على المتّهم. (٥: ٨٧)

يُجْزيهُ ـ الجَزاء

ثُمَّ يُجْزيهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى. النّجم: ٤١

الطّبريّ: ثمّ يُثاب بسعيه ذلك الثّواب الأوفى. (٢٧: ٧٤)

القَيْسيّ: «الهاء» تعود على السّعي، أي يُجزى به و(الجَزاء) نُصب على المصدر. (٢: ٣٣٣)

الطّوسيّ: أي يجازى على أعماله الطّاعات بأوفى مايستحقّه من الثّواب الدّائم. [ثمّ قال نحو القَيْسيّ] (٩: ٤٣٦)

القُشَيْريّ: هو الجزاء الأكبر والأجلّ، جزاءٌ غير مقطوع ولاممنوع. (٦: ٥٧)

الواحديّ: يُجزَى الإنسان سعيه، يقال: «جزيت فلانًا سعيه» يتعدّى إلى مفعولين. (٤: ٢٠٤)

الزّمَخْشَريّ: ثمّ يُجزَى العبد سعيه، يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، بحذف الجارّ وإيصال الفعل، ويجوز أن يكون الضّمير للجزاء. (٤: ٣٣)

نحوه الفَخْرالرّازيّ (٢٩: ١٦)، والنّسَفيّ (٤: ١٩٩)، والبُرُوسَويّ (٩: ٢٥٣)، والآلوسيّ (٢٧: ٦٧).

ابن عَطيّة: وعيدٌ للكافرين ووعدٌ للمؤمنين. (٥: ٢٠٧)

الطّبْرِسيّ: [نحو الطّوسيّ ثمّ قال:]

والمعنى أنّه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثمّ يُجزَى سعيه أوفى الجزاء. (٥: ١٨٠)

البَيْضاويّ: أي يُجزَى العبد سعيه بالجزاء الأوفر، فنُصب بنزع الخافض. ويجوز أن يكون مصدرًا، وأن تكون «الهاء» للجزاء المدلول عليه. بـ(يُجزَى)، والجزاء بدله. (٢: ٤٣٣)

يُجْزَوْنَ

١ـ... إِنَّ الَّذينَ يَكْسِبُونَ الْاِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِما كانُوا

يَقْتَرِفُونَ. الأنعام: ١٢٠

ابن عبّاس: الجَلْد في الدّنيا، والعقوبة في الآخرة. (١١٨)

الطّبَريّ: يقول: سيثيبهم الله يوم القيامة، بما كانوا في الدّنيا يعملون من معاصيه. (٨: ١٥)

الفَخْرالرّازيّ: وظاهر النّصّ يدلّ على أنّه لابدّ وأن يُعاقَبَ المذنب، إلّا أنّ المسلمين أجمعوا على أنّه إذا تاب لم يُعاقَب. وأصحابنا زادوا شرطًا ثانيًا، وهو أنّه تعالى قد يعفو عن المذنب فيترك عقابه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَايَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النّساء: ٤٨. (١٣: ١٦٨)

أبوحَيّان: أي يكسبون الإثم في الدّنيا سيجزون في الآخرة. وهذا وعيد وتهديد للعُصاة. (٤: ٢١٢)

الآلوسيّ: أي يكسبون من الإثم كائنًا ماكان، فلابدّ من اجتناب ذلك، والجملة تعليل للأمر. (٨: ١٥)

الطّباطَبائيّ: تعليل للنّهي وإنذار بالجزاء السّيّء. (٧: ٣٣٢)

طَـهٰ الدُّرّة: سيُعاقبون عقابًا شديدًا بسبب اكتسابهم الذّنوب والمعاصي والسّيّئات. هذا و«يجزون» من «الجزاء» و«المجازاة» وهي المكافأة على عمل مّا، تكون في الخير، وتكون في الشّرّ. (٤: ٢٥٥)

مكارم الشّيرازيّ: أي ينالون الجزاء في المستقبل القريب. قد يشير إلى يوم القيامة، وأنّه إن بدا في نظر بعضهم بعيدًا، فهو في الحقيقة قريب جدًّا، وأنّ هذا العالم سرعان ماتنطوي أيّامه ويصل المَعاد.

أو قد يكون إشارة إلى أنّ أغلب أفراد البشر ينالون في هذه الدّنيا بعض مايستحقّونه من نتائج أعمالهم السّيّئة، بشكل ردود فعل فرديّة واجتماعيّة. (٤: ٤١٤)

٢ـ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ. الأعراف: ١٤٧

ابن عبّاس: مايُجزَون في الآخرة... (١٣٨)

الطّبَريّ: هل ينالون إلّا ثواب ماكانوا يعملون، فصار ثواب أعمالهم الخلود في نار أحاط بهم سُرادقُها، إذ كانت أعمالهم في طاعة الشّيطان دون طاعة الرّحمان، نعوذ بالله من غضبه... (٩: ٦١)

الطُّوسيّ: أي به، وصورته صورة الاستفهام، والمراد به: الإنكار والتّوبيخ، والمعنى ليس يُجزَون إلّا ماكانوا يعملون، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا. (٤: ٥٧٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٢: ٤٧٩)، وابن كثير (٣: ٢٢٢).

الواحديّ: هذا استفهام تقرير، يعني أنّهم لايُجزَون إلّا بما يستحقّون من العقاب. (٢: ٤١٠)

نحوه ابن عَطيّة (٢: ٤٥٤)، وطه الدُّرّة (٥: ٨١).

الفَخْرالرّازيّ: [نحو الواحديّ ثمّ قال:]

واحتجّ أصحابنا بهذه الآية على فساد قول أبي هاشم، في أنّ تارك الواجب يستحقّ العقاب، بمجرّد أن لايفعل الواجب، وإن لم يصدر منه فعل ضدّ ذلك الواجب. قالوا: هذه الآية تدلّ على أنّه لاجزاء إلّا على عمل، وليس ترك الواجب بعمل، فوجب أن لايُجازى عليه، فثبت أنّ «الجزاء» إنّما حصل على فعل ضدّه وأجاب أبوهاشم بأنّي لا أُسمّي ذلك العقاب جزاء،

فسقط الاستدلال.

وأجاب أصحابنا عن هذا الجواب: بأنّ «الجزاء» إنّما سُمّي جزاء، لأنّه يُجزي ويكفي في المنع من النّهي، وفي الحثّ على المأمور به. فإن ترتّب العقاب على مجرّد ترك الواجب، كان ذلك العقاب كافيًا في الزّجر عن ذلك التّرك، فكان جزاء، فثبت أنّه لاسبيل إلى الامتناع من تسميته جزاءً، والله أعلم. (١٥: ٤)

نحوه النّيسابوريّ. (٩: ٤٩)

أبوحَيّان: [ذكر قول ابن عَطيّة ثمّ قال:]

والظّاهر أنّه استفهام بمعنى النّفي، ولذلك دخلت (إلّا)، والاستفهام الّذي هو بمعنى التّقرير هو موجب من حيث المعنى، فيبعد دخول (إلّا) ولعلّه لايجوز. (٤: ٣٩١)

السّمين: [نحو أبي حيّان، ثمّ نقل قول الواحديّ وأضاف:]

قلت: لأنّ نفس ماكانوا يعملونه لايُجزَونه، إنّما يُجزَوْن بمقابله، وهو واضح. (٣: ٣٤٣)

المَراغيّ: (لايُجْزَوْنَ) إلّا جزاء مااستمرّوا على عمله من الكفر والمعاصي، فأثّر في نفوسهم وأرواحهم حتّى دسّاها وأفسدها. فقد مضت سُننه تعالى بجعل الجزاء في الآخرة أثرًا للعمل مرتّبًا عليه كترتيب المُسبّب على السّبب، ولايظلم ربّك أحدًا في جزائه مثقال ذرّة. (٩: ٦٧)

الطّباطَبائيّ: معنى الآية ظاهر ويتحصّل منها:

أوّلًا: أنّ الجزاء هو نفس العمل وقد تقدّم توضيحه كرارًا في أبحاثنا السّابقة.

وثانيًا: أنّ الحَبْط من الجزاء، فإنّ الجزاء بالعمل، وإذا كان العمل حابطًا فإحباطه هو الجزاء، والحَبْط إنّما يتعلّق بالأعمال الّتي فيها جهة حسن، فتكون نتيجة إحباط الحسنات ممّن له حسنات وسيّئات أن يُجزَى بسيّئاته جزاءً سيّئًا ويُجزَى بحسناته بإحباطها، فيتمحّض له الجزاء السّيّء.

ويمكن أن تُنزّل الآية على معنى آخر، وهو أن يكون المراد بالجزاء: الجزاء الحسَن، وقوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كناية عن أنّهم لايُثابون بشيء؛ إذ لاعمل من الأعمال الصّالحة عندهم لمكان الحَبْط. قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا اِلٰى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان: ٢٣، والدّليل على كون المراد بالجزاء هو الثّواب أنّ هذا الجزاء هو جزاء الأعمال المذكورة في الآية قبلًا، والمراد بها بقرينة ذكر الحَبْط هي الأعمال الصّالحة.

ومن هنا يظهر فساد مااستدلّ بعضهم بالآية، على أنّ تارك الواجب من غير أن يشتغل بضدّه لاعقاب له، لأنّه لم يعمل عملًا حتّى يعاقب عليه، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

وجه الفساد أنّ المراد بالجزاء في الآية الثّواب، والمعنى أنّهم لاثواب لهم في الآخرة، لأنّهم لم يأتوا بحسنة ولم يعملوا عملًا يُثابون عليه.

على أنّ ثبوت العقاب على مجرّد ترك الأوامر الإلهيّة مع الغضّ عمّا يشتغل به من الأعمال المضادّة كالضّروريّ من كلامه تعالى، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَاِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ الجنّ: ٢٣، إلى غير ذلك من الآيات. (٨: ٢٤٧)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ هذه الآية نموذج آخر من الآيات القرآنيّة الدّالّة على تجسّم الأعمال وحضور أعمال الإنسان خيرها وشرّها يوم القيامة. (٥: ٢٠٢)

٣ـ...وَجَعَلْنَا الْاَغْلَالَ فِي اَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ. سبأ: ٣٣

الطّوسيّ: أي يجزون على قدر استحقاقهم لايجازفون. فلفظه لفظ الاستفهام، والمراد به: النّفي، فكأنّه قال: لايجزون إلّا على قدر أعمالهم الّتي عملوها. (٨: ٣٩٩)

أبوالسّعود: أي لايجزون إلّا جزاء ماكانوا يعملون، أو إلّا بما كانوا يعملونه على نزع الجارّ. (٥: ٢٦٢)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السّعود وأضاف:]

فلمّا قيّدوا أنفسهم في الدّنيا ومنعوها عن الإيمان بتسويلات الشّيطان الجنّيّ والإنسيّ، جُوزوا في الآخرة بالقيد... (٧: ٢٩٨)

الآلوسيّ: أي لايجزون إلّا مثل الّذي كانوا يعملونه من الشّرّ. وحاصله لايجزون إلّا شرًّا.

و«جزى» قد يتعدّى إلى مفعولين بنفسه، كما يشير إليه قول الرّاغب، يقال: جزيته كذا وبكذا. وجوّز كون (ما) محلّ النّصب بنزع الخافض، وهو إمّا «الباء» أو «عن» أو «على» فإنّه ورد تعدية «جزى» بها جميعًا.

وقيل: إنّ هذا التّعدّي لتضمينه معنى «القضاء». ومتى صحّ ماسمعت عن الرّاغب، لم يحتج إلى هذا. (٢٢: ١٤٦)

٤ـ وَلِلّٰهِ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي اَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ. الأعراف: ١٨٠

لاحظ «و ذ ر»

تُجْزٰى

١ـ اِنَّ السَّاعَةَ اٰتِيَةٌ اَكَادُ اُخْفِيهَا لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعٰى. طٰه: ١٥

لاحظ «س ع ي»

٢ـ وَخَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ. الجاثية: ٢٢

الطّبَريّ: وليثيب الله كلّ عامل بما عمل من عمل خلق السّماوات والأرض: المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لايبخس المحسن ثواب إحسانه، ويحمل عليه جُرْم غيره، فيعاقبه، أو يجعل للمسيء ثواب إحسان غيره، فيكرمه، ولكن لنجزي كلًّا بما كسبت يداه، وهم لايُظلمون جزاء أعمالهم. (٢٥: ١٥٠)

نحوه الطّوسيّ (٩: ٢٥٩)، والطّبْرِسيّ (٥: ٧٨).

الواحديّ: خلق السّماوات والأرض للحقّ والجزاء، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كيلا يظنّ الكافر أنّه لايُجزى بكفره، وأنّه يستوي مع المؤمن. (٤: ٩٨)

نحوه ابن الجوزيّ. (٧: ٣٦١)

الزّمَخْشَريّ: (وَلِتُجْزٰى) معطوف على (بِالْحَقِّ) لأنّ فيه معنى التّعليل، أو على معلّل محذوف، تقديره: خلق الله السّماوات والأرض، ليدلّ بها على قدرته، ولتُجزى كلّ نفس، أي هو مطواع لهوى النّفس، يتّبع ماتدعوه إليه، فكأنّه يعبد كما يعبد الرّجل

إلهه. (٣: ٥١٢)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٣٨٢)، وأبوالسُّعود (٦: ٦١).

ابن عَطيّة: واللّام في قوله: (لِتُجْزٰى) يظهر أن تكون لام «كَيْ»، فكأنّ الجزاء من أسباب خلق السّماوات. ويحتمل أن تكون لام الصّيرورة، أي صار الأمر فيها من حيث اهتدى بها قوم وضلّ عنها آخرون، لأن يُجازى كلّ أحد بعلمه، وبما اكتسب من خير أو شرّ. (٥: ٨٦)

الفَخْرالرّازيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ ثمّ قال:]

والمعنى أنّ المقصود من خلق هذا العالم إظهار العدل والرّحمة، وذلك لايتمّ إلّا إذا حصل البعث والقيامة، وحصل التّفاوت في الدّرجات والدّركات بين المحقّين وبين المبطلين... (٢٧: ٢٦٨)

نحوه الخازن. (٦: ١٢٨)

النَّيسابوريّ: [نقل كلام الزّمَخْشَريّ ثمّ قال:]

والحاصل أنّ الغاية من خلق السّماء والأرض، كان هو الإنسان الكامل، فكيف يترك الله جزاءه وجزاء من هو ضدّه والتّمييز بينهما بموجب العدالة. (٢٥: ٧٨)

البُرُوسَويّ: عطف على (بِالْحَقِّ) لأنّ فيه معنى التّعليل، لأنّ «الباء» للسّببيّة، وبيانه أنّ الحكمة في خلق العالم هو الجزاء؛ إذ لو لم يكن الجزاء ـ كما يقول الكافرون ـ لاستوى المطيع والعاصي، فالجزاء مترتّب على الطّاعة والعصيان، وهما موقوفان على وجود العالم؛ إذ التّكليف لايحصل إلّا في هذه الدّار. (٨: ٤٤٧)

الآلوسيّ: ﴿وَلِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عطف على (بِالْحَقِّ) لأنّه في معنى العلّة، سواء كانت «الباء» للسّببيّة الغائيّة، أو الملابسة. أمّا على الأوّل فظاهر، وأمّا على الثّاني، فلأنّ المعنى خلقها ملتبسة ومقرونة بالحكمة، والصّواب دون العبث والباطل، وحاصله خلقها لأجل ذلك.

أو عطف على علّة محذوفة مثله: ليدلّ سبحانه بها على قدرته أو ليعدل، و(ما) موصولة أو مصدريّة، أي لِيُجزى كلّ نفس بالّذي كسبته أو بكسبها. (٢٥: ١٥١)

الطَّباطَبائيّ: (وَلِتُجْزٰى) عطف على (بِالْحَقِّ)، (والباء) في قوله: (بِمَا كَسَبَتْ) للتّعدية أو للمقابلة، أي لتُجزى مقابل ماكسبت، إن كان طاعة فالثّواب، وإن كان معصية فالعقاب، ﴿وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ حال من كلّ نفس، أي ولتُجزى كلّ نفس بما كسبت بالعدل.

فيؤول معنى الآية إلى مثل قولنا: وخلق الله السّماوات والأرض بالحقّ وبالعدل، فكون الخلق بالحقّ يقتضي أن يكون وراء هذا العالم عالم آخر يُخلّد فيه الموجودات، وكون الخلق بالعدل يقتضي أن تُجزى كلّ نفس ماتستحقّه بكسبها، فالمحسن يُجزى جزاءً حسنًا والمسيء يُجزى جزاءً سيّئًا، وإذ ليس ذلك في هذه النّشأة ففي نشأة أُخرى.

وبهذا البيان يظهر أنّ الآية تتضمّن حجّتين على المعاد.

إحداهما: ماأُشير إليه بقوله: ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، ويُسلك من طريق الحقّ.

والثّانية: ماأُشير إليه بقوله: ﴿وَلِتُجْزٰى...﴾ ويُسلك من طريق العدل.

فتؤول الحجّتان إلى مايشتمل عليه قوله:

﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ص: ٢٧، ٢٨.

والآية بما فيها من الحجّة تُبطل حسبانهم أنّ المسيء كالمحسن في الممات، فإنّ حديث الجازاة بالثّواب والعقاب على الطّاعة والمعصية يوم القيامة ينفي تساوي المطيع والعاصي في الممات، ولازم ذلك إبطال حسبانهم أنّ المسيء كالمحسن في الحياة، فإنّ ثبوت المجازاة يومئذ يقتضي وجوب الطّاعة في الدّنيا، والمحسن على بصيرة من الأمر في حياته، يأتي بواجب العمل ويتزوّد من يومه لغده، بخلاف المسيء العائش في عمًى وضلالٍ، فليسا بتساويين. (١٨: ١٧١)

٣ـ ﴿وَمَالِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ الّيل: ١٩، ٢٠

قَتادَة: يقول: ليس به مثابة النّاس ولامجازاتهم، إنّما عطيّته لله. (الطّبَريّ ٣٠: ٢٢٨)

الفَرّاء: يقول: لم يُنفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربّه، فـ(إلّا) في هذا الموضع بمعنى (لٰكِنْ).

وقد يجوز أن تجعل الفعل في المكافأة مستقبلًا، فتقول: ولم يُرِد ممّا أنفق مكافأةً من أحد. ويكون موقع «اللّام» الّتي في (أحَد) في «الهاء» الّتي خفضتها عنده، فكأنّك قلت: وماله عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها.

وكلا الوجهين حسَن. [و] ماأدري أيّ الوجهين أحسَن؟

وقد تضع العرب الحرفَ في غير موضعه، إذا كان المعنى معروفًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ونُصب «الابتغاء» من جهتين:

من أن تجعل فيها نيّة إنفاقه، مايُنفق إلّا ابتغاء وجه ربّه.

والآخر على اختلاف ماقبل (إلّا) ومابعدها؛ والعرب تقول: ما في الدّار أحد إلّا أكلبًا وأحمرةً، وهي لغة لأهل الحجاز، ويُتبعون آخر الكلام أوّله، فيرفعون في الرّفع. [ثمّ استشهد بشعر]

ولو رفع ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ رافعٌ لم يكن خطأً، لأنّك لو ألقيت (مِنْ) من النّعمة لقُلتَ: ماالأحد عنده نعمةٌ تُجزى إلّا ابتغاء، فيكون الرّفع على اتّباع المعنى، كما تقول: ماأتاني من أحدٍ إلّا أبوك. (٣: ٢٧٢)

نحوه الطّبَريّ. (٣٠: ٢٢٧)

الزّجّاج: أي لم يفعل ذلك مجازاة ليدٍ أُسديتْ إليه. (٥: ٣٣٦)

نحوه الواحديّ. (٤: ٥٠٥)

الطُّوسيّ: معناه ليس ذلك ليدٍ سلفت تكافئ عليها ولاليدٍ يتّخذها عند أحد من العباد. (١٠: ٣٦٦)

نحوه القُشَيْريّ (٦: ٣٠٦)، والطَّبْرِسيّ (٥: ٥٠٣)، والخازن (٧: ٢١٤).

النَّسَفيّ: أي ومالأحد عند الله نعمة يجازيه بها، إلّا أن يفعل فعلًا يبتغي به وجه ربّه، فيُجازيه عليه. (٤: ٣٦٣)

السّمين: (تُجزى) صفة لـ(نعمة) أي تجزي الإنسان، وإنّما جيء به مضارعٌ مبنيًّا للمفعول، لأجل الفواصل، إذ الأصل تجزيها إيّاه أو تجزيه إيّاها.
(٦: ٥٣٦)

أبوالسُّعود: استئناف مقرّر لكون إيتائه للتّزكّي، خالصًا لوجه الله تعالى، أي ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تُجزى وتُكافأ، فيقصد بإيتاء مايُؤتي مجازاتها.
(٦: ٤٣٧)

نحوه البُرُوسَويّ.
(١٠: ٤٥٠)

البَحرانيّ: فهو رسول الله ﷺ الّذي ليس لأحد عنده من نعمة تُجزى، ونعمته جارية على جميع الخلق.
(١٠: ٦٠٣)

الآلوسيّ: [نحو أبي السُّعود ثمّ قال:]

ويُعلم ممّا ذكر أنّ بناء (تُجزى) للمفعول، لأنّ القصد ليس لفاعل معيّن. وقيل: إنّ ذلك لكونه فاصلة، وأصله يجزيه إيّاها أو يجزيها إيّاه.
(٣٠: ١٥٢)

الطَّباطَبائيّ: تقرير لمضمون الآية السّابقة، أي ليس لأحد عنده من نعمة تُجزى تلك النّعمة بما يؤتيه من المال وتُكافأ، وإنّما يؤتيه لوجه الله. ويؤيّد هذا المعنى تعقيبه بقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾.

فالتّقدير: من نعمة تُجزى به، وإنّما حذف الظّرف رعاية للفواصل، ويندفع بذلك ماقيل: إنّ بناء (تُجزى) للمفعول، لأنّ القصد ليس لفاعل معيّن.
(٢٠: ٣٠٧)

تُجْزَوْنَ

١ـ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ. يونس: ٥٢

الفَخْرالرّازيّ: ففيه ثلاث مسائل:

المسألة الأُولى: أنّه تعالى أينما ذكر العقاب والعذاب ذكر هذه العلّة. كأنّ سائلًا يسأل ويقول: ياربّ العزّة أنت الغنيّ عن الكلّ فكيف يليق برحمتك هذا التّشديد والوعيد؟ فهو تعالى يقول: «أنا ماعاملته بهذه المعاملة ابتداء، بل هذا وصل إليه جزاءً على عمله الباطل» وذلك يدلّ على أنّ جانب الرّحمة راجح غالب، وجانب العذاب مرجوح مغلوب.

المسألة الثّانية: ظاهر الآية يدلّ على أنّ «الجزاء» يوجب العمل. أمّا عند الفلاسفة فهو أثر العمل، لأنّ العمل الصّالح يوجب تنوير القلب وإشراقه إيجاب العلّة معلولها. وأمّا عند المعتزلة فلأنّ العمل الصّالح يوجب استحقاق الثّواب على الله تعالى. وأمّا عند أهل السّنّة، فلأنّ ذلك الجزاء واجب بحكم الوعد المحض.
(١٧: ١١٠)

لاحظ «ك س ب».

٢ـ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. النّمل: ٩٠

ابن عبّاس: في الآخرة.
(٣٢٢)

الطَّبَريّ: يقال لهم: هل تُجزون أيّها المشركون إلّا ماكنتم تعملون، إذ كبّكم الله لوجوهكم في النّار، وإلّا جزاء ماكنتم تعملون في الدّنيا بما يسخط ربّكم. وترك «يقال لهم» اكتفاءً بدلالة الكلام عليه.
(٢٠: ٢٤)

نحوه المَراغيّ.
(٢٠: ٢٥)

الطُّوسيّ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ بهذا العقاب إلّا مكافأة لما كنتم تفعلون وتعملون في دار التّكليف من المعاصي.
(٨: ١٢٥)

الزَّمَخْشَريّ: يجوز فيه الالتفات وحكاية مايقال لهم عند الكبّ بإضمار القول. (٣: ١٦٣)

نحوه الفَخْرالرّازيّ (٢٤: ٢٢٢)، والبُرُوسَويّ (٦: ٣٧٧).

الطَّبْرِسيّ: يعني أنّ هذا جزاء فعلكم وليس بظلم.
(٤: ٢٣٧)

القُرطُبيّ: أي يقال لهم: هل تُجزون. ثمّ يجوز أن يكون من قول الله، ويجوز أن يكون من قول الملائكة.
(١٣: ٢٤٥)

أبوالسُّعود: على الالتفات للتّشديد أو على إضمار القول، أي مقولاً لهم ذلك. (٥: ١٠٨)

الآلوسيّ: [مثل أبي السُّعود ثمّ قال:]

فلاالتفات فيه، لأنّه في كلام آخر. ومن شروط الالتفات اتّحاد الكلامين، كما حُقّق في المعاني.
(٢٠: ٣٨)

الطَّباطَبائيّ: الاستفهام للإنكار، والمعنى ليس جزاؤكم هذا إلّا نفس العمل الّذي عملتموه ظهر لكم فلزمكم، فلاظلم في الجزاء، ولاجور في الحكم.
(١٥: ٤٠٣)

مكارم الشّيرازيّ: لعلّها جواب على سؤال يُلقى هنا، وهو ماقال قائل: إنّ هذا الجزاء «العقاب» شديد؟ فيجاب عليه بأنّ هذا الجزاء إن هو إلّا عملك في الدّنيا، فهل تُجزون إلّا ماكنتم تعملون «فلاحظوا بدقّة». (١٢: ١٤٥)

٣- فَالْيَوْمَ لَاتُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يٰسٓ: ٥٤

ابن عبّاس: في الآخرة. (٣٧٢)

الطَّبَريّ: يقول: ولاتُكافَؤون إلّا مكافأة أعمالكم الّتي كنتم تعملونها في الدّنيا. (٢٣: ١٧)

عبد الجبّار: يدلّ على أنّ العبد يفعل ويستحقّ على فعله الثّواب أو العقاب، وأنّه لايجوز أن يؤاخذ بعمل غيره، وأنّه لايجوز منه تعالى أن يعذّب الأطفال بذنوب الآباء. (٣٤٩)

الطُّوسيّ: ومعناه لايُجازى الإنسان إلّا على قدر عمله: إن كان عاملًا بالطّاعة جُوزي بالثّواب، وإن كان عاصيًا جُوزي بالعقاب، على قدر عمله من غير زيادة عليه ولانقصان، إلّا أن يتفضّل الله بإسقاط عقابه.
(٨: ٤٦٧)

الفَخْرالرّازيّ: وقوله: ﴿وَلَاتُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يدلّ على أنّ الجزاء بعين العمل. لايقال: «جزى» يتعدّى بنفسه وبـ«الباء»، يقال: «جزيته خيرًا وجزيته بخير» لأنّ ذلك ليس من هذا، لأنّك إذا قلتَ: «جزيته بخير» لايكون الخير مفعولك، بل تكون «الباء» للمقابلة والسّببيّة، كأنّك تقول: «جزيته جزاءً بسبب مافعل»، فنقول: الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك إشارة على وجه المقابلة إلى عدم الزّيادة، وذلك لأنّ الشّيء لايزيد على عينه، فنقول: ﴿يُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في المساواة، كأنّه عين ماعملوا، يقال: فلان يجاوبني حرفًا بحرف، أي لايترك شيئًا، وهذا يوجب اليأس العظيم.

الثّاني: هو أنّ (ما) غير راجع إلى الخصوص، وإنّما هي للجنس، تقديره: ولاتُجزون إلّا جنس العمل، أي إن كان حسنةً فحسنة، وإن كان سيّئة فسيّئة، فتُجزون ماتعملون من السّيّئة والحسنة، وهذا نظير ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشّورى: ٤٠.

(٢٦: ٩١)

أبوالسُّعود: أي إلّا جزاء ماكنتم تعملونه في الدّنيا، على الاستمرار من الكفر والمعاصي. على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مُقامه، للتّنبيه على قوّة التّلازم والارتباط، كأنّهما شيء واحد.

أو إلّا بما كنتم تعملونه، أي بمقابلته أو بسببه.

وتعميم الخطاب للمؤمنين يردّه أنّه تعالى يوفّيهم أُجورهم، ويزيدهم من فضله أضعافًا مضاعفةً. وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعدّ لهم تحقيقًا للحقّ وتقريعًا لهم.

(٥: ٣٠٤)

نحوه البُرُوسَويّ. (٧: ٤١٣)

الآلوسيّ: [نحو أبي السّعود ثمّ قال:]

وقيل: لاتُجزون إلّا نفس ماكنتم تعملونه، بأن يظهر بصورة العذاب. وهذا حكاية عمّا يقال للكافرين حين يرون العذاب المعدّ لهم، تحقيقًا للحقّ وتقريعًا لهم.

واستظهر أبوحيّان أنّ الخطاب يعمّ المؤمنين، بأن يكون الكلام إخبارًا من الله تعالى عمّا لأهل الحشر على العموم، كما يشير إليه تنكير (نَفْسٌ) واختاره السّكّاكيّ.

وقيل: عليه يأباه الحصر، لأنّه تعالى يوفّي المؤمنين أُجورهم، ويزيدهم من فضله أضعافًا مضاعفة.

ورُدّ بأنّ المعنى أنّ الصّالح لاينقص ثوابه والطّالح لايُزاد عقابه، لأنّ الحكمة تأبى ماهو على صورة الظّلم، أمّا زيادة الثّواب ونقص العقاب فليس كذلك. أو المراد بقوله: ﴿وَلَاتُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إنّكم لاتُجزون إلّا من جنس عملكم، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ.

(٢٣: ٣٤)

الطَّباطَبائيّ: ﴿وَلَاتُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عطف تفسير لقوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَاتُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ وهو في الحقيقة بيان بُرهانيّ لانتفاء الظّلم يومئذ، لدلالته على أنّ جزاء أعمال العاملين يومئذ نفس أعمالهم، ولايُتصوّر مع ذلك ظلم، لأنّ الظّلم وضع الشّيء في غير موضعه: وتحميل العامل عمله وضع الشّيء في موضعه ضرورة.

وخطاب الآية من باب تمثيل يوم القيامة، وإحضاره وإحضار من فيه بحسب العناية الكلاميّة، وليس ـ كما تُوهّم ـ حكاية عمّا سيقال لهم أن يخاطَبون به، من جانب الله سبحانه أو الملائكة أو المؤمنين يوم القيامة، فلاموجب له من جهة السّياق.

والمخاطب بقوله: ﴿وَلَاتُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ السّعداء والأشقياء جميعًا.

وماقيل: «عليه أنّ الحصر يأبى التّعميم، فإنّه تعالى يوفّي المؤمنين أُجورهم، ويزيدهم من فضله أضعافًا مضاعفة» مدفوع بأنّ «الحصر» في الآية ناظر إلى جزاء العمل وأجره، ومايدلّ من الآيات على المزيد، كقوله: ﴿لَهُمْ مَايَشَاؤُن فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ق: ٣٥، أمرٌ وراء الجزاء، والأجر خارج عن طَور العمل.

وربّما أُجيب عنه بأنّ معنى الآية: أنّ الصّالح لاينقص ثوابه والطّالح لايُزاد عقابه، فإنّ الحكمة تنافيه، أمّا زيادة

الثّواب ونقص العقاب فلامانع منه، أو أنّ المراد بقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنّكم لاتجزون إلّا من جنس عملكم، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ.

وفيه أنّ مدلول الآية لو كان ماذكر اندفع الإشكال، لكنّ الشّأن في دلالتها على ذلك. (١٧: ١٠٠)

مكارم الشّيرازيّ: ظاهر الآية بلا أيّ خفاء يهدف إلى القول بأنّ جزاءكم جميعًا هو نفس أعمالكم، فأيّ عدالة أفضل وأعلى من هذه العدالة؟

وبعبارة أُخرى فإنّ الأعمال الحسنة والسّيّئة الّتي قمتم بها في هذه الدّنيا سترافقكم في ذلك العالم أيضًا، ونفس تلك الأعمال ستتجسّد هناك وترافقكم في جميع مراحل الآخرة، في المحشر وبعد نهاية الحساب.

فهل أنّ تسليم حاصل عمل إنسان إليه أمرٌ مخالف للعدالة؟

وهل أنّ تجسيد الأعمال وقرنها بعاملها ظلمٌ؟

ومن هنا يتّضح أن لامعنى للظّلم أساسًا في مشهد يوم القيامة، وإذا كان يحدث في الدّنيا بين البشر أن تتحقّق العدالة حينًا ويقع الظّلم أحيانًا كثيرة، فذلك بعدم إمكان ربط الأعمال بفاعليها.

جمْع من المفسّرين تصوّروا أنّ الجملة الأخيرة أعلاه تتحدّث عن الكفّار والمسيئين الّذين سيرون عقابًا على قدر أعمالهم، دون أن تشمل المؤمنين، بلحاظ أنّ الله سبحانه وتعالى قد جزاهم وأثابهم بأضعاف مايعادل أعمالهم.

ولكن بملاحظة الآتي ينحلّ هذا الاشتباه، وهو أنّ الحديث هنا هو حديث عن العدالة في الثّواب والعقاب، وأخذ الجزاء حسب الاستحقاق، وهذا لاينافي أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يزيد المؤمنين من فضله، فهذه مسألة «تفضّل» وتلك مسألة «استحقاق». (١٤: ١٩٣)

فضل الله: لأنّ العمل هو الأساس في القيامة السّلبيّة أو الإيجابيّة عند الله، وهو الأساس في الثّواب والعقاب، لأنّ الله لايرتبط بأيّ شخص من عباده إلّا من خلال عمله، فهم متساوون أمامه في الخَلْق، فليس أحد أقرب إليه من أحد في ذلك كلّه. (١٩: ١٥٧)

جَزَاء

١ـ ...وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ... المائدة: ٩٥

الطّبَريّ: [له كلام طويل سيأتي مابمعناه عن الفارسيّ] (٧: ٤٣)

الزّجّاج: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ﴾ برفع (مِثل) وجرّها. فن رفعها جميعًا، فرفعه على معنى: فعليه جزاء مثل الّذي قتل، فيكون (مِثْلُ) من نعت «الجزاء» ويكون[1] أن ترفع (جَزَاء) على الابتداء، ويكون (مِثْلُ مَاقَتَلَ) خبر الابتداء، ويكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ماقتل.

ومن جرّ أراد: فعليه جزاء مثل ذلك المقتول من النّعَم. (٢: ٢٠٧)

نحوه أبوزُرْعة (٢٣٥)، والزّمخشريّ (١: ٦٤٤)، وأبوالسّعود (٢: ٣٢٠).

الفارسيّ: حجّة من رفع «المِثْل» أنّه صفة للجزاء،

---

(١) كذا، والظّاهر: يجوز أن ترفع.

والمعنى: فعليه جزاء من النّعَم مماثل المقتول، والتّقدير: فعليه جزاء، أي فاللّازم له أو فالواجب جزاء من النّعَم مُماثل ماقتَل من الصّيد. (مِنَ النَّعَمِ) على هذه القراءة صفة للنّكرة الّتي هي (جزاء)، وفيه «ذكر»، ويكون (مِثْل) صفة للجزاء، لأنّ المعنى: عليه جزاء مماثل للمقتول من الصّيد من النّعَم، والمماثلة في القيامة أو الخلقة على اختلاف الفقهاء في ذلك.

ولاينبغي إضافة (جزاء) إلى (المِثْل)، ألاترى أنّه ليس عليه جزاء مثل ماقتَل في الحقيقة، وإنّما عليه جزاء المقتول، لاجَزاء مثله؛ ولاجزاء عليه لمثل المقتول الّذي لم يقتله.

وإذا كان كذلك علمت أنّ «الجزاء» لاينبغي أن يضاف إلى مِثْل)، ولايجوز أن يكون (مِنَ النَّعَمِ) على هذه القراءة متعلّقًا بالمصدر، كما جاز أن يكون الجارّ متعلّقًا به في ﴿جَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشّورى: ٤٠، بـ(مِثْلُهَا) لأنّك قد وصفت الموصول. وإذا وصفته لم يجز أن تُعلّق به بعد الوصف شيئًا، كما أنّك إذا عطفت عليه أو أكّدته لم يجز أن تُعلّق به شيئًا بعد العطف عليه والتّأكيد له.

فأمّا في قراءة من أضاف «الجزاء» إلى «المِثْل»، فإنّ (مِنَ النَّعَمِ) يكون صفة للجزاء كما كان في قول من نوّن، ولم يُضف صفةً له.

ويجوز فيه وجه آخر لايجوز في قول من نوّن ووصف: وهو أن يقدّره متعلّقًا بالمصدر. ولايجوز على هذا القول أن يكون فيه «ذكر» كما تضمّن «الذّكر» لما كان صفةً، وإنّما جاز تعلّقه بالمصدر على قول من أضاف، لأنّك لم تصف الموصول كما وصفته في قول من نوّن، فيمتنع تعلّقه به.

وأمّا من أضاف «الجزاء» إلى (مِثْل) فإنّه وإن كان جزاء المقتول لاجزاء مثله، فإنّهم قد يقولون: «أنا أكرم مثلك» يريدون: أنا أُكرمك، وكذلك إذا قال: ﴿فَجَزَاءُ مِثْلُ﴾ فالمراد: جزاء ماقتل، فإذا كان كذلك كانت الإضافة في المعنى كغير الإضافة، لأنّ المعنى: فعليه جزاء ماقتَل.

ولو قدّرت «الجزاء» تقدير المصدر وأضفته إلى «المِثْل» كما تضيف المصدر إلى المفعول به، لكان في قول من جرّ (مِثْل) على الاتّساع الّذي وصفناه، ألاترى أنّ المعنى (فَجَزَاءُ مِثْلُ) أي يجازي مثل ماقتَل، والواجب عليه في الحقيقة جزاء المقتول لاجزاء مثل المقتول.

(الطّوسيّ ٤: ٢٥)

نحوه الطّبْرِسيّ (٢: ٢٤٢)، والعُكْبَريّ (١: ٤٦).

الواحديّ: أي فعليه جزاء مماثل للمقتول...ومن قرأ (فَجَزَاءُ مِثْلِ مَاقَتَلَ) على الإضافة إلى (مِثْل) كان معناه فجزاء ماقتل، ويكون «المِثْل» صلة، كما تقول: «أنا أُكرم مثلك» أي أُكرمك، ومعنى القراءتين سواء.

(٢: ٢٢٩)

الآلوسيّ: (مَنْ) يجوز أن تكون شرطيّة وهو الظّاهر، ويجوز أن تكون موصولة، والفاء في ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَاقَتَلَ﴾ جزائيّة على الأوّل، وزائدة لشبه المبتدإ بالشّرط على الثّاني. و(جَزَاء) بالرّفع والتّنوين مبتدأ، و(مِثْل) مرفوع على أنّه صفته، والخبر محذوف، أي فعليه. وجوّز أن يكون خبر مبتدإ محذوف، أي فواجبه أو فالواجب عليه جزاء مماثل لما قتله. [إلى أن قال بعد

نقل كلام الواحديّ:]

ولايخفى أنّ هذا طعن[1] في المنقول المتواتر عن النّبيّ ﷺ، وذلك غاية في الشّناعة، وماذكر يجاب عنه:

أمّا أوّلًا: فبأنّ (جزاء) ـ كما قيل ـ مصدر مضاف لمفعوله الثّاني، أي فعليه أن يجزي مثل ماقتل، ومفعوله الأوّل محذوف، والتّقدير: فعليه أن يجزي المقتول من الصّيد مثله، ثمّ حُذف المفعول الأوّل لدلالة الكلام عليه، وأُضيف المصدر إلى الثّاني.

وقد يقال: لاحاجة إلى ارتكاب هذه المؤنة، بأن يُجعَل مصدرًا مضافًا إلى مفعوله من غير تقدير مفعول آخر، على أنّ معنى أن يجزي مثل أن يُعطي المثل جزاء.

وأمّا ثانيًا: فبأن تجعل الإضافة بيانيّة، أي جزاء هو مثل ماقتل.

وأمّا ثالثًا: فبأن يكون (مِثل) مُقحمًا، كما في قولهم: «مثلك لايفعل كذا».

واعتُرض هذا بأنّه يفوت عليه اشتراط المماثلة بين الجزاء والمقتول، وكون جزائه المحكوم به مايقاومه ويعادله وهو يقتضي المماثلة، ممّا لايكاد يسلم انفهامه من هذه الجملة، كما لايخفى.

وقرأ محمّد بن مُقاتِل بتنوين (جَزَاء) ونصبه ونصب (مِثل) أي فليَجز جزاءً، أو فعليه أن يَجزي جزاءً مثل ماقتَل.

وقرأ السُّلَميّ برفع (جزاء) منوّنًا ونصب (مِثل). أمّا رفع (جزاء) فظاهر، وأمّا نصب (مِثل) فبجزاء، أو بفعل محذوف دلّ (جزاء) عليه، أي يُخرج أو يؤدّي مِثل.

وقرأ عبد الله (فَجَزَاؤُهُ) برفع (جَزَاء) مضافًا إلى الضّمير، ورفع (مِثل) على الابتداء والخبريّة. (٧: ٢٤)

مكارم الشّيرازيّ: [لاحظ «مثل»] (٤: ١٤٣)

٢ ـ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. التّوبة: ٨٢

الزّجّاج: (جَزَاءً) مفعول له، المعنى وليبكوا جزاءً لهذا الفعل.

نحوه القُرطُبيّ (٨: ٢١٦)، وأبوحَيّان (٥: ٨٠).

الطّوسيّ: نصب (جَزَاءً) على المصدر، أي تُجزَون على معاصيكم ذلك جزاء على أفعالكم الّتي اكتسبتموها. (٥: ٣١٣)

نحوه الزّمَخشَريّ (٢: ٢٠٥)، والبَيضاويّ (١: ٤٢٦).

ابن عَطيّة: (جَزَاءً) متعلّق بالمعنى الّذي تقديره: ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ إذ هم معذّبون (جَزَاءً). (٣: ٦٦)

العُكْبَريّ: (جَزَاءً) مفعول له، أو مصدر على المعنى. (٢: ٦٥٣)

نحوه السّمين (٣: ٤٨٨)، وأبوالسُّعود (٣: ١٧٥).

الآلوسيّ: (جَزَاءً) مفعول له للفعل الثّاني، ولك أن تجعله مفعولًا له للفعلين، أو مصدر من المبنيّ للمفعول حذف ناصبه، أي يُجزَون ممّا ذكر من البكاء الكثير، أو منه ومن الضّحك القليل، جزاءً بما استمرّوا عليه من المعاصي. (١٠: ١٥٢)

لاحظ «ض ح ك».

٣ـ... مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ

(١) لانجد هذا الطّعن في كلام الواحديّ.

عَذَابٌ أَلِيمٌ. يوسف: ٢٥

الآلوسيّ: الظّاهر أنّ (مَا) نافية، و(جَزَاءُ) مبتدأ، و(مَنْ) موصولة أو موصوفة مضاف إليه، والمصدر المؤوّل خبر، و(أَوْ) للتّنويع خبر المبتدإ، ومابعده معطوف على ذلك المصدر، أي ليس جزاؤه إلّا السّجن أو العذاب الأليم.

والمراد به ـ على ماقيل ـ الضّرب بالسّوط، وعن ابن عبّاس: أنّه القيد.

وجُوّز أن تكون (مَا) استفهاميّة، فـ(جَزَاء) مبتدأ أو خبر، أي أيّ شيء جزاؤه غير ذلك أو ذلك. (١٢: ٢١٨)

لاحظ «س ج ن».

٤ـ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ اِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ. يوسف: ٧٤، ٧٥

ابن عبّاس: الاستعباد جزاء سرقته. (٢٠١)

نحوه الحسن، ومَعمَر، والسُّدّيّ، وابن إسحاق. (الطّوسيّ ٦: ١٧٢)

الضّحّاك: كان حكم السّارق في آل يعقوب أن يُستخدَم ويُسترَقّ على قدر سرقته، وفي دين الملك: الضّرب والضّمان. (الطّبْرِسيّ ٣: ٢٥٢)

الحسن: كان حكم السّارق عند أهل مصر أن يُغرَم ضِعفَيْ ماأخذ.

مثله السُّدّيّ. (القُرطُبيّ ٩: ٢٣٥)

السُّدّيّ: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ تأخذونه فهو لكم. (الطّبَريّ ١٣: ٢٢)

ابن إسحاق: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي سُلِّم به ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ أي كذلك نصنع بمن سرق منّا. (الطّبَريّ ١٣: ٢٢)

الإمام الصّادق عليه السلام: يعنون السّنّة الّتي كانت تجري فيهم أن يحبسه، كذلك نجزي الظّالمين بالسّرقة. (الكاشانيّ ٣: ٣٥)

نحوه القُمّيّ. (١: ٣٤٨)

الفرّاء: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ (مَنْ) في معنى جزاء، وموضعها رفعٌ بـ«الهاء» الّتي عادت، وجواب الجزاء «الفاء» في ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ ويكون (جَزَاؤُهُ) الثّانية مرتفعة بالمعنى المحمّل في الجزاء وجوابه.

ومثله في الكلام أن تقول: ماذا لي عندك؟ فيقول لك عندي: إن بشّرتني فلك ألف درهم، كأنّه قال: «لك عندي هذا».

وإن شئت جعلت (مَنْ) في مذهب «الّذي» وتدخل «الفاء» في خبر (مَنْ) إذا كانت على معنى «الّذي» كما تقول: الّذي يقوم فإنّا نقوم معه.

وإن شئت جعلت «الجزاء» مرفوعًا بـ(مَن) خاصّة وصلتها، كأنّك قلت: جزاؤه الموجود في رحله، كأنّك قلت: «ثوابه أن يُستَرَقّ»، ثمّ تستأنف أيضًا فتقول: هو جزاؤه. وكانت سنّتهم أن يَسترِقّوا من سرق. (٢: ٥٢)

الطّبَريّ: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ يقول: فالّذي وجد ذلك في رحله، ثوابه بأن يُسلَّم بسرقته إلى من سَرق منه حتّى يسترقّه ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ يقول: كذلك

نفعل بمن ظلم، ففعل ماليس له فعله من أخذه مال غيره سَرَقًا. [إلى أن قال:]

ومعنى الكلام قالوا: ثواب السّرق الموجود في رحله، كأنّه قيل: ثوابه استرقاق الموجود في رحله ثمّ حذف «استرقاق»؛ إذ كان معروفًا معناه، ثمّ ابتُدئ الكلام، فقيل: هو جزاؤه ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ﴾.

وقد يحتمل وجهًا آخر: أن يكون معناه قالوا: ثواب السّرق الّذي يوجد السّرق في رحله، فالسّارق جزاؤه، فيكون (جَزَآؤُهُ) الأوّل مرفوعًا بجملة الخبر بعده، ويكون مرفوعًا بالعائد من ذكره في (هُوَ)، وهو رافعٌ جزاؤه الثّاني.

ويحتمل وجهًا ثالثًا: [فذكر نحوًا من قول الفرّاء]

(١٣: ٢٢)

الزّجّاج: [نحو ابن عبّاس ثمّ قال:]

فأمّا رفع ﴿قَالُوا جَزَآؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ﴾ فمن جهتين:

أحدهما: أنّ ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُ﴾ ابتداء، ويكون ﴿مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ﴾ الخبر، ويكون المعنى جزاء السّرَق الإنسان الموجود في رَحْله السّرَق، ويكون ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُ﴾ زيادةٌ في الإبانة، كما تقول: «جزاء السّارق القطع فهو جزاؤه» فهذا جزاؤه زيادةٌ في الإبانة.

ويجوزأن يكون يرتفع بالابتداء، ويكون ﴿مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَآؤُهُ﴾ هذه الجملة خبر الجزاء، والعائد عليه من الجملة (جَزَآؤُهُ) الّذي بعد قوله: (فَهُوَ). كأنّه قيل: «قالوا: جزاؤه من وُجِد في رحله فهو هو» أي فهو الجزاء، ولكنّ الإظهار كان أحسن هاهنا لئلّا يقع في الكلام لَبسٌ، ولئلّا يُتوهّم أنّ (هُوَ) إذا عادت ثانية فليست براجعة على الجزاء. والعرب إذا أقحمت أمر الشّيء جعلت العائد عليه إعادة لفظه بعينه. [ثمّ استشهد بشعر]

(٣: ١٢١)

نحوه الفخرالرّازيّ.

(١٨: ١٨١)

الثّعلبيّ: ﴿جَزَآؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ﴾ أن يسلّم سرقته[1] إلى المسروق منه، ويُسترَقّ سنة، وكان ذلك سُنّة آل يعقوب في حكم السّارق ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ﴾ الفاعلين، ماليس لهم فعله من أخذ مال غيره سَرَقًا. [ثمّ نقل أقوالًا وقال:]

وتلخيص هذه الأقاويل جزاؤه جزاء الموجود في رَحْله، أو جزاؤه الموجود في رَحْله.

(٥: ٢٤١)

الماوَرْديّ: أي جزاء من سرق أن يُسترَقّ ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ﴾ أي كذلك نفعل بالظّالمين، إذا سرقوا، وكان هذا من دين يعقوب.

(٣: ٦٣)

نحوه الواحديّ (٢: ٦٢٤)، والثّعالبيّ (٢: ١٦٧).

الطّوسيّ: حكى الله تعالى عن أصحاب يوسف أنّهم قالوا لأهل العِير لمّا سموا جحودهم الصُّواع، وأنكروا أن يكونوا سارقين: ﴿مَاجَزَآؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في جحودكم وإنكاركم، وقامت البيّنة على أنكم سرقتموه؟ وماالّذي يُستحَقّ أن يُفعَل بمن سَرق؟

فأجابهم أهل العِير، وقالوا ـ من أُدرِك عنده الصُّواع ووُجِد في رَحْله ـ: جزاؤه أخذ من وُجِد في رحله رِقًّا، فهو جزاؤه عندنا كجزائه عندكم، لأنّه كان من عادتهم أن يَسترِقّوا السّارق، في قول الحسَن، ومَعْمَر، والسُّدّي،

(١) كذا، والظّاهر: سارقه.

وابن إسحاق. وفيه تقديران في الإعراب:

أحدهما: جزاؤه استرقاق من وُجِد في رَحْله، فهذا الجزاء جزاؤه، كما تقول: «جزاء السّارق القطع، فهو جزاؤه» لتمكين البيان الأخير.

الثّاني: جزاؤه من وُجِد في رَحْله، فالسّارق جزاؤه، فيكون مبتدأً ثانيًا، و«الفاء» جواب الجزاء، والجملة خبر (مَنْ) و(مَنْ) هاهنا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى «الّذي» وتقديره: جزاؤه الّذي وُجِد في رحله مُسترقًّا.

والآخر: معنى الشّرط، كأنّه قال: جزاء السُّرّاق إن وجد في رحل إنسان منّا، فالموجود في رحله جزاؤه استرقاقًا. وقوله: ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ إخبار منهم بأنّ ذلك عادتهم في مجازاة كلّ ظالم.

وقد قيل في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: أن يكونوا في ذلك على شرع لنبيّ من أنبياء الله. والآخر: أن يكون ذلك على عادة الملوك في أهل الجنايات لمصالح العباد، لاعلى حقيقة الجزاء الّذي يُعمَل بأمر الله، بدلالة قوله فيما بعد: ﴿مَاكَانَ لِيَأْخُذَ اَخَاهُ فِي دِينِ الْـمَلِكِ﴾ يوسف: ٧٦، فأضاف الجزاء إلى دين الملِك دون الله. (٦: ١٧٣)

ابن عَطيّة: قال إخوة يوسف: جزاء السّارق والحكم الّذي تتضمّنه هذه الألفاظ ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾، فـ(جَزَاؤُهُ) الأوّل مبتدأ، و(مَنْ) والجملة خبر قوله: (جَزَاؤُهُ) الأوّل، والضّمير في ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ للسّارق.

ويصحّ أن تكون (مَنْ) خبرًا عائد على (مَنْ)، ويكون قوله: (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) زياد بيان وتأكيد. وليس هذا الموضع عندي من مواضع إبراز الضّمير، على ما ذهب إليه بعض المفسّرين.

ويحتمل أن يكون التّقدير: جزاؤه استرقاق من وُجِد في رَحْله، ثمّ يؤكّد بقوله: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾.

وقولهم هذا قول من لم يسترب بنفسه، لأنّهم التزموا إرغام من وُجد في رَحْله، وهذا أكثر من موجب شرعهم؛ إذ حقّ شرعهم أن لايؤخذ إلّا من صحّت سرقته، وأمر «بنيامين» في السّقاية كان محتملًا، لكنّهم التزموا أنّ من وُجد في رَحْله، فهو مأخوذ على أنّه سارق.

وقولهم: ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾، أي هذه سنّتنا وديننا في أهل السّرقة: أن يَتملّك السّارق، كما تملّك هو الشّيء المسروق.

وحكى بعض النّاس: أنّ هذا الحكم كان في أوّل الإسلام، ثمّ نُسخ بالقطع. وهذا ضعيف، ماكان قطّ فيما علمت.

وحكى الزّهراويّ عن السُّدّيّ: أنّ حكمهم إنّما كان أن يُستخدَم السّارق على قدر سرقته. وهذا يضعّفه رجوع الصُّواع، فكان ينبغي ألّا يؤخذ «بنيامين» إذ لم يبق فيما يُخدَم. (٣: ٢٦٥)

الزّمَخْشَريّ: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ الضّمير للصُّواع، أي فما جزاء سرقته ﴿اِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في جحودكم وادّعائكم البراءة منه؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي جزاء سرقته أخذ من وُجد في رَحْله، وكان حكم السّارق في آل يعقوب أن يُسترَقّ سنة. فلذلك

استفتوا في جزائه. وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ تقرير للحكم، فأخذُ السّارق نفسه هو جزاؤه لاغير، كقولك: «حقّ زيد أن يُكسَى ويُطعَم ويُنعَم عليه، فذلك حقّه» أي فهو حقّه لتقرّر ماذكرته من استحقاقه وتلزمه. [ثمّ ذكر الوجه الثّاني كما سبق عن الزّجّاج وأضاف:]

ويحتمل أن يكون (جَزَاؤُهُ؟ خبر مبتدإ محذوف، أي المسؤول عنه جزاؤه. ثمّ أفتوا بقولهم: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ كما يقول مَن يُستفتى في جزاء صيد الحرَم: «جزاء صيد الحرَم»، ثمّ يقول: (ومن قتَلَه منكم متعمّداً فجزاء مِثْل ماقتَل من النَّعَم). (٢: ٣٣٤)

نحوه ملخّصًا البَيْضاويّ (١: ٥٠٢)، والنَّسَفيّ (٢: ٢٣٢)، والمشهديّ (٥: ١٢)، وشُبّر (٣: ٢٩٦)، وطه الدُّرّة (٧: ٣٦).

الطَّبْرِسيّ: [ذكر قول الزّجّاج وأضاف:]

وعلى هذا فيكون المعنى قالوا: جزاء السَّرق إن وُجِد في رَحْل رجل منّا، فالموجود في رَحْله السَّرق، جزاؤه استرقاق.

وقال صاحب الكشف: تقدير: جزاء المسروق من وُجِد في رَحْله، أي إنسان وُجِد الصّاع في رَحْله. فـ(مَنْ) نكرة وهو مبتدأ ثان، وقوله: (وُجِدَ فِي رَحْلِهِ) صفة لـ(من)، وقوله: (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) خبر لـ(مَن)، والجملة خبر قوله: (جَزَاؤُهُ)، والتّقدير: جزاؤه إنسان وُجِد في رَحْله الصّاع فهو هو، إلّا أنّه وضَع الظّاهر موضع المضمر.

قال: وليس في التّنزيل (مَنْ) نكرة إلّا في هذا الموضع، وموضع الكاف مِن (كَذٰلِكَ كِدْنَا) يوسف: ٧٦، نصب بأنّه صفة مصدر محذوف، وموضع ﴿أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ نصب لمّا سقطت «الباء» أُفضي الفعل إليها فنُصِب، والتّقدير: إلّا بمشيئة الله. [إلى أن قال:]

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي قال الّذين نادوهم: فما جزاء السَّرق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: إنّا لم‌نسرق، وظهرت السّرقة؟

وقيل: معناه فما جزاء من سرق؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾، أي قال إخوة يوسف: جزاء السَّرق السّارق، وهو الإنسان الّذي وُجد المسروق في رَحْله. وقد بيّنّا تقديره فيما قبل ...

وقيل: إنّ ذلك جواب يوسف عليه السلام، لقول إخوته: إنّ جزاء السّارق استرقاقه. (٣: ٢٥١)

أبوحَيّان: [ذكر قول ابن عَطيّة والزّمَخْشَريّ في إرجاع الضّمير ثمّ قال:]

وقوله [الزّمَخْشَريّ] هو الظّاهر، لاتّحاد الضّمائر في قوله: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ إذ التّقدير إذ ذاك قال: جزاء الصّاع ـ أي سرقته ـ من وُجد الصّاع في رَحْله، وقولهم: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ كلام من لم يشكّ أنّهم بُرآء ممّا رُموا به، ولاعتقادهم البراءة علّقوا الحكم على وجدان الصّاع، لاعلى سرقته، فكأنّهم يقولون: لايمكن أن نسرق ولايمكن أن يوجد الصّاع في رحالنا، وكان في دين يعقوب استعباد السّارق ـ قال الزّمَخْشَريّ: سنةً ـ وكان في دين مصر أن يُضرَب ويُضعّف عليه الغُرم، ولذلك أجابوا على شريعتهم. [ثمّ ذكر قول ابن عَطيّة في تركيب الجملة وقال:]

هذا لايصحّ لخلوّ الجملة الواقعة خبر (جَزَاؤُهُ) من رابط [ثمّ ذكر قول الزّمَخْشَريّ في احتماله الثّاني وقال:]

ووضع الظّاهر موضع المضمر للرّبط إنّما هو فصيح في مواضع التّفخيم والتّهويل، وغير فصيح فيما سوى ذلك نحو: «زيد قام زيد» ويُنزّه القرآن عنه. قال سيبَوَيه: لو قلت: «كان زيد منطلقًا زيد» لم يكن ضدّ الكلام، وكان هاهنا ضعيفًا، ولم يكن كقولك: «مازيد منطلقًا هو» لأنّك قد استغنيت عن إظهاره، وإنّما ينبغي لك أن تضمره. [وذكر احتماله الثّالث وقال:]

وهو متكلّف؛ إذ تصير الجملة من قوله المسؤول عنه جزاؤه على هذا التّقدير، ليس فيه كثيرة فائدة؛ إذ قد عُلم من قوله: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أنّ الشّيء المسؤول عنه جزاء سرقته، فأيّ فائدة في نطقهم بذلك؟ وكذلك القول في المثال الّذي مثّل به من قول المُستفتي.

الرّابع: أن يكون (جَزَاؤُهُ) مبتدأ، أي جزاء سرقة الصّاع، والخبر ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي أُخذ من وُجد في رَحْله، وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ تقرير لحكم، أي فأخذ السّارق نفسه هو جزاؤه لاغير، كقولك: «حقّ زيد أن يُكسَى ويُطعَم ويُنعَم عليه، فذلك جزاؤه أو فهو حقّه» لتقرّر ماذكرته من استحقاقه، قاله الزّمخشريّ.

وقال معناه ابن عَطيّة، إلّا أنّه جعل القول الواحد قولين: قال: «ويصحّ أن يكون (مَنْ) خبرًا على أنّ المعنى جزاء السّارق، ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ عائد على (مَنْ)، ويكون قوله: (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) زيادة بيان وتأكيد»، ثمّ قال: «ويحتمل أن يكون التّقدير: جزاؤه استرقاق من وُجد في رَحْله، ثمّ يؤكّد بقوله: (فَهُوَ جَزَاؤُهُ)».

وهذا القول هو الّذي قبله، غير أنّه أبرز المضاف المحذوف في قوله: «استرقاق من وُجد في رَحْله» وفيما قبله لابدّ من تقديره، لأنّ الذّات لاتكون خبرًا عن المصدر، فالتّقدير في القول قبله: جزاؤه أَخْذ من وُجد في رَحْله أو استرقاق هذا، لابدّ منه على هذا الإعراب. وهذا الوجه هو أحسن الوجوه، وأبعدها من التّكلّف.

(كَذٰلِكَ) أي مثل الجزاء وهو الاسترقاق ﴿نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ أي بالسّرقة، وهو ديننا وسُنّتنا في أهل السّرقة. (٥: ٣٣٠)

ابن كثير: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ إلخ وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام، أنّ السّارق يُدفَع إلى المسروق منه، وهذا هو الّذي أراد يوسف عليه السلام. (٤: ٤٠)

الشِّربينيّ: (فَمَا جَزَاؤُهُ) السّارق... (قَالُوا) وثوقًا منهم بالبراءة وإخبارًا بالحكم عندهم ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾، ولتحقّقهم البراءة علّقوا الحكم على مجرّد الوجدان لاالسّرقة، ثمّ أكّدوا ذلك بقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾. (٢: ١٢٥)

أبوالسُّعود: (قَالُوا) أي أصحاب يوسف عليه السلام: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ الضّمير للصُّواع على حذف المضاف، أي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾، لافي دعوى البراءة عن السّرقة، فإنّهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصُّواع فيهم، كما يُؤذِن به قوله عزّوجلّ: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ﴾ أي أَخذ من وُجد الصُّواع في رَحْله.

حيث ذُكر بعنوان الوجدان في الرّحل دون عنوان السّرقة، وإن كان مستلزمًا لها في اعتقادهم المبنيّ على قواعد العادة، ولذلك أجابوا بما أجابوا: فإنّ الأخذ والاسترقاق سنةً، إنّما هو جزاء السّارق دون من وُجد في

يده مال غيره كيفما كان فتأمّل.

واحمِل كلام كلّ فريق على مالايزاحم رأيه، فإنّه أقربُ إلى معنى الكيد، وأبعد من الافتراء. وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ تقرير لذلك الحكم، أي فأخذه: جزاؤه، كقولك: «حقّ الضّيف أن يُكرَم، فهو حقّه».

ويجوز أن يكون (جَزَاؤُهُ) مبتدأ، والجملة الشرطيّة ـ كما هي ـ خبره، على إقامة الظّاهر مُقام المضمر، والأصل: جزاؤه من وُجد في رَحْله، فهو على أنّ الأوّل لـ(مَنْ) والثّاني للظّاهر الّذي وُضع موضعه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي ومثل ذلك الجزاء الأوفى ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسّرقة، تأكيد للحكم المذكور غِبَّ تأكيد، وبيان لقبح السّرقة. ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها، وهم عمّا فُعِل غافلون. (٣: ٤١٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٤: ٣٠٠)

الشّوكانيّ: [نحو الزّمخشريّ ثمّ قال:] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ هذه الجملة مؤكّدة لما قبلها، إذا كانت من كلام إخوة يوسف. ويجوز أن تكون من كلام أصحاب يوسف، أي كذلك نحن نجزي الظّالمين بالسّرق. (٣: ٥٤)

الآلوسيّ: [نحو أبي السّعود إلّا أنّه قال:]

قيل: وذكر «الفاء» في ذلك لتفرّعه على ماقبله ادّعاءً، وإلّا فكان الظّاهر تركها لمكان التّأكيد، ومنه يُعلَم أنّ الجملة المؤكّدة قد تُعطَف لنكتة وإن لم يذكره أهل المعاني... (١٣: ٢٧)

المَراغيّ: (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) تقرير للحكم السّابق، وتأكيد له بإعادته، كما تقول: «حقّ الضّيف أن يكرم، فهو حقّه» والقصد من الأوّل إفادة الحكم، ومن الثّاني إفادة أنّ ذلك هو الحقّ الواجب في مثل هذا. وقد كان الحكم في شرع يعقوب أن يُستَرقّ السّارق سنة. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ وهذا تأكيد منهم بعد تأكيد لثقتهم ببراءة أنفسهم. (١٣: ٢١)

مَغْنِيَّة: (فهو جزاؤه) زيادة في الإيضاح تمامًا، كما تقول: «جزاء القاتل القتل فهو جزاؤه» أجاب إخوة يوسف مَن وَجَدتم الصّاع في وعائه فخذوه أسيرًا أو عبدًا، وهذا هو شرعنا في عقوبة السّارقين، ونحن على يقين من براءتنا، وطهارة أعراقنا. (٤: ٣٤٥)

الطَّباطَبائيّ: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ...﴾ أي قال: فتيان يوسف، أو هو وفتيانه سائلين منهم عن الجزاء: ماجزاء السّرق أو ماجزاء الّذي سرق منكم إنْ كنتم كاذبين في إنكاركم؟ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ مرادهم أنّ جزاء السّرق نفس السّارق أو جزاء السّارق نفسه؛ بمعنى أنّ مَن سرق مالًا يصير عبدًا لمن سُرِق ماله، وهكذا كان حُكمه في سُنّة يعقوب عليه السلام، كما يدلّ عليه قولهم: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي هؤلاء الظّالمين وهم السُّرّاق.

لكنّهم عدلوا عنه إلى قولهم: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ للدّلالة على أنّ السّرقة إنّما يُجازَى بها نفس السّارق، لارفقته وصحبه، وهم أحدَ عشرَ نسمةً، لاينبغي أن يؤاخذ منهم لو تحقّقت السّرقة إلّا السّارق بعينه، من غير أن يتعدّى إلى نفوس الآخرين ورحالهم، ثمّ للمسروق منه أن يملك السّارق نفسه، يفعل به مايشاء. (١١: ٢٢٥)

مكارم الشّيرازيّ: ماهي عقوبة السّرقة في تلك الأزمنة؟

يستفاد من الآيات السّابقة أنّ عقوبة السّرقة عند المصريّين كانت تختلف عنها عند الكنعانيّين، فعند إخوة يوسف (آل يعقوب) ـ ولعلّه عند الكنعانيّين ـ كانت العقوبة هي عبوديّة السّارق بصورة دائمة أو مؤقّتة، لأجل الذّنب الّذي اقترفه.

لكن المصريّين لم يجازوا السّارق بالعبوديّة الدّائمة أو المؤقّتة، وإنّما كانوا يعاقبون المذنب بالضّرب المبرّح أو السّجن، وفي كلّ الأحوال لايستفاد من قوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أنّ الشّرائع السّماويّة كانت تحدّد عقوبة السّارق بالعبوديّة، ولعلّها كانت سنّة متّبعة عند بعض المجتمعات في تلك الأزمنة.

وقد ذكر المؤرّخون في تاريخ العبوديّة: أنّ بعض المجتمعات الّتي كانت تدين بالشّرائع الخرافيّة، كانوا يعاقبون الدّائن العاجز عن سداد دينه بالعبوديّة للمدين. (٧: ٢٤٠)

٥ ـ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا. الإسراء: ٦٣

ابن عبّاس: (جزاء): نصيبًا. (٣٢٩)

الطّبَريّ: جزاؤك وجزاؤهم، يقول: ثوابك على دعائك إيّاهم على معصيتي، وثوابهم على اتّباعهم إيّاك وخلافهم أمري، ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ يقول: ثوابًا مكثورًا مكمّلًا. (١٥: ١١٧)

نحوه البغويّ. (٣: ١٤٢)

الزّمخشريّ: قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ...﴾ كما قال موسى عليه السلام للسّامريّ: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيٰوةِ أَنْ تَقُولَ لَامِسَاسَ﴾ طٰه: ٩٧.

فإن قلت: أما كان من حقّ الضّمير في «الجزاء» أن يكون على لفظ الغيبة، ليرجع إلى (مَنْ تَبِعَكَ)؟

قلت: بلى، ولكن التّقدير، فإنّ جهنّم جزاؤهم وجزاؤك، ثمّ غلب المخاطب على الغائب فقيل: جزاؤكم. ويجوز أن يكون للتّابعين على طريق الالتفات، وانتصب ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ بما في ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ من معنى «تجازون» أو بإضمار «تجازون» أو على الحال، لأنّ الجزاء موصوف بالموفور. (٢: ٤٥٦)

نحوه البيضاويّ. (١: ٥٩٠)

ابن عطيّة: (جَزَاءً) مصدر في موضع الحال. (٣: ٤٧٠)

الفخرالرّازيّ: [نحو الزّمخشريّ في توجيه (جَزَاؤُكُمْ) وأضاف:]

الثّالث: أنّه صلى الله عليه وآله قال: «من سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فكلّ معصية توجد فيحصل لإبليس، مثل وزر ذلك العامل. فلمّا كان إبليس هو الأصل في كلّ المعاصي، صار المخاطب بالوعيد هو إبليس... وانتصب (جَزَاءً) على المصدر. (٢١: ٥)

العُكبَريّ: قوله تعالى: (جَزَاءً) مصدر، أي تجزون جزاءً. وقيل: هو حال موطّئة، وقيل: هو تمييز. (٢: ٨٢٦)

أبوحيّان: [نحو الزّمخشريّ إلّا أنّه قال:]

وانتصب (جَزَاءً) على المصدر، والعامل فيه (جَزَاؤُكُمْ) أو «تجازون» مضمرة، أو على الحال الموطّئة، وقيل: تمييز، ولايتعقّل. (٦: ٥٨)

نحوه السّمين. (٤: ٤٠٤)

أبوالسّعود: ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ أي جزاءً مكمَّلًا. من قولهم: «فِرْ لصاحبك عِرضَه فِرَةً» وهو نصب على أنّه مصدر مؤكّد لما في قوله: ﴿جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ من معنى «تُجازون» أو الفعل المقدّر، أو حال موطّئة لقوله: (مَوْفُورًا). (٤: ١٤٤)

الآلوسيّ: [نحو أبي السّعود ثمّ قال:]

وجوّز الزّمخشريّ ـ وتبعه غير واحد ـ أن يكون الخطاب للتّابعين، على الالتفات من غيبة المُظهَر إلى الخطاب.

وتعقّبه ابن هشام في «تذكرته» فقال: «عندي أنّه فاسد، لخلوّ الجواب أو الخبر عن الرّابط، فإنّ ضمير الخطاب لايكون رابطًا».

وأُجيب بأنّه مؤوّل بتقدير، فيقال لهم: «إنّ جهنّم جزاؤكم»، ورُدّ بأنّه يخرج حينئذ عن الالتفات.

وقال بعض المحقّقين: إنّ ضمير الخطاب إن سُلّم أنّه لايكون عائدًا لانُسلّم أنّه إذا أُريد به الغائب التفاتًا لايُربَط به، لأنّه ليس بأبعد من الرّبط بالاسم الظّاهر، فاحفظ. [إلى أن قال:]

وانتصب (جَزَاءً) على المصدر بإضمار «تُجْزَوْنَ» أو «تُجازَون» فإنّهما بمعنى، وهذا المصدر لها. (١٥: ١١٠)

٦ـ ﴿قُلْ اَذٰلِكَ خَيْرٌ اَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾. الفرقان: ١٥

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: مامعنى قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾؟

قلت: هو كقوله: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف: ٣١، فمدح الثّواب ومكانه كما قال: ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف: ٢٩، فذمّ العقاب ومكانه، لأنّ النّعيم لايتمّ للمتنعّم إلّا بطيب المكان وسعته، وموافقته للمراد والشّهوة وأن لاتنغّص، وكذلك العقاب يتضاعف بغُثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتِواء والكراهة، فلذلك ذكر «المصير» مع ذكر «الجزاء». (٣: ٨٤)

الفَخْرالرّازيّ: أمّا قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأُولى: المعتزلة احتجّوا بهذه الآية على إثبات الاستحقاق من وجهين:

الأوّل: أنّ اسم الجزاء لايتناول إلّا المستحِقّ. فأمّا الوعد بمحض التّفضيل فإنّه لايسمّى جزاءً.

والثّاني: لو كان المراد من الجزاء: الأمر الّذي يصيرون إليه بمجرّد الوعد، فحينئذ لايبقى بين قوله: (جَزَاءً) وبين قوله: (مَصِيرًا) تفاوت، فيصير ذلك تكرارًا من غير فائدة.

قال أصحابنا رحمهم الله: لانزاع في كونه جزاءً، إنّما النّزاع في أنّ كونه جزاءً ثبت بالوعد أو بالاستحقاق، وليس في الآية مايدلّ على التّعيين.

المسألة الثّانية: قالت المعتزلة: الآية تدلّ على أنّ الله

تعالى لايعفو عن صاحب الكبيرة من وجهين:

الأوّل: أنّ صاحب الكبيرة يستحقّ العقاب، فوجب أن لايكون مستحقًّا للثّواب، لأنّ الثّواب هو النّفع الدّائم الخالص عن شوب الضّرر، والعقاب هو الضّرر الدّائم الخالص عن شوب النّفع، والجمع بينهما محال، وماكان ممتنع الوجود امتنع أن يحصل استحقاقه، فإذن متى ثبت استحقاق العقاب وجب أن يزول استحقاق الثّواب.

فنقول: لو عفا الله عن صاحب الكبيرة لكان: إمّا أن يُخرجه من النّار ولايُدخله الجنّة، وذلك باطل بالإجماع، لأنّهم أجمعوا على أنّ المكلّفين يوم القيامة: إمّا أن يكونوا من أهل الجنّة أو من أهل النّار، لأنّه تعالى قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الشّورى: ٧، وإمّا أن يُخرجه من النّار ويُدخله الجنّة، وذلك باطل لأنّ الجنّة حقّ المتّقين، لقوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ فجعل الجنّة لهم ومختصّة بهم، وبيّن أنّها إنّما كانت لهم لكونها جزاءً لهم على أعمالهم، فكانت حقًّا لهم، وإعطاء حقّ الإنسان لغيره لايجوز. ولمّا بطلت الأقسام ثبت أنّ العفو غير جائز.

أجاب أصحابنا: لِمَ لايجوز أن يقال: المتّقون يرضون بإدخال الله أهل العفو في الجنّة؟ فحينئذ لايمتنع دخولهم فيها.

الوجه الثّاني: قالوا: المتّقي في عرف الشّرع مختصّ بمن اتّقى الكفر والكبائر، وإن اختلفنا في أنّ صاحب الكبيرة هل يسمّى مؤمنًا أم لا؟ لكنّا اتّفقنا على أنّه لايسمّى متّقيًا. ثمّ قال في وصف الجنّة: إنّها كانت لهم جزاء ومصيرًا، وهذا للحصر، والمعنى أنّها مصير للمتّقين لالغيرهم، وإذا كان كذلك وجب أن لايدخلها صاحب الكبيرة.

قلنا: أقصى مافي الباب أنّ هذا العموم صريح في الوعيد فتخصّه بآيات الوعد.

المسألة الثّالثة: لقائل أن يقول: إنّ الجنّة ستصير للمتّقين جزاء ومصيرًا، لكنّها بعد ماصارت كذلك، فلِمَ قال الله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾؟ جوابه من وجهين:

الأوّل: أنّ ماوعد الله فهو في تحقّقه كأنّه قد كان.

والثّاني: أنّه كان مكتوبًا في اللّوح، قبل أن يخلقهم الله تعالى بأزمنة متطاولة: أنّ الجنّة جزاؤهم ومصيرهم. (٢٤: ٥٩)

٧ـ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَيهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى. النّجم: ٤٠، ٤١

الطُّوسيّ: أي يُجازَى على أعماله الطّاعات بأوفى مايستحقّه من الثّواب الدّائم، و«الهاء» في (يُجْزَيهُ) عائدة على «السّعي». (٩: ٤٣٦)

الواحديّ: ﴿ثُمَّ يُجْزَيهُ﴾ يُجزَى الإنسان سعيه، يقال: جزيت فلانًا سَعْيَه، يتعدّى إلى مفعولين. (٤: ٢٠٤)

الزّمَخْشَريّ: [نحو الواحديّ وأضاف:]

ويجوز أن يكون الضّمير للجزاء، ثمّ فسّره بقوله: ﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ أو أبدله عنه، كقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الأنبياء: ٣. (٤: ٣٣)

نحوه أبوالسُّعود (٦: ١٦١)، والبُرُوسَويّ (٩: ٢٥٣).

الفَخْرالرّازيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

ويتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل بحرف، يقال: «جزاه الله على عمله الخير الجنّة»، ويُحذَف الجارّ ويُوصَل الفعل، فيقال: «جزاه الله عمله الخير الجنّة» هذا وجه.

وفيه وجه آخر: وهو أنّ الضّمير لـ(الجَزاء)، وتقديره: ثمّ يُجزَى جزاءً، ويكون ﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ تفسيرًا أو بدلًا، مثل ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فإنّ التّقدير: والّذين ظلموا أسرّوا النّجوى، الّذين ظلموا، و﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ على ماذكرنا يليق بالمؤمنين الصّالحين، لأنّه جزاء الصّالح، وإن قال تعالى: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ الإسراء: ٦٣.

وعلى ماقيل: يجاب أنّ الأوفى بالنّظر إليه، فإنّ جهنّم ضررها أكثر بكثير من نفع الآثام، فهي في نفسها أوفى.

(ثمّ) لتراخي الجزاء أو لتراخي الكلام، أي ثمّ نقول: (يُجْزَيهُ)، فإن كان لتراخي الجزاء فكيف يؤخّر الجزاء عن الصّالح، وقد ثبت أنّ الظّاهر أنّ المراد منه الصّالح؟

نقول: الوجهان محتملان، وجواب السّؤال هو أنّ الوصف بـ(الْأَوْفَىٰ) يدفع ماذكرت، لأنّ الله تعالى من أوّل زمان يموت الصّالح يجزيه جزاءً على خيره، ويؤخّر له الجزاء الأوفى وهي الجنّة. أو نقول: (الْأَوْفَىٰ) إشارة إلى الزّيادة، فصار كقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ يونس: ٢٦، وهي الجنّة وزيادة؛ وهي الرّؤية. فكأنّه قال: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ ثمّ يرزقه الرّؤية.

وهذا الوجه يليق بتفسير اللّفظ، فإنّ (الْأَوْفَىٰ) مطلق غير مبيّن، فلم يقل: «أوفى من كذا» فينبغي أن يكون أوفى من كلّ واف، ولايتّصف به غير رؤية الله تعالى. (٢٩: ١٦)

أبوحَيّان: قال الزّمَخْشَريّ: «ويجوز أن يكون الضّمير للجزاء ثمّ فسّره بقوله: ﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾». وإذا كان تفسيرًا للمصدر المنصوب في (يُجْزَيهُ) فعلى ماذا انتصابه؟ وأمّا إذا كان بدلًا، فهو من باب بدل الظّاهر من الضّمير الّذي يفسّره الظّاهر، وهي مسألة خلاف، والصّحيح المنع. (٨: ١٦٨)

الآلوسيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ إلّا أنّه قال:]

﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ مصدر مبيّن للنّوع، وإذا جاز وصف المجزَى به بـ(الْأَوْفَىٰ) جاز وصف الحدث عن الجزاء الملابسته له.

وجُوّز كونه مفعولًا به، بمعنى المجزَى به، وحينئذ يكون الفعل في حكم المتعدّي إلى ثلاثة مفاعيل. ولابأس لأنّ الثّاني بالحذف والإيصال لاالتّوسّع، فيجيء فيه الخلاف. (٢٧: ٦٨)

٨- تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ. القمر: ١٤

الزّمَخْشَريّ: (جَزَاءً) مفعول له لما قُدّم من فتح أبواب السّماء ومابعده، أي فعلنا ذلك جزاءً ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورًا، لأنّ النّبيّ نعمة من الله ورحمة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ فكان نوح عليه السلام نعمةً مكفورةً...

ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجارّ، وإيصال الفعل.

وقرأ قَتادَة (كَفَر) أي جزاءً للكافرين، وقرأ الحسَن (جِزاء) بالكسر، أي مجازاة. (٤: ٣٨)

الفَخْرالرّازيّ: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ يحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يكون نصبه بقوله: (حَمَلْنَاهُ) أي حملناه جزاءً، أي ليكون ذلك الحمل جزاءَ الصّبر على كفرانهم.

ثانيها: أن يكون بقوله: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) لأنّ فيه معنى حفظنا، أي ماتركناه عن أعيننا وعوننا جزاءً له.

ثالثها: أن يكون بفعل حاصل من مجموع ماذكره، كأنّه قال: «فتحنا أبواب السّماء وفجّرنا الأرض عيونًا وحملناه، وكلّ ذلك فعلناه جزاءً له». وإنّما ذكرنا هذا، لأنّ الجزاء ماكان يحصل إلّا بحفظه وإنجائه لهم، فوجب أن يكون (جزاءً) منصوبًا بكونه مفعولًا له بهذه الأفعال. (٢٩: ٣٩)

السّمين: (جَزَاءً) منصوب على المفعول له، ناصبه (فَفَتَحْنَا) القمر: ١٠، ومابعده.

وقيل: منصوب على المصدر إمّا بفعل مقدّر، أي جازيناهم جزاءً، وإمّا على التّجوّز بأنّ معنى الأفعال المتقدّمة جازيناهم بها جزاءً. (٦: ٢٢٧)

الشِّربينيّ: (جَزَاءً) منصوب بفعل مقدّر، أي أغرقوا انتصارًا. (٤: ١٤٦)

لاحظ «ك ف ر».

٩ـ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ. الرّحمن: ٦٠

قَتادَة: قال: عملوا خيرًا فجوزوا خيرًا. (الطّبَريّ ٢٧: ٣٥٣)

أبوحنيفة: قال: هي مسجّلة للبرّ والفاجر. (الطّبَريّ ٢٧: ٣٥٣)

الطّبَريّ: هل ثواب خوف مقام الله عزّوجلّ لمن خافه، فأحسن في الدّنيا عمله، وأطاع ربّه، إلّا أن يُحسِن إليه في الآخرة ربّه، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدّنيا، ماوصف في هذه الآيات من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الرّحمن: ٤٦ ـ ٥٧. (٢٧: ١٥٣)

الطُّوسيّ: معناه ليس جزاء من فعل الأعمال الحسنة وأنعم على غيره إلّا أن يُنعَم عليه بالثّواب ويُحسَن إليه. (٩: ٤٨٢)

الفَخْرالرّازيّ: وفيه وجوه كثيرة حتّى قيل: إنّ في القرآن ثلاث آيات، في كلّ آية منها مئة قول:

الأولى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢.

الثّانية: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ الإسراء: ٨.

الثّالثة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. ولنذكر الأشهر منها والأقرب.

أمّا الأشهر فوجوه:

أحدها: هل جزاء التّوحيد غير الجنّة، أي جزاء مَن قال: «لاإله إلّا الله» إدخال الجنّة؟

ثانيها: هل جزاء الإحسان في الدّنيا إلّا الإحسان في الآخرة؟

ثالثها: هل جزاء من أحسن إليكم في الدّنيا بالنّعم وفي العُقبى بالنّعيم إلّا أن تحسنوا إليه بالعبادة والتّقوى؟

وأمّا الأقرب فإنّه عامّ، فجزاء كلّ من أحسَن إلى غيره أن يُحسِن هو إليه أيضًا. [ثمّ أدام البحث في الإحسان، فلاحظ «الإحسان»] (٢٩: ١٣١)

مكارم الشّيرازيّ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ قانون عامّ في منطق القرآن الكريم؛ حيث يشمل الله سبحانه كما يشمل الخلق وكافّة العباد، وإنّ المسلمين جميعًا يعلمون بعموميّة هذا القانون، وعليهم مقابلة كلّ خير بزيادة، كما ذكر الإمام الصّادق عليه السلام في حديثه أعلاه[1]، حيث يفترض أن يكون التّعريض أفضل من العمل المنجز (المقدّم) وليس مساويًا له، وإلّا فإنّ المبتدئ بالإحسان هو صاحب الفضل.

وحول أعمالنا في حضرة الباري عزّوجلّ، فإنّ المسألة تأخذ بُعدًا آخر؛ حيث أحد الطّرفين هو الله سبحانه العظيم الكريم الّذي شملت رحمته وألطافه كلّ عالم الوجود، وإنّ نِعَمهُ وكرمه يليق بذاته، وليس على مستوى أعمال عباده، وبناءً على هذا فلاعجب أن نقرأ في تاريخ الأُمم بصورة متكرّرة أنّ أشخاصًا قد شملتهم العناية الإلهيّة الكبيرة، بالرّغم من إنجازهم لأعمال صغيرة، وذلك لخلوص نيّاتهم، ومن ذلك القصّة التّالية:

نقل بعض المفسّرين: أنّ شخصًا مسلمًا شاهد امرأةً كافرةً، تنثر الحبّ للطّيور شتاءً، فقال لها: لايُقبَل هذا العمل من أمثالك. فأجابته: إنّي أعمل هذا سواء قُبِل أم لم يُقبَل، ولم يمض وقت طويل حتّى رأى الرّجل هذه المرأة في حرم الكعبة، فقالت له: ياهذا، إنّ الله تفضّل عليّ بنعمة الإسلام، ببركة تلك الحبوب القليلة.

(١٧: ٣٩٤)

١٠ـ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. الواقعة: ٢٤

الزّجّاج: (جَزَاءً) منصوب مفعول له، المعنى يفعل بهم ذلك لجزاء أعمالهم.

ويجوز أن يكون منصوبًا على أنّه مصدر، لأنّ معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ الواقعة: ١٧، يجازون جزاءً بأعمالهم. وهذا الوجه عليه أكثر النّحويّين. (٥: ١١١)

مثله ابن الجَوْزيّ (٨: ١٣٨)، ونحوه القَيْسيّ (٢: ٣٥٢)، وأبوالبَرَكات (٢: ٤١٥)، والعُكْبَريّ (٢: ١٢٠٤)، والسّمين (٦: ٢٥٨)، وأبوالسُّعود (٦: ١٨٨)، والآلوسيّ (٢٧: ١٣٩)

الطُّوسيّ: (جَزَاءً) أي يفعل ذلك بهم جزاءً ومكافاةً على ماعملوه في دار الدّنيا، من الطّاعات واجتناب المعاصي، ثمّ قال: ﴿لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي لايسمع المثابون في الجنّة لغوًا، يعني مالافائدة فيه من الكلام، لأنّ كلّ مايتكلّمون به فيه فائدة. (٩: ٤٩٤)

نحوه الزّمَخْشَريّ (٤: ٥٤)، والطَّبْرِسيّ (٥: ٢١٧)، ومَغْنيّة (٧: ٢١٩)، والطَّباطَبائيّ (١٩: ١٢٣).

ابن عَطيّة: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي هذه الرُّتب والنِّعَم هي لهم بحسب أعمالهم، لأنّه روي أنّ المنازل والقِسَم في الجنّة، هي مقتسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنّة هو برحمة الله وفضله لابعمل عامل. فأمّا هذا الفضل الأخير أنّ دخولها ليس بعمل عامل، ففيه حديث صحيح، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لايدخل أحد الجنّة بعمله» قالوا: ولاأنت يارسول الله؟ قال: «ولاأنا، إلّا أن يتغمّدني الله بفضل منه ورحمة». (٥: ٢٤٣)

---

(١) أنّه قال: «آية في كتاب الله مسجّلة. قلت: وماهي؟ قال: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾».

الفخر الرّازيّ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وفي نصبه وجهان: أحدهما: أنّه مفعول له، وهو ظاهر تقديره: فعل بهم هذا ليقع جزاء وليُجزَون بأعمالهم، وعلى هذا فيه «لطيفة» وهي أن تقول: المعنى أنّ هذا كلّه جزاء عملكم، وأمّا الزّيادة فلايُدركها أحد منكم.

وثانيهما: أنّه مصدر، لأنّ الدّليل على أنّ كلّ مايفعله الله فهو جزاء، فكأنّه قال: تُجزَون جزاءً، وقوله: (بِمَا كَانُوا) قد ذكرنا فائدته في سورة الطّور، وهي أنّه تعالى قال في حقّ المؤمنين: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وفي حقّ الكافرين: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إشارة إلى أنّ العذاب عين جزاء مافعلوا، فلازيادة عليهم، والثّواب ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلايُعطيهم الله عين عملهم، بل يُعطيهم بسبب عملهم مايُعطيهم، والكافر يُعطيه عين مافعل، فيكون فيه معنى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأُولى: أُصوليّة: ذكرها الإمام فخرالدّين[1] رحمه الله في مواضع كثيرة، ونحن نذكر بعضها، فالأُولى: قالت المعتزلة: هذا يدلّ على أن يقال: الثّواب على الله واجب، لأنّ الجزاء لايجوز المطالبة به.

وقد أجاب عنه الإمام فخر الدّين رحمه الله بأجوبة كثيرة، وأظنّ به أنّه لم يذكر ماأقوله فيه وهو ماذكروه، ولو صحّ لما كان في الوعد بهذه الأشياء فائدة؛ وذلك لأنّ العقل إذا حكم بأنّ ترك الجزاء قبيح، وعُلم بالعقل أنّ القبيح من الله لايوجد، عُلم أنّ الله يُعطي هذه الأشياء لأنّها أجرية، وإيصال الجزاء واجب. وأمّا إذا قلنا بمذهبنا فتكون الآيات مفيدة مبشّرة، لأنّ البشارة لاتكون إلّا بالخبر عن أمر غير معلوم.

لايقال: الجزاء كان واجبًا على الله، وأمّا الخبر بهذه الأشياء فلايذكرها مبشّرًا.

لأنّا نقول: إذا وجب نفس الجزاء فما أعطانا الله تعالى من النّعم في الدّنيا جزاء، فثواب الآخرة لايكون إلّا تفضّلًا منه، غاية مافي الباب أنّه تعالى كمّل النّعمة بقوله: «هذا جزاؤكم» أي جعلته لكم جزاءً، ولم يكن متعيّنًا ولاواجبًا، كما أنّ الكريم إذا أعطى من جاء بشيء يسير شيئًا كثيرًا، فيظنّ أنّه يودعه إيداعًا أو يأمره بحمله إلى موضع، فيقول له: «هذا لك» فيفرح، ثمّ إنّه يقول: «هذا إنعام عظيم يوجب علىّ خدمة كثيرة» فيقول له: «هذا جزاء ماأتيت به، ولاأطلب منك على هذا خدمة، فإن أتيت فلها ثواب جديد» فيكون هذا غاية الفضل.

وعند هذا نقول: هذا كلّه إذا كان الآتي غير العبد، وأمّا إذا فعل العبد ماأوجب عليه سيّده فلايستحقّ عليه أجرًا ولاسيّما إذا أتى بما أُمر به على نوع اختلال، فاظنّك بحالنا مع الله عزّوجلّ؟ مع أنّ السّيّد لايملك من عبده إلّا البنية، والله يملك منّا أنفسنا وأجسامنا.

ثمّ إنّك اذا تفكّرت في مذهب أهل السّنّة تجدهم قد حقّقوا معنى العبوديّة غاية التّحقيق، واعترفوا أنّهم عبيد لايملكون شيئًا، ولايجب للعبد على السّيّد دين، والمعتزلة لم يحقّقوا العبوديّة، وجعلوا بينهم وبين الله

(١) هذا ومابعده كلام بعض تلاميذه، أو من تأخّر عنهم نقلًا عن الرّازيّ.

معاملة توجب مطالبة ...

المسألة الثّانية: قالوا: لو كان في الآخرة رؤية لكانت جزاءً، وقد حصر الله الجزاء فيما ذُكر.

والجواب عنه أن نقول: لِمَ قلتم: إنّها لو كانت تكون جزاءً، بل تكون فضلًا منه فوق الجزاء؟ وهَبْ أنّها تكون جزاءً، ولكن لِمَ قلتم: إنّ ذِكر الجزاء حصرٌ؟ وإنّه ليس كذلك، لأنّ مَن قال لغيره: «أعطيتك كذا جزاءً على عمل» لاينافي قوله: «وأعطيتك شيئًا آخر فوقه أيضًا جزاءً عليه».

وهَبْ أنّه حصرٌ، لكن لِمَ قلتم: إنّ القُربة لاتدلّ على الرّؤية؟ فإن قيل: قال في حقّ الملائكة: ﴿وَلَا الْمَلٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ النّساء: ١٧٢، ولم يلزم من قربهم الرّؤية؟ نقول: أجبنا أنّ قُربهم مثل قرب من يكون عند الملِك لقضاء الأشغال، فيكون عليه التّكليف والوقوف بين يديه بالباب تخرج أوامره عليه، كما قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التّحريم: ٦، وقُرب المؤمن قرب المنعم من الملِك، وهو الّذي لايكون إلّا للمكالمة والمجالسة في الدّنيا، لكن المقرّب المكلّف ليس كلّما يروح إلى باب الملِك يدخل عليه، وأمّا المنعم لايذهب إليه إلّا ويدخل عليه، فظهر الفرق. [ثمّ أطال البحث حول الرّؤية ثمّ في المسألة الثّالثة حول عمل العباد فلاحظ]

(٢٦: ١٥٥)

البَيْضاويّ: أي جُزوا جزاءً، أو أخفى للجزاء، فإنّ إخفاءه لعلوّ شأنه، وقيل: هذا لقوم أخفوا أعمالهم، فأخفى الله ثوابهم. (٢: ٢٣٦)

١١ـ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَاشُكُورًا. الدّهر: ٩

الباقر عليه السلام: والله ماقالوا هذا لهم، ولكنّهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر الله بإضمارهم يقولون: لانريد منكم جزاء تكافؤوننا به ولاشكورًا تثنون علينا به، ولكنّا إنّما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه. (الكاشانيّ ٥: ٢٦٠)

الطُّوسيّ: أي لانطلب بهذا الإطعام مكافأة عاجلة. (١٠: ٢١٠)

البُرُوسَويّ: ﴿لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾ على ذلك بالمال والنّفس. والفرق بين الجزاء والأجر: أنّ الأجر مايعود من ثواب العمل دنيويًّا كان أو أُخرويًّا، ويُقال فيما كان عن عقد ومايجري مجرى العقد، ولايقال إلّا في النّافع. وأمّا الجزاء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد، ويقال في النّافع والضّارّ، والمجازاة: المكافأة، وهي مقابلة نعمة بنعمة هي كفوها. [إلى أن قال:]

وفي «التّأويلات النّجميّة»: ﴿لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾ بالذّكر الجميل في الدّنيا. (١٠: ٢٦٦)

الطّباطَبائيّ: ﴿لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَاشُكُورًا﴾ الجزاء: مقابلة العمل بما يعادله إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، ويعمّ الفعل والقول، لكنّ المراد به في الآية بقرينة مقابلته «الشّكور» مقابلة إطعامهم عملًا لالسانًا.

(٢٠: ١٢٧)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ هذا المنهج ليس منحصرًا بالإطعام؛ إذ إنّ جميع أعمالهم خالصة لوجه الله تعالى، ولاينتظر من النّاس شكرًا وتقديرًا. والمعروف في الإسلام أنّ العمل لايُثمّن إلّا بخلوص النّيّة، وإذا

ماكانت أهداف الأعمال غير إلهيّة، رياءً كانت أو لهوًى النّفس، أو لشكر وتقدير يُنتظر من النّاس، أو لمكافآت مادّيّة، فليس لذلك من ثمن معنويّ وإلهيّ.

وقد أشار النّبيّ ﷺ إلى ذلك، إذ قال: «لاعمل إلّا بالنّيّة، وإنّما الأعمال بالنّيّات». (١٩: ٢٢٨)

لاحظ: «ر و د» و«ط ع م».

١٢ـ إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا.

الدّهر: ٢٢

قَتادة: غفر لهم الذّنب. (الطّبَريّ ٢٩: ٢٢٣)

الطّبَريّ: يقال لهؤلاء الأبرار حينئذٍ: إنّ هذا الّذي أعطيناكم من الكرامة، كان لكم ثوابًا على ماكنتم في الدّنيا تعملون من الصّالحات. (٢٩: ٢٢٣)

نحوه الطُّوسيّ (١٠: ٢١٩)، والواحديّ (٤: ٤٠٥)، والزّمَخشَريّ (٤: ٢٠٠)، والطّبْرِسيّ (٥: ٤١٢)، وأبوحَيّان (٨: ٤٠١)، والشّربينيّ (٤: ٤٥٩)، وأبوالسُّعود (٦: ٤٤٨).

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّ في الآية وجهين:

الأوّل: قال ابن عبّاس: المعنى أنّه يقال لأهل الجنّة بعد دخولهم فيها، ومشاهدتهم لنعيمها: إنّ هذا كان لكم جزاءً، قد أعدّه الله تعالى لكم إلى هذا الوقت، فهو كلّه لكم بأعمالكم على قلّة أعمالكم، كما قال حاكيًا عن الملائكة، إنّهم يقولون لأهل الجنّة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرّعد: ٢٤، وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الحاقّة: ٢٤، والغرض من ذكر هذا الكلام أن يزداد سرورهم، فإنّه يقال للمعاقَب: «هذا بعملك الرّديء» فيزداد غمّه وألم قلبه، ويقال للمُثاب: «هذا بطاعتك» فيكون ذلك تهنئة له وزيادة في سروره. والقائل بهذا التّفسير جعل القول مضمرًا، أي ويقال لهم هذا الكلام.

الوجه الثّاني: أن يكون ذلك إخبارًا من الله تعالى لعباده في الدّنيا، فكأنّه تعالى شرح جواب أهل الجنّة، أنّ هذا كان في علمي وحُكمي جزاءً لكم يامعاشر عبادي، لكم خَلَقتُها، ولأجلكم أعددتُها.

وبقي في الآية سؤالان:

السّؤال الأوّل: إذا كان فعل العبد خلقًا لله، فكيف يعقل أن يكون فعل الله جزاءً على فعل الله؟ الجواب: الجزاء هو الكافي، وذلك لاينافي كونه فعلًا لله تعالى.

السّؤال الثّاني: [راجع إلى شكر الله لعمل العبد، لاحظ: «ش ك ر»] (٣٠: ٢٥٥)

البَيْضاويّ: على إضمار القول والإشارة إلى ماعُدّ من ثوابهم. (٢: ٥٢٧)

الآلوسيّ: ﴿إِنَّ هٰذَا﴾ الّذي ذكر من فنون الكرامات الجليلة الشّأن ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ بمقابلة أعمالكم الصّالحة الّتي اقتضاها حُسن استعدادكم واختياركم، والظّاهر أنّ المجيء بالفعل للتّحقيق والدّوام. وجُوّز أن يكون المراد كان في علمي وحكمي. [إلى أن قال:]

وجُوّز أن يكون خطابًا من الله تعالى في الدّنيا، كأنّه سبحانه بعد أن شرح ثواب أهل الجنّة قال: إنّ هذا كان في علمي وحُكمي جزاءً لكم يامعشر عبادي، وكان سعيكم مشكورًا.

قيل: وهو لايُغني عن الإضمار ليرتبط بما قبله، وقد ذكر سبحانه من الجزاء ماتهشّ له الألباب، وأعقبه جلّ وعلا بما يدلّ على الرّضا الّذي هو أعلى وأغلى لدى الأحباب. (٢٩: ١٦٤)

الطّباطَبائيّ: حكاية مايخاطبون به من عنده تعالى عند توفيته أجرهم، أو بحذف القول، والتّقدير: ويقال لهم: إنّ هذا كان لكم جزاء «الخ». (٢٠: ١٣١)

مكارم الشّيرازيّ: قال البعض: إنّها نعمة مافوقها نعمة، وموهبة هي أعلى من كلّ المواهب، وهو شكر الله للإنسان. (كَانَ) فعل ماضٍ ويُخبر عن الماضي، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنّ هذه النّعَم كانت موفّرة لكم من قبل، لأنّ من يهتمّ كثيرًا بضيفه يُهيّء وسائل الضّيافة له من قبل. (١٩: ٢٣٩)

الجزْيَة

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. التّوبة: ٢٩

ابن عبّاس: ﴿حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون. (الطّبَريّ ١٠: ١١٠)

تؤخذ الجزية من الذّمّيّ وتُوجأ عنقه.

(البَيْضاويّ ١: ٤١٢)

مُجاهِد:...حين أُمر محمّد ﷺ وأصحابه بغزوة تبوك. (الطّبَريّ ١٠: ١١٠)

عِكْرِمة: أي تأخذها وأنت جالس، وهو قائم.

(الطّبَريّ ١٠: ١١٠)

الطّبَريّ: و(الجِزْيَة) الفِعلة، من جَزى فلان فلانًا ماعليه، إذا قضاه، يَجْزيه، و(الجِزية): مثل القِعدة والجِلسة.

ومعنى الكلام: حتّى يُعطوا الخراج عن رقابهم، الّذي يبذلونه للمسلمين دفعًا عنها.

وذُكر أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في أمره بحرب الرّوم، فغزا رسول الله ﷺ بعد نزولها غزوة تبوك.

(١٠: ١٠٩)

الزّجّاج: قيل: معنى ﴿عَنْ يَدٍ﴾ عن ذُلٍّ، وقيل: (عَنْ يَدٍ) عن قهر وذُلٍّ، كما تقول: «اليد في هذا لفلانٍ»، أي الأمر النّافذ لِفُلانٍ.

وقيل: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي عن إنعامٍ عليهم بذلك، لأنّ قبول الجزية منهم وترك أنفسهم نعمة عليهم، ويد من المعروف جزيلة. (٢: ٤٤٢)

عبد الجبّار: كيف يصحّ فيمن يكفر بالله تعالى أن يسوغ له الكفر ببذل الجزية؟

وجوابنا: أنّ قتلهم لأجل كفرهم وهو شرعيّ لاعقليّ. ويجوز أن يكون الصّلاح في ذلك مالم يُعطوا الجزية، فإذا أُعطوا حرم قتلهم.

وربّما يكون في ذلك هدايتهم للإسلام إذا أقرّوا ثمّ سمعوا الشّرائع.

وقد قيل: إنّ قتلهم على الشّرك لو لم يجز تركه، لأدّى إلى الإكراه، وقد قال تعالى: ﴿لَااِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة: ٢٥٦.

فإن قيل: فأنتم متى قلتم ذلك فإنّ في الكفّار مَن لايرضَى منه إلّا بالقتل، فيجب أن يكون مُكرَهًا على الإسلام؟

وجوابنا: أنّه لاكافر إلّا وقد يجوز أن يتخلّص ببعض الوجوه، وإن كان مقيمًا على الكفر فلايلزم ذلك. (١٦٤)

الطُّوسيّ: والآية صريحة بأنّ هؤلاء الّذين هم أهل الكتاب الّذين يؤخذ منهم الجزية لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر، وأنّه يجب قتالهم ﴿حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾.

ومن قال: إنّهم يجوز أن يكونوا عارفين بالله تعالى، قال: الآية خرجت مخرج الذّمّ لهم، لأنّهم بمنزلة من لايُقِرُّ به في عظم الجُرم، كما أنّهم بمنزلة المشركين في عبادة الله بالكفر.

وقال الجُبّائيّ: لأنّهم يُضيفون إليه مالايليق به، فكأنّهم لايعرفونه، وإنّما جُمعت هذه الأوصاف لهم ولم‌يذكروا بالكفّار من أهل الكتاب للتّحريض على قتالهم، بما هم عليه من صفات الذّمّ الّتي توجب البراءة منهم، والعداوة لهم..

وقوله: (حتّى يُعطوا الجزية...)

فالجزية: عطيّة عقوبة جزاء على الكفر بالله، على ماوصفه رسول الله ﷺ على أهل الذّمّة.

وهو على وزن: جِلسة، وقِعدة لنوع من الجزاء.

وإنّما قيل: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ ليفارق حال الغصب على إقرار أحد.

والجزية لاتؤخذ عندنا إلّا من اليهود والنّصارى والمجوس. وأمّا غيرهم من الكفّار ـ على اختلاف مذاهبهم من عُبّاد الأصنام والأوثان، والصّابئة وغيرهم ـ فلايُقبَل منهم غير الإسلام أو السّبي.

وإنّما كان كذلك لما علم الله تعالى من المصلحة في إقرار هؤلاء على كفرهم ومنع ذلك في غيرهم، لأنّ هؤلاء على كفرهم يُقرّون بألسنتهم بالتّوحيد وببعض الأنبياء، وإن لم يكونوا على الحقيقة عارفين. وأُولئك يجحدون ذلك كلّه. فلذلك فرّق بينهما.

وإن قيل: إعطاء الجزية منهم لايخلو أن يكون طاعة أو معصية، فإن كان معصية فكيف أمر الله بها؟ وإن كان طاعة وجب أن يكونوا مطيعين لله؟

قلنا: إعطاؤهم ليس بمعصية، وأمّا كونها طاعة لله فليس كذلك، لأنّهم إنّما يُعطونها دفعًا للقتل عن أنفسهم لالطاعة لله، فإنّ الكافر لايقع منه طاعة عندنا بحال، لأنّه لو فعل طاعة لله لاستحقّ الثّواب، والإحباط باطل، فكان يجب أن يكون مستحقًّا للثّواب، وذلك خلاف الإجماع. (٥: ٢٣٦)

الزّمَخْشَريّ: سُمّيت جِزْية، لأنّها طائفة ممّا على أهل الذّمّة أن يجزوه، أي يقضوه، أو لأنّهم يجزون بها مَن منّ عليه بالإعفاء عن القتل. [ثمّ ذكر وَصف المُعطي والآخذ، فراجع] (٢: ١٨٤)

نحوه الفَخْر الرّازيّ (١٦: ٣٠)

ابن عَطيّة: [تعرّض لأحكام الجزية وأقوال الفقهاء والمُعطي والآخذ وشرائطها، فراجع] (٣: ٢٢)

نحوه أبوحيّان. (٥: ٢٩)

الطَّبْرِسيّ: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وصف

الّذين ذكرهم بأنّهم من أهل الكتاب، وهم اليهود والنّصارى.

وقال أصحابنا: إنّ المجوس حُكمهم حُكم اليهود والنّصارى ﴿حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ أي نقدًا من يده إلى يد مَن يَدفعه إليه من غير نائب، كما يقال: «كلّمته فمًا بفم».

وقيل: معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم، كما يقال: «كان اليد لفلان».

وقيل: يدٌ لكم عليهم، ونعمة تسدّونها إليهم بقبول الجزية منهم. (٣: ٢٢)

البَيْضاويّ: ﴿حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ ماتقرّر عليهم أن يُعطوه. مشتقّ من: جَزى دَيْنه، إذا قضاه. (عَنْ يَدٍ) حال من الضّمير في يُعطوا، أي عن يدٍ مؤاتية، بمعنى منقادين، أو عن يدهم، بمعنى مُسلِمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم، ولذلك مُنع من التّوكيل فيه، أو عن غنيّ، ولذلك قيل: لاتؤخذ من الفقير، أو عن يد قاهرة عليهم، بمعنى عاجزين أذلّاء، أو إنعام عليهم فإنّ إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة، أو من الجزية بمعنى نقدًا مسلّمةً عن يد إلى يد. [ثمّ تعرّض لبعض آراء الفقهاء في العطاء ومقدارها فراجع] (١: ٤١٢)

نحوه أبوالسُّعود. (٣: ١٤٠)

السّمين: و(الجزية): «فِعلة» لبيان الهيئة كالرِّكبة، لأنّها من الجزاء على ماأعطوه من الأمن، (وَعَنْ يَدٍ) حال، أي يُعطوها مقهورين أذِلّاء. (٣: ٤٥٨)

الشِّربينيّ: وهي الخراج المضروب على رقابهم، في نظير سكناهم في بلاد الإسلام آمنين، مأخوذ من «المجازاة» لِكفّنا عنهم.

وقيل: من «الجزاء» بمعنى القضاء، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ٤٨، أي لاتقضي. [ثمّ أدام نحو البَيْضاويّ] (١: ٦٠١)

البُرُوسَويّ: (الجِزْيَة) «فعلة» من جَزى دَيْنه، إذا قضاه. سُمّي مايُعطيه المعاهِد ـ ممّا تقرّر عليه بمقتضى عهده ـ جزيةً، لوجوب قضائه عليه، أو لأنّها تجزي عن الذّمّيّ، أي تقضي وتكفي عن القتل، فإنّه إذا قبلها يسقط عنه القتل. (٣: ٤١٢)

الآلوسيّ: [نحو البَيْضاويّ ثمّ قال:]

أو من: جزيته بما فعل، أي جازيته، لأنّهم يجزون بها مَن مَنّ عليهم بالعفو عن القتل.

وفي «الهداية» أنّها جزاء الكفر، فهي من «المجازاة».

وقيل: أصلها الهمز، من: الجزْء والتّجزئة، لأنّها طائفة من المال يُعطى.

وقال الخوارزميّ: إنّها معرّبُ «كزيت»، وهو الخراج بالفارسيّة، وجمعها: جِزًى، كَلِحْيَة ولِحًى. (١٠: ٧٨)

الطَّباطَبائيّ: ...لايُشكّ في أنّ قتال أهل الكتاب حتّى يُعطوا الجزية، ليس لغرض تمتّع أولياء الإسلام ولاالمسلمين، من متاع الحياة الدّنيا واسترسالهم وانهماكهم في الشّهوات، على حدّ المُترَفين من الملوك والرّؤساء، المُسرفين من أقوياء الأُمم.

وإنّما غرض الدّين في ذلك أن يظهر دين الحقّ وسُنّة العدل وكلمة التّقوى، على الباطل والظّلم والفسق، فلايعترضها في مسيرها اللّعب والهوى، فتسلم التّربية الصّالحة المصلِحة من مزاحمة التّربية الفاسدة المفسِدة،

حتّى لاينجرّ إلى أن تُجذَب هذه إلى جانب، وتلك إلى جانب، فيتشوّش أمر النّظام الإنسانيّ إلّا أن لايرتضي واحد أو جماعة التّربية الإسلاميّة لنفسه أو لأنفسهم، فيكونون أحرارًا فيما يرتضونه لأنفسهم من تربية دينهم الخاصّة، على شرط أن يكونوا على شيء من دين التّوحيد، وهو اليهوديّة أو النّصرانيّة أو المجوسيّة، وأن لايتظاهروا بالمزاحمة، وهذا غاية العدل والنّصفة من دين الحقّ الظّاهر على غيره.

وأمّا (الجزية) فهي عطيّة ماليّة مأخوذة منهم، مصروفة في حفظ ذمّتهم وحسن إدارتهم، ولاغنى عن مثلها لحكومة قائمة على ساقها، حقّة أو باطلة.

ومن هذا البيان يظهر أنّ المراد بهذه المحرّمات: المحرّمات الإسلاميّة الّتي عزم الله أن لاتشيع في المجتمع الإسلاميّ العالميّ، كما أنّ المراد بـ(دين الحقّ) هو الّذي يعزم أن يكون هو المتّبع في المجتمع.

ولازم ذلك أن يكون المراد بالمحرّمات: المحرّمات الّتي حرّمها الله ورسوله محمّد ﷺ الصّادع بالدّعوة الإسلاميّة، وأن يكون الأوصاف الثّلاثة: ﴿الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية، في معنى التّعليل تفيد حكمة الأمر بقتال أهل الكتاب.

وبذلك كلّه يظهر فساد ماأُورد على هذا الوجه، أنّه لايُعقل أن يحرّم أهل الكتاب على أنفسهم ماحرّم الله ورسوله علينا إلّا إذا أسلموا، وإنّما الكلام في أهل الكتاب لافي المسلمين العاصين.

وجه الفساد أنّه ليس من الواجب أن يكون الغرض من قتالهم أن يحرّموا ماحرّم الإسلام وهم أهل الكتاب، بل أن لايظهر في النّاس التّبرّز بالمحرّمات من غير مانع يمنع شيوعها، والاسترسال فيها، كشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وأكل المال بالباطل على سبيل العلن، بل يقاتَلون ليدخلوا في الذّمّة، فلايتظاهروا بالفساد ويحتبس الشّرّ فيما بينهم أنفسهم.

ولعلّه إلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

[إلى أن قال:]

والاعتبار بما ذُكر في صدر الآية من أوصافهم المقتضية لقتالهم، ثمّ إعطاؤهم الجزية لحفظ ذمّتهم، يفيد أن يكون المراد بصغارهم: خضوعهم للسُّنّة الإسلاميّة، والحكومة الدّينيّة العادلة في المجتمع الإسلاميّ، فلايكافؤوا المسلمين ولايبارزوهم بشخصيّة مستقلّة حرّة، في بثّ ماتهواه أنفسهم، وإشاعة مااختلقته هوساتهم، من العقائد والأعمال المفيدة للمجتمع الإنسانيّ، مع مافي إعطاء المال بأيديهم من الهوان.

فظاهر الآية: أنّ هذا هو المراد من «صغارهم» لاإهانتهم والسّخريّة بهم من جانب المسلمين، أو أولياء الحكومة الدّينيّة، فإنّ هذا ممّا لايحتمله السّكينة والوقار الإسلاميّ وإن ذكر بعض المفسّرين.

واليد: الجارحة من الإنسان وتُطلق على القُدرة والنّعمة. فإن كان المراد به في قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ هو المعنى الأوّل، فالمعنى حتّى يُعطوا الجزية متجاوزة عن يدهم إلى يدكم. وإن كان المراد هو المعنى الثّاني، فالمعنى حتّى يُعطوا الجزية عن قُدرة وسلطة لكم عليهم (وَهُمْ صَاغِرُونَ) غير مستعلين عليكم ولامستكبرين.

فمعنى الآية ـ والله أعلم ـ قاتلوا أهل الكتاب، لأنّهم لايؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا مقبولاً غير منحرف عن الصّواب، ولايحرّمون ماحرّمه الإسلام ممّا يُفسد اقترافه المجتمع الإنسانيّ، ولايدينون دينًا منطبقًا على الخِلقة الإلهيّة. قاتلوهم ودوموا على قتالهم، حتّى يصغروا عندكم ويخضعوا لحكومتكم، ويُعطوا في ذلك عطيّة ماليّة، مضروبة عليهم يُمثّل صغارهم، ويُصرَف في حفظ ذمّتهم، وحَقْن دمائهم، وحاجة إدارة أُمورهم.

(٩: ٢٣٩)

مكارم الشّيرازيّ: و(الجِزية) مأخوذة من مادّة الجزاء، ومعناها المال المأخوذة من غير المسلمين الّذين يعيشون في ظلّ الحكومة الإسلاميّة، وهذه التّسمية لأنّها جزاء حفظ مال غير المسلمين وأرواحهم. هذا مايستفاد من كلام الرّاغب في «مفرداته» فلابأس بمراجعتها.

والصّاغر مأخوذ من «الصِّغَر» على زنة «الكِبَر» وخلاف معناه، ومعناه الرّاضي بالذّلّة. والمراد من الآية: أنّ الجِزية ينبغي أن تُدفع في حالٍ من الخضوع للإسلام والقرآن.

وبتعبير آخر: هي علامة للحياة السّلميّة، وقبول كون الدّافع للجزية من الأقلّيّة المحفوظة والمحترمة بين الأكثريّة الحاكمة.

وماذهب إليه بعض المفسّرين من أنّ المراد من (الجزية) في الآية هو تحقير أهل الكتاب وإهانتهم والسُّخر منهم، فلايستفاد ذلك من المفهوم اللّغويّ لكلمة الآية، ولاينسجم وروح تعاليم الإسلام السّمحة، ولاينطبق مع سائر التّعاليم أو الدّستور الّذي وصلنا في شأن معاملة الأقلّيّات.

وماينبغي التّنويه به هنا هو أنّ الآية وإن ذكرت شرط الجزية من بين شروط الذّمّة فحسب، إلّا أنّ التّعبير بـ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إشارة إجماليّة إلى سائر شروط الذّمّة، لأنّه يستفاد من هذه الجملة بأنّهم ـ مثلًا ـ يعيشون في محيط إسلاميّ، فليس لهم أن يُظاهروا أعداء الإسلام، ولايكون لهم إعلام مضادّ للإسلام، ولايقفوا حجر عثرة في رُقيّه وتقدّمه، وما إلى ذلك، لأنّ هذه الأُمور تتنافى و روح الخضوع والتّسليم للإسلام، والتّعاون مع المسلمين.

ماهيَ الجزية؟

تُعدّ الجزية ضريبةً ماليّة «إسلاميّة» وهي تتعلّق بالأفراد لابالأموال ولابالأراضي، أو بتعبير آخر: هي ضريبة ماليّة سنويّة على الرّؤوس.

ويعتقد بعضهم أنّها ليست من أصل عربيّ، وإنّما هي فارسيّة قديمة، وأصلها «كزيت» ومعناها الأموال الّتي تؤخذ للدّعم العسكريّ، أو مايُصطلح عليه في عصرنا بـ«المجهود الحربيّ».

لكن الكثير يعتقدون أنّ هذه الكلمة «الجزية» عربيّة خالصة. وكما ذكرنا آنفًا فهي مأخوذة من «الجزاء» لأنّ الماليّة المذكورة أو الضّريبة الّتي تُدفع، إنّما هي جزاء الأمن الّذي توفّره الحكومة الإسلاميّة للأقلّيّات المذهبيّة[1].

والجزية كانت قبل الإسلام، ويعتقد بعضهم أنّ أوّل من أخذ الجزية هو كسرى أنوشروان الملك السّاسانيّ،

---

(١) الدّينيّة...و«المذهبيّة» إصطلاح فارسيّ.

لكنّنا لانقطع بذلك[1]. بل المقطوع به أنّ أنوشروان كان يأخذ من أبناء وطنه الجزية، وكان يأخذ ممّن لم يكن موظّفًا في الدّولة وعمره أكثر من عشرين عامًا وأقلّ من خمسين عامًا، مبلغًا سنويًّا يتراوح بين ١٢ و١٨ و٦ و٤ دراهم، على أنّه ضريبة سنويّة على كلّ فرد.

وقد كتبوا أنّ فلسفة هذه الضّرائب أو حِكمتها هي الدّفاع عن موجوديّة الوطن واستقلاله وأمنه، وهي وظيفة عامّة على جميع النّاس، فبناءً على ذلك متى ماقام جماعة فعلًا بالمحافظة على الوطن ولم يستطع الآخرون أن يُجنّدوا أنفسهم للدّفاع عن الوطن ـ لأنّهم يكتسبون ويتّجرون مثلًا ـ فإنّ على الجماعة الثّانية أن تقوم بمصارف المقاتلين، فتدفع ضرائب سنويّة للدّولة.

ومالدينا من القرائن يؤيّد فلسفة الجزية، سواء قبل الإسلام أو بعده.

فمسألة السّنّ في مَن يُعطي الجزية في عصر أنوشروان الّذي ذكرناه آنفًا «وهي أنّ الجزية تقع على مَن عمره عشرون عامًا إلى خمسين عامًا» دليل واضح على هذا المَطلب، لأنّ أصحاب هذه المرحلة من العمر كانوا قادرين على حمل السّلاح، والمساهمة في الحفاظ على أمن البلاد، إلّا أنّهم كانوا يدفعون الجزية لأعمالهم وكسبهم.

والشّاهد الآخر على ذلك: أنّه لاتجب الجزية «في الإسلام» على المسلمين، لأنّ الجهاد واجب عليهم جميعًا، وعند الضّرورة يجب على الجميع أن يتّجهوا نحو ساحات القتال ليقفوا بوجه العدوّ، إلّا أنّه لمّا كانت الأقلّيّات المذهبيّة غير مفروضٍ عليها الجهاد، فعليها أن تدفع المال مكان الجهاد، ليكون لهم نصيب في الدّفاع عن الوطن الّذي يتمتّعون بالحياة فيه، وحفظه.

ثمّ إنّ سقوط الجزية عن الأطفال والشّيوخ والمقعَدين والنّساء والعُمْي، دليل آخر على هذا الموضوع.

ممّا ذكرناه يتّضح أنّ الجزية إعانة ماليّة فحسب، يقدّمها أهل الكتاب إزاء مايتحمّله المسلمون من مسؤوليّة في الحفاظ عليهم وعلى أموالهم.

فبناء على ذلك فإنّ مَن يزعم أنّ الجزية نوع من أنواع حقّ التّسخير، لم يلتفت إلى روحها وحِكمتها وفلسفتها، فهو لم يلتفت إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ أهل الكتاب متى دخلوا في أهل الذّمّة، فإنّ الحكومة الإسلاميّة يجب عليها أن ترعاهم وتحافظ عليهم، وتمنعهم من كلّ أذًى أو سوء.

ومع ملاحظة أنّ أهل الذّمّة عند دفعهم الجزية، بالإضافة إلى أنّها تمنحهم حقّ التّمتّع بالحياة مع المسلمين في أمن وصون، فليس عليهم أيّ تعهّد من المساهمة في القتال مع المسلمين وفي جميع الأمور الدّفاعيّة، ويتّضح أنّ مسؤوليّتهم إزاء الحكومة الإسلاميّة أقلّ من المسلمين بمراتب.

أي إنّهم يتمتّعون بجميع المزايا في الحكومة الإسلاميّة بدفعهم مبلغًا ضئيلًا، ويكونون سواءً هم والمسلمون، في حين أنّهم ـ في غير هذه الصّورة ـ لاقُدرة لهم بوجه الحوادث والأُمور الأُخرى.

---

(١) المقصود من «لانقطع بذلك» أي لانقطع أنّه أوّل من أخذ. وليس المقصود منه «الجزية» فهي مقطوع بها.

ومن الأدلّة الّتي تؤيّد فلسفة هذا الموضوع، أنّه في المعاهدات الّتي كانت ـ في صدر الإسلام أوالحكومة الإسلاميّة ـ بين المسلمين وأهل الكتاب في شأن الجزية، في تلك المعاهدات تصريح بأنّ على أهل الكتاب أن يدفعوا الجزية، وفي قبال ذلك على المسلمين أن يمنعوهم ـ أي يحفظوهم ـ وأن يدافعوا عنهم إذا داهمهم العدوّ الخارجيّ.

وهذه المعاهدات كثيرة، ونورد مثلًا منها، وهي المعاهدة الّتي تمّت بين خالد بن الوليد مع المسيحيّين الّذين كانوا يقطنون حول «الفرات».

نصّ كتاب المعاهدة:

هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه، إنّي عاهدتكم على الجزية والمنعة، فلك الذّمّة والمنعة، ومامنعناكم فلنا الجزية وإلّا فلا. كُتب سنة اثنتي عشرة في صفر[1].

والّذي يسترعي النّظر هو أنّنا نقرأ في هذه المعاهدة وأمثالها أنّه متى ماقصّر المسلمون في الحفاظ على أهل الذّمّة أو لم يمنعوهم، فالجزية تعاد إليهم أو لاتؤخذ منهم عندئذٍ أصلًا.

وينبغي الالتفات إلى هذه المسألة، وهي أنّ الجزية ليس لها مقدار معيّن، وميزانها بحسب استطاعة الّذين يدفعونها، غير أنّه ممّا يستفاد من التّواريخ أنّها ـ أي الجزية ـ مبلغ ضئيل، وهذا المبلغ لايتجاوز الدّينار[2] في السّنة، وربّما قُيّد في المعاهدة أنّ على دافعي الجزية أن يدفعوا بمقدار استطاعتهم جزيةً.

ومن جميع ماتقدّم ذكره يتّضح أنّ جميع ماأُثير من شبهات أو إشكالات في هذا الصّدد، باطل لااعتبار له، ويثبت أنّ هذا الحكم الإسلاميّ حُكم عادل ومنصف.

(٥: ٥٣٤)

الوجوه والنّظائر

الحيريّ: «الجزاء» على وجهين:

أحدهما: القضاء، كقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ الآية، في موضعين البقرة: ٤٨، ١٢٣.

والثّاني: الثّواب، كقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السّجدة: ١٧، والأحقاف: ١٤، والواقعة: ٢٤، وقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِاٰيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصّلت: ٢٨، وقوله: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ القمر: ١٤، أي جزاء لنوح بما كفروا به. (١٧٢)

الفيروزاباديّ: «الجزاء» وهو الغَناء والكفاية والمكافأة بالشّيء، ومافيه الكفاية من المقابلة إنْ خيرًا فخير وإنْ شرًّا فشرّ.

وقد ورد في القرآن على ستّة أوجه:

الأوّل: بمعنى المكافأة والمقابلة ﴿وَمَالِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزٰى﴾ الّيل: ١٩، أي تقابَل.

الثّاني: بمعنى الأداء والقضاء ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة: ٤٨، أي لاتقضي

(١) نقلًا عن تفسير المنار، ج ١٠، ص٢٩٤.

(٢) من المناسب أن أشير إلى أنّ المقصود بالدّينار ليس هو الدّينار المتعارف بيننا، كالدّينار العراقيّ أو الدّينار الأردنيّ أو الدّينار الكويتيّ وهلمّ جرًّا، بل هو الدّينار الذّهبيّ الّذي يعادل مثقالًا ونصف أو أدنى من ذلك بقليل.

ولاتؤدّي.

الثّالث: بمعنى الغُنْية والكفاية ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ لقمان: ٣٣.

الرّابع: بمعنى العِوَض والبَدَل ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المائدة: ٩٥، أي فبدله ومبدله.

الخامس: خَراج أهل الذّمّة ﴿حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التّوبة: ٢٩.

السّادس: بمعنى ثواب الخير والشّرّ ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ المؤمن: ١٧، ثمّ يختلف:

فالجزاء على الإحسان ﴿هَلْ جَزَاءُ الْاِحْسَانِ اِلَّا الْاِحْسَانُ﴾ الرّحمن: ٦٠.

وجزاءُ السّيّئة ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ النّساء: ١٢٣، ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشّورى: ٤٠.

والجزاء على شكر النّعم ﴿اِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ الدّهر: ٢٢.

وجزاء الصّبر على البلاء والابتلاء ﴿وَجَزٰيهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ الدّهر: ١٢، ﴿اِنّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ المؤمنون: ١١١، ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ الفرقان: ٧٥.

وجزاء العمل الصّالح وكسب الخيرات ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السّجدة: ١٧. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ التّوبة: ٨٢.

وجزاءُ كسب السّيّئات وعمل المعاصي ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ اِلَّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النّمل: ٩٠، ﴿اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطّور: ١٦.

وجزاء الوَرَع والتّقوى ﴿كَذٰلِكَ يَجْزِى اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾ النّحل: ٣١.

وجزاءُ عَداوَةِ أهل الحقّ ﴿ذٰلِكَ جَزَاءُ اَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ﴾ فصّلت: ٢٨.

وجزاءُ القول الباطل ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ الأنعام: ٩٣.

وجزاءُالجامعين‌بين الإساءةِ والإحسان ﴿...لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى﴾ النّجم: ٣١.

وجزاءٌ على خزائن الخاصّ ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ البيّنة: ٨.

وجزاءٌ عطائيّ بلاواسطةِ عِلّةٍ ووسيلةٍ عنديّة ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ النّبأ: ٣٦. (٢: ٣٨٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَزاء، أي المكافأة؛ يقال: جَزَيْتُه بما صنع أجزيه جَزاءً، وجازيتُه مُجازاة وجِزاءً، أي كافأتُه، وجَزَيتُ عنك فلانًا: كافأتُه، وأجزيتُ عنه: كافأتُ عنه، واجتَزيتُه: طلبتُ منه الجَزاء.

وجَزَى عنّي هذا الأمرُ: قَضَى عنّي، وجَزَت عنك شاة وأجزت: قَضَت، وفي الحديث: «ولاتجزي عن أحد بعدك» أي لاتقضي. وجَزَيتُ فلانًا حقَّه: قضيتُه، وتجازيتُ دَيْني على فلان: تقاضيتُه، فأنا متجازٍ، وأمرتُ فلانًا يتجازى دَيْني، أي يتقاضاه.

والجِزْيَة: خَراج الأرض وما يؤخذ من الذّمّيّ، كأنّها

جزَت عن قتله، والجمع: جِزًى وجِزْي.

٢ـ ووردت «الجِـزيـة» أيضًا في بعض اللّغات السّاميّة بألفاظ مختلفة، كما وردت في اللّغة الفارسيّة القديمة «الفهلويّـة» بلفظ «گزِيت» و«گزِيت».

وقد كشفت المعالم الأثريّة في اليمن عن عراقة هذا اللّفظ وأصالته العربيّة؛ إذ جاء ذكره في النّصوص المَعينيّة القديمة. ولكنّ «آرثر جفري» تشبّث في «مفرداته» برأي أحد نظرائه القائل بأعجميّته، ريثما تُترجَم هذه النّصوص ترجمة صحيحة كما زعم، حتّى يمكن الرّكون إليها.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها الفعل ماضيًا (٤) مرّات، ومضارعًا (٦٩) مرّة، واسم فاعل مرّةً، واسم مصدر (٤٢) مرّة، واسمًا مرّة في «١٠٨» آية مكّيّة ومدنيّة، في أصناف شتّى من السّعداء والأشقياء، معظمها في الآخرة، وقليل منها في الدّنيا:

جزاء الصّابرين:

١ـ ﴿وَجَزٰيهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الدّهر: ١٢

٢ـ ﴿اُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ الفرقان: ٧٥

٣ـ ﴿اِنّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا اَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ المؤمنون: ١١١

جزاء الشّاكرين:

٤ـ ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا اِلَّا اٰلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ القمر: ٣٤، ٣٥

٥و٦ـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ... وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ آل‌عمران: ١٤٤، ١٤٥

جزاء المحسنين:

٧ـ ﴿وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنٰى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ اَمْرِنَا يُسْرًا﴾ الكهف: ٨٨

٨ـ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْاِحْسَانِ اِلَّا الْاِحْسَانُ﴾ الرّحمن: ٦٠

٩ـ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزَاؤُا الْمُحْسِنِينَ﴾ الزّمر: ٣٣، ٣٤

١٠ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمٰنَ وَاَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسٰى وَهٰرُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الأنعام: ٨٤

١١ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ اٰتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢

١٢ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ وَاسْتَوٰى اٰتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ القصص: ١٤

١٣ـ ﴿سَلَامٌ عَلٰى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصّافّات: ٧٩، ٨٠

١٤ـ ﴿وَنَادَيْنَاهُ اَنْ يَا اِبْرٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصّافّات: ١٠٤و١٠٥

١٥ـ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرٰهِيمَ * كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ الصّافّات: ١٠٩و١١٠

١٦ـ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهٰرُونَ * إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ الصّافّات: ١٢٠، ١٢١

١٧ـ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ الصّافّات: ١٣٠، ١٣١

١٨ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ المرسلات: ٤٣، ٤٤

١٩ـ ﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ٨٥

جزاء المتّقين:

٢٠ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَايَشَاؤُنَ كَذٰلِكَ يَجْزِى اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾ النّحل: ٣١

٢١ـ ﴿قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ الفرقان: ١٥

٢٢ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَاكِذَّابًا * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ النّبأ: ٣١ـ ٣٦

جزاء الصّادقين والمتصدّقين:

٢٣ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجٰيةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: ٨٨

٢٤ـ لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب: ٢٤

جزاء الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات:

٢٥ـ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَاأَوْلَادُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ سبأ: ٣٧

٢٦ـ ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ طٰهٰ: ٧٥، ٧٦

٢٧ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ البيّنة: ٧، ٨

٢٨ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ يونس: ٤

٢٩ـ ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ الرّوم: ٤٥

٣٠ـ ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ سبأ: ٤

الجزاء بأحسن ماكانوا يعملون:

٣١ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت: ٧

٣٢ـ ﴿وَلَايُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَاكَبِيرَةً وَلَايَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ التّوبة: ١٢١

٣٣ـ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ النور: ٣٨

٣٤ـ ﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الزمر: ٣٥

٣٥و٣٦ـ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٦، ٩٧

جزاء الأبرار:

٣٧ـ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الدهر: ٩

٣٨ـ ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ الدهر: ٢٢

جزاء المزكّين:

٣٩ـ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ الليل: ١٨، ١٩

جزاء المستغفرين:

٤٠ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ... أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ آل عمران: ١٣٦

جزاء ما كانوا يسعون ويكسبون:

٤١ـ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ النجم: ٣٩ـ٤١

٤٢ـ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ طه: ١٥

٤٣ـ ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إبراهيم: ٥١

٤٤ـ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ التوبة: ٩٥

٤٥ـ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الجاثية: ١٤

٤٦ـ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا... * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ التوبة: ٨٢

٤٧ـ ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ الأنعام: ١٢٠

٤٨ـ ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الجاثية: ٢٢

٤٩ـ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة: ٣٨

٥٠ ـ ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ المؤمن: ١٧

٥١ ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ يونس: ٥٢

جزاء ما كانوا يعملون:

٥٢ ـ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النمل: ٩٠

٥٣ ـ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يس: ٥٤

٥٤ ـ ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الصافات: ٣٨، ٣٩

٥٥ ـ ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطور: ١٦

٥٦ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التحريم: ٧

٥٧ ـ ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: ٢٨

٥٨ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٤٧

٥٩ ـ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٨٠

٦٠ ـ ﴿...وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سبأ: ٣٣

٦١ ـ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأحقاف: ١٤

٦٢ ـ ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الواقعة: ٢٢ ـ ٢٤

٦٣ ـ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة: ١٧

جزاء ما كانوا يصدفون:

٦٤ ـ ﴿...فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام: ١٥٧

جزاء المجرمين:

٦٥ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٠

٦٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يونس: ١٣

٦٧ ـ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأحقاف: ٢٥

جزاء الظالمين:

٦٨ ـ ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ٤١

٦٩ ـ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يوسف: ٧٥

٧٠ ـ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٢٩

٧١ ـ ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ... فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الحشر: ١٦، ١٧

٧٢ ـ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ

أَصْحابِ النَّارِ وَذٰلِكَ جَزاؤُا الظّالِمِينَ﴾ المائدة: ٢٩

جزاء المفترين:

٧٣ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ﴾

الأعراف: ١٥٢

٧٤ـ ﴿وَقالُوا هٰذِهِ أَنْعامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُها إِلّا مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها...سَيَجْزِيهِمْ بِما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ١٣٨

جزاء المسرفين:

٧٥ـ ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقىٰ﴾ طٰه: ١٢٧

جزاء المستكبرين والفاسقين:

٧٦ـ ﴿...وَلَوْ تَرىٰ إِذِ الظّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَالْمَلٰئِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام: ٩٣

٧٧ـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ الأحقاف: ٢٠

جزاء المسيئين:

٧٨ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصّلت: ٢٧

٧٩ـ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها...أُولٰئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾

يونس: ٢٧

٨٠ـ ﴿لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾ النّساء: ١٢٣

جزاء الحسنة والسيّئة:

٨١ـ ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزىٰ إِلّا مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾

الأنعام: ١٦٠

٨٢ـ ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ القصص: ٨٤

٨٣ـ ﴿وَلِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ﴾

النجم: ٣١

٨٤ـ ﴿وَجَزاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾

الشّورى: ٤٠

٨٥ـ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزىٰ إِلّا مِثْلَها وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ المؤمن: ٤٠

جزاء القاتلين:

٨٦ـ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾ النّساء: ٩٣

جزاء الكافرين:

٨٧ـ ﴿كَيْفَ يَهْدِى اللّٰهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ...أُولٰئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّٰهِ وَالْمَلٰئِكَةِ

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ آل‌عمران: ٨٧

٨٨ ـ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ...فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ١٩١

٨٩ ـ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ التّوبة: ٢٦

٩٠ ـ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ القمر: ١٤

٩١ ـ ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ* ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ سبأ: ١٦، ١٧

٩٢ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ فاطر: ٣٦

جزاء الطّاغين:

٩٣ ـ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا* لِلطَّاغِينَ مَآبًا* لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا* جَزَاءً وِفَاقًا﴾ النّبأ: ٢١ ـ ٢٦

جزاء الباغين:

٩٤ ـ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الأنعام: ١٤٦

جزاء الّذين يحاربون الله ورسوله:

٩٥ ـ ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة: ٣٣

جزاء من جحد أو كفر بآيات الله:

٩٦ ـ ﴿ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصّلت: ٢٨

٩٧ ـ ﴿ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ءَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الإسراء: ٩٨

٩٨ ـ ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ...* ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ الكهف: ١٠٥، ١٠٦

٩٩ ـ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ٨٥

جزاء من تبع الشّيطان:

١٠٠ ـ ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ الإسراء: ٦٣

يوم لايجزى نفسٌ عن نفس:

١٠١ ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ البقرة: ١٢٣

١٠٢ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَايُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَاتَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

البقرة: ٤٨

١٠٣ـ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَايَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ لقمان: ٣٣

جزاء المشرّعين:

١٠٤ـ ﴿وَقَالُوا مَافِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلٰى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

الأنعام: ١٣٩

جزاء الزّنى والسّرقة في مصر:

١٠٥ـ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَاجَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يوسف: ٢٥

١٠٦ـ ﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَاكُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَاجَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يوسف: ٧٣ـ ٧١

جزاء الصّيد من الحرم:

١٠٧ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ...﴾ المائدة: ٩٥

الجزية:

١٠٨ـ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَايُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَايَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التّوبة: ٢٩

ويلاحظ أوّلًا: أنّ الماضي جاء (٤) مرّات موزّعة بين الدّنيا والآخرة سواء: فاثنتان منها: (١و٣) في جزاء الصّابرين في الآخرة والآخرة مستقبلة قهرًا، فيخطر بالبال أنّ الماضي فيهما بمعنى المستقبل، اعتبارًا للأمر المحقّق الوقوع في المستقبل واقعًا بالفعل، تأكيدًا على صدقه، وهذا الوجه جار في (١) فقط، لأنّ سياقها في وصف الأبرار يوم القيامة ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقٰيهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقّٰيهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزٰيهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أمّا الثّانية فحكاية حوار بين الله وأهل النّار يوم القيامة كما يأتي.

واثنتان منها: (٩١و٩٤) حكاية ماجرى على قوم سبأ واليهود:

ففي الأوّل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ [إلى أن قال:] ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا...﴾ فجزاهم الله بكفرهم بإرسال السّيل العرم عليهم، وتبديلهم بجنّتين ذوات أُكل خمط...

وفي الثّانية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ...ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ وفيها بحوث:

١ـ خصّ الماضي في (١) و(٣) بجزاء الصّابرين بالحسنى، ففي (١) جزاهم جنّة وحريرًا متّكئين على الأرائك...ممّا دلّت على السّكون والاطمئنان والرّاحة

وطيب العيش في آيات متوالية، وهي جزاء الأبرار الّذين عملوا أعمالًا صالحة، كالوفاء بالنّذر وإطعام الطّعام مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، وغيرها، إلّا أنّ الجزاء في الآية موقوف على الصّبر، أي أنّ جملة أعمالهم الصّالحة اللّاتي شكّلت منهم جماعة الأبرار ترجع إلى صبرهم على فعل الطّاعات وترك المعاصي، فالصّبر رأس الطّاعات ودعامتها. لاحظ: الأبرار والصّابرين في «ب ر ر» و«ص ب ر».

وأمّا (٣) فجاء في حوارٍ من الله مع الكفّار ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فركّز من بين أعمالهم صبرهم عليها، ولاسيّما على سوء اتّخاذهم سُخريّة من قبل أعدائهم، فيبدو أنّ صبرهم على هذا أشدّ من صبرهم على أعمالهم الصّالحة، فأوقف جزاءهم على صبرهم عليه.

٢ـ جاء الفعل في (١) بصيغة الغائب ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ وفي (٣) بصيغة المتكلّم وحده تعطّفًا بهم ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ مؤكّدًا بـ(إنّي) مزيدًا في إكرامهم، ومقابلةً لما نالهم من الهوان بسبب السّخريّة والضّحك من قبل أعدائهم، فإنّها تدعو إلى جزاء الإهانة بالإكرام، والعِداء بالولاء.

٣ـ ذُكر (الْيَوْمَ) في (٣) وهو مراد في (١) أيضًا، تسجيلًا على تحقّق إكرامهم وجزاءهم في ذلك اليوم، وهذا بدوره يزيد في الإكرام أيضًا.

٤ـ ذيّل الجزاء في (٣) بقوله: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بصيغة الحصر الّتي تُنبئ عن بلوغ الجزاء أوجه، ونهايته.

٥ ـ جاء جزاء الصّابرين بأحسن أعمالهم مؤكّدًا بالقسم ونون التّأكيد في (٣٥) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا يُنبئ أيضًا عن بلوغ الجزاء نهايته، وستتداولها بالبحث. وكلّ هذه راجعة إلى جزاء الصّابرين الفائزين بصيغة الماضي. أمّا جزاء الباغين الخاسرين بهذه الصّيغة فكما يأتي:

١ـ جزى الله في (٩١) و(٩٤) كلًّا من قوم سبأ واليهود بسلب نعمائهم في حياتهم الدّنيا، تسجيلًا على توغّلهم في الرّكون إلى الدّنيا ومافيها: سبأ بسلب جنّتيهم اللّتين كانوا يرزقون من ثمارهما، واليهود بتحريم ماكانوا يشتهون من اللّحوم عليهم.

فلمّا كانت رذيلةُ هؤلاء في بطونهم فعاقبهم الله وجزاهم بما يرجع إلى بطونهم جزاءً وفاقًا.

٢ـ جاء في جزاء سبأ ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ وسياق الآيات قبلها ظاهر في إرادة الكُفران منها دون الكفر ـ كما قيل ـ فإنّهم لم يشكروا مارزقهم الله، حيث قال: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا...﴾

أمّا اليهود فجزاهم ببغيهم إذ كانوا قومًا باغين، ومن جملة بغيهم: تكذيبهم ماأخبر به النّبيّ ممّا حرّم الله عليهم، حيث قال: ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ...﴾ فقد جمعت الفريقين رذيلة الكفر والكفران ورفض الشّكر والإيمان.

٢ـ بالغ الله في جزاء الفريقين بصيغة واحدة، وهي (جَزَيْنَاهُمْ) بضمير الجمع (نا) الدّالّ على عظم الجرم والاهتمام بالجزاء، مع فارق بينهما بأمرين:

الأوّل: قال في الأُولى: ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ دون (كفرهم)، وفي الثّانية ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ دون (بما بغوا)ومرجعهما واحدٌ،إلّاأنّ الفعل أوفى بالمراد من المصدر.

الثّاني: ذيّل الأُولى بـ﴿هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ وهذه بما فيها من الاستفهام الإنكاريّ أو التّقريريّ، وتكرار الجزاء و(الكفران) بلفظي (نجازي) و(الكفور) أبلغ وأوفى بالمقصود أيضًا. واكتفى في الثّانية بـ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

ثانيًا: جاءت في «جزاء الشّاكرين» ثلاث آيات (٤ـ٦) بفارق بينها: ففي (٤) بشأن آل لوط بأُسلوب بالغ في الجزاء ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ فعبّر الله عن نفسه بصيغة الجمع ثلاث مرّات: (نا) مرّتين، و(نَجْزِي) مرّة، مع الجمع بين (النّجاة والنّعمة) و(عِنْدِنَا) و(الجزاء) وإضافةً إلى التّركيز كقانون قوله: (مَنْ شَكَرَ) وهو أوفى وأعمّ من (الشّاكِرِينَ). وهذه خاصّة بجزاء الدّنيا.

أمّا في (٥و٦) فجاء بشأن من آمن بالنّبيّ محمّدﷺ ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ و﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ مع (سين) الاستعجال فيها وبصيغة الغيبة في الأُولى، والمتكلّم جمعًا في الثّانية. والتّكرار بصيغتين فيهما وإن أكّد الجزاء إلّا أنّه لايبلغ مبلغ التّأكيد في (٤). ومع ذلك فإنّهما ظاهرتان في جزاء الآخرة، وإن احتملتا الدّارين: الدّنيا والآخرة معًا.

ثالثًا: جاء: جزاء الحسنى، والإحسان، والمحسنين في «١٣» آية: (٧ـ ١٩) وفيها بحوثٌ:

١ـ جاء في (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ فركّز لمن آمن وعمل صالحًا جزاء الحسنى مع القول له (يُسرًا) ولم يذكر فيها يوم القيامة. فالجزاء فيها يعمّ الدّنيا والآخرة، وإن يشعر (سَنَقُولُ) بما يقوله لهم في الآخرة. وهذه خاصّة بجزاء الحسنى، دون جزاء الإحسان.

٢ـ وقد أتى في (٨) بقانون عامّ في «جزاء الإحسان» وهو أنّ جزاء الإحسان ليس إلّا الإحسان، مؤكّدًا له بأُسلوب الاستفهام التّقريريّ، وتعميمًا للدّنيا والآخرة، كأنّه حقّ طبيعيّ للإحسان، وللمحسنين. [لاحظ نصّ الفخرالرّازيّ في هذه الآية]

٣ـ جاء جزاء المحسنين «١١» مرّة ففي(٩): ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فركّز أوّلًا: في سياق الحصر مبالغةً: أنّهم هم المتّقون.

وثانيًا: أنّ لهم مايشاؤون بإيكال الجزاء حسب مايشاؤون. وهذا توسيع وتكريم بالغ لهم.

وثالثًا: أنّ جزاءهم مضمون لهم عند ربّهم الّذي ربّاهم، وأنعم عليهم في حياتهم الدّنيا. وهذا ضمان مقرون بشاهد.

ورابعًا: أكّدها بإعطاء قانون عامّ، وهو أنّ ذلك جزاء المحسنين بدل «ذلك جزاءهم»، فصرّح بأنّ هؤلاء محسنون، وأنّ ذلك جزاء المحسنين. وقد جمع الله فيها بين

الصّدق والتّصديق والتّقوى. وأتمّها بما هو أهمّ وأعمّ منها، وهو أنّهم محسنون، وأنّ جزاءهم كان على إحسانهم، لأنّه نتيجة تلك الخصال وجماعها.

٤ـ وجاء في ٨ آيات: (١٠ ـ ١٧) جزاء المحسنين بما وهب الله من النّبوّة والحكم جملةً من الأنبياء عليهم السلام، ابتداءً بنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وذرّيّتهم إلى موسى وهارون إلى داود وسليمن وأيّوب ويوسف وإلياس، تركيزًا على أُمور:

الأوّل: ذكر نوحًا في عداد المحسنين مرّتين: في (١٠و١٣)، وإبراهيم ثلاث مرّات (١٠و١٤و١٥)، وموسى وهارون معًا مرّتين (١٠و١٦)، وموسى وحده مرّةً (١٢)، وذكر غيرهم من الأنبياء، كلّ واحد مرّة خلال الآيات، حسب مراتبهم عنده.

الثّاني: أنّ خمسًا من الآيات (١٣ ـ ١٧) جاءت في سورة الصّافّات بسياق واحد، وهو ابتداؤها بـ(سَلَامٌ عَلَى) إلّا في (١٤) لأنّها نداء وليست بسلام، وتذييلها بـ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ـ إلّا في (١٥) ففيها (كَذٰلِكَ...) بدون (إِنَّا) اعتمادًا على ماقبلها.

الثّالث: جاء في (١٣) بشأن نوح ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ دون غيرها، ولعلّه باعتبار أنّ نوحًا هو آدم الثّاني، وأنّه بعد آدم أبٌ للعالمين جميعًا.

الرّابع: جاء في (١١) ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ بشأن يوسف، و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ بشأن موسى بزيادة (واستوى) الدّالّ على زيادة رشده، ومعلوم أنّ مبلغ أشدّهما يختلف مدّةً، كما يبدو من قصصهما في القرآن. وقد جاء في مدّة استكمال الإنسان على العموم. ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الأحقاف: ١٥، لكنّهما أُوتيا حكمًا وعلمًا قبل بلوغ الأربعين.

٥ ـ جاء في (١٨و١٩) جزاء المحسنين في الآخرة بنفس السّياقين ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ و﴿ذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾، وستتكلّم في الإحسان وأحسن ما كانوا يعملون.

رابعًا: جاء (جَزَاء الْمُتَّقِينَ) في ثلاث آيات (٢٠ ـ ٢٢) وكلّها في الجنّة باختلاف: فعلًا ومصدرًا:

ففي (٢٠) ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ كَذٰلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾، وفي (٢١) ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾، و(٢٢) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا... لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، لاحظ «و ق ي»: متّقين.

خامسًا: وجاء في (٢٣) جزاء المتصدّقين بشأن يوسف حيال إخوته. لكنّ الجزاء عامّ ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، وكذلك جزاء الصّادقين في (٢٤) ﴿لِيَجْزِيَ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ فتُعطيان قانونًا عامًّا شاملًا جزاء الدّنيا والآخرة، وهما مشتركان في صيغة المضارع الغائب المشعر بالاستمرار والدّوام. إلّا أنّ الأُولى جاءت جملة اسميّة مؤكّدة ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِي...﴾، والثّانية جملة فعليّة ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ﴾ فيبدو أنّ التّصدّق أفضل من الصّدق، مع وحدة المادّة، واختلاف المعنى بينهما.

سادسًا: جاء الإيمان مع العمل الصّالح فيما يقرب من (٥٣) آية ـ لاحظ: «أ م ن»، و«ع م ل» ـ لكن ماجاء

منها مع (الجزاء) ثلاث صور:

الأولى: من آمن وعمل صالحًا أو صالحات «٦» مرّات: (٢٥ ـ ٣٠) وكلّها جزاء الآخرة بأساليب متفاوتة شدّةً وخفّةً، وجملةً اسميّةً أو فعليّةً:

فالاسميّة في ثلاث: (٢٥): ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾، و(٢٦): ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾، و(٢٧): ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ...﴾.

والفعليّة بسياق واحد في ثلاث أيضًا: (٢٨ ـ ٣٠): ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بتفاوت فيها بألفاظ (بِالْقِسْطِ) و(مِنْ فَضْلِهِ) أو ماقارنها صدرًا وذيلًا من الخير.

الثّانية: جزاؤهم بأحسن ماكانوا يعملون (٦) مرّات أيضًا: (٣١ ـ ٣٦) بسياقين متساويين عددًا كلّ واحد ثلاث مرّات أيضًا: في (٣١ ـ ٣٣): ﴿يَجْزِيَهُمْ أَحْسَنَ مَا﴾ ،وفي (٣٤ ـ ٣٦): ﴿يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا﴾ بزيادة: «أجرهم والباء».

وفيها فرق آخر: في أكثرها (أحسن ما ـ أو الّذي ـ كَانُوا يَعْمَلُونَ) ممّا دلّ على أنّ الله يجزيهم، بأحسن أعمالهم الّتي داوموا عليها، وفي (٣٣): (أَحْسَنَ مَاعَمِلُوا)، وليست صريحة في الاستمرار.

الثّالثة: الجزاء بما كانوا يعملون بتفاوت غيبةً وخطابًا، وشدّةً وخفّةً للفريقين (١٢) مرّة بإزاء (١٢) مرّة في الصّورتين الأولى والثّانية، فلأهل النّار (٩) مرّات (٥٢ ـ ٦٠)، ولأهل الجنّة (٣) مرّات ـ أي ثلث أهل النّار ـ : (٦١ ـ ٦٣). وأشدّها ثلاث: (٥٨ ـ ٦٠) ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالاستفهام الإقراريّ، بإعطاء قانون طبيعيّ، كما سبق.

سابعًا: جاء في (١١) آية: (٤١ ـ ٥١) بدل (العمل) (السّعي)، أو (الكسب) أو (الاقتراف): ففي (٤١) ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَاسَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَيهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾، وفي (٤٢) ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ في الأولى الجزاء هو نفس السّعي، وفي الثّانية الجزاء بسبب مايسعى، والأولى أبلغ.

وجاء في (٣٨) ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ وهي قد جمعت بين الأمرين، أي الجزاء نفس السّعي وسببه، وكلّها لأهل الجنّة، وأمّا آيات الاقتراف والكسب فكلّها لأهل النّار، بتفاوت شدّة وخفّة، واسميّة وفعليّة أيضًا: فجاء في (٤٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ جمعت بين الكسب والاقتراف، وفي الباقي ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ونحوها بدون الاقتراف، وأشدّها (٥١) ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

واستثنيت منها الآية (٤٩) فهي تشريع لجزاء السّارق في الدّنيا، لاحظ: «س ع ي»، و«ق ر ف»، و«ك س ب» و«س ر ق».

ثامنًا: جاء في (٨١ ـ ٨٥) جزاء الحسنة والسّيّئة معًا، وفيها بحوثٌ:

١ـ جزاء السّيّئة مثلها لايزيد عليها: ففي (٨١ و ٨٥) ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أو ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وفي (٨٤) ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ وفي (٧٩) ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ وفي (٨٢ و

٨٣) وغيرها من الآيات أنّ جزاءهم يكون حسب عملهم، وأنّهم لا يُظلَمون بتضاعف عذابهم، وفي (٨٠) ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

٢ـ وجاء في (٧٨) في جماعة من المشركين الّذين كانوا يلغون في استماع القرآن: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَسْوَاَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي أنّهم يعذّبون بأسوء أعمالهم، وليس معناه أنّ كلّ سيّئة لهم تجزى بأسوء ماعملوا.

٣ـ وجاء في (٨١) ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ اَمْثَالِهَا﴾ وفي (٨٢) ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾، وفي يونس: ٢٦ ﴿لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا الْحُسْنٰى وَزِيَادَةٌ﴾، وفي (٣٣): ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وفي (٨٣): ﴿وَيَجْزِىَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى﴾.

ولااختلاف بينها إلّا بالإجمال والتّفصيل ابتداءً بالحسنى ثمّ بالحسنى وزيادة. ثمّ بخير منها، ثمّ بعشر أمثالها. فجزاء الحسنة بعشر أمثالها هي تفصيل لما قبلها، لكنّها قد تتضاعف بأكثر من العشر، كما جاء في جزاء الإنفاق: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦١، وجاء في (٨٥) ـ ومثلها كثير ـ ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أو (بما يشاؤن).

عاشرًا: جاءت آيات في جزاء الأبرار والمستغفرين والمزكّين لأهل الجنّة، وآيات في جزاء أهل النّار من الّذين يصدفون عن آيات الله، والمجرمين، والظّالمين، والمفترين، والمسرفين، والمستكبرين، والفاسقين، والمسيئين، والقاتلين، والكافرين، والباغين، ومن جحد أو كفر بآيات الله، ومن اتّبع الشّيطان، والمشرّعين، وجزاء الزّنى والسّرقة، وغيرها بأساليب مختلفة نكِل البحث فيها إلى لغاتها، ونكتفي هنا بأُمور شاملة وجامعة للجزاء:

١ـ ينقسم الجزاء في الآيات إلى: خير وشرّ، حسب انقسام النّاس إلى صالح وطالح، ومؤمن وكافر، ومطيع وفاسق، وإلى جزاء الدّنيا والآخرة تشريعًا وغير تشريع، حسب هذا الجدول:

الخير والشّرّ معًا (٨) آيات: ٢٤، ٤٤، ٤٥، (٨١ ـ ٨٥).

الخير وحده: (٤٦) آية: (١ ـ ٨)، (١٠ ـ ٢٢)، (٢٥ ـ ٤١)، (٦١، ٦٢، ٦٣).

الشّرّ وحده: (٥٧) آية: (٤٣ ـ ٦٠)، (٦٤ ـ ٨٠)، (٨٦ ـ ١٠٧) فالشّرّ ـ مع الأسف ـ غلب الخير بما يقرب من الضّعف.

الجزاء في الدّنيا والآخرة (٨) آيات: (٨، ٢٣، ٢٤، ٤٢، ٤٣، ٤٨، ٥٠، ٩٩).

الجزاء في الآخرة (٨٩) آية: (١، ٢، ٣)، (٥ ـ ٩)، (١٨ ـ ٢٢)، (٢٥ ـ ٤٠)، (٤٣ ـ ٦٨)، (٧٠ ـ ١٠٣).

الجزاء في الدّنيا (١٨) آية: منها تشريع، وهي: (٤٩، ٨٦، ٨٨، ٩٤، ١٠٤ ـ ١٠٧)، وغير التّشريع عشر وهي (٤، ١٠ ـ ١٧، ٨٩) فجزاء الآخرة أضعاف جزاء الدّنيا.

وآيات التّشريع نوعان: (٤) منها ماشرّعه النّاس وهي: (٦٩، ١٠٥، ١٠٦) ـ وقد جاءت في قصّة يوسف ـ

(١٠٤) وهي ماشرّعه المشركون، والأربع الباقية تشريع الله في مواضيع مختلفة. فلاحظ.

٢ـ (٧٩) آية منها مكّيّ، و(٢٩) مدنيّ، فكان التّرغيب والتّرهيب في مكّة أكثر من المدينة، لأنّ أهلها كانوا أشدّ كفرًا وعنادًا للحقّ، وكانوا يقاومون الإسلام ١٣ عامًا قبل الهجرة، وسبعًا بعدها.

٣ـ أكّد الله في آيات بأنّ النّاس لايجزون إلّا ماعملوا أو سعوا أو كسبوا ـ وقد بحثنا فيها ـ وأضاف إليها في آيات بأنّه يعمل فيهم بالقسط وأنّهم لايظلمون في (٢٨) ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾، وفي (٤٨) ﴿وَلِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وفي (٥٠) (لَاظُلْمَ الْيَوْمَ)، وفي (٥٣) ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ وفي (٨١) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزٰى اِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ وفي (٨٤) ﴿وَجَزٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ...اِنَّهُ لَايُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ وفي (٩٣) ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾.

٤ـ ومن مظاهر قسطه في «الجزاء» أنّ أحدًا لايجزى عن غيره: في (١٠١و١٠٢) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾، وفي (١٠٣) ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَامَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾.

٥ـ ومن مظاهر رحمته على المؤمنين أنّه جعل جزاء من عمل السّيّئات المغفرة، في (٤٠) ﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وفي (٣٠) ﴿اُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، وفي (٣١) ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ﴾، وفي (٣٤) ﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ اَسْوَاَ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فجمع بين التّكفير عنهم أسوء أعمالهم، وجزائهم بأحسن ماعملوا.

٦ـ ومن مظاهر غضبه على الكفّار حبط أعمالهم، في (٥٨) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ﴾ لاحظ «ح ب ط».

وأنّ عذاب الآخرة أشدّ وأبقى من عذاب الدّنيا، كما قال في (٧٥): ﴿وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ اَشَدُّ وَاَبْقٰى﴾.

وأنّه يعذّبهم عذاب الهون ولاسيّما المستكبرين، فإنّهم يطلبون العظمة فيجزون الهون، في (٧٦) ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ اٰيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، وفي (٧٧) ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْاَرْضِ﴾

وأنّ عذرهم لايسمع، في (٥٦) ﴿لَاتَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وأنّ من جملة جزاء القاتل متعمّدًا اللّعنة والغضب، في (٨٦) ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾، وفيمن كفروا بعد إيمانهم ﴿اُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ اَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِينَ﴾.

٧ـ بين مادّة جزي وأجر مناسبات سبقت في «أج ر» ومن جملتها أنّ أكثر هاتين المادّتين جاءتا في عجز الآيات، فلاحظ.

٨ـ قد ذكر أصحاب «الوجوه والنّظائر» وجوهًا كثيرةً في معنى «الجزاء»، وهي واحدة مفهومًا، ومتعدّدة مصداقًا، وأنّهم كثيرًا ماخلطوا بين المصداق والمفهوم في

لغات القرآن، فلاحظ.

الحادي عشر: تقدّم في صدر البحث أنّ المضارع جاء (٦٩) مرّة فأعلم أنّ (٤٦) منها معلومٌ و(٢٣) منها مجهولٌ. أمّا المعلوم فـ(٢٢) متكلّمٌ جمعًا (نجزي) و(١٠) منها غائب (يَجزِي اللهُ) أو (الله يجزي) كلّها بدون تسويف، و(٧) منها معلومًا ومجهولاً مع التّسويف (سيجزي الله أو سنجزي أو سيُجزون).

ولكلّ من المعلوم والمجهول والتّسويف وغيره وجه نبيّنها على سبيل المثال: فقد جاء في (١٠ ـ ١٨) بشأن المحسنين، ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ سياقًا واحدًا بصيغة الجمع المتكلّم معلومًا بدون تسويف، لأنّها تتصدّى بيان جزاء المحسنين في الدّنيا جزاء محترمًا مقارنًا بالتّكريم والتّعظيم.

أمّا (٢٠) فجاء بشأن المتّقين ﴿كَذٰلِكَ يَجْزِى اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾، وفي (٢٣) بشأن المتصدّقين ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، وفي (٢٤) بشأن الصّادقين ﴿لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ﴾ كلّها بصيغة الغائب مسندًا إلى (الله).

وجاءت في (٤، ٥، ٦) بشأن الشّاكرين ثلاث صيغ: ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ﴾ و﴿سَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ و﴿سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ﴾، ومن ذلك نعلم أنّ حال الشّاكرين والمحسنين أعلى عند الله من المتّقين والصّادقين والمتصدّقين ولكلّ فضلٌ، وأنّ الشّاكرين خُصّوا بثلاثة أساليب غيبةً مع التّسويف، ومتكلّمًا جمعًا مع التّسويف وبدونه، ولعلّ اختلاف الصّيغ كان بحسب اختلاف درجات الشّاكرين.

أمّا المجهول ففي (٢) ﴿أُولٰـئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾، و(٣٩) ﴿وَمَالِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزٰى﴾، و(٤١) ﴿ثُمَّ يُجْزٰيهُ الْجَزَاءَ الْاَوْفٰى﴾، و(٤٢) ﴿لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعٰى﴾، و(٤٨) ﴿لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، و(٥٠) ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، و(٥١) ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ اِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، و(٥٢) ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، و(٥٧) ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، و(٥٨و٦٠) ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، و(٧٦و٧٧) ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، و(٨٠) ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِ﴾، و(٨١) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزٰى اِلَّا مِثْلَهَا﴾ وكذلك (٨٢و٨٣و٨٥)، فإن ثقل الفعل فيها جميعًا على أنّ الجزاء يناسب ويوازن العمل دون من يَجزي، ولهذا جاء الفعل فيها مجهولاً.

وعكسها (١٠١و١٠٢) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ و(١٠٣) ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَايَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ...﴾ فثقل الفعل فيها على أنّ أحدًا لايجزي عن غيره، أي على الجازي دون الجزاء، فجاء الفعل في مثلها معلومًا.

أمّا التّسويف وغيره فإذا أوقفنا النّظر في مواضع التّسويف، نرى أنّ جميعها متعلّق بالآخرة، وأنّ الله شدّد الجزاء للصّالحين والمسيئين معًا ببين التّسويف الدّالّة على المستقبل القريب العاجل، ففي (٥) ﴿وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾، و(٦) ﴿وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ﴾، و(٤٧) ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾، و(٥٩) ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ـ بصيغة المجهول فيها ـ، و(٦٤)

﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ و(٧٤) بشأن المفترين: ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، و(١٠٤) ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾.

الثاني عشر: جاء (جزاء) مصدرًا واسم مصدر (٤٢) مرّة، وقد كُرّر في ثلاث آيات: (٦٩) ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾، و(٩٦) ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، و(١٠٠) ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ والأُولى تشريع مصريّ ـ أو إسرائيليّ إن كان من وضع يوسف عليه السلام حين كان عزيزًا في مصر كما قيل ـ كُرّر لبيان الجزاء [لاحظ النُّصوص التّفسيريّة في هذه الآية] والأخيرتان بشأن أهل النّار كُرّر تشديدًا.

وعلى العموم فأينما جاء (جزاء) فنقل الكلام على نفس الجزاء دون المُجزَى والمُجزيّ به إلّا تبعًا، فلاحظ.

هذا إضافة إلى أنّ المصدر إعرابًا قسمان: مفعول وجملة إسميّة، وكلاهما يشعران بالتّشديد والتّأكيد أو الاستمرار والتّأبيد.

أمّا المفعول فقسمان:

أحدهما: مفعول مطلق ـ ويحتمل بعضها مفعولًا لأجله ـ مثل (٢٢) ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، و(٤٤و٤٦) ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، و(٤٩) ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾، و(٦١و٦٢و٦٣) ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، و(٩٠) ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾، و(٩٣) ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾، و(٩٦) ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، و(١٠٠) ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾.

وثانيهما: مفعول به، مثل (٤١) ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾.

وأمّا الجملة الاسميّة فقسمان أيضًا: إمّا (الجزاء) مبتدأ، مثل (٧) ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾، أو خبر، مثل (٩) ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولكلّ منها نظائر، فلاحظ.

الثّالث عشر: جاء منها لفظان آخران: اسم فاعل من المجرّد، وفعل مضارع من المزيد، وكلاهما جاءا مع فعل من المجرّد ماضيًا ومضارعًا: فالأوّل (١٠٣): ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾، والثّاني (٩١): ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

وفي كلّ من الآيتين بحوث: أمّا الأُولى ففيها:

١ـ القراءة المشهورة (يَجزي) بفتح الياء، وقُرئت (يُجزي) بضمّ الياء معلومًا ومجهولًا، ولافرق بينهما إلّا ماسبق من أنّ ثقل الفعل في المجهول على أصل الجزاء دون المجزي أو المُجزَى.

٢ـ قالوا في قراءة (لايُجزَى): لايُغني، لاينفع، لايقضي، لايحمل، والمعنى واحدٌ. وأصل الجزاء: المكافأة، مثل جزاه الله خيرًا. فإذا عُدّي بـ(عن) يُفيد معنى النّيابة والتّحمّل عن الآخر، والمراد أنّ كلّ إنسان مسؤول عن عمله، ولايتحمّله غيره.

وقيل: المراد أنّ كلّ إنسان مشغول بنفسه دون غيره، ولو كان أقرب أقاربه، فهذا بمعنى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الحجّ: ٢، والأوّل هو الصّواب، أي لا يُغني والدٌ عن ولده ولا ولدٌ عن والده

شيئًا.

وقيل: لايفدي الوالد بنفسه عن ولده ولاولده يفدي بنفسه عن والده، وهو بعيدٌ عن السّياق.

٣ـ(جازٍ) في المصحف بغير ياء والوقف عليه أيضًا، والأصل «جازيٌ» فحذفت الياء تخفيفًا في سلسلة من التحوّلات اللّفظيّة الّتي فرضها النُّحاة.

٤ـ جملة ﴿لَايَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ صفة لـ(يَوْمًا) و(لَامَوْلُودٌ) عطف على (وَالِدٌ) حذف الفعل (يجزي) تأكيدًا على قربهما، ويحتمل أن يكون مولود ابتداء جملة معطوفة على (يجزي)، وجملة (هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا) صفة لـ(مَوْلُودٌ) و(شَيْئًا) مفعول (جازٍ) سدّ مسدّ مفعول (يَجْزِي) أو هو مفعولهما معًا، أي لايجزي ولاجازٍ شيئًا، وهذا تأكيد آخر على قربهما، حيث جمعها ـأي مايرجع إليهما ـ في مفعول واحد.

٥ـ ذكر فيها معًا شخصين في غاية الشّفقة والمحبّة، وهما الوالد والولد، ليستدلّ بالأدنى على الأعلى، أي إذا لايتحمّل الوالد والولد عن كلّ منهما شيئًا من الجزاء، مع نهاية قربهما، فغيرهما لايتحمّله بطريق أولى.

٦ـ ذكر الولد والوالد فيه لطيفة، وهي أنّ من الأُمور مايبادر الأب إلى التّحمّل عن ولده المال وتحمّل الآلام، والولد لايتحمّلها عن والده مثل مايتحمّله هو عن ولده، وفيها مايبادر الولد إلى تحمّله عن الوالد كالإهانة، قاله الفَخْرالرّازيّ وأوضحه، فلاحظ.

٧ـ لمّا كان الوالد أكثر شفقةً على ولده بدأ بجزاءه عن ولده، ثمّ تلاه بجزاء الولد عنه.

٨ـ عبّر عن جزاء الوالد بجملةٍ فعليّة، وعن جزاء الولد بجملةٍ اسميّة ـإن قلنا: إنّ (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ) جملة مستقلّة ـ مع تبديل (يجزي) بـ(جازٍ) لأنّ الجملة الاسميّة، واسم الفاعل كلاهما يفيدان الدّوام والاستمرار، إشعارًا بأنّ الولد حقيق بدوام عطفه لوالده أكثر من عطف والده عليه، تكريمًا لحقّ الأُبوّة.

٩ـ بدّل (الولد) بـ(المولود) لأنّه أشدّ عطوفة من لفظ (الولد) مع أنّ فيها تفنّنًا، حيث جمع بين (الولد) و(الوالد) و(المولود).

١٠ـ كُرّر كُلًّا من (الوالد) و(الولد) مرّتين تأكيدًا على قربهما: (الوالد) بلفظ واحد، و(الولد) بلفظين: (الولد) و(المولود).

١١ـ أُضيف كلّ من الوالد والولد إلى ضمير الآخر: (عَنْ وَلَدِهِ) و(عَنْ وَالِدِهِ) إشعارًا بقربهما.

١٢ـ وكلّ ذلك تأكيد على نهاية قرب بعضهما بعضًا، وشدّة تعاطفهما، بحيث لاتجد لفظًا آخر يؤدّي معناه، ويقوم مقامه.

١٣ـ ذكر القُرطُبيّ روايات دلّت على أنّ الأب يُثاب بموت أبنائه ووجود بناته، وفيها إثبات مانفته الآية.

وأجاب بأنّ المراد بالآية أنّه لايحمل والد ذنب ولده، ولامولود ذنب والده، ولايؤاخذ أحدهما عن الآخر، والمعنيّ بتلك الرّوايات أنّ صبر الوالد على موت الأبناء والإحسان إلى البنات يحجبه عن النّار، وليس فيها أنّ الوالد يجزي عن أولاده أو يتحمّل أعمالهم.

١٤ـ ومن ذلك يُعلم أنّ حقّ قضاء دين الأب على ولده، وكذا سائر الحقوق الّتي حمّلتها الشّريعة على عاتقه، ولاسيّما الولد الأكبر لاتصادم الآية قليلًا

ولاكثيرًا.

وأمّا الآية الثّانية ففيها بحوثٌ أيضًا:

١ـ قُرئت (نجازى) بالنّون معلومًا، بنصب (الْكَفُور)، وبالياء مجهولًا برفع (الْكَفُور). وقال الطّبَريّ: «إنّهما قراءتان مشهورتان» لكنّ القراءة الأُولى: (نُجازِى) أوفق بـ(جَزَيْنَاهُمْ).

٢ـ جاء في عقاب قوم سبأ: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ﴾ فكلّ من (جَزَيْنَاهُمْ) و(نُجازِى) فيها جاء في العقاب دون الثّواب، والجزاء في اللّغة وفي القرآن مشترك بين الثّواب والعقاب والنّعمة والنّقمة والخير والشّرّ.

أمّا المجازاة فقد قيل: إنّها خاصّ بالعقاب والنّقمة والشّرّ، يقال: جازاه على معصيته، وجزاه على طاعته. وقيل في وجهه: إنّ المجازاة هي المكافأة وهي خاصّة بأهل الكبائر والكفر.

قال الفَخْرالرّازيّ: «لعلّ من قال ذلك أخذه من أنّ المجازاة من «المفاعلة» وهي في أكثر الأمر تكون بين اثنين يؤخذ من كلّ واحدٍ جزاء في حقّ الآخر، وفي النّعمة لاتكون مجازاة، لأنّ الله مبتدئ بالنّعم».

وقال أبومسلم: «المجازاة من التّجازي وهو التّقاضي، أي لايقتضي ولايرتجع ماأُعطي إلّا الكافر، وأنّهم لمّا كفروا النّعمة اقتضوا ماأُعطوا، أي ارتجع منهم» وليس قولهما بمقنع شيئًا.

وقد حكى الآلوسيّ عن أبي إسحاق: «تقول: جزيت الرّجل في الخير وجازيته في الشّرّ» ثمّ حكى عن بعض الأجلّة: «ينبغي أنّ أباإسحاق أراد بذلك إذا أرسلت الفعلين ولم تذكر المفعول الثّاني لهما، أمّا إذا ذكرته فيُستعمل كلّ منهما في الخير والشّرّ». وأشكل عليه بأنّ (جَزَيْنَاهُمْ) مستعمل في الشّرّ مع عدم ذكر المفعول الثّاني، وكيف كان فإنّه لايحلّ المشكلة.

وعندنا أنّ المجازاة من «المفاعلة» وهي بين اثنين، واختصّ المجازاة بالشّرّ، لأنّ جزاء الشّرّ يكرهه المُجاز ولايقبله، فكأنّه يُعارض المُجيز ويقاومه وفيه إشعار بشدّة العذاب.

أمّا الخير فيستقبله ولايقاومه، فكأنّه ليس بين اثنين متعارضين أو متعاملين نظير «ضارب زيدٌ عمرًا» أي ضرب كلّ منهما الآخر، بل الجزاء من الله على العبد، وهذا وجه لطيفٌ لم يذكروه، ولعلّ الفَخْرالرّازيّ عناه، فلاحظ نصّه.

وبذلك يرتفع ماقيل: بِمَ خصّ الجزاء بالكفور مع أنّه عامّ للمؤمن والكافر؟ فإنّ المراد به جزاء الشّرّ الّذي يكرهه المجاز ويقاومه، وهو خاصّ بالكفور، سواءٌ أُريد به كفر العقيدة أو كفران النّعمة الّذي يساعده السّياق، كما سبق. لاحظ: «ك ف ر».

٣ـ جاءت «المجازاة» في سياق الاستفهام الإنكاريّ أو التّقريريّ تأكيدًا وتشديدًا عليها، كأنّها أمر مسلّم لاينبغي إنكاره، وفيه إشعار بعدل الله تعالى.

٤ـ كلّ من (جَزَيْنَاهُمْ) و(نُجازِى) جاء في الشّرّ والعقاب، لكنّهما مختلفان مجرّدًا ومزيدًا، وماضيًا ومضارعًا!

والجواب عن اختلافهما ماضيًا ومضارعًا: أنّ الأوّل حكاية ماوقع في الماضي، والثّاني بيان سنّة الله اللّائقة

بشأنه الدّائمة إلى الأبد. وأمّا سرّ اختلافها مجرّدًا ومزيدًا: فإنّ (جَزَيْنَاهُ) ذكر قريبًا ممّا أنعم الله عليهم فأتى بلفظ مشترك بين الخير والشّرّ، وأنّه ابتداء العقاب ثمّ اشتدّ عقابه، فقال: (نُجَازِي) المشعر بشدّة العذاب ـ كما سبق ـ وقد ذكر الآلوسيّ فيه وجهًا لايتّضح مراده، ولعلّه أراد ماقلنا، فلاحظ.

٥ ـ الظّاهر أنّ ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ بمنزلة التّعليل لـ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ والعلّة عامّ، والمعلّل له خاصّ، وله نظائر في ذيل الآيات.

٦ـ اختلفوا في إعراب ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾ وفي المشار إليه. فقال أبوالسّعود: إشارة إلى مصدر (جَزَيْنَاهُمْ) أي الجزاء، أو إلى ماذكر من التّبديل، وأنّ مافيه من البُعد إشارة إلى بُعد رتبته.

ومحلّه على الأوّل نصبٌ على أنّه مصدرٌ مؤكّدٌ للفعل، أي جزيناهم ذلك الجزاء الفظيع، وعلى الثّاني نصبٌ على أنّه مفعول ثان للفعل، واختاره الطّباطبائيّ.

وعند بعضهم أنّ ذلك ـ أي ماحلّ بالقوم من نكال ـ مبتدأ حُذف خبره، تقديره: ذلك ماجزيناهم به، وأنّ ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾ بدلٌ عن هذا المحذوف، أو عطف بيان له!

ولعلّ الأقرب أنّها مبتدأ وخبره جزيناهم، حُذف منها العائد، والتّقدير: ذلك جزيناهم به أو إيّاه بكفرهم، وكيف كان فالمعنى واحد.

الرّابع عشر: كلّ ذلك راجع إلى «الجزاء». وهناك لفظ آخر اختلفوا في معناه وفي مادّته، وهو «الجِزية» جاءت مرّة واحدة في (١٠٨)، وفيها بحوثٌ:

١ـ أكثرهم قالوا: إنّها من «ج ز ي» وإن اختلفوا في وجه تسميتها، وحكى الآلوسيّ قولًا بأنّها من «ج ز ء» سمّيت بها لأنّها طائفة وجزء من المال تُدفع. وقال الزّمخشريّ: «إنّها طائفة ممّا على أهل الذّمّة أن يجزوه، أي يقضوه، ولأنّهم يُجزَون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل» فجمع فيها بين «جَزَى» و«جزأ»، والأوّل هو الأولى، لأنّها تُطلقُ وتكتب (جزية) بالياء، ولما ذُكر في وجه تسميتها كما يأتي.

٢ـ الجزية: «الفِعْلَة» مثل القِعدة والجِلْسة، تعني مقدار مايُدفَع ويُقضى أو نوعًا منه، أو لبيان الهيئة كالرِّكبة، من: جزى فلان فلانًا ماعليه، وجزى دينه، أي قضاه، سمّي مايُعطيه المُعاهَد: جزية، لوجوب قضاءه عليه حسب المعاهَدة، أو لأنّها تجزي عن قتله ورقبته، أو عن أسره، أو عن كفره، أو لأنّها جزاء ماعاهد المسلمون عليه من الدّفاع عنه، أو لأنّها عطيّة عقوبة جزاء على الكفر بالله. ولابأس بأن يكون لكلّ منها دخل فيها.

٣ـ قالوا: إنّها نزلت في حرب الرّوم الّذين كانوا من أهل الكتاب ـ أي غزوة تبوك ـ كما في الآية، وأُريد بهم اليهود والنّصارى، ثمّ أُلحق بهم المجوس، والتزم بها بعض المذاهب كالإماميّة، ولاتؤخذ من المشركين عامّة. وخصّهم محمّد بن حسن الشّيبانيّ في كتابه «السّير الكبير» بمشركي العرب، وعمّم حكم الجزية الهنود الّذين يعبدون الأصنام أيضًا. وقد ذكر الله قبلها المشركين ولم يذكر الجزية، فالسّياق دلّ على اختصاصها بأهل الكتاب، والتّفصيل موكول إلى الفقه.

وقد أُلّفت فيها كتب خاصّة. وهي خراج على الرّقاب والرّؤوس، دون الرّقـبات والأراضي فـإنّها تسـمّى (خراجًا) لا(جزية).

٤ـ اختلفوا في أنّها لفظ عربيّ أو فارسيّ، لكـنّهم اتّفقوا على أنّ لها سابقة قبل الإسلام، فلاحظ النّصوص والأُصول اللُّغويّـة.

٥ ـ واختلفوا في ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ في موضعين: (عَنْ يَدٍ) و(صَاغِرُونَ).

أمّا (عَنْ يَدٍ) فقيل: «عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها» أو «عن إنعام عليهم بذلك، لأنّ قبول الجزية منهم وترك أنفسهم نعمة عليهم ويدٌ من المعروف جزيلة». أو «ليفارق حال الغصب على إقرار أحد» أو «نقدًا من يد إلى يد من يدفعه إليه من غير نائب، كما يقال: كلّمته فمًا بفم، ولذلك مُنع عن التّوكيل فيه» أو «يعطوا منقادين عن يد مواتية» أو «عن غنى، ولذلك قيل: لاتؤخذ من الفقير».

فالأمر في (عَنْ يَدٍ) دائر بين متضادّين: الإهانة بهم أو إكرامهم، وسـنعرف أنّ سـياق الآيـة يـناسب أيّ الأمرين.

وأمّا (صَاغرين) فقيل: «وهم كارهون» أو «تُوجَأ عنقه» أو «تأخذها وأنت جالس وهو قائم» أو «غـير مستعلين عليكم، ولاقـاهرين» أو «خـاضعين للسُّـنّة الإسلاميّـة بعدم تظاهرهم بما حرّمه الله».

٦ـ سياق الآية وخصوصًا ذيلها ﴿عَـنْ يَـدٍ وَهُـمْ صَاغِرُونَ﴾ يُعطي أنّ الجزية إنّما يأخذه المسلمون من أهل الكتاب، من موضع قـدرتهم وسـلطانهم عـليهم وعلى الدّفاع عنهم، وهم في ذمّـة الإسلام، ولا يُـفهَم منها الإهانة بهم بل السّلطة عليهم. والتّاريخ الإسلاميّ يـشهد بـذلك. فـلاحظ النُّـصوص ولاسيّـما نـصّ الطُّباطَبائيّ ومكارم، كي تـقنع بـذلك. فـإنّ السّكـينة والوقار الإسلاميّ ـ كـما قـال الطَّـباطَبائيّ ـ لايحـتمل الإهانة بهم. كيف والمسلمون عاقدوهم على الاحتفاظ بهم وبدينهم!

٧ـ هناك خـلاف بـين نـظريّـتين مـن المـفسّرين القُدامى والمـعاصرين. فـالمعاصرون أصرّوا عـلى أنّ موقف الإسلام من أهل الذّمّة عار عن أيّ ظلم وإهانة بل فيها من العُطوفة وصـيانة الحـقوق فـوق مـاينشده أصحاب حقوق الأُمم والبشر.

أمّا القُدامى فأشكلوا بأنّ «الجزية» لاتعادل الكفر، فإنّه يستدعي جزاءً أشدّ كالقتل والأسر والاستعباد.

قال القاضي عبد الجبّار: «كيف يصحّ فيمن يكفر بالله تعالى أن يسوغ له الكفر ببذل الجـزية؟» وأجـاب بأنّ قتلهم لكـفرهم شرعيّ لاعـقليّ، فـيجوز أن تكـون المصلحة فيه مالم يعطوا الجزية. فإذا أُعطوها حَرُم قتلهم. وربّما يكون فيه هدايتهم للإسلام.

وأجاب عمّن وجّهه بأنّـه لو لم يُجـزَ تـرك القـتل بالجزية لأدّى إلى الإكراه، وقد قال تعالى: ﴿لَاۤ اِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ﴾ البقرة: ٢٥٦، بأنّ في الكفّار من لايُرضى منه إلّا القتل فيجب أن يكون مكرهًا؟!

والحقّ أنّ الله فرّق بـ«الجزية» بين أهـل الكـتاب والمشركين لئلّا يكونوا سواء، وبذلك نجح الإسلام في تسليم أهل الذّمّة للمسلمين والتّعايش معهم.

وإن صرّحت الآية بأنّ هؤلاء الّذين يؤخذ منهم الجزية لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر في نفس الأمر، إلّا أنّهم يُظهرون الايمان بذلك بألسنتهم، وفرقٌ بينهم وبين المشركين عبدة الأوثان، على أنّ الجزية ـ كما سبق ـ بإزاء ماضمن المسلمون من الدّفاع عنهم، وليس عوضًا عن قتلهم.

وقد طرح الطُّوسيّ سؤالًا: عن أنّ إعطاء الجزية لايخلو أن يكون طاعة أو معصية؟ وأجاب بأنّه ليس شيئًا منهما، وإنّما هو جزاء قتلهم.

وعندنا أنّه لاوجه لهذا السّؤال، والجواب أمام أحكام الله تعالى.



ج س د

جَسَدًا

لفظ واحد، ٤ مرّات ، مكّيّة

في ٤ سور مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل : الجسَد : للإنسان ، ولايقال لغير الإنسان : جسَد، من خلق الأرض . وكلّ خلق لايأكل ولايشرب ـ من نحو الملائكة والجنّ ـ ممّا يعقل فهو جسَد.

وكان عِجْل بني إسرائيل جسَدًا لايأكل ولايشرب ويصيح ، وقوله تعالى : ﴿وَمَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ الأنبياء : ٨، أي ماجعلناهم خلقًا مستغنين عن الطّعام.

ودَمٌ جَسَد جاسد، أي قد يَبِس. [ثمّ استشهد بشعر]

والجسَد : الدّم نفسه.

والجَسِد : اليابس.

والجِساد : الزّعفران ونحوه، من الصّبغ الأحمر والأصفر الشّديد الصّفرة.

وثوب مُجسَد : مُشبَع عُصْفُرًا أو زعفرانًا، وجمعه : مجاسد.

والجُساد : وَجَعٌ في البطن يسمّى البَجيد[1]. [ثمّ استشهد بشعر]

صَوْتٌ مُجَسَّد، أي مرقوم على محنة ونغمات.

(٦ : ٤٧)

أبوعمرو الشّيبانيّ : الجسَد : الزّعفران، ومنه قيل للثّوب : مُجسَد، إذا صُبِغ بالزّعفران.

(الأزهريّ ١٠ : ٥٦٨)

الفَرّاء : المُجْسَد، والمِجْسَد واحدٌ، وهو من أجسِد، أي أُلزِق بالجسَد، إلّا أنّهم استثقلوا الضّمّ فكسروا الميم، كما قالوا للمُطْرَف : مِطْرَف، وللمُصْحَف :

---

(١) وفي الأزهريّ (١٠ : ٥٦٩) : يسمّى : بجَيْدق.

مِصْحَف. (الأزهَريّ ١٠: ٥٦٨)

اللِّحيانيّ: إنّها لحسنة الأجساد، كأنّهم جعلوا كلّ جزء منه جسدًا، ثمّ جمعوه على هذا. (ابن سيده ٧: ٢٦٠)

ابن الأعرابيّ: الجاسد: جمع الجَسَد، وهو القميص الّذي يلي البدن. (الأزهَريّ ١٠: ٥٦٨)

يقال للزّعفران: الرّيْهُقان، والجاديّ، والجِساد، بكسر الجيم.

مثله ابن السّكّيت. (الأزهَريّ ١٠: ٥٦٨)

ابن السّكّيت: [نقل قول الفرّاء ثمّ قال:] وقال غيره: المُجسَد: ماأُشبع صِبغُه من الثّياب، والجمع: مجاسد.

والمِجسَد، بكسر الميم: الّذي على الجسد من الثّياب. (إصلاح المنطق: ١٢٠)

يقال: على فلان ثوب مُشْبَع من الصِّبْغ، وعليه ثوب مُفْدَم. فإذا قام قيامًا من الصِّبغ قيل: قد أُجسِد ثوب فلان إجسادًا فهو مُجسَد.

ويقال للزّعفران: الجِساد. (الجَوهَريّ ٢: ٤٥٧)

الحَرْبيّ: صَنَمٌ أجسَد رأسه: يَبِس الدّم على رأسه من كثرة مايُلطَخ به. (١: ٢١٠)

ابن دُرَيْد: والجسَد: جسَد الإنسان.

ودمٌ جَسِد وجسيد، إذا جفّ، ويقال للدّم أيضًا: جاسد.

وثوب مُجسَد، إذا صُبغ بالجساد، وهو الزّعفران، فإذا قلت: هذا الثّوب مِجسَد بكسر الميم، فهو الثّوب الّذي يلي الجسد.

ودفع البصريّون هذا، فقالوا: لايقال إلّا ثوب مُجسَد إذا كان قد أُشبع بالزّعفران، وماأشبهه.

وذو الجاسد: رجل من العرب كان يلبس الثّياب المُجسَدة، فسمّي بذلك. (٢: ٦٥)

الصّاحِب: الجسَد: للإنسان، معروف.

وماقد يَبِسَ من الدّماء: جسَد وجاسد.

والجِساد: الزّعفران. والثّوب المُجسَد: المصبوغ بالعُصْفُر والزّعفران.

والجُساد: وَجَعٌ في البطن كالبِجَّيذَق. (٧: ٥)

وصوت مُجَسَّد، أي مرقوم على نغمات.

الجَوهَريّ: الجسَد: البدن، تقول منه: تجسّد، كما تقول من الجسم: تجسّم.

والجسَد أيضًا: الزّعفران أو نحوه من الصِّبْغ، وهو الدّم أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجسَد أيضًا: مصدر قولك: جسِد به الدّم يَجسَد، إذا لصِق به، فهوجاسد وجَسِد. [ثمّ استشهد بشعر]

والمُجسَد: الأحمر. ويقال: المُجسَد: ماأُشبع صَبْغُه من الثّياب، والجمع: مَجاسد.

والمِجسَد، بكسر الميم: مايلي الجسَد من الثّياب.

وقال بعضهم: قوله تعالى: ﴿فَاَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ طٰه: ٨٨، أي أحمرَ من ذهب. (٢: ٤٥٦)

ابن فارِس: الجيم والسّين والدّال يدلّ على تجمّع الشّيء واشتداده؛ من ذلك جسَد الإنسان.

والمِجسَد: الّذي يلي الجسَد من الثّياب.

والجسَد والجَسِيد من الدّم: مايَبِس، فهو جَسِيد وجاسد، قال الطِّرِمّاح:

منها جاسِدٌ ونَجِيعُ

وقال قوم: الجسَد: الدّم نفسه، والجَسِد: اليابس.

وممّا شذّ عن الباب: الجَساد: الزّعفران. فإذا قلت: هذا المِجسَد ـ بكسر الميم ـ فهو الثّوب الّذي يلي الجسَد. وهذا عند الكوفيّين. فأمّا البصريّون فلايعرفون إلّا مُجسَدًا، وهو المُشبَع صِبْغًا. (١: ٤٥٧)

أبوهِلال: الفرق بين الطّلَل والجسَد: أنّ الجسَد يفيد الكثافة ولايفيد الطّلَل والشّخص ذلك وهو من قولك: دَمٌ جاسد، أي جامد. والجسد أيضًا: الدّم بعينه. [ثمّ استشهد بشعر]

فيجوز أن يقال: إنّه سمّي جسَدًا لما فيه من الدّم، فلهذا خُصّ به الحيوان، فيقال: جسَد الإنسان وجسَد الحمار. ولايقال: جسد الخشبة، كما يقال: جرم الخشبة. وإن قيل ذلك فعلى التّقريب والاستعارة.

ويقال: ثوب مُجسَد، إذا كان يقوم من كثافة صبغه.

وقيل للزّعفران: جساد، تشبيهًا بحُمرة الدّم.

الفرق بين الجسَد والبدن. [تقدّم في «ب د ن»] (١٣١)

الهَرَويّ: الجسَد: معناه الجُثّة. (١: ٣٦٠)

الثّعالبيّ: الجسَد: الدّم اليابس. (٦٥)

ابن سيده: الجسَد: جسم الإنسان، ولايقال لغيره من الأجسام المغتذية. [إلى أن قال:]

وجمعه: أجساد.

والجاسِد من كلّ شيء: مااشتدّ ويَبِس.

والجسَد، والجَسِد، والجاسد والجسيد: الدّم اليابس، وقد جَسِد.

والجسَد، والجِساد: الزّعفران.

وثوب مُجسَّد ومُجسَد: مصبوغ بالزّعفران، وقيل: هو الأحمر.

والمِجسَد: الثّوب الّذي يلي جسَد المرأة فتعرَق فيه.

والجُساد: وَجَع يأخذ في البطن.

وصوت مُجسَّد: مرقوم على نغمة ونَغَم. (٧: ٢٦٠)

الجِساد: الزّعفران والعُصْفُر ونحوهما، من كلّ صَبْغ شديد الحُمرة أو الصُّفرة.

أجسَد الثّوب ونحوه، وجسّده: صبغه بالجساد فهو مُجسَد. (الإفصاح ١: ٣٩١)

الطُّوسيّ: الجسَد: جسم الحيوان مثل البدن، وهو روح وجسد، والرّوح: مالطف، والجسَد: ماغلظ.

والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات. (٤: ٥٧٨)

الرّاغِب: الجسَد كالجسم لكنّه أخصّ، قال الخليل رحمه الله: لايقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه.

وأيضًا فإنّ الجسَد ماله لون والجسم يقال: لما لايبين له لون كالماء والهواء، وقوله عزّوجلّ: ﴿وَمَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ الأنبياء: ٨، يشهد لما قال الخليل... [ثمّ أدام نحو ماتقدّم عن اللّغويّين] (٩٣)

المَدينيّ: في حديث أبي ذرّ، رضي الله عنه: «أنّ امرأته ليس عليها أثَر المَجاسِد» هي جمع مُجسَد، بضمّ الميم، وهو الثّوب المصبوغ المُشبَع بالجِساد، وهو الزّعفران، والعُصْفُر أيضًا. (١: ٣٢٨)

نحوه ابن الأثير. (١: ٢٧١)

الصَّغانيّ: الجُساد، بالضّمّ: وَجَعٌ في البطن،

يسمّى: بيجيذق، معرّب: بيجيده[1]. (٢: ٢١١)

الفيّوميّ: الجسَد، جمعه: أجساد. ولايقال لشيء من خلق الأرض: جسَد.

وقال في «البارع»: لايقال: الجسَد إلّا للحيوان العاقل، وهو الإنسان والملائكة والجنّ. ولايقال لغيره: جسَد إلّا للزّعفران؛ وللدّم إذا يَبِس أيضًا جسَد وجاسد. (١: ١٠١)

الفيروزاباديّ: الجسَد محرّكة: جسم الإنسان والجنّ والملائكة، والزّعفران كالجِساد ككتاب، وعِجْلُ بني إسرائيل، والدّم اليابس كالجسِد والجاسِد والجَسيد.

وجسِد الدّم به كفَرِح: لصِق.

وثوب مُجسَد ومُجَسَّد: مصبوغ بالزّعفران.

وكمِبْرَد: ثوب يلي الجسَد.

وكغُراب: وَجَع في البطن.

وصوت مُجَسَّد كمُعَظَّم: مرقوم على نغمات ومحنة. (١: ٢٩٣)

مَجْمَعُ اللُّغة: الجسَد: الجسم الجامد لايأكل ولايشرب، وقد يجيء مرادِفًا للجسم.

وماورد في القرآن ظاهره على المعنى الأوّل. (١: ١٩٣)

محمّد إسماعيل إبراهيم: الجسَد: الجسم أو البدن، ويغلب إطلاقه على جسم الإنسان وإن أُطلق على غيره أحيانًا. (١: ١٠٧)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة، هو الجسم الظّاهريّ المادّيّ من كلّ ذي روح، إذا صُرف النّظر عن روحه، ويكون النّظر والتّوجّه إلى جسمه من حيث هو.

وعلى هذا فلايطلق على أجسام الجنّ والملائكة، لكونهم من عالم ماوراء المادّة، نعم يقال فيهم: إنّ الجنّ قد تجسّد، فالتّجسّد صحيح في حقّهم.

ولمّا كان من لوازم البدن المادّيّ: التّلوّن وكونه في معرض ألوان مختلفة، وبهما يتحقّق فيه الاختلاف والتّغيّر، ولايُتراءى فيه إلّا اللّون؛ فيطلق «الجِساد» مصدرًا على اللّون العارض للجسد، باعتبار تظاهر الجسد وظهوره في الخارج بهذا اللّون، وفي الحقيقة إنّه إطلاق على الجسد.

ثمّ لمّا كان أحسَن لون طبيعيّ في الزّمان السّابق هو الزّعفران، فأُطلق «الجِساد» عليه، وقولهم: جسِدَ ومُجسَد، اشتقاق انتزاعيّ.

وكذلك إطلاق «الجسَد» على الدّم؛ فإنّ تكوّن الجسد والبدن وحركته وبقاء صورته وجريان أمره ونظم أعضائه بالدّم.

فاللّون صورة ظاهريّ للجسَد، والدّم صورة باطنيّ له، وبهذا يظهر الفرق بين الجسد والجسم، فإنّ الجسم عامّ.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا...﴾ الأعراف: ١٤٨، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ طه: ٨٨، إشارة إلى كون العِجْل جسمًا بلاروح، وبهذا التّعبير يثبت صحّة إطلاق هذه الكلمة على أجسام الحيوان.

﴿وَمَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ الأنبياء: ٨، أي أجسادًا بلاروح، فإنّ من لوازم الجسَد الحيّ، الارتزاق

(١) هو بالفارسيّة «بيجيده».

وسائر الأمور.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ ص: ٣٤، أي بدنًا بلاروح. (٢: ٨٩)

النُّصوص التّفسيريّة

جَسَدًا

١- ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ...﴾ الأعراف: ١٤٨

ابن عبّاس: مُجسّدًا صغيرًا. (١٣٨)

وَهْب بن مُنَبِّه: لحمًا ودمًا.

(الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٨٠)

نحوه الخازن. (٢: ٢٣٨)

الفَرّاء: كان جسدًا مجوّفًا. (١: ٢٩٣)

الزّجّاج: والجسد هو الّذي لايعقل ولايميّز، إنّما معنى الجسد معنى الجثّة فقط. (٢: ٣٧٧)

مثله ابن الجَوْزيّ. (٣: ٢٦١)

البغويّ: حيًّا لحمًا ودمًا...وقيل: كان جسدًا مُجسّدًا من ذهب لاروح فيه، كان يُسمع منه صوت.

(٢: ٢٣٥)

الزّمَخْشَريّ: بدنًا ذا لحم ودم كسائر الأجساد... وانتصاب (جَسَدًا) على البدل من (عِجْلًا). (٢: ١١٨)

مثله النَّسَفيّ (٢: ٧٧)، والشِّربينيّ (١: ٥١٧)، ونحوه أبوالسُّعود (٣: ٣٦).

ابن عَطيّة: أي جثّة وجمادًا، وقيل: كان جسدًا بلارأس. وهذا تعلّق بأنّ الجسد في اللّغة ماعدا الرّأس.

وقيل: إنّ الله جعل له لحمًا ودمًا. (٢: ٤٥٥)

الطَّبْرِسيّ: أي مُجسّدًا لاروح فيه. (٢: ٤٨٠)

ابن الأنباريّ: ذِكْر الجسد دلالة على عدم الرّوح منه، وأنّ شخصه شخص مثال وصورة، غير منضمّ إليهما روح ولانفس. (ابن الجَوْزيّ ٣: ٢٦١)

الفَخْرالرّازيّ: هل انقلب ذلك التّمثال لحمًا ودمًا - على ماقاله بعضهم - أو بقي ذهبًا، كما كان قبل ذلك؟

والجواب: الذّاهبون إلى الاحتمال الأوّل احتجّوا على صحّة قولهم بوجهين:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ والجسد اسم للجسم الّذي يكون من اللّحم والدّم. ومنهم من نازع في ذلك، وقال: بل الجسد اسم لكلّ جسم كثيف، سواء كان من اللّحم والدّم، أو لم يكن كذلك.

والحجّة الثّانية: أنّه تعالى أثبت له خُوار، وذلك إنّما يتأتّى في الحيوان. وأُجيب عنه: بأنّ ذلك الصّوت لمّا أشبه الخوار لم يبعد إطلاق لفظ الخُوار عليه. (١٥: ٦)

نحوه ملخّصًا النّيسابوريّ. (٩: ٥٠)

العُكْبَريّ: (جَسَدًا) نعت، أو بدلٌ، أو بيان من (حُلِيِّهِمْ). ويجوز أن يكون صفة لـ(عِجْل) قُدّم فصار حالًا، وأن يكون متعلّقًا بـ(اتَّخَذَ)، والمفعول الثّاني محذوف، أي إلهًا. (١: ٥٩٥)

القُرطُبيّ: (جَسَدًا) أي مُصْمَتًا، غير أنّهم كانوا يسمعون منه خُوارًا. وقيل: قلبه الله لحمًا ودمًا.

(٧: ٢٨٥)

البَيْضاويّ : بدنًا ذالحم ودم، أو جسدًا من الذّهب خاليًا من الرّوح، ونصبه على البدل. (١: ٣٦٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٢٤٢)

أبوحَيّان : وانتصب (جَسَدًا) قال الزّمَخْشَريّ: على البدل، وقال الحَوْفيّ: على النّعت، وأجازهما أبوالبقاء، وأن يكون عطف بيان.

وإنّما قال: (جَسَدًا) لأنّه يمكن أن يُتّخذ مخطوطًا أو مرقومًا في حائط أو حجر أو غير ذلك، كالتّماثيل المصوّرة بالرّقم والخطّ والدّهان والنّقش، فبيّن تعالى أنّه ذوجسد. (٤: ٣٩١)

السّمين : فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنّه نعت، الثّاني: أنّه عطف بيان، الثّالث: أنّه بدل، قاله الزّمَخْشَريّ، وهو أحسن، لأنّ «الجسد» ليس مشتقًّا، فلاينعت به إلّا بتأويل، وعطف البيان في النّكرات قليل، أو ممتنع عند الجمهور. [ثمّ أدام نحو أبي حَيّان إلى أن قال:]

قوله: ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ في محلّ النّصب نعتًا لـ(عِجْلًا)، وهذا يقوّي كون (جَسَدًا) نعتًا، لأنّه إذا اجتمع نعت وبدل، قُدّم النّعت على البدل. (٣: ٣٤٤)

الكاشانيّ : (جَسَدًا) خاليًا من الرّوح. (٢: ٢٣٨)

نحوه شُبّر (٢: ٤١٦)، والقاسميّ (٧: ٢٨٥٧).

الآلوسيّ : (جَسَدًا) بدل من (عِجْلًا) أو عطف بيان أو نعت له، بتأويل متجسّدًا. [إلى أن قال:]

وجاء المُجسَد أيضًا بمعنى الأحمر، وبعض فسّر الجسد به هنا، فقال: أي أحمر من ذهب. (٩: ٦٣)

مكارم الشّيرازيّ :...وكلمة (جَسَدًا) شاهد على أنّ ذلك العِجل لم يكن حيوانًا حيًّا، لأنّ القرآن يستعمل هذه اللّفظة في جميع الموارد في القرآن الكريم بمعنى الجسم المجرّد من الحياة والرّوح. (٥: ٢٠٦)

٢ـ وَمَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَاكَانُوا خَالِدِينَ. الأنبياء: ٨

الضّحّاك : لم أجعلهم جسدًا ليس فيهم أرواح لايأكلون الطّعام، ولكن جعلناهم جسدًا فيها أرواح يأكلون الطّعام. (الطّبَريّ ١٧: ٥)

قَتادَة : ماجعلناهم جسدًا إلّا ليأكلوا الطّعام. (الطّبَريّ ١٧: ٥)

ابن قُتَيْبَة : ماجعلنا الأنبياء قبله أجسامًا لاتأكل الطّعام ولاتموت، فنجعله كذلك. (٢٨٤)

المُبَرِّد : العرب إذا جاءت بين الكلامين بجَحْدَين كان الكلام إخبارًا، فمعنى الآية: إنّما جعلناهم جسدًا ليأكلوا الطّعام.

ومثله في الكلام: ماسمعت منك، ولاأقبل منك، معناه إنّما سمعت منك لأقبل منك.

وإذا كان الجحد في أوّل الكلام كان الكلام مجحودًا جحدًا حقيقيًّا، وهو كقولك: مازيد بخارج.

مثله ثَعْلَب. (الأزهَريّ ١٠: ٥٦٦)

الطّبَريّ : لم نجعلهم ملائكة لايأكلون الطّعام، ولكن جعلناهم أجسادًا مثلك، يأكلون الطّعام. [إلى أن قال:]

وقال: ﴿مَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ فوحّد الجسد، وجعله موحّدًا، وهو من صفة الجماعة. وإنّما جاز ذلك، لأنّ

الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وماجعلناهم خلقًا لايأكلون. (١٧: ٥)

نحوه الطُّوسيّ (٧: ٢٣٣)، والبغويّ (٣: ٢٨٤).

الزّجّاج: ﴿جَسَدًا﴾ هو واحد يُنبئ عن جماعة، أي وماجعلناهم ذوي أجساد إلّا ليأكلوا الطّعام. (٣: ٣٨٥)

الأزهريّ: جعل اللّيث قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَمَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ كالملائكة. وهو غلط، ومعناه الإخبار، كما قال النّحويّون: أي جعلناهم جسدًا ليأكلوا الطّعام، وهذا يدلّ على أنّ ذوي الأجساد يأكلون الطّعام، وأنّ الملائكة روحانيّون لايأكلون الطّعام، وليسوا جسدًا. (١٠: ٥٦٧)

الزّمخشريّ: المعنى وماجعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوي جسد غير طاعمين. ووحّد «الجسد» لإرادة الجنس، كأنّه قال: ذوي ضرب من الأجساد، وهذا ردّ لقولهم: ﴿مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ الفرقان: ٧. (٢: ٥٦٤)

نحوه الفخر الرّازيّ (٢٢: ١٤٤)، والنّسفيّ (٣: ٧٣)، وشبّر (٤: ١٨٦).

الطّبرسيّ: هذا ردّ لقولهم: ﴿مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ...﴾ ومعناه وماجعلنا الأنبياء قبلك أجسادًا لايأكلون الطّعام ولايموتون، حتّى يكون أكلك الطّعام وشربك وموتك علّة في ترك الإيمان بك فإنّا لم نُخرجهم عن حدّ البشريّة بالوحي.

قال الكلْبيّ: الجسد المُجَسَّد: الّذي فيه الرّوح ويأكل ويشرب؛ فعلى هذا يكون مايأكل ويشرب جسمًا. وقال مُجاهد: الجسد مالايأكل ولايشرب؛ فعلى هذا يكون مايأكل ويشرب نفسًا. (٤: ٤٠)

نحوه المَراغيّ (١٧: ١٠)، والطّباطبائيّ (١٤: ٢٥٤)، وفضل الله (١٥: ١٩٤).

العُكْبَريّ: قوله تعالى: (جَسَدًا) هو مفرد في موضع الجمع، والمضاف محذوف، أي ذوي أجساد، و﴿لَايَأْكُلُونَ﴾ صفة لأجساد.

و(جَعَلْنَاهُمْ) يجوز أن يكون متعدّيًا إلى اثنين، وأن يتعدّى إلى واحد، فيكون (جَسَدًا) حالًا، و(لَايَأْكُلُونَ) حالًا أُخرى. (٢: ٩١٢)

القُرطُبيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

وقيل: لم يقل: أجسادًا، لأنّه أراد وماجعلنا كلّ واحد منهم جسدًا. (١١: ٢٧٢)

البَيْضاويّ: وتوحيد «الجسد» لإرادة الجنس، أو لأنّه مصدر في الأصل، أو على حذف المضاف، أو تأويل الضّمير بكلّ واحد، وهو جسم ذو لون، ولذلك لايُطلق على الماء والهواء، ومنه الجساد للزّعفران.

وقيل: جسم ذو تركيب، لأنّ أصله لجمع الشّيء واشتداده. (٢: ٦٨)

الشّربينيّ: أي ذوي جسد ولحم ودم، متّصفين بأنّهم ﴿لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل جعلناهم أجسادًا يأكلون ويشربون، وليس ذلك بمانع من إرسالهم. [إلى أن قال نحو البَيْضاويّ ثمّ أضاف:]

وهو في الماء مبنيّ على أنّه لالون له، وإنّما يتلوّن بلون ظرفه أو مقابله، لأنّه جسم شفّاف. لكن قال الإمام الرّازيّ: بل له لون ويُرى، ومع ذلك لايحجب عن رؤية ماوراءه. (٢: ٤٩٧)

أبوالسُّعود: ﴿وَمَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ بيان لكون الرّسل عليهم السلام أُسوةً لسائر أفراد الجنس، في أحكام الطّبيعة البشريّة، إثر بيان كونهم أُسوة في نفس البشريّة، والجسد: جسم الإنسان والجنّ والملائكة.

ونصبه إمّا أنّه مفعول ثان «للجَعْل» لكن لابمعنى جعله جسدًا، بعد أن لم يكن كذلك، كما هو المشهور من معنى التّصيير، بل بمعنى جعله كذلك ابتداءً، على طريقة قولهم: سبحان من صغّر البعوض وكبّر الفيل، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اٰيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢.

وإمّا حال من الضّمير، والجعل إبداعيّ، وإفراده لإرادة الجنس المنتظم للكثير أيضًا. (٤: ٣٢٥)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السُّعود وأضاف:]

قال في «التّأويلات النّجميّة» يشير إلى أنّ الأنبياء والأولياء خلقوا محتاجين إلى الطّعام بخلاف الملائكة، وذلك لايقدح في النّبوّة والولاية، بل هو من لوازم أحوالهم وتوابع كمالهم، فإنّ لهم فيه فوائد جمّة.

منها: أنّ الطّعام للرّوح الحيوانيّ الّذي هو مَرْكب الرّوح الإنسانيّ كالدّهن للسّراج، وهو منبع جميع الصّفات النّفسانيّة الشّهوانيّة، وهو مَرْكب الشّوق والمحبّة الّتي بها يقطع السّالك الصّادق مسالك البعاد، ويعبر العاشق مهالك الفراق، للوصول إلى كعبة الوصال.

ومنها: أنّ أكل الطّعام من نتائج الهوى وهو ميل النّفس إلى مشتهياتها، والسّير إلى الله بحسب نهي النّفس عن الهوى، كقوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى * فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاْوٰى﴾ النّازعات: ٤٠، ٤١، ولذا قال المشايخ: لولا الهوى ماسلك أحد طريقًا إلى الله.

ومنها: أنّ كثيرًا من علم الأسماء الّتي علّم الله آدم، منوط بأكل الطّعام، مثل علم ذوق المذوقات، وعلم التّلذّذ بالمشتهيات، وعلم لذّة الشّهوة، وعلم الجوع، وعلم العطش، وعلم الشّبع والرّيّ، وعلم هضم الطّعام وثقله، وعلم الصّحّة والمرض، وعلم الدّاء والدّواء، وأمثاله والعلوم الّتي تتعلّق به كعلوم الطّبّ بأجمعها، والعلوم الّتي هي توابعها، كمعرفة الأدوية والحشائش، وخواصّها وطباعها وغيرها... (٥: ٤٥٦)

الآلوسيّ: ﴿وَمَاجَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ بيان لكون الرّسول عليه السلام أُسوة لسائر أفراد الجنس في أحكام الطّبيعة البشريّة. [ونقل بعض أقوال اللّغويّين وقال:]

وقيل: هو جسم ذو تركيب وظاهره أنّه أعمّ من الحيوان، ومنهم [مَنْ] خصّه به. وقال بعضهم: هو في الأصل مصدر: جسَد الدّم يجسِد، أي التصق. وأُطلق على الجسم المركّب، لأنّه ذو أجزاء ملتصق بعضها ببعض.

ثمّ الظّاهر أنّ الّذي يقول بتخصيصه بحيث لايشمل غير العاقل من الحيوان مثلًا، غاية مايدّعي أنّ ذلك بحسب أصل وضعه، ولايقول بعدم جواز تعميمه. [إلى أن قال:]

وفي «التّسهيل» أنّه يستغني بتثنية المضاف وجمعه عن تثنية المضاف إليه وجمعه في الأعلام، وكذا ماليس فيه لُبس من أسماء الأجناس. (١٧: ١٣)

٣ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمٰنَ وَاَلْقَيْنَا عَلٰى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ اَنَابَ﴾. ص: ٣٤

ابن عبّاس : شيطانًا. (٣٨٢)

مثله سعيد بن جُبَيْر ، والحسَن (الطَّبَريّ ٢٣: ١٥٧)

وزيد بن عليّ (غريب القرآن: ٣٤٨).

هو صخر الجنّيّ، تمثّل على كرسيّه جسدًا.

(الطَّبَريّ ٢٣: ١٥٦)

الجسد: الشّيطان الّذي كان دفع إليه سليمان خاتمه، فقذفه في البحر، وكان مُلك سليمان في خاتمه، وكان اسم الجنّيّ صخرًا. (الطَّبَريّ ٢٣: ١٥٧)

الشّعبيّ : إنّه وُلد له ولد فخاف عليه، فأودعه في السّحاب يُغذّى في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشّهر وفي الشّهر كالسّنة، فلم يشعر إلّا وقد وقع على كرسيّه ميّتًا. (الماوَرْديّ ٥: ٩٦)

مُجاهِد : شيطانًا، يقال له: آصر.

شيطانًا، يقال له: آصف...[1] (الطَّبَريّ ٢٣: ١٥٧)

قَتادَة: [وكان اسم الشّيطان الّذي جلس على كرسيّه] سيِّد. (الماوَرْديّ ٥: ٩٧)

السُّدّيّ : الشّيطان حين جلس على كرسيّه أربعين يومًا. [إلى أن قال:]

وكان اسمه حبقيق. (٤١٢)

الفَرّاء : يريد صنمًا، ويقال: شيطان. (٢: ٤٠٥)

نحوه ابن قُتَيْبَة. (٣٧٩)

الطَّبَريّ : شيطانًا متمثّلًا بإنسان، ذكروا أنّ اسمه صخر، وقيل: اسمه آصف، وقيل: إنّ اسمه آصر، وقيل: إنّ اسمه حبقيق. (٢٣: ١٥٦)

الجُبّائيّ : إنّه وُلد له ولد ميّت، جسدٌ بلاروح فأُلقي على سريره. (الطَّبْرِسيّ ٤: ٤٧٦)

الزّجّاج : جاء في التّفسير: أنّه كان لسليمان ابن فخاف عليه الشّياطين، لأنّ الشّياطين كانت تَـقْدِر[2] الرّاحة ممّا كانت فيه بموت سليمان، فقالت: إن بقي له ولدٌ لم ننفكّ[3] ممّا نحن فيه، فغذاه في السّحاب إشفاقًا عليه فمات، فأُلقي على كرسيّه جسدٌ. فجائز أن يكون هذا مجازاته على ذنبه، وجائز أن يكون، فأثكله الله ولَدَه.

وأكثر ماجاء في التّفسير: أنّ (جَسَدًا) هاهنا شيطان، وأنّ سليمان أُمر ألّا يتزوّج امرأةً إلّا من بني إسرائيل، فتزوّج من غيرهم امرأةً كانت تعبد غير الله، فعاقبه الله بأن سلبه مُلكه، وكان ملكه في خاتمه فدفعه عند دخوله الحمّام إلى شيطان. وجاء في التّفسير: أنّه يقال له: صَخْر، فطرحه في البحر فمكث أربعين يومًا، يتيه في الأرض، حتّى وجد الخاتم في بطن سمكة. وكان شيطان تصوّر في صورته وجلس مجلسه، وكان أمره ينفذ في جميع ماكان يَنفُذُ فيه أمر سليمان، خلا نساء سليمان، إلى أن ردّ الله عليه ملكه. (٤: ٣٣٢)

أبومسلم الأصفهانيّ : إنّه جسد سليمان مرض، فكان جسده ملقًى على كرسيّه. (الماوَرْديّ ٥: ٩٦)

نحوه بيان الحقّ النّيسابوريّ (٢: ٢٤٨)، والمَراغيّ (٢٣: ١٢٠).

النّقّاش : إنّه أكثر من وطأ جواريه طلبًا للولد، فوُلد له نصف إنسان، فهو كان الجسد الملقى على كرسيّه. (الماوَرْديّ ٥: ٩٦)

---

(١) والرّواية طويلة أخذنا موضع الحاجة، إن شئت تفصيله راجع: «ف ت ن».

(٢) تتوقّع الخلاص منه.

(٣) لم نخلص من الفِكاك.

النّحّاس : قد رُويت في ذلك أخبار، منها : أنّ شيطانًا غلب على ملكه أيّامًا، ومنها: أنّ الشّياطين قتلتْ ابنه خوفًا من أن يملكهم بعده، وألقته على كرسيّه، والله أعلم بما كان من ذلك.

والكلام يوجب أنّه أُزيل ملكه، فجلس آخر على كرسيّه. (٦: ١١٣)

الماوَرْديّ : في هذا الجسد أربعة أقاويل. [فذكر قول ابن بحر[١] والشّعبيّ والنّقّاش ثمّ قال:]

الرّابع: أنّ الله كان قد جعل ملك سليمان في خاتمه، فكان إذا أجنب أو ذهب للغائط خلعه من يده ودفعه إلى أوثق نسائه، حتّى يعود فيأخذه. فدفعه مرّة إلى بعض نسائه وذهب لحاجته، فجاء شيطان فتصوّر لها في صورة سليمان، فطلب الخاتم منها فأعطته إيّاه، وجاء سليمان بعد، فطلبه، فقالت: قد أخذته، فأحسّ سليمان. (٥: ٩٦)

الطّوسيّ : [ذكر قول ابن عبّاس الثّاني ومجاهد والسّدّيّ إلى أن قال:]

والّذي قاله المفسّرون من أهل الحقّ ومن نزّه الأنبياء عن القبائح ونزّه الله تعالى عن مثل ذلك، هو أنّه لايجوز أن يمكّن الله تعالى جنّيًّا ليتمثّل في صورة نبيّ، لما في ذلك من الاستبعاد. وإنّ النّبوّة لاتكون في الخاتم، وأنّه تعالى لايسلب النّبيّ نبوّته، وليس في الآية شيء من ذلك، وإنّما قال فيها: إنّه أُلقي على كرسيّه جسدًا.

وقيل: في معنى ذلك الجسد أقوال:

منها: إنّ سليمان قال يومًا في مجلسه، وفيه جمع كثير: لأطوفنّ اللّيلة على مئة امرأة تلد كلّ امرأة منهنّ غلامًا يضرب بالسّيف في سبيل الله، وكان له ـ في مايُروى ـ عدد كثير من السّراري. فأخرج الكلام على سبيل المحبّة لهذا الحال، فنزّهه الله عمّا ظاهره الحرص على الدّنيا، لئلّا يُقتدى به في ذلك. فلم يحمل من نسائه إلّا امرأة واحدة ولدًا ميّتًا، فحُمل حتّى وُضع على كرسيّه جسدًا بلاروح، تنبيهًا له على أنّه ماكان يجب أن يظهر منه ماظهر، فاستغفر الله وفزع إلى الصّلاة والدّعاء على وجه الانقطاع، لاعلى أنّ ذلك كان صغيرة.

ومَن قال من حيث إنّه لم يستثن مشيئة الله في ذلك، فقوله فاسد، لأنّه وإن لم يذكر مشيئة الله لفظًا، فلابدّ من تقديرها في المعنى، وإلّا لم يأمن أن يكون خبره كذبًا، وذلك لايجوز على الأنبياء عند من جوّز الصّغائر عليهم. قال الحسن وغيره: لايجوز على الأنبياء.

ومنها: إنّه روي أنّ الجنّ لمّا وُلد لسليمان ولد قالوا: لنلقينّ منه مالقينا من سليمان، فلمّا وُلد له ولد أشفق منهم، فاسترضعه في المُزن، فلم يشعر إلّا وقد وضع على كرسيّه ميّتًا، تنبيهًا على أنّ الحذر لاينفع مع القدر.

ومنها: إنّه ذكر أنّه وُلد لسليمان ولد ابتلاه بصبره في إماتة ولده على كرسيّه. وقيل: إنّه أماته في حجره، وهو على كرسيّه، فوضعه من حجره.

ومنها: ماذكره أبومسلم، فإنّه قال: يجوز أن يكون الجسد جسد سليمان، وأن يكون ذلك لمرض امتحنه الله به، وتقديره: وألقينا منه على كرسيّه جسدًا لشدّة المرض، كما يقولون: فلان لحم على وضم، إذا كان ضعيفًا، وجسد بلاروح، تغليظًا للعلّة، وقوّة الضّعف. (٨: ٥٦٢)

---

(١) هو أبو مسلم محمّد بن بحر.

نحوه أبوالفُتوح (١٦: ٢٧٨)، والطَّبْرِسيّ (٤: ٤٧٦).

الواحديّ: يعني الشّيطان الّذي كان على كرسيّه يقضي بين النّاس. (٣: ٥٥٤)

البغَويّ: [ذكر بعض الرّوايات ثمّ قال:]

وأشهر الأقاويل أنّ الجسد الّذي أُلقي على كرسيّه هو صخر الجنّيّ... (٤: ٧٢)

ابن عَطيّة: واختلف النّاس في الجسد الّذي أُلقي على كرسيّه، فقال الجمهور: هو الجنّيّ المذكور، سمّاه (جَسَدًا)، لأنّه كان قد تمثّل في جسد سليمان وليس به.

وهذا أصحّ الأقوال وأبينها معنًى. [ثمّ ذكر بعض الأقوال وأضاف:]

وهذا كلّه غير متّصل بمعنى هذه الآية. (٣: ٥٠٥)

ابن الجَوْزيّ: فيه قولان:

أحدهما: أنّه شيطان، قاله ابن عبّاس، والجمهور.

وفي اسم ذلك الشّيطان ثلاثة أقوال:

أحدها: شيطانًا مَريدًا لم يُسخّر لسليمان.

والثّاني: آصف، قاله مُجاهِد، إلّا أنّه ليس بالمؤمن الّذي عنده الاسم الأعظم، إلّا أنّ بعض ناقلي التّفسير حكى أنّه آصف الّذي عنده علم من الكتاب، وأنّه لمّا فُتِن سليمان سقط الخاتم من يده فلم يثبُت، فقال آصف: أنا أقوم مقامك إلى أن يتوب الله عليك. فقام في مقامه، وسار بالسّيرة الجميلة. وهذا لايصحّ، ولاذكره من يوثق به.

والثّالث: حبقيق، قاله السُّدّيّ، والمعنى أجلسنا على كرسيّه في مُلكه شيطانًا. [إلى أن قال: القول الثّاني ...وهو قول الشّعبيّ السّابق، ثمّ قال:]

والمفسّرون على القول الأوّل. (٧: ١٣٢)

الفَخْرالرّازيّ: [راجع: «ف ت ن»]

(٢٦: ٢٠٧ ـ ٢٠٩)

نحوه ابن عَرَبيّ (٢: ٣٥٣)، والنّيسابوريّ (٢٣: ٩١).

العُكبَريّ: (جَسَدًا) هو مفعول (أَلْقَيْنَا)، وقيل: هو حال من مفعول محذوف، أي ألقيناه، قيل: سليمان، وقيل: ولده، على ماجاء في التّفسير. (٢: ١١٠١)

القُرطُبيّ: قيل: شيطان في قول أكثر أهل التّفسير، ألقى الله شبه سليمان عليه السلام، عليه واسمه صخر بن عمير صاحب البحر... (١٥: ١٩٩)

السّمين: [نحو العُكبَريّ وأضاف:]

...ولكن (جَسَدًا) جامد فلابدّ من تأويله بمشتقّ، أي ضعيفًا أو فارغًا. (٥: ٥٣٦)

البُرُوسَويّ: المراد به في الآية القالب بلاروح.

(٨: ٣١)

الآلوسيّ: وإنّما قال سبحانه: (جَسَدًا) لأنّه [الشّيطان] إنّما تمثّل بصورة غيره وهو سليمان عليه السلام، وتلك الصّورة المتمثّلة ليس فيها روح صاحبها الحقيقيّ، وإنّما حلّ في قالبها ذلك الشّيطان، فلذا سمّيت جسدًا. وعبارة «القاموس» صريحة في أنّ الجسد يُطلق على الجنّيّ. [ثمّ نقل أقوال بعض المفسّرين] (٢٣: ١٩٩)

القاسميّ: أي جسمًا مجسّدًا، كناية عن صنم ـ على ماروره ـ وإنّما أُوثر الجسد عليه إجلالًا لسليمان عليه السلام، وإشارة إلى أنّ قصّته ـ إن صحّت ـ كانت أمرًا عرض وزال، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾. (١٤: ٥١٠٢)

الطّباطَبائيّ: الجسد هو الجسم الّذي لاروح فيه.

قيل: المراد بالجسد الملقى على كرسيّه، هو سليمان نفسه لمرض امتحنه الله به، وتقدير الكلام: ألقيناه على كرسيّه جسدًا، أي كجسد لاروح فيه من شدّة المرض.

وفيه: أنّ حذف الضّمير من (اَلْقَيْنَاهُ) وإخراج الكلام على صورته الّتي في الآية الظّاهرة، في أنّ الملقى هو الجسد، مخلّ بالمعنى المقصود، لايجوز حمل أفصح الكلام فيه.

ولسائر المفسّرين أقوال مختلفة في المراد من الآية، تبعًا للرّوايات المختلفة الواردة فيها. والّذي يمكن أن يؤخذ من بينها إجمالًا أنّه كان جسد صبيّ له، أماته الله وألقى جسده على كرسيّه، ولقوله: ﴿ثُمَّ اَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ إشعار أو دلالة على أنّه كان لهعليه السلام فيه رجاء أوأمنيّة في الله، فأماته الله سبحانه وألقاه على كرسيّه، فنبّهه أن يفوّض الأمر إلى الله ويسلم له.

(١٧: ٢٠٤)

عبد الكريم الخطيب: هذه الآية هي إشارة إلى هذه الفتنة الّتي فُتن بها سليمان، وهو اشتغاله بهذا المتاع من الخيل، وحشد هذا الجهد منه ومن حاشيته، ورعيّته في سبيله.

ففي قوله تعالى: ﴿وَاَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ إشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد فتنه بهذا المتاع الكثير الّذي ساقه إليه، وأنّ هذا المتاع كان عبئًا ثقيلًا على (كُرْسِيِّهِ) أي سلطانه، الّذي كان ينبغي أن يكون مكان النّبوّة فيه أبرز وأظهر من مقام الملك. وهذا هو السّرّ في كلمة (جَسَدًا) الّذي يمثّل المتاع الدّنيويّ، الّذي يضمّه هذا الملك. إنّ كرسيّ سليمان قد ثقل فيه ميزان الملك، وكاد يجور على المكان الّذي ينبغي أن يكون للنّبوّة فيه الحظّ الأوفر، والنّصيب الأوفى!

ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿وَاَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ بمعنى وألقيناه على كرسيّه جسدًا، فيكون (جَسَدًا) حال، بمعنى كائنًا جسدًا، على حين أنّ روحه قد زايله في تلك الحال، فرأى ـ من عالم روحه ـ وجوده الجسديّ قائمًا على الكرسيّ ملتصقًا به. وهذا مايُعرف في الرّوحيّة الحديثة باسم «الطّرح الرّوحيّ» حيث تستطيع بعض الأرواح أن تنفصل عن أجسادها في حال اليقظة، فيرى الإنسان بروحه عوالم كثيرة بعيدة، ويشهد من وراء حجب المادّة الكثيفة مايشهده عن قرب وعيان، وممّا يشهده في حاله تلك وجودُه الجسديّ.

وقد يكون سليمانعليه السلام رأى في حال من أحوال الطّرح الرّوحيّ ذاته الجسديّة، على كرسيّ ملكه، على حين رأى ذاته الرّوحيّة بعيدة عن هذا الكرسيّ، فأنكر مقامه على هذا الكرسيّ، وهو على تلك الحال الّتي انفصلت فيها، أو كانت تنفصل عنه النّبوّة.(١٢: ١٠٨٦)

مكارم الشّيرازيّ:وقد أورد المفسّرون والمحدّثون تفسيرات متعدّدة في هذا المجال، أفضلها وأوضحها مايلي:

إنّ سليمانعليه السلام كان متزوّجًا من عدّة نساء، وكان يأمل أن يُرزق بأولاد صالحين شُجعان، ليساعدوه في إدارة شؤون البلاد وجهاد الأعداء، فحدّثت نفسه يومًا قائلًا: لأطوفنّ على نسائي كي أُرزَقَ بعدد من الأولاد، لعلّهم يساعدونني في تحقيق أهدافي، ولكنّه غفل عن

قول: إن شاء الله، بعد تمام حديثه مع نفسه، تلك العبارة الّتي تبيّن توكّل الإنسان على الله سبحانه وتعالى، في كلّ الأُمور والأحوال، فلم يُرزَق سوى ولد ميّت ناقص الخلقة، جيء به وأُلقي على كرسيّ سليمان عليه السلام.

غرق سليمان عليه السلام ـ هنا ـ في تفكير عميق، وتألّم، لكونه غفل عن الله لحظة واحدة، واعتمد على قواه الذّاتيّة، فتاب إلى الله وعاد إليه...

وهناك تفسير آخر يمكن طرحه بعد التّفسير الأوّل، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى امتحن سليمان بمرض شديد؛ بحيث طرحه على كرسيّه كجسد بلاروح من شدّة المرض، وعبارة «جسد بلاروح» مألوفة ودارجة في اللّغة العربيّة؛ إذ تُطلق على الإنسان الضّعيف والعليل.

وفي نهاية الأمر تاب سليمان إلى الله، وأعاد الله إليه صحّته، وعاد كما كان قبل مرضه، والمراد من (اَنَابَ) هنا عودة الصّحّة والعافية إليه.

بالطّبع هناك إشكال ولد على هذا التّفسير؛ إذ أنّ عبارة (اَلْقَيْنَا) كان يجب أن تأتي بصورة (اَلْقَيْنَاهُ) حتّى تتناسب مع التّفسير المذكور أعلاه، يعني أنّا ألقينا سليمان على كرسيّه جسدًا بلاروح، في حين أنّ هذه العبارة لم ترد في الآية بتلك الصّورة، وإنّ تقديرها مخالف للظّاهر.

عبارة (اَنَابَ) في هذا التّفسير جاءت بمعنى عودة الصّحّة والعافية إليه، وهذا أيضًا مخالف للظّاهر. أمّا إذا اعتبرنا أنّ معنى (اَنَابَ) هو التّوبة والعودة إلى الله، فإنّها لاتلحق أيّ ضرر بالتّفسير، ولهذا فإنّ الشّيء الوحيد المخالف لظاهر الآية هنا هو حذف ضمير عبارة (اَلْقَيْنَاهُ).

«القصص الكاذبة والقبيحة الّتي تحدّثت عن فقدان خاتم سليمان، وعثور أحد الشّياطين عليه، وجلوس ذلك الشّيطان على عرش سليمان ـ كما ورد في بعض الكتب الّتي لايُستبعَد أن يكون مصدرها هو كتاب «التّلمود» اليهوديّ المليء بالخرافات الإسرائيليّة ـ هذه القصص لاتتناسب مع العقل والمنطق.

وهذه القصص ـ في حقيقة الأمر ـ إنّما هي دليل انحطاط أفكار مبتدعيها، ولهذا فإنّ المحقّقين المسلمين أينما ذكروها أعلنوا بصراحة خلوّها من الصّحّة، وكونها مجرّد اختلاقات. (١٤: ٤٥٩)

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجسَد، وهو جسم الإنسان خاصّة، يقال منه: تجسّد، كما يقال: تجسّم، والجمع: أجساد.

والمُجسَد والمِجسَد: الثّوب الّذي يلي جسد المرأة فتعرق فيه، يقال: أُجسِد الثّوب، أي أُلزق بالجسد، والجمع: مَجاسد.

والجسَد والجَسِد والجاسد والجَسيد: الدّم اليابس، لأنّه عماد الجسم ونظامه، فلمّا يَبِسَ قاربه في الشّدّة؛ يقال: جَسِد به الدّم يجسَد جَسَدًا، أي لصق به.

والجِساد: الزّعفران والعُصفُر ونحوهما من الصّبغ الأحمر والأصفر، والجمع: مَجاسد، وهو تشبيه بحمرة الدّم وجماده إذا يبس، يقال: قد أُجسِد ثوبُ فلان إجسادًا فهو مُجسَد، أي صُبِغ، وثوبٌ مُجسَّد: مشبَع بالزّعفران أو العُصفُر.

والجُساد: وجَع يأخذ في البطن، كأنّه يستوعب

الجسد كافّة.

وصوتٌ مُجَسَّد: مرقوم على نغمات وألحان، تشبيهًا بجسد يبعث صوتًا صدّاحًا.

٢ـ وقد استُعمل «الجسد» كثيرًا في النّصوص العربيّة القديمة والحديثة على السّواء، كسائر مترادفاته، وهي: الجسم والبدن والجثّة والجثمان بيد أنّه غير معروف في سائر اللّغات السّاميّة، كذا البدن والجثمان، وأشهرها في هذه اللّغات ـ ومنها العربيّة ـ الجسم مطلقًا، كما لم يُعرف لفظ «الجثّة» إلّا في العربيّة والنّبطيّة.

٣ـ ويُطلق المتصوّفة لفظ «الجسد» غالبًا على الصّورة المثاليّة، ويعتبره الفلاسفة روحًا تظهر في جسم ناريّ كالجنّ، أو نوريّ كالأرواح الملكيّة والإنسانيّة.

والتّجسّد عند النّصارى تحويل الكلمة جسدًا في شخص المسيح، كما جاء في إنجيل يوحنّا (١: ١٤): «والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا»، زاعمين أنّ للمسيح طبيعتين: إلهيّة «لاهوت»، وإنسانيّة «ناسوت» في أُقنوم واحد، هو الأُقنوم الثّاني من الثّالوث الأقدس؛ ﴿سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص: ٦٨.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت منها كلمة واحدة أربع مرّات في أربع من المكّيّات:

١ـ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٤٨

٢ـ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ طٰه: ٨٨

٣ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ صٓ: ٣٤

٤ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ الأنبياء: ٨

يلاحظ أوّلًا: أنّ (١) و(٢) بشأن العِجْل الّذي اتّخذه بنو إسرائيل وعبدوه، و(٣) بشأن الجسد الّذي أُلقي على كرسيّ سليمان، وكلّها إثبات، أمّا (٤) فجاءت بشأن الأنبياء عليهم السلام نفيًا.

ثانيًا: في (١) و(٢) بحوث:

١ـ أُسند في (١) اتّخاذ العجل إلى بني إسرائيل قوم موسى، لأنّهم عبدوه، أمّا في (٢) فأُسند صنعه وإخراجه إلى السّامريّ، وجاءت قبلها حكايةٌ عن قوم موسى جوابًا لتعنيف موسى إيّاهم على إخلافهم موعده ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ طٰه: ٨٧، كما أُسند إضلالهم قبل آيتين إلى السّامريّ أيضًا ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ طٰه: ٨٥.

وبالتّأمّل فيها يظهر أنّ السّامريّ أخرج لهم ممّا حمّلوه من زينة عدوّهم، عجلًا ودعاهم إلى عبادته وأضلّهم، فاتّخذوه إلهًا.

٢ـ جاء فيهما ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ بسياقٍ واحدٍ، واختلفوا في أنّه هل تبدّل لحمًا ودمًا بلا روح استنادًا إلى أنّ الجسد اسم للجسم من اللّحم والدّم دون سائر الأجسام، وأنّ الله أثبت له خُوارًا، ويتأتّى ذلك من الحيوان، أو بقي ذهبًا استنادًا إلى أنّ الجسد اسم لكلّ

جسم، وأنّ الصّوت أشبه خُوار الحيوان؟

وعندنا أنّ الجسد والخوار كلاهما خاصّ بالحيوان إلّا أنّهما أُطلقا هنا تشبيهًا على سبيل الاستعارة. وكان هذا هو المتوقّع عن الزّمَخْشَريّ حسب أسلوبه في التّفسير، إلّا أنّه قال فيه: «بدنًا ذالحم ودم كسائر الأجسام» ولااعتبار هنا بالرّوايات الإسرائيليّة.

٣ـ اختلفوا في إعرابها هل أنّ (جَسَدًا) بدل من (عِجْلًا) ـ واختاره الزّمَخْشَريّ وتبعه جماعة ـ أو نعت له، أو عطف بيانٍ من (عِجْلًا) أو من (حُلِيِّهِمْ) ـ وهذا الأخير خاصّ بـ(١) ولايصحّ لاختلاف إعرابهما ـ واحتمل العُكبَريّ كونه صفة لـ(عِجْلًا) قُدّم فصار حالًا. ولاوجه له لأنّه لم يقدّم على (عِجْلًا). وأمّا «السّمين» فذكر الأقوال ورجّح البدل، ونفى كونه صفة، لأنّه ليس مشتقًّا، فلايُنعَت به إلّا بتأويل (متجسّدًا) كما نفى كونه عطف بيان، لأنّه في النّكرات قليل، أو ممتنع عند الجمهور، فالبدل متعيّن.

ـ وعلى كلّ حال فـ(عِجْلًا) مفعول لـ(اتَّخَذَ) في (١) ومفعوله الثّاني (إلهًا) محذوف ـ ولـ(أَخْرَجَ) في (٢) وليس له إلّا مفعول واحد، وأيضًا (لَهُ خُوَارٌ) فيهما في محلّ النّصب نعتًا لـ(عِجْلًا).

قال السّمين: «وهذا يقوّي كون (جَسَدًا) نعتًا لابدلًا، لأنّه إذا اجتمع نعتٌ وبدلٌ قُدّم النّعت على البدل». ولو صحّ هذا لاختصّ بالمفرد دون الجملة، مع احتمال أن يكون (لَهُ خُوَارٌ) حالًا.

٤ـ قال أبوحيّان: «وإنّما قال جسدًا، لأنّه يمكن أن يتّخذ مخطوطًا، أو مرقومًا في حائط أو حجر أو غير ذلك، كالتّماثيل المصوّرة بالرّقم والخطّ والدّهان ـ الجلد الأحمر ـ والنّقش، فبيّن الله أنّه ذوجسد.

وهذا تعليل لطيف إلّا أنّ تعليله بأنّه جسمٌ أشبه جسدًا بلاروح كما تقدّم منّا ألطف منه، ويوافق سائر الآيات أيضًا، ولابأس بالجمع بين الوجهين. وأمّا تعليله بأنّه جسد أي مجسّد أحمر ملوّن بلون الذّهب، فبعيدٌ جدًّا، لأنّه مدحٌ له، وسياق الآيتين ذمّ وتحقير له.

ثالثًا: لقد اختلف المفسّرون في تفسير(٣) ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلٰى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ وأتوا بالسّديد والسّقيم ممّا لايليق بشأن نبيّ الله سليمان، وأخفّها إساءةً، مارواه أبوهريرة عن النّبيّ أنّه أخبر بكثرة أولاده في المستقبل، ولم يستثنِ، فوُلد له ولدٌ واحدٌ ميّتًا وأُلقي على كرسيّه.

ونحن نعلم أنّ المفسّرين يُعجبون بكلّ كلمة مبهمة في القرآن ولاسيّما في ثنايا القصص، لكي يُطيلوا الكلام في تأويلها وتوجيهها ممّا يُشبه الأساطير، مع خلوّها عن فائدة أو هداية، والقرآن كتاب هداية وليس كتاب القصص والأساطير، وهذه الكلمة (جَسَدًا) من هذا القبيل.

ويبدو أنّ جملةً ممّا لفّقوه فيه من المواريث الإسرائيليّة، لأنّ القصّة جاءت بشأن ملك سليمان، وله قصص كثيرة في الإسرائيليّات، ولكنّنا لم نجدها في العهد القديم، فلعلّها كانت شائعة بين اليهود في أساطيرهم الأخيرة، فاعتمد عليها المفسّرون الأوائل، وكم لها من نظير!

ولعلّ أحسن ماقيل فيه هو مااحتمله أبو مسلم والعُكبَريّ وأوضحه الطّباطَبائيّ، من أنّ سليمان بما كان له

من المُلك وما في قلبه من الآمال، أُلقي على كرسيّه من شدّة المرض كجسد بلاروح. وتوضيحه منّا: إذا مررنا في سورة (ص) على قصَص داود وسليمان نرى أنّ الله أمر النّبيّ بالصّبر على ماكان المشركون يقولونه في حقّه، فذكّره بقصّة داود عليه السلام ليقتدي به ويستغفر عمّا ضاق به صدره ممّا يقوله الكافرون، كأنّه ذنبٌ صدر عنه، فقال في الآية (١٧) منها: ﴿اِصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْاَيْدِ اِنَّهُ اَوَّابٌ﴾ فحكى جملة ممّا آتاه الله من تسخير الجبال والطّير والمُلك وفصل الخطاب، إلى أن دخل عليه خصمان بغى بعضهما على بعض، فحكم بينهما بالحقّ إلى أن قال: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ اَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَاَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذٰلِكَ...﴾ ص: ٢٤، ٢٥. فالفتين هذا ـ كما جاء في التّفاسير ـ ما صدر عن داود ممّا أشبه ما تخاصما إليه، وبعد عدّة آيات، رجع إلى قصّة سليمان في (٣٠) بنفس السّياق، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ اِنَّهُ اَوَّابٌ﴾ ثمّ حكى قصّة ماعُرِض عليه من الخيل واشتغاله بها وحبّه ومسحه إيّاها بالسّوق والأعناق حتّى غروب الشّمس ـ وكان ذلك فتنة له ـ فاستغفر منها كما قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمٰنَ وَاَلْقَيْنَا عَلٰى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ اَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا...﴾ ص: ٣٤، ٣٥، فيبدو أنّ الله فتنه بما أحبّ من الخيل واشتغل بها، فأصابه المرض واُلقي على كرسيّه من شدّة المرض كجسد بلاروح، ثمّ استغفر الله، فغفر له وزاد في ملكه بتسخير الرّيح والشّياطين له، كما جاء في الآيات بعدها.

يخطر بالبال أنّ الله أبان لنا في قصصهما ـ وقد جمع لهما النّبوّة والمُلك ـ خطورة المُلك حتّى لو كان المَلِك نبيًّا من الأنبياء.

بقي الكلام في سرّ حذف ضمير المفعول الرّاجع إلى سليمان ـ بناء على هذا الوجه ـ حيث قال: ﴿وَاَلْقَيْنَا عَلٰى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ دون (وَاَلْقَيْنَاهُ) وقد أُشكل هذا على الطَّبَاطَبائيّ، فضعّف به هذا القول.

وعندنا أنّه تكريم لسليمان؛ حيث أبهم الكلام إبهامًا فلم يصرّح به، واكتفى بما في (كُرْسِيِّهِ) و(اَنَابَ) من الضّمير الرّاجع إليه، فإنّ في ﴿وَاَلْقَيْنَا عَلٰى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ تجسيمٌ له بصورةٍ قبيحةٍ، فذكره مبهمًا.

رابعًا: في (٤) بحوثٌ:

١ـ إنّها جوابٌ عن قول المشركين في صدر الآيات، من هذه السّورة ﴿وَاَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ الأنبياء: ٣، وليس فيها ذكرٌ عن أكل الطّعام، لكنّه جاء في غيرها مثل: ﴿مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْاَسْوَاقِ﴾ الفرقان: ٧، وليس فيها ولا في غيرها من الآيات ذكر عن الخلود، ولكنّه في زعمهم كان لازمًا لمن لا يأكل الطّعام. وقد فصّلنا القول في أمثال هذه الآية في (بشر) المعجم ٥: ٦٢٠، فلاحظ.

٢ـ قالوا في: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ تبعًا للمبرّد: «أنّ العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخبارًا، فمعنى الآية إنّما جعلناهم جسدًا ليأكلوا الطّعام، أي يرجع الكلام عن النّفي إلى الإثبات، لأنّ نفي النّفي إثبات، مثل «ما سمعت منك، ولا أقبل منك» أي إنّما سمعت منك لأقبل منك، ويوافقه قول قَتادَة في تفسير الآية: «ماجعلناهم جَسَدًا

إلّا ليأكلوا الطّعام»، وقول الضّحّاك: «ولكن جعلناهم جسدًا فيها أرواح يأكلون الطّعام». وقول الطّبريّ: «لم نجعلهم ملائكة لايأكلون الطّعام، ولكن جعلناهم أجسادًا مثلك يأكلون الطّعام».

٣ـ قالوا في إفراد (جَسَدًا) بدل (أجسادًا) وفقًا لـ(جَعَلْنَاهُمْ) وجوهًا جمعها البَيْضاويّ في قوله: «وتوحيد الجسد لإرادة الجنس، أو لأنّه مصدر في الأصل، أو على حذف المضاف ـ أي ذوي جسم ـ أو تأويل الضّمير بكلّ واحدٍ».

ونضيف إليها أنّ الإفراد للتّحقير، كأنّ جميعهم جسد بلاروح اكتفاءً بـ﴿لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ فإنّها جمع يرفع الإبهام النّاشئ من إفراد (جَسَدًا) لأنّه صفة له ومجموع الصّفة والموصوف مفعول لـ(جَعَلْنَاهُمْ) كما يأتي.

٤ـ (جَسَدًا) مفعول ثان لـ(جَعَلْنَاهُمْ) واحتمل أبوالسّعود كونه حالًا عن الضّمير، فرقًا بين الجعل الإبداعيّ والجعل التّصييريّ، ولاوجه لما قاله، فلاحظ.

٥ ـ جملة ﴿لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة لـ(جَسَدًا) ويلوح من الطَّبْرِسيّ (٤: ٣٩) أنّها حال منه، قال: «تقديره غير آكلين الطّعام».

٦ـ وعند البُرُوسَويّ كلام في فوائد الطّعام للأنبياء، نقلًا عن «التّأويلات النّجميّة» ليس هنا محلّها، لاحظ «ط ع م».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج س س

تَجَسَّسُوا

لفظ واحد، مرّة واحدة في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جَسَسْتُه بيدي، أي لَمَسْتُه لأنظر مَجَسَّه، أي مَمَسَّه.

والجَسّ: جَسُّ الخبَر، ومنه التّجسّس للجاسوس.

والجَسّاسة: دابّة في جزيرة البَحْر تجُسُّ الأخبار وتأتي الدّجّال.

والجواسّ من الإنسان: اليدان والعَيْنان والفم والشّمّ، الواحدة: جاسّة؛ ويقال: بالحاء. (٦: ٥)

أبوعمرو الشّيبانيّ: جَسّ، إذا اختبر.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٤٩)

الجاسوس: صاحب سرّ الشّرّ، والنّاموس: صاحب سرّ الخير. (الخطّابيّ ١: ٨٤)

اللِّحيانيّ: تجسّستُ فلانًا ومن فلان: بَحَثْتُ عنه، كتحسّست. (ابن سيده ٧: ١٧٧)

ابن أبي اليمان: التّجسّس والتّحسّس: للأخبار، أي البحث عنها. (٤٦٤)

ثَعْلَب: التّحسّس بالحاء: أن يطلبه لنفسه، والتّجسّس بالجيم: أن يطلبه لغيره. (الهَرَويّ ١: ٣٦١)

ابن دُرَيْد: جَسّ الشّيء يجُسُّه جَسًّا، إذا لمسه بيده. ومَجَسُّ الشّيء ومَجَسّتُه: الموضع الّذي تقع عليه يدك منه إذا جَسَسْتَه.

وقد يكون الجَسّ بالعين أيضًا، يقال: جَسّ الشّخص بعينه، إذا أحدّ النّظر إليه ليستثبت. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٥١)

جاسوس: كلمة عربيّة، وهو «فاعُول» من تجسّس. (٣: ٣٩٠)

الأزهَريّ: يقال: تجسّست الخبر وتحسّسته، بمعنى واحد.

والعرب تقول: فلان ضيّق المـجَسّ، إذا لم يكن واسع الشّرْب. وفلان واسع المَجَسّ، إذا كان واسع الشّرْب رحيب الصّدر.

ويقال: إنّ في مَجَسّك لضيقًا. (١٠: ٤٤٨)

الصّاحِب: الجَسّ: جَسّ الخبر، ومنه التّجسّس والجاسوس.

والجسّاسة: دابّة في جزائر البحر تَجُسّ الأخبار.

والمَجَسّ والمَجَسّة: مَمَسّة ماجَسَسْتَه.

والجواسّ من الإنسان: بمنزلة الحواسّ.

والجَسّ: جسّ النّصيّ والصِّلّيان، حيث يخرج من الأرض على غير أُرومة.

واجتسّته الإبل، وفي المَثَل في شواهد الظّاهر على الباطن: «أفواهها مَجاسّها» أي حيث يُجَسّ من الإبل والغنم.

وجِسّ: زَجْرٌ للبعير، لايُصرَّف منه فعل. (٦: ٢٨٧)

الخطّابيّ: في حديث النّبيّﷺ: «...ولاتجسّسوا ولاتحسّسوا» التّجسّس: البحث عن باطن أُمور النّاس، وأكثر مايقال ذلك في الشّرّ.

وأمّا «التّحسّس» بالحاء فقد اختلفوا في تفسيره، فقال بعضهم: هو كالتّجسّس سواء، وقرأ الحسن: (وَلَاتَحَسَّسُوا).

ويقال: خرج القوم يتحسّسون الأخبار ويتحسّبون ويتنحّسون، أي يطلبونها ويسألون عنها. [ثمّ استشهد بشعر]

ومنهم من فرّق بينهما، روى الوليد عن الأوزاعيّ عن يحيى بن أبي كثير أنّه قال: التّجسّس: البحث عن عورات المسلمين، والتّحسّس: الاستماع لحديث القوم.

وكان أبوعمرو يقول: التّحسّس بالحاء: أن يطلبه لنفسه، والتّجسّس: أن يكون رسولًا لغيره.

وكان يقول في الفرق بين النّمّام والقتّات والقسّاس نحوًا من ذلك، قال: النّمّام: الّذي يكون مع القوم يتحدّثون فينمّ حديثهم، والقتّات: الّذي يتسمّع على القوم وهم لايعلمون، ثمّ ينمّ حديثهم، والقسّاس: الّذي يقُسّ الأخبار، أي يسأل النّاس عنها، ثمّ ينشُرها على أصحابها، سمعته يقول ذلك. (١: ٨٤)

الجَوهَريّ: جسّه بيده واجتسّه، أي مسّه.

والمَجَسّة: الموضع الّذي يَجسّه الطّبيب، وفي المَثَل: «أفواهها مَجاسّها» لأنّ الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى النّاظر إليها بذلك، في معرفة سِمَنِها من أن يجُسّها.

وجَسَسْتُ الأخبار وتجسّستُها، أي تفحّصت عنها، ومنه الجاسوس. (٣: ٩١٣)

نحوه الرّازيّ. (١١٩)

ابن فارِس: الجيم والسّين أصل واحد، وهو تعرّف الشّيء بمسّ لطيف، يقال: جَسَسْتُ العرق وغيره جَسًّا. والجاسوس «فاعُول» من هذا، لأنّه يتخبّر مايريده بخفاء ولطف. (١: ٤١٤)

الماوَرْديّ: في الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أنّ التّجسّس بالجيم هو البحث، ومنه قيل: رجل جاسوس، إذا كان يبحث عن الأُمور؛ وبالحاء هو ماأدركه الإنسان ببعض حواسّه.

الثّاني: أنّه بالحاء: أن يطلبه لنفسه، وبالجيم: أن يكون رسولًا لغيره، والتّجسّس أن يجُسّ الأخبار لنفسه

ولغيره. (٥: ٣٣٤)

ابن سيده: جسّه بيده يجُسّه جسًّا: لمسه.

والمَجَسّة: الموضع الّذي تقع عليه يده إذا جسّه.

وجَسّ الشّخص بعينه: أحدّ النّظر إليه ليستبينه ويستثبته. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَسّ الخبر وتجسّسه: بحث عنه.

والجاسوس: الّذي يتجسّس الأخبار.

والجسّاسة: دابّة في جزائر البحر تجُسّ الأخبار وتأتي بها الدّجّال، زعموا.

وجواسّ الإنسان: معروفة، وهي عند الأوائل: الحواسّ.

وجسّاس: اسم رجل، وكذلك جِساس. [وقد استشهد لهما بشعر] (٧: ١٧٧)

الرّاغِب: أصل الجَسّ: مسّ العِرْق وتعرّف نبضه، للحكم به على الصّحّة والسّقم، وهو أخصّ من الحَسّ. فإنّ الحَسّ: تعرّف مايُدركه الحِسّ، والجَسّ: تعرّف حال مّا من ذلك. ومن لفظ «الجَسّ» اشتقّ الجاسوس. (٩٣)

مثله الفيروزاباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٨٢)

الزّمَخْشَريّ: جَسّ الطّبيب يده، ومَجَسّتُه حارّة. وجَسّ الشّاة: غبطها، وكيف ترى مَجَسّتها؟ فتقول: دالّة على السّمَن.

وفي مثل: «أفواهها مجَاسّها» أي إذا رأيتها تجيد الأكل أو لا، فكأنّما جَسَسْتَها.

ومن المجاز: جسّوه بأعينهم، وفلان واسع الجَسّ، كما تقول: رحيبُ الذّراع، وفي ضدّه: ضيّق الجَسّ. وإنّ في مجسّتك لضيقًا، وتجسّسوا الأخبار، وهو من جواسيس العدوّ. واجتسّت الإبل البارض: التمسته بأفواهها. (أساس البلاغة: ٥٩)

النّبيّ ﷺ: «إيّاكم والظّنّ، فإنّ الظّنّ أكذب الحديث، ولاتجسّسوا، ولاتحسّسوا».

هو بالجيم: تعرّف الخبر بتلطّف ونيقة، ومنه الجاسوس. وجَسّ الطّبيب اليد. وبالحاء: تطلّب الشّيء بحاسّة كالتّسمّع على القوم. (الفائق ١: ٢١٤)

المَدينيّ: في حديث تميم رضي الله عنه، قال: «أنا الجسّاسة» إنّما سمّيت به، لأنّها تتجسّس الأخبار للدّجّال. (١: ٣٢٨)

ابن الأثير: (لاتَجَسّسوا) التّجسّس بالجيم: التّفتيش عن بواطن الأُمور، وأكثر مايقال في الشّرّ.

والجاسوس: صاحب سرّ الشّرّ، والنّاموس: صاحب سرّ الخير. وقيل: التّجسّس بالجيم: أن يطلبه لغيره، وبالحاء: أن يطلبه لنفسه.

وقيل بالجيم: البحث عن العورات، وبالحاء: الاستماع. وقيل: معناهما واحد، في تطلُّب معرفة الأخبار. (١: ٢٧٢)

نحوه الطُّريحيّ. (٤: ٥٧)

الصّغانيّ: والجسّاس: الأسد.

والعرب تقول: فلان ضيّق المَجَسّة، إذا لم يكن واسع الشّرب، ولم يكن رحيب الصّدر.

ويقال: في مَجَسّك ضيق.

وجِسّ بالكسر: زجر للبعير. وقال ابن دُرَيْد: لم يتصرّف له فعل. (٣: ٣٣٢)

الفَيُّوميّ: جَسّه بيده جسًّا من باب «قتَل»،

واجتسّه ليتعرّفه.

وجسّ الأخبار وتجسّسها: تتبّعها، ومنه الجاسوس، لأنّه يتتبّع الأخبار ويفحص عن بواطن الأُمور، ثمّ أُستعير لنظر العين.

وقيل في الإبل: «أفواهها مجاسّها» لأنّ الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى النّاظر إليها بذلك في معرفة سِمَنها.

وقيل للموضع الّذي يَمَسُّه الطّبيب: مَجَسّة.

والجاسّة: لغة في الحاسّة، والجمع:الجواسّ. (١: ١٠١)

الفيروزاباديّ: الجَسّ: المسّ باليد كالاجتساس، وموضعه: المَجَسّة، وتفحّص الأخبار كالتّجسّس، ومنه: الجاسوس والجسيس، لصاحب سرّ الشّرّ.

والجواسّ: الحواسّ، وفي المَثَل: أحناكها، أو يقال: «أفواهها مَجاسّها» لأنّ الإبل إذا أحْسنَت الأكل اكتفى النّاظر بذلك في معرفة سِمَنها من أن يجسّها ويضبثها، يُضرَب في شواهد الأشياء الظّاهرة المُعرِبة عن بواطنها.

وفلان ضيّق المَجَسّة: غير رحيب الصّدر.

وجَسّه بعينه: أحدّ النّظر إليه ليستثبت.

والجسّاسة: دابّة تكون في الجزائر تجسّ الأخبار، فتأتي بها الدّجّال.

والجسّاس ككتّان: الأسد المؤثّر في الفريسة ببراثنه.

وجِسّ بالكسر: زجر للبعير.

(وَلَاتَجَسَّسُوا) أي خذوا ماظهر ودعُوا ماستر الله عزّوجلّ، أو لاتفحصوا عن بواطن الأُمور، أو لاتبحثوا عن العورات.

واجتسّت الإبل الكلأ: رعته بمَجاسّها. (٢: ٢١١)

مَجْمَعُ اللُّغة: الأصل في الجَسّ: مسّ الجسم لتعرّف حاله، كمسّ العِرْق لتعرّف نبضه للحكم به على الصّحّة والمرض.

جَسّ الشّيء جَسًّا: مسّه بيده يتعرّفه.

والتّجسّس: تتبّع الأخبار، والفحص عن بواطن الأُمور. (١: ١٩٤)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ١٠٧)

محمود شيت: تجسّس الخبر: بحث عنه وفحصه.

الجاسوس: العين والوكيل.

المِجَسّ: جهاز لاسلكيّ يكون عند المُشاة والقطعات الأرضيّة للاتّصال بالطّائرات في الجوّ، لتوجيهها إلى الأهداف المناسبة. (١: ١٤٣)

المُصْطَفَويّ: الجَسّ هو التّعرّف والتّخبّر بتدبير ولُطف، والحسّ: أعمّ منه لكونه مطلق الإدراك والإحساس. (٢: ٩١)

النُّصوص التّفسيريّة

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَاتَجَسَّسُوا... الحجرات: ١٢

النّبيّ ﷺ: يامعشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لاتذمّوا المسلمين ولاتتبّعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته. (البحرانيّ ٩: ١٤٨)

ابن مَسعود: ...إنّا قد نُهينا عن التّجسّس، فإن ظهر لنا شيء أخذنا به. (الزّمخشريّ ٣: ٥٦٨)

ابن عبّاس: لاتبحثوا عن عيب أخيكم، ولاتطلبوا

ماستر الله عليه. (٤٣٧)

نهى الله المؤمن أن يتتبّع عورات المؤمن.

(الطَّبَريّ ٢٦: ١٣٥)

مُجاهِد: خذوا ماظهر لكم ودعوا ماستر الله.

(الطَّبَريّ ٢٦: ١٣٥)

الإمام الباقرعليه السلام: أقرب مايكون العبد إلى الكفر أن يُؤاخي الرّجل على الدّين، فيُحصي عليه عثراته وزلّاته، ليُعنّفه بها يومًا مّا. (البَحْرانيّ ٩: ١٤٨)

قَتادَة: هل تدرون ماالتّجسّس أو التّجسيس؟ هو أن تتبع، أو تبتغي عيب أخيك، لتطّلع على سرّه.

(الطَّبَريّ ٢٦: ١٣٥)

الأوزاعيّ: هو البحث عمّا خفي حتّى يظهر.

(الماوَرْديّ ٥: ٣٣٤)

ابن زَيْد: ...حتّى أنظر في ذلك وأسأل عنه، حتّى أعرف، حقّ هو أم باطل؟ فسمّاه الله تجسّسًا، يتجسّس كما يتجسّس الكلاب. (الطَّبَريّ ٢٦: ١٣٥)

الفَرّاء: القرّاء مجتمعون على الجيم. (٣: ٧٣)

أبوعُبَيْدَة: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ولاتحسّسوا سواء، والتّجسّس: التّبحّث، يقال: رجل جاسوس. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٢٢٠)

الماوَرْديّ: في التّجسّس والتّحسّس وجهان:

أحدهما: أنّ معناهما واحد، قاله ابن عبّاس. وقرأ الحسن بالحاء. [ثمّ استشهد بشعر]

والوجه الثّاني: أنّهما مختلفان. (٥: ٣٣٤)

الأخفَش: ليس يبعد أحدهما [التّجسّس والتّحسّس] عن الآخر، إلّا أنّ التّجسّس عمّا يُكتَم، ومنه الجاسوس، والتّحسّس بالحاء: البحث عمّا تعرفه.

(الطَّبْرِسيّ ٥: ١٣٧)

الطُّوسيّ: قيل: للمؤمن حقّ على المؤمن ينافي التّجسّس عن مساوئه.

وقيل: يجب على المؤمن أن يتجنّب ذكره المستور عند النّاس بقبيح، لأنّ عليهم أن يكذّبوه ويردّوا عليه، وإن كان صادقًا عند الله، لأنّ الله ستره عن النّاس. وإنّما دعا الله تعالى المؤمن إلى حسن الظّنّ في بعضهم ببعض للأُلفة والتّناصر على الحقّ، ونُهوا عن سوء الظّنّ، لما في ذلك من التّقاطع والتّدابر. (٩: ٣٥٠)

الواحديّ: التّجسّس: البحث عن عيوب المسلمين وعوراتهم، يقول: لايبحث أحدكم عن عيب أخيه حتّى يطّلع عليه إذا ستره الله. (٤: ١٥٦)

نحوه البَغَويّ (٤: ٢٦٢)، ومَجْمَعُ اللُّغة (١: ١٩٤)، وعِزّة دَرْوَزَة (١٠: ١٣١).

الزَّمَخْشَريّ: قرئ (وَلَا تَحَسَّسُوا) بالحاء، والمعنيان متقاربان. ويقال: تجسّس الأمر، إذا تطلّبه وبحث عنه «تفعّل» من الجسّ، كما أنّ التّلمّس بمعنى التّطلّب من اللّمس، لما في اللّمس من الطّلب. وقد جاء بمعنى الطّلب، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ الجنّ: ٨.

والتّحسّس: التّعرّف من الحسّ، ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان: الحواسّ بالحاء والجيم.

والمراد: النّهي عن تتبّع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عمّا ستروه. (٣: ٥٦٨)

نحوه أبو السُّعود. (٦: ١١٧)

ابن عَطيّة: أي لاتبحثوا على مُخبآت أُمور النّاس،

وادفعوا بالّتي هي أحسن، واجتزوا بالظّواهر الحسنة.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن سيرين والهذليّون: (لاتحسّسوا) بالحاء غير منقوطة.

وقال بعض النّاس: التّجسّس بالجيم: في الشّرّ، والتّحسّس بالحاء: في الخير، وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال.

وقال أبوعمرو ابن العلاء: التّجسّس: ماكان من وراء وراء، والتّحسّس بالحاء: الدّخول والاستعلام؛ وصحّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «ولاتجسّسوا ولاتحسّسوا ولاتدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا». (٥: ١٥١)

الفخرالرّازيّ: قال تعالى: (وَلَاتَجَسَّسُوا) إتمامًا لما سبق لأنّه تعالى لمّا قال: ﴿اِجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ فهم منه أنّ المعتبر اليقين، فيقول القائل: أنا أكشف فلانًا، يعني أعلمه يقينًا وأطّلع على عيبه مشاهدة، فأعيب فأكون قد اجتنبت الظّنّ، فقال تعالى: ولاتتّبعوا الظّنّ، ولاتجتهدوا في طلب اليقين في معايب النّاس. (٢٨: ١٣٤)

القرطبيّ: قرأ أبو رجاء والحسن باختلاف، وغيرهما (وَلَاتَحَسَّسُوا) بالحاء.

واختلف هل هما بمعنًى واحد أو بمعنيين، فقال الأخفش: ليس تبعد إحداهما من الأخرى، لأنّ التّجسّس: البحث عمّا يُكتم عنك، والتّحسّس بالحاء: طلب الأخبار والبحث عنها. وقيل: إنّ التّجسّس بالجيم: هو البحث، ومنه قيل: رجل جاسوس، إذا كان يبحث عن الأُمور، وبالحاء: هو ماأدركه الإنسان ببعض حواسّه.

وقولٌ ثان في الفرق: أنّه بالحاء: تطلّبه لنفسه، وبالجيم: أن يكون رسولًا لغيره، قاله ثعلب؛ والأوّل أعرف. جسست الأخبار وتجسّستها، أي تفحّصت عنها، ومنه الجاسوس.

ومعنى الآية: خذوا ماظهر ولاتتبّعوا عورات المسلمين، أي لايبحث أحدكم عن عيب أخيه، حتّى يطّلع عليه بعد أن ستره الله. [ثمّ أتى بروايات في حرمة التّجسّس] (١٦: ٣٣٢)

نحوه ابن كثير (٦: ٣٨٠)، والآلوسيّ (٢٦: ١٥٧).

البيضاويّ: ولاتبحثوا عن عورات المسلمين «تفعّل» من الجسّ، باعتبار مافيه من معنى الطّلب كالتّلمّس. وقرئ بالحاء من الحسّ الّذي هو أثر الجسّ وغايته، ولذلك قيل للحواسّ: الجواسّ. (٢: ٤١٠)

نحوه المشهديّ. (٩: ٦٠٧)

الخازن: أي لاتبحثوا عن عيوب النّاس. نهى الله البحث عن المستور من أُمور النّاس وتتبّع عوراتهم، حتّى لايظهر على ماستره. [ثمّ ذكر روايات وبعض الأقوال المتقدّمة] (٦: ١٨٩)

نحوه الشّربينيّ. (٤: ٧٠)

البروسويّ: ﴿وَلَاتَجَسَّسُوا﴾ أصله: «لاتتجسّسوا» حذف منه إحدى التّاءين، أي ولاتبحثوا عن عورات المسلمين وعيوبهم «تفعّل» من الجسّ، لما فيه من معنى الطّلب. فإنّ جسّ الخبر: طلبه والتّفحّص عنه. فإذا نقل إلى باب «التّفعّل» يحدث معنى التّكلّف منضمًّا إلى مافيه من معنى الطّلب، يقال: جسست الأخبار، أي تفحّصت عنها. وإذا قيل: تجسّستها، يراد معنى التّكليف كالتّلمّس، فإنّه «تفعّل» من اللّمس، وهو المسّ باليد

لتعرّف حال الشّيء. فإذا قيل: تلمّس، يحدث معنى التّكلّف والطّلب مرّة بعد أُخرى. وقد جاء بمعنى «الطّلب» في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ الجنّ: ٨.

وقرئ بالحاء من الحسّ الّذي هو أثر الجسّ وغايته، ولتقاربهما يقال للمشاعر: الحواسّ، بالحاء والجيم.

وفي «الإحياء»: التّجسّس بالجيم في تطلّع الأخبار، وبالحاء المهملة في المراقبة بالعين. وفي «إنسان العيون»: التّحسّس للأخبار بالحاء المهملة أن يفحص الشّخص عن الأخبار بنفسه، وبالجيم أن يفحص عنها بغيره. وجاء تحسّسُوا ولاتجسّسُوا انتهى. [إلى أن قال:]

في الحديث: «لاتتبّعوا عورات المسلمين، فإنّ من تتبّع عورات المسلمين تتبّع الله عورته، حتّى يفضحه، ولو في جوف بيته. [ثمّ استشهد بشعر وذكر بعض الأحاديث] (٩: ٨٦)

القاسميّ: ولمّا كان من ثمرات سوء الظّنّ التّجسّس، فإنّ القلب لايقنع بالظّنّ، ويطلب التّحقيق فيشتغل بالتّجسّس، ذكر سبحانه النّهي عنه، إثر سوء الظّنّ لذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. [ثمّ ذكر روايات] (١٥: ٥٤٦٣)

مَغْنِيّة: ﴿وَلَاتَجَسَّسُوا﴾ التّجسّس: تتبّع العورات والعثرات، والبحث عنها في الخفاء. وهو محرّم كتابًا وسنّة وإجماعًا وعقلًا. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلَاتَجَسَّسُوا﴾، وقوله: ﴿لَاتَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ ـ إلى ـ ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ النّور: ٢٨.

ومن السّنّة قول الرّسول الأعظم ﷺ: «من اطّلع عليك فحذفته بحصاة ففقأت عينيه فلاجناح عليك».

وقد أجمع الفقهاء قولًا واحدًا على العمل بهذا الحديث.

أمّا العقل فإنّه يعتبر التّجسّس غزوًا لحياة النّاس، واعتداء على حرّيّاتهم وأشيائهم الخاصّة بهم، من معلومات وعادات.

تذكّرت، وأنا أكتب هذه الكلمات مقالًا مطوّلًا في هذا الموضوع، نشرته جريدة الأهرام، عدد ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٦٩، قرأته آنذاك، واحتفظت به في مَلفّ قصاصات الصّحف الّتي أحتفظُ بها وأدّخرها إلى وقت الحاجة، فرجعت إلى المقال، وقرأته من جديد، فإذا بي أقرأ مالايبلغه الخيال، وفيما يلي بعض ماجاء فيه:

«لقد تساقطت الجدران في الولايات المتّحدة حتّى أصبح الأمر يكيّبون بفضل الغزو الالكتروني المنظّم يشعرون بأنّ الجدران ليست لها آذان وحسب، بل عيون وعدسات أيضًا، كما تقول «مجلّة التّايم». لقد اخترعوا في الولايات المتّحدة جهازًا بحجم المليم الصّغير، يسترق ويُسجّل السّمع، ويمكن وضعه في «الجاكت[1]» كالزّر، وهو في متناول كلّ فرد، ويتراوح ثمنه بين ١٠ و١٥ دولارًا. وفي نيويورك تجّار يُعلنون في الصّحف عن أجهزة تسترق السّمع من بيوت النّاس ومنازلهم، وتُعرض في الأسواق كلُعَب الأطفال، ولايزيد ثمنها على ١٨ دولارًا. وإذا وُضع واحد من هذه الأجهزة في سيّارة، تَتْبع في اتّجاه العمارة ـ سجّل كلّ كلمة تقال في داخل العمارة. بل هناك جهاز لاستراق السّمع لايزيد حجمه على حبّة العدس الصّغيرة يمكن أن يوضع في القلم وماأشبه، وتعمّل بطّاريته بين ١٨ و٥٠ ساعة

(١) رداء يُشبه السّترة.

وأيضًا اخترعوا في الولايات المتّحدة جهازًا صغيرًا للإرسال، يذيع مايدور في البيوت على بعد ٥٠ قدمًا منها، وثمنه ٤٠٠ دولار. وأعجب من ذلك كلّه «كاميرا» تُصوّر من وراء الجدران كلّ مايفعله الإنسان بالحمّام والمَخدَع، في أحلك الظّلمات. وأيضًا يمكن رسم وشم على الطّفل ساعة ولادته، وبسببه تُرصد جميع حركاته طول حياته. ويوجد في أنحاء الولايات المتّحدة شركات تجمع المعلومات والتّحرّكات الخاصّة للشّخصيّات السّياسيّة والعلميّة والأدبيّة والماليّة وغيرهم، وتُسجّل أقوالهم وتُصوّر أفعالهم حتّى الجنسيّة مع الزّوجات وغيرهنّ، وتزوّد من شاء بهذه المعلومات مقابل دولار واحد، وتسمّى هذه الشّركات «بنوك المعلومات». كلّ ذلك ومااليه يحدث على علم من السّلطة دون أن تحرّك ساكنًا، لأنّه معتاد ومألوف تمامًا كبيع الجرائد».

هذا قليل من كثير. فقد ألّف الباحثون كتبًا خاصّة في هذا الموضوع، ولو اقتصر تجسّس الأمريكيّين على بعضهم البعض، لقلنا مع الموالين لهم: إنّ لكلّ بلد تمام الحرّيّة في أن يختار لنفسه مايشاء، ولكن الأمريكيّين تجاوزوا ذلك إلى التّجسّس على دول الأرض وشعوبها بالطّائرات والأقمار الصّناعيّة. ولاتعجب أيّها القارئ فإنّ الولايات المتّحدة بلد الحضارة والدّيمقراطيّة، وسيّدة العالم الحرّ، وقائدة الاستعمار الجديد، وفوق ذلك تؤمن بالله والمثل العليا. ولاشيء أدلّ على إيمانها بالله واليوم الآخر من مذبحة «سونغ ماي» بفيتنام الجنوبيّة، ومن تزويدها إسرائيل بأحدث الأسلحة لتقضي بها على شعب فلسطين، وتقتل أبناءه بالجملة، وتُلقي الصّواريخ من طائرات الفانتوم على أطفال المدارس في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة. حقًّا أنّ الولايات المتّحدة أعظم دولة في هذا الميدان، والعاقبة للمتّقين. (٧: ١٢٠)

الطّباطبائيّ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. التّجسّس بالجيم: تتبّع مااستتر من أُمور النّاس للاطّلاع عليها، ومثله: التّحسّس بالحاء المهملة، إلّا أنّ التّجسّس بالجيم يستعمل في الشّرّ، والتّحسّس بالحاء يستعمل في الخير، ولذا قيل: معنى الآية لاتتبّعوا عيوب المسلمين لتهتكوا الأُمور الّتي سترها أهلها. (١٨: ٣٢٣)

ابن عاشور: التّجسّس: من آثار الظّنّ، لأنّ الظّنّ يبعث عليه حين تدعو الظّانّ نفسه إلى تحقيق ماظنّه سرًّا، فيسلك طريق التّجنيس[1]، فحذّرهم الله من سلوك هذا الطّريق للتّحقّق، ليسلكوا غيره إن كان في تحقيق ماظنّ فائدة.

والتّجسّس: البحث بوسيلة خفيّة وهو مشتقّ من الجسّ، ومنه سمّي الجاسوس.

والتّجسّس من المعاملة الخفيّة عن المتجسّس عليه. ووجه النّهي عنه أنّه ضرب من الكيد والتّطلّع على العورات. وقد يرى المتجسّس من المتجسّس عليه مايسوءه، فتنشأ عنه العداوة والحقد. ويدخل صدره الحرج والتّخوّف بعد أن كانت ضمائره خالصة طيّبة؛ وذلك من نكد العيش.

وذلك ثلم للأُخوّة الإسلاميّة، لأنّه يبعث على إظهار التّنكّر، ثمّ إن اطّلع المتجسّس عليه على تجسّس الآخر ساءه، فنشأ في نفسه كره له وانثلمت الأُخوّة ثلمةً

---

(١) الظّاهر: التّجسّس.

أُخرى، كما وصفنا في حال المتجسّس، ثمّ يبعث ذلك على انتقام كليهما من أخيه.

وإذ قد اعتبر النّهي عن التّجسّس من فروع النّهي عن الظّنّ، فهو مقيّد بالتّجسّس الّذي هو إثم أو يفضي إلى الإثم، وإذا علم أنّه يترتّب عليه مفسدة عامّة صار التّجسّس كبيرة. ومنه التّجسّس على المسلمين لمن يبتغي الضُّرّ بهم.

فالمنهيّ عنه هو التّجسّس الّذي لاينجرّ منه نفع للمسلمين أو دفع ضرّ عنهم، فلايشمل التّجسّس على الأعداء ولاتجسّس الشُّرطة على الجُناة واللُّصوص.

(٢٦: ٢١١)

فضل الله: ﴿وَلَاتَجَسَّسُوا﴾ بالبحث عن أسرار الآخرين الخفيّة، ممّا لايريدون إطّلاع النّاس عليه من قضاياهم الذّاتيّة أو الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة أو العسكريّة وغير ذلك، لأنّ الله أعطى الحياة الخاصّة حرمةً شرعيّة لم يجز للغير اقتحامها، وجعل للإنسان الحقّ في منع غيره من الاعتداء أو التّلصّص عليها بأيّة وسيلة من وسائل المعرفة الظّاهرة أو الخفيّة.

وقد يكون من الضّرورة التّنبيه على أنّ هذا المبدأ الاجتماعيّ لايشمل الحالات الّتي تمسّ فيها المصلحة العليا للإسلام والمسلمين، والّتي قد تستدعي الاطّلاع على بعض الأوضاع الخفيّة للأشخاص والمواقع والأحداث المتعلّقة بالآخرين، ممّا يُخاف ضرره، أو يراد نفعه، أو يُركّز قاعدته، فيجوز لوليّ أمر المسلمين اللّجوء إلى هذا الأُسلوب في نطاق الضّرورة الأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، انطلاقًا من قاعدة التّزاحم بين المهمّ والأهمّ، لتغليب المصلحة الّتي تقف في مستوى الأهمّيّة القصوى على المفسدة النّاشئة من التّجسّس، فإنّ حرمة المسلمين تتقدّم على حرمة الشّخص أو الأشخاص، في ذلك كلّه. (٢١: ١٥٣)

مكارم الشّيرازيّ: والتّجسّس والتّحسّس كلاهما بمعنى البحث والتّقصّي، إلّا أنّ الكلمة الأُولى غالبًا ماتستعمل في البحث عن الأُمور غير المطلوبة، والكلمة الثّانية على العكس فهي تستعمل في البحث عن الأُمور المطلوبة أو المحبوبة، ومنه ماورد على لسان يعقوب في وصيّته ولده ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ يوسف: ٨٧.

وفي الحقيقة أنّ سوء الظّنّ باعث على التّجسّس، والتّجسّس باعث على كشف الأسرار وماخفي من أُمور النّاس، والإسلام لايبيح أبدًا كشف أسرار النّاس.

وبتعبير آخر: أنّ الإسلام يريد أن يكون النّاس في حياتهم الخاصّة آمنين من كلّ الجهات، وبديهيّ أنّه لو سمح الإسلام لكلّ أحد أن يتجسّس على الآخرين، فإنّ ماء وجوه النّاس وحيثيّاتهم تمضي مع الرّيح، وتنشأ «حياة جهنّميّة» يُعذّب فيها جميع أفراد المجتمع.

وبالطّبع فإنّ هذا الأمر لاينافي وجود أجهزة «مخابرات» في الحكومة الإسلاميّة لمواجهة المؤامرات. ولكن هذا لايعني أنّ لهذه الأجهزة حقّ التّجسّس في حياة النّاس الخاصّة، كما سنبيّن ذلك بإذن الله فيما بعد.

وأخيرًا فإنّ الآية تضيف في آخر هذه الأوامر والتّعليمات ماهو في الحقيقة نتيجة عن الأمرين السّابقين ومعلولها، فتقول: ﴿وَلَايَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾.

وهكذا فإنّ سوء الظّنّ هو أساس التّجسّس، والتّجسّس يستوجب إفشاء العيوب والأسرار، والاطّلاع عليها يستوجب الاغتياب، والإسلام ينهى عن جميعها علّة ومعلولًا.

ولتقبيح هذا العمل يتناول القرآن مثلًا بليغًا يجسّد هذا الأمر، فيقول: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾!

ملاحظات:

١ـ الأمن الاجتماعيّ الكامل:

إنّ الأوامر أو التّعليمات السّتّة الواردة في الآيتين آنفتي[1] الذّكر «١ـ النّهي عن السّخريّة. ٢ـ واللّمز. ٣ـ والتّنابز بالألقاب. ٤ـ وسوء الظّنّ. ٥ ـ والتّجسّس. ٦ـ والاغتياب». متى ماتحقّقت في المجتمع، فإنّ ماء الوجه والحيثيّات في ذلك المجتمع تكون مضمونة من جميع الجهات، فلايستطيع أحد أن يسخر من الآخرين ـ على أنّه أفضل ـ ولايمدّ لسانه باللّمز، ولايستطيع أن يهتك حرمتهم باستعمال الألقاب القبيحة، ولايحقّ له حتّى أن يُسيء الظّنّ، ولايتجسّس عن حياة الأفراد الخاصّة، ولايكشف عيوبهم الخفيّة باغتيابهم.

وبتعبير آخر إنّ للإنسان رؤوس أموال أربعة، يجب أن تحفظ جميعًا في حصون هذا القانون وهي: النّفس والمال والنّاموس وماء الوجه.

والتّعابير الواردة في الآيتين محلّ البحث، والرّوايات الإسلاميّة تدلّ على أنّ ماء وجه الأفراد كأنفسهم وأموالهم، بل هو أهمّ من بعض الجهات.

إنّ الإسلام يريد أن يحكم المجتمع أمنٌ مطلق، لاأنّ النّاس لايضرب بعضهم بعضًا فحسب، بل أسمى من ذلك أيضًا أن يكونوا آمنين من ألسنتهم، وأرقى من ذلك أن يكونوا آمنين من تفكيرهم وظنّهم أيضًا. وأن يُحسّ كلّ منهم أنّ الآخر لايرشقه بنبال الاتّهامات في منطقة أفكاره.

وهذا الأمن في أعلى مستوى، ولايمكن تحقّقه إلّا في مجتمع مذهبي[2] مؤمن. يقول النّبيّ ﷺ في هذا الصّدد: «إنّ الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يُظنّ به السّوء».

إنّ سوء الظّنّ لاأنّه يؤثّر على الطّرف المقابل ويسقط حيثيّته فحسب، بل هو بلاء عظيم على صاحبه، لأنّه يكون سببًا لإبعاده عن التّعاون مع النّاس، ويخلق له دُنيًا من الوحشة والغربة والانزواء، كما ورد في حديث عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «من لم يحسن ظنّه استوحش من كلّ أحد».

وبتعبير آخر إنّ مايفصل حياة الإنسان عن الحيوان ويمنحها الحركة والرّونق والتّكامل هو روح التّعاون الجماعيّ، ولايتحقّق هذا الأمر إلّا في صورة أن يكون الاعتماد على النّاس وحسن الظّنّ بهم حاكمًا. في حين أنّ سوء الظّنّ يهدم قواعد هذا الاعتماد، وتنقطع به روابط التّعاون، وتضعف به الرّوح الاجتماعيّة.

إنّ سيّئي النّظرة والظّنّ يخافون من كلّ شيء ويستوحشون من كلّ أحد، ويستولي على أنفسهم نظرة

(١) الحجرات: ١١، ١٢.

(٢) الاصطلاح العربيّ: «دينيّ».

الخوف، فلايستطيعون أن يقفوا على وليّ ومؤنس يطوي الهموم، ولايجدون شريكًا للنّشاطات الاجتماعيّة، ولامعينًا ونصيرًا ليوم الشدّة.

ولابأس بالالتفات إلى هذه اللّطيفة، وهي أنّ المراد من «الظّنّ» هنا هو الظّنّ الّذي لايستند إلى دليل، فعلى هذا إذا كان الظّنّ في بعض الموارد مستندًا إلى دليل فهو ظنّ معتبر، وهو مستثنى من هذا الحكم كالظّنّ الحاصل من شهادة نفرين عادلين.

٢ـ لاتجسّسوا

رأينا أنّ القرآن يمنع جميع أنواع التجسّس بصراحة تامّة، وحيث إنّه لم يذكر قيدًا أو شرطًا في الآية، فيدلّ هذا على أنّ التجسّس في أعمال الآخرين والسّعي إلى إذاعة أسرارهم إثم، إلّا أنّ القرائن الموجودة داخل الآية وخارجها تدلّ على أنّ هذا الحكم متعلّق بحياة الأفراد الشّخصيّة والخصوصيّة.

ويصدق هذا الحكم أيضًا في الحياة الاجتماعيّة في صورة أن لايؤثّر في مصير المجتمع. لكن من الواضح أنّه إذا كان لهذا الحكم علاقة بمصير المجتمع أو مصير الآخرين، فإنّ المسألة تأخذ طابعًا آخر، ومن هنا فإنّ النّبي ﷺ كان قد أعدّ أشخاصًا وأمرهم أن يكونوا عيونًا لجمع الأخبار واستكشاف الجريات واستقصائها، ليحيطوا بما له علاقة بمصير المجتمع.

ومن هذا المنطلق أيضًا يمكن للحكومة الإسلاميّة أن تتّخذ أشخاصًا يكونون عيونًا لها أو منظّمة واسعة للإحاطة بمجريات الأمور وأن يواجهوا المؤامرات ضدّ المجتمع، أو إرباك الوضع الأمنيّ في البلاد، فيتجسّسوا للمصلحة العامّة حتّى لو كان ذلك في داخل الحياة الخاصّة للأفراد.

إلّا أنّ هذا الأمر لاينبغي أن يكون ذريعةً لهتك حرمة هذا القانون الإسلاميّ الأصيل، وأن يسوّغ بعض الأفراد لأنفسهم أن يتجسّسوا في حياة الأفراد الخاصّة، بذريعة التآمر والإخلال بالأمن فيفتحوا رسائلهم مثلًا، وأن يراقبوا الهاتف، ويهجموا على بيوتهم بين حين وآخر.

والخلاصة: أنّ الحدّ بين التجسّس وجمع الأمور الضّروريّة لحفظ أمن المجتمع دقيق وظريف جدًّا، وينبغي على مسؤولي إدارة الأُمور الاجتماعيّة أن يراقبوا هذا الحدّ بدقّة، لئلّا تُهتك حرمة أسرار النّاس، ولئلّا يتهدّد أمن المجتمع والحكومة الإسلاميّة. (١٦:٥٠٥)

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة الجسّ، وهو لمس الشّيء لتعرّف مافيه، يقال: جسّه بيده يجُسّه جسًّا واجتسّه، أي مسّه ولمسه، والمَجسّة: الموضع الّذي تقع عليه يده إذا جسّه، ومايجُسّه الطّبيب أيضًا، وهو المَجَسّ. يقال مجازًا: فلانٌ ضيّق المَجسّ، وفي مجسّه ضيق، إذا لم يكن واسع الصّدر.

والجَوَاسّ: الحواسّ، وهي اليدان والعينان والفم والأنف والأُذن، واحدتها: جاسّة، وفي المثل: «أفواهها مَجاسّها»، لأنّ الإبل إذا أحسنت الأكل، اكتفى النّاظر بذلك في معرفة سِمَنها من أن يَجُسّها. وجسّ الشّخص بعينه: أحدّ النّظر إليه ليستبينه ويستثبته.

وجسّ الخبر يجسّه جسًّا: بحث عنه وفحص فهو جاسوس، وتجسّس فلانًا ومن فلان: بحث عنه كتحسّس، يقال: تجسّس الخبر وتحسّسه، إلّا أنّ التّجسّس أكثر مايقال في الشّرّ، ويطلبه الإنسان لغيره، والتّحسّس أن يطلبه لنفسه، كما سيأتي في «ح س س» إن شاء الله.

٢ـ وقد ابتدع المعاصرون اصطلاح «الجاسوسيّة»، وهو مصدر صناعيّ يُطلق على جهاز سرّيّ للغاية، يقوم أعضاؤه بمهمّة التّجسّس في نطاق إقليميّ ودوليّ لحساب دولة أو منظّمة. ويستخدم هذا الجهاز معدّات دقيقة ومعقّدة، يسخّرها في التّنصّت والتّصوير برًّا وبحرًا وجوًّا، فترصد حركات الأفراد وسكناتهم، وتُحصي أنفاسهم في بيوتهم ومقرّ عملهم، وعبادتهم واستجمامهم.

كما عمدت الحكومات إلى تأسيس منظّمة، تُناط بها مهمّة إحباط خطط هذا الجهاز وشلّ نشاطه، أو التّخفيف من وطأته، وأسمته «ضدّ الجاسوسيّة».

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد مرّة واحدة، في سورة مدنيّة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ الحجرات: ١٢

يلاحظ أوّلًا: أنّ الفرّاء قال: القرّاء مجتمعون على الجيم، في (لَاتَجَسَّسُوا) لكن حُكي عن الحسن وأبي الرّجا وابن سيرين والهذليّين بالحاء، وسكت عنها الطّبريّ، فيبدو أنّها قراءة شاذّة لم يقرأ بها القرّاء السّبعة ولاالعشرة. وأصله: «لاتتجسّسوا»، فحذف منه إحدى التّائين، وفيه معنى التّكلّف في الطّلب.

ثانيًا: أنّهم قالوا: الفرق بينهما أنّ التّجسّس في الشّرّ، والتّحسّس في الخير، وكذلك جاء في القرآن فإنّ التّجسّس في الآية في الشّرّ، وفي ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ يوسف: ٨٧، في الخير، وقد يتداخلان، وعن النّبيّ ﷺ: «ولاتجسّسوا ولاتحسّسوا» وهما في الشّرّ. والأوّل من الجسّ وهو تعرّف مابطن، والثّاني من الحسّ وهو تعرّف ماظهر، وكذلك جاء في القرآن، لاحظ «ح س س»، ولهذا قيل لمشاعر الإنسان: الحواسّ.

وقيل: فرق ثانٍ بينهما أنّه بالحاء: تطلّبه لنفسه، وبالجيم: أن يكون رسولًا لغيره. ولاوجه له، بل تُخطّئه الآيتان.

ثالثًا: قالوا: إنّما قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ بعد قوله: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ إذ فهم منه عدم العبرة بالظّنّ، فيقول القائل: أنا أكشف فلانًا حتّى أعلمه يقينًا، واطّلع على عيبه مشاهدةً لاظنًّا، فقال: (ولاتجسّسوا) أي لاتجتهدوا في طلب اليقين في معايب النّاس.

رابعًا: قال مَغْنِيّة: التّجسّس: تتبّع العورات والعثرات، وهو محرّم كتابًا وسنّةً وإجماعًا وعقلًا، وذكر الآيات والرّوايات، ثمّ التفت إلى ماقرأه في الجرائد عن الغزو الإلكترونيّ عند الأمريكيّين في بلادهم، وفي دول الأرض، لاحظ.

خامسًا: استثنى فضل الله ومكارم الشّيرازيّ من

ذلك الحالات الّتي تمسّ فيها المصلحة العُليا للإسلام والمسلمين، والّتي قد تستدعي الإطّلاع على بعض الأوضاع الخفيّة للأشخاص، والمواقع والأحداث المتعلّقة بالآخرين، ممّا يُخاف ضرره أو يراد نفعه، أو يركّز قاعدته، فيجوز لوليّ الأمر اللّجوء إلى هذا الأُسلوب في نطاق الضّرورة الأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، انطلاقًا من قاعدة التّزاحم بين المهمّ والأهمّ، واحتجاجًا بأنّ النّبيّ ﷺ أعدّ عيونًا لاستكشاف المؤامرات الّتي كانت تصدر عن الأعداء، عملًا بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال: ٦٠، ولاشكّ أنّ الاستعلامات من أشدّ القوى.

وعندنا أنّ أمثال هذه الحاجات خارجة من سياق الآية، لأنّها جاءت بشأن المؤمنين بعضهم لبعض، كما قال: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فلااستثناء إطلاقًا من الآية.

سادسًا: قد أطال البحث بعضهم في الغيبة لذكرها في الآية، وهي موكولة إلى «غ ي ب» فانتظر.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج س م

لفظان، مرّتان، في سورتين مدنيّتين

الجسم ١: ١ـ١ أجسامهم ١: ١ـ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجسم: يجمَع البدن وأعضاءه من النّاس، والإبل والدّوابّ، ونحوه ممّا عظم من الخلق الجسيم، والفعل: جَسُمَ جَسامةً.

والجُسام يجري مجرى الجسيم.

والجُسْمان: جِسْم الرّجل، ويقال: إنّه لنحيفُ الجُسْمان. (٦: ٦٠)

الكِسائيّ: [رجُل] جسيم وجُسام.

(إصلاح المنطق: ١٠٩)

أبوعُبَيْدَة: تجسّمتُ فلانًا من بين القوم، أي اخترته، كأنّك قصدتَ جسمَه، كما تقول: تأيّيتُه، أي قصدت آيَتَه وشخصَه. [ثمّ استشهد بشعر]

(الجَوْهَريّ ٥: ١٨٨٧)

أبوزَيْد: الجسم: الجسد، وكذلك الجُسْمان والجُثْمان. (الجَوْهَريّ ٥: ١٨٨٧)

الأصمَعيّ: الجسم والجُسْمان: الجسَد، والجُثْمان: الشّخص.

وجماعة جُسْم الإنسان أيضًا: يقال له: الجُسْمان، مثل ذئب وذُؤبان. (الجَوْهَريّ ٥: ١٨٨٧)

ابن الأعرابيّ: الجُسْم: الأُمور العظام.

والجُسْم: الرّجال العقلاء. (الأزهَريّ ١٠: ٦٠٠)

ابن السِّكّيت: تجسّمتُ الأمر، أي ركبت أجْسَمه وجَسيمَه، أي معظمه. وكذلك تجسّمتُ الرّمل والجبل، أي ركبت أعظمه. (الجَوْهَريّ ٥: ١٨٨٨)

ابن دُرَيْد: الجِسْم، والجمع: جسوم وأجسام، وكلّ شخص مُدْرَك: جِسم. والجُسْمان والجُثْمان: الجسم بعينه.

وبنو جَوْسم: حيّ من العرب قديم، فأمّا بنو جَوْشم بالشّين فقوم من جُرهُم دُرجوا.

ورجل جسيم وجُسام.

وبنو جاسم أيضًا: حيّ قديم، وجاسم: موضع

بالشّام. (٢: ٩٤)

الأزهَريّ: جُسْمان الرّجل، وجثمانه: واحد.

ورجل جُسْمانيّ وجُثمانيّ، إذا كان ضخم الجُثّة.

(١٠: ٥٩٩)

الصّاحِب: الجِسْم: معروف، يجمع البدن وأعضاءه، وجمعه: جُسُوم.

والجسيم: العظيم الخلق، جَسُمَ يَجسُم جَسامةً، والجُسام كذلك.

والجُسْمان: جِسْم الرّجل، وقيل: هو جمع الجسم.

وتجسّمتُ الأمر: بمعنى تجشّمتُه.

وتجسّمتُه من بين القوم، أي اخترته.

وتجسّمَ الأمر: رَكِب أجسَمَه.

وإذا أخَذْتَ نحو الأرض تريدها، قُلتَ: تجسّمتُها.

(٧: ١٩)

الجَوهَريّ: وقد جَسُم الشّيء، أي عظُم فهو جسيم وجُسام بالضّمّ، والجِسام بالكسر: جمع جسيم.

وتجسّمتُ الأرض، إذا أخَذتَ نحوها تريدها. [ثمّ استشهد بشعر]

وتجسّم من الجسم، والأجسَم: الأضخَمُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجاسِم: قرية بالشّام. (٥: ١٨٨٧)

نحوه الرّازيّ. (١١٩)

ابن فارِس: الجيم والسّين والميم يدلّ على تجمّع الشّيء. فالجسم كلّ شخص مُدرَك، كذا قال ابن دُرَيد. والجسيم: العظيم الجسم، وكذلك الجُسام والجُسْمان: الشّخص. (١: ٤٥٧)

أبوهلال: الفرق بين الجسم والجِرم: أنّ جرم الشّيء هو خلقته الّتي خُلق عليها، يقال: فلان صغير الجِرم، أي صغير من أصل الخلقة. وأصل الجرم في العربيّة: القطع، كأنّه قُطع على الصّغر أو الكبر.

وقيل: الجرم أيضًا: الكون، والجرم: الصّوت؛ أورد ذلك بعضهم. وقال بعضهم: الجرم: اسم لجنس الأجسام.

وقيل: الجرم: الجسم المحدود، والجسم هو الطّويل العريض العميق، وذلك أنّه إذا زاد في طوله وعرضه وعمقه قيل: إنّه جَسِم[1] وأجسم من غيره، فلاتجيء المبالغة من لفظ اسم عند زيادة معنًى إلّا وذلك الاسم موضوع لما جاءت المبالغة من لفظ اسمه، ألاترى أنّه لايقال: هو أقدر من غيره، إلّا والمعلومات له أجلى.

وأمّا قولهم: أمر جسيم فمجاز، ولو كان حقيقة لجاز في غير المبالغة، فقيل: أمر جسيم. وكلّ مالايطلق إلّا في موضع مخصوص فهو مجاز.

الفرق بين الجسم والشّيء: أنّ الشّيء مايُرسم به بأنّه يجوز أن يُعلَم ويُخبَر عنه، والجسم هو الطّويل العريض العميق، والله تعالى يقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ القمر: ٥٢، وليس أفعال العباد أجسامًا. وأنت تقول لصاحبك: لم تفعل في حاجتي شيئًا، ولاتقول: لم تفعل فيها جسمًا.

والجسم: اسم عامّ يقع على الجِرم والشّخص والجسد ومابسبيل ذلك، والشّيء أعمّ، لأنّه يقع على الجسم وغير الجسم.

(١) هكذا في الأصل، والظّاهر: جسيم.

الفرق بين الجسم والشّخص: أنّ الشّخص ماارتفع من الأجسام، من قولك: شخَص إلى كذا، إذا ارتفع، وشخصت بصري إلى كذا، أي رفعته إليه، وشخَص إلى بلد كذا، كأنّه ارتفع إليه. والإشخاص يدلّ على السّخط والغضب، مثل الإحصار. (١٣٠)

ابن سيده: الجسم: جماعة البدن والأعضاء، من النّاس وغيرهم، من الأنواع العظيمة الخلق. واستعاره بعض الخطباء للأعراض، فقال ـ بذكر علم القوافي ـ: لامايتعاطاه الآن أكثر النّاس من التّحلّي باسمه، دون مباشرة جوهره وجسمه.

وكأنّه إنّما كنى بذلك عن الحقيقة، لأنّ جسم الشّيء حقيقة، واسمه ليس بحقيقة؛ ألاترى أنّ العرض ليس بذي جسم ولاجوهر، إنّما ذلك كلّه استعارة ومثل.

والجمع: أجسام، وجُسُوم.

والجُسْمان: جماعة الجسم.

جَسُم الرّجل وغيره جَسامة، فهو جسيم وجُسام، وجُسّام، والأُنثى من كلّ ذلك بالهاء.

والجسيم: ماارتفع من الأرض وعلاه الماء. [ثمّ استشهد بشعر]

وبنو جَوْسَم: حيّ قَدُموا من العرب، وكذلك: بنو جاسِم.

وجاسِم: موضع بالشّام. (٧: ٢٨٢)

الجسم والجُسمان: مجتمع البدن وأعضاؤه، من النّاس والإبل والدّوابّ، ممّا عظُم من الخلق.

وقيل: كلّ شخص مُدرَك حيوانًا كان أو جمادًا أو نباتًا. الجمع: أجسام وجُسُوم.

جَسِم الشّيء يجسَم جَسَمًا، وجَسُم جَسامةً: عظُم فهو جسيم وجُسام، أي بَدين، والجمع: جِسام. (الإفصاح ١: ٢٠)

الطّوسيّ: يقال: جسُم يجسُم جَسامة، يعني ضخُم ضخامة، ورجل جسيم: عظيم الخلق. وجسّمه تجسيمًا، وتجسّم تجسّمًا. وهو أجسم منه، أي أضخم. وأصل الباب: الضّخم.

والجسم: هو الذّاهب في الجهات الثّلاث: الطّول، والعرض، والعمق. (٢: ٢٩١)

الرّاغِب: الجسم: ماله طول وعرض وعمق، ولاتخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا وإن قُطع ماقُطع وجُزّئ ماقد جُزّئ. قال الله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧، ﴿وَاِذَا رَاَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ اَجْسَامُهُمْ﴾ المنافقون: ٤، تنبيهًا أن لاوراء الأشباح معنًى مُعتدّ به.

والجُسْمان قيل: هو الشّخص، والشّخص قد يخرج من كونه شخصًا بتقطيعه وتجزئته، بخلاف الجسم. (٩٤)

الزّمَخْشَريّ: رجل جسيم، وفيه جَسامة. وتقول: رجال جِسام، ووجوه وِسام، ومافيهم حُسام.

ومن المجاز: أمرٌ جسيم، وهو من جِسام الأُمور وجَسيمات الخُطوب. وتجسّمتُ الأمر: ركبتُ جسيمه ومُعظمه. وفلان يتجشّم الجاشم، ويتجسّم المعاظم. [ثمّ استشهد بشعر]

وتجسّموا من العشيرة رجلًا فأرسلُوه، أي اختاروا أكبرهم. وتجسّموا من الإبل ناقةً فانحَروها.

وتجسّم في عيني كذا: تصوّر. وتجسّم فلان من

الكَرَم، وكأنّه كرَمٌ قد تجسّم. (أساس البلاغة: ٦٠)

الطَّبْرِسيّ: والجسم: حدّه الطّويل العريض العميق، بدلالة قولهم: جسُم جَسامةً، أي ضخُم، وهذا جسيم، أي ضخيم، وهذا أجسم من هذا، إذا زاد عليه في الطّول والعرض والعمق.

وقيل: الجسم هو المؤلّف، وقيل: هو القائم بنفسه، والصّحيح الأوّل. (١: ٣٥١)

قال ابن دُرَيْد: الجسم كلّ شخص مُدرَك. وكلّ عظيم الجسم: جسيم وجُسام، والأجسم: العظيم الجسم. [ثمّ استشهد بشعر]

واختلف المتكلّمون في حدّ الجسم. فقال المحقّقون منهم: هو الطّويل العريض العميق، ولذلك متى ازداد ذهابه في هذه الجهات الثّلاث قيل: أجسم وجسيم.

وقيل: هو المؤلّف، وقيل: هو القائم بالنّفس، ومعناه أنّه لايحتاج إلى محلّ. والصّحيح القول الأوّل.

والأجسام: ماتأتلف من الجواهر، وهي أجزاء لاتتجزّأ ائتلفت بمعان، يقال لها: المؤتلفات. فإذا رُفعت عنها بقيت أجزاء لاتتجزّأ. واختُلف في أقلّ أجزاء الأجسام، والصّحيح أنّه ماتألّف من ثمانية أجزاء، وقيل: من ستّة أجزاء، عن أبي الهذيل، وقيل: من أربعة أجزاء، عن البلخيّ. (٥: ٢٩١)

الفيروزاباديّ: الجسم بالكسر: جماعة البدن أوالأعضاء، ومن النّاس وسائر الأنواع: العظيمة الخلق كالجُسْمان بالضّمّ، وجمعه: أجسام وجُسُوم.

وككرُم: عظُم، فهو جسيم وجُسام، كغُراب، وهي بهاء.

والجسيم: البدين، ومالرتفع من الأرض وعلاه الماء، وجمعه: جِسام ككتاب.

وبنو جَوْسَم: حيّ دَرَجوا، وبنو جاسم: حيّ قديم.

وتجسّم الأمر والرّمل ركِبَ مظمها، والأرض: أخذ نحوها، وفلانًا: اختاره.

والأجسَم: الأضخَم.

وكصاحب: بلدة بالشّام. (٤: ٩١)

الطُّرَيحيّ: والجسم في عرف المتكلّمين: هو الطّويل العريض العميق، فهو مايقبل القسمة في الأبعاد الثّلاثة. والسّطح: مايقبلها في الطّول والعرض، والخطّ: مايقبلها في الطّول لاغير. والنّقطة: هي الّتي لاتقبل القسمة في شيء من الأبعاد. فالسّطح: طرف الجسم، والخطّ: طرف السّطح، والنّقطة: طرف الخطّ.

ورجل له جسم وجمال، أي مِتانة وحُسن.

وجسُم الشّيء جَسامةً، وزان ضخُم ضَخامة.

وجَسِم جَسَماً، من باب «تعب»: عظُم، فهو جسيم، أي عظيم.

وجسيم عطيّتك: عظيمها.

وسألت عن أمر جسيم، أي عظيم.

وتجسّمتُ الأمر، أي ركبت أجسمه، أي مُعظمه. (٦: ٢٩)

مَجْمَعُ اللُّغة: الجسم: جسد الحيّ، وقد يُطلق مرادفًا للجسد.

وماورد في القرآن من المعنى الأوّل. وجمع جسم: أجسام. (١: ١٩٤)

محمّد إسماعيل إبراهيم: الجسم: الجسد أو

البدن، وكلّ جِرم ذي أبعاد من طول وعرض وعمق، والجمع: أجسام. (١: ١٠٧)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الجسم عبارة عن كلّ مايستقرّ في مكان أو حيّز، ويكون محسوسًا، فهو أعمّ من أن يكون من الإنسان أو الحيوان أو النّبات أو الجماد، وليس فيه نظر إلى كونه متخلّية عن الرّوح أم لا، كما في الجسد، ولاإلى كونه على هيئة مخصوصة أم لا، كما في الجثم.

وباعتبار اشتداد الجسميّة وظهور قوّته يُشتقّ منه أفعال وصيغ انتزاعيّة، فيقال: جَسُمَ: وجسيم، وتجسّم، وأمثالها.

وأمّا إطلاق هذه المادّة على الأُمور العظيمة فمجاز ومن الاستعارة. [إلى أن قال:]

ولايخفى ماهو التّناسب في اللّفظ والمعنى بين الجثم والجسم، والجثم والجثأ والجسد. وقد مرّ البحث عن الجثم والجسد. (٢: ٩٠)

النُّصوص التّفسيريّة

الجِسْم

...وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ... البقرة: ٢٤٧

ابن عبّاس: (وَالْجِسْمِ): الطّول والقوّة. (٣٥)

كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله[1] وأتمّه. (الواحديّ ١: ٣٥٧)

الحسَن: زيادة في العلم وعِظَمًا في الجسم. (الطّوسيّ ٢: ٢٩١)

السُّدّيّ: أتى النّبيّ ﷺ بعصا، تكون مقدارًا على طول الرّجل الّذي يُبعث فيهم ملكًا، فقال: إنّ صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا. فقاسوا أنفسهم بها، فلم يكونوا مثلها، فقاسوا طالوت بها، فكان مثلها. (الطّبَريّ ٢: ٦٠٥)

الكَلْبيّ: زاده بسطة في العلم بالحرب، والجسم بالطّول، وكان يفوق النّاس برأسه ومنكبيه، وإنّما سمّي (طَالُوت) لطوله. (الواحديّ ١: ٣٥٧)

وَهْب بن مُنَبِّه: اجتمع بنو إسرائيل، فكان طالوت فوقهم من منكبيه فصاعدًا. (الطّبَريّ ٢: ٦٠٥)

الجُبّائيّ: كان إذا قام الرّجل، فبسط يده رافعًا لها نال رأسه. (الطّوسيّ ٢: ٢٩١)

الطّبَريّ: فإنّه يعني بذلك أنّ الله بسط له في العلم والجسم، وآتاه من العلم فضلًا على ماأُتي غيره من الّذين خوطبوا بهذا الخطاب، وذلك أنّه ذكر أنّه أتاه وحي من الله.

وأمّا في الجسم، فإنّه أُوتي من الزّيادة في طوله عليه مالم يؤته غيره منهم. (٢: ٦٠٥)

الزّجّاج: واعلم أنّ الزّيادة في الجسم ممّا يُهيب به العدوّ، وأعلمهم أنّه يؤتي مُلكه من يشاء، وهو جلّ وعزّ لايشاء إلّا ماهو الحكمة والعدل. (١: ٣٢٩)

القُمّيّ: كان أعظمهم جسمًا وكان شجاعًا قويًّا وكان أعلمهم، إلّا أنّه كان فقيرًا فعابوه بالفقر، فقالوا: لم يُؤتَ سعة من المال. (١: ٨١)

الماوَرْديّ: يعني زيادة العلم وعِظَمًا في الجسم.

---

(١) أي في الجسم.

واختلفوا هل كان ذلك فيه قبل المُلك؟ فقال وَهْب بن مُنبِّه، والسُّدّي: كان له ذلك قبل المُلك، وقال ابن زَيْد: زيادة ذلك بعد المُلك. (١: ٣١٥)

الطُّوسيّ: قال أصحابنا: فيها دلالة على أنّ من شرط الإمام أن يكون أعلم رعيّته وأفضلهم في خصال الفضل، لأنّ الله تعالى علّل تقديمه عليهم، بكونه أعلم وأقوى، فلولا أنّه شرط وإلّا لم يكن له معنًى. (٢: ٢٩٢)

البغَويّ: فضيلة وسعة في العلم بالحرب وفي الجسم بالطّول، وقيل: الجسم بالجمال، وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل في وقته وأعلمهم.

(١: ٣٣٤)

نحوه الميبُديّ. (١: ٦٦٢)

الزّمَخشَريّ: المَلِك لابدّ أن يكون من أهل العلم، فإنّ الجاهل مُزْدرًى غير منتفع به، وأن يكون جسيمًا يملأ العين جهارة، لأنّه أعظم في النّفوس وأهيب في القلوب. والبسطة: السّعة والامتداد.

وروي أنّ الرّجل القائم كان يمدّ يده فينال رأسه.

(١: ٣٧٩)

ابن عَطيّة: وبيّن لهم مع ذلك تعليل اصطفائه طالوت، وأنّه زاده بسطة في العلم وهو ملاك الإنسان، والجسم الّذي هو معينه في الحرب وعُدّته عند اللّقاء.

(١: ٣٣٢)

الطَّبْرِسيّ: كان [طالوت] أعلم بني إسرائيل في وقته وأجملهم وأتمّهم، وأعظمهم جسمًا وأقواهم شجاعة. وقيل: كان إذا قام الرّجل فبسط يده رافعًا لها، نال رأسه. [ثمّ قال نحو ماتقدّم عن الطُّوسيّ] (١: ٣٥٢)

ابن الجَوْزيّ: [نحو ماتقدّم عن الماوَرْديّ وأضاف:]

والمراد بتعظيم الجسم، فضل القوّة؛ إذ العادة أنّ مَن كان أعظم جسمًا، كان أكثر قوّة. (١: ٢٩٤)

الفَخْرالرّازيّ: والله تعالى بيّن أنّه أهل المُلك، وقرّر ذلك بأنّه حصل له وصفان أحدهما: العلم، والثّاني القدرة، وهذان الوصفان أشدّ مناسبة لاستحقاق المُلك من الوصفين الأوّلين[1]، وبيانه من وجوه:

أحدها: أنّ العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقيّة، والمال والجاه ليسا كذلك.

الثّاني: أنّ العلم والقُدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر نفس الإنسان، والمال والجاه أمران منفصلان عن ذات الإنسان.

الثّالث: أنّ العلم والقدرة لايمكن سلبهما عن الإنسان، والمال والجاه يمكن سلبهما عن الإنسان.

الرّابع: أنّ العالم بأمر الحروب والقويّ الشّديد على المحاربة، يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة البلد، وفي دفع شرّ الأعداء، أتمّ من الانتفاع بالرّجل النّسيب الغنيّ إذا لم يكن له علم بضبط المصالح، وقدرة على دفع الأعداء؛ فثبت بما ذكرنا أنّ إسناد المُلك إلى العالم القادر، أولى من إسناده إلى النّسيب الغنيّ. [إلى أن قال:]

قال بعضهم: المراد بالبسطة في الجسم: طول القامة، وكان يفوق النّاس برأسه ومنكبه؛ وإنّما سمّي طالوت لطوله.

وقيل: المراد من البسطة في الجسم: الجمال، وكان

(١) وهما أنّه ليس من أهل بيت الملك، وأنّه فقير.

أجمل بني إسرائيل.

وقيل: المراد القوّة. وهذا القول عندي أصحّ، لأنّ المنتفع به في دفع الأعداء هو القوّة والشدّة، لاالطول والجمال. (٦: ١٨٦)

نحوه النّيسابوريّ. (٢: ٣١١)

القُرطُبيّ: وبيّن لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت، وهو بسطته في العلم الّذي هو ملاك الإنسان، والجسم الّذي هو مُعينه في الحرب وعُدّته عند اللّقاء. فتضمّنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة، وأنّها مستحقّة بالعلم والدّين والقوّة لابالنّسب، فلاحظّ للنّسب فيها مع العلم وفضائل النّفس، وأنّها متقدّمة عليه، لأنّ الله تعالى أخبر أنّه اختاره عليهم لعلمه وقوّته، وإن كانوا أشرف منتسبًا. [إلى أن قال:]

وقيل: سمّي طالوت لطوله. وقيل: زيادة الجسم كانت بكثرة معاني الخير والشّجاعة، ولم يُرد عظم الجسم. [ثمّ استشهد بشعر]

قلت: ومن هذا المعنى قوله ﷺ لأزواجه: «أسرعكنّ لحاقًا بي أطولكنّ يدًا» فكنّ يتطاولن، فكانت زينب أوّلهنّ موتًا، لأنّها كانت تعمل بيدها وتتصدّق، خرّجه مسلم. (٣: ٢٤٦)

البَيْضاويّ: لمّا استبعدوا تملّكه لفقره وسقوط نسبه ردّ عليهم ذلك أوّلًا: بأنّ العُمدة فيه اصطفاء الله سبحانه وتعالى، وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم.

وثانيًا: بأنّ الشّرط فيه وفور العلم ليتمكّن من معرفة الأُمور السّياسيّة، وجسامة البدن لتكون أعظم خطرًا في القلوب، وأقوى على مقاومة العدوّ ومكابدة الحروب، لاماذكرتم، وقد زاده الله فيهما، وكان الرّجل القائم يمدّ يده فينال رأسه. (١: ١٢٩)

مثله الكاشانيّ (١: ٢٥٢)، ونحوه البُرُوسَويّ (١: ٣٨٤)، وشُبّر (١: ٢٥١)، والقاسميّ (٣: ٦٤٥)، وأبوالسُّعود (١: ٢٨٧).

النّسَفيّ: قالوا: كان أعلم بني إسرائيل بالحرب والدّيانات في وقته، وأطول من كلّ إنسان برأسه ومنكبه. والبسطة: السّعة والامتداد. والمَلِك لابدّ أن يكون من أهل العلم، فإنّ الجاهل ذليل مُزدرى غير منتفع به، وأن يكون جسيمًا، لأنّه أعظم في النّفوس، وأهيب في القلوب. (١: ١٢٥)

الخازن: [نحو البغويّ وأضاف:]

وقيل: المراد به القُوّة، لأنّ العلم بالحروب والقُوّة على الأعداء ممّا فيه حفظ المملكة. (١: ٢١٥)

أبوحَيّان: وأمّا البسطة في الجسم، فقيل: أُريد بذلك معاني الخير والشّجاعة وقهر الأعداء. والظّاهر أنّه الامتداد والسّعة في الجسم. [إلى أن قال:]

وبما أعطاه من السّعة في العلم، وهو الوصف الّذي لاشيء أشرف منه، ومن بسطة الجسم فإنّ لذلك عِظمًا في النّفوس وهيبة وقوّة، وكثيرًا ماتمدّحت العرب بذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وقالوا في المدح: طويل النّجاد رفيع العماد، وكان رسول الله ﷺ إذا ماشى الطّوال طالهم. [إلى أن قال:]

وفي قصّة طالوت دلالة على أنّ الإمامة ليست وراثة. (٢: ٢٥٨)

ابن كثير: أي وهو مع هذا أعلم منكم وأنبل، وأشكل منكم، وأشدّ قوّة وصبرًا في الحرب، ومعرفةً بها، أي أتمّ علمًا وقامةً منكم. ومن هاهنا ينبغي أن يكون المَلِك ذاعلم وشكل حسن، وقوّة شديدة في بدنه ونفسه. (١: ٥٣٤)

الشّربينيّ: وفي الجسم الّذي به يتمكّن من الظّفر بمن بارزه من الشّجعان وقصده من سائر الأقران، ويكون أعظم خطرًا في القلوب، وأقوى على مقاومة العدوّ ومكابدة الحروب. (١: ١٦١)

الآلوسيّ: ردّ عليهم بأبلغ وجه وأكمله، كأنّه قيل: لاتستبعدوا تملّكه عليكم لفقره، وانحطاط نسبه عنكم.

أمّا أوّلًا: فلأنّ ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى، وقد اصطفاه واختاره، وهو سبحانه أعلم بالمصالح منكم.

وأمّا ثانيًا: فلأنّ العمدة وفور العلم ليتمكّن به من معرفة الأمور السّياسيّة، وجسامة البدن ليكون أعظم خطرًا في القلوب، وأقوى على كفاح الأعداء، ومكابدة الحروب لاماذكرتم، وقد خصّه الله تعالى بحظّ وافر منهما.

وأمّا ثالثًا: فلأنّه تعالى مالك المُلك على الإطلاق، وللمالك أن يمكّن من شاء من التّصرّف في ملكه بإذنه.

وأمّا رابعًا: فلأنّه سبحانه واسع الفضل يوسع على الفقير فيغنيه، عليمٌ بما يليق بالمُلك من النّسيب وغيره.

وفي تقديم البسطة في العلم، على البسطة في الجسم: إيماء إلى أنّ الفضائل النّفسانيّة أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانيّة، بل يكاد لايكون بينهما نسبة، لاسيّما ضخامة الجسم. ولهذا حمل بعضهم «البسطة» فيه هنا على الجمال أو القوّة، لاعلى المقدار كطول القامة، كما قيل: إنّ الرّجل القائم كان يمدّ يده حتّى ينال رأسه. فإنّ ذلك لو كان كمالًا لكان أحقّ الخلق به رسول الله ﷺ، مع أنّه عليه الصّلاة والسّلام كان رَبْعة من الرّجال.

ولعلّ ذكر ذلك على ذلك التّقدير، لأنّه صفة تزيد المِلك المطلوب لقتال العمالقة حُسنًا، لأنّهم كانوا ضخامًا ذوي بسطة في الأجسام، وكان ظلّ ملكهم (جَالُوتُ) ميلًا على مافي بعض الأخبار، لأنّها من الأُمور الّتي هي عُمدة في الملوك من حيث هم، كما لايخفى على من تحقّق بأنّ المرء بأصغريه، لابكبر جسمه وطول بُرْدَيه. (٢: ١٦٧)

رشيد رضا: والمتبادر عندي أنّ معناه فضّله واختاره عليكم بما أودع فيه من الاستعداد الفطريّ للمُلك، ولاينافي هذا كون اختياره كان بوحي من الله، لأنّ هذه الأُمور هي بيان لأسباب الاختيار، وهي أربعة: ١ـ الاستعداد الفطريّ. ٢ـ السّعة في العلم الّذي يكون به التّدبير. ٣ـ وبسطة الجسم المعبّر بها عن صحّته وكمال قواه، المستلزم ذلك لصحّة الفكر على قاعدة «العقل السّليم في الجسم السّليم» وللشّجاعة والقدرة على المدافعة وللهيبة والوقار. ٤ـ توفيق الله تعالى الأسباب له. (٢: ٤٧٧)

نحوه المَراغيّ. (١: ٢١٨)

النّهاونديّ: وبسطة في الجسم، وعظمة في الجثّة، وطولًا في القامة، وشدّة في البطش.

وتوضيح الجواب: أنّ شرافة النّسب وكثرة المال،

ليستا من الكمالات الحقيقيّة، وممّا له دخل في لياقة المُلك وأهليّة الإمارة وإنّما الدّخيل في استحقاق هذا المنصب العلم بأحكام الدّين وسياسة المُلك، وعظمة الجسم وكمال القوى والشّجاعة، فبالعلم تُدبَّر المملكة وتنظَّم الأُمور، وبالجسامة تُعظَّم مهابته في الأنظار، وبالشّجاعة يكايَد الأعداء ويقاوَم في الهَيجاء.

ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام عليّ بن أبي طالب أحقّ بالخلافة من سائر الصّحابة، لأنّه كان أعلم وأزهد وأشجع من جميع النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان بخلافته أولى. وهذا مع قطع النّظر عن اصطفائه الله ونَصْبه بالنّصّ الصّريح على ولايته.

قيل: كان طالوت أطول من جميع بني إسرائيل برأسه ومنكبه، حتّى أنّ الرّجل القائم كان يمدّ يده فينال رأسه، وكان أجمل وأقوى من جميعهم. (١: ١٧٢)

مَغْنِيَة: والمراد ببسطة الجسم: السّلامة من الأمراض، لأنّ المرض يمنع من القيام بواجبات الرّئاسة. وقيل: إنّ طالوت كان أطول من الرّجل المعتاد بمقدار ذراع اليد. (١: ٣٨٠)

الطّباطَبائيّ: وبالجملة الغرض من المُلك أن يدبّر صاحبه المجتمع تدبيرًا يوصل كلّ فرد من أفراده إلى كماله اللّائق به، ويدفع كلّ ما يمانع ذلك. والّذي يلزم وجوده في نيل هذا المطلوب أمران: أحدهما: العلم بجميع مصالح حياة النّاس ومفاسدها، وثانيهما: القدرة الجسميّة على إجراء ما يراه من مصالح المملكة. (٢: ٢٨٧)

عبد الكريم الخطيب: ثمّ إنّ هذا الّذي اصطفاه عليهم قد زاده الله بسطة في العلم والجسم، فإذا كان فيهم من يفضله في المال، فهو يفضلهم في كمال الجسم وتمام العقل، وذلك ممّا يكمل به المُلك ويَجْمل به الملوك إجمال وروعة في المظهر، وفي المَخْبَر معًا. (١: ٣٠٧)

المُصْطَفَويّ: أي في البدن المحسوس، والبسطة فيه: قوّة بدنه والقدرة، وشدّة القوى البدنيّة مع بسطة في الظّاهر. (٢: ٩٠)

أَجْسَامُهُمْ

وَاِذَا رَاَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ اَجْسَامُهُمْ... المنافقون: ٤

ابن عبّاس: ﴿وَاِذَا رَاَيْتَهُمْ﴾ يامحمّد، عبد الله بن أُبيّ وصاحبيه ﴿تُعْجِبُكَ اَجْسَامُهُمْ﴾ صور أجسامهم وحسن منظرهم. (٤٧٢)

كان عبد الله بن أُبيّ جسيمًا فصيحًا، ذَلْقَ اللّسان، فإذا قال سمع النّبيّ صلى الله عليه وآله قوله. (ابن الجَوْزيّ ٨: ٢٧٤)

الطّبَريّ: يقول جلّ ذكره لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يامحمّد تُعجبك أجسامهم، لاستواء خلقها، وحسن صورها. (٢٨: ١٠٧)

الطّبَريّ: يقول جلّ ذكره لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يامحمّد تُعجبك أجسامهم، لاستواء خلقها، وحسن صورها. (٢٨: ١٠٧)

نحوه الفَخْر الرّازيّ. (٣٠: ١٤)

الزّجّاج: كأنّه وصفهم بتمام الصُّور وحُسن الإبانة. (٥: ١٧٦)

الماوَرْديّ: يعني حسن منظرهم وتمام خلقهم. (٦: ١٥)

الطُّوسيّ: بحسن منظرهم وجميل زيّهم. (١٠: ١٢)

الواحديّ: يعني أنّ لهم أجسامًا ومناظر. (٤: ٣٠٢)

مثله البغويّ (٥: ٩٨)، وابن الجوزيّ (٨: ٢٧٤)، والخازن (٧: ٨٢)، ونحوه المراغيّ (٢٨: ١٠٨).

الزّمخشريّ: كان عبد الله بن أُبيّ رجلًا جسيمًا صبيحًا فصيحًا ذلق اللّسان، وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة. وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن، فكان النّبيّ ﷺ ومن حضر يُعجبون بهياكلهم، ويسمعون إلى كلامهم. (٤: ١٠٩)

نحوه النّسفيّ (٤: ٢٥٩)، والنّيسابوريّ (٢٨: ٥٨)، وأبو حيّان (٨: ٢٧٢)، وأبو السّعود (٦: ٢٥١)، والآلوسيّ (٢٨: ١١٠)، وعزّة دروزة (١٠: ٨٥).

ابن عطيّة: توبيخ لهم لأنّهم كانوا رجالًا أجمل شيء وأفصحه، فكان نظرهم يروق، وقولهم يخيب. [إلى أن قال:]

وكان عبد الله بن أُبيّ من أبهى المنافقين وأطولهم، ويدلّ على ذلك أنّه لم يوجد قميص يكسو العبّاس غير قميصه. (٥: ٣١٢)

الطّبرسيّ: بحسن منظرهم وتمام خلقتهم، وجمال بزّتهم. (٥: ٢٩٢)

القرطبيّ: أي هيئاتهم ومناظرهم. [ثمّ نقل كلام ابن عبّاس وأضاف:]

وصفه الله بتمام الصّورة وحسن الإبانة. (١٨: ١٢٤)

البيضاويّ: لضخامتها وصباحتها. (٢: ٤٧٨)

مثله الكاشانيّ. (٥: ١٧٧)

ابن كثير: أي وكانوا أشكالًا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السّامع يُصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضّعف والخور والهلع والجزع والجُبن. (٧: ١٦)

الشّربينيّ: لضخامتها وصباحتها، فإنّ عنايتهم كلّها بصلاح ظواهرهم وترفيه أنفسهم، فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق. (٤: ٢٩٤)

البُروسَويّ: لضخامتها، ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم. [إلى أن قال:]

وكان ابن أُبيّ جسيمًا صبيحًا فصيحًا يحضر مجلس رسول الله ﷺ في نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة، وكان ﷺ ومَن معه يُعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم، وأنّ الصّباحة وحسن المنظر لايكون إلّا من صفاء الفطرة في الأصل ولذا قال ﷺ: «أطلبوا الخير عند حسان الوجوه» أي غالبًا، وكم من رجل قبيح الوجه قضّاء للحوائج. [ثمّ استشهد بشعر] (٩: ٥٣٢)

سيّد قطب: فهم أجسام تُعجَب، لاأناسيّ تتجاوب! وماداموا صامتين فهم أجسام مُعجَبة للعيون، فأمّا حين ينطقون فهم خواء من كلّ معنى، ومن كلّ حسن، ومن كلّ خالجة. (٦: ٣٥٧٤)

القاسميّ: لتناسب أشكالهم وحسن مناظرهم ورائهم. (١٦: ٥٨٠٨)

مَغْنِيّة: جمال في المنظر، وقبح في المَخْبَر، وبتعبير الإمام عليّ ﷺ «قلوبهم دويّة ـ أي مريضة ـ وصفاحهم نقيّة». (٧: ٣٣١)

الطّباطبائيّ: الظّاهر أنّ الخطاب في (رَأَيْتَهُمْ) و(تَسْمَعْ) خطاب عامّ، يشمل كلّ من رآهم وسمع

كلامهم، لكونهم في أزياء حسنة وبلاغة من الكلام، وليس خطابًا خاصًّا بالنّبيّ ﷺ. والمراد أنّهم على صباحة من المنظر وتناسب من الأعضاء، إذا رآهم الرّائي أعجبته أجسامهم، وفصاحة وبلاغة من القول إذا سمع السّامع كلامهم مال إلى الإصغاء إلى قولهم، لحلاوة ظاهره وحسن نظمه. (١٩: ٢٨٠)

عبد الكريم الخطيب: هذه صورة للمنافق تمثّل ظاهره، وباطنه جميعًا. فالمنافق متجمّل في ظاهره، مجتهد في تزويق هذا الظّاهر، وفي طلائه بالألوان الزّاهية، حتّى يخدع النّاس عن باطنه الّذي يعلم هو فساده أكثر ممّا يعلم النّاس منه. ولهذا فهو يبالغ في تسوية مظهره، وفي تجميله حتّى يستر بهذا الزّيف مايخفي باطنه، وحتّى يغطّي بهذا البخور الّذي يُطلقه على هذا العفن الّذي يفوح منه.

فقوله تعالى: ﴿وَاِذَا رَاَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ اَجْسَامُهُمْ﴾ بيان لما تقع عليه العين من ظاهر المنافقين، فيما يبدو من تسوية هندامهم، وحسن زيّهم. (١٤: ٩٥٩)

المُصْطَفَويّ: أي ظواهر أبدانهم وبسطتها، ثمّ رأيتهم ضعفاء العقول والبصائر، متزلزلين متردّدين.

فظهر لطف التّعبير هنا بالأجسام لابالأجساد. (٢: ٩١)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة الجِسْم، أي بدن الإنسان والحيوان والأشياء، والجمع: أجسام وجُسُوم، يقال: جَسُمَ الرّجل وغيره يَجسُم جَسامةً، فهو جَسيم وهم جِسام وهي جسيمة. وجَسُمَ الشّيءُ: عظُم، فهو جسيم وجُسام.

والجُسْمان: الجسم، يقال: إنّه لنحيف الجُسمان، ورجل جُسمانيّ وجُثمانيّ: ضخم الجُثّة.

والجسيم: ماارتفع من الأرض وعلاه الماء.

والجُسْم: الأُمور العظام، والرّجال العقلاء.

٢ـ وقيل أيضًا: تجسّمتُ الأرض، أي أخذتُ نحوها أُريدُها وأقصدُها، وتجسّمتُ الرّمل والجبل: ركبتُ أعظمَه، وتجسّمتُ فلانًا من بين القوم: اخترتُه. وكلّ ذلك من «تجشّمت» بالشّين، لاحظ «ج ش م».

ولعلّ «ثاء» الجثمان بدل من «السّين»، إذ هذا الضّرب من الإبدال شائع، يقال: ساخت رجلُه في الأرض وثاخت، أي دخلت فيها، والوَطس والوَطث: الضّرب الشّديد بالخُفّ.

٣ـ وشاع في هذا العصر نوع من الرّياضة البدنيّة، تسمّى «الكمال الجسمانيّ» يهتمّ مَن يمارسها باندماج أعضائه وتنمية عضلاته، حتّى يُصبح عَضِلًا أفتل. ويَعدّ الفلاسفة هذا الكمال كمالًا في الصّفات المادّيّة، وهو أدنى مرتبة عندهم من الكمال الذّاتيّ النّفسانيّ. والقرآن اعتبرهما معًا في قوله: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧، كما يأتي.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظان: مفردًا مدحًا، وجمعًا ذمًّا، في آيتين مدنيّتين.

١ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ اِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ

مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٤٧

٢ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

المنافقون: ٤

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآيتين مدنيّتان جاءت أُولاهما في قصّة طالوت خلال قصص بني إسرائيل في سورة البقرة الّتي ركّزت حوالي مائة آية منها في بدو الهجرة في التعريف ببني إسرائيل ليعلم المؤمنون سابقتهم ولايخدعوا بهم، وليعلموا هم أنفسهم بأنّ الله أخبر النّبيّ عليه السلام والمؤمنين بخفايا أحوالهم فيعترفوا بأنّه وحي من الله تعالى ويؤمنوا به. وثانيتهما في وصف المنافقين ـ ومنشأهم المدينة ـ لئلّا ينخدع المؤمنون بحسن منظرهم وطلاقة لسانهم. وليعرفوا هم أنفسهم بأنّ الله أوحى إلى نبيّه ببواطن أُمورهم فيرجعوا عن وَصْمة النّفاق، ويؤمنوا به. فالآيتان متناسقتان لجوّ المدينة.

ثانيًا: في (١) بحوث:

١ـ فيها دلالة على صحّة مااعتبره الإماميّة في إمام المسلمين من جهتين:

الأُولى: اختصاص طالوت بأنّه مبعوث للمُلك من الله تعالى، كما اعتبرت الإماميّة في الإمام النّصّ من الله والرّسول.

الثّانية: اشترط العلم البالغ والمعرفة الكاملة نفسًا، والقدرة والشّجاعة جسمًا. وقالوا: إنّ طالوت كان أعلمهم وأجسمهم، ولم يكن أكثرهم مالًا كما أحبّوا.

وتقول الإماميّة: يجب أن يكون الإمام أعلم النّاس وأشجعهم، ويوجد اعتراف بذلك في ثنايا التّفاسير حتّى من أهل السّنّة.

٢ـ جاء فيها ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ تعقيبًا لقولهم: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ فـ(السّعة) بمعنى الكثرة تناسب المال، أمّا (البسطة) فتناسب الجسم ظاهرًا والعلم باطنًا.

٣ـ قال بعضهم: بسط الجسم: عبارة عن طول قامة طالوت، فقد بالغوا فيه بما يخرج عن المتعارف، ويلحق بالأساطير الإسرائيليّة. وقال بعضهم: هو عبارة عن الجمال وتناسب الأعضاء والسّلامة عن الأمراض. والأنسب منها بمنصب المُلك هو القدرة والشّجاعة، لأنّه بهما يُدبّر الأُمور ويُسيطر عليها ويدفع الأعداء، كما أنّه ببسطة العلم وكماله يحلّ المشكلات ويغلب العويصات.

والفخر الرّازيّ بعد ذكر الأقوال قال: وهذا القول ـ أي القوّة والقدرة ـ عندي أصحّ، لأنّ المنتفع به في دفع الأعداء هو القوّة والشّدّة لاالطّول والجمال، وقد علّل اختيار العلم والقدرة للملك بوجوه أربعة، فلاحظ.

والعجيب من الزّمخشريّ حيث قال في بسطة الجسم: «وأن يكون جسيمًا يملأ العين جهارة، لأنّه أعظم في النّفوس وأهيب في القلوب».

٤ـ وللطّباطبائيّ فيها كلمة الفصل: بأنّ الغرض من (المُلك) تدبير المجتمع تدبيرًا صالحًا يوصل كلّ فرد إلى كماله اللّائق به، ودفع مايمنعه عن ذلك، وهذا المطلوب

إنّما يحصل بالعلم بجميع مصالح الحياة ومفاسدها، وبالقدرة على إجرائها.

٥ ـ مع أنّ لبسط كلّ من العلم والجسم دخلًا عظيمًا لاينكر في انتظام أمور الرّاعي والرّعيّة، والحاكم والمحكومين إلّا أنّ الله قدّم العلم، وختم الآية بقوله: ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ تفضيلًا له وترجيحًا لجانب الرّوح على الجسم معنًى، إضافة إلى الجناس فيهما لفظًا.

٦ـ قوله: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ كأنّه مقابلة لقولهم: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ أي أنّ سعة المال لاتعدّ شيئًا قبال سعة العلم.

ثالثًا: في (٢) بحوث أيضًا:

١ـ عند الطّباطبائيّ أنّ الخطاب في الآية عامّ لكلّ من رآهم وسمع كلامهم ولايختصّ بالنّبيّ، ويؤيّده أنّ سياق السّورة التّعريف بالمنافقين وأوصافهم للنّاس، لاللنّبيّ فقط.

٢ـ جاء في السّورة أبرز أمارات النّفاق: منطقًا ومنظرًا وقلبًا: فمن منطقهم تأكيد الشّهادة بالرّسالة بالأيمان الكاذبة، وقولهم للنّاس: ﴿لَاتُنْفِقُوا عَلٰى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتّٰى يَنْفَضُّوا﴾ وقولهم: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْاَعَزُّ مِنْهَا الْاَذَلَّ﴾ المنافقون: ٧، ٨.

ومن مظهرهم جمال ظاهرهم وعظم أجسامهم، ومن خصائصهم القلبيّة والرّوحيّة: اتّخاذهم أيمانهم جُنّة، وأنّهم كالخُشُب المسنّدة أجسام بلاروح، لخوفهم البالغ حيث يحسبون كلّ صيحة عليهم، ونفرتهم عن الاستغفار وضنّتهم بالمؤمنين من أن ينفق عليهم أحدٌ، وباحتقارهم وسوء الظّنّ بهم بأنّهم إنّما آمنوا طمعًا في المال والطّعام، لالله والرّسول.

٣ـ جاء «أجسام» بدل «أجساد» تحقيرًا لهم، لأنّ الأجسام تتبادر منها الجمادات، كالحجر والخشب ممّا لاروح فيها، ويفسّرها: ﴿كَاَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ أي كأنّهم تماثيل وليسوا أناسيّ، كما قال سيّد قُطْب: «فهم أجسام تُعجب، لاأناسيّ تتجاوب». وقال مَغْنِيَة: «جمال في المنظر وقبحٌ في المخبر».

٤ـ وهذا يعطينا خبرة في معرفة المنافق بأنّه يبالغ في حسن منظره وبلاغة منطقه، فلايفتتن المؤمنون بذلك حتّى يختبروهم وتتبيّن لهم حالهم.

٥ ـ ومن فضول الكلام في التّفاسير الكلاميّة من تعريف الجسم وتحديده بماله طول وعرض وضخامة، فإنّه أجنبيّ عن الآية.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ع ل

٤٨ لفظًا، ٣٤٦ مرّة: ٢٥٦ مكّيّة، ٩٠ مدنيّة

في ٦٦ سورة: ٤٩ مكّيّة، ١٧ مدنيّة

جعَلَ ٧٧: ٥٩ ـ ١٨ يَجْعَلُوه ١: ١
جعَلهُ ٩: ٤ ـ ٥ تَجعَل ٦: ٣ ـ ٣
جعلَها ٢: ٢ تَجعَلَني ٢: ٢
جعَلهُم ٣: ٣ تجعلنا ٣: ٢ ـ ١
جعَلكم ٩: ٦ ـ ٣ تجعلون ٢: ١ ـ ١
جعَلا ١: ١ تجعلونه ١: ـ ١
جعَلوا ١١: ٩ ـ ٢ تجعلوا ٥: ١ ـ ٤
جعَلته ١: ١ أجْعَل ١: ـ ١
جعَلتُم ٣: ٢ ـ ١ لأجعَلنَّك ١: ١
جعَلتُ ١: ١ نَجعَل ١٣: ١٠ ـ ٣
جعَلنَا ٧٠: ٥٨ ـ ١٢ لنَجعَلَه ١: ١
جعَلناه ١٥: ١٣ ـ ٢ نجعلها ٢: ٢
جعَلناها ٨: ٦ ـ ٢ نَجْعلها ١: ١
جعَلناهم ١٢: ١٢ نَجْعلهم ٣: ٣
جعلناهُنّ ١: ١ لِنَجعلك ١: ـ ١

جعلناك ٣: ٣ أَجْعَلُ ١٤: ٨ ـ ٦
جعلناكم ٤: ٢ ـ ٢ أجعَله ١: ١
جعلَني ٤: ٤ أجْعَلني ٣: ٣
جُعِل ١: ١ أجعلنا ٢: ١ ـ ١
يَجْعَل ٢٨: ١٣ ـ ١٥ أجعلوا ٢: ٢
يَجْعله ٥: ٣ ـ ٢ جاعل ٣: ١ ـ ٢
يَجْعلكم ١: ١ جاعلك ١: ـ ١
يَجْعلني ١: ١ لجاعلون ١: ١
يَجْعلُون ٥: ٤ ـ ١ جاعلوه ١: ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: جعَل جَعْلًا: صنَع صنْعًا، وجعَل أعمّ، لأنّك تقول: جعَل يأكل، وجعَل يصنع كذا، ولاتقول: صنَع يأكل.

والجُعْل: ماجعلت لإنسان أجرًا له على عمل يعمله،

والجَعالة أيضًا.

والجُعالات: مايتجاعل النّاس بينهم عند بَعْث أو أمْر يحزُبهم من السّلطان.

والجُعَل: دابّة من هَوامّ الأرض.

والجَعَل: واحدها: جَعْلَة، وهي النّخل الصّغار.

والجِعال والجِعالة: خِرْقة تُنزَل بها القِدْر عن رأس النّار، يُتّق بها من الحرّ. (١: ٢٢٩)

سيبَويه: جَعَلتُ متاعك بعضه فوق بعض: ألقيته.

وجعَل الطّين خَزفًا، والقبيح حسنًا: صيّره إيّاه.

وجعَل البصرة بغدادَ: ظنّها إيّاها.

وجعَل يفعل كذا: أقبل وأخذ. [ثمّ استشهد بشعر]

(ابن سيده ١: ٣٢٧)

الكِسائيّ: أجْعَلتُ القِدْرَ إجعالًا، إذا أنزلتها بالجِعال. وكذلك من «الجُعْل» في العطيّة: أجْعَلتُ له، بالألف. (الأزهَريّ ١: ٣٧٤)

أبوعمرو الشّيبانيّ: جعَلتُ هذا الأمر دَبْر أُذني، واجعَله دَبْرَ أُذنك لاتهِدْك. (١: ٢٤٩)

الأصمَعيّ: الجِعال: الخِرْقة الّتي تُنزَل بها القُدور. مثله أبوعُبَيْد. (الأزهَريّ ١: ٣٧٤)

هي الجَعالة بالفتح، من الشّيء تجعله للإنسان.

الجَعْل: قصار النّخل. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١: ٣٧٤)

ابن الأعرابيّ: جعَل: صيّر، وجعَل: أقبل، وجعَل: خلَق، وجعَل: قال، ومنه قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣، أي قلناه.

(الأزهَريّ ١: ٣٧٣)

أجعَلَتْ الكَلْبةُ والسّباع كلّها، إذا اشتهت الفحل.

(الأزهَريّ ١: ٣٧٤)

الجَعَل: القِصَر مع السّمن واللّجاج.

(الأزهَريّ ١: ٣٧٥)

شَمِر: الجَعائل: جمع الجَعيلة، وهو أن يُضرب البَعثُ على رجل فيُعطي رجلًا ليخرج مكانَه. والجاعل: المعطي. والمُجتعِل: الآخذ. (الهَرَويّ ١: ٣٦٧)

ابن بُزُرْج: قالت الأعراب: لنا لُعْبة يلعب بها الصّبيان نسمّيها: «جَبّي جُعَل» يضع الصّبيّ رأسه على الأرض ثمّ يتقلّب على ظهره ولايُجْرون «جَبّي جُعَل» إذا أرادوا به اسم رجل. فإذا قالوا: هذا جُعَل بغير «جَبّي» أجْرَوه. (الأزهَريّ ١: ٣٧٤)

الزّجّاج: جعلت زيدًا أخاك: نسبته إليك.

(ابن سيده ١: ٣٢٧)

المُبرِّد: الجِعال: الّذي يوضع فيه البُرْمَة وربّما تُوقّيت به حرارتها. (٢: ٦٩)

كُراع النّمل: ويقال للجُعَل: أبووَجزة، بلغة طيّء.

ورجل جُعَل: أسود دميم، مشبّه بالجُعَل. وقيل: هو اللّجوج، لأنّ الجُعَل يوصف باللّجاجة، يقال: رجل جُعَل. وجُعَل الإنسان: رقيبه. (ابن منظور ١١: ١١٢)

ابن دُرَيْد: الجَعْل [من النّخل]: مانالته اليد.

(١: ٤٣)

الجُعَل: دُوَيْبّة معروفة. وأرض مُجْعِلة: كثيرة الجِعْلان. وماء مُجْعِل: إذا وقعت فيه الجِعْلان.

والجَعْل: النّخل إذا فات اليد، الواحدة: جَعْلَة. وقال قوم: بل الجَعْل مثل البَعْل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَعْل: مصدر: جعَلتُ له جَعْلًا.

والجُعَل: معروف، والجَعْوَل: الرَّأل زعموا، وقد جاء في الشّعر الفصيح الواو زائدة.

والجِعال: الخِرْقَة الّتي تُنزَل بها القِدْر. [ثمّ استشهد بشعر]

وبنو جِعال: حَيٌّ من العرب. (٢: ١٠١)

وجَعْوَل وهو الرَّأل، لغة يمانيّة. (٣: ٣٦٥)

الجَعْوَل: الرَّأل، ولدُ النّعام. (الأزهَريّ ١: ٣٧٥)

القاليّ: والجُعَلة: أرض لبني عامر بن صَعْصَعة. (٢: ٢٨٩)

الأزهَريّ: ويقال: جعَل فلانٌ يصنع كذا وكذا، كقولك: طَفِق وعلِق يفعل كذا وكذا.

ويقال: جعَلتُه أحذق النّاس بعمله، أي صيّرته.

والجُعَل: دابّة سوداء من دوابّ الأرض، تُجمَع جِعلانًا. وماءٌ مُجعِل وجَعِل، إذا تهافتت فيه الجِعْلان.

ومن أمثال العرب: «لزِق بامرئٍ جُعَلُه»، يقال ذلك عند التّنغيص والإفساد. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣٧٣)

الصّاحِب: جعَل بمعنى صنَع، إلّا أنّه أعمّ. يقال: جعَل يَفْعَل كذا، ولايقال: صنَع، ولايجعَل.

والجِعالَة والجَعيلَة: واحد، وقد جعَلْتُ له الجُعْل.

وهو يُجاعِلُه، أي يَرشُوه.

وأجْعَلتُ لفلان إجعالًا: من الجُعْل.

والجِعال والجِعالَة: مايُنزَل به القِدْر من خِرْقَة أو غيرها، وقد أجْعَلتُها: أنزَلتُها به.

وجِعال الفَهْميّ: شاعر.

وكلبةٌ مُجْعِل: أرادت السِّفاد.

وماءٌ جَعِل ومُجعِل: ماتَتْ فيه الجِعْلان؛ والواحد: جُعَل، وهي دابّة.

ورجل جُعَل: لَجُوج، وقد يقال ذلك لسواده تشبيهًا بالدّابّة.

وفي مثَل: «سَدِكَ به جُعَلُه»، أي لزِقَ به من يَكرهُه.

والجَعْل ـ واحده: جَعْلَة ـ: النّخل القصيرة الصّغار. (١: ٢٥٦)

الخطّابيّ: ويقال لكلّ ذات ظِلفٍ إذا أرادت الفَحْلَ: استَحْرَمَتْ، ولكلّ ذات حافر: استَوْدقَتْ، ولكلّ ذات مِخْلَب كالكلب ونحوه: صَرِفَتْ، واستَجْعَلَتْ. (١: ٤١١)

في حديث ابن عبّاس: «الرّشوة في الحكم سُحْتٌ..وجَعيلة الغرَق». وأمّا «جَعيلة الغَرَق» فهي مايُجعَل للغائص على استخراج المتاع الّذي غَرِق في البَحْر، يقال: جعَلتُ له جَعيلةً وجَعالةً بفتح الجيم، أي جُعْلًا. [إلى أن قال:]

فأمّا إذا جعَل للغائص جُعْلًا في طلب متاعه، كان ذلك جائزًا، كما لو جعلها لطالب العبد، لأنّه إنّما يأخذ الجُعْل على كدّ نفسه لاعلى ردّ عبده. (٢: ٤٧٥)

الجَوهَريّ: جعَلْت كذا أجعَله جَعْلًا ومَجْعَلًا.

وجعَله الله نبيًّا، أي صيّره.

وجعلوا الملائكة إناثًا، أي سمّوهم.

والجَعْل: النّخل القِصار؛ الواحدة: جَعْلَة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُعْل بالضّمّ: ماجُعِل للإنسان من شيء على الشّيء يفعله، وكذلك الجِعالة بالكسر، والجَعيلة مثله.

والجُعَل: دُوَيْبَةٌ[1]، وقد جُعِل الماء بالكسر جَعَلًا، أي كثر فيه الجِعْلان.

والجِعال: الخِرْقَة الّتي تُنْزَل بها القِدْر عن النّار، والجمع: جُعُل، مثل كتابٍ وكُتُب. وأجْعَلْتُ القِدْر، أي أنزلتها بالجِعال.

وأجْعَلْتُ لفلان، من الجُعْل في العطيّة.

وأجْعَلَتْ الكلبةُ واستَجعَلتْ فهي مُجْعِل، إذا أرادت السِّفاد، وكذلك سائر السِّباع.

واجتَعَل وجعَل بمعنًى. [ثمّ استشهد بشعر]

(٤: ١٦٥٦)

ابن فارِس: الجيم والعين واللّام كلمات غير منقاسة، لايُشبه بعضها بعضًا. فالجَعْل: النّخل يفوت اليد، والواحدة: جَعْلَة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَعْوَل: ولد النّعام.

والجِعال: الخِرْقَة الّتي تُنْزَل بها القِدْر عن الأثافيّ.

والجُعْل والجِعالة والجَعيلة: مايُجعَل للإنسان على الأمر يفعله.

وجعَلْتُ الشّيء: صنَعتُه.

وكَلْبةٌ مُجْعِل، إذا أرادت السِّفاد.

والجُعَلَة: اسم مكان. [ثمّ استشهد بشعر]

فهذا الباب كما تراه لايُشبه بعضه بعضًا. (١: ٤٦٠)

أبوهِلال: الفرق بين الجَعْل والعَمل: أنّ العَمل هو إيجاد الأثر في الشّيء، على ماذكرنا؛ والجَعْل: تغيير صورته بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، ألاترى أنّك تقول: جعَل الطّين خزَفًا، وجعل السّاكن متحرّكًا. وتقول: عمل الطّين خزَفًا، ولاتقول: عمل السّاكن متحرّكًا، لأنّ الحركة ليست بأثر يؤثّر به في الشّيء.

والجَعْل أيضًا يكون بمعنى «الإحداث» وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ النّحل: ٧٨. ويجوز أن يقال: إنّ ذلك يقتضي أنّه جعلها على هذه الصّفة الّتي هي عليها، كما تقول: جعلت الطّين خزَفًا.

والجَعْل أيضًا يدلّ على «الاتّصال» ولذلك جُعل طرفًا للفعل فتستفتح به، كقولك: جعل يقول، وجعل ينشد. [ثمّ استشهد بشعر]

وجاء أيضًا بمعنى «الخبر» في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩، أي أخبروا بذلك.

وبمعنى «الحكم» في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ التّوبة: ١٩، أي حكمتم بذلك، ومثله جعله الله حرامًا وجعله حلالًا، أي حكم بتحليله وتحريمه، وجعلت المتحرّك متحرّكًا، أي جعلت ماله صار متحرّكًا، وله وجوه كثيرة أوردناها في كتاب «الوجوه والنّظائر».

والجَعْل: أصل الدّلالة على الفعل، لأنّك تعلمه ضرورة؛ وذلك أنّك إذا رأيت دارًا مُهدّمة ثمّ رأيتها مبنيّة، علمت التّغيّر ضرورة، ولم تعلم حدوث شيء إلّا بالاستدلال. (١١٠)

الهَرَويّ: يكون «جعَل» بمعنى عمل وهيّأ، يقال: جعَلْتُ الشّيء بعضه فوق بعض. ويقال: جعل يقول، أي أخذ يقول.

(١) كذا، والظّاهر دُوَيْبَة.

وجعَل فلان زيداً أعلم النّاس، إذا وصفه بذلك، وحكم به. [ثمّ ذكر الآيات إلى أن قال:]

وفي حديث ابن عمر أنّه ذُكر عنده الجعائل، فقال: «لاأغزو على أجر ولاأبيع أجري من الجهاد».

الجِعالة: أن يُضرَب البَعث فيخرج من الأربعة والخمسة رجل واحد، ويُجعل له. ومنه حديث ابن عبّاس: «إن جعَله عبداً أو أمَةً فغير طائل، وإن جعَله في كُراع أو سلاح فلابأس». (١: ٣٦٥)

الثّعالبيّ: للعرب كلام تخصّ به معاني في الخير والشّرّ، وفي اللّيل والنّهار وغيرهما. [إلى أن قال:]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ اَحَادِيثَ﴾ سبأ: ١٩، أي مثّلنا بهم، ولايقال: جُعلوا أحاديث، إلّا في الشّرّ. (٣٧٥)

ابن سيده: جعَل الشّيء يجعَله جَعْلاً، واجتعَله، كلاهما: وضعَه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجعَله يجعَله جَعْلاً: صنَعه.

وتجاعلوا الشّيء: جعلوه بينهم.

وجعَل له كذا على كذا: شارطه به عليه، وكذلك: جعَل للعامل كذا.

والجِعالة، والجُعالة، والجَعالة ـ الكسر والضّمّ عن اللّحيانيّ ـ والجَعيلة، كلّ ذلك: ماجعَله له على عمله.

والجَعالة بالفتح: الرّشوة، عن اللّحيانيّ أيضاً.

وخصّ مرّةً بالجُعالة: مايُجعَل للغازي؛ وذلك إذا وجب على الإنسان غزو، فجعل مكانه رجلاً آخر، بجُعل يشارطه. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجعَله جُعلاً، وأجعَله له: أعطاه إيّاه.

والجِعالة: مايتجاعلونه عند البُعوث أو الأمر يحزُبهم من السّلطان.

والجِعال والجِعالة: ماتُنزَل به القِدْر، من خِرقة أو غيرها. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجعَل القِدْر: أنزلها بالجِعال.

وأجعَلتْ الكَلْبَة، والذّئبَة، والأسَدة، وكلّ ذات مِخْلَب وهي مُجْعِل، واستَجْعَلت: أحبّت السِّفاد.

والجَعْلَة: الفسيلة، وقيل: الوديّة، وقيل: النّخلة القصيرة، وقيل: هي الفائتة لليد، والجمع: جَعْل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَعَل: دُوَيْبَّة، والجَعْل أيضاً من النّخل: كالبَعْل.

والجُعَل: دُوَيْبَّة، قيل: هو أبوجِعْران؛ وجمعه: جِعْلان.

وماء جَعِل، ومُجْعِل: ماتت فيه الجِعْلان والخنافس.

وأرض مُجْعِلة: كثيرة الجِعْلان.

ورجل جُعَل: أسود دَميم، مُشَبّه بالجُعَل. وقيل: هو اللّجوج، لأنّ الجُعَل يوصف باللّجاجة، يقال: رجل جُعَل.

وجُعَل الإنسان: رقيبه. وفي المَثَل: «سَدِكَ بامرِئٍ جُعَلُه» يُضرَب للرّجل يريد الخلاء لطلب حاجة، فيلزمه آخر، يمنعه من ذكرها أو عملها. [ثمّ استشهد بشعر]

وكلّ ذلك على التّمثيل بالجُعَل.

والجَعْوَل: ولد النّعام؛ يمانيّة. وجُعَيل: اسم رجل؛ وبنو جِعال: حيّ. (١: ٣٢٧)

الطّوسيّ: الفرق بين الجَعْل والفِعْل: أنّ جَعل الشّيء، قد يكون بإحداث غيره كجعل الطّين خزفاً،

ولايكون فعله إلّا بإحداثه.

والفرق بين الجَعْل والتّغيير: أنّ تغيير الشّيء لايكون إلّا بتصييره على خلاف ماكان، وجعله يكون بتصييره على مثل ماكان، كجعل الإنسان نفسه ساكتًا على استدامة الحال. (٥: ٤٦٥)

الجَعْل والتّصيير والعمل نظائر في اللُّغة. (٦:١٠٩)

والجَعْل: حصول الشّيء على المعنى الّذي يقدر عليه، وقد يكون ذلك بمحذوف نفسه، وقد يكون بحدوث غيره له.

والجَعْل على أربعة أوجه:

أوّلها: إحداث النّفس، كجعل البناء والنّساجة وغير ذلك.

والثّاني: بقلبه، كجَعْل الطّين خزَفًا.

والثّالث: بالحكم، كجَعْله كافرًا أو مؤمنًا.

والرّابع: بالدّعاء إلى الفعل، كجَعْله صادقًا وداعيًا. (١٠: ١٣٧)

والجعل على أربعة أقسام:

أحدها: بمعنى الإحداث، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ اٰيَتَيْنِ﴾ الإسراء: ١٢، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ الأنبياء: ٣٢.

الثّاني: بمعنى قلبه من حال، كجعل النّطفة علَقَة إلى أن تصير إنسانًا.

الثّالث: بمعنى الحكم أنّه على صفة، كما قال أنّه جعل رؤساء الضّلالة يدعون إلى النّار، أي حكم بذلك.

الرّابع بمعنى اعتقد أنّه على حال، كقولهم: جعل فلان فلانًا راكبًا، إذا اعتقد فيه ذلك. (٨: ١٥٤)

الرّاغِب: «جعَل» لفظ عامّ في الأفعال كلّها، وهو أعمّ من: فعَل وصنَع وسائر أخواتها، ويتصرّف على خمسة أوجه:

الأوّل: يجري مجرى: صارَ وطفِق، فلايتعدّى، نحو: جعَل زيدٌ يقول كذا. [ثمّ استشهد بشعر]

والثّاني: يجري مجرى أوجَد، فيتعدّى إلى مفعول واحد، نحو قوله عزّوجلّ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْـِٔدَةَ﴾ النّحل: ٧٨.

والثّالث: في إيجاد شيءٍ من شيءٍ وتكوينه منه، نحو: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا﴾ النّحل: ٧٢، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ اَكْنَانًا﴾ النّحل: ٨١، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ الزّخرف: ١٠.

والرّابع: في تصيير الشّيء على حالة دون حالة، نحو: ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا﴾ البقرة: ٢٢، وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ النّحل: ٨١، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ نوح: ١٦، وقوله تعالى: ﴿اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣.

والخامس: الحكم بالشّيء على الشّيء حقًّا كان أو باطلًا: فأمّا الحقّ، فنحو قوله تعالى: ﴿اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧.

وأمّا الباطل، فنحو قوله عزّوجلّ: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَاَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْاَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الأنعام: ١٣٦، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ﴾ النّحل: ٥٧، ﴿اَلَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْاٰنَ عِضِينَ﴾ الحجر: ٩١.

والجِعالة: خِرْقَة يُنزَل بها القِدْر.

والجُعْل والجَعالة والجَعيلة: مايُجعَل للإنسان بفعله، فهو أعمّ من الأُجرة والثّواب.

وكَلْبٌ يَجعل: كناية عن طلب السِّفاد.

والجُعَل دُوَيْبة. (٩٤)

الزَّمَخْشَريّ: جعَل الله الظّلمات والنّور: خلقها. ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ نوح: ١٦: صيّرها كذلك. وجعَل يفعل كذا.

وأنزل القِدْرَ بالجِعال والجِعالة، وهي الخِرْقَة.

وأعطى العامل جُعْلَه وجِعالته وجَعالته وجعيلَته، أي أجره. وأعطى العُمّال جِعالاتهم وجَعائلهم.

وقسموا الجُعالات، وهي مايتجاعله النّاس بينهم عند البعث والأمر، يَحزُبُهم من السّلطان.

وأجْعَلْت لفلان فعمل لي كذا، أي بيّنت له جُعْلًا.

وفلان يُجاعِل فلانًا: يصانعه برِشوة.

وقد أجْعَلَتِ الكَلْبة، أي اشتهت الفَحْل، وكَلْبة مُجْعِل.

وكأنّهم الجِعْلان يدفعن النّتن بآنافها.

ومن المجاز: «سَدِكَ به جُعَلُه» إذا لزمه أمرٌ مكروه.

وتقول: «مررت بجُعَل، يرمي بشُعَل» أي بأسود يأتي بحُجج زُهر. (أساس البلاغة: ٦١)

الجعيلة والجُعالة: الجُعْل، وهو مايُجعَل لمن يغوص على متاع أو إنسان غرق في الماء. (الفائق ١: ٧٤)

ابن عمر ذُكر عنده الجَعائل، فقال: «لاأغزو على أجر، ولاأبيع أجري من الجهاد»، جمع: جِعالة بالفتح والكسر أو جَعيلة، وهي جُعْل يدفعه المضروب عليه البعث إلى من يغزو عنه.

قال الأسَديّ:

فأعطيت الجُعالة مستميتًا

ومنه حديث مسروق رحمه الله: «إنّه كان يكره الجَعائل». (الفائق ١: ٢١٧)

الطَّبْرِسيّ: و«جَعَل» يكون على وجوه:

أحدها: أن يتعدّى إلى مفعولين، نحو جعلت الطّين خزَفًا، أي صيّرت.

وثانيها: أن يأتي بمعنى «صنَع» يتعدّى إلى مفعول واحد، نحو قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١.

وثالثها: أن يأتي بمعنى «التّسمية» كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا﴾ إبراهيم: ٣٠، أي سمّوا له.

ورابعها: أن يأتي بمعنى أفعال المقاربة، نحو: جعَل زيد يفعل كذا. (١: ٥٦)

الجَعْل والخلق والإحداث نظائر. (١: ٦٠)

الجَعْل: إيجاد مابه يكون الشّيء، على صفة لم يكن عليها. (٣: ٩١)

ابن الأثير: [وذكر حديث ابن عمر وقال:]

الجَعائل: جَمْع جَعيلة، أو جَعالة بالفتح، والجُعْل: الاسم بالضّمّ، والمصدر بالفتح. يقال: جعَلت كذا جَعْلًا وجُعْلًا، وهو الأُجرة على الشّيء فِعلًا أو قولًا.

والمراد في الحديث أن يُكتَب الغزو على الرّجل فيعطي رجلًا آخر شيئًا ليخرج مكانه، أو يدفع المقيم إلى الغازي شيئًا فيقيم الغازي ويخرج هو.

وقيل: الجُعْل أن يُكتَب البعث على الغُزاة، فيخرج من الأربعة والخمسة رجل واحد، ويُجْعَل له جُعْل.

ومنه حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما: «إن جعَله

عبدًا أو أمة فغير طائل، وإن جعله في كُراع أو سلاح فلابأس» أي إنّ الجُعل الّذي يُعطيه للخارج إن كان عبدًا أو أمةً يختصّ به فلاعبرة به، وإن كان يُعينه في غزوة بما يحتاج إليه من سلاح أو كُراع فلابأس به.

ومنه حديثه الآخر: «جُعيلة الغَرق سُحتٌ» وهو أن يُجعل له جُعْلًا ليُخرج ماغَرِق من متاعه، جعله سُحتًا لأنّه عقد فاسد بالجهالة الّتي فيه.

وفيه: «كما يُدَهْدِه الجُعَل بأنفه». الجُعَل: حيوان معروف كالخُنفساء. (١: ٢٧٦)

القُرطُبيّ: والعرب تفرّق بين جعَل إذا كانت بمعنى خلَق وبين جعَل إذا لم تكن بمعنى خلَق. فإذا كانت بمعنى خلَق فلاتُعدّيها إلّا إلى مفعول واحد، وإذا لم تكن بمعنى خلَق عدّتها إلى مفعولين. (١٥: ٣٢٨)

البَيْضاويّ: و«جَعل» من الأفعال العامّة، يجيء على ثلاثة أوجه: بمعنى صار وطفِق، فلايتعدّى. [ثمّ استشهد بشعر]

وبمعنى «أوجَد» فيُعدّى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١.

وبمعنى «صيّر» ويتعدّى إلى مفعولين، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ البقرة: ٢٢.

والتّصيير يكون بالفعل تارةً وبالقول والعقد أُخرى. (١: ٣٣)

أبوحَيّان: لم يذكر النّحويّون في معاني جعَل: شرَع، بل ذكروا أنّها تأتي بمعنى: خلَق، وبمعنى ألقَى، وبمعنى صيّر، وبمعنى الأخذ في الفعل، فتكون من أفعال المقاربة. وذكر بعضهم بمعنى «سمّى». (٤: ٣٣)

الفَيُّوميّ: جعَلتُ الشّيء جَعْلًا: صنَعتُه أو سمّيته.

والجُعْل بالضّمّ: الأجر، يقال: جعَلتُ له جُعْلًا.

والجِعالة ـ بكسر الجيم وبعضهم يحكي التّثليث ـ والجَعيلة، مثال كريمة: لغات في «الجُعْل».

وأجْعَلتُ له بالألف: أعطَيتُه جُعْلًا، فاجتَعله هو، إذا أخذَه.

والجُعَل وزان عُمَر: الحِرْباءُ، وهي ذكَرُ «أُمِّ حُبَيْنٍ» وجمعه: جِعْلان، مثل صُرَد وصِرْدان. (١: ١٠٢)

الفيروزاباديّ: جعَله كمنَعه جَعْلًا ويضمّ، وجَعالةً ويكسر، واجتَعله: صنَعه، والشّيء جَعْلًا: وضعه، وبعضَه فوق بعض ألقاه، والقبيح حسَنًا: صيّره، والبَصْرةَ بغداد: ظنّها إيّاها، وله كذا على كذا: شارطه به عليه.

وجعَل يَفعل كذا: أقبَل وأخَذ.

ويكون بمعنى سمّى، ومنه ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩.

وبمعنى التّبيين ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣.

وبمعنى الخَلق ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١.

وبمعنى التّشريف ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣، ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾ المائدة: ٩٧.

وبمعنى التّبديل: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ هود: ٨٢.

وبمعنى الحكم الشّرعيّ (جعل الله الصّلوات المفروضات خمسًا).

وبمعنى التّحكّم البِدْعيّ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

عِضِين﴾ الحجر: ٩١.

وقد تكون لازمة وهي الدّاخلة في أفعال المقاربة.

[ثمّ استشهد بشعر]

وجعَلْتُ زيدًا أخاك: نسبتَه إليك.

والجِعَالة مثلّثةً، وككتاب وقُفْل وسفينة: ماجَعَله على عمله.

وتجاعلوا الشّيء: جعلوه بينهم.

وكسحابة: الرّشوة، وماتُجْعَل للغازي إذا غزا عنك بجُعْل، ويُكسر ويضمّ.

وبالكسر والضّمّ: خِرْقَة يُنْزَل بها القِدْر كالجِعال بالكسر.

وأجعلَه جَعْلًا وأجْعَلَه له: أعطاه، والقِدْر: أنزلها بالجِعال، والكَلْبةُ وغيرها أحبّت السِّفاد، كاستَجْعَلت فهي مُجْعِل.

والجَعْلَة: الفسيلة، أو النّخلة القصيرة، أو الرّديئة، أوالفائتة لليد، الجمع: جَعْل.

والجَعْل كالبَعْل: من النّخل، وكصُرَد: الرّجل الأسود الدّميم أو اللّجُوج، والرّقيب، ودويْبّة، الجمع: جِعْلان بالكسر.

وأرض مُجعِلة كمُحسنة: كثيرتها. وماءٌ جَعِل بالكسر وككتف ومُحسن: كثرت فيه أو ماتت فيه، وقد جَعِل كفَرِح وأجعَل.

والجَعْوَل كجَرْوَل: ولد النّعام.

وبنو جِعال ككتاب: حيٌّ [إلى أن قال:]

والجاعِل: المعطي، والمجتَعِل، الآخذ.

والجَعَل محرّكةً: القِصَر في سِمَن، واللّجاج.

وجاعلَه: رشاه. (٣: ٣٥٩)

الطُّرَيحيّ: والجَعَالة هي في اللّغة: مايُجعَل للإنسان على عمل.

وشرعًا على ماقرّره الفقهاء وأهل العلم: صيغة ثمرتها تحصيل المنفعة بعوض مع عدم اشتراط العمل في العلم والعوض؛ والجمع: الجَعالات والجَعائل.

والجُعَل كصُرَد: دُوَيْبّة كالخُنفُساء، أكبر منها، شديدة السّواد، في بطنه لون حمرة، والنّاس يسمّونه أبا جِعْران، لأنّه يجمع الجَعْر اليابس ويدّخره في بيته. ويسمّى الزّعقوق، تعضّ البهائم في فروجها فتهرب. للذّكر قَرْنان، يوجد كثيرًا في مُراح البقر والجواميس ومواضع الرّوث، تتولّد غالبًا من أحشاء البقر، ومن شأنه جمع النّجاسة. وله جناحان لايكادان يُريان إلّا اذا طار، وله ستّة أرجل، ويمشي القَهْقَرىٰ إلى خلف، وهو مع ذلك مهتدٍ إلى بيته.

ومن عادته يحرس النّيام، فمن قام منصرفًا إلى حاجته تبعه؛ وذلك من شهوته للغائط، لأنّه قوته.

وفي الحديث: «إنّ الله ليُعذّب الجُعَل في جُحره بحبس المطر عن الأرض الّتي هي بمحلّها، لمجاورتها أهل المعاصي، وهلا السّبيل إلى غيرهم». (٥: ٣٣٨)

مَجْمَعُ اللُّغة: جَعَل يَجعَل جَعْلًا فهو جاعل، والجَعْل يأتي لمعان ترجع إلى مايأتي:

١ـ الخلق والإيجاد.

٢ـ التّصيير حقيقةً أو حكمًا.

٣ـ الحكم والتّشريع والتّقرير. (١: ١٩٤)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ١٠٧)

العَدْنانيّ: ويقولون: هذا يَجعَلُني أن أُواصل الدّراسة، والصّواب: هذا يَجعَلُني أُواصل الدّراسة، أي يحملني على مواصلتها. لأنّ زيادة «أن» على المفعول به الثّاني لـ«جعل» يَجعَل تأويلها ومابعدها بالمصدر متعذّرًا، إذ لايجوز أن نقول: هذا يَجعَلُني مواصلة الدّراسة.

(معجم الأخطاء الشّائعة: ٥٦)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: مايقرب من التّقدير والتّقرير والتّدبير، بعد الخلق والتّكوين.

والتّقدير بعد التّكوين قد يتحقّق في زمان التّكوين خارجًا، وهو متأخّر اعتبارًا ولحاظًا، كما في: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ يونس: ٥، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ النّحل: ٧٢، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ﴾ النّحل: ٧٨، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ السّجدة: ٨، ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْاَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ الأنبياء: ٣١.

وقد يتحقّق في زمان بعد التّكوين، كما في ﴿جَاعِلِ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا﴾ فاطر: ١، ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً اَحْوٰى﴾ الأعلى: ٥، ﴿اِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَاُنْثٰى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ الحجرات: ١٣، ﴿اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا﴾ طٰه: ٥٣.

وقد يتحقّق التّقدير في إعطاء مقام ومنزلة بعد التّكوين، كما في: ﴿اِذْ جَعَلَ فِيكُمْ اَنْبِيَاءَ﴾ المائدة: ٢٠، ﴿اِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ الأعراف: ٦٩، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ اَخَاهُ هٰرُونَ وَزِيرًا﴾ الفرقان: ٣٥، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ الأنبياء: ٧٢، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ اَئِمَّةً يَهْدُونَ بِاَمْرِنَا﴾ الأنبياء: ٧٣.

وقد يكون في التّشريع والأحكام، كما في: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ الإسراء: ٣٣، ﴿مَاجَعَلَ اَدْعِيَاءَكُمْ اَبْنَاءَكُمْ﴾ الأحزاب: ٤، ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللّٰهِ﴾ الحجّ: ٣٦، ﴿لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ﴾ النّور: ٦٣.

وقد يكون التّقدير من المخلوق، كما في: ﴿يَجْعَلُونَ اَصَابِعَهُمْ فِي اٰذَانِهِمْ﴾ البقرة: ١٩، ﴿يَجْعَلُونَ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ﴾ الحجر: ٩٦، ﴿اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف: ٩٥، ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ اَخِيهِ﴾ يوسف: ٧٠، ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي اَطَّلِعُ﴾ القصص: ٣٨.

والحاصل أنّ «الجَعْل» إنّما يتحقّق مفهومه إذا استعمل منسوبًا إلى آثار التّكوين أو لوازمه أو خواصّه، أو فيما يتعلّق عليه، فإنّ التّقدير ومايقرب منه كالتّدبير والتّنظيم والحكم ـ ويجمعها مفهوم الجَعْل ـ فإنّه أعمّ إنّما يكون بعد الخلق والتّكوين.

وأمّا مايقال في تفسيره من الخلق والصّنع والتّسمية والتّصيير والإعطاء وأمثال ذلك: فإنّما هو تفسير بمناسبة المورد، وليس من الحقيقة بشيء، وحقيقة الجَعْل هو مايقرب من التّقدير والتّقرير.

وأمّا إطلاق «الجُعَل» على ولد النّعام: فإنّ النّعام يقال في حقّه: إنّه لايسمع صوتًا ولايشرب ماءً، والشّامّة منه قويّة جدًّا، ويُدرك بما مالايُدركه بالسّمع سائر الحيوانات في الجملة، فلابدّ أنّ ولده من أوّل نشوئه يكون مُدبّرًا ومتفكّرًا في أُموره، ومقدّرًا معائشه وأطوار حياته.

وأمّا الجُعْل بمعنى الأجر: فهو من الأصل، وهو مايقرّر بين الأجير ومن يُعمَل له، أي حقّ عمله وأجْرِه المقدّر قبل العمل.

وأمّا الخِرْقة: فإنّها أحسن وسيلة مقدّرة لتنزيل القِدْر الكبير والسّاخن، من الأثافيّ إلى الأرض.

وأمّا الجُعَل بمعنى النّخل: فإنّه كما في «اللّسان» قصار النّخل، أو أنّه من النّخل كالبَغْل. وكلّ واحد منهما يحتاج إلى الإصلاح والتّدبير.

ثمّ إنّه لايخفى مافي مفهوم «الجَعْل» من التّقدير والتّدبير، فكلّ مورد من الآيات الكريمة يُذكَر فيه لفظ «الجَعْل»، ففيه مفهوم التّقدير والتّدبير مقرّر، فلايرد إشكال بالنّسبة إلى «جَعل» ممّا جعله الله في أيّ مورد.
(٢: ٩٢)

النُّصوص التّفسيريّة

جَعَلَ

١ـ اَلَّذى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِراشًا وَالسَّماءَ بِناءً... البقرة: ٢٢

الزّجّاج: ويجوز في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ﴾ وجهان: الإدغام والإظهار، تقول: جَعَلَ لكم، وجَعَلْ لكم الأرض، فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات، ومن أظهر وهو الوجه وعليه أكثر القرّاء، فلأنّهما منفصلان من كلمتين. (١: ٩٩)

البغَويّ: والجَعْل هاهنا بمعنى الخلق. (١: ٩٣)

مثله الخازن (١: ٣٣)، والقاسميّ (٢: ٦٨).

ابن عَطيّة: و(جَعَل) بمعنى صيّر في هذه الآية، لتعدّيها إلى مفعولين. (١: ١٠٥)

مثله أبوالسُّعود (١: ٨٣)، ونحوه النّسَفيّ (١: ٢٩)، وحَسنين مخلوف (١: ٢٠)، والطّالقانيّ (١: ٨٤).

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿اَلَّذى جَعَلَ﴾ معناه هنا «صيّر» لتعدّيه إلى مفعولين.

ويأتي بمعنى «خلَق» ومنه قوله تعالى: ﴿مَاجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَاسَائِبَةٍ﴾ المائدة: ١٠٣، وقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١.

ويأتي بمعنى «سمّى» ومنه قوله تعالى: ﴿حٰمٓ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ اِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩، أي سمّوهم.

ويأتي بمعنى «أخذ». [ثمّ استشهد بشعر]

وقد تأتي زائدة. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: إنّها زائدة

وجعل واجتعل بمعنًى واحد. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٢٨)

البَيْضاويّ: و(جَعَل) من الأفعال العامّة، يجيء على ثلاثة أوجه: بمعنى: صار وطفِق، فلايتعدّى. [ثمّ استشهد بشعر]

وبمعنى «أوجد» فيعدّى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.

وبمعنى «صيّر» ويتعدّى إلى مفعولين، كقوله تعالى:

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾، والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعَقْد أُخرى. (١: ٣٣)

نحوه السّمين. (١: ١٤٨)

أبوحَيّان: (جَعَل) بمعنى صيّر، لذلك نصبت (الْأَرْضَ) و(فِرَاشًا)، (وَلَكُمْ) متعلّق بـ(جَعَل).

وأجاز بعضهم أن ينتصب (فِرَاشًا) و(بِنَاءً) على الحال، على أن يكون (جَعَلَ) بمعنى خلق، فيتعدّى إلى واحد وغاير اللّفظ، كما غاير في قوله: ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّـلُمَـاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١، لأنّه قصد إلى ذكر جملتين، فغاير بين اللّفظين، لأنّ التّكرار ليس في الفصاحة، كاختلاف اللّفظ، والمدلول واحد. (١: ٩٧)

أبورُوق: كلّ شيء في القرآن «جعَل» فهو خلق. (السّيوطيّ ٢: ١٦٣)

الآلوسيّ: [قال نحو أبي حيّان وأضاف:]

وعبّر سبحانه هنا بـ(جَعَلَ) وفيما تقدّم بـ«خلق» لاختلاف المقام، أو تفنّنًا في التّعبير، كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّـلُمَـاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١. (١: ١٨٧)

٢ـ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ... المائدة: ٩٧

الطَّبَريّ: صيّر الله الكعبة. (٧: ٧٦)

نحوه ابن الجوزيّ (٢: ٤٢٩)، والبيضاويّ (١: ٢٩٣)، والخازن (٢: ٨٠)، والبُرُوسَويّ (٢: ٤٤٤)، والآلوسيّ (٧: ٣٥)، والنّهاونديّ (١: ٤٢٧)، وحسنين مخلوف (١: ٢٠٧).

الفَخْرالرّازيّ: (جَعَلَ) فيه قولان: الأوّل: أنّه بيّن وحكم، الثّاني: أنّه صيّر؛ فالأوّل: بالأمر والتّعريف، والثّاني: بخلق الدّواعي في قلوب النّاس لتعظيمه والتّقرّب إليه. (١٢: ٩٩)

نحوه النّسفيّ (١: ٣٠٤)، ومثله النّيسابوريّ (٧: ٣٣).

القُرطُبيّ: (جَعَلَ) هنا بمعنى خَلَق. (٦: ٣٢٤)

نحوه أبوالسُّعود. (٢: ٣٢٣)

أبوحَيّان: و(جَعَل) هنا بمعنى صيّر. وقيل: (جَعَلَ) بمعنى بيّن، وينبغي أن يُحمَل هذا على تفسير المعنى؛ إذ لم يُنقل، (جَعَلَ) مرادفة لهذا المعنى، لكنّه من حيث التّصيير يلزم منه التّبيين والحكم. (٤: ٢٥)

نحوه السّمين. (٢: ٦١٤)

رشيد رضا: الجعل هنا إمّا خَلْقيّ تكوينيّ وهو التّصيير، وإمّا أمريّ تكليفيّ وهو التّشريع. (٧: ١١٦)

٣ـ مَاجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَاسَائِبَةٍ وَلَاوَصِيلَةٍ وَلَاحَامٍ... المائدة: ١٠٣

أبوعُبَيْدة: ماحرّم... (١: ١٧٧)

الطَّبَريّ: مابحَر الله بحيرةً، ولاسيّب سائبةً ولاوصل وصيلةً، ولاحمى حاميًا، ولكنّكم الّذين فعلتم ذلك أيّها الكفرة، فحرّمتموه افتراءً على ربّكم. (٧: ٨٦)

نحوه المَراغيّ. (٧: ٤٤)

الطُّوسيّ: أي ماحرّمها على ماحرّمها أهل الجاهليّة، ولاأمر بها. (٤: ٤٠)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٢: ٢٥٢)

الزَّمَخْشَريّ: ماشرّع ولاأمر بالتّبحير والتّسييب وغير ذلك. (١: ٦٤٩)

ابن عَطيّة: و(جَعَلَ) في هذه الآية لايتّجه أن تكون بمعنى خلق الله، لأنّ الله تعالى خلق هذه الأشياء كلّها، ولاهي بمعنى صيّر لعدم المفعول الثّاني، وإنّما هي بمعنى: ماسَنّ ولاشرّع، فتعدّت تعدّي هذه الّتي بمعناه إلى مفعول واحد. (٢: ٢٤٧)

ابن الجَوْزيّ: ماأوجب ذلك، ولاأمربه. (٢: ٤٣٦)

الفَخْرالرّازيّ: وأمّا (جَعَلَ) فله وجوه:

أحدها: الحكم، ومنه قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩.

وثانيها: الخلق، ومنه قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١.

وثالثها: بمعنى التّصيير، ومنه قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣.

إذا عرفت هذا فنقول: قوله: ﴿مَاجَعَلَ اللّٰهُ﴾ أي ماحكم الله بذلك ولاشرّع ولاأمر به. (١٢: ١٠٩)

نحوه الخازن. (٢: ٨٢)

الرّازيّ: فإن قيل: كيف قال: ﴿مَاجَعَلَ اللّٰهُ مِنْ بَحِيرَةٍ...﴾ والجعل هو الخلق، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الزّمر: ٦، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١، وخالق هذه الأشياء هو الله تعالى؟

قلنا: المراد بالجعل هنا: الإيجاب والأمر، أي ماأوجبها ولاأمر بها.

وقيل: المراد بالجعل: التّحريم. (مسائل الرّازيّ: ٧٨)

القُرطُبيّ: (جَعَلَ) هنا بمعنى سمّى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أي سمّيناه. والمعنى في هذه الآية: ماسمّى الله، ولاسنّ ذلك حكمًا، ولاتعبّد به شرعًا، بيد أنّه قضى به علمًا، وأوجده بقدرته وإرادته خلقًا، فإنّ الله خالق كلّ شيء من خير وشرّ، ونفع وضرّ، وطاعة ومعصية. (٦: ٣٣٥)

البَيْضاويّ: ومعنى (مَاجَعَلَ): ماشرّع ووضع، ولذلك تعدّى إلى مفعول واحد وهو البحيرة. (١: ٢٩٥)

نحوه شُبّر (٢: ٢١٩)، والقاسميّ (٦: ٢١٨٣).

النّيسابوريّ: ماحكم بذلك ولاشرّع. (٧: ٤٣)

نحوه النّهاونديّ (١: ٤٣٠)، وعزّة دَرْوَزة (١١: ١٩٨)، وحسنين مخلوف (١: ٢٠٩).

أبوحَيّان: [نقل كلام الزّمَخْشَريّ وابن عَطيّة ثمّ قال:]

لم يذكر النّحويّون في معاني «جعل» شرّع، بل ذكروا أنّها تأتي بمعنى خلق وبمعنى ألقى وبمعنى صيّر وبمعنى الأخذ في الفعل، فتكون من أفعال المقاربة، وذكر بعضهم بمعنى سمّى.

وقد جاء حذف أحد مفعولي ظنّ وأخواتها إلّا أنّه قليل، والحمل على ماسُمع أولى من إثبات معنى لم يُثبت في لسان العرب. فيحتمل أن يكون المفعول الثّاني محذوفًا، أي ماصيّر الله بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحاميًا مشروعة، بل هي من شرع غير الله. (٤: ٣٤)

أبوالسُّعود: ومعنى ﴿مَاجَعَلَ﴾ ماشرّع وماوضع، ولذلك عُدّي إلى مفعول واحد هو بَحيرة وماعطف عليها، و﴿مِنْ﴾ مزيدة لتأكيد النّفي، فإنّ

الجعل التّكوينيّ كما يجيء تارةً متعدّيًا إلى مفعولين وأُخرى إلى واحد، كذلك الجعل التّشريعيّ يجيء مرّة متعدّيًا إلى مفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ المائدة: ٩٧، وأُخرى إلى واحد. (٢: ٣٢٨)

البُرُوسَويّ: وهو الجعل التّشريعيّ، ويتعدّى إلى واحد، أي ماشرّع وماوضع وماسنّ. (٢: ٤٥١)

الآلوسيّ: [أشار إلى قول أبي حيّان ثمّ ردّ عليه بقوله:]

وليس كما قال فإنّ الرّاغب نقل ذلك عن أهل اللّغة، وهو ثقة لايفتري عليهم. (٧: ٤٣)

الطّباطَبائيّ: الجَعْل المنفيّ متعلّق بأوصافها دون ذواتها، فإنّ ذواتها مخلوقة لله سبحانه من غير شكّ، وكذلك أوصافها من جهة أنّها أوصاف فحسب، وإنّما الّذي تقبل الإسناد إليه تعالى ونفيه هي أوصافها، من جهة كونها مصادر لأحكام كانوا يدّعونها لها، فهي الّتي تقبل الإسناد ونفيه، فنفي: جعل البَحيرة وأخواتها في الآية، نفي لمشروعيّة الأحكام المنتسبة إليها المعروفة عندهم. (٦: ١٥٦)

٤ـ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورَ... الأنعام: ١

ابن عبّاس: خلق الكفر والإيمان أو اللّيل والنّهار. (١٠٥)

نحوه زيد بن عليّ (١٨٦)، وأبوعُبَيْدَة (١: ١٨٥)، والواحديّ (٢: ٢٥١)، والبغويّ (٢: ١٠٨)، وأبوالبَرَكات (١: ٣١٣)، والخازن (٢: ٩٦)، وحسنين مخلوف (١: ٢١٤).

الطّبَريّ: فإن قال: قائل: فما معنى قوله إذن: (جَعَلَ)؟

قيل: إنّ العرب تجعلها ظرفًا للخبر والفعل، فتقول: جعلت أفعل كذا، وجعلت أقوم وأقعُد، تدلّ بقولها جعلت على اتّصال الفعل، كما تقول: عَلقت أفعل كذا، لاأنّها في نفسها فعل، يدلّ على ذلك قول القائل: جعلت أقوم، وإنّه لاجعل هناك سوى القيام، وإنّما دلّ بقوله: «جعلت» على اتّصال الفعل ودوامه. [ثمّ استشهد بشعر]

فكذلك كلّ جعل في الكلام، إنّما هو دليل على فعل له اتّصال، لاأنّ له حظًّا في معنى الفعل، فقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورَ﴾ إنّما هو أظلَم ليلها، وأنارَ نهارهما. (٧: ١٤٣)

الماوَرْديّ: يعني وخلَق، فغاير بين اللّفظ، ليكون أحسن في النّظم. (٢: ٩٢)

الزّمَخْشَريّ: (جَعَلَ) يتعدّى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى: أحدَث وأنشأ، كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صيّر، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩.

والفرق بين الخلق والجَعْل: أنّ الخلق فيه معنى التّقدير، وفي الجعل معنى التّضمين، كإنشاء شيء من شيء، أي تصيير شيء شيئًا أو نقله من مكان إلى مكان، ومن ذلك ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورَ﴾ لأنّ الظّلمات من الأجرام المتكاثفة والنّور من

النّار. (٢: ٣)

نحوه البيضاويّ (١: ٣٠١)، والنّسفيّ (٢: ٢)، والنّيسابوريّ (٧: ٦٦)، والكاشانيّ (٢: ١٠٦)، وشبّر (٢: ٢٣٤)

ابن عطيّة: (جَعَلَ) هاهنا بمعنى خلق، لايجوز غير ذلك، وتأمّل لِمَ خُصّت ﴿السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ﴾ بـ(خَلَقَ)، و﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ بـ(جَعَلَ)؟

قال الطّبريّ: (جَعَلَ) هذه هي الّتي تتصرّف في طرق الكلام، كما تقول: جعلت كذا، فكأنّه قال: وجعل إظلامها وإنارتها.

وهذا غير جيّد، لأنّ (جَعَلَ) إذا كانت على هذا النّحو، فلابدّ أن يرتبط معها فعل آخر، كما يرتبط في أفعال المقاربة، كقولك: كاد زيد يموت، جعل زيد يجيء ويذهب. وأمّا إذا لم ترتبط معها فعل، فلايصحّ أن تكون تلك الّتي ذكر الطّبريّ. (٢: ٢٦٦)

ابن الجوزيّ: والمراد بالجعل: الخلق. وقيل: إنّ (جَعَلَ) هاهنا صلة. (٣: ٢)

الفخرالرّازيّ: [ذكر نحو الزّمخشريّ وأضاف:]

وإنّما حسن لفظ «الجعل» هاهنا، لأنّ النّور والظّلمة لمّا تعاقبا صار كأنّ كلّ واحد منهما إنّما تولّد من الآخر.

(١٢: ١٥٠)

نحوه القاسميّ. (٦: ٢٢٣٤)

أبوحيّان: [نقل كلام الزّمخشريّ وأضاف:]

وماذكره من أنّ (جَعَلَ) بمعنى «صيّر» في قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ﴾ لايصحّ، لأنّهم لم يصيّروهم إناثًا، وإنّما قال بعض النّحويّين: إنّها بمعنى سمّى. وقول الطّبريّ (جَعَلَ) هنا هي الّتي تتصرّف في طرف الكلام، كما تقول: جعلت أفعل كذا، فكأنّه قال: وجعل إظلامها وإنارتها تخليط، لأنّ تلك من أفعال المقاربة تدخل على المبتدإ والخبر، وهذه الّتي في الآية تعدّت إلى مفعول واحد، فهما متباينان معنًى واستعمالًا. (٤: ٦٨)

السّمين: (جَعَلَ) هنا تتعدّى لمفعول واحد، لأنّها بمعنى خلَق، هكذا عبارة النّحويّين ظاهرها أنّهما مترادفان، إلّا أنّ الزّمخشريّ فرّق بينهما. [ثمّ ذكر أقوال الطّبريّ والزّمخشريّ وغيرهم] (٣: ٣)

أبوالسّعود: والجعل هو الإنشاء والإبداع كالخلق، خلا أنّ ذلك مختصّ بالإنشاء التّكوينيّ، وفيه معنى التّقدير والتّسوية، وهذا عامّ له كما في الآية الكريمة، والتّشريعيّ أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿مَاجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ المائدة: ١٠٣، وأيًّاما كان فهو إنباءٌ عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بأن يكون فيه، أوله، أو منه، أو نحو ذلك، ملابسةً مصحّحة، لأن يتوسّط بينهما شيء.

(٢: ٣٤٨)

مثله الآلوسيّ (٧: ٨١)، ونحوه البُرُوسَويّ (٣: ٣)، والمَراغيّ (٧: ٧٠).

رشيد رضا: وأمّا ﴿جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ فهو في الحسّيّات بمعنى إيجادهما، لأنّ هذا هو معنى الجعل المتعدّي إلى مفعول واحد. (٧: ٢٩٢)

الطّباطبائيّ: والجعل في قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ﴾ بمعنى الخلق، غير أنّ الخلق لمّا كان مأخوذًا في الأصل من: خَلْق الثّوب، كان التّركيب من أجزاء شتّى مأخوذًا في معناه، بخلاف الجَعْل. ولعلّ هذا هو

السّبب في تخصيص «الخلق» بالسّماوات والأرض لما فيها من التّركيب، بخلاف الظّلمة والنّور، ولذا خصّا باستعمال «الجَعْل»، والله أعلم. (٧: ٧)

جَعَلَهُ

١ـ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرٰى... آل‌عمران: ١٢٦

الزّجّاج: وماجعل ذكر المدد إلّا بُشرى لكم ولتمكّنوا في حربكم. (١: ٤٦٧)

الطُّوسيّ: الهاء في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ عائدة على ذكر الإمداد والوعد، فيعود على معلوم بالدّلالة عليه غير مذكور باسمه، لأنّ «يُمْدِد» يدلّ على الذّكر للإمداد، ومثله: ﴿...حَتّٰى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ص: ٣٢، أي الشّمس. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال قوم: إنّ الضّمير راجع إلى الإمداد نفسه.

والأوّل أقوى، لأنّ «البشرى» في صفات الإنزال، وذلك يليق بذكر الإمداد. (٢: ٥٨٢)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٤٩٩)

ابن عَطيّة: الضّمير في ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ عائد على الإنزال والإمداد. (١: ٥٠٥)

نحوه الطَّباطَبائيّ. (٤: ٩)

أبوحَيّان: الظّاهر أنّ الهاء في (جَعَلَهُ) عائدة على المصدر المفهوم من (يُمْدِدْكُمْ) وهو الإمداد. وجُوّز أن يعود على التّسويم أو على النّصر أو على التّنزيل أو على العدد أو على الوعد. (٣: ٥١)

البُرُوسَويّ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ عطف على مقدّر، أي فأمدّكم به، وماجعل الله ذلك الإمداد بإنزال الملائكة عيانًا بشيء من الأشياء. (٢: ٩١)

الآلوسيّ: [نحو أبي حيّان وأضاف:]

و(جَعَلَ) متعدّية لواحد أو مفعول لها إن جعلت متعدّية لاثنين، وعلى الأوّل الاستثناء مفرّغ من أعمّ العلل، أي وماجعل إمدادكم بإنزال الملائكة لشيء من الأشياء إلّا للبشارة لكم بأنّكم تنصرون، وعلى الثّاني مفرّغ من أعمّ المفاعيل، أي وماجعله الله تعالى شيئًا من الأشياء ﴿إِلَّا بُشْرٰى لَكُمْ﴾. (٤: ٤٦)

٢ـ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرٰى... الأنفال: ١٠

الفَرّاء: هذه الهاء للإرداف: ماجعل الله الإرداف إلّا بشرى. (١: ٤٠٤)

الزّجّاج: أي ماجعل الله المدد إلّا بُشرى. (٢: ٤٠٣)

الطُّوسيّ: الهاء في قوله: ﴿جَعَلَهُ اللهُ﴾ يحتمل أن تكون عائدة إلى الإمداد، لأنّه معتمد الكلام، وقال الفَرّاء: هي راجعة إلى الإرداف.

ويحتمل أن تكون عائدة على الخبر بالمدد، لأنّ تقديم ذلك إليهم بشارة في الحقيقة. أخبر الله تعالى أنّه لم يجعل هذا الّذي أخبر به من إمداد الملائكة إلّا بُشرى، وإنّما جعله بأن أراده به فقلبه إلى هذا المعنى. وقيل: جعله بُشرى بأن أمر الملائكة أن تبشّر به. (٥: ١٠٠)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٢: ٥٢٤)

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: إلامَ يرجع الضّمير في ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنّي مُمِدُّكُمْ﴾ الأنفال: ٩، لأنّ

المعنى: فاستجاب لكم بإمدادكم. (٢: ١٤٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٣١٨)

الفَخْرالرّازيّ: [نقل كلام الفرّاء ثمّ قال:]

قال الزّجّاج: ماجعل الله المردفين إلّا بُشرى، وهذا أولى، لأنّ الإمداد بالملائكة حصل بالبُشرى.

(١٥: ١٣١)

أبوحَيّان: والضّمير في (وَمَاجَعَلَهُ) عائد على الإمداد المنسبك من (أَنّي مُمِدُّكُمْ) أو على المَدد، أو على الوعد الدّالّ عليه ﴿وَاِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ اِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ أو على الألف، أو على الاستجابة، أو على الإرداف، أو على الخبر بالإمداد، أو على جبريل. أقوال محتملة مقولة أظهرها الأوّل، ولم يذكر الزّمَخْشَريّ غيره. (٤: ٤٦٦)

الآلوسيّ: ﴿وَمَاجَعَلَهُ اللهُ﴾ كلام مستأنف لبيان أن المؤثّر الحقيقيّ هو الله تعالى، ليثق به المؤمنون، ولايقنطوا من النّصر عند فقدان أسبابه. و«الجعل» متعدّ إلى واحد، وهو الضّمير العائد إلى المصدر المنسبك في ﴿أَنّي مُمِدُّكُمْ﴾ على قراءة الفتح، والمصدر المفهوم من ذلك على الكسر، واعتبار القول ورجوع الضّمير إليه ليس بمعتبر من القول، أي وماجعل إمدادكم بهم لشيء من الأشياء. [إلى أن قال:]

وقيل: إن «الجعل» متعدّ إلى اثنين، ثانيهما (بُشْرى) على أنّه استثناء من أعمّ المفاعيل، واللّام متعلّقة بمحذوف مؤخّر، أي وماجعله الله تعالى شيئًا من الأشياء إلّا بشارة لكم، ولتطمئنّ به قلوبكم فعل مافعل لالشيء آخر. والأوّل هو الظّاهر، وفي الآية إشعار بأنّ الملائكة لم يباشروا قتالًا، وهو مذهب لبعضهم. (٩: ١٧٤)

الطَّباطَبائيّ: الضّميران في قوله: (جَعَلَهُ) وقوله: (بِهِ) للإمداد بالملائكة، على مايدلّ عليه السّياق، والمعنى أنّ الإمداد بالملائكة إنّما كان لغرض البُشرى واطمئنان نفوسكم لاليهلك بأيديهم الكفّار، كما يشير إليه قوله تعالى بعد: ﴿اِذْ يُوحِى رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰئِكَةِ اَنّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذينَ اٰمَنُوا سَاُلْقى فى قُلُوبِ الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ...﴾ الأنفال: ١٢. (٩: ٢١)

جَعَلُوا

١ـ وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّٰا ذَرَاَ... الأنعام: ١٣٦

ابن عبّاس: وصفوا لله. (١٢٠)

ابن عَطيّة: الضّمير في (جَعَلُوا) عائد على كفّار العرب، العادلين بربّهم الأوثان، الّذين تقدّم الرّدّ عليهم، من أوّل السّورة. (٢: ٣٤٨)

الطَّبْرِسيّ: أي كفّار مكّة ومن تقدّمهم من المشركين. والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم. (٢: ٣٧٠)

البَيْضاويّ: أي مشركو العرب. (١: ٣٣٢)

السّمين: جعل هنا بمعنى صيّر، فتتعدّى لاثنين، أوّلها: قوله: (نَصيبًا)، والثّاني: قوله: (لِلّٰهِ). (٣: ١٨٤)

٢ـ ...اَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ... الرّعد: ١٦

الزّمَخْشَريّ: ﴿اَمْ جَعَلُوا﴾ بل أجعلوا، ومعنى الهمزة الإنكار. (٢: ٣٥٥)

مثله البَيْضاويّ (١: ٥١٧)، والقاسميّ (٩: ٣٦٦٦)، ونحوه النَّيسابوريّ (١٣: ٧٨)، والخازن (٤: ١١)، وحَسنين مخلوف (١: ٤٠٢).

الآلوسيّ: ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾ أي بل أجعلوا لله جلّ وعلا ﴿شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ سبحانه وتعالى. والهمزة لإنكار الوقوع، وليس المنكر هو الجعل، لأنّه واقع منهم، وإنّما هو الخلق كخلقه تعالى، والمعنى أنّهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه. (١٣: ١٢٨)

الطّباطبائيّ: في التّعبير بقوله: (جَعَلُوا) و﴿عَلَيْهِمْ﴾ دون أن يقال: جعلتم وعليكم، دليل على أنّ الكلام مصروف عنهم إلى النّبيّ ﷺ، دون أن يؤمر بالقائه إليهم. (١١: ٣٢٥)

٣ـ ...وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ... الرّعد: ٣٣

الزّمخشريّ: ويجوز أن يُقدّر مايقع خبرًا للمبتدإ ويُعطَف عليه (وَجَعَلُوا) وتمثيله: أفمن هو بهذه الصّفة لم يوحّدوه (وَجَعَلُوا) له وهو الله الّذي يستحقّ العبادة وحده. (٢: ٣٦١)

القُرطُبيّ: (وَجَعَلُوا) حال، أي أو قد جعلوا، أو عطف على (اسْتُهْزِئَ) أي استهزءوا وجعلوا، أي سمّوا. (٩: ٣٢٢)

البَيْضاويّ: استئناف أو عطف على (كَسَبَتْ) إن جعلت (مَا) مصدريّة. ويجوز أن يُقدّر مايقع خبرًا للمبتدإ ويُعطَف عليه (وَجَعَلُوا) أي أفمن هو بهذه الصّفة لم يوحّدوه، وجعلوا له شركاء. ويكون الظّاهر فيه موضع الضّمير للتّنبيه، على أنّه المستحقّ للعبادة. (١: ٥٢١)

أبوحَيّان: [بعد أن ذكر قول الزّمخشريّ قال:] وفي هذا التّوجيه إقامة الظّاهر مُقام المضمر في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ﴾ أي وجعلوا له. وفيه حذف الخبر عن المقابل، وأكثر ماجاء هذا الخبر مقابلًا. (٥: ٣٩٤)

السّمين: قوله: ﴿وَجَعَلُوا﴾ يجوز أن يكون استئنافًا، وهو الظّاهر، جيء به للدّلالة على الخبر المحذوف. (٤: ٢٤٥)

الآلوسيّ: جملة مستأنفة، وفيها دلالة على الخبر المحذوف.

وجُوّز أن تكون معطوفة على ﴿كَسَبَتْ﴾ على تقدير أن تكون (مَا) مصدريّة لاموصولة والعائد محذوف، ولايلزم اجتماع الأمرين حتّى يخصّ كلّ نفس بالمشركين.

وأبعد من قال: إنّها عطف على ﴿اسْتُهْزِئَ﴾.

وجُوّز أن تكون حاليّة على معنى: أفمن هذه صفاته كمن ليس كذلك. (١٣: ١٦٠)

٤ـ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا... الزّخرف: ١٥

ابن عبّاس: وجعلوا: وصفوا. (٤١٢)

الواحديّ: ومعنى الجعل هاهنا: الحكم بالشّيء. (٤: ٦٦)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٤١)

البَغَويّ: ومعنى الجعل هاهنا الحكم بالشّيء، والقول كما تقول: جعلت زيدًا أفضل النّاس، أي وصفته وحكمت به. (٤: ١٥٦)

نحوه الفخرالرّازيّ (٢٧: ٢٠٠)، والخازن (٦: ١١٠)، والبُرُوسَويّ (٨: ٣٥٧).

ابن عَطيّة: الضّمير في (جَعَلُوا) لكفّار قريش

والعرب، والضّمير في (لَهُ) لله تعالى. (٥: ٤٨)

لاحظ «ج ز ء».

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا...﴾ الزّخرف: ١٩.

٦ـ...جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ.. نوح: ٧

ابن عَطيّة: يحتمل أن يكون حقيقة، ويحتمل أن يكون عبارة عن إعراضهم، وشدّة رفضهم لأقواله. (٥: ٣٧٣)

البُرُوسَويّ: أي سدّوا مسامعهم من استماع الدّعوة. فالجعل المذكور كناية عن هذا السّدّ، ولامانع من الحَمْل على حقيقته بأن يدخلوا أصابعهم في ثُقَب آذانهم، قصدًا إلى عدم الاستماع. (١٠: ١٧٤)

الآلوسيّ: وفي نسبة الجَعْل إلى الأصابع وهو منسوب إلى بعضها، وإيثار الجَعْل على الإدخال مالايخفى. (٢٩: ٧٢)

جَعَلْنَا

١ـ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا...

البقرة: ١٢٥

راجع «ب ي ت» (الْبَيْتَ).

٢ـ...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ... البقرة: ١٤٣

راجع «ق ب ل» (القبلة).

٣ـ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا.. الأنعام: ١٢٣

الطُّوسيّ: معنى قوله: ﴿كَذٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ أي جعلنا ذا المكر من المجرمين، كما جعلنا ذا النّور من المؤمنين، فكلّما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأُولئك، إلّا أنّ أُولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلّوا بسوء اختيارهم، لأنّ كلّ واحد منهما «جَعَل» بمعنى صار به كذا، إلّا أنّ الأوّل باللّطف، والثّاني بالتّمكين من المكر، فصار كأنّه جعل كذا. (٤: ٢٨١)

مثله الطَّبْرِسيّ (٢: ٣٦٠)، وابن شهر اشوب (١: ١٧٦).

الفَخْرالرّازيّ: الكاف في قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ يوجب التّشبيه، وفيه قولان:

الأوّل: وكما جعلنا في مكّة صناديدها ليمكروا فيها، كذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها.

الثّاني: أنّه معطوف على ماقبله، أي كما زيّنّا للكافرين أعمالهم، كذلك جعلنا. (١٣: ١٧٤)

القُرطُبيّ: (مُجْرِمِيهَا) مفعول أوّل لـ«جَعَل»، (أَكَابِرَ) مفعول ثانٍ على التّقديم والتّأخير. وجَعَل بمعنى صيّر. (٧: ٧٩)

البَيْضاويّ: و(جَعَلْنَا) بمعنى صيّرنا، ومفعولاه (أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) على تقديم المفعول الثّاني، أو ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ﴾، و(مُجْرِمِيهَا) بدل، ويجوز أن يكون مضافًا إليه إن فسّر «الجعل» بالتّمكين، وأفعل التّفضيل إذا أُضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة. (١: ٣٢٩)

أبو حَيّان: و(جَعَلْنَا) بمعنى صيّرنا، ومفعولها الأوّل (أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا)، و(فِي كُلِّ قَرْيَةٍ) المفعول الثّاني، و(أَكَابِرَ)

على هذا مضاف إلى (مُجْرِمِيهَا). (٤: ٢١٥)

السّمين: و(جَعَلَ) تصييريّة فتتعدّى لاثنين، واختلف في تقديرهما، والصّحيح أن يكون ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مفعولًا ثانيًا قدّم على الأوّل، والأوّل (أَكَابِرَ) مضافًا لـ(مُجْرِمِيهَا). (٣: ١٧١)

البُرُوسَويّ: (وَكَذٰلِكَ) أي كما صيّرنا في مكّة فُسّاقها أكابر، ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ متعلّق بالفعل (أَكَابِرَ) مفعول ثان، جمع: أكبر، بمعنى عظيم، (مُجْرِمِيهَا) مفعول أوّل، جمع: مُجرم. (٣: ٩٨)

الآلوسيّ: (جَعَلَ) بمعنى صيّر المتعدّية لمفعولين. واختلف في تعيينهما، فقيل: ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مفعول ثانٍ، و(أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) بالإضافة هو الأوّل، وقيل: (أَكَابِرَ) مفعول أوّل و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدل منه، وقيل: ﴿أَكَابِرَ﴾ مفعول ثان و(مُجْرِمِيهَا) مفعول أوّل، لأنّه معرفة، فيتعيّن أنّه المبتدأ بحسب الأصل، والتّقدير: جعلنا في كلّ قرية مُجرميها أكابر، فيتعلّق الجارّ والجرور بالفعل. (٨: ١٩)

الطّباطبائيّ: والجَعْل في قوله: ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ كالجعل في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ الأنعام: ١٢٢، فالأنسب أنّه بمعنى الخلق، والمعنى خلقنا في كلّ قرية أكابر مُجرميها ليمكروا فيها، وكون مكرهم غاية للخلقة وغرضًا للجعل، نظير كون دخول النّار غرضًا إلهيًّا في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ...﴾ الأعراف: ١٧٩.

(٧: ٣٤٠)

عبد الكريم الخطيب: الجعل: التّقدير، وإقامة الشّيء على الوجه المراد منه، وتوجيهه الوجهة المناسبة له، وهذا في كلّ أمر يجعله الله. (٤: ٣٠٥)

٤ــ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ...﴾ الأعراف: ١٠

الطّوسيّ: فالجعل: وجود مابه يكون الشّيء على خلاف ماكان، مثل أن تقول: جعلت السّاكن متحرّكًا، لأنّك فعلت فيه الحركة، ونظيره التّصيير والعمل، وجعل الشّيء أعمّ من حدوثه، لأنّه قد يكون بحدوث غيره فيه ممّا يتغيّر به. (٤: ٣٨٢)

مثله الطّبْرِسيّ. (٢: ٤٠٠)

السّمين: يجوز أن يكون بمعنى خلق، فتعدّى لواحد، فيتعلّق الجارّان بالجعل أو بمحذوف، على أنّهما حالان من (مَعَايِشَ) لأنّهما لو تأخّرا لجاز أن يكونا وصفين.

ويجوز أن تكون التّصييريّة فتتعدّى لاثنين، أوّلهما: (مَعَايِشَ)، والثّاني: أحد الجارّين، والآخر إمّا حال فيتعلّق بمحذوف وإمّا متعلّقة بنفس الجعل، وهو الظّاهر. (٣: ٢٣٧)

أبوالسُّعود: والجَعْل بمعنى الإنشاء والإبداع، أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسبابًا تعيشون بها. وكلّ واحد من الظّرفين متعلّق به أو بمحذوف وقع حالًا من مفعوله المُنكّر؛ إذ لو تأخّر لكان صفةً له، وتقديمها على المفعول من أنّ حقّهما التّأخير عنه، لما مرّ غير مرّة من الاعتناء بشأن المقدّم والتّشويق إلى المؤخّر، فإنّ النّفس عند تأخير ماحقّه التّقديم لاسيّما عند كون المقدّم مُنبئًا عن منفعة للسّامع، تبقى مترقّبةً لورود

المؤخّر، فيتمكّن فيها عند الورود فضل تمكّن.

وأمّا تقديم اللّام على «في» فلما أنّه المنبئ عمّا ذكر من المنفعة، فالاعتناء بشأنه أتمّ، والمسارعة إلى ذكره أهمّ.

ولهذا قيل: إنّ الجعل متعدّ إلى مفعولين، ثانيهما أحد الظّرفين على أنّه مستقرّ، قُدّم على الأوّل، والظّرف الآخر إمّا لغوٌ متعلّق بالجعل، أو بالمحذوف الواقع حالًا من المفعول الأوّل، كما مرّ. وأنت خبير بأنّه لافائدة معتدّ بها في الإخبار بجعل المعايش حاصلةً لهم أو حاصلة في الأرض. (٢: ٤٧٧)

نحوه البُرُوسَويّ (٣: ١٣٨)، والآلوسيّ (٨: ٨٥)، ورشيد رضا (٨: ٣٢٧).

٥ ـ...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. الأنبياء: ٣٠

راجع «م و ه» (الماء).

٦ـ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا... يس: ٩

الطُّوسيّ: ومعنى (جَعَلْنَا) يحتمل وجهين:

أحدهما: أنّه كما شبّههم بمن جعله مغلولًا مقيّدًا، أجرى عليه صفة «الجعل» بأنّه مشبّه للمجعول، مغلولًا مقيّدًا.

والثّاني: أنّه أراد البيان عن الحالة الّتي شُبّه بها المغلول المقيّد، كما يقول القائل: جعلني فلان حمارًا، وجعلني ميّتًا، إذا وصفه بالحماريّة والموت، وشبّهه بالحمار والميّت، وهذا واضح. (٨: ٤٤٤)

جَعَلْنَاهُ

١ـ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. المؤمنون: ١٣

راجع «ن ط ف» (نُطْفَة).

٢ـ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

الزّخرف: ٣

سعيد بن جُبَيْر: أنزلناه. (ابن الجَوْزيّ ٧: ٣٠٢)

مثله السُّدّيّ. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٣٩)

مُجاهِد: قلناه. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٣٩)

الزّجّاج: معناه إنّا بيّنّاه قرآنًا عربيًّا. (٤: ٤٠٥)

نحوه الثّوريّ. (القُرطُبيّ ١٦: ٦١)

الطُّوسيّ: وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ إخبار منه تعالى، أنّه جعل القرآن الّذي ذكره عربيًّا بأن يفعله على طريقة العرب، في مذاهبها في الحروف والمفهوم، ومع ذلك فإنّه لايتمكّن أحد منهم من إنشاء مثله والإتيان بما يقاربه في علوّ طبقته في البلاغة والفصاحة، إمّا لعدم علمهم بذلك أو صرفهم على حسب اختلاف النّاس فيه. وهذا يدلّ على جلالة موقع التّسمية في التّمكّن به، والتّعذّر مع فقده.

وفيه دلالة على حدوثه، لأنّ المجعول هو المحدَث، ولأنّ مايكون عربيًّا لايكون قديمًا لحدوث العربيّة.

فإن قيل: معنى (جَعَلْنَاهُ) سمّيناه، لأنّ الجعل قد يكون بمعنى التّسمية.

قلنا: لايجوز ذلك هاهنا، لأنّه لو كان كذلك، لكان الواحد منّا إذا سمّاه عربيًّا فقد جعله عربيًّا، وكان يجب لو كان القرآن على ماهو عليه، وسمّاه الله أعجميًّا أن

يكون أعجميًّا أو كان يكون بلغة العجم وسمّاه عربيًّا أن يكون عربيًّا، وكلّ ذلك فاسد. (٩: ١٨٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٣٩)

الزَّمَخْشَريّ: (جَعَلْنَاهُ) بمعنى صيّرناه معدّى إلى مفعولين، أو بمعنى خلقناه معدّى إلى واحد. (٣: ٤٧٧)

ابن عَطيّة: معناه سمّيناه وصيّرناه، وهو إخبار عليه وقع القسم، والضّمير في (جَعَلْنَاه) عائد على (الْكِتَابِ). (٥: ٤٥)

الفَخْرالرّازيّ: القائلون بحدوث القرآن احتجّوا بهذه الآية من وجوه:

الأوّل: أنّ الآية تدلّ على أنّ القرآن مجعول، والمجعول هو المصنوع المخلوق. فإن قالوا: لِمَ لايجوز أن يكون المراد أنّه سمّاه عربيًّا؟

قلنا: هذا مدفوع من وجهين:

الأوّل: أنّه لو كان المراد بالجعل هذا، لوجب أنّ من سمّاه عجميًّا أن يصير عجميًّا وإن كان بلغة العرب، ومعلوم أنّه باطل.

الثّاني: أنّه لو صُرف الجعل إلى التّسمية لزم كون التّسمية مجعولة، والتّسمية أيضًا كلام الله؛ وذلك يوجب أنّه فعل بعض كلامه، وإذا صحّ ذلك في البعض، صحّ في الكلّ.

الثّاني: أنّه وصفه بكونه (قُرْآنًا) وهو إنّما سمّي قرآنًا لأنّه جعل بعضه مقرونًا بالبعض، وماكان كذلك كان مصنوعًا معمولًا.

الثّالث: أنّه وصفه بكونه (عَرَبِيًّا) وهو إنّما كان عربيًّا، لأنّ هذه الألفاظ إنّما اختصّت بمسمّياتهم، بوضع العرب واصطلاحاتهم؛ وذلك يدلّ على كونه معمولًا ومجعولًا. (٢٧: ١٩٣)

القُرْطُبيّ: ومعنى (جَعَلْنَاهُ) أي سمّيناه ووصفناه، ولذلك تعدّى إلى مفعولين. (١٦: ٦١)

البُرُوسَويّ: إن قلت: هذا يدلّ على أنّ القرآن مجعول، والمجعول مخلوق، وقد قال ﷺ القرآن كلام الله غير مخلوق.

قلت: المراد بالجعل هنا: تصيير الشّيء على حالة دون حالة، فالمعنى إنّا صيّرنا ذلك الكتاب قرآنًا عربيًّا بإنزاله بلغة العرب ولسانها، ولم نُصيّره أعجميًّا بإنزاله بلغة العجم، مع كونه كلامنا وصفتنا قائمة بذاتنا عرية عن كسوة العربيّة، منزّهة عنها وعن توابعها. (٨: ٣٤٩)

الآلوسيّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ جواب للقسم، والجعل بمعنى التّصيير المعدّى لمفعولين، لابمعنى الخلق المعدّى لواحد، لا لأنّه ينافي تظيم القرآن بل لأنّه يأباه ذوق المقام المتكلّم فيه، لأنّ الكلام لم يسبق لتأكيد كونه مخلوقًا، وماكان إنكارهم متوجّهًا عليه بل هو مسوق لإثبات كونه قرآنًا عربيًّا مفصّلًا واردًا على أساليبهم، لايعسر عليهم فهم مافيه، ودرك كونه معجزًا. (٢٥: ٦٤)

الطَّباطَبائيّ: الضّمير: للكتاب، و﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي مقروءً باللّغة العربيّة، و﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ غاية الجعل وغرضه. [لاحظ «قرأ» (القرآن)] (١٨: ٨٣)

٣ـ ...وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ...

الشّورى: ٥٢

الطَّبَريّ: وقال جلّ ثناؤه: (وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ)، فوحّد

الهاء، وقد ذُكر قبل (الكتاب والإيمان) لأنّه قصد به الخبر عن (الْكِتَابِ).

وقال بعضهم: عنى به (الإيمان) و(الكتاب) ولكن وحّد الهاء، لأنّ أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل، كما يقال: إقبالك وإدبارك يُعجبني، فيوحّد، وهما اثنان.

(٢٥: ٤٦)

الزّجّاج: ولم يقل: جعلناهما، لأنّ المعنى جعلنا الكتاب نورًا، وهو دليل على الإيمان. (٤: ٤٠٤)

ابن عطيّة: الضّمير في (جَعَلْنَاهُ) عائد على (الكِتَابِ). (٥: ٤٤)

ابن الجَوْزيّ: في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن، والثّاني: إلى الإيمان. (٧: ٢٩٩)

النّيسابوريّ: والضّمير في (جَعَلْنَاهُ) للقرآن، أو الإيمان، أو لهما جميعًا. (٢٥: ٣٩)

البُرُوسَويّ: أي الرّوح الّذي أوحينا إليك، والجَعْل بمعنى التّصيير لا بمعنى الخلق، وحقيقته: أنزلناه.

(٨: ٣٤٨)

الآلوسيّ: ﴿وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الرّوح الّذي أوحيناه إليك. وقال ابن عطيّة: الضّمير لـ(الْكِتَابِ)، وقيل: لـ(الإيمان) ورجّح بالقرب. وقيل: لـ(الكتاب والإيمان) ووحّد، لأنّ مقصدهما واحد، فهو نظير ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ التّوبة: ٦٢. (٢٥: ٦٠)

الطّباطبائيّ: ضمير (جَعَلْنَاهُ) للرّوح. (١٨: ٧٧)

جَعَلْنَاهَا

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا... البقرة: ٦٦

راجع «ن ك ل» (نَكَالًا).

جَعَلْنَاهُمْ

وَجَعَلْنَاهُمْ اَئِمَّةً يَدْعُونَ اِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا يُنْصَرُونَ. القصص: ٤١

ابن عبّاس: خذلناهم. (٣٢٧)

الطُّوسيّ: أخبر الله تعالى أنّه جعل فرعون وقومه ﴿اَئِمَّةً يَدْعُونَ اِلَى النَّارِ﴾.

وقيل: في معناه قولان:

أحدهما: أنّا عرفنا النّاس أنّهم كانوا كذلك، كما يقال: جعله رجل شرٍّ بتعريفه حاله.

والثّاني: أنّا حكمنا عليهم بذلك، كما قال: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ المائدة: ١٠٣، وكما قال: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ الأنعام: ١٠٠، وإنّما قال ذلك، وأراد أنّهم حكموا بذلك، وسمّوه. [ثمّ ذكر أقسام الجعل وقد تقدّم في النّصوص اللّغويّة] (٨: ٥٤)

الواحديّ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي في الدّنيا. (٣: ٤٠٠)

مثله ابن الجَوْزيّ. (٦: ٢٢٤)

الفخرالرّازيّ: أمّا قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ اَئِمَّةً يَدْعُونَ...﴾ القصص: ٤١ فقد تمسّك به الأصحاب في كونه تعالى خالقًا للخير والشّرّ.

قال الجُبّائيّ: بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي بيّنّا ذلك من حالهم وسمّيناهم به، ومنه قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ اِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩.

وتقول أهل اللّغة في تفسير فسّقه وبخّله: جعله فاسقًا وبخيلًا، لا أنّه خلقهم أئمّة، لأنّهم حال خلقه لهم

كانوا أطفالًا.

وقال الكعبيّ: إنّما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ من حيث خلّى بينهم وبين مافعلوه ولم يعاجل بالعقوبة، ومن حيث كفروا ولم يمنعهم بالقسر، وذلك كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ التّوبة: ١٢٥، لما زادوا عندها. ونظير ذلك أنّ الرّجل يسأل مايثقل عليه، وإن أمكنه، فإذا بخل به قيل للسّائل: جعلت فلانًا بخيلًا، أي قد بخلته. (٢٤: ٢٥٤)

نحوه النّيسابوريّ. (٢٠: ٤٥)

أبوحَيّان: و«جعل» هنا بمعنى صيّر، أي صيّرناهم أئمّة. (٧: ١٢٠)

مثله السّمين (٥: ٣٤٥)، والبُرُوسَويّ (٦: ٤٠٧).

أبوالسُّعود: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي صيّرناهم في عهدهم. [إلى أن قال:]

وقيل: سمّيناهم أئمّة دُعاة إلى النّار، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩.

فالأنسب حينئذ أن يكون «الجعْل» بعدهم فيما بين الأمم، وتكون الدّعوة إلى نفس النّار.

وقيل: معنى الجعْل: منع الألطاف الصّارفة عن ذلك. (٥: ١٢٤)

وقد تقدّم بعض النّصوص في «أم م»، (أئمّة)، فراجع.

الأُصول اللُّغويّة

١ـ هذه المادّة أُصول عديدة، لايمكن إرجاعها إلى أصل واحد بتاتًا، ومن فعل ذلك فقد «راهن على الصّعبة» كما يقول المثل: «وخبَطَ خَبْطَ عشواء».

وأصل مشتقّاتها إمّا اسم ذات، وإمّا اسم معنى.

أـ اسم الذّات:

الجُعَل: دابّة سوداء من دوابّ الأرض، والجمع: جِعْلان، وقد جَعِل الماءُ جَعْلًا: كثر فيه الجِعْلان، وماءٌ جَعِل ومُجْعِل: ماتت فيه الجِعْلان والخنافس، وتهافتت فيه، وأرضٌ مُجْعَلَة: كثيرة الجِعْلان.

يقال: مجازًا: رجل جُعَل، أي أسود دميم مشبّه بالجُعَل، وهو اللّجوج أيضًا، لأنّ الجُعَل يوصف باللّجاجة. وجُعَل الإنسان: رقيبه.

والجِعال والجِعالة والجُعال: ماتُنْزَل به القِدْر من خِرْقَة أو غيرها، والجمع: جُعَل. يقال: جعَل القِدْر وأجعَلها إجعالًا، أي أنزلها بالجِعال.

والجَعْلَة: الفسيلة والنّخلة القصيرة، والجمع: جَعْل.

والجُعْوَل: الرّأل، وهو ولد النّعام، وواوه زائدة.

ب ـ اسم المعنى:

الصّنع: جعَل الشّيء يَجعَلُه جَعْلًا ومَجْعَلًا واجتَعَله: صنعَه.

والتّصيير: جعَل الطّين خَزَفًا، والقبيح حسَنًا، صيّره إيّاه، وجعَلتُه أحذق النّاس بعمله: صيّرتُه.

والشّروع: جعَل يفعل كذا: أخذَ وشرَع.

والنّسب: جَعَلْتُ زيدًا أخاك: نسبتُه إليك.

والاشتهاء: أجعَلتِ الكَلْبَةُ والذّئبة والأسدة وكلّ ذات مِخْلَب، واستَجعلتْ: أحبّت السّفاد واشتهت الفَحْلَ، فهي مُجعِل.

والإعطاء: جعَل للعامل كذا، وهو الجُعْل والجَعيلة والجِعال والجِعالة والجَعالة والجُعالة. يقال: جعَل له جَعْلًا

وجُعْلًا، أي أعطاه أجرًا على الشّيء فعلًا أو قولًا، وجَعَلتُ له جُعْلًا على أن يفعل كذا وكذا، وأجعَلَه جُعْلًا وأجعَلَه له: أعطاه إيّاه، وتجاعلوا الشّيء: جعلوه بينهم. والجِعالة والجِعالات: مايتجاعلونه عند البعوث، أو الأمر يحزبهم من السّلطان، والجَعالة: الرّشوة.

٢ـ واستعمل المحقّقون الإيرانيّون المعاصرون في علم الحديث لفظ «الجَعْل» بمعنى الوضع في كلتا اللّغتين: العربيّة والفارسيّة، يعنون به الصّنع؛ إذا عرّف بعضهم الحديث الموضوع بقوله: «الموضوع: من الوضع بمعنى الجَعْل[1]»، ونسبوا إليه، فقالوا: «الخبر الجعليّ»، وجمعوه على «جَعْليّات» واشتقّوا منه مصدرًا صناعيًّا: «الجعليّة»، وقالوا أيضًا: «حديث مجعول»، وجمع على «مجعولات».

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها (٤٨) لفظًا: ماضيًا معلومًا بصيغ مختلفة (٢٣٤) مرّة، ومجهولًا مرّة، ومضارعًا معلومًا بصيغ مختلفة (٨٣) مرّة. وأمرًا مفردًا وجمعًا (٢٢) مرّة، واسم فاعل مفردًا وجمعًا (٦) مرّات في (٣٤٦) آية.

ويلاحظ أوّلًا: ذكر اللّغويّون والمفسّرون وجوهًا في معنى «الجعل» في القرآن، فهي عند أبي هلال أربعة وجوه:

١ـ الإحداث: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١، و﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ النّحل: ٧٨، واحتمل في مثلها أنّه جعلها على هذه الصّفة الّتي هي عليها، كما تقول: جعلت الطّين خزفًا. ومعنى قوله هذا أنّه جعل الظّلمات ظلماتٍ والنّور نورًا، وجعل السّمع سمعًا والأبصار أبصارًا.

٢ـ الاتّصال: ولذلك جُعل طَرَفًا للفعل فتستفتح به، وتقول: جعل يقول: وهذا من أفعال المقاربة والشّروع مثل طفق وأخذ وشرع.

٣ـ الخبر: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا﴾ الزّخرف: ١٩، أي أخبروا بذلك. وهذا عندنا من تشريع النّاس كما يأتي.

٤ـ الحكم: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ التّوبة: ١٩، أي حكمتم بذلك. هذا مثل سابقه من تشريع النّاس.

وقال: له وجوه كثيرة أوردناها في كتاب (الوجوه والنّظائر)، ولم نقف عليه.

وعند الطّوسيّ على أربعة أوجه أيضًا ولم يذكر الآيات:

١ـ إحداث النّفس كجعل البناء والنّساجة وغير ذلك.

٢ـ قلبه كجعل الطّين خزفًا.

٣ـ الحكم كجعله كافرًا أو مؤمنًا.

٤ـ الدّعاء إلى الفعل كجعله صادقًا وداعيًا.

وعند الرّاغب على خمسة أوجه:

١ـ يجري مجرى صار وطفق، فلايتعدّى، نحو: جعل زيدٌ يقول.

٢ـ يجري مجرى أوجَد فيتعدّى إلى مفعول واحد، نحو ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ و﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ و...﴾.

(١) تلخيص مقباس الهداية للمامقانيّ (٧٢).

٣ـ إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ النّحل: ٧٢، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ النّحل: ٨١، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ الزّخرف: ١٠.

٤ـ تصيير الشّيء على حالة دون حالة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ البقرة: ٢٢، ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ النّحل: ٨٢، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ نوح: ١٦، ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣.

٥ـ الحكم بالشّيء على الشّيء حقًّا أو باطلًا، فالحقّ مثل: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧، والباطل نحو: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾ الأنعام: ١٣٦، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ﴾ النّحل: ٥٧، ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الحجر: ٩١، وهذه تشريع من الله أو من غيره.

وعند الزّمخشريّ ثلاثة وجوه: الخلق، والتّصيير، وجعل يفعل. ومثله البيضاويّ.

وعند الطّبرسيّ أربعة وجوه: ١ـ أن يتعدّى إلى مفعولين، وهو التّصيير.

٢ـ الصّنع ويتعدّى إلى مفعول واحد ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١.

٣ـ التّسمية: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا﴾ إبراهيم: ٣٠، أي سمّوا له.

٤ـ جعل يفعل، من أفعال المقاربة.

وعند الفيروزاباديّ نحو ماذكر وأضاف:

٥ـ التّبيين: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣.

٦ـ التّشريف: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣، ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾ المائدة: ٩٧.

٧ـ التّبديل: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ هود: ٨٢.

٨ـ التّحكّم البدعيّ: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الحجر: ٩١.

٩ـ النّسبة مثل: جعلت زيدًا أخاك: نسبته إليك.

١٠ـ الظّنّ مثل: جعل البصرة بغداد: ظنّها إيّاها.

وعند أبي السّعود الإنشاء والإبداع في بعض الآيات. وهذا راجع إلى الإيجاد والخلق.

وعند مجمع اللّغة ترجع معانيه إلى ثلاثة وجوه:

١ـ الخلق والإيجاد.

٢ـ التّصيير حقيقةً أو حكمًا.

٣ـ الحكم والتّشريع والتّقرير.

وعند المصطفويّ أنّها جميعًا ترجع إلى التّقدير والتّدبير بعد الخلق والتّكوين، وفصّلها.

هذه خلاصة نصوصهم فلاحظها، وهي قريبة من بعضها البعض. إلّا أنّ بعضهم أدخل مفهوم السّياق في معنى الجعل، مثل التّشريف والنّسبة والظّنّ والخبر. وكلّها داخل في المعنى العامّ وهو الإيجاد، وليس هو التّقدير والتّدبير كما زعمه المُصطَفَويّ، فلاحظ الأُصول اللُّغويّة.

ثانيًا: أنّ «الجعل» في الآيات ينقسم إلى: ماهو فعل الله وماهو فعل غيره، وإلى تكوينيّ وتشريعيّ، وإلى بسيط ومركّب. ومن مجموع (٣٤٦) آية (١٦١) آية لغير الله، و(٢٨٥) آية لله تكوينًا وتشريعًا فيهما على هذا التّفصيل:

١ـ الجعل التّكوينيّ من الله، وهو نوعان: بسيط

بمعنى «الخلق» فيتعدّى بمفعول واحد، ومركّب بمعنى التّصيير، فيتعدّى بمفعولين.

أمّا البسيط فجاء في آيات مثل: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ الأنعام: ٩٧، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الأعراف: ١٨٩، ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ النّحل: ٧٢، في آيات ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ الرّعد: ٣، ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾ الرّعد: ٣، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ النّحل: ٧٨، في آيات، و﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ يونس: ٦٧، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ الزّخرف: ١٠، ونحوها. فالجعل في أمثالها ممّا جاء بمفعول واحد بمعنى الإيجاد والخلق.

ولك أن تعيد جميعها إلى الجعل المركّب بأن تعتبر الغايات المذكورة فيها بمنزلة المفعول الثّاني للجعل، فمعنى ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يونس: ٦٧، جعل اللّيل سكنًا والنّهار مبصرًا. والشّاهد عليه أنّ كلًّا من اللّيل والنّهار فيها جاء مفعولًا أوّل لفعل (جَعَلَ) فليكن مابعدهما كذلك مفعولًا ثانيًا له.

وإنّما بُدلت غايات إعلامًا بمنافعها لطفًا ومنّةً منه تعالى على العباد.

وكذا ماجاء بسيطًا مع (في) ظرفًا له مثل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ المائدة: ٢٠، ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ يوسف: ٧٠، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ الرّعد: ٣، ﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الفرقان: ٦١، و﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحجّ: ٧٨، ونظائرها، فمناها: جعل ماذكر مستقرًّا في مواضعها.

ومن هذا القبيل: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ مريم: ٢٤، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ الفرقان: ٥٣، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ النّمل: ٦١، ونحوها ممّا بُدّل المفعول الثّاني فيه ظرفًا ومستقرًّا للجعل.

وكذا ماجاء مع (مِنْ) مثل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ النّحل: ٧٢، ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ النّحل: ٨٠، فقد جعل المفعول الأوّل فيها مدخول (مِنْ) فمعنى ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ النّحل: ٧٢، جعل النّساء ـ وهنّ بشر من جنسكم ـ أزواجًا لكم، وماجاء ملاصقًا لـ(مَعَ) أو (على) مثل: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ق: ٢٦، ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ الجاثية: ٢٣، فقد جعل المفعول الثّاني مدخولًا لهما.

ولك أن تؤولها إلى جعل الحقيقة، كما جوّز أبو هلال في ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ النّحل: ٧٨، أنّه جعلها على هذه الصّفة أي جعل السّمع سمعًا والبصر بصرًا. أو كما قال الطّباطبائيّ في ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ...﴾ المائدة: ١٠٣: «الجعل المنفيّ متعلّق بأوصافها دون ذواتها، فإنّ ذواتها مخلوقة لله سبحانه عن غير شكّ، وكذا أوصافها من جهة أنّها أوصاف فحسب، وإنّما الّذي يقبل الإسناد إليه تعالى ونفيه هو أوصافها، من جهة كونها مصادر لأحكام كانوا

يدّعونها لها...» أي هي نفي لمشروعيّتها فيرجع إلى ماقال غيره: أي ماشرّعها، أو إلى قول أبي هلال: أي ماجعل حقائقها بهذه الأوصاف تشريعًا، والمآل واحد.

وقد تردّد المفسّرون في بعض الآيات في تعيين المفعولين، مثل: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ ...نَصِيبًا﴾ الأنعام: ١٣٦، و﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ الحجر: ٢٠، و﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ﴾ الرّعد: ٣٣، و﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزّخرف: ٣، ونحوها، فلاحظ النّصوص.

١ـ الجعل التّكوينيّ من الله بقسميه البسيط والمركّب جاء في كثير ممّا خلق الله في الآفاق والأنفس، إثباتًا لعلمه وقدرته، ورحمته ومنّته. وقد جاءت بعناوينها ورقم آياتها في هذه القائمة دون نصوصها، حذرًا من التّطويل:

جعل الأرض والسّماء: (١٩ آية):

البقرة: ٢٢، طٰه: ٥٣، الزّخرف: ١٠، المؤمن: ٦٤، الملك: ١٥، نوح: ١٩، النّمل: ٦١، فصّلت: ٩و١٠، الأعراف: ١٠، الكهف: ٧، الأنبياء: ٣١و٣٢، المرسلات: ٢٥و٢٧، النّبأ: ٦، المؤمن: ٦٤، الفرقان: ٦١، الحجر: ١٦.

جعل اللّيل والنّهار: (١٠ آيات):

يونس: ٦٧، الفرقان: ٤٧و٦٢)، القصص: ٧١و٧٣، المؤمن: ٦١، الإسراء: ١٢، الأنعام: ٩٦، النّبأ: ٧٢، النّحل: ٨٦.

جعل النّجوم: (آية واحدة): الأنعام: ٩٧.

جعل الشّمس والقمر: (١٣ آية): الأنعام: ٩٦، يونس: ٥، نوح: ١٦.

جعل زوجين لكلّ ثمرة: (آيةٌ واحدةٌ) الرّعد: ٣.

جعل الأزواج والبنين: (آية واحدة) النّحل: ٧٢.

جعل الأنهار: (آية واحدة) الأنعام: ٦.

جعل الإنسان نطفة: (آية واحدة)المؤمنون: ١٣.

جعل الظّلمات والنّور: (٣ آيات) الأنعام: ١و١٢٢، النّور: ٤٠.

جعل السّمع والأبصار والأفئدة: (آيتين) السّجدة: ٩، الملك: ٢٣.

جعل بيوتكم سكنًا: (آية واحدة) النّحل: ٨٠.

جعل جلود الأنعام بيوتًا: (آية واحدة) الأنعام: ٨٠.

جعل كلّ شيء حيّ من الماء: (آية واحدة) الأنبياء: ٣٠.

جعل الجبال أكنانًا: (آية واحدة) النّحل: ٨١.

جعل الفلك والأنعام لتركبوا: (آيتين): المؤمن: ٧٩، الزّخرف: ١٢.

٢ـ التّكوينيّ من غير الله، في مثل: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ يوسف: ٧٠.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ القصص: ٤.

﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّٰهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللّٰهِ﴾ العنكبوت: ١٠.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الفتح: ٢٦.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ الأنبياء: ٥٨.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الحجر: ٩١.

﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ النّمل: ٣٤.

﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ نوح: ٧.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف: ٩٥.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ الشعراء: ٢٩.

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ الأنعام: ٩١.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلٰى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ الكهف: ٩٤.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ البقرة: ١٩.

﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ يوسف: ١٥

٣ـ الجعل التشريعيّ من الله جاء مرّات في مواضيع إثباتًا ونفيًا:

١ـ الكعبة والقبلة: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ...﴾ المائدة: ٩٧

٢ـ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾ البقرة: ١٢٥

٣ـ ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْهِ﴾ البقرة: ١٤٣

ب ـ البحيرة والسائبة:

٤ـ ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة: ١٠٣

ج ـ الظّهار:

٥ـ ﴿...وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ...﴾ الأحزاب: ٤

د ـ الأدعياء:

٦ـ ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ...﴾ الأحزاب: ٤

هـ ـ الموالي:

٧ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾ النساء: ٣٣

و ـ شرعة وشريعة:

٨ـ ﴿...وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ المائدة: ٤٨

٩ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلٰى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية: ١٨

ز ـ قتل النفس والقصاص:

١٠ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء: ٣٣

ح ـ الحكم بين النّاس:

١١ـ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾ ص: ٢٦

ط ـ القرآن، وهو تكوينيّ ملحق بالتّشريعيّ:

١٢ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ فصّلت: ٤٤

١٣ـ ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا...﴾ الشورى: ٥٢

١٤ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزّخرف: ٣

٤ـ الجعل التّشريعيّ من النّاس، وأكثرها راجع إلى الشّرك بالله عقيدةً وتشريعًا:

أ ـ جعل الشّركاء والأنداد لله:

١ـ ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام: ١٠٠

٢ـ ﴿...أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ...﴾ الرّعد: ١٦

٣ـ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ...﴾ الرّعد: ٣٣

٤ـ ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ إبراهيم: ٣٠

٥ ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلّٰهِ أَنْدَادًا...﴾ الزّمر: ٨

٦ـ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٢

٧ـ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ الإسراء: ٢٢

٨ ـ ﴿...وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ الإسراء: ٣٩

٩ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ق: ٢٦

١٠ـ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الأعراف: ١٩٠

ب ـ جعل النّصيب والنّسب لله:

١١ـ ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الأنعام: ١٣٦

١٢ـ ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ الصّافّات: ١٥٨

١٣ـ ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ الزّخرف: ١٥

ج ـ جعل الملائكة إناثًا:

١٤ـ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا...﴾ الزّخرف: ١٩

د ـ جعل الله عرضة لأيمانهم:

١٥ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٤

هـ ـ جعل الله الكعبة كفيلًا:

١٦ـ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّٰهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ النّحل: ٩١

و ـ جعل الحلال والحرام:

١٧ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا...﴾ يونس: ٥٩

ز ـ جعل سقاية الحاجّ كالإيمان بالله:

١٨ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ التّوبة: ١٩

ح ـ جعل الحميّة الجاهليّة:

١٩ـ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾ الفتح: ٢٦

ط ـ جعل القرآن عضين:

٢٠ـ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الحجر: ٩١

ج ف أ

جُفَاءً

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

أبوعمرو ابن‌العلاء: يقال: قد أجفأتِ القِدرُ، وذلك إذا غلت فانصبّ زبَدُها، أو سكنت فلايبق منه شيء. (أبوعُبَيدة ١: ٣٢٩)

الخَليل: جفأ الزّبَد يجفأ جفأ، والاسم: الجُفاء.

وأجفأتِ القِدْر زَبَدها وجفأتْ بـه، أي رَمتْ بـه وطرَحته.

وجفأتُ الرّجل، أي احتملته وضرَبْت به الأرض.

والجُفاء: الزّبَد فوق الماء، قال الله عزّوجلّ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ الرّعد: ١٧. (٦: ١٨٨)

أبـوزَيْد: يـقال: جـفَأتُ الرّجـل، إذا صَرَعْـتَهُ، وأجـفَأتِ القِـدْرُ بـزَبَدها، إذا ألقت زَبَـدها، مـن هـذا اشتقاقه. (الأزهَريّ ١١: ٢٠٨)

ابن الأعرابيّ: يقال: جفَأتُ الغُثاء عن الوادي، وجفَأتُ القِدْر، أي مسَحتُ زَبَدَها الّـذي فـوقها مـن غَلْيها، فإذا أمَرتَ قلت: اجْفَأها.

ويقال: أجفأتِ القِدْر، إذا علا زَبَدها. (الأزهَريّ ١١: ٢٠٧)

تجفّأتِ الأرضُ، إذا رُعيَت.

جفأتُ النّبت واجتفأتُه، إذا قلعته.

تجفّأتِ الأرض، إذا أكل نبتَها الجَدْب.

في قوله: وتجتفِئوا بَقْلًا: تُصيبوا بَقْلًا. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ٢٠٨)

يقال: جفأتُ الغُثاء عن الوادي، أي كشفت.

وأجفأتِ البلاد، إذا ذهَب خيرها، وكذلك تجفّأت. (الصّغانيّ ١: ١٢)

أبوعُبَيْد: في حديث النّبيّ ﷺ في لحـوم الحُـمر الأهليّـة أنّه نهى عنها ونـادى مـناديه بـذلك، قـال:

«فأجفأوا القدور». هكذا يُروى الحديث بالألف، وهو في الكلام: فجفأوا، بغير ألف، ومعناه أنّهم أكفأوها، أي قلبوها. يقال منه: جفأتُ الرّجل وغيره، إذا احتملته، ثمّ ضَرَبْتَ به الأرض. (١: ٣٥٨)

نحوه الأزهَريّ. (١١: ٢٠٨)

ابن السِّكّيت: الجُفاء: ماجفأه الوادي إذا رمى به. (الأزهَريّ ١١: ٢٠٧)

يقال: قد جفأتِ القِدْرُ بزَبَدها، إذا ألقته عند الغليان، وقد جَفَت المرأة ولدها. (إصلاح المنطق: ١٥٦)

الزّجّاج: جفأتُ البابَ أجفَؤه جَفْأً وأجفَأته إجفاءً، إذا أغلَقْتَه. وقال الحِرمازيّ: إذا فتحته. (الصّغانيّ ١: ١٢)

ابن دُرَيْد: جفأتُ الشّيء أجفَؤه جَفْأً، إذا انتزعته. وأصل ذلك أن تنتزع الشُّجيرة من الأرض بأصلها.

وذهب الشّيء جُفاءً، إذا انجفأ فذهب، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ الرّعد: ١٧. (٣: ٢٢٧)

تقول: جَفأتُ الرّجل جَفْأً، إذا صرَعته. (٣: ٢٧٩)

الأزهَريّ: وقال أبوعون الحِرمازيّ: أجفأتُ الباب وجفأته، إذا فتحته. ويقال: جفأتُ القِدْر جَفْأً، وكفَأتُها كَفْأً، إذا قلبتها، فصبَبْتَ مافيها، حكاه النّضر. [ثمّ استشهد بشعر] (١١: ٢٠٨)

الصّاحِب: جفأ الزّبَد فوق الماء والقِدْر، وهو يَجْفَأ جُفُوءً، والجُفاء: الاسم.

وأجفَأتِ القِدْر زَبَدَها تُجفِئُه، وأجْفَأتُها: كفأتها.

ويقال: جفأ الوادي وأجفأ، إذا رمى بجُفَائه وغُثائه.

والجُفاء: الباطل. والخالية من السّفن.

وجاء جُفاءٌ من النّاس، أي طائفة.

وجَفَأتُ به الأرض: طرحته بها وصَرَعْته، وأجفأته أيضًا.

وأجفأ الرّجل: ضعف وانكسر، ويقال: جفأته.

وتجَفّأتِ الأرض، إذا لم يبق فيها بَقْل، وقد رُعي مافيها.

وأجفأ الرّجل ماشيته، إذا أتعَبها بالسَّير ولم يَعْلِفها، فهي مُجفأة. (٧: ١٩٥)

الجَوهَريّ: الجُفاء: مانفاه السّيل، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ الرّعد: ١٧، أي باطلًا.

وجفأ الوادي جَفْأً، إذا رمى بالقَذى والزّبَد، وكذلك القِدْر إذا رَمَتْ بزَبَدها عند الغليان. وأجفأت: لغة فيه.

وجفَأتُ القِدْر أيضًا، إذا كفأتها أو أمَلْتها فصَبَبْتَ مافيها. ولاتقل: أجفأتها. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا الّذي في الحديث: «فأجفَأوا قُدُورهم بما فيها» فهي لغة مجهولة.

وجفَأتُ الرّجل أيضًا: صرَعته.

واجتفأت الشّيء: اقتلعته ورميت به. (١: ٤١)

ابن فارِس: [ذكر المعتلّ وقال:]

وقد اطّرد هذا الباب حتّى في المهموز، فإنّه يقال: جفَأتُ الرّجل، إذا صرَعْتَه فضَرَبْتَ به الأرض واجتفَأتُ البَقْلَة، إذا اقتلعتها من الأرض. وأجفَأتِ القِدْر بزَبَدها، إذا ألقَتْه، إجفاءً، ومنه قوله ﷺ: «مالم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تجتفِئوا بها بَقْلًا» في رواية من يرويها بالجيم.

ومن هذا الباب تجفّأت البلاد، إذا ذهَب خيرها. [ثمّ

استشهد بشعر] (١: ٤٦٦)

الهَرَوِيّ: وفي حديث جرير: «خلق الله الأرض السُّفلى من الزَّبَد الجُفاء» أي من زَبَد اجتمع للماء.

وفي حديث البراء: «انطلق جُفاء من النّاس إلى هذا الحيّ من هوازن» أراد سرعان النّاس، شبّههم بجُفاء السّيل. (٣٦٩)

نحوه ابن الأثير. (١: ٢٧٧)

ابن سيده: جفأ الرّجل جَفْأً: صرعه.

وأجفأ به: طرحه.

وجفأ به الأرض: ضربها به.

وجفأ البُرْمَة في القصعة جَفْأً: أكفأها.

وجفا الوادي يَجفأ جَفْأً: رمى بالزّبد والقَذَر.

وكذلك: جفأتِ القِدْر بزَبَدها، وأجفأت به، وأجفأته.

واسم الزّبَد: الجُفاء، وفي التّنزيل: ﴿فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ الرّعد: ١٧.

والجُفاء: الباطل أيضًا.

وجفأ الوادي: مسح غُثاءه.

وجفأ القِدْر: مسح زَبَدها.

وجفأ البابَ جَفْأً، وأجفأه: أغلقه.

وجفأ البقل والشّجر يجفؤه جَفْأً، واجتفأه: قلعه من أصله.

يقال: اجتفأ الشّيء: اقتلعه ثمّ رمى به. (٧: ٤٩١)

الرّاغِب: قال الله تعالى: ﴿فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ الرّعد: ١٧، وهو مايرمي به الوادي أو القِدْر من الغُثاء إلى جوانبه، يقال: أجفأتِ القِدْر زَبَدها: ألقته إجفاءً، وأجفأتِ الأرض: صارت كالجُفاء في ذهاب خيرها.

وقيل: أصل ذلك الواو لاالهمز، ويقال: جفَتِ القِدْر وأجْفَتْ، ومنه الجَفاء، وقد جَفَوْتُه أجفُوه جَفْوَةً وجَفاءً.

ومن أصله أُخذ: جفا السّرج عن ظهر الدّابّة: رفَعَه عنه. (٩٤)

الزّمَخْشَريّ: ذهب الزّبَد جُفاءً، أي مدفوعًا مرميًّا به، قد جفأه الوادي إلى جنَباته. ويقال: جفَأتِ القِدْر بزَبَدِها، ومرّ جُفاءٌ من العسكر إلى البيات، أي جماعة معتزلة من معظمه. وتقول: سامه جَفاءً ونبذه جُفاءً، إذا عزله عن صُحبته. (أساس البلاغة: ٦١)

الفيروزاباديّ: جفأه كمنَعه: صرَعه، والبُرْمَة في القَصْعَة: كفأها، والوادي والقِدْر: رمَيا بالجُفاء، أي الزّبَد كأجفأ، والقِدْر: مسح زَبَدها، والوادي: مسح غُثاءه، والباب: أغلقه كأجفأه، وفتحه ضدّ. والبقل: قلعه من أصله كاجتفأه.

والجُفاء كغُراب: الباطل، والسّفينة الخالية.

وأجفأ ماشيته: أتعبها بالسّير ولم يعلفها، وبه: طرحه، والبلاد: ذهب خيرها كتجفّأت، والعامَ جَفأةً إبلنا، وهو أن يُنتج أكثرها. (١: ١١)

مَجْمَعُ اللُّغَة: جفأتِ القِدْر تجفأ جَفْأً: رمت بزَبَدها عند الغليان.

وجفأ الوادي غُثاءه: رمى بالزّبَد والقَذَى.

والجُفاء: ماجفَأته القِدْر أو جفأه الوادي.

وذهب الزّبَد جُفاءً، أي مدفوعًا مرميًّا به لابقاء له. (١: ٢٠١)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ١٠٨)

المُصْطَفَويّ: [سيأتي في جفو]

النّصوص التّفسيريّة

جُفَاءً

...فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً... الرّعد: ١٧

مُجاهِد: جمودًا في الأرض. (الطّبَريّ ١٣: ١٣٦)

قَتادَة: يتعلّق بالشّجر، فلايكون شيئًا، مثل الباطل. (الطّبَريّ ١٣: ١٣٦)

ابن إسحاق: مرميًّا. (الماوَرْديّ ٣: ١٠٧)

الفَرّاء: قوله: ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ ممدود، أصله: الهمزة، يقول: جفأ الوادي غُثاءه جَفْأً. وقيل: الجُفاء، كما قيل: الغُثاء؛ وكلّ مصدر اجتمع بعضه إلى بعض، مثل القُماش والدّقاق والغُثاء والحُطام، فهو مصدر، ويكون في مذهب اسم على هذا المعنى، كما كان العطاء اسمًا على الإعطاء، فكذلك الجُفاء والقُماش، لو أردت مصدره قلت: قَمَشته قَمْشًا. والجُفاء، أي يذهب سريعًا كما جاء. (٢: ٦٢)

ابن قُتَيْبَة: والجُفاء: مارمى به الوادي إلى جَنَباته، يقال: أجفأتِ القِدْرُ بزَبَدها، إذا ألقت زَبَدها عنها. (٢٢٧)

نحوه السِّجستانيّ. (٩٧)

الطّبَريّ: وقد زعم بعض أهل العربيّة من أهل البصرة، أنّ معنى قوله: ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ تنشفه الأرض، ويقال: جفا الوادي وأجفى في معنى نشف، وانجفى الوادي، إذا جاء بذلك الغُثاء، وغثى الوادي، فهو يغثي غَثْيًا وغثيانًا.

وذكر عن العرب أنّها تقول: جفأتُ القِدْر أجفؤها، إذا أخرجت جفاءها، وهو الزّبد الّذي يعلوها، وأجفأتها إجفاء: لغة. قال: وقالوا: جفأتُ الرّجل جَفْأً: صرعته.

وقيل: ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ بمعنى جَفْأً، لأنّه مصدر من قول القائل: جفأ الوادي غُثاءه، فخرج مخرج الاسم وهو مصدر. [ثمّ ذكر نحو الفرّاء] (١٣: ١٣٨)

الزّجّاج: أي فيذهب ذلك لاينتفع به، والجُفاء: ماجفأ الوادي، أي رمى به. (٣: ١٤٥)

النّحّاس: قال أبوزَيْد: وكان رُؤْبة يقرأ (فَيَذْهَبُ جُفَالًا) يقال: جفلت الرّيحُ السّحاب، إذا قطّعته وأذهبته. (٣: ٤٨٩)

الرُّمّانيّ: جافيًا على وجه الأرض. (الماوَرْديّ ٣: ١٠٧)

الطُّوسيّ: إخبار منه تعالى أنّ الزّبد الّذي يعلو على الماء والنّار يذهب باطلًا وهالكًا، والجُفاء ممدود مثل الغُثاء، وأصله: الهمز. (٦: ٢٤٠)

البَغَويّ: أي: ضائعًا باطلًا، والجُفاء: مارمى به الوادي من الزّبد، والقِدْر إلى جنباته. [إلى أن قال:]

معناه: أنّ الباطل وإن علا في وقت فإنّه يضمحلّ. وقيل: (جُفاءً) أي متفرّقًا، يقال: جفأت الرّيحُ الغيمَ، إذا فرّقته وذهبت به. (٣: ١٤)

نحوه الخازن. (٤: ١٣)

المَيْبُديّ: أي باطلًا من جفأتِ القِدْر وأجفأت، إذا غلَت وعلا زَبَدها، فإذا سكنت لم يبق منه شيء. وبناء «فُعال» ممّا يُرمى ويُطرح. وقيل: جفأ الوادي

وأجفأ، إذا نشف. (٥: ١٨٦)

الزّمَخْشَريّ: (جُفَاء) يجفؤه السّيل، أي يرمي به، وجفَأَتِ القِدْر بزَبَدها، وأجفأ السّيل وأجفل. وفي قراءة رؤبة ابن العجّاج (جُفالًا). (٢: ٣٥٦)

نحوه أبوحَيّان. (٥: ٣٥٨)

ابن عَطيّة: (جُفَاءً) مصدر من قولهم: أجفأتِ القِدْر، إذا غلت حتّى خرج زَبَدها وذهب. (٣: ٣٠٨)

الطَّبْرِسيّ: أي باطلًا متفرّقًا، بحيث لايُنتفع به. (٣: ٢٨٧)

الفَخْرالرّازيّ: والمعنى: أنّ الزّبَد قد يعلو على وجه الماء ويربو وينتفخ، إلّا أنّه بالآخرة يضمحلّ، ويبقى الجوهر الصّافي من الماء ومن الأجساد السّبعة. فكذلك الشّبهات والخيالات قد تقوى وتعظم، إلّا أنّها بالآخرة تبطل وتضمحلّ وتزول، ويبقى الحقّ ظاهرًا لايشوبه شيء من الشّبهات.

وفي قراءة رؤبة بن العجّاج (جُفالًا) وعن أبي‌حاتم: لايُقرأ بقراءة رؤبة، لأنّه كان يأكل الفأر. (١٩: ٣٧)

نحوه الآلوسيّ. (١٣: ١٣١)

البَيْضاويّ: يجفأ به، أي يرمي به السّيل أو الفلزّ المذاب، وانتصابه على الحال، وقرئ (جُفالًا) والمعنى واحد. (١: ٥١٨)

نحوه أبوالسُّعود. (٣: ٤٥٠)

النّسَفيّ: (جُفَاءً) حال، أي متلاشيًا، وهو ماتقذفه القِدْر عند الغليان، والبحر عند الطّغيان، والجَفْء: الرّمي، وجفأتُ الرّجل: صرعته. (٢: ٢٤٧)

ابن كَثير: أي لايُنتفع به بل يتفرّق ويتمزّق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلّق بالشّجر، وتنسفه الرّياح، كذلك خَبث الذّهب والفضّة والحديد والنّحاس، يذهب ولايرجع منه شيء ولايبقى إلّا الماء، وذلك الذّهب ونحوه يُنتفع به. (٤: ٨٢)

نحوه القاسميّ (٩: ٣٦٦٧)، والمَراغيّ (١٣: ٨٨).

مكارم الشّيرازيّ: الجفاء، بمعنى الإلقاء والإخراج، ولهذا نكتة لطيفة، وهي أنّ الباطل يصل إلى درجة لايمكن فيها أن يحفظ نفسه. وفي هذه اللّحظة يُلقى خارج المجتمع. وهذه العمليّة تتمّ في حالة هيجان الحقّ، فعند غليان الحقّ يظهر الزّبَد ويطفو على سطح ماء القِدْر، ويقذف إلى الخارج. وهذا دليل على أنّ الحقّ يجب أن يكون في حالة هيجان وغليان دائمًا، حتّى يُبعَد الباطل عنه. (٧: ٣٢٣)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُفاء، أي الزّبَد والغُثاء، يقال: جفَأ الوادي غُثاءه يَجفأ جَفْأً، أي رمى بالزّبَد والقذى، وجفَأتُ الغُثاء عن الوادي: كشفته، وكذا جفَأتُ القِدْر، أي مسحتُ زَبَدها الّذي فوقها من غَلْيها، وجفَأتْ هي: رَمَتْ بزَبَدها عند الغليان، وأجفأتْ به وأجفأتْه.

وجفَأ الرّجل جَفْأً: صرَعَه، وأجفأ به: طرَحَه، وجفأ به الأرض: ضربها به، وهو تشبيه بطرح القِدْر زَبَدها ورميها له عند الغليان.

وجفَأ البقل والشّجَر يَجفؤه جَفْأً واجتفأه: قلَعه من أصله، وتسهّل همزته أيضًا، فيقال: جفَوتُ البقل

وجَفَيتُه واجتفيتُه، وذكره بعضهم في مادّة «ج ف و» أيضًا، وهو ليس منها.

وتجفّأتِ الأرض: رُعِيتْ، وتجفّأتِ البلاد: ذهَب خيرُها، وكلاهما مشتقّ من قولهم: جفَأ البقل، أي قلعه من أصله.

٢ـ وأمّا قولهم: جفَأ البُرْمَة في القصعة جَفْأً، أي أكفأها، أو أمالها، فصبّ مافيها، فهو من «ك ف أ». يقال: كفَأ الشّيء والإناء وأكفأه وكفّأه واكتفأه، أي قلبه وأماله.

وإبدال الكاف جيمًا مشهور بين العرب قديمًا وحديثًا، نحو: السّهج والسّهك: مرور الرّيح. يقال: ريحٌ سَيْهكٌ وسَيْهَجٌ، وريحٌ سَيْهُوكٌ وسَيْهوجٌ، أي شديدة.

وتُبدل الكاف جيمًا مفخّمة في كثير من المفردات في اللّهجة العراقيّة، نحو: كبير وجبير، وبكر وبجر، وبحوك وبحوج. ومنها ضمير الخطاب المؤنّثة مفردًا وجمعًا، نحو: كتابكِ وكتابج، وكتابكن وكتابجن. وهي من اللّغات غير الفصيحة لأهل اليمن، فهم يقولون في الكعبة: الجعبة[1]، إلّا أنّ أهل العراق لايتابعونهم في كلّ ذلك، بل يلفظون الكاف صحيحة في أغلب كلامهم، نحو: الكعبة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد في سورة الرّعد المدنيّة عند القوم، ولاشاهد لها. لاحظ المدخل: فصل مكّيّ السّور ومدنيّها:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾

الرّعد: ١٧

يلاحظ أنّ في الآية بحوثًا:

١ـ اضطربت كلماتهم في أنّ (جُفَاءً) مصدر، أو اسم مصدر، أو وصف بمعنى المرميّ، أو اسم للزّبد. قال الفرّاء: «كلّ مصدر اجتمع بعضه إلى بعض مثل القُماش والدُّقاق والحُطام فهو مصدر، ويكون في مذهب اسمًا على هذا المعنى، كما كان العطاء اسمًا على الإعطاء، فكذلك الجُفاء والقُماش، لو أردت مصدره قلت: قَمَشْتُه قَمْشًا. ويبدو أنّه مصدر انتقل إلى الاسم والصّفة». وقال الطّبَريّ: «خرج مخرج الاسم وهو مصدر».

٢ـ واضطربت كلماتهم في معناها أيضًا مثل: جُمودًا في الأرض، ماتعلّق بالشّجر، غُثاءً، ماذهب سريعًا كما جاء، مارمى به الوادي إلى جنباته، الزّبد الّذي يعلو القِدْر إذا غلى، متفرّقًا، متلاشيًا...

والظّاهر أنّ كلّها تفسير باللّازم، أمّا الزّبد فقد جاء اسمًا في الآية لما يعلو الوادي والقِدْر كلاهما، وجاء «الجُفاء» حالًا توصيفًا للزّبد، وليس عينه حيث قال: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾، ويقابله ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ فالجُفاء مالانفع فيه كالزّبد، أو قُل: مرميًّا متفرّقًا، مايذهب سريعًا. ويؤيّده قول البَيْضاويّ: «يُجفَأ أي يُرمَى به» وقول النّسَفيّ: «الجفء:

---

(١) «المزهر» للسّيوطيّ (١: ٢٢٢).

الرّمي» وقد فسّرها «مكارم» بالإلقاء والإخراج، وهو سهو لأنّها لازم وليست متعدّية.

٣ـ ولاريب أنّها ـ في الآية ـ مثل للباطل قبال الحقّ ﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ كما أنّ صدر الآية: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ مثل لما فطر الله عليه الأشخاص والأشياء من الطّبيعة والقابليّة. وقد أطال بعض المفسّرين في بيانه، لاحظ النُّصوص.

٤ـ استظهر «مكارم» نكتة من الآيـة، وهي «أنّ الباطل ينتهي إلى درجة لايحفظ نفسه، فيُلق في خارج المجتمع، وذلك عند هيجان الحقّ، فلابدّ أن يكون الحقّ دائمًا في حالة الهيجان دافعًا للباطل».

ولاندري من أين قيّد بقاء الحقّ بالهيجان، فإنّ صريح الآية أنّ ذهاب الباطل وبقاء الحقّ من طبيعتهما، لامن هيجان الحقّ وانضعاف الباطل تدريجًا.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ف ن

جِفان

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَفْن: ضَرْب من العنب، ويقال: هو نفس الكَرْم، بلُغة اليمن.

ويقال: الجَفْن والجَفْنة: قضيب من الكَرْم.

والجَفْنة: الّتي للطّعام، وجمعها: الجِفان.

والجَفْن: للسّيف والعين، وجمعها: جُفُون.

وجَفْنة: قبيلة من اليمن، ملُوك بالشّام. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ١٤٦)

الأصمَعيّ: الجَفْنة: الأصل من أصول الكَرْم، وجمعها: الجَفْنُ، وهي الحَبَلة.

الجَفْن: ظَلْف النّفس عن الشّيء الدّنيء، يقال: جفنَها جَفْنًا. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَري ١١: ١١٢)

اللِّحيانيّ: لُبّ الخُبْز مابين جَفْنَتيه، وجَفنا الرّغيف: وَجْهاه من فوق ومن تحت. (الأزهَريّ ١١: ١١٣)

ابن الأعرابيّ: الجَفْن: الكَرْم، والجَفْن: جَفْن العين، والجَفْن: جَفْن السّيف الّذي يُغمَد فيه، والجَفْنة: معروفة، وتُجمع: جِفانًا، والعدد: الجَفَنات.

وآل جَفْنة: ملوك من أهل اليمن، كانوا استوطنوا الشّام. [ثمّ استشهد بشعر]

التّجفين[1]: كثرة الجماع، وقال أعرابيّ: أضواني دوام التّجفين. (الأزهَريّ ١١: ١١٢)

الجَفْن: قِشرُ العِنَب الّذي فيه الماء، ويسمّى الخمر: ماءَ الجَفْن، والسّحاب: جَفْن الماء.

الجَفْنة: الكَرْمة، والجَفْنة: الخمر، والجَفْنة: الرّجل الكريم، وأجفَن، إذا أكثرَ الجماع.

(الأزهَريّ ١١: ١١٣)

الدِّينَوَريّ: ومن الشّجر الطّيّب الرّيح: الجَفْن

(١) كذا، والظّاهر: التّجفين.

والغار، والجَفْن أيضًا: جَفْن الكَرْم.

(الأزهَريّ ١١: ١١٢)

وقال بعض الأعراب: هي صُلْبَة صغيرة مثل التَّيْشُوم، ولها عيدان صلاب رِقاق قِصار، وورقها أخضر أغبر، ونباتها في غِلَظ الأرض، وهي أسرع البقل نباتًا إذا مُطِرت، وأسرعها هَيْجًا.

(ابن سيده ٧: ٤٥٧)

ابن دُرَيْد: الجَفْن: جَفْن السّيف، والجَفْن: جَفْن العين.

وقد فصّل بينها قوم من أهل اللّغة فيما زعموا، فقالوا: جَفِن السّيف، وَجَفَن العين، ولاأدري ماصحّته.

والجَفْنَة: معروفة، والجَفْن: الكَرْم، وقال قوم: بل أصل الكَرْم: جَفْنَة.

وبنو جَفْنَة: حيّ من العرب، وجمع الجَفْنَة: جِفان، وجِفَنات في أدنى العدد، وجمع الجَفْن: جُفُون وأجفان، وأجفُن في أدنى العدد.

ويقال: جَفَن الرّجل نفسه عن كذا وكذا،إذا ظَلَفها عنه. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٠٨)

الأزهَريّ: وفي حديث عمر: «أنّه انكسرت قلوصٌ من نَعَم الصّدقة فَجفَنها». معنى جفَنها، أي نحرها وطبخها، وأطعم لحمها في الجِفان، ودعا عليها النّاس حتّى أكلوها. [ثمّ استشهد بشعر]

[ونقل القول الثّاني للأصمعيّ، وقال:]

قال أبوسعيد: لاأعرِفُ الجَفْن بمعنى ظَلْفِ النّفس.

ومن أمثالهم: «وعند جُفَيْنَة الخبر اليقين».

وقال ابن السِّكّيت: ولاتقل: «جُهَيْنَة». وجُفَيْنَة اسم رجل في المثَل. (١١: ١١٣)

الصّاحِب: الجَفْن: جَفْن العين والسّيف، وضَرْب من العِنَب، وقيل: نفس الكَرْم وورقه.

وظَلْفُ النّفس عن الشّيء: جفَن نفسَه.

وجَفْنَة الطّعام: معروفة.

وجَفْنَة: قبيلة من اليمن، ملوك.

والتّجفين: إطعام النّاس، جَفَّنَ فلان لفلان: اتّخذ له طعامًا. [ثمّ ذكر حديث عمر]

وجُفَيْنَة في قولهم: «عند جُفَيْنَة الخبر اليقين» هو رجل كان عنده علم رجل مقتول. (٧: ١٢٦)

الجَوهَريّ: الجَفْن: جَفْنُ العين، والجَفْن أيضًا: غِمْد السّيف، والجَفْنُ: اسم موضع.

والجَفْن: قضبان الكَرْم، الواحدة: جَفْنَة.

والجَفْنَة كالقَصْعَة، والجمع: الجِفان والجَفَنات بالتّحريك، لأنّ ثانيَ «فَعْلَة» يحرّك في الجمع إذا كان اسمًا، إلّا أن يكون ياءً أو واوًا، فيسكّن حينئذ.

وجَفْنَة: قبيلة من اليمن. [ثمّ بحث حول قولهم: «وعند جُفَيْنَة الخبر اليقين» أنّه جُفَيْنَة أو جُهَيْنَة]

(٥: ٢٠٩٢)

نحوه الطُّرَيحيّ. (٦: ٢٢٥)

ابن فارِس: الجيم والفاء والنّون أصل واحد، وهو شيء يُطيف بشيءٍ ويَحْويه. فالجَفْن: جَفْن العين، والجَفْن: جفن السّيف. وجَفْنٌ: مكانٌ. وسمّي الكَرْم جَفْنًا لأنّه يدور على مايعلق به، وذلك مُشاهَد. (١: ٤٦٥)

الهَرَويّ: وفي الحديث: «أنّه قيل له: أنت كذا وأنت كذا وأنت الجَفْنَة الغرّاء» معناه: أنّ العرب كانت

تدعو السّيّد المِطعام جَـفْـنَة، لأنّه يضعُها ويُطعم النّاس فيها، فسمّي باسمها. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣٧١)

الثّعالبيّ: الجفْن: غلاف السّيف. (١٣٨)

أبوسهل الهَرَويّ: الجَـفْـنَة بفتح الجيم: القَصْعَة العظيمة من الخشب. (٤٦)

نحوه مَجْمَعُ اللُّغة (١: ٢٠١)، ومحمّد إسماعيل (١: ١٠٨).

ابن سيده: الجفْن: غِطاء العين من أعلى وأسفل.

والجمع: أجفُن، وأجفان، وجُفُون.

وإنّه لشديد جَفْن العين، أي يغلبه النّوم.

وجفْن السّيف: غِمْده. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَـفْـنَة: أعظم مايكون من القِصاع، والجمع: جِفان، وجِفَن عن سيبويه كهَضْبَة وهِضَب.

وجفَن الجزور: اتّخذ منها طعامًا. [إلى أن قال:]

والجَـفْـنَة: ضَرْب من العِنَب.

والجَـفْـنَة: الكَرْم، وقيل: أصله، وقيل: قضيب من قضبانه، وقيل: ورقه. والجمع من كلّ ذلك: جَفْن. [ثمّ استشهد بشعر]

وجفّن الكَرْم، وتجفّن: صار له أصل.

والجَفْن أيضًا من الأحرار: نبتة تَـنْـبُت متسطّحة، وإذا يبست تقبّضت واجتمعت، ولها حَبّ كأنّه الحُلْبة.

وأكثر منبتها الآكام، وهي تبق سنين يابسة، وأكثر راعيتها الحُمُر والمِعزى.

وجفَن نفسه عن الشّيء: ظلَفها. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَـفْـنَة: قبيلة من الأزد.

وجُفَيْنَة: اسم خمّار، وفي المَثَل: «وعـند جُـفَيْـنَـة الخبر اليقين» كذا رواه أبوعُبَيْد وابن السّكّيت.

قال ابـن السّكّـيت: ولاتـقل: «جُـهَيْنَة». وكـان أبوعُبَيْدَة يرويه «حُفَيْنَة» بالحاء غير معجمة. (٧: ٤٥٦)

الجفْن: مارتق من الكَرْم في الشّجر فتجفّن به، أي تمكّن. (الإفصاح ٢: ١١٢٦)

الرّاغِب: الجَـفْـنَة: خُـصّتْ بـوعاء الأطـعمة، وجمعها: جِفان، قال عزّوجلّ: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾، وفي حديث: «وانتِ[1] الجَـفْـنَة الغـرّاء» أي الطّعام، وقيل: للبئر الصّغيرة: جَفْنَة، تشبيهًا بها.

والجَفْنُ: خُصّ بـوعاء السّـيف والعـين، وجمـعه: أجفان، وسمّي الكَرْم جَفْنًا تصوّرًا أنّه وعاءُ العِنَب. (٩٤)

الزّمَخْشَريّ: بنو فلان يَقْرُون في الجِفان. وجفَنوا: صنعوا جِفانًا، وجفَن فلان لفلان، وأتِنا نُجفّنْ لك. [ثمّ ذكر حديث عمر]

وتجفّن فلان: انتسب إلى آل جَفْنَة.

وشـرب فلان ماء الجَفْن، وهـو الكَـرْم، والجَـفْنَة: الكَرْمة.

وتحالفوا عـلى القـتال فـفضّوا أجـفانهم، وغـضّوا أجفانهم، أي كسروا غمودَهم.

ومن المجاز: أنت الجَفْنَة الغرّاء: للجواد المِضياف. [ثمّ استشهد بشعر]

ولُبّ الخبز: مابين جَفْنَيه، وهما وجهاه. (أساس البلاغة: ٦١)

[وفي حديث] «وأنت الجَـفْـنَة الغـرّاء»، شـبّهوه

---

(١) أوردها أكثر اللّغويّين: أنت.

بالجَفْنَة الغَرّاء، وهي البيضاء من الدَّسم، نعتًا له بأنّه مِضياف مِطعام، أو أرادوا: أنت ذو الجَفْنَة. [ثمّ استشهد بشعر] (الفائق ١: ٢٢٠)

المَدينيّ: في حديث أبي قَتادَة، رضي الله عنه: «نادِ، ياجَفْنَة الرَّكب» أي ياصاحب جَفْنَة الرّكب، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه. لعلمهم بأنّ «الجَفْنَة» لاتنادَى ولاتُجيب ولاتحضر، إرادةً للتّخفيف في الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢. (١: ٣٣٦)

ابن الأثير: وفي حديث الخوارج: «سُلّوا سيوفكم من جفُونها» جفُون السّيوف: أغمادها، واحدها: جَفْن. (١: ٢٨٠)

الفَيُّوميّ: جَفْن العين: غطاؤها من أعلاها وأسفلها، وهو مذكّر، وجَفْن السّيف: غلافه، والجمع: جُفُون، وقد يُجمَع على أجفان.

وجَفْنَة الطّعام: معروفة، والجمع: جِفان، وجفنات، مثل كَلْبَة وكلاب وسَجَدات. (١: ١٠٣)

الفيروزاباديّ: الجَفْن: غطاء العين من أعلى وأسفل، والجمع: أجْفُنٌ وأجفان وجُفُون، وغِمْد السّيف ويُكسَر، وأصل الكَرْم أو قُضْبانه أو ضرب من العِنَب، وظَلَفُ النّفس من المَدانس، وشجر طيّبُ الرّيح، وموضع بالطّائف.

والجَفْنَة: الرّجل الكريم، والبئر الصّغيرة، والقَصْعَة. جمعها: جِفان وجفنات، وقبيلة باليمن.

وجفَن النّاقة: نَحَرها وأطعم لحمها في الجِفان.

وجفّن تجفينًا وأجفَن: جامَع كثيرًا.

«وعند جُفَينَة الخبر اليقين» هو اسم خمّار، ولاتقل: «جُهَينَة».

أو قد يقال لأنّ حُصَيْنَ بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب خرج ومعه رجل من بني جُهَيْنَة يقال له: الأخنس، فنزلا منزلًا، فقام الجُهَنيّ إلى الكلابيّ فقتله وأخذ ماله. وكانت صَخرَة بنت عمرو بن معاوية تبكيه في المواسم، فقال الأخنس:

تسائِل عن حُصَينٍ كلّ رَكْبٍ
وعند جُهينَة الخبرُ اليقين (٤: ٢١١)

الزَّبيديّ: قال شيخنا رحمه الله تعالى: «ومن أبدَع الجِناس وألطفه أنشدنيه شيخنا الإمام محمّد بن الشّاذليّ رحمه الله تعالى:

أجفانهم نفت الغرار كما انتفى
ماضي الغرار بهم من الأجفان.

الغرار الأوّل: النّوم، والثّاني: حدّ السّيف، وأجفان الأوّل: أجفان العين، والثّاني: الأغماد. (٩: ١٦٢)

محمود شيت: أ ـ الجَفْن: غِمْد السّيف، وغِمْد الخِنْجَر، وغِمْد الحربة.

ب ـ الجَفْنَة: القَصْعَة الّتي يتناول فيها الجنود طعامهم. (١: ١٤٤)

المُصْطَفَويّ: قال في اللّسان: «الجَفْنَة: أعظم مايكون من القِصاع». وهذا المعنى بمناسبة الأصل في هذه المادّة؛ وهو مايحيط ويُطيف بشيء كالغلاف، وغطاء العين، والقَصْعَة الكبيرة باعتبار إحاطتها، فهي كغِطاء العين. (٢: ٩٦)

النُّصوص التّفسيريّة

جِفَان

يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ... سبأ: ١٣

مُجاهِد: صِحاف. (الماوَرْديّ ٤: ٤٣٩)

مثله البَيْضاويّ (٢: ٢٥٧)، والمشهديّ (٨: ٢٥٧)، ونحوه أبوالسُّعود (٥: ٢٥١)، والطَّباطَبائيّ (١٦: ٣٦٣).

الفَرّاء: وهي القصاع الكبار. (٢: ٣٥٦)

نحوه الطُّوسيّ (٨: ٣٨٣)، والبغَويّ (٣: ٦٧٤)، والمَيْبُديّ (٨: ١١٨)، والمَراغيّ (٢٢: ٦٥).

الطَّبْرِسيّ: أي صِحاف كالحياض الّتي يُجبى فيها الماء، أي يُجمع، وكان سليمان عليه السلام يُصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان، فإنّه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قِصاع النّاس لكثرتهم.

وقيل: إنّه كان يجمع على كلّ جَفْنَة ألف رجل يأكلون بين يديه. (٤: ٣٨٣)

الفَخْرالرّازيّ: وقدّم «الجِفان» في الذّكر على «القدور» مع أنّ القدور آلة الطّبخ والجفان آلة الأكل، والطّبخ قبل الأكل؟

فنقول: لمّا بيّن الأبنية الملكيّة أراد بيان عظمة السّماط الّذي يُمدّ في تلك الدّور، وأشار إلى «الجفان» لأنّها تكون فيه، وأمّا «القدور» فلاتكون فيه، ولاتحضر هناك، ولهذا قال: ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ أي غير منقولات. ثمّ لمّا بيّن حال الجِفان العظيمة، كان يقع في النّفس أنّ الطّعام الّذي يكون فيها في أيّ شيء يطبخ، فأشار إلى القدور المناسبة للجِفان. (٢٥: ٢٤٨)

نحوه أبوحَيّان. (٧: ٢٦٥)

الشِّربينيّ: أي قِصاع وصِحاف يؤكل فيها، واحدتها: جَفْنَة. (٣: ٢٨٧)

البُرُوسَويّ: (وَجِفَانٍ) وهي جمع جفنة، وهي القَصْعَة العظيمة، فإنّ أعظم القصاع الجَفْنَة، ثمّ القَصْعَة تليها، تُشبع العشرة، ثمّ الصّحفة تُشبع الخمسة، ثمّ المِئكلة تُشبع الرّجلَين والثّلاثة، ثمّ الصُّحَيفة تُشبع الرّجل. فتفسير الجفان بالصّحاف ـ كما فعله البعض ـ منظور فيه. (٧: ٢٧٥)

الآلوسيّ: و(جِفَان): جمع جَفْنَة، وهي مايوضع فيها الطّعام مطلقًا، كما ذكره غير واحد. [وأدام الكلام نحو البُرُوسَويّ وأضاف:]

وعليه فالمراد هنا المطلق لظاهر قوله تعالى: (كَالْجَوَابِ). (٢٢: ١١٩)

مثله القاسميّ. (١٤: ٤٩٤٣)

عِزّة دَرْوَزَة: (جِفَان): جمع جَفْنَة وهي طبق الطّعام الكبير. (٥: ٣٥)

مكارم الشّيرازيّ: (جِفَان): جمع جَفْنَة، بمعنى إناء الطّعام. (١٣: ٣٧٣)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَفْن، أي غطاء العين من أعلى وأسفل، والجمع: أجفُن وأجفان وجُفُون؛ يقال: إنّه لشديد جَفْن العين، أي يغلبه النّوم. والجَفْن أيضًا: غِمْد السّيف، لأنّه يحويه. وجَفْنا الرّغيف: وجهاه من فوق

ومن تحت، يقال: «لُبّ الخبز مابين جفنَيه» تشبيهًا بجَفنَيِ العين.

والجَفْنَة: القَصْعَة الكبيرة، وهي أعظم القِصاع، لأنّها تحوي مايُطبخ فيها، والجمع: جِفان وجِفَن، يقال: جفَن الجَزُور، أي نحرَها وطبخَها واتّخذ منها طعامًا، وجعَل لحمَها في الجِفان، ودعا عليها النّاس حتّى أكلوها.

وهي أيضًا الرّجل الكريم، لأنّه يضعها ويُطعم النّاس فيها، فسمّي باسمها.

والجفْن: ظَلْف النّفس عن الشّيء الدّنيء، أي منعها عنه كما يمنع جَفْن العين مايضرّها، يقال: جفَن الرّجل نفسه عن كذا جَفْنًا، أي ظلَفها ومنَعها.

والتّجفين: كثرة الجماع؛ قال أعرابيّ: أضواني دوام التّجفين، وأجفَن فلان: أكثر الجماع، سمّي بذلك لأنّ الغطاء يحويه.

٢ـ وقال الخليل: «الجَفْن: ضَرْب من العنب، ويقال: هو نفس الكرم بلغة اليمن».

وتكلّم بعض في سبب تسميته بذلك، فقال ابن فارس: «لأنّه يدور على مايعلق به»، وقال الرّاغب: «تصوّرًا أنّه وعاء العنب».

ويُنبئ قول الخليل: «الكرم بلغة اليمن» بأنّه لغة غير مشهورة، فليس من الصّواب أن يُقحم في هذه المادّة؛ لأنّها تشذّ عن الأصل، كما يستشفّ من تعليلَي ابن فارس والرّاغب.

والجفْن بهذا المعنى أعرف في سائر اللّغات السّاميّة، كالعبريّة والآراميّة والسّريانيّة والآثوريّة، وينسب اللّغويّون بعض اللّغات أحيانًا إلى أهل اليمن، وهي في الأصل ساميّة غير عربيّة.

٣ـ كما ذكر أبوحنيفة الدّينوريّ لفظ «الجفْن» اسمًا لبعض كبار الشّجر ودقاقها، وصوابه «الكفْن»، وهو ضرب من الإبدال، انظر مادّة «ج ف أ».

٤ـ وممّا يجدر ذكره أنّ بين «ج ف ن» و«ك ف ن» اشتقاقًا أكبر؛ إذ الجَفْن والكَفْن بمعنى واحد، وهو التّغطية، فمن الثّاني: الكَفَن، وهو ثوب الميّت، وفي الحديث: «فأهدى له شاةً وكفَنها» أي مايغطّيها من الرُّغفان، يقال: كَفَنتُ الخبزة في المَلّة، أي واريتها بها.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد اسمًا مجموعًا، في سورة مكّيّة:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اِعْمَلُوا اٰلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ: ١٣

ويلاحظ أنّ في الآية بحوثًا:

١ـ الجفان: جمع جَفْنَة، وكانت ممّا يعمله الجنّ لسليمان، فإنّ ضمير الجمع في (يَعْمَلُونَ) راجع إلى الجنّ في الآية السّابقة.

٢ـ إردافها بالمحاريب ـ وهي بيوت شريفة ـ والتّماثيل، وكذلك تشبيهها بـ(الجَوَابِ) وهي الحياض الكبار، وبـ﴿قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ وهي القدور الكبار الرّاسية في مكانها، كلّ ذلك دلّ على أنّ «الجفان» كانت صِحافًا كبارًا جدًّا يأكل منها جماعة؛ وبذلك يبطل ماقيل: من أنّها مطلق مايوضع فيه الطّعام، فلو كانت كذلك في أصل اللّغة، ولكنّ المراد بها في الآية الكبار منها.

قال الفرّاء وغيره: «هي القِصاع الكبار» أو «طبق الطّعام الكبير». وقال الطَّبْرِسيّ: «كان سليمان عليه السلام يُصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان، فإنّه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصاع النّاس لكثرتهم، وقيل: إنّه كان يجمع على كلّ جَـفْـنَة ألف رجل يأكلون بين يديه».

وقال البُرُوسَويّ: «وهي القَـصْعَة العظيمة، فإنّ أعظم القِصاع الجَـفْـنَة، ثمّ القصعة تليها تُشبع العشرة، ثمّ الصّحفة تشبع الخمسة، ثمّ المِئكَلة تشبع الرّجلين والثّلاثة، ثمّ الصُّحَيفَة تُشبع الرّجل، ثمّ قال: فتفسير الجفان بـ«الصّحاف» كما فعله البعض منظور فيه...»

٣ـ أثار الفَخْر الرّازيّ سؤالاً: «لِمَ قدّم الجفان على القدور في الذّكر مع أنّ القدور آلة الطّبخ، والجفان آلة الأكل، والطّبخ مقدّم على الأكل؟

وأجاب بأنّها لمّا بيّنت الأبنية الملَكيّة أراد بيان عظمة السّماط الّذي يُمدّ في تلك الدّور، والجفان فيها، وأمّا القدور فلم تكن فيها ولاحاضرة معها، ولهذا قال: ﴿قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ أي غير منقولات، وكانت في المطبخ. وكان يقع في النّفس أنّ الطّعام الّذي كان فيها في أيّ شيءٍ يُطبخ؟ فأشار إلى القدور الكبار المناسبة لتلك الجفان».

ونحن نزيد عليه: «أنّ القُدُور الرّاسِيَات» مع (الْجَوَاب) جاءت لتشبيه «الجفان» بها، رمزًا إلى المماثلة بين مايؤكل فيه ومايُطبخ فيه، لا أنّها كانت ممّا يعملها الجنّ له. و(الْجَوَاب) رمز إلى كمّيّة الماء اللّازم في طبخ هذا المقدار من الطّعام، وكان في حياض كبيرة إلى جانب القدور الرّاسيات.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج ف و

تتجافى

لفظ واحد، مرّة واحدة في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جفا الشّيء يجفو جَفاءً، ممدود، كالسّرج يجفو عن الظّهر، إذا لم يلزم الظّهر، وكالجَنْب يجفو عن الفراش؛ وتجافى مثله. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَفاء: يُقصَر ويُمَدّ: نقيض الصّلة. والجَفْوَة: ألزم في ترك الصّلة من الجَفاء، لأنّ الجَفاء قد يكون في فعلاته، إذا لم يكن له مَلَقٌ. (٦: ١٩٠)

أبوزَيْد: أجفَيْتُ الماشية فهي مُجفاة، إذا أتعبتها ولم تدَعها تأكل، وذلك إذا ساقها سوقًا شديدًا.

(الأزهَريّ ١١: ٢٠٦)

أبوعمروالشّيبانيّ: الجُفاية: السّفينة الفارغة، فإذا كانت مشحونة فهي غامد وآمد، ويقال أيضًا: غامدة وآمدة، والخِنّ: الفارغة أيضًا.

(الأزهَريّ ١١: ٢٠٦)

أبوعُبَيْد: [في حديث ذكر حامل القرآن] «..غير الغالي فيه ولا الجافي عنه» فالغالي فيه: هو المُتعمّق حتّى يخرجه ذلك إلى إكفار النّاس، كنحو من مذهب الخوارج وأهل البِدع، والجافي عنه: التّارك له وللعمل به ولكن القصد من ذلك. (٢: ١٥٧)

ابن السّكّيت: يقال: جفوته فهو مجفوّ، وجاء في الشّعر مجفيّ. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ٢٠٧)

ابن دُرَيْد: والجَفْوَ من قولهم: جفاه يجفوه جَفْوًا، واشتقاقه من تجافي الشّيء عن الشّيء، إذا ارتفع.

(٢: ١٠٨)

الأزهَريّ: والحجّة في أنّ «جفا» يكون لازمًا مثل تجافى.

قول العجّاج يصف ثورًا وحشيًّا:

وشجر الهُدّاب عنه فجفا

يقول: رفع هُدّاب الأرض بقَرنه حتّى تجافى عنه.

ويقال: جافيت جنبي عن الفراش فتجافى، وأجفَيت القتَب عن ظهر البعير فجفا.

[وفي حديث] أبي هريرة: قال النّبيّ ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النّار».

قلت: يقال: جفَوْتُه أجفُوه جَفْوَة، أي مرّة واحدة، وجفاءً كثيرًا، مصدر عامّ.

والجفاء يكون في الخلقة والخُلُق، يقال: رجل جافي الخِلقة، وجافي الخُلُق، إذا كان كزًّا غليظ العشرة.

ويكون الجُفاء في سوء العشرة، والخُرْق في المعاملة، والتّحامل عند الغضب، والسَّورة على الجليس.

(١١: ٢٠٦)

الصّاحِب: جفا الشّيء يجفُو جفاءً، كالسَّرج يجفُو عن الظّهر، إذا لم يلزم، والجنْب يجفُو عن الفراش.

وأجفاني خشونة الفراش.

وأجفَيْت القتَب عن البعير: رفعته عنه.

والجفاء: نقيض الصّلة، والجَفْوَة ألزَم.

وجفَيت الرّجل، بمعنى جفأْتُه أي صرَعته.

(٧: ١٩٤)

الجَوهَريّ: الجفاء ممدود: خلاف البِرّ. وقد جفَوْتُ الرّجل أجفُوه جفاءً، فهو مجفوّ. ولاتقل: جفَيتُ، وأمّا قول الرّاجز:

فلست بالجافي ولا المَجفِيّ

فإنّما بناه على جُفِي، فلمّا انقلبت الواو ياءً ـ فيما لم يُسمّ فاعله ـ بُني المفعول عليه.

وفلان ظاهر الجِفْوة بالكسر، أي ظاهر الجفاء.

وجفا السّرج عن ظهر الفرس، وأجفَيته أنا، إذا رفعته عنه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجافاه عنه فتجافى جَنْبُه عن الفراش، أي نَبا.

واستجفاه، أي عدّه جافيًا. (٦: ٢٣٠٣)

ابن فارِس: الجيم والفاء والحرف المعتلّ يدلّ على أصل واحد: نبوّ الشّيء عن الشّيء، من ذلك جفوت الرّجل أجفوه، وهو ظاهر الجِفْوة، أي الجفاء. وجفا السّرج عن ظهر الفرس وأجفيته أنا. وكذلك كلّ شيء إذا لم يلزم شيئًا، يقال: جفا عنه يجفو. [ثمّ استشهد بشعر]

والجفاء: خلاف البِرّ، والجُفاء: مانفاه السّيل، ومنه اشتقاق الجفاء. (١: ٤٦٥)

الهَرَويّ: وفي الحديث: «كان يُجافي عَضُديه عن جَنْبَيه في السّجود» أي يباعدهما.

وفي صفته: «ليس بالجافي ولاالمَهين» أي ليس بالغليظ الخِلقَة ولاالمُحتقَر، ويقال: ليس بالّذي يجفو أصحابه ويُهينهم.

وفي حديث عمر: «لاتزهَدَنّ في جفاء الحَقْو[1]» يقول: لاتزهَدنّ في تغليظ الإزار. يعني النّساء. (٣٧٢)

ابن سيده: جفا الشّيء جفاءً، وتجافى: لم يلزم مكانه.

وأجفَيته أنا: أزلته عن مكانه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجفا جنبه عن الفراش، وتجافى: نبا عنه ولم يطمئنّ عليه.

---

(١) في «اللّسان» لاتزهَدَنّ في جَفاء الحِقْو.

وجفا الشّيء عليه: ثَقُل، ولـمّـا كـان في مـعناه، وكان «ثَقُل» يتعدّى بـ«على»، عدّوه بـ«على» أيضًا، ومثل هذا كثير.

والجفاء: نقيض الصّلة، وهو من ذلك؛ وقد جفاه جَفْوًا، وجفاءً. [ثمّ استشهد بشعر]

وجفا ماله: لم يلازمه.

ورجل فيه جَفْوَة وجِفْوَة، وإنّه لبيّن الجِفوة. فإذا كان هو المجفوّ قيل: به جَفْوة.

وقول المِعزى حين قيل لها: ماتصنعين في اللّيلة المَطيرة؟ فقالت: الشَّعر دُقاق والجِلْد رُقاق، والذّنب جُفاء، ولاصبر بي عن البيت. لم يفسّر اللّحيانيّ «جفاء». وعندي أنّه من النُّبُوّ والتّباعد وقلّة اللّزوق.

وأجفى الماشية، أتعبها ولم يدعها تأكل، ولاعلفها قبل ذلك. (٧: ٥٦١)

الزّمَخْشَريّ: جفاني فلان: فعل بي ماساءني واستجفيته. والأدب صناعة مَجْفُوٌّ أهلها. وجفَت المرأة ولدها فلم تتعاهده. وثوب جافٍ: غليظ، وقد جفا ثوبه. وهو من جُفاة العرب. وجفا السّرج عن ظهر الفرس، وجَنْب النّائم عن الفراش وتجافى... وأجفاه صاحبه وجافاه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجافى عَضُدَيه.

ومن المجاز: أصابته جَفْوَة الزّمان وجفاوته.

(أساس البلاغة: ٦١)

المَدينيّ: في الحديث: «اقرأوا القرآن ولاتجفُوا عنه» أي تعاهدوه، ولاتُبعدوا عن تلاوته. والجفاء: ترك الصّلة والبرّ، وأجفاه: أبعَده وأقصاه، وجفوته جفوةً بالكسر، والجفْوة: المرّة.

ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام: «البذاء من الجفاء» أي من غلظ الطّبع.

ومنه الحديث الآخر: «من بدا جفا» أي غلظ طبعه لقلّة اختلاطه بالنّاس، فيترك المروءة والصّلة.

(١: ٣٣٧)

ابن الأثير: [في حديث] «إذا سجدت فتَجافَ» وهو من الجفاء: البُعد عن الشّيء، يقال: جفاه، إذا بَعُد عنه، وأجفاه، إذا أبعده. (١: ٢٨٠)

الفَيُّوميّ: جفا السّرج عن ظهر الفرس يجفو جفاءً: ارتفع، وجافيته فتجافى، وجفوت الرّجل أجفوه: أعرضت عنه أو طردته، وهو مأخوذ من جُفاء السّيل، وهو مانفاه السّيل، وقد يكون مع بُغض.

وجفا الثّوب يجفو، إذا غلظ فهو جافٍ، ومنه جَفاء البَدو، وهو غلظتهم وفظاظتهم. (١٠٤)

الفيروزاباديّ: جَفا جفاء وتجافى: لم يلزم مكانه، واجتفيته: أزلته عن مكانه.

وجفا عليه كذا: ثقل، والجفاء: نقيض الصّلة، ويُقْصَر.

جفاه جفوًا وجَفاء، وفيه جَفْوة ويكسر، أي جَفاء، فإن كان مجفوًّا، قيل: به جَفوة.

وجفا ماله: لم يلازمه. والسّرج عن فرسه: رفعه، كأجفاه.

ورجل جافي الخِلقة والخُلُق: كزٌّ غليظ، واستجفى الفراش وغيره: عدّه جافيًا.

وأجفى الماشية: أتعبها ولم يدعها تأكل.

جَفيته أجفيه: صرعته. والجُفاية بالضمّ: السّفينة الفارغة. والجفيّ: الجفوّ. (٤: ٣١٤)

الطُّريحيّ: يقال: تجافى جنبه عن الفراش، إذا لم يستقرّ عليه من خوف أو وجع أو همّ.

وفي حديث المسبوق بالصّلاة: «إذا جلس يتجافى ولايتمكّن من القعود» أي يرتفع عن الأرض ويجلس مُقعيًا غير متمكّن، لأنّه أقرب إلى القيام.

[وفي الحديث:] «الاستنجاء باليمين من الجفاء» أي فيه بُعد عن الآداب الشّرعيّة.

و«تجافَوا عن الدّنيا» أي تباعدوا عنها واتركُوها لأهلها.

وفي حديث الجريدة للميّت: «يتجافى عنه العذاب مادامت رَطبة» أي يرتفع عنه عذاب القبر مادامت كذلك.

والجفاء بالمدّ: غلظ الطّبع والبُعد والإعراض، يقال: «جفَوت الرّجل أجفوه» إذا أعرضت عنه.

والجفاوة: قساوة القلب.

وفي الحديث: «من لايفعل كذا جفَوته يوم القيامة» أي أبعَدته عنّي يوم القيامة، ولم أُقرّ به إليّ.

وفي حديث الصّلاة: «إنّما يفعل ذلك أهل الجفاء من النّاس» أي غليظو الطّباع، البعيدون عن آداب الشّرع.

وفي حديث العلم: «لايقبض الله العلم بعد مايُهبطه، ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم، فتليهم الجُفاة فيَضِلّون ويُضِلّون» يريد بالجُفاة: الّذين يعملون بالرّأي ونحوه، ممّا لم يرد به شرع.

وفي حديث السّفر: «زاد المسافر الحداء والشّعر ماكان منه، ليس فيه جَفاء» أي بُعْدٌ عن آداب الشّرع.

وفي حديث الإبل: «فيها الشّقاء والجَفاء» أي المشقّة والعناء وعدم الخير، لأنّها إذا أقبلت أدبرت. (١: ٨٨)

المُصْطَفَويّ: التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو رفع اليد أو النّبوّ عن محلّ أو مقام معنويّ، يقتضي الأصل أن يستقرّ فيه، كالسّرج الّذي يلزم أن يستقرّ في ظهر الفرس، والإنسان المستقرّ عند النّوم في الفراش، والزّبد المستقرّ في أعالي السّيل، والرّجل إذا استقرّ بمقتضى العدل في محلّ ظاهريّ أو مقام معنويّ، والإنسان يلزم أن يُحسَن في حقّه ويوصل ويُبرّ، ثمّ يُنفى ويرتفع عنه ذلك الحقّ.

وهذا هو الفرق بين الجفاء والظّلم، فإنّ الجفاء أمر عدميّ خاصّ يستلزم وقوع الظّلم، بخلاف الظّلم فإنّه أمر وجوديّ. [ثمّ ذكر آيتين، لاحظ النّصوص التّفسيريّة] (٢: ٩٦)

النّصوص التّفسيريّة

تَتَجَافَى

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. السّجدة: ١٦

مُعاذ بن جَبَل: إنّ رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلّك على أبواب الخير؟ الصّوم جُنّة، والصّدقة تُكفّر الخطيئة، وقيام العبد في جوف اللّيل»، وتلا هذه الآية (تَتَجَافَى) إلخ. (الطّبَريّ ٢١: ١٠٢)

أبوالدّرداء: صلاة الصّبح والعشاء في جماعة.
(الماوَرْدي ٤: ٣٦٣)

نحوه الضّحّاك. (ابن عَطيّة ٤: ٣٦٢)

ابن عبّاس: تتجافى لذكر الله، كلّما استيقظوا ذكروا الله إمّا في الصّلاة، وإمّا في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، فهم لايزالون يذكرون الله. (الطّبَريّ ٢١: ١٠٢)

نحوه الضّحّاك. (الطّبَريّ ٢١: ١٠١)

أنس بن مالك: أنّ هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النّبيّ ﷺ، كانوا يصلّون فيما بين المغرب والعشاء.

نحوه قَتادَة (الطّبَريّ ٢١: ١٠٠)، وعِكْرِمَة (الماوَرْدي ٤: ٣٦٣).

إنّ هذه الآية نزلت في انتظار الصّلاة الّتي تُدعى العَتَمة.

نحوه عطاء. (الطّبَريّ ٢١: ١٠١)

مُجاهِد: يقومون يصلّون من اللّيل.

نحوه الحسَن. (الطّبَريّ ٢١: ١٠١)، ومالك والأوزاعيّ (الماوَرْدي ٤: ٣٦٣)

ابن زَيْد: هؤلاء المتهجّدون لصلاة اللّيل.
(الطّبَريّ ٢١: ١٠١)

الفَرّاء: يقال: هو النّوم قبل العشاء. كانوا لايضعون جنوبهم بين المغرب والعشاء حتّى يُصلّوها، ويقال: إنّهم كانوا في ليلهم كلّه (تَتَجافى): تقلق. (٢: ٣٣١)

أبوعُبَيْدَة: مجازه: ترتفع عنها وتتنحّى، لأنّهم يُصلّون باللّيل. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٣٢)

الطّبَريّ: تتنحّى جنوب هؤلاء الّذين يؤمنون بآيات الله، الّذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم الّتي يضطجعون لمنامهم، ولاينامون. [إلى أن قال:]
(وَتَتَجافى) تتفاعل، من الجفاء، والجفاء: النُّبُوّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وإنّما وصفهم تعالى ذكره بتجافي جنوبهم عن المضاجع، لتركهم الاضطجاع للنّوم شغلًا بالصّلاة.

واختلف أهل التّأويل في الصّلاة الّتي وصفهم جلّ ثناؤه، أنّ جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع، فقال بعضهم: هي الصّلاة بين المغرب والعشاء، وقال: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يُصلّون في ذلك الوقت.

وقال آخرون: عني بها صلاة المغرب.

وقال آخرون: لانتظار صلاة العَتَمة.

وقال آخرون: عني بها قيام اللّيل.

وقال آخرون: إنّما هذه صفة قوم لاتخلو ألسنتهم من ذكر الله.

والصّواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله وصف هؤلاء القوم بأنّ جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلًا منهم بدعاء ربّهم، وعبادته خوفًا وطمعًا، وذلك نُبُوّ جنوبهم عن المضاجع ليلًا، لأنّ المعروف من وصف الواصف رجلًا بأنّ جنبه نبا عن مضجعه، إنّما هو وصف منه له بأنّه جفا عن النّوم في وقت منام النّاس المعروف، وذلك اللّيل دون النّهار، وكذلك تصف العرب الرّجل إذا وصفته بذلك، يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاريّ رضي الله عنه، في صفة نبيّ الله ﷺ:

يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره لم يخصّص في وصفه هؤلاء القوم بالّذي وصفهم به، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم، من أحوال اللّيل وأوقاته، حالًا ووقتًا دون حال ووقت، كان واجبًا أن يكون ذلك على كلّ آناء اللّيل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلّى مابين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام اللّيل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات اللّيل، أو صلّى العَتَمة، ممّن دخل في ظاهر قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ لأنّ جنبه قد جفا عن مضجعه، في الحال الّتي قام فيها للصّلاة، قائمًا صلّى أو ذكر الله، أو قاعدًا بعد أن لايكون مضطجعًا، وهو على القيام أو القعود قادر. غير أنّ الأمر وإن كان كذلك، فإنّ توجيه الكلام إلى أنّه معنيّ به قيام اللّيل، أعجب إليّ، لأنّ ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. (٢١: ٩٩)

الزّجّاج: معنى (تَتَجَافَىٰ) ترتفع وتفارق المضاجع. (٤: ٢٠٧)

نحوه الماوَرْديّ. (٤: ٣٦١)

التّجافي: التّنحّي إلى جهة فوق. (ابن عَطيّة ٤: ٣٦٢)

ومثله الرّمّانيّ. (القرطبيّ ١٤: ١٠٠)

السّجستانيّ: أي ترتفع وتنبو عن الفرش. (١٤٩)

نحوه البغويّ (٣: ٥٩٧)، والخازن (٥: ١٨٥).

الطّوسيّ: أي يرتفعون عن مواضعهم الّتي ينامون عليها، فالتّجافي: تعاطي الارتفاع عن الشّيء، ومثله النّبوّ، يقال: جفا عنه يجفو جفاء، إذا نبا عنه؛ وتجافى عنه يتجافى تجافيًا، واستجفاه استجفاء. (٨: ٣٠٢)

الواحديّ: ترتفع جنوبهم، يقال: جفا الشّيء عن الشّيء، وتجافى عنه، إذا لم يلزمه ونبا عنه. (٣: ٤٥٢)

الميبديّ: يعني يُجافون جنوبهم عن مضاجعهم للتّهجّد. والتّجافي: التّجنّب عن الشّيء، أُخذ من «الجفاء» مَن لم يوافقك فقد جافاك. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٥٣١)

الزّمَخْشَريّ: ترتفع وتتنحّى. (٣: ٢٤٣)

مثله البَيْضاويّ (٢: ٢٣٥)، والنّسَفيّ (٣: ٢٨٨)، والنّيسابوريّ (٢١: ٦٥)، والكاشانيّ (٤: ١٥٦).

ابن عَطيّة: جفا الرّجل الموضع، إذا تركه، وتجافى الجنب عن مضجعه، إذا تركه، وجافى الرّجل جنبه عن مضجعه، ومنه في الحديث: «ويجافي بضبعيه» أي يبعدهما عن الأرض وعن يديه، فقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ أي تبعد وتزول. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال الضّحّاك: تجافي الجنب، هو أن يصلّي الرّجل العشاء والصّبح في جماعة، وهذا قول حسَن يساعده لفظ الآية.

وقال الجمهور من المفسّرين: أراد بهذا التّجافي: صلاة النّوافل باللّيل. (٤: ٣٦٢)

القُرطُبيّ: أي ترتفع وتَنبُو عن مواضع الاضطجاع. وهو في موضع نصب على الحال، أي متجافيةً جنوبهم. [إلى أن قال: بعد نقل قول أبي الدّرداء والضّحّاك]

قلت: وهذا قول حسَن، وهو يجمع الأقوال بالمعنى؛ وذلك أنّ منتظر العشاء إلى أن يصلّيها في صلاة وذكر لله

جلّ وعزّ، كما قال النّبيّ ﷺ: «لايزال الرّجل في صلاة ماانتظر الصّلاة». (١٤: ٩٩)

أبوالسّعود: أي تَنبو وتنحّى. [إلى أن قال:]

والجملة مستأنفة لبيان بقيّة محاسنهم، وهم المتهجّدون باللّيل. (٥: ٢٠٤)

البُرُوسَويّ: استئناف لبيان بقيّة محاسن المؤمنين.

والتّجافي: النّبوّ والبُعد، أُخذ من «الجفاء» فإنّ من لم يوافقك فقد جافاك وتجنّب وتنحّى عنك. والمعنى ترتفع وتتنحّى أضلاعهم.

وفي إسناد التّجافي إلى الجنوب دون أن يقال: يجافون جنوبهم، إشارة إلى أنّ حال أهل اليقظة والكشف ليس كحال أهل الغفلة والحجاب، فإنّهم لكمال حرصهم على المناجاة ترتفع جنوبهم عن المضاجع حين ناموا بغير اختيارهم كأنّ الأرض ألقتهم من نفسها، وأمّا أهل الغفلة فيتلاصقون بالأرض لايحرّكهم محرّك.

(٧: ١١٩)

الآلوسيّ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ جملة مستأنفة لبيان بقيّة محاسنهم، وجُوّز أن يكون حاليّة أو خبرًا ثانيًا للمبتدإ. والتّجافي: البُعد والارتفاع. (٢١: ١٣٠)

الطَّباطَبائيّ: والتّجافي عن المضاجع كناية عن ترك النّوم. (١٦: ٢٦٣)

مكارم الشّيرازيّ: فيقومون في اللّيل، ويتّجهون إلى ربّهم ومحبوبهم، ويشرعون بمناجاته ويلتذّون بها.

نعم، إنّ هؤلاء يستيقظون ويحيون قدرًا من اللّيل في حين أنّ عيون الغافلين تغطّ في نوم عميق، وحينما تتعطّل برامج الحياة العاديّة، وتصل المشاغل الفكريّة إلى أدنى مستوى، ويعمّ الهدوء والظّلام كلّ الأرجاء، ويقلّ وجود خطر التّلوّث بالرّياء في العبادة، والخلاصة: عند توفّر أفضل الظّروف لحضور القلب، فإنّهم يتّجهون بكلّ وجودهم إلى معبودهم، ويطأطئون رؤوسهم إلى أعتاب معشوقهم ويخبرونه بما في قلوبهم، فهم أحياء بذكره، وكؤوس قلوبهم طافحة بحبّه وعشقه. (١٣: ١١٣)

فضل الله: فيبتعدون عن النّوم فيها، ويلجأون إلى أماكن صلاتهم. (١٨: ٢٣٥)

المُصْطَفَويّ: أي ترتفع وتنبو وتتنحّى عنها، والحال أنّ كونهم في المضاجع يقتضي الاستراحة وإدامتها.

والتّعبير بصيغة «تفاعل»، للإشارة إلى إدامة النّبوّ والتّنحّي في ليالي السّنة، وبالجنوب والمضاجع، للإشارة إلى أنّ المضجع ووضع الجنب على الأرض في حال الاضطجاع يقتضيان إدامة الرّقدة والاستراحة. (٢: ٩٦)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجفاء، وهو النّبوّ وعدم الاستقرار، يقال: جفا السّرج عن ظهر الفرس يجفو جفاءً وتجافى، أي لم يلزم مكانه، وأجفيت القتب عن ظهر البعير: أزلتُه عنه، وكذا جافيتُه عنه فتجافى.

وجفا جنبُه عن الفراش وتجافى: نَبا عنه ولم يطمئنّ عليه، وجافاه عنه فتجافى، واستجفاه: عدّه جافيًا.

وأجفى الماشية فهي مُجفاة: أتعبها ولم يدعها تأكل ولاعلفها قبل ذلك، وذلك إذا ساقها سوقًا شديدًا، وجفا

ماله: لم يلازمه.

والجفا والجفاء: خلاف البِرّ، نقيض الصّلة، وهو منه أيضًا، لأنّه نبوّ وإعراض، يقال: جفاه جَفْوًا وجفاءً، أي ترك صلته وبِرّه وغلظ عليه.

والجَفْوَة والجِفْوَة: الجفاء، إلّا أنّ الجفاء ـ كما قال الأزهَريّ ـ يكون في الخِلقة والخُلُق، يقال: رجلٌ جافي الخِلقة وجافي الخُلُق، وفي الكثرة أيضًا، والجَفْوَة والجِفْوَة في القلّة، يقال: جَفَوتُه جَفْوَةً، أي مرّةً واحدةً، ورجلٌ فيه جَفْوَةٌ وجِفْوَةٌ، وإنّه لبيّن الجِفْوة. وإذا كان هو المَجْفوّ، قيل: به جَفْوَة.

٢ـ والجُفاية: السّفينة الفارغة، من «ج ف ي» كما ذهب إليه الفيروزاباديّ وغيره؛ إذ لو كان من «ج ف و» لقيل فيه: الجُفاوة أيضًا، نظير ماجاء على «فُعالة» بالواو والياء، مثل: النُّقاوة والنُّقاية: الجيّد من كلّ شيء، والعُجاوة والعُجاية: عصبة في فِرسِن البعير. لأنّ اليائيّ لايأتي منه الواو عادة، مثل: البُراية: مابُري من العود وغيره؛ حيث ماقيل فيه: البُراوة قطّ.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد، فعلًا في آية من سورة مكّيّة:

﴿اِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاٰيَاتِنَا الَّذِينَ اِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَايَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافٰى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ السّجدة: ١٥، ١٦

يلاحظ أنّ في الآية بحوثًا:

١ـ أنّها إكمال لآية قبلها، وقد بيّن الله فيها لمن آمن حقّ الإيمان بآيات الله خصالًا على وجه الحصر ﴿اِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاٰيَاتِنَا﴾ أي هؤلاء هم الّذين آمنوا بآياتنا حقًّا دون غيرهم. والخصال هي: ١ـ ﴿اِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾. ٢ـ ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ٣ـ ﴿وَهُمْ لَايَسْتَكْبِرُونَ﴾. ٤ـ ﴿تَتَجَافٰى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. ٥ ـ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

٦ـ ثمّ ذكر جزاءهم بقوله: ﴿فَلَاتَعْلَمُ نَفْسٌ مَااُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السّجدة: ١٧.

٢ـ والآيتان بيان للإيمان الكامل، ولهما نظائر في القرآن:

منها: ﴿اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٢ ـ ٤

ومنها: ﴿اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلٰى اَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّٰى يَسْتَاْذِنُوهُ اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَاْذِنُونَكَ اُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ النّور: ٦٢.

ومنها: ﴿اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ اُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات: ١٥.

وفي معناها آيات كثيرة تتطلّب الاهتمام بها ودراستها معًا.

٣ـ أثار الطَّبَريّ سؤالًا هل الآية خاصّة بمن تتجافى جنوبهم عن المضاجع لصلاة اللّيل فقط، أو تعمّ صلاة العشاء، وبعد أن خصّها باللّيل دون النّهار، رجّح اختصاصها بصلاة اللّيل؟

وعندنا أنّ منطق الآية هو ماختاره الطّبَريّ، ولابأس بشمولها للنّوم في النّهار ولاسيّما قبل صلاة الظّهر أو العصر بمفهومها، فإنّ المراد بها لَفْتَ الأنظار إلى أنّ المؤمنين يهتمّون بأمر الصّلاة، حتّى خلال نومهم، فتتجافى جنوبهم عن المضاجع لأدائها في وقتها، من غير فرق بين اللّيل النّهار.

٤ـ عدّ المُصْطَفَويّ: ﴿فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ الرّعد: ١٧، من هذه المادّة وليس كذلك، وإن تقاربا بالاشتقاق الأكبر لفظًا ومعنًى.

٥ـ صيغة «التّفاعل» في (تَتَجَافى) من بين معاني هذا الباب تناسب التّدرّج، أي تبعد جنوبهم عن المضاجع مرّة بعد أُخرى مثل توارد القوم، أي وردوا جماعة بعد أُخرى دون الدّوام، كما قاله المُصْطَفَويّ، لأنّه ليس من معاني التّفاعل. وهذا يكشف عمّا ذكرنا من شدّة اهتمامهم بالصّلاة حتّى في أثناء النّوم، أي شدّة العلاقة بالصّلاة تسلبهم الرّاحة في المضاجع، واستقرار الجنوب عليها، فذكر الجنوب والمضاجع رمز إلى مايناسب النّوم ليلًا من استقرار الجنوب عليها راحةً.



ج ل ب

لفظان، مرّتان: ١ مكّيّة، ١ مدنيّة

في سورتين: ١ مكّيّة، ١ مدنيّة

اجلِبْ ١: ١ جلابيبهنّ ١: ١ـ١

النُّصوص اللُّغويّة

أبوعمرو ابن العلاء: والمُجلِب: الّذي يجعل العُوذة في جِلبٍ، ثمّ يخاط على الفرس.

(الخليل ٦: ١٣٠)

الخَليل: الجَلَبُ: مايُجلَب من السّبي أو الغنَم، والجمع: أجلاب، والفعل: يجلِبُون.

وعَبْدٌ جَليبٌ، وعَبيدٌ جَلْبَاء، إذا كانوا جُلِبُوا من أيّامهم وسَنَتِهِم.

والجَلَب والجَلَبَة في جماعات النّاس، والفعل: أجلَبُوا من الصّياح ونحوه.

والجَلُوبة: مايُجلَبُ للبيع، نحو النّاب والفحل والقَلُوص. وأمّا كرامُ الإناث والفُحولة الّتي تُنتَسَل، فليست من الجَلُوبة.

ويقال لصاحب الإبل: هل في إبلك جَلُوبةٌ؟ أي شيءٌ جَلَبتَه للبيع.

وفي الحديث: «لاجَلَبَ في الإسلام». اختلفوا فيه، فقيل: لاجَلَبَ في جري الخيل، وقيل: لايُستَقبَل الجَلَبُ في الشّراء، وقيل: هو أن يجلب المُصدِّقُ غنَمَ القوم، أي يجمَعُها عنده، وإنّما ينبغي أن يأتي أفنيتهم فيصدّقها هناك.

والجُلبَة: القِرْفَة الّتي تنتشر على اليد عند هُوِيها بالبُرْء.

وأجلَبَت القَرحةُ، فهي مُجْلِبةٌ وجالبةٌ، وقُروح جوالبُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وقُروح جُلّبٌ مثله. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلْبَة: أن يَجلِبَ جلد الإنسان على عَظمِهِ في السّنة الشّديدة.

وجُلْبُ الرَّحْلِ: نَفْسُ خشب الرَّحْل وأحناؤه، ومايُؤسَر به، ويُشدّ سوى صَفَقِه وأنساعه. [ثمّ استشهد

بشعر]

والجُلْبان: المُلك، الواحدة بالهاء، وهو حَبٌّ أغبَرُ أكْدَرُ على لون الماش، إلّا أنّه أشدّ كُدْرةً منه وأعظم جِرْمًا، يُطبَخ.

والجالبة والجوالب من شدائد الدّهر: حالاتٌ تجيء بآفات وتجلبها.

والجِلْبابُ: ثَوب أوسَعُ من الخِمار دونَ الرِّداء، تُغَطّي به المرأةُ رَأسَها وصَدْرَها. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِلْبُ والجُلْبُ من السّحابِ: تَراهُ كأنّهُ جَبَلٌ.

والجُلْبَةُ: العُوذةُ الّتي يُخْرَزُ عليها الجِلْدُ، وجَمْعُها: الجُلَبُ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلْبَة: الحديدة يُرقَع بها القَدَحُ، وهي حديدة صغيرة.

والجُلْبَة في الجبل، إذا تراكم بعض الصّخر على بعض، فلم يكن فيه طريق تأخذ فيه الدّوابّ.

(٦: ١٣٠)

سيبَوَيه: يقولون: جلَب الجُرح وأجلَب، يريدون بها شيئًا واحدًا. (٤: ٧٠)

أبو عمرو الشّيبانيّ: الجلائب: الّتي يجلبونها إلى رجل على الماء، ليس له مايحتمل عليه، فيجلبون إليه من إبلهم، فيحملونه، والواحدة: جَلُوبة. وأمّا الجَلَب: فالّذي يُجلَب للبيع، وهي الأجلاب. (١: ١١٥)

الجُلْبَة: العُوذة.

أجْلِب عليها. (١: ١٢٤)

جَلِّب بضرع ناقتك، أي شُدّه عليها، يعني الصِّرار.

أجْلِب لفرسك، أي اتّخذ له جُلْبَة، وهي العُروة. (١: ١٣٣)

الجَلَب من الأرض: مابقي من العُشب في بطون الرّياض لم يَيْبس ويبس سائره، والواحدة: جُلْبَة.

رَعَتْ ظِمْئها نصفين حتّى تجلّبت

قوله: تجلّبت، أي أكلت جُلبه. (١: ١٣٤)

يقال: جِلْبُ الرّحل وجُلْبُه، وهو أحناؤه.

والجُلْب أيضًا من السّحاب، تراه كأنّه جبَل، وهو الجِلْب. [ثمّ استشهد بشعر] (إصلاح المنطق: ٣٦)

جِلْبُ الرّحل وجُلْبُه: عيدانه. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ٩١)

الفَرّاء: الجُلَب: جمع جُلْبَة، وهي السّنة الشّهباء.

والجُلَب: جمع جُلْبَة، وهي بقلة. (الأزهَريّ ١١: ٩٥)

إنّه من الجَلَبة، وهو الصّياح. وربّما قالوا: الجلَب كما قالوا: الغلَبة والغلَب، والشّفَقة، والشّفَق.

(الفَخْرالرّازيّ ٢١: ٦)

أبوزَيْد: الجُلْبَة: الشّدّة، والجَهْد، والجوع. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ٩٢)

الأصمَعيّ: إذا علَت القَرْحَة جِلْدَة للبُرْء، قيل: جلَب يَجْلِب ويَجْلُب، وأجلَب يُجْلِب.

(الأزهَريّ ١١: ٩١)

اللِّحيانيّ: جلَب لأهله يَجْلُب، وأجلَب: كسَب، وطلَب، واحتال.

امرأة جليب في نسوة جَلْبَى، وجلائب.

(ابن سيده ٧: ٤٣٦)

ابن الأعرابيّ: أجلَب الرّجل الرّجل، إذا توعّده بالشّرّ، وجمع عليه الجمع، بالجيم.

وأجلَب الرّجل، إذا نُتجَت ناقته سَقبًا، وكذلك إذا كانت إبله تُنتِج الذّكور، فقد أجلب، وإذا كانت تنتج الإناث، فقد أحلب. ويدعو الرّجل على صاحبه فيقول: أجلَبْتَ ولاأحلَبتَ، أي كان نتاج إبلك ذكورًا لاإناثًا، ليذهب لبنه. (الأزهَريّ ١١: ٩١)

الجِلْباب: الإزار، ومعنى قوله: [في حديث عليّ عليه السلام]: «فليُعِدّ للفقر جِلْبابًا» يريد لفقر الآخرة ونحو ذلك.

(الأزهَريّ ١١: ٩٣)

جلَب الدّم، وأجلب: يَبِس. (ابن سيده ٧: ٤٣٧)

وما في السّماء جُلْبَة، أي غيم يُطْبِقها.

(ابن سيده ٧: ٤٣٨)

من خرزات الأعراب: اليَنْجَلِب، وهو للرّجوع بعد الفرار. [ثمّ استشهد بشعر] (الصّغانيّ ١: ٩٠)

أبوعُبَيْد: في حديث النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لاجلَب ولاجنَب ولاشغار في الإسلام».

الجلَب في شيئين: يكون في سباق الخيل، وهو أن يتبع الرّجل الرّجل فرسه، فيركض خلفه ويزجره ويُجلِب عليه، ففي ذلك معونة للفرس على الجري، فنهى عن ذلك.

والوجه الآخر في الصّدقة: أن يَقْدَم المصدّق فينزل موضعًا، ثمّ يُرسل إلى المياه فيجلب أغنام أهل تلك المياه عليه فيصدّقها هناك، فنهى عن ذلك. ولكن يقدم عليهم فيصدّقهم على مياههم وبأفنيتهم. (١: ٤٣٤)

قلت: ومعنى قول ابن الأعرابيّ: الجِلْباب: الإزار، ولم يُرِد به إزار الحَقْو، ولكنّه أراد به الإزار الّذي يشتمل به، فيجلّل جميع الجسد، وكذلك إزار اللّيل، هو الثّوب السّابغ الّذي يشتمل به النّائم، فيغطّي جسده كلّه.

(الأزهَريّ ١١: ٩٣)

ابن السِّكّيت: جلَب الجُرحُ يَجلُب، وهو جُرْحٌ جالب، إذا كانت عليه قِشرَة غليظة عند البُرء، وأجلَب لغة. (١٠٨)

يقال: أصابت بني فلان جَلْبَة شديدة، أي سنة شديدة. (٢٧)

الجِلْباب: الخِمار. (٦٦٥)

يقال: أجلَب قَتَبه فهو مُجْلَب، إذا جعل عليه جلدةً رطبةً فطيرًا، ثمّ تركها عليه حتّى تَيبس. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد أجلب الجُرحُ، إذا علته جلدة للبُرء.

وقد جلَب على فرسه يَجْلُب جلَبًا، إذا صاح به من خلفه واستحثّه ليسبق. وقد جلَب الجلَب. وقد أجلَب، إذا صاح. [ثمّ استشهد بشعر] (إصلاح المنطق: ٢٦١)

يقال: هم يُجْلِبون عليه، ويَجْلِبون عليه، بمعنى واحد، أي يُعينون عليه. (الأزهَريّ ١١: ٩٠)

قالت العامريّة: الجِلْباب: الخمار، وقيل: جِلْباب المرأة: مُلاءتُها الّتي تشتمل بها، واحدها: جِلْباب، والجماعة: جلابيب. (الأزهَريّ ١١: ٩٣)

أبوحاتِم: والمُجَلِّب: الّذي فيه جلَبة رعدٍ، يعني في سحابه. (الأضداد: ١١٥)

وقال حسّان لمُزينة وقد قتلوا أباه، فجعلهم جلابيب، أي سَفِلة:

أرى الجلابيبَ قد عزّوا وقد كثُروا

وابنُ الفُرَيْعةِ أمسى بيضةَ البلدِ

(الأضداد: ١١٨)

شَمِر: الجِلْبَابَة من النِّساء: الجافية الغليظة، كأنّ عليها جُلْبَة، أي قِشرة غليظة. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي حديث الحديبيّة «ألّا يدخل المسلمون مكّة إلّا بِجُلُبّان السِّلاح» قال بعضهم: جُلُبّان السِّلاح: القِراب بما فيه.

كأنّ اشتقاق الجُلُبّان من «الجُلْبَة»، وهي الجِلْدة الّتي تُجعل على القتَب، والجِلْدة الّتي تغشّي التّميمة، لأنّه كالغشاء للقِراب. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهريّ ١١: ٩٤)

ابن قُتَيْبة: وفي حديث عليّ عليه السلام: «من أحبّنا أهل البيت ـ فليُعِدّ للفقر جِلْبابًا أو تَجْفافًا».

معنى قوله: فَلْيُعِدّ للفقر جِلْبابًا وتَجْفافًا، أي ليرفض الدّنيا وليزهد فيها، وليصبر على الفقر والتّقلّل، وكنّى عن الصّبر بالجِلْباب والتّجفاف، لأنّه يستر الفقر كما يستر الجِلْباب والتّجفاف البدن. (الأزهريّ ١١: ٩٣)

الدّينوريّ: لم أسمعه [الجُلُبّان] من الأعراب إلّا بالتّشديد، وماأكثر من يخفّفه، ولعلّ التّخفيف لغة.

(ابن سيده ٧: ٤٤٠)

والجُلُبّان بتشديد اللّام: الخُلَّر، لغة في الجُلْبان، بتخفيف اللّام ساكنة. (الصّغانيّ ١: ٨٩)

ابن أبي اليمان: والجِلْباب: القميص. (١٧٥)

والإجلاب: الاجتماع. (١٨٠)

المُبرِّد: الجِلْباب: مايستر الكلّ، مثل المِلحَفَة.

(٣: ٣١٣)

تَغْلَب: جِلْبُ الرّحل: غطاؤه. (٧: ٤٣٩)

الزّجّاج: باب الجيم من فعلت وأفعلت، والمعنى واحد... جلَب الجُرحُ وأجلَب، إذا أخذ في البُرء، وصارت فيه جِلْدة رفيعة. (فعلت وأفعلت: ٨)

باب الجيم من فعلت وأفعلت، والمعنى مختلف... جَلَب الرّجل الشّيء من أرض إلى أرض، إذا ساقه؛ وأجلب على العَدوّ إجلابًا، إذا جَمع عليه.

(فعلت وأفعلت: ٩)

ابن دُرَيْد: [نحو أبي عُبَيْد وأضاف:]

وجلبت الإبل من البَدْو إلى المصر جَلَبًا. [ثمّ استشهد بشعر]

أجلَب الجُرحُ وجلَب، إذا ركبه جُلْبَة، وهي قِشرة تركب الجرح عند البُرء؛ والجُرح جالب ومُجلِب.

والجُلْب والجِلْب: خشَب الرّحل بلاكسوة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجليب والمجلوب: الأعجميّ يُجْلَب من بلده إلى بلد الإسلام.

والجَلَبة: اختلاط الأصوات.

والجُلْب والجِلْب: السّحاب الّذي لاماء فيه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلْبَة: لغة يمانيّة، وهي الرُّوبة الّتي تُصَبّ على اللّبن الحليب ليروب. وكلّ شيء جلبته من إبل أو خيل أو غير ذلك من الحيوان للتّجارة، فهو جَلَبٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمع جلَب: أجلاب.

وعبد جليب، ومجلوب.

وناقة جَلِبَة: لالبن لها، والجمع: جِلاب.

والجُلْبَة: السّنة الشّديدة، يقال: أصابت النّاس جُلْبَة، أي أزْمَة. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢١٢)

والجُلْبَة السَّنة المُجدِبة، وهي أيضًا الجوع. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِلْبَة: الفطرة. (٣: ٢٩٩)

الأزهَريّ: عن عائشة أنّها قالت: «كان النّبيّ ﷺ إذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء نحو الجُلّاب، فأخذ بكفّه، فبدأ بشقّ رأسه الأيمن، ثمّ الأيسر، فقال بهما على وسط رأسه».

قلت: أراه أراد بالجُلّاب: ماء الورد، وهو فارسيّ معرّب، والورد يقال له: جُلْ، وآب معناه الماء، فهو ماء الورد. (١١: ٩٠)

[قيل:] امرأة جِلِبّانة وجُلُبّانة وتِكِلّابة، إذا كانت سيّئة الخُلُق، صاحبة جَلَبَة ومُكالبة.

والأجلاب: أن تأخذ قطعة قِدّ فتلبسها رأس القتَب، فتيبس عليه، وهي الجُلْبَة. [ثمّ استشهد بشعر]

والتّجليب: أن تُؤخَذ صوفة، فتُلقى على خِلْف النّاقة، ثمّ تُطلى بطين أو عجين، لئلّا ينهزها الفصيل.

يقال: جَلِّبْ ضَرعَ حلوبتك، ويقال: جلّبته عن كذا وكذا تجليبًا وأصفحته، إذا منَعْتَه.

ويقال: إنّه لفي جُلْبَة صِدْق أي في بُقعَة صِدق، وهي الجُلْب.

ويقال: جلَبْت الشّيء جلَبًا وجنَبت الفرس جنَبًا، والمجلوب أيضًا: جلَبٌ. وهذا كما يقال لما نُفِض من الشّجر: نَفَضٌ، وللمعدود: عَدَدٌ، وجمعه: أجلاب.

والجَلْب: الجِناية على الإنسان، وكذلك الأجل. وقد جلَب عليه، وأجلَ عليه، أي جنى عليه. (١١: ٩٤، ٩٥)

الصّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

وأجْلَبَ الرَّجُلُ: نُتِجَتْ ناقتُه سَقْبًا، أو أنّتْ إبلُه بالذُّكور. ويقال في الدُّعاء عليه: أجْلَبْتَ ولاأحْلَبْتَ، والإحلابُ ضِدُّه.

والجُلْبَة: الغَيْمُ الرَّقيق، وكذلك الجِلْب.

وجِلْبُ الثّور وجِلْدُه: واحد.

وجُلْبُ الرَّحْل: نَفْسُ خشَب الرَّحْل وأحناؤه ومايُؤَسَّر به.

والجالِبَة والجوالِب من الدّهر: حالات تجيء بآفات.

والجِلْباب: ثوب واسع دون الرّداء، يقال: تجَلْبَبْتُ.

والجِلْب أيضًا: مايُلبَس من الثّياب، وجمعه: أجلاب.

والجلابيب: أغشِيَة الخُدُور والقِباب.

والجُلُبّانة: العِلْجَة الجافية من النّساء.

ورجل جُلُبّانة: سيّئ الخُلُق ضيّق الصّدر، وكذلك الجِلِبّانة بالكسر.

والجُلُبّان في الحديث في أهل الحُدَيْبيَة: «صالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيّام لايدخلها إلّا بجُلُبّان السّلاح» فإنّه أوعِيَتُه بما فيها، مثل الغِمْدِ والسّيف.

والجلَب: صِياحُ النّاس وجلَبَتُهم، جلَبُوا وأجلَبُوا.

والجَلَبان، بوزن الصَّلَتان: الكثير الجلَبة.

والجالب: الّذي يصيح بما تأخّر من خيله، وجمعه: جُلّاب.

وأجلَبْتُ باله: ذهَبْتَ به، والّذي يُطرَد به: المِجْلَب.

والجُلْبَة من الكلَإ: المُتفرّقة، وجمعها: جُلَبٌ

وأجْلُبٌ، وهي أيضًا: بقايا أعسان الشّجر.

وجُلْبَة العِضاه: وَرَقُ الشّجر نَفْسُه إذا تغيّر.

وجُلَبُ الجبال: شواهقها، الواحدة: جُلْبَة. وإذا تراكم بعض الصّخر على بَعْضٍ فلم يَكُنْ فيه طَرِيقٌ.

والجُلْبَة: الحَديدَةُ الصّغيرة الّتي يُرْقَأُ بها القَدَحُ، وهي مِثْلُ الضَّبَّة. وقِطْعَةُ جِلْدٍ رَطْبٍ على رأسِ القَتَبِ فَيَيْبَسُ عليه، وقِطْعَةُ أدَمٍ تُخْرَزُ على السِّقاءِ. وهي للقَوْسِ أيضًا، يُقال: أجْلَبْتَ على قوسِك بسَيْرٍ إجْلابًا.

والجُلْبَةُ: كَلَبُ الزّمانِ. وهي الجُوعُ أيضًا، والعُوذَةُ الّتي يُخْرَزُ عليها الجِلْدُ، وجَمْعُها: جُلَبٌ.

والمُجْلِب: الّذي يتّخذ لفرَسه جُلْبَةً.

والتّجْليبُ: أن تأخذ صُوفَةً فتَلُفَّها على أخلاف النّاقة إذا أردْتَ تغزيرها، ثمّ تَطْلِيها بطين أو بعجين أو خِطْمِيّ.

واليَنْجَلِب: من خرَزات العرب، للحُبّ وللبُغْض.

(٧: ١١٣)

الخطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «أنّه صالح أهل الحُدَيْبيَة أن لايدخلوا مكّة إلّا بجُلُبّان السّلاح».

الجُلُبّان: شيء شبيه بالجِراب من الأدم، يضع فيه الرّاكب سيفه بقرابه، ويضع فيه سوطه، يعلّقه الرّاكب من واسطة رحله أو من آخره. (١: ٥٧٨)

الجَوْهَريّ: جلَب الشّيء يَجْلِبُه ويَجْلُبُه جَلْبًا وجَلَبًا، وجلَبت الشّيء إلى نفسي واجتلبته بمعنًى.

والجَلُوبة: مايُجلَب للبيع، والجليب: الّذي يُجلَب من بلد إلى غيره.

والجُلْبَة: جُلَيْدَة تعلو الجُرْح عند البُرْء، تقول منه: جلَب الجُرحُ يَجْلِب ويَجْلُب، وأجلَب الجرح مثله.

والجُلْبَة أيضًا مثل الكُلْبَة، وهي شدّة الزّمان، يقال: أصابتنا جُلْبَة الزّمان، وكُلْبَة الزّمان. [ثمّ استشهد بشعرين]

والجُلْبَة أيضًا: جِلْدَة تُجعَل على القتَب.

والجِلْب والجُلْب: سحاب رقيق ليس فيه ماء. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِلْبُ الرَّحْل أيضًا وجُلْبُه: عيدانه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجلَب على فرسه يَجْلُبُ بالضّمّ جَلْبًا، إذا صاح به من خلفه واستحثّه للسّبق، وأجلَب عليه مثله.

وأجلَب قتَبه: غشّاه بالجُلْبَة، وهو أن يجعل عليه جِلْدَة رَطْبَة فطيرًا ثمّ يتركها عليه حتّى تَيْبَس. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجلَبه، أي أعانه. وأجلبوا عليه، إذا تجمّعوا وتألّبوا، مثل أحلَبوا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجلَب الرّجل، أي نُتِجَت إبله ذكورًا، لأنّه يَجلِب أولادها فتباع. وأحلَب بالحاء، إذا نُتِجت إناثًا.

والجِلْباب: المِلحَفة.

والمصدر الجَلْبَبَة، ولم تُدغَم لأنّها مُلحَقة بدَحْرَجة.

والجلَب والجلَبة: الأصوات، تقول منه: جلّبوا بالتّشديد.

والجلَب الّذي جاء النّهي عنه، هو أن لايأتي المصدِّق القوم في مياههم لأخذ الصّدقات، ولكن يأمرهم بجلْب نَعَمِهم إليه. ويقال: بل هو الجلَب في

الرّهان، وهو أن يُرْكِب فرسَه رجلًا، فإذا قرُب من الغاية تَبِعَ فرسَه، فجَلَّبَ عليه وصاح به ليكون هو السّابق، وهو ضرب من الخديعة.

والجلَب والأجلاب: الّذين يجلُبون الإبل والغنم للبيع.

والجُلْبان: الخُلَّر، وهو شيء يُشبه الماش. (١: ١٠٠)

ابن فارِس: الجيم واللّام والباء أصلان: أحدهما: الإتيان بالشّيء من موضع إلى موضع، والآخر: شيءٌ يغشّي شيئًا.

فالأوّل: قولهم: جَلَبْت الشّيء جَلْبًا. [إلى أن قال:]

والأصل الثّاني: الجُلْبة: جِلدةٌ تُجعل على القَتَب. والجُلْبة: القِشرة على الجُرْح إذا بَرَأ، يقال: جلَبَ الجُرْحُ وأجْلَبَ. وجُلْبُ الرَّحْلِ: عيدانُه؛ فكأنّه سمّي بذلك على القُرْب. والجِلْب: سَحابٌ يعترِضُ رقيقٌ، وليس فيه ماءٌ.

ومن هذا اشتقاق «الجِلْباب» وهو القميص، والجمع: جلابيب. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٦٩)

الثّعالبيّ: فإذا عَلَتْه [الجُرح] جِلْدة للبُرء، قيل: جلَب يَجلِب، وأجلَب يُجلِب. (١٥٠)

الضّوضاء: اجتماع أصوات النّاس والدّوابّ، وكذلك الجلَبة. (٢١٥)

ومن الأنبجات: الجُلّاب. السّكنجبين. الخَلَنْجَبين. المَيْبَة. (٣٠٦)

ابن سيده: الجَلْب: سَوْق الشّيء من موضع إلى آخر.

جلَبه يَجْلِبه، ويجلُبه جَلْبًا وجَلَبًا، واجتلبه. [ثمّ استشهد بشعرين]

وقد انجلَب الشّيء، واستجلب الشّيء: طلب أن يُجلَب إليه.

والجلَب: ماجُلِب من خيل وإبل ومتاع. وفي المثَل: «النُّفاض يقطِّر الجلَب» أي أنّه إذا أنفض القوم، أي نفِدَت أزوادهم، قطّروا إبلهم للبيع، والجمع: أجلاب.

وعبد جليب: مجلوب، والجمع: جَلْبَى، وجُلَباء كما قالوا: قَتْلى، وقُتَلاء.

والجليبة، والجلُوبة: ماجُلِب. [ثمّ استشهد بشعر]

والجلُوبة: الإبل يحمل عليها متاع القوم، الواحد والجميع فيه سواء.

وجُلُوبة الإبل: ذكورها.

وأجلَب الرّجل: نُتِجَتْ إبله ذكورًا، يقال للمنتج: أأجلَبتَ أم أحلَبتَ؟ أي أولدت إبلُك جلُوبة أم ولدت حلوبة، وهي الإناث؟

والجلَب، والجلَبة: اختلاط الصّوت. وقد جلَب القوم يَجْلُبون ويَجلِبون، وأجلبوا، وجلّبوا.

وجلّب على الفرس، وأجلَب؛ وجلَب يَجلُب، قليلة: زجَره.

وقيل: هو إذا ركب فرسًا وقاد خلفه آخر يستحثّه؛ وذلك في الرّهان. وفي الحديث: «لاجلَب ولاجنَب».

فالجلَب: أن يتخلّف الفرس في السّباق فيُحرَّك وراءه الشّيء، يُستحَثّ فيَسبق. والجنَب: أن يُجنَب مع الفرس الّذي يسابق به فرس آخر، فيُرسَل حتّى إذا دنا تحوّل راكبه على الفرس المجنوب، فأخذ السّبَق.

وقيل: الجلَب: أن يُرسَل في الحَلْبة فيُجمَع له جماعة

تصيح به ليُرَدّ عن وجهه، والجنَب: أن يُجنب فرس جامّ فيُرسَل من دون الميطان ـ وهو الموضع الّذي تُرسَل فيه الخيل ـ وهو مَرِح والآخر معايا.

وزعم قوم أنّها في الصّدقة، والجنَب: أن تأخذ شاء هذا ولم تحلّ فيها الصّدقة فتجنّبها إلى شاء هذا، حتّى تأخذ منها الصّدقة.

وقوله: «ولاجلَب» أي لاتُجلَب إلى المياه ولا إلى الأمصار، ولكن يُتصدّق بها في مراعيها.

ورَعْدٌ مُجَلِّب: مصوّت. وغيث مجلّب: كذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وامرأة جلّابة، ومُجَلِّبة، وجِلِبّانة، وجُلُبّانة، وجِلِبْنانة، وجُلُبْنانة: مصوّتة صَخّابة كثيرة الكلام، سيّئة الخُلُق، وهذه اللّغات عامّتها عن الفارسيّ. [ثمّ استشهد بشعر]

قال ابن جنّيّ: ليست لام جِلِبّانة بدلاً من راء جِرِبّانة، يدلّك على ذلك: وجودك لكلّ واحد منهما أصلاً ومُتصرَّفًا واشتقاقًا صحيحًا، فأمّا جِلِبّانة: فمن الجلَبة والصّياح؛ لأنّها الصّخابة. وأمّا جِرِبّانة: فمن جرّب الأُمور وتصرّف فيها؛ ألا تراهم قالوا: «تُخصي حمارها» فإذا بلغت المرأة من البِذلة والحُنْكة إلى خِصاء عَيْرها، فناهيك بها في التّجربة والدُّرْبة. وهذا وَفْق الصَّخَب والضَّجَر، لأنّه ضدّ الحياء والخفَر.

ورجل جُلُبّان، وجَلَبّان: ذو جلَبة.

والجُلْبة: القِشرة الّتي تعلو الجُرح عند البُرْء. وقد جلَب يَجلِب، ويَجلُب، وأجلب.

والجُلْبة في الجبَل: حجارة تراكم بعضها على بعض، فلم يكن فيه طريق تأخذ فيه الدّوابّ.

والجُلْبة من الكلأ: قطعة متفرّقة ليست بمتّصلة.

والجُلْبة: العِضاه إذا اخضرّت وغلُظ عودها وصلُب شوكها.

والجُلْبة: السّنة الشّديدة.

وقيل: الجُلُبة: شدّة الزّمان.

والجُلُبة: شدّة الجوع. [ثمّ استشهد بشعر]

والجوالب: الآفات والشّدائد.

والجُلُبة: جِلْدة تُجعل على القتَب، وقد أُجلب: [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلْبة: حديدة تكون في الرَّحْل. وقيل: هو مايؤسَر به، سوى صُفّته[1] وأنساعه.

والجلبة: حديدة صغيرة يرقع بها القدح.

والجلبة: العوذة تُخرز عليها جلدة.

وجُلْبة السّكّين: الّتي تضمّ النّصاب على الحديدة.

والجِلْب، والجُلْب: الرَّحْل بما فيه، وقيل: خشَبه بلا أنساع ولا أداة.

والجِلْب، والجُلْب: السّحاب الّذي لاماء فيه، وقيل: هو السّحاب المعترض، تراه كأنّه جبَل، [ثمّ استشهد بشعر] والجمع: أجلاب.

وأجْلَب الرّجل: توعّد بشرّ، وجمع الجمع. وكذلك: جلَب يَجْلُب جَلْبًا، وفي التّنزيل: ﴿وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الإسراء: ٦٤، وقد قرئ: (واجلُب).

والجِلْباب: القميص.

(١) الخليل: صَنّقه.

والجِلْباب: ثوب واسع دون المِلْحَفة تلبسه المرأة، وقيل: هو ماتغطّى به الثّياب من فوق كالمِلْحَفة، وقيل: هو الخمار. وقد تَجلْبَبَ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِلْباب: المُلك.

والجِلِبّاب: مَثّل به سيبويه ولم يفسّره أحد، قال السّيرافيّ، وأظنّه يعني: الجِلْباب.

والجُلُبّان من القطانيّ: معروف.

والينْجَلِب: خرزة يُؤخَذ بها للرّجال. حكى اللّحيانيّ عن العامريّة أنّهنّ يقلن: «أخَذْته بالينْجَلِب، فلايَرِمْ ولايَغِبْ، ولايَزَلْ عند الطُّنُب». (٧: ٤٣٥)

الطُّوسيّ: فالاجتلاب: السّوق بجَلْبة من السّائق، وفي المثَل: «إذا لم تَغْلِب فاجْلِب» يقال: جلَب يجلِب جَلْبًا، وأجلَب إجلابًا، واجتلب اجتلابًا، واستجلب استجلابًا، وجلّب تجليبًا: مثل صوّت، وأصل الجلَبة: شدّة الصّوت، وبه يقع السّوق. (٦: ٤٩٩)

الرّاغب: أصل الجَلْب: سَوْق الشّيء، يقال: جلَبت جَلْبًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجْلَبْت عليه: صِحْت عليه بقهر، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الإسراء: ٦٤، والجَلَب المنهيّ عنه في قوله: «لاجَلَب» قيل: هو أن يجلب المصدّق أغنام القوم عن مرعاها فيَعُدّها. وقيل: هو أن يأتي أحد المتسابقين بمن يجلب على فرسه، وهو أن يزجره ويصيح به، ليكون هو السّابق.

والجُلْبَة: قشرة تعلو الجُرح، وأجلَب فيه.

والجُلْب: سحابة رقيقة تُشبه الجُلْبَة.

والجلابيب: القُمُص والخُمُر، الواحد: جِلْباب. (٩٥)

الزّمَخْشَريّ: جلَب الشّيء وأجتلبه، والجالب مرزوق. واشترِ من الجلَب، وعبد جليب. وطارت جُلْبَة الجُرْح، وجُلَب الجِراح، أي قشورها. وأجلَب عليهم. وماهذه الجلَبة؟ وماهذا الجلَب واللّجَب؟ وأدنت عليها من جِلْبابها، وتجلْببَتْ، وجلْببَتُها.

ومن المجاز: جلَبتْه جوالب الدّهر، وهذا ممّا يَجلِب الأحزان، ولكلّ قضاء جالب، ولكلّ دَرّ حالب.

(أساس البلاغة: ٦١)

الجلَب: بمعنى الجلَبة، وهي التّصويت.

(الفائق ١: ٢٢٤)

الجِلْباب: الرّداء، وقيل: ثوب أوسع من الخِمار، تُغطّي به المرأة رأسها وصدرها. (الفائق ٢: ٤٣٠)

المَدينيّ: في حديث سالم: «قَدِم أعرابيّ بجَلُوبة فنَزَل على طلحة، رضي الله عنه، فقال طلحة: نهى النّبيّ ﷺ أن يَبيع حاضِرٌ لبادٍ».

[قيل:] الجَلُوبة: مايُجلَب للبيع من رُذال المال دون الكريم، وقال الأصمَعيّ: هي الإبل من أيّ جنس كانت.

يقال: جلَب يجلُب ويَجلِب جَلْبًا وجلَبًا، فهو جالبٌ وجَلّاب، وذلك جلَبٌ للمجلُوبة. وهذا هو المعنيّ بالحديث، كأنّه أراد أن يبيعها له طلحة، فلذلك روى له الحديث.

في حديث مالك: «تؤخذ الزّكاة من الجُلْبان». الجُلْبان: حَبٌّ كالماش، ويقال له: الخُلّر، الواحد: جُلْبانة، وقيل: غير ذلك. (١: ٣٣٨)

ابن الأثير: وفي حديث عليّ رضي الله عنه: «أراد أن يغالط بما أجْلَب فيه» يقال: أجلَبوا عليه، إذا تجمّعوا

وتألّبوا. وأجلبَه: أعانه. وأجلب عليه، إذا صاح به واستحثّه.

ومنه حديث العَقبة: «إنّكم تُبايعون محمّدًا على أن تُحاربوا العرَب والعجَم مُجلِبة» أي مجتمعين على الحرب، هكذا جاء في بعض الرّوايات بالباء، والرّواية بالياء تحتها نقطتان. [ثمّ ذكر أحاديث وقد سبقت] (١: ٢٨٢)

الفَيُّوميّ: جلَبتُ الشّيء جَلْبًا، من بابي «ضرب وقتل». والجلَب بفتحتين «فَعَلٌ» بمعنى «مفعول» وهو ماتجلُبه من بلد إلى بلد.

وجلَب على فرسه جَلْبًا، من باب «قتل» بمعنى استحثّه للعَدْو بوَكز أو صياح أو نحوه؛ وأجلب عليه بالألف لغة.

وفي حديث: «لاجلَب ولاجنَب» بفتحتين فيهما، فُسّر بأنّ ربّ الماشية لايكلّف جلَبها إلى البلد ليأخذ السّاعي منها الزّكاة، بل تؤخذ زكاتها عند المياه. [إلى أن قال:]

والجِلْباب: ثوب أوسع من الخِمار ودون الرّداء. وتجَلْبَبت المرأة: لبست الجِلْباب.

والجُلُبان: حبّ من القطانيّ، ساكن اللّام. وبعضهم يقول سُمع فيه فتح اللّام مشدّدة. (١: ١٠٤)

الفيروزاباديّ: جلَبه يَجلِبه ويَجلُبه جَلْبًا وجلَبًا، واجتلَبه: ساقه من موضع إلى آخر. فجلَب هو وانجلَب. واستجلَبه: طلب أن يُجلَب له.

والجلَب محرّكةً: ماجُلِب من خيل أو غيرها كالجليبة والجلُوبة، الجمع: أجلاب.

واختلاط الصّوت كالجلَبة. جلَبوا يَجلِبون ويَجلُبون وأجلَبُوا وجلّبوا.

و«لاجلَب ولاجنَب» هو أن يُرسَل في الحَلْبة فيجتمع له جماعةٌ تَصيحُ به ليُرَدّ عن وجهه، أو هو أن لاتُجلَب الصّدقة إلى المياه والأمصار، ولكن يتصدّق بها في مَراعيها، أو أن ينزل العامل موضعًا ثمّ يُرسل من يَجلِب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها، أو أن يتبع الرّجل فرسه فيركُض خلفَه ويزجره ويَجلِب عليه.

وجلَب لأهله: كسَب وطلَب واحتال كأجلَب، وعلى الفرس: زجَرَه كجلَّبَ وأجلَب.

وعبد جليب: مجلُوب، الجمع: جَلْبَى وجُلَباء كقَتْلَى وقُتَلاء.

وامرأة جليب: من جَلْبَى وجلائب.

والجلُوبة: ذكور الإبل أو الّتي يُحمَل عليها متاع القوم، الجمع والواحد سواءٌ.

ورَعْدٌ مُجَلِّب: مُصوّت. وامرأة جلّابة ومُجَلِّبة وجِلِبّانة وجِلِبْنانة وجُلُبْنانة: مُصوّتة صَخّابة مِهْذارةٌ سيّئة الخُلُق. ورجل جُلُبّان وجَلَبّان: ذو جلَبة.

وجلَب الدّم: يَبِسَ وتوعّد بشرّ، أو جمع الجمع كأجلَب في الكلّ. وعلى فرسه: صاح. والجُرحُ: برأ يَجلِبُ ويَجلُب في الكلّ. وكسمع: اجتمع.

والجُلْبة بالضّمّ: القشرة تَعلُو الجُرحَ عند البُرء، والقطعة من الغيم، والحجارة تراكم بعضها على بعض فلم يبق فيها طريق للدّوابّ. والقطعة المتفرّقة من الكلإ، والسّنة الشّديدة، والعِضاه المُخضَرّة، وشدّة الزّمان، والجوع، وجِلْدة تُجعَل على القتَب، وحديدة تكون في الرّحل، وحديدة يُرقَع بها القدَح، والعُوذة

تَخرَز عليها جِلدَة، ومن السَّكّين: الّتي تَضمّ النِّصاب على الحديدة، والرّويّة تُصَبّ على الحليب، والبُقعَة، وبَقْلَة.

والجَلَبُ: الجناية جلَب كنصَر، وبالكسر: الرَّحْلُ بما فيه، أو غِطاؤه، وخشَبُه بِلا أنْساع وأداة.

وبالضّمّ ويكسر: السّحاب لاماء فيه، أو المُعتَرِض كأنّه جبل.

وبالضّمّ: سواد اللّيل، وموضع.

والجِلْباب كسِرْداب وسِنِمّار: القميص، وثوب واسع للمرأة دون الملحفة، أو ماتُغطّي به ثيابها من فوق كالمِلحَفَة، أو هو الخِمار، وجَلْبَبه فَتَجَلْبَبَ، والمُلك.

والجَلَنْباة: السّمينة.

والجُلّاب كرُنّار: ماءُ الوَرْدِ معرّب، وقرية بالرُّهى، ونَهرٌ، وعليّ بن محمّد الجُلّابيّ مُؤَرِّخ.

وأجلَب قَتَبَهُ: غشّاه بالجِلْد الرّطب حتّى يبِسَ، وفلانًا: أعانه، والقوم: تجمّعوا، وجعل العُوذة في الجُلْبَة، ووَلَدَتْ إبلُه ذكورًا.

وجِلّيب كسِكّيت: موضع.

والجُلُبّان: نَبْتٌ، ويُخفّف.

والجِراب: من الأدَمَ أو قِراب الغِمْد.

والتَّجليب: خَرَزَةٌ للتأخيذ أو للرّجوع بعد الفرار.

والتّجليب: المنع، وأن تُؤخذ صُوفة فتُلَق على خِلْف النّاقة، فَتُطلَى بطين أو نحوه، لئلّا ينهزه الفصيل.

والدّائرة المُجتَلَبَة، ويقال: دائرة المُجتَلَب: من دوائر العَروض، سمّيت لكثرة أبحُرها، أو لأنّ أبحُرها مُجتَلَبَةٌ. (١: ٤٨)

الطُّرَيحيّ: الجلابيب: جمع جِلْباب، وهو ثوب واسع، أوسع من الخِمار ودون الرّداء، تَلويه المرأة على رأسها، وتُبقي منه ماتُرسله على صدرها.

والجَلّاب: الّذي يشتري الغنم وغيرها من القُرى، ويجيء بها ويبيعها بالمدينة، ويُتوسّع به فيُطلق أيضًا على الّذي يجلب الأرزاق إلى البُلدان، ومنه: «الجالب مرزوق والمُحتكر ملعون».

وفي الحديث: «لابأس أن يبيع الرّجل الجلَب» وهو الّذي يُجلَب من بلد إلى بلد.

وفيه أيضًا: «لاتتلقّوا الجلَب» أي المجلوب الّذي جاء من بلدة للتّجارة.

وفي حديث مكّة: «إنّ الحطّابين والمجتلبة أتوا النّبيّ، فأذن لهم أن يدخلوها حلالًا». والمراد بالمجتلبة: الّذين يجلبون الأرزاق.

وفي الحديث: «إذا صار التّلقّي أربع فراسخ فهو جلَب».

وجلَبة الرّجال بفتح الثّلاثة: اختلاط الأصوات. (٢: ٢٣ ـ ٢٥)

المُصطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد في كلمة «الجلَب»: هو السّوق من جانب إلى جانب آخر، والإتيان بشيء من محلّ إلى محلّ آخر.

وهذا المعنى تختلف خصوصيّاته بالصّيغ وبضميمة الحروف. فيقال: جلَب الشّيء، أي ساقه. وجلَبتُ عليه، أي استحثّه للعَدْو، وأجلَبه، أي أعانه. فإنّ «على» تدلّ على الاستعلاء والتّسلّط، وصيغة «إفعال» على التّعدية، أي جعله جالبًا، وهو معنى التّقوية

والإعانة.

وأمّا الجُلْبَة، فهي «فُعْلَة» بمعنى مايُجلَب، كالقشرة المطلوبة في الجُرح حتّى يتحقّق البُرْء، والجِلْدة تُجعل على القتَب لمحافظته، فهي مايُجلَب حصولها بعد تماميّة القتَب أو الرّحل.

وأمّا الجِلْباب، فهو مصدر كدِحْراج. وأصل جَلْبَب: ثلاثيّ، ثمّ أُلحق بتكرير اللّام بالرّباعيّ. وتكرير اللّام يدلّ على دوام الجلَب واستمراره، إلى أن يلازم من يجلبه، وهذا هو معنى الجِلْباب.

فالتّعبير بالمصدر في مقام إرادة الذّات، يدلّ على المبالغة في مفهومه، والزّيادة: تدلّ على زيادة معنى الجلب، والزّيادة في الآخر: تدلّ على الاستمرار.

ومفهوم «الجلب»: يقتضي التّماميّة، فيدلّ على أنّ «الجلب» إنّما يتحقّق بعد تماميّة الجالب من جهة اللّوازم الأوّليّة، فلايقال: إنّ القميص أو الخِمار أو نحوهما من الملابس الضّروريّة، موارد لمفهوم الجلب.

فظهر بهذه القرائن أنّ «الجِلْباب» هو ماقيل: إنّه مايُغطّي الثّياب، ويستر البدن والثّياب معًا، والمُلاءة: الّتي يُشتمل بها، والملحفة، والرّداء: الّذي يستر تمام البدن، ويُلبَس فوق الثّياب.

فالجِلْباب بهذا المعنى، هو الّذي يقتضيه ويجلبه حجاب المرأة وسترها، كما أنّ الفقر يقتضي الاشتمال بالصّبر وإحاطته على الفقير، ومحجوبيّة المرأة وعفّتها تقتضي أن تُجلِّب بالبيت، والبيت جِلْبابها.

فحقيقة الجِلْباب: هي مايُجلَب ويُلازم، ويُغطّي الجالب. [ثمّ ذكر الآيات] (٢: ٩٩)

النُّصوص التّفسيريّة

أَجْلِبْ

وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ... الإسراء: ٦٤

ابن الأعرابيّ: أي أجمع عليهم وتوعّدهم بالشّرّ. (الأزهَريّ ١١: ٩١)

الطّبَريّ: وأجمع عليهم من رُكبان جندك ومُشاتهم من يجلب عليهم بالدّعاء إلى طاعتك، والصّرف عن طاعتي. (١٥: ١١٨)

الزّجّاج: أي أجمع عليهم كلّ ماتقدر عليه من مكايدك. (٣: ٢٥٠)

مثله السّجستانيّ (١٠٨)، ونحوه الخازن (٤: ١٣٦).

الجصّاص: إنّ الإجلاب هو السّوق بجَلَبة من السّائق. والجلَبة: الصّوت الشّديد. (٣: ٢٠٥)

الماوَرْديّ: والجلب هو السّوق بجَلَبة من السّائق، وفي المثل: إذا لم تَغْلِب فأَجْلِب. (٣: ٢٥٥)

البغَويّ: يقال: أجْلَبوا وجَلَبوا، إذا صاحوا، يقول: صِحْ بخيلك واحثُثهم بالإغواء. (٣: ١٤٢)

نحوه البَيْضاويّ. (١: ٥٩١)

المَيْبُديّ: أي صِحْ عليهم، وأصله: الجلَبة، وهي شدّة الصّوت، والمعنى احثُثهم عليهم بالإغواء والدّعاء إلى طاعتك، والصّدّ عن طاعتي. (٥: ٥٧٨)

الزّمَخْشَريّ: (وَاَجْلِبْ) من الجَلَبة، وهي الصّياح. (٢: ٤٥٦)

نحوه أبو السُّعود (٤: ١٤٤)، والقاسميّ

(١٠: ٣٩٤٧)، والمراغيّ (١٥: ٦٨).

ابن عَطيّة : أي هَوِّل، والجلَبة: الصّوت الكثير المختلط الهائل.

وقرأ الحسن: (واجلُب) بوصل الألف، وضمّ اللّام. (٣: ٤٧٠)

الطَّبْرِسيّ : أي أجْمِع عليهم ماقدرت عليه من مكايدك وأتباعك وذرّيّتك وأعوانك. (٣: ٤٢٦)

الفَخْرالرّازيّ : قوله: ﴿وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ معناه على قول الفرّاء: صِحْ عليهم بخيلك ورَجِلك، وعلى قول الزّجّاج: أجْمِع عليهم كلّ ماتقدر عليه من مكايدك؛ وتكون الباء في قوله: (بِخَيْلِكَ) زائدة على هذا القول. وعلى قول ابن السّكّيت: معناه أعِنْ عليهم بخيلك ورَجلك، ومفعول الإجلاب ـ على هذا القول ـ محذوف، كأنّه يستعين على إغوائهم بخيله ورَجله، وهذا أيضًا يقرب من قول ابن الأعرابيّ. (٢١: ٦)

القُرطُبيّ : أصل الإجلاب: السّوق بجَلبة من السّائق، يقال: أجلَب إجلابًا. والجلَب والجلَبة: الأصوات، تقول منه: جلّبوا بالتّشديد. وجلَب الشّيء يجلِبه ويَجلُبه جلْبًا وجَلَبًا. وجلبت الشّيء إلى نفسي واجتلبته، بمعنى.

وأجلَب على العدوّ إجلابًا، أي جمّع عليهم، فالمعنى أجمِع عليهم كلّما تقدر عليه من مكايدك. (١٠: ٢٨٨)

النّسَفيّ : أجْمع وصِح بهم، من الجلَبة وهو الصّياح. (٢: ٣٢٠)

ابن كثير: واحمِل عليهم بجنودك خيّالتهم ورَجلتهم. [إلى أن قال:]

ومعناه تسلَّطْ عليهم بكلّ ماتقدر عليه، وهذا أمر قدريّ. (٤: ٣٢٥)

البُرُوسَويّ : في «الكواشي» جلَب وأجلَب واحد، بمعنى الحثّ والصّياح، أي صِحْ عليهم بأعوانك وأنصارك. (٥: ١٨١)

طنطاوي : هذا تمثيل لسلطته على من يغويهم برجل مغير صاحَ على قوم، فاستفزّهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجُنده حتّى استأصلهم. (٩: ٧٦)

عِزّة دَرْوَزَة : الإجلاب بمعنى السّوق، أو الهجوم بشدّة وضجّة. (٣: ٢٤٩)

عبد الكريم الخطيب : أي أجْمِع أمرك، وادْعُ كلّ ماتملك من قوّة. وأجلب القوم: جاءوا من كلّ صوب؛ ومنه «الجلَب» وهم التّجّار الواردون على السّوق. (٨: ٥١٨)

مكارم الشّيرازيّ: (أجْلِب) مأخوذ من «إجلاب» وفي الأصل من «جلَبة» وهي تعني الصّرخة الشّديدة، والأجلاب تعني الطّرد مع الأصوات والصّرخات.

وأمّا النّهي عن «الجلب» الوارد في الرّوايات، فهو إمّا أن يعني أنّ الّذي يذهب إلى المزارع لجمع الزّكاة، يجب عليه أن لايصيح ويصرخ، بحيث يُخيف الأحياء، أو أنّه يعني أنّ على المتسابقين عند سباق الخيل أن لايصرخوا في وجوه الخيل الأُخرى، حتّى تكون لهم الأسبقيّة. (٩: ٤٧)

المُصْطَفَويّ: أي اجْعَل نفسك متهيّأً، وتجمّع عليهم.

ومرجع التّجمّع والتّألّب عليه إلى جلب النّفس،

ليتجمع عليه، بالخيل والرَّجل. (٢: ١٠١)

جَلَابِيبِهِنَّ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ... الأحزاب: ٥٩

ابن مَسعود: إنّ الجِلْباب: الرّداء.

مثله الحسَن. (الماوَرْديّ ٤: ٤٢٣)

ابن عبّاس: من جِلْبابهنّ، وهي المِقنَعة والرّداء. (٣٥٧)

أمر الله نساء المؤمنين إذا خرَجْن من بيوتهنّ في حاجة، أن يُغطّين وجوههنّ من فوق رؤوسهنّ بالجلابيب، ويُبدين عينًا واحدةً. (الطَّبَريّ ٢٢: ٤٦)

نحوه السُّدّيّ. (٣٦٨)

كانت الحُرّة تلبس لباس الأمة، فأمر الله نساء المؤمنين أن يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ، وإدناء الجلباب: أن تقنّع وتَشُدّ على جبينها.

نحوه قَتادَة. (الطَّبَريّ ٢٢: ٤٦)

الجلابيب: جمع جِلْباب، وهو خمار المرأة، وهي المِقنَعة تُغطّي جبينها ورأسها إذا خرجت لحاجة، بخلاف خروج الإماء اللّاتي يخرجن مكشّفات الرّؤوس والجباه.

مثله مُجاهِد. (الطُّوسيّ ٨: ٣٦١)

الرّداء الّذي يستر من فوق إلى أسفل.

(الزَّمَخْشَريّ ٣: ٢٧٤)

عبيدَة السّلْمانيّ: أن تضع رداءها فوق الحاجب ثمّ تديره حتّى تضعه على أنفها. (الزَّمَخْشَريّ ٣: ٢٧٤)

سعيد بن جُبَيْر: إنّه القناع. (الماوَرْديّ ٤: ٤٢٣)

الحسَن: الجلابيب: الملاحف تُدنيها المرأة على وجهها. (الطُّوسيّ ٨: ٣٦١)

الكِسائيّ: يتقنّعن بملاحفهنّ، منضمّة عليهنّ.

(الزَّمَخْشَريّ ٣: ٢٧٤)

قُطْرُب: إنّه كلّ ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها.

(الماوَرْديّ ٤: ٤٢٤)

الجُبّائيّ: أراد بالجلابيب: الثّياب والقميص والخِمار وماتستتر به المرأة.

مثله أبو مسلم الأصفهانيّ. (الطَّبْرِسيّ ٤: ٣٧٠)

البَغَويّ: جمع الجِلْباب، وهو الملاءة الّتي تشتمل بها المرأة فوق الدّرع والخِمار. (٣: ٦٦٤)

مثله المَيْبُديّ (٨: ٨٩)، والخازن (٥: ٢٢٧)، وطنطاوي (١٦: ٣٨).

الزَّمَخْشَريّ: الجِلْباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرّداء، تلويه المرأة على رأسها وتُبقي منه ماتُرسله على صدرها.

فإن قلت: مامعنى (مِن) في (مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)؟

قلت: هو للتّبعيض إلّا أنّ معنى التّبعيض محتمل وجهين:

أحدهما: أن يتجلْبَبْن ببعض مالهنّ من الجلابيب، والمراد أن لاتكون الحُرّة متبذلة في دِرْع وخِمار كالأمَة والماهنة، ولها جلبابان فصاعدًا في بيتها.

والثّاني: أن تُرخي المرأة بعض جِلْبابها وفضله على وجهها تتقنّع، حتّى تتميّز من الأمة. (٣: ٢٧٤)

ابن عَطيّة: والجِلْباب: ثوب أكبر من

الخِمار. (٤: ٣٩٩)

القُرطُبيّ: [بعد نقل أقوال المفسّرين قال:]

والصّحيح أنّه الثّوب الّذي يستر جميع البدن. (١٤: ٢٤٣)

البَيْضاويّ: يُغطّين وجوههنّ وأبدانهنّ بملاحفهنّ إذا برزن لحاجة. و(مِنْ) للتّبعيض، فإنّ المرأة تُرخي بعض جِلْبابها وتتلفّع ببعض. (٢: ٢٥٢)

نحوه أبوالسُّعود (٥: ٢٣٩)، والبُرُوسَويّ (٧: ٢٤٠).

النَّيسابوريّ: ومعنى التّبعيض في ﴿مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ أن يكون للمرأة جلابيب فتقتصر على واحد منها، أو أُريد طرفٌ من الجِلْباب الّذي لها. وكانت النّساء في أوّل الإسلام على عادتهنّ في الجاهليّة مبتذلات يبرزن في دِرْع وخِمار من غير فصل بين الحُرّة والأَمَة، فأُمرن بلبس الأردية والملاحف وستر الرّأس والوجوه. (٢٢: ٣٠)

أبوحَيّان: والجلابيب: الأردية الّتي تستر من فوق إلى أسفل [إلى أن قال:]

والظّاهر أنّ قوله: ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يشمل الحرائر والإماء. والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرّفهنّ بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهنّ من عموم النّساء إلى دليل واضح.

و(من) في (مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) للتّبعيض، و(عَلَيْهِنَّ) شامل لجميع أجسادهنّ، أو (عَلَيْهِنَّ): على وجوههنّ، لأنّ الّذي كان يبدو منهنّ في الجاهليّة هو الوجه. (٧: ٢٥٠)

الشِّربينيّ: والجِلْباب: القميص، وثوب واسع دون الملحَفة تلبسه المرأة، والملحَفة: ما ستر اللّباس، والخِمار وهو كلّ ما غطّى الرّأس. وقال البَغَويّ: الجِلْباب: المُلاءة الّتي تشتمل بها المرأة فوق الدِّرْع والخِمار، وقال حمزة الكرمانيّ: قال الخليل: كلّ ما يُستَر به من دثار وشِعار وكساء فهو جلباب.

والكلّ تصحّ إرادته هنا، فإن كان المراد القميص فإدناؤه إسباغه حتّى يُغطّي بدنها ورجليها، وإن كان ما يُغطّي الرّأس فإدناؤه ستر وَجهها وعُنقها، وإن كان المراد ما يُغطّي الثّياب فإدناؤه تطويله وتوسيعه؛ بحيث يستر جميع بدنها وثيابها، وإن كان المراد ما دون الملحَفة، فالمراد ستر الوجه واليدين. (٣: ٢٧١)

الآلوسيّ: [راجع: «د ن و»] (٢٢: ٨٨)

الطَّباطَبائيّ: الجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب تشتمل به المرأة، فيغطّي جميع بدنها، أو الخِمار الّذي تُغطّي به رأسها ووجهها. (١٦: ٣٣٩)

ابن عاشور: والجلابيب: جمع جِلْباب، وهو ثوب أصغر من الرّداء، وأكبر من الخِمار والقناع، تضعه المرأة على رأسها، فيتدلّى جانباه على عذاريها، وينسدل سائره على كتفها وظهرها، تلبسه عند الخروج والسّفر.

وهيئات لبس الجلابيب مختلفة باختلاف أحوال النّساء تبيّنها العادات. (٢١: ٣٢٨)

الصّابونيّ: [بعد نقل أقوال بعض اللّغويّين والمفسّرين قال:]

والخلاصة: فإنّ الجِلْباب هو الّذي يستر جميع بدن المرأة، وهو يُشبه المُلاءة ـ الملحَفة ـ المعروفة في زماننا. (٢: ٣٧٥)

الأمر بالحجاب إنّما جاء بعد أن استقرّ أمر الشّريعة على وجوب ستر العورة، فلابدّ أن يكون السّتر المأمور به هنا زائدًا على مايجب من ستر العورة، ولهذا اتّفقت عبارات المفسّرين ـ على اختلاف ألفاظها ـ على أنّ المراد بالجلباب: الرّداء الّذي تستتر به المرأة جميع بدنها فوق الثّياب، وهو مايسمّى في زماننا بالملاءة، أي الملحفة، وليس المراد ستر العورة، كما ظنّ بعض النّاس.

في هذا التّفصيل والتّوضيح: (اَزْوَاجِكَ، بَنَاتِكَ، نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ) ردّ صريح على الّذين يزعمون أنّ الحجاب إنّما فُرض على أزواج النّبيّ ﷺ خاصّة. فإنّ قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يدلّ دلالة قاطعة على أنّ جميع نساء المؤمنين مكلّفات بالحجاب، وأنّهنّ داخلات في هذا الخطاب العامّ الشّامل، فكيف يزعمون أنّ الحجاب لم يُفرض على المرأة المسلمة؟! (٢: ٣٧٨)

مكارم الشّيرازيّ: أمّا المراد من «الجِلْباب» فقد ذكر المفسّرون وأرباب اللّغة عدّة معان له:

١ ـ أنّه الملحفة، وهي قماش أطول من الخِمار، يُغطّي الرّأس والرّقبة والصّدر.

٢ ـ أنّه المِقنعة والخِمار.

٣ ـ أنّه القميص الفضفاض الواسع.

ومع أنّ هذه المعاني تختلف عن بعضها، إلّا أنّ العامل المشترك فيها أنّها تستر البدن.

وتجدر الإشارة إلى أنّ «الجِلْباب» يُقرأ بكسر الجيم وفتحها. إلّا أنّ مايبدو أظهر هو أنّ المراد: الحجاب الّذي يكون أكبر من الخِمار وأقصر من العباءة، كما ذكر صاحب «لسان العرب». (١٣: ٣٢٢)

المُصْطَفَويّ: أي لبس الجِلْباب أقرب من المعروفيّة بالعفّة والتّقوى والمحجوبيّة، فيُعرفن به ولايؤذَين.

فالمراد من المعروفيّة: التّعرّف بالتّقوى والحجاب، لاالتّعرّف الشّخصي، فإنّ التّعرّف الشّخصي يتحقّق كاملًا بدون الجِلْباب، والجِلْباب مانع عن ذلك التّعرّف.

وهذا دليل آخر على أنّ المراد من «الجِلْباب» مايغطّي بدنه وثيابه، حتّى يتحقّق المحجوبيّة والتّقوى والسّتر الكامل، ويُعرَفن بها.

وأمّا صيغة الجمع (جلابيب) فهي باعتبار جماعة النّساء وفي مقابلها. وأمّا كلمة «مِنْ» الدّالّة على التّبعيض، فباعتبار لزوم التّستّر بواحد من الجلابيب. (٢: ١٠٠)

راجع «د ن و».

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: السّوق، والتّغطية، فمن الأوّل: الجَلْب؛ يقال: جَلَبَ الشّيء يَجلِبُه ويَجلُبُه جَلْبًا فانجلب، واجتَلَبه، أي ساقه من موضع إلى آخر، واستَجلَبه: طلب أن يُجلب إليه.

والجَلَب: ماجُلِبَ من خيل وإبل وسَبْي ومتاع، وهو الّذي يجلبها أيضًا، والجمع: أجلاب، يقال: جلَبتُ الشّيء أجلُبُه جَلَبًا.

والجليب: الّذي يُجلب من بلد إلى غيره، يقال: عبدٌ جليبٌ، وامرأةٌ جليبٌ أيضًا، والجمع: جَلبَى لكليهما، وجُلَباء للأوّل وجَلائب للثّاني، والجليبة: ماجُلب.

والجلوبة: مايُجلب للبيع، نحو: النّاب والفحل والقلوص، يقال: هل لك في إبلك جَلوبة؟ يعني شيئًا جلبتَه للبيع. والجَلوبة: الإبل يُحمل عليها متاع القوم، وهي ذكورها أيضًا، يقال: أأجلَبتَ أم أحلَبتَ؟ أي أولدت إبلك جَلوبة أم ولدت حَلوبة ـ والحلوبة: الإناث ـ والجمع: جَلائب.

وأجلَبَ الرّجل: نُتِجَت إبله ذكورًا؛ إذ تُجلَب أولادها فتباع. ويقال للدّعاء عليه: أجلَبتَ ولاأحلَبتَ، أي كان نتاج إبلك ذكورًا لاإناثًا، ليذهب لبنُه. ومنه: جَلَبَ الرّجل يَجلُبُ جَلْبًا، وأجلَبَه: توعّده شرًّا.

وجَلَبَ لأهله يَجلُب وأجلَبَ: كسب وطلب واحتال، لأنّه يسوق إليهم مايقتاتون به.

والجَلَب: الجناية على الإنسان، وقد جَلَبَ عليه، لأنّه شيء يجلب عليه ويساق إليه، كالجَرح والاجترام.

والجَلَب والجَلَبة: اختلاط الصّوت؛ يقال: جَلَبَ القوم يَجلِبون ويَجلُبون، وأجلبوا وجلّبوا. وأجلَب على الفرس وجلّب، وجَلَبَ يَجلُبُ جَلْبًا: زجره وصاح به من خلفه واستحثّه للسّبق.

ورجل جُلُبّانٌ وجَلَبّانٌ: ذو جَلَبة، وامرأة جَلّابةٌ ومُجَلِّبَةٌ وجِلِبّانةٌ وجُلُبّانةٌ وجِلِبْنانةٌ وجُلُبْنانةٌ: ذات جَلَبة وسيّئة الخُلُق. ورعدٌ مُجَلِّبٌ، وكذا غيثٌ مُجَلِّبٌ: مصوِّتٌ.

ومن الثّاني: الجُلْبَة: الجلدة الّتي تغشّي التّميمة، لأنّها كالغشاء للقراب، وهي أيضًا الجلدة الّتي توضع على القتَب، وقد أجلبَ قتبَه: غشّاه بالجُلْبَة.

وجُلْبان وجُلُبّان السّلاح: القراب بما فيه، مشتقّ من الجُلْبَة.

والجُلْبَة: القشرة الّتي تعلو الجُرح عند البُرْء، وقد جَلَبَ يَجلِبُ ويَجلُبُ وأجلَبَ. وجَلَبَ الدّم وأجلَبَ: يَبِس، وقُرحةٌ مُجلبة وجالبةٌ، وقُروحٌ جَوالبُ وجُلّبٌ.

والجُلْبَة: الغيم، على التّشبيه بجُلْبَة الجرح أو القتَب، يقال: مافي السّماء جُلْبَة، أي غيم يطبّقها.

وجُلْبَة السّكّين: الّتي تضمّ النّصاب على الحديدة.

والجِلْب والجُلْب: سحاب رقيق لاماء فيه، والجمع: أجلاب.

والجِلْب والجُلْب أيضًا: الرّحل بما فيه، لأنّه يغطّي ظهر الدّابّة، وقيل: جِلْب الرّحل: غطاؤه، وجُلْبه: عيدانه.

والتّجليب: أن تؤخذ صوفة، فتُلَق على خِلْف النّاقة ثمّ تُطلى بطين أو عجين، لئلّا ينهزها الفصيل، يقال: جلِّبْ ضرع حَلوبتك، وجَلّبتُه عن كذا وكذا تجليبًا: منعتُه.

ومنه أيضًا: الجِلْباب، وهو قميص أو ملحفة أو خِمار تغطّي به المرأة رأسها وصدرها، والجمع: جلابيب، يقال: تَجَلْبَبَت المرأة، أي لبست الجلباب، وجلببه إيّاه: ألبسه الجلباب.

والجِلْباب: اسم على وزن «فِعْلال»، مثل: قِنْطار وشِمْلال، والجَلْبَبَة: مصدر على وزن «فَعْلَلة» وهو ملحق بما جاء على هذا الوزن، مثل: دَحْرَجة وزَلْزَلة، ولولا ذلك لأدغمت الباء الأُولى في الثّانية، فيصبح «جَلَبَّة»، وهذا يُنبئ عن زيادة الباء الثّانية، فيعضد قول من ذهب

هذا المذهب دون الأُولى.

٢ـ وزعم «آرثر جفري» أنّ اشتقاق «الجلباب» من «ج ل ب» صعبٌ بعيد المُلتمَس، وقال: «يظهر أنّ الجلباب مفردة قديمة معرّبة، لأنّها استُعملت في الشّعر العربيّ القديم». واعتبره «نولدكه» لفظًا حبشيًّا، يعني الرّداء واللُّبادة، رغم اعترافه بوروده في النّصوص القديمة كثيرًا.

ويبدو أنّ اختلاف اللّغويّين في وصف الجِلباب قد أغرى المستشرقين باعتساف هذا القول، بَيْد أنّهم اتّفقوا جميعًا على كونه غطاء، يختلف وصفه وحاله باختلاف المكان والزّمان، كاختلافهم في وصف الإبريق، واتّفاقهم جميعًا على أعجميّته.

٣ـ وقد دخلت هذه المادّة معاني أُخرى تصحيفًا أو إبدالًا، أمّا التّصحيف فقولهم: أجلبوا عليه، وهو من «ح ل ب». يقال: حَلَبَ القوم يحلُبون حَلْبًا وحُلوبًا، أي اجتمعوا وتألّبوا من كلّ وجه، ونحوه: أحلَبَ بنو فلان مع بني فلان، أي جاءوا أنصارًا لهم، والمُحلِب: النّاصر، وحالبتُ الرّجل: نصرتُه وعاونتُه.

ومن الإبدال: الجُلْبَة والكُلْبَة: القحط والشّدّة، وجُلْبَة الزّمان وكُلْبَته: شدّته.

والجُلْبَة والكُلْبَة: مايؤسر به، يقال: أسيرٌ مُكَلَّبٌ، أي مشدود بالقِدّ، وكَلِبَ عليه القِدّ: أُسر به فيَبِسَ وعضّه.

والجُلْبَة والكُلْبَة أيضًا: عضاه شاكة. وكلّ ذلك من «ك ل ب» لأنّ أصله الكلب، الحيوان المعروف، وهو يدلّ ـ كما قال ابن فارس ـ على تعلّق الشّيء بالشّيء في شدّة، وشدّة جذب.

وفي الحديث: «كان إذا اغتسل دعا بشيء مثل الحلاب»، أي مايُحلَب فيه الغنم كالمِحْلَب. كما روي بالجيم «الجُلّاب»، أي ماء الورد، وهو معرّب «گُلاب» الفارسيّ. ولكنّ لغة «الحاء» أنسب.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظان: فعل أمر ثلاثيًّا من باب الإفعال في آية مكّيّة، واسمٌ مجموعًا رباعيًّا في آية مدنيّة:

١ـ ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ اِلَّا غُرُورًا﴾ الإسراء: ٦٤

٢ـ ﴿يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِاَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذٰلِكَ اَدْنٰى اَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

الأحزاب: ٥٩

يلاحظ أوّلًا: أنّ في (١) بحوثًا:

١ـ قالوا في ﴿وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾: أجمع عليهم، صِحْ عليهم، احْثُثهم بالإغواء، هوّل عليهم بالإغواء، هوّل عليهم، أجمع وصِحْ بهم، احْمِل عليهم بجنودك، تسلّط عليهم بكلّ ماتقدر عليه، أجمع أمرك وادْعُ كلّ ماتملك من قوّة، أجمع نفسك متهيّأً، وتجمّع عليهم. وكلّها تفسير باللّوازم. وأصل المعنى: سَوق المذكورات عليهم بجمعهم وحثّهم وحملهم والصّيحة ونحوها، والسَّوق أحد أصلين، ذكرهما ابن فارس لهذه المادّة، وجاء في كلام كثير منهم.

٢ـ قال طنطاوي: «هذا تمثيل لسُلطته على من يُغويهم برجل مغير صاحَ على قوم فاستفزّهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم». وبناءً عليه فالآية تمثيل وتشبيه جمعيّ لطرق إغواء الشّيطان من يغويهم، فلاتُحمل الألفاظ على حقيقتها، وهو حقّ لابأس به.

٣ـ الآية جاءت عقيب قول الشّيطان، بعد الرّجم والطّرد من قبل الله: ﴿اَرَاَيْتَكَ هٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ اِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٦٢، وبعد قول الله له: ﴿اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ الإسراء: ٦٣، فالأمر بالاستفزاز والإجلاب عليهم وبالإشراك في الأموال والأولاد، وبوعدهم غرورًا، كلّها بيان لما يفعل الشّيطان بمن تبعه. والأمر فيها للتّقريع، دون الإيجاب والتّكليف.

وتُوضّحه الآية بعدها: ﴿اِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفٰى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ الإسراء: ٦٥، أي أنّ الله كفيل بحفظ عباده من إغواء الشّيطان، دون من اتّبعه بهواه. قال ابن كثير: «وهذا أمر قدريّ» أي فرضيّ وتقديريّ، كأنّه أمره الله بذلك.

ثانيًا: في (٢) بُحوثٌ أيضًا:

١ـ أنّها جاءت عقيب آيتين، فيها ذكر الّذين يؤذون الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات، وهم المنافقون الّذين جاء ذكرهم في آيات بعدها؛ حيث أنذرهم بالأخذ والتّقتيل بكلّ مكان: ﴿اَيْنَ مَا ثُقِفُوا اُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ الأحزاب: ٦١، فيبدو أنّ للآية علاقةً بما كان المنافقون يؤذون به المؤمنات، وهذا ماقاله الطَّبْرِسيّ من أنّهم كانوا يؤذون الإماء، لأنّهنّ كنّ مكشوفات الرّؤوس والجباه، وكانوا قد يعترضون للحرائر، وادّعوا أنّهم حسبوهنّ إماءً، فأمر الله الحرائر بإدناء جلابيبهنّ، ليُعرَفن أنّهنّ حرائر، فلايؤذَين، حسمًا لكيد المنافقين. وقال النّيسابوريّ: «كانت النّساء في أوّل الإسلام على عادتهنّ في الجاهليّة مبتذلات يبرزن في دِرْع وخِمار، من غير فصل بين الحرّة والأمَة، فأُمِرن بلبس الأردية والملاحف، وستر الرّأس والوجوه».

٢ـ الجلابيب: جمع جِلْباب، واتّفقت كلمتهم في أنّه مايستر المرأة، واختلفت في وصفه: هل هو مقنعة، أو خمارٌ أو رداءٌ يستر من فوق إلى أسفل، أو الثّياب والقميص والخمار وماتستتر به المرأة، أو الملاءة الّتي تشتمل بها المرأة فوق الدّرع والخمار، أو هو ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرّداء، تلويه المرأة على رأسها، وتبقي منه ماترسله على صدرها، أو ثوب أكبر من الخمار، أو الثّوب الّذي يستر جميع البدن، أو القميص، وثوب واسع دون الملحفة، والملحفة: ماستر اللّباس والخمار، وهو كلّ ماغطّى الرّأس، أو كلّ مايستتر به من دثار وشعار وكساء فهو جلباب، أو هو مردّد بين مايشمل جميع البدن، أو الخمار الّذي يُغطّي الرّأس والوجه، أو الجلابيب مختلفة باختلاف أحوال النّساء والعادات.

ونقول: لعلّ الاختلاف في توصيف الجلابيب نشأ من اختلاف العادات، حسب الأزمنة والأمكنة، ولكن المدار على ماكان معمولًا عند نزول الآية، ولاعبرة بما شاع منها بعدها في البلاد.

٣ـ وقد نشأ من اختلافهم في «جلباب» اختلافهم في حدّ مايجب على المرأة ستره من بدنها، فمن قال: إنّه الخمار والمقنعة ونحوهما أوجب ستر الرّأس والوجه، ومن قال: إنّه ثوب شامل للبدن يُلبس فوق الثّياب كالرّداء، فأوجب ستر البدن دون الوجه. والتّحقيق في ذلك يتمّ بالبحث في آية سورة النّور: ٣١ وهي: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾ فقال غير واحد: أنّ الخمار ـ وجمعه خُمُر ـ مايستر به الرّأس ـ ولم يذكروا الوجه معه ـ فأُمرن أن يضربن بخُمرهنّ على الجيوب ليسترن بها الصّدور والأعناق، فلاتدلّ على ستر الوجه والجبهة، بل هناك في الحديث مايدلّ على جواز إبدائها مع الكفّين.

نعم، جاء عن ابن عبّاس في آية (٢): «أنّهنّ أُمرن أن يُغطّين وجوههنّ من فوق رؤوسهنّ بالجلابيب» وفي رواية أُخرى عنه: «إدناء الجلباب: أن تقنّع وتشدّ على جبينها، وعن الحسن: «الجلابيب: الملاحف تُدنيها المرأة على وجهها».

وتمام البحث في علم الفقه، لاحظ «خ م ر» وراجع «روائع البيان في تفسير آيات الأحكام» لمحمّد عليّ الصّابونيّ (٢: ١٤٢). فتجد فيها إشباع الكلام، حول هذه المسألة.

٤ـ قالوا في ﴿مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾: إنّ (مِنْ) للتّبعيض، أي بعض جلابيبها إذا كانت لها جلابيب، أو جزء من جلبابها، والجمع باعتبار تعدّد النّساء، وهذا أقرب إلّا أنّه يخطر بالبال كونه للابتداء، لأنّ الجلابيب هي مبدأ الإدناء.

٥ ـ قال أبوحيّان في ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾: إنّ (عَلَيْهِنَّ) شامل لجميع أجسادهنّ، أو على وجوههنّ، لأنّ الّذي كان يبدو منهنّ في الجاهليّة هو الوجه...».

وعندنا أنّ قوله: «الّذي كان يبدو منهنّ هو الوجه» يكذّبه التّاريخ، وآية النّور الدّالّة على أنّهنّ كنّ يُبدين زينتهنّ ونحورهنّ وصدورهنّ فنُهين عنها، وكذا قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ الأحزاب: ٣٣، فهو إمّا شامل لجميع البدن غير الوجه والكفّين، أو الصّدور والنّحور، فهو في معنى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

ج ل د

٨ ألفاظ، ١٣ مرّة: ٦ مكّيّة، ٧ مدنيّة

في ٦ سور: ٣ مكّيّة، ٣ مدنيّة

فاجْلِدوا ١: ـ ١	جُلودًا ١: ـ ١
فاجْلِدوهم ١: ـ ١	جُلودهم ٤: ٣ ـ ١
جُلود ٢: ٢	جُلودكم ١: ١
الجُلود ١: ـ ١	جِلْدة ٢: ـ ٢

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجِلْد: غشاء جسَد الحيوان، ويقال: جِلْدَة العين ونحوها.

وقوله جلّت عظمته: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ فصّلت: ٢١، يُفسَّر: لفروجهم، فكُنّي بالجُلُود عنها.

والجَلَد: ماصَلُب من الأرض واستوى متنه، والجميع: أجلاد.

وهذه أرض جَلْدَة، ومكان جَلْد، والجميع: جلَدات.

وناقة جَلْدَة ونوق جلَدات، وهي القويّة على العمل والسّير، وتُجمع على: جِلاد.

وجلده بالسّوط جَلْدًا، أي ضرب جِلْده.

وجلّدت البَوّ تجليدًا، أي حَشَوْته بالتّبن. والقطعة من البَوّ: جِلْدة، والجمع: جِلَدٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِلاد بالسُّيُوف: الضِّراب.

وجَلَدْت به الأرض، أي صرعته.

والجليد: ماجَمَد من الماء، وماوقع على الأرض من الصّقيع فجَمد. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل جَلْدٌ: جليد، وقد جلُد جَلادة.

والمَجالد مثل المَآلي، واحدها: مِجْلَد، وهي من جلود.

والجَلَدُ أن يُسلَخ جِلْد البعير أو غيره، فيُلبَسَه غيره من الدّوابّ. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٨١)

اللّيث: يقال للنّاقة النّاجية: جَلْدَة، وإنّها لذات مجلود، أي فيها جلادة. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٠: ٦٥٦)

سيبَويه: وإذا أراد الرّجل أن يُدخل نفسه في أمر حتّى يضاف إليه ويكون من أهله، فإنّك تقول: «تَفعَّل» وذلك تشجَّع وتبصَّر وتحلَّم وتجلَّد وتمرَّأ. (٤: ٧١)

أبوعمرو الشّيبانيّ: المُجلَّد: الحُوار يُلبَس جِلد آخر مات قبله، لترأمه أُمّ الميّت. (١: ١١٩)

جَلِد عليه الدّم، إذا يَبِس عليه. (١: ١٣٢)

أحْرجتُه إلى كذا وأوجيتُه وأجلَدْتُه وأدمغته وأدغمتُه، إذا أحوجتَه إليه. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٧)

الفَرّاء: القُلْفَة والقلَفَة، والرُّغلَة والرَّغلَة والجُلدَة، كلّه: الغُرلة. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٥)

الجَلَدُ من الإبل: الّتي لاأولاد معها، فتصبر على الحرّ والبرد. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٨)

إذا ولدت الشّاة فمات ولدها، فهي شاة جَلَد، ويقال لها أيضًا: جَلَدَة.

وجِماعُ جَلَدَة: جَلَدٌ، وجَلَداتٌ.

(الأزهَريّ ١٠: ٦٥٩)

أبوزَيْد: حملت الإناء فاجتَلَدتُه واجتَلَدتُ مافيه، إذا شربت كلّ مافيه. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٩)

فلانٌ يُجلَدُ بكلّ خير، أي يُظَنّ به.

(الهَرَويّ ١: ٣٨١)

الأصمَعيّ: الجَلَد: مالم يُوطَأ، وهو منقطع المَنحاة.

(الأضداد: ٤٣)

وإذا كان البعير رقيق الجِلْد بيّن الغُبرة والحُمرة، واسع مواضع المَجّ، ليّن الوَبرة، تُنفذه شعَرة هي أطول من سائر الشّعَر، فهو خَوّار وهي الخُور.

فإذا غلُظ الجِلْد واشتدّ العظم، وقصرت الشّعَرة، واشتدّت الفصوص، فهي جَلْدَة وهي الجِلاد، وهي من كلّ لون أقلّ الإبل لبنًا. (الكنز اللُّغويّ: ١٥٠)

الجلَد من الإبل: الكبار الّتي لاصغار فيها. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٧)

الجلَد: أن يُسلَخ جلد البعير أو غيره من الدّوابّ، فيُلبَسه غيره من الدّوابّ. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٠: ٦٥٨)

أبوعُبَيْد: وهي [مَجالِد] خِرَق تُمسكها النّوائح إذا نُحنَ بأيديهنّ. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٧)

ابن الأعرابيّ: الجِلْد والجَلَدُ: واحد، مثل شِبْهٍ وشَبَه. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٦)

جُلِدَت الأرض من الجليد، وأجلَد النّاس، وجَلِد البقل.

ويقال في الصّقيع والضّريب: مثله. ضُرِبت الأرض، وأضربنا، وضُرِب البقل.

جزَزْتُ الضّأن، وحلَقْتُ المِعْزى، وجَلَدتُ الجمَل، لاتقول العرب غير ذلك. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٧)

ابن السِّكّيت: والجَلْد: مصدر جَلَدَ يَجْلِدُ. والجَلَدُ: الإبل الّتي لاأولاد لها. والجَلَد: الإبل الّتي لاألبان لها.

والجَلَدُ: أن يُسلَخ جلدُ الحُوار ثمّ يُحشى ثُمامًا أو غيرَه من الشّجَر، ثمّ يُعطف عليه أُمّه فترأمُه.

قال ابن الأعرابيّ: الجِلْد والجَلَد واحد، وليس بمعروف، مثل شِبْه و شَبَه. (إصلاح المنطق: ٤٦)

الجَلَدُ: الغليظُ من الأرض.

والتّجليد للإبل بمنزلة السّلخ للشّاء، وقد جلّدت النّاقة، إذا سلختها. (الأزهَريّ ١٠: ٦٥٦)

المُبَرِّد: والجَليد: يقع من السّماء، وهو ندًى فيه جمود، فتبيضّ له الأرض، وهو دون الثَّلج، يقال له: الجليدُ، والضَّريبُ، والسَّقيطُ، والصَّقيعُ. (١: ١٥٠)

فإذا خرقت [الشّجاج] العظمَ وبلغت أُمّ الدّماغ، وهي جُلَيدة قد ألبست الدّماغ فهي الآمّة. (١: ٢٨٥)

ابن دُرَيْد: الجِلْد: معروف، والجَلَد: معروف وهو التّشديد، رجل جَلِد بَيِّن الجَلادة والجلودة والجَلَد.

ويقال: ماله معقول ولامجلود، أي عقل ولاجَلادة.

وأرض جَلَد، أي صُلْبة شديدة.

والجليد: مايسقط من السّماء من النّدى فيجمُد على الأرض، وهو السّقيط والضّريب أيضًا، من الثّلج الرّقيق.

وأجلاد الرّجل: جسمُه، وكذلك تجاليده. [ثمّ استشهد بشعر]

والمِجلد: قطعة من نعل أو جِلد، تأخذه النّائحة فتلطم به وجهها، والجمع: مَجالد. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلَدُ: جِلدُ حُوارٍ يُسلخ فيُلبَس حُوارًا آخر، لتشمّه أُمّ المسلوخ فترْأمَه. [ثمّ استشهد بشعر]

وفرس مُجَلَّد، إذا كان لايَجزع، من ضرب السّوط.

وبنو جَلَد: حيٌّ من العرب، وقد سمّت العرب: جَلْدًا وجُليدًا وجليدًا ومُجلِدًا ومُجالِدًا.

وجَلود: موضع أحسبه، وإليه يُنسب الرّجل إذا قيل: جَلوديّ. فأمّا جُلوديّ فخطأ، إلّا أن تنسبه إلى بيع الجُلود. (٢: ٦٧)

الأزهَريّ: الجَلَد من الإبل: الّتي لاألبان لها، وقد ولّى عنها أولادها.

ويدخل في الجَلَد: بنات اللّبون فما فوقها من السّنّ.

ويُجمع الجَلَدُ: أجلادًا، وأجاليد. ويدخل فيها المخاض، والعِشار، والحِيال.

فإذا وضعت أولادها زال عنها اسم الجلَد، وقيل لها: العِشار واللّقاح.

[قيل]: تَمْرة جَلْدَة: صُلْبَة مكتنزة. [ثمّ استشهد بشعر]

والمُجَلَّد: مقدار من الحِمْل معلوم المكيلة والوزن.

ويقال: فلان عظيم الأجلاد والتّجاليد، إذا كان ضَخْمًا قويّ الأعضاء والجسم.

وجمع الأجلاد: أجالد، وهي الأجسام؛ وفي حديث القسامة...«رُدُّوا الأيمان على أجالدهم» أي عليهم أنفسهم.

وكذلك: التّجاليد. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلود: قرية بأفريقيّة، إذا نسب إليها قيل: جَلوديّ بفتح الجيم.

ويقال لمِئْلاةِ النّائحة: مِجْلَد، وجمعه: مَجالد. (١٠: ٦٥٧، و ٦٥٨)

الخطّابيّ: في حديث الزّبير أنّه قال: «لمّا التقينا يوم بَدْر، وسلّط الله علينا النّعاس، فوالله إن كُنْتُ لأتَشَدَّد فيُجْلَدُ بي، ثمّ أتَشَدَّد فيُجْلَدُ بي» أي يغلبني النّوم، حتّى يَصْرعني، يقال: جلدتُ بالرّجُلِ الأرضَ، إذا صَرعتَه.

ومن هذا حديث حُذَيفة: «أنّ رجلًا قال: يارسول الله، أبيتُ عندك اللّيْلةَ فأُصلّي معك؟ قال: أنت لاتطيق ذلك، فقال: إنّي أُحبّ ذلك يارسول الله قال: فجاء

الرّجل فدخل معه، فافْتَتح رسول الله السّورة الّتي تذكر فيها البَقَرة، وتَـرتّل في القـراءة وركـع، ثمّ افـتتح آل عِمران، فَجُلِد بالرّجُل نومًا» أي سَقَط إلى الأرض من شدّة النّوم، يقال: جُلِد بالرّجُل، ولُبِط به، ولُبِج به، بمعنى واحد. (٢: ٢٠٨)

الجَوهريّ: الجِلْدُ: واحد الجُلُود، والجِلْدَةُ: أخصُّ منه. [ثمّ استشهد بشعر]

وتجْليدُ الجَزُورِ مثل سَلخِ الشّاةِ، يقال: جَلَّدَ جَزُورَهُ، وقلّما يقال: سَلَخَ.

وفرسٌ مُجَلَّدٌ، إذا كان لايجزع من الضّرب.

وجَلَدَهُ الحدّ جَلْدًا، أي ضربه وأصاب جِلْدَهُ، كقولك: رَأَسَهُ وبَطَنَهُ.

والمِجْلَدُ: قطعةٌ من جِلْدٍ تكون في يد النّائحة، تلطم به وجهَهَا.

والجَلَدُ: جِلْدُ حُوارٍ يسْلَخُ فيُلبَس حُوارًا آخر، لتشمّه أُمُّ المسلوخ فترْأَمَهُ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلَدُ: الكبارُ من النّوقِ الّتي لاأولادَ لها ولاألبانَ، الواحدة بالهاء. والجَلَدُ أيضًا: الأرضُ الصُّلبةُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وكذلك الأجْلَدُ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع: الأجَالِدُ والأجَالِدُ.

والجَلَدُ: الصّلابةُ والجَلادَةُ، تقول منه: جَلُدَ الرّجلُ بالضّمّ، فهو جَلْدٌ وجَليدٌ، بيّنُ الجَلَدِ، والجَلادَةِ، والجُلُودَةِ، والمَجْلُودِ، وهو مصدرٌ مثل المحلوفِ والمعقولِ. [ثمّ استشهد بشعر]

وربّما قالوا: رجلٌ جَضْدٌ: يجعلون اللّام مع الجيم ضادًا إذا سكنَتْ. وقومٌ جُلْدٌ، وجُلَدَاء، وأجْلَادٌ.

والتّجَلُّدُ: تكلّفُ الجَلادَة.

والمُجَالَدَةُ: المبالَطةُ، وتجَالَدَ القومُ بالسّيوف واجْتَلَدُوا.

وأجْلادُ الرّجلِ: جسْمه وبدنُه، وكذلك تَجاليدُهُ.

والجَلْدَةُ بالتّسكين: واحدة الجِلادِ، وهي أدسمُ الإبلِ لبنًا.

والجِلادُ من النّخلِ: الكبارُ الصّلابُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وشاة جَلْدة، إذا لم يكن لها لَبن ولاولد. (٢: ٤٥٨)

ابن فارِس: الجيم واللّام والدّال أصل واحد، وهو يدلُّ على قوّةٍ وصلابة. فالجِلدُ معروفٌ، وهو أقوى وأصلَب ممّا تحته من اللّحم. والجَلَد: صلابة الجِلد. والأجلاد: الجسم، يقال لجِسم الرّجُل: أجلادُهُ وتَجاليدُه. والمِجلَد: جِلدٌ يكون مع النّادبة، تضرب به وجهها عند المَناحة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلَدُ فيه قولان: أحدهما: أن يُسلخ جِلدُ البعير وغيرُه فيُلبَسُه غيْرَه من الدّوابّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والقول الثّاني: أن يُحشّى جِلد الحُوار ثُمامًا أو غيرَه، وتُعطَفُ عليه أُمّه، فترأَمه. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٧١)

أبوهِلال: الفرق بين ذلك [النّفاذ، وقد بيّنه قبله] والجلادَة: أنّ أصل الجَلادَة: صلابة البدن، ولهذا سمّي الجِلْد جِلْدًا، لأنّه أصلب من اللّحم. وقيل: الجليد لصلابته، وقيل للرّجل الصّلب على الحوادث: جَلِد وجَليد من ذلك، وقد جالد قِرنه وهما يجالدان، إذا اشتدّ

أحدهما على صاحبه، ويقال للأرض الصُّلبة: الجَلَد، بتحريك اللّام. (٦٨)

الفرق بين الشِّدّة والجَلَد: أنّ الجَلَد: صلابة البدن، ومنه الجِلد لأنّه أصلب من اللّحم، والجَلَد: الصّلب من الأرض.

وقيل: يتضمّن «الجَلَد» معنى القوّة والصّبر، ولا يقال لله: «جليد» لذلك. (٨٦)

الهَرَويّ: وفي حديث عليّ رضي الله عنه: «كنتُ أدلُو بتمرة أشترطُها جَلْدةً» الجَلْدةُ: هي اليابسة اللِّحاءِ الجيِّدةُ.

وفي حديث الهجرة: «حتّى إذا كُنّا بأرضٍ جَلْدَة كأنّها مُجَصَّصةٌ» أي صُلْبةٌ.

وفي الحديث: «أنّه استحلف خمسة نفرٍ في قَسامةٍ، فدخل رجلٌ من غيرهم، فقال: رُدُّوا الأيمانَ على أجالدِهِم» قال القُتَيْبيّ: والأجالدُ: جَمْع الأجْلاد، وهو جسم الرّجُل، يقال: فلانٌ عظيمُ الأجلاد وضئيل الأجلاد، يُراد الجِسمُ. ومثله من الجَمْع: قَومٌ وأقْوامٌ، وقولٌ وأقوالٌ.

قلت: والتّجاليد: مثل الأجلاد، يقال: هو عظيمُ الأجلاد والتّجاليد، ويقال: ماأشْبَهَ أجلادَه بأجلاد أبيه، أي شَخْصَه. [ثمّ استشهد بشعر]

وروى الرّبيعُ عن الشّافعيّ قال: «كان مُجالِدٌ يُجْلَدُ» أي يُكَذَّب.

قال أبوحمزة، في قول الشّافعيّ: ينبغي أن يكون: يُتّهمُ، والله أعلم. وضَعَه موضعَ الشّرّ. (٣٨٠)

أبوسهل: القُلْفَة والجُلْدة، بضمّ القاف والجيم، وهما بمعنى واحد، للّذي يقطعُه الخاتن من زُبِّ الغلام. (٦٠)

ابن سيده: الجِلْد، والجَلَد: المَسْك من جميع الحيوان، الأخيرة عن ابن الأعرابيّ، حكاها ابن السّكّيت عنه، قال: وليست بالمشهورة.

والجمع: أجْلاد وجُلود، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ فصّلت: ٢١ قيل: معناه لفروجهم، كَنَى عنها بالجلود.

وعندي: أنّ الجلود هنا: مُسُوكهم الّتي تباشِرُ المعاصي.

والجِلْدة: الطّائفة من الجِلْد.

وأجْلاد الإنسان وتجاليده: جماعةُ شَخْصه. وقيل: جسمه، وذلك لأنّ الجِلْد محيط بها. [ثمّ استشهد بشعر]

وعظم مُجَلَّد: لم يَبْق عليه إلّا الجِلْد. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلَّد الجَزُورَ: نزع عنها جِلْدها كما تُسلخ الشّاة، وخصّ بعضُهم به البعيرَ.

والجَلَد: أن يُسلخ جِلْدُ البعير أو غيره فيُلْبَسه غيرُهُ من الدّوابّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلَد: جِلْد البَوّ يُحْشى ثُماما ويُخَيَّل به للنّاقة، فتحسبه ولدَها إذا شَمّته، فترْأمُ بذلك على ولَد غيرها.

وجَلَّد البَوَّ: ألبسه الجَلَد.

والمِجْلَد: قطعة من جِلْد تمسِكها النّائحة بيدها، وتَلْطِم بها خَدّها. والجمع: مجاليد، عن كراع.

وعندي: أنّ مجاليد: جمع مِجلاد، لأنّ «مِفْعَلًا ومِفعالًا» يعتقِبان على هذا النّحو كثيرًا.

وجَلَده بالسّوط، يَجْلِده جَلْدًا: ضربه.

وامرأة جَلِيد، وجَلِيدة، كلتاهما عن اللّحيانيّ، أي مجلودة، من نسوة: جَلْدَى، وجلائد.

وعندي: أنّ جَلْدَى: جمع جَليد، وجلائد: جمع جَلِيدة.

وفَرَس مُجَلَّد: لايَجْزع من ضرب السَّوْط.

وجَلَد به الأرض: ضربها.

وجالدناهم بالسّيوف مجالدة وجِلادًا: ضاربناهم.

وجَلَدتْه الحيّةُ: لَدَغَتْه، وخصّ بعضهم به الأسْود من الحيّات، قالوا: والأسْود يَجلِد بذَنَبه.

والجَلَد: الشّدَّة والقوّة، ورجل جَلْد، وجَلِيد، من قوم أجلاد، وجُلَداء، وجِلاد، وجُلْد. وقد جَلُد جَلادَة، وجُلُودة. والاسم: الجَلَد، والجُلُود.

وتجلَّد: أظهر الجَلَد، وقوله:

وكيفَ تَجَلُّدُ الأقوامِ عنه
ولم يُقتَلْ به الثّأر المُنيمُ

عدّاه بعن؛ لأنّ فيه معنى: تصبّر.

وأرض جَلَد: صُلْبة مستوية المَتْن غليظة، والجمع: أجلاد.

والجِلاد من النّخل: الغَزيرةُ، وقيل: هي الّتي لاتُبالي بالجَدْب. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِلاد من الإبل: الغزيرات اللّبن، وهي الجاليد.

وقيل: الجِلاد: الّتي لالَبَن لها ولانِتاج. [ثمّ استشهد بشعر]

وناقة جَلْدة: مِدْرار، عن ثعلب، والمعروف: أنّها الصُّلْبة الشّديدة.

والجَلَد من الغَنَم والإبل: الّتي لاأولاد لها ولاألبان، كأنّه اسم للجمع.

وقيل: إذا مات ولد الشّاة فهي جَلَدة، وجمعها: جِلاد.

وقيل: الجَلَد، والجَلَدة: الشّاة الّتي يموت ولدها حين تضعه.

والجَلَد من الإبل: الكِبارُ الّتي لاصِغار فيها. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَليد: مايسقط من السّماء على الأرض من النَّدَى فيجمُد. وأرض مجلودة: أصابها الجليد.

وإنّه ليُجْلَد بكلّ خير، أي يُظَنّ به. ورواه أبوحاتم: يُجلَذ، بالذّال.

واجتلد مافي الإناء: شَرِبه كُلَّه.

وصرَّحت بجِلْدان، وجِلْداء: يقال ذلك في الأمر إذا بان.

وبنو جَلْد: حَيّ.

وجَلْد، وجُلَيد، ومُجالد: أسماء. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلُود: موضع، ومنه فلان الجَلُوديّ، والعامّة تقول: الجُلُوديّ. (٧: ٣٢٦)

الجَلْد: السّريع الخفيف. جَلُد جلادَة وجُلُودة: قوي فهو جَلْد، والجمع: أجلاد. (الإفصاح ١: ٢٧٨)

الرّاغِب: الجِلْد: قشر البدن، وجمعه: جُلود. [ثمّ ذكر الآيات وقال:]

والجَلَدُ: الجِلد المنزوع عن الحُوار، وقد جَلُدَ جَلَدًا فهو جَلْدٌ وجليد، أي قويّ، وأصله لاكتساب الجِلْد قوّة.

ويقال: ماله معقول ولامجلود، أي عقلٌ وجَلَد؛ وأرضٌ جَلَدة، تشبيهًا بذلك، وكذا ناقةٌ جَلَدةٌ.

وجَلّدتُ كذا، أي جعلت له جِلدًا.

وفرسٌ مُجَلَّدٌ: لايفزعُ من الضّرب. وإنّما هو تشبيهٌ بالمُجلَّدِ الّذي لايلحَقُهُ من الضّرب ألَمٌ.

والجَليدُ: الصَّقيعُ، تشبيهًا بالجِلْد في الصّلابة.

(٩٥)

الحَريريّ: ماله مَعْقُولٌ ولامَجْلُودٌ، أي ليس له عَقْلٌ ولاجَلَدٌ. (١٦٥)

الزّمَخْشَريّ: جَلّده بالسّياط، وجلّد الكتاب: ألبسه الجِلْدَ وجَلّد البعيرَ: كشَطَه عنه، وأُريد دابّة من دوابّ رِجْلِك، وكُسوة من ثياب جِلْدِك، وجالَدُوهم بالسّيوف: ضارَبُوهم. واستحرّ بينهم الجِلَادُ والمجالدةُ، وتجالدوا واجتلدوا، وجلَدْتُ به الأرضَ: صرَعْتُه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُلِدَتِ الأرضُ: من الجَليد، وأرض مَجْلُودة. وهو عظيم الأَجْلَادِ والتّجاليد، وهي جسمه وأعضاؤه. ورجل جَلْدٌ وجَليدٌ.

وفيه جَلَدٌ ومجلودٌ، وتجلّد للشّامتين.

ومن المجاز: جَلَدْتُه على هذا الأمر: أجْبَرْتُهُ عليه.

وإنّ فلانًا ليُجْلَد بخير، أي يُظَنّ به الخير.

(أساس البلاغة: ٦٢)

أبوبكر رضي الله عنه، في قِصّة المهاجرة: «إنّ رسولَ الله ﷺ قال لي: ألم يأنِ للرّحيل؟ فقلت: بَلَى، فارتَحلْنا حتّى إذا كنّا بأرضٍ جَلْدةٍ» هي الصُّلبة.

ومنها حديث عليّ عليه السلام: «إنّه كان ينزع الدّلو بتَمْرَة، ويَشْتَرِط أنّها جَلْدة» وذلك أنّ الرُّطَبَة إذا صلُبَتْ طابت جدًّا. (الفائق ١: ٢٢٨)

المدينيّ: في الحديث: «حُسْنُ الخُلُق يُذيبُ الخَطَايا، كما تُذيب الشّمسُ الجَليدَ».

الجَليدُ: ماسقط من الصَّقيع فَجَمَد.

في حديث سُراقة، رضي الله عنه: «وَحِلَ بي فَرَسي، وإنّي لفي جَلَدٍ من الأرض». الجَلَد من الأرض: ماصَلُبَ.

وفي الحديث: «فنظر إلى مُجْتَلَد القوم، فقال: الآن حَمِيَ الوَطِيسُ» أي إلى موضع الجِلاد، وهو الضَّربُ بالسّيف.

ويجوز أن يكونَ مصدر اجتَلَدَ، أي جالَد. وقيل: جالَدْناهم بالسّيف، من التّجلّد والثّبات في المُضاربة.

ويقال: جَلَدْتُه بالسّوط جَلْدًا، أي ضَربتُ جِلدَه. وجَلَدْتُ به الأرضَ: ضَربتُها به، والمَجلود: المَصْرُوع. (١: ٣٣٨)

ابن الأثير: في حديث الطّواف: «ليرى المشركون جَلَدَهم» الجَلَد: القوّة والصّبر.

ومنه حديث عمر: «كان أجوَف جليدًا» أي قويًّا في نفسه وجسمه.

ومنه حديث ابن سيرين: «كان أبومسعود تُشبّهُ تَجاليدُه بتجاليد عُمر» أي جسمه بجسمه.

وفي الحديث: «قوم من جِلْدَتِنا» أي من أنفسنا وعَشيرتنا.

ومنه حديث أبي هريرة في بعض الرّوايات: «أيّما رجُلٍ من المُسْلمين سبيته أو لعَنْتُه أو جَلَدُّه» هكذا رواه بإدغام التّاء في الدّال، وهي لُغَيّة. (١: ٢٨٤)

الفَيُّوميّ: جَلَدْت الجانِيَ جَلْدًا، من باب

«ضَرَب»: ضَرَبْتُه بالمِجْلَدِ، بكسر الميم، وهو السّوط، الواحِدةُ: جَلْدَةٌ: مثل ضَرْبٍ وضَرْبَة.

وجِلْدُ الحَيَوانِ: ظاهِرُ البَشَرةِ. (١: ١٠٤)

الفيروزابادي: الجِلْدُ بالكسر والتّحريك: المَسْكُ من كُلِّ حَيَوانٍ، الجمع: أجْلادٌ وجُلودٌ.

وأجْلادُ الإنسانِ وتَجاليدُهُ: جماعةُ شخْصِهِ أو جِسْمِه.

وعَظْمٌ مُجَلَّدٌ كمُعَظَّمٍ: لم يَبْقَ عليه إلّا الجِلْدُ.

وتَجْليدُ الجَزُورِ: نَزْعُ جِلْدِها.

وجَلَدَهُ يَجْلِدُهُ: ضَرَبَهُ بالسَّوْط وأصابَ جِلْدَهُ، وعلى الأمْرِ: أكْرَهَه، وجارِيَتَهُ: جامعها، والحَيَّةُ: لَدَغَتْ.

والجَلَدُ محرّكةً: جِلْدُ البَوِّ يُحْشَى ثُمامًا، ويُخَيَّل للنّاقة، فتَرْأَمُ بذلك على غير وَلدِها، أو جِلْدُ حُوارٍ يُلْبَس حُوارًا آخَر لتَرْأمَهُ أُمّ المَسْلوخة، والأرضُ الصُّلْبَة المُستوية المَتْن، والشّاةُ يموت ولَدُها حينَ تضع كالجَلَدَة محرّكةً فيهما، والكبارُ من الإبل لاصغارَ فيها، ومن الغَنَمِ والإبلِ مالاأولادَ لها ولاألبان، والشِّدّةُ والقُوّةُ، وهو جَلْدٌ وجَليدٌ من أجلاد وجُلَداءَ وجِلادٍ وجُلُدٍ.

جَلُدَ ككَرُمَ جَلادةً وجُلودةً وجَلَدًا ومَجْلُودًا وتَجَلَّدَ: تكَلَّفَه.

وككتاب: الصِّلابُ الكِبارُ من النَّخل، ومن الإبل: الغَزيراتُ اللَّبَنِ كالمَجاليد، أو مالالَبَنَ لها ولانِتاج.

وكمِنْبَرٍ: قِطْعَةٌ من جلدٍ تُمْسِكُها النّائحةُ وتَلْدِمُ بها خَدَّها، الجمع: مَجاليدُ.

وجالَدُوا بالسُّيُوف: تضاربوا.

والجَليدُ: مايَسْقط على الأرضِ من النَّدَى فَيَجْمُدُ، والأرض مَجْلُودةٌ، وجَلِدَتْ كفَرِحَ وأجْلَدَتْ. والقومُ أجْلَدُوا: أصابهم الجَليدُ.

وأنّه لَيُجْلَد بكلّ خَيْرٍ: يُظَنُّ، وقول الشّافعيّ: كانَ مُجالِدٌ يُجْلَدُ، أي يُكَذَّبُ.

وجُلِدَ به كعُنِيَ: سَقط.

واجْتَلَدَ مافي الإناء: شَرِبَهُ كُلَّه.

وصَرَّحَتْ بجِلْدانَ وجِلْداء، بمعنى جِدّاء.

وبنُو جَلْدٍ: حيٌّ، وكقَبُولٍ: قرية بالأندلُس، منه حَفْصُ بن عاصِمٍ.

وأمّا الجَلُوديّ روايةُ مُسْلِمٍ فبالفَتْحِ لاغَيْرُ، ووَهِمَ الجوهريّ في قوله: ولاتَقُلْ: الجُلُوديّ، أي بالضّمّ.

والجِلْدُ: الذَّكَرُ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فُصّلت: ٢١، أي لِفُرُوجهم.

وأجْلَدَهُ إليه، أي ألجَأَهُ وأحْوَجَه.

والمُجَلِّدُ: من يُجَلِّد الكُتُب.

وكمُعَظَّمٍ: مِقْدارٌ من الحِمْلِ مَعْلُومُ الكَيْلِ والوَزْن.

وفَرَسٌ مُجَلَّدٌ: لايَفْزَعُ من الضَّرب. (١: ٢٩٣)

الجِلْد: وهو قِشر البدن، والجمع: جُلُود. [إلى أن قال:]

وجَلَده: نحو بَطَنَه وظَهَره، أو ضربه بالجِلْد، نحو عصاه، إذا ضربه بالعصا. وفي الحديث: «من مسّ جِلْده جِلْدي لم تمسّ النّارُ جِلْدَه أبدًا».

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٣٨٧)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جَلَده بالسّوط: ضربه به. والجَلْدة: المرّة الواحدة من الجَلْد. والجِلْد: غشاء الجسم للإنسان والحيوان، والجمع: جُلود. (١: ١٠٩)

العدنانيّ: الجِلْد والجِلْدة.

ويخطّئون من يُسمّي الكتابَ المُلْبَس جلدًا: مجلّدةً، ويقولون: إنّ الصّواب هو: المجلَّدُ، كما يُسمّيه المُغربُ، والمدّ، ومحيط المحيط والمتنُ.

وجاء في الأساس: جَلّدَ الكتاب: ألبسهُ الجِلدَ، فاسم المفعول منه يجبُ أن يكون مجلّدًا.

ولمّا كان المجلِّد هو الّذي يُجلّد الكُتُب، كما يقول القاموسُ، والتّاج، وأقرب الموارد في الذّيل، فالكتاب الّذي يُجلِّدُه يُسمّى: مجلّدًا.

ولكن:

يستعمل مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، ومجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، في معجمه «الوسيط» كلتا الكلمتين: المجلّد والمجلّدة. فإذا عنت الأُولى: الكتاب المجلّد، فإنّ الثّانية تعني: الأوراق، أو الكرّاسات، أو إضمامات الورق المُجلّدة.

وأنا أرى أنّ «المجلّدَ» أعلى، لأنّه أكثر استعمالاً، وأقلُّ حروفًا، ولأنّه مذكّرٌ كالكتاب يُنعَتُ المذكّر المحذوف بنعت مذكّر مثله، ولأنّ المذكّر ـ وبالأسَف ـ أقوى من المؤنّث في اللّغة العربيّة. وهذا حملني على تأليف كتاب في ظلم «الضّاد» لحوّاء، دفاعًا عنها.

ويجمعون المجلّد والمجلّدة على المجلّدات. (١٢٤)

محمود شيت: أ ـ جَلَدَ: ضربه بالسَّوط.

ب ـ جَلُدَ: صبر على المكروه، يقال: جَلُد القائد وجَلُد الجُنديّ.

ج ـ جالَدَ بالسّيف: قاتَل به.

د ـ الجلّاد: الّذي يتولّى الجلْد.

هـ ـ المِجْلَدُ: السّوط الّذي يُجلَد به، جمعه: مجَالِد.

(١: ١٤٥)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو القِشر المحيط الحافظ، ولابدّ أن يكون صُلبًا بنسبة المورد ليتحقّق الحفظ، وهذا يختلف باختلاف الموارد، فيقال: جلد البدن، جلد الكتاب، جلد الفاكهة، جلد الحيوان، جلد الجُرح، وأمثالها.

ويشتق منها أفعال بالاشتقاق الانتزاعيّ، فيقال: جَلَده بالسّوط، وجلّد الكتاب. وباعتبار هذا المعنى يطلق «الجَلَد» على الأرض الصُّلبة، أي على قشر من الأرض صار صُلبًا كالجلد، وعلى الكبار من النّوق الّتي لاأولاد لها ولاألبان، فكأنّها ليست إلّا كالقشر الخارجيّ والغشاء المحسوس الّذي ليس له معنى، ومن هذا المعنى: جَلُدَ الرّجل فهو جَلْدٌ وجَليدٌ، أي أنّه في حفظ الظّاهر ومن جهة الأعمال الخارجيّة والفعّاليّة الصّوريّة متصلّب، شديد المراقبة وكثير العمل، من دون نظر إلى جهة المعنى.

وظهر أنّ معنى جَلَدَه جَلْدةً ليس ضربه بالسّوط، بل أصاب الجِلْد، كما أنّ رأسَه، بمعنى أصاب الرّأس، ومحصوله الضّرب على الرّأس.

فالجَلْدة: إصابة واحدة وهي صيغة للمرّة. والمِجلدة: للآلة، أي آلة إصابة الجِلد كالسّوط ونحوه. والجِلاد والمجالَدة: إدامة الإصابة على الجِلد، ونتيجتها المضاربة والمقاتلة. [ثمّ ذكر الآيات] (٢: ١٠٤)

النّصوص التّفسيريّة

فَاجْلِدُوا

اَلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ... النّور: ٢

البَغَويّ: (فَاجْلِدُوا) فاضربوا كلّ واحد منهما مئة جلدة، يقال: جَلَدَه، إذا ضرب جِلدَه، كما يقال: رَأَسَه وبَطَنَه، إذا ضرب رأسه وبطنه.

وذكر بلفظ «الجَلْد» لئلّا يُبرِّح ولايُضرَب بحيث يبلغ اللّحم، وقد وردت السّنّة أنّه يُجلَد مئة [جلدة] ويُغرَّب عامًا، وهو قول أكثر أهل العلم. وإن كان الزّاني محصنًا فعليه الرّجم، ذكرناه في سورة النّساء. (٣: ٣٧٩)

نحوه المَيْبُديّ. (٦: ٤٨٢)

الزّمَخْشَريّ: أي جَلْدُهما، ويجوز أن يكون الخبر: (فَاجْلِدُوا). وإنّما دخلت الفاء لكون الألف واللّام بمعنى «الّذي» وتضمينه معنى الشّرط تقديره: الّتي زنت والّذي زنا فاجلدوهما، كما تقول: من زنى فاجلدوه. [إلى أن قال:]

وفي لفظ «الجَلْدة» إشارة إلى أنّه لاينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللّحم. والمرأة تُجلَد قاعدة ولايُنزَع من ثيابها إلّا الحشو والفرو. (٣: ٤٧)

الفَخْرالرّازيّ: في كيفيّة إقامة الحدّ. أمّا الجَلْد فاعلم أنّ المذكور في الآية هو الجَلْد، وهذا مشترك بين الجَلْد الشّديد، والجَلْد الخفيف، والجَلْد على كلّ الأعضاء أو على بعض الأعضاء، فحينئذ لايكون في الآية إشعار بشيء من هذه القيود، بل مقتضى الآية أن يكون الآتي بالجَلْد ـ كيف كان ـ خارجًا عن العهدة، لأنّه أتى بما أُمر به، فوجب أن يخرج من العهدة، [وله بحث مستوفى في كيفيّة الحدّ وزمانه ومكانه فراجع] (٢٣: ١٤٥)

القُرطُبيّ: [تلخيصه:]

١ـ لاخلاف أنّ المخاطب بهذا الأمر الإمام ومن ناب منابه. [ثمّ ذكر أقوال الفقهاء في ذلك]

٢ـ أجمع العلماء على أنّ الجَلْد بالسّوط يجب، والسّوط الّذي يجب أن يُجلَد به يكون سوطًا بين سوطين لاشديدًا ولالَيِّنًا. [ثمّ ذكر الرّوايات]

٣ـ اختلف العلماء في تجريد المجلود في الزّنى. [ثمّ ذكر آراءهم]

٤ـ واختلفوا في المواضع الّتي تُضرَب من الإنسان في الحدود. [ثمّ بيّن أقوالهم]

٥ ـ الضّرب الّذي يجب هو أن يكون مؤلمًا لايَجرح ولايبضع، ولايُخرج الضّارب يده من تحت إبطه. [ثمّ أشار إلى الأقوال]

٦ـ الضّرب في الحُدُود كلّها سواء. [ثمّ بيّن الدّليل عليه والأقوال له]

٧ـ الحدّ الّذي أوجب الله في الزّنى والخمر والقذف وغير ذلك، ينبغي أن يقام بين أيدي الحكّام، ولايقيمه إلّا فضلاء النّاس وخيارهم، يختارهم الإمام لذلك. [وأدام الكلام فيه]

٨ـ نصّ الله تعالى على عدد الجَلْد في الزّنى والقذف. [ثمّ ذكر الدّليل] (١٢: ١٦١)

نحوه الصّابونيّ. (٢: ٩)

البَيْضاويّ : الجَلْد: ضرب الجِلد، وهو حكم يختصّ بمن ليس بمُحصن، لما دلّ على أنّ حدّ المحصن هو الرّجم. (٢: ١١٧)

أبوحَيّان : والجَلْد: إصابة الجِلد بالضّرب، كما تقول: رَأَسَه وبَطَنَه وظَهَرَه، أي ضرب رأسه وبطنه وظهره. وهذا مطّرد في أسماء الأعيان الثّلاثيّة العضويّة.

والظّاهر اندراج الكافر والعبد والمُحصن في هذا العموم، وهو لايندرج فيه المجنون، ولاالصّبيّ بإجماع. (٦: ٤٢٨)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ١١٤)، والشّوكانيّ (٤: ٢٦).

الآلوسيّ : والجَلْد: ضرب الجِلد، وقد اطّرد صوغ «فعَل» المفتوح العين الثّلاثي من أسماء الأعيان، فيقال: رأسَه وظهَره وبطَنه، إذا ضرب رأسه وظهره وبطنه.

وجوّز الرّاغب أن يكون معنى جلَده: ضربه بالجلد، نحو عصاه: ضربه بالعصا، والمراد هنا المعنى الأوّل. فإنّ الأخبار قد دلّت على أنّ الزّانية والزّاني يُضربان بسوط لاعقدة عليه، ولافرع له. (١٨: ٧٧)

عبد الكريم الخطيب : في قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا...﴾

أوّلًا: عزلٌ للمؤمنين، عن جماعة الزّناة الّذين تحقّق المجتمع من هذا الدّاء الّذي نزل بهم.

وثانيًا: إلزام للمؤمنين ألّا يقفوا موقفًا سلبيًّا، من هذا الدّاء الّذي يتهدّدهم إن هم تغاضوا عنه، ولم يأخذوا لأنفسهم وقاية منه.

وبهذا يكون معنى الآية: الزّانية والزّاني، هاهما قد أُصيبا بهذا الدّاء الخبيث، وإنّه لكي تدفعوا عن أنفسكم شرّ هذا الدّاء، فاجلدوا كلّ واحد منهما مئة جَلْدة، ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر؛ إذ لستم أنتم أرأف بالنّاس من ربّ النّاس. (٩: ١٢٠٢)

فَاجْلِدُوهُمْ

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً... النّور: ٤

الحسَن : يُجلَد وعليه ثيابه. (الطُّوسيّ ٧: ٤٠٨)

الإمام الباقر عليه السلام: ويُجلَد الرّجل قائمًا، والمرأة قاعدة. (الطُّوسيّ ٧: ٤٠٩)

الماوَرْديّ : وهذا حدّ أوجبه الله على القاذف للمقذوفة يجب بطلبها، ويسقط بعفوها، وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنّه من حقوق الآدميّين، لوجوبه بالطّلب، وسقوطه بالعفو، وهذا مذهب الشّافعيّ.

الثّاني: من حقوق الله لأنّه لاينتقل إلى مال، وهذا مذهب أبي حنيفة.

الثّالث: أنّه من الحقوق المشتركة بين حقّ الله وحقّ الآدميّين، لتمازج الحقّين، وهذا مذهب بعض المتأخّرين.

ولايكمل حدّ القذف بعد البلوغ والعقل، إلّا بحرّيّتها وإسلام المقذوف وعفافه. فإن كان المقذوف كافرًا أو عبدًا عُزّر قاذفه ولم يحدّ، وإن كان القاذف كافرًا حُدّ حدًّا كاملًا، وإن كان عبدًا حُدّ نصف الحدّ. (٤: ٧٤)

الطُّوسيّ : والحدّ حقّ المقذوفة، لايزول بالتّوبة. وقال قوم: توبته متعلّقة بإكذابه نفسه، وهو المرويّ في

أخبارنا، وبه قال الشّافعيّ. وقال مالك بن أنس: لايحتاج إلى ذلك فيه. قال أبوحنيفة: ومتى كان القاذف عبدًا أو أمَة، فعليه أربعون جَلْدة.

وقد روى أصحابنا: أنّ الحدّ ثمانون في الحرّ والعبد، وظاهر العموم يقتضي ذلك، وبه قال عمر بن عبد العزيز، والقاسم بن عبد الرّحمان. (٧: ٤٠٩)

القُشَيريّ: لئلّا يستبيحوا أعراض المسلمين، ولئلّا يهتكوا أستار النّاس، أمر بتأديبهم، وإقامة الحدّ عليهم، إذا لم يأتوا بالشّهداء. (٤: ٢٦٦)

البَغَويّ: (فَاجْلِدُوهُمْ) أي اضربوهم ثمانين جلدة. (٣: ٣٨٢)

المَيْبُديّ: (فَاجْلِدُوهُمْ) يعني الأحرار منهم، فإنّ حدّ المملوك على النّصف: أربعون، والخطاب للإمام والحكّام. و(جَلْدَةً) نصب على التّمييز. (٦: ٤٨٦)

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: كيف يُجلَد القاذف؟

قلت: كما جُلد الزّاني، إلّا أنّه لايُنزع عنه ثيابه إلّا مايُنزع عن المرأة من الحشو والفَرْو؛ والقاذفة أيضًا كالزّانية. وأشدّ الضّرب ضرب التّعزير، ثمّ ضرب الزّنى، ثمّ ضرب شرب الخمر، ثمّ ضرب القاذف...

(٣: ٥٠)

ابن عَطيّة: الجَلْد: الضّرب، والمجالدة: المضاربة في الجلود، أو بالجلود، ثمّ استعير الجَلْد لغير ذلك من سيف وغيره. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ١٦٤)

مثله الشّوكانيّ. (٤: ١١)

الطَّبْرِسيّ: (فَاجْلِدُوهُمْ) أي فاجلدوا الّذين يرمونهنّ بالزّنى. (٤: ١٢٦)

الفَخْرالرّازيّ: المخاطب بقوله: (فَاجْلِدُوهُمْ) هو الإمام ـ على مابيّنّاه في آية الزّنى ـ أو المالك على مذهب الشّافعيّ، أو رجل صالح ينصبه النّاس عند فقد الإمام. (٢٣: ١٥٩)

العُكْبَريّ: (فَاجْلِدُوهُمْ) أي فاجلدوا كلّ واحد منهم، فحُذف المضاف. (٢: ٩٦٤)

أبوحَيّان: (فَاجْلِدُوهُمْ) أمر للإمام ونوّابه بالجَلْد، والظّاهر وجوب الجَلْد وإن لم يطالب المقذوف، وبه قال ابن أبي ليلى.

وقال أبوحنيفة وأصحابه والأوزاعيّ والشّافعيّ: لايحدّ إلّا بمطالبته، وقال مالك كذلك، إلّا أن يكون الإمام سمعه يقذفه فيحدّه إذا كان مع الإمام شهود عدول، وإن لم يطالب المقذوف.

والظّاهر أنّ العبد القاذف ـ حرًّا ـ إذا لم يأت بأربعة شهداء حُدّ ثمانين، لاندراجه في عموم ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ النّور: ٤، وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعيّ. (٦: ٤٣٢)

الفاضل المقداد: اشتملت على أحكام ثلاثة [منها] الأمر بالجَلْد مئة، والجَلْد: ضرب الجِلد بحيث لايتجاوز ألمه إلى اللّحم. وهذا الحكم مخصوص بالسّنّة والكتاب.

أمّا السّنّة فبالزّيادة تارةً، كما في حقّ البِكر الذّكر، فإنه يزاد التّغريب سنة، لقوله ﷺ: «البِكر بالبِكر جلد مئة وتغريب عام». ومنعه أبوحنيفة والخبر يبطل قوله، وكذا عمل الصّحابة. وقوله: إنّ الآية ناسخة للخبر ضعيف، لأنّ عدم ذكر التّغريب ليس ذكرًا لعدمه،

لتكون ناسخة له، وفعل الصّحابة متأخّر عن الآية، فكيف يكون التّغريب منسوخًا بها!

وبالإبدال تارة، كما في حقّ المُحصن والمحصنة، فإنّ حدّهما الرّجم. هذا إن قلنا بعدم ضمّ الجَلْد إلى الرّجم، وإلّا فهو أيضًا زيادة. نعم، قيل: الضّمّ في حقّ الشّيخين خاصّة. وقيل: عامٌّ وهو الحقّ، لأنّ عليًّا عليه السلام جَلَد سراجة يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة، وقال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنّة رسول الله. وكانت سراجة شابّة، وفعله عليه السلام حجّة. (٢: ٢٤٠)

الشّربينيّ: (فَاجْلِدُوهُمْ) أي أيّها المؤمنون من الأئمّة ونوّابهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ لكلّ واحد منهم لكلّ مُحصنة وحدّ القاذف الرّقيق ولو مبعّضًا أو مكاتبًا أربعون جلدةً على النّصف من الحُرّ، لآية النّساء ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ النّساء: ٢٥.

فهذه الآية مخصوصة بتلك؛ إذ لافرق بين الذّكر والأُنثى، ولابين حدّ الزّنى وحدّ القذف، ويدلّ على أنّ المراد بالآية الأحرار. (٢: ٥٩٩)

المشهديّ: (فَاجْلِدُوهُمْ) أي الّذين يرمونهنّ بالزّنى. ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ حدًّالقذفهم ورميهم بالزّنى.

(٧: ١٤)

البُرُوسَويّ: ونُصب (جَلْدَةً) على التّمييز، أي اضربوا كلّ واحد من الرّامين ثمانين ضربة إن كان القاذف حرًّا، وأربعين إن كان عبدًا، لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم، عن الإتيان بالشّهداء. (٦: ١١٨)

القاسميّ: (فَاجْلِدُوهُمْ) أي كلّ واحد من الرّامين. وتخصيص النّساء لخصوص الواقعة، ولأنّ قذفهنّ أغلب وأشنع، وإلّا فلافرق فيه بين الذّكر والأُنثى. (١٢: ٤٤٤٩)

عبد الكريم الخطيب: والجَلْد مضافًا إليه الفضح على الملإ، هو عقوبة غير المحصن والمحصنة. وهذا الجلد غير منكور مافيه من استخفاف بإنسانيّة الإنسان، وامتهان لكرامته، وإسقاط لمروّته.

نعم، إنّ الإسلام يأخذ هذاالإنسان بكلّ هذا التّجريم والتّجريح، في مقابل جنايته تلك الّتي جناها على المجتمع. (٩: ١٢٠٨)

جُلُود

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا...﴾ النّحل: ٨٠

ابن عبّاس: من أصوافها وأوبارها وأشعارها. (٢٢٨)

نحوه النّسفيّ (٢: ٢٩٥)، والمَراغيّ (١٤: ١٢١).

ابن قُتَيْبَة: يعني قِبابَ الأدَم وغيرها. (٢٤٧)

البغويّ: يعني الخيام والقِباب والأخبية والفساطيط، من الأنطاع والأدَم. (٣: ٩٠)

مثله الطّبْرِسيّ (٣: ٣٧٧)، ونحوه النّيسابوريّ (١٤: ١٠٢)، والخازن (٤: ٨٨)، والبُرُوسَويّ (٥: ٦٦).

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّ المراد الأنطاع، وقد تعمل العرب البيوت من الأدَم، وهي جلود الأنعام. (٢٠: ٩٢)

البَيْضاويّ: هي القِباب المتّخذة من الأدَم، ويجوز أن يتناول المتّخذة من الوَبَر والصّوف والشّعر، فإنّها من حيث إنّها نابتة على جلودها، يصدق عليها أنّها من

جلودها. (١: ٥٦٥)

نحوه الشّربينيّ (٢: ٢٥٣)، والقاسميّ (١٠: ٣٨٤٣).

الطّباطبائيّ: أي من جلودها بعد الدّبغ، وهي الأنطاع والأدَم. (١٢: ٣١٤)

وَالجُلُودُ

يُصْهَرُ بِهِ مَافِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ. الحجّ: ٢٠

أبوحَيّان: ويصل ذلك الذّوب إلى الظّاهر وهو الجلد، فيؤثّر في الظّاهر تأثيره في الباطن، كما قال تعالى: ﴿فَقَطَّعَ اَمْعَاءَهُمْ﴾ محمّد: ١٥.

والظّاهر عطف (وَالْجُلُودُ) على (مَا)، من قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَافِي بُطُونِهِمْ﴾ وأنّ الجلود تُذاب كما تُذاب الأحشاء.

وقيل: التّقدير: وتُحرَق الجلود، لأنّ الجلود لاتُذاب إنّما تجمع على النّار وتنكمش. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٣٦٠)

نحوه السّمين الحلبيّ. (٥: ١٣٥)

الشّربينيّ: (يُصْهَرُ) أي يُذاب (بِهِ) من شدّة حرارته (مَافِي بُطُونِهِمْ) من شحم وغيره (وَالْجُلُودُ)، فيكون أثره في الباطن والظّاهر سواء. وقال ابن عبّاس: يُسقَون ماءً إذا دخل بطونهم أذابها، والجلود مع البطون. (٢: ٥٤٤)

البُرُوسَويّ: تُشوى جلودهم فتتساقط، عطف على (مَا)، وتأخيره عنه لمراعاة الفواصل، أي إذا صُبّ الحميم على رؤوسهم يؤثّر من فرط حرارته في باطنهم نحو تأثيره في ظاهرهم، فيُذاب به أحشاؤهم، كما يذاب به جلودهم، ثمّ يعاد كما كان. (٦: ١٨)

الآلوسيّ: (وَالْجُلُود) عطف على (مَا)، وتأخيره عنه قيل: إمّا لمراعاة الفواصل، أو للإشعار بغاية شدّة الحرارة، بإيهام أنّ تأثيرها في الباطن أقدم من تأثيرها في الظّاهر، مع أنّ ملابستها على العكس.

وقيل: إنّ التّأثير في الظّاهر غنيّ عن البيان، وإنّما ذُكر للإشارة إلى تساويهما، ولذا قُدّم الباطن، لأنّه المقصود الأهمّ.

وقيل: التّقدير: ويحرق الجلود، لأنّ الجلود لاتُذاب وإنّما تجتمع على النّار وتنكمش. وفي «البحر» أنّ هذا من باب علّفتها تبنًا وماءً باردًا. وقال بعضهم: لاحاجة إلى التزام ذلك، فإنّ أحوال تلك النّشأة أمر آخر. (١٧: ١٣٤)

جُلُودُهُمْ

١ ـ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا... النّساء: ٥٦

ابن عبّاس: يُبدّلون جلودًا بيضاء كأمثال القراطيس. (البغويّ ١: ٦٤٧)

الحسن: تأكلهم النّار كلّ يوم سبعين ألف مرّة، كلّما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فيعودون كما كانوا. (البغويّ ١: ٦٤٧)

السُّدّيّ: يُبدّل الجلد جلدًا غيره من لحم الكافر، ثمّ يُعاد الجلد لحمًا، ثمّ يخرج من اللّحم جلدًا آخر. (البغويّ ١: ٦٤٨)

الطّبَريّ: فإن سأل سائل، فقال: ومامعنى قوله

جلّ ثناؤه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؟ وهل يجوز أن يُبدّلوا جلودًا غير جلودهم، الّتي كانت لهم في الدّنيا، فيعذّبوا فيها؟ فإن جاز ذلك عندك، فأجزْ أن يُبدّلوا أجسامًا وأرواحًا غير أجسامهم وأرواحهم، الّتي كانت لهم في الدّنيا فتُعذّب، وإن أجزتَ ذلك، لزمك أن يكون المعذّبون في الآخرة بالنّار، غير الّذين أوعدهم الله العقاب على كفرهم به، ومعصيتهم إيّاه، وأن يكون الكفّار قد ارتفع عنهم العذاب؟

قيل: إنّ النّاس اختلفوا في معنى ذلك، فقال بعضهم: العذاب إنّما يصل إلى الإنسان الّذي هو غير الجِلد واللّحم، وإنّما يُحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب، وأمّا الجِلد واللّحم فلايألمان؛ قالوا: فسواء أُعيد على الكافر جِلده الّذي كان له في الدّنيا، أو جِلد غيره، إذ كانت الجلود غير آلمةٍ ولامعذّبة، وإنّما الآلمة المعذّبة النّفس الّتي تحسّ الألم، ويصل إليها الوجع؛ قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، فغير مستحيل أن يُخلَقَ لكلّ كافر في النّار في كلّ لحظة وساعة من الجلود مالايحصى عدده، ويُحرق ذلك عليه، ليصل إلى نفسه ألم العذاب، إذا كانت الجلود لاتألم.

وقال آخرون: بل الجلود تألم، واللّحم وسائر أجزاء جِرم بني آدم، وإذا أُحرق جلده أو غيره من أجزاء جسده، وصل ألم ذلك إلى جميعه.

قالوا: ومعنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بدّلناهم جلودًا غير محترقة؛ وذلك أنّها تُعاد جديدة، والأُولى كانت قد احترقت فأُعيدت غير مُحترقة، فلذلك قيل: (غَيْرَهَا) لأنّها غير الجلود الّتي كانت لهم في الدّنيا، الّتي عصوا الله وهي لهم.

قالوا: وذلك نظير قول العرب للصّائغ إذا استصاغته خاتمًا من خاتم مصوغ، بتحويله عن صياغته الّتي هو بها إلى صياغة أُخرى: صُغ لي من هذا الخاتم خاتمًا غيره، فيكسره ويصوغ له منه خاتمًا غيره، والخاتم المصوغ بالصّياغة الثّانية هو الأوّل، ولكنّهُ لمّا أُعيد بعد كسره خاتمًا، قيل: هو غيره، قالوا: فكذلك معنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لمّا احترقت الجلود، ثمّ أُعيدت جديدة بعد الاحتراق، قيل: هي غيرها، على ذلك المعنى.

وقال آخرون: معنى ذلك كلّما نضجت جلودهم: سرابيلهم، بدّلناهم سرابيل من قَطِران غيرها، فجعلت سرابيل القَطِران لهم جلودًا، كما يقال للشّيء الخاصّ بالإنسان: هو جِلدة مابين عينيه ووجهه، لخصوصه به، قالوا: فكذلك سرابيل القَطِران، الّتي قال الله في كتابه: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ إبراهيم: ٥٠.

لمّا صارت لهم لباسًا لاتفارق أجسامهم، جعلت لهم جلودًا، فقيل: كلّما اشتعل القَطِران في أجسامهم واحترق، بُدّلوا سرابيل من قطِران آخر. قالوا: وأمّا جلود أهل الكفر من أهل النّار، فإنّها لاتحرق، لأنّ في احتراقها إلى حال إعادتها فناءها، وفي فنائها راحتها. قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنها أنّهم لايموتون، ولايخفّف عنهم من عذابها.

قالوا: وجلود الكفّار أحد أجزاء أجسامهم، ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى، ثمّ يعاد بعد الفناء في

النّار، جاز ذلك في جميع أجزائها. وإذا جاز ذلك وجب أن يكون جائزًا عليهم الفناء، ثمّ الإعادة والموت، ثمّ الإحياء، وقد أخبر الله عنهم أنّهم لايموتون. قالوا: وفي خبره عنهم أنّهم لايموتون، دليل واضح أنّه لايموت شيء من أجزاء أجسامهم، والجلود أحد تلك الأجزاء.

(٥: ١٤٢)

نحوه الطّبْرِسيّ (٢: ٦٢)، والخازن (١: ٤٥٦).

عبد العزيز بن يحيى: إنّ الله عزّوجلّ يُلبس أهل النّار جُلودًا لاتألم، فتكون زيادة عذاب عليهم، كلّما احترق جلدٌ بدّلهم جلدًا غيره. (البغويّ ١: ٦٤٨)

البغويّ: فإن قيل: كيف تُعذّب جلود لم تكن في الدّنيا ولم تَعْصِه؟

قيل: يُعاد الجلد الأوّل في كلّ مرّة. وإنّما قال: جلودًا غيرها لتبدّل صفتها، كما تقول: صنَعتُ من خاتمي خاتمًا غيره، فالخاتم الثّاني هو الأوّل إلّا أنّ الصّناعة والصّفة تبدّلت، وكمَن يترك أخاه صحيحًا ثمّ بعد مدّة يراه مريضًا دَنِفًا، فيقول: أنا غير الّذي عهدت، وهو عين الأوّل، إلّا أنّ صفته تغيّرت. (١: ٦٤٨)

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: كيف تُعذّب مكان الجلود العاصية جلود لم تَعصِ؟

قلت: العذاب للجملة الحسّاسة، وهي الّتي عصَت لا للجلد.

وعن فضيل: يجعل النّضيج غير نضيج، وعن رسول الله ﷺ «تُبدّل جلودهم كلّ يوم سبع مرّات».(١: ٥٣٤)

الفَخْرالرّازيّ: الجلود العاصية إذا احترقت، فلو خلق الله مكانها جلودًا أُخرى وعذّبها، كان هذا تعذيبًا لمن لم يَعصِ، وهو غير جائز.

والجواب عنه من وجوه:

الأوّل: أن يجعل النّضج غير النّضيج، فالذّات واحدة والمتبدّل هو الصّفة، فإذا كانت الذّات واحدة كان العذاب لم يصل إلّا إلى العاصي، وعلى هذا التّقدير المراد بالغيريّة: التّغاير في الصّفة.

الثّاني: المعذّب هو الإنسان، وذلك الجلد ماكان جزء من ماهيّة الإنسان، بل كان كالشّيء الملتصق به الزّائد على ذاته. فإذا جدّد الله الجلد وصار ذلك الجلد الجديد سببًا لوصول العذاب إليه، لم يكن ذلك تعذيبًا إلّا للعاصي.

الثّالث: أنّ المراد بالجلود: السّرابيل، قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ إبراهيم: ٥٠، فتجديد الجلود إنّما هو تجديد السّرابيلات. طعن القاضي فيه، فقال: «إنّه ترك للظّاهر». وأيضًا السّرابيل من القَطِران لاتوصف بالنّضج، وإنّما توصف بالاحتراق.

الرّابع: يمكن أن يقال: هذا استعارة عن الدّوام وعدم الانقطاع، كما يقال لمن يراد وصفه بالدّوام: كلّما انتهى فقد ابتدأ، وكلّما وصل إلى آخره فقد ابتدأ من أوّله. فكذا قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ يعني كلّما ظنّوا أنّهم نضجوا واحترقوا وانتهوا إلى الهلاك، أعطيناهم قوّة جديدة من الحياة؛ بحيث ظنّوا أنّهم الآن حُدثوا ووُجدوا، فيكون المقصود بيان دوام العذاب وعدم انقطاعه.

الخامس: قال السُّدّيّ: «إنّه تعالى يبدّل الجلود من لحم الكافر، فيخرج من لحمه جلد آخر» وهذا بعيد لأنّ

لحمه مُتناه، فلابدّ وأن ينفد، وعند نفاد لحمه لابدّ من طريق آخر في تبديل الجِلْد، ولم يكن الطّريق مذكورًا أوّلًا، والله أعلم. (١٠: ١٣٤)

القُرطُبيّ: والمعنى في الآية: تبدّل الجلود جلودًا أُخر. فإن قال من يطعن في القرآن من الزّنادقة: كيف جاز أن يعذّب جلدًا لم يعصه؟

قيل له: ليس الجلد بمعذّب ولامعاقب، وإنّما الألم واقع على النّفوس؛ لأنّها هي الّتي تُحسّ وتعرف، فتبديل الجلود زيادة في عذاب النّفوس، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ الإسراء: ٩٧.

فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح، ولو أراد الجلود، لقال: ليذقنّ العذاب. [ثمّ أدام نحو الطّبَريّ] (٥: ٢٥٣)

الشّوكانيّ: والمعنى أنّها كلّما احترقت جلودهم بدلّهم الله جلودًا غيرها، أي أعطاهم مكان كلّ جلد محترق جلدًا آخر غير محترق. فإنّ ذلك أبلغ في العذاب للشّخص، لأنّ إحساسه لعمل النّار في الجلد الّذي لم يحترق، أبلغ من إحساسه لعملها في الجلد المحترق.

وقيل: المراد بالجلود: السّرابيل الّتي ذكرها في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ إبراهيم: ٥٠، ولاموجب لترك المعنى الحقيقيّ هاهنا، وإن جاز إطلاق الجلود على السّراويل مجازًا. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٦١٢)

الآلوسيّ: أي أعطيناهم مكان كلّ جلد محترق عند احتراقه جلدًا جديدًا مغايرًا للمحترق صورةً، وإن كانت مادّته الأصليّة موجودة، بأن يزال عنه الإحراق؛ فلايراد أنّ الجلد الثّاني لم يَعصِ فكيف يعذّب، وذلك لأنّه هو العاصي باعتبار أصله، فإنّه لم يبدّل إلّا صفته.

وعندي أنّ هذا السّؤال ممّا لايكاد يسأله عاقل فضلًا عن فاضل؛ وذلك لأنّ عصيان الجلد وطاعته وتألّمه وتلذّذه غير معقول، لأنّه من حيث ذاته لافرق بينه وبين سائر الجمادات من جهة عدم الإدراك والشّعور، وهو أشبه الأشياء بالآلة. فيد قاتل النّفس ظلمًا مثلًا آلة له، كالسّيف الّذي قتل به ولافرق بينهما، إلّا بأنّ اليد حاملة للرّوح، والسّيف ليس كذلك، وهذا لايصلح وحده سببًا لإعادة اليد بذاتها وإحراقها، دون إعادة السّيف وإحراقه، لأنّ ذلك الحمل غير اختياريّ.

فالحقّ أنّ العذاب على النّفس الحسّاسة بأيّ بدن حلّت وفي أيّ جلد كانت، وكذا يقال في النّعيم.

ويؤيّد هذا إنّ من أهل النّار من يملأ زاوية من زوايا جهنّم، وأنّ سنّ الجهنّميّ كجبل أُحد، وأنّ أهل الجنّة يدخلونها على طول آدم عليه السلام ستّين ذراعًا في عرض سبعة أذرع. ولاشكّ أنّ الفريقين لم يباشروا الشّرّ والخير بتلك الأجسام، بل من أنصف رأى أنّ أجزاء الأبدان في الدّنيا لاتبقى على كمّيّتها كهولةً وشيوخةً، وكون الماهيّة واحدة لايفيد، لأنّا لم ندع فيما نحن فيه أنّ الجلد الثّاني يغاير الأوّل كمغايرة العرض للجوهر أو الإنسان للحجر، بل كمغايرة زيد المطيع لعمرو العاصي مثلًا، على أنّه لو قيل: إنّ الكافر يعذّب أوّلًا ببدن من حديد تحلّه الرّوح، وثانيًا ببدن من غيره، كذلك لم يسغ لأحد أن يقول: إنّ الحديد لم يعص فكيف أُحرق بالنّار! ولولا ماعُلم من الدّين بالضّرورة من المعاد الجسمانيّ،

بحيث صار إنكاره كفرًا، لم يَبعد عقلًا القول بالنّعيم والعذاب الرّوحانيّين فقط. (٥: ٥٨)

عبد الكريم الخطيب : والجلد هو حاسّة الإحساس في الإنسان، ولذا كان العذاب الأُخرويّ واقعًا عليه، وكانت النّار الّتي تتّصل به أشبه بثوب من النّار ذاتها، كلّما بلي هذا الثّوب، تجدّد لأصحاب النّار ثوب آخر مكانه. (٣: ٨١٨)

[لاحظ «ب د ل»]

٢ـ حَتّىٰ إِذَا مَاجَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. فصّلت: ٢٠، ٢١

الإمام عليّ عليه السلام : الجلود: الفروج.

(الكاشانيّ ٤: ٣٥٦)

مثله السُّدّيّ (٤٢٧)، وابن قُتَيْبَة (٣٨٩)، وابن زَيْد (الماوَرْديّ ٥: ١٧٦).

ابن عبّاس : ﴿جُلُودُهُمْ﴾: أعضاؤهم.

(وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ): لأعضائهم، ويقال: لفروجهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾. (٤٠٢)

الجلود: الأيدي، والأرجل. (الماوَرْديّ ٥: ١٧٦)

الإمام الصّادق عليه السلام : الجلود: الفروج والأفخاذ.

(الكاشانيّ ٤: ٣٥٦)

الطَّبَريّ : وقد قيل: عُني بالجلود في هذا الموضع: الفروج. [إلى أن قال:]

قال عبيد الله بن أبي جعفر: (جُلُودُهُمْ): الفروج.

وهذا القول الّذي ذكرناه عمّن ذكرنا في معنى الجلود، وإن كان معنًى يحتمله التّأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود، ولابالأشهر. وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشّيء الأقرب إلى غيره، إلّا بحجّة يجب التّسليم لها. (٢٤: ١٠٦)

نحوه ابن عَطيّة. (٥: ١١)

الماوَرْديّ : فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: [قول ابن زَيد]

الثّاني: لجلودهم أنفسها، وهو الظّاهر.

الثّالث: [قول ابن عبّاس الأخير]

وقيل: إنّ أوّل مايتكلّم منه فخذه الأيسر وكفّه الأيمن. (٥: ١٧٦)

الطُّوسيّ : وقيل: المراد بالجلود: الفروج، على طريق الكناية. وقيل: لا، بل الجلود المعروفة، وهو الظّاهر. (٩: ١١٧)

ابن الأثير : الجلود هاهنا تُفسّر حقيقةً ومجازًا. أمّا الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقًا، وأمّا المجاز فيراد بها الفروج خاصّة. وهذا هو المانع البلاغيّ الّذي يرجّح جانب المجاز على الحقيقة، لما فيه من لطف الكناية عن المكنّى عنه.

وقد يسأل هاهنا في التّرجيح بين الحقيقة والمجاز، عن غير الجانب البلاغيّ، ويقال: مابيان هذا التّرجيح؟

فيقال: طريقة لفظ «الجلود» عامّ، فلايخلو إمّا أن يراد به الجلود مطلقًا، أو يراد به الجوارح الّتي هي أدوات الأعمال خاصّة. ولايجوز أن يراد به الجلود على الإطلاق، لأنّ شهادة غير الجوارح الّتي هي الفاعلة،

شهادة باطلة؛ إذ هي شهادة غير شاهد. والشّهادة هنا يراد بها الإقرار، فتقول اليد: أنا فعلت كذا وكذا، وتقول الرّجل: أنا مشيت إلى كذا وكذا، وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقرّة بأعمالها. فترجّح بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح.

وإذا أُريد به الجوارح، فلايخلو إمّا أن يراد به الكلّ أو البعض. فإن أُريد به الكلّ، دخل تحته السّمع والبصر، ولم يكن لتخصيصهما بالذّكر فائدة. وإن أُريد به البعض، فهو بالفرج أخصّ منه بغيره من الجوارح، لأمرين:

أحدهما: أنّ الجوارح كلّها قد ذُكرت في القرآن الكريم شاهدة على صاحبها بالمعصية ماعدا الفرج، فكان حمل الجلد عليه أولى، ليستكمل ذكر الجميع.

الآخر: أنّه ليس في الجوارح مايُكره التّصريح بذكره إلّا الفرج، فكنّي عنه بالجلد، لأنّه موضع يُكره التّصريح فيه بالمسمّى على حقيقته.

فإن قيل: إنّ تخصيص السّمع والبصر بالذّكر من باب التّفصيل، كقوله تعالى: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ الرّحمن: ٦٨، والنّخل والرّمّان من الفاكهة.

قلت في الجواب: هذا القول عليك لالك، لأنّ النّخل والرّمّان إنّما ذكرا لتفضيل لهما في الشّكل أو في الطّعم، والفضيلة هاهنا في ذكر الشّهادة إنّما هي تعظيم لأمر المعصية، وغير السّمع والبصر أعظم في المعصية، لأنّ معصية السّمع إنّما تكون في سماع غيبة، أو في سماع صوت مِزمار أو وَتر، أو ماجرى هذا المجرى. ومعصية البصر إنّما تكون في النّظر إلى محرّم، وكلتا المعصيتين لاحدّ فيها. وأمّا المعاصي الّتي توجد من غير السّمع والبصر فأعظم، لأنّ معصية اليد توجب القطع، ومعصية الفرج توجب جَلْد مئة أو الرّجم، وهذا أعظم، فكان ينبغي أن تُخصّ بالذّكر دون السّمع والبصر. وإذا ثبت فساد ماذهبت إليه، فلم يكن المراد بالجلود: إلّا الفروج خاصّة. (القاسميّ ١٤: ٥١٩٧)

الفَخْرالرّازيّ: مارأيت للمفسّرين في تخصيص هذه الأعضاء الثّلاثة بالذّكر سببًا وفائدة، وأقول: لاشكّ أنّ الحواسّ خمسة: السّمع، والبصر، والشّمّ، والذّوق، واللّمس، ولاشكّ أنّ آلة اللّمس هي الجِلد. فالله تعالى ذكر هاهنا من الحواسّ وهي السّمع والبصر واللّمس، وأهمل ذكر نوعين وهما الذّوق والشّمّ، لأنّ الذّوق داخل في اللّمس من بعض الوجوه، لأنّ إدراك الذّوق إنّما يتأتّى بأن تصير جلدة اللّسان والحنك مماسّة لجرم الطّعام، فكان هذا داخلًا فيه، فبقي حسّ الشّمّ وهو حسّ ضعيف في الإنسان، و ليس لله فيه تكليف ولا أمر ولانهي.

إذا عرفت هذا فنقول: نقل عن ابن عبّاس أنّه قال: المراد من شهادة الجلود: شهادة الفروج، قال: وهذا من باب الكنايات، كما قال: ﴿وَلٰكِنْ لَاتُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ البقرة: ٢٣٥، وأراد النّكاح، وقال: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ النّساء: ٤٣، والمراد قضاء الحاجة. وعن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «أوّل مايتكلّم من الآدميّ فخذه وكفّه». وعلى هذا التّقدير فتكون هذه الآية وعيدًا شديدًا في الإتيان بالزّنى، لأنّ مقدّمة الزّنى إنّما تحصل بالكفّ، ونهاية الأمر فيها إنّما تحصل بالفخذ. (١٤: ١١٦)

أبوالسّعود: بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار مااقترفوا بها. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ المراد بشهادة الجلود: شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السّؤال بها في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فإنّ ماتشهد به من الزّنى أعظم جناية وقبحًا، وأجلب للخزي والعقوبة ممّا يشهد به السّمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسّطها.

وقيل: المراد بالجلود: الجوارح، أي سألوها سؤال توبيخ، لما رُوي أنّهم قالوا لها: فعنكنّ كنّا نُناضل، وفي رواية: بُعدًا لكُنّ وسُحقًا، عنكنّ كنتُ أجادل. وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ...﴾. (٥: ٤٤١)

البُرُوسَويّ: (جُلُودُهُمْ): ظواهر أنفسهم وبَشَراتهم بما لامست محظورًا، والجلد: قشر البدن. وقيل: المراد بالجلود: الجوارح والأعضاء. (٨: ٢٤٧)

الشّوكانيّ: [نقل كلام الفخرالرّازيّ ثمّ قال:]

إذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثّلاثة بالذّكر، عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسّؤال، لأنّها قد اشتملت على ثلاث حواسّ، فكان تأتي المعصية من جهتها أكثر.

وأمّا على قول من فسّر الجلود بالفروج، فوجه تخصيصها بالسّؤال ظاهر، لأنّه مايشهد به الفرج من الزّنى أعظم قُبحًا، وأجلب للخزي والعقوبة. (٤: ٦٤١)

الآلوسيّ: [نقل كلام أبي السّعود ثمّ قال:]

وفيه نظر، ولعلّ إرادة الظّاهر أولى، ولعلّ تخصيص السّؤال بالجلود، لأنّها بمرأى منهم، بخلاف السّمع والبصر، أو لأنّها هي مُدركة العذاب بالقوّة المودعة فيها، كما يشعر به قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾. (٢٤: ١١٥)

القاسميّ: [نقل كلام ابن الأثير ثمّ قال:]

وناقشه ابن أبي الحديد في «الفلك الدّائر» بما محصّله: أنّ حمل الجلد على الفرج إنّما يتعيّن، إذا كان بين لفظتي الجلد والفرج أو معناهما مناسبة. ولانجد مناسبة إلّا أن يكون لأجل أنّ الجلد جزء من أجزاء ماهيّة الفرج، فعبّر عن الكلّ بالبعض، وهو بعيد جدًّا، انتهى.

وأقول: مقصود من أثَر عنه: إرادة الفروج بالجلود، هو إرادة الفرد الأهمّ والأقوى؛ وذلك لأنّ الجلود تصدق على ماحواه الجسم من الأعضاء والعضلات الّتي تكتسب الجريمة.

ولايخفى أنّ أهمّها بالعناية وأولاها بالإرادة هو الفروج، لأنّ معصيتها تُربي على الجميع.

وقد عُهد في مفسّري السّلف اقتصارهم في التّأويل من العامّ على فرده الأهمّ، كقصرهم (سَبيلِ الله) على الجهاد، مع أنّ (سَبيل الله) يصدق على كلّ مافيه خير وقربة ونفع ومعونة على الطّاعة. إلّا أنّ أهمّ الجميع هو جهاد الّذين يصدّون عن الحقّ؛ فذكر الجهاد لاينفي غيره. وهذه فائدة ينبغي أن يحرص على فهمها كلّ من له عناية بالتّفسير، فإنّها من فوائده الجليلة، وينحلّ بها إشكالات ليست بالقليلة، والله الموفّق.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إمّا من تمام كلام الجلود، أو مستأنف من كلامه تعالى. وعلى كلّ، فهو مقرّر لما قبله، بأنّ القادر

على الخلق أوّل مرّة، قادر على إنطاق كلّ شيء.

(١٤: ٥١٩٨)

عبد الكريم الخطيب: ثمّ هناك «الجلد» وهو هذا الثّوب الّذي يكسو الإنسان، ويحوي كيانه كلّه، وهو موضع الإحساس فيه، ويمثّل حاسّة اللّمس، إلى جوانب الحواسّ الأُخرى، من السّمع والبصر والذّوق والشّمّ الّتي يحويها كلّها الوعاء الجلديّ.

وقد فسّر بعض العلماء «الجلد» بالفرج، وهو تأويل بعيد، لاتساعد عليه اللّغة، وإن كانت الفروج من الجوارح الّتي تهدّد النّاس بأفدح الأخطار وأشنعها. فكان حمل الجلود عليها منظورًا فيه إلى إقامة أفصح الشّهود وأكثرهم دلالة على جرم المجرمين. وهذا مانرى أنّ القرآن الكريم لم يقصد إليه هنا، وإلّا لأنطق القلوب الّتي هي موطن الفساد، وقائدي الضّلال عند أهل الفساد والضّلال والكفر!

كذلك فسّر بعض العلماء المحدثين «الجلد» ببصمات الأصابع؛ حيث لكلّ إنسان بصمة أصابعه الّتي لايشاركه فيها إنسان غيره. وهذا التّأويل محمول فيه الجلد على أنّه الّذي يكشف عن شخصيّة الإنسان، وينادي عليه أنّ هذا هو فلان «المجرم» فخذوه.

وهذا المعنى أيضًا غير وارد فيما سيقت الآية الكريمة له، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى أقام على الكافرين والمشركين والضُّلّال شهودًا عليهم من الجوارح الّتي كانت في الدّنيا من القوى المسخّرة لهم، والّتي كانت نعمًا من نعم الله الجليلة عندهم، لو أنّهم أحسنوا الانتفاع بها، ولكنّهم وجّهوها غير وجهتها الّتي خلقها الله لها. وكان ذلك عدوانًا على هذه الجوارح ذاتها، بتكليفها مالو كانت لها إرادة لأبت أن تفعله.

فلمّا جاء يوم الحساب، ولم يكن للإنسان سلطان عليها في هذا اليوم، لأنّ إرادته قد تعطّلت، تمثّلت هذه الجوارح شخوصًا، تقف من صاحبها موقف الخصومة، وتنطق بما ارتكب بها صاحبها من منكرات، ليقتصّ لها الله سبحانه من صاحبها، المعتدي عليها.

والجلود هنا هي ـ كما قلنا ـ الثّوب الّذي يكسو الكيان الإنسانيّ كلّه، ويحوي في داخله هذا الهيكل البشريّ، وماحوى من مشاعر، وأحاسيس ووجدانات. فشهادة الجلد شهادة شاملة لكلّ ماشهدت به هذه الجوارح من الألسنة، والأيدي، والأرجل، تستدرك مافات هذه الجوارح أن تشهد عليه، ممّا لم يكن داخلًا في نطاق وظيفتها. ولهذا فإنّهم ـ أي أهل الضّلال ـ يتّجهون إلى جلودهم وحدها بالاستنكار عليها، أن تؤدّي هذه الشّهادة الّتي تُدينهم وتُدين جلودهم معهم. ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فصّلت: ٢١.

والجلود قد أنطقها الله سبحانه الّذي أنطق كلّ شيء، فكلّ شيءٍ ناطق لله سبحانه وتعالى، كما أنّ كلّ شيءٍ مسبّح بحمده، كما يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ الإسراء: ٤٤، فليس المراد بالنّطق هنا نطق اللّسان، وإنّما المراد هو إفصاح الموجود عن وجوده، والإبانة عن ولائه لخالقه، بأيّة صورة من الصّور. ومن هذه الصّور انتظام الموجود في نظام الوجود، وجريانه

على ما أُقيم عليه. (١٢: ١٣٠٣ ـ ١٣٠٥)

الطَّباطَبائيّ: والمراد بالجلود، على ظاهر إطلاق الآية: مطلق الجلود وشهادتها على أنواع المعاصي الّتي تتمّ بالجلود، من التّمتّعات المحرّمة كالزّنى ونحوه، ويمكن حينئذ أن تعمّم الجلود بحيث تشمل شهادتها ماشهدت الأيدي والأرجل المذكورة، في قوله: ﴿اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلٰى اَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا اَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ﴾ يس: ٦٥، على بُعد.

وقيل: تخصيص الجلود بالذّكر تقريع لهم وزيادة تشنيع وفضاحة، وخاصّة لو كان المراد بالجلود: الفروج. وقيل: غير ذلك. (١٧: ٣٧٩)

مكارم الشّيرازيّ: ماهو المقصود من (جُلُود) بصيغة الجمع؟

• الظّاهر أنّ المقصود بذلك هو جلود الأعضاء المختلفة للجسم، جلد اليد والرّجل والوجه، وغير ذلك.

أمّا الرّوايات الّتي تفسّر ذلك بـ«الفروج» فهي في الحقيقة من باب بيان المصداق، وليس حصر مفهوم الجلود في ذلك.

ومن جانب آخر رُبّ سائل يسأل: لماذا تشهد العين والأُذُن والجلود فقط، دون أعضاء الجسم الأُخرى؟ وهل الشّهادة مقتصرة على هذه الأعضاء؟ أو أنّ هناك أعضاء أُخرى تشهد؟

مانستفيده من الآيات القرآنيّة الأُخرى أنّ هناك أعضاء أُخرى في جسم الإنسان تشهد عليه، إذ نقرأ في الآية قوله تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَا اَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يس: ٦٥، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْدِيهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ﴾ النّور: ٢٤.

وهكذا يتّضح أنّ هناك أعضاء أُخرى تقوم بالإدلاء بالشّهادة، إلّا أنّ ماتذكره الآية الّتي بين أيدينا من أعضاء تعتبر في الدّرجة الأُولى، لأنّ معظم أعمال الإنسان تتمّ بمساعدة العين والأُذُن، وأنّ الجلود هي أوّل من يقوم بملامسة الأعمال. [إلى أن قال:]

والطّريف هنا أنّ أُولئك يسألون جلودهم دون باقي الأعضاء من الشّهود كالعين والأُذُن.

قد يكون السّبب في ذلك أنّ شهادة الجلود هي أغرب وأعجب من جميع الأعضاء الأُخرى، وأوسع منها جميعًا، فتلك الجلود الّتي يجب عليها أن تذوق طعم العذاب الإلهيّ ـ قبل غيرها من الأعضاء ـ تقوم بمثل هذه الشّهادة، وهذا الأمر مُحيّر حقًّا. (١٥: ٣٤٩)

الوُجوه والنّظائر

الحيريّ: الجلود على وجهين:

أحدهما: الجلود بعينها، كقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ النّساء: ٥٦.

الثّاني: الفروج، كقوله: ﴿حَتّٰى اِذَا مَاجَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَاَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ فصّلت: ٢٠، وقوله: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فصّلت: ٢١، وقوله: ﴿وَلَا اَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ فصّلت: ٢٢. (١٨١)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الجِلْد، أي غشاء جسد

الحيوان، والجمع: جُلُود وأجلاد، والجِلْدة: طائفة من الجِلْد، يقال: جِلْدة العين وغيرها، وفلانٌ من جِلْدتنا، أي من عشيرتنا.

وأجلاد الإنسان وتجاليده: جسمه وبدنه، لأنّ الجلد محيط بها، يقال: فلانٌ عظيم الأجلاد والتجاليد، أي ضخم قويّ الأعضاء والجسم، وكذا فلانٌ عظيم الأجلاد وضئيل الأجلاد، وماأشبه أجلاده بأجلاد أبيه، أي شخصه وجسمه.

وعظم مُجلَّدٌ: لم يبق عليه إلّا الجلد.

وجلّد الجَزُور: نزع عنها جلدها كما تُسلَخ الشاة، يقال: جلّد جَزُورَه.

والجَلَد جِلد البَوّ يُحشى ثُمامًا، ويخيّل للناقة فتحسبه ولدها إذا شمّته، فترأم بذلك على ولدها، يقال: جلّد البَوّ، أي ألبسه الجَلَد.

والمِجلَدة: قطعة من جِلد تمسكها النائحة بيدها، وتلطم بها وجهها وخدّها، والجمع: مَجاليد.

والجَلْد: الضرب بالسوط، يقال: جَلَدَه يَجلِده جَلْدًا، وجَلَدَه الحدَّ جَلْدًا: ضربه وأصاب جِلدَه، كقولك: رَأَسه وبطَنه. وفرسٌ مُجلَّدٌ: لايجزع من ضرب السوط، وامرأةٌ جَليدٌ وجَليدةٌ: مَجلُودةٌ، من نسوة جَلْدَى وجَلائد.

وجَلَدتُه بالسيف جَلْدًا: ضربتُ جِلدَه، وجالدناهم بالسيوف مجالدةً وجِلادًا: ضاربناهم، وكذا تجالدَ القوم واجتلدوا، والجَلّاد: من يتولّى الجَلد بالسوط والقتل بالسيف.

وجَلَدتُ به الأرض: صَرعتُه، وضربتُها به، وجُلِد به: رُمِي إلى الأرض.

والجَلَد: القوّة والشدّة، تشبيهًا بالجِلْد، يقال: جَلُدَ الرّجل يَجلُد جَلادةً وجُلودةً، فهو جَلْد وجَليد، وبيّن الجَلَد والجَلادة والجُلودة، وقومٌ جُلْدٌ وجُلَداء، وأجلاد وجِلاد، وتجلّد الرّجل: تكلّف الجَلادة.

والجِلاد من النخل: الكبار الصّلاب، واحدتها: جَلْدَة، وتمرة جَلْدَةٌ: صُلبة مكتنزة.

والجِلاد من الإبل: الصّلبة الشّديدة، يقال: ناقةٌ جَلْدَةٌ ونوقٌ جَلْدات، وهي القويّة على العمل والسّير.

وجَلَدَتْهُ الحيّة: لدغته، أي عضّت جلده.

والجَلَد من الإبل والغنم: الّتي لاأولاد لها ولاألبان، مفردتها: جَلَدَة، وجمعها: أجلاد وأجاليد.

والجَليد: ماجمَد من الماء وسقط على الأرض من الصّقيع فجمَد، وأرضٌ مَجلُودةٌ: أصابها الجليد، يقال: جُلِدَت الأرض، وأُجلد النّاس، وجَلِدَ البقل.

والمُجلَّد: مقدار من الحمل معلوم المكيلة والوزن، وكأنّه صُنع من الجلد أوّل الأمر، ثمّ شاع في كلّ ماناظره، وإن لم يُصنع من الجلد.

واجتَلَدَ مافي الإناء: شربَه كلّه، يقال: حَملتُ الإناء فاجتلدتُه واجتَلدتُ مافيه، أي شربتُ كلّ مافيه، فكأنّه رماه إلى جوفه.

٢ـ أمّا قولهم: أرضٌ جَلَدٌ وجلَدَةٌ، أي صُلبة، فهو إبدال من «ك ل د»، يقال منه: تكلّد الرّجل، أي غلظ لحمه وتعرّز، والكَلَدة: الأرض الصُّلبة، أو قطعة من الأرض غليظة.

وقولهم: إنّه ليُجلَد بكلّ خير، أي يظنّ به، أصله

«يجلدّ» من «ج ل د».

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها الفعل أمرًا مع المصدر مرّتين، والاسم جمعًا (٩) مرّات:

١ـ ﴿اَلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النّور: ٢

٢ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النّور: ٤

٣ـ ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ النّحل: ٨٠

٤ـ ﴿اَللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزّمر: ٢٣

٥ ـ ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾

الحجّ: ١٩و ٢٠

٦ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النّساء: ٥٦

٧و٨و٩ـ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتّٰى إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾

فصّلت: ١٩ ـ ٢٢

يلاحظ أوّلًا: أنّ فيها محورين: الجَلْد والجِلْد:

وجاء في الصور الأوّل الأمر بالجَلْد ـ وهو ضرب الجِلْد ـ في (١) و(٢): مئة جَلْدة للزّاني، وثمانين جَلْدة للقذف، و(جَلْدَة) تمييز للعدد: مجرورةً بـ(مائة) ومنصوبة بـ(ثمانين). قال الزّمخشريّ: «وفي لفظ الجَلْدة إشارة إلى أنّه ينبغي أن لايتجاوز الألم إلى اللّحم». والأولى أن يقال: لايتجاوز أثر الضّرب إلى اللّحم جرحًا، وإلّا فالألم يتجاوز الجِلْد إلى اللّحم قهرًا. قال البغويّ: «وذكر بلفظ (الجَلْد) لئلّا يبرّح ولايضرب بحيث يبلغ اللّحم». ويدلّ مابعده ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ على شدّة الضّرب، فإنّ الضّرب الخفيف لايستدعي الرّأفة.

وللمفسّرين والفقهاء أقوال في كيفيّة الضّرب وحدّه مستندين إلى السّنّة، لأنّ الكتاب ساكت عنها. لاحظ القُرطُبيّ (١٢: ١٦٢) فما بعدها.

ثانيًا: بدأ الله حكم الجَلْد وعامّة أحكام الفاحشة والأُسرة بسورة فرضها، وبيّن فيها آيات اهتمامًا بها،

فقال: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النّور: ١.

ثالثًا: في (١) بحوث:

١ـ قُدّم مفعول الفعل عليه، فقال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾ اهتمامًا به كما قُدّم في ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨، وجاء (فَاجْلِدُوا) و(فَاقْطَعُوا) في الآيتين بفاء الجزاء تقبيحًا وتقليلًا لهما كأنّهما لايقعان، وأنّه لو فُرض وقوعهما فحكمهما الجلْد والقطع، فكأنّ السّياق يتضمّن الشّرط. قال الزّمخشريّ: «وإنّما دخلت الفاء لكون الألف واللّام بمعنى (الّذي) وتضمينه معنى الشّرط، وتقديره: الّتي زنت والّذي زنى فاجلدوهما، كما تقول: من زنى فاجلدوه».

٢ـ ذكر الزّانية والزّاني معًا، لأنّ العمل مشترك بينهما وقائم بهما.

٣ـ قُدّمت الزّانية على الزّاني ـ مع أنّه هو الفاعل وهي مفعول بها ـ لشيوع الزّانيات في ذلك الزّمان، وكان لإماء العرب والبغايا رايات، وكنّ مجاهرات بذلك، وداعيات للرّجال إليهنّ، ولما قيل من أنّ الزّنى في النّساء أعرّ، وهو لأجل الحبل أضرّ، وأنّ الشّهوة في المرأة أكثر، وعليها أغلب. ولأنّ العار بالنّساء ألحق؛ إذ موضوعهنّ الحُجب والصّيانة، ولأنّهنّ الباعثات لها لتبرّجهنّ وإبداء زينتهنّ وإغرائهنّ الرّجال، فصُدّر بها تغليظًا وتشديدًا لهنّ. ـ لاحظ القُرطبيّ (١٢: ١٦٠) ـ وهذا بخلاف السّارق والسّارقة؛ حيث قُدّم السّارق لأنّ السّرقة على الرّجال غالبة، وذُكرت السّارقة اهتمامًا بها لئلّا يغفل عنها.

٤ـ جاء الزّنى والسّرقة كلاهما بلفظ اسم الفاعل الدّالّ على نوع من الاستمرار، أي مَن عادته الزّنى والسّرقة، فلايصدقان بقول مطلق إلّا على الّذين يُديمون العمل. هذا هو مقتضى الصّيغة لكنّهم لم يعتنوا بها عملًا بالسُّنّة، وتُحمل الصّيغة الحاكية عن العادة والدّوام على أنّ التّعبير بها كان تشديدًا لأمر الزّنى والسّرقة، وأنّهما بدرجة من القباحة والشّناعة، أنّ من أتى بأحدهما مرّة بمثابة من كانت عادته ذلك، فيتّصف بوصف الدّائم، وعلى كلّ حال فصيغة الفاعل منهما أفحش من لفظ الفعل، لاحظ «ز ن ي».

٥ ـ هناك بحث في أمثال الآيتين من آيات الحدود وغيرها ممّا وُجّه فيه الخطاب إلى المؤمنين عامّة، دون النّبيّ ﷺ أو أولياء الأُمور والحكّام والقضاة، مع أنّ الفقهاء متّفقون على أنّ إجراء الحدود من وظائف ولاة الأمر، فما هو وجه هذه الخطابات؟

ويخطر بالبال أنّها وُجّهت إلى المؤمنين من أجل الاهتمام بها، وأنّها من الوظائف الاجتماعيّة الّتي كُلّف بها المؤمنون جميعًا لكي يهتمّوا بإجرائها، ولايدعوها معطّلة، أو معلّقة؛ وذلك بإعانتهم الأولياء الّذين بيدهم أزمّة الأُمور حتّى يتمكّنوا من إجرائها، وليس معنى الخطاب عامّة أنّ لكلّ أحدٍ من المؤمنين إجراءها من دون إرجاعها إلى وليّ الأمر، وإلّا لاختلّ النّظام ويُصبح الأمر فوضى، وهذا نظير حكم وجوب طاعة أُولي الأمر ومن مصاديقه.

وهذه الخطابات دليل على أنّ شؤون الحكومة من

وجهة نظر القرآن لاتُقام إلّا برضى الشّعب المسلم ودعمه، واشتراكه في إقامة الدّولة الإسلاميّة. وهذا باب من التّشريع السّياسيّ يتطلّب بحثًا طويلًا، كما أنّها دليل على أنّ النّاس مكلّفون بدفع المفاسد الاجتماعيّة سواء مايقوم بها الحكّام أو غيرهم، وهذا شعبة وفرع من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

رابعًا: كلّ ماقلناه في الزّنى والسّرقة فهو جارٍ في القذف، ولافرق بينهما إلّا من وجوه ثلاثة:

الأوّل: أنّ آية القذف (٢) جاء فيها بدل القاذف والقاذفة: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ وفيها مسحة من الدّوام والاستمرار أيضًا، لكن ليست بذلك الوضوح.

الثّاني: أنّها خاصّة بالرّجال لأنّهم يقذفون المحصنات غالبًا، وشذّ القذف من ناحية النّساء، ولو وقع فحكمهنّ حكم الرّجال سواء.

الثّالث: أنّ حدّ القذف حقّ للمقذوف يجب بطلبها ويسقط بعفوها، لأنّه من حقوق الآدميّين، وهذا عند الإماميّة والشّافعيّ، وعند أبي حنيفة أنّه حقّ الله، وعند بعض المتأخّرين أنّه من الحقوق المشتركة بين حقّ الله وحقّ النّاس. والتّفصيل موكول إلى الفقه وخارجٌ عن منطوق الآية، لاحظ «ق ذ ف».

خامسًا: وجاء في المحور الثّاني «الجلود» جمعًا فقط، وهي قسمان: جلود الحيوان في (٣) وهي نعمة من الله للإنسان في الدّنيا، وجلود الإنسان في الباقي وهي قسمان أيضًا: جلودهم في الدّنيا مدحًا وخوفًا من الله، في (٤) والسّياق في هاتين مدح، وجلودهم في الآخرة تعذيبًا في (٥ ـ ٩) وكلّها ذمّ. فجلود الإنسان فيها غلبت الحيوان بنسبة $\frac{٩}{١}$، وفي جلود الإنسان غلب الذّمّ والعذاب على الرّحمة بنسبة $\frac{٨}{١}$، وإليك التّفصيل:

سادسًا: جاء في (٣) ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ اختلفوا في أنّ المراد بالبيوت: الخيام الّتي تُنسج من أشعارها وأوبارها، أو الّتي تُصنع من الأدم والأنطاع، أو القسمان معًا. فالجلود في الوجه الثّاني أُريد بها نفسها، وفي الأوّل والأخير تعمّ متعلّقاتها، والتّعميم أولى وأصدق لشيوع القسمين بين العرب، إلّا أنّ ذيلها: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ جعل متعلّقات الجلود صنفًا مقابلًا لها، فالمراد بالجلود نفسها فقط، وهذه نكتة لم يلتفتوا إليها، ولعلّها أوجبت اختيار أكثرهم الوجه الأوّل.

سابعًا: جاءت في (٤) الجلود مرّتين في وصف القرآن وأثره البالغ في قلوب الّذين يخشون ربّهم، وفي (جُلُودُهُمْ) أي في ظاهرهم وباطنهم فتقشعرّ به جلودهم أوّلًا ثمّ تلين به جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، وفيها بحوثٌ:

١ـ لاريب أنّ القرآن أثّر بَدْءً في باطنهم وقلوبهم، لأنّها موضع الخشية، ومنها تتجاوز إلى ظاهرهم وجلودهم، إلّا أنّ القرآن قدّم اقشعرار الجلود على خشية القلوب ولينها، لأنّه الأثر الظّاهر المشهود الدّالّ على الباطن، تقديمًا للمحسوس على المعقول، وللدّليل على المدلول عليه.

٢ـ أنّه قد خصّ الأثر الظّاهر أوّلًا بالجلود، وهو الاقشعرار الحاكي عن وجود الخوف والاضطراب في

الباطن، من دون التّصريح به، ثمّ عقّبه باللّين الحاكي عن الاطمئنان والائتلاف، وعمّه للجلود والقلوب جميعًا، ومعنى ذلك أنّ الخوف والاضطراب بالقرآن للّذين يخشون ربّهم بمثابة من الشّدّة والعظمة لايحكيها سوى اقشعرار الجلود، فاكتفى بها. أمّا الأمن والاطمئنان فيُصدران ويُدركان في الجلود والقلوب معًا، ابتداء بالجلود وانتهاء بالقلوب، عكس ماهو الواقع، لأنّهما في الجلود محسوسان، وفي القلوب مُدركان.

٣ـ قال الطّباطبائيّ (١٧: ٢٥٦): (تقشعرّ) صفة (الكِتَابِ) وليس استئنافًا، والاقشعرار تقبّض الجلد تقبّضًا شديدًا، لخشية عارضة عن استماع أمر هائل أو رؤيته ...ولم يذكر «القلوب» عند ذكر الاقشعرار، لأنّ المراد بالقلوب: النّفوس، ولااقشعرار لها وإنّما لها الخشية» وهذا وجه آخر غير ماذكرناه في اختصاص الاقشعرار بالجلود.

٤ـ كأنّ التّعبير عن شدّة الخوف والاضطراب باقشعرار الجلود استعارة بليغة نظير: زيدٌ أسدٌ، من دون أن يقع في الجلود اقشعرار حقيقة. وله نظائر في القرآن، وفي كلام البلغاء، لاحظ «قرآن وقلب».

ثامنًا: جاء في (٥) من جملة عذاب الّذين كفروا ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ* يُصْهَرُ بِهِ مَافِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ فاختلفوا في (وَالْجُلُودُ) هل هي عطف على (مَافِي بُطُونِهِمْ) فيكون المعنى يصهر ويذوب مافي بطونهم من الأحشاء وتذوب به جلودهم، فيتأثّر بها ظاهرهم وباطنهم بالذّوبان، أو هي فاعل لفعل محذوف (يحرق) أي ويحرق جلودهم، لأنّ الجلود لاتذاب بل تُحرَق وتنكمش على النّار؟

وقد أُثير فيها سؤال: لِمَ أُخّرت الجلود عن «مافي البطون» مع أنّ الجلود هي الّتي تُمَسّ وتتأثّر أوّلًا بالنّار، ومنها تنفذ النّار إلى الباطن؟

والجواب عنه بوجوه:

١ـ أنّه لرعاية الفواصل، وكأنّهم أرادوا بها حرف الدّال، لكثرته في الفواصل قبلها وبعدها، مثل: يريد، شهيد، عديد، حميد، وإلّا فليس هناك تناسق بينها من حيث الصّيغة، مع أنّه لايدوم أيضًا، فقبلها، يشاء وبعدها: الحريق، حرير، أليم، السّجود. وهذا الأخير يناسب (الْجُلُودُ) وزنًا وختامًا بالدّال.

٢ـ أنّه للإشعار بغاية شدّة الحرارة بإيهام أنّ أثرها في الباطن يسبق أثرها في الظّاهر مع أنّ ملابستها على العكس.

٣ـ أنّ تأثيرها في الظّاهر غنيّ عن البيان، وإنّما ذُكر للإشارة إلى تساويهما، فقدّم الباطن لأنّه المقصود الأهمّ.

٤ـ ربّما يخطر بالبال أنّها توهّم أنّ النّار تنبع من باطنهم، لأنّه موضع النّيّات، وهي منشأ الشّرور أو الخيرات «إنّما الأعمال بالنّيّات» وهذا مدفوع بأنّ صدر الآية: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ وهذا صريح في أنّ منشأ العذاب في الظّاهر، نعم، هذا لاينفي أن يكون له منشأ من الباطن أيضًا. والّذي يسهّل الخطب أنّ التّمثيل والتّشبيه غالب على أمثال هذه الآية. فالتّفنّن فيها مسموح ومقبول.

تاسعًا: جاءت (جُلُود) في (٦) مرّتين أيضًا: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾.

وفيها بحوثٌ:

١ـ إضافة (جُلُود) جمعًا إليهم باعتبار أنّ لكلّ منهم جلدًا، مثل: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ المائدة: ٦، أو باعتبار أنّ لكلّ منهم ـ وهو حيّ ـ جلوداً حقيقةً، لأنّ جلد كلّ إنسان يتبدّل دائمًا مادام حيًّا، فلعلّ الجلود المتبدّلة في الآخرة هي الّتي تبدّلت في الدّنيا، وقد صدرت منها المعاصي والسّيّآت.

٢ـ في تبديل «الجلود» للعذاب سؤال معروف، وهو أنّ الجلود المبدّلة غير عاصية، فكيف تُعذَّب! ولهم أجوبة أنهاها الفَخْرالرّازيّ إلى خمسة؛ أصدقها اثنان:

أحدهما: أنّ الجلود لاتُعذَّب وإنّما النّفوس هي الّتي تذوق العذاب، والجلود بمنزلة الثّياب لها.

ثانيها: أنّها استعارة عن دوام العذاب وعدم انقطاعه، كما يقال لمن يُراد وصفه بالدّوام: كلّما انتهى فقد ابتدأ...أي كلّما ظنّوا أنّهم نضجوا واحترقوا وانتهوا إلى الهلاك أعطيناهم قوّة جديدة من الحياة، بحيث ظنّوا أنّهم الآن وُجِدوا.

وعندنا أنّ أصل السّؤال ـ كما قال الآلوسيّ ـ لاينبغي أن يصدر عن عاقل فضلًا عن فاضل، لأنّ عصيان الجلد وطاعته وتألّمه وتلذّذه غير معقول، لأنّ الإدراك والشّعور للنّفس، والبدن بجميع أعضائه كالآلة للنّفس الحسّاسة. مع أنّ مااحتملناه من أنّ الجلود المتبدّلة في الجحيم هي المتبدّلة في الدّنيا دافع للسّؤال.

٣ـ تكرار (الجُلُود) فيها تجسيم بليغ للعذاب ودوامه، كتكرارها في (٤).

عاشرًا: جاءت «الجُلُود» في الآيات (٧و٨و٩) ثلاث مرّات في كلّ آية مرّةً، وكلّها راجعة إلى شهادة جلود أهل النّار عليهم يوم الحشر، وفيها بحوثٌ:

١ـ في تكرار «الجُلُود» تجسيم لشدّة العذاب، كما سبق في (٦).

٢ـ أُوّلت الجلود: بالفروج، أو بالفروج والأفخاذ، لأنّها أوّل مايسأل عمّا صدر عنها، وكلا الوجهين مرويّان ـ أو بالأيدي والأرجل، أو بالأعضاء، أو ببصمات الأصابع، ونحوها وكلّها ـ كما اعترف بها الطّبَريّ والطّوسيّ وغيرهما ـ خلاف الظّاهر، فلايُقبل إلّا بحجّة يجب التّسليم لها، كقول المعصوم، وهو موجود، إلّا أنّه قابل للحمل على أنّ ماذكر أوّل مايسأل، فلايمنع شمولها لجلودهم كلّها. ويؤيّده اختصاص الآية (٨) بذكر الجلود فقط، وسنبحث فيه.

٣ـ قيل في وجه التّعبير عن الفروج: بالجلود، أنّه كناية حذرًا من ذكر القبيح، كما يعبّر عن الجماع بالمسّ، أو لأنّ الفروج معصيتها أكبر وأغلب، وهذا معهود من مفسّري السّلف من اقتصارهم في التّأويل من العامّ على فرده الأهمّ، كقصرهم (سَبِيلِ اللهِ) على (الجهاد). وعند ابن أبي الحديد أنّ في هذه القاعدة تنحلّ إشكالات كثيرة في التّأويلات المرويّة.

٤ـ ذكرت في (٧و٩) السّمع والأبصار والجلود فما هو وجه اختصاصها بالذّكر من الحواسّ الخمس؟

والجواب أنّ هذا السّؤال أثاره الفخرالرّازيّ أوّلًا ـ كما صرّح به وتبعه الآخرون ـ وأجاب بأنّ الحواسّ خمس: السّمع والبصر والشّمّ والذّوق واللّمس، وآلة اللّمس الجلد، فالله اكتفى هنا بثلاث وأهمل الشّمّ

والذّوق، لأنّ الذّوق داخل في اللّمس، لأنّه يرجع إلى جِلد الفم، والشّمّ حسّ ضعيف، ليس فيه تكليف حتّى يسأل.

وقد أُورد عليه بأنّ غير السّمع والبصر أعظم في المعصية، لأنّ معصية السّمع تنحصر في سماع الغيبة أو اللّهو ونحوهما، ومعصية البصر في النّظر إلى محرّم، ولاحدّ في شيءٍ منهما، ومعصية غيرهما من الأعضاء أهمّ، فعصية اليد توجب الحدّ، ومعصية الفرج توجب الجَلْد أو الرّجم، فكان ينبغي أن تُخصّا بالذّكر.

ثمّ إنّ مطلق الجسم ليس فيه معصية ولاحدّ؟ وهذا هو الّذي أوجب أن حملها ابن الأثير على الفرج فقط.

وقد قيل في وجه اختصاص السّمع والبصر بالذّكر: أنّه مافي معصية إلّا ولهما دخل فيها.

وهناك سؤال آخر: ماوجه اختصاصها بالذّكر في الآيتين مع ذكر شهادة الأيدي والأرجل أيضًا في: ﴿وَتُكَلِّمُنَا اَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يس: ٦٥، وهي مع الألسن في: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْدِيهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ...﴾ النّور: ٢٤؟

وعندنا أنّ القرآن يتفنّن في ذكر الأشهاد في تلك الآيات، فلُوحظ في بعضها ماله دخل في جميع المعاصي كالسّمع والبصر والجلود ـ لو أُريد بها العموم ـ وفي بعضها ماتصدر عنه المعصية كالأيدي والأرجل والألسنة، مع أنّ شهادة الألسنة تعدّ اعترافًا بجميع المعاصي الّتي صدرت عن الإنسان. وهناك بحث طويلٌ في ذلك بين ابن الأثير وابن أبي الحديد والقاسميّ، فلاحظ.

وسؤال ثالث: ماوجه اختصاص الجلود من بين الأعضاء في سؤال أهل العذاب في (٨) ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾؟

وأُجيب بأنّ الجلود تعمّ جميع الجوارح ـ لو أُريد بها الجميع دون الفرج خاصّة ـ فقامت مقامها، مع أنّ شهادة الجلود أعجب وأغرب من غيرها، لأنّ الأعضاء الّتي تصدر عنها المعصية هي المسؤولة عنها بالذّات، والجلود مسؤولة تبعًا لها، فلِمَ يشهدون عليها؟ ولهذا أجابتهم الجلود: ﴿قَالُوا اَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِى اَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

ولك أن تقول: إنّ «الجلود» تعمّ القريب منها والبعيد فتُعتبر أقرب الأعضاء إلى الإنسان، أو أنّها جميعًا تشهد بأصواتها شهادةً واحدةً، أو كانت أصواتها تعلو أصوات غيرها، أو أنّها بمرءى منهم بخلاف السّمع والبصر، أو لأنّها تلمس العذاب بالقوّة المودعة فيها، كما تشير إليه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ فترفع صوتها بالشّهادة، كما أنّها تباشر المعصية مع جميع الأعضاء والحواسّ، فيُوجّه خطابهم إليها.

٥ ـ هناك بحث في كيفيّة شهادة الأعضاء وكلامها، وفي أنّها شهادة جبريّة كما يشهد به: ﴿اَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي اَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فلاحجّة فيها، وتمام البحث في «ش هـ د» فانتظر.

الحادي عشر: الآيتان (١) و(٢) مدنيّتان مضمونهما تشريع، كما هي الحال في آيات الأحكام غالبًا. وقد خُصّتا بصيغة الفعل والمصدر، والتّسع الباقية

المختصّة بذكر الجلود بأقسامها، أكثرها مكّيّة، واثنتان منها (٥) و(٦) مدنيّة ـ لو كانت سورة الحجّ مدنيّة ـ وليس فيها تشريع بل واحدة منها، وهي (٣) الجلود فيها نعمة تعود إلى الرّكن الأوّل من العقيدة، وهو التّوحيد، وتخصّ الحيوان، والباقي في جلود الإنسان واحدة منها وهي (٤) جاء بشأن القرآن وأثره في جلود المؤمنين، وهي خاصّة بالدّنيا، وترجع إلى الرّكن الثّاني من العقيدة، أي النّبوّة، والخمس الباقية خاصّة بعذاب الجلود وشهادتها في الآخرة، فترجع إلى الرّكن الثّالث من العقيدة وهو المعاد، والتّركيز في العقيدة بالوحي القرآنيّ في مكّة أمسّ، وإن استمرّ في المدنيّات أيضًا، ولهذا جاء في (٥) ـ على خلاف فيها ـ و(٦) أيضًا.



ج ل س

المَجَالِس

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: ناقةٌ جَلْسٌ وجملٌ جَلْسٌ، أي وثيق.

والجَلْس: ماارتفع عن الغَوْر من أرض نَجْدٍ، وتقول:

أغاروا وأجلسوا وغارُوا وجلسوا.

وجلَس يَجْلِس جُلُوسًا، وهو حسن الجِلْسَة.

والجَلْسيّ: ماحول الحدَقة، ويقال: ظاهر العَيْن.

والجُلْسان: دَخيل، وهو بالفارسيّة كُلْشان. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٥٤)

أبوعمروالشّيبانيّ: الجَلْس: الطّويلة. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٣٨)

الفرّاء: الجِلْسة: المَجْلِس، كالمكان والمكانة.

(الصّغانيّ ٣: ٣٣٤)

الأصمَعيّ: الجِلْس: القوم. [ثمّ استشهد بشعر]

(أبوزَيْد: ٢٩)

يقال: أنجَد الرّجل فهو مُنجِد، وجلَس فهو جالس، إذا أتى جَلْسًا، وهي نَجْدٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

(ابن السّكّيت: ٤٨٤)

المَجْلِس: النّاس. [ثمّ استشهد بشعر]

(القاليّ ١: ٩٥)

اللِّحيانيّ: هو الجِلْس والجِلْسة. يقال: ارزُنْ في مَجْلِسك ومَجْلِسَتِك.

كلّ عظيم من الإبل والرّجال: جَلْس.

(ابن سيده ٧: ٢٧١، ٢٧٢)

ابن الأعرابيّ: الجَلْس: بقيّة العسل في الوعاء.

(الثّعالبيّ: ٢٣٨)

الجِلْس بكسر الجيم: القَدَم.

والجَلْس: البقيّة من العسل تبقى في الإناء. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٥٨٤)

ابن السّكّيت: جلَس القوم، إذا أتوا نجْدًا، وهو الجلْس. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهريّ ١٠: ٥٨٣)

ثَعْلَب: الجِلْسة، أي الجلوس. (٥٤)

ابن دُرَيْد: جلَس يجْلِس جلوسًا وأجلسه غيره، فهو مُجلَس.

قال أبوحاتم: قالت أمّ الهيثم: جلست الرّخَمة، إذا جثمت.

ويقال: جلس جِلْسة حسنةً.

ويقال: هؤلاء جُلّاس الملِك وجلساؤه.

والجِلاس: مصدر جالسته مجالسة وجلاسًا، وذكر أعرابيّ رجلًا فقال: كريم النّحاس طيّب الجِلاس؛ والنّحاس: الأصل.

والجَلْس: الغلظ من الأرض، ومن ذلك قولهم: ناقة جَلْس، لصلابتها وغلظها. [ثمّ استشهد بشعر]

ويسمّى نجد: الجَلْس، لغلظه وارتفاعه. ويقال للمُنجِد: جالس. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد سمّت العرب جَلّاسًا وجُلاسًا. (٢: ٩٤)

القاليّ: الجَلْس: نجْدٌ، وجلسنا: أتينا الجَلْس. (٢: ٣٣٠)

الأزهَريّ: جَلْس أصله: جَلْز، فقُلبت الزّاي سينًا، كأنّه جُلِز جَلْزًا، أي فُتِل حتّى اكتنز واشتدّ أسْره.

وقالت طائفة: يسمّى جَلْسًا لطوله وارتفاعه.

والجَلْس: ماارتفع عن الغَوْر في بلاد نجْدٍ.

وجبل جَلْسٌ، إذا كان طويلًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: فلان جليسي، وأنا جليسه، وهو حسن الجِلْسة. (١٠: ٥٨٣)

الصّاحب: ناقة جَلْسٌ وجمل جَلْسٌ، أي ضخمٌ.

والجَلْس: العسَل البيضاء، والغدير، والوَقْب.

والجَلْس: ماارتفع من الغَوْر من أرض نجْدٍ، يقال: غاروا وجلسوا، وهو الجبَل، والسّهم الطّويل.

وجلس الرّجل يجْلِس جلوسًا، وهو حسن الجِلْسة.

والجَلْسة: المرّة الواحدة.

والمَجلِس: هم القوم الجُلوس.

والجِلْسيّ: ماحول الحدَقة، وهو ظاهر العيْن. (٧: ١٣)

الخطّابيّ: [في حديث أبي عوانة] عن جابر: «أنّه صنع لرسول الله طعامًا فدعاه ودعا حَواريّه، فأكلوا حتّى شبِعوا، وإنّ مجْلِس بني عوف ينظرون إليه» يريد جماعتهم، ويقال: حضر القاضي مجْلِس بني فلان، أي جماعتهم. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٣٧)

الجَوْهَريّ: جلَس جلُوسًا، وأجلَسه غيره، وقوم جلُوس.

والمَجلِس: موضع الجُلوس، والمَجْلَس بفتح اللّام: المصدر.

ورجل جُلَسَة، مثال هُمَزَة، أي كثير الجُلُوس.

والجِلْسة بالكسر: الحال الّتي يكون عليها الجالس.

وجالسْتُه فهو جِلْسي وجليسي، كما تقول: خِدْني وخديني.

وتجالسوا في المجالس.

والجَلْس: الغليظ من الأرض، ومنه جمَل جَلْسٌ وناقةٌ جَلْسٌ، أي وثيق جسيم. وشجرة جَلْسٌ وشَهْدٌ جَلْسٌ، أي غليظ.

ويقال: امرأة جَلْسٌ، للّتي تَجْلِس في الفِناء ولاتبرح. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلْس: أيضًا نَجْدٌ، يقال: جلَس الرّجل، إذا أتى نجدًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٩١٤)

ابن فارِس: الجيم واللّام والسّين كلمة واحدة وأصل واحد، وهو الارتفاع في الشّيء، يقال: جلَس الرّجل جُلوسًا؛ وذلك يكون عن نوم واضطجاع. وإذا كان قائمًا، كانت الحال الّتي تخالفها القُعود، يقال: قام وقعد، وأخذه المقيم والمُقْعِد.

والجِلْسة: الحال الّتي يكون عليها الجالس، يقال جلس جِلْسةً حسنة؛ والجَلْسة: المرّة الواحدة.

ويقال: جلَس الرّجل، إذا أتى نَجْدًا؛ وهو قياس الباب، لأنّ نَجْدًا خلاف الغور، وفيه ارتفاع.

ويقال لنَجْدٍ: الجَلْس، ومنه الحديث: «أنّه أعطاهم معادن القَبَليّة غَوْريّها وجَلْسيّها». [ثمّ استشهد بشعر]

قال أبوحاتم: قالت أُمّ الهيثم: جلَستِ الرَّخَمة، إذا جَثَمَتْ.

والجَلْس: الغلَظ من الأرض، ومن ذلك قولهم: ناقةٌ جَلْس، أي صُلبة شديدة. فهذا الباب مطّرد كما تراه، فأمّا قول الأعشى:

لنا جُلَّسان عندها وبَنَفْسَجٌ

وسِيسَنْبَرٌ والمَرْزَجُوش مُنَمْنَما

فيقال: إنّه فارسيّ، وهو جُلْشان، نِثار الوَرْد. (١: ٤٧٣)

أبوهِلال: الفرق بين النّدي والمَجْلِس والمقامة: أنّ النّدي هو المَجلِس للأهل، ومن ثمّ قيل: هو أنطقهم في النّدي.

ولايقال في المجلس إذا خلا من أهله: نديٌّ. وقد تنادي القوم، إذا تجالسوا في النّدي.

والمُقامة بالضّمّ: المَجلِس يؤكل فيه ويُشرب، والمَقامة بالفتح: المَجلِس الّذي يُتحدّث فيه، والمَقامة بالفتح أيضًا: الجماعة.

وأمّا المُقام: فالإقامة، والمَقام بالفتح: مصدر قام يقوم مَقامًا، والمقام أيضًا: موضع القيام. (٢٥٢)

الفرق بين المَجلِس والمَحفِل: أنّ المَحْفِل هو المجلس المتلئ من النّاس، من قولهم: ضرع حافل، إذا كان ممتلئًا. (٢٥٣)

الهَرَويّ: في الحديث: «أنّه أعطى بلال بن الحارث معادِن القَبَليّة غَوْريّها وجَلْسِيّها» أي نَجْديّها. ويقال لنَجْدٍ جَلْس وكلّ مرتفع: جَلْسٌ، وجبَل جَلْسٌ، أي مُشرف مرتفع. وجلَس يَجْلِس جَلْسًا فهو جالس، إذا أتى نَجْدًا.

وفي الحديث: «وإنّ مَجلِس بني عَوْف ينظرون إليه» أي أهل المجلس. [ثمّ استشهد بشعر]

وهذا كقولك للجماعة: المَقامة، أي أهل المَقامة. (١: ٣٨١)

الثّعالبيّ: المَجلِس: مكان استقرار النّاس في البيوت. (٢٩٢)

ابن سيده: الجلوس: القعود؛ جلَس يَجْلِس جُلُوسًا، فهو جالس، من قوم جُلوس، وجُلّاس؛ وأجلسه.

والجِلْسَة: الهيئة الّتي تَجْلِس عليها، بالكسر على

مايطّرد عليه هذا النّحو.

والمَجْلِس: موضع الجلوس، وهو من الظّروف غير المتعدّى إليها الفعل بغير «في». قال سيبويه: لاتقول: هو مَجْلِس زيد. وقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ) المجادلة: ١١، قيل: يعني به مَجلِس النّبيّ ﷺ. وقرئ: (فِي المجالس). وقيل: يعني بـ(المجالس) مجالس الحرْب، كما قال تعالى: ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ آل عمران: ١٢١.

والمَجْلِس: جماعة الجُلوس. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد جالسه مجالسة، وجِلاسًا. وذكر بعض الأعراب رجلًا، فقال: كريم النّحاس طيّب الجِلاس.

والجِلْس، والجَليس، والجِلّيس: المجالس، وهم: الجُلَساء، والجُلّاس.

وقيل: الجِلْس: يقع على الواحد والجميع والمؤنّث والمذكّر.

وحكى اللّحيانيّ: أنّ المَجلِس والجِلْس ليشهدون بكذا وكذا، يريد: أهل المَجلِس. وهذا ليس بشيء إنّما هو على ماحكاه ثَعْلَب من أنّ المَجْلِس: الجماعة من الجلوس. وهذا أشبه بالكلام، لقوله: الجِلْس الّذي هو لامحالة اسم لجمع فاعل في قياس قول سيبويه، أو جمع له في قياس قول الأخفش.

وجلّس الشّيء: أقام، قال أبوحنيفة: الوَرْس يُزرع سنة فيُجلِس عشر سنين، أي يقيم في الأرض ولايتعطّل. ولم يفسّر يتعطّل.

والجُلّسان: نِثار الوَرْد في المجلس. والجُلّسان: الورد الأبيض. والجُلّسان: ضرب من الرّيحان، وبه فسّر قول الأعشى:

لنا جُلّسان عندها وبَنَفْسَج*

وجلسَت الرَّخَمَة: جثَمَت.

والجَلْس: الجبَل، والجَلْس: الصّخرة العظيمة الشّديدة، والجَلْس: ماارتفع عن الغَوْر، والجَلْس: نجد؛ سمّيت بذلك.

وجلس القوم يجلسون جَلْسًا: أتوا الجَلْس. [ثمّ استشهد بشعر]

وناقة جَلْس: شديد مُشرفة، شبّهت بالصّخرة؛ والجمع: أجلاس. [ثمّ استشهد بشعر]

والكبر: جُلّاس.

وجمَل جَلْس: كذلك، والجميع: جِلاس.

وقِدْح جَلْس: طويل خلاف نِكْس. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلْسيّ: ماحول الحدَقة، وقيل: ظاهر العين. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلْس: العسَل، وقيل: هو الشّديد منه. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد سمّت: جلّاسًا وجَلاسًا، قال سيبويه عن الخليل: هو مشتقّ. (٧: ٢٧٠)

الجَلْس والجَليس: المتين الصُّلب من العسل.

(الإفصاح ١: ٤٦٤)

ناقة جَلْس وجمل جَلْس: معصوب الخَلْق واللّحم، المرتفع الطّويل من كلّ شيء، الجمع: أجلاس وجِلاس. وأصل الجَلْس: الغليظ من الأرض. (الإفصاح ٢: ٧٣٠)

الرّاغِب: أصل الجَلْس: الغليظ من الأرض، وسمّي

النّجد جَلْسًا لذلك. ورُوي أنّه ﷺ أعطاهم المعادن القبليّة غَوْريّها وجَلْسيّها.

وجلَس أصله: أن يقصد بمقعده جَلْسًا من الأرض، ثمّ جُعل الجُلوس لكلّ قُعُود، والمَجلِس لكلّ موضع يقعد فيه الإنسان. قال الله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ المجادلة: ١١. (٩٦)

البَطْليوسيّ: والجُلوس: ضدّ القيام، والجِلْسَة: هيئة الجُلوس بالكسر، والجَلْسَة بالفتح: المرّة الواحدة منه، والجَلِيس والجَلِيس والمُجالس سواء.

وجَلْس: اسم لنَجْد، يقال: جلَس الرّجل، إذا أتى نَجْدًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ويوم الجُلّسان: يوم كان يُنثَر فيه الورد في المَجلِس. (٥٧٩)

الزّمَخْشَريّ: هو حسن الجِلْسَة، وهذا جَلِيسه وجِلْسه ومُجالِسه، ولاتُجالِس من لاتُجانِس، وتجالسوا فتآنسوا، ورأيتهم مَجلِسًا، أي جالسين. [ثمّ استشهد بشعر]

ورآني قائمًا فاستجلسني. وجلَس القوم: أنجدوا، ورأيتهم يَغدون جالسين، أي مُنجدين.

وناقة جَلْسٌ: مُشرِفة. وكأنّه كسرى مع جُلسائه في جُلّسانه، وهو قبّة كانت له يُنثَر عليه من كُوًى، في أعلاها الوَرْد. تعريب كلّشان. [ثمّ استشهد بشعر]

وجلَست الرَّخَمة: جثَمت. وفلان جليس نفسه، إذا كان من أهل العُزْلة. (أساس البلاغة: ٦٢)

المَدينيّ: في الحديث: «لاتَجلِسوا على القُبور» قيل: أراد الجلوس للحديث. ويحتمل إجلال القبر من أن يوطأ، وهو الأظهر عندي، لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ الميّت يتأذّى، بما يتأذّى منه الحيّ»، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «كَسْر عَظْم الميّت ككسره حيًّا». وقد ورد من الآثار مايدلّ على هذا المعنى. (١: ٣٣٩)

ابن الأثير: وفي حديث النّساء: «بِزَوْلَةٍ وجَلْسٍ»، يقال: امرأة جَلْسٌ، إذا كانت تَجلِس في الفِناء ولاتتبرّج. (١: ٢٨٦)

الصّغانيّ: [نقل بعض الأقوال الماضية ثمّ قال:] وقد سمّوا جُلاسًا بالضّمّ وتخفيف اللّام وجَلّاسًا بالفتح والتّشديد. [ثمّ استشهد بشعر]

الجَلْس: الغدير، والوقت.

والجِلْسيّ: ماحول الحدَقة، وهو ظاهر العين.

والجَلْس: السّهم الطّويل. (٣: ٣٣٤)

الفَيُّوميّ: جلَس جُلُوسًا، والجَلْسَة بالفتح: للمرّة، وبالكسر: النّوع والحالة الّتي يكون عليها، كجِلْسَة الاستراحة والتّشهّد، وجِلْسَة الفصل بين السّجدتين، لأنّها نوع من أنواع الجُلُوس. والنّوع هو الّذي يُفهَم منه معنًى زائدٌ على لفظ الفعل، كما يقال: إنّه لحسَن الجِلْسَة.

والجُلُوس: غير القُعُود، فإنّ الجُلُوس هو الانتقال من سُفْل إلى عُلْو، والقُعُود هو الانتقال من عُلْو إلى سُفْل؛ فعلى الأوّل يقال لمن هو نائم أو ساجد: اجلِس، وعلى الثّاني يقال لمن هو قائم: اقعُد.

وقد يكون «جلَس» بمعنى «قعَد» يقال: جلَس مُتَرَبِّعًا وقعَد مُتَرَبِّعًا. وقد يفارقه، ومنه: جلَس بين شُعَبها، أي حصَل وتمكّن؛ إذ لايسمّى هذا قُعودًا، فإنّ

الرّجل حينئذ يكون معتمدًا على أعضائه الأربع. ويقال: جلَس مُتّكئًا، ولايقال: قعَد مُتّكئًا، بمعنى الاعتماد على أحد الجانبين.

وقال الفارابيّ وجماعة: الجُلوس نقيض القيام، فهو أعمّ من القُعود. وقد يستعملان بمعنى الكون والحصول، فيكونان بمعنى واحد، ومنه يقال: جلَس مُتَرَبِّعًا وجلَس بين شُعَبِها، أي حصَل وتمكّن.

والجليس: من يجالسك «فعيل» بمعنى «فاعل».

والمَجلِس: موضع الجُلوس، والجمع: المجالس. وقد يطلق «المَجلِس» على أهله مجازًا، تسمية للحالّ باسم المحلّ، يقال: اتّفق المَجلِس. (١: ١٠٥)

الفيروزاباديّ: جلَس يَجلِس جُلوسًا ومَجلَسًا كمقعد، وأجلسته. والمَجلِس: موضعه كالمَجلِسة.

والجِلسة بالكسر: الحالة الّتي يكون عليها الجالس.

وكتُؤَدَة: الكثير الجلوس.

وجِلسُك وجَليسك وجِلّيسك: مجالسك، وجُلّاسك: جُلساؤك.

والجَلْس بالفتح: الغليظ من الأرض، ومن العسل، ومن الشّجر، والنّاقة الوثيقة الجسم، وبقيّة العسل في الإناء، والمرأة تَجلِس في الفِناء لاتبرَح، أو الشّريفة، وبلاد نَجْد، وأهل المَجلِس، والغدير، والوقت، والسّهم الطّويل، والخَمْر، والجبل العالي.

وبالكسر: الرّجل الفَدْم.

والجِلسيّ بالكسر: ماحول الحدَقة.

والجُلّسان بتشديد اللّام المفتوحة: معرّب جُلْشَن. (٢: ٢١٢)

السُّيوطيّ: [قاعدة في الألفاظ يُظنّ بها التّرادف وليست منه]

ومن ذلك القعود والجلوس، فالأوّل لما فيه لبث بخلاف الثّاني، ولهذا يقال: قواعد البيت ولايقال: جوالسه، للزومها ولبثها، ويقال: جليس المَلِك ولايقال: قعيده، لأنّ مجالس الملوك يُستحبّ فيها التّخفيف، ولهذا استعمل الأوّل في قوله: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ القمر: ٥٥، للإشارة إلى أنّه لازوال له، بخلاف ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ المجادلة: ١١، لأنّه يُجلس فيه زمانًا يسيرًا. (الإتقان ٢: ٣٦٦)

الطُّرَيحيّ: [نحو الفيّوميّ وأضاف:]

ومنه الحديث القدسيّ: «أنا جليس من ذكرني».

والمُجالسة: الأُلفة والمخالطة والمصاحبة، وفي حديث عيسى عليه السلام: «ياروح الله لمن نُجالس؟ فقال: من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله» الحديث.

قال بعض الأفاضل من المعاصرين: فيه إشعار بأنّ من لم يكن على هذه الصّفات لاينبغي مجالسته ولامخالطته، فكيف من كان موصوفًا بأضدادها كأكثر أبناء زماننا! فطوبى لمن وفّقه الله تعالى لمباعدتهم والاعتزال عنهم، والأُنس بالله وحده والوحشة منهم، فإنّ مخالطتهم تميت القلب وتفسد الدّين، ويحصل بسببها للنّفس ملكات مهلكة مؤدّية إلى الخسران المبين. وقد ورد في الحديث: «فرّ من النّاس فرارك من الأسد» انتهى. (٤: ٥٨)

مَجْمَعُ اللُّغة: جلَس يَجلِس جُلوسًا: قعد، وبعض

اللّغويّين يرى أنّ الجلوس لمن كان مضطجعًا والقعود لمن كان قائمًا، والأرجح أنّهما مترادفان.

والمَجلِس بكسر اللّام: موضع الجلوس، وجمعه: مجالس. (١: ٢٠٣)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ١٠٩)

العَدْنانيّ: قوّم العصا لاجَلّسها.

يقول محيط المحيط: جلّس العصا. والفعل جلّس هنا عامّيّ. والصّواب: قوّم العصا، أي جعلها تستقيم وتعتدل. ولم أعثر على الفعل «جلّس» في أيّ معجم آخر.

ومعجم أقرب الموارد، الّذي كان في معظم الأحيان ينقل عن «محيط المحيط»، فيخطئ مثله عندما يخطئ، ويصيب مثله عندما يصيب، أحجم عن نقل الفعل «جلّس» عنه، ولاأدري من أين جاءنا به صاحب «محيط المحيط». (١٢٤)

محمود شيت: جلّس: قعد، والطّائرة: جثمت.

الجَلْسَة: مرّة الجلوس. جلسة المحكمة: حصّة من الوقت يجلس فيها أعضاؤها للنّظر في المحاكمة، جمعها: جَلْسات.

المَجْلِس: مكان الجلوس،رئيس المحكمة العسكريّة وأعضاؤها يقال: المجلس العُرْفيّ، جمعه: مجالس. (١: ١٤٦)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ الحقيقة في هذه المادّة، هي التّجمّع على مكان على هيئة مخصوصة، بين القيام والاضطجاع، وهذا المعنى يتحقّق في الخارج بالاختيار أو بالطّبيعة، كالأرض الصُّلبة المنحطّة، والجمل الجسيم المتجمّع، والقطعة من أرض تجمّعت وارتفعت على هيئة مخصوصة كالجالس، وهذا مفهوم عرفيّ يُطلق على مصاديق مختلفة باعتبارات، كما في كلمة «نشست» الفارسيّة.

وأمّا قيد أن يكون عن نوم واضطجاع: فليس بمعتبر، فمفهومها أعمّ من أن يكون عن قيام أو عن اضطجاع، كما روي في «المصباح المنير» عن الفارابيّ وغيره: إنّ الجلوس نقيض القيام، فهو أعمّ من القعود. (٢: ١٠٥)

النُّصوص التّفسيريّة

المَجالِس

﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَاِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا...﴾ المجادلة: ١١

النّبيّ ﷺ: ينبغي للجُلساء في الصّيف أن يكون بين كلّ اثنين، مقدار عظم الذّراع، لئلّا يشقّ بعضهم على بعض في الحرّ. (البحرانيّ ٩: ٤٣٠)

ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في شأن ثابت بن قيس بن شمّاس، وقصّته في سورة الحجرات.

ويقال: نزلت في نفر من أهل بَدْر، منهم ثابت بن قيس بن شمّاس، جاء إلى النّبيّ ﷺ، وكان النّبيّ جالسًا في صُفّة صفيّة يوم الجمعة فلم يجدوا مكانًا يجلسون فيه، فقاموا على رأس المَجلِس، فقال النّبيّ ﷺ لمن لم يكن من أهل بَدْر: «يافلان قم ويافلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من أهل بَدْر» وكان النّبيّ ﷺ يكرم

أهل بَدْر فعرف النّبيّ ﷺ الكراهية لمن أقامه من المَجلِس، فأنزل الله فيهم هذه الآية. (٤٦١)

ذلك في مَجلِس القتال. (الطّبَريّ ٢٨: ١٧)

مُجاهِد: مَجلِس النّبيّ ﷺ، كان يقال: ذاك خاصّة.

(الطّبَريّ ٢٨: ١٧)

الضّحّاك: كان هذا للنّبيّ ﷺ ومن حوله خاصّة، يقول: استوسعوا حتّى يصيب كلّ رجل منكم مَجلِسًا من النّبيّ ﷺ، وهي أيضًا مقاعد للقتال. (الطّبَريّ ٢٨: ١٧)

الحَسَن: إنّ ذلك في الحرب والقتال.

(الماوَرْديّ ٥: ٤٩٢)

قَتادة: كانوا إذا رأوا مَن جاءهم مقبلًا ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض.

نحوه ابن زَيْد. (الطّبَريّ ٢٨: ١٧)

كان النّاس يتنافسون في مَجلِس النّبيّ ﷺ فقيل لهم: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾.

(الطّبَريّ ٢٨: ١٧)

أنّها في مجالس الذّكر كلّها. (الماوَرْديّ ٥: ٤٩٢)

الإمام الصّادق عليه السلام: كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزلًا قعد في أدنى المَجلِس إليه حين يدخل.

[وفي رواية] كان رسول الله ﷺ أكثر ما يجلس تجاه القبلة.

[وفي رواية أُخرى] من رضي بدون التّشرّف من المَجلِس لم يزل الله عزّوجلّ وملائكته يُصلّون عليه حتّى يقوم. (البَحرانيّ ٩: ٤٢٩)

مُقاتِل: إنّه في مجالس صلاة الجمعة.

(الماوَرْديّ ٥: ٤٩٢)

الطّبَريّ: [نقل الأقوال ثمّ قال:]

والصّواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسّحوا في المَجلِس، ولم يخصّص بذلك مَجلِس النّبيّ ﷺ دون مَجلِس القتال، وكلا الموضعين يقال له: مَجلِس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ) على التّوحيد، غير الحسن البصريّ وعاصم، فإنّهما قرآ ذلك (فِي الْمَجَالِسِ) على الجماع، وبالتّوحيد قراءة ذلك عندنا، لإجماع الحجّة من القرّاء عليه. (٢٨: ١٧)

الزّجّاج: وجاء في التّفسير أنّ (الْمَجْلِس) هاهنا يعني به مجلس النّبيّ ﷺ. وقيل: (فِي المجالس) مجالس الحرب، مثل قوله تعالى: ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾.

فأمّا ما أُمروا به في مجلس النّبيّ ﷺ، فقيل: إنّ الآية نزلت بسبب عبد الله بن شمّاس وكان من أهل الصّفّة، وكان من يجلس في مجلس النّبيّ ﷺ من ذوي الغنى والشّرف، كأنّهم لا يوسّعون لمن هو دونهم، فأمر الله المؤمنين بالتّواضع، وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد النّبيّ ﷺ ليتساوى النّاس بالأخذ بالحظّ منه. (٥: ١٣٩)

أبوزُرْعَة: قرأ عاصم (فِي الْمَجَالِسِ) بالألف، جعله عامًّا، أي إذا قيل لكم: توسّعوا في المجالس، أي مجالس العلماء والعلم فتفسّحوا.

وقرأ الباقون: (فِي الْمَجْلِسِ) على التّوحيد، أي في مجلس رسول الله ﷺ خاصّة. (٧٠٤)

نحوه شُبّر. (٦: ١٧٦)

الطُّوسيّ: قرأ عاصم وحده (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ) على الجمع لاختلافها، الباقون في (الْمَجْلِسِ) على التّوحيد، لأنّهم ذهبوا مذهب الجنس، لأنّه مصدر يدلّ على القليل والكثير، لأنّهم أرادوا مجلس النّبيّ ﷺ، فعلى هذا الوجه: الإفراد. ومن جمع أراد كلّ جالس مجلسًا، أي موضع جلوس. (٩: ٥٥٠)

نحوه الواحديّ. (٤: ٢٦٥)

الزّمخشريّ: [نحو الزّجّاج وأضاف:]

وقرئ (فِي الْمَجْلَسِ) بفتح اللّام وهو الجلوس، أي توسّعوا في جلوسكم ولاتتضايقوا فيه. (٤: ٧٥)

ابن عَطيّة: وقال بعض النّاس: إنّما الآية مخصوصة في مجلس النّبيّ ﷺ في سائر المجالس، ويدلّ على ذلك قراءة من قرأ (فِي الْمَجْلِسِ)، ومن قرأ (فِي الْمَجَالِسِ) فذلك مراده أيضًا، لأنّ لكلّ أحد مجلسًا في بيت النّبيّ ﷺ وموضعه، فتُجمَع لذلك.

وقال جمهور أهل العلم: السّبب مجلس النّبيّ ﷺ، والحكم في سائر المجالس الّتي هي للطّاعات، ومنه قول النّبيّ ﷺ: «أحبّكم إلى الله ألينكم مناكب في الصّلاة وركبًا في المجالس»، وهذا قول مالك رحمه الله، وقال: ماأرى الحكم إلّا يطّرد في مجالس العلم ونحوها غابر الدّهر، ويؤيّد هذا القول قراءة من قرأ: (فِي الْمَجَالِسِ).

ومن قرأ: (فِي الْمَجْلِسِ) فذلك على هذا التّأويل اسم جنس، فالسّنّة المندوب إليها هي التّفسّح. والقيام منهيّ عنه في حديث النّبيّ ﷺ حيث نهى أن يقوم الرّجل فيجلس الآخر مكانه.

فأمّا القيام إجلالًا فجائز بالحديث قوله ﷺ حين أقبل سعد بن معاذ: «قوموا إلى سيّدكم»، وواجب على المعظّم ألّا يحبّ ذلك ويأخذ النّاس به، لقوله ﷺ: «من أحبّ أن يتمثّل له الرّجال قيامًا فليتبوّأ مقعده من النّار». (٥: ٢٧٨)

نحوه أبو السّعود (٦: ٢١٨)، وشُبّر (٦: ١٧٦).

الطَّبْرِسيّ: [ذكر بعض الأقوال وأضاف:]

وقيل: المراد به: مجالس الذّكر كلّها. (٥: ٢٥٢)

الفَخْرالرّازيّ: ذكروا في الآية أقوالًا، الأوّل: أنّ المراد مجلس رسول الله ﷺ، كانوا يتضامّون فيه تنافسًا على القرب منه، وحرصًا على استماع كلامه، وعلى هذا القول ذكروا في سبب النّزول وجوهًا. [ثمّ ذكر الوجوه إلى أن قال:]

القول الثّاني: وهو اختيار الحسن: أنّ المراد تفسّحوا في مجالس القتال، وهو كقوله: (مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) وكان الرّجل يأتي الصّفّ فيقول: تفسّحوا، فيأبون لحرصهم على الشّهادة.

والقول الثّالث: أنّ المراد به جميع المجالس والمجامع. قال القاضي: والأقرب أنّ المراد منه مجلس الرّسول ﷺ، لأنّه تعالى ذكر المجلس على وجه يقتضي كونه معهودًا، والمعهود في زمان نزول الآية ليس إلّا مجلس الرّسول ﷺ الّذي يعظم التّنافس عليه، ومعلوم أنّ للقرب منه مزيّة عظيمة لما فيه من سماع حديثه، ولما فيه من المنزلة، ولذلك قال ﷺ: «ليليني منكم أولوا الأحلام والنُّهى» ولذلك كان يقدّم الأفاضل من أصحابه، وكانوا لكثرتهم يتضايقون، فأُمروا بالتّفسّح

إذا أمكن، لأنّ ذلك أدخل في التّحبّب، وفي الاشتراك في سماع مالابدّ منه في الدّين، وإذا صحّ ذلك في مجلسه، فحال الجهاد ينبغي أن يكون مثله، بل ربّما كان أولى، لأنّ الشّديد البأس قد يكون متأخّرًا عن الصّفّ الأوّل، والحاجة إلى تقدّمه ماسّة، فلابدّ من التّفسّح. ثمّ يقاس على هذا سائر مجالس العلم والذّكر. (٢٩: ٢٦٨)

نحوه البُرُوسَويّ (٩: ٤٠٣)، والآلوسيّ (٢٨: ٢٧).

القُرطُبيّ: قرأ السُّلَمي وزِرّ بن حُبَيْش وعاصم (فِي الْمَجَالِسِ)، وقرأ قَتادَة وداود ابن أبي هند والحسن باختلاف عنه (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَاسَحُوا)، الباقون (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ)، فمن جمع فلأنّ قوله: (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ) يُنبئ أنّ لكلّ واحد مجلسًا، وكذلك إن أُريد به الحرب. وكذلك يجوز أن يراد: مسجد النّبيّ ﷺ وجمع، لأنّ لكلّ جالس مجلسًا. وكذلك يجوز إن أُريد بالمجلس المفرد: مجلس النّبيّ ﷺ. ويجوز أن يراد به الجمع على مذهب الجنس، كقولهم: كثر الدّينار والدّرهم.

قلت: الصّحيح في الآية أنّها عامّة في كلّ مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة؛ فإنّ كلّ واحد أحقّ بمكانه الّذي سبق إليه. قال ﷺ: «من سبق إلى مالم يُسبق إليه فهو أحقّ به»، ولكن يُوسّع لأخيه مالم يتأذّ بذلك، فيخرجه الضّيق عن موضعه. [ثمّ ذكر بعض الرّوايات والأحكام الفقهيّة] (١٧: ٢٩٧)

نحوه النّسَفيّ. (٤: ٢٣٤)

أبوحَيّان: [بعد نقل الأقوال قال:]

وقرئ (فِي الْمَجْلَس) بفتح اللّام، وهو الجلوس، أي توسّعوا في جلوسكم، ولاتتضايقوا فيه. والظّاهر أنّ الحكم مطّرد في المجالس الّتي للطّاعات وإن كان السّبب مجلس الرّسول.

وقيل: الآية مخصوصة بمجلس الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وكذا مجالس العلم، ويؤيّده قراءة من قرأ (فِي الْمَجَالِسِ) ويتأوّل الجمع على أنّ لكلّ أحدٍ مجلسًا في بيت الرّسول ﷺ. (٨: ٢٣٦)

الشِّربينيّ: (فِي الْمَجْلِسِ) أي الجلوس أو مكانه، لأجل من يأتي فلايجد مجلسًا يجلس فيه. [ثمّ ذكر الأقوال] (٤: ٢٢٩)

الطَّباطَبائيّ: والآية تتضمّن أدبًا من آداب المعاشرة، ويستفاد من سياقها أنّهم كانوا يحضرون مجلس النّبيّ ﷺ فيجلسون ركامًا لايدع لغيرهم من الواردين مكانًا يجلس فيه فأُدّبوا بقوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ إلخ، والحكم عامّ، وإن كان مورد النّزول مجلس النّبيّ ﷺ.

والمعنى: ياأيّها الّذين آمنوا إذا قيل لكم: توسّعوا في المجالس ليسع المكان معكم غيركم، فتوسّعوا وسّع الله لكم في الجنّة. (١٩: ١٨٨)

نحوه فضل الله. (٢٢: ٧٣)

مكارم الشّيرازيّ: أُشير تكرارًا إلى الآداب الإسلاميّة مقرونة مع المسائل الأساسيّة، ومنها مايتعلّق بالمجالس: حيث آداب التّحيّة، والدّخول إلى المجلس، وآداب الدّعوة إلى الطّعام، وآداب التّكلّم مع الرّسول ﷺ، وآداب التّفسّح للأشخاص القادمين، خصوصًا ذوي الفضيلة والسّابقين في العلم والإيمان.

وهذا يرينا بوضوح أنّ القرآن الكريم قد اعتبر لكلّ موضوع ـ في مكانه ـ أهمّيّة وقيمة خاصّة، ولا يسمح لمن لا يبالي أن يخلّ بالآداب الإنسانيّة للمعاشرة.

وقد نُقلت في كتب الحديث مئات الرّوايات عن الرّسول ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام حول آداب المعاشرة مع الآخرين. جمعها المحدّث الكبير الشّيخ الحرّ العامليّ في كتابه «وسائل الشّيعة ج ٨» حيث رتّبها في (١٦٦) بابًا.

وملاحظة الجزئيّات الموجودة في هذه الرّوايات ترشدنا إلى مبلغ اهتمام الإسلام بالآداب الاجتماعيّة؛ حيث تتناول هذه الرّوايات حتّى طريقة الجلوس، وطريقة التّكلّم والابتسامة والمزاح والإطعام، وطريقة كتابة الرّسائل، بل حتّى طريقة النّظر إلى الآخرين، وقد حُدّدت التّعليمات المناسبة لكلّ منها، والحديث المفصّل عن هذه الرّوايات يخرجنا عن البحث التّفسيريّ، إلّا أنّنا نكتفي بحديث واحد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ حيث يقول: «ليجتمع في قلبك الافتقار إلى النّاس، والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن سيرتك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك». (١٨: ١٢٥)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُلوس، أي القُعود، يقال: جلَس يجلِس جُلوسًا، فهو جالس وهم جُلوس وجُلّاس، وأجلستُه أنا.

والجِلْسَة: الهيئة الّتي يجلِس عليها الجالس، يقال: هو حسَن الجِلْسَة.

والمَجلِس والمَجلِسة: موضع الجلوس، يقال: ارزُنْ في مجلِسك ومجلِستك.

والمَجلِس أيضًا: جماعة الجلوس.

والجِلْس والجَليس والجِلّيس: المُجالس، يقال: هو جِلْسي وجليسي، وأنا جليسه، وفلانة جليستي، وهم جُلسائي وجُلّاسي، وقد جالستُه مُجالسةً وجِلاسًا، وتجالسوا في المجالس.

وجلَست الرَّخَمة: جَثَمت.

وجلَس الشّيء: أقامَ، قال أبوحنيفة الدّينوريّ: الوَرْس يُزرَع سنة فيَجلِس عشر سنين، أي يقيم في الأرض ولا يتعطّل.

ورجل جُلَسَةٌ: كثير الجلوس.

وامرأة جَلْسٌ: تَجلِسُ في الفِناء ولا تبرح.

والجَلْس: الجبل؛ يقال: جبَل جَلْسٌ، أي طويل، وهو أيضًا الصّخرة العظيمة الشّديدة، وكلّ مرتفع من الأرض، كأنّه جالس على الأرض، جاثم عليها.

والجَلْس: اسم آخر لنَجْد، سمّيت بذلك لأنّ أرضها مرتفعة؛ يقال: جلَس القوم يجلِسون جَلْسًا، أي أتوا نجدًا، وجلَس السّحاب: أتى نجدًا.

٢ـ وقيل: شجرة جَلْسٌ، أي غليظة، وناقة جَلْسٌ وجمل جَلْسٌ: وثيقٌ جسيم، وكلّ ذلك من «ج ل ز»، وكأنّه جُلِز جَلْزًا، أي فُتِل حتّى اكتنز واشتدّ أسْره، يقال منه: جمَل جَلَنْزَى، أي غليظ شديد.

٣ـ والجُلَّسان: الورد الأبيض، أو ضرب من الرّيحان، أو نِثار الورد في المجلس، وهو فارسيّ معرّب لفظ «گلشن»، نحو: الجُلَّنار، معرّب «گلنار»، أي زهر الرّمّان.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد اسم مكان، جمعًا في سورة مدنيّة:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة: ١١

يلاحظ أوّلًا: أنّ الجلوس والقعود متقاربان معنًى، فهما يحكيان حالة الاستقرار على الأرض بين القيام والاستلقاء، فقيل: إنّهما مترادفان، وقيل: الفرق بينهما أنّ الجلوس: الانتقال من الاستلقاء، والقعود: الانتقال من القيام، ولاشاهد على الأوّل من القرآن لو لم يكن شاهدًا على خلافه، فإنّ المجالس تقال غالبًا لمكان الجلوس عن قيام دون استلقاء، كما أنّ المقاعد كذلك دائمًا. فلو قيل: إن القعود خاصّ بما يكون عن قيام، والجلوس مطلق غير مقيّد به، لكان صوابًا.

ثانيًا: لم يأت من مادّة «الجلوس» في القرآن سوى لفظ واحد مرّة في هذه الآية المدنيّة، وهو «المجلس» أو «المجالس» على اختلاف القراءة، مع أنّ «القعود» جاء بصيغ مختلفة ٣١ مرّة في المكّيّات والمدنيّات، وكثيرٌ منها ولاسيّما المدنيّات منها استعارة عن التخلّف عن القتال، مثل ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٥، أو غيره مثل: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا...﴾ النور: ٦٠، «لاحظ ق ع د» ولم يأت مكانها لفظ من الجلوس، فكأنّه لايستعار به عمّا استعير به القعود، وإنّما يستعمل في معناه اللّغويّ وما بمعناه مجازًا، مثل أنّ المجالس ـ كما جاء في النّصوص ـ قد أُطلقت على الجماعة باعتبار اجتماعهم في مجلس واحد.

ثالثًا: اختلفت القراءة فيها مفردًا وجمعًا ـ بكسر اللّام، وشذّ (المَجلَس) بفتح اللّام بمعنى الجلوس ـ واختار الطَّبَريّ «الإفراد» لإجماع الحجّة من القرّاء عليه، لكنّ القراءة المشهورة عندنا: الجمع. وهذا الخلاف له أثر في ما يأتي من الخلاف، في عمومها وخصوصها.

رابعًا: اختلفوا في أنّه خاصّ بمجلس النّبيّ أو عامّ لسائر المجالس؟ وعندنا أنّ نزولها كان في واقعة ذكروها في مجلس النّبيّ إلّا أنّها جاءت بلفظ عامّ، ونحن نعلم أنّ النّزول لايخصّص العامّ، نعم قراءة «المَجلِس» تنصرف إلى مجلس النّبيّ، لأنّ اللّام فيه للعهد وإن احتمل الجنس، بخلاف (المَجالِس) فإنّ اللّام فيها ظاهرة في العموم. وكيف كان فاحتمال أنّها خاصّة بمقاعد القتال ـ كما قيل ـ بعيد عن سياقها، لأنّ الأمر فيها بالتّفسّح والنّشوز لايناسب مقاعد القتال، فإنّ المراد بها المُعسكرات، كما قال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ آل‌عمران: ١٢١، بل يناسب قصّة نزولها أيضًا حيث إنّ النّبيّ ﷺ أمر بنشوز غير البدريّين عن مجلسه ليخلو المجلس لهم.

خامسًا: تذييل الآية بـ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾ يناسب ماورد في قصّة نزولها من إقعاد النّبيّ البدريّين مكان غيرهم بعد أمره بنشوزهم، وهذا يدعونا إلى إكرام العلماء في المجالس، وتفضيلهم على غيرهم.

ج ل ل

الجَلال

لفظ واحد، مرّتان، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جَلّ في عيني، أي عظُم، وأجلَلْتُه، أي أعظَمتُه.

وكلّ شيء يَدِقّ، فجلاله خلاف دُقاقه.

وجُلّ كلّ شيء: عُظْمُه، وتقول: ماله دِقّ ولاجِلّ.

والجِلّ: سُوق الزّرع إذا حُصد عنه السّنبل.

والجُلّة: وعاء التّمر، من خوص.

وجُلّ الدّابّة: معروف.

وجِلال كلّ شيء: غطاؤه كالحجَلة وشبهها، وهو واحد، والجمع: أجِلّة.

وجِلٌّ وجِلّانٌ: حيّان من العرب.

وإبلٌ جلّالة، أي تأكل العَذِرة، تُكرَه لحمها ولبنها حتّى الانتفاع بظهرها، وكذلك من الأنعام.

والجَلّة: البعَر، وهو يجتَلّه، أي يلتقِطُه.

وناقة تجِلّ عن الكَلال، أي أجلّ من أن تكِلّ لصلابتها.

وناقة جُلالة وجمَل جُلال: ضَخْمٌ، مُخرَجٌ من «فعيل».

جَمَلٌ وحَمَلٌ جُلاجِل: صافي النّهيق.

والجِلّة: العظام من الإبل والمَعز ونحوه.

والجَليل: الكلأ وهو الثُّمام، وجمعه: الأجِلّة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلّ في عيني، أي احتُقِر وتهاون، وهذه من المضادّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَلَل، بمعنى الأجلّ. (٦: ١٧)

اللّيث: جَلّ جلال الله، وهو الجليل، ذو الجلال والإكرام.

ويقال: جِلّة جريم: للعظام الأجرام.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٨٦)

أبوعمرو الشّيبانيّ: جُلّ بيت فلان، أي حيث ضُرب وبُني، والفسطاط مثله. (١: ١١٨)

الجَلَل: الصّغير، والجليل: العظيم، ولاأعرف «الجلل» في معنى العظيم. (ثلاثة كتب في الأضداد: ١٠)

الأُمويّ: الجلَل في كلام العرب من الأضداد. يقال للكبير: جلَل، والصّغير: جلَل. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٠: ٤٨٧)

الأصمَعيّ: والجلَل: العظيم، والجلَل: الهيّن. يقال: قد جلّت مصيبتهم، أي عظمت. [ثمّ استشهد بأشعار]

ويقال: فعلت هذا من جلَلِك، أي من أجلك. [ثمّ استشهد بشعر] (ثلاثة كتب في الأضداد: ٩و ١٠)

جَلّ يجُلّ جلًّا، إذا التقط البَعْر، واجتلّه: مثله. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٤٨٦)

يقال: ذاك الأمر جلَل في جنب هذا الأمر، أي صغير يسير.

والجلَل: العظيم أيضًا، فأمّا الجليل فلا يكون إلّا العظيم.

ويقال: فعلت ذلك من جلَل كذا وكذا، أي من عِظَمه في صدره. [ثمّ استشهد بشعر]

ومشيخة جِلّة، أي مَسانّ، والواحد منهم: جليل.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٨٧)

ابن الأعرابيّ: أتيت فلانًا فما أجلّني ولاأحشاني، أي ما أعطاني جليلة ولاحاشية. والحواشي: صغار الإبل. (إصلاح المنطق: ٣٨٤)

الجِلّة: المَسانّ من الإبل، يكون واحدًا أو جمعًا، ويقع على الذّكر والأُنثى، بعير جِلّ وناقة جِلّة.

(ابن سيده ٧: ٢٠٤)

قلت لأعرابيّ: ما المَجلّة؟ وكانت في يده كرّاسة، فقال: الّتي في يدك. [ثمّ استشهد بشعر]

(أساس البلاغة: ٦٢)

أبوعُبَيد: الجُلول: شراع السّفينة، الواحد: جَلّ.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٨٩)

كلّ كتاب عند العرب فهو مَجَلّة.

(ابن فارس ١: ٤١٩)

ابن الأنباريّ: من ضمّ الجيم من الجُلَّى قصر، ومن فتح الجيم مدّ.

الجلّاء: الخصلة العظيمة. [ثمّ استشهد بشعر]

ولا يقال: الجلال إلّا لله تبارك وتعالى.

(الأزهَريّ ١٠: ٤٨٨)

أبونصر الباهليّ: يقال: جلّت النّاقة، إذا أسنّت. وجلّت الهاجن عن الولد، أي صغرت.

(الجَوهَريّ ٤: ١٦٦٠)

ابن السّكّيت: والجِلّ: قصَب الزّرع إذا حُصِد.

وجُلّ الشّيء: معظمه. (إصلاح المنطق: ٣٤)

والجَلّ: شراع السّفينة، والجَلّ أيضًا: مصدر جلّ البَعْر يجُلّه جلًّا، إذا لقَطه.

والجُلّ: جُلّ الدّابّة، وجُلّ الشّيء: مُعظَمه.

(إصلاح المنطق: ١٢٨)

ويقال: ماله دقيقة ولاجليلة، معناه ماله ناقة ولاشاة. (إصلاح المنطق: ٣٨٤)

المَبرِّد: والجلَل يكون للصّغير ويكون للكبير، من ذلك قوله: «كلّ شيء ما خلا الله جلَل»، أي صغير. [ثمّ استشهد بشعر للكبير] (٤٢)

نحوه القالي. (٢: ١٠٢)

ابن دُرَيْد: جُلّ الشّيء: مُعظَمه، وجُلّ الدّابّة، وجَلّها: لغة تميميّة معروفة.

ويقال: أخذتُ جُلّ هذا وجَلّه، إذا تجلّلته وأخذت جُلاله.

ويقال: قوم جِلّة: ذوو أخطار، والجَلّة: البعرة.

والجليل: الثُّمام. ونُهي عن أكل لحم الجلّالة، وهي الّتي تأكل البعر والرّجيع.

والجُلّة: من جلال التّمر، عربيّ معروف، والجمع: جُلَل. [ثمّ استشهد بأشعار]

والمَجلّة: الصّحيفة. [ثمّ استشهد بأشعار] (١: ٥٤)

والمَجلّة: صحيفة يكتب فيها شيء من الحكمة، والجمع: مَجالّ، غير مصروف. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ١١)

أمرٌ جلَل: عظيم، وأمرٌ جلَل: يسير، وهو من الأضداد. (٣: ١٨٨)

القاليّ: جَلّ القوم يجِلّون جُلولًا، وجلا القوم يجلُون جلاءً، إذا خرجوا من بلد إلى بلد، ومنه قيل: استُعمل فلان على الجالّة والجالية، وهو أن يُجعل على قوم خرجوا من بلد إلى بلد؛ فالجالّة من «جَلَلْت» والجالية من «جلوت».

وجَلّ البَعَر يجُلّه جَلًّا، إذا التقطه؛ والجِلّة: البعر.

والإبل الجلّالة: الّتي تأكل الجِلّة، ويقال: خرج الإماء يجتلِلن، أي يأخذن الجِلّة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجتلّة: الّتي تلقط الجِلّة...

وجَلّ الرّجل يجِلّ جِلّة: إذا عظم وغلظ، وكذلك الصّبيّ والعود.

وإبل جِلّة، أي مُسنّة، وقد جلّت، إذا أسنّت.

ومشيخة جِلّة، أي مَسانٌّ، والواحد: جليل.

والمَجلّة: صحيفة كان يُكتب فيها شيء من الحكَم. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٤٩)

الأزهَريّ: روي عن النّبيّ ﷺ «أنّه نهى عن أكل الجلّالة»، والجلّالة: الّتي تأكل الجِلّة، والجِلّة: البَعْر، فاستعير ووضع موضع العَذِرة. (١٠: ٤٨٦)

يقال: جَلّ الرّجل عن وطنه يجُلّ جُلولًا، وجلا يجلو جلاءً، وأجلى يُجلي إجلاءً، إذا أخلّ بوطنه.

ويقال: تجَلّلِ الدّراهم، أي خُذ جلالها.

وتجَلّلَ فلان بعيره، إذا علا ظهره.

والجليل: الثُّمام، الواحدة: جليلة.

وهذه ناقة قد جلّت، أي أسنّت.

والمَجلّة: صحيفة يُكتب فيها. [ثمّ استشهد بشعر] (١٠: ٤٨٨)

وتجالَلْتُ الشّيء تجالًّا، وتجَلّلْتُ، إذا أخذت جُلاله، وتداقَقْتُه، إذا أخذتَ دُقاقه.

وهذه ناقة تُجِلّ عن الكَلال، أي هي أجلّ من أن تكِلّ لصلابتها.

وناقة جُلالة: ضخمة. وبعير جُلال: مُخرَج من جليل.

ويقال: أنت جلَلْتَ هذا على نفسك وأنت جررْته، أي جنَيتَه.

وفعلتُ ذاك من جرّاك ومن جلَلِك وجلالك، أي من أجلك. (١٠: ٤٨٩)

الصّاحِب: الجَلالة: عَظَمَة الله عزّوجلّ في عيني،

وأجلَلْتُه: رأيتُه جليلًا.

وجُلّ كلّ شيء: مُعظَمه.

والجُلال: ضدّ الدُّقاق، وماله دِقّ ولاجِلّ. واجتلّ الشّيء: أخذ جُلاله. وجللنا الأقِطَ نَجُلّه جَلًّا، وهو أن يُعْزَل جُلاله من دُقاقه.

ومـا أجلّني ولاأحشـاني، أي مـاأعطاني جـليلة ولاحاشية.

وماله جليلة ولادقيقة، أي إبلٌ وغنَم.

وجلّت النّاقة: أسَنّتْ، وناقة جُلالة. وجمَل جُلال: ضَخْم.

وحمارٌ جُلال: صافي النّهيق.

وتجالَلْتُ كذا: أخذْت جُلاله. وأنا أتَجالّه.

والجِلّ: سُوق الزّرع إذا حُصِد السُّنْبُل عنه.

والجُلّة: تُتّخَذ من خُوص للتّمر.

وجُلّ الدّابّـة، وجِلال كلّ شيء: غِطاؤه. وجلَلْتُ البعير وهو مجلول: من الجُـلّ.

والجَلّ، بالفتح: شِراع السّـفينة، وجمـعه: جُـلُول وأجلال. [ثمّ استشهد بشعر]

والإبل الجلّالة: الّتي تأكل العَذِرَة، وقد كُرِه لحُومها وألبانها.

والجِلّة: البعر يُجتَلّ، أي يُلقَط. وجَلّ الرّجل يَجُـلّ جلًّا، بمعنى اجتلّ. وماءٌ مجلُول: وقع فيه الجِـلّة.

وفعَلْتُ ذلك من جلَل كذا ومـن جـلاله، أي مـن أجله.

وأمرٌ جلَل: عظيم، وصغير، وهو من الأضداد.

وأجلّ فلان، أي ضَعُفَ، وأجلّ: قوي، وهـو مـن الأضداد.

وفي المثَل: «جلّت الهاجن عن الولد» أي صَـغُرت عن أن تلد.

والجليلة: الثُّـمامة.

واستُعمل فلان على الجالّة والجالية.

وجلّ الرّجل من بلده يَجِلّ جُلولًا، بمعنى جلا.

والمَـجلّة: الكتاب.

وجِلّان، من عَنَزَة. وجَلّ، من عديّ الرِّباب.

والجِلّة: العظام من الإبل والمعز. (٦: ٤٠٥)

الخطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «أجِلّوا الله يغفر لكم» بالجيم، أي أسلِموا. [إلى أن قال:]

قال بعض أصحابنا: يريد بقوله: أجِـلّوا الله، أي قولوا: ياذا الجلال، أو آمنوا بالله ذي الجلال. (١: ٦٨٩)

في حديث عمر: «...في المسجد نسوة قد تجالَلْنَ...»

قوله: تجالَلْنَ، أي طَعَنّ في السّنّ وكبِرن، يقال: تجالّت المرأة فهي متجالّة، وجـلّت فـهي جـليلة، إذا كـبِرت وعجَزت. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٢١)

الجَوهَريّ: الجَلّ بالفتح: الشّراع، والجمع: جُلُول. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِلّة: البعَر، يقال: إنّ بني فلان وقودهم الجِـلّة، ووقودهم الوألة. وهم يجتلّون الجِلّة، أي يلقطون البعَر.

والجُلّ بالضّمّ: واحد جِلال الدّوابّ، وجمع الجِلال: أجِلّة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُلّ الشّيء: مُعظَمه.

والجُلّى: الأمر العظيم، وجمعها: جُلَل، مثل كُـبرَى وكُبَر. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلّة: وعاء التمر.

والجِلّ: بالكسر: قصب الزرع إذا حُصِد.

ويقال أيضًا: ماله دِقّ ولاجِلّ، أي دقيق ولاجليل.

والجِلّة من الإبل: المَسانّ، وهو جمع: جليل، مثل صبيّ وصبيّة. [ثمّ استشهد بشعر]

ومشيخة جِلّة، أي مَسانّ.

والمَجَلّة: الصّحيفة فيها الحكمة.

وجلال الله: عظمته.

وقولهم: فَعلتُه من جلالك، أي من أجلك. [ثمّ استشهد بشعر]

والجلّالة: البقرة الّتي تتبّع النّجاسات، وفي الحديث: «نهي عن لبن الجلّالة».

والجُلال بالضّمّ: العظيم، والجُلالة: النّاقة العظيمة.

والجلَل: الأمر العظيم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجلَل أيضًا: الهيّن، وهو من الأضداد. [ثمّ استشهد بشعر]

وفَعلتُ ذاك من جلَلِك، أي من أجلك. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَليل: العظيم. والجليل: الثُّمام، وهو نبت ضعيف يُحشى به خصاص البيوت. [ثمّ استشهد بشعر]

الواحدة: جليلة، والجمع: جلائل. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلْجُلُ: واحد الجَلاجِلِ، وصوته الجَلْجَلَةُ، وصوت الرّعد أيضًا.

والمُجَلْجِلُ: السّحابُ الّذي فيه صوتُ الرّعد.

وجَلْجَلْتُ الشّيء، إذا حرّكته بيدك.

وتَجَلْجَلَ في الأرض، أي ساخ فيها ودخل.

يقال: تَجَلْجَلَتْ قواعدُ البيت، أي تضعضعت. وفي الحديث: «إنّ قارون خرج على قومه يتبختر في حُلّة له، فأمر الله الأرض فأخذته، فهو يَتَجَلْجَلُ فيها إلى يوم القيامة».

وحمارٌ جُلاجِلٌ بالضّمّ، أي صافي النّهيق.

وجَلاجِلُ بالفتح: موضعٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلْجُلانُ: ثمرة الكُزبرة. قال أبوالغوث: هو السمسم في قشره قبل أن يُحصد.

والجُلْجُلان: حبّةُ القلب. يقال: أصبتُ جُلْجُلانَ قلبه.

وجَلّ القوم من البلد يجُلّون بالضّمّ جُلولًا، أي جلوا وخرجوا إلى بلد آخر، فهم جالّة.

يقال: استُعمل فلان على الجالّة، كما يقال على الجالية، وهما بمعنًى. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال أيضًا: جَلّ البَعْر يجُلّه جلًّا، أي التقطه، ومنه سمّيت الدّابّة الّتي تأكل العَذِرة: الجلّالة، وكذلك اجتَلَلْتُ البَعْر.

وجَلّ فلان يَجِلّ بالكسر جلالةً، أي عظم قدره، فهو جليل. [ثمّ استشهد بأشعار]

وجلّ الرّجل أيضًا، أي أسَنّ.

وأتيتُ فلانًا فما أجلّني وماأحشاني، أي ماأعطاني جليلةً ولاحاشية. فالجليلة: الّتي نتجت بطنًا واحدًا، والحواشي: صغار الإبل.

ويقال: ماأجلّني وماأدقّني، أي ماأعطاني كثيرًا ولاقليلًا.

ويقال: ماله جليلة ولادقيقة، أي ماله ناقة ولاشاة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجلّل الشّيء تجليلًا، أي عمّ.

والمُجلّل: السّحاب الّذي يُجلّل الأرض بالمطر، أي يعمّ.

وتجليل الفرس، أن تُلبسه الجُلّ.

وتجلّله، أي علاه، وتجلّله، أي أخذ جُلاله.

والتّجالّ: التّعاظم، يقال: فلان يتجالّ عن ذلك، أي يترفّع عنه. (٤: ١٦٥٧)

ابن فارِس: الجيم واللّام أُصول ثلاثة: جَلّ الشّيء: عظُم، وجُلّ الشّيء: مُعظَمه، وجلال الله: عظَمَتُه، وهو ذوالجلال والإكرام. والجلَل: الأمر العظيم.

والجِلّة: الإبل المَسانّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلالة: النّاقة العظيمة. والجليلة: خلاف الدّقيقة، ويقال: ماله دقيقة ولاجليلة، أي لاناقة ولاشاة. وأتيت فلانًا فما أجلّني ولاأحشاني، أي ماأعطاني صغيرًا ولاكبيرًا، من الجِلّة ولامن الحاشية. وأدقّ فلانٌ وأجلّ، إذا أعطى القليل والكثير. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: فعلت ذاك من جلالك، قالوا: معناه من عِظَمك في صدري. [ثمّ استشهد بشعر]

والأصل الثّاني: شيءٌ يشمل شيئًا، مثل جُلّ الفرَس، ومثل الجلّل: الغيث الّذي يُجلّل الأرض بالماء والنّبات. ومنه الجُلُول، وهي شُرُعُ السُّفن. [ثمّ استشهد بشعر]

الواحد: جُلّ.

والأصل الثّالث: من الصّوت، يقال: سحاب مجلْجِل، إذا صوّت، والجُلْجُل مشتقّ منه. ومن الباب جَلْجلْتُ الشّيء في يدي، إذا خلَطته ثمّ ضربته. [ثمّ استشهد بشعر]

ومحتمل أن يكون جُلجُلان السّمسم من هذا، لأنّه يتجلْجَل في سِنفه إذا يَبِس.

وممّا يحمل على هذا قولهم: أصَبْتُ جُلجُلان قَلْبِه، أي حبّة قلبه. ومنه الجُلّ: قصَب الزّرع، لأنّ الرّيح إذا وقعَتْ فيه جَلْجلَتْه. ومحتمل أن يكون من الباب الأوّل لغِلَظه، ومنه الجليل وهو الثُّمام. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا المَجلّة: فالصّحيفة، وهي شاذّة عن الباب، إلّا أن تُلحَق بالأوّل، لعِظَم خطر العلم وجلالته.

وممّا شذّ عن الباب: الجِلّة: البَعْر. (١: ٤١٧)

أبوهِلال: فرّق بعضهم بين الجليل والكبير، بأن قال: الجليل في أسماء الله تعالى، هو العظيم الشّأن المستحقّ للحمد، والكبير فيما يجب له من صفة الحمد. والأجلّ بما ليس فوقه من هو أجلّ منه.

وأمّا الأجلّ من ملوك الدّنيا، فهو الّذي ينفرد في الزّمان، بأعلى مراتب الجلالة.

والجلال إذا أُطلق كان مخصوصًا بعظم الشّأن، ويقال: حِكَم جليلة، للنّفع بها، ويوصف المال الكثير بأنّه جليل، ولايوصف الرّمل الكثير بذلك، لما كان من عظم النّفع في المال.

وسمّيت الجِلّة جِلّة لعظمها. والمَجلّة: الصّحيفة، سمّيت بذلك لما فيها من عظم الحِكَم والعهود.

الفرق بين الجلالة والهيبة: أنّ الجلالة ماذكرناه، والهيبة: خوف الإقدام على الشّيء، فلايوصف الله بأنّه

يُهاب، كما لايوصف بأنّه لايُقدم عليه، لأنّ الإقدام هو المجوم من قُدّام، فلايوصف الله تعالى بأنّ له قُدّامًا ووراء. والهيبة هو أن يعظم في الصّدور فيُترَك الهجوم عليه. (١٥١)

الهَرَويّ: في حديث آخر: «جوالّ القُرى» يعني الحمير الّتي تأكل العَذِرة.

وفي الحديث: «إنّ لي فرسًا أُجِلّها كلّ يوم فرَقًا من كذا» أي أُعطيها إيّاه علَفًا. وهم يضعون الإجلال موضع الإعطاء.

وفي الحديث: «فجاء إبليس في صورة شيخ جليل» أي مُسِنّ. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣٨٥)

الثّعالبيّ: إذا كانت [النّاقة] عظيمة فهي كَهاة وجُلالة. (١٧٧)

الجلَل: اليسير، والجلَل: العظيم، لأنّ اليسير قد يكون عظيمًا عند ماهو أيسر منه، والعظيم قد يكون صغيرًا عند ماهو أعظم منه. (٣١٥)

ابن سيده: جَلّ الشّيء يجِلّ جلالًا وجلالةً، وهو جِلّ وجليل وجُلال: عَظُم. والأُنثى: جليلة، وجُلالة. وأجلّه: عظّمه.

والتَّجِلّة: الجلالة، اسم كالتَّذْوِرَة والتَّهْنِئة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُلّ الشّيء: وجُلاله: مُعظَمه، وتجلّل الشّيء: أخذ جُلّه وجُلاله. وتَجالّ عن ذلك: تعاظم، والجُلّى: الأمر العظيم.

وجَلّ الرّجل جلالًا، فهو جليل: أسَنّ واحتنك، والجمع: جِلّة؛ والأُنثى: جليلة. وجِلّة الإبل والغنم: مَسانّها. وقيل: الجِلّة: النّاقة الثّنيّة إلى أن تَبزُل، وقيل: الجِلّة: الجمَل إذا أثنى.

وماله دقيقة ولاجليلة، أي شاة ولاناقة.

وأتيتُه فما أجلّني ولاأحشاني، أي لم يُعطني جليلة ولاحاشية، وهي الصّغيرة من الإبل، وفي المثَل: «غلبت جِلّتها حواشيها».

والجلَل: الشّيء العظيم والصّغير، وهو من الأضداد. [ثمّ أورد شعرًا وتفسيره]

والجُلْجُل: الأمر العظيم كالجلَل.

والجِلّ: نقيض الدِّقّ.

والجُلال: نقيض الدُّقاق.

والجِلّ من المتاع: القُطُف والأكسية والبُسُط ونحوه، عن أبي عليّ.

والجُلّ، والجِلّ: قَصَب الزّرع إذا حُصِد.

والجُلّة: وعاء يُتّخذ من الخُوص، يوضع فيه التّمر، عربيّة معروفة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع: جِلال، وجُلَل. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِلال كلّ شيء: غطاؤه.

وتجلّل الفحل النّاقة، والفرس الحِجرَ: علاها.

والجِلّة: البَعَر، وقيل: هو البَعَر الّذي لم ينكسر.

وإبل جَلّالة: تأكل العَذِرة، وقد نُهي عن لحومها وألبانها.

وجَلّ البَعَر جَلًّا: جمعه بيده.

واجتلّ الإماء: التَقَطْنَ الجِلّة للوَقود.

وجَلّ القوم عن منازلهم يجُلّون جُلولًا: جلَوا، ومنه قيل: استُعمل فلان على الجالّة وعلى الجالية.

وفعله من جُلّك، وجـلّلك، وجـلالك، وتجـلّتك، وإجلالك، ومن أجـل إجـلالك، أي مـن أجـلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: من جَلَلِك، أي من عظمتك.

والمَجَلّة: الصّحيفة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجليل: الثُّمام؛ حجازيّة، واحدته: جليلة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَـلّ: شراع السّـفينة، وجمـعه: جُـلُول. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُلّ: الياسمين، وقيل: هو الوَرْد أبيضه وأحمره وأصفره، فنه جبليّ ومنه قرويّ. واحدته: جُلّة. حكاه أبوحنيفة، قال: وهو كلام فارسيّ، وقد دخل في العربيّة.

وجَلّ، وجَلّان: حَيّان. وجَلٌّ: اسم. [ثمّ استشهد بشعر]

(٢٠٤:٧)

الرّاغِب: الجلالة: عِظَم القَدْر، والجلال بغير الهاء: التّناهي في ذلك، وخُصّ بوصف الله تعالى، فقيل: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرّحمن: ٢٧، ولم يستعمل في غيره.

والجليل: العظيم القَدْر. ووصفُه تعالى بذلك إمّا لخلقه الأشياء العظيمة المستدلّ بها عليه، أو لأنّه يَجِلّ عن الإحاطة به، أو لأنّه يجلّ أن يُدرَك بالحواسّ.

وموضوعه للجسم العظيم الغليظ، ولمراعاة معنى الغلظ فيه قوبل بالدّقيق، وقوبل العظيم بالصّغير، فقيل: جليل ودقيق، وعظيم وصغير.

وقيل للبعير: جليل، وللشّاة، دقيق، اعتبارًا لأحدهما بالآخر، فقيل: ماله جليل ولادقيق، وماأجلّني ولاأدقّني، أي ماأعطاني بعيرًا ولاشاة، ثمّ صار مثلًا في كلّ كبير وصغير.

وخُصّ الجُلالة بالنّاقة الجسيمة، والجِلّة بالمَسانّ منها.

والجلَل: كلّ شيء عظيم، وجَلَلْتُ كذا: تناولت، وتجلّلتُ البقر: تناولت جُلاله. والجلَل: المتناوَل من البقر، وعُبّر به عن الشّيء الحقير، وعلى ذلك قوله: كلّ مصيبة بعده جلَل.

والجلَل: معظم الشّيء، فقيل: جُلّ الفرس، وجُلّ الثّمن.

والمَجلّة: مايُغطّى به الصّحف، ثمّ سُمّيت الصّحف مَجلّة.

وأمّا الجلْجَلة: فحكاية الصّوت، وليست من ذلك الأصل في شيء، ومنه: سحاب مُجَلْجِل، أي مصوّت. فأمّا سحاب مُجَلّل فن الأوّل، كأنّه يُجَلّل الأرض بالماء والنّبات.

(٩٤)

الزّمَخْشَريّ: جَلّ في عيني، وجلّ عن كذا. وهذه ناقة تَجِلّ عن الإعياء. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجلَلْتُ فلانًا: وجدته جليلًا. وأنا أُجِلّك عن هذا. وماله دِقٌّ ولاجِلٌّ، ولادقيقة ولاجليلة. وأتيته فما أدقّني ولاأجلّني. وماأجلّني ولاأحشاني، أي ماأعطاني من الجِلّة ولا الحاشية. وأخذ جُلّه، وكُبْرَه، وعُظْمَه، بمعنى.

وهذا شيء جلَلٌ، أي هَيّن. [ثمّ استشهد بشعر]

وقوم أجِلّة. وإبل جِلّة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلّتْ هذه النّاقة: أسنّت. وفلان يتجالّ علينا: يتعاظم. وهو من إخواني وصُدْقاني وجُلّاني. وأنا أتجالُّه، أي أعظّمه. وركب فلان الجُلّ، وركبوا الجُلَلَ،

كالكُبرى والكُبَر. وقرأ مجلّةَ لقمان، أي صحيفَته.

وجلّله: غطّاه، وتجلّل بثوبه: تغطّى به. وحِصان مُجَلّل. وسحاب مُجَلْجِل مُجَلِّل، أي راعد مُطبّق بالمطر. وجَلْجَلَ الياسر القِداح: حرّكها. واستُعمل فلان على الجالية والجالّة، وهم الّذين ينهضون من أرض إلى أرض، يقال: جلّ عن البلد جُلولاً، بمعنى جلا عنه.

ومن المجاز: تجلّله الهمّ والمرض. [ثمّ استشهد بشعر]

(أساس البلاغة: ٦٢)

[في حديث] النّبيّ ﷺ: «نهى عن لحوم الجلّالة» كُني عن العَذِرة بالجِلّة، وهي البعَرة، فقيل لآكلتها: جلّالة وجالّة، وقد جلّ الجِلّة واجتلّها: التقطها، وماء مجلول: وقعت فيه الجِلّة. (١: ٢٣٣)

المَدينيّ: في حديث أنس: «ألق إلينا مَجالّ» المَجالُّ: الصُّحُف، جمع مَجلّة.

وفي حديث آخر، قال: «مامعَك؟ قال: مَجلّة لقمان» يعني كتابًا فيه حكمة لقمان. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: هو من جَلّ، لجلال الحكمة. وهي مصدر كالمَذَلّة، فسمّي بها كما سمّي بالكتاب، أو بمعنى الجلال.

وفي الحديث: «أنّه جَلّل فرسًا له سَبَق بُردًا عَدَنيًّا» جَلّله، أي ألبسه إيّاه، وجعله جُلًّا له.

في الحديث أنّه قال للضّحّاك بن سُفيان: «أخذْتَ جِلّة أموالهم» الجِلّة: العِظام من الإبل، وجُلّ كلّ شيء وجِلّه: مُعظمه.

يقال: ماله دِقٌّ ولاجِلٌّ، ويقال: هلك دِقُّ ماله وجِلّه.

وقيل: الجِلّةُ: المَسانُّ من الإبل، وقيل: هي مابين الثّنيّ إلى البازل.

ومنه حديث جابر: «تزوّجتُ امرأةً قد تَجالّت» أي اسنّت وكَبِرت، ومَشْيَخة جِلّة: مَسانّ، واحدهم: جَليل، وجلّت النّاقة: أسنّت.

وفي الحديث: «نِسْوة قد تَجالَلْنَ» أي كَبِرْن وطَعَنّ في السّنّ، يقال: تَجالّت المرأة فهي مُتجالّة، وجَلّت فهي جَليلَة، إذا كَبِرت وعَجَزَت.

في حديث العبّاس: «أنّه قال يوم بَدْر: القتل جَلَلٌ ماعدا محمّدًا ﷺ» أي هيّن يسير.

والجَلَل: من الأضداد، يكون اليسير، ويكون العظيم، وأجلّ فُلان، إذا ضَعُف وإذا قوي، وفي المثل: «جَلّت الهاجن عن الولد» أي صَغُرت العَناق عن أن تلد، وقيل: هو من «جَلّ».

وفي حديث عليّ، رضي الله عنه: «اللّهمّ جَلّل قَتَلة عثمان خِزْيًا» أي غَطّهم به، وألبِسْهم إيّاه، كما يتجلّل الرّجل بالثّوب.

ومَطرٌ مُجَلِّلٌ: لايَدَع موضعًا، ومنه حديث الاستسقاء: «وابِلًا مُجَلِّلًا» أي يُجَلِّل الأرض بمائه، أو بنباته، كأنّه يكسوها إيّاه.

في الحديث: «يَستُر المُصلّيَ مثل مُؤخّرة الرّحْل في مثل جُلّة السّوط» أي في مثل غِلَظه.

في الحديث: «لاتَصْحَب الملائكة رُفقةً فيها جُلْجُل» الجُلْجُل: كُلّ شيء عُلّق في عُنُق دابّة، أو رِجْل صبيّ يُصوِّت.

الجَليل: الثُّمام عند أهل الحجاز، واحدتها: جليلة، وثُمامَة. وقيل: هو الثُّمام إذا عَظُم وجَلّ.

وفي حديث عمر، رضي الله عنه: «قال له رجل: التَقَطْتُ شبَكةً على ظهر جَلّال» هو اسمٌ لطريق نجد إلى مكّة.

(١: ٣٤١)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «ذو الجلال والإكرام» الجلال: العظمة، ومنه الحديث: «أَلِظّوا بياذا الجلال والإكرام».

ومنه الحديث الآخر: «أجلّوا الله يغفر لكم» أي قولوا: ياذا الجلال والإكرام، وقيل: أراد عظّموه. وجاء تفسيره في بعض الرّوايات، أي أسلموا. ويُروى بالحاء المهملة، وهو كلام أبي الدّرداء في الأكثر.

ومن أسماء الله تعالى: الجليل، وهو الموصوف بنعوت الجلال والحاوي جميعها، هو الجليل المطلق، وهو راجع إلى كمال الصّفات، كما أنّ الكبير راجع إلى كمال الذّات، والعظيم راجع إلى كمال الذّات والصّفات.

وفي حديث الدّعاء: «اللّهمّ اغفر لي ذنبي كلّه دِقّه وجِلّه» أي صغيره وكبيره، ويقال: ماله دِقّ ولاجِلّ.

[ثمّ ذكر الأحاديث السّابقة] (١: ٢٨٧)

الصّغانيّ: أجلّ، إذا ضعف وإذا قوي.

(الأضداد: ٢٢٦)

الفَيُّوميّ: جلّ الشّيء يَجِلّ بالكسر: عظُم، فهو جليل، وجلال الله: عظمته.

وجلّ يَجِلّ أيضًا: خرج من بلد إلى آخر فهو جالٌّ، والجمع: جالّة. ومنه قيل لليهود الّذين أُخرجوا من الحجاز: جالّة، وهي جالية أيضًا، ثمّ نُقل الاسم إلى الجزية، وقيل: استُعمل فلان على الجالّة، كما يقال: على الجالية.

وجُلّة التّمر: الوعاء، وجمعها: جلال، مثل بُرمَة وبِرام.

وجُلّ الشّيء بالضّمّ أيضًا: مُعظمه.

وجُلّ الدّابّة: كثوب الإنسان يلبسه، يقيه البَرْد، والجمع: جِلال وأجلال.

والجَلّة بالفتح: البَعَرَة، وتطلق على العَذِرة.

وجلّ فلان البَعَرَ جَلًّا، من باب «قتل»: التقطه فهو جالّ، وجلّال مبالغة، ومنه قيل للبهيمة تأكل العَذِرة: جلّالة وجالّة أيضًا، والجمع: جلّالات، على لفظ الواحدة وجوالّ، مثل دابّة ودوابّ.

وجَلّل المطر الأرض بالتّثقيل: عمّها وطبّقها، فلم يدع شيئًا إلّا غطّى عليه، قاله ابن فارس في متخيّر الألفاظ. ومنه يقال: جلّلت الشّيء، إذا غطّيته.

والجُلّى «فُعْلى»: الأمر الشّديد، والخَطْب العظيم.

(١: ١٠٥)

الجُرجانيّ: الجلال من الصّفات: مايتعلّق بالقهر والغضب. (التّعريفات: ٣٤)

الفيروزاباديّ: جَلّ يَجِلّ جَلالة وجَلالًا: أسنّ واحتنك، فهو جَليل من جِلّة، وجَلالًا: عظُم فهو جَليل وجِلٌّ بالكسر والفتح، وكغُراب ورُمّان وهي جَليلة وجُلالة. وأجَلّهُ: عَظّمَه، والتَّجِلّة: اسم.

وجُلّ الشّيء وجُلاله بضمّها: مُعظمُه.

وتَجَلّله: علاه، وأخذَ جُلّه.

وتَجالّ عنه: تعاظَم.

والجُلّى كرُبّى: الأمر العظيم، الجمع: جُلَلٌ.

وقوم جِلّة بالكسر: عُظَماءُ سادةٌ ذَوُو أخطار، وهي

المَسانُّ منّا ومن الإبل، للواحد والجمع، والذّكر والأُنثى، أو هي الثّنيّة إلى أن تبْزُلَ، أو الجمَل إذا أثنى، أو يقال: بعير جِلّ وناقة جِلّة.

وبالضّمّ: قُفّةٌ كبيرةٌ للتّمر.

والجَلَلُ محرّكةً: العظيم والصّغير، ضدّ.

والجِلّ بالكسر: ضدّ الدِّقّ، ومن المتاع: البُسُطُ والأكسية ونحوها، وقَصَبُ الزّرع إذا حُصِد، ويُضمّ ويُفتح.

وبالضّمّ وبالفتح: ماتُلْبَسُه الدّابّة لتُصانَ به، وقد جَلَلْتُها وجَلّلْتُها، الجمع: جِلال وأجلال، وبالفتح: الشّراع ويُضمّ، الجمع: جُلُول، واسم أبي حَيّ من العرب.

والجَليل والحقير، ضدّ.

وبالضّمّ ويُفتح: الياسمين، والوَرْدُ أبيضُه وأحمرُه وأصفره، الواحدة بهاء، وماءٌ قُرْبَ واقِصَة، وجُلّ بنُ حُوَيّ بالضّمّ في طيّئ.

وجُلّ بَيْتِكَ: حيث ضُرِب وبُني.

وبالضّمّ: الضّخم، وجبَل، ومُعظَم الشّيء.

وجَلّال كشدّاد: اسم لطريق نجد إلى مكّة.

والجَلّالة: البَقَرة تَتَبّعُ النّجاسات، وككُناسة: النّاقة العظيمة.

والجُلّة، بالضّمّ: وعاء من خوص، الجمع: جِلالٌ وجُلَل.

والجِلّة مثلّثةً: البَعَرُ أو البعَرَة، أو الّذي لم ينكسر.

وجَلّ البَعَرَ جَلًّا وجَلّةً: جمعه بيده، واجتلّهُ: التقطه للوقود.

وفَعَلَه من جُلّك بالضّمّ، وجَلالك، وجَلَلِك محرّكةً، وتَجِلّتِك، وإجلالك بالكسر، ومن أجل إجلالك، ومن أجلِكَ بمعنًى.

وجَلَلْتَ هذا على نفسك: جَنَيْتَه.

وجَلّوا عن منازلهم يَجِلّون جُلولًا وجَلًّا: جَلَوا، وهُمُ الجالّة، والأقِطَ: أخذوا جُلاله.

وجَلّ وجَلّانُ: حيّانِ. [إلى أن قال:]

والجَلَل محرّكة: الأمر العظيم والهيّن الحقير، ضدّ...

والجَلّة، بالفتح: الصّحيفة فيها الحكمة، وكلّ كتاب.

وكأمير: العظيم، والثّمام، الجمع: جلائل. والجليلة: الّتي نُتِجت بطنًا واحدًا، أو ماأجلّني: ماأعطانيها، والنّخلة العظيمة الكثيرة الحَمْل، الجمع: جِلال.

وأجَلّ: قوي وضعُف، ضدّ. واجتَلّته وتجالَلْته: أخذت جِلاله (٣: ٣٦٠)

الطُّريحيّ: ومنه حديث عليّ عليه السلام في النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «وإنّ المُصاب بك لجَليل»، ومثله: «كلّ مصيبة بعدك جَلَل» بفتح جيم ولام أولى، أي هيّن.

وفي حديث غسل الميّت: «وتغسلُه مرّةً أُخرى بماءٍ وشيءٍ من جَلال الكافور أي بقليل ويسير منه.

وفي حديث وقت الفجر: «حين ينشقّ إلى أن يتجلّل الصّبح السّماء» أي يعلوها بضوء ويعمّها، من قولهم: تجلّله، أي علاه.

وقولهم: جَلّل الشّيء تجليلًا، أي عمّه.

وفي الحديث: «الإمام كالشّمس الطّالعة المجلّلة بنورها للعالم».

وفي الخبر: «إنّ القلب ليتجلّل في الجوف ليطلب

الحقّ فإذا أصابه اطمأنّ» هو من الجلجلة: التّحريك وشدّة الصّوت.

والجلجلة: صوت الرّعد.

وتجلجلت قواعد البيت، أي تضعضعت.

وتجليل الفرس: أن يُلبسه جُلّه ويُغطّيه به. ومنه حديث الهدي: «ماأكثر مالايُقلّد ولايُشعر ولايُجلّل» بجيم ولامين، كما يستفاد من الأخبار كأنّه صفة أُخرى للهدي كالإشعار والتّقليد.

وفي حديث عليّ عليه السلام: «كان يكره أن يُجلّل التّمر» أي يُجعل في الجُلّة ويباع ذلك، لأنّه لايُطّلع عليه، فربّما كان رديئًا. (٥: ٣٣٩)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جلّ الشّيء يجِلّ: عظُم، وأجللته: عظّمته، وجلّ عن كذا: تنزّه وتقدّس. وذو الجلال والإكرام، أي ذو العظمة والاستغناء المطلق، وصاحب الفضل والإحسان إلى عباده. (١٠٩)

العَدْنانيّ: الأمر الجلل: العظيم واليسير ويُخطّئون من يستعمل كلمة «الجلل» للأمر اليسير، ويقولون: إنّها للأمر العظيم. [ثمّ استشهد بأشعار]

والحقيقة هي أنّ كلمة «الجلل» تقال للأمر العظيم واليسير. [ثمّ استشهد بأشعار]

وفي حديث العبّاس يومَ بَدر، قال: «القتلى جلَلٌ ماعدا محمّدًا» أي هيّنٌ يسير.

وأجمع على أنّ «الجلل» من الأضداد، فيقال: جلَلٌ لليسير، وجلَلٌ للعظيم، كلّ من: ابن قُتَيْبة «أدب الكاتب»، وابن الأنباريّ، والصّحاح، والثّعالبيّ «فقه اللّغة» الّذي قال: «الجلل: اليسير، والجلل: العظيم، لأنّ اليسير قد يكون عظيمًا عند ماهو أيسر منه، والعظيم قد يكون صغيرًا عندما هو أعظمُ منه» وابن الأثير «النّهاية» واللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والمتن، والتّضادّ، والوسيط. وأنا أنصح بأن لانستعمل كلمة «الجلل» إلّا للأمر العظيم:

أ ـ دفعًا للوقوع في اللّبس عند اختيار أحد المعنيين المتضادّين.

ب ـ لأنّ هذا المعنى هو المألوف لدينا.

ج ـ لأنّ «المصباح المنير» اكتفى بقوله: جلّ الشّيء يجِلّ: عظُم، فهو جلَل.

د ـ لأنّ الجليل والجُلّى القريبَيْن في حروفهما من الجلل، لايكونان إلّا للأمر العظيم. (١٢٥)

المُصطفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العظمة، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات، ففي كلّ مورد بحسبه، يقال: جلّ الشّيء: عظُم، وجُلُّ الشّيء: مُعظم قسمة منه، والجلالة: النّاقة العظيمة.

وأمّا جلّ يجِلّ بمعنى الخروج من بلد: فهذا المعنى مأخوذ من مادّة: جلا وأجلى إجلاءً، فقُلبت الواو بمناسبة العين لامًا، كما في قلب اللّام ياءً «أمليت» وهذا نوع من الاشتقاق، وهو الاشتقاق الأكبر.

وأمّا الجلّة بمعنى البَعر، فهو مأخوذ من اللّغة العبريّة: قاموس عبريّ ـ عربيّ ـ גלל ، גללים جالال، جِلِل = روث، براز، غائط، بَعر. فهذا المعنى ليس من مادّة «الجلال» بمعنى العظمة.

وهكذا لغة: فعلته من جَلالك، أي من أجلك؛ فإنّها

مأخوذة من العبريّـة أيضًا، كما في [القاموس المـذكور]

בִּגְלַל جلَل = من أجلِ، بسببٍ.

ويمكن أن يكون مأخوذًا من الجلال، أي بملاحظة عظمتك، كما مرّ.

وأمّا جُلّ الفرس والمُجلَّل: فباعتبار تحقّق العظمة والمنزلة في الفرس، بلبس الجلّ وهو لباسه. وهكذا عظمة الأرض ومنزلتها إنّما يتحقّق بالمطر المحيط بها، حتّى تنبت النّباتات الخضرة.

وأمّا الجِلّة: فهو أيضًا من معنى العظمة، لكونه مورد تقدير وتجليل. ولايبعد أن يكون هذا المعنى أيضًا مأخوذًا من العبريّـة:

قاموس عبريّ ـ عربيّ ـ מְגִלָּה ١٦ مجيلاه = درْج، لفيفة من الرَّقّ، أو ورق البَرْديّ، تدوّن عليها وثيقة. فلايكون شذوذ في هذه اللّغات.

وأمّا الجُلْجل: فالأصل فيه أنّه من أسماء الأصوات، والأفعال المشتقّة منه مشتقّات انتزاعيّـة، كما في جَرْجَر.

﴿وَيَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرّحمٰن: ٢٧، فإنّ وجهه هو المستحقّ للتّعظيم والتّكريم، وله العظمة والكرامة. والمراد من الوجه: مايكون له وجهة الرّبّ وظهور الحقّ، وأمّا الموجودات بحدودها فتشملها جملة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ راجع «و ج ه».

وأمّا التّعبير في الآية الكريمة بصيغة «الجلال» مجرّدًا ولازمًا دون «التّجليل»، كما في كلمة «الإكرام: فإنّ العظمة الذّاتيّة ثابتة له بنحو أكمل، فهو عظيم حقًّا وجليل ذاتًا، ولايستطيع لممكن أن يعظّمه. وأيضًا أنّ ثبوت الجلال للوجه يقتضي الحكم بلزوم الإكرام.

«كلّيّات أبي البقاء»: عظيم: العظيم نقيض الحقير، كما أنّ الكبير نقيض الصّغير. والعظيم فوق الكبير، لأنّ العظيم لايكون حقيرًا لكونهما ضدّان، والكبير قد يكون حقيرًا، كما أنّ الصّغير قد يكون عظيمًا؛ إذ ليس كلّ منهما ضدًّا للآخر. والعظمة تستعمل في الأجسام وغيرها، والجلال لايستعمل إلّا في غير الأجسام. (٢: ١٠٧)

النّصوص التّفسيريّة

١ـ وَيَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

الرّحمٰن: ٢٧

ابن عبّاس: ذو العظمة والسّلطان. (٤٥١)

مثله النّسَفيّ. (٤: ٢٠٩)

الفرّاء: هذه والّتي في آخرها (ذى) كلتاهما في قراءة عبد الله ـ ذى ـ تخفضان في الإعراب، لأنّهما من صفة ربّك تبارك وتعالى، وهي في قراءتنا ﴿وَيَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، (ذُو) تكون من صفة وجه ربّنا تبارك وتعالى. (٣: ١١٦)

نحوه الطّبَريّ. (٢٧: ١٣٤)

الطُّوسيّ: ومعنى (ذُو الْجَلَالِ) ذو العظمة بالإحسان. (٩: ٤٧٣)

البغَويّ: ذو العظمة والكبرياء. (٤: ٣٣٤)

المَيْبُديّ: جلال الله سبحانه: عظمته واستحقاقه لأوصاف الكمال.

وقيل: الجلال: التّنزيه، من قولهم: هو أجلّ من

هذا. (٩: ٤١٣)

الزّمَخْشَريّ: صفة لـ(وَجْه)، ومعناه الّذي يجلّه الموحّدون عن التّشبيه بخلقه وعن أفعالهم، أو الّذي يقال له: ماأجلّك وأكرمك! أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه الصّفة من عظيم صفات الله. (٤: ٤٦)

نحوه أبوحَيّان. (٨: ١٩٣)

الطَّبْرِسيّ: أي العظمة والكبرياء، واستحقاق الحمد والمدح بإحسانه الّذي هو في أعلى مراتب الإحسان وإنعامه الّذي هو أصل كلّ إنعام. وقيل: معناه أنّه أهل أن يُعظَّم ويُنزّه عمّا لايليق بصفاته، كما يقول الإنسان لغيره: أنا أُكرمك عن كذا وأُجلّك عنه، كقوله: أهل التّقوى، أي أهل أن يُتّقى. (٥: ٢٠٢)

ابن الجَوْزيّ: والمعنى أنّ الله تعالى مستحقّ أن يُجَلّ ويُكرَم، ولايُجحَد ولايُكفَر به، وقد يحتمل أن يكون المعنى: أنّه يُكرِم أهل ولايته ويَرْفَع درجاتهم، وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين، وهو (الجَلال) مضافًا إلى الله تعالى، بمعنى الصّفة له، والآخر مضافًا إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اَهْلُ التَّقْوٰى وَاَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ المدّثّر: ٥٦، فانصرف أحد الأمرين إلى الله وهو المغفرة، والآخر إلى العباد وهو التّقوى. (٨: ١١٤)

الفَخْرالرّازيّ: الجلال: إشارة إلى كلّ صفة هي من باب النّفي، كقولنا: الله ليس بجسم ولاجوهر ولاعرض، ولهذا يقال: جلّ أن يكون محتاجًا، وجلّ أن يكون عاجزًا، والتّحقيق فيه: أنّ (الجَلال) هو بمعنى العظمة، غير أنّ العظمة أصلها في القوّة و(الجَلال) في الفعل، فهو عظيم لايسعه عقل ضعيف فجُلّ عن أن يسعه كلّ فرض معقول. [إلى أن قال:]

و(الْجَلَالِ وَالْاِكْرَامِ) وصفان مرتّبان على أمرين سابقين، فالجلال مرتّب على فناء الغير والإكرام على بقائه تعالى، فيبقى الفرد وقد عزّ أن يحدّ أمره بفناء من عداه وماعداه، ويبقى وهو مكرِم قادر عالم، فيُوجد بعد فنائهم من يريد. (٢٩: ١٠٧)

القُرطُبيّ: الجلال: عظمة الله وكبرياؤه، واستحقاقه صفات المدح، يقال: جلّ الشّيء، أي عظم، وأجللته، أي عظّمته والجلال: اسم من جلّ. (١٧: ١٦٥)

البَيْضاويّ: ذو الاستغناء المطلق والفضل العامّ. (٢: ٤٤٢)

النّيسابوريّ: معناه: ذو النّعمة والتّعظيم. (٢٧: ٦٦)

الخازن: أي ذو العظمة والكبرياء، ومعناه الّذي يجلّه الموحّدون عن التّشبيه بخلقه. (٧: ٥)

ابن كثير: أي هو أهل أن يُجَلّ فلايُعصى، وأن يُطاع فلايُخالَف، كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الكهف: ٢٨، وكقوله إخبارًا عن المتصدّقين: ﴿اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ﴾ الدّهر: ٩. (٦: ٤٩٠)

الشِّربينيّ: أي العظمة الّتي لاترام، وهو صفة ذاته الّتي تقتضي إجلاله، عن كلّ مالايليق به. (٤: ١٦٥)

الكاشانيّ: ذو الاستغناء المطلَق والفضل العامّ؛ وذلك لأنّك إذا استقريت جهات الموجودات وتصفّحت

وجوهها، وجدتها بأسرها فانية في حدّ ذاتها إلّا وجه الله، أي الوجه الّذي يلي جهته. (٥: ١١٠)

أبوالسُّعود: أي ذو الاستغناء المطلق والفضل التّامّ، وقيل: الّذي عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه من عظائم صفاته تعالى. [إلى أن قال:]

في وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى، يفيض عليهم بعد فنائهم أيضًا آثار لطفه وكرمه، حسبما يُنبئ عنه قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنّ إحياءهم بالحياة الأبديّة وإثابتهم بالنّعيم المقيم أجلّ النّعماء وأعظم الآلاء. (٦: ١٧٨)

نحوه البُرُوسَويّ. (٩: ٢٩٨)

الآلوسيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

وفسّر بعض المحقّقين (الْجَلَالِ) بالاستغناء المطلق، (وَالْإِكْرَامِ) بالفضل التّامّ، وهذا ظاهر.

ووجه الأوّل بأنّ (الْجَلَالِ) العظمة، وهي تقتضي ترفّعه تعالى عن الموجودات، ويستلزم أنّه سبحانه غنيّ عنها، ثمّ ألحق بالحقيقة، ولذا قال الجوهريّ: عظمة الشّيء: الاستغناء عن غيره، وكلّ محتاج حقير، وقال الكَرْمانيّ: إنّه تعالى له صفات عدميّة، مثل لاشريك له، وتسمّى صفات الجلال لما أنّها تؤدّي بجلّ عن كذا جلّ عن كذا، وصفات وجوديّة كالحياة والعلم، وتسمّى صفات الإكرام، وفيه تأمّل.

والظّاهر أنّ (ذُو) صفة للوجه، ويتضمّن الوصف بما ذكر ـ على ماذكره البعض ـ الإشارة إلى أنّ فناء (مَنْ عَلَيْهَا) لايخلّ بشأنه عزّوجلّ، لأنّه الغنيّ المطلق. والإشارة إلى أنّه تعالى بعد فنائهم يفيض على الثّقلين من آثار كرمه مايفيض، وذلك يوم القيامة.

ووصف «الوجه» بما وُصف، يبعد كونه عبارة عن العمل الصّالح أو الجهة ـ على ماسمعت آنفًا ـ وكأنّ من يقول بذلك يقول: (ذُو) خبر مبتدإ محذوف، هو ضمير راجع إلى الرّبّ، وهو في الأصل صفة له، ثمّ قُطعت عن التّبعيّة، ويؤيّده قراءة أُبيّ، وعبد الله (ذي الجَلال) بالياء، على أنّه صفة تابعة للرّبّ.

وذكر الرّاغب أنّ هذا الوصف قد خصّ به عزّوجلّ، ولم يستعمل في غيره، فهو من أجلّ أوصافه سبحانه. (٢٧: ١٠٩)

القاسميّ: أي العظمة والعلوّ والكبرياء. (١٥: ٥٦٢٠)

الطّباطَبائيّ: في (الجَلَال) شيء من معنى الاعتلاء والتّرفّع المعنويّ على الغير، فيناسب من الصّفات مافيه شائبة الدّفع والمنع، كالعلوّ والتّعالي والعظمة والكبرياء والتّكبّر والإحاطة والعزّة والغلبة.

ويبقى للإكرام من المعنى مافيه نعت البهاء والحُسن الّذي يجذب الغير ويُولّهه، كالعلم والقدرة والحياة والرّحمة والجود والجمال والحسن ونحوها، وتسمّى: صفات الجمال، كما تسمّى القسم الأوّل: صفات الجلال، وتسمّى الأسماء أيضًا على حسب مافيها من صفات الجمال أو الجلال بأسماء الجمال أو الجلال.

فذوالجلال والإكرام: اسم من الأسماء الحسنى، جامع بمفهومه بين أسماء الجمال وأسماء الجلال جميعًا. (١٩: ١٠١)

مكارم الشّيرازيّ: أمّا (ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)

والّذي هو وصف لـ(الوجه)، فإنّه يشير إلى صفات الجمال والجلال لله سبحانه. لأنّ (ذُوالْـجَلَالِ) تُنبئنا عن الصّفات الّتي يكون الله أفضل وأجلّ منها (الصّفات السّلبيّة). وكلمة (الإِكْرَام) تشير إلى الصّفات الّتي تظهر حسن وقيمة الشّيء، وهي الصّفات الثّبوتيّة لله سبحانه، كعلمه وقدرته. (١٧: ٣٦٨)

٢ـ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

الرّحمن: ٧٨

الطُّوسيّ: وقوله: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ خفض، لأنّه بدل من قوله: (رَبِّكَ). ومعنى (الْجَلَال) العظمة (وَالْإِكْرَام) الإعظام بالإحسان والإنعام...

ومَن قرأ (ذُوالْـجَلَالِ) بالرّفع أراد أنّ اسم الله فيه البركة، وإذا قرئ بالخفض دلّ على أنّ اسم الله غير الله، لأنّه لو كان اسمه هو الله لجرى مجرى ذكر وجهه، ألاترى أنّه لمّا قال: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ورفعه، لأنّه أراد: الله تعالى، وهاهنا بخلافه. (٩: ٤٨٦)

البَغَويّ: قرأ أهل الشّام (ذُو الْـجَلَالِ) بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم إجراءً على الاسم. (٤: ٣٤٦)

المَيْبُديّ: [نحو البغويّ وأضاف:]

و(الْجَلَال) لايستعمل إلّا لله سبحانه وتعالى، (وَالْإِكْرَام) هو أن يكرم أولياءه، بالإنعام عليهم والإحسان إليهم. (٩: ٤٣٣)

الزّمَخْشَريّ: قُرئ (ذُوالْجَلَال) صفة للاسم.

(٤: ٥٠)

نحوه الكاشانيّ. (٥: ١١٧)

ابن الجَوْزيّ: وكان ابن عامر يقرأ (ذُوالْـجَلَالِ) وكذلك هي في مصاحف أهل الشّام، والباقون (ذِي الْجَلَالِ)، وكذلك هي في مصاحف أهل الحجاز والعراق، وهم متّفقون على الموضع الأوّل أنّه «ذو». (٨: ١٢٩)

الفَخْرالرّازيّ: القراءة المشهورة هاهنا (ذِي الْجَلَال) وفي قوله تعالى: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾ لأنّ الجلال للرّبّ، والاسم غير المسمّى.

وأمّا «وجه الرّبّ» فهو الرّبّ، فوُصف هناك «الوجه» ووصف هاهنا «الرّبّ» دون «الاسم». ولو قال: ويبقى الرّبّ، لتُوهّم أنّ الرّبّ إذا بقي ربًّا، فله في ذلك الزّمان مربوب، فإذا قال: «وجه» أنسى المربوب، فحصل القطع بالبقاء للحقّ، فوَصْف الوجه يفيد هذه الفائدة، والله أعلم. (٢٩: ١٢٨)

ابن عربيّ: أي الجلال في صورة الجمال، والجمال في صورة الجلال، اللّذان لايُحجَب أحدهما عن الآخر عند البقاء بعد الفناء للمحبوبين المحبّين، السّابقين إلى غاية الدّرجات، بخلاف (الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) المذكورين قبل، فإنّهما هناك يُحجَب أحدهما عن الآخر، لعدم تحقّق الفاني بالوجود الحقّانيّ، والرّجوع إلى تفاصيل الصّفات، شهودها في عين الجمع. (٢: ٥٨٣)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَلال، أي العظمة والعموم، ومنه: الجليل: العظيم، صفة من صفات الله جلّ جلاله. يقال: جلّ الشّيء يَجِلّ جلالًا وجلالةً، أي

عظُم، وهو جَلٌّ وجَليلٌ وجُلالٌ، وهي جليلةٌ وجُلالةٌ، وهم أجِلّةٌ وأجِلّاء.

ورجلٌ جليلٌ: خطيرٌ، وقومٌ جِلّةٌ: ذوو أخطار. وأجلّه: عظّمه، وتَجالّ الرّجل: تعاظم فهو مُتَجالٌّ، وتجالّت المرأة: تعاظمت فهي مُتجالّةٌ، يقال: فلانٌ يتجالّ عن ذلك، والتّجِلّة: الجلالة.

وجُلّ الشّيء وجُلالُه: مُعظمه، يقال: تَجاللتُ الشّيء تَجالًّا، وتَجلّلته تجلُّلًا، أي أخذتُ جُلاله، وتجلّل الدّراهم، أي خُذْ جُلالها.

والجليل: الثُّمام إذا عظُم وجَلّ، وذو الجَليل: وادٍ لبني تميم يُنبت الجَليل، أي الثُّمام، واحدته: جَليل، وجمعه: جَلائل.

وبعيرٌ جُلال: عظيم، وناقةٌ جُلالةٌ: ضخمة، وهذه ناقةٌ تُجلّ عن الكَلال، أي أجَلّ من أن تكلّ لصلابتها.

والجِلّ: نقيض الدِّقّ، يقال: ماله دِقٌّ ولاجِلٌّ، أي لادقيق ولاجَليل.

والجَليلة: نقيض الدّقيقة، يقال: ماله دقيقة ولاجليلة، أي ماله شاة ولاناقة، وأتيتُه فما أجلّني ولاأحشاني، أي لم يعطني جليلة ولاحاشية، والحاشية: الصّغيرة من الإبل، وماأجلّني ولاأدقّني، أي ماأعطاني كثيرًا ولاقليلًا.

وجَلّ الرّجل جلالًا: أسنّ واحتنك، فهو جليل وهم جِلّة، والأنثى: جليلة، يقال: وشيخةٌ جِلّة، أي مُسانّ، وجِلّة الإبل: مَسانّها، واحدتها: جليل، يقال: جلّت النّاقة، أي أسنّت.

والمَجَلّة: الصّحيفة فيها الحكمة، لعظم خطر العلم وجلالته.

وفعلتُ ذلك من جَلَل كذا وكذا، أي من عظمه في صدري، وفعلتُ ذاك من جُلّك وجَلَلِك وجلالك وتَجِلّتك وإجلالك، ومن أجل إجلالك، أي من عِظَمك في عيني.

والجَلَل: الأمر العظيم، والجمع: جُلَل، والجَلّاء: الخصلة العظيمة.

والمُجلِّل: السّحاب الّذي يُجلّل الأرض بالمطر، أي يعمّ، يقال: جلّل الشّيء تجليلًا، أي عمّ.

وجُلّ الدّابّة وجَلُّها: الّذي تُلبسه لتصان به، والجمع: جِلال وأجلال، لأنّه يستوعب ظهرها، وجِلال كلّ شيء: غطاؤه، نحو الحجلة وماأشبهها، وجلّل الفرس: ألبسه الجُلّ، والجُلّ: الكساء يُلبَس السّفينة.

والجَلّ: شراع السّفينة، وكأنّه كساؤها، بل هو لغة في الجُلّ، وهي لغة بني سعد.

والجِلّ من المتاع: القُطُف والأكسية والبُسُط، ونحو ذلك.

والجُلّة: وعاء يُتّخذ من الخُوص يوضع فيه التّمر يُكنَز فيها، والجمع: جِلال وجُلَل، وهو بمنزلة الغطاء له.

وتجلّل الفحل النّاقة والحِجرَ: علاها، وتجلّل فلان بعيره: علا ظهره، وهو عموم وتغطية.

٢ـ وجاءت بعض مشتقّات هذه المادّة من الأضداد في كلام العرب، نحو: الجَلَل، أي الشّيء العظيم والصّغير، يقال: هذا الأمر جَلَل في جنب هذا الأمر، أي صغير يسير. وجَلّ فلان في عيني، أي عظُم، واحتُقر وتهاون. وجلّت النّاقة: أسنّت، وجلّت الهاجن عن الولد: صغرت.

وجاء بعضها أيضًا ضدّ العظمة فحسب، أي بمعنى الصّغير والحقير والضّئيل، ومنه: الجِلّ والجُلّ: قصب الزّرع وسوقه إذا حُصِد عنه السّنبل.

والجَلّة والجِلّة: البعر، يقال: جَلّ البعر يَجُلّه جلًّا، أي جمعه والتقطه بيده، واجتلّ اجتلالًا، التقط الجِلّة للوَقود، وإنّ بني فلان وقودهم الجِلّة، وهم يتجلّون الجِلّة: يلتقطون البَعَر، وخرجت الإماء يجتلِلنَ: يلتقطنَ البَعر.

وإبلٌ جَلّالة: تأكل العَذِرة، والجَلّالة: البقرة الّتي تأكل الجِلّة والعَذِرة، يقال: جلّت الدّابّة الجِلّة واجتلّتها، أي التقطتها، فهي جالّة وجلّالة.

٣ـ كما استعملت في هذه المادّة لغات من «ج ل و»، كقولهم: استعمل فلان على الجالية والجالّة، والأصل فيها: «الجالة» بدون تشديد، أي استعمل على جزية أهل الذّمّة، لأنّهم جَلَوا عن أوطانهم.

وجَلّ الرّجل عن وطنه يَجُلّ ويَجِلّ جُلولًا: أجلى موطنه، وجَلّ القوم من البلد يَجُلّون جُلولًا: جلَوات وخرجوا إلى بلد آخر.

أمّا قولهم: أنت جَلَلتَ هذا على نفسك تَجُلّه، أي جَرَرْتَه وجَنَيْتَه، فهي لغة، والأصل فيها «الرّاء» أي من: جَرّ يَجُرّ.

٤ـ والجُلّ: الورد أبيضه وأحمره وأصفره، واحدته: جُلّة، وهو معرّب من الفارسيّة، وأصله فيها «گل»، أي الورد مطلقًا.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد مرّتين، وصفًا لله تعالى، في آيتين من سورة الرّحمان:

١ـ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرّحمن: ٢٦، ٢٧

٢ـ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرّحمن: ٧٨

يلاحظ أوّلًا: أنّ هناك خلافًا بينهم في معنى (الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) في الآيتين، فأكثرهم قالوا: (ذُوالْجَلَالِ) أي ذو العظمة والسّلطان، أو ذوالعظمة والكبرياء المستحقّ لصفات الكمال، أو الّذي يقال له: ما أجلّك وأكرمك! أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، أو الاستغناء المطلق، أو هو أهل أن يُجَلّ فلا يُعصى، وأن يُطاع فلا يُخالف؛ وعليه فـ(الْجَلَال) معنى ثبوتي.

وقال بعضهم: (الْجَلَال) التّنزيه، من قولهم: هو أجلّ من هذا، أو الّذي يجلّه الموحّدون عن التّشبيه بخلقه وعن أفعالهم. قال الفخر الرّازيّ: الجلال إشارة إلى كلّ صفة هي من باب النّفي، كقولنا: الله ليس بجسم. [إلى أن قال:]

والتّحقيق فيه أنّ (الجلال) هو بمعنى العظمة، غير أنّ العظمة أصلها في القوّة والجلال في الفعل، فهو عظيم لا يسعه عقل ضعيف... وهذا هو الحقّ عندنا؛ وعليه فصفات الجلال والجمال كلّها ثبوتيّة، تنفي كلّ نقص عنه وتُثبت كلّ كمال له.

قال الطّباطبائيّ: «في الجلال شيء من معنى الاعتلاء والتّرفّع المعنويّ على الغير، فيناسب من الصّفات ما فيه شائبة الدّفع والمنع كالعلوّ والتّعالي والعظمة والكبرياء والتّكبّر والإحاطة والعزّة والغلبة» وكأنّه أراد إرجاع الصّفات السّلبيّة إلى أنّ أصلها الصّفات الثّبوتيّة.

وماأحسن وأجمل قول ابن عربيّ: «أي الجلال في صورة الجمال، والجمال في صورة الجلال اللّذان لايُحجَب أحدهما عن الآخر عند البقاء بعد الفناء...» وهذا الوصف خاصّ بالله لايوصف به غيره، وهو أجلّ صفاته، كما نصّ عليه الرّاغب.

وأمّا (الإكْرَام) فلاحظه أكثرهم أنّه فِعْل الله، أي هو ذوإحسان إلى النّاس بالإنعام عليهم، وآخرون أنّه فعل النّاس بشأن الله، أي هو أهل أن يُكرم ويُجلَّل، ولايُجحَد ولايُكفَر به. والظّاهر أنّه فعل الله يستتبع فعل النّاس، كما أنّ الجلال صفة لذاته يستتبع إجلال النّاس له تعالى.

ثانيًا: في الآيتين قراءتان (ذُوالْجَلَال) و(ذِي الْجَلَالِ) فالقراءة المشهورة في (١) (ذُوالْجَلَالِ) وفي (٢) (ذِي الْجَلَالِ) ووجّهوا الرّفع في (١) بأنّ (ذُوالْجَلَالِ) صفة (وَجْهُ رَبِّكَ)، والخفض بأنّه صفة ربّك، وكذلك وجّهوا الرّفع في (٢) بأنّه صفة (اسْمُ رَبِّكَ)، والخفض فيه بأنّه صفة (رَبِّكَ) ويُرجّح الرّفع في (١) بأنّه المناسب لما قبلها: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إشارة إلى أنّ فناء من عليها لايُخلّ بشأنه عزّوجلّ، فإنّه ذوجلال وسُلطان على كلّ شيءٍ غيره، فلاينالُه فناء بل هو باقٍ يُفيض على الثّقلين من آثار كرمه وألوان نعمه، وبأنّ وجه الله هو الله ذو الجلال والإكرام.

ويُرجّح الخفض في (٢) بأنّ اسم الرّبّ غير الرّبّ، والرّبّ هو ذوالجلال والإكرام دون اسمه، وأيضًا: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ يحكي أنّ اسمه الّذي يُتبارَك به، ولايُتبارَك بالله الّذي هو ذوالجلال والإكرام. فيُرجّح من القراءتين في الآيتين مايناسب ماقبلها. قاله الفَخْرالرّازيّ وأضاف: ولو قال: «ويبقى الرّبّ، بدل (وَجْهُ رَبِّكَ) لتوهّم أنّ الرّبّ إذا بقي ربًّا فله في ذلك الزّمان مربوب، فإذا قال: (وَجْه) أنسى المربوب، فحصل القطع ببقاء الحقّ، فوَصْف (الوجه) يفيد هذه الفائدة، والله أعلم» لاحظ «و ج ه، و ر ب ب».

ثالثًا: قال الفَخْرالرّازيّ في (١): ﴿ذُوالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ «وصفان مرتّبان على أمرين سابقين: ـ أي في ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ـ فالجلال مرتّب على فناء الغير، والإكرام على بقائه تعالى فيبقى الفرد، وقد عزّ أن يحدّ أمره بفناء مَن عداه وماعداه، ويبقى وهو مُكرم قادر عالم فيُوجِد بعد فنائهم من يريد».

وقال الكاشانيّ، تعليلًا لبقاء وجهه وفناء غيره: «لأنّك إذا استقريت جهات الموجودات وتصفّحت وجوهها، وجدتها بأسرها فانية في حدّ ذاتها إلّا وجه الله، أي الوجه الّذي يلي جهته» وفي كلامها لطائف فتأمّل.

رابعًا: اختلفوا في سورة الرّحمان أنّها مكّيّة أو مدنيّة، ولكن سياقها كما اعترف به الطّباطَبائيّ ـ وكذلك محتواها الشّامل للمبدأ والمعاد ـ أقرب إلى المكّيّات، وعلى كلّ فـ(الْجَلَالِ) الوحيد من مادّتها في القرآن، وفي هذه السّورة بالذّات، الحاوية لألوان نعمائه في الدّنيا والآخرة، يبدو أنّه لغة إحدى المدينتين، وأنّه مبدأ نعمائه وإكرامه، ولهذا جُمع بين جلاله وإكرامه تقديمًا جلاله على إكرامه في الآيتين، رمزًا إلى أنّ جلاله الّذي هو من أعظم صفاته مبدأ كلّ أفعاله ونعمائه، وأنّ كلّها إحسان وإكرامٌ، وتفضّل وعطاء.



ج ل و ـ ي

٤ ألفاظ، ٥ مرّات: ٤ مكّيّة، ١ مدنيّة

في ٤ سور: ٣ مكّيّة، ١ مدنيّة

الجلاء ١: ـ ١	يُجَلّيها ١: ١	
جلّاها ١: ١	تجلّى ٢: ٢	

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جلا الصّيقل السّيف جِلاءً، ممدود، واجتلاء لنفسه. [ثمّ استشهد بشعر]

والماشطة تجلو العروس جَلْوَةً وجِلْوَةً، وقد جُلِيتْ على زوجها. واجتلاها زوجها، أي نظر إليها.

وأمر جَليّ: واضح، وتقول: أجْلِ لنا هذا الأمر، أي أوضِحْه، وماأقمتُ عندهم إلّا جَلاء يوم واحد، أي بياض يوم. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: جلا الله عنك المرض، أي كشفه، وجَلّيْت عن الزّمان وعن الشّيء، إذا كان مدفونًا فأظهرته، والله يجلّي السّاعة، أي يظهرها، والبازي يجلّي، إذا آنس الصّيد فرفع طَرْفَه ورأسه.

وتجلّيت الشّيء: نظرت إليه، قال الله عزّوجلّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ الأعراف: ١٤٣، أي ظهر وبانَ.

قال الحسَن: تجلّى، أي بدا للجبل نُور العَرْش.

والجلا، مقصور: الإثْمِد، لأنّه يجلو البصَر.

والجَبْهَة الجَلْواء: الواسعة الحسنة، والرّجل أجلَى.

والجلاء: أن يجلو قوم عن بلادهم، يقال: أجليناهم عن بلادهم فجَلَوا، أي تحوّلوا وتركوها.

والجالية: أهل الذّمّة الّذين تحوّلوا من أرض إلى أرض، والجميع: الجوالي.

وأجلى القوم عن الشّيء، أي أفرجوا عنه بعد ماكانوا مقبلين عليه، محدقين به.

وتقول: أجلو عنه وأجليت عنه الهمّ، أي فرّجته عنه. والانجلاء: الانكشاف عن الهموم.

وجَلا: اسم. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ١٧٩)

سيبَوَيه : في خطبة الحجّاج:

أنا ابن جلا وطلّاع الثّنايا

متى أضع العمامة تعرفوني

جلا فعل ماض، فكأنّه قال: ابن الّذي جلا، أي أوضح وكشف. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٧٤)

الكِسائيّ : السّماء جلواء، أي مُصحية.

(ابن فارِس ١: ٤٦٨)

فعلت ذاك من إجلاك وأجلاك، ومن جلالك، أي فعلته من جرّاك. (الأزهَريّ ١١: ١٨٨)

الفَرّاء : يقال: جلَوتُ العروس جِلْوَةً، وجلَوتُ السّيف جِلاءً. [ثمّ استشهد بشعر] (الحَرْبيّ ٥: ١١٨)

يقال: «أجلَيتُ عن بلاده، وجلاهم الجلاء فأجلَوا، والجلاء ممدود مفتوح. (الحَرْبيّ ٥: ١٢٨)

يقال: أجلَوا عن قتيل: انكشفوا عنه.

(الحَرْبيّ ٥: ١٢٩)

[الجالي] الواحد: مجَلٍّ، واشتقاقه من «الجلاء» وهو ابتداء الصّلَع إذا ذهب شعر رأسه إلى نصفه.

(الجَوهَريّ ٦: ٢٣٠٥)

أبوزَيْد : يقال: جلَوتُ بصري بالكُحْل جَلْوًا، وانجلى الفم انجلاءً، وجلَوت عنّي همّي جَلْوًا، إذا أذهبتَه. وأجلَيتُ العمامة عن رأسي، إذا رفعتها مع طيّها عن جبينك. (الأزهَريّ ١١: ١٨٦)

الأصمَعيّ : والجلا: انحسار الشّعر من مقدّم الرّأس، رجل أجلى وامرأة جَلْواء، وقد جلي يجْلى جلاً، مقصور. [ثمّ استشهد بشعر] (القاليّ ١: ٢٥١)

يقال: جلَوت العروس أجلوها جِلاءً ممدود، وجلاها زَوْجُها وصيفًا، إذا أعطاها، ويقال: ماجِلْوَتُها؟ قال كذا. (الحَرْبيّ ١: ١١٧)

يقال: جلَوتُ بصري بالكُحْل جَلْوًا، وجلَوْت السّيف جِلاءً ممدود. (الحَرْبيّ ١: ١١٨)

يقال: جلا من بلد إلى بلد جلاءً ممدود، وجَلَّ يجِلّ جُلُولًا في معنى واحد، إذا خرج من بلد إلى بلد. أجلَوا: انكشفوا. [ثمّ استشهد بشعر] (الحَرْبيّ ١: ١٢٨)

يقال: جلّا يُجَلّي تجلية، وهو الطّائر إذا نظر. [ثمّ استشهد بشعر] (الحَرْبيّ ١: ١٢٩)

اللّحيانيّ : جلَيت الفضّة: لغة في: جلَوْتها.

(ابن سيده ٧: ٥٠٧)

أبوعُبَيْد : في حديث أُمّ سلمة: «أنّها كانت تكره للحدّ[1] أن تكتحل بالجلاء»، هو عندنا الإثمِد، سمّي بذلك لأنّه يجلُو البصر فيقوّيه، أو يجلُو الوجه فيُحسِنه. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٣٦٦)

ابن الأعرابيّ : جلاه عن وطنه فجلا، أي طرّده فهَرب، وجلا أيضًا، إذا علا، وجلا، إذا اكتحل. والجلا مقصور، والجِلاء ممدود، والجِلا مقصور: الإثمِد. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ١٨٥)

يقال للسّيّد: ابن جَلا. (الهَرَويّ ١: ٣٨٨)

أبونصر الباهليّ : التّجَلّي: النّظر بالأشراف.

(الأزهَريّ ١١: ١٨٧)

الدِّينَوريّ : جلا النّحل يجلُوها جلاءً: دخَن عليها لاشتيار العسل. (ابن سيده ٧: ٥٤٨)

المُبرِّد : قوله [ثعلب في الشّعر]: كالصّقر جلّى:

---

(١) كذا، ويأتي عن المدينيّ: المُحِدّ.

تأويل التّجلّي أن يكون يُحِسّ شيئًا فيتشوّف إليه، فهذا معنى «جلّى».

قال العجّاج: «تجلّي البازي إذا البازي كسره» أي نظر. ويقال: تجلّى فلان فلانة تجلّيًا، واجتلاها اجتلاءً، أي نظر إليها وتأمّلها، والأصل واحد. (١: ٢٠٠)

والعرب تقول: جَلِح الرّجل يَجْلَح جَلَحًا، وجَلِه يَجْلَه جَلَهًا، وجَلِي يَجلَى جلًى، والمعنى واحد. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١١٢)

القاليّ: يقال: هو ابن جلا، أي المنكشف المشهور الأمر. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٥١)

الأزهَريّ: يقال: جلا القوم عن أوطانهم يَجلُون، وأجلَوا يُجلُون، وجَلّوا يُجلُّون، إذا خرجوا من بلد إلى بلد، ومنه يقال: استُعمل فلان على الجالية، والجالّة، لغتان.

والجلاء، ممدود: مصدر جلا عن وطنه، ويقال: أجلاهم السّلطان فأجلَوا وجلَوا، أي أخرجهم فخرجوا.

وقيل لأهل الذّمّة: الجالية، لأنّ عمر بن الخطّاب أجلاهم عن جزيرة العرب ـ لما تقدّم من أمر النّبيّ ﷺ فيهم ـ فسمّوا جالية. ولزمهم هذا الاسم أين حَلّوا، ثمّ لزم كلّ من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكلّ بلد، وإن لم يجلَوا عن أوطانهم. [إلى أن قال:]

وقد جَلِي يَجلَي جَلًى، فهو أجلى.

وانجلى الظّلام انجلاءً، إذا انكشف.

ويقال للرّجل إذا كان عالي الشّرف، لا يُخفي مكانه: هو ابن جلا. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: تجلّى فلان مكان كذا، إذا علاه، والأصل: تجلّله. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: أخبِرني عن جليّة الأمر، أي حقيقته. [ثمّ استشهد بشعر] (١١: ١٨٦)

الصّاحِب: جلا الصّيقل السّيف جِلاءً، واجتلاه لنفسه. وسيف جليّ، أي مجلوّ.

وجلَيتُ الفضّة وجلَوتُها.

والماشطة تَجلُوا العروس جِلوةً وجُلْوةً، وجُليَتِ العروس إلى زوجها، وجلَوتُها فهي مَجلُوّة، واجتلَيتُها.

والجِلي بوزن «الخِزي»: الكوّة من السّطح لاغير، وسمّيت بذلك، لأنّه يُجتلى منها إلى خارجها، أي يُنظَر إليه، يقال: اجتلَيتُه ونظَرتُ إليه.

وجلأت الرّجل: صَرَعته، وجلأ به الأرض، أي رمى به.

وأمر جَليّ: واضح، واجْلِ الأمر، أي أوضِحه.

والجَلاء: البيان والأمر الواضح، والجَلاء: الأمر البيّن.

وجلّى الله عنه المرض.

وجلّيتُ عن الزّمان والشّيء، إذا كان مدفونًا فأظهَرته.

وتجلّيتُ الشّيء: نظَرت إليه، والبازي يُجَلّي تجلية.

وجاء فلان بغير جليّة، أي بغير يقين. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلا الغيمُ والشّرّ، إذا تكشّف وانجلى.

والجَلا مقصور: الإثمِد؛ سمّي به لأنّه يَجلُو البصر.

وجَبْهَة جَلْواء، وهي الواسعة الحسَنة.

ورجل أجْلى وقد جَلِي يَجلَى، وهو ذَهاب شعر مقدّم الرّأس.

والمجالي: مقاديم الرّأس، الواحد: مَجْلًى.

وابن جَلا: المشهور المعروف، وقيل: هو ابن جَلا اللّيثيّ، وكان صاحب فَتْك.

وكاشَفْتُ الرّجل وجالَيْتُه: بمعنًى.

والجَلاء ممدود: أن يَجْلُو قوم عن بلادهم، أي يتحوّلون عنها ويدَعُونها، يقال: أجلَيْناهم عن بلادهم فجَلَوا وأجلَوا، أي تنحّوا.

والجالية: هم أهل الذّمّة، والجميع: الجوالي.

وجلّى الرّجل عن بلده.

واستُعمل فلان على الجالّة والجالية.

ويقال للقوم إذا كانوا مُقبلين على شيء محدقين به ثمّ أفرِجُوا عنه، قيل: أجلَوا عنه.

وأجلَيْتُ عنه الهمّ، إذا فرّجتَ عنه.

وأجلَوا عن قتيل، بالألف لاغير.

وإذا عنَيتَ الانكشاف قُلتَ: انجلَتْ عنه الهموم، كما تنجلي الظّلمة. (٧: ١٧٨)

الخطّابيّ: في نعت عليّ: «أنّه كان أجلَح» وهو الّذي انحسر الشّعر عن مقدّم رأسه. فأمّا الأجلى فهو الّذي انحسر الشّعر عن مقدّم رأسه حتّى يتّصل بالصّلعة. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي نعت المهديّ: أنّه أجلى الجَبْهَة. (٢: ١٩١)

الجَوهَريّ: الجليّ: نقيض الخفيّ، والجليّة: الخبر اليقين.

والجالية: الّذين جلَوا عن أوطانهم، يقال: استُعمل فلان على الجالية، أي على جِزْية أهل الذّمّة. والجالّة أيضًا مثل الجالية.

والجلاء بالفتح والمدّ: الأمر الجليّ، تقول منه: جَلا لي الخبر، أي وضح. [ثمّ استشهد بشعر]

والجلاء أيضًا: الخروج من البلد، وقد جلَوا عن أوطانهم، وجلَوتُهم أنا، يتعدّى ولايتعدّى. ويقال أيضًا: أجلَوا عن البلد، وأجلَيْتُهم أنا، كلاهما بالألف. وأجلَوا عن القتيل لاغير، أي انفرجوا عنه.

وجلَوتُ، أي أوضحت وكشفت.

وجلا: اسم رجل، سمّي بالفعل الماضي. [ثمّ استشهد بشعر]

وجلَوتُ بصري بالكُحْل. وجَلوتُ همّي عنّي، أي أذهبته.

وجلَوتُ السّيف جِلاء بالكسر، أي صقَلتُ.

وجلَوتُ العروس جلاء أيضًا، عن أبي نصر، وجِلْوَةً، واجتلَيْتُها بمعنًى، إذا نظرت إليها مجلُوّة.

والجِلاءُ أيضًا: كُحْل. [ثمّ استشهد بشعر]

وجلاها زوجها وصيفًا، أي أعطاها، يقال: ماجِلْوَتها بالكسر؟ فيقال: كذا وكذا.

ويقال: ماجِلاءُ فلان؟ أي بأيّ شيء يخاطَب من الأسماء والألقاب فيُعظَّم به.

واجتلَيْتُ العمامة عن رأسي، إذا رفعتَها مع طيّها عن جبينك.

والجلاء: انحسار الشّعر عن مقدّم الرّأس، مثل الجلَه، يقال منه: رجل أجلى بيّن الجلا.

والمَجالي: مَقادم الرّأس، وهي مواضع الصّلَع.

وجلّى ببصره تجليةً، إذا رمى به، كما ينظر الصّقر إلى الصّيد. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال أيضًا: جلّى الشّي ، أي كشفه ، وهو يُجَلّي عن نفسه ، أي يُعبّر عن ضميره . وانجلى عنه الهمّ ، أي انكشف . وتجلّى الشّيء ، أي تكشّف.

وتجالينا، أي انكشفت حال كلّ واحد منّا لصاحبه.

وجَلْوى: اسم فرس خُفاف بن نَدْبة. (٦: ٣٠٣٢)

نحوه الرّازيّ. (١٢٤)

ابن فارِس : الجيم واللّام والحرف المعتلّ أصل واحد، وقياس مطّرد، وهو انكشاف الشّيء وبروزه، يقال: جلَوت العروس جَلْوَةً وجَلاءً، وجَلَوْتُ السّيف جَلاء. [ثمّ ذكر بعض الأقوال المتقدّمة] (١: ٤٦٨)

الهَرَويّ: في الحديث: «إنّكم تُبايعون محمّدًا على أن تُحاربوا العرب والعجم مُجْلية» أي حربًا مُخرِجةً عن الدّار والمال.

والعرب تقول: اختاروا، فإمّا حرب مُجلِيةٌ وإمّا سلم مُخْزِية، أي إمّا حرب ودمارٌ وخروج عن الدّار، وإمّا صُلح وقرار على صَغار. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣٨٧)

نحوه الزّمَخْشَريّ. (الفائق ١: ٢٢٥)

ابن سيده: جلا القوم عن الموضع، ومنه، جَلْوًا وجَلاءً، وأجلَوا.

وفرّق أبوزَيْد بينهما، فقال: جلَوا من الخوف، وأجلَوا من الجَدْب.

وأجلاهم هو، وجَلاهم، لغة، وكذلك: اجتلاهم. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلْوَة النّحل: طردُها بالدّخان.

وجَلا الأمر، وجَلّاه، وجلّى عنه: كشَفه وأظهره؛ وقد انجلى، وتجلّى. وأمر جليّ: واضح.

وجَلا السّيف والمرآة ونحوهما، جَلْوًا، وجِلاءً: صقلهما.

وجَلا عينه بالكُحْل جَلْوًا وجِلاء. والجِلا: الكُحْل، لأنّه يَجْلُو العين. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلا العروس على بعلها جَلْوَةً، وجِلْوَةً، وجُلْوَةً، وجِلاءً، واجتلاها، وجَلّاها.

وجَلّاها زوجها وصيفةً: أعطاها إيّاها في ذلك الوقت.

وجِلْوتها: ما أعطاها، وقيل: هو ما أعطاها من غُرّة أو دراهم.

واجتلى الشّيء: نظر إليه، وجَلّى ببصره: رمى، وجَلّى البازي تَجْليًا، وتَجْلِيةً: رفع رأسه ثمّ نظر. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَبْهَة جَلْواء: واسعة، والسّماء جَلْواء: مُصْحية، وليلة جَلْواء: مُصْحِية مضيئة.

والجَلا: انحسار مقدّم الشّعَر، وقيل: هو دون الصّلَع، وقيل: هو أن يبلغ انحسار الشّعَر نصف الرّأس. وقد جَلِيَ جَلًا، وهو أجلَى.

وقيل: الأجلى: الحسَن الوجه الأنزع.

وابن جَلا: الواضح الأمر. وابن جَلا اللّيثيّ، سمّي بذلك لوضوح أمره، وابن أجلى: كابن جَلا. [ثمّ استشهد بشعرين]

وماأقَمْتُ عنده إلّا جَلاء يوم، أي بياضه.

وجلى الله عنك، أي كشَف، يقال ذلك للمريض.

وأجلى يعدو: أسرع بعض الإسراع.

وأجلى: موضع بين فَلْجَة ومطلع الشّمس، فيه هُضَيْباتٌ حُمْر، وهي تُنبت النّصيّ والصِّلّيان.

وجَلْوَى، مقصور: قرية. وجَلْوَى: فرس خُفاف بن نَدْبَة. [ثمّ استشهد بشعر]

وجَلْوَى، أيضًا: فرس قِرْواش بن عوف، وجَلْوى، أيضًا: فرس لبني عامر. (٧: ٥٤٨)

الطُّوسيّ: والجلاء: الانتقال عن الدّيار والأوطان للبلاء. وقيل: هو الفرار عن الأوطان، يقال: جَلا القوم عن منازلهم جَلاءً، وأجليتهم إجلاءً. (٩: ٥٦٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٢٥٦)

الرّاغِب: أصل الجَلْو: الكشف الظّاهر، يقال: أجلَيتُ القوم عن منازلهم فجَلَوْا عنها، أي أبرزتُهم عنها، ويقال: جلاه. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال الله عزّوجلّ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ الحشر: ٣، ومنه جلا لي خبرٌ، وخَبَرٌ جليّ، وقياسٌ جليّ، ولم يُسمَع فيه «جالٍ».

وجلَوْتُ العروس جَلْوَةً، وجَلَوْتُ السّيف جِلاءً.

والسّماء جَلْواء، أي مُصْحِيَة.

ورجل أجلى: انكشف بعض رأسه عن الشّعَر.

والتّجلّي قد يكون بالذّات، نحو: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ اللّيل: ٢، وقد يكون بالأمر والفعل، نحو: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ الأعراف: ١٤٣.

وقيل: فلان ابن جلا، أي مشهور.

وأجلَوا عن قتيل إجلاءً. (٩٦)

نحوه الفيروزاباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٨٩)

الزّمَخْشَريّ: جُلِيَتْ فلانة على زوجها أحسنَ جِلْوَة فاجتلاها وتجلّاها.

وأعطى العروس جِلْوتها وجَلْوتها، وهي ما يعطيها عند الزّفاف. ويقال: ماجِلْوتك؟ فتقول: وصيف، ونَظرتُ إلى مجاليها.

وجَلا الصّيقل السّيف والمرآة جِلاءً، ومرآة مَجْلُوّة، وسبق عند الجلاء، وهذا دواء يجلو البصر.

وجَلا لي الشّيء وانجلى وتجلّى، وجلّاه لي فلان.

وجلَوا عن بلادهم جَلاءً، ووقع عليهم الجَلاء، وأجلَيْناهم عنها وجَلَوْناهم.

ويقال للقوم إذا كانوا مقبلين على شيء محدقين به ثمّ انكشفوا عنه: قد أفرجوا عنه وأجلَوا عنه؛ يقال: أجلَوا عن قتيل. ورجل أجلى الجبين وبه جَلًا.

ومن المجاز: هو ابن جَلا: للرّجل المشهور، أي ابن رجل قد وضح أمره وشُهِر.

وماجلاؤك؟ أي ما اسمك؟

وماأقمتُ عنده إلّا جَلاء يوم واحد، أي بياضه.

وانجلت عنه الهموم، وقد أجلَوا الهموم بكذا، وجَلا الله عنك المرض.

وهذا أمر جليّ، غير خفيّ، وأخبِرْني عن جليّة الأمر، وهي ماظهَر من حقيقته. (أساس البلاغة: ٦٣)

ذكر المهديّ من وُلد الحسن رضي الله عنهما، فقال: رجل أجلى الجبين، أقنى الأنف، ضَخْم البطن، أزيَلُ الفَخِذين، أفلَج الثّنايا، بفَخِذه اليمنى شامة.

الجلا: ذهاب شعر الرّأس إلى نصفه، والجلَح: دونه، والجلَه: فوقه. (الفائق ١: ٢٣٠)

أبو الدّرداء رضي الله عنه: «إنّ القلب يَدْثُر كما يَدْثر السّيف، فجِلاؤه ذكر الله»

الجِلاء: مصدر كالصِّقال، ويحتمل أن يراد مايُجلى به.

(الفائق ١: ٤١١)

الطَّبْرِسيّ: التَّجلّي: الظّهور، ويكون تارة بالظّهور، وتارة بالدّلالة. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٤٧٤)

المَدينيّ: في حديث ابن سيرين: «أنّه كره أن يُجَلّي الرّجل امرأته شيئًا ثمّ لايفي به». يقال: جلّى الرّجل امرأته وصيفًا: أعطاها إيّاه، ويقال: ماجلَوتها؟ أي ماأعطيتها عند جَلْوَتها، وماتُعطى جِلْوَةً أيضًا.

في صفة المهديّ: «أجلى الجَبْهة» الأجلى والأجلَح والأجلَه: الخفيف مابين النّزعتين، وجَبْهة جَلْواء: واسعة حسنة وهو البيان.

وقيل: الجَلاء: ذَهاب الشَّعر إلى نصفه، والجَلَح دُونه، والجَلَه فوقه.

وفي حديث أمّ سلمة: «كرِهَتْ للمُحِدّ أن تكتحل بالجِلاء» وهو الإثمِد، لأنّه يَجلُو البصر.

وقال الجَبّان: الجلاء، بالمدّ والقصر: ضرب من الكُحْل، وذكره بفتح الجيم، قال: وقيل: هو الحُلاء بالحاء.

في حديث أبي شجرة، عن عبد الله بن عمر مرفوعًا: «إنّ ربّي عزّوجلّ، قد رفع لي الدّنيا، وأنا أنظر إليها جِلّيانًا من الله عزّوجلّ» بتشديد اللّام، أي إظهارًا وكشفًا، وعلى وزنه: الصِّلّيان «فِعِلّيان» من الجَلاء أيضًا.

(١: ٣٤٤)

ابن الأثير: في حديث كعب بن مالك: فجلا رسول الله ﷺ للنّاس أمرهم ليتأهّبوا» أي كشف وأوضح.

ومنه حديث الكسوف: «حتّى تجلّت الشّمس» أي انكشفت وخرجت من الكسوف، يقال: تجلّت وانجلت، وقد تكرّر في الحديث. [إلى أن قال:]

ومنه حديث الحوض: «يرد عليّ رهط من أصحابي فيُجلَون عن الحوض» هكذا روي في بعض الطّرق، أي يُنفَون ويُطرَدون. والرّواية بالحاء المهملة والهمز.

وفي حديث الكسوف: «فقمت حتّى تجلّاني الغَشْي» أي غطّاني وغشّاني. وأصله: تجلّلني، فأُبدلت إحدى اللّامات ألِفًا، مثل تظنّى وتمطّى في تظنّن وتمطّط.

ويجوز أن يكون معنى «تجلّاني الغَشْي» ذهب بقوّتي وصبري، من الجَلاء، أو ظهر بي وبانَ عليّ. (١: ٢٩٠)

الفَيُّوميّ: جلَوتُ العروس جِلْوَةً ـ بالكسر، والفتح لغة ـ وجِلاءً مثل كتاب، واجتلَيتُها مثله.

وجلَوتُ السّيف ونحوه: كشَفْتُ صدأه جِلاءً أيضًا.

وجلا الخبر للنّاس جَلاءً بالفتح والمدّ: وضح وانكشف، فهو جليّ. وجلَوتُه: أوضحتُه، يتعدّى ولايتعدّى.

وجلَوتُ عن البلد جَلاءً بالفتح والمدّ أيضًا: خرَجْتُ، وأجلَيت مثله.

ويستعمل الثّلاثيّ والرّباعيّ متعدّيين أيضًا، فيقال: جلَوتُه وأجلَيتُه. والفاعل من الثّلاثيّ: جال، مثل قاض، والجماعة: جالية.

ومنه قيل لأهل الذّمّة الّذين أجلاهم عمر رضي الله عنه عن جزيرة العرب: جالية، ثمّ نُقلت الجالية إلى الجزْية الّتي أُخذت منهم، ثمّ استُعملت في كلّ جِزْية تُؤخذ، وإن[1] لم يكن صاحبها جَلا عن وطنه، فيقال:

---

(١) هذا هو الصّحيح، وفي الأصل: وإن يكن.

استعمل فلان على الجالية، والجمع: الجوالي.

وأجلى القوم عن القتيل: تفرّقوا عنه، بالألف لاغير، قاله ابن فارس. وقال الفارابيّ أيضًا: «أجلَوا عن القتيل: انفرجوا».

وأجلَوا منزلهم، إذا تركوه من خوف، يتعدّى بنفسه، فإن كان لغير خوف تعدّى بالحرف، وقيل: أجلَوا عن منزلهم.

وتجلّى الشّيء: انكشف. (١ : ١٠٦)

الفيروزاباديّ: جلا القوم عن الموضع ومنه جَلْوًا وجَلاءً، وأجلَوا: تفرّقوا، أو جلا من الخوف وأجلى من الجَدْب، وجلاه الجَدْب وأجلاه واجتلاه.

وجلا النّحل جَلاءً: دخّن عليها ليشتار العسل.

والسّيف والمرآة جَلْوًا وجِلاءً: صقلها، والهمّ عنه: أذهبه، وفلانًا الأمر: كشفه عنه كجلّاه، وجلّى عنه، وقد انجلى وتجلّى، وبثوبه: رمى به.

وجَلا: علا، والعروس على بعلها جَلْوَةً ويُثلّث، وجِلاءً ككتاب، واجتلاها: عرضها عليه مجلوّةً، وجلاها وجلّاها زوجُها وصيفةً أو غيرها: أعطاها إيّاها في ذلك الوقت، وجِلْوتُها بالكسر: ماأعطاها.

واجتلاه: نظر إليه.

والجَلاء كسماء: الأمر الجليّ. وأقَمْتَ جلاء يوم: بياضه، وبالكسر: الكُحْل أو كُحْل خاصّ.

وجلّى ببصره تجلية: رمى، والبازي تجلية وتجلّيًا: رفع رأسه ثمّ نظر.

والجَلا مقصورةً: انحسار مقدّم الشّعر أو نصف الرّأس أو هو دون الصّلَع، جَلِي كرضيَ جَلًا، والنّعت أجلى وجَلْواءُ.

وجَبْهة جَلْواء: واسعة، وسماء جَلْواء: مُصْحِيَة.

والأجلى: الحسن الوجه الأنزع، وابن الجَلاء: الواضح الأمر كابن أجلى، ورجل معروف.

وأجلى يَعْدُو: أسرع، وموضع.

وجَلْوى كسَكْرى: قرية وأفراس.

والجليّ كغنيّ: الواضح.

وفعَلتُه من أجلاك ويُكسَر، أي من أجلك.

والجالية: أهل الذّمّة، لأنّ عمر رضي الله تعالى عنه أجلاهم عن جزيرة العرب.

وماجِلاؤه بالكسر، أي بماذا يخاطب من الألقاب الحسنة.

واجلَوّلى: خرج من بلد إلى بلد، ومحمّد بن جَلْوان، وجَلْوان بن سمرة ويكسر محدّثان، وابن الجلّا مشدّدة مقصورةً من كبار الصّوفيّة.

الجِلْي كمِذْي: الكوّة من السّطح لاغير.

وجلَيتُ الفضّة: جلَوتُها، والله يجلّي السّاعة: يُظهرها.

وتجلّى كذا: علاه، والشّيء: نظر إليه.

والمُجَلّي: السّابق في الحَلْبة. (٤ : ٣١٤)

مَجْمَعُ اللُّغَة: جلا القوم عن المكان «سمايسمُو»: خرجوا عنه إلى غيره، والمصدر: الجلاء، بمعنى الخروج.

وجلا الأمر يجلوه، وجلّاه يجلّيه تجلية: كشفه وأظهره.

وتجلّى الشّيء: تكشّف وبانَ وظهر. (١ : ٢٠٣)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١ : ١١٠)

العَدْنانيّ: يجلُو المرآة والفضّة والسّيف ونحوها

ويَجليها ويخطّئون من يقول: فلان يَجْلي المرآة والفضّة والسّيف ونحوها، أي يكشف صدأها ويصقلها.

ويقولون: إنّ الصّواب هو: يَجلُوها ابن السّكّيت في «إصلاح المنطق» والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، وتذكرة عليّ» ولكن:

يُجيزُ الفِعلَيْن «يَجْلُوها وَيَجْليها» كِلَيْهما: القاموسُ، والتّاجُ، والمدّ، ومحيطُ المحيطِ، وأقرب الموارد، والمتنُ، والوسيطُ.

أمّا فعلها فهو:

١ـ جَلاها يَجلُوها جَلْوًا وجِلاءً، فهي: مَجْلُوّة.

٢ـ جَلى المرآة ونحوها يَجلْيها جَلْيًا وجِلاءً، فهي: مَجْليّة.

ويُخطّئ محيط المحيط ومتن اللّغة بفتحها الجيم في المصدر: جَلاء، والصّواب كسرها: جِلاء.

جَلا العَدُوّ أو (جَلا الجيش العدوّ) عن المدينة، أجلَى العَدوّ أو (أجلَى الجيش العدوّ) عن المدينة.

ويخطّئون من يقول: أجلَى العدوّ عن المدينة، ويقولون: إنّ الصّواب هو: جَلا العدوّ عن المدينة، لأنّ الفعل أجلى متعدّ؛ إذ جاء في:

أـ معجم مقاييس اللّغة: أجلَيتُهم أنا إجْلاءً.

ب ـ وفي مفردات الرّاغِب الأصفهانيّ: أجلَيتُ القوم عن منازلهم.

ج ـ وفي الأساس: ١ـ أجلَيْناهم عن بلادهم.

٢ـ أجلَوا الهموم بكذا (مجاز).

ولكن:

أجاز استعمال الفعلين: جلا وأجلَى لازمين، أي جَلا العدوّ عن المدينة، وأجلَى عنها، كلّ من أبي زيد الأنصاريّ، وأدب الكاتب، والصّحاح، والنّهاية، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

وممّا قاله أبوزيد: يقال: جَلا من الخوف، وأجلَى من الجَدْب.

واكتفى ابن السّكّيت، في «تهذيب الألفاظ» بقوله: أجلَى: انكشف.

والفعلان «جَلا، وأجلَى» يأتيان متعدّيين أيضًا، كما تقول المعجمات:

أـ جَلا جيشنا الأعداء عن المدينة.

ب ـ أجلَى جيشنا الأعداء عن المدينة.

انجَلى عنّا الهمّ، تجلّى عنّا الهمّ.

ويخطّئون من يقول: انجلَى عنّا الهمّ: انكشف، معتمدين على أنّ معجم مقاييس اللّغة. ومفردات الرّاغِب الأصفهانيّ، والمصباح أهملوا ذكر الفعل «انجَلى».

ولكن:

ذكَر جملة: انجَلى عنه الهمّ، كلّ من الصّحاح، والأساس، والمختار، واللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

وتقول المعجمات: إنّ جملة: تجلّى عنّا الهمّ، تحمل معنى جملة: انجلَى عنّا الهمّ، أو جَلا عنّا الهمّ. (١٢٥)

المُصْطَفَويّ: الحقيقة في هذه المادّة: هي الانكشاف، وهو نقيض الخفاء، كما أنّ الظّهور خلاف البطون.

ثمّ إنّ إطلاق الانكشاف في مورد رفع السّتر والمانع، يقال: كشف الضّرّ والسّوء، وانكشف الرّجز والعذاب. فتعلّق «انكشف» هو المانع والسّتر، وهذا بخلاف «الجلاء» فتعلّقه نفس الجلوّ. فتفسيره بالانكشاف أو الظّهور أو بنظيرهما من باب ضيق في اللّفظ. (٢: ١٠٩)

النّصوص التّفسيريّة

الجلاء

وَلَوْلَا اَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ. الحشر: ٣

ابن عبّاس: (الْجَلَاءَ) (الجلا): الخروج من المدينة إلى الشّام. (٤٦٣)

و(الجلاء): إخراجهم من أرضهم إلى أرض أُخرى. (الطّبريّ ٢٨: ٣١)

كان رسول الله ﷺ قد حاصرهم حتّى بلغ منهم كلّ مبلغ فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، ويُسيرهم إلى أذرعات الشّام، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيرًا وسقاء. (الطّبريّ ٢٨: ٣٢)

نحوه الضّحّاك.

قتادة: خروج النّاس من البلد إلى البلد. (الطّبريّ ٢٨: ٣١)

زيد بن عليّ عليه السلام: معناه الخروج من أرض إلى أرض وهو الحشر، ويقال: القتل. (٤١٢)

الزّهريّ: كان النّضير من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذّبهم في الدّنيا بالقتل والسّبي. (الطّبريّ ٢٨: ٣١)

نحوه الميبديّ. (١٠: ٣٥)

أبو يعلى: فقد دلّت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم، من غير سبي، ولا استرقاق، ولا جزية، ولا دخول في ذمّة. [ثمّ أدام الكلام في نسخه وشرائطه] (ابن الجوزيّ ٨: ٢٠٦)

الطّبريّ: ﴿وَلَوْلَا اَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ من أرضهم وديارهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسّبي، ولكنّه رفع العذاب عنهم في الدّنيا بالقتل، جعل عذابهم في الدّنيا الجلاء ﴿وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ مع ما حلّ بهم من الخزي في الدّنيا بالجلاء عن أرضهم ودورهم. (٢٨: ٣١)

الماورديّ: فيه وجهان:

أحدهما: يعني بـ(الجلاء): الفناء ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالسّبي.

والثّاني: يعني بـ(الجلاء): الإخراج عن منازلهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني بالقتل، قاله عروة. (٥: ٥٠١)

الطّوسيّ: معناه لولا أنّ الله كتب في اللّوح المحفوظ بما سبق في علمه، أنّهم يجلون عن ديارهم، يعني اليهود. ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بعذاب الاستئصال. (٩: ٥٦٠)

نحوه الطّبرسيّ. (٥: ٢٥٨)

الواحديّ: قضى عليهم أنّهم يخرجون من أوطانهم إلى الشّام وخيبر. (٤: ٢٧٠)

البغويّ: الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسّبي، كما فعل ببني قريظة. (٥: ٥٣)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٤٦٤)، والنّسفيّ (٤: ٢٣٩)، والخازن (٧: ٤٩)، وأبوالسُّعود (٦: ٢٢٥)، والكاشانيّ (٥: ١٥٤)، وشُبّر (٦: ١٨٤)، والقاسميّ (١٦: ٥٧٥)

الزّمَخْشَريّ: فلولا أنّه كتب عليهم الجَلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنّه أشقّ عليهم من الموت. ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل، كما فعل بإخوانهم بني قريظة. (٤: ٨١)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٨: ٢٠٦)

ابن عَطيّة: أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّه كتب على بني إسرائيل جَلاءً، وكانت بنو النّضير ممّن حلّ بالحجاز بعد موت موسى عليه السلام بيسير، لأنّهم كانوا من الجيش الّذي رجع، وقد عصوا في أن لم يقتلوا الغلام ابن مَلك العماليق لجماله وعقله، وقد كان موسى عليه السلام قال لهم: لاتستحيوا أحدًا. فلمّا رجع ذلك الجيش إلى بني إسرائيل بالشّام وجدوا موسى ميّتًا، وقال لهم بنو إسرائيل: أنتم عصاة، والله لاتدخلتم علينا بلادنا، فقال أهل ذلك الجيش عند ذلك: ليس لنا أحبّ من البلاد الّتي غلبنا أهلها. فانصرفوا إلى الحجاز فكانوا فيه، فلم يجر عليهم الجَلاء الّذي أجراه بُختنَصّر على أهل الشّام. وقد كان الله تعالى كتب في الأزل على بني إسرائيل جَلاء، فنالهم هذا الجلاء على يدي محمّد صلّى الله عليه وآله، ولولا ذلك (لَعَذَّبَهُمْ) الله (فِي الدُّنْيَا) بالسّيف والقتل، كأهل بدر وغيرهم. (٥: ٢٨٤)

نحوه أبوحَيّان. (٨: ٢٤٣)

الفَخْرالرّازيّ: معنى (الجَلاء) في اللّغة: الخروج من الوطن والتّحوّل عنه.

فإن قيل: إنّ (لَوْلَا) تفيد انتفاء الشّيء لثبوت غيره، فيلزم من ثبوت الجلاء عدم التّعذيب في الدّنيا، لكنّ الجلاء نوع من أنواع التّعذيب، فإذًا يلزم من ثبوت الجلاء عدمه وهو محال.

قلنا: معناه ولولا أن كتب الله عليهم الجَلاء لعذّبهم في الدّنيا بالقتل، كما فعل بإخوانهم بني قريظة. وأمّا قوله: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ فهو كلام مبتدأ وغير معطوف على ماقبله، إذ لو كان معطوفًا على ماقبله، لزم أن لايوجد، لما بيّنّا أنّ (لَوْلَا) تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشّرط. (٢٩: ٢٨٢)

القُرطُبيّ: أي لولا أنّه قضى أنّه سيجليهم عن دارهم، وأنّهم يبقون مدّة فيؤمن بعضهم ويولد لهم من يؤمن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي بالقتل والسّبي، كما فعل ببني قريظة. (١٨: ٥)

نحوه النّيسابوريّ. (٢٨: ٢٨)

الشِّربينيّ: أي الخروج من ديارهم، والجَوَلان في الأرض. فأمّا معظمهم فأجلاهم بُختنَصّر من بلاد الشّام إلى العراق، وأمّا هؤلاء فحماهم الله تعالى بهاجرة رسول الله صلّى الله عليه وآله من ذلك الجلاء، وجعله على يده صلّى الله عليه وآله، فأجلاهم فذهب بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشّام، مرّة بعد مرّة. (٤: ٢٤٠)

البُرُوسَويّ: أي الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع، وقد سبق الكلام في (الْجَلَاء).

و(لَوْلَا) امتناعيّة ومابعدها مبتدأ، فإنّ (أَنْ) مخفّفة من الثّقيلة، اسمها ضمير الشّأن المقدّر، أي ولولا أنّه، و(كَتَبَ اللهُ) خبرها، والجملة في محلّ الرّفع بالابتداء،

بمعنى ولولا كتاب الله عليهم الجلاء واقع في علمه أو في لوحه ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسّبي، كما فعل ببني قريظة من اليهود.

قال بعضهم: لمّا استحقّوا بجرمهم العظيم قهرًا عظيمًا، أُخذوا بالجلاء الّذي جُعل عديلًا لقتل النّفس، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَافَعَلُوهُ اِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ النّساء: ٦٦، مع أنّ فيه احتمال إيمان بعضهم بعد مدّة، وإيمان من يتولّد منهم. (٩: ٤٢١)

الآلوسيّ: [نحو القُرطُبيّ وأضاف:]

ويقال فيه: الجلأ مهموزًا من غير ألف كالنّبأ، وبذلك قرأ الحسن بن صالح وأخوه عليّ بن صالح وطلحة. و(أنّ) مصدريّة لامخفّفة، واسمها ضمير شأن ـ كما توهمه عبارة «الكشّاف» ـ وقد صرّح بذلك الرّضيّ. (٢٨: ٤٢)

الطّباطبائيّ: الجلاء: ترك الوطن، وكتابة الجلاء عليهم: قضاؤه في حقّهم، والمراد بعذابهم في الدّنيا: عذاب الاستئصال أو القتل والسّبي.

والمعنى ولولا أن قضى الله عليهم الخروج من ديارهم وترك وطنهم، لعذّبهم في الدّنيا بعذاب الاستئصال أو القتل والسّبي، كما فعل ببني قريظة، ولهم في الآخرة عذاب النّار. (١٩: ٢٠٢)

عبد الكريم الخطيب: أي إنّ هؤلاء القوم الّذي كتب الله عليهم الجلاء، وقضى عليهم به، لو نظروا إلى المستقبل القريب، ورأوا ماسوف يحلّ بإخوانهم من بني قريظة، من قتل، إذن لحمدوا الله وشكروا له، أن كان الجلاء هو الجزاء الّذي أخذوا به، فأجلوا عن المدينة، فكان بعضهم في خيبر، وبعضهم في الشّام.

وهذا يعني أنّ اليهود في الجزيرة العربيّة كانوا يومئذ بين أمرين من أمر الله: إمّا الجلاء، وإمّا القتل والسّبي، وأنّ أحسنهم حظًّا من كتب عليهم الجلاء. وفي هذا إرهاص بالبقيّة الباقية من اليهود في المدينة، وأنّهم إذا لم يجلوا عنها، عُذّبوا في الدّنيا بالقتل وبالسّبي. أمّا في الآخرة فلهم جميعًا عذاب النّار. (١٤: ٨٥٢)

مكارم الشّيرازيّ: بدون شكّ فإنّ الجلاء عن الوطن، وترك قسم كبير من رؤوس الأموال الّتي جهدوا جهدًا بليغًا في الحصول عليها، هو بحدّ ذاته أمر مؤلم لهم. وبناءً على هذا، فإنّ الآية إن لم تقصد هذا العذاب، فإنّ بانتظارهم عذابًا آخر هو القتل أو الأسر بيد المسلمين، إلّا أنّ الله سبحانه أراد لهم التّيه في الأرض والتّشرّد في العالم، لأنّ هذا أشدّ ألمًا وأسًى على نفوسهم؛ إذ كلّما تذكّروا أرضهم وديارهم ومزارعهم ـ وبساتينهم الّتي أصبحت بيد المسلمين، وكيف أنّهم شُرّدوا منها بسبب نقضهم العهد ومؤامراتهم ضدّ رسول الله ﷺ، ممّا سبّب حرمانهم من تلك النّعم ـ فإنّ ألمهم وحزنهم ومتاعبهم ستضاعف، وخاصّة على المستوى النّفسيّ.

نعم إنّ الله أراد لهذه الطّائفة المغرورة والمخدوعة والّذين لاعهد لهم أن تبتلي بمثل هذا المصير البائس. (١٨: ١٦٢)

نحوه فضل الله. (٣٣: ١٠٠)

جَلّيهَا

وَالنَّهَارِ اِذَا جَلّـيهَا. الشّمس: ٣

مُجاهِد : أضاءها. (الماوَرْديّ ٦: ٢٨٢)

قَتادَة : إذا غشيها النّهار. (الطّبَريّ ٣٠: ٢٠٨)

الفَرّاء : جلّى الظّلمة، فجاز الكناية عن الظّلمة ولم تُذكر، لأنّ معناها معروف، ألاترى أنّك تقول: أصبحت باردةً، وأمست باردةً، وهبّت شمالًا، فكنّى عن مؤنّثات لم يجر لهنّ ذكر، لأنّ معناها معروف. (٢٦٦: ٣)

نحوه الزّجّاج. (٥: ٣٣٢)

الطّبَريّ : [نقل قول الفرّاء ثمّ قال:]

والصّواب عندنا في ذلك ماقاله أهل العلم الّذين حكينا قولهم، لأنّهم أعلم بذلك، وإن كان للّذي قاله من ذكرنا قوله من أهل العربيّة وجه. (٣٠: ٢٠٨)

الماوَرْديّ : فيه وجهان:

أحدهما: أضاءها، يعني الشّمس لأنّ ضوءها بالنّهار يُجلّي ظلمة اللّيل.

الثّاني: أظهرها، لأنّ ظهور الشّمس بالنّهار. [ثمّ استشهد بشعر]

ويحتمل ثالثًا: أنّ النّهار جلّى مافي الأرض من حيوانها حتّى ظهر لاستتاره ليلًا وانتشاره نهارًا. (٦: ٢٨٢)

الطّوسيّ : قسَم آخر بالنّهار إذا جلّاها، يعني الشّمس بضوئها المبين بجرمها. [ثمّ ذكر قول الفرّاء] (١٠: ٣٥٧)

نحو الطّبْرِسيّ. (٥: ٤٩٨)

الواحديّ : جلّى الظّلمة وكشفها، وجازت الكناية عن الظّلمة وإن لم تُذكر، لأنّ المعنى معروف. (٤: ٤٩٤)

نحوه البَغَويّ. (٥: ٢٥٨)

المَيْبُديّ : الهاء راجعة إلى الأرض، أي جلّى الأرض، أو إلى الشّمس، أي جلّى الشّمس وكشفها بإضاءتها؛ وذلك لأنّ الشّمس إنّما يتبيّن إذا انبسط النّهار. (١٠: ٥٠٥)

الزّمَخْشَريّ : عند انتفاخ النّهار وانبساطه، لأنّ الشّمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء.

وقيل: الضّمير للظّلمة أو للدّنيا أو للأرض، وإن لم يجر لها ذكر، كقولهم: أصبحت باردة، يريدون الغداة، وأرسلت، يريدون السّماء إذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق. [ثمّ بحث حول واو العطف في هذه الآيات] (٤: ٢٥٨)

ابن عَطيّة : معناه كشف وضوى، والفاعل بـ(جلّا) على هذه التّأويلات (النّهار)، ويحتمل أن يكون الفاعل الله تعالى، كأنّه قال: والنّهار إذا جلّى الله الشّمس، فأقسم بالنّهار في أكمل حالاته. (٥: ٤٨٨)

الفَخرالرّازيّ : [ذكر الوجهين في ضمير (جَلّيها) كما تقدّم عن الزّمَخشَريّ] (٣١: ١٩١)

أبوحَيّان : [ذكر قول الزّمَخشَريّ وناقشه في واو العطف وأطال الكلام] (٨: ٤٨)

البَيْضاويّ : جلّى الشّمس فإنّها تنجلي إذا انبسط النّهار أو الظّلمة أو الدّنيا أو الأرض، وإن لم يجر ذكرها للعلم بها. (٢: ٥٦١)

نحوه النّسَفيّ (٤: ٣٦٠)، والشّرْبينيّ (٤: ٥٤١)، وأبوالسُّعود (٦: ٤٣٣).

ابن كثير : [نقل كلام الطّبَريّ ثمّ قال:]

قلت: ولو أنّ هذا القائل تأوّل ذلك بمعنى ﴿وَالنَّهارِ

إِذَا جَلَّـيهَا﴾ أي البسيطة لكان أولى، ولصحّ تأويله في ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشيهَا﴾ فكان أجود وأقوى، والله أعلم، ولهذا قال مُجاهِد: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّـيهَا﴾ إنّه كقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ اللّيل: ٢. وأمّا ابن جرير فاختار عود الضّمير في ذلك كلّه على (الشّمس) لجريان ذكرها.

(٧: ٣٠٠)

البُرُوسَويّ: أي جلّى الشّمس، فإنّها تنجلي عند انبساط النّهار واستيفائه تمام الانجلاء، فكأنّه جلّاها مع أنّها الّتي تبسطه، يعني لمّا كان انتشار الأثر، وهو زمان ارتفاع النّهار زمانًا لانجلاء الشّمس وكان الجلاء واقعًا فيه، أُسند فعل التّجلية إليه إسنادًا مجازيًّا، مثل: نهاره صائم، أو جلّى الظّلمة أو الدّنيا أو الأرض، وإن لم يجر لها ذكر، للعلم بها.

وفيه إشارة إلى نهار استيلاء نور الرّوح وقيام سلطانها واستواء نورها، إذا جلّاها وأبرزها في غاية الظّهور، كالنّهار عند الاستواء في تجلية الشّمس.

(١٠: ٤٤١)

نحوه ابن عاشور. (٣٠: ٣٢٤)

شُبّر: عند انبساطه فإنّها تبرز فيه، فكأنّه أبرزها.

(٦: ٤١٥)

الآلوسيّ: [نقل كلام البُرُوسَويّ وغيره في عود الضّمير ثمّ قال:]

والأوّل أولى، لذكر المرجع واتّساق الضّمائر.

(٣٠: ١٤١)

القاسميّ: بيان للحالة الّتي ينطق فيها النّهار بتلك الحكمة الباهرة والآية الظّاهرة، وهي حالة الصّحو. أمّا يوم الغيم الّذي لاتظهر فيه الشّمس فحاله أشبه بحال اللّيل الّذي يُقيم به قوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشيهَا﴾ الشّمس: ٤. (٧: ٦١٦٨)

الطَّباطَبائيّ: التّجلية: الإظهار والإبراز، وضمير التّأنيث للأرض، والمعنى وأقسم بالنّهار إذا أظهر الأرض للأبصار. [ثمّ ذكر أقوال المفسّرين في مرجع الضّمير وقال:] وهي وجوه بعيدة. (٢٠: ٢٩٢)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (٢٠: ٢١٣)

عبد الكريم الخطيب: فإذا غلب الرّأي على الهوى، وأخذ الإنسان طريق الحقّ، عاد إلى العقل سلطانه، وتجلّت في الإنسان آيات شمسه، فأضاءت كلّ شيء حوله. (١٥: ١٥٨٤)

المُصْطَفَويّ: أي كانت خفيّة، فكشف عنها خفاءها. (٢: ١٠٩)

لَايُجَلِّيهَا

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسيهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَايُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ... الأعراف: ١٨٧

ابن عبّاس: لايُبيّن وقتها وحينها. (١٤٢)

مُجاهِد: لايأتي بها. (الطّبَريّ ٩: ١٣٨)

السُّدّيّ: يقول: لايرسلها لوقتها إلّا هو.

(الطّبَريّ ٩: ١٣٩)

الزّجّاج: لايُظهرها في وقتها إلّا هو. (٢: ٣٩٣)

نحوه الطُّوسيّ (٥: ٥٤)، والواحديّ (٢: ٤٣٣)، والبَغَويّ (٢: ٢٥٦)، وابن الجَوزيّ (٣: ٢٩٧)، وشُبّر (٢: ٤٤٢)، والقاسميّ (٧: ٢٩١٦)، ومَغْنيّة (٣: ٤٣١)

الزَّمَخْشَريّ: أي لاتزال خفيّة، لايظهر أمرها ولاينكشف خفاء علمها إلّا هو وحده، إذا جاء بها في وقتها بغتةً، لايُجلّيها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه، لاستمرار الخفاء بها على غيره، إلى وقت وقوعها. (٢: ١٣٤)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٢: ٥٠٦)، والبَيْضاويّ (١: ٣٨٠)، والنَّسَفيّ (٢: ٨٩)، وأبوحيّان (٤: ٤٣٤)، والشِّربينيّ (١: ٥٤٢)، والكاشانيّ (٢: ٢٥٨)، والمراغيّ (٩: ١٢٩).

ابن عَطيّة: معناه يُظهرها، والجلاء: البيّنة الشّهود. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٤٨٤)

الفَخْرالرّازيّ: التّجلية: إظهار الشّيء، والتّجلّي: ظهوره، والمعنى لايُظهرها في وقتها المعيّن (إلّا هُوَ)، أي لايقدر على إظهار وقتها المعيّن بالإعلام والإخبار إلّا هو. (١٥: ٨١)

نحوه الخازن (٢: ٢٦٥)، وأبوالسُّعود (٣: ٦٢)، والبُرُوسَويّ (٣: ٢٩١)، والآلوسيّ (٩: ١٣٢).

الطَّباطَبائيّ: أي لايُظهرها ولايكشف عنها في وقتها وعند وقوعها، إلّا الله سبحانه. ويدلّ على أنّ ثبوتها ووجودها والعلم بها واحد، أي إنّها محفوظة في مَكْمَن الغيب عند الله تعالى، يكشف عنها ويُظهرها متى شاء، من غير أن يُحيط بها غيره سبحانه، أو يظهر لشيء من الأشياء.

وكيف يمكن أن يُحيط بها شيء من الأشياء أو ينكشف عنده، وتحقّقها وظهورها يلازم فناء الأشياء، ولاشيء منها يسعه أن يحيط بفناء نفسه أو يُظهر له فناء ذاته، والنّظام السّببيّ الحاكم في الكون يتبدّل عند وقوعها، وهذا العلم الّذي يصحبها من هذا النّظام! (٨: ٣٧٠)

المُصْطَفَويّ: أي لايكشف مايمنع جلاءها إلّا هو، فإنّ عالم الطّبيعة وحدود المادّة غشاء عن جلاء السّاعة، وإذا انكشف هذا العالم تجلّى عالم السّاعة. ولايكشفه ولايجلّيها لوقت مسمّاة إلّا الله العزيز المتعال، فعلمها عنده. (٢: ١١٠)

تَجَلّى

١ـ ...فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا... الأعراف: ١٤٣

كعب الأحبار: ماتجلّى من عظمة الله للجبل إلّا مثل سمّ الخياط حتّى صار دكًّا.

مثله عبد الله بن سلّام. (البغويّ ٢: ٢٣٠)

ابن عبّاس: ماتجلّى منه إلّا قدر الخِنْصِر. (الطَّبَريّ ٩: ٥٣٠)

نحوه السُّدّيّ. (البغويّ ٢: ٢٣٠)

ظهر نور ربّه للجبل، جبل زبير. (البغويّ ٢: ٢٣٠)

لمّا وقع نوره عليه تدكدك. (أبوحيّان ٤: ٣٨٤)

سهل بن سعد: إنّ الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورًا قدر الدّرهم. (البغويّ ٢: ٢٣٠)

الضّحّاك: أظهر الله من نور الحُجب مثل مَنْخَر ثور. (البغويّ ٢: ٢٣٠)

الحسَن: لمّا ظهر وحي ربّه للجبل. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٧٥)

الزّجّاج: ظهر وبان. (٢: ٣٧٣)

نحوه الواحديّ. (٢: ٤٠٦)

الشّريف المرتضى: التّجلّي هاهنا: التّعريف والإعلام والإظهار لما تقتضي المعرفة، كقولهم: هذا كلام جليّ، أي واضح. [ثمّ استشهد بشعر]

أراد أنّ تدبيره دلّ عليه حتّى عُلِم أنّه المدبّر له وإن كان نائيًا عن وقع الأسنّة، فأقام ماظهر من دلالة فعله مقام مشاهدته، وعبّر عنه بأنّه تجلّى منه. (٢: ٢٢٠)

الماوَرْديّ: في التّجلية أربعة أقاويل:

أحدها: أنّه ظهر بآياته الّتي أحدثها في الجبل، لحاضري الجبل.

والثّاني: أنّه أظهر للجبل من ملكوته ماتدكدك به، لأنّ الدّنيا لاتقوم لما يبرز من ملكوت السّماء.

والثّالث: أنّه أبرز قدر الخِنْصِر من العرش.

والرّابع: ظهر أمره للجبل. (٢: ٢٥٨)

الطّوسيّ: [ذكر الوجوه الثّلاثة الأُولى في كلام الماوَرْديّ وأضاف:]

ويجوز أن يكون المراد ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ لأهل الجبل، كما قال: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢.

والتّجلّي هو الظّهور، ويكون ذلك تارةً بالرّؤية وأُخرى بالدّلالة. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال قوم: معناه فلمّا تجلّى بالجبل لموسى. قالوا: وحروف الصّفات تتعاقب، فيكون «اللّام» بمعنى «الباء». (٤: ٥٧٠)

الزّمَخْشَريّ: فلمّا ظهر له اقتداره، وتصدّى له أمره وإرادته. (٢: ١١٤)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٣٦٨)، وأبوالسُّعود (٣: ٢٧)، وشُبّر (٢: ٤١٢)، ومَغْنِيّة (٣: ٣٩١).

ابن عَطيّة: قال المتأوّلون المتكلّمون كالقاضي ابن الباقلّانيّ وغيره: إنّ الله عزّوجلّ خلق للجبل حياةً وحِسًّا وإدراكًا يرى به، ثمّ تجلّى له، أي ظهر وبدا سلطانه، فاندكّ الجبل لشدّة المَطْلع، فلمّا رأى موسى مابالجبل صَعِق، وهذا المعنى هو المرويّ عن ابن عبّاس.

وأسند الطّبَريّ عن حمّاد بن زيد عن ثابت عن أنس عن النّبيّ ﷺ أنّه قرأ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: فوضع الإبهام قريبًا من خِنْصِره، قال: فساخ الجبل، فقال حميد لثابت: تقول هذا؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد، وقال: يقوله رسول الله ﷺ، ويقوله أنس، وأكتمه أنا؟

وقالت فرقة: المعنى فلمّا تجلّى الله للجبل بقدرته وسلطانه اندكّ الجبل.

وهذا التّأويل يتمسّك به المعتزلة تمسّكًا شديدًا، لقولهم: إنّ رؤية الله عزّوجلّ غير جائزة. وقائله من أهل السّنّة إنّما يقوله مع اعتقاده جواز الرّؤية، ولكنّه يقول: إنّه أليق بألفاظ الآية من أن تُحمَل الآية: أنّ الجبل خُلق له إدراك وحياة.

وقال الزّجّاج: من قال: إنّ التّقدير فلمّا تجلّى أمر ربّه فقد أخطأ، ولايعرف أهل اللّغة ذلك، وردّ أبوعليّ في «الإغفال» عليه. (٢: ٤٥١)

الطّبْرِسيّ: أي ظهر أمر ربّه لأهل الجبل، فحذف، والمعنى أنّه سبحانه أظهر من الآيات مااستدلّ به من كان عند الجبل، على أنّ رؤيته غير جائزة.

وقيل: معناه ظهر ربّه بآياته الّتي أحدثها في الجبل لأهل الجبل، كما يقال: الحمد لله الّذي تجلّى لنا بقدرته.

فكلّ آية يجدّدها الله سبحانه فكأنّه يتجلّى للعباد بها، فلمّا أظهر الآية العجيبة في الجبل، صار كأنّه ظهر لأهله.

وقيل: إنّ (تَجَلّى) بمعنى جلّى، كقولهم: حدّث وتحدّث، وتقديره: جلّى ربّه أمره للجبل، أي أبرز في ملكوته للجبل ماتدكدك به. ويؤيّده ماجاء في الخبر أنّ الله تعالى أبرز من العرش مقدار الخِنْصِر، فتدكدك به الجبل. (٢: ٤٧٥)

الفَخْرالرّازيّ: [له كلام لاحظ «ر أ ي»]

(١٤: ٢٣٢)

أبوحَيّان: والتّجلّي بمعنى الظّهور الجسمانيّ مستحيل على الله تعالى.

وقيل: ظهر جزء من العرش للجبل فتصدّع من هيبته.

وقيل: ظهر أمره تعالى.

وقيل: تجلّى لأهل الجبل، يريد موسى والسّبعين الّذين معه. [إلى أن قال:]

والظّاهر نسبة التّجلّي إليه تعالى ـ على مايليق به من غير انتقال ولاوصف ـ يدلّ على الجسميّة. (٤: ٣٨٤)

الجُرجانيّ: التّجلّي: ماينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، إنّما جمع الغيوب باعتبار تعدّد موارد التّجلّي، فإنّ لكلّ اسم إلهيّ بحسب حيطته ووجوهه تجلّيات متنوّعة، وأُمّهات الغيوب الّتي تظهر التّجلّيات من بطائنها سبعة:

غيب الحقّ وحقائقه.

وغيب الخفاء المنفصل من الغيب المطلق بالتّميز الأخفى في حضرة أو أدنى.

وغيب السّرّ المنفصل من الغيب الإلهيّ بالتّميز الخفيّ في حضرة قاب قوسين.

وغيب الرّوح، وهو حضرة السّرّ الوجوديّ المنفصل بالتّميز الأخفى، والخفيّ في التّابع الأمريّ.

وغيب القلب، وهو موقع تعانق الرّوح والنّفس، ومحلّ استيلاد السّرّ الوجوديّ، ومنصّة استجلائه في كسوة أحديّة جمع الكمال.

وغيب النّفس، وهو أُنس المناظرة.

وغيب اللّطائف البدنيّة، وهي مطارح أنظاره، لكشف مايحقّ له جمعًا وتفصيلًا.

التّجلّي الذّاتيّ: مايكون مبدؤه الذّات من غير اعتبار صفة من الصّفات معها، وإن كان لايحصل ذلك إلّا بواسطة الأسماء والصّفات، إذ لايتجلّى الحقّ من حيث ذاته على الموجودات إلّا من وراء حجاب من الحُجب الأسمائيّة.

والتّجلّي الصّفاتيّ: مايكون مبدؤه صفة من الصّفات، من حيث تعيّنها وامتيازها عن الذّات. (٢٣)

الشِّربينيّ: أي أظهر من نوره قدْر نصف أنملة الخِنصِر، كما في حديث صحّحه الحاكم. (١: ٥١٤)

البُرُوسَويّ: أي ألقى عليه من نوره فاضطرب بدنه من رَهْبته. (٣: ٢٣٦)

الآلوسيّ: أي ظهر له على الوجه اللّائق بجنابه تعالى، بعد جعله مُدرِكًا لذلك. [إلى أن قال:]

وقيل: هذا مثَل لظهور اقتداره سبحانه، وتعلّق إرادته بما فعل بالجبل لاأنّ ثَمّ تجلّيًا. وهو نظير ماقرّر في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢، من

أنّ المراد: أنّ ماقضاه سبحانه وأراد كونه يدخل تحت الوجود من غير توقّف، لاأنّ ثـمّـة قولًا.

وتعقّبه صاحب «الفرائد» بأنّ هذا المعنى غير مفهوم من الآية، لأنّ (تجلّى) مطاوع جلّيته، أي أظهرتُه. يقال: جلّيته فتجلّى، أي أظهرته فظهر، ولايقدّر «تجلّى اقتداره» لأنّه خلاف الأصل، على أنّ هذا الحَمْل بعيد عن المقصود بمراحل. [ثمّ ذكر رواية النّبيّ ﷺ عن ابن عطيّة وأضاف:]

وهذا كما لايخفى من المتشابهات الّتي يسلك فيها طريق التّسليم وهو أسلم وأحكم، أو التّأويل بما يليق بجلال ذاته تعالى. (٩: ٤٥)

ابن عاشور: والتّجلّي: حقيقة الظّهور وإزالة الحجاب، وهو هنا مجاز. ولعلّه أُريد به إزالة الحوائل المعتادة الّتي جعلها الله حجابًا بين الموجودات الأرضيّة وبين قُوى الجبروت، الّتي استأثر الله تعالى بتصريفها على مقادير مضبوطة ومتدرّجة، في عوالم مترتّبة ترتيبًا يعلمه الله.

وتقريبه للأفهام شبيه بما اصطلح عليه الحكماء في ترتيب العقول العشرة، وتلك القُوى تُنسب إلى الله تعالى، لكونها آثارًا لقدرته بدون واسطة. فإذا أزال الله الحجاب المعتاد بين شيء من الأجسام الأرضيّة وبين شيء من تلك القُوى المؤثّرة تأثيرًا خارقًا للعادة، اتّصلت القوّة بالجسم اتّصالًا، تظهر له آثار مناسبة لنوع تلك القوّة، فتلك «الإزالة» هي الّتي استُعير لها التّجلّي، المسند إلى الله تعالى تقريبًا للأفهام. فلمّا اتّصلت قوّة ربّانيّة بالجبل، تماثل اتّصال الرّؤية، اندكّ الجبل.

وممّا يقرّب هذا المعنى مارواه التّرمذيّ وغيره من طرقٍ، عن أنس أنّ رسول الله ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ فوضع إبهامه قريبًا من طرف خِنْصِره يقلّل مقدار التّجلّي. (٨: ٢٧٦)

المُصْطَفَويّ: أي فإذا كُشف عن موسى ؑ غشاء الطّبيعة وحجاب التّعلّقات المادّيّة، وجُعل بصر قلبه كالحديد، عند إرادة تجلّيه للجبل، فلم يستطع موسى توجّهًا، واندكّ الجبل. (٢: ١١٠)

٢ـ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلّٰى. اللّيل: ٢

سعيد بن جُبَيْر: إذا ظهر. (الماوَرْديّ ٦: ٢٨٦)

مُجاهِد: إذا أضاء. (الماوَرْديّ ٦: ٢٨٦)

الحسَن: أي جلّى اللّيل فأذهب ظلمته.

(الطّوسيّ ١٠: ٣٦٢)

الطّبَريّ: أقسم بالنّهار إذا هو أضاء فأنار وظهر للأبصار. (٣٠: ٢١٦)

نحوه الزّجّاج (٥: ٣٣٥)، والطّوسيّ (١٠: ٣٦٣)، والواحديّ (٤: ٥٠١)، وابن الجَوْزيّ (٩: ١٤٥)، وفضل الله (٢٤: ٢٩٣).

ابن خالويه: (تجلّى) فعل ماض، وهذا التّاء تدخل في الماضي مثل تذكّر وتجبّر. (١٠٧)

الماوَرْديّ: [نقل قول ابن جُبَيْر ومُجاهِد ثمّ قال:] ويحتمل ثالثًا: إذا أظهر مافيه من الخلق، وهذا قسَم ثان. (٦: ٢٨٦)

الزّمَخْشَريّ: ظهر بزوال ظلمة اللّيل، أو تبيّن وتكشّف بطلوع الشّمس. (٤: ٣٦٠)

نحوه الفخرالرّازيّ (٣١: ١٩٨)، والشّربينيّ (٤: ٥٤٤)، وشُبّر (٦: ٤١٨).

ابن عَطيّة: أي ظهر وضوى الآفاق. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٤٩٠)

الطَّبْرسيّ: أي بان وظهر من بين الظّلمة، وفيه أعظم النّعم؛ إذ لو كان الدّهر كلّه ظلامًا لما أمكن الخلق طلب معايشهم، ولو كان ذلك كلّه ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم. (٥: ٥٠١)

أبوحَيّان: (تَجَلّٰى) انكشف وظهر إمّا بزوال ظلمة اللّيل، وإمّا بنور الشّمس. [إلى أن قال:]

وقرأ الجمهور (تَجَلّٰى) فعلًا ماضيًا، فاعله ضمير النّهار. وقرأ عبد الله عُبَيد بن عمير (تتجَلّى) بتاءين يعني الشّمس. وقُرئ (تُجْلى) بضمّ التّاء وسكون الجيم، أي الشّمس. (٨: ٤٨٣)

ابن كثير: أي بضيائه وإشراقه. (٧: ٣٠٥)

البُرُوسَويّ: ظهر بزوال ظلمة اللّيل، أي إن كان المغشيّ غير الشّمس، أو تبيّن وتكشّف بطلوع الشّمس، أي إن كان المغشيّ الشّمس، واختلاف الفاصلتين بالمضيّ، والاستقبال لما ذكرنا في السّورة السّابقة. (١٠: ٤٤٧)

نحوه الآلوسيّ (٣٠: ١٤٧)، والطّباطبائيّ (٢٠: ٣٠٢).

بنت الشّاطئ: في الاستعمال القرآنيّ: جاءت المادّة في خمسة مواضع، إحداها آية الحشر في الجلاء عن الأرض: ﴿وَلَوْلَا اَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ الحشر: ٣.

والمرّات الأربع الباقية في: تجلّي النّور الإلهيّ بآية الأعراف: ﴿فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسٰى صَعِقًا﴾ الأعراف: ١٤٣.

وأمر السّاعة: ﴿قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّيْ لَا يُجَلِّيْهَا لِوَقْتِهَا اِلَّا هُوَ﴾ الأعراف: ١٨٧.

وفي إشراق النّهار، بآيتي الشّمس: ﴿وَالنَّهَارِ اِذَا جَلّٰيهَا﴾ الشّمس: ٣، واللّيل: ﴿وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّٰى﴾. والآية لم تذكر مفعول (يغشى) وقد تأوّلوه إمّا على تقدير: يغشى النّهار كلّه، كقوله تعالى: ﴿يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ﴾ الرّعد: ٣. أو الشّمس، كقوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰيهَا﴾ الشّمس: ٤، وقيل: الأرض وجميع ما فيها يغشاها اللّيل بظلامه.

ومثله وقوف من وقف عند ﴿وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّٰى﴾، ليتأوّل سبب التّجلّي إمّا بزوال ظلمة اللّيل، وإمّا بنور الشّمس.

ونرى أنّ القرآن الكريم في إمساكه عن ذكر متعلّق لـ(يَغْشٰى) أو (تَجَلّٰى) يصرفنا عن تأويل محذوف أو مقدّر، لنلتفت إلى أنّ الغشية والتّجلّي من اللّيل والنّهار، هما المقصودان بالتّنبيه والالتفات، بما أغنى عن ذكر مفعول أو متعلّق. (٢: ١٠١)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجلاء، وهو كُحْل يجلو البصر، أي يوضّحه ويكشف غشاوته، وهو الجَلا والجِلاء أيضًا. يقال: جَلَوتُ بصري بالكُحْل أجلُوه جَلْوًا وجلاءً. ثمّ تُوسّع في غير الكُحْل ممّا يزيل الرّين

والصَّدأ، فقالوا: جَلا الصَّيقل السَّيفَ والمرآةَ ونحوهما جَلْوًا وجِلاءً، أي صقلَها، واجتلاه لنفسه. والماشطة تجلو العروس، أي تصقلها، يقال: جَلَوتُ العروس جِلاءً وجَلْوَةً، واجتليتُها: نظَرتُ إليها مَجْلُوّةً.

وجِلْوَة الزّوج: ماأعطاها زوجها، فيجلو بذلك ماران على قلبها، وعكّرَ صفوها، يقال: جلا فلانٌ امرأته وصيفةً، وجلّاها حين اجتلاها، أي أعطاها عند جِلْوتها. وماجلا فلان؟ أي بأيّ شيء يخاطب من الأسماء والألقاب، فيعظّم به.

وتَجلّيتُ الشّيء واجتلَيتُه: نظَرتُ إليه، إلّا أنّه ليس كلّ نظر، بل نظر استشراف، تشبيهًا بالبصر المجلوّ بالجلاء، يقال: جلّى البازي تجلّيًا وتجلية، أي رفع رأسه ثمّ نظر، وجلّى ببصره تجليةً: رمى به، كما ينظر الصّقر إلى الصّيد.

والجلاء: البياض، وهو تشبيه بأثر الكُحْل في البصر، أي الوضوح والنّصوع، يقال: ماأقمتُ عنده إلّا جَلاء يوم واحد، أي بياضه، وابن جَلا وابن أجْلَى: الصّبح، لوضوحه، وابن جَلا: الواضح الأمر والسّيّد، يقال: جاليتُه بالأمر، أي جاهرتُه، وتجالينا: انكشف حال كلّ واحد منّا لصاحبه، واجتَليتُ العمامة عن رأسي: رفعتُها مع طيّها عن جبيني.

وانجلى الظّلام: انكشف، كما كشف الكُحْل غشاوة البصر، وكذا انجلى عنه الهمّ، يقال: انجلت عنه الهُموم كما تنجلي الظّلمة، وجلَوتُ عنّي همّي جَلْوًا: أذهبتُه، وأجلَيتُ عنه الهمّ: فرّجتُ عنه. وأجلى الله عنك: كشف، ويقال للمريض: جَلا الله عنه المرض، أي كشفه.

والجلاء: الأمر البيّن الواضح، يقال: جَلا لي الخبر، أي وضح، فهو جليّ، وأخبرني عن جليّة الأمر، أي حقيقته، وجَلا الأمر وجلّاه وجلّى عنه: كشفَه وأظهرَه، وقد انجلى وتجلّى، والجليّة: البصيرة، يقال: عينٌ جليّةٌ، أي بصيرة.

والجَلاء: خروج القوم من البلد، لأنّهم سواد فانجلوا كما ينجلي سواد اللّيل، يقال: جَلا القوم عن أوطانهم يجلون جَلاءً وأجلَوا، أي خرجوا منها، وجَلاهم السّلطان عن البلاد وأجلاهم فأجلَوا: أخرجهم فخرجوا. وجَلا القوم عن الموضع ومنه جَلْوًا وجَلاءً وأجلَوا: تفرّقوا، وجلَوا من الخوف، وأجلَوا من الجدب، وأجلاهم هو وجلّاهم واجتلاهم، فهم جالية وجالّة، يقال: استعمل فلانٌ على الجالية، أي على جِزْية أهل الذّمّة.

وجَلْوَة النّحل: طَرْدها بالدّخان، يقال: جَلا النّحل يجلوها جَلاءً، أي دخّن عليها لاشتيار العسل.

٢ـ وبين هذه المادّة ومادّة «ج ل ي» اشتقاق أكبر، فـ«الجَلا»: انحسار مقدّم الشّعر، وقد جَلِي يَجلَى جَلًا، وهو أجْلَى، والمَجالي: مقاديم الرّأس، وهي مواضع الصَّلَع، واحدها: مَجْلَى، وهذا نظير قولهم في «ج ل و»: انجلى الظّلام، أي انكشف.

وقولهم: جلَى السّيف والمرآة يجليها جَلْيًا، أي صقلها، لغة فيه، وأصله «الواو» كما تقدّم.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها الفعل مزيدًا في المكّيّات (٤) مرّات،

والمصدر مجرّدًا في آية مدنيّة مرّة:

١ـ ﴿وَالنَّهارِ إِذا جَلّيها * وَالَّيْلِ إِذا يَغْشيها﴾ الشّمس: ٣، ٤

٢ـ ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْسيها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبّي لا يُجَلّيها لِوَقْتِها إِلّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتيكُمْ إِلّا بَغْتَةً﴾ الأعراف: ١٨٧

٣ـ ﴿وَلَمّا جاءَ مُوسى لِميقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِني أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَريني وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَريني فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقًا فَلَمّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنينَ﴾ الأعراف: ١٤٣

٤ـ ﴿وَالَّيْلِ إِذا يَغْشى * وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى﴾ اللّيل: ١، ٢

٥ ـ ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابُ النّارِ﴾ الحشر: ٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ فيها محورين: التّجلّي والجلاء، والمحور الأوّل كلّه فعل من «فعّل» مرّتين ماضيًا ومضارعًا، في (١) و(٢)، ومن «تفعّل» مرّتين أيضًا، ماضيًا في (٣) و(٤).

ثانيًا: الأفعال كلّها في نفس الأمر راجعة إلى الله تعالى، فإنّ التّجلّي من خواصّ النّور ﴿اَللهُ نُورُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ﴾ النّور: ٣٥، وهو الّذي جلّى النّهار في (١) فتجلّى النّهار في (٤)، وهو يُجلّي السّاعة لوقتها فتنكشف في (٢) والله هو الّذي تجلّى للجبل في (٣).

ثالثًا: هناك علاقة بين التّجلية والتّجلّي وبين النّهار في (١) و(٤) وفيها بحوث:

١ـ ضمير الفاعل في (جَلّيها) حسب السّياق يرجع إلى النّهار كالضّمير في ﴿وَالْقَمَرِ إِذا تَليها﴾ وفي ﴿وَالَّيْلِ إِذا يَغْشيها﴾، وعليه جرى المفسّرون إلّا أنّ ابن عطيّة قال: «ويُحتمل أن يكون الفاعل الله تعالى، كأنّه قال: والنّهار إذا جلّى الله الشّمس» وهذا مبنيّ على رجوع الضّمير في: ﴿وَالَّيْلِ إِذا يَغْشيها﴾ ومابعدها إلى الله فهو الّذي بنى السّماء وطحى الأرض، وسوّى النّفس وهكذا، وهذا ليس بعيدًا، وإن أبيت إلّا رعاية السّياق، وهو رجوع الضّمير في (جَلّيها) إلى (النّهار) وفي (يَغْشيها) إلى (الَّيْلِ)، فلاتنكر أنّها جميعًا فعل الله، فهو الّذي يُجلّي النّهار ويُجلّي فيه الشّمس، ويغشّي اللّيل ويغشّي (فيه) الشّمس، ومن أجل ذلك قلنا: إنّ الأفعال في هذه الآيات راجعة إلى الله لفظًا أو معنًى.

٢ـ هناك اختلاف في ضمير المفعول في (جَلّيها) و(يَغْشيها) مع الاتّفاق على أنّ الضّمير في (ضُحيها) و(تَليها) راجع إلى الشّمس، فليكن كذلك في مابعدها، والمعنى حينئذ: النّهار يُجلّي الشّمس ويكشفها واللّيل يغشاها ويسترها، لظهور الشّمس في النّهار واستتارها في اللّيل، واختاره أكثرهم جريًا للسّياق.

وهناك أقوال أُخرى جمعها الزّمخشريّ في قوله: «وقيل: الضّمير للظّلمة، أو الدّنيا، وإن لم يجر لها ذكر، كقولهم: أصْبَحَتْ باردة: يريدون الغداة، وأُرسِلَتْ: يريدون السّماء إذا يغشاها فتغيب، وتظلم الآفاق» ونحوه قال البَيْضاويّ. وقال الماوَرْديّ بعد ذكر وجهين لرجوعه إلى الشّمس: «ويحتمل ثالثًا: أنّ النّهار جلّى مافي الأرض من حيوانها حتّى ظهر، لاستتاره ليلًا

وانتشاره نهارًا» واختار الطّبَريّ رجوعه إلى الشّمس تبعًا لمن تقدّمه بحجّة أنّهم أعلم بذلك، ونحن نوافقه جريًا على السّياق لاتبعًا واقتداءً بمن ذكرهم، فهل اختار أولئك هذا الوجه إلّا حفاظًا للسّياق؟!

والعجب من الطّباطَبائيّ حيث أرجع الضّمير إلى الأرض، وحكم في ماسواها بأنّها وجوه بعيدة!!

٣ـ البُرُوسَويّ أرجع ضمير الفاعل والمفعول إلى (النّهار) و(الشّمس) ثمّ نبّه على لطيفة بلاغيّة، وهي أنّه إسناد مجازيّ عكس ماهو الواقع، فإنّ الشّمس هي الّتي تبسط النّهار وتجلّيه إطلاقًا للأثر على المؤثّر لكشفه عنه، فقال: «لمّا كان انتشار الأثر ـ وهو زمان ارتفاع النّهار ـ زمانًا لانجلاء الشّمس وكان الانجلاء واقعًا فيه، أُسند فعل التّجلية إليه إسنادًا مجازيًّا، مثل «نهاره صائم». ومثله جارٍ في ﴿وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰيهَا﴾ أيضًا».

٤ـ تأوّل أهل التّأويل من العرفاء والمتصوّفة هذه الآية وماشابهها على حالات النّفس ـ وباب التّأويل واسع ـ فقال البُرُوسَويّ: «وفيه إشارة إلى نهار استيلاء نور الرّوح وقيام سلطانها واستواء نورها إذا جلّاها وأبرزها في غاية الظّهور، كالنّهار عند الاستواء في تجلية الشّمس». ونحوه قال في: ﴿وَالْقَمَرِ اِذَا تَلٰيهَا﴾ وغيرها فلاحظ.

وقال عبد الكريم الخطيب: «فإذا غلب الرّأي على الهوى، وأخذ الإنسان طريق الحقّ، عاد إلى العقل سلطانه، وتجلّت في الإنسان آيات شمسه، فأضاءت كلّ شيء حوله».

٥ ـ الإسناد في ﴿وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّٰى﴾ حقيقيّ، لأنّه مطاوعة «جلّى» فالنّهار يتجلّى مهما كان الّذي يجلّيه: الله أو الشّمس. أمّا في ﴿وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰى﴾ فمجازيّ ـ كما سبق ـ ولهذا لم يختلفوا في رجوع ضمير الفاعل من (تَجَلّٰى) إلى (النَّهَارِ) وإن اختلفوا في التّعبير عن معناه، بقولهم: إذا ظهر، إذا أضاء، إذا أضاء فأنار وظهر للأبصار، إذا ظهر بزوال ظلمة اللّيل، أو تبيّن وتكشّف بطلوع الشّمس، أو ظهر من بين ظلمة اللّيل، أو تجلّى بضيائه وإشراقه، أو ظهر وضوى الآفاق، أو أظهر مافيه من الخلق، أو جلّى اللّيل فأذهب ظلمته.

و(تَجَلّٰى) في كلّها لازم سوى الثّلاث الاخيرة؛ حيث جاء فيها (تَجَلّٰى) بمعنى «جلّى»، وهذا تفسير باللّازم، أو تجوّز في الإسناد، كما تقدّم و(تَجَلّٰى) فعل ماض من «التفعّل» وشذّت قراءة (تَتَجَلّٰى) و(تُجلى) من دون تفاوت في المعنى.

٦ـ مع اتّفاقهم على أنّ التّجلّي: ظهور النّهار، تردّدوا في أنّه لظهور الشّمس أو لزوال اللّيل، وهذا التّردّد ناجم عن الخلاف في ﴿وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰى﴾ ماهو المغشيّ فيها كما يأتي.

٧ـ (يَغْشٰى) بخلاف (تَجَلّٰى) متعدّ لم يُذكر مفعوله، فقاسوها على ﴿وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰيهَا﴾ في (١) أي يغشي الشّمس أو الأرض ومافيها، يغشاها اللّيل بظلامه كما قالوا في: ﴿وَالنَّهَارِ اِذَا جَلّٰيهَا﴾ جلّى الشّمس أو الأرض أو الظّلمة.

وترى عائشة بنت الشّاطئ أنّ القرآن في إمساكه عن ذكر متعلّق لـ«يَغْشٰى» و«تَجَلّٰى» ـ وقد عدّت (تَجَلّٰى) متعدّيًا ـ يصرفنا عن تأويل محذوف أو مقدّر، لنلتفت

إلى أنّ الغشية والتّجلّي من اللّيل والنّهار هما المقصودان بالتّنبيه والالتفات بما أغنى عن ذكر مفعول أو متعلّق، مثل زيدٌ يُعطي.

ولابأس بما قالت إلّا أنّها غفلت عن أنّ للرّويّ دخلًا في سياقة هذه الأقسام في السّورتين وفي غيرهما، وقد أظهر متعلّقاتها في (جَلّيها) و(يَغْشيها) لذلك، وإن اختلفوا في مرجع الضّمير.

٨ ـ نبّه البُرُوسَويّ في (١) و(٤) على أنّ الإتيان فيها بصيغة الماضي في التّجلية وبالمضارع في الغشية، للدّلالة على أنّه لايجري على الله زمان، فالمستقبل عنده كالماضي، مع مراعاة الفواصل. والثّاني هو الوجه عندنا كما أشرنا إليه آنفًا، إضافة إلى مايخطر بالبال من التّنبيه على تأخّر اللّيل عن النّهار، من وجهة نظر القرآن ـ لاحظ اللّيل والنّهار ـ وعلى ظهور النّهار وغياب اللّيل دائمًا، فكأنّ النّهار موجود عندنا واللّيل غائب عنّا، لم يُوجد بَعدُ.

٩ـ قدّم حدث النّهار على اللّيل في (١) وأخّر عنه في (٤) فما هو الفارق بينهما؟

والجواب أنّ التّقديم والتّأخير في (١) تتابعٌ وتناسقٌ للآيتين قبلها؛ حيث قدّم فيهما الشّمس على القمر، والنّهار مظهر الشّمس واللّيل مظهر القمر، وليس الأمر كذلك في (٤) حيث لم يتقدّمها الشّمس والقمر، بل أقسم الله فيها باللّيل والنّهار تنبيهًا على تعاقب البلاء والنّعماء. وعلى الجملة ففي الأقسام القرآنيّة مناسبة بين القسم وجوابه، لاحظ «المدخل» بحث الأقسام.

١٠ـ وتلك عشرة كاملة ـ أقسم الله بهذه الآيات السّماويّة من الشّمس والقمر والنّجوم ومايتبعها من اللّيل والنّهار والضّحى والسّجى والتّجلية والغشاوة، مقارنًا بما يحدث فيها من الحالات الدّالّة على أنّها آثار قدرة الله فيها، وعلى حدوثها ذاتًا، وإلّا لم يعترضها تبديل وتغيير، فلاحظ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحٰيهَا * وَالْقَمَرِ اِذَا تَلٰيهَا * وَالنَّهَارِ اِذَا جَلّٰيهَا * وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰيهَا﴾ الشّمس: (١ ـ ٤)، وغيرها، وهذا آخر البحوث في (١) و(٤).

رابعًا: في (٢) أجاب الله عن سؤالهم عن وقت السّاعة، بأنّ علمها عند الله، لايجلّيها لوقتها إلّا هو. والسّؤال خاصّ بوقتها، أمّا الجواب فيشمل أمرين:

١ـ العلم بها خاصّ بالله ﴿اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي﴾.

٢ـ هو الّذي يُظهرها في وقتها ﴿لَا يُجَلّيهَا لِوَقْتِهَا اِلَّا هُوَ﴾.

ومن أجل ذلك اختلفت كلماتهم في تفسيرها، بين من خصّ التّجلية بالسّاعة نفسها، ومن عمّها للعلم بها.

فالفريق الأوّل قالوا: لايأتي بها، لايرسلها لوقتها، لايظهرها في وقتها، لايُبيّن وقتها وحينها ونحوها.

والفريق الثّاني قالوا: لايُظهر أمرها ولاينكشف خفاء علمها إلّا هو، لايُظهرها في وقتها المعيّن، أي لايقدر على إظهار وقتها المعيّن بالإعلام والإخبار إلّا هو، لايُظهرها ولايكشف عنها في وقتها وعند وقوعها إلّا الله سبحانه، قاله الطَّباطَبائيّ ثمّ قال: «ويدلّ ذلك على أنّ ثبوتها ووجودها والعلم بها واحد، أي إنّها محفوظة في مَكْمَن الغيب عند الله تعالى، يكشف عنها ويُظهرها متى شاء، من غير أن يحيط بها غيره

سبحانه...» فكأنّه أشار أنّ السّاعة موجودة فعلًا لكنّها خفيّة، والله يكشفها في وقتها.

فهذا سرّ التّعبير عنها بـ(يجلّيها) لأنّ التّجلية: إظهار الشّيء الخفيّ، دون إيجاد الشّيء المعدوم. وإليه أشار المُصْطَفَويّ بقوله: «أي لايكشف مايمنع جلاءها إلّا هو فإنّ عالم الطّبيعة وحدود المادّة غشاء عن جلاء السّاعة...» فإنّ التّجلية رفع السّتار عن الشّيء الخفيّ، وفي كلامهما لطفٌ ليس في كلام غيرهما.

خامسًا: في (٣) حكاية سؤال موسى ربّه ليُريه نفسه، وإجابة الله إيّاه بـ(لَنْ تَرٰني) وأمره بالنّظر إلى الجبل إذا تجلّى الله للجبل، فإن استقرّ مكانه فسوف يراه موسى. وهذا تعليق على المُحال؛ إذ لمّا تجلّى الله للجبل جعله دكًّا وخرّ موسى صعقًا، فلمّا أفاق من صعقته تاب إلى الله ممّا تمنّى من المُحال، وفيها بُحوثٌ:

١ـ اختلفوا في كيفيّة تجلّي الرّبّ ـ بعد اتّفاقهم على أنّ ذات الله لايتجلّى كما تتجلّى الأجسام للأنظار ـ على وجوه: مثل تجلّي نوره ـ قاله أكثرهم ـ تجلّي عظمته، أو تدبيره، أو قدرته وإرادته وسلطانه، وتجلّي بعض آياته، أو تجلّي ملكوته، أو عرشه، أو تجلّي أمره، أو وحيه، أو هو مثَل لظهور اقتداره وإرادته بما فعل بالجبل، لأنّ هناك تجلّيًا، وهو مثل: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢، أو تجلّي أسمائه وصفاته ـ وهو راجع إلى ماتقدّمه ـ أو نحوها، وكلّها تأويل للآية تجنّبًا عمّا هو ظاهرها من ظهوره كالأجسام.

وأمسك بعضهم عن تأويلها، فقال: ظهر لموسى على الوجه اللّائق بجنابه من غير انتقال ولاوصف، يدلّ على الجسميّة، أو قال: «هي من المتشابهات الّتي يُسلَك فيها طريق التّسليم، وهو أسلم وأحكم، أو التّأويل بما يليق بجلال ذاته تعالى». أو قال: «لعلّه أُريد به إزالة الحوائل المعتادة الّتي جعلها حجابًا بين الموجودات الأرضيّة وبين قوى الجبروت الّتي استأثر الله تعالى بتصريفها على مقادير مضبوطة ومتدرّجة في عوالم مترتّبة ترتيبًا يعلمه الله». ثمّ شبّهها بالعقول العشرة عند الحكماء.

٢ـ ليس التّأويل فيها خاصًّا بالمتكلّمين من المعتزلة وغيرهم الّذين تستحيل عندهم رؤية الله، بل يعمّ أهل السُّنّة القائلين بجواز الرّؤية، لأنّ المشكلة هنا ليست في الرّؤية بل في التّجسيد المُحال على الله عند الجميع.

٣ـ ومنهم من قال: إنّ (تَجَلّٰى) بمعنى «جلّى» كقولهم: «حدّث وتحدّث» أي جلّى ربّه أمره للجبل، أي أبرز في ملكوته للجبل ماتدكدك به.

٤ـ ومنهم من قال: إنّ معناه فلمّا تجلّى بالجبل لموسى فيكون (اللّام) بمعنى (الباء).

٥ ـ ومنهم من قال: خلق للجبل حياة وحسًّا وإدراكًا يرى به، ثمّ ظهر وبدا سلطانه، فاندكّ الجبل لشدّة المَطلع.

٦ـ ومنهم من زعم أنّ المراد بالجبل: أهل الجبل، مثل: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢، وهم موسى ومن كان معه في الجبل.

ونحن نقول: هذه الخلافات دليل على أنّ الآية من المتشابهات، وفيها مسلكان: التّأويل بما يرفع التّشابه، أو التّسليم بما أراد الله بها من غير تأويل، وهو الموافق

لقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل‌عمران: ٧.

سادسًا: المحور الثّاني الجَلاء في (٥) وفيها بُحوثٌ:

١ـ نزلت في شأن طائفة من اليهود القاطنين بـ«يثرب» منذ قرون قبل بعثة النّبيّ ﷺ، وهم بنو النّضير الّذين أجلاهم النّبيّ من المدينة إلى الشّام وخيبر، لمّا أرادوا خيانته ﷺ.

٢ـ قد سبق أنّ معنى الجلاء يرجع إلى التّجلية؛ من حيث أنّ بجلاء القوم عن أرضهم تتجلّ وتنكشف الأرض بعد استتارها بهم. وفسّره بعضهم بالفناء، وهو بعيد.

٣ـ جاءت عن بعضهم قراءة (جَلَا) بحذف الألف، بدل (جَلاء) وكأنّها قراءة شاذّة. ذكرها الآلوسيّ، ولم يذكرها الطّبَريّ وغيره.

٤ـ قال البُرُوسَويّ في ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ﴾: (أَنْ) مخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير الشّأن المقدّر، أي ولولا أنّه، و(كَتَبَ اللهُ) خبرها، والجملة في محلّ الرّفع بالابتداء، بمعنى ولولا كتاب الله عليهم واقع في علمه أو في لوحه...

وقال الآلوسيّ: «أَنْ مصدريّة لا مخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير الشّأن كما توهمه عبارة «الكشّاف»، وقد صرّح بذلك الرّضيّ» ففيها قولان، ولكلّ وجه والمعنى واحد. لاحظ «المُغني» كلمة «أنْ».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج م ح

يَجْمَحُون

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جمَحَت السّفينة جُمُوحًا: تركَتْ قصدها فلم يضبطها المَلّاحون.

وجمَح الفرس بصاحبه جِماحًا، إذا ذهب جَرْيًا غالبًا.

وكلّ شيء مضى لوجهه على أمر فقد جمَح. [ثمّ استشهد بشعر]

وفرس جَمُوح: جامح، الذّكر والأُنثى في النّعتَين سواءٌ.

والجُمّاح، والجميع: الجَماميح: شبه سُنبل في رؤوس الحَلْيّ والصِّلِّيان[1]. وجمَحوا بكِعابهم مثل جبَحوا.

والجُمّاح: شيء يلعب به الصّبيان، يأخذون ثلاث ريشات فيَربطونها، ويجعلون في وسطها تمرةً أو عجينًا أو قطعة طين فيرمونه، فذلك الجُمّاح. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُمّاحة والجَماميح: رؤوس الحَلْيّ والصِّلِّيان ونحو ذلك، ممّا يخرج على أطرافه شبه سُنبل، غير أنّه كأذناب الثّعالب.

والجِماح: موضع. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٨٨)

الأُمَويّ: الجُمّاح: تمرة تُجعَل على رأس خشبة يلعب بها الصّبيان. (الأزهَريّ ٤: ١٦٨)

أبوعمرو الشّيبانيّ: قال أبوالجرّاح: «الجُمّاح: أُمصُوخ[2] من ثُمام، يُجعَل في رأسه شوكة سَمُرة، أو شوكة سلَمة، ثمّ تجعله على الأرض، وتقول: انبِشه، أي اضربه به، فإن أصابه وارتَزّ فيه أخذه، وهو الأُنبوش، وهي الأنابيش». (١: ١٢٨)

---

(١) بكسرتين مشدّدة اللّام: نبتٌ واحدته بـ«هاء»، أي صِلِّيانة. «القاموس».

(٢) الحربيّ: أُمشُوخٌ بدل «أُمصوخ».

مثله الحَرْبيّ. (٣: ٩٠٦)

أبوزَيْد: جمَحت المرأة من زوجها تجمَح جِماحًا، وهو خروجها من بيته إلى أهلها قبل أن يطلّقها، ومثله: طمَحَت طِماحًا. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ٤: ١٦٨)

الأصمَعيّ: من عيوب الخَيْل الجِماح: أن يركب وجهَه يَعْدُو بفارسه. (الحربيّ ٣: ٩٠٦)

ابن الأعرابيّ: الجُمّاح: المنهزمون من الحرب.

والجُمّاح: سهم صغير يلعب به الصّبيان.

وفرس جَمُوح: سريع، وفرس جَمُوح، إذا لم يُثْنَ رأسه.

الجُمّاح: سهم أو قصبة يُجعَل عليه طين، ثمّ يُرمى به الطّير. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ٤: ١٦٩)

شَمِر: الجُمّاح: سهم لاريش له أملس، في موضع النّصل منه تَمْر أو طين، يُرمى به الطّائر فيُلقيه ولايقتله، حتّى يأخذه راميه، يقال له: الجُمّاح والجُبّاح. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ٤: ١٦٩)

الدّينَوريّ: الجُمّاح: سهم الصّبيّ، يجعل في طَرَفه تَمْرًا معلوكًا، بقدر عِفاص القارورة، ليكون أهدى له، وليس له ريش، وربّما لم يكن له فُوق أيضًا. وجمع الجُمّاح: جماميح وجمامح. (ابن سيده ٣: ٩٩)

الحَرْبيّ: الجَمُوح: الشّديد الرّأس الّذي يغلب فارسه، ثمّ يتوجّه به حيث شاء. (٢: ٤٤٦)

التّجميح: النّظر بخوف. (٣: ٩٠٩)

ابن دُرَيْد: جَبَح الصّبيان بالكِعاب وجمحوها، إذا طرحوها ليلعبوا بها. (١: ٢٠٦)

وجَمَح الدّابّة جَمْحًا وجِماحًا، إذا اعتزّ فارسه على رأسه حتّى يغلبه.

وقد سمّت العرب جَمّاحًا ـ وهو أبو بطن منهم ـ وجُمَيْحًا، وجُمَحًا وهو أبوبطن من قريش.

وتجامح الصّبيان بالكعاب، إذا رمى كعبًا بكعب حتّى يُزيله عن موضعه.

والجُمّاح: سهم يُجعَل على رأسه طين كالبُندُقة، يرمي به الصّبيان الطّير. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٥٩)

الجُمّاح: سهم يلعب به الصّبيان. (٣: ٤١١)

الأزهَريّ: يقال: جمَح وطمَح، إذا أسرع، ولم يَرُدّ وجهه شيء.

فرس جَمُوح، له معنيان: أحدهما: يوضع موضع العيب؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرّأس لايثنيه راكبه، وهذا من الجِماح الّذي يُرَدّ منه بالعيب.

والمعنى الثّاني في الفرس الجَمُوح: أن يكون سريعًا نشيطًا مَرُوحًا، وليس بعيب يُرَدّ منه، ومصدره: الجُمُوح. [ثمّ استشهد بشعر]

[وقيل:] العرب تسمّي ذكَر الرّجل جُمَيْحًا ورُمَيْحًا، وتُسمّي هَنَ المرأة شُرَيْحًا، لأنّه من الرّجل يجمَح فيرفع رأسه، وهو منها يكون مشروحًا، أي مفتوحًا. (٤: ١٦٨)

الصّاحِب: جمَح الفرس بصاحبه جِماحًا، إذا ذهب يجري جَرْيًا غالبًا، وكذلك كلّ شيء مضى لوجهه.

وفرس جَمُوح: جامح.

وجمَحوا بكِعابهم: مثل جبَحوا.

والجُمّاحة والجَماميح: رؤوس الحَليّ والصِّلّيان.

وفي المثَل: «أخفّ من الجُمّاح» وهو سهم يلعب به الصّبيان.

والجُمّاح: أرض، والجُمَح: جبَل لبني نُمَير، وجَمَحُ: جبَل. (٢: ٤١٧)

الجَوهَريّ: جمَح الفرس جُمُوحًا وجِماحًا، إذا اعتزّ فارسه وغلبه، فهو فرس جَمُوح.

وجمَحَت المرأة من زوجها، وهو خروجها من بيته إلى أهلها قبل أن يطلّقها. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَمُوح من الرّجال: الّذي يركب هواه، فلايمكن ردّه. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمَح، أي أسرَع.

والجُمّاح بالضّمّ والتّشديد: سهم بلانصلٍ مُدوّر الرّأس، يتعلّم الصّبيّ به الرّمي. (١: ٣٦٠)

ابن فارس: الجيم والميم والحاء أصل واحد مُطّرد، وهو ذَهاب الشّيء قُدُمًا بغلبة وقوّة، يقال: جمح الدّابّة جِماحًا، إذا اعتزّ فارسَه حتّى يغلبه، وفرس جَمُوح. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمَح الصّبيّ الكعب بالكعب، إذا رماه حتّى يُزيله عن مكانه. وفي هذه نظر، لأنّها تقال بغير هذا اللّفظ. وقد ذكرتُ[1].

والجُمّاح: سهم يُجعَل على رأسه طين كالبُندُقة يرمي به الصّبيان. [ثمّ استشهد بشعر]

قال بعض أهل اللّغة: الجَمُوح: الرّاكب هواه، فأمّا قوله تعالى: ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ التّوبة: ٥٧، فإنّه أراد يسعون، وهو ذاك. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمَحَت المرأة إلى أهلها: ذهبَت من غير إذن. (١: ٤٧٦)

الثّعالبيّ: [من عيوب عادات الفرس]

فإذا كان يركب رأسه لايردّه شيء فهو: جَمُوح. (١٧٤)

ابن سيده: جمَحَت المرأة تجمَح جِماحًا: خرجت من بيت زوجها إلى أهلها قبل أن يطلّقها. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمَح الفرس بصاحبه جَمْحًا وجِماحًا: ذهب يجري جَرْيًا غالبًا. وفرَس جامح وجَمُوح، الذّكر والأنثى في جَمُوح سواء.

وكلّ شيء مضى لشيء على وجهه فقد جمَح.

وجمَحت السّفينة تجمَح جُمُوحًا: تركت قصدها فلم يضبطها الملّاحون.

وجمحوا بكِعابهم: كـ«جبَحُوا».

وتجامَع الصّبيان بالكِعاب، إذا رمَوا كَعْبًا بكَعْب حتّى يُزيله عن موضعه.

والجماميح: رُؤُوس الحَلِيّ والصِّلّيان ونحو ذلك، ممّا يخرج على أطرافه شِبْه السُّنبل، غير أنّه ليّنٌ كأذناب الثّعالب، واحدته: جُمّاحة.

والجُمّاح: شيء يُتّخذ من الطّين الحُرّ أو من التّمر والرّماد فيُصلَّب، ويكون في رأس المِعراض يُرمى به الطّير. [ثمّ استشهد بشعر]

[ثمّ ذكر أقوالًا أُخرى في معاني الجُمّاح وقدمرّت]

وقد سمّوا: جَمّاحًا وجُمَيحًا وجُمَحًا، وهو أبو بَطن من قُرَيش. (٣: ٩٨)

الطُّوسيّ: الجِماح: مضيّ الماء مسرعًا، على وجهه لايردّه شيء عنه. (٥: ٢٨٠)

---

(١) أنظر «المجمل».

نحوه الطَّباطَبائيّ. (٩: ٣٠٩)

الرّاغِب: أصله في الفرس إذا غلّب فارسه بنَشاطه، في مُروره وجريانه؛ وذلك أبلغ من النّشاط والمَرح.

والجِماح: سهم يُجعَل على رأسه كالبُندُقة يرمي به الصّبيان. (٩٦)

الزَّمَخْشَريّ: جمَح الفرس براكبه: اعتزّه على رأسه، وذهب جَرْيًا غالبًا لايملكه. وتقول: هذه دابّة سَمْحَة، مابها جَمْحَة ولازَمْحَة. وفرس جَمُوح، وبه جِماح وجُمُوح.

ومن المجاز: جمَحَت المرأة إلى أهلها: ذهبت إليهم من غير إذن بعلها. وفلان جَمُوح وجامح: راكب لهواه. [ثمّ استشهد بشعر]

﴿لَوَلَّوْا اِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ التّوبة: ٥٧، أي يجرون جري الخيل الجامحة.

وجمَحَت السّفينة: تركت قصدها. وجمَحَت المفازة بالقوم: طوّحت بهم من بُعدها. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمَح بفلان مُراده، إذا لم ينله. (أساس البلاغة: ٦٣)

المَدينيّ: في حديث عمر بن عبد العزيز: «فطفق يُجمِّح إلى الشّاهد النّظر» أي يُديم مع فتح العين، ومثله: التجمُّح. (١: ٣٤٦)

ابن الأثير: [في الحديث] «أنّه جمَح في أثره» أي أسرع إسراعًا لايَرُدّه شيء، وكلّ شيء مضى لوجهه على أمر فقد جمَح. [ثمّ ذكر كلام المَدينيّ وقال:]

هكذا جاء في كتاب أبي موسى، وكأنّه ـ والله أعلم ـ سَهو، فإنّ الأزهَريّ والجَوهَريّ وغيرهما ذكروه في حرف الحاء قبل الجيم، وفسّروه هذا التّفسير، وسيجيء في بابه، ولم يذكره أبوموسى في حرف الحاء. (١: ٢٩١)

الصَّغانيّ: والجُمّاح: المُنهَزمون من الحرب. (٢: ١٧)

الفَيُّوميّ: جمَح الفرس براكبه يجمَح بفتحتين، جِماحًا بالكسر، وجُمُوحًا: استعصى حتّى غلبه، فهو جَمُوح بالفتح وجامح، يستوي فيه الذّكر والأُنثى.

وجمَح، إذا عار، وهو أن يتفلّت فيركب رأسه، فلايَثنيه شيء. وربّما قيل: جمَح، إذا كان فيه نَشاط وسُرعة.

والجِماح من الأوّلين مذموم، ومن الثّالث محمود، لكنّ الثّالث مهجور الاستعمال وإن كان منقولًا.

وجمَحَت المرأة: خرَجَتْ من بيتها غضبى بغير إذن بعلها، فالجَمُوح هو الرّاكب هواه. (١: ١٠٧)

الفيروزاباديّ: جمَح الفرس كمنع جَمْحًا وجُمُوحًا وجِماحًا، وهو جَمُوح: اعتزّ فارسه وغلبه، والمرأة زوجها: خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلّقها، وأسرع، والصّبيّ الكعب بالكعب: رماه حتّى أزاله عن مكانه.

وكرُمّان: المُنهَزمون من الحرب، وسهم بلانصل مُدوّر الرّأس يُتعلّم به الرّمي، وتمرة تُجعَل على رأس خشبة يلعب بها الصّبيان، ومايخرج على أطرافه شبه سُنبل ليّن كرُؤوس الحَليّ والصِّلّيان، ونحوه. جمعه: جماميح، وجاء في الشّعر: جَمامح.

وككتّان وزُبَير وزُفَر وصَبُوح: أسماء.

وعبد الله بن جِمْح بالكسر: شاعر عَبقَسيّ.

وكرْنَبِر: الذَّكَر.

وكرْفَر: جبَل لبني نُمَيْر.

والجَمُوح: فرس مسلم بن عمرو الباهليّ، والرّجل يركب هواه فلايمكن ردّه. (١: ٢٢٦)

رشيد رضا: الجِمَاح: السّرعة الشّديدة الّتي تعسّر مقاومتها أو تتعذّر. (١٠: ٤٨٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: جمَح الفرس يجمَح جُمُوحًا: انفلت فركب رأسه، لايَثنيه شيء. (١: ٢٠٤)

محمود شيت: ويقال: جمَح من الحرب: انهزم، فهو جامح، جمعه: جُمّاح.

جمَح الفرس: عتا عن أمر صاحبه حتّى غلبه، فهو جامح. يقال: فرس جَمُوح: قويّ الرّأس، عنيد، جمعه: جوامح، وجُمّاح. والسّفينة: تركت قصدها فلم يضبطها الملّاحون.

الجِمَاح: عتاد التّدريب الّذي فيه صوت العتاد ولايقتل، جمعه: جماميح. (١: ١٤٩)

المُصْطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو خروج المملوك ومن بمنزلته عن سلطة مالكه وذهابه بسرعة، خلافًا وعدوانًا، وهو في عمله متجاوز عن الحقّ ومتّبع هوى نفسه.

والمصداق الأتمّ لهذا المعنى هو الفرس الجَمُوح، ثمّ من يخرج عن طاعة من بيده أمره، من ربّ أو مولى أو زوج أو وليّ.

وأمّا معنى السّعي أو الجري أو السّرعة ونظائرها، فمن لوازم ذلك الأصل الواحد.

ولايخفى أنّ كلمات «جمز»، «جنح»، «جنف» قريبة من هذه الكلمة. (٢: ١١١)

النُّصوص التّفسيريّة

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا اَوْ مَغَارَاتٍ اَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا اِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ. التّوبة: ٥٧

زيد بن عليّ ﷺ: معناه: يطمحون، وهو الإسراع. (٢١٠)

نحوه أبو عُبَيْدَة. (١: ٢٦٢)

الفَرّاء: مسرعين، الجمح هاهنا: الإسراع. (١: ٤٤٣)

ابن قُتَيْبَة: أي يُسرعون روغانًا عنك، ومنه قيل: فرس جَمُوح، إذا ذهب في عدوِه فلم يَثْنه شيء. (١٨٨)

نحوه السّجستانيّ. (٧٩)

الطَّبَريّ: وهم يُسرعون في مشيهم، وقيل: إنّ الجماح مشي بين المشيين. [ثمّ استشهد بشعر]

وإنّما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصّفة، لأنّهم إنّما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم، ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله، لأنّهم كانوا في قومهم وعشيرتهم، وفي دورهم وأموالهم، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه، فصانعوا القوم بالنّفاق، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان، وفي أنفسهم مافيها من البُغض لرسول الله ﷺ، وأهل الإيمان به، والعداوة لهم، فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم. (١٠: ١٥٤)

الزّجّاج أي يُسرعون إسراعًا لايَردّ وجوههم

شيء، ومن هذا قيل: فرس جَمُوح، للّذي إذا حمل لم يَرُدّه اللّجام. (٢: ٤٥٥)

نحوه أبوالفُتوح (٩: ٢٦٨)، وابن الجَوْزيّ (٣: ٤٥٤)، والفَخْرالرّازيّ (١٦: ٩٦)، والنّسَفيّ (٢: ١٣١)، والنّيسابوريّ (١٠: ١٠٩)، والشّربينيّ (١: ٦٢٢).

الماوَرْديّ: أي يُسرعون. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٣٧٢)

الواحديّ: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ مثل مايجمح الفرس، والمعنى أنّ هؤلاء المنافقين لابصيرة لهم في الدّين ولااحتساب، وإنّما هم كالمُسَخّرين حتّى ولو وجدوا أحد هذه الأشياء لأسرعوا إليه، طلبًا للفرار. (٢: ٥٠٤)

نحوه شُبّر. (٣: ٨٦)

البَغَويّ: يُسرعون في إباءٍ ونفور، ولايردّ وجوههم شيء. ومعنى الآية أنّهم لو يجدون مَخلصًا منكم ومهربًا لفارقوكم. (٢: ٣٥٨)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٣: ٤٠)، والقُرطُبيّ (٨: ١٦٦)، والخازن (٣: ٨٨)، والبُرُوسَويّ (٣: ٤٥٠)، والقاسميّ (٨: ٣١٧٧).

الزّمَخْشَريّ: [نحو الزّجّاج وأضاف:]

وقرأ أنس رضي الله عنه (يجمزون) فسُئل، فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدّون واحد. (٢: ١٩٦)

نحوه البَيْضاويّ. (١: ٤١٩)

ابن عَطيّة: وقرأ جمهور النّاس (يَجْمَحُونَ) معناه: يُسرعون مصمّمين غير مُنثنين. [ثمّ استشهد بشعر]

وقرأ أنس بن مالك (يجمزون) ومعناه يهربون، ومنه قولهم في حديث الرّجم: «فلمّا إذ لقته الحجارة جمز». (٣: ٤٦)

نحوه أبوحَيّان. (٥: ٥٥)

ابن كثير: أي يُسرعون في ذهابهم عنكم، لأنّهم إنّما يخالطونكم كُرهًا لامحبّةً، ووَدّوا أنّهم لايخالطونكم. ولكن للضّرورة أحكام. ولهذا لايزالون في همّ وحزن وغمّ، لأنّ الإسلام وأهله لايزالون في عزّ ونصر ورفعة، فلهذا كلّما سُرّ المسلمون ساءهم ذلك، فهم يودّون أن لايخالطوا المؤمنين، ولهذا قال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ...﴾ إلخ. (٣: ٤١٠)

نحوالمَراغيّ (١٠: ١٣٩)، ورشيد رضا (١٠: ٤٨٦).

أبوالسُّعود: [نحو الزّجّاج ثمّ قال:]

وفيه إشعار بكمال عتوّهم وطُغيانهم. وقرئ (يجمزون) بمعنى يجمحون ويشتدّون، ومنه الجَمّازة. (٣: ١٦١)

الآلوسيّ: [نحو الزّجّاج، ثمّ ذكر قراءة أنس وأضاف:]

ومنه الجَمّازة [أي] النّاقة الشّديدة العَدْو. وأنكر بعضهم كون ماذُكر قراءة، وزعم أنّه تفسير، وهو مردود. (١٠: ١١٩)

عبد الكريم الخطيب: ﴿لَوْ يَجِدُونَ...﴾ إلخ، هو تصوير لحجم الفَزَع الّذي يعيش في كيان الكافرين والمنافقين... [إلى أن قال:]

و(يَجْمَحُونَ) أي يفرّون ركضًا مسرعين.

وهذه المَلاجئ الّتي يلجأ إليها هؤلاء الفارّون من وجه الحياة، هي كلّ مايمكن أن يُتصوّر الفرار إليه، في عالم

الإنسان، أو الحيوان، أو الهوامّ. وفي هذا مايدلّ على أنّ المنافقين يلتمسون أيّ مفرّ يفرّون إليه، ويدفنون وجودهم فيه.

بل وأكثر من هذا إنّهم في سبيل الاحتفاظ بالحياة، وفي طلب الفرار من الموت لايأنفون أن يكونوا على أيّة صورة من صور الأحياء، من حشرات، وهوامّ، ودوابّ، ونحوها، المهمّ عندهم هو أن يعيشوا، وليس من المهمّ عندهم في شيء الصّورة الّتي يكون عليها العيش. (٥: ٨٠١)

المُصْطَفَويّ: أي يخرجون عن الجماعة ويميلون عن الحقّ، ويُسرعون إلى جانب أهوائهم النّفسانيّة. (٢: ١١١)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجُمُوح، أي غلبة الفرس صاحبه وقهره، يقال: جمَح الفرس بصاحبه يَجمَح جَمْحًا وجُموحًا وجِماحًا، فهو جامح وجَمُوح، أي ذهب يجري جَرْيًا غالبًا، واعتزّ صاحبَه وغلبَه، ويقال أيضًا: جمَح جِماحًا: ركب رأسه لايُثنيه راكبُه، وجمَح جُمُوحًا: أسرع نشيطًا مَرُوحًا.

ثمّ استُعمل في كلّ شيء مضى لشيء على وجهه، يقال: جمَحَت المرأة تَجمَح جِماحًا من زوجها، أي خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلّقها، والجَمُوح من الرّجال: الّذي يركب هواه فلايمكن ردّه، وجمَحَت السّفينة تَجمَح جُمُوحًا: تركت قصدها فلم يضبطها الملّاحون.

والجُمّاح: قصبة أو سهم صغير بلانصل مُدوّر الرّأس، يتعلّم به الصّبيان الرّمي، أو يلعب به الصّبيان، يجعلون على رأسه تمرة أو طينًا لئلّا يعقر، أو يُرمَى به الطّائر فيُلقيه ولايقتله، حتّى يأخذه راميه، والجمع: جَماميح.

والجُمّاح أيضًا: المنهزمون من الحرب، وكأنّهم جمحوا بقوّادهم، وجمَح إليه: أسرع، وهو تشبيه بإسراع الفرس نشيطًا مَرُوحًا.

٢ـ وقولهم: جمَحوا بكعابهم، يبدو أنّ الأصل فيه «الباء»؛ إذ يقال منه: جبحوا بها، أي رموا بها لينظروا أيّها يخرج فائزًا، وكذا قولهم: تجامح الصّبيان بالكعاب، أي رموا كعبًا بكعب حتّى يُزيله عن موضعه؛ وذلك لأنّ «الباء» و«الميم» مخرجها من بين الشّفتين معًا، وكلاهما حرف مجهور، إلّا أنّ «الباء» أشدّ جَهْرًا.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد، في سورة مدنيّة:

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا اَوْ مَغَارَاتٍ اَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا اِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ التّوبة: ٥٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآية في سورة التّوبة، وابتداؤها إلى (٣٦) إدانة للمشركين وذكر لمواقفهم، وبعدها إلى آخر السّورة آيات الدّعوة إلى غزوة تبوك والنّفر إليها؛ إذ قد تثاقل عنها المؤمنون، وتخلّف عنها المنافقون، وفيها أوصافهم ومواقفهم، وفي خلالها مدح للمهاجرين والأنصار الّذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وبيان لحكم الأشهر الحُرُم والنّسيء، وإدانة الأحبار

والرُّهبان في تجافيهم عن الإنفاق، وكنزهم الذّهب والفضّة.

والآية تُعَدّ من زمرة أوصاف المنافقين القاعدين عن القتال، أنّه قد بلغ إعراضهم عن الحرب مبلغًا لو وجدوا ملجأً أو مغارات، أو مُدّخلًا لفرّوا إليها، وهم يجمحون إعراضًا عن النّبيّ والمؤمنين واستهانة بهم.

ثانيًا: فسّر أكثرهم (يَجْمَحُونَ) بـ(يُسْرِعُونَ) وقد عرفت أنّ أصل المعنى غلبة الفرس صاحبه وقهره جريًا راكبًا رأسه. وعليه ففي الآية استعارة لطيفة؛ حيث شبّههم في فرارهم بفرس غلب صاحبه وركب رأسه، فالإسراع جزء من المعنى المراد لا كلّه، ولهذا قال الواحديّ في معناه: «يجمحون مثل ما يجمح الفرس».

ثالثًا: حُكي عن أنس بن مالك أنّه قرأ (يجمزون) أي يهربون، وكأنّها كانت قراءة شاذّة، ولهذا لم يذكرها الطّبَريّ، وأنكر بعضهم كون ماذُكر قراءة، وزعم أنّه تفسير. وربّما تشهد به رواية الزّمَخشَريّ «قرأ أنس (يجمزون) فسُئل؟ فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدّون واحد».



ج م د

جامدة

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: جمَد الماء يَجمُد جُمُودًا.

ويقال: لك جامد هذا المال وذائبه، والذّائب: الظّاهر، والجامد: الغائب الباطن.

ويقال: ذاب لفلان عليك حقّ، أي وَجَب وظهر.

ومُخّة جامدة، أي صُلْبَة.

ورجل جامد العين: قلّ دمعه.

وسَنة جَماد: جامدة لاكلأ فيها ولاخِصْب.

وعين جَماد: لادَمْع فيها.

والجَمَد: الماء الجامد.

وأجمَد القوم: قلّ خيرهم وبخلوا.

والجُمُد: من أعلام الأرض كالنّشز المرتفع، ويُجمَع على أجماد وجِماد.

والجُماديَان: اسمان معرفة لشهرين، فإذا أضفْتَ قلتَ: شهرا جُمادى، وشهرُ جُمادى. (٦: ٨٩)

الكِسائيّ: ظلّت العين جُمادى، أي جامدة لاتدمع. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٦٨١)

ابن شُمَيْل: الجُمُد: قارة ليست بطويلة في السّماء، وهي غليظة، تغلظ مرّة، وتلين أُخرى، تُنبت الشّجر، ولاتكون إلّا في أرض غليظة. سمّيت جُمُدًا من جُمُودها، أي يُبسِها.

والجُمُد: أصغر الآكام يكون مستديرًا، والقارة: مستديرة طويلة في السّماء، ولاينقادان في الأرض، وكلاهما غليظ الرّأس، ويُسمّيان جميعًا أكَمَةً. وجماعة الجُمُد: جِماد، يُنبت البقل والشّجر.

وأمّا الجُمُود فأسهل من الجُمُد، وأشدّ مخالطةً للسّهول، وتكون الجُمود في ناحية القُفّ، وناحية السّهول. (الأزهَريّ ١٠: ٦٧٨)

أبو عمرو الشّيبانيّ: الجَمَد: أبرق الأرض، أسافل القُفّ، وهي الجِماد، منها مكان سَهْل، وآخر غليظ. (١: ١٢٢)

وقال الأزديّ: الجَمْد: القطع، وهو في الثّوب: الخَرْق. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٣٣)

وأرض جَماد: جامدة لم يُصبها مطر، ولاشيء فيها.

سيف جَماد: صارم. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٠: ٦٧٩)

قد روي في بعض الحديث: «إذا وقعت الجوامد بطلت الشّفعة» والجامد: الحدّبين الدّارين.

(الخطّابيّ ٢: ١٠٦)

الفَرّاء: الجِماد: الحجارة، واحدها: جُمُد.

(الأزهَريّ ١٠: ٦٨١)

الشّهور كلّها مذكّرات إلّا جُمادَيين، فإنّهما مؤنّثتان. [ثمّ استشهد بشعر]

فإن سمعت تذكير جُمادى فإنّما يُذهب به إلى الشّهر.

والجمع: جُمادَيات، على القياس. ولو قيل: جِماد، لكان قياسًا. (ابن سيده ٧: ٣٤٩)

أبو عُبَيْدَة: المُجْمِد: الأمين مع شحّ لايَخدع.

(الأزهَريّ ١٠: ٦٧٨)

الأصمَعيّ: [الجَمَد] هو المكان المرتفع الغليظ.

(الأزهَريّ ١٠: ٦٧٨)

الشّتاء عند العرب جُمادى، لجُمود الماء فيه. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٠: ٦٨٠)

ابن الأعرابيّ: جَمَد الرّجل يَجمُد فهو جامد، إذا بخل بما يلزمه من الحقّ.

وأجمَد يُجمِد إجمادًا فهو مُجمِد، إذا كان أمينًا بين القوم.

والجامد: البخيل. (الأزهَريّ ١٠: ٦٧٧)

أكثر ماتستعمل العرب في الماء جَمَد وفي السّمن وغيره جَمَس. (ابن دُرَيْد ٢: ٦٨)

الجَوامد: الأُرَفُ، وهي الحدود بين الأرضين، واحدها: جامد.

وفلان مُجامِدي، إذا كان جارك بَيْتَ بَيْتَ، وكذلك: مُصاقبي، ومُوارِفي، ومتاخمي. (الأزهَريّ ١٠: ٦٧٩)

ابن السِّكّيت: يقال: إنّه لَجَماد الكفّ، أي جامد الكفّ. وسَنَة جَماد: لامطر فيها، وناقة جَماد: لالبن بها، ورجل مُجمِد. [ثمّ استشهد بشعر] (٧٥)

أبو الهَيْثَم: جُمادى ستّة، هي جُمادى الآخرة، وهي تمام ستّة أشهر من أوّل السّنة، ورجب هو السّابع وجُمادى خمسة، هي جُمادى الأُولى، وهي الخامسة من أوّل شهور السّنة. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٠: ٦٨٠)

الدّينَوريّ: جُمادى عند العرب: الشّتاء كلّه، في جُمادى كان الشّتاء أو في غيرها، أوَ لاترى أنّ جُماديين بين يدَي شعبان، وهو مأخوذ من التّشتّت والتّفرّق، لأنّه في قُبُل الصّيف، وفيه التّصدّع عن المبادي والرّجوع إلى الحاضر. (ابن سيده ٧: ٣٤٩)

الزّجّاج: جَمَد الماء جُمودًا، وأجمَد الرّجل إجمادًا، إذا بخل ولم يُعط شيئًا. (فعلت وأفعلت: ٩)

جُمادى: مؤنّثة والتّأنيث للاسم، فإن ذكرت في شعر فإنّما يُقصد بها الشّهر، وهي غير مصروفة للتّأنيث

والعلميّة، والجمع على لفظها: جماديَات، والأُولى والآخرة صفة لها. فالآخرة بمعنى المتأخّرة، قالوا: ولايقال: جُمادى الأُخرى، لأنّ الأُخرى بمعنى الواحدة، فتتناول المتقدّمة والمتأخّرة، فيحصل اللّبس، فقيل: الآخرة، لتختصّ بالمتأخّرة. (الفيّوميّ: ١٠٧)

ابن دُرَيْد: جمَد الماء والدّم جُمودًا، إذا يبس فهو جامد.

والجمَد: الثّلج الّذي يسقط من السّماء، وأرض جَمْد وجُمْد وجَمَد، والجمع: أجماد، إذا كانت صُلْبة شديدة.

وسنة جَماد: لامطر فيها، وناقة جَماد: لالبن لها.

والمُجمِد: البخيل المتشدّد.

وسمّيت جُمادى، لجمود الماء فيها أيّام سمّيت الشّهور.

وقال قوم: المُجمِد: الّذي لم يفز قدحه في الميسر. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٦٨)

ابن الأنباريّ: أسماء الشّهور كلّها مذكّرة إلّا جُماديَين فهما مؤنّثتان، تقول: مضت جُمادى بما فيها. [ثمّ استشهد بشعر]

فإن جاء تذكير جُمادى في شعر، فهو ذهاب إلى معنى الشّهر، كما قالوا: هذه ألف درهم، على معنى هذه الدّراهم. (الفيّوميّ: ١٠٧)

خالد: رجل مُجْمِد: بخيل شحيح.

(الأزهريّ ١٠: ٦٧٨)

الأزهَريّ: ويُجمَع الجُمْد أجمادًا أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَماد: النّاقة لالبن بها.

وسنة جَماد: لامطر فيها. [ثمّ استشهد بشعر] (١٠: ٦٧٩)

الصّاحِب: [نحو الخليل ثمّ قال:]

وإذا دُعي على الرّجل بأن يُمْنَع ويُوبَس ممّا عنده، قيل: جَمادِ جَمادِ.

والجِماد والجَماد: ضرب من البُرود والثّياب.

والجَمَدُ: الخَرْق في الثّوب، والقَطْع في اللّحم.

وسيف جَماد: قصّال.

والجَمَد من النُّوق: الّتي لاتنفطر بشيء من لبَن، ونُوقٌ جمَدة.

والمُجْمِد: الّذي يُطبق يدَيه على القِداح في المَيسِر، وهو الأمين. وقيل: هو الّذي يُجمِد على القوم، أي يوجب عليهم ماوجب، من قولهم: جمَد لي عليه حقّ، أي وجب، وأجمَدته أنا عليه.

والجمَد: الحجَر النّاتئ على وجه الأرض. (٧: ٥٥)

الجَوهَريّ: والجَمْد بالتّسكين: ماجمَد من الماء، وهو نقيض الذّوب، وهو مصدر سمّي به.

الجمَد، بالتّحريك: جمع جامد مثل خادم وخَدَم، يقال: قد كثر الجمَد.

وجمَد الماء يجمُد جَمْدًا وجُمُودًا، أي قام، وكذلك الدّم وغيره إذا يَبِس.

وجُمادى الأُولى وجُمادى الآخرة، بفتح الدّال، من أسماء الشّهور، وهو «فُعالى» من الجَمْد.

والجُمد: مثل عُسْر وعُسُر: مكانٌ صُلْب مرتفع. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع: أجماد وجِماد، مثل رُمْح وأرماح ورِماح.

والجَماد بالفتح: الأرض الّتي لم يصبها مطر، وناقة جماد: لالبن لها، وسنة جماد: لامطر فيها.

ويقال للبخيل: جَمادِ له، أي لازال جامد الحال، وإنّما بُني على الكسر، لأنّه معدول عن المصدر، أي الجُمُود، كقولهم: فَجارِ، أي الفَجْرَة. وهو نقيض قولهم: حَمادِ، بالحاء في المدح. [ثمّ استشهد بشعر]

وعين جَمُود: لادمع لها.

والمُجمِد: البرَم، وربّما أفاض بالقِداح لأجل الأيسار. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٤٥٩)

ابن فارِس: الجيم والميم والدّال أصل واحد، وهو جُمُوس الشّيء المائع من برد أو غيره، يقال: جمَد الماء يجمُد، وسنة جَماد: قليلة المطر. وهذا محمول على الأوّل، كأنّ مطرها جمَد.

ويقول العرب للبخيل: جَمادِ له، أي لازال جامد الحال، وهو خلاف «حَمادِ». [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٧٧)

ابن سيده: جمَد الماء والدّم وغيرهما من السّيّالات يجمُد جُمُودًا، وجمُد. وماء جَمَد: جامد.

وجمّد الماء والعُصارة ونحوهما: حاول أن يجمُد.

والجمَد: الثّلج.

ولك جامد المال وذائبه، أي صامته وناطقه. وقيل: حَجَره وشَجَره.

ومُخّة جامدة: صُلْبَة.

ورجل جامد العين: قليل الدّمع.

وجُمادَى: من أسماء الشّهور، معرفة، سمّيت بذلك لجمود الماء فيها عند تَسْمية الشّهور. [ثمّ نقل الأقوال وقال:]

وشاة جَماد: لالبن لها، وناقة جَماد: كذلك: لالبن لها.

وقيل: هي أيضًا: البطيئة، ولايعجبني.

وسنَة جَماد: لامطر فيها، وأرض جَماد: لم تُمطَر.

وقيل: هي الغليظة.

والجُمْد، والجُمُد، والجمَد: ماارتفع من الأرض، والجمع: أجماد، وجِماد.

ورجل جَماد الكفّ: بخيل. وقد جمَد يجمُد: بخِل، ومنه قول محمّد بن عمران التّيميّ: إنّا والله مانجمُد عند الحقّ، ولاتندفّق عند الباطل، حكاه ابن الأعرابيّ.

والمُجمِد: البخيل المتشدّد. وقيل: هو الّذي لايدخل في المَيسِر، ولكنّه يدخل بين أهل المَيسِر، فيضرب بالقِداح، وتوضع على يديه ويؤتمن عليها، فيُلزِم الحقّ من وجب عليه ولزمه.

وقيل: هو الّذي لم يَفُزْ قِدحه في المَيسِر. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجمد القوم: قلّ خيرهم.

والجَماد: ضرب من الثّياب. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُمُد: جبَل، مثّل به سيبويه وفسّره السّيرافيّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُمْدان: موضع بين قُديد وعُسْفان. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٣٤٩)

الزّمَخْشَريّ: أنْقُش وعدَك في الجَلْمَد ولاتنقشه في الجمَد.

ومن المجاز: جمَد لي عليه حقّ وذاب، أي وجب.

وأجمَدْتُه عليه: أوجَبْتُه.

وسنة جَماد، وأرض جَماد: لاحيّ فيها، وناقة جَماد: لالبن بها.

ورجل جامد الكفّ وجَماد الكفّ، ومُجمِد: بخيل.

وأجمَدَ القوم: بَخِلوا وقلّ خيرهم، ومن ثمّ قيل للبَرَم: المُجمِد، وجَمَدَتْ يده.

وهو جامد العين، وجَماد العين، وجُمودها، وله عين جَمُود: قليلة الدّمع.

ومازلت أضربه حتّى جَمَدَ.

وسيف جَمّاد: يَجمُد من يُضرَب به. [ثمّ استشهد بشعر]

ولك جامد هذا المال وذائبه. وجَماد له: دعاء على البخيل بجمود الحال، ونقيضه: حَمادِ له. [ثمّ استشهد بشعر] (أساس البلاغة: ٦٣)

ابن الأثير: الجُمُد، بضمّ الجيم والميم: جبل معروف، وروي بفتحها.

وفيه ذكر «جُمْدان» هو بضمّ الجيم وسكون الميم في آخره نون: جبَل على ليلة من المدينة، مرّ عليه رسول الله ﷺ، فقال: سيروا هذا جُمْدان، سبق المفرِّدون. (١: ٢٩٢)

الصّغانيّ: الجَمْد، بالفتح: القَطْع.

وسيف جَمّاد: قطّاع. [ثمّ استشهد بأشعار]

والجوامد: الأُرَف، وهي الحدود بين الأرضين، واحدها: جامد، ومنه الحديث: «إذا وضعت الجوامد فلاشُنْعَة[1]».

ويقال: فلان مُجامِدي، إذا كان جارك بَيْتَ بَيْتَ.

ورجل مُجْمِد، إذا كان أمينًا بين القوم. (٢: ٢١٤)

الفَيُّوميّ: جمَد الماء وغيره جَمْدًا، من باب «قتل» وجُمُودًا: خلاف ذاب، فهو جامد.

وجمَدت عينه: قلّ دمعها، كناية عن قسوة القلب، وجمَد كفّه كناية عن البُخل.

وماءٌ جَمْد بالسّكون تسمية بالمصدر: خلاف الذّائب.

والجمَد بالفتح: جمع جامد، مثل خادم وخدَم.

وجُمادى: من الشّهور مؤنّثة.

ويُحكى أنّ العرب حين وضعت الشّهور وافق الوضع الأزمنة فاشتُقّ للشّهور معان من تلك الأزمنة، ثمّ كثر حتّى استعملوها في الأهلّة وإن لم توافق ذلك الزّمان، فقالوا: رمضان لمّا أرمضت الأرض من شدّة الحرّ، وشوّال لمّا شالت الإبل بأذنابها للطّروق، وذو القعدة لمّا ذلّلوا القِعْدان للرّكوب، وذو الحجّة لمّا حجّوا، والمحرّم لمّا حرّموا القتال أو التّجارة، والصّفر لمّا غزوا فتركوا ديار القوم صِفْرًا، وشهر ربيع لمّا أربعَت الأرض وأمرعَت، وجُمادى لمّا جمَد الماء، ورجب لمّا رجّبوا الشّجَر، وشعبان لمّا أشعبوا العُود. (١٠٧)

الفيروزاباديّ: جمَد الماء وكلّ سائل كنصَر وكرُم، جَمْدًا وجُمُودًا: ضدّ ذاب فهو جامد وجَمْدٌ، سمّي بالمصدر.

وجمَّد تجميدًا: حاول أن يَجمُد.

والجمَد محرّكة: الثّلج، وجمع جامد، والماء الجامد.

والجَماد: الأرض، والسّنة لم يصبها مطر، والنّاقة البطيئة، والّتي لالبن لها، وضرب من الثّياب، ويُكسَر.

(١) الظّاهر: فلاشفعة، كما حكاه «الخطّابيّ سابقًا» عن أبي عمرو الشّيبانيّ. وكذا ابن الأثير لاحظ (ش ف ع).

ويقال للبخيل: جَمادِ كقَطامِ، ذمًّا له، وهو جَماد الكفّ، وجمَد: بَخِل.

وكحُبارى: من أسماء الشّهور معرفة مُؤنّثة، الجمع: جُمادَيات، وجُمادى: خمسة الأُولى، وجُمادى: ستّة الآخرة.

وظلّت العين جُمادى: جامدةً لاتدمع، وعين جَمُود، ورجل جامد العين.

والجُمُد بالضّمّ وبضمّتين وبالتّحريك: ماارتفع من الأرض، الجمع: أجماد وجِماد.

وأجمد بن عُجْيّان: صحابيّ فرد.

والجوامد: الحدود بين الأرضين. [إلى أن قال:]

وجَـده: قطعه، وسيف جَمّاد: صارم.

وجامد المال وذائبه: صامته وناطقه.

وجمَد حقّي: وجب، وأجمَدتُه.

والمُجمِد: البخيل والمتشدّد، والأمين في القِمار أو بين القوم، والدّاخل في جُمادى، والقليل الخير.

وهو مُجامدي: جاري بَيْتَ بَيْتَ. (١: ٢٩٤)

مَجْمَعُ اللُّغة: جمَد الماء وغيره من السّوائل يجمُد جُمُودًا: ضدّ سال، فهو جامد، وهي جامدة. وقد يراد بالجامد: ماسكن وثبت، لأنّه في مقابلة السّائل الّذي يلزمه عدم القرار. (١: ٢٠٤)

محمّد إسماعيل إبراهيم: جمَد الماء: تماسكت أجزاؤه وصار جليدًا، والجامد: مالاحياة فيه كالحجر، والجامد: الثّابت أيضًا. (١١٠)

العَدْنانيّ: جمَد الماء وجمُد.

ويخطّئون من يقول: جمُد الماء، ويقولون: إنّ الصّواب هو: جمَد الماء، معتمدين على ماجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم، وأدب الكاتب، ومعجم مقاييس اللُّغة، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، وأقرب الموارد، والوسيط.

ولكن:

أجاز فتح الميم في «جمَد» وضمّها «جمَد وجمُد» كلّ من القاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والإفصاح في فقه اللّغة، والمتن.

وفِعْله هو: جمَد أو جمُد يجمُد جَمْدًا، وجُمُودًا، فهو جامِدٌ وجَمْدٌ.

ومن معاني «جمَد»:

جمَدتْ عينُه تجمُد جُمُودًا: قلّ دمعها ـ مجاز ـ فهي جامدة وجَمُود.

جمَدت النّاقة، أو الشّاة: قلّ لبنها، مجاز.

جمَدت الأرض: لم يصبها مطر، مجاز.

جمَدت السّنة: لم يقع فيها مطرٌ ـ مجاز ـ فهي جامدة وجَماد.

جمَد فُلان: بَخِل، مجاز.

جمَده بالسّيف: قطَعه، مجاز.

جمَد حقّ فلان: وجب، مجاز. (١٢٦)

المُصْطَفَويّ: ظهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الجُمُود في مقابل الجريان، ثمّ إنّ الجُمود وكذلك الجريان مادّيّ أو معنويّ؛ فالمادّيّ كما في انجماد الماء والشّيء الصُّلب، والمعنويّ كما في البُخل، فإنّ البخيل كأنّ قلبه مُنجمد لاجريان في باطنه وروحه.

ولايخفى أنّ المراد من الجريان: هو الشّأنيّ وبالقوّة،

فيشمل ماهو مايع بالفعل وجار بالقوّة، والجامد مايقابله. [ثمّ فسّر الآية وقال:]

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ النّمل: ٨٨، أي ثابتة ساكنة صُلبة واقفة، مع أنّها تمرّ كالسّحاب وتسير وتتغيّر وتتبدّل أجزاؤها، فهي في الظّاهر جامدة، وبنظر البصيرة والدّقّة سائرة متغيّرة.

فالجمود في الآية الشّريفة قد ذُكر في مقابل المرور: فإنّ في الجمود قيدين: الصّلابة والسّكون، والنّاظر إلى الجبل يحسبه كذلك، مع أنّه يمرّ دائمًا كمرور السّحاب في الفضاء.

والظّاهر أنّ الجموس فيه قيد واحد، وهو الصّلابة فقط. واللّغتان تشتركان في مفهوم التّجمّع والصّلابة، ونظيرهما في مفهوم التّجمّع كلمات: جمع، جلد، جمر، جبل، جفل، جعب، جسم. (٢: ١١٢)

النّصوص التّفسيريّة

جامِدَةً

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ. النّمل: ٨٨

ابن عبّاس: ساكنة مستقرّة. (٣٢٢)

قائمة. (الطّبريّ ٢٠: ٢١)

ابن قُتَيْبَة: أي واقفة. (٣٢٧)

مثله الماوَرْديّ. (٤: ٢٣٠)

البغَويّ: قائمة واقفة. (٣: ٥١٩)

مثله الخازن. (٥: ١٣٢)

المَيْبُديّ: قائمة واقفة مستقرّة مكانها. (٧: ٢٦٢)

الزّمَخْشَريّ: جامدة، من جمد في مكانه، إذا لم يبرح، تجمع الجبال فتسيركها تُسير الرّيح السّحاب، فإذا نظر إليها النّاظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد. (٣: ١٦٢)

البَيْضاويّ: ثابتة في مكانها. (٢: ١٨٥)

مثله الكاشانيّ (٤: ٧٩)، ونحوه أبوالسّعود (٥: ١٠٦)، والبُرُوسَويّ (٦: ٣٧٥)، والآلوسيّ (١٩: ٣٤).

النّسَفيّ: واقفة ممسكة عن الحركة، من جمد في مكانه، إذا لم يبرح. (٣: ٢٢٣)

أبوحَيّان: الجمود: سكون الشّيء وعدم حركته. (٧: ٨١)

وجامدة، من جمد مكانه، إذا لم يبرح منه. وهذه الحال للجبال عقيب النّفخ في الصّور، وهي أوّل أحوال الجبال تموج وتسير، ثمّ ينسفها الله فتصير كالعِهن، ثمّ تكون هباء منبثًّا في آخر الأمر ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ جملة حاليّة، أي تحسبها في رأي العين ثابتة مقيمة في أماكنها وهي سائرة. (٧: ١٠٠)

ابن كثير: أي تراها كأنّها ثابتة باقية على ماكانت عليه. (٥: ٢٦٠)

نحوه المَراغيّ. (٢٠: ٢٤)

الشّربينيّ: أي قائمة ثابتة في مكانها لاتتحرّك، لأنّ الأجرام الكبار إذا تحرّكت في سمت واحد لاتكاد تتبيّن حركتها. (٣: ٧٧)

أبوالسُّعود: أي ثابتة في أماكنها، إمّا بدل منه أو

حال من ضمير (تَرَى) أو من مفعوله. (٥: ١٠٦)

نحوه الآلوسيّ. (١٩: ٣٤٠)

الطَّباطَبائيّ: أي تظنّها الآن ـ ولم تقم القيامة بعد ـ جامدة غير متحرّكة، والجملة معترضة أو حاليّة. (١٥: ٤٠١)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجَمَد، أي صلابة الماء من البرودة، يقال: قد كثر الجَمَد، وهو الجَمْد أيضًا. ثمّ عُمّم لكافّة السّوائل، فتوسّع معناه تبعًا لذلك؛ يقال: جمَد الماء والدّم وغيرهما يَجمُد جُمُودًا وجَمْدًا، أي قام ويَبِس، وجَمّد الماء والعصارة: حاول أن يجمُدَ. وماءٌ جَمْدٌ: جامد، يقال: لك جامد المال وذائبه، أي ماجَمَد منه وذاب، وقيل: صامته وناطقه، أو حجره وشجره؛ والأوّل أقرب إلى الاشتقاق، ومُخّة جامدة: صُلْبة.

والجُمادَيان: جُمادى الأُولى، وهو الشّهر الخامس من الشّهور العربيّة، وجُمادى الآخرة، وهو الشّهر السّادس منها، والجمع: جُمادَيات؛ وسُمّيا بذلك لجمود الماء فيها عند تسمية الشّهور.

ورجل جامد العين: قليل الدّمع، وعينٌ جَمُود: لادمع لها، يقال: ظلّت العين جُمادي، أي جامدة لاتدمع.

وشاةٌ جَماد: لالبن فيها، وكذا ناقةٌ جَماد، أو هي القليلة اللّبن من يبوستها، يقال: جَمَدَت تَجمُدُ جُمُودًا.

وسنةٌ جَماد: لامطر فيها، وسنةٌ جامدة: لاكلأ فيها ولاخصب ولامطر.

وأرضٌ جَماد: يابسة لم يصبها مطر، ولاشيء فيها.

والجُمْد والجُمُد والجَمَد: الأرض الصُّلبة الشّديدة، والجمع: أجماد وجِماد. والجُمْد والجُمُد: مكان صلب مرتفع.

والجُمُد: أصغر الآكام، يكون مستديرًا صغيرًا، سمّي بذلك لجموده ـ أي يبسه ـ والجمع: جِماد وأجماد.

والجُمُود: أسهل من الجُمُد، وأشدّ مخالطة للسّهول.

والجِماد: الحجارة، واحدها: جَمَد.

والجامد: الحدّ بين الدّارين، والجمع: جَوامد، يقال: فلانٌ مُجامدي، أي جاري بيت بيت، وهو تشبيه بالأرض الجُمُد، أي الصُّلبة.

وسيفٌ جَماد: صارم، وكأنّ دم من يُضرَب به يجمُد لصرامته، كما يقال: ضُرِب فلانٌ حتّى بَرَد، أي مات.

ورجل جَماد الكفّ: بخيل، وقد جَمَد يجمُد وأجمَد يُجمِد إجمادًا، أي بخِل، يقال: جمادِ له، أي لازال جامد الحال. وأجمَد القوم: قلّ خيرهم وبخلوا، ورجل مُجمِد: بخيل شحيح.

٢ـ وأطلق المولّدون لفظ «الجَماد» على القسم الثّالث من الكائنات، وهي: الحيوان والنّبات والجماد، نظرًا إلى سكونه وانعدام الحياة فيه، خلافًا لقسيميه: الحيوان والنّبات. كما قسّموا الأشياء وَفقًا لحالاتها إلى الهيئات الثّلاث: السّائل، والجامد، والغازيّ.

واستعمل الفلاسفة لفظ «الجُمُود» في حالات النّفس، وعرّفوه بأنّه «هيئة حاصلة للنّفس، بها يقتصر على استيفاء ماينبغي ومالاينبغي».

ويُطلق الجمود ـ هذا اليوم ـ على الفكر أيضًا،

فتسمّى حالة عدم إعمال العقل في مايعلم للوصول إلى مالايعلم «الجمود الفكريّ»، وهو اصطلاح سياسيّ.

واستُعمل اصطلاح «تجميد الأموال» في المجال الاقتصاديّ، بمعنى حجرها من قبل الدّولة، فتُصبح في عداد الأموال غير المنقولة خلال مدّة قد تطول أو تقصر؛ وذلك لغرض اقتصاديّ أو سياسيّ.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد: (جَامِدَة) في سورة مدنيّة:

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النّمل: ٨٨

يلاحظ أوّلاً: أنّهم فسّروا (جَامِدَةً) قائمة، واقفة، ساكنة، مستقرّة مكانها، ثابتة في مكانها، تراها كأنّها ثابتة، ونحوها. وقد مرّ أنّ أصل المادّة: صلابة الماء من البرودة، فيخطر بالبال أنّها كناية عن شدّة تماسك الجبال يومئذٍ فهي تُرى كالمياه الجامدة. وفيه لطف ليس في تفسيرها بالواقفة ونحوها، وكأنّهم فسّروها بذلك نظرًا إلى مابعدها: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ولكنّه لايمنع إرادة المعنى الكنائيّ منها، لأنّ الوقوف والسّكون ونحوها لازمٌ للمعنى الكنائيّ. ولك أن تستأنس له بـ(تَحْسَبُهَا) أي تظنّ كأنّها جامدة، وهو تمثيل.

ثانيًا: هذه الآية جاءت عقيب ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ النّمل: ٨٧، فحملها كثير منهم على حوادث تقع بين يدي السّاعة إثر زلازل وانفجارات، فتتلاشى الجبال يومئذ زعمًا منهم أنّها مثل ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٠، إلّا أنّ قرائن كثيرة دلّت على أنّ المراد بها: حالة الجبال في الدّنيا، لأنّها من قبيل آيات التّوحيد، وأنّها تشير إلى حركة الأرض الّتي لاتُحسّ، وأنّك تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السّحاب، وأنّ تشبيهها بحركة السّحاب تناسب الحركات الهادئة، دون الانفجار أو الزّلازل العظيمة، وأنّ التّعبير عنها بالإتقان يحاكي نظم العالم، ولايناسب حالة انهياره وتلاشيه.

وحملها صدر المتألّهين على الحركة الجوهريّة عنده، لاحظ الآية في (جبال) نصّ المكارم. والطّباطبائيّ رجّح أوّلًا رجوعها إلى أعلام القيامة، وقال: «المراد بها تمثيل الواقعة، مثل ﴿تَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ الحجّ: ٢، أي هذا حالها المشهودة في هذا اليوم تشاهدها لو كنت مشاهدًا، وقوله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي تظنّها الآن ـ ولم تقم القيامة بعد ـ جامدةً غير متحرّكة». فيبدو أنّه أراد الجمع بين علاقتها بالقيامة ووضعها في الدّنيا. لكنّه حملها ثانيًا على قولين آخرين، ترجعان إلى حركة الجبال في الدّنيا: الحركة الجوهريّة ـ ورجّحها ـ والحركة الانتقاليّة، لكنّه ضعّفها بلزوم انقطاع الآية عمّا قبلها ومابعدها من آيات القيامة، ثمّ انقطاع قوله: ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ عمّا قبله. والآية بعد ذلك كلّه تتطلّب بحثًا أوفى. لاحظ نصوصها في «ج ب ل».

ثالثًا: مجيء لفظ واحد (جَامِدَةً) منها في سورة مكّيّة، ربّما دلّ على عدم شيوعها في البلدين لولا دلالتها على اختصاصها بمكّة، وله نظائر في القرآن، ينبغي البحث فيها في «المدخل».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج م ع

٣٢ لفظًا، ١٢٩ مرّة: ٧٩ مكّيّة، ٥٠ مدنيّة

في ٤٤ سورة: ٣٣ مكّيّة، ١١ مدنيّة

جمَع ٣: ٣
جمعَهُم ١: ١
جمعُوا ١: ـ ١
جمعْناهم ٢: ـ ٢
جمعْناكم ١: ١
جُمِعَ ٢: ٢
يجْمَع ٣: ٢ ـ ١
يجْمَعُكم ٢: ١ ـ ١
ليجمعنّكم ٢: ١ ـ ١
تجْمَع ١: ١
يجمعون ٣: ٢ ـ ١
تجْمَعُوا ١: ـ ١
جامِع ٣: ـ ٣
مجْموع ١: ١
لمَجْمُوعون ١: ١
جميعًا ٤٩: ٢١ ـ ٢٨
مجْمَع ٢: ٢
الجمع ٣: ١ ـ ٢
جمْعًا ٣: ٢ ـ ١
جمْعَه ١: ١
جمْعِهم ١: ١
جمْعُكم ١: ١
الجمْعان ٤: ١ ـ ٣
أجمعون ٣: ٣
أجمعين ٢٣: ٢١ ـ ٢
أجمَعوا ٢: ٢
أجمِعُوا ٢: ٢
اجتمعوا ١: ـ ١
اجتمعت ١: ١
مجتمعون ١: ١
جميع ٤: ٣ ـ ١
الجُمُعَة ١: ـ ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجَمْع: مصدر جمعت الشّيء، والجمع أيضًا: اسم لجماعة النّاس، والجموع: اسم لجماعة النّاس.

والمَجْمَع: حيث يُجمَع النّاس، وهو أيضًا اسم للنّاس.

والجماعة: عدد كلّ شيء وكثرته.

والجِماع: ماجمَع عددًا، فهو جِماعه، كما تقول لجِماع الخِباء: أخبية، قال الحسَن: «اتّقوا هذه الأهواء الّتي جِماعها الضّلالة ومعادها إلى النّار».

وكذلك «الجميع» إلّا أنّه اسم لازم، يقال: رجل جميع، أي مُجتمع في خَلْقه.

وأمّا المُجتمع فالّذي استوت لِحْيَتُه، وبلغ غاية

شبابه، ولايقال للنّساء.

والمسجد الجامع نعت به، لأنّه يجمع أهله. ومسجد الجامع خطأً بغير الألف واللّام، لأنّ الاسم لايضاف إلى النّعت لايقال: هذا زيد الفقيه.

وتقول: جمّع النّاس، أي شهدوا الجُمُعَة وقضوا الصّلاة.

وجُمّاع كلّ شيء: مُجتمَع خَلْقه، فمن ذلك: جُمّاع جسد الإنسان: رأسه، وجمّاع الثّمرة ونحوها، إذا اجتمعت براعيمها في موضع واحد. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: ضربته بجُمْع كفّي، ومنهم من يكسر الجيم، وأعطيته من الدّراهم جُمْع الكفّ، كما تقول: مِلْء الكفّ.

وماتت المرأة بجُمْع، أي مع مافي بطنها، وكذلك يقال إذا ماتت عذراء.

وترك فلان امرأته بجُمْع وسار، أي تركها وقد أثقلت.

واستجمع للمرء أموره، إذا استُجمع وهُيّئ له مايُسَرّ به من أمره. [ثمّ استشهد بشعر]

واستجمع السّيل، أي اجتمع، واستجمع الفرس جَرْيًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وسمّي «جَمْع» جمعًا، لأنّ النّاس يجتمعون إليها من المزدلفة بين الصّلاتين، المغرب والعِشاء الآخرة.

والمُجامَعَة والجِماع: كناية عن الفعل، والله يكنّي عن الأفعال، قال الله عزّوجلّ: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ النّساء: ٤٣، كنّي عن النّكاح. (١: ٢٣٩)

الكِسائيّ: أكبر البِرام: الجِماع، ثمّ الّتي تليها المِثكلة. (الأزهَريّ ١: ٤٠١)

يقال: أجمعت الأمر وعلى الأمر، إذا عزمت عليه، والأمر مُجْمَع. (الجَوهَريّ ٣: ١١٩٩)

اللّيث: الجُمُعَة: يوم خُصّ به لاجتماع النّاس في ذلك اليوم، وتُجمع على: الجُمُعات والجُمَع. والفعل منه جمّع النّاس، أي شهدوا الجمعة. (الأزهَريّ ١: ٣٩٨)

يقال: لك هذا المال أجمع، ولك هذه الحِنطَة جَمعاء، وهؤلاء نسوة هنّ جُمَعُ لك، غير منوّن ولامصروف. (الأزهَريّ ١: ٤٠١)

أبوعمرو الشّيبانيّ: أجمع بناقتك: وهو أن يَصُرّ أخلافها كلّها. (١: ١١٧)

أجمَع فلان إبلَ فلان، إذا جمعها فاستاقها، فقد جمّعها. (١: ١٢٠)

تركت المرأة بجُمْع، أي عذراء، وهي بجُمْع منّي، أي لم أمْسَسْها.

وتقول: ضربه بجُمْع يده.

والجماعة: أجماع. (١: ١٢٦)

استجمع بنو فلان، إذا ارتحلوا بأجمعهم. (١: ١٢٩)

المَجْمَعَة: الأرض القَفْر. والمَجْمَعَة: مااجتمع من الرّمال، وهي الجامع. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١: ٤٠١)

الفَرّاء: الإجماع: الإعدادا والعزيمة على الأمر. [إلى أن قال:]

إذا أردت جَمْع المتفرّق، قلت: جمعت القوم فمجموعون، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ هود: ١٠٣.

وإذا أردت كسب المال قلت: جمّعت المال، كقول الله

تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ الهمزة: ٢ .

(١: ٤٧٢)

الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشّيء، تقول: أجمعتُ الخروج وأجمعتُ على الخروج، مثل أزمعت. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٨٥)

أبوزَيْد: ويقال: غدوت وأمري مُجْمَع، أي أجمعتُ عليه للخروج. [ثمّ استشهد بشعر] (١٣٣)

ويقال: لِلَبَن كلّ باهل: فُواق، ولبن كلّ مصرورة: جُمْع. (٢٦٠)

ماتت النّساء بأجماع، والواحدة: بجُمْع؛ وذلك إذا ماتت وولدها في بطنها، ماخضًا كانت أو غير ماخض.

وإذا طلّق الرّجل امرأته وهي عذراء لم يدخل بها قيل: طُلّقت بجُمْع، أي طُلّقت وهي عذراء لم يدخل بها، وكذلك إذا ماتت وهي عذراء قيل: ماتت بجُمْع.

(الأزهَريّ ١: ٣٩٩)

الأصمَعيّ: جمعتُ الشّيء، إذا جئتَ به من هاهنا وهاهنا، وأجمعتُه، إذا صيّرته جميعًا. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١: ٣٩٧)

يقال: أدام الله جُمْعَةَ بينكما، كقولك: أدام الله أُلفَةَ ما بينكما. (الأزهَريّ ١: ٣٩٩)

[في حديث النّبيّ ﷺ] «بعْ الجَمْع بالدّراهم وابتع بالدّراهم جنيبًا».

كلّ لون من النّخل لايُعرف اسمه فهو جَمْع، يقال: قد كثر الجَمْع في أرض فلان، لنخل يخرج من النّوى.

ومُزْدَلِفة يقال لها: جَمْع، وقال ابن عبّاس: «بعثني رسول الله ﷺ في الثَّقَل من جَمْعٍ بليل».

(الأزهَريّ ١: ٤٠٠)

قِدْرٌ جِماع وجامِعَة، وهي العظيمة.

(الأزهَريّ ١: ٤٠١)

اللِّحيانيّ: ذهب الشّهر بجُمْع وبجِمْع، أي أجمَع. وفلان جميع الرّأي، أي ليس بمنتشر الرّأي.

(الأزهَريّ ١: ٤٠١)

أبو عُبَيْد: في حديث النّبيّ ﷺ حين ذكر الشّهداء، فقال: «ومنهم أن تموت المرأة بجُمْع».

قال أبوزَيْد: يعني أن تموت وفي بطنها ولد، وقال الكِسائيّ مثل ذلك، قال: ويقال أيضًا: بجِمْعٍ، لم يقله إلّا الكِسائيّ.

وقال غيرهما: قد تكون الّتي تموت بجُمْع أن تموت ولم يمسّها رجل، لحديث آخر يُروى عن النّبيّ ﷺ مرفوعًا: «أيّما امرأة ماتت بجُمْع لم تطمث دخلت الجنّة».

(١: ٨٢)

ابن الأعرابيّ: الجَمعاء: النّاقة الكافّة الهرمة.

(الأزهَريّ ١: ٤٠١)

ابن السِّكّيت: ويقال: ماتت بجُمْع وجِمْع، وهو أن تموت وولدها في بطنها. (٣٤٨)

وإذا كانت المرأة عذراء، كما هي قالت: إنّي بجُمْع.

(٣٧٩)

يقال: أخذت الشّيء بأجمَعه وأجمُعه، وحذافيره، وأخذه بجملته. (٥٠٣)

قال أبوعُبَيْدة: يقال: جاء بحجَرٍ جِمْع الكفّ، وجُمْع الكفّ، ووجأته بجِمْع كفّي وجُمْع كفّي.

ويقال: هلكت فلانة بجُمْع، أي وولدها في بطنها،

وجِمْع لغة.

ويقال أيضًا للعذراء: هي بِجِمْع وجُمْع، وقالت الدّهناء ابنة مِسْحَل ـ امرأة العجّاج حين نشزت عليه ـ للوالي: «أصلحك الله إنّي منه بجُمْع» وإن شئت بجِمْع، أي عذراء لم يفتضّني. (إصلاح المنطق: ٣٦)

يقال: قد أجمع أمره فهو مُجْمَعٌ، إذا عزم عليه. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال: هَبٌّ مُجْمَعٌ، إذا حُزِق وضُمّ من طوائفه.

ويقال: قد أجمع ناقته، إذا صرّ أخلافها جُمَع.

ويقال: جمعت الشّيء المتفرّق أجمعه جمْعًا.

ويقال للجارية إذا شبّت: قد جمّعت الثّياب، أي لبست الدّرْع والخِمار والمِلحَفة. (إصلاح المنطق: ٢٦٣)

يقال: أمرُ بني فلان بجُمْع، إذا كان مكتومًا لم يُفشَوه، ولم يعلم به أحد. (إصلاح المنطق: ٤٠٦)

أجمع الرّجل بناقته، إذا صرّ أخلافها أجمع، وكذلك أكمش بها.

وجمّعت الدّجاجة تجميعًا، إذا جمعت بيضها في بطنها.

(الأزهريّ ١: ٤٠٢)

أبوالهيثم: أجمع أمره، أي جعله جميعًا بعد ما كان متفرّقًا، وتفرّقه: أنّه جعل يدبّره، فيقول مرّة: أفعل كذا، ومرّة أفعل كذا، فلمّا عزم على أمر مُحكم أجمعه، أي جعله جميعًا.

وكذلك يقال: أجمعت النَّهب، والنّهب: إبل القوم الّتي أغار عليها اللّصوص، فكانت متفرّقةً في مراعيها، فجمعوها من كلّ ناحية حتّى اجتمعت لهم، ثمّ طردوها وساقوها، فإذا اجتمعت قيل: أجمعوها. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهريّ ١: ٣٩٧)

المُبرِّد: الجُمّاع: الضّروب من النّاس المتفرّقون. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَمْع: اسم لجماعة النّاس، ويُجمَع جموعًا.

(الأزهريّ ١: ٣٩٩)

الزّجّاج: وجمَع الرّجل المال وغيره جمعًا، وأجمع على الأمر إجماعًا، إذا عزم عليه. (فعلت وأفعلت: ٩)

ابن دُرَيْد: الجَمْع: خلاف التّفريق، جمعت الشّيء أجمعه جَمْعًا، إذا ضممت بعضه إلى بعض، واجتمع القوم اجتماعًا لفرح أو خصومة، وأجمعت على الأمر إجماعًا، إذا عزمت عليه، وأجمعت الشّيء، إذا ألّفته من مواضع شتّى. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُمّاع: ما تجمّع من أُشابة النّاس وأخلاطهم. [ثمّ استشهد بشعر]

وكلّ شيء تجمّع وانضمّ بعضه إلى بعض فهو جُمّاع. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: ماتت المرأة بجُمْع، إذا ماتت وولدها في بطنها.

ويقال: فلانة عند زوجها بجُمْع، إذا لم يصل إليها.

وضربته بجُمْع يدي، إذا ضممت كفّك وضربته بها. [ثمّ استشهد بشعر]

والجِماع: كناية عن النّكاح. وجامعت الرّجل على الأمر مجامعة وجِماعًا، إذا مالأته عليه.

وأيّام جَمْع: أيّام مِنًى.

والجُمُعة: مشتقّة من اجتماع النّاس فيها للصّلاة،

ونادوا الصّلاة جامعةً، أي اجتمعوا لها.

وفلاة مُجمِعة: يجتمع فيها القوم ولايفترقون خوف الضّلال.

والجوامع: الأغلال، الواحدة: جامعة. [ثمّ استشهد بشعر]

والمَجْمَعَة: الموضع الّذي يجتمع النّاس فيه، والجمع: مَجامع.

وقد سمّت العرب: جامِعًا، وجَمّاعًا، وجُمْعًا، وجُمَيْعًا. (٢: ١٠٣)

الأزهَريّ: قال بعضهم: جمَعتُ أمري، والجَمْع: أن تجمع شيئًا إلى شيء. والإجماع: أن تجعل المتفرّق جميعًا، فإذا جعلته جميعًا بقي جميعًا، ولم يكد يتفرّق، كالرّأي المعزوم عليه المُمضَى. [إلى أن قال:]

وقال بعضهم: أجمَعتُ الإبل: سُقتُها جميعًا، وأجمعت الأرض سائلةً، وأجمع المطر الأرض، إذا سال رَغابُها وجَهادها كلّها.

الجُمُعَة: تثقّل، والأصل فيها التّخفيف: جُمْعَة فمن ثقّل أتبع الضّمّة، ومن خفّف فعلى الأصل، والقرّاء قرؤوها بالتّثقيل.

وقال اللّيث: يقال: المسجد الجامع نعت له، لأنّه علامة للاجتماع يجمع أهله، ولايقال: مسجد الجامع.

قلت: النّحويّون أجازوا جميعًا ماأنكره اللّيث. والعرب تضيف الشّيء إلى نفسه وإلى نعته إذا اختلف اللّفظان، كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البيّنة: ٥، ومعنى الدّين: الملّة، كأنّه قال: وذلك دين الملّة القيّمة.

وأخبرني المنذريّ عن أبي الهيثم أنّه قال: العرب تضيف الاسم إلى نعته، كقوله جلّ وعزّ: ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾ الأحقاف: ١٦، و﴿وَعْدَ الْحَقِّ﴾ إبراهيم: ٢٢، وصلاة الأُولى، ومسجد الجامع.

قلت: وماعلمت أحدًا من النّحويّين أبى إجازته، وإنّما هو الوعد الصّدق، والمسجد الجامع، والصّلاة الأُولى. (١: ٣٩٨)

ويقال: ضربوه بأجماعهم، إذا ضربوه بأيديهم، وضربه بجُمْع كفّه. ويقال: أمركم بجُمْع فلاتُفشوه، أي أمركم بجمع فلاتُفرّقوه بالإظهار. (١: ٣٩٩)

ويقال: فلان جِماع لبني فلان، إذا كانوا يأوُون إلى رأيه وسؤدده، كما يقال: مَرَبٌّ لهم.

واشترى دابّة جامعًا: تصلح للسّرج والإكاف، وأتان جامع: أوّل ماتحمل.

ويقال: استأجرته مُشاهرة ومُجامعة، أي كلّ جمعة بكذا.

واستجمع البقل، إذا يبس كلّه. واستجمع الوادي، إذا لم يبق منه موضع إلّا سال. واستجمع القوم، إذا ذهبوا كلّهم لم يبق منهم أحد، كما يستجمع الوادي بالسّيل.

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنّه قال: «عجبت لمن لاحَن النّاس كيف لايعرف جوامع الكلم» يقول: كيف لايقتصر على الإيجاز ويترك الفضول من الكلام، وهو من قول النّبيّ ﷺ: «أُوتيتُ جوامع الكلم» يعني القرآن وماجمَع الله عزّوجلّ بلُطفه من المعاني الجمّة في الألفاظ القليلة، كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩. (١: ٤٠١)

الصّاحِب:الجَمْع: المجتمعون، والجُمّاع: المتفرّقون، وقيل: جُمّاع النّاس: أخلاطهم.

والجُمُوع: اسم لجماعة النّاس، وجِماعٌ: للجَمْع أيضًا، والمَجْمَع كذلك، يكون اسمًا للنّاس وللموضع.

وجِماع الشّيء وجميعه: واحد.

ورجل جميع: مُجتمع في خَلقه، والمُجتمع: الّذي بلغ غاية شبابه.

وجُمّاع كلّ شيء: مُجتمَع خَلْقه، ومن ذلك جُمّاع جسد الإنسان: رأسه.

وجُمّاع الثّمرة ونحوها، إذا اجتمعت بَراعيمُ في موضع واحد على حملها.

وقِدْرٌ جِماع وجامع وجامعَة: عظيمة تستوعب شاةً، وجَمْعُ الجِماع: أجْمِعَة.

والجمع: الدَّقَل يُخلَط بعضه ببعض من تَمْر خمسين نخلةً. وقيل: كلّ لون لايُعْرف اسمه من التّمر، فهو جَمْع.

والجمع: الصّمْغ الأحمر.

وجَمْعٌ: موضع بمكّة.

ويوم الجمع: يوم القيامة.

ونَعامةٌ جُمْعٌ: لم يَسفِدها الظّليم بعد. ومنه ماتت المرأة بجُمْع، إذا لم تُفْتضّ. ويقال أيضًا: ماتت بجُمْع، إذا ماتت وفي بطنها ولد. وذهب وترك امرأته بجُمْع، أي قد أثقلت.

وضرَبتُه بجُمْع كفّي وبجَمْعه أيضًا.

وأعطيته جُمْع كفّي، أي مَلأً.

وأمْرُهم بجُمْع، أي مكتوم.

وذهب الشّهر بجُمْع، وبجِمْع مكسورًا، أي كلّه.

ومررت بجُمْعَة مُجتمعين، أي بجماعة.

وقيل: سمّيت الجُمُعَة جُمُعَة، لأنّه جُمِع فيه خَلْق آدم، وقيل: لاجتماع النّاس فيه. وقد جَمّع: شهد الجُمُعَة والجماعة.

وجمل جامعٌ، وهو حين يُخلِف بُزُولًا لأربع سنين، حتّى يقعه على حاله سنَة أو سنتين، لايزيده الكبر ولاينقصه؛ وناقة جامع أيضًا، ولايقال لغير الإبل.

وأتان جامع: في أوّل ماتحمل، وناقة جامع: غزيرة، ودابّة جامع: تَصْلُح للسّرج والإكاف.

والجامعَة: الغُلّ.

وجمَعَتْنا جامعة: أي أمْرٌ.

ولك هذا أجمَع وهذه جَمْعاء وهُنّ جُمَعُ، وجاؤوني بأجمعهم وبأجمُعهم.

واستَجْمَع الشّيء: بمعنى اجتمَع، واستَجمَع الفرس جَرْيًا، واستَجمَع الزّرع: سَنْبَل كلّه.

وأجمَع بناقته: صرّ جميع أخلافها.

والمُجْمِعات: البُلدان لايقطعها إلّا الجماعة من مخافتها، وأرى أنّه من أجمَع، أي صار ذا جَمْع.

وأجمَعتُ كذا، أي أعددْته، وأجمَعْتُه: عَزَمْت عليه.

وإذا جُمِعت الإبل ثمّ سيقت فهو الإجماع، فإذا لم تُسَقْ فهو الجَمع.

ونَهْبٌ مُجْمَع: مجموع.

والمُجْمَعَة من الخُطَب: الّتي لايدخلها خلَل.

وفُسّر قوله: «جمعتها من أيْنُق غزار» على: اخترتها.

وماجمعت بامرأة وعن امرأة، أي مابنَيْت.

والجارية إذا شبّت قيل: جمعت الثّياب، أي لبست

الدِّرْع والخِمار وغيرهما.

وفلان جِماع القوم، أي يأوُون إليه.

وهو جميع الرّأي: ليس بمنتشِره. (١: ٢٧٠)

الخطّابيّ: في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: «بعْ الجَمْع بالدّراهم، ثمّ ابتَعْ بالدّراهم جنيبًا»

والجَنيب: لون جيّد من ألوان التّمر، والجَمْع: الرّديء منه، وسمّي جَمْعًا لأنّه أخلاط جُمِعت، وكانوا يبيعون صاعين من الجَمْع بصاع من الجنيب. وهذا مُحرّم لما فيه من الرّبا، فأمر من عنده تمر رديء، فأراد أن يأخذ به خيرًا منه، أن يبيعه بالدّراهم، ثمّ يشتري بها التّمر الجيّد. (٢: ٤٤٣)

في حديث معاذ: «أنّه وجد أهل مكّة يجمّعون في الحِجْر فنهاهم عن ذلك».

ليس المعنى في نهيه عن صلاة الجمُعة في الحِجْر، ماذهب إليه بعض من كره صلاة الفريضة في البيت، ولاماذهب إليه من كره الصّلاة في الحِجْر، وإنّما المعنى أنّ معاذًا وجدهم يجمّعون قبل أن تزول الشّمس وتفيء الكعبة من وجهها، فكانوا يصلّونها في الحِجْر يستظلّون به، فنهاهم عن تقديم الصّلاة قبل وقتها.

ولاأعلم جوازها قبل الزّوال في قول أحد من أهل العلم، إلّا شيء يُروى عن ابن مسعود، وتأوّلوا فيه خبرًا رواه عن رسول الله ﷺ. (٢: ٣٠٩)

في حديث ابن عبّاس: في قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ الحجرات: ١٣، قال: الشّعوب: الجُمّاع، والقبائل: الأفخاذ يتعارفون بها».

الجُمّاع: يكون بمعنيين: أحدهما: أن يراد به منشأ النّسب وأصل المَوْلد، وجُمّاع كلّ شيء: مُجتمع أصله.

ويقال: لما اجتمع في الغُصْن من براعيم النَّوْر: هذا جُمّاع الثّمر، أي مجتمع أصله.

ولاأراه ذهب إلى هذا، لأنّ الشّعوب هم العجَم، ومن لايُعرف له أصل نسب فهم شعوب، أي متفرّقون من أُصول شتّى، وإنّما أُريد بالجُمّاع هاهنا: الفرق المختلفة من النّاس. (٢: ٤٥٩)

الجَوْهَريّ: جَمَعْتُ الشّيء المتفرّق فاجتمع.

والرّجل المجتمع: الّذي بلغ أشدّه. ولايقال ذلك للنّساء.

ويقال للجارية إذا شبّتْ: قد جمعت الثّياب، أي قد لبست الدّرع والخِمار والمِلحَفة.

وتجمّع القوم، أي اجتمعوا من هاهنا وهاهنا.

وجُمّاع النّاس بالضّمّ: أخلاطهم، وهم الأُشابة من قبائل شتّى. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع: مصدر قولك: جَمَعْتُ الشّيء. وقد يكون اسمًا لجماعة النّاس، ويجمع على: جموع. والموضع: مَجْمَع ومَجْمِع، مثال مَطلَع ومَطلِع.

والجمع أيضًا: الدَّقَل، يقال: ماأكثر الجمع في أرض بني فلان: لنخل يخرج من النّوى ولايُعرف اسمه.

ويقال أيضًا للمُزدَلِفة: جَمْعٌ، لاجتماع النّاس فيها.

وجُمْع الكفّ بالضّمّ، وهو حين تقبضها، يقال: ضربته بجُمْع كفّي.

وجاء فلان بقُبضَة مِلْء جُمْعه. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: أخذت فلانًا بجُمْع ثيابه.

وأمر بني فلان بجُمْعٍ وجِمْعٍ، أي لم يفتضّها. قالت

دَخْناء بنت مِسْحَل امرأة العجاج للعامل: «أصلح الله الأمير، إنّي منه بجُمْع» أي عذراء لم يقتضّني.

وماتت فلانة بجُمْع وجِمْع، أي ماتت وولدها في بطنها.

وجُمْعَة من تمرٍ، أي قُبْضَة منه.

ويوم الجُمْعَة: يوم العَرُوبة، وكذلك يوم الجُمُعَة بضمّ الميم. ويُجمَع على: جُمعات وجُمَع.

وأتان جامع، إذا حملَتْ أوّل ماتحمل.

وقِدْرٌ جامعة، وهي العظيمة.

والجامِعة: الغُلّ، لأنّها تجمع اليدين إلى العنق.

والمسجد الجامع، وإن شئت قلت: مسجد الجامع بالإضافة، كقولك: الحقّ اليقين وحقّ اليقين، بمعنى مسجد اليوم الجامع، وحقّ الشّيء اليقين، لأنّ إضافة الشّيء إلى نفسه لاتجوز إلّا على هذا التّقدير.

وكان الفرّاء يقول: العرب تضيف الشّيء إلى نفسه لاختلاف اللّفظين. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَمْعاء من البهائم: الّتي لم يذهب من بدنها شيء.

وأجمَع بناقته، أي صَرّ أخلافها جُمَعَ...

ويقال أيضًا: أجْمِع أمرك ولاتدَعْه منتشرًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وقوله تعالى: ﴿فَاَجْمِعُوا اَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ يونس: ٧١، أي وادعوا شركاءكم، لأنّه لايقال: أجمَعْتُ شركائي، إنّما يقال: جمَعْتُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجمَعْتُ الشّيء: جعلته جميعًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأُولات ذي العَرْجاء: مواضع، نسبها إلى مكان فيه أكمةٌ عَرْجاءُ، فشبّه الحُمُرَ بإبل انْتُهِبَت وحُرِقت من طوائفها.

والمجموع: الّذي جُمِع من هاهنا وهاهنا وإن لم يُجعَل كالشّيء الواحد.

وفلاةٌ مُجمِعَة: يجتمع القوم فيها ولايتفرّقون، خوف الضّلال ونحوه، كأنّها هي الّتي جمعتهم.

واستجمع السّيل: اجتمع من كلّ موضع، ويقال للمُسْتجيش: استجمع كلّ مجمَع، واستجمع الفرس جَرْيًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُمَعُ: جمع جُمْعَة، وجُمَعُ جَمْعاء في توكيد المؤنّث، تقول: رأيت النّسوة جُمَعَ، غير مصروف، وهو معرفة بغير الألف واللّام، وكذلك مايجري مجراه من التّواكيد، لأنّه توكيد للمعرفة.

وأخذت حقّي أجمَع في توكيد المذكّر، وهو توكيد محض. وكذلك: أجمعون وجَمْعاء وجُمَع، وأكتَعون وأبتَعون وأبصَعون، لايكون إلّا تأكيدًا تابعًا لما قبله، لايُبتدأ ولايُخبَر به ولاعنه، ولايكون فاعلًا ولامفعولًا، كما يكون غيره من التّواكيد اسمًا مرّة وتوكيدًا أُخرى، مثل نفسه وعينه وكلّه.

وأجمَعون: جَمْعُ أجمَعَ، وأجمَعُ واحدٌ في معنى جَمْع وليس له مفرد من لفظه. والمؤنّث: جَمْعاءُ، وكان ينبغي أن يجمعوا «جَمْعاء» بالألف والتّاء، كما جمعوا «أجمَع» بالواو والنّون، ولكنّهم قالوا في جمعها: جُمَعْ.

ويقال: جاء القوم بأجمَعِهم وبأجمُعِهم أيضًا بضمّ الميم، كما تقول: جاءوا بأكلُبِهم: جَمْع كلب.

وجميع: يُؤكّد به، يقال: جاءوا جميعًا، أي كلّهم.

والجميع: ضدّ المتفرّق. [ثمّ استشهد بشعر]

والجميع: الجيش. [ثمّ استشهد بشعر]

وجِماع الشّيء بالكسر: جَمْعُه، تقول: جِماع الخِباء: الأخبية، لأنّ الجِماع ماجمَع عدداً. يقال: الخمر جِماع الإثم. وقِدْرٌ جِماعٌ أيضاً: للعظيمة.

وجَمّعَ القوم تَجْميعاً، أي شهدوا الجُمُعَة وقضوا الصّلاة فيها. وجمّع فلان مالاً وعدّده.

ومُجَمِّعٌ: لقب قُصَيّ بن كلاب، سمّي بذلك لأنّه جَمَعَ قبائل قريش وأنزلها مكّة وبنى دار النّدوة.

والمُجامَعة: المُباضَعة. وجامعَه على أمر كذا، أي اجتمع معه. (٣: ١١٩٨ ـ ١٢٠٠)

ابن فارِس: الجيم والميم والعين أصل واحد، يدلّ على تضامّ الشّيء، يقال: جمَعت الشّيء جمعاً، والجُمّاع: الأُشابة من قبائل شتّى. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال للمرأة إذا ماتت وفي بطنها ولد: ماتت بجُمْع، يقال: هي أن تموت المرأة ولم يمسّها رجل. [ثمّ استشهد بشعر، ونقل بعض الأقوال المتقدّمة] (١: ٤٧٩)

أبوهِلال: الفرق بين الجَمْع والحشر: أنّ الحشر هو الجَمْع مع السّوق، والشّاهد قوله تعالى: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الشّعراء: ٣٦، أي ابعث من يجمع السّحرة ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحشر، لأنّ الخَلْق يُجمَعون فيه ويساقون إلى الموقف.

وقال صاحب «المفصّل»: لايكون الحشر إلّا في المكروه، وليس كما قال، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْدًا﴾ مريم: ٨٥، وتقول: القياس جَمْع بين مشتبهين يدلّ الأوّل على صحّة الثّاني، ولايقال في ذلك: حشر. وإنّما يقال: الحشر فيما يصحّ فيه السّوق على ماذكرنا.

وأقلّ الجَمْع، عند شيوخنا ثلاثة، وكذلك عند الفقهاء، وقال بعضهم: اثنان، واحتجّ بأنّه مشتقّ من اجتماع شيء إلى شيء. وهذا وإن كان صحيحاً فإنّه قد خُصّ به شيء بعينه، كما أنّ قولنا: دابّة، وإن كان يوجب اشتقاقه إن جرى على كلّ مادبّ، فإنّه قد خُصّ به شيء بعينه.

فأمّا قوله عليه الصّلاة والسّلام: «الاثنان فما فوقهما جماعة» فإنّ ذلك ورد في الحكم لافي تعليم الاسم، لأنّ كلامه ﷺ يجب أن يُحمَل على مايستفاد من جهته دون مايصحّ أن يعلم من جهته.

وأمّا قوله تعالى: ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ الحجّ: ١٩، وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ الأنبياء: ٧٨، يعني داود وسليمان عليهما السلام، فإنّ ذلك مجاز، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، ولو كان لفظ «الجمع» حقيقة في الاثنين، لعقل منه الاثنان كما يعقَل منه الثّلاثة، وإذا كان قول الرّجل: رأيت الرّجال، لايُفهَم منه إلّا ثلاثة، علمنا أنّ قول الخصم باطل. (١١٧)

الفرق بين الجَمْع والتّأليف. [تقدّم في «أ ل ف» فراجع]

الفرق بين الضّمّ والجَمْع: أنّ الضّمّ جَمْع أشياء كثيرة، وخلافه البثّ وهو تفريق أشياء كثيرة، ولهذا يقال: اضامة من كتب، لأنّها أجزاء كثيرة، ثمّ كثر حتّى استُعمل في الشّيئين فصاعداً، والأصل ماقلنا، والشّاهد قوله عليه الصّلاة والسّلام: «ضمّوا مواشيكم حتّى

تذهب فحمةُ اللّيل» ويجوز أن يقال: إنّ ضمّ الشّيء إلى الشّيء هو أن يلزقه به، ولهذا يقال: ضممته إلى صدري، والجمع لايقتضي ذلك. (١١٩)

الفرق بين المجاورة والاجتماع، قال عليّ بن عيسى: المجاورة تكون بين جزئين، والاجتماع بين ثلاثة أجزاء فصاعدًا، وذلك أنّ أقلّ الجمع ثلاثة، والشّاهد تفرقة أهل اللّغة بين التّثنية والجمع، كتفرقتهم بين الواحد والتّثنية. فالاثنان ليس بجمع، كما أنّ الواحد ليس باثنين.

قال: ولايكاد العارف بالكلام يقول: اجتمعت مع فلان إلّا إذا كان معه غيره، فإذا لم يكن معه غيره قال: أحضرته، ولم يقل: اجتمعت معه.

كذا قال: والّذي يقولونه: إنّ أصل المجاورة في العربيّة تقارب المحالّ، من قولك: أنت جاري وأنا جارك وبيننا جوار، ولهذا قال بعض البُلغاء: الجوار: قرابة بين الجيران، ثمّ استُعملت المجاورة في موضع الاجتماع مجازًا، ثمّ كثر ذلك حتّى صار كالحقيقة. (١٢١)

الفرق بين قولنا: الجَمْع، وقولنا: أَجْمَع: أنّ أجمع اسم معرفة يؤكّد به الاسم المعرفة، نحو قولك: المال لك أجمع وهذا مالك أجمع.

ولاينصرف، لأنّه «أفعل» معرفة، والشّاهد على أنّه معرفة أنّه لايتبع نكرة أبدًا، ويُجمَع فيقال: عندي إخوانك أجمعون، ومررت بإخوانك أجمعين، ولايكون إلّا تابعًا. لايجوز: مررت بأجمعين وجاءني أجمعون.

ومؤنّثه جَمْعاء، يقال: طُفتُ بدارك جَمْعاء، ويجمع فيقال: مررت بجواريك جُمَع، وجاءني جواريك جُمَع.

وأَجْمُعُ: جَمْعُ جَمْعٍ، تقول: جاءني القوم بأجمعهم، كما تقول: جاءني القوم بأفلسهم وأكلبهم وأعبدهم، وليس هذا الحرف من حروف التّوكيد، والشّاهد دخول العامل عليه وإضافته.

و«أجْمَع» الّذي هو للتّوكيد لايضاف ولايدخل عليه عامل.

ومن أجاز فتح الجيم في قولك: جاءني القوم بأجمعهم، فقد أخطأ. (١٢٢)

الفرق بين الجماعة والفَوج والثُّلّة والزُّمرة والحزب: أنّ الفَوْج: الجماعة الكثيرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَاَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ اَفْوَاجًا﴾ النّصر: ٢، وذلك أنّهم كانوا يُسلمون في وقت، ثمّ نزلت هذه الآية وقبيلة قبيلة، ومعلوم أنّه لايقال للثُّلّة: فَوْج، كما يقال لهم: جماعة.

والثُّلّة: الجماعة تندفع في الأمر جملة، من قولك: ثَلَلْتُ الحائط، إذا نقضت أسفله فاندفع ساقطًا كلّه، ثمّ كثر ذلك حتّى سمّي كلّ بشر ثَلًّا، ومنه ثُلّ عرشُه، وقيل: الثّلل: الهلاك.

والزُّمرة: جماعة لها صوت لايُفهَم، وأصله من «الزّمار» وهو صوت الأُنثى من النّعام، ومنه قيل: الزّمرة. وقرب منها الزُّجلة، وهي الجماعة لها زَجَل، وهو ضرب من الأصوات.

وقال أبوعُبَيْدة: الزُّمرة: جماعة في تفرقة، والحزب: الجماعة تتحزّب على الأمر، أي تتعاون. وحزب الرّجل: الجماعة الّتي تُعينه فيقوى أمره بهم، وهو من قولك: حزبني الأمر، إذا اشتدّ عليّ، كأنّه فري إذًا المرء[1]. (٢٢٩)

---

(١) هكذا في الأصل.

الفرق بين الجماعة والبَوْش: أنّ البَوْش: هم الجماعة الكثيرة من أخلاط النّاس، ولايقال لبني الأب الواحد: بَوْش. ويقال أيضًا: جماعةٌ من الحمير، ولايقال: بَوْش من الحمير، لأنّ الحمير كلّها جنس واحد.

وأمّا العُصبة: فالعشرة ومافوقها قليلًا، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ يوسف: ٨.

وقيل: هي من العشرة إلى الأربعين، وهي في العربيّة الجماعة من الفُرسان والرّكب، رُكبان الإبل خاصّة، ولايقال للفُرسان: رَكب، والعَدِي: رجال يعدون في الغزو، والرَّجْل: جمع راجل، والنّفيضة هي الطّليعة، وهم قوم يتقدّمون الجيش فينفضون الأرض، أي ينظرون مافيها، من قولك: نفضت المكان إذا نظرت، والمِقْنَب: نحو الثّلاثين يُغزى بهم، والمحظيرة: نحو الخمسة إلى العشرة يُغزى بهم، والكتيبة: العسكر المجتمع فيه آلات الحرب، من قولك: كتبت الشّيء، إذا جمعته، وأسماء الجماعات كثيرة، ليس هذا موضع ذكرها، وإنّما نذكر المشهور منها، فمن ذلك:

الفرق بين الجماعة والطّائفة: أنّ الطّائفة في الأصل: الجماعة الّتي من شأنها الطّوف في البلاد للسّفر. ويجوز أن يكون أصلها: الجماعة الّتي تستوي بها حلقة يطاف عليها، ثمّ كثر ذلك حتّى سمّي كلّ جماعة طائفة.

والطّائفة في الشّريعة قد تكون اسمًا لواحد، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الحجرات: ٩، ولاخلاف في أنّ اثنين إذا اقتتلا كان حكمها هذا الحكم، وروي في قوله عزّوجلّ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النّور: ٢، أنّه أراد واحدًا.

وقال:[1] يجوز قبول الواحد بدلالة قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ التّوبة: ١٢٢، إلى أن قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ أي ليحذروا، فأوجب العمل في خبر الطّائفة، وقد تكون الطّائفة واحدًا.

الفرق بين الجماعة والفريق: أنّ الجماعة الثّانية من جماعة أكثر منها، تقول: جاءني فريق من القوم. وفريق الخيل: مايفارق جمهورها في الحَلْبة فيخرج منها، وفي مثل: «أسرع من فريق الخيل»، والجماعة: تقع على جميع ذلك.

الفرق بين الجماعة والفئة: أنّ الفئة هي الجماعة المتفرّقة من غيرها، من قولك: فأوت رأسه، أي فلقته، وانفأى القَرْج، إذا انفرج مكسورًا.

والفئة في الحرب: القوم يكونون رِدْء المحاربين، يعنون إليهم إذا حالوا، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ الأنفال: ١٦، ثمّ قيل لجمع كلّ من يمنع أحدًا وينصره: فئة.

وقال أبوعُبَيْدة: الفئة: الأعوان. (٢٣٠)

الفرق بين الجماعة والملأ: أنّ الملأ: الأشراف الّذين يملؤون العيون جمالًا والقلوب هيبةً. وقال بعضهم: الملأ: الجماعة من الرّجال دون النّساء. والأوّل الصّحيح وهو من ملأت.

ويجوز أن يكون الملأ: الجماعة الّذين يقومون بالأُمور، من قولهم: هو مليء بالأمر، إذا كان قادرًا عليه. والمعنيان يرجعان إلى أصل واحد، وهو المِلْء.

(١) القائل مجهول.

الفرق بين الجماعة والشِّرْذِمَة: أنّ الشِّرْذِمَة: البقيّة من البقيّة والقطف منه، قال الله عزّوجلّ: ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشّعراء: ٥٤، أي قطعة وبقيّة، لأنّ فرعون أضلّ منهم الكثير فبقيت منهم شِرْذِمَة، أي قطعة. [ثمّ استشهد بشعر] (٢٣٢)

الهَرَوِيّ: وفي الحديث: «أُوتيتُ جوامع الكَلِم» يعني القرآن، جمَع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معانيَ كثيرة.

ومنه ماجاء في صفته ﷺ: «يتكلّم بجوامع الكَلِم» يعني أنّه كان كثير المعاني قليل الألفاظ...

وفي الحديث: «من بهيمة جَمْعاء» أراد السّليمة من العيوب، سمّيت بذلك لاجتماع سلامة أعضائها لها، لاجَدْع بها ولاكيّ...

وفي حديث ابن عبّاس: «بعثني النّبيّ ﷺ في الثَّقَل من جَمْع بليل» يعني من المُزْدَلِفة.

وفي الحديث: «كان في جبل تهامة جُمّاع غصبوا المارّة» الجُمّاع: جماعات من قبائل شتّى متفرّقة، فإذا كانوا مجتمعين قيل: جَمْع. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال الحسَن: «اتّقوا هذه الأهواء فإنّ جِماعها الضّلالة» الجِماع: ماجمَع عدداً، وكذلك الجميع.

وفي الحديث: «كان إذا مشى مشى مجتمعًا» أي كان يُسرع في مشيه، ولم يمش مسترخيًا. (١: ٣٩٦)

الثّعالبيّ: إذا اجتمعت لحيته [الغلام] وبلغ غاية شبابه، فهو: مجتمع. (١١١)

إذا جعل [الإنسان] إبهامه على طرف السّبّابة وأصابعه في الرّاحة، فهو: الجُمْع. (١٩٥)

ابن سيده: جمع الشّيء عن تفرّقة، يجمُعه جمعًا، وجمّعه وأجمعه فاجتمع وَاجْدَمَع، وهي مضارعة، وكذلك تجمّع، واستجمع.

ومتَجمَّع البيداء: معظمها ومحتفلها. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل مِجْمَع وجَمّاع.

والجَمْع، وجمعه جُموع: المجتمعون.

والجماعة، والجميع، والمَجْمَع، والمَجْمَعة: كالجَمْع، وقد استعملوا ذلك في غير النّاس، حتّى قالوا: جماعة الشّجر، وجماعة النّبات. [إلى أن قال:]

وإبل جَمّاعة: مُجْتَمِعَة. [ثمّ استشهد بشعر]

والمَجْمَعة: مجلس الاجتماع. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمّعت المرأة الثّياب: لَبِسَت الدِّرْع، والمِلْحَفة، والخِمار. يُكنَى به عن سنّ الاستواء.

وأجمَع: من الألفاظ الدّالّة على الإحاطة، وليست بصفة، ولكن يُعَمّ بها ماقبله من الأسماء، ويُجرَى على إعرابه، فلذلك قال النّحويّون: صفة. والدّليل على أنّه ليس بصفة، قولهم: أجمعون، فلو كان صفة لم يُسَلَّم جمعه، ولكان مُكسَّرًا. والأُنثى: جمعاء، وكلاهما معرفة لاتُنكَّر عند سيبَويه.

وأمّا ثَعلَب فحكى فيه التّعريف والتّنكير جميعًا، قال: تقول: أعجبني القصر أجمَعُ وأجمَعَ: الرّفع على التّوكيد، والنّصب على الحال.

والجمع: جُمَع، معدول عن جَمْعاوات، أو جماعي. ولايكون معدولاً عن جُمْع، لأنّ «أجمَع» ليس بوصف، فيكون كحمراء وحُمْر.

قال أبوعليّ: باب أَجْمَعَ وجَمْعاء، وأكْتَعَ وكَتْعاء، ومايَتْبع ذلك من بقيّته، إنّما هو اتّفاق وتوارد وقع في اللُّغة، على غير ماكان في وزنه منها، لأنّ باب «أفعَل» و«فَعْلاء» إنّما هو للصّفات، وجميعها: تجيء على هذا الموضع نكِرات، نحو أحمَر وحَمْراء، وأصفَر وصَفْراء، وهذا ونحوه صفات ونكِرات. فأمّا أجمَع وجمعاء: فاسمان مَعْرفتان، وليسا بصفتين، فإنّما ذلك اتّفاق وقع بين هذه الكلم المؤكّد بها.

وجاءوا بأجمَعهم وأجمُعِهم، أي جمعهم.

والجِماع: ماجمَع عدداً، وقال الحسَن رحمه الله: اتّقوا هذه الأهواء الّتي جِماعها الضّلالة، وميعادها النّار.

واجْتَمَع الرّجل: استَوت لِحيته، وبلغ غاية شبابه. ولايقال للنّساء.

ورجل جميع: مجتَمِع الخَلْق. ورجل جميع الرّأي ومُجْتمِعه: شديده.

والمسجد الجامع: الّذي يجمع أهله، وقد يضاف، وأنكره بعضهم. وقد أمعَنتُ شَرْح ذلك بحقيقته من الإعراب، في الكتاب «المخصَّص».

وجُمّاع كلّ شيء: مُجتَمَع خَلقه، وجُمّاع جسد الإنسان: رأسُه، وجُمّاع الثّمر: تجَمُّع براعيمه في موضع واحد على حَمْله، وجُمّاع الثُّريّا: مُجتَمِعُها. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُمّاع: أخلاط من النّاس، وقيل: هم الضّروب المتفرّقون من النّاس. [ثمّ استشهد بشعر]

وامرأة جُمّاع: قصيرة. وكلّ ماتجمّع وانضمّ بعضه إلى بعض: جُمّاع.

وضربه بحَجَرٍ جُمْعِ الكفّ وجَمْعها، أي مِلئها. وهي منه بجُمْعٍ وجِمْعٍ، أي بِكْر. وماتت المرأة بجُمْع وجِمْع، أي وولدها في بطنها. وهي بجُمْع وجِمْع، أي مُثْقَلَة. وناقة جُمْعٌ: في بطنها ولد. [ثمّ استشهد بشعر]

وامرأة جامع: في بطنها ولد، وكذلك الأتان أوّل ماتحمِل. ودابّة جِماع: تَصلُح للسّرج والإكاف.

والجَمْع: كلّ لون من التّمر، لايُعرَف اسمه. وقيل: هو التّمر الّذي يخرج من النّوى.

وجامَعها مُجامعَة وجِماعًا: نكَحَها. وجامعَه على الأمر: مالأه، والمصدر كالمصدر.

وقِدْرٌ جِماع، وجامعة: عظيمة. وقيل: هي الّتي تجمع الجَزُور.

وجمَع أمره، وأجمَعه، وأجمَع عليه: عَزَم، كأنّه جمَع نفسه له. وقُرِئ: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ يونس: ٧١، بالقطع، والوصل. قال الفارسيّ: مَن قَطَع أراد: فأجمِعوا أمركم، وأجمَعوا شركاءكم. [ثمّ استشهد بشعر]

وفلاة مُجْمِعَة: يجتمع فيها القوم خوف الضّلال، كأنّها تُجْمِعُهم.

والجُمْعَة: والجُمُعَة، والجُمَعة: يوم العَرُوبة، سمّي به، لاجتماع النّاس فيه. وقيل: الجُمْعة على تخفيف الجُمُعة، والجُمَعة: الّتي تجمع النّاس كثيرًا، كما قالوا: رجل لُعَنَة، يُكثِر لَعْنَ النّاس، ورجل ضُحَكَة: يُكثِر الضّحِك.

وزعم ثَعْلَب أنّ أوّل من سمّاه به كعب بن لُؤيّ، وكان يقال لها: العَرُوبة.

وقال الفَرّاء: روي عن ابن عبّاس رضوان الله عليه أنّه قال: إنّما سمّي يوم الجُمُعة، لأنّ الله جمع فيه خلق آدم. وقال قوم: إنّما سمّيت الجُمُعَة في الإسلام، وذلك

لاجتماعهم في المسجد.

وقال ثعلب: إنّما سمّي يوم الجُمُعة، لأنّ قريشًا كانت تجتمع إلى قُصَيّ في دار النَّدْوة.

قال اللِّحيانيّ: كان أبوزياد وأبو الجرّاح يقولان: مضت الجُمُعة بما فيها، فيوحّدان ويُؤنّثان وكانا يقولان: مضى السّبت بما فيه، ومضى الأحد بما فيه، فيُوحّدان ويُذكّران. واختلفا فيما بعد هذا: فكان أبوزياد يقول: مضى الاثنان بما فيه، ومضى الثُّلاثاء بما فيه، وكذلك الأربعاء والخميس.

قال: وكان أبوالجرّاح يقول: مضى الاثنان بما فيهما، فيثنّي، ومضى الثّلاثاء بما فيهنّ.

ومضى الأربعاء بما فيهنّ، ومضى الخميس بما فيهنّ، فيجمع ويُؤنّث؛ يُخرج ذلك مُخرَج العدد.

وجمّع النّاس: شهدوا الجُمُعة، وقضوا الصّلاة فيها.

وحكى ثعلب عن ابن الأعرابيّ: لاتكُ جُمَعِيًّا، بفتح الميم، أي ممّن يصوم الجُمُعة، وحدها.

وجَمْعٌ: المُزدلِفة، معرفة كعَرَفات. [ثمّ استشهد بشعر]

ويوم الجُمُعة: يوم القيامة.

واستأجر الأجير مُجامَعةً، وجِماعًا عن اللّحيانيّ، أي استأجره كلّ جُمُعَة بشيء. وجامَع الأجير مُجامَعة وجِماعًا.

واستجمع الفرس جَرْيًا: تَكَمّش له. [ثمّ استشهد بشعر]

والجامعة: الغُلُّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجْمَع النّاقة، وبها: صَرّ أخلافها، وحلَبها.

وأرض مُجْمِعة: جَدْبٌ، لاتفرّق فيها الرّكاب لرَعْي.

والجامع: البطن، يمانيّة.

وجامع، وجَمّاع، ومُجَمِّع: أسماء.

والجُمَيْعى: موضع. (١: ٣٤٧)

نحوه الفَيُّوميّ. (١: ١٠٨)

الرّاغِب: الجَمْع: ضمّ الشّيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع. [ثمّ ذكر الآيات إلى أن قال:]

وأجمَعتُ كذا، أكثر مايقال فيما يكون جمعًا يُتوصّل إليه بالفكرة، نحو ﴿فَاَجْمِعُوا اَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ يونس: ٧١. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال تعالى: ﴿فَاَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ طٰه: ٦٤، ويقال: أجمع المسلمون على كذا: اجتمعت آراؤهم عليه. ونَهْبٌ مُجمَع: ماتُوصّل إليه بالتّدبير والفكرة. وقوله عزّوجلّ: ﴿اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ آل‌عمران: ١٧٣، قيل: جمعوا آراءهم في التّدبير عليكم، وقيل: جمعوا جنودهم.

وجميع وأجمع وأجمعون: يُستعمل لتأكيد الاجتماع على الأمر. فأمّا «أجمعون» فتوصف به المعرفة، ولايصحّ نصبه على الحال، نحو قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ﴾ الحجر: ٣٠، ﴿وَاْتُونِى بِاَهْلِكُمْ اَجْمَعِينَ﴾ يوسف: ٩٣.

فأمّا «جميع» فإنّه قد يُنصب على الحال فيؤكّد به من حيث المعنى، نحو: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ البقرة: ٣٨، وقال: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ هود: ٥٥.

وقولهم: يوم الجُمُعَة، لاجتماع النّاس للصّلاة، قال تعالى: ﴿اِذَا نُودِىَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا اِلٰى ذِكْرِ اللهِ﴾ الجمعة: ٩.

ومسجد الجامع، أي الأمر الجامع أو الوقت الجامع، وليس «الجامع» وصفًا للمسجد.

وجمّعوا: شهدوا الجمعة، أو الجامع أو الجماعة. وأتان جامع، إذا حملت. وقِدرٌ جِماع، جامع: عظيمة. واستجمع الفرس جَرْيًا: بالغ، فمعنى الجَمْع ظاهر.

وقولهم: ماتت المرأة بجُمْع: إذا كان ولدها في بطنها فلِتَصَوُّر اجتماعها.

وقولهم: هي منه بجُمْع: إذا لم تُفتضّ، فلاجتماع ذلك العضو منها، وعدم التّشقّق فيه.

وضربه بجُمْع كفّه: إذا جمّع أصابعه فضربه بها. وأعطاه من الدّراهم جُمْع الكفّ، أي ماجمَعَتْه كفّه.

والجوامع: الأغلال، لجمعها الأطراف. (٩٧)

الزَّمَخْشَريّ: ماجاءني إلّا جُمَيْعَة منهم، وكنت في مَجْمَع من النّاس. وهذا الكلام أولجُ في المسامع، وأجوَل في الجامع. ومعه جَمْع غير جُمّاع، وهم الأشابة. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي الحديث: «كان في جبل تِهامة جُمّاع قد غصبوا المارّة».

وهم كجُمّاع الثّريّا، وهي كواكبها المجتمعة. [ثمّ استشهد بشعر]

وتفتّحت جُمّاعات الثّمر.

وقِدرٌ جامعة وجِماع: تجمع الشّاة. وهذا الباب جِماع الأبواب. وعن الحسن: «اتّقوا هذه الأهواء الّتي جِماعها الضّلالة ومعادها النّار» وفلان جِماعٌ لبني فلان: يأوون إليه ويجتمعون عنده.

واشترى فلان دابّة جامعًا، أي يصلح للسّرج والإكاف.

وجَمَعَتْهُم جامعة، أي أمر من الأُمور الّتي يُجْتَمَعُ لها. [ثمّ استشهد بشعر]

﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ النّور: ٦٢.

وأُخرج في جامعة، وهي الغُلّ. [ثمّ استشهد بشعر]

ورأيتهم أجمعين، وجاءوا بأجمعهم، وهو يعمل نهاره أجْمَع، وليلته جَمْعاء، ورأيتهنّ جُمَع، وهو جميع الرّأي وجميع الأمر. [ثمّ استشهد بشعر]

وحيّ جميع. ورجل مجتمع: استوت لحيته وبلغ غاية شبابه. وكنت في جامع البصرة. وجمّع القوم: شهدوا الجمعة. وأدام الله جُمْعَة بينكما، كما تقول أُلفَة بينكما.

وأجمعوا الأمر، وأجمعوا عليه.

ومن المجاز: وفلانة بجُمْع، أي عذراء. وضربه بجُمْع كفّه.

واستجمع لفلان أمره واستجمع السّيل، واستجمع الفرس جَرْيًا. [ثمّ استشهد بشعر]

واستجمع الوادي، إذا لم يبق منه موضع إلّا سال. وعن بعض العرب: الرِّمّة وفَلْجٌ لا يستجمعان إنّما يسيلان في نواحيها وأضواجها. واستجمع القوم: ذهبوا كلّهم.

وجمّعوا لبني فلان، إذا حشدوا لقتالهم ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ آل‌عمران: ١٧٣.

وأجمَعت القِدْر غَلْيًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن الكناية: فلانة قد جمعت الثّياب، أي كَبِرت، لأنّها تلبس الدِّرْع والخِمار والمِلْحفة.

ومن المجاز: أمْر بني فلان بجُمْع، أي مكتوم، استعير من قولهم: فلانة بجُمْع. يقال: أمْركم بجُمْع فلاتُفشُوه.

(أساس البلاغة: ٦٤)

النّبيّ ﷺ قال في الشّهداء: «ومنهم أن تموت المرأة بجُمْع» يقال: ماتت بجُمْع وجِمْع، أي حاملة أو غير مطموثة.

ومنه حديثه: «أيّما امرأة ماتت بجُمْع لم تُطمَث دخلت الجنّة».

وحقيقة الجُمْع والجِمْع أنّها بمعنى المفعول كالذُّخر والذِّبح، ومنه قولهم: «ضربه بجُمْع كفّه» أي بمجموعها، وأخذ فلان بجُمْع ثياب فلان.

فالمعنى: ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها: حَمْلٌ أو بَكارة. (الفائق ١: ٢٣١)

المَدينيّ: في الحديث: «له سهم جَمْع» أي له سهم من الخير، جُمِعَ له فيه حظّان.

وقال الأخفش: السّهم من الغنيمة كسهم غيره من الجيش، والجَمْع هو الجيش، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ آل عمران: ١٥٥.

في الحديث: «إنّ خلق أحدكم يُجمَع في بطن أُمّه أربعين يومًا».

في الحديث: «من لم يُجمِع الصّيام من اللّيل فلاصيام له» الإجماع: إحكام النّيّة والعزيمة، يقال: أجمعت الرّأي وأزمعته، بمعنى واحد. (١: ٣٥٠)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: «الجامع» هو الّذي يجمع الخلائق ليوم الحساب. وقيل: هو المؤلّف بين المتماثلات، والمتباينات، والمتضادّات في الوجود...

والحديث الآخر: «كان يستحقّ الجوامع من الدّعاء» هي الّتي تجمع الأغراض الصّالحة والمقاصد الصّحيحة، أو تجمع الثّناء على الله تعالى وآداب المسألة...

والحديث الآخر: «قال له: أقرِئني سورة جامعة، فأقرأه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ الزّلزال: ١، أي أنّها تجمع أسباب الخير، لقوله فيها: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزّلزال: ٧، ٨.

والحديث الآخر: «حدّثني بكلمة تكون جِماعًا، فقال: اتّق الله فيما تعلم» الجِماع: ماجمَع عددًا، أي كلمة تجمع كلمات.

ومنه الحديث: «الخمر جِماع الإثم» أي مجمَعُه ومَظِنّته...

وفي الحديث: «رأيت خاتم النّبوّة كأنّه جُمْع» يريد مثل جُمْع الكفّ، وأن يجمَع الأصابع ويضمّها، يقال: ضربه بجُمْع كفّه، بضمّ الجيم.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: «صلّى المغرب، فلمّا انصرف درأ جُمْعَةً من حصى المسجد» الجُمْعَة: المجموعة، يقال أعطني جُمْعَةً من تمر، وهو كالقُبْضَة.

وحديث صلاة السّفر: «مالم أُجْمِعْ مُكْثًا» أي مالم أعزم على الإقامة، وقد تكرّر في الحديث.

وفي حديث أُحُد: «وإنّ رجلًا من المشركين جميع اللَّأْمَة» أي مُجتمِع السّلاح.

ومنه حديث الحسين: «أنّه سمع أنس بن مالك وهو يومئذ جميع» أي مُجتمِع الخَلْق قويّ، لم يَهْرَم ولم يَضعُف. والضّمير راجع إلى أنس.

وفي حديث الجُمعة: «أوّل جُمْعة جُمِّعت بعد المدينة بجُوَاثَى» جُمِّعت بالتّشديد، أي صُلّيت. ويوم الجمعة

سمّي به لاجتماع النّاس فيه ...

وفي حديث أبي ذرّ: «ولاجِماع لنا فيما بعد» أي لااجتماع لنا.

وفيه: «فجَمَعتُ عليّ ثيابي» أي لبستُ الثّياب الّتي تَبرُز بها إلى النّاس، من الإزار والرّداء والعمامة والدّرْع والخِمار.

وفيه: «فضرب بيده مَجْمَع مابين عنقي وكتفي» أي حيث يجتمعان، وكذلك: مجمع البحرين: ملتقاهما.

(١: ٢٩٥)

الجرجانيّ: الجمع والتّفرقة: الفَرق: ماتُنسب إليك، والجمع: ماسلب عنك، ومعناه أنّ مايكون كسبًا للعبد من إقامة وظائف العبوديّة ومايليق بأحوال البشريّة فهو فرق، ومايكون من قبل الحقّ من إبداء معان وابتداء لطف وإحسان فهو جَمْع. ولابدّ للعبد منهما، فإنّ من لاتفرقة له لاعبوديّة له، ومن لاجَمْع له لامعرفة له، فقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إثبات للتّفرقة بإثبات العبوديّة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ طلب للجَمْع؛ فالتّفرقة: بداية الإرادة، والجمع: نهايتها.

جَمْع الجَمْع: مقام آخر أتمّ وأعلى من الجَمْع؛ فالجمع: شهود الأشياء بالله، والتّبرّي من الحوْل والقوّة إلّا بالله.

وجمع الجمع: الاستهلاك بالكُلّيّة والفناء عمّا سوى الله، وهو المرتبة الأحديّة.

الجمعيّة: اجتماع الهِمَم في التّوجّه إلى الله تعالى، والاشتغال به عمّا سواه، وبإزائها التّفرقة.

جَمْع المذكّر: مالحق آخره واو مضموم ماقبلها، أوياء مكسور ماقبلها، ونون مفتوحة.

الجمع الصّحيح: ماسَلِم فيه نَظم الواحد وبناؤه.

جمع المؤنّث: هو مالحق بآخره ألف وتاء، سواءٌ كان لمؤنّث كمسلمات، أو مذكّر كدُرَيْهمات.

جمع المكسّر: هو ماتغيّر فيه بناء واحده كرجال.

جمع القلّة: هو الّذي يُطلَق على عشرة فما دونها من غير قرينة، وعلى مافوقها بقرينة.

جمع الكثرة: عكس جمع القلّة، ويستعار كلّ واحد منهما للآخر، كقوله تعالى: ﴿ثَلَثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة: ٢٢٨، في موضع أقراء.

(٣٤)

الفيروزاباديّ: الجَمْع كالمنع: تأليف المتفرّق، والدَّقَل، أو صِنف من التّمر، أو النّخل خرج من النّوَى لايُعرف اسمه، والقيامة، والصّمْغ الأحمر، وجماعة النّاس، الجَمْع: جموع كالجميع، ولبَنُ كلّ مصرورة، والفُواق: لبن كلّ باهلة كالجميع، وبلا لام: المُزْدَلِفة.

ويوم جَمْع: يوم عرفة، وأيّام جَمْع: أيّام مِنًى.

والمجموع: ماجُمع من هاهنا وهاهنا وإن لم يُجعل كالشّيء الواحد.

والجميع: ضدّ المتفرّق، والجيش، والحيّ المُجتمع، وعلَم كجامع.

وأتانٌ جامع: حمَلَتْ أوّل ماتَحمِل، وجمَل جامع وناقة جامعة: أخلفا بُزُولًا، ولايقال هذا إلّا بعد أربع سنين.

ودابّة جامع: تَصلُح للإكاف والسّرج.

وقِدْرٌ جامع وجامعة وجِماع ككتاب: عظيمة.

الجمع: جُمُع بالضّمّ.

والجامعة: الغُلّ.

ومسجد الجامع والمسجد الجامع: لغتان، أي مسجد اليوم الجامع؛ أو هذه خطأ.

وجامع الجار: فُرضة لأهل المدينة.

والجامع: بلدة بالغُوطَة.

والجامعان: الحِلّة المَزْيَدِيّة.

وجمّعت الجارية الثّياب: شبَّتْ.

وجُمّاع النّاس كرُمّان: أخلاطهم من قبائل شتّى، ومن كلّ شيء مُجْتَمَعُ أصله، وكلّ ماتجمّع وانضمّ بعضه إلى بعض.

والمَجمَع كمقعَد ومَنْزِل: موضع الجَمْع، وكمَقْعَدة: الأرض القَفْر، وماجتمع من الرّمال، وموضع ببلاد هُذيل له يومٌ.

وجُمْعُ الكفّ بالضّمّ، وهو حين تقبضها، جمعه: أجماع.

وأمْرُهم بجُمْع، أي مكتوم مستور.

وهي من زوجها بجُمْع، أي عَذْراء.

وذهب الشّهر بجُمْع، أي كلّه، ويُكسر فيهنّ.

وماتت بجُمْع مثلّثة: عَذْراء، أو حاملًا، أو مُثْقَلَة.

وجُمْعَة من تمر بالضّمّ: قُبْضَة منه.

والجُمْعَة: المجموعة.

ويوم الجُمُعة وبضمّتين وكهُمَزَة: معروف، الجُمَع كصُرَد وجُمُعات بالضّمّ وبضمّتين وتُفتح الميم.

وأدام الله جُمْعَة مابينكما بالضّمّ: أُلفة مابينكما.

والجَمْعاء: النّاقة الهَرِمَة، ومن البهائم الّتي لم يذهب من بدنها شيء، وتأنيث أجْمَع، وهو واحد في معنى جَمْع، وجمعه: أجمعون، وهو توكيد محض، وتقدّم في «ب ت ع».

وجاءوا بأجمعهم وتُضمّ الميم: كلّهم.

وجِماع الشّيء: جمعه، يقال: جِماع الخِباء: الأخبية، أي جَمْعُها، لأنّ الجِماع ماجمَع عددًا، وفي الحديث: «أُوتيت جوامع الكَلِم» أي القرآن، «وكان يتكلّم بجوامع الكَلِم» أي كان كثير المعاني قليل الألفاظ.

وسمّوا كشدّاد وقَتادَة وثُمَامَة.

وماجمَعَتْ بامرأة قطّ وعن امرأة: مابنَيْتُ.

والإجماع: الاتّفاق، وصَرُّ أخلاف النّاقة جُمَع، وجَعْل الأمر جميعًا بعد تفرّقه، والإعداد، والتّجفيف، والإيباس، وسَوْق الإبل جميعًا، والعزم على الأمر: أجمَعْتُ الأمر وعليه، والأمر مُجْمَع.

وكمُحسِن: العام المُجدِب، وقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ يونس: ٧١، أي وادعوا شركاءكم، لأنّه لايقال: أجْمِعُوا شركاءكم، أو المعنى أجمِعوا مع شركائكم على أمركم.

والمُجْمَعَة ببناء المفعول مخفّفة: الخُطبَة الّتي لايدخلها خَلَل.

وأجمَع المطر الأرض: سال رَغابها وجَهادها كلّها.

والتّجميع: مبالغة الجَمْع، وأن تجمع الدّجاجة بيضها في بطنها.

واجتمع: ضدّ تفرّق كأجْدَمَع وتجمّع واستجمع، والرّجل: بلغ أشُدّه، واستوت لحيته.

واستجمَع السّيل: اجتمع من كلّ موضع، وله أُموره اجتمع له كلّ مايسرّه، والفَرَس جريًا: بالغ.

وتجمّعوا: اجتمعوا من هاهنا وهاهنا.

والجامعة: المباضعة.

وجامَعه على أمر كذا: اجتمع معه، ومشَى مجتمعًا: مُسرعًا في مشيه. (٣: ١٤)

نحوه مع تفاوت مجمع اللُّغة (١: ٢٠٥)، ومحمّد إسماعيل إبراهيم (١: ١١٠)

العَدْنانيّ: جَمْع الجَمْع.

ويخطّئون من يجمع الجمع، فيقول في جِمال: جِمالات، ولكن:

أ- قال الأُشمونيّ في «شرح الخلاصة»: «قد تدعو الضّرورة إلى جَمْع الجَمْع، كما تدعو إلى تثنيته، فكما يقال في جماعتين من الجِمال: جِمالان، كذلك يقال في جماعاتها: جمالات، وإذا قُصد تكسيره كُسّر نظرًا إلى مايشاكله من الآحاد، فيكسّر مثل تكسيره، كقولهم في أعبُد: أعابد وفي أسلحة: أسالح، وفي أقوال: أقاويل. وماكان من الجموع على وزن «مفاعِل» أو «مفاعيل» لم يجز جمعه جمع تكسير، لأنّه لانظير له في الآحاد، فيُحمل عليه».

ب- وجاء في الجزء السّادس من مجلّة مجمع فؤاد الأوّل للّغة العربيّة بالقاهرة، أنّ مؤتمر المَجْمَع قرّر أنّ جَمْعَ الجَمْع مقيس عند الحاجة، في الجلسة الرّابعة للمؤتمر، في ٢٢ كانون الثّاني ١٩٤٤.

وفي المعجمات عدد كبير من جموع الجَمْع مثل:

١- مصير، ومُصْران، ومصارين.

٢- وغُراب، وغِرْبان، وغرابين.

المراد بمايشاكله: مايكون مثلَه في عدد الحروف، ومقابلة المتحرّك منها بالمتحرّك في الآخر، والسّاكن بالسّاكن، من غير اعتبار لنوع الحركة، فقد تختلف فيها، فيكون أحدهما متحرّكًا بالفتحة، والآخر بالضّمّة أوبالكسرة.

فالمهمّ ليس نوع الحركة فيها، وإنّما المهمّ أن يكون كلّ من الحرف ونظيره في التّرتيب متحرّكًا.

جمع المصدر:

ويقولون: إنّ المصادر لاتثنّى ولاتُجمَع، لأنّ المصدر يراد منه الجنس، أي جنس الفعل من حيث هو، وهذا ظاهر في المصادر الّتي لايُقصد منها بيان العدد أو النّوع.

أمّا إذا قُصد منها بيان العدد، فقد اتّفقوا على حقّ تثنيته وجمعه، نحو: رمَيتُ رمْيَتَين أو رَمْيات. فإن قُصد منه بيان النّوع، فقد منَع جمعَه بعض النّحويّين.

ولكن:

أ- أجاز جمعه كثير من علماء العربيّة، واستشهدوا بقوله تعالى في الآية العاشرة من سورة الأحزاب: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾.

ب- وجاء في «كلّيّات أبي البقاء» «وإذا قُصِد به أي المصدر، الأنواع، جاز تثنيته وجمعه». ثمّ قال: «ويجوز جمع المصادر وتثنيتها إذا كان في آخرها تاء التّأنيث، كالتّلاوات والتّلاوتين».

ج- وجاء في الجزء السّادس من مجلّة مجمع فؤاد الأوّل للّغة العربيّة بالقاهرة، أنّ مؤتمر المَجْمَع قرّر في الجلسة الرّابعة للمؤتمر، في ٢٢ كانون الثّاني ١٩٤٤، أنّه يجوز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه.

الجُمُعة، الجُمْعَة، الجُمَعَة، راجع مادّة «الأُسبوع» في حرف السّين. (١٢٦)

جاء القوم أجمَعهم، بأجمَعِهم، بأجْمُعِهم.

ويخطّئون من يقول: جاء القوم بأجمَعِهم، ويقولون: إنّ الصّواب هو: جاء القوم أجمَعُهُمْ. والحقيقة أنّ كلتا الجملتين صحيحة. وكلمة «أجمع» في الجملة الّتي يخطّئونها، لابدّ أن تضاف إلى ضمير المؤكّد، وأن تسبقها الباء الزّائدة الجارّة، وهي زائدة لازمة لاتفارقها.

وجاء في «النّحو الوافي» (٤: ٥٠٤): تُعرب كلمة «أجمع» توكيدًا مجرور اللّفظ بالباء الزّائدة اللّازمة، في محلّ رفع أو نصب أو جرّ، على حسب حالة المؤكّد ـ المتبوع ـ وهذا الإعراب أوضح وأيسر من إعرابها بدلًا من المتبوع، مجرورة اللّفظ بالباء، في محلّ رفع أو نصب أو جرّ، لأنّ صاحب هذا الإعراب لايجعل «أجمع» هنا من ألفاظ التّوكيد، برُغم أنّها ـ عنده ـ تؤدّي معناه، وتضاف إلى ضمير مطابق للمؤكّد.

وممّن أجاز لنا أن نقول:

أ ـ جاء القوم بأجمَعِهم: ابن السّكّيت «تهذيب الألفاظ، باب أخذ الشّيء بأجمَعِه»، والألفاظ الكتابيّة «باب أخذ الشّيء بأجمعه» والصّحاح، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والنّحو الوافي، والوسيط.

ب ـ وجاء القوم بأجمُعِهم: ابن السّكّيت «باب أخذ الشّيء بأجمُعِه» والصّحاح، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والنّحو الوافي.

استجمع قواه:

ويخطّئون من يقول: استجمع فلان قواه، لأنّ استجمع فعل لازم، من معانيه:

أ ـ تجمّعت، ويقال: استجمع القوم: تجمّعوا من كلّ صوب.

ب ـ استجمع السّيل: اجتمع من كلّ موضع.

ج ـ استجمع الوادي: لم يبق منه موضعٌ إلّا سال ماؤه.

د ـ استجمع البَقل ونحوُه: يَبِس.

هـ ـ استجمع للجري أو الوُثوب: تحفّز.

و ـ استجمع الرّجل: بلغ أشُدّه واستوى.

ز ـ استجمعت له أُموره: اجتمع له كلّ مايسرّه.

ح ـ استجمع النّاس: ذهبوا كلّهم.

ولكن:

١ ـ يقال للمستجيش الّذي يجمع الجنود للجيش: استجمع كلّ مَجْمَع. «الصّحاح، والتّاج، والمدّ».

٢ ـ قالت لجنة الألفاظ والأساليب، التّابعة لمَجْمَع اللّغة العربيّة بالقاهرة، في مؤتمره في دورته الثّالثة والأربعين، من ٣ ربيع الأوّل ١٣٩٧هـ، الموافق ل ٢١ شباط (فبراير) ١٩٧٧ ـ إلى ١٧ ربيع الأوّل ١٣٩٧هـ، الموافق ل (٧) آذار (مارس) ١٩٧٧ مايأتي:

يشيع استعمال جملة «استجمع قواه» كثيرًا في لغة المعاصرين، في مثل قولهم: استجمع فلان أفكاره. وهو مايُعترض عليه بأنّ صيغة «استجمع» لم ترِد في معجمات اللّغة إلّا لازمة. يقال: استجمع السّيل، أي تجمّع من كلّ صوب.

ودرست اللّجنة هذا، ثمّ انتهت إلى أنّ اللّفظ يمكن قبوله، على أساس أنّ السّين والتّاء فيه للطّلب المجازيّ

أو التّقديريّ، فكأنّ فلانًا يستدعي أفكاره أو قواه لتجمّع. وقد أثبت فريق من كبار النّحاة أنّ الطّلب يكون بهذا المعنى الّذي تستند اللّجنة إليه في توجيه اللّفظ، كما أنّ دلالة السّين والتّاء على الطّلب قياسيّة في قرارات المجمع.

هذا إلى أنّ صيغة «استفعل» تأتي بمعنى «فَعَل» ومن أمثلة ذلك: علا واستعلى، فتح واستفتح، نسخ واستنسخ.

ولهذا كلّه ترى اللّجنة أنّ استعمال هذا اللّفظ صحيح في المعنى الّذي يُستعمل فيه.

وبعد مناقشات حول هذا القرار، تبيّن أنّ أكثريّة المؤتمرين لااعتراض لهم عليه، فأُعلِن قبول المؤتمر له.

(١٢٨)

محمود شيت: ١ـ أـ الاجتماع: علم الاجتماع: علمٌ في نشوء الجماعات ونموّها وطبيعتها وقوانينها ونظمها. ويقال: رجل اجتماعيّ: مزاول للحياة الاجتماعيّة، كثير المخالطة للنّاس.

ب ـ الجامع: من أسماء الله الحسنى. والمسجد الجامع: الّذي تُصلّى فيه الجُمُعَة. ويقال: مسجدٌ جامع. وأمرٌ جامع: له خطر يجتمع له النّاس. وكلام جامع: قلّت ألفاظه وكثرت معانيه. وقِدْرٌ جامع: عظيمة، الجمع: جوامع.

ج ـ الجامعة: الغُلّ، يجمع اليدين إلى العُنُق. ومجموعة معاهد علميّة، تسمّى كلّيّات، تُدرس فيها الآداب والعلوم والفنون. وقِدْرٌ جامعة: عظيمة وكلمة جامعة: كثيرة المعاني في إيجازها. الجمع: جوامع.

د ـ الجماعة: العدد الكثير من النّاس والشّجر والنّبات، وطائفة من النّاس يجمعها غرض واحد.

هـ ـ الجماعيّة «في الاقتصاد السّياسيّ»: مذهب اشتراكيّ يقرّر أنّ أموال الإنتاج يجب أن تكون للدّولة، وأن تُلغى الملكيّة الخاصّة الواردة عليها، وأنّ أموال الاستهلاك هي وحدها الّتي تكون محلًّا للملكيّة الخاصّة. وفي القانون الدّوليّ العامّ: المُعاهَدة الجماعيّة، وهي اتّفاق بين أكثر من دولتين.

و ـ الجَمْع: الجماعة، والمجتمعون، والجيش. وفي علم الرّياضة: ضمّ الأعداد أو الحدود الجبريّة المتشابهة.

ويوم الجَمْع: يوم القيامة. ويوم جَمْعٍ: يوم عَرَفة. وأيّام جَمْع كذلك: أيّام مِنى. الجمع: جُمُوع.

ز ـ الجُمْعَة: المجموعة، والأُلفة.

والجُمُعَةُ والجُمَعَة، والجُمْعَة: مايلي الخميس من أيّام الأُسبوع. الجمع: جُمَعٌ.

س ـ الجَمْعيّة: طائفة تتألّف من أعضاء لغرض خاصّ وفكرة مشتركة.

ع ـ المُجْتَمَع: موضع الاجتماع، والجماعة من النّاس.

ف ـ المَجْمَع: موضع الاجتماع، والمجتمعون، والمُلْتَقى، ومؤسّسة للنّهوض باللّغة أو العلوم أو الفنون ونحوها. الجمع: مجامع.

٢ـ أـ جمّع الجند: ضمّ بعضهم إلى بعض.

ب ـ جمّع الجند: جمعهم.

ج ـ تجمّعْ: أمرٌ، وهو أحد الإيعازات العسكريّة لجمع الجنود للتّدريب، أو لواجب معيّن.

د ـ الاجتماع: اجتماع الجنود بآمرهم أو قائدهم

لتدريبهم، أو لإلقاء محاضرة عليهم، أو لإصدار الأوامر إليهم.

موضع الاجتماع: الموضع الّذي تجتمع فيه القطعات العسكريّة للتقدّم، أو للهجوم، أو لاحتلال موضع دفاعيّ، أو للانسحاب.

هـ ـ الجامعة: الغلّ، يجمع اليدين[1] أو العُنُق.

و ـ الجماعة: بعض العسكريّين في مجموعة واحدة.

ز ـ الجماعيّة: يقال الحرب الجماعيّة: الحرب الّتي تُحشد لها الطّاقات المادّيّة والمعنويّة للأُمّة. وتسمّى: الحرب الاعتصابيّة في بعض جيوش الدّول العربيّة.

(١: ١٥٠)

المُصْطَفَويّ: الأصل الواحد في هذه المادّة: هو انضمام شيء إلى آخر، ويعبّر عنه بـ«الاجتماع»، ومصاديق هذا المفهوم مختلفة كما رأيت.

ويظهر الاختلاف في هذا المفهوم باختلاف الصّيغ، فيقال جمعه وهو جامع وذلك مجموع.

وإذا أُريد الثّبوت واللّزوم والاتّصاف به، فيقال: جميع وجُمَع.

وإذا أُريد صدور الفعل بالرّغبة والاختيار والقبول، فيقال: اجتمع. وإذا أُريد التّعدية إلى مفعولين، فيقال: أجمعه، أي عزمه، فإنّ مرجعه إلى جمع أفكاره وآرائه أن يريد كذا، فمعنى ﴿وَاَجْمَعُوا اَنْ يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ يوسف: ١٥، جمعوا آراءهم وأفكارهم أن يجعلوه، فالمفعول الأوّل محذوف، وهذا معنى العزم والتّصميم، فإنّه نتيجة جمع الحواسّ واتّفاق الآراء.

وأمّا «أجمع» في مقام التّأكيد: فهو في الأصل صيغة تفضيل، إلّا أنّه استعمل في عرفهم في مقام الإشارة إلى تأكيد الجمعيّة فقط. [ونقل بعضًا من قول الجَوْهَريّ ثمّ قال:]

ثمّ إنّ الجمع إمّا بالنّسبة إلى أفراد الإنسان: (جَمَعْنَاكُمْ) المرسلات: ٣٨، ﴿جَامِعُ النَّاسِ﴾ آل عمران: ٩، ﴿اِجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ﴾ الإسراء: ٨٨، ﴿مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ هود: ١٠٣، ﴿تُوبُوا اِلَى اللهِ جَمِيعًا﴾ النّور: ٣١.

أو بالنّسبة إلى موضوعات خارجيّة: ﴿جَمَعَ مَالًا﴾ الهمزة: ٢، ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ آل عمران: ١٥٧، ﴿لَكُمْ مَافِى الْاَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة: ٢٩، ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الكهف: ٦٠، ﴿لَوْ اَنْفَقْتَ مَافِى الْاَرْضِ جَمِيعًا﴾ الأنفال: ٦٣.

أو بالنّسبة إلى الأعمال والمعاني: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ طه: ٦٠، ﴿فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا﴾ النّساء: ١٣٩، ﴿لِلّٰهِ الْاَمْرُ جَمِيعًا﴾ الرّعد: ٣١، ﴿عَلٰى اَمْرٍ جَامِعٍ﴾ النّور: ٦٢، ﴿فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ الرّعد: ٤٢.

وأمّا ماجاء للتّأكيد: ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ﴾ الحجر: ٣٠. (٢: ١١٤)

النّصوص التّفسيريّة

جمع

١ ـ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ اَتٰى. طه: ٦٠

راجع «ك ي د ـ كَيْدَهُ».

---

(١) كذا، والصّحيح: والعنق.

٢ـ وَجَمَعَ فَأَوْعَى. المعارج: ١٨

راجع «وع ي» (أَوْعَى).

٣ـ جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. الهُمَزة: ٢

الطُّوسيّ: قرأ حمزة والكِسائيّ وخلف وابن عامر وأبو جعفر وروح (جَمَّعَ) بالتّشديد على التّكثير. الباقون بالتّخفيف، لأنّه يقع على القليل والكثير. ومن شدّد أراد جمعه من وجوه شتّى شيئًا بعد شيء. (وَعَدَّدَهُ) أي جعله عدّة. ومن قرأ مخفّفًا أراد جمع مالًا وعددًا، أي وقومًا ذوي عدد أنصارًا. [إلى أن قال:]

وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ نعت للهُمَزة الّذي تقدّم ذكره في أنّه يجمع المال ويحبّه، ولا يُخرج حقّ الله منه. (١٠: ٤٠٦)

الفَخْرالرّازيّ: قرأ حمزة والكِسائيّ وابن عامر (جَمَّعَ) بالتّشديد والباقون بالتّخفيف، والمعنى في: جَمَعَ وجَمَّعَ واحد متقارب، والفرق أنّ (جَمَّعَ) بالتّشديد يفيد أنّه جمعه من هاهنا وهاهنا، وأنّه لم يجمعه في يوم واحد، ولا في يومين، ولا في شهر ولا في شهرين، يقال: فلان يُجَمِّع الأموال، أي يجمعها من هاهنا وهاهنا، وأمّا (جَمَعَ) بالتّخفيف فلا يفيد ذلك. (٣٢: ٩٢)

البُرُوسَويّ: بدل من (كُلِّ) كأنّه قيل: ويل للّذي جمع مالًا. وإنّما وصفه الله بهذا الوصف المعنويّ، لأنّه يجري مجرى السّبب للهُمَزة واللُّمَزة، من حيث إنّه أعجب بنفسه ممّا جمع من المال، وظنّ أنّ كثرة المال سبب لعزّ المرء وفضله، فلذا استنقص غيره. وإنّما لم يُجعل وصفًا نحويًّا لـ(كُلِّ) لأنّه نكرة لا يصحّ توصيفها بالموصولات. (١٠: ٥٠٨)

الآلوسيّ: بدل من (كُلِّ)، بدل كلّ، وقيل: بدل بعض من كلّ. وقال الجاربرديّ: يجوز أن يكون صفة له، لأنّه معرفة، على ماذكره الزّمَخْشَريّ في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ق: ٢١، إذ جعل جملة ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ حالًا من ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ لذلك، ولا يخفى مافيه. ويجوز أن يكون منصوبًا أو مرفوعًا على الذّمّ. (٣٠: ٢٣٠)

لاحظ «ع د د» (عَدَّدَهُ)

لَجَمَعَهُمْ

...وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ. الأنعام: ٣٥

الطّبَريّ: إنّ الّذين يكذّبونك من هؤلاء الكفّار يامحمّد، فيحزنك تكذيبهم إيّاك، لو أشاءُ أن أجمعهم على استقامة من الدّين، وصواب من محجّة الإسلام، حتّى تكون كلمة جميعكم واحدة، وملّتكم وملّتهم واحدة، لجمعتهم على ذلك، ولم يكن بعيدًا عليّ، لأنّي القادر على ذلك بلطفي، ولكنّي لم أفعل ذلك لسابق علمي في خلقي ونافذ قضائي فيهم، من قبل أن أخلقهم وأُصوّر أجسامهم. (٧: ١٨٤)

الزّجّاج: فيه غير قول، فأحدها: أنّه لو شاء الله أن يطبعهم على الهدى لفعل ذلك، وقول آخر: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُم عَلَى الْهُدَى﴾ أي لو شاء لأنزل عليهم آية تضطرّهم إلى الإيمان، كقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾

الشّعراء: ٤. (٢: ٢٤٤)

الطُّوسيّ: ثمّ أخبر أنّه لو شاء أن يجمعهم على الإيمان ـ على وجه الإلجاء ـ لكان على ذلك قادرًا، لكنّه ينافي ذلك الغرض بالتّكليف، وجرى ذلك مجرى قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ...﴾، فإنّه أراد بذلك الإخبار عن قدرته، وأنّه لو شاء ألجأهم إلى الإيمان لكان عليه قادرًا.

ولا يدلّ ذلك على أنّه لم يشأ منهم الإيمان على وجه الاختيار منهم، أو لم يشأ أن يفعل مايؤمنون عنده مختارين، لأنّ الله تعالى قد شاء منهم الإيمان على هذا الوجه. وإنّما أفاد نفي المشيئة لما يُلجئهم إلى الإيمان، لأنّه متى ألجأهم إليهم لم يكن ذلك إيمانًا.

والغرض بالآية أن يبيّن تعالى أنّ الكفّار لم يغلبوا الله بكفرهم ولاقهروه بخلافه، وأنّه لو أراد أن يحول بينهم وبينه لفعل، لكنّه يريد أن يكون إيمانهم على وجه يستحقّون به الثّواب، ولاينافي التّكليف. (٤: ١٣٢)

القُشَيريّ: ولو أراد الحقّ ـ سبحانه ـ لخفّف عنهم، ولو شاء أن يهديهم لكان لهم مَقيل في الصّدور، ومثوى على النّشاط، ولكن من كبسته العزّة لم تُنعشه الحيلة.

(٢: ١٦٤)

الزّمَخْشَريّ: بأن يأتيهم بآية مُلجئة، ولكنّه لايفعل لخروجه عن الحكمة. (٢: ١٦)

ابن عَطيّة: يُحتمل إمّا بأن يخلقهم مؤمنين، وإمّا بأن يكسبهم الإيمان بعد كفرهم، بأن يشرح صدورهم، والهدى: الإرشاد، وهذه الآية تردّ على القدريّة المفوّضة الّذين يقولون: إنّ القدرة لاتقتضي أن يُؤمن الكافر، وإنّ مايأتيه الإنسان من جميع أفعاله لاخلق لله فيه تعالى عن قولهم. (٢: ٢٨٨)

الطَّبْرِسيّ: بالإلجاء، وإنّما أخبر عزّ اسمه عن كمال قدرته، وأنّه لو شاء لألجأهم إلى الإيمان ولم يفعل ذلك، لأنّه ينافي التّكليف، ويسقط استحقاق الثّواب الّذي هو الغرض بالتّكليف. (٢: ٢٩٦)

الفَخْرالرّازيّ: تقديره: ولو شاء الله هداهم لجمعهم على الهدى. وحيثما جمعهم على الهدى، وجب أن يقال: إنّه ماشاء هداهم، وذلك يدلّ على أنّه تعالى لايريد الإيمان من الكافر بل يريد إبقاءه على الكفر.

والّذي يقرّب هذا الظّاهر، إنّ قُدرة الكافر على الكفر إمّا أن تكون صالحة للإيمان، أو غير صالحة له. فإن لم تكن صالحة له، فالقدرة على الكفر مستلزمة للكفر، وغير صالحة للإيمان، فخالق هذه القدرة يكون قد أراد هذا الكفر منه، لامحالة.

وأمّا إن كانت هذه القدرة، كما أنّها صلحت للكفر فهي أيضًا صالحة للإيمان، فلمّا استوت نسبة القدرة إلى الطّرفين، امتنع رجحان أحد الطّرفين على الآخر، إلّا لداعية مرجّحة، وحصول تلك الدّاعية ليس من العبد، وإلّا وقع التّسلسل، فثبت أنّ خالق تلك الدّاعية هو الله تعالى، وثبت أنّ مجموع القدرة مع الدّاعية الحاصلة موجب للفعل، فثبت أنّ خالق مجموع تلك القدرة مع تلك الدّاعية المستلزمة لذلك الكفر مريد لذلك الكفر، وغير مريد لذلك الإيمان. فهذا البرهان اليقينيّ قويّ ظاهر بهذه الآية، ولابيان أقوى من أن يتطابق البرهان مع ظاهر القرآن. قالت المعتزلة: المراد: ولو شاء الله أن يلجئهم إلى الإيمان لجمعهم عليه. قال القاضي: والإلجاء

هو أن يعلمهم أنّهم لو حاولوا غير الإيمان لمنعهم منه، وحينئذ يمتنعون من فعل شيء غير الإيمان.

ومثاله: أنّ أحدنا لو حصل بحضرة السّلطان وحضر هناك من حشَمه الجمع العظيم، وهذا الرّجل علم أنّه لو همّ بقتل ذلك السّلطان لقتلوه في الحال، فإنّ هذا العلم يصير مانعًا له من قصد قتل ذلك السّلطان، ويكون ذلك سببًا لكونه مُلجأً إلى ترك ذلك الفعل، فكذا هاهنا.

إذا عرفت الإلجاء، فنقول: أنّه تعالى إنّما ترك فعل هذا الإلجاء، لأنّ ذلك يُزيل تكليفهم، فيكون مايقع منهم كأن لم يقع. وإنّما أراد تعالى أن ينتفعوا بما يختارونه من قبل أنفسهم من جهة الوصلة إلى الثّواب؛ وذلك لايكون إلّا اختيارًا.

والجواب: أنّه تعالى أراد منهم الإقدام على الإيمان، حال كون الدّاعي إلى الإيمان وإلى الكفر على السّويّة، أو حال حصول هذا الرّجحان، والأوّل تكليف مالايطاق، لأنّ الأمر بتحصيل الرّجحان حال حصول الاستواء، تكليف بالجمع بين النّقيضين، وهو محال. وإن كان الثّاني فالطّرف الرّاجح يكون واجب الوقوع، والطّرف المرجوح يكون ممتنع الوقوع، وكلّ هذه الأقسام تُنافي ماذكروه من المكنة والاختيار، فسقط قولهم بالكلّيّة، والله أعلم. (١٢: ٢٠٧)

القُرطُبيّ: أي لخلقهم مؤمنين وطبعهم عليه. بيّن تعالى أنّ كفرهم بمشيئة الله ردًّا على القدريّة. وقيل المعنى: أي لأراهم آية تضطرّهم إلى الإيمان، ولكنّه أراد عزّوجلّ أن يُثيب منهم من آمن ومن أحسن. (٦: ٤١٨)

البَيْضاويّ: أي ولو شاء الله جمعهم على الهدى، لوفّقهم للإيمان حتّى يؤمنوا، ولكن لم تتعلّق به مشيئته، فلاتتهالك عليه. والمعتزلة أوّلوه بأنّه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية مُلجئة، ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة. (١: ٣٠٨)

أبوحَيّان: أي إمّا بخلق ذلك في قلوبهم أوّلًا فلايضلّ أحد، وإمّا بخلقه فيهم بعد ضلالهم. ودلّ هذا التّعليق على أنّه تعالى ماشاء منهم جميعهم الهُدى، بل أراد إبقاء الكافر على كفره. (٤: ١١٥)

الشِّربينيّ: أي لوفّقهم له، ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا. (١: ٤١٨)

أبوالسُّعود: أي لو شاء الله تعالى أن يجمعهم على ماأنتم عليه من الهدى لفعله، بأن يوفّقهم للإتيان فيؤمنوا معكم، ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى، مع تمكّنهم التّامّ منه في مشاهدتهم للآيات الدّاعية إليه، لا أنّه تعالى لم يوفّقهم له، مع توجّههم إلى تحصيله. (٢: ٣٧٨)

الآلوسيّ: [نحو أبي السُّعود وأضاف:]

وقال المعتزلة: المراد لو شاء سبحانه جمعهم على الهُدى لفعل، بأن يأتيهم بآية مُلجئة إليه، لكنّه جلّ شأنه لم يفعل ذلك، لخروجه عن الحكمة، والحقّ ماعليه أهل السُّنّة. (٧: ١٣٩)

مكارم الشّيرازيّ: أي لو أراد حملهم على الاستسلام والرّضوخ لدعوتك والإيمان بالله، لكان على ذلك قديرًا.

غير أنّ الإيمان الإجباريّ لاطائل تحته؛ إنّ خَلْق البشر للتّكامل مبنيّ على أساس حرّيّة الاختيار

والإرادة، ففي حالة حرّيّة الاختيار وحدها يمكن تمييز المؤمن من الكافر، والصّالح من غير الصّالح، والمُخلِص من الخائن، والصّادق من الكاذب.

أمّا في الإيمان الإجباريّ فلن يكون ثمّة اختلاف بين الطّيّب والخبيث، وعلى صعيد الإجبار تفقد كلّ هذه المفاهيم معانيها تمامًا. (٤: ٢٤٩)

فضل الله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ بطريقة إلهيّة تكوينيّة كما ألهم الأشياء الكونيّة قوانينها، وسننها الطّبيعيّة، وكما خلق النّاس على أشكال معيّنة في اللّون والحجم والشّكل، ولكنّه شاء للإرادة الإنسانيّة أن تتحرّك من موقع الاختيار لينطلق الإنسان بالإيمان من موقع الحرّيّة في حركة العقيدة في الحياة فَسِر في طريقك على هدى الله، ولاتُصغِ إليهم، وأعرض عنهم، فذلك هو الخطّ الأصيل في فكرة العمل الرّساليّ وأُسلوبه. (٩: ٨٦)

جَمَعُوا

اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ اِيمَانًا... آل‌عمران: ١٧٣

الطَّبَريّ: قد جمعوا الرّجال للقائكم، والكرّة إليكم لحربكم. (٤: ١٧٨)

الطَّبْرِسيّ: أي جمعوا جموعًا كثيرةً لكم، وقيل: جمعوا الإناث والرّجال. (١: ٥٤١)

الفَخْرالرّازيّ: أي جمعوا لكم الجموع، فحذف المفعول، لأنّ العرب تسمّي الجيش جَمْعًا، ويجمعونه جموعًا. (٩: ١٠٠)

فضل الله: جمعوا جموعهم وجنودهم، وآراءهم لقتالكم. والجمع: لَمّ الأشياء المتفرّقة، وضمّها بعضها إلى بعض. وأكثر مايُستعمل «جمع» في الأعيان، و«أجمع» في الآراء. (٦: ٣٨٥)

فَكَيْفَ اِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ. آل‌عمران: ٢٥

راجع «ي و م» (لِيَوْمٍ)

جَمَعْنَاكُمْ

هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْاَوَّلِينَ. المرسلات ٣٨

ابن عبّاس: يامعشرَ المكذّبين (وَالْاَوَّلِينَ) قبلكم والآخرين بعدكم. (٤٩٨)

الطُّوسيّ: معناه أنّ الله يجمع فيه الخلائق في يوم واحد في صعيد واحد. والجمع: جعل الشّيء مع غيره إمّا في مكان واحد، أو محلّ واحد، أو في يوم واحد، أو وقت واحد، أو يجعل مع غيره في حكم واحد أو معنى واحد، كجمع الجماد والحيوان في معنى الحدوث. (١٠: ٢٣٣)

القُشَيْريّ: فعلنا بكم مافعلنا بهم في الدّنيا من الخِذْلان، كذلك اليوم سنفعل بكم مانفعل بهم من دخول النّيران. (٦: ٢٤١)

البغَويّ: يعني مكذّبي هذه الأُمّة، والأوّلين: الّذين كذّبوا أنبياءهم. (٥: ١٩٨)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٥: ٤١٩)، والشّربينيّ (٤: ٤٦٦).

الزَّمَخْشَريّ: كلام موضّح لقوله: ﴿هٰذَا يَوْمُ

﴿الْفَصْلِ﴾ لأنّه إذا كان يوم الفصل بين السّعداء والأشقياء، وبين الأنبياء وأُممهم، فلابدّ من جمع الأوّلين والآخرين، حتّى يقع ذلك الفصل بينهم.
(٤: ٢٠٥)

نحوه الفخر الرّازيّ (٣٠: ٢٨١)، والنّيسابوريّ (٢٩: ١٤٠).

أبوالسّعود: خطاب لأُمّة محمّد عليه الصّلاة والسّلام (وَالْاَوَّلِينَ) من الأُمم، وهذا تقرير وبيان للفصل.
(٦: ٣٥٠)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ٢٨٩)

الطّباطَبائيّ: والخطاب في: ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْاَوَّلِينَ﴾ لمكذّبي هذه الأُمّة بما أنّهم من الآخرين، ولذا قوبلوا بالأوّلين، قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ هود: ١٠٣، وقال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ اَحَدًا﴾ الكهف: ٤٧. (٢٠: ١٥٤)

مكارم الشّيرازيّ: جمعنا في هذا اليوم جميع بني البشر من دون استثناء للحساب، وفصل الخصام في هذه العَرَصة والمحكمة العُظمى. (١٩: ٢٦٧)

جُمِعَ

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ القيمة: ٨، ٩

الإمام عليّ عليه السلام: يُجعلان في نور الحُجُب.

مثله ابن عبّاس. (المَيْبُديّ ١٠: ٣٠٢)

ابن مَسعود: جُمع بينهما في طلوعهما من المغرب كالبعيرين القرينين. (الطّبْرِسيّ ٥: ٣٩٥)

مُجاهِد: كُوّر يوم القيامة. (الطّبَريّ ٢٩: ١٨٠)

جُمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف، ليتكامل ظلام الأرض على أهلها، حتّى يراها كلّ أحد بغير نور وضياء. (الطّبْرِسيّ ٥: ٣٩٥)

عَطاء: يُجمعان يوم القيامة ثمّ يُقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى. (البَغَويّ ٥: ١٨٣)

ابن زَيْد: جُمعا فرُمي بهما في الأرض.
(الطّبَريّ ٢٩: ١٨٠)

الفَرّاء: في قراءة عبد الله (وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) يريد: في ذهاب ضوئها أيضًا، فلاضوء لهذا ولالهذه، فمعناه جُمع بينهما في ذهاب الضّوء، كما تقول: هذا يوم يستوي فيه الأعمى والبصير، أي يكونان فيه أعميين جميعًا. ويقال: جُمعا كالثّورين العقيرين في النّار. وإنّما قال: (جُمِعَ) ولم يقل: جُمِعت لهذا، لأنّ المعنى جُمع بينهما، فهذا وجه. وإن شئت جعلتها جميعًا في مذهب ثورين، فكأنّك قلت: جُمِع النّوران، جُمِع الضّياءان، وهو قول الكِسائيّ.

وقد كان قوم يقولون: إنّما ذكرنا فعل الشّمس، لأنّها لاتنفرد بجُمع حتّى يشركها غيرها، فلمّا شاركها مذكّر كان القول فيهما: جُمعا، ولم يجز: جُمعتا. فقيل لهم: كيف تقولون: الشّمس جُمع والقمر؟ فقالوا: جُمعت، ورجعوا عن ذلك القول. (٣: ٢٠٩)

نحوه الطّبَريّ. (٢٩: ١٨٠)

الزّجّاج: أي جُمعا في ذهاب نورهما. (٥: ٢٥٢)

نحوه المَيْبُديّ. (١٠: ٣٠٢)

الماوَرْديّ: فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنّه جمع بينهما في طلوعهما من المغرب،

أسودَين مكوّرَين مُظلمَين مُقرنَين.

الثّاني: جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف، لتكامل إظلام الأرض على أهلها، حكاه ابن شجرة.

الثّالث: جمع بينهما في البحر حتّى صارا نار الله الكُبرى[1]. (٦: ١٥٣)

نحوه البغَويّ (٥: ١٨٣)، والزّمَخشَريّ (٤: ١٩١).

الطُّوسيّ: أي جُمعا في ذهاب نورهما بما يراه الإنسان، والجمع: جعل أحد الشّيئين مع الآخر.

والجَمْع على ثلاثة أقسام: جَمْع في المكان، وجَمْع في الزّمان، وجَمْع الأعراض في المحلّ. وجَمْع الشّيئين في حكم أو صفة مجاز. (١٠: ١٩٢)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٣٩٥)

المَيْبُديّ: [نحو الماوَرْديّ وأضاف:]

لم يقل: جمعت الشّمس، لأنّ معناه جمع بينهما. (١٠: ٣٠٢)

ابن عَطيّة: غلب عليه التّذكير على التّأنيث، وقيل: ذلك لأنّ تأنيث الشّمس غير حقيقيّ، وقيل: والمراد بين الشّمس والقمر، وكذلك قرأ ابن أبي عبلة.

واختلف المتأوّلون في معنى: الجمع بينهما، فقال عطاء بن يسار: يُجمعان فيُقذفان في النّار، وقيل: في البحر، فتصير نار الله العظمى. وقيل: يُجمع الضّوءان فيذهب بهما. (٥: ٤٠٣)

الفَخْرالرّازيّ: ذكروا في كيفيّة الجمع وجوهًا:

أحدها: أنّه تعالى قال: ﴿لَاالشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا اَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ يس: ٤٠، فإذا جاء وقت القيامة أدرك كلّ واحد منهما صاحبه واجتمعا.

وثانيها: جُمعا في ذهاب الضّوء، فهو كما يقال: الشّافعيّ يجمع مابين كذا وكذا في حكم كذا.

وثالثها: يُجمعان أسودين مُكوّرَين، كأنّهما ثوران عقيران في النّار. وقيل: يُجمعان ثمّ يُقذفان في البحر، فهناك نار الله الكُبرى.

واعلم أنّ هذه الوجوه الّتي ذكرناها في قوله: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ إنّما تستقيم على مذهب من يجعل برق البصر من علامات القيامة فأمّا من يجعل برق البصر من علامات الموت، قال: معنى ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أي ذهب ضوء البصر عند الموت، يقال: عين خاسفة، إذا فُقئت حتّى غابت حدقتها في الرّأس، وأصلها من: خسفت الأرض، إذا ساخت بما عليها.

وقوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ كناية عن ذهاب الرّوح إلى عالم الآخرة، كأنّ الآخرة كالشّمس، فإنّه يظهر فيها المغيبات وتتّضح فيها المبهمات، والرّوح كالقمر فإنّه كما أنّ القمر يقبل النّور من الشّمس، فكذا الرّوح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة.

ولاشكّ أنّ تفسير هذه الآيات بعلامات القيامة أولى من تفسيرها بعلامات الموت، وأشدّ مطابقة لها. (٣٠: ٢٢٠)

نحوه النَّيسابوريّ. (٢٩: ١٠٧)

القُرطُبيّ: [اكتفى بنقل أقوال السّابقين] (١٩: ٩٥)

أبوحَيّان: جمع الشّمس والقمر، لم تلحق علامة التّأنيث، لأنّ تأنيث الشّمس مجاز أو لتغليب التّذكير

---

(١) ولم يذكر الرّابع.

على التّأنيث. وقال الكِسائيّ: حمل على المعنى، والتّقدير: جمع النّوران أو الضّياءان. [إلى أن قال:]

وقيل: يجتمعان ولايتفرّقان، ويقربان من النّاس فيلحقهم العرق لشدّة الحرّ، فكان المعنى يجمع حرّهما.

وقيل: يُجمع بينهما في ذهاب الضّوء، فلايكون ثمّ تعاقب ليل ولانهار. (٨: ٣٨٦)

نحوه الشّربينيّ. (٤: ٤٤٠)

الآلوسيّ: حيث يطلعهما الله تعالى من المغرب ـ على ماروي عن ابن مسعود ـ ولاينافيه الخسوف؛ إذ ليس المراد به مصطلح أهل الهيئة، وهو ذهاب نور القمر لتقابل النّيّرين وحيلولة الأرض بينهما، بل ذهاب نوره لتجلّ خاصّ في ذلك اليوم، أو لاجتماعه مع الشّمس وهو المحاق.

وجوّز أن يكون الخسوف بالمعنى الاصطلاحيّ ويُعتبر في وسط الشّهر مثلًا، ويُعتبر الجمع في آخره؛ إذ لادلالة على اتّحاد وقتيهما في النّظم الجليل. وأنت تعلم أنّ هذا خسوف يُزري بحال أهل الهيئة، ولايكاد يخطر لهم ببال، كالجمع المذكور. [ثمّ نقل الأقوال]

(٢٩: ١٣٩)

عبد الكريم الخطيب: أي أصبحا جِرمين، لايرى لهما الإنسان يومئذ ضوءً؛ حيث تكون الشّمس أشبه بالقمر، في أنّها جسم معتم مثله. فإنّ ضوء الشّمس إنّما يُرى في كوكبنا الأرضيّ بعد أن يخترق الطّبقة الجوّيّة المحيط بالأرض، فإذا خرج الإنسان عن جوّ الأرض لم ير للشّمس ضوءً، ورأى النّجوم في رائعة النّهار الّذي يكسو وجه الأرض حُلّةً من ضيائه.

وهذا يعني أنّ الإنسان سيخرج يوم القيامة من عالمه الأرضيّ إلى عالم آخر، تتبدّل فيه أحواله، وتتغيّر في نظره حقائق الأشياء على هذه الأرض، فيرى الشّمس والقمر معلّقَيْن في هذا الفضاء، كلّ على هيئته فلاغروب للشّمس، ولانقصان للقمر. (١٥: ١٣١٧)

مكارم الشّيرازيّ: ذُكرت معان متعدّدة للمفسّرين في مايراد بالجمع بين الشّمس والقمر، فقد قيل: هو اجتماعهما، أو طلوعهما كليهما من المشرق وغروبهما من المغرب وقيل: اجتماعهما بعد زوال نورهما. ويُحتمل أن ينجذب القمر تدريجيًّا بواسطة الشّمس وباتّجاهها، ثمّ اجتماعهما معًا بعد ذلك، وينتهي بالتّالي ضياؤهما.

على كلّ حال فقد أُشير هنا إلى قسمين من أهمّ الظّواهر الانقلابيّة لأواخر الدّنيا، أي إلى زوال نور القمر، واجتماع الشّمس والقمر مع البعض، وهو ماأُشير إليه في الآيات القرآنيّة الأُخرى أيضًا. فيقول تعالى في سورة التّكوير: ١، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، أي إذا أظلمت الشّمس، ونحن نعلم أنّ ضوء القمر من الشّمس، وعندما يزول نور الشّمس يزول بذلك نور القمر، وبالتّالي تدخل الكرة الأرضيّة في الظّلام والعتمة المُرعِبة. (١٩: ١٨٩)

فضل الله: في فضاء واحد بعد أن كانا منفصلين، واختلّ نظامهما المعهود، وانتهى النّظام الكونيّ في توازن الزّمن على خطّ اللّيل والنّهار، عند ذلك يحيط الذُّعر بهذا الإنسان من كلّ جانب، فهو يواجه الآن وضعًا صعبًا من أكثر الأوضاع خطورةً، لأنّه لايفهم شيئًا ممّا يراه أو

يحيط به، ولذا كان السّؤال الصّعب الّذي يلحّ على وجدانه، في عمليّة هروب من هذا الواقع، في مايُشبه الصّراخ المذعور. (٢٣: ٢٤١)

لَيَجْمَعَنَّكُمْ

١ـ اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيثًا. النّساء: ٨٧

الطّبَريّ: ليبعثنّكم من بعد مماتكم، وليحشرنّكم جميعًا إلى موقف الحساب، الّذي يجازى النّاس فيه بأعمالهم ويقضي فيه بين أهل طاعته ومعصيته، وأهل الإيمان به والكفر. (٥: ١٩١)

نحوه **الطّبْرِسيّ**. (٢: ٨٥)

الزّجّاج: ومعنى (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) والله أعلم، أي يجمعكم في الموت وفي قبوركم. (٢: ٨٧)

ابن عَطيّة: والجمع هنا بمعنى الحشر، فلذلك حسنت بعده (إلى) أي إليه السّوق والحشر. (٢: ٨٨)

الفَخْرالرّازيّ: واللّام لام القسم، والتّقدير: والله ليجمعنّكم.

لقائل أن يقول: لِمَ لم يقل: ليجمعنكم في يوم القيامة.

والجواب من وجهين: الأوّل: المراد ليجمعنّكم في الموت أو القبور إلى يوم القيامة.

الثّاني: التّقدير: ليضمّنّكم إلى ذلك اليوم، ويجمع بينكم وبينه بأن يجمعكم فيه. (١٠: ٢١٧)

٢ـ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ... الأنعام: ١٢

الفَرّاء: إن شئت جعلت (الرَّحْمَة) غاية كلام، ثمّ استأنفت بعدها (لَيَجْمَعَنَّكُمْ)، وإن شئت جعلته في موضع نصب، كما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ﴾ الأنعام: ٥٤.

والعرب تقول في الحروف الّتي يصلح معها جواب الأيمان بـ(أن) المفتوحة وباللّام، فيقولون: أرسلت إليه أن يقوم، وأرسلت إليه ليقومنّ، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَارَاَوُا الْاٰيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾ يوسف: ٣٥، وهو في القرآن كثير. ألاترى أنّك لو قلت: بدا لهم أن يسجنوه، كان صوابًا. (١: ٣٢٨)

الطّبَريّ: [نقل قول الفرّاء وأضاف:]

وكان بعض نحويّي البصرة يقول: نُصبت لام (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لأنّ معنى (كَتَبَ) كأنّه قال: والله ليجمعنّكم.

والصّواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله: ﴿كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ غاية، وأن يكون قوله: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) خبر مبتدإ، ويكون معنى الكلام حينئذ: ليجمعنّكم الله أيّها العادلون بالله ليوم القيامة الّذي لاريب فيه، لينتقم منكم بكفركم به.

وإنّما قلت: هذا القول أولى بالصّواب من إعمال (كَتَبَ) في (لَيَجْمَعَنَّكُمْ)، لأنّ قوله: (كَتَبَ) قد عمل في (الرَّحْمَةَ)، فغير جائز وقد عمل في (الرَّحْمَةِ) أن يعمل في (لَيَجْمَعَنَّكُمْ)، لأنّه لايتعدّى إلى اثنين. (٧: ١٥٧)

الزّجّاج: المعنى: ليجمعنّ هؤلاء المشركين الّذين خسروا أنفسهم، إلى هذا اليوم الّذي يجحدونه

ويكفرون به.

والّذي عندي أنّ قوله: ﴿اَلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ في موضع رفع على الابتداء، وخبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لأنّ (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) مشتمل على سائر الخلق، على الّذين خسروا أنفسهم وغيرهم.

وهذه اللّام في (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لام قسم، فجائز أن يكون تمام الكلام «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» ثمّ استأنف فقال: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ)، وكأنّ المعنى والله ليجمعنّكم.

وجائز أن يكون (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) بدلًا من (الرَّحْمَةَ) مفسّرًا لها، لأنّه لمّا قال: كتب ربّكم على نفسه، فسّر «رحمته» بأنّه يمهلهم إلى يوم القيامة، ويكون في الإمهال مافسّرنا آنفًا. (٢: ٢٣٢)

نحوه الطّوسيّ. (٤: ٩١)

البغويّ: اللّام فيه لام القسم، والنّون نون التّأكيد، مجازه: والله ليجمعنّكم إلى يوم القيامة، أي في يوم القيامة. وقيل: معناه ليجمعنّكم في قبوركم إلى يوم القيامة. (٢: ١١٣)

المَيْبُديّ: أي ليضمّنّكم إلى هذا اليوم الّذي أنكرتموه، وليجمعنّ بينكم وبينه. ردّ على منكري البعث، يقول: والله ليجمعنّكم في يوم القيامة الّذي أنكرتموه. (٣: ٣٠٦)

ابن عَطيّة: وحكى المهدويّ: أنّ جماعة من النّحويّين قالت: إنّ (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) هو تفسير (الرَّحْمَةَ) تقديره: أن يجمعكم، فيكون (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) في موضع نصب على البدل من (الرَّحْمَةَ)، وهو مثل قوله: ﴿...لَيَسْجُنُنَّهُ﴾ يوسف: ٣٥، المعنى أن يسجنوه.

ويلزم على هذا القول أن تدخل النّون الثّقيلة في الإيجاب، وهو مردود، وإنّما تدخل في الأمر والنّهي وباختصاص الواجب في القسم، وقالت فرقة، وهو الأظهر: إنّ اللّام لام قسم، والكلام مستأنف، ويتخرّج ذلك في (لَيَسْجُنُنَّهُ). (٢: ٢٧٢)

الطَّبْرِسيّ: أي ليؤخّرنّ جمعكم إلى يوم القيامة، فيكون تفسيرًا لـ(الرَّحْمَةَ) على ماذكرناه أنّ المراد به إمهال العاصي ليتوب.

وقيل: إنّ هذا احتجاج على من أنكر البعث والنّشور، ويقول: ليجمعنّكم إلى اليوم الّذي أنكرتموه، كما تقول: جمعت هؤلاء إلى هؤلاء، أي ضممت بينهم في الجمع، يريد يجمع آخركم إلى أوّلكم قرنًا بعد قرن. (٢: ٢٧٨)

الفَخْرالرّازيّ: أمّا قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ ففيه أبحاث:

الأوّل: «اللّام» في قوله: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لام قسم مضمر، والتّقدير: والله ليجمعنّكم.

الثّاني: اختلفوا في أنّ هذا الكلام مبتدأ أو متعلّق بما قبله؟

فقال بعضهم: إنّه كلام مبتدأ، وذلك لأنّه تعالى بيّن كمال إلهيّته، بقوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ﴾ ثمّ بيّن تعالى أنّه يرحمهم في الدّنيا بالإمهال ودفع عذاب الاستئصال، وبيّن أنّه يجمعهم إلى يوم القيامة، فقوله: ﴿كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أنّه يمهلهم، وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ لايهملهم بل يحشرهم ويحاسبهم على كلّ مافعلوا.

والقول الثّاني: أنّه متعلّق بما قبله، والتّقدير: كتب ربّكم على نفسه الرّحمة، وكتب ربّكم على نفسه ليجمعنّكم إلى يوم القيامة. [إلى أن قال:]

الثّالث: أنّ قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ﴾ كلام ورد على لفظ الغيبة، وقوله: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) كلام ورد على سبيل المخاطبة، والمقصود منه التّأكيد في التّهديد، كأنّه قيل: لمّا علمتم أنّ كلّ مافي السّماوات والأرض للّه ومُلكه، وقد علمتم أنّ المَلِك الحكيم لايهمل أمر رعيّته، ولايجوز في حكمته أن يسوّي بين المطيع والعاصي، وبين المشتغل بالخدمة والمُعرِض عنها، فهلّا علمتم أنّه يقيم القيامة، ويُحضر الخلائق ويحاسبهم في الكلّ! [إلى أن قال:]

وقيل: فيه حذف، أي ليجمعنّكم إلى الحشر في يوم القيامة، لأنّ الجمع يكون إلى المكان لاإلى الزّمان.

وقيل: ليجمعنّكم في الدّنيا بخلقكم قرنًا بعد قرن إلى يوم القيامة. (١٢: ١٦٥)

القُرطُبيّ: اللّام لام القسم، والنّون نون التّأكيد. وقال الفرّاء وغيره: يجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: (الرّحمة) ويكون مابعده مستأنفًا على جهة التّبيين، فيكون معنى (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) ليمهلنّكم وليؤخّرنّ جمعكم.

وقيل: المعنى ليجمعنّكم، أي في القبور إلى اليوم الّذي أنكرتموه. (٦: ٣٩٥)

أبوحَيّان: والجمع هنا قيل: حقيقة، أي ليجمعنّكم في القبور إلى يوم القيامة. والظّاهر أنّ (إلى) للغاية، والمعنى ليحشرنّكم منتهين إلى يوم القيامة.

وقيل: المعنى ليجمعنّكم في الدّنيا، بخلقكم قرنًا بعد قرن إلى يوم القيامة. وقد تكون (إلى) هنا بمعنى اللّام، أي ليوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ﴾ آل عمران: ٩.

وأبعد من زعم أنّ (إلى) بمعنى (فيه) أي في يوم القيامة، وأبعد منه من ذهب إلى أنّها صلة، والتّقدير: لَيَجْمَعَنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ.

والظّاهر أنّ الضّمير في (فيه) عائد إلى يوم القيامة، وفيه ردّ على من ارتاب في الحشر. ويُحتمل أن يعود على «الجمع» وهو المصدر المفهوم من قولهم: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ). (٤: ٨٢)

نحوه الآلوسيّ. (٧: ١٠٥)

عبد الكريم الخطيب: في توكيد الفعل (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) بالقسم وبنون التّوكيد، إشارة أنّ البعث أمر كتبه الله سبحانه وتعالى على نفسه، كما كتب الرّحمة، وأنّ البعث هو رحمة من رحمة الله، إذ هو إعادة الحياة الّتي ذهب بها الموت، والحياة نعمة من نعم الله ورحمة من رحمته.

وفي تعدية الفعل (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) بحرف الجرّ: (إلى) إشارة إلى أنّ «الجمع» هو استدعاء من جهات شتّى، ودعوة قاهرة إلى مكان معلوم، تصبّ فيه وفود المدعوّين، وتجتمع إليه، فمعنى «الجمع» هو السّوق، أي ليسوقنّكم إلى يوم القيامة، إذ كان يوم القيامة هو موعد اللّقاء الّذي يلتقي عنده الموتى، المبعوثون من القبور. (٤: ١٣٨)

نَجْمَعَ

أَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. القيمة: ٣

الماوَرْديّ: فنعيدها خلقًا جديدًا بعد أن صارت رُفاتًا. (٦: ١٥١)

مثله القُرطُبيّ (١٩: ٩١)، ونحوه الطَّبْرِسيّ (٥: ٣٩٥)

المَيْبُديّ: أيظنّ أنّا لن نبعثه بعد موته؟ (٦: ٢٢٢)

المَيْبُديّ: بعد تفرّقها وبِلاها فنحييه، ونبعثه بعد الموت. (١٠: ٣٠١)

الزّمَخْشَريّ: وهو لنَبْعَثنّ. وقرأ قَتادَة (اَنْ لَنْ تُجمَع عِظَامُه) على البناء للمفعول، والمعنى نجمعها بعد تفرّقها ورجوعها رميمًا ورُفاتًا مختلطًا بالتّراب، وبعد ماسَفَتْها الرّياح وطيّرتها في أباعد الأرض. (٤: ١٩٠)

نحوه الفَخْرالرّازيّ (٣٠: ٢١٧)، وأبوالسُّعود (٦: ٣٣٥)، والبُرُوسَويّ (١٠: ٢٤٤).

ابن عَطيّة: وقرأ جمهور النّاس: ﴿نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بالنّون ونصب الميم من العظام، وقرأ قَتادَة (اَنْ لَنْ يُجمَع عِظَامُهُ) بالياء ورفع الميم من العظام، ومعنى ذلك في القيامة وبعد البعث من القبور، وقرأ أبو عمرو بإدغام العين. (٥: ٤٠٢)

نحوه أبوحَيّان. (٨: ٣٨٥)

الطَّباطَبائيّ: وجمع العظام: كناية عن الإحياء بعد الموت. (٢٠: ١٠٤)

يَجْمَعُونَ

١ـ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ اَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. آل‌عمران: ١٥٧

ابن عبّاس: في الدّنيا من الأموال. (٥٩)

خير من طِلاع الأرض ذهبة حمراء.

(الزّمَخْشَريّ ١: ٤٧٤)

البغَويّ: من الغنائم، قراءة العامّة (تَجْمَعُون) بالتّاء لقوله: (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ). وقرأ حفص عن عاصم (يَجْمَعُونَ) بالياء، يعني خير ممّا يجمع النّاس. (١: ٥٢٦)

نحوه المَيْبُديّ. (٢: ٣٢٣)

الزّمَخْشَريّ: من الدّنيا ومنافعها لو لم تموتوا. (١: ٤٧٤)

ابن عَطيّة: وقرأ جمهور النّاس (تَجْمَعُون) بالتّاء على المخاطبة، وهي أشكل بالكلام. وقرأ قوم منهم عاصم فيما روي عن حفص (يَجْمَعُونَ) بالياء، والمعنى ممّا يجمعه المنافقون وغيرهم. (١: ٥٣٣)

الفَخْرالرّازيّ: قرأ حفص عن عاصم (يَجْمَعُونَ) بالياء على سبيل الغيبة، والباقون بالتّاء على وجه الخطاب.

أمّا وجه الغيبة، فالمعنى أنّ مغفرة الله خير ممّا يجمعه هؤلاء المنافقون من الحُطام الفاني.

وأمّا وجه الخطاب، فالمعنى أنّه تعالى كأنّه يخاطب المؤمنين، فيقول لهم: مغفرة الله خير لكم من الأموال الّتي تجمعونها في الدّنيا. (٩: ٥٨)

الطَّباطَبائيّ: الظّاهر أنّ المراد (مِمَّا يَجْمَعُونَ) هو المال ومايلحق به، الّذي هو عمدة البُغية في الحياة الدّنيا. (٤: ٥٦)

٢ـ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ

مِمَّا يَجْمَعُونَ. يونس: ٥٨

ابن عبّاس: ممّا يجمع اليهود والمشركون من الأموال. (١٧٦)

نحوه الفرّاء. (١: ٤٦٩)

الطّبَريّ: يقول: فإنّ الإسلام الّذي دعاهم إليه، والقرآن الّذي أنزله عليهم، خير ممّا يجمعون من حُطام الدّنيا وأموالها وكنوزها. (١١: ١٢٤)

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ فقرأ ذلك عامّة قرّاء الأمصار (فَلْيَفْرَحُوا) بالياء ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالياء أيضًا، على التّأويل الّذي تأوّلناه من أنّه خبر عن أهل الشّرك بالله.

يقول: فبالإسلام والقرآن الّذي دعاهم إليه، فليفرح هؤلاء المشركون، لا بالمال الّذي يجمعون، فإنّ الإسلام والقرآن خير من المال الّذي يجمعون. [إلى أن قال:]

وروي عن أُبيّ بن كعب أنّه كان يقرأ (فَبِذٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ) بالتّاء. وكذلك كان الحسن البصريّ يقول؛ غير أنّه ـ فيما ذكر عنه ـ كان يقرأ قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالياء؛ الأوّل: على وجه الخطاب، والثّاني: على وجه الخبر عن الغائب، وكان أبوجعفر القارئ ـ فيما ذكر عنه ـ يقرأ ذلك نحو قراءة أُبيّ بالتّاء جميعًا.

والصّواب من القراءة في ذلك، ما عليه قرّاء الأمصار، من قراءة الحرفين جميعًا بالياء ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ لمعنيين:

أحدهما: إجماع الحجّة من القرّاء عليه.

والثّاني: صحّته في العربيّة؛ وذلك أنّ العرب لاتكاد تأمر المخاطب باللّام والتّاء، وإنّما تأمره فتقول: افعَل ولاتفعل. (١١: ١٢٦)

الطّوسيّ: من قرأ بالياء عنى به المخاطبين، والغُيّب، غير أنّه غلب الغُيّب على المخاطبين، كما غلب التّذكير على التّأنيث، فكأنّه أراد المؤمنين وغيرهم.

ومن قرأ بالتّاء كان المعنى فافرحوا بذلك أيّها المؤمنون، أي افرحوا بفضل الله، فإنّ ما آتاكموه من الموعظة شفاء ما في الصّدور خير ممّا يجمع غيركم من أعراض الدّنيا. (٥: ٤٥٦)

البغَويّ: أي خير ممّا يجمعه الكفّار من الأموال.

وقيل: كلاهما خبر عن الكفّار، وقيل: عن المؤمنين.

وقرأ أبو جعفر وابن عامر: (فَلْيَفْرَحُوا) بالياء، و(تَجْمَعُونَ) بالتّاء، وقرأ يعقوب كلاهما بالتّاء. ووجه هذه القراءة أنّ المراد: فبذلك فليفرح المؤمنون، فهو خير ممّا يجمعونه من الأموال، مختلف عنه خطابًا للمؤمنين. (٢: ٤٢٣)

المَيْبُديّ: خير ممّا تجمعون من الأموال، لأنّ منافع القرآن والإيمان تبقى لصاحبه، ومنافع الأموال تفنى، وتُورث صاحبها النّدامة في العُقبى. (٤: ٣٠٥)

ابن عَطيّة: يريد من مال الدّنيا وحُطامها الفاني، المؤذي في الآخرة. (٣: ١٢٧)

الفَخْرالرّازيّ: وقرئ (تَجْمَعُونَ) بالتّاء، ووجهه أنّه تعالى عنى المخاطبين والغائبين، إلّا أنّه غلب المخاطب على الغائب كما يغلب التّذكير على التّأنيث، فكأنّه أراد المؤمنين، هكذا قاله أهل اللّغة.

وفيه دقيقة عقليّة، وهو أنّ الإنسان حصل فيه معنى يدعوه إلى خدمة الله تعالى، وإلى الاتّصال بعالم الغيب ومعارج الرّوحانيّات.

وفيه معنى آخر يدعوه إلى عالم الحسّ والجسم واللّذّات الجسدانيّة، ومادام الرّوح متعلّقًا بهذا الجسد، فإنّه لاينفكّ عن حبّ الجسد، وعن طلب اللّذّات الجسمانيّة. فكأنّه تعالى خاطب الصّدّيقين العارفين.

وقال: حصلت الخصومة بين الحوادث العقليّة الإلهيّة وبين النّوازع النّفسانيّة الجسدانيّة، والتّرجيح لجانب العقل، لأنّه يدعوا إلى فضل الله ورحمته، والنّفس تدعو إلى جمع الدّنيا وشهواتها. وفضل الله ورحمته خير لكم ممّا تجمعون من الدّنيا، لأنّ الآخرة خير وأبقى وماكان كذلك فهو أولى بالطّلب والتّحصيل. (١٧: ١١٩)

نحوه النّيسابوريّ. (١١: ٩٣)

القُرطُبيّ: يعني في الدّنيا، وقراءة العامّة بالياء في الفعلين. ورُوي عن ابن عامر أنّه قرأ (فَلْيَفْرَحُوا) بالياء، (تَجْمَعُونَ) بالتّاء خطابًا للكافرين. وروي عن الحسن أنّه قرأ بالتّاء في الأوّل، و(يَجْمَعُونَ) بالياء على العكس.

وروى أبان عن أنس أنّ النّبيّ ﷺ قال: «من هداه الله للإسلام وعلّمه القرآن ثمّ شكا الفاقة، كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه، ثمّ تلا ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ...﴾.

(٨: ٣٥٤)

أبوحَيّان: [بعد نقل القراءات قال:] يعني من حُطام الدّنيا ومتاعها. (٥: ١٧٢)

نحوه الشّربينيّ (٢: ٢٦)، وأبوالسُّعود (٣: ٢٥٢).

البُرُوسَويّ: من الأموال الفانية. [إلى أن قال:]

ولو كان في جمع حُطام الدّنيا منفعة لانتفع قارون. (٤: ٥٤)

الآلوسيّ: من الأموال والحرث والأنعام وسائر حُطام الدّنيا، فإنّها صائرة إلى الزّوال مشرفة عليه، وهو راجع إلى لفظ ذلك باعتبار مدلوله، وهو مفرد، فرُوعي لفظه وإن كان عبارة عن الفضل والرّحمة. (١١: ١٤١)

القاسميّ: أي من الأموال وأسباب الشّهوات، إذ لا يُنتفع بجميعها ولايدوم، ويفوت به اللّذّات الباقية، بحيث يحال بينهم وبين مايشتهون. (٩: ٣٣٦٢)

رشيد رضا: أي أنّ الفرح بفضله وبرحمته أفضل وأنفع لهم، ممّا يجمعونه من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث، وسائر متاع الحياة الدّنيا، مع فقدهما. (١١: ٤٠٧)

الطَّباطَبائيّ: قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بيان ثان لمعنى الحصر.

فظهر بذلك كلّه أنّ الآية تفريع على مضمون الآية السّابقة، فإنّه تعالى لمّا خاطب النّاس امتنانًا عليهم، بأنّ هذا القرآن موعظة لهم وشفاء لما في صدورهم، وهُدًى ورحمة للمؤمنين منهم، فرّع عليه أنّه ينبغي لهم حينئذ أن يفرحوا بهذا الّذي امتنّ به عليهم من الفضل والرّحمة، لابالمال الّذي يجمعونه، فإنّ ذلك ـ وفيه سعادتهم وماتتوقّف عليه سعادتهم ـ خير من المال الّذي ليس إلّا فتنة، ربّما أهلكتهم وأشقتهم. (١٠: ٨٣)

تَجْمَعُوا

...وَاَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ اِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ.

النّساء: ٢٣

الفَرّاء: (أَنْ) في موضع رفع، كقولك: والجمع بين الأُختين. (١: ٢٦٠)

نحوه الطّبَريّ (٤: ٣٢٣)، والزّجّاج (٢: ٣٥)، والطُّوسيّ (٣: ١٦٠).

الزّمَخْشَريّ: (أَنْ تَجْمَعُوا) في موضع الرّفع عطف على المحرّمات، أي وحرّم عليكم الجمع بين الأُختين، والمراد حرمة النّكاح، لأنّ التّحريم في الآية تحريم النّكاح.

وأمّا الجمع بينهما في مِلك اليمين، فعن عثمان وعليّ رضي الله عنهما أنّهما قالا: أحلّتهما آية وحرّمتهما آية، يعنيان هذه الآية، وقوله: ﴿وَمَامَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ﴾، فرجّح عليّ التّحريم، وعثمان التّحليل. (١: ٥١٨)

ابن عَطيّة: لفظ يعمّ الجمع بنكاح وبملك يمين، وأجمعت الأُمّة على منع جمعهما بنكاح. [ثمّ أدام البحث في أحكامها الفقهيّة، فراجع] (٢: ٣٣)

الفَخْرالرّازيّ: (أَنْ تَجْمَعُوا) في محلّ الرّفع، لأنّ التّقدير: حرّمت عليكم أُمّهاتكم وبناتكم والجمع بين الأُختين. [ثمّ ذكر وجوه الجمع وتحريم الجمع فراجع] (١٠: ٣٥)

جَامِعٍ

...وَاِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلٰى اَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّٰى يَسْتَاْذِنُوهُ. النّور: ٦٢

ابن عبّاس: في يوم الجمعة أو في غزوة. (٢٩٩)

أمر من طاعة الله عامّ. (الطّبَريّ ١٨: ١٧٦)

مُجاهِد: طاعة الله. (الماوَرْديّ ٤: ١٢٧)

وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده. (البغَويّ ٣: ٤٣٢)

هو أمر الحرب ونحوه من الأُمور الّتي يعمّ ضررها ونفعها. (النّيسابوريّ ١٨: ١٣٢)

الضّحّاك: هو الجمعة والأعياد، وكلّ شيء تكون فيه الخطبة. (النّيسابوريّ ١٨: ١٣٢)

الزُّهْريّ: هو الجمعة إذا كانوا معه، لم يذهبوا حتّى يستأذنوه. (الطّبَريّ ١٨: ١٧٦)

زيد بن أسلم: أنّه الجهاد. (الماوَرْديّ ٤: ١٢٧)

ابن زَيْد: الأمر الجامع: حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جُمعة. والجُمعة: من الأمر الجامع، لاينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلّا بإذن سلطان، إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه، ولايخرج إلّا بإذن، وإذا كان حيث لايراه ولايقدر عليه، ولايصل إليه، فالله أولى بالعُذر. (الطّبَريّ ١٨: ١٧٦)

يحيى بن سلّام: الأمر الجامع: الجُمعة والعيدان والاستسقاء، وكلّ شيء يكون فيه الخُطبة. (الماوَرْديّ ٤: ١٢٧)

مَكحُول: في يوم الجمعة، وفي زحف، وفي كلّ أمر جامع، قد أمر أن لايذهب أحد في يوم جمعة حتّى يستأذن الإمام، وكذلك في كلّ جامع، ألاترى أنّه يقول: ﴿وَاِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلٰى اَمْرٍ جَامِعٍ﴾. (الطّبَريّ ١٨: ١٧٦)

الفَرّاء: كان المنافقون يشهدون الجمعة مع النّبيّ ﷺ، فيذكّرهم ويعيبهم بالآيات الّتي تنزل فيهم،

فيضجرون من ذلك. (٢: ٢٦٢)

الطّبَريّ: على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نزل. (١٨: ١٧٥)

الزّجّاج: قال بعضهم: كان ذلك في الجُمعة، فهو ـ والله أعلم ـ أنّ الله عزّوجلّ أمر المؤمنين إذا كانوا مع نبيّه فيا يحتاج فيه إلى الجماعة، نحو الحرب للعدوّ، أو مايحضرونه ممّا يُحتاج إلى الجمع فيه، لم يذهبوا حتّى يستأذنوه. وكذلك ينبغي أن يكونوا مع أئمّتهم، لايخالفونهم ولايرجعون عنهم في جمع من جموعهم إلّا بإذنهم، وللإمام أن يأذن، وله أن لايأذن، على قدر مايرى من الحظّ في ذلك، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ النّور: ٦٢. (٤: ٥٥)

الطّوسيّ: وهو الّذي يقتضي الاجتماع عليه والتّعاون فيه: من حضور حرب أو مشورة في أمر، أو في صلاة جمعة، وماأشبه ذلك، لم ينصرفوا عن رسوله أو عن ذلك الأمر، إلّا بعد أن يأذن لهم الرّسول في الانصراف، متى طلبوا الإذن من قِبَله. (٧: ٤٦٥)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٤: ١٥٨)

البغَويّ: قال المفسّرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجُمعة، وأراد الرّجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتّى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنّه إنّما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم. [ثمّ نقل قول مُجاهِد وقال:]

قال أهل العلم: وكذلك كلّ أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام، لايخالفونه ولايرجعون عنه إلّا بإذن. وإذا استأذن فالإمام بالخيار إن شاء أذن له، وإن شاء لم يأذن. وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المُقام، فإذا حدث سبب يمنعه من المُقام، بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض، فلايحتاج إلى الاستئذان. (٣: ٤٣٢)

المَيْبُديّ: كالجمعة والعيدين، وكلّ اجتماع فيه. وقيل: هو الجهاد، وقيل: مجلس تشاور وتدبير حرب. (٦: ٥٦٩)

الزّمَخْشَريّ: والأمر الجامع: الّذي يُجمَع له النّاس، فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز؛ وذلك نحو مقاتلة عدوّ، أو تشاور في خَطْب مهمّ، أو تضامّ لإرهاب مخالف، أو تماسح في حلف وغير ذلك، أو الأمر الّذي يعمّ بضرره أوبنفعه، وقرئ (أمرٍ جميع).

وفي قوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أنّه خَطْب جليل لابدّ لرسول الله ﷺ فيه من ذوي رأي وقوّة، يظاهرونه عليه ويعاونونه، ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته، فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال ممّا يشقّ على قلبه، ويُشعّث عليه رأيه. فمن ثمّ غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان، مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض مايهمّهم ويُعنيهم؛ وذلك قوله: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾. (٣: ٧٨)

ابن عَطيّة: والأمر الجامع: يراد به ماللإمام حاجة إلى جمع النّاس فيه، لإذاعة مصلحة؛ فأدب الإسلام اللّازم في ذلك إذا كان الأمر حاضرًا أن لايذهب أحد لعذر إلّا بإذنه، فإذا ذهب بإذن ارتفع عنه الظّنّ السّيّئ،

والإمام الّذي يُرتقَب إذنه في هذه الآية هو إمام الإمْرة. (٤: ١٩٧)

الفَخْرالرّازيّ: قرئ (عَلىٰ أمْرٍ جميع)، ثمّ ذكروا في قوله: ﴿عَلىٰ اَمْرٍ جَامِعٍ﴾ وجوهًا:

أحدها: [نحو قول الزّمخشريّ وقد تقدّم]

وثانيها: [قول الضّحّاك وقد تقدّم]

وثالثها: عن مجاهد في الحرب وغيره. (٢٤: ٣٩)

نحوه النّيسابوريّ. (١٨: ١٣٢)

أبوحَيّان: [نقل قول الزّمخشريّ مفصّلًا ثمّ قال:]

وهو تفسير حسن، ويجري هذا المجرى إمام الإمرة إذا كان النّاس معه مجتمعين، لمراعاة مصلحة دينيّة. فلايذهب أحد منهم عن المَجْمَع إلّا بإذن منه، إذ قد يكون له رأي في حضور ذلك الذّاهب. (٦: ٤٧٦)

الشّربينيّ: أي يجمعهم من حرب حضرت، أو صلاة جُمعة، أو عيد أو جماعة، أو تشاور في أمر نزل. ووصْفُ الأمر بالجميع للمبالغة، أو من الإسناد المجازيّ، لأنّه لمّا كان سببًا في جمعهم نُسب الفعل إليه مجازًا. (٢: ٦٤٣)

أبوالسُّعود: معطوف على (امَنُوا) داخل معه في حيّز الصّلة، أي إنّما الكاملون في الإيمان الّذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم، وأطاعوهما في جميع الأحكام، الّتي من جملتها مافُصّل من قبل، من الأحكام المتعلّقة بعامّة أحوالهم المطّردة في الوقوع، وأحوالهم الواقعة بحسب الاتّفاق، كما إذا كانوا معه عليه الصّلاة والسّلام على أمر مهمّ، يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب، وغيرها من الأُمور الدّاعية إلى اجتماع أُولي الآراء والتّجارب. ووصْفُ الأمر بالجَمْع، للمبالغة. (٤: ٤٨٧)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ١٨٢)

الآلوسيّ: [نقل قول أبي السُّعود وأقوال المفسّرين في المراد بالأمر الجامع ثمّ قال:]

ولايخفى أنّ الأولى العموم، وإن كانت الآية نازلة في حفر الخندق. ولعلّ ماذكر من باب التّمثيل، ووصْفُ الأمر بالجمع مع أنّه سبب له، للمبالغة. والظّاهر أنّ ذلك من المجاز العقليّ، وجوّز أن يكون هناك استعارة مكنيّة. (١٨: ٢٢٣)

الطَّباطَبائيّ: والأمر الجامع: هو الّذي يجمع النّاس للتّدبّر في أطرافه، والتّشاور والعزم عليه كالحرب ونحوها.

والمعنى وإذا كانوا مع الرّسول بالاجتماع عنده على أمر من الأمور العامّة، لم يذهبوا ولم يتصرفوا من عند الرّسول، حتّى يستأذنوه للذّهاب. (١٥: ١٦٦)

مكارم الشّيرازيّ: والقصد من الأمر الجامع: كلّ عمل يقتضي اجتماع النّاس فيه، ويتطلّب تعاونهم، سواء كان عملًا استشاريًّا، أو مسألة حول الجهاد ومقاتلة العدوّ، أو صلاة جمعة في الظّروف السّابقة، وأمثالها.

وإذا وجدنا أنّ بعض المفسّرين قالوا: بأنّه يعني الاستشارة أو الجهاد أو صلاة الجمعة أو العيد، فنقول: إنّهم عكسوا جانبًا من معاني هذه الآية، وأنّ أسباب النّزول السّابقة أيضًا هي من مصاديق هذا الحكم العامّ.

[ثمّ أدام البحث في النّظم والانسجام، إن شئت فراجع] (١١: ١٥٥)

فضل الله: الأمر الجامع: الأمر الهامّ الّذي يقتضي الإجماع عليه، والتّعاون فيه. (١٦: ٣٦٦)

مَجْمُوعٌ

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. هود: ١٠٣

ابن عبّاس: يُجمَع فيه الأوّلون والآخرون. (١٩١)

الطّبَريّ: يحشر الله له النّاس من قبورهم، فيجمعهم فيه للجزاء والثّواب والعقاب. (١٢: ١١٤)

الطُّوسيّ: معناه أنّ يوم القيامة يوم يُجمع فيه النّاس ويشهده جميع الخلائق، وليس يوصف في هذه الصّفة يوم سواه، والجمع: ضمّ أحد الشّيئين إلى الآخر. وقيل: هو جعل الشّيئين فصاعدًا في معنى. (٦: ٦٣)

البغَويّ: يعني يوم القيامة. (٢: ٤٦٥)

المَيْبُديّ: يُحشر الخلائق كلّهم فيه، وليس يوم بهذه الصّفة إلّا يوم القيامة. (٤: ٤٤٦)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٧٩)

الزّمَخْشَريّ: (ذٰلِكَ) إشارة إلى يوم القيامة، لأنّ عذاب الآخرة دلّ عليه، و(النَّاسُ) رفع باسم المفعول الّذي هو (مَجْمُوعٌ) كما يُرفع بفعله إذا قلت: يُجمع له النّاس.

فإن قلت: لأيّ فائدة أُوثر اسم المفعول على فعله؟

قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجَمْع لليوم، وأنّه يوم لابدّ من أن يكون ميعادًا مضروبًا لجَمْع النّاس له، وأنّه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضًا لإسناد الجمع إلى النّاس، وأنّهم لاينفكّون منه.

ونظيره قول المتهدّد: إنّك لمنهوب مالك محروب قومك، فيه من تمكّن الوصف وثباته ماليس في الفعل، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ التّغابن: ٩، تعثر على صحّة ماقلت لك. ومعنى يُجمَعون له: يُجمَعون لما فيه من الحساب والثّواب والعقاب. (٢: ٢٩٢)

القُرطُبيّ: (ذٰلِكَ يَوْمٌ): ابتداء وخبر، (مَجْمُوعٌ): من نعته، (لَهُ النَّاسُ): اسم مالم يسمّ فاعله، ولهذا لم يقل: مجموعون.

فإن قدّرت ارتفاع (النَّاسُ) بالابتداء، والخبر (مَجْمُوعٌ لَهُ) فإنّما لم يقل: مجموعون، على هذا التّقدير، لأنّ (لَهُ) يقوم مقام الفاعل، والجَمْع: الحشر، أي يُحشرون لذلك اليوم. (٩: ٩٦)

البُرُوسَويّ: أي يُجمع له الأوّلون والآخرون للمحاسبة والجزاء. واستعمال اسم المفعول حقيقة فيما تحقّق فيه وقوع الوصف، وقد استُعمل هاهنا فيما لم يتحقّق مجازًا، تنبيهًا على تحقّق وقوعه. (٤: ١٨٥)

الآلوسيّ: أي يُجمع له النّاس للمحاسبة والجزاء، فالنّاس نائب فاعل (مَجْمُوعٌ).

وأجاز ابن عَطيّة أن يكون مبتدأ، و(مَجْمُوعٌ) خبره. وفيه بُعْد؛ إذ الظّاهر حينئذ أن يكون مجموعًا، وعدل عن الفعل ـ وكان الظّاهر ـ ليدلّ الكلام على ثبوت معنى الجمع وتحقّق وقوعه لامحالة، وأنّ النّاس لاينفكّون عنه، فهو أبلغ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ

الْجَمْعِ﴾ التّغابن: ٩.

وإيضاحه أنّ في هذا دلالة على لزوم الوصف ولزوم الإسناد، وفي ذلك على حدوث تعلّق الجمع بالمخاطبين واختصاصه باليوم، ولهذا استدركه بقوله: «الْـجَمْعِ» فأضاف «اليوم» إليه ليدلّ على لزومه، وإنّما الحادث جمع الأوّلين والآخرين دفعة. (١٢: ١٣٨)

الطّباطَبائيّ: أي ذلك اليوم الّذي يقع فيه عذاب الآخرة، يومٌ مجموعٌ له النّاس. فالإشارة إلى اليوم الّذي يدلّ عليه ذكر عذاب الآخرة، «ولذلك أتى بلفظ المذكّر»، كما قيل، ويمكن أن يكون تذكير الإشارة ليطابق المبتدأ الخبر.

ووصف اليوم الآخر بأنّه مجموع له النّاس، دون أن يقال: سيُجمَع أو يُجمَع له النّاس، إنّما هو للدّلالة على أنّ: جمع النّاس له من أوصافه المقضيّة له الّتي تلزمه ولاتفارقه، من غير أن يحتاج إلى الإخبار عنه بخبر.

فشخّص هذا اليوم أنّ النّاس مجموعون لأجله -واللّام للغاية- فلليوم شأن من الشّأن لايتمّ إلّا بجمع النّاس؛ بحيث لايغادر منهم أحد، ولايتخلّف عنه متخلّف. وللنّاس شأن من الشّأن يرتبط به كلّ واحد منهم بالجميع، ويمتزج فيه الأوّل مع الآخر والآخر مع الأوّل، ويختلط فيه الكلّ بالبعض والبعض بالكلّ، وهو حساب أعمالهم من جهة الإيمان والكفر والطّاعة والمعصية، وبالجملة من حيث السّعادة والشّقاوة.

فإنّ من الواضح أنّ العمل الواحد من إنسان واحد يرتضع من جميع أعماله السّابقة المرتبطة بأحواله الباطنة، ويرتضع منه جميع أعماله اللّاحقة المرتبطة أيضًا، بما له من الأحوال القلبيّة، وكذلك عمل الواحد بالنّسبة إلى أعمال من معه من بني نوعه، من حيث التّأثير والتّأثّر.

وكذلك أعمال الأوّلين بالنّسبة إلى أعمال الآخرين، وأعمال اللّاحقين بالنّسبة إلى أعمال السّابقين؛ وفي المتقدّمين أئمّة الهدى والضّلال المسؤولون عن أعمال المتأخّرين، وفي المتأخّرين الأتباع والأذناب المسؤولون عن غرور متبوعيهم المتقدّمين. قال تعالى: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأعراف: ٦، وقال: ﴿وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يس: ١٢. (١١: ٧)

مكارم الشّيرازيّ: وفي ختام الآية إشارة إلى وصفين من أوصاف يوم القيامة؛ حيث يقول القرآن: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ...﴾ وهي إشارة إلى أنّ القوانين والسّنن الإلهيّة كما هي عامّة في هذا العالم، فإنّ اجتماع النّاس في تلك المحكمة الإلهيّة أيضًا عامّ، وسيكون في زمان واحد ويوم مشهود للجميع، يحضره النّاس كلّهم ويرونه.

من الظّريف هنا أنّ الآية تقول: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ ولم تقل: (مجموع فيه النّاس)، وهذا التّعبير إشارة إلى أنّ يوم القيامة ليس ظرفًا لاجتماع النّاس فحسب، بل هو هدف يمضي إليه النّاس في مسيرهم التّكامليّ.

ونقرأ في آية (٩) من سورة التّغابن: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾. [وتمام الكلام في «ي و م» (يوم) فراجع] (٧: ٥٦)

جَمِيعٌ

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ. القمر: ٤٤

الكَلْبيّ: أم يقول هؤلاء الكفّار: نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا. (الطَّبْرِسيّ ٥: ١٩٣)

الزّجّاج: والمعنى بل أيقولون: نحن جميع منتصر، فيُدلُون بقوّة واجتماع عليك. (٥: ٩١)

الطُّوسيّ: ويُحتمل أن يكون أرادوا: نحن جميعٌ، أي يد واحدة على قتاله وخصومته. (٩: ٤٥٩)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ١٩٣)

المَيْبُديّ: [نحو الطُّوسيّ وأضاف:]

وقيل: نحن كثير مجمعون على الانتقام من محمّد. (٩: ٣٩٤)

الزَّمَخْشَريّ: جماعة أمرنا مُجتمِع. (٤: ٤١)

الفَخْرالرّازيّ: (جَمِيعٌ) فيه فائدتان:

إحداهما: الكثرة، والأُخرى: الاتّفاق، كأنّه قال: نحن كثير متّفقون، فلنا الانتصار، ولايقوم غير هذه اللّفظة مقامها من الألفاظ المفردة.

إنّما قلنا: إنّ فيه فائدتين، لأنّ «الجميع» يدلّ على الجماعة بحروفه الأصليّة من «ج م ع» وبوزنه وهو «فعيل» بمعنى «مفعول»، على أنّهم جمعوا جمعيّتهم العصبيّة.

ويُحتمل أن يقال: معناه نحن الكلّ لاخارج عنّا، إشارة إلى أنّ من اتّبع النّبيّ ﷺ لااعتداد به، قال تعالى في نوح: ﴿اَنُـؤْمِنُ لَكَ وَاتَّـبَعَكَ الْاَرْذَلُـونَ﴾ الشّعراء: ١١١، ﴿اِلَّا الَّذِينَ هُمْ اَرَاذِلُـنَا بَادِيَ الرَّاْيِ﴾ هود: ٢٧. وعلى هذا (جَمِيع) يكون التّنوين فيه لقطع الإضافة، كأنّهم قالوا: نحن جميع النّاس. (٢٩: ٦٧)

القُرطُبيّ: أي جماعة لاتطاق لكثرة عددهم وقوّتهم. (١٧: ١٤٥)

أبوحَيّان: أي واثقون بجماعتنا منتصرون بقوّتنا، تقولون ذلك على سبيل الإعجاب بأنفسكم. (٨: ١٨٢)

البُرُوسَويّ: تبكيت، والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم، وإسقاطهم عن رتبة الخطاب، وحكاية قبائحهم لغيرهم، يقال: نصره من عدوّه فانتصر، أي منعه فامتنع، أي بل أيقولون واثقين بشوكتهم: نحن أُولو حزم ورأي أمرنا مُجتمِع لانُرام ولانضام، أو منتصِر من الأعداء منتقِم، لانُغلَب، أو متناصر ينصر بعضنا بعضًا. (٩: ٢٨٢)

الآلوسيّ: [نحو البُرُوسَويّ وأضاف:]

ثمّ إنّ (جَمِيعٌ) على ماأُشير إليه، بمعنى الجماعة الّتي أمرها مُجتمِع، وليس من التّأكيد في شيء، بل هو خبر (نَحْنُ). وجوّز أن يكون بمعنى مُجتمِع خبر مبتدإ محذوف، وهو «أمرنا» والجملة، خبر (نَحْنُ)، وأن يكون هو الخبر والإسناد مجازيّ. (٢٧: ٩٢)

الطَّباطَبائيّ: الجميع: المجموع، والمراد به وحدة مجتمعهم من حيث الإرادة والعمل. (١٩: ٨٤)

عبد الكريم الخطيب: والجميع بمعنى الجمع، وعُبّر عن الجمع بالجميع، إشارة إلى استطالتهم في الغرور، وإدلالهم بكثرة جمعهم. (١٤: ٦٤٥)

مكارم الشّيرازيّ: (جَمِيع) جَمْع، بمعنى مجموع، والمقصود هنا هي الجماعة الّتي لها هدف وقدرة على إنجاز عمل، والتّعبير هنا بـ(مُنْتَصِر) تأكيد على هذا المعنى،

لأنّه من مادّة «انتصار» بمعنى الانتقام والغلبة.

والجدير بالذّكر هنا: أنّ الآية السّابقة كانت بصورة خطاب، أمّا في هذه الآية والآيات اللّاحقة لها، فإنّ الحديث عن الكفّار كان بلغة الغائب، وهو نوع من أنواع التّحقير، أي أنّهم غير مؤهّلين للخطاب الإلهيّ المباشر.

وعلى كلّ حال فإنّ ادّعاءهم بالقوّة والقدرة ادّعاء فارغ وقول هَراء، لأنّ الأقوام السّابقة من أمثال قوم عاد وثمود وآل فرعون وأضرابهم، كانوا أكثر قوّة وسطوة، ومع ذلك فلم تُغني عنهم قوّتهم شيئًا، حينما واجهوا العذاب، وكانوا من الضّعف كالقشّة اليابسة؛ تتقاذفها الأمواج من كلّ مكان. (١٧: ٣١٦)

فضل الله: لأنّهم يرون لأنفسهم القوّة الغالبة على المسلمين، لكثرة العديد والعُدّة الّتي يملكونها في مقابل المسلمين. (٢١: ٢٩٤)

مَجْمَعَ

حَتّٰى اَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ. الكهف: ٦٠

راجع «ب ح ر» (البَحْرَيْن)]

الْجَمْع

...وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَارَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. الشّورى: ٧

السُّدّيّ: يوم القيامة. (الطّبريّ ٢٥: ٩)

الزّمَخْشَريّ: يوم القيامة، لأنّ الخلائق تُجمع فيه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ التّغابن: ٩. وقيل: يُجمع بين الأرواح والأجساد، وقيل: يُجمع بين كلّ عامل وعمله. [إلى أن قال:]

فإن قلت: كيف يكونون مجموعين متفرّقين في حالة واحدة؟

قلت: هم مجموعون في ذلك اليوم، مع افتراقهم في داري البُؤس والنّعيم، كما يجتمع النّاس يوم الجمعة متفرّقين في مسجدَين، وإن أُريد بالجمع جمعهم في الموقف، فالتّفرّق على معنى مشارفتهم للتّفرّق. (٣: ٤٦١)

ابن عَطيّة: هو يوم القيامة، وسمّي (يَوْمَ الْجَمْعِ) لاجتماع أهل الأرض فيه بأهل السّماء، أو لاجتماع بني آدم للعرض. (٥: ٢٧)

الطَّبْرِسيّ: وهو يوم القيامة، يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين، وأهل السّماوات والأرضين؛ فـ(يَوْمَ الْجَمْعِ) مفعول ثان لـ(تُنْذِرَ) وليس بظرف. (٢: ٢٢)

الفَخْرالرّازيّ: في تسميته بـ(يَوْمَ الْجَمْعِ) وجوه:

الأوّل: أنّ الخلائق يُجمعون فيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾، فيجتمع فيه أهل السّماوات من أهل الأرض.

الثّاني: أنّه يُجمع بين الأرواح والأجساد.

الثّالث: يُجمَع بين كلّ عامل وعمله.

الرّابع: يُجمَع بين الظّالم والمظلوم. (٢٧: ١٤٨)

وبهذا المعنى جاء (يَوْمَ الْجَمْعِ) في أقوال المفسّرين بأجمعهم.

جَمْعَهُ

اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ. القيمة: ١٧

ابن عبّاس: (جَمْعَهُ) في صدرك (وَقُرْآنَهُ) تقرؤه بعد.

أن نجمعه لك، (وَقُرْآنَهُ) أن نُقرئك فلاتنسى.

(الطّبَريّ ٢٩: ١٨٩)

إنّ علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك.

(الماوَرْديّ ٦: ١٥٦)

إنّ علينا بيانه من حلاله وحرامه، بذكره لك.

(الطُّوسيّ ١٠: ١٩٦)

الضّحّاك: إنّ علينا أن نجمعه لك حتّى نثبّته في قلبك. (الطّبَريّ ٢٩: ١٨٩)

قَتادَة: حفظه وتأليفه. (الطّبَريّ ٢٩: ١٨٩)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: إنّ علينا جمع هذا القرآن في صدرك يامحمّد، حتّى نثبّته فيه، (وَقُرْآنَهُ): حتّى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك. (٢٩: ١٨٨)

الزّجّاج: أي إنّ علينا أن نقرئك فلاتنسى، وعلينا تلاوته عليك. (٥: ٢٥٣)

المَيْبُديّ: أي (جَمْعَهُ) في قلبك لتقرأه بلسانك.

(١٠: ٣٠٤)

الزّمَخْشَريّ: (جَمْعَهُ) في صدرك، وإثبات قراءته في لسانك. (٤: ١٩١)

الفَخْرالرّازيّ: معنه علينا جمعه في صدرك وحفظك.

وقوله: (وَقُرْآنَهُ) فيه وجهان:

أحدهما: أنّ المراد من القرآن: القراءة، وعلى هذا التّقدير ففيه احتمالان:

أحدهما: أن يكون المراد: جبريل عليه السلام، سيعيده عليك حتّى تحفظه.

والثّاني: أن يكون المراد: إنّا سنقرئك يامحمّد إلى أن تصير بحيث لاتنساه، وهو المراد من قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَاتَنْسٰى﴾ الأعلى: ٦.

فعلى هذا الوجه الأوّل: القارئ جبريل عليه السلام، وعلى الوجه الثّاني: القارئ محمّد صلى الله عليه وآله.

والوجه الثّاني: أن يكون المراد من القرآن: الجمع والتّأليف، من قولهم: ماقرأت النّاقة سلًا قطّ، أي ماجمعت، وبنت عمرو بن كلثوم لم تقرأ جنينًا، وقد ذكرنا ذلك عند تفسير «القرء».

فإن قيل: فعلى هذا الوجه يكون الجمع والقرآن واحدًا، فيلزم التّكرار.

قلنا: يحتمل أن يكون المراد من الجمع: جمعه في نفسه ووجوده الخارجيّ، ومن القرآن جمعه في ذهنه وحفظه، وحينئذ يندفع التّكرار. (٣٠: ٢٢٤)

وبهذا المعنى جاءت كلمة (جَمْعَهُ) في أقوال جُلّ المفسّرين إن شئت فراجع.

الْجَمْعَانِ

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...

آل‌عمران: ١٥٥

الطّبَريّ: يوم التقى جمع المشركين والمسلمين بأُحد. (٤: ١٤٤)

الطّبْرِسيّ: جَمْع المسلمين وسيّدهم رسول الله، وجمع المشركين ورئيسهم أبوسفيان. (١: ٥٢٤)

راجع «ي و م» (يَوْمَ الْتَقَى)

الجُـمُعَة

إِذَا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ... الجمعة : ٩

ابن عبّاس : إنّما سمّي يوم الجمعة لأنّ الله جمع فيه خلق آدم. (ابن سيده ١ : ٣٥٠)

الفَرّاء : خفضها[1] الأعمش، فقال: (الجُـمْعَة)، وثقّلها عاصم وأهل الحجاز. وفيها لغة: «جُمَعَة» وهي لغة لبني عقيل، لو قرئ بها كان صوابًا.

والّذين قالوا: «الجُمَعَة» ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنّه يوم جُمَعَة، كما تقول: رجل ضُحَكَة، للّذي يُكثر الضّحك. (٣: ١٥٦)

نحوه القُرطُبيّ. (١٨: ٩٧)

الزّجّاج : وقُرئت (الجُمْعَة) بإسكان الميم. ويجوز في اللّغة: «الجُمَعَة» بفتح الميم، ولاينبغي أن يُقرأ بها إلّا أن تثبت بها رواية عن إمام من القرّاء.

فمن قرأ (الجُـمْعَة) فـهو تخـفيف (الجُـمُعَة) لثقل الضّمّتين. ومن قال في غير القراءة: «الجُمَعَة» فمعناه الّتي تجمع النّاس، كما تقول: رجل لُعَنَة، أي يُكثر لعن النّاس، ورجل ضُحَكَة، يُكثر الضّحك. (٥: ١٧١)

الماوَرْديّ : وكان اسم يوم الجُمعة في الجاهليّة: العَرُوبة، لأنّ أسماء الأيّام في الجاهليّة كانت غير هذه الأسماء، فكانوا يسمّون يوم الأحد أوّل، والاثنين أهون، والثّلاثاء جُبار، والأربعاء دُبار، والخميس مُؤْنِس، والجُمعة: عَرُوبة، والسّبت شِيار. [ثمّ استشهد بشعر]

وأوّل من سمّاه يوم الجُمعة كعب بن لؤيّ بن غالب، لاجتماع قريش فيه إلى كعب. وقيل: بل سمّي في الإسلام، لاجتماع النّاس فيه للصّلاة. (٦: ٩)

الزّمَخْشَريّ : يوم الجُمُعَة: يوم الفَوْج المجموع، كقولهم: ضُحْكَة للمضحوك منه. ويوم الجُمَعة بفتح الميم: يوم الوقت الجامع، كقولهم: ضُحَكَة ولُعَنَة، ولُعَبَة. ويوم الجُمْعَة تثقيل للجُمُعة، كما قيل: عُسُرة في عُسْرة، وقرئ بهنّ جميعًا. [وله مباحث أُخرى فلاحظ]

(٤: ١٠٤)

الطَّبْرِسيّ : والجُمْعَة والجُمُعَة: لغتان، وجمعها: جُمَع وجمعات. وإنّما سمّي جمعة، لأنّه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقات، وقيل: لأنّه تجتمع فيه الجماعات، وقيل: إنّ أوّل من سمّاها جمعة كعب بن لؤيّ...وقيل: إنّ أوّل من سمّاها جمعة الأنصار.

قال ابن سيرين: جمّع أهل المدينة قبل أن يقدم النّبيّ ﷺ المدينة.

وقيل: قبل أن تنزل الجمعة، قالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كلّ سبعة أيّام، وللنّصارى يوم أيضًا مثل ذلك، فلنجعل يومًا نجتمع فيه فنذكر الله عزّوجلّ ونشكره، أو كما قالوا: يوم السّبت لليهود، ويوم الأحد للنّصارى، فاجعلوه يوم العَرُوبة. فاجتمعوا إلى أسعد ابن زرارة، فصلّى بهم يومئذ وذكّرهم، فسمّوه: يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم أسعد بن زرارة شاة، فتغدّوا وتعشّوا من شاة واحدة؛ وذلك لقلّتهم، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ﴾ الآية. فهذه أوّل جمعة جمّعت في الإسلام.

---

(١) الظّاهر يعني خفّفها، كما جاء في «القرطبيّ ١٨: ٩٧» و «ابن منظور ٨: ٥٨».

فأمّا أوّل جمعة جمّعها رسول الله ﷺ بأصحابه، فقيل: إنّه قَدِم رسول الله ﷺ مهاجرًا حتّى نزل قبا على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل حين الضّحى، فأقام بقُباء يوم الاثنين والثّلاثاء والأربعاء والخميس، وأسّس مسجدهم. ثمّ خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدًا المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم، قد اتّخذوا اليوم في ذلك الموضع مسجدًا، وكانت هذه الجمعة أوّل جمعة جمّعها رسول الله ﷺ في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة، وهي أوّل خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل. [ثمّ ذكر خطبة الرّسول في هذا اليوم] (٥: ٢٨٦)

نحوه أبوحَيّان (٨: ٢٦٨)، والبُرُوسَويّ (٩: ٥٢٢).

الآلوسيّ: والجُمُعة بضمّ الميم وهو الأفصح، والأكثر الشّائع، وبه قرأ الجمهور. وقرأ ابن الزّبير وأبوحَيْوَة وابن أبي عبلة وزيد بن عليّ والأعمش بسكونها، وروي عن أبي‌عمرو ـ وهي لغة تميم ـ وجاء فتحها ولم يقرأ به، ونقل بعضهم الكسر أيضًا.

وذكروا أنّ الجُمُعة بالضّمّ مثل الجُمْعة بالإسكان، ومعناه المجموع، أي يوم الفَوْج المجموع، كقولهم: ضُحْكَة للمضحوك منه.

وأمّا الجُمَعَة بالفتح، فمعناه الجامع، أي يوم الوقت الجامع، كقولهم: ضُحَكَة لكثير الضّحك.

وقال أبو البقاء: الجُمُعة بضمّتين وبإسكان الميم: مصدر بمعنى الاجتماع.

وقيل في المسكّن: هو بمعنى المجتمع فيه، كرجل ضُحْكَة، أي كثير الضّحك منه، انتهى.

وقد صار يوم الجمُعة علمًا على اليوم المعروف من أيّام الأُسبوع. وظاهر عبارة أكثر اللّغويّين: أنّ الجمعة وحدها من غير «يوم» صارت علمًا له ولامانع منه، وإضافة العامّ المطلق إلى الخاصّ جائزة مستحسنة، فيما إذا خفي الثّاني كما هنا، لأنّ التّسمية حادثة ـ كما ستعلمه إن شاء الله تعالى ـ فليست قبيحة كالإضافة في إنسان زيد، وكانت العرب ـ على ماقال غير واحد ـ تسمّي يوم الجمعة: عَرُوبَة.

قيل: وهو علم جنس يُستعمل بـ«أل» وبدونها، وقيل: «أل» لازمة، قال الخفاجيّ: والأوّل أصحّ.

وفي «النّهاية» لابن الأثير: «عَرُوبَة» اسم قديم للجمعة، وكأنّه ليس بعربيّ، يقال: يوم عَرُوبَة، ويوم العَرُوبَة، والأفصح أن لايدخلها الألف واللّام، انتهى.

وماظنّه من أنّه ليس بعربيّ جزم به: مختصر كتاب «التّذييل والتّكميل ممّا استعمل من اللّفظ الدّخيل»، لجمال الدّين عبد الله بن أحمد الشّهير بالشّيشيّ، فقال: عَرُوبَة منكّرًا ومعرّفًا، هو يوم الجمعة، اسم سريانيّ معرّب، ثمّ قال السّهيليّ: معنى العَرُوبَة الرّحمة فيما بلغنا عن بعض أهل العلم، انتهى. وهو غريب فليحفظ. [ثمّ بحث بحثًا مستوفى عن يوم الجمعة، وأوّل من سمّاه الجمعة، وأوّل صلاة جُمعة] (٢٨: ٩٩)

الطَّباطَبائيّ: والجُمُعة بضمّتين أو بالضّمّ فالسّكون: أحد أيّام الأُسبوع، وكان يسمّى أوّلًا يوم العَرُوبَة، ثمّ غلب عليه اسم الجمعة. والمراد بالصّلاة من يوم الجمعة، صلاة الجُمعة المشرّعة يومها. (١٩: ٢٧٣)

مكارم الشّيرازيّ: لماذا سمّي يوم الجُمعة بهذا الاسم؟ فهو لاجتماع النّاس في هذا اليوم للصّلاة، وهذه المسألة لها تاريخ سنبحثه في النّقاط القادمة. [ثمّ أدام البحث مفصّلًا في كيفيّة صلاة الجمعة وشرائطها، وأهمّيّتها، وأوّل صلاة جمعة كانت في الإسلام، وفلسفة صلاة الجمعة، وأنّها كانت صلاة عباديّة وسياسيّة، وآدابها، ومضمون الخطبتين، وبأيّ عدد يمكن انعقاد صلاة الجمعة] (١٨: ٣٠٨)

فضل الله: لإقامة هذه الصّلاة في جموع المسلمين، ليلتقوا جميعًا ـ باسم الله ـ في عبادة الله المنفتحة على قضايا الحياة العامّة. (٢٢: ٢١٧)

الوُجوهُ والنّظائر

الفيروزاباديّ: وقد ورد الجَمْع في القرآن على ثلاثين[1] وجهًا:

[وهي] لجمع المال والنّعمة ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الهمزة: ٢، وجمع النّهب والغارة ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ العاديات: ٥، وجمع الإلزام والحجّة ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْاَوَّلِينَ﴾ المرسلات: ٣٨، وجمع إظهار القدرة ﴿اَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ القيمة: ٣، وجمع الهَوْل والهَيْبَة[2] وجَمْع الشّمس والقمر[3] القيمة: ٩، وجمع القراءة والمتابعة ﴿اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ﴾ القيمة: ١٧، وجمع الحرص والآفة ﴿وَجَمَعَ فَاَوْعٰى﴾ المعارج: ١٨، وجمع يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ التّغابن: ٩، وله نظائر. وجمع الجماعة والجمعة ﴿اِذَا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ الجمعة: ٩، وجمع الانتظار بين الدّنيا والآخرة ﴿لَمَجْمُوعُونَ اِلٰى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ الواقعة: ٥٠، وجمع الحرب والهزيمة ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ القمر: ٤٥، وجمع الإرادة والمشيئة ﴿جَمْعِهِمْ اِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ الشّورى: ٢٩، وجمع المصير والرّجعة ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَاِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ الشّورى: ١٥، وجمع القضاء والحكومة ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ سبأ: ٢٦، وجمع السّجدة والتّحيّة ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ﴾ الحجر: ٣٠وص: ٧٣، وجمع الوسواس والغواية ﴿وَجُنُودُ اِبْلِيسَ اَجْمَعُونَ﴾ الشّعراء: ٩٥، وجمع هديّة الهداية ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدٰيكُمْ اَجْمَعِينَ﴾ الأنعام: ١٤٩، وجمع الرّجوع من الغُربة ﴿وَاْتُونِي بِاَهْلِكُمْ اَجْمَعِينَ﴾ يوسف: ٩٣، وجمع السَّحَرَة للمكر والحيلة ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ الشّعراء: ٣٨، وجَمْع النّاس للنّظارة والعِبرة ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ اَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ الشّعراء: ٣٩، وجمع التّعظيم والحرمة ﴿عَلٰى اَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّٰى يَسْتَاْذِنُوهُ﴾ النّور: ٦٢، وجمع الغلبة والنُّصرة ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ طٰه: ٦٠، ﴿فَاَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ طٰه: ٦٤، وجمع العجز والجهالة ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ الإسراء: ٨٨، وجمع العَرْض والسّياسة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ الكهف: ٩٩، وجمع التّأخير والمهلة ﴿اِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ﴾ آل‌عمران: ٩، وجمع التّعيير والملامة ﴿فَكَيْفَ اِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ﴾ آل‌عمران: ٢٥، وجمع

(١) لكنّه عدّ خمسة وثلاثين وجهًا.

(٢) لم يمثّل لهذا الضرب، أو هو جمع الشّمس والقمر، لأنّ في جمعهما للهول هيبة.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ القيمة: ٩.

التّحذير والخشية ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ آل‌عمران: ١٧٣، وجمع طلب العلم والحكمة ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ﴿بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ الكهف: ٦٠، ٦١، وجمع أرباب النّبوّة والرّسالة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ المائدة: ١٠٩، وجمع الاتّفاق والعزّة ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ يونس: ٧١، وجمع الجرأة والغفلة ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ يوسف: ١٥، وجمع الحضور في الحضرة ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ هود: ١٠٣، وجمع الفضل والرّحمة ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس: ٥٨، وجمع الهدى والضّلالة ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ﴾ الشّعراء: ٦١، وجمع الظّفر والغنيمة ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الأنفال: ٤١، ويقال للمجموع: جمع وجماعة وجميع.

وورد الجمع في القرآن على ثلاثين وجهًا[1] أيضًا: للمنّة علينا بما في السّماوات والأرض ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة: ٢٩، وتسخير الموجودات لنا ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ الجاثية: ١٣، وقرئ: جميعًا مِنَّةً[2]. رجوع الكلّ إليّ في العاقبة ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ يونس: ٤، حشر الكلّ عندنا ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الأنعام: ٢٢، القوّة كلّها لنا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ البقرة: ١٦٥، العزّة كلّها لنا ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يونس: ٦٥، نشر الكلّ من بطن الأرض جميعًا ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ المجادلة: ١٨، يودّ الكافر لو يفتدي بكلّ ما في الأرض جميعًا ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ المعارج: ١٤، اليهود لا يقاتلونكم إلّا وهم في حصون حصينة ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾ لا تحسبوا أنّ اليهود متّفقون ظاهرًا وباطنًا ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ الحشر: ١٤، ادّعت كفّار مكّة أنّهم كلّهم متوازرون منتقمون ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ القمر: ٤٤، السّماء والأرض في قبضة قدرتنا ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الزّمر: ٦٧، جميع الشّفاعات مسلّمة بحكمنا ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ الزّمر: ٤٤، نحطّ العفو على الذّنوب كلّها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الزّمر: ٥٣، الخلائق كلّهم يأتون حضورًا بحضرتنا ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس: ٣٢، ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس: ٥٣، لمّا عصيتنا يا آدم اخرجْ من جهتنا مع سائر العاصين ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ البقرة: ٣٨، ادّعى عسكر فرعون أنّهم كلّهم على حذر في أمرهم ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ الشّعراء: ٥٦، لا بأس عليكم في التّفرّق والاجتماع إذا كنتم أصدقاء ﴿أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ النّور: ٦١، توبوا يا أهل الإيمان ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ النّور: ٣١، ناد يا محمّد إنّي رسول الله إلى كلّ الخلائق ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨، ولو أردنا هدينا الكلّ ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ الرّعد: ٣١، ولو أراد الله لأورد النّاس مورد الإيمان ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ يونس: ٩٩، تعلّق رجاء يعقوب بوصول أولاده إليه كلّهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يوسف: ٨٣، نحن قهرنا فرعون ومن معه ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾

(١) لكنّه عدّ تسعة وعشرون وجهًا.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى ابن عبّاس.

الإسراء: ١٠٣، سيبرز الكلّ في عرصات القيامة ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ إبراهيم: ٢١، الأخابث وماعملوا إلى النّار ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ الأنفال: ٣٧، يعاقب بعضهم بعضًا في دخولها ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ الأعراف: ٣٨، ونحن نجمع المنافقين والكافرين فيها ﴿إِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النّساء: ١٤٠، لأنّ جهنّم موعد المسيئين يملؤها منهم ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: ٤٣، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود: ١١٩.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٣٩٠ ـ ٣٩٤)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة الجَمْع، أي جماعة النّاس وحشدهم، وجمعه: جُمُوع؛ يقال: تجمّع القوم، أي اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، وقومٌ جميعٌ: مجتمعون، والمَجمَع: اسم للنّاس وللموضع الّذي يجتمعون فيه، والمَجمَعة: مجلس الاجتماع، والجُمّاع: أخلاط النّاس، والجماعة والجميع والمَجمَع والمَجمَعة: الجمع في غير النّاس أيضًا، فيقال لجماعة الشّجر وجماعة النّبات.

وجمَع الشّيء عن تفرقة يَجمَعُه جَمْعًا وجمّعه وأجمعه، فاجتمع واجدَمع وتجمّع واستجمع: جعلَه جميعًا؛ يقال: جمَعتُ الشّيء، أي جئت به من هاهنا وهاهنا فهو مجموع، واستجمع السّيل: اجتمع من كلّ موضع، ومتجمَّع البيداء: معظمها ومحتلفها، وجُمّاع كلّ شيء: مجتمع خلقه، وجُمّاع جسد الإنسان: رأسه، وجُمّاع الثّمر: تجمّع براعمه في موضع واحد على حمله؛ وجُمّاع الثّريّا: مجتمعها، وامرأة جُمّاع: قصيرة، كأنّ أعضاءها تجمّعت وانضمّ بعضها إلى بعض، والمسجد الجامع: الّذي يجمع أهله.

وجُمْع الكفّ وجِمْعها: قبضها، والجمع: أجماع؛ يقال: ضربه بحجر جُمْع الكفّ وجِمْعها، أي ملئها، وضربوه بأجماعهم، أي بأيديهم، وأخذت فلانًا بجُمْع ثيابه، وجاء فلانٌ بِملْء جُمْعِه.

والجُمْعَة: القُبْضَة؛ يقال: أعطني جُمْعَة من تمر، أي قُبْضَة منه.

وماتت المرأة بجُمْع وجِمْع: ماتت وولدها في بطنها فهي جامع، وهي بجُمْع وجِمْع: مُثقلة، وماتت النّساء بأجماع، وناقة جِمْع: في بطنها ولد، وهي جامع أيضًا.

وباتت فلانة منه بجُمْع وجِمْع: بكرًا لم يفتضّها، وطُلّقت المرأة بجُمْع: طُلّقت وهي عذراء.

والرّجل المجتمع: الّذي بلغ أشدّه؛ يقال: اجتمع الرّجل، أي استوت لحيتُه وبلغ غاية شبابه، ولايقال ذلك للجارية، ورجل جميع: مجتمع الخلق.

وجمعت المرأة الثّياب: لبست الدّرْع والمِلحفة والخمار، يقال ذلك للجارية إذا شبّت، يكنّى به عن سنّ الاستواء.

والجَمْع: كلّ لون من التّمر لايعرف اسمه، كأنّه جمع صفات مايعرف منه؛ يقال: ماأكثر الجمع في أرض بني فلان! النّخل خرج من النّوى لايعرف اسمه.

والجَمْع: علَم للمُزدَلِفة، سمّيت بذلك لاجتماع النّاس بها.

وقدرٌ جِماع وجامعة: عظيمة، وهي الّتي تجمع الجَزُور.

والجامع: البطن، لأنّه يجمع الأحشاء.

والجامعة: الغُلّ، لأنّها تجمع اليدين إلى العنق.

وأرضٌ مُجمِعة: جدب لاتفرّق فيها الرّكاب لرعي.

وفلاةٌ مُجمِعة ومُجمِّعة: يجتمع فيها القوم ولايتفرّقون خوف الضّلال ونحوه، كأنّها هي الّتي تجمعهم.

وأجمعت الأرض سائلةً، وأجمع المطر الأرض: سال رُغابُها وجَهادها كلّها.

واستجمع الوادي: لم يبق منه موضع إلّا سال.

واستجمع القوم: ذهبوا كلّهم لم يبق منهم أحد، كما يستجمع الوادي بالسّيل.

واستجمع الفرس جريًا: تكمّش له.

واستجمع البَقْل: يَبِسَ كلّه، كأنّه انكمش وتضامّ.

وإبل جُمّاعة: مجتمعة، وأجمعتُ الإبل: سُقتُها جميعًا.

وأجمع النّاقة وبها: صَرّ أخلافها جُمَع.

وجمّعت الدّجاجة تجميعًا: جمعت بيضها في بطنها.

والجَمْعاء من البهائم: الّتي لم يذهب من بدنها شيء، وهي الكافّة الهرمة أيضًا.

ويوم الجُمْعَة والجُمُعَة والجُمَعَة: يوم العَرُوبة، سمّي بذلك لاجتماع النّاس فيه، والجمع: جُمُعات وجُمَع؛ يقال: مضت الجمعة بما فيها، وجمّع النّاس تجميعًا: شهدوا الجمعة وقضوا الصّلاة فيها، واستأجر الأجير مُجامعةً وجِماعًا، أي كلّ جمعة بكِراء.

وذهب الشّهر بجُمْع وجِمْع، أي أجمع.

وجِماع الشّيء: جمعه؛ يقال: جِماع الخباء: الأخبية، لأنّ الجِماع ماجمّع عددًا.

والجَماعة: عدد كلّ شيء وكثرته.

والكلام الجامع: ماقلّت ألفاظه وكثرت معانيه، والجامع: من أسماء الله الحسنى، يجمع الخلائق ليوم الحساب، وأمرٌ جامع: يجمع النّاس.

وفلان جِماع لبني فلان، أي يأوون إلى رأيه وسؤدده.

ورجل جميع الرّأي ومجتمعه: شديده ليس بمنتشره.

وأمر بني فلان بجُمْع وجِمْع فلاتفشوه، أي مجتمع فلاتفرّقوه بالإظهار، يقال ذلك إذا كان مكتومًا ولم يعلم به أحد.

والإجماع: الإعداد والعزيمة على الأمر؛ يقال: أجمَع أمره، أي جعله جميعًا بعدما كان متفرّقًا، وأجمِعْ أمرك ولاتَدَعْه منتشرًا، وجمَع أمره وأجمعه وأجمَع عليه: عزم عليه، والأمر مُجمَع، كأنّه جمع نفسه له.

وجامعه على الأمر: مالأه عليه واجتمع معه.

والجِماع والمُجامعة: كناية عن النّكاح؛ يقال: جامعها مُجامعةً وجِماعًا، مثل: كامعها مُكامعةً وكِماعًا: نكحها.

وجميع: يؤكّد به؛ يقال: جاءوا جميعًا كلّهم.

وأجمع: من الألفاظ الدّالّة على الإحاطة وليست بصفة، ولكنّه يُلَمُّ به ماقبله من الأسماء ويجري على إعرابه، والجمع: أجمعون، والأنثى: جَمْعاء.

٢ـ ولحق هذه المادّة كثير من الكلام المولّد، ومنه: الإجماع، وهو أحد الأدلّة الأربعة عند جمهور المسلمين،

وهي: الكتاب، والسّنّة، والعقل عند الإماميّة ـ والقياس عند غيرهم ـ والإجماع، وهو اتّفاق المجتهدين في عصر على أمر دينيّ.

والاجتماع: علم يبحث في نشوء الجماعات الإنسانيّة ونموّها وطبيعتها وقوانينها ونظمها؛ يقال: رجل اجتماعيّ، أي مزاول للحياة الاجتماعيّة، كثير المخالطة للنّاس.

والتّجمّعات السّكنيّة: مجموعة من البيوت بنيت بانضمام بعضها إلى بعض عموديّة أو أُفقيّة.

والتّجميع في الصّناعة: ضمّ قطع مختلفة معدّة سلفًا إلى بعضها بعضًا، لتكوين آلة أو جهاز كالسّيّارة.

والجامعة: مجموعة معاهد علميّة تسمّى كلّيّات، تدرّس فيها الآداب والفنون والعلوم. كما تطلق على مجموعة الحكومات أو الشّخصيّات، كجامعة الدّول العربيّة، وجامعة المدرّسين.

والجماعيّة: مذهب اشتراكيّ يقرّر أنّ أموال الإنتاج يجب أن تكون للدّولة، وأن تلغى الملكيّة الخاصّة الواردة عليها، وأنّ أموال الاستهلاك هي وحدها الّتي تكون محلًّا للملكيّة الخاصّة.

والمُجتمَع: طائفة عظيمة من النّاس يخضعون لقوانين ونظم عامّة، كالمجتمع الإيرانيّ والمجتمع العراقيّ.

والجمعيّة: طائفة تتألّف من أعضاء لغرض خاصّ وفكرة مشتركة، ومنها: الجمعيّة العامّة للأُمم المتّحدة، وجمعيّة الأُدباء، والجمعيّة التّعاونيّة، والجمعيّة العلميّة.

والمَجمَع: مؤسّسة مهمّتها النّهوض باللّغة أو العلوم أو الفنون، كمجمع اللّغة العربيّة في القاهرة وبغداد ودمشق وعمّان، ومجمع البحوث الإسلاميّة التّابع للعتبة الرّضويّة المقدّسة في مشهد، ومجمع الفنون التّشكيليّة في بغداد وغيرها.

وهناك اصطلاحات مولّدة أُخرى كثيرة في علوم كثيرة، كالرّياضيّات والمنطق وعلم النّفس والحيوان والكيمياء والفيزياء والطّبّ والصّناعة والزّراعة والتّجارة والاقتصاد، أحجمنا عن ذكرها احترازًا من التّطويل والتّفصيل.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها الفعل مجرّدًا ماضيًا معلومًا ومجهولًا (١٠) مرّات، ومضارعًا معلومًا (١٢) مرّة، ومزيدًا من باب «الإفعال» ماضيًا وأمرًا كلّ منهما مرّتين، ومن باب «الافتعال» ماضيًا مرّتين، ومصدرًا أو اسم مصدر مفردًا وتثنيةً (١٣) مرّة، واسم فاعل (٤) مرّات: (٣) مجرّدًا ومرّةً مزيدًا، واسم مفعول واسم مكان كلّ منهما مرّتين، وصفة مشبّهة تأكيدًا (٥٣) مرّة، واسم تأكيد (٢٦) مرّة، واسمًا مرّة في (١٢٣) آية:

جَمَع وجُمِع:

١ـ ﴿فَتَوَلّٰى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ اَتٰى﴾ طٰه: ٦٠

٢ـ ﴿تَدْعُوا مَنْ اَدْبَرَ وَتَوَلّٰى * وَجَمَعَ فَاَوْعٰى﴾ المعارج: ١٧، ١٨

٣ـ ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * اَلَّذى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الهمزة: ١، ٢

٤ـ ﴿وَاِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ اِعْرَاضُهُمْ فَاِنِ اسْتَطَعْتَ

أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الأنعام: ٣٥

٥ـ ﴿هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾

المرسلات: ٣٨

٦ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٢٥

٧ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ الكهف: ٩٩

٨ـ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران: ١٧٣

٩ـ ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾

الشعراء: ٣٨

١٠ـ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ القيمة: ٩

يجمع:

١١ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَاعِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١٠٩

١٢ـ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ سبأ: ٢٦

١٣ـ ﴿...لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

الشورى: ١٥

١٤ـ ﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾

الجاثية: ٢٦

١٥ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ...﴾

التغابن: ٩

١٦ـ ﴿اللهُ لَاإِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ النساء: ٨٧

١٧ـ ﴿قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام: ١٢

١٨ـ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾

القيمة: ٣

١٩ـ ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ آل عمران: ١٥٧

٢٠ـ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس: ٥٨

٢١ـ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ الزخرف: ٣٢

٢٢ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ و ...وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

النساء: ٢٣

أجمَعوا وأجمِعوا:

٢٣ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ...﴾ يوسف: ١٥

٢٤ـ ﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَاكُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يوسف: ١٠٢

٢٥ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ

كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ...﴾ يونس: ٧١

٢٦ـ ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ طٰهٰ: ٦٤

اجتمعوا:

٢٧ـ ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَايَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨

٢٨ـ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَايَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الحجّ: ٧٣

الجمع:

٢٩ـ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمر: ٤٥

٣٠ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَايُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٨

٣١ـ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَاأَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَاكُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأعراف: ٤٨

٣٢ـ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ العاديات: ٤، ٥

٣٣ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيمة: ١٧

٣٤ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَابَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ الشّورى: ٢٩

٣٥ـ ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَارَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الشّورى: ٧

الجمعان:

٣٦ـ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ...وَمَاأَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال: ٤١

٣٧ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَاكَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ آل‌عمران: ١٥٥

٣٨ـ ﴿وَمَاأَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل‌عمران: ١٦٦

٣٩ـ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ الشّعراء: ٦١

جامع ومجتمعون:

٤٠ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لَايُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل‌عمران: ٩

٤١ـ ﴿...إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النّساء: ١٤٠

٤٢ـ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ...﴾ النّور: ٦٢

٤٣ـ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ الشّعراء: ٣٩

مَجْمَع:

٤٤و٤٥ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَيهُ لَاأَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ

مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ اَوْ اَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ الكهف: ٦٠، ٦١

مجموع:

٤٦ـ ﴿اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ هود: ١٠٣

٤٧ـ ﴿قُلْ اِنَّ الْاَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ اِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ الواقعة: ٤٩و٥٠

جميعٌ وجميعًا:

٤٨ـ ﴿وَاِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ الشعراء: ٥٦

٤٩ـ ﴿اَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ القمر: ٤٤

٥٠ـ ﴿وَاِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس: ٣٢

٥١ـ ﴿اِنْ كَانَتْ اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَاِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس: ٥٣

٥٢ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى اِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٩

٥٣ـ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا اِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٤٨

٥٤ـ ﴿...اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا وَاَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ البقرة: ١٦٥

٥٥ـ ﴿اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ اَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٣٩

٥٦ـ ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ اَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ اِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٧٢

٥٧ـ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا اِنْ اَرَادَ اَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَاُمَّهُ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا...﴾ المائدة: ١٧

٥٨ـ ﴿اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ اَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ المائدة: ٣٦

٥٩ـ ﴿...وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتٰيكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة: ٤٨

٦٠ـ ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ اَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ اِذَا اهْتَدَيْتُمْ اِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ١٠٥

٦١ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ اَشْرَكُوا اَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الأنعام: ٢٢

٦٢ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ اَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ اَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ اِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ يونس: ٢٨

٦٣ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْاِنْسِ...﴾ الأنعام: ١٢٨

٦٤ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلٰئِكَةِ اَهٰؤُلَاءِ اِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ سبأ: ٤٠

٦٥ـ ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ

بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأنفال: ٣٧

٦٦- ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال: ٦٣

٦٧- ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يونس: ٤

٦٨- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨

٦٩- ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يونس: ٦٥

٧٠- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩

٧١- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف: ٨٣

٧٢- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الرّعد: ١٨

٧٣- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ الرّعد: ٣١

٧٤- ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرّعد: ٤٢

٧٥- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣

٧٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ النّساء: ٧١

٧٧- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فاطر: ١٠

٧٨- ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الزّمر: ٤٤

٧٩- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزّمر: ٤٧

٨٠- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزّمر: ٥٣

٨١- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزّمر: ٦٧

٨٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الجاثية: ١٣

٨٣- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ المجادلة: ٦

٨٤- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا

يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ المجادلة: ١٨

٨٥ ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾

المعارج: ١١ـ ١٤

٨٦ ـ ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ إبراهيم: ٢١

٨٧ ـ ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ الإسراء: ١٠٣

٨٨ ـ ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٣٨

٨٩ ـ ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ طه: ١٢٣

٩٠ ـ ﴿...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور: ٣١

٩١ـ ﴿...قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾

هود: ٥٤، ٥٥

٩٢ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ إبراهيم: ٨

٩٣ـ ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر: ١٤

٩٤ـ ﴿...لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً...﴾ النور: ٦١

٩٥ـ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ المائدة: ٣٢

٩٦ـ ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا...﴾ الأعراف: ٣٨

أجمعون وأجمعين:

٩٧ـ ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ الشعراء: ٩٤، ٩٥

٩٨ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ الحجر: ٢٩ ـ ٣١

٩٩ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ص: ٧٢ ـ ٧٤

١٠٠ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: ٣٩

١٠١ـ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ص: ٨٢

١٠٢ـ ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأعراف: ١٨

١٠٣ـ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ

أَجْمَعِينَ﴾ ص: ٨٥

١٠٤ـ ﴿...وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود: ١١٩

١٠٥ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدٰيهَا وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ السّجدة: ١٣

١٠٦ـ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: ٤٢، ٤٣

١٠٧ـ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: ٩١، ٩٢

١٠٨ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الدّخان: ٤٠

١٠٩ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ البقرة: ١٦١

١١٠ـ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ آل عمران: ٨٦، ٨٧

١١١ـ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ النّمل: ٥١

١١٢ـ ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الزّخرف: ٥٥

١١٣ـ ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأنبياء: ٧٧

١١٤ـ ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأعراف: ١٢٤

١١٥ـ ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الشّعراء: ٤٩

١١٦ـ ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدٰيكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ النّحل: ٩

١١٧ـ ﴿قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدٰيكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأنعام: ١٤٩

١١٨ـ ﴿اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلٰى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوسف: ٩٣

١١٩ـ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: ٥٨، ٥٩

١٢٠ـ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الصّافّات: ١٣٣، ١٣٤

١٢١ـ ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الشّعراء: ١٧٠

١٢٢ـ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسٰى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الشّعراء: ٦٥

١٢٣ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلٰى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة: ٩

ويلاحظ أوّلًا: أنّها (١٧) لفظًا:

١ـ ماضيًا معلومًا (٨) مرّات (١ ـ ٨) أربعة منها فعل الله، وكلّها مدحٌ: (٣) منها في الآخرة: (٥) ﴿هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾، و(٦) ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، و(٧) ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، وواحدةٌ في الدّنيا: (٤) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْـهُـدَى﴾.

وأربعة فعل النّاس وكلّها ذمّ: (١) ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾، و(٢) ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾، و(٣) ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، و(٨) ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾.

٢ـ وماضيًا مجهولًا مرّتين: واحدة فعل الله في الآخرة مدحًا: (١٠) ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، وواحدة فعل النّاس في الدّنيا ذمًّا: (٩) ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.

٣ـ ومضارعًا معلومًا (١٢) مرّة، منها: فعل الله (٨) مرّات تعظيمًا وقهرًا في الآخرة (١١ ـ ١٨)، وفعل النّاس ذمًّا على جمع المال (٣) مرّات (١٩ ـ ٢١)، تشريعًا مرّةً: (٢٢)، والجمع في جميعها جمع الأعيان.

٤ـ وماضيًا من باب «الإفعال» مرّتين بشأن إخوة يوسف ذمًّا: (٢٣) ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاَجْمَعُوا اَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾، و(٢٤) ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ اَجْمَعُوا اَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

٥ ـ وأمرًا منه مرّتين أيضًا ذمًّا: (٢٥) من قول نوح لقومه: ﴿فَاَجْمِعُوا اَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ و(٢٦) من قول موسى لقومه: ﴿فَاَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ والإجماع فيها بمعنى العزم والتّصميم، لاجتماع آراءهم على القبيح متعدّيًا بمفعول، وهو ﴿اَنْ يَجْعَلُوهُ﴾ في الأولى، و(اَمْرَهُمْ) في الثّانية، و(اَمْرَكُمْ) في الثّالثة، و(كَيْدَكُمْ) في الرّابعة.

٦ـ ماضيًا من باب «الافتعال» مرّتين أيضًا، تعريضًا وتعجيزًا، إحداهما (٢٧) في إعجاز القرآن: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. وثانيتها (٢٨) في إبطال أُلوهيّة الأصنام: ﴿اِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ...﴾. و«الافتعال» فيهما بمعنى الجهد وتحمّل المشقّة، أي لو جمعوا جهدهم على ذلك لم يقدروا عليه.

والجدير بالذّكر أنّ (اجتمع) جاء في الأُولى مع (عَلَى) تعديةً، أي لو اجتمعوا عليه، وفي الثّانية مع (ل) علّة، أي لو اجتمعوا من أجله، والمآل واحدٌ إلّا أنّ الثّانية آكدُ في الاجتماع، والدّليل على نهاية جهدهم وعجزهم في الأُولى ذيلها: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ وفي الثّانية صدرها: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾.

٧و٨ـ جاء مصدرًا أو اسم مصدر (١٣) مرّة: (٩) مرّات مفردًا، و(٤) مرّات تثنية.

أمّا المفرد فقسمان: فعل الله (٥) مرّات، منها (٤) في يوم القيامة: (٧) ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، و(١٥) ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾، و(٣٤) ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ اِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، و(٣٥) ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، ومرّةً بشأن القرآن (٣٣) ﴿اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ﴾.

وفعل غير الله (٤) مرّات: ثلاث في جمع النّاس وكثرتهم ذمًّا في الدّنيا: (٢٩) ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ و(٣٠) ﴿قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَاَكْثَرُ جَمْعًا﴾ و(٣١) ﴿قَالُوا مَا اَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾، وواحدة بشأن العاديات (٣٢):

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾.

وأمّا التّثنية فجاءت (٤) مرّات: ثلاث بلفظ ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: مرّة ليوم بدر مدحًا: (٣٦) ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، ومرّتين ليوم أحد ذمًّا: (٣٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، و(٣٨) ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ﴾.

ومرّة في اجتماع بني إسرائيل وجند فرعون عند البحر ذمًّا: (٣٩) ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فواحدة منها مدحٌ، والباقي ذمّ.

٩و١٠ـ اسم فاعل (٤) مرّات: (٣) مفردًا من المجرّد وصفًا لله تعظيمًا في الآخرة: مرّتين (٤٠) ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ﴾ و(٤١) ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، والجملة الاسميّة وصيغة «فاعل» فيهما تعنيان الدّوام والتّأكيد، ومرّة مدحًا للمؤمنين أمام الرّسول تكريمًا له: (٤٢) ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

ومرّةً من باب «الافتعال» ذمًّا في قصّة فرعون والسّحرة: (٤٣) ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

فالمجرّد منه جاء في أصحاب النّبيّ ﷺ وخُصّ بالمدح، و«الافتعال» منه جاء في أصحاب فرعون وخُصّ بالذّمّ لما فيه من المشقّة والعناء دون المجرّد، والموصوف به في الأُوليين هو (الله)، وفي الثّالثة هو (أمْر)، وفي الرّابعة هو (النّاس).

١١ـ اسم مفعول مرّتين وصفًا للنّاس يوم القيامة، وحُذف الفاعل فيهما ـ وهو الله ـ تعظيمًا وتهويلًا ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ و﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.

١٢ـ اسم مكان مرّتين أيضًا مدحًا في قصّة موسى وفتاه عند مجمع البحرين: (٤٤و٤٥) ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾. والأقوال في (مَجْمَعَ الْبَحْرَيْن) مختلفة، لاحظ النّصوص.

١٣و١٤ـ (جميعٌ وجميعًا) وصفا تأكيدٍ (٤٩) مرّة: (٤١و٤٩ـ ٩٦) وهي أكثر ألفاظ هذه المادّة في القرآن، وأكثرها وصف لله تعظيمًا أو لجمع النّاس يوم القيامة تخويفًا. وطائفة منها وصف لغير الله، وسنتداولها بالبحث.

١٥و١٦ـ (أجمعُون وأجمعين) وصفا تأكيدٍ أيضًا (٢٦) مرّة: (٩٧ ـ ١٢٢) في مجالات مختلفة:

فاثنتان منها في سجود الملائكة لآدم مدحًا: (٩٧، ٩٨) ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ﴾. والباقي كلّه ذمّ.

فاثنتان منها في يمين إبليس على إغواء آدم: (١٠٠) ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(١٠١) ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. فذُكر في أُولاهما طريقة الإغواء وهو التّزيين، دون الثّانية.

وستّ منها في إملاء جهنّم من الجنّ والإنس، وجمعهم فيها: (١٠٢) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(١٠٣) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(١٠٤و١٠٥) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، و(١٠٦) ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(٩٧) ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُنَ *

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾.

وواحدة في سؤال الّذين جعلوا القرآن عضين: (١٠٧) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وواحدة منها في يوم الفصل: (١٠٨) ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، واثنتان منها في لعنة الله على الكافرين: (١٠٩) ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، و(١١٠) ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

١٧ـ وجاء اسمًا مرّة واحدة في (١٢٣) ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وسنتداولها بالبحث.

ثانيًا: الجمع في القرآن متعلّق بالأشخاص والأشياء، وهو في أكثر الآيات فعل الله، حاكيًا عن قهره وقدرته في الدّنيا والآخرة، وعن تشريعه في الدّين، فله ثلاث مجالات:

الأوّل: توحيده وصفاته وأفعاله:

١ـ الهداية في (٤) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾، و(٧٠) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، و(١١٦) ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(١١٧) ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

٢ـ الشّفاعة: (٧٨) ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

٣ـ العزّة: (٥٥) ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، و(٦٩) ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، و(٧٧) ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

٤ـ القوّة: (٥٤) ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

٥ ـ القدرة: (٨١) ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

٦ـ الغفران والتّوبة: (٨٠) ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

٧ـ المكر: (٧٤) ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾.

٨ـ الأمر: (٧٣) ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾.

٩ـ الغرق والتّدمير والهلاك: (٨٧) ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾، و(١١٢و١١٣) ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(١١١) ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ و(٥٧) ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

١٠ـ اللّعنة: (١٠٩، ١١٠) ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ و﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

١١ـ الرّكم: (٦٥) ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾.

١٢ـ النّجاة: في لوط (١٢٠) ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾، و(١٢١) ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾، وفي موسى (١٢٢) ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ فقال في لوط (نَجَّيْنَاهُ) وفي موسى (أَنْجَيْنَاهُ) والأوّل أشدّ وآكد من الثّاني، ولهذا كرّره مرّتين، واكتفى في الثّاني بمرّة واحدة.

وقد نُسب «تنجية لوط» مرّةً ثالثة في (١١٩) إلى الملائكة ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١٣ـ جمع القرآن: (٣٣) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

١٤ـ الخلق والتّسخير: (٥٢) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، و(٨٢) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

الثّاني: تشريعُ جملة من الأحكام:

منها: حكم قتل النّفس وإحياءها في (٩٥) ﴿مَنْ

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ اَوْ فَسَادٍ فِي الْاَرْضِ فَكَاَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ اَحْيَاهَا فَكَاَنَّمَا اَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

ومنها: حرمة الجمع بين الأُختين في النّكاح: (٢٢) ﴿وَاَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ اِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ﴾.

ومنها: حكم الأكل من مال اليتيم لمن تولّاه: (٩٤) ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَاْكُلُوا جَمِيعًا اَوْ اَشْتَاتًا﴾.

ومنها: حكم الصّلاة يوم الجمعة: (١٢٣) ﴿يَاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا اِلٰى ذِكْرِ اللهِ﴾.

ومنها: حكم الحذر في الحرب: (٧٦) ﴿يَاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ اَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾.

ومنها: وجوب التّوبة: (٩٠) ﴿وَتُوبُوا اِلَى اللهِ جَمِيعًا اَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

ومنها: وجوب الاعتصام بحبل الله وحرمة التّفرّق: (٧٥) ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَاتَفَرَّقُوا﴾.

الثّالث: جزاء الآخرة في (٤٥ آية) ـ أي أكثر من ثلث آيات هذه المادّة ـ وهي أقسام:

١ـ جمع النّاس ليوم القيامة للحساب والجزاء، وهي أكثرها.

٢ـ جمع الرّسل يوم القيامة للسّؤال: (١١) ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا اُجِبْتُمْ﴾.

٣ـ الجمع بين المؤمنين والكافرين للتّحاكم والفصل بينهم: (١٢) ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾، و(١٣) ﴿لَاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾، و(٥) ﴿هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْاَوَّلِينَ﴾.

٤ـ جمع العظام: (١٨) ﴿اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾.

٥ـ جمع الأرض في قبضته: (٨١) ﴿وَالْاَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾.

٦ـ جمع المنافقين والكفّار في جهنّم: (٤١) ﴿اِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾. و(٦٥) ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾، و(١٠٣و١٠٤) ﴿لَاَمْلَاَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِينَ﴾.

٧ـ جمع النّاس من دون ذكر «يوم القيامة» وهو مرادٌ: (٣٤) ﴿وَهُوَ عَلٰى جَمْعِهِمْ اِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، و(٣٥) ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَارَيْبَ فِيهِ...﴾، و(٥٣) ﴿اَيْنَ مَاتَكُونُوا يَاْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾.

٨ـ الجمع لدى الله: (٥٠) ﴿وَاِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

٩ـ مرجعهم جميعًا إلى الله: (٥٩) و(٦٠) ﴿اِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، و(٦٧) ﴿اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾.

١٠ـ حشر النّاس وبعثهم: (٥٦) ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ اِلَيْهِ جَمِيعًا﴾، (٦١و٦٢) ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، و (٦٢، ٦٣) ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ و(٨٣) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾.

١١ـ جمع الشّمس والقمر يوم القيامة: (١٠) ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

سادسًا: الجمع فعل غير الله في أُمور:

١ـ جمع النّاس الأموال بسياق واحدٍ ذمًّا: (١٩) ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، و(٢١) ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، و(٢٠) ﴿فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، و(٢) في لظى النّار

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾، و(٢) ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾. والجمع في الثلاث الأولى بصيغة المضارع الدالّ على الدوام، وفي الأخيرتين بصيغة الماضي حكاية عن عذاب النّاس يوم القيامة، بإزاء جمعهم الأموال في الدّنيا.

٢ـ جمع فرعون أنصاره وهزيمتهم: (١) ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾، و(٩) ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾، و(٢٦) ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾.

٣ـ انتصار جمع فرعون وهزيمتهم وخوفهم: (٢٩) و(٤٩) ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ و﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾، و(٤٨) ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾.

٤ـ تهديد فرعون المؤمنين بقطع الأيدي والأرجل والصّلب: (١١٤و١١٥) ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

٥ ـ جمع النّاس لحرب المسلمين في غزوة أُحد: (٨) ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾.

٦ـ عدم إغناء جمع الكفّار أنفسهم يوم القيامة والتلاعن بينهم: (٣١) ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، و(٨٦) ﴿وَبَرَزُوا جَمِيعًا ...فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا ...﴾، و(٩٦) ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ...حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾.

٧ـ أهل النّار يحبّون فداء جميع ماكان لهم ممّا في الأرض: (٥٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾، و(٧٢) ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾، و(٧٩) ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾، و(٨٥) ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ...وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

٨ـ هبوط آدم وزوجته والشّيطان جميعًا من الجنّة: (٨٨) ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾، و(٨٩) ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

٩ـ اجتماع قومي هود ونوح عليهما السلام على كيدهما: (٩١) ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾، و(٢٥) ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.

١٠ـ قول موسى لآل فرعون: (٩٢) ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

١١ـ اليهود والمنافقون قلوبهم شتّى: (٩٣) ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾.

١٢ـ سجود الملائكة إلّا إبليس بسياق واحد: (٩٨) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، و(٩٩) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، فصرّح في الثّانية بعلّة إبائه، وهي الاستكبار دون الأولى.

١٣ـ إغواء إبليس بني آدم: (١٠٠) ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(١٠١) ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١٤ـ إتيان إخوة يوسف بأهلهم: (١١٨) ﴿وَأْتُونِي

بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(٧١) ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾.

١٥ـ جمع العاديات: (٣٢) ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾.

١٦ـ عدم تأليف القلوب بإنفاق ما في الأرض: (٦٦) ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

١٧ـ اجتماع الإنس والجنّ للإتيان بمثل القرآن: (٢٧) ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾.

١٨ـ اجتماع الأصنام على خلق ذباب: (٢٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾

١٩ـ إجماع إخوة يوسف على كيدهم: (٢٣) ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ و(٢٤) ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

سابعًا: ما نُسب فيها الجمع إلى الله ـ وهي أكثرها ـ فسياقها مدح لله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وعدله في المؤمنين والكافرين في الدّنيا والآخرة. أمّا ما نُسب الجمع فيها إلى غير الله فكلّها ذمّ سوى ثلاث: (٩٨) بشأن الملائكة ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، (١١٨) بشأن إخوة يوسف ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، و(٣٢) بشأن العاديات ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، فالأولى مدح صريحًا، والأخيرتان سياقًا وليستا ذمًّا.

ثامنًا: لقد جمع الله بين الفعل والمصدر مرّتين: ماضيًا ومضارعًا في (٧) ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، و(١٥) ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾، فسوّى فيها بين الماضي والمضارع، وبين الغائب والمتكلّم، وبين المفرد والجمع.

تاسعًا: جاء (جمع) اسمًا ليوم القيامة مرّتين أيضًا، في: (١٥) ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾، و(٣٥) ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾، ونظيرها (المجموع) في (٤٦) ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾، كما جُمع بين (الجامع) و(جميعًا) مرّة في (٤١) ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، وكرّر (جميعًا) في آيتين: (٧٣) ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾، و(٩٥) ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا... فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾.

عاشرًا: وُزّعت آيات (الجمع) بين السّور المكّيّة والمدنيّة بنسبة $\frac{٧٩}{٥٠}$ أي المكّيّة زادت على المدنيّة بأزيد من نصفها، وهذه تتناسب زيادة فعل الله على فعل غيره كما سبقت، فتوصيفه تعالى بما يرجع إلى التّوحيد والمعاد في مكّة، خطابًا للمشركين المنكرين لهذين المبدئين كان أكثر وأشدّ وآكد، وهذه المادّة (الجمع) في نفسها تثير الشّدّة والبتّ في الكلام.

والجدير بالذّكر أنّ سورتين ـ مكّيّة ومدنيّة ـ وهما آل عمران والشّعراء كرّرت في كلّ منهما (٨) مرّات، وهي أعلاها عددًا، وبعدهما النّساء والمائدة: (٧) مرّات، وهكذا تتنازل إلى واحدة في (١٤) سورة كلّها مكّيّة سوى الجمعة، وهي الحجّ ـ لو كانت مكّيّة ـ والقصص والنّحل، والأنبياء، والنّمل، والسّجدة، وفاطر، والدّخان، والواقعة، والمعارج، والقيامة، والعاديات.

فيبدو أنّ تشديد الخطاب بهذه المادّة بدأ من واحد

إلى ثمانية، حسب المورد.

الحادي عشر: سورة الجمعة اختصّت بكلمة لم تكرّر في القرآن، جاءت بشأن أهمّ الصّلوات، وهي صلاة الجمعة في (يوم الجمعة) وقد سُمّي به من أجلها في الإسلام ـ على خلاف فيه ـ وكانت تسمّى في الجاهليّة (يوم العَرُوبَة).

والجُمُعة بضمّ الأوّل في الأصل بمعنى المجموع، كما سبق. وبفتحه بمعنى الجامع.

وفيها بحوثٌ:

١ـ قرؤوها (جُمْـعَة) و(جُمَـعَة) بسكون الميم وضمّها، ويجوز فتحها في غير القرآن ولم يثبت قراءتها بها وهي ـ كما قال الفرّاء ـ صفة اليوم تفيد التّكثير، كما تقول: «رجل ضُحَكة» للّذي يُكثر الضّحك.

٢ـ أوّل من صلّى الجمعة هم الأنصار قبل الهجرة، فاجتمعوا إلى سيّدهم أسعد بن زرارة فصلّى بهم يومئذ، فسمّوه يوم الجمعة. ثمّ أنزل الله آية الجمعة بعد الهجرة، وسمّيت سورة باسمها تعظيمًا لها. وسياق الآية يشهد بأنّ يوم الجمعة كان معهودًا قبلها بهذه الصّلاة، نزلت تأكيدًا على الاهتمام بها لاتشريعًا لها، وذيلها وهي ﴿وَاِذَا رَاَوْا تِجَارَةً اَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا اِلَيْهَا...﴾ شاهدٌ على ذلك أيضًا؛ حيث وبّخهم بالتّفرّق عنها إلى تجارة أو لهو.

٣ـ أوّل جمعة جمّعها النّبيّ عليه السلام في مسيره من «قبا» إلى «يثرب» فأقامها في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم فخطب فيها، وهي أوّل خُطبةٍ خطبها بعد الهجرة.

٤ـ لمّا كانت الهجرة بدو قيام النّبيّ عليه السلام بأمر السّياسة، فصلاة الجمعة من أوّل أعماله السّياسيّة، جمع فيها بين العبادة والسّياسة ـ والسّياسة في الإسلام هي بنفسها عبادة ـ فاتّخذها النّبيّ عليه السلام وسيلة لاتّصاله بالنّاس، في أوّل اجتماع سياسيّ عباديّ له، ولم يكن يتيسّر له القيام بها قبل الهجرة، كما لم يتمكّن يوم ذاك من الجهاد بالسّيف ـ وهو أهمّ عمل سياسيّ وأصعبه ـ مع كثرة الأعداء، حتّى هاجر، ولهذا فآيات القتال كلّها مدنيّة.

٥ ـ لصلاة الجمعة أحكامٌ بعضها متّفق فيها بين المذاهب الفقهيّة، وبعضها مختلف فيها. ومن أهمّ مااختلفت فيها كلمة فقهاء الشّيعة الإماميّة هي مسألة وجوبها عينًا في عصر الغيبة، لأنّها من شؤون الإمام، وقد خصّوها بتأليف رسائل مطوّلة، ولها تاريخ طويل عندهم، لاحظ بحث صلاة الجمعة، تقرير بحث أُستاذنا الأكبر آية الله البروجرديّ رحمه الله تعالى.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج م ل

٧ ألفاظ، ١١ مرّة: ٨ مكّيّة، ٣ مدنيّة

في ٩ سور: ٨ مكّيّة، ١ مدنيّة

جميل ٢: ٢ — جمال ١: ١

الجميل ١: ١ — الجمَل ١: ١

جميلًا ٤: ١ ـ ٣ — جَمالة ١: ١

جُملَةً ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الجمَل: يستحقّ هذا الاسم إذا بَزَل.

وناقةٌ جُماليّة، أي في خلق جمَل. وإذا نعتوا شيئًا من هذا النّحو إلى نعت كثر مايجيئون به على فُعاليّ، نحو صُهابيّ.

فأمّا قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ المرسلات: ٣٣، فهو الأَيْنُق السُّود، من غير أن يفرد الواحد، ولكن يقال لكلّ طائفة منها: جِمالة، والجميع: جِمالات وجمائل.

وبعض يقول: أراد جِمالًا لانوقًا فيها.

والجامل: قطيع من الإبل برعائها وأربابها كالبقر والباقر.

وجمَل البَحْر: ضَرْبٌ من السّمك.

وجُمَيْل وجُمَّلانَة: طائر من الدّخاخيل.

ومن أمثال العرب: «اتّخذ فلانٌ اللّيل جملًا» إذا سرى كلّه، أو إذا ركبتَه ومضيت.

والجُمَيْل: طائر شبيه بالعُصفور والقُنْبَر والغُرّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والجميل: الإهالة المُذابة، واسم ذلك الذّائب: الجُمالة.

والاجتمال: الادّهان بالجميل، والاجتمال أيضًا: أن تَشوي لحمًا، فكلّما وكَفَتْ إهالَتُه استودَقْتَه على خُبز، ثمّ أعدْتَه ثانيةً.

والجمال: مصدر الجميل: والفعل منه جمُل يجمُل، وقال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النّحل: ٦، أي بهاءٌ وحُسنٌ.

ويقال: جامَلْتُ فلانًا مُجامَلَةً، إذا لم تُصف له المودّة، وماسَحتَه بالجميل.

ويقال: أجمَلْتُ في الطَّلب.

والجُمْلة: جماعة كلّ شيءٍ بكماله، من الحساب وغيره.

وأجمَلتُ له الحساب والكلام: من الجملة.

وحساب الجُمَّل: ماقُطِع على حروف أبي جاد.

والجُمّل: القَلْس الغليظ.

قال مُبتكِر: الجميل: اسم للحَرّ. (٦: ١٤١)

سيبويه: الجُمَيْل: البُلْبُل: لايتكلّم به إلّا مصغّرًا، فإذا جمعوا قالوا: جِملان. (ابن سيده ٧: ٤٥٠)

الجَمال: رقّة الحُسْن، والأصل: جَمالة بالهاء، مثل صَبُحَ صَباحَة، لكنّهم حذفُوا الهاء تخفيفًا لكثرة الاستعمال. (الفَيُّوميّ ١: ١١٠)

الكِسائيّ: والجَمال: الحُسْن، وقد جَمُل الرَّجل بالضمّ جَمالًا فهو جميل، والمرأة جميلة وجَمْلاء أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجمَل القوم، أي كثرت جِمالهم.

(الجَوهَريّ ٤: ١٦٦١)

نحوه الزّجّاج. (فعلت وأفعلت: ٤٦)

أبوعمروالشّيبانيّ: جمَل أنِفٌ، إذا أوجَعَته الخِزامة فَـلِس قِياده. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٥٤)

رأيتُ جميلةً من النّعم والغنم والمال: جماعةً منه.

(١: ١١٤)

جمِلوا سَخْلَهم، إذا عَزَلوه عن أُمّهاته. (١: ١١٧)

الجُمالة: الخيل. [ثمّ استشهد بشعر]

رأيت جامل الحَيّ، وهم جماعتهم، بأموالهم وأنفسهم. (١: ١٢٨)

الجميل: الإهالة. (١: ١٣٣)

الجمَل المَحْجوم: الّذي يُربَط لَحْياهُ بِنِسْعَةٍ حتّى يبقى له قدر مايأكل، مخافة أن يَعَضّ. (١: ١٦٦)

جَمَلٌ خَشِبٌ: طويل القوائم. (١: ٢٣٠)

الجميلة: جميلة الظِّباء والحمام، وهي جماعتها.

الجمَل: سمكة تكون في البحر، ولاتكون في العَذْب.

(الأزهَريّ ١١: ١٠٨)

الفَرّاء: الجمَل: الكُبَع[1].

جَمَلْتُ الشّحم أجمُلُه جَمْلًا، ويقال: أجملته ـ وجَمَلت أجود ـ واجتمَل الرّجل. [ثمّ استشهد بشعر]

المُجامِل: الّذي يقدر على جوابك، فيتركه إبقاءً على مودّتك. والمُجامِل: الّذي لايقدر على جوابك فيتركه، ويحقد عليك إلى وقت مّا.

(الأزهَريّ ١١: ١٠٩)

(جِمالات): جمع جمَل، والجِمالات: ماجُمع من الحِبال والقُلُوس. (ابن فارِس ١: ٤٨١)

أبوعُبَيْدَة: رجل جميل وجُمّال.

(إصلاح المنطق: ١٠٨)

أبوزَيْد: جمّل الله عليك تجميلًا، إذا دَعَوْت له أن يجعله الله جميلًا حسنًا. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١١: ١٠٨)

الأصمَعيّ: [في حديث عاصم بن أبي النّجود:] «لقد أدركتُ أقوامًا يتّخذون هذا اللّيل جَمَلًا،

---

(١) حوت، يدعى أيضًا: سمك البحر.

يشربون النّبيذ ويلبسون المُعصفر، منهم زرّ وأبووائل».

يقال للرّجل: إذا أحيا ليلة بالصّلاة أو سواها حتّى أصبح: قد اتّخذ اللّيل جملًا. (أبوعُبَيْد ٢: ٤٥٤)

الجُمالة: الخِرقة تُنزَل بها القِدر. (الثّعالبيّ: ٢٣٦)

اللّحيانيّ: وقد جمُل جَمالًا، فهو جميل، وجُمال بالتّخفيف.

اجْمُل إن كنت جاملًا. (ابن سيده ٧: ٤٥٠)

أبوعُبَيْد: عن النّبيّ ﷺ، قال: «إن جاءت به أُصيهِب أُثَيْبج حَمْش السّاقين، فهو لزوجها، وإن جاءت به أورق جعدًا جُماليًّا خَدلّج السّاقين سابغ الإليتين، فهو للّذي رميت به».

قوله: الجُماليّ، فإنّهم يروونها هكذا بفتح الجيم يذهبون إلى الجمال، وليس هذا من الجمال في شيء. ولو أراد ذلك لقال: جميل، ولكنّه «جُماليّ» بضمّ الجيم، يعني أنّه عظيم الخلق، شُبّه خَلقه بخلق الجمَل، ولهذا قيل للنّاقة: جُماليّة، لأنّها تُشبّه بالفحل من الإبل في عِظَم الخَلق. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٦٠)

في حديث عمر حين قال: «لعن الله فلانًا ألم يعلم أنّ رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود، حُرّمت عليهم الشّحوم، فجملوها فباعوها؟» قوله: جملوها، يعني أذابوها، وفيه لغتان، يقال: جملْتُ الشّحم وأجملته، إذا أذبته؛ واجتملته أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١١٣)

ابن الأعرابيّ: الجامل: الجِمال.

الجمَل: الكَبَع. (الأزهَريّ ١١: ١٠٨)

الجميل: المَرَق، وماأُذيب من شحم أو إهالة، فهو جميل. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١١: ١١٠)

ابن السّكّيت: ويقال للإبل إذا لم تكن فيها أُنثى وكانت ذُكورة: هذه جِمالة بني فلان. (٦٧)

ويقال: أجملْتُ الحساب أُجمله إجمالًا، وأجمل فلان في صنيعه يُجمِل إجمالًا، وجَملْتُ الشّحم والألية واجتملتُ، إذا أذبْتَها. (إصلاح المنطق: ٢٥١)

ويقال: قد أجمل الحساب يُجمِله إجمالًا، وأجمَل في صنيعته يُجمِل إجمالًا، وقد جمَل الشّحم يَجْمله جَملًا، إذا أذابه، وقد أجمل الرّجل، إذا أذاب الشّحم والألية؛ ويقال لما أُذيب منه: الجميل. [ثمّ استشهد بشعر] (إصلاح المنطق: ٢٧٠)

استجمل البعير، إذا صار جَملًا، ويسمّى جَملًا إذا أربع. واستقرَم بكْر فُلان: إذا صار قَرْمًا. (الأزهَريّ ١١: ١١٠)

شَمِر: الجمَل والنّاقة بمنزلة: الرّجل والمرأة. (الأزهَريّ ١١: ١٠٦)

أبوالهَيْثَم: قال أعرابيّ: الجامل: الحيّ العظيم، وأنكر أن يكون الجامل: الجِمال. [ثمّ استشهد بشعر] ولم يضع الأعرابيّ شيئًا في إنكاره أنّ الجامل الجِمال. (الأزهَريّ ١١: ١٠٨)

الزّجّاج: جَملْتُ الشّحم جَملًا، إذا أذبْته، وأجملْتُ الأمر إجمالًا، إذا أتيت فيه بالجميل. (فعلت وأفعلت: ٩)

ابن دُرَيْد: والجمَل معروف، والجمع: جِمال وجامل وأجمال وجمائل، وقد قالوا: جَمّال وجَمّالة، كما قالوا: حَمّار وحَمّارة، كلام عربيّ صحيح. [ثمّ استشهد بشعر]

والجميل: ضدّ القبيح، والجَمال: ضدّ القُبح. ورجل

حُسّان: جُمّال، وامرأة حُسّانة: جُمّالة.

والجُمّل: الحبل من القنّب الغليظ، هكذا فُسّر في قراءة من قرأ (حَتّٰى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) الأعراف: ٤٠، والله أعلم.

والجُميل: طائر معروف من خِشاش الطّير.

وجمل البحر: حوت من حيتانه.

وجُمل: اسم امرأة.

والجَميل: الشّحم المُذاب. [ثمّ ذكر حديث النّبيّ المتقدّم]

وقالت امرأة من العرب لابنتها: تجمّلي وتعفّفي، أي كُلي الجميل واشربي العُفافة، وهو مابقي في الضّرع من اللّبن.

وأجملتُ الشّيء إجمالًا، إذا جمعْتَه عن تفرقة. وأكثر مايُستعمل ذلك في الكلام الموجز، يقال: أجمل فلان الجواب.

وأمّا الجُمّل من الحساب فلاأحسبه عربيًّا صحيحًا.

وجَومَل: اسم امرأة، الواو زائدة.

ويقال: جمالَك إن تفعل كذا وكذا، أي لاتفعلْه والزَم الأمر الجميل. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: اتّبعْ ماهو أجمل واسْتَرِح.

وقد سمّت العرب جميلًا وجُمَيلًا. (٢: ١١٠)

والجُمّل من قولهم: حساب الجُمّل، وأحسبها داخلة في العربيّة.

والجُمّل: حبل غليظٌ تُشدّ به السُّفن. (٣: ٣٥٢)

وجُمّيل: طائرٌ، وقالوا: جُميل. (٣: ٤٢١)

باب «فَعَل» يجمع على «فِعال»...مثل جَمَل وجِمال، ويُجمع على «فِعالة» مثل جمَل وجِمالة. (٣: ٥١٢)

الأزهَريّ: [نقل قول أبي عمرو وأضاف:]

وكأنّ الجُملَة مأخوذة من الجميلة.

[وقيل:] الجامل: قطيع من الإبل، معها رُعْيانُها وأربابها كالبقر والباقر. (١١: ١٠٨)

[نقل قول ابن الأعرابيّ وأضاف:]

أراد بالجمَل والكُبَع: سمكة بحريّة تُدعى الجمَل.

[ثمّ استشهد بشعر]

وفي حديث الملاعنة أنّه قال النّبيّ: «إن جاءت به أُمّه أوْرَق جَعْدًا جُماليًّا فهو لفلان».

والجُماليّ: الضّخم الأعضاء التّامّ الأوصال، وناقة جُماليّة، كأنّها جمَل عِظَمًا. [ثمّ استشهد بشعر]

يُجْمع جُمَيْل: جُملانًا. (١١: ١٠٩)

[وقيل:] جمّلت الجيش تجميلًا، وجمّرته تجْميرًا، إذا أطلْت حَبْسه. (١١: ١١٠)

الفارسيّ: جمع الجمَل: أجمال وجِمال وجُمْل وجِمالة وجمائل. [ثمّ استشهد بشعر]

(ابن سيده ٧: ٤٤٧)

الصّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والجامِل: قطيعٌ من الإبل معها رُعاتها.

وأجمَل القوم: كثرت جِمالهم.

ويقولون: «اتّخذ اللّيل جمَلًا» إذا رَكِب اللّيل.

وجمَلْتُ الشّحم وأجملْته ـ بمعنًى ـ أي أذبْتُه.

والجمال: مصدر الجميل، والفعل: جَمُل، وجامَلْتُه مُجامَلةً، وأجملتُ في الطّلب، ورجل جُمّالٌ: مثل حُسّان.

والجُملَة: جماعة كلّ شيءٍ بكماله من الحساب

وغيره، يقال: أجمَلتُ الحساب.

وحساب الجُمَل: للهِنْد بالتّخفيف، وتُشدَّد الميم أيضًا.

والجميلة من الظّباء والحَمام: الجماعة، وكأنّها «فَعيلة» من أُجْمِلَتْ، أي جُمِعَت جُملَة.

والجميل: فرج المرأة.

والجُمَّل: القَلْس الغليظ، وقد قُرئ: (حَتَّىٰ يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ). (٧: ١٢١)

الجَوهَريّ: والجامِل: القطيع من الإبل مع رُعاته وأربابه. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَمَّالة: أصحاب الجِمال، مثل الخَيّالة والحَمّارة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجُمّال بالضّمّ والتّشديد: أجْمَل من الجَميل.

ويقال للشّحم المذاب: جميل.

وجُمَيل: طائر جاء مصغّرًا، والجمع: جِملان، مثال كُمَيْتٍ وكِمْتان.

وجُمْل: اسم امرأة.

والجُمْلَة: واحدة الجُمَل.

وقد أجمَلتُ الحساب، إذا رَددته إلى الجُمْلَة.

وأجملت الصّنيعة عند فلان، وأجمَل في صنيعه.

والمُجامَلة: المعاملة بالجَميل.

ورجل جُمّاليّ بالضّمّ والياء مشدّدة، أي عظيم الخلق. وناقة جُمّاليّة: تُشبّه بالفحل من الإبل في عِظَم الخلق. [ثمّ استشهد بشعر]

وحساب الجُمَّل بتشديد الميم.

والجُمَّل أيضًا: حبل السّفينة الّذي يقال له: القَلْس، وهو حبالٌ مجموعة. وبه قرأ ابن عبّاس رضي الله عنهما: (حَتَّىٰ يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ).

وجَمَّله، أي زيّنه.

والتّجمّل: تكلّف الجميل.

وتجمّل، أي أكل الجميل، وهو الشّحم المذاب. قالت امرأة لابنتها: «تجمّلي وتعفّفي» أي كُلي الشّحم واشربي العُفافة، وهي مابقي في الضّرع من اللّبن. (٤: ١٦٦١)

ابن فارِس: الجيم والميم واللّام أصلان: أحدهما: تجمُّع وعِظَم الخلق، والآخرة: حُسْن.

فالأوّل: قولك: أجمَلتُ الشّيء، وهذه جملة الشّيء. وأجمَلتُه: حصّلته، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ الفرقان: ٣٢.

ويجوز أن يكون «الجَمَل» من هذا، لعِظَم خلقه.

والأصل الآخر: الجَمال، وهو ضدّ القبح، ورجل جميل وجُمال. قال ابن قُتَيبة: أصله من الجميل، وهو وَدَك الشّحم المُذاب. يراد أنّ ماء السِّمن يجري في وجهه. ويقال: جَمالَك أن تفعل كذا، أي اجْمُل ولاتفعله. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٤٨١)

أبوهِلال: الفرق بين الإحسان والإجمال: أنّ الإجمال هو الإحسان الظّاهر، من قولك: رجل جميل، كأنّما يجري فيه السِّمن، وأصل الجميل: الوَدَك.

واجتمل الرّجل، إذا طبخ العظام ليخرج وَدَكها.

ويقال: أحسن إليه، فيُعدّى بـ«إلى» وأجمل في أمره، لأنّه فعل الجميل في أمره.

ويقال: أنعم عليه، لأنّه دخله معنى علوّ نعمة عليه،

فهي غامرة له، ولذلك يقال: هو غريق في النّعمة، ولايقال: غريق في الإحسان والإجمال.

ويقال: أجمل الحساب، فيعدّى ذلك بنفسه، لأنّه مضمّن بمفعول ينبئ عنه من غير وسيلة.

وقد يكون الإحسان مثل الإجمال في استحقاق الحمد به، وكما يجوز أن يحسن الإنسان إلى نفسه يجوز أن يجمّل في فعله لنفسه. (١٥٩)

الفرق بين الجمال والسّرْو: أنّ السّرْو هو الجودة، والسّريّ من كلّ شيء: الجيّد منه، يقال: طعام سريّ وفرس سريّ، وكلّ مافضل جنسه فهو سريّ.

وسُراة القوم: وجوههم لفضلهم عليهم، ولايوصف الله تعالى بالسّرْو، كما لايوصف بالجودة والفضل.

الفرق بين الحسن والجمال: أنّ الجمال هو مايشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق، ومن كثرة المال والجسم، وليس هو من الحسن في شيء. ألاترى أنّه يقال: لك في هذا الأمر جمال، ولايقال: لك فيه حسن، وفي القرآن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النّحل: ٦، يعني الخيل والإبل.

والحسن في الأصل: الصّورة، ثمّ استعمل في الأفعال والأخلاق. والجمال في الأصل: للأفعال والأخلاق والأحوال الظّاهرة، ثمّ استعمل في الصّور.

وأصل الجمال في العربيّة: العِظَم، ومنه قيل: الجملة، لأنّها أعظم من التّفاريق. والجُمّل: الحبل الغليظ، والجمل سمّي جملًا لِعظَم خلقته، ومنه قيل للشّحم المذاب: جميل، لعظم نفعه.

الفرق بين الجمال والنُّبل: أنّ النُّبل هو مايرتفع به الإنسان من الرّواء ومن المنظر ومن الأخلاق والأفعال، وممّا يختصّ به من ذلك في نفسه دون مايضاف، يقال: رجل نبيل في فعله ومنظره، وفرسٌ نبيلٌ في حسنه وتمامه.

والجمال يكون في ذلك وفي المال وفي العشيرة والأحوال الظّاهرة، فهو أعمّ من النُّبل. ألاترى أنّه يقال: لك في المال والعشيرة جمال ولايقال: لك في المال نُبل، ولاهو نبيل في ماله.

والجمال أيضًا يستعمل في موضع الحُسن، فيقال: وجهٌ جميل، كما يقال: وجهٌ حسنٌ، ولايقال: نبيل بهذا المعنى.

ويجوز أن يكون معنى قولهم: وجه جميل، أنّه يجري فيه السّمن، ويكون اشتقاقه من الجميل، وهو الشّحم المذاب.

الفرق بين الجمال والبَهاء: أنّ البَهاء: جهارة المنظر، يقال: رجل بهيٌّ، إذا كان مُجهر المنظر وليس هو في شيء من الحسن والجمال. قال ابن دُرَيْد: بَهيَ يبهَى بهاء من النُّبل، وقال الزّجّاج: من الحسن، و[الحقّ] الّذي قال ابن دُرَيْد: ألاترى أنّه يقال: شيخ بَهيّ، ولايقال: غلام بَهيّ.

ويقال: بهاؤه بالتّمر، إذا أنست به، وناقة بهاء، إذا أنست بالحالب. (٢١٧)

الثّعالبيّ: إذا كانت بها مَسْحَة من جمال، فهي وضيئة وجميلة. (٨١)

ابن سيده: الجمَل: الذّكر من الإبل، وقيل: إنّما يكون جمَلًا إذا أربع، وقيل: إذا أجذَع، وقيل: إذا بزَل، وقيل: إذا أثنى. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد أوقعوا الجمَل على النّاقة، فقالوا: شربت لبن جملي، وهذا نادر ولاأُحقُّه.

وقيل: الجِمالة: الطّائفة من الجِمال، وقيل: هي القطعة من النُّوق لاجمَل فيها.

وكذلك: الجَمالة، والجُمالة، عن ابن الأعرابيّ.

والجامل: اسم للجمع، كالباقر والكالب.

وقالوا: الجَمّال والجَمّالة، كقولهم: الحَمّار والحَمّارة.

ورجل جامل: ذو جمَل.

وأجمَل القوم: كثرت جِمالهم.

واستجْمل البعير: صار جمَلًا.

وجمّل الجمَل: عزَله عن الطّروقة.

وناقة جُماليّة: وثيقة تُشبه الجمَل في خلقتها وشدّتها. [ثمّ استشهد بشعر]

واتّخذ اللّيل جمَلًا، إذا ركب في حاجته، وهو على المثَل. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمَل البحر: سمكة من سمكه، قيل: طولها ثلاثون ذراعًا.

والجُمَيْل، والجُمْلانة، والجُمَيْلانة: طائر من الدّخاخيل.

والجَمال: الحُسْن، يكون في الفعل والخلق.

[ثمّ نقل كلام اللّحيانيّ: وقد جمُل جمالًا... وأضاف]

وجُمّال، الأخيرة لا تُكسّر.

وامرأة جَمْلاء: جميلة، وهي أحد ماجاء من «فعلاء» لا«أفعل» لها. [ثمّ استشهد بشعر]

وجامَل الرّجل: لم يُصفه الإخاء، وماسحه بالجميل.

وقال اللّحيانيّ: أجْمِل إن كنت جاملًا.

فإذا ذهبوا إلى الحال قالوا: إنّه لجميل.

وجَمالَك ألّا تفعل كذا وكذا، أي لاتفعَلْه والزم الأمر الأجمل.

وأجمَل في طلب الشّيء: اتّأد واعتدل فلم يُفرِط. [ثمّ استشهد بشعر]

وجمَل الشّيء: جمَعَه.

والجميل: الشّحم يذاب ثمّ يُجمَل، أي يجمع.

وقيل: الجميل: الشّحم يذاب، فكلّما قطَر وُكّف على الخبْز ثمّ أُعيد.

وقد جمَله يجمُله جمْلًا، وأجمَله: أذابه؛ واجتَمله: كاشتواه.

وقالت امرأة من العرب لابنتها: «تجمّلي وتعفّفي» أي كُلي الجميل واشربي العُفافة، وهو باقي اللّبن في الضّرع، على تحويل التّضعيف.

والجَمول: المرأة الّتي تُذيب الشّحم، وقالت امرأة لرجل تدعو عليه: «جمَلك الله» أي أذابك كما يُذاب الشّحم. [ثمّ استشهد بشعر]

والجملة: جماعة الشّيء، واجمَل الشّيء: جمعه عن تفرقة، وأكثر مايستعمل في الكلام الموجز. واجمَل له الحساب: كذلك.

وحساب الجُمّل: الحروف المقطّعة على أبي جاد، قال ابن دُرَيْد: لاأحسبه عربيًّا.

وقال بعضهم: هو حساب الجُمل، بالتّخفيف، ولستُ منه على ثقة.

والجُمّل: القَلْس، وهي حبال السّفينة.

والجُمَّل: الجماعة من النّاس.

وجُمْل، وجَوْمل: اسم امرأة.

وجَمال: اسم بنت أبي مسافر. (٧: ٤٤٧)

وجميل، وجُمَيل: اسمان.

الجَمال: الحُسن في الخُلُق والخَلْق، وقيل: الجمال: رقّة الحُسن، وقيل: صفة تُلحَظ في الأشياء، وتبعث في النّفس رضًا وسرورًا.

جمُل الشّيء جَمالًا، فهو جميل وجُمال وجُمّال، وهي جميلة وجَمْلاء.

وجمّله: زيّنه فتجمّل. (الإفصاح ١: ١٢٢)

الرّاغِب: الجمال: الحُسن الكثير، وذلك ضربان: أحدهما: جمال يختصّ الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فِعْله، والثّاني: مايُوصَل منه إلى غيره.

وعلى هذا الوجه ماروي عنه ﷺ أنّه قال: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» تنبيهًا أنّه منه تفيض الخيرات الكثيرة فيُحِبّ من يختصّ بذلك. وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ النّحل: ٦.

ويقال: جميل وجُمال وجُمّال على التّكثير، قال الله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ١٨، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ المعارج: ٥، وقد جامَلتُ فلانًا وأجمَلت في كذا، وجمالَك، أي أجمِل.

واعتُبِر منه معنى الكثرة، فقيل لكلّ جماعة غير منفصلة: جُمْلَة، ومنه قيل للحساب الّذي لم يُفصَّل والكلام الّذي لم يُبيَّن تفصيله: مُجمَل. وقد أجمَلتُ الحساب وأجمَلتُ في الكلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ الفرقان: ٣٢، أي مُجتمعًا، لا كما أُنزل نجُومًا مُفترقَة.

وقول الفقهاء: المُجمَل: مايحتاج إلى بيان، فليس بحدّ له ولاتفسير، وإنّما هو ذكر أحد أحوال بعض النّاس معه، والشّيء يجب أن تُبيّن صفته في نفسه الّتي بها يتميّز، وحقيقة المُجمَل: هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير مُلَخّصة.

والجمَل يقال: للبعير إذا بَزَل، وجمعه: جِمال وأجمال وجِمالة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الأعراف: ٤٠، وقوله: (جِمَالاتٌ صُفْرٌ) المرسلات: ٣٣، جمع جِمالة، والجِمالة: جمع جمَل، وقُرئ (جُمالاتٌ) بالضّمّ، وقيل: هي القُلُوص.

والجامل: قِطْعة من الإبل معها راعيها كالباقر.

وقولهم: «اتّخذ اللّيل جمَلًا» فاستعارة، كقولهم: «ركب اللّيل» وتسمية الجمَل بذلك، يجوز أن يكون لما قد أشار إليه بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ النّحل: ٦، لأنّهم كانوا يعدّون ذلك جمالًا لهم.

وجمَلتُ الشّحم: أذبْتُه، والجميل: الشّحم المُذاب، والاجتمال: الادّهان به. وقالت امرأة لبنتها: تجمّلي وتعفّفي أي كُلي الجميل واشربي العُفافة. (٩٧)

الزّمَخْشَريّ: فلان يعامل النّاس بالجميل، وجامَل صاحبه مجاملة، وعليك بالمداراة والمجاملة مع النّاس. وتقول: إذا لم يجمّلك مالُك، لم يُجْدِ عليك جَمالُك. وأجمَل في الطّلب، إذا لم يَحرِص. وإذا أُصبت بنائبة فتجمّلْ، أي تصبّر. وجمالَكَ ياهذا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجمَل الحساب والكلام ثمّ فصّله وبيّنه. وتعلّم حساب الجُمَّل. وأخذ الشّيء جُمْلَة. وجمَل الشّحم:

أذابه. واجتَمل وتجمّل: أكل الجميل وهو الوَدَكَ. واجتَملَ، إذا استوكَفَ إهالة الشّحم على الخبز، وهو يُعيده إلى النّار. وقالت أعرابيّة لبنتها: تجمّلي وتعفّفي، أي كُلي الجميل واشربي العُفافة، أي بقيّة اللّبن في الضّرع. وتقول: خذ الجميل وأعطني الجُهالة، وهي الصُّهارة.

واستجمل البعير: صار جَمَلًا، لايسمّى جملًا إلّا إذا بَزَل. وناقة جُماليّة: في خلق الجمل، ألاترى إلى قوله: كأنّها جَمَلٌ وَهْمٌ ضخم. ورجل جُماليّ: عظيم الخلق ضخم.

ومن المجاز: اتّخذ اللّيل جَمَلًا. (أساس البلاغة:٦٤)

النّبي ﷺ، حضّ على الصّدقة، فقام رجل قبيح السُّنّة صغير القِمّة يقود ناقةً حسناء جَمْلاء، فقال: هذه صدقة.

الجَمْلاء: الجميلة، وهي «فَعْلاء» الّتي لا«أفعل» لها، كديمة هَطْلاء. (الفائق ٢: ٢٠١)

المَدينيّ: في حديث عائشة: «وسألتها امرأة: أزُمّ جَمَلي»؟ أي أصُبِّه عن إتيان النّساء غيري، تريد بالجَمَل الزّوج، كَنَتْ به عنه، لأنّ الجمل الذّكر من الإبل، وقيل: إنّما يستحقّ هذا الاسم إذا بَزَل.

في حديث أبي عُبَيْدَة رضي الله عنه: «حين أذن في جمل البحر». قال أبونصر صاحب الأصمعيّ: هو سمكة ضَخْمَة. [ثمّ استشهد بشعر]

في حديث عمر: «لكلّ أُناس في جُمَيلهم خُبْر»، ويروى: «في بعيرهم»، وهو مثل يُضرب في معرفة كلّ قوم بصاحبهم. (١: ٣٥٢)

ابن الأثير: في حديث القَدَر: «كتاب فيه أسماء أهل الجنّة وأهل النّار أُجْمِل على آخرهم، فلايُزاد فيهم ولاينقص». أجملتُ الحساب، إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده، أي أُحصوا وجُمعوا، فلايُزاد فيهم ولاينقص.

ومنه الحديث: «يأتوننا بالسِّقاء يَجْمُلون فيه الوَدَك» هكذا جاء في رواية، ويُروى بالحاء المهملة. وعند الأكثرين «يجعلون فيه الوَدَك».

ومنه حديث فَضالة: «كيف أنتم إذا قعد الجُملاء على المنابر، يقضُون بالهوى ويقتلون بالغضب» الجُملاء: الضّخام الخلق، كأنّه جمع جميل، والجميل: الشّحم المذاب.

وفيه: «هَمّ النّاس بنحر بعض جمائلهم» هي جمع جمل، وقيل: جمع جمالة، وجمالة: جمع جمَل، كرسالة ورَسائل، وهو الأشبه.

وفي حديث أبي عُبَيْدَة: «أنّه أذن في جمَل البحر» هو سمكة ضَخْمَة شبيهة بالجمَل، يقال لها: جمَل البحر. (١: ٢٩٧)

الفَيّوميّ: الجمَل: من الإبل بمنزلة الرّجل، يختصّ بالذّكر، قالوا: ولايسمّى بذلك إلّا إذا بَزَل. وجمعه: جِمال وأجمال وأجْمُل وجِمالة بالهاء، وجمع الجِمال: جِمالات.

وجَمُل الرّجل بالضّمّ والكسر جَمالًا فهو جميل، وامرأةٌ جميلة.

وتجمّل تجمُّلًا، بمعنى تزيّنَ وتحسّن إذا اجتلَب البهاء والإضاءة.

وأجملتُ الشّيء إجمالًا: جمعتُه من غير تفصيل، وأجملتُ في الطّلب: رَفَقْتُ.

ورجل جُماليّ، بضمّ الجيم: عظيم الخَلق. وقيل: طويل الجسم. (١: ١١٠)

الجُرجانيّ: الجمال من الصّفات: مايتعلّق بالرّضا واللّطف. (٣٥)

الفيروزاباديّ: الجَمَل محرّكة ويُسكّن ميمه معروف، وشذّ للأُنثى فقيل: شَرِبْت لبَن جمَلي، أو هو جمَلٌ إذا أربَع أو أجذَعَ أو بَزَل أو أثنى، الجمع: أجمال وجامِل وجُمْل بالضّمّ وجِمال بالكسر وجِمالَة وجِمالاتٌ مُثلّثَيْن وجمائِل وأجامِل.

والجامِل: القطيع منها برُعاتِه وأربابه، والحيّ العظيم.

وكثُمامة: الطّائفة منها أو القطيع من النّوق لاجمَل فيها ويُثلّث، والخيل، الجمع: جُمال، نادر. [ثمّ استشهد بشعر]

والجَميل: الشّحم الذّائب.

واستجمَل البعير: صار جمَلًا، والجمّالة مُشدّدة: أصحابها، وناقة جُماليّة بالضّمّ: وثيقة كالجمَل، ورجل جُماليّ أيضًا.

والجمَل محرّكةً: النّخل، وسمكة طولها ثلاثون ذراعًا.

وفي المثل: «اتّخذ اللّيل جملًا» أي سَرى.

وكزُبير وقُبّيط والجُمْلانَة والجُمَيْلانَة بضمّها: البُلْبُل.

والجمال: الحُسْن في الخُلُق والخَلْق، جمُل ككرُم فهو جميل، كأمير وغُراب ورُمّان.

والجَمْلاء: الجميلة والتّامّة الجسم من كلّ حيوان.

وتجمّل: تزيّن وأكل الشّحم المُذاب.

وجامَلَه: لم يُصْفِهِ الإخاء بل ماسَحه بالجميل أو أحْسَن عِشْرَته.

وجمالَكَ أن لاتَفعَل كذا إغراء، أي الزَم الأجمَل ولاتَفعَل ذلك.

وجمَل: جَمَع، والشّحم: أذابه كأجمَلَه واجتَمَلَه.

وأجمَل في الطّلب: اتّأدَ واعتدَل فلم يُفرِط، والشّيء: جمعَه عن تَفرِقة، والحساب: رَدّهُ إلى الجملة، والصّنيعَة: حسّنها وكثّرها.

وكأمير: الشّحم يُذاب فيُجمَع، ودَرْبُ جميل ببغداد، والجملة بالضّمّ: جماعة الشّيء.

وكسُكّر وصُرَد وقُفْل وعُنُق وجبَل: حَبْل السّفينة وقرئ بهنّ (حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ) الأعراف: ٤٠.

وكسُكّر: حساب الجُمّل وقد يُخفّف.

وكصُحُف: الجماعة منّا.

وجمّله تجميلًا: زيّنه، والجَيْش: أطال حَبسَهم.

وكسفينة: الجماعة من الظّباء والحمام.

وسمّوا جَمالًا كسحاب، وجبَل وأمير. (٣: ٣٦١)

الطُّرَيحيّ: وفي الحديث: «أجمِلوا في الطّلب» أي لايكون كدّكم فيه كدًّا فاحشًا.

وهو يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المراد اتّقوا الله في هذا الكدّ الفاحش، أي لاتقيموا عليه، كما تقول: اتّقوا الله في فعل كذا، أي لاتفعله.

الثّاني: أن يكون المراد أنكم إن اتّقيتم الله لاتحتاجون إلى هذا الكدّ والتّعب، ويكون إشارةً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطّلاق: ٢، ٣.

وفيه: «احلقْ فإنّه يزيد في جمالك» أي في تجمّلك وحسنك..

ومثله «حَلقُ الرّأس مُثلة لأعدائكم وجمال لكم» يعني هكذا في الملإ يُرى.

وفيه: «إنّ الله يحبّ الجمال والتّجمّل».

الجمال: يقع على الصّور والمعاني، ومنه: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» أي حسَن الأفعال كامل الأوصاف.

والتّجمّل: تكلّف الجميل.

وفي حديث الإسراء «ثمّ عُرِضَت له امرأة حَسْناء جَمْلاء» أي مليحة جميلة. ولافعل لها من لفظها.

والجمالان من المرأة: الشّعر والوجه.

وأيّام الجَمَل: زمان مقاتلة عليّ عليه السلام وعائشة بالبصرة، وسمّيت بها لأنّها كانت على جمل حينذاك.

وأصحاب الجَمَل، يعني عسكر عائشة.

وأجملتُ الحساب، إذا رددته عن التّفصيل إلى الجملة. ومعناه أنّ الإجمال وقع على ما انتهى إليه التّفصيل.

وحساب الجُمل بضمّ الجيم مخفّفًا ومشدّدًا: ماقُطّع على حروف «أبجدْ هَوّزْ حُطّي كلَمَنْ سَعفَصْ قَرَشَتْ ثَخذْ ضَظَغ».

الألف واحد، والباء اثنان، والجيم ثلاثة.

ثمّ كذلك إلى الياء، وهي عشرة.

ثمّ الكاف عشرون، واللّام ثلاثون، والميم أربعون.

ثمّ كذلك إلى القاف وهي مئة.

ثمّ الرّاء مئتان، ثمّ الشّين ثلاثمئة ثمّ التّاء أربعمئة.

ثمّ كذلك إلى الغين وهي ألف وهكذا. أيضًا وردت به الرّواية عن أبي عبد الله عليه السلام؛ حيث قال: «الألِفُ واحد، والباء اثنان، والجيم ثلاثة، والدّال أربعة، والهاء خمسة، والواو ستّة، والزّاء سبعة، والحاء ثمانية، والطّاء تسعة، والياء عشرة، والكاف عشرون، واللّام ثلاثون، والميم أربعون، والنّون خمسون، والسّين ستّون، والعين سبعون، والفاء ثمانون، والصّاد تسعون، والقاف مئة، والرّاء مئتان، والشّين ثلاثمئة، والتّاء أربعمئة» إلى هنا، ولم يذكر البواقي، ولعلّ إهماله إيّاها لوضوح الأمر فيها.

وقد أجرى هذا الحساب في مقاطع أصابع اليدين العشرة بعدّ مراتب الأعداد الأربعة، فإن يُعبّر في المقطع الأوّل عن الواحد، وبالثّاني عن الاثنين، وبالثّالث عن الثّلاثة، وهكذا.

ومنه الحديث: «أسلَم أبوطالب بحساب الجُمَل، وعقد بيده ثلاثًا وستّين، أي عقد على خِنصِره، وبِنصِره، الوسطى، ووضع إبهامه عليها، وأرسل السّبّابة. وقال: لاإله إلّا الله محمّد رسول الله».

ولاشكّ أنّ هذه الهيئة من قبض اليد هيئة من عقد على ثلاثة وستّين بحساب الجُمل. فإنّا لو عبّرنا عن العقد الأوّل بعشرين، والثّاني بثلاثين، والثّالث بأربعين، والرّابع بخمسين، والخامس بستّين، يبق ممّا عدا السّبعة ثلاثة عقود، وهي تمام ماذكر من العدد فيتمّ المطلوب.

ويكون حاصل الكلام: أسلم أبوطالب بحساب الجُمل إسلامًا محكمًا، هيئة من عقد على يده ثلاث وستّين بحساب الجُمل.

وربّما كان إرساله للسّبّابة ـ على ما في بعض الأخبار ـ ليشير بها إلى جهة الحقّ عند ذكر الجلالة، ليتحقّق التّوكيد، ويطابق القول الاعتقاد.

وفي حديث الصّادق عليه السلام: «وقد سُئل إنّ أبا طالب أسلم بحساب الجُمل؟ قال: بكلّ لسان».

وفي كتاب «كمال الدّين» لابن بابويه، وحكى عن أبي القاسم بن روح قدّس سرّه، قال: في الحديث الّذي روي في أبي طالب أنّه أسلم بحساب الجُمل وعقد بيده ثلاثة وستّين: «إنّ معناه إلهٌ أحَدٌ جَوَادٌ» انتهى.

ومَن تدبّر حروفها بالحساب المذكور وجدها كذلك، وقد بيّنّاه في «عقد».

وفي كتاب «المناقب» لابن شهر آشوب: روى شعبة عن قَتادَة عن الحسَن في حديث طويل، وفيه: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ياعمّ إنّك تخاف علىّ أذى أعاديّ ولاتخاف على نفسك عذابَ رَبّي! فضحك أبوطالب، وقال: يامحمّد دعوتني وزعمتَ أنّك ناصحي، ولقد صدقت وكنت قدمًا أمينًا. وعقَد على ثلاثٍ وستّين، عقَد الخِنصِر والبِنصِر، وعقَد الإبهام على إصبعه الوسطى، يقول: لاإله إلّا الله محمّد رسول الله».

وفي حديث سفيان الثّوريّ بسنده إلى أبي ذرّ الغفاريّ، قال: «والله الّذي لاإله إلّا هو مامات أبوطالب حتّى آمن بلسان الحبشة، قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: يامحمّد أتفقه لسان الحبشة؟ قال: ياعمّ إنّ الله علّمني جميع الكلام. قال: يامحمّد اسدن لمصافاطالاها، يعني أشهد مُخلِصًا لاإله إلّا الله. فبكى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقال: إنّ الله قد أقرّ عيني بأبي طالب».

وأجمَلتُ الصّنيعة عند فلان: فعلت عنده فعلًا محمودًا. وأجملَ في صنيعه كذلك.

والمُجمَل من القرآن وغيره: خلاف المبيَّن كالمشترك والمأوّل.

والمُجامَلة: حُسن الصّنيعة مع النّاس، والمعاملة بالجميل، ومنه: «وعليكم بمُجاملة أهل الباطل».

(٥: ٣٤٢)

مَجْمَعُ اللُّغة: الجمال: البهاء ورقّة الحُسن.

والصّبر الجميل: الّذي لاتبرّم معه.

والصّفح الجميل: الّذي لاعَتْب فيه.

والسّراح الجميل: ماكان مصحوبًا بإحسان، وهو كناية عن الطّلاق، وله حدود بُيّنت في كتب الفقه.

والهَجْر الجميل: الّذي لاأذى معه.

الجمَل: الذّكر من الإبل إذا بلغ سنًّا مُعيّنة، وجمعه: جِمال وجِمالة، وورد الجمع في القرآن على: جِمالة.

الجُملة: جماعة كلّ شيء بكماله. (١: ٢٠٨)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ١١١)

محمود شيت: أ ـ الجمَل: الكبير من الإبل، واسطة النّقل في الصّحراء.

ب ـ جَمّال: صاحب الجمَل، والعامل عليه.

ج ـ إجماليّ: يقال تدريب إجماليّ: تدريب الجيش مجتمعًا على تمارين الحرب، لإظهار الأخطاء والدّروس، ولتعاون صنوف الجيش كلّها في القتال. (١: ١٥٣)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ هذه المادّة في اللّغة العبريّة بمعنى النّضج والانفطام، وبمناسبة هذا المعنى أُطلقت على «الجمَل» لنضجه في حياته وصبره، وتحمّله

على الشّدائد، واستقامته في إتمام عمله وسيره.

ثمّ استُعملت في العربيّة بمعنى مااجتمع فيه النّضج والتّناسب والنّظم.

وهذا المفهوم إمّا من جهة الصّورة وظاهر الخلقة، كالجمال الظّاهريّ، فإنّ الجمال، هو التّناسب والاعتدال في الأعضاء، في كلّ شيء بحسبه.

وإمّا من جهة المعنى والنّفس، كالصّبر الجميل وجمال النّفس، فإنّ الصّبر الجميل أن يقع مع الرّضا ومن دون أن يشوبه خلاف، وجمال النّفس هو أن تتّصف النّفس بالصّفات الرّوحانيّة النّورانيّة بالتّناسب والاعتدال.

فالنّضج مرجعه إلى الكمال والبلوغ وإدراك الوقت، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات، كالنّضج في الثّمر وفي الغلام.

وقلنا: إنّ إطلاق الجمَل على الإبل يتناسب معنى النّضج، فإنّ النّضج في الأنعام المتوقّع منها حَمل الأثقال وتحمّله وصبره: أن يتحقّق هذا المعنى المطلوب المتوقّع بنحو أحسن، والجمل مصداق كامل لهذا المنظور.

كما أنّ المتوقّع المطلوب من البهيمة المرزوقة: أن تكون ذات لحم وشحم، وأن تبلغ حدًّا تستفاد منها في الطّعام، فبلوغها في هذا المقام ومن هذه الحيثيّة هو أن تُدرك الشّحم، وهذا نضجها وكمال النّظم فيها.

فكما أنّ إطلاق الجمَل بعد تحقّق عنوان البزْل، كذلك إطلاق الجميل على الشّحم في صورة تحقّق القيد المذكور، لامطلق الشّحم، ولايبعد أن يكون لفظ الجميل موضوعًا في الأصل على الجمَل ذي شحم، ثمّ أُطلق على نفس الشّحم.

ويناسب هذا المعنى أيضًا: مفهوم الإجمال والجملة والجمعيّة والجمع والتّحصيل وأمثالها، فإنّ مرجعها إلى حصول النّتيجة والبلوغ إلى المقصود، وحفظ النّظم وجمع ماتفرّق، حتّى يحصل التّناسب والاعتدال.

وأمّا القَلْس: فكأنّه باعتبار تنظيم أمر السّفينة وانتهاء جريانها وحفظ حدودها، وضبط برنامجها، وبه تبلغ غاية مراحلها.

وأمّا حساب الجُمَّل بصيغة الجمع كطُلَّب جمع طالب، أو بالتّخفيف كجُرعة وجُرَع، فهو الأعداد الأبجديّة المشهورة المأخوذة من العبريّة، ولايبعد أن يكون التّلفّظ الصّحيح الأصيل هو مخفّفًا، إمّا لكونها أعدادًا لجُمَل أبْجَدْ هَوّز حُطّي كَلَمَن ...إلخ، فإنّ كلّ واحدة من هذه الكلمات جملة لغةً.

أو أنّه مأخوذ من «الإجمال» بمعنى الجمع عن تفرقة، أو معاني أُخر.

وليُعلم أنّ القيود والخصوصيّات الّتي ذكرنا لهذه المادّة محفوظة في جميع مشتقّاتها، ولابدّ من التّوجّه إليها في موارد استعمالاتها. [ثمّ ذكر الآيات] (٢: ١١٦)

النُّصوص التّفسيريّة

جَميلٌ

وَجَاؤُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. يوسف: ١٨

النّبيّ ﷺ: صبرٌ لاشكوى فيه. الطّبَريّ ١٢: ١٦٦)

ابن عبّاس: فعليّ صبر جميل بلاجزع. (١٩٥)

مثله مُجاهد. (الطّبَريّ ١٢: ١٦٦)

الفَرّاء: قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مثل قوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَثَةِ أَيَّامٍ﴾ البقرة: ١٩٦، ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ البقرة: ٢٢٩، ولو كان «فَصَبْرًا جَمِيلًا» يكون كالأمر لنفسه بالصّبر لجاز. وهي في قراءة أُبيّ (فَصَبْرًا جَمِيلًا) كذلك على النّصب بالألف. (٢: ٣٩)

الزّجّاج: معناه صَبرٌ لاجزع فيه ولاشكوى إلى النّاس، و(صَبْرٌ جَمِيلٌ) مرفوع على ضربين، المعنى فشأني صبرٌ جميلٌ، والّذي أعتقده صبرٌ جميلٌ. ويجوز أن يكون على «فصبري صبرٌ جميلٌ» وهذا لفظ قُطْرب: فصبري صبرٌ جميلٌ. والأوّل مذهب الخليل وجميع أصحابه، ويجوز في غير القرآن فصبرًا جميلًا. [ثمّ استشهد بشعر للرّفع]

و(صبرًا جميلًا) منصوب على مثل «فاصبِرْ صبرًا جميلًا». (٣: ٩٦)

نحوه الطّوسيّ (٦: ١١٢)، والواحديّ (٢: ٦٠٤)، والزّمخشريّ (٢: ٣٠٨)، وابن عطيّة (٣: ٢٢٧)، والفخرالرّازيّ (١٨: ١٠٣).

راجع «ص ب ر».

الجميل

وَمَاخَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ. الحجر: ٨٥

راجع «ص ف ح».

جَمِيلًا

١ـ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا. الأحزاب: ٢٨

راجع «س ر ح»

٢ـ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. المعارج: ٥

راجع «ص ب ر»

٣ـ وَاصْبِرْ عَلٰى مَايَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا. المزّمّل: ١٠

راجع «هـ ج ر»

جَمَالٌ

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. النّحل: ٦

ابن عبّاس: منظرٌ حسنٌ. (٢٢١)

السُّدّيّ: قول النّاس إذا رأوها: هذه نعم فلان. (الماوَرْديّ ٣: ١٨٠)

الماوَرْديّ: توجّه الأنظار إليها، وهو محتمل. (٣: ١٨٠)

البغَويّ: زينة. (٣: ٧٢)

مثله ابن الجوزيّ (٤: ٤٣٠)، والبيضاويّ (١: ٥٤٩)، والخازن (٤: ٦٦)، والشّربينيّ (٢: ٢١٧).

المَيْبُديّ: زينة وحُسن منظر، لأنّ الإنسان يعجب به. وقيل: عِزٌّ وأُبّهة عند نظرائكم. (٥: ٣٥٦)

نحوه الطّبْرِسيّ (٣: ٣٥٠)، والطّباطَبائيّ (١٢: ٢١١).

الزَّمَخْشَريّ: منّ الله بالتّجمّل بها كما منّ بالانتفاع بها، لأنّه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها، لأنّ الرُّعيان إذا روَّحوها بالعشيّ وسرّحوها بالغَداة، فزيّنت بإراحتها وتسريحها الأفنية، وتجاوب فيها الثُّغاء والرُّغاء، أنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلّتهم في عيون النّاظرين إليها، وكسبتهم الجاه والحرمة عند النّاس، ونحوه ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ النّحل: ٨، ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ الأعراف: ٢٦.

(٢: ٤٠١)

ابن عَطيّة: أي في المنظر. (٣: ٣٧٩)

القُرطُبيّ: الجَمال: مايتجمّل به ويتزيّن، والجمال: الحُسن. [إلى أن قال:]

قال علماؤنا: فالجمال يكون في الصّورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال:

فأمّا جمال الخِلقة، فهو أمر يدركه البصر ويُلقيه إلى القلب متلائمًا، فتتعلّق به النّفس من غير معرفة بوجه ذلك، ولانسبته لأحد من البشر.

وأمّا جمال الأخلاق، فكونها على الصّفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفّة، وكَظْم الغيظ وإرادة الخير لكلّ أحد.

وأمّا جمال الأفعال، فهو وجودها ملائمةً لمصالح الخلق، وقاضيةً لجلب المنافع فيهم وصرف الشّرّ عنهم.

وجمال الأنعام والدّوابّ من جمال الخلقة، وهو مرئيّ بالأبصار موافق للبصائر، ومن جمالها كثرتها. (١٠: ٧١)

أبوحَيّان: [نحو القُرطُبيّ وأضاف:]

والمعنى أنّه لنا فيها جمال وعظمة عند النّاس باقتنائها، ودلالتها على سعادة الإنسان في الدّنيا، وكونه فيها من أهل السّعة، فمنّ الله تعالى بالتّجمّل بها، كما منّ بالانتفاع الضّروريّ، لأنّ التّجمّل بها من أغراض أصحاب المواشي ومفاخر أهلها، والعرب تفتخر بذلك.

[ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٤٧٥)

أبوالسُّعود: أي زينة في أعين النّاس ووَجاهة عندهم. (٤: ٤٢)

مثله البُرُوسَويّ. (٥: ٧)

الآلوسيّ: زينة في أعين النّاس وعظمة ووَجاهة عندهم، والمشهور إطلاقه على الحُسن الكثير، ويكون في الصّورة بحُسن التّركيب وتناسق الأعضاء وتناسبها، وفي الأخلاق باشتمالها على الصّفات المحمودة، وفي الأفعال بكونها ملائمة للمصلحة من دَرْء المضرّة وجلب المنفعة، وهو في الأصل مصدر «جَمُل» بضمّ الميم. [ثمّ استشهد بشعر]

ورأى بعضهم إطلاقه على التّجمّل، فظنّ أنّه مصدر بإسقاط الزّوائد. (١٤: ٩٩)

عِزّة دَرْوَزَة: المتبادر أنّ المقصد الإشارة إلى مافي منظر الأنعام وهي تغدو وتروح، من مشهد جميل ومأنوس، وبخاصّة بالنّسبة لأصحابها، والحياة الّتي كان يحياها العرب الّذين هم أوّل من خوطبوا بالقرآن.

(٦: ٥٦)

مَغْنيّة: المراد بالجمال هنا: جمال الأنعام في منظرها رائحة غادية، وبالخصوص إذا كانت سمينة وكثيرة، و...وهذا المنظر الجميل للأنعام الثّلاث، وهي غادية رائحة يبعث الأُنس والانشراح في نفوس أصحابها،

ويغبطهم النّاظر إليها. (٤: ٤٩٨)

مكارم الشّيرازيّ: عبّر القرآن بكلمة (جَمال) عن تلك الحركة الجماعيّة للأنعام، حين تسرح إلى مراعيها وتعود إلى مراحها، لما لها من جمال ورونق خاصّ يغبط الإنسان، والمعبّر عن حقيقة راسخة في عمق المجتمع.

فحركة الإبل إضافة إلى روعتها، فإنّها تطمئن المجتمع بأنّ ماتحتاجه من مستلزمات حياتك هاهو يسير بين عينيك، فتمتّع به وخُذ منه ماتحتاجه، ولاداعي لأن ترتبط بهذا أو ذاك فتستضعف، وكأنّها تخاطبه: فأنت مكتفٍ ذاتيًّا بواسطتي.

فـ«الجمال» جمال استغناء واكتفاء ذاتيّ، وجمال إنتاج وتأمين متطلّبات أُمّة كاملة، وبعبارة أوضح: جمال الاستقلال الاقتصاديّ، وقطع كلّ تبعيّة للغير.

والحقيقة الّتي يدركها القرويّون وأبناء الرّيف أكثر من غيرهم، هي ماتعطيه حركة تلك الأنعام من راحة نفسيّة للإنسان، راحة الإحساس بعدم الحاجة والاستغناء، راحة تأدية إحدى الوظائف الاجتماعيّة الهامّة. (٨: ١٢٤)

الجَمَل

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَايَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ. الأعراف: ٤٠

ابن مسعود: ابن النّاقة، أو زوج النّاقة.

(الطّبريّ ٨: ١٧٨)

ابن عبّاس: (الجُمَّل): الحبال المجموعة.

(الفرّاء ١: ٣٧٩)

نحوه عِكْرِمَة. (الطّبريّ ٨: ١٧٨)

ذو القوائم.

هو الجمَل العظيم لايدخل في خرق الإبرة، من أجل أنّه أعظم منها. (الطّبريّ ٨: ١٧٩)

(الجُمَّل): حبال السُّفن.

نحوه مُجاهِد. (الطّبريّ ٨: ١٨١)

الحبل الغليظ.

نحوه عِكْرِمَة. (الطّبريّ ٨: ١٨٠، ١٨١)

أبوالعالية: الّذي له أربع قوائم.

مثله الضّحّاك. (الطّبريّ ٨: ١٧٩)

عِكْرِمَة: هو الحبل الّذي يُصعَد به إلى النّخل.

(الطّبريّ ٨: ١٨٠)

الحسَن: الجمل الّذي يقوم في المِرْبَد.

البعير.

هو الجمل ....هو الأُشتر. (الطّبريّ ٨: ١٧٨، ١٧٩)

الفرّاء: الجمل هو زوج النّاقة. (١: ٣٧٩)

الطّبَريّ: أجمعت [القرّاء] على قراءة (الجمَل) بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك. وأمّا ابن عبّاس وعِكْرِمَة وسعيد بن جُبَيْر، فإنّه حُكي عنهم أنّهم كانوا يقرؤون ذلك (الجُمَّل) بضمّ الجيم، وتشديد الميم، على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عبّاس.

فأمّا الّذين قرؤوه بالفتح من الحرفين والتّخفيف، فإنّهم وجّهوا تأويله إلى الجمَل المعروف. [إلى أن قال:]

وكأنّ من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضمّ الجيم، على

ماذكرنا عن سعيد بن جُبَيْر، على مثال الصُّرَد والجُـعَل، وجّهه إلى جِماع جُمْلَةٍ من الحِبال جُمعت جُمَـلًا، كما تجمع الظُّلمة ظُـلَمًـا، والخُربة خُرَبًا.

وكان بعض أهل العربيّـة ينكر التّشديد في الميـم، ويقول: إنّما أراد الرّاوي الجُمَل بالتّخفيف فلم يفهم ذلك منه، فشدّده.

وحُدّثت عن الفرّاء، عن الكِسائيّ أنّه قال: الّـذي رواه عن ابن عبّاس، كان أعجميًّا. وأمّا من شدّد الميم وضمّ الجيم، فإنّه وجّهه إلى أنّه اسمٌ واحدٌ، وهو الحبل أو الخيط الغليظ.

والصّواب من القراءة في ذلك عندنا: ماعليه قرّاء الأمصار، وهو ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها. (٨: ١٧٨)

نحوه المـاوَرْديّ (٢: ٢٢٣)، والفخرالرّازيّ (١٤: ٧٧)، والقُرطُبيّ (٧: ٢٠٦)، والبَيْضاويّ (١: ٣٤٩).

الزّمَخْشَريّ: [نقل القراءات وأضاف:]

والجمَل مثَل في عِظم الجرم. [ثمّ استشهد بشعر]

فقيل: لايدخلون الجنّة حتّى يكون مالايكون أبدًا، من ولوج هذا الحيوان ـ الّذي لايلج إلّا في باب واسع ـ في ثَقْب الإبرة. (٢: ٧٨)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٢: ٤١٨)، وأبوالسُّعود (٢: ٤٩٣)، والآلوسيّ (٨: ١١٨)، ورشيد رضا (٨: ٤١٨).

ابن عَطيّة: [نقل رواية الكِسائيّ عن ابن عبّاس وأضاف:]

وهذا ضعيف لكثرة أصحاب ابن عبّاس على القراءة المذكورة. (٢: ٤٠٠)

ابن الجَوْزيّ: الجمل: هو الحيوان المعروف.

فإن قال قائل: كيف خصّ الجمل من دون سائر الدّوابّ، وفيها ماهو أعظم منه؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنّ ضرب المثَل بالجمل يحصّل المـقصود؛ والمقصود أنّهم لايدخلون الجنّـة، كما لايدخل الجمل في ثَقْب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصـغر مـنه، جـاز، والنّاس يقولون: فلان لايساوي درهمًا، وهذا لايُـغني عنك فتيلًا، وإن كنّا نجد أقلّ من الدّرهم والفتيل.

والثّاني: أنّ الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدّوابّ، فإنّهم يقدّمونه في القوّة على غيره، لأنّه يوقَر بحمله فينهض به دون غيره من الدّوابّ، ولهذا عجّبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الغاشية: ١٧، فآثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى.

ذكر الجوابين ابن الأنباريّ، قال: وقد روى شهر بن حَوْشَب عن ابن عبّاس أنّه قرأ: (حَتَّىٰ يَلِجَ الْجُمَّلُ) بضمّ الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْس الغليظ.

وهي قراءة أبي رزين، ومُجاهِد، وابن مُـحَيْصِن، وأبي مِجْلَز، وابن يَعْمَر، وأبان عن عاصم، قال: وروى مُجاهِد عن ابن عبّاس: (حَتَّىٰ يَلِجَ الْـجُمَل) بضمّ الجيم وفتح الميم وتخفيفها.

قلت: وهي قراءة قَتادَة، وقد رويت عن سعيد بن جُبَيْر، وأنّه قـرأ: (حَـتَّىٰ يَـلِجَ الْـجُمْل) بـضمّ الجـيم وتسكين الميم. وهي قراءة عِكْرِمَة.

قال ابن الأنباريّ: فـ(الجُمَل) يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجُـمَّل، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من

الجبال، قيل في جمعها: جُمَل، كما يقال: حُجْرة، وحُجَر، وظُلمة، وظُلَم؛ وكذلك من قرأ: (الجُمْل) يسوغ له أن يقول: الجُمْل، بمعنى الجُمَّل، وأن يقول: الجُمْل، جمع جملة، مثل بُسْرة، وبُسْر. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الحبل والحبال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال. وروى عطاء بن يسار عن ابن عبّاس أنّه قرأ: (الجُمْل) بضمّ الجيم والميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضّحّاك، والجَحْدريّ. وقرأ أبوالمتوكّل، وأبوالجوزاء: (الجَمْل) بفتح الميم، وبسكون الميم خفيفة. (٢: ١٩٧)

نحوه الخازن. (٢: ١٨٨)

أبوالبَقاء: يُقرأ بفتح الجيم، وهو الجمل المعروف.

ويُقرأ في الشاذّ بسكون الميم، والأحسن أن يكون لغة، لأنّ تخفيف المفتوح ضعيف.

ويُقرأ بضمّ الجيم وفتح الميم وتشديدها، وهو الحبل الغليظ، وهو جمع مثل: صُوَّم وقُوَّم.

ويُقرأ بضمّ الجيم والميم مع التّخفيف، وهو جمعٌ، مثل: أسد وأُسُد.

ويُقرأ كذلك إلّا أنّ الميم ساكنة؛ وذلك على تخفيف المضموم. (١: ٥٦٧)

البُرُوسَويّ: أي حتّى يدخل ماهو مثل في عِظم الجرم وهو البعير، في ماهو مثل في ضيق المسلك وهو ثَقب الإبرة، وذلك ممّا لايكون، فكذا ماتوقف عليه. والعرب إذا أرادت تأكيد النّفي علّقته بما يستحيل كونه.

[ثمّ استشهد بشعر]

والجمل: زوج النّاقة، وإنّما يسمّى جملًا إذا أربع، أي إذا دخل في السّنة السّابعة، فإنّه يقال له في السّنة السّابعة: رباع، وللأُنثى: رباعية بالتّخفيف. (٣: ١٦١)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ هذا التّعبير كناية لطيفة عن استحالة هذا الأمر، وفي الحقيقة اختير هذا المثال للإخبار عن عدم إمكان دخول هؤلاء الأشخاص في الجنّة بصورة حسّيّة، حتّى ـ كما لايتردّد في عدم إمكان عبور الجمل بجثّته الكبيرة من خلال ثقب الإبرة ـ لايشكّ أحد في عدم وجود طريق لدخول المستكبرين عن الآيات الإلهيّة في الجنّة مطلقًا.

و(الجمَل) في اللّغة يعني البعير الّذي خرجت أسنانه حديثًا، ولكن أحد معاني الجمَل هو الحبل القويّ والمتين الّذي تُربَط به السّفن أيضًا.

وحيث إنّ بين الحبل والإبرة تناسبًا أقوى وأكثر، لهذا ذهب بعضهم إلى هذا المعنى عند تفسير الآية، ولكن أكثر المفسّرين الإسلاميّين رجّح المعنى الأوّل، وهم على حقّ في هذا الاتّجاه لأُمور:

أوّلًا: أنّ في أحاديث أئمّة الإسلام كذلك تعابير تناسب التّفسير الأوّل.

ثانيًا: أنّه يلاحظ نظير هذا التّفسير حول الأثرياء المتكبّرين الأنانيّين في الإنجيل أيضًا، ففي إنجيل لوقا: الباب ١٨، الجملة ٢٤و٢٥، نقرأ هكذا: إنّ عيسى قال: «ماأعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله. لأنّ دخول الجمَل من ثَقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيّ إلى ملكوت الله».

ولاأقلّ يستفاد من هذه العبارة، أنّ هذه الكتابة كانت متداولة بين الشّعوب منذ قديم الزّمان.

وهو مثَل يستعمل في محاوراتنا اليوميّة الآن أيضًا؛

إذ ربّما يقال بشأن الأشخاص المتعصّبين جدًّا أحيانًا، والمتساهلين جدًّا أحيانًا أُخرى: إنّ فلانًا أحيانًا لايمكنه الدّخول من باب المدينة، ولكنّه يدخل أحيانًا من ثَقْب إبرة.

ثالثًا: بالنّظر إلى أنّ استعمال لفظة الجمَل في المعنى الأوّل «أي البعير» أكثر، بينما استعمالها في «الحبل الغليظ» قليلٌ جدًّا، لهذا يبدو أنّ التّفسير الأوّل أنسب. (٥: ٤٢)

نحوه فضل الله. (١٠: ١٢٤)

جِمَالَتٌ

كَاَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ. المرسلات: ٣٣

الإمام عليّ ﷺ: هي قِطَع النُّحاس. (الفخرالرّازيّ ٣٠: ٢٧٦)

ابن عبّاس: الجمالات الصُّفر: قلوس السُّفن، الّتي تُجمع فتوثق بها السّفن.

قُلُوس سفُن البحر يُجمَل بعضها على بعض، حتّى تكون كأوساط الرّجال. (الطّبَريّ ٢٩: ٢٤٢)

سعيد بن جُبَيْر: قُلوس الجِسْر.

الحِبال. (الطّبَريّ ٢٩: ٢٤٢)

مُجاهِد: هي الإبل.

حبال الجسور. (الطّبَريّ ٢٩: ٢٤١، ٢٤٢)

الحسَن: الأَيْنُقُ السّود.

نحوه قَتادَة. (الطّبَريّ ٢٩: ٢٤١)

الفَرّاء: إنّ الجمَل إنّما شُبّه بالقصر، ألاترى قوله جلّ وعزّ: «كأنّه جِمالاتٌ صُفْر» والصُّفر: سُود الإبل، لاترى أسود من الإبل إلّا وهو مُشرَب بصفرة، فلذلك سمّت العرب سودَ الإبل: صُفرًا، كما سمّوا الظّباء: أُدمًا لما يعلوها من الظّلمة في بياضها. وقد اختلف القُرّاء في (جِمالات) فقرأ عبد الله بن مسعود وأصحابه: (جِمالَةٌ).

عن أبي عبد الرّحمان يرفعه إلى عمر بن الخطّاب رحمه الله، أنّه قرأ: (جِمالاتٌ) وهو أحبّ الوجهين إليّ، لأنّ الجِمال أكثر من الجِمالة في كلام العرب. وهي تجوز، كما يقال: حجَر وحِجارة، وذَكَر وذِكارة، إلّا أنّ الأوّل أكثر. فإذا قلت: جِمالات، فواحدها: جِمال، مثل ماقالوا: رجالٌ ورجالات، وبيوت وبيوتات، فقد يجوز أن تجعل واحد الجِمالات: جِمالة. وقد حكي عن بعض القرّاء: (جُمالات)، فقد تكون من الشّيء الجمَل، وقد تكون (جُمالاتٌ) جمعًا من جمع الجِمال. كما قالوا: الرِّجِل والرُّخال، والرِّخال. (٣: ٢٢٥)

نحوه الطُّوسيّ (١٠: ٢٣٠)، والبغَويّ (٥: ١٩٨)، والمَيْبُديّ (١٠: ٣٤١)، وأبوحَيّان (٨: ٤٠٧)، وأبوالسُّعود (٦: ٣٥٠).

ابن قُتَيْبَة: (جِمالاتٌ)، جُمالات (صُفْرٌ) أي إبلٌ سودٌ، واحدها: جِمالة. والبعير الأصفر هو الأسود، لأنّ سواده تَعلُوه صُفْرة. (٥٠٧)

الطّبَريّ: [نحو الفرّاء إلّا أنّه قال:]

والصّواب من القول في ذلك: أنّ لقارئ ذلك اختيار أيّ القراءتين شاء، من كسر الجيم وقراءتها بالتّاء، وكسر الجيم وقراءتها بالهاء، الّتي تصير في الوصل تاء، لأنّهما القراءتان المعروفتان في قرّاء الأمصار. فأمّا ضمّ الجيم، فلاأستجيزه، لإجماع الحجّة من القرّاء على خلافه. (٢٩: ٢٤١)

ابن خالَوَيْه: وقد قيل: جِمَلٌ وجِمالةٌ، قال الله تعالى: ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ وقيل: يجمع جَمَلٌ: جِمالًا، وجِمالٌ: جِمالةٌ، وجِمالةٌ: جِمالاتٌ، فجِمالاتٌ: جمعُ جَمْعِ الجمع. (١٩٤)

نحوه أبوزُرْعَة (٧٤٤)، وأبوالبركات (٢: ٤٨٨)، والبَيْضاويّ (٢: ٥٣١)، والنَّسَفيّ (٤: ٣٢٣).

الماوَرْديّ: وفي تسميتها بالجِمالات الصّفر وجهان: أحدهما: لسرعة سيرها، الثّاني: لمتابعة بعضها لبعض. (٦: ١٨٠)

فضل الله: أي في حجم الجمَل الأصفر، حتّى يُخيّل إليك أنّه جمَل في كلّ اللّهب الأصفر. (٢٣: ٢٩٦)

الوُجوه والنّظائر

الحيريّ: الجميل على خمسة أوجه:

أحدها: صبرٌ بلاجزع، كقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ١٨، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ المعارج: ٥.

والثّاني: إعراض بالقلب دون اللّسان، كقوله: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: ٨٥.

والثّالث: مالاشكوى فيه، كقوله: (...فاصبر صبرًا جميلًا) في المعارج: ٥، وقيل: المنظر الحسن، كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النّحل: ٦.

والرّابع: بالسُّنّة، كقوله: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٨.

والخامس: لأجل الله تعالى، كقوله: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ المزّمّل: ١٠، قيل: الهجر الجميل أن يكون لله لالنفسك، وقيل: الهجر الجميل أن يكون بقلبك لابلسانك، وقيل: الهجر الجميل كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان: ٦٣. (١٧٩)

الدّامغانيّ: فوجه منها: الجميل: الّذي ليس فيه شكوى، قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ١٨، يعني لاشكوى فيه، مثلها: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ٨٣، نظيرها: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ المعارج: ٥.

والوجه الثّاني: الجميل: الحسن، قوله: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الأحزاب: ٤٩، أي حسنًا على موجب الشّرع وأمثاله. (٢١٦)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: الجمَل، وهو الذّكر من الإبل إذا بلغ بضع سنين، والجمع: جِمال وأجمال وجِمَل وجِمالة وجَمائل وجِمالات، يقال: استجمل البعير، أي صار جمَلًا، وأجمَل القوم: كثرت جِمالهم، وجمّل الجملَ: عزله عن الطّروقة، وفي المثل: «اتّخذ اللّيل جمَلًا»، أي ركبه في حاجته، وفي حديث الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء في كربلاء؛ قال لأصحابه حينما أحلّ لهم الذّهاب والتّفرّق عنه: «هذا اللّيل قد غشيكم فاتّخذوه جمَلًا».

والجامل: الجِمال، وهو اسم للجمع، ورجل جامل: ذو جمَل، والجَمّالة: أصحاب الجِمال.

والجِمالة: القطعة من النّوق لاجمل فيها، يقال: هذه جِمالة بني فلان، أو هي الطّائفة من الجِمال.

والجُمالة: القطعة من النُّوق لاجمل فيها، وقيل: الخيل، وإن صحّ هذا فهو على التّشبيه.

وناقة جُماليّة: وثيقة تُشبه الجمل في خلقتها وشدّتها وعظمها.

ورجل جُماليّ: ضخم الأعضاء تامّ الخَلْق، على التّشبيه بالجمل لعظمه.

وجمل البحر: الكُبَع، وهو حوت عظيم له زعنفة كالسّنام.

والجُمّل: الجماعة من النّاس، تشبيه بعظمة الإبل.

والجُمَل والجُمّل: الحبل الغليظ، تشبيه بعظمة الجمل.

والجمالة: الحبل الغليظ، لأنّها قوّى كثيرة جُمعت فأُجملت جُملة.

والجُملة: جماعة الشّيء، والجمع: جُمَل، اشتُقّت من جملة الحبل.

وحساب الجُمَل والجُمّل: الحروف المقطّعة على «أبجد» لجمعها الحروف.

وأجمل الشّيء والحساب والكلام: جمعه عن تفرقة، وأجملتُ الحساب: جمعتُ آحاده وكمّلتُ أفراده.

والجميل: الشّحم يُذاب ثمّ يُجمَل، أي يُجمع، وقد جمله يجمُله جَمْلاً وأجمله: أذابه واستخرج دهنه، وقالت امرأة لرجل تدعو عليه: جمّلك الله، أي أذابك كما يُذاب الشّحم. وتجمّل الرّجل: أكل الجميل، واجتمل: ادّهن بالجميل، والجَمول: المرأة السّمينة، والّتي تذيب الشّحم أيضًا.

والجَمال: حُسن الخَلْق، وهو من هذا الباب، لأنّه من صفات الجمَل، كالجودة ـ أي السّماحة وكثرة العطاء ـ من الجواد، لأنّه ذريع سريع، وكالبِرة من البعير، انظر «ب ع ر» و «ج و د». أو لأنّ ماء السّمن يجري في وجه الجميل، كما ذهب إليه بعض.

ويقال منه: جَمُل يجمُل جمالاً، أي حسُن في فعله وخلقه، فهو جميل وجُمال وجُمّال، والجُمّال: أجمل من الجميل، والمرأة جميلة وجَمْلاء.

وجمّله: زيّنه، يقال: جمّل الله عليك تجميلاً، أي جعلك جميلاً حسنًا.

والتّجمّل: تكلّف الجميل.

والمُجاملة: المعاملة بالجميل.

والمُجامِل: الّذي يقدر على جوابك فيتركه إبقاء على مودّتك.

وجامل الرّجل مجاملةً: لم يُصفِه الإخاء، وماسحه بالجميل.

جَمالك أن لاتفعل كذا وكذا: لاتفعله والزم الأمر الأجمل.

وأجمل الصّنيعة عند فلان، وأجمل في صنيعه، وأجمل في طلب الشّيء: اتّأد واعتدل فلم يفرط.

٢ـ وجاء لفظ الجمَل من هذه المادّة في جميع اللّغات السّاميّة بألفاظ مختلفة، إلّا أنّها قريبة من اللّفظ العربيّ، وهذا يفصح عن عراقته في هذه اللّغات، ومن ثمّ يعضد رأينا في جعله أصلاً لهذه المادّة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها الوصف «جميل» (٧) مرّات، والاسم (٤) ألفاظ:

١ـ ﴿تَعْرُجُ الْمَلٰئِكَةُ وَالرُّوحُ اِلَيْهِ فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسينَ اَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَميلًا﴾

المعارج: ٤، ٥

٢ـ ﴿وَجَاۤؤُ عَلٰى قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْرًا فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَاتَصِفُونَ﴾

يوسف: ١٨

٣ـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْرًا فَصَبْرٌ جَميلٌ عَسَى اللهُ اَنْ يَأْتِيَنى بِهِمْ جَميعًا اِنَّهُ هُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ﴾

يوسف: ٨٣

٤ـ ﴿وَمَاخَلَقْنَاالسَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ وَاِنَّ السَّاعَةَ لَاٰتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَميلَ﴾

الحجر: ٨٥

٥ ـ ﴿يَاۤاَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِاَزْوَاجِكَ اِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ اُمَتِّعْكُنَّ وَاُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَميلًا﴾

الأحزاب: ٢٨

٦ـ ﴿يَاۤاَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَالَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَميلًا﴾

الأحزاب: ٤٩

٧ـ ﴿وَاصْبِرْ عَلٰى مَايَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَميلًا﴾

المزّمّل: ١٠

٨ ـ ﴿وَلَكُمْ فيهَا جَمَالٌ حينَ تُريحُونَ وَحينَ تَسْرَحُونَ﴾

النّحل: ٦

٩ـ ﴿اِنَّهَا تَرْمى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَاَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾

المرسلات: ٣٢، ٣٣

١٠ـ ﴿اِنَّ الَّذينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَاۤءِ وَلَايَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمينَ﴾

الأعراف: ٤٠

١١ـ ﴿وَقَالَ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْاٰنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتيلًا﴾

الفرقان: ٣٢

يلاحظ أوّلًا: أنّه جاء منها: «جميل» وصفًا (٧) مرّات على أنحاءٍ: نكرةً منصوبةً (٤) مرّات: وصفًا لـ(صَبْرًا) في (١) ولـ(سَرَاحًا) في (٥) و(٦) ولـ(هَجْرًا) في (٧)، ومرفوعةً مرّتين: وصفًا لـ(صَبْرٌ) في (٢) و(٣) ومعرفةً مرّةً وصفًا لـ(الصَّفْحَ) في (٤)، وفيها بحوثٌ:

١ـ أنّها جميعًا مدحٌ وصفة، والموصوف بها، إمّا خصلة أخلاقيّة وسلوك إنسانيّ كالصّبر في (١ ـ ٣) والصّفح في (٤) والهجر في (٧)، وإمّا حكم شرعيّ كالسّراح في (٥) و(٦) وهو أيضًا سلوك حسن وتعايش سلميّ بين الزّوجين، ولم يوصف به ظاهر الجسم سوى مرّة في (٨) وصفًا للحيوان، وهذا إن دلّ على شيء يدلّ على أنّ جمال الأخلاق ـ وهي أمور باطنيّة ـ وجمال الأفعال ـ وهي أُمور ظاهريّة ـ أهمّ وأعلى من جمال الصّور والأجسام، فأولتها القرآن وخصّها بالذّكر وصفًا للإنسان.

٢ـ أنّهم فسّروا الصّبر الجميل: بصبر لاجزع فيه ولاشكوى إلى النّاس. والصّفح الجميل: بالعفو الجميل، والهجر الجميل: بإظهار الموجدة عليهم من غير ترك الدّعاء إلى الحق، والسّراح الجميل: بالطّلاق من غير

خصومة بين الزّوجين، كلّ واحد حسب السّياق. لاحظ هذه المواد.

٣ـ هذه الموادّ المتّصفة بـ«جميل» لها علاقة بالصّبر، إمّا صريحًا كما في الثّلاث الأُولى، أو إيماء كالباقية. فكلّ من الصّفح والسّرح والهَجْر الجميل يستقي من الصّبر ويبتني عليه.

٤ـ أنّ ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ـ من بينها ـ راجع إلى التّشريع الخاصّ بالمدنيّات، فجاء مرّتين في سورة الأحزاب المدنيّة. أمّا الآيات الباقية فتحمل فضيلة أخلاقيّة وحسن سلوك مع النّاس في بدو البعثة، فخُصّت بالمكيّات.

٥ ـ جاء في قصّة يوسف حكاية عن أبيه يعقوب عليه السلام حين اشتدّ حُزنه وأسفه على يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مرّتين: مرّة حين جاء إخوة يوسف بقميصه متلطّخًا بدم كذب، ومرّةً حين أخبروه باعتقال أخي يوسف عند عزيز مصر، وابتدأهم فيهما جميعًا بقوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ إيماءً إلى أنّهم خانوا يوسف، وعقّبه في الأُولى بقوله: ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ﴾ إيماءً إلى أنّهم ليسوا بصادقين في ادّعائهم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾، وأنّه متفائل بحياة يوسف ورجوعه إليه، وفي الثّانية بقوله: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ تصريحًا بما كان متفائلًا به من ذي قبل.

٦ـ اختلفوا في قراءته رفعًا ونصبًا، وفي إعرابه رفعًا، فعن ابن عبّاس: «فعليّ صبرٌ جميلٌ» فقدّر الخبر، وغيره قدّر المبتدأ، فعن الخليل وأصحابه: «شأني صبرٌ جميلٌ، أو الّذي أعتقده صبرٌ جميلٌ»، وعن قُطْرُب: «فصبري صبرٌ جميل».

ويخطر بالبال أنّه اكتفى بـ«فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» تعجيلًا وتركيزًا لـ(صَبْرٌ جَمِيلٌ) لما ابتُلي به، تسلية لنفسه وتسليمًا لربّه من دون إضافة مبتدإ أو خبر، وتنكيره للتّواضع أمام ربّه، أي ليس لي سوى بضاعة مُزجاة، هي شيء يسير من صبر جميل لاجزع فيه ولاشكوى، ويعاضده فاء التّفريع وهي للتّرتيب باتّصال، فتقدير المبتدأ أو الخبر هنا ـ كما تكلّفه النّحويّون ـ مُخِلٌّ بالبلاغة ونقضٌ للغرض. ولايقاس هذا بـ(١) ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ فإنّه أمر من الله نظير غيره ممّا أمر الله بالصّبر، وهذا صبر من يعقوب، وبين الموقفين بونٌ بعيدٌ، بل هو ـ كما قال الفرّاء ـ نظير ﴿فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ و﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ البقرة ١٩٦، ٢٢٩.

وأمّا قراءته نصبًا فعن أُبيّ بن كعب: (فَصَبْرًا جَمِيلًا) وكأنّها قراءة شاذّة لم يذكرها الطّبريّ. بل ظاهر كلام الزّجّاج: «ويجوز في غير القرآن (فَصَبْرًا جَمِيلًا)» أنّها ليست قراءة أيضًا، بل تفسيرٌ، مع أنّها رويت في الآية الأُولى فقط رغم وحدة سياقها. فاختلاف القراءة بينهما بعيدٌ.

٧ـ جاء (جَمِيلًا) نكرة رويًّا للآيات كلّها سوى (الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) في (٤) فجاء معرفة، فما هو الفارق بينها وبينه؟

فنقول: أمّا التّنكير فيها فهو موافق لكلام العرب، لأنّها مفعولٌ مطلق نوعيّ لفعل من مادّتها، والشّائع في المفعول المطلق التّنكير، يُراد به تنويع الفعل دون عمومه وشموله ولالإبهامه وإجماله، ولالتحقيره وتقليله، فليس التّنكير فيها لجنس الأمور بل لمجرّد التّنويع.

وأمّا (الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) فهو وإن كان مفعولًا مطلقًا

أيضًا عند علماء إعراب القرآن ـ لاحظ تفسير القرآن وإعرابه (٧: ٣٥٠) للشيخ محمّد عليّ طه الدُّرّة، والجدول في إعراب القرآن (٧: ٢٦٨) لمحمود صافي ـ إلّا أنّه أُريد به النّوع البارز العالي عند النّاس من الصّفح الجميل، لاكلّ مايُعدّ صفحًا جميلًا، وهذا هو المناسب لما قبلها، وهو خلق السّماوات والأرض ومابينهما بالحقّ، وأنّ السّاعة آتية، ولما بعدها ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ الحجر: ٨٦، فإنّ الصّفح الملائم لعظم أمر الخلق والسّاعة، ولأنّ ربّك هو الخلّاق العليم هو صنف عظيم من الصّفح.

هذا بلحاظ المعنى، أمّا من حيث اللّفظ ـ وهو الّذي يحلّ المشكلة هنا وفي كثير من الآيات ـ فهو رعاية الرّويّ، وهو هنا «الفعيل» معرفةً، فبعدها: (الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)، (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) ونحوها.

وهذا بخلاف الرّويّ في تلك الآيات فإنّه فيها «فعيلًا» فبعد (١) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَيهُ قَرِيبًا﴾ المعارج: ٦، ٧، وهكذا، وفي (٥) قبلها (قَدِيرًا) وبعدها (عَظِيمًا)، (يَسِيرًا)، (كَرِيمًا)، وفي (٦) قبلها (كَبِيرًا) (وَكِيلًا) وبعدها (رَحِيمًا) (حَلِيمًا) وهكذا، وفي (٧) قبلها (تَبْتِيلًا) (وَكِيلًا)، وبعدها (قَلِيلًا) (جَحِيمًا) (أَلِيمًا) وهكذا.

ثانيًا: جاء منها أربعة ألفاظ اسمًا في (٨ ـ ١١) فاثنان منها: (٨) و(١١) مدح ونعمة دنيويّة: أُولاهما نعمة مادّيّة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ وثانيتهما نعمة معنويّة بشأن القرآن: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾، واثنان منها ذمٌّ وعذابٌ في الآخرة (٩) و(١٠) وصفًا لجهنّم ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ و﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، وكلّها محسوس بصرًا، والأخير ـ وهو القرآن ـ محسوس سمعًا وبصرًا، وفيها بحوثٌ:

١ـ قالوا في ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ حسن منظر، زينة ووجاهة وحرمة في أعين النّاس، كما في ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ النّحل: ٨، قال القُرطُبيّ: «الجمال: مايتجمّل به ويتزيّن، والجمال: الحُسْن» فتارةً فسّروه بنفس الحُسن، وأُخرى بما يحصل به الحسن. وعندنا أنّ الجمال هنا هو الحسن المحسوس بالبصر لمن ينظر إلى قطيع من الغنم والأنعام حين تغدو وتروح في هيئة جماعيّة، وهذا الجمال هو الجمال الجسمانيّ الفريد في القرآن يحسّه الإنسان في الحيوان لافي نفسه، ولكن لم يغفل القرآن عن حسن تقويمه، وتصويره واستوائه وعدله في ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التّين: ٤، و﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ المؤمن: ٦٤، و﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّيكَ فَعَدَلَكَ﴾ الانفطار: ٧، وفي غيرها من الآيات.

٢ـ اختلفوا في (٩) ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ قراءةً وتفسيرًا:

أمّا القراءة: فالمشهورة منها قراءتان: (جِمالة) و(جِمالات) بكسر الجيم مفردًا وجمعًا، وقد ساوى بينهما الطّبَريّ بحجّة أنّهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار. أمّا الفرّاء فرجّح (جِمالات) بحجّة أنّ «الجِمال» أكثر من «الجِمالة» في كلام العرب، كما يقال: حَجر وحِجارة، وذَكر وذِكارة، إلّا أنّ الأوّل أكثر، فإذا قلت: جِمالات، فواحدها: جِمال، مثل قولهم: رجال ورجالات، وبيوت وبيوتات، وقد يجوز أن تجعل واحد الجِمالات: جِمالة. وحكى الفرّاء عن بعضهم «جُمالات» بضمّ الجيم جمعًا: جمع الجِمال، ورفضه الطّبَريّ لإجماع الحجّة من القرّاء

على خلافه.

وعن ابن خالويه: «وقد قيل: جَمَل وجِمالة، كما قال: (جِمالَةٌ صُفْرٌ). وقيل: يُجمع جمَل جِمالًا، وجِمال جِمالة، وجِمالة جِمالات، فجِمالات جمع جمع الجمع!».

وأمّا التّفسير فأكثرهم قالوا: الجمالة الصّفر: هي الإبل السّود، فإنّ سوادها مُشرَب بالصُّفرة، وهي الأينُق من الإبل وأحسنها، وبعضهم فسّروها بقِطَع النّحاس ـ وهو مرويّ عن عليّ عليه السلام ـ أي: ـ هو بقلوس ـ أي جِبال الجسور اللّاتي توثق بها السُّفُن في المراسي، لأنّها تُشبه في عظمها أوساط الرّجال.

وللوقوف على معناها ينبغي ملاحظة ماقبلها: ﴿اِنْطَلِقُوا اِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلٰثِ شُعَبٍ * لَاظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ * اِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَاَنَّهُ جِمٰالَتٌ صُفْرٌ﴾ معناها عند الطّبْرِسيّ أنّ الله وعد المكذّبين وأمرهم بأن ينطلقوا إلى ظلّ هو دخان النّار ذي ثلاث شعب، تحيط المكذّبين من فوقهم وعن يمينهم وعن شمالهم كالسُّرادق، ظلٌّ ليس بظليل يسترهم عن حرّ النّار، ويُغنيهم عن لهبها، ظلٌّ ترمي بشَرَر، أي مايتطاير من النّار من قِطَع تُشبه القصر في كبرها، والجِمال السّود الصّفر في كبرها ولونها ـ والعرب تُشبه الشّيء الكبير بالقَصْر وبالإبل السّود ـ وعليه فجِمالة أو جِمالات صُفْر هي جماعة الإبل. وتفسيره بحبال السّفن يرجع إلى الإبل السّود أيضًا، لأنّه تشبيه بما شُبّه بها. وقد سبق منّا أنّ كثيرًا ممّا جاء في وصف نعيم الجنّة أو نقم النّار تمثيل لايعلم واقعها إلّا الله.

٣ـ في (١٠) ﴿حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ـ وهي وعيد للمكذّبين أيضًا ـ اختلافُ قراءةً وتفسيرًا.

أمّا القراءة فـ(الجَمَل) ـ وقد أُجمعت عليها كما صرّح به الطّبَريّ، و(الجُمَّل) مشدّدًا عن ابن عبّاس وعِكْرِمَة وسعيد بن جُبَيْر ـ وقد تردّد في نقلها الطّبَريّ ـ و(الجُمَل) مخفّفًا كالصُّرَد والجُعَل، وهي الّتي نسبها بعض أهل العربيّة إلى ابن عبّاس ومن تبعه بدل (الجُمَّل).

وأمّا التّفسير فبـ(الجَمَل) وهو الذّكر من الإبل الّذي لايدخل إلّا من باب واسع، وبالحبال الضّخام اللّاتي توثق بها السّفن، وفُضّل هذا على الأوّل بأنّ الحبال أنسب هنا مثلًا للاستحالة، لأنّها المناسب لسَمّ الخياط.

وبهذا فُضّلت القراءة الثّانية على الأُولى. فلو اخترنا القراءة الجمع عليها تعيّن المعنى الأوّل وإلّا فالثّاني أولى.

٤ـ في (١١) أشكل المشركون على القرآن أنّه لولا نُزّل جملة واحدة بل نُزّل نجومًا، فعدّوه نقصًا فيه، لأنّهم سمعوا أهل الكتاب أنّ كتبهم نزلت جملةً مع أنّهم لم ينظروا فيها ولاتلوها قطّ. وقد تصدّى القرآن لسرّ نزول القرآن نجومًا مرّات، وفيه بحث طويل، لاحظ قرآن في «ق ر ء».

وليس المراد بقولهم: (جُمْلَةً وَاحِدَةً) ـ كما هو واضح ـ مااصطلح عليه النّحويّون في إطلاق «الجملة» على كلام مركّب من كلمات، بل المراد نزول القرآن كلّه مرّةً واحدةً كتابًا مدروسًا. وكأنّهم أرادوا به التّعريض به على النّبيّ صلى الله عليه وآله، بأنّه يتعلّم القرآن من غيره نجومًا درسًا درسًا، ثمّ يقرؤها للنّاس نجومًا، ولوكان من عندالله لَعلّمه الله جملة واحدة، وآتاه كتابًا، كما آتى الأنبياء من قبله.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس الأعلام المنقول عنهم بلا واسطة و اسماء كتبهم

الآلوسيّ: محمود (١٢٧٠)[1]

روح المعاني، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.

ابن أبي الحديد: عبدالحميد (٦٥٥)

شرح نهج البلاغة، ط: إحياء الكتب، بيروت.

ابن أبي اليمان: يمان (٢٨٤)

التّقفية، ط: بغداد.

ابن الأثير: مبارك (٦٠٦)

النّهاية، ط: إسماعيليان، قم.

ابن الأثير: عليّ (٦٣٠)

الكامل، ط: دار صادر، بيروت.

ابن الأنباريّ: محمّد (٣٢٨)

غريب اللّغة، ط: دار الفردوس، بيروت.

ابن باديس: عبدالحميد (١٣٥٩)

تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.

ابن جزيّ: محمّد (٧٤١)

التّسهيل، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

ابن الجوزيّ: عبدالرّحمان (٥٩٧)

زاد المسير، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

ابن خالَوَيه: حسين (٣٧٠)

إعراب ثلاثين سورة، ط: حيدرآباد دكّن.

ابن خلدون: عبدالرّحمان (٨٠٨)

المقدّمة، ط: دار القلم، بيروت.

ابن دُرَيْد: محمّد (٣٢١)

الجمهرة، ط: حيدرآباد دكّن.

ابن السّكّيت: يعقوب (٢٤٤)

١ـ تهذيب الألفاظ، ط: الآستانة الرّضويّة، مشهد.

٢ـ إصلاح المنطق، ط: دار المعارف بمصر.

٣ـ الإبدال، ط: القاهرة.

٤ـ الأضداد، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

ابن سيده: عليّ (٤٥٨)

المحكم، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

ابن الشّجريّ: هبة الله (٥٤٢)

الأماليّ، ط: دار المعرفة، بيروت.

ابن شهراشوب: محمّد (٥٨٨)

متشابه القرآن، ط: طهران.

ابن عاشور: محمّدطاهر (١٣٩٣)

---

(١) هذه الأرقام تاريخ الوفيات بالهجريّة.

التّحرير والتّنوير، ط: مؤسّسة التّاريخ، بيروت.

ابن العربيّ: عبداللّه (٥٤٣)

أحكام القرآن، ط: دار المعرفة، بيروت.

ابن عربيّ: مُحيي الدّين (٦٢٨)

تفسير القرآن، ط: دار اليقظة، بيروت.

ابن عطيّة: عبدالحقّ (٥٤٦)

المحرّر الوجيز، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

ابن فارِس: أحمد (٣٩٥)

١ـ المقاييس، ط: طهران.

٢ـ الصّاحبيّ، ط: مكتبة اللّغويّة، بيروت.

ابن قُتَيْبَة: عبداللّه (٢٧٦)

١ـ غريب القرآن، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة

٢ـ تأويل مشكل القرآن، ط: المكتبة العلميّة، القاهرة.

ابن القيّم: محمّد (٧٥١)

التّفسير القيّم، ط: لجنة التّراث العربي، لبنان.

ابن كثير: إسماعيل (٧٧٤)

١ـ تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.

٢ـ البداية والنّهاية، ط: المعارف، بيروت.

ابن منظور: محمّد (٧١١)

لسان العرب، ط، دار صادر، بيروت.

ابن ناقيا: عبداللّه (٤٨٥)

الجمان، ط: المعارف، الاسكندريّة.

ابن هشام: عبداللّه

مغني اللّبيب، ط: المدني، القاهرة.

أبو البركات: عبدالرّحمان (٥٧٧)

البيان، ط: الهجرة، قم.

أبو حاتِم: سهل (٢٤٨)

الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.

أبو حَيّان: محمّد (٧٤٥)

البحر المحيط، ط: دار الفكر، بيروت.

أبو رزق:... (معاصر)

معجم القرآن، ط: الحجازيّ، القاهرة.

أبو زُرعة: عبدالرّحمان (٤٠٣)

حجّة القراءات، ط: الرّسالة، بيروت.

أبو زُهرة: محمّد (١٣٩٥)

المعجزة الكبرى، ط: دار الفكر، بيروت.

أبو زيد: سعيد (٢١٥)

النّوادر، ط: الكاثوليكيّة، بيروت.

أبو السّعود: محمّد (٩٨٢)

إرشاد العقل السّليم، ط: مصر.

أبو سهل الهَرَويّ: محمّد (٤٣٣)

التّلويح، ط: التّوحيد، مصر.

أبو عُبَيد: قاسم (٢٤٤)

غريب الحديث، ط: دار الكتب، بيروت.

أبو عُبَيدة: مَعْمَر (٢٠٩)

مجاز القرآن، ط: دار الفكر، مصر.

أبو عمرو الشّيبانيّ: اسحاق (٢٠٦)

الجيم، ط: المطابع الأميريّة، القاهرة.

أبو الفتوح: حسين (٥٥٤)

روض الجنان، ط: الآستانة الرّضويّة، مشهد.

أبو الفداء: إسماعيل (٧٣٢)

المختصر، ط: دار المعرفة، بيروت.

أبو هلال: حسن (٣٩٥)

الفروق اللّغويّة، ط: بصيرتي، قم.

أحمد بدوي (معاصر)

من بلاغة القرآن، ط: دار النّهضة، مصر.

الأخفش: سعيد (٢١٥)

معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.

الأزهَريّ: محمّد (٣٧٠)

تهذيب اللّغة، ط: دار المصر.

الإسكافيّ: محمّد (٤٢٠)

دُرّة التّنزيل، ط: دارالآفاق، بيروت.

لباب التأويل، ط: التجاريّة، مصر.

الخطّابيّ: حمْد (٣٨٨)

غريب الحديث، ط: دار الفكر، دمشق.

الخليل: بن أحمد (١٧٥)

العين، ط: دار الهجرة، قم.

خليل ياسين (معاصر)

الأضواء، ط: الأديب الجديدة، بيروت.

الدّامغانيّ: حسين (٤٧٨)

الوجوه والنّظائر، ط: جامعة تبريز.

الرّازيّ: محمّد (٦٦٦)

مختار الصّحاح، ط: دار الكتاب، بيروت.

الرّاغب: حسين (٥٠٢)

المفردات، ط: دار المعرفة، بيروت.

الرّاونديّ: سعيد (٥٧٣)

فقه القرآن، ط: الخيّام، قم.

رشيد رضا: محمّد (١٣٥٤)

المنار، ط: دار المعرفة، بيروت.

الزّبيديّ: محمّد (١٢٠٥)

تاج العروس، ط: الخيريّة، مصر.

الزّجّاج: ابراهيم (٣١١)

١ـ معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.

٢ـ فعلت وأفعلت، ط: التّوحيد، مصر.

٣ـ إعراب القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.

الزّركشيّ: محمّد (٧٩٤)

البرهان، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.

الزّركليّ: خيرالدّين (معاصر)

الأعلام، ط: بيروت.

الزّمخشريّ: محمود (٥٣٨)

١ـ الكشّاف، ط: دار المعرفة، بيروت.

٢ـ الفائق، ط: دار المعرفة، بيروت.

٣ـ أساس البلاغة، ط: دار صادر، بيروت.

السّجستانيّ: محمّد (٣٣٠)

غريب القرآن، ط: الفنّيّة المتّحدة، مصر.

السّكّاكيّ: يوسف (٦٢٦)

مفتاح العلوم، ط: دار الكتب، بيروت.

سليمان حييم (معاصر)

فرهنگ عبريّ ـ فارسي، ط: إسرائيل.

السّهيليّ: عبدالرّحمان (٥٨١)

روض الأُنف، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

سيبَوَيه: عمرو (١٨٠)

الكتاب، ط: عالم الكتب، بيروت.

السّيوطيّ: عبدالرّحمان (٩١١)

١ـ الإتقان، ط: رضي، طهران.

٢ـ الدّرّ المنثور، ط: بيروت.

٣ـ تفسير الجلالين، ط: مصطفى البالي، مصر (مع أنوار التّنزيل).

سيّد قطب (١٣٨٧)

في ظلال القرآن، ط: دار الشّروق، بيروت.

شُبّر: عبدالله (١٣٤٢)

الجوهر الثّمين، ط: الألفين، الكويت.

الشّربينيّ: محمّد (٩٧٧)

السّراج المنير، ط: دار المعرفة، بيروت.

الشّريف الرّضيّ: محمّد (٤٠٦)

١ـ تلخيص البيان، ط: بصيرتي، قم.

٢ـ حقائق التّأويل، ط: البعثة، طهران.

الشّريف العامليّ: محمّد (١١٣٨)

مرآة الأنوار، ط: آفتاب، طهران.

الشّريف المرتضى: عليّ (٤٣٦)

الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.

شريعتي: محمّد تقي (١٤٠٧)

تفسير نوين، ط: فرهنگ اسلامی، طهران.

شوقي ضَيف (معاصر)

التّفسير الكبير، ط: عبدالرّحمان، القاهرة.

فرات الكوفيّ: ابن إبراهيم

تفسير فرات الكوفيّ، ط: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.

الفرّاء: يحيى (٢٠٧)

معاني القرآن، ط: ناصر خسرو، طهران.

فريد وجديّ: محمّد (١٣٧٣)

المصحف المفسّر، ط: دار مطابع الشّعب، بيروت.

فضل الله: محمّدحسين (معاصر)

من وحي القرآن، ط: دار الملاك، بيروت.

الفيروزآباديّ: محمّد (٨١٧)

١ـ القاموس المحيط، ط: دار الجيل، بيروت.

٢ـ بصائر ذوي التّمييز، ط: دار التّحرير، القاهرة.

الفيّوميّ: أحمد (٧٧٠)

مصباح المنير، ط: المكتبة العلميّة، بيروت.

القاسميّ: جمال الدّين (١٣٣٢)

محاسن التّأويل، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.

القاليّ: إسماعيل (٣٥٦)

الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.

القرطبيّ: محمّد (٦٧١)

الجامع لأحكام القرآن، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.

القشيريّ: عبدالكريم (٤٦٥)

لطائف الإشارات، ط: دار الكتاب، القاهرة.

القمّيّ: عليّ (٣٢٨)

تفسير القرآن، ط: دار الكتاب، قم.

القيسيّ: مكّيّ (٤٣٧)

مشكل إعراب القرآن، ط: مجمع اللّغة، دمشق.

الكاشانيّ: مُحسن (١٠٩١)

الصّافيّ، ط: الأعلميّ، بيروت.

الكرمانيّ: محمود (٥٠٥)

أسرار التّكرار، ط: المحمّديّة، القاهرة.

الكُلَينيّ: محمّد (٣٢٩)

الكافي، ط: دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

لويس كوستاز (معاصر)

قاموس سريانيّ ـ عربيّ، ط: الكاثوليكيّة، بيروت.

لويس معلوف (١٣٦٦)

المنجد في اللّغة، ط: دار المشرق، بيروت.

الماوَرديّ: عليّ (٤٥٠)

النُّكت والعيون، ط: دار الكتب، بيروت.

المبرّد: محمّد (٢٨٦)

الكامل، ط: مكتبة المعارف، بيروت.

المجلسيّ: محمّد باقر (١١١١)

بحار الأنوار، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.

مجمع اللّغة: جماعة (معاصرون)

معجم الألفاظ، ط: آرمان، طهران.

محمّد إسماعيل (معاصر)

معجم الألفاظ والأعلام، ط: دار الفكر، القاهرة.

محمّد جواد مغنيّه (١٤٠٠)

التّفسير الكاشف، ط: دار العلم للملايين، بيروت.

محمود شيت خطّاب

المصطلحات العسكريّة، ط: دار الفتح، بيروت.

المَدَنيّ: عليّ (١١٢٠)

أنوار الرّبيع، ط: النّعمان، نجف.

المَدينيّ: محمّد (٥٨١)

المجموع المغيث، ط: دار المدنيّ، جدّة.

المَراغيّ: محمّد مصطفى (١٣٦٤)

١ـ تفسير سورة الحجرات، ط: الأزهر، مصر.

٢ـ تفسير سورة الحديد، ط: الأزهر، مصر.

المراغيّ: أحمد مصطفى (١٣٧١)

تفسير القرآن، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.

مشكور: محمّدجواد (معاصر)

فرهنگ تطبيقى، ط: كاويان، طهران.

المشهديّ: محمّد (١١٢٥)

كنز الدّقائق، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، قم.

فهرس الأعلام المنقول عنهم بالواسطة